

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

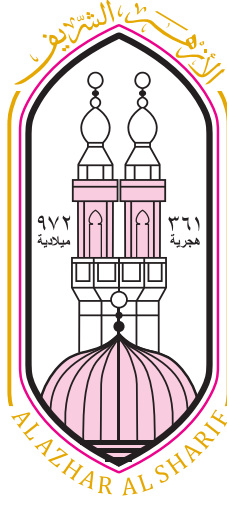
مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَفِيعِ بْنِ أَبِي الْوَلَدِ

٥٧

المجلد الحادي والخمسون - القسم الأول

السنة ١٣٩٩ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في مكة كل شهر عرفة

مدير المجلة
ورئيس التحرير
الدكتور
عبد الوارث عبيد



الجزء الأول - السنة الحادية والخمسون - غرة المحرم ١٣٩٩ هـ - ديسمبر ١٩٧٨ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإنسان الكامل في نظر محمد إقبال^(١)

العلامة أبو الحسن الندوي

العالم ، لقد ضاق صدرى من هؤلاء
الكسالى والأقزام الذين أجدهم حول ،
فخرجت أبحث عن عملاق من الرجال
وبطل من الأبطال يملأ عيني برجولته
وشخصيته ويروح نفسى ، قلت له :
لقد غرتك نفسك يا هذا فخرجت تقتنص
العنقاء ، بالله لا تتعب نفسك وارجع
أدراجك فقد أجهدت نفسى وأنضيت
ركابى ونقبت فى البلاد فلم أر لهذا
الكائن عيناً ولا أثراً ، قال الشيخ إليك

بحث عن إنسان :

قال مولانا جلال الدين الرومى فى
بعض مقطوعاته « رأيت البارحة شيخاً
يدور حول المدينة وقد حمل مشغلاً
كأنه يبحث عن شيء قلت له : ياسيدى
تبحث عن ماذا ؟ قال : قد مللت معاشرة
السباع والدواب وضقت بها ذرعاً ،
وخرجت أبحث عن إنسان فى هذا

(١) ملخص لمحاضرة ألقاها الأستاذ العلامة
منذ سنوات - هنا نشرها بإذن خاص .

المسلم هو الإنسان الكامل :

إن محمد إقبال يتحدثنا في شعره بأنه وجد هذا الإنسان المنشود وعرفه واتصل به ونراه قد هام به هياماً وتغنى في شعره بإنسانيته وشخصيته ، فأين وجد محمد إقبال ، وكيف السبيل إلى هذا الإنسان الرفيع ؟

إن الإنسان الكامل الذي وجده محمد إقبال فوجد فيه ما كان ينشده من معاني الإنسانية والقوة والحياة والجمال والكمال هو (المسلم) لا أقل ولا أكثر . إن هذا الجواب مناجاة حقاً للذين يحملون للمسلم صورة قائمة هزيلة لا تتفق أبداً مع هذا التصوير الرائع الذي قدمه الشاعر للإنسان الكامل ، ولكن محمد إقبال بالعكس من ذلك يرى في المسلم « الفضالة المنشودة » والصورة الكاملة للإنسانية .

المسلم المثالي :

ولكنه يعنى ذلك المسلم المثالي الذي يمتاز بين أهل الشك والظن بإيمانه وبقينه ، وبين أهل الجبن والخوف بشجاعته وقوته الروحية ، وبين عبادة الرجال والأموال والأصنام والملوك بتوحيده الخالص ، وبين عبادة الأوطان والألوان

عنى أيها الرجل فأحب شيء إلى نفسى أعزه وجوداً وأبعده منالاً . . .

بهذه المقطوعة الشعرية افتتح الدكتور محمد إقبال كتابه الخالد « رسالة الشرق » رداً على تحية الشاعر الألماني « جيته » التى أرسلها باسم الغرب إلى الشرق ، ولا أظن أن محمد إقبال اختار هذه المقطوعة وحلى بها صدر كتابه إلا لأنها تصوّر نفسيته وتعبّر عن شعوره ، فقد كان بحكم دراسته الفلسفية من كبار الرواد ، الباحثين عن « الإنسان الكامل » فهل وجد محمد إقبال ضالته ياترى وظفر بمطلوبه أم قطع منه الرجاء ؟

وإذا كان الجواب : نعم ، لقد وجد محمد إقبال ضالته من الناس وظفر بوطره من الرجال إنه فتح أعظم من فتح « كلمبس » واكتشاف أجل خطراً وأعظم قدراً من اكتشاف العالم الجديد لأنه اكتشاف الإنسان المفقود وعثور على الإنسانية الضائعة ولا خير فى العالم — قديمه وجديده — إذا فُقد الإنسان وضاعت الإنسانية ، وحاجة العالم إلى إنسان أشد اليوم من حاجته إلى القارات الجديدة والبحار المجهولة .

ويأكل ويشرب ويصح ويمرض .. ويموت ويحيا ويفقر ويغنى ويزرع ويتجر ويعول العيال ويربى الأطفال ويقتنى الأموال ويحكم البلاد والرجال ، فهو في هذا الوجود خاضع للسنن الطبيعية تجري عليه كما تجري على غيره وتنفذ فيه كما تنفذ في أى إنسان آخر ، وتقسو عليه كما تقسو على غيره ولا تتسامح معه لأنه يحمل اسماً خاصاً وينتمى إلى جنس خاص ويلبس لباساً خاصاً ، وهو ذرة حقيرة في صحراء الوجود المترامية وموجة عادية تأتى وتذهب في بحر الكون الزاخر من غير أن يشعر بها أحد ، فإذا اقتصر المسلم على هذا الوجود البشرى العام وعاش كإنسان لا أقل ولا أكثر كان كائنًا ضعيفًا فانيا ليست له قيمة كبيرة في نظر صيرفي الوجود وإذا مات في وقته ما بكت عليه السماء والأرض وما خسر فيه العالم شيئاً كبيراً .

أما الوجود الإيماني فهو أنه يحمل رسالة خاصة رسالة الأنبياء والمرسلين ويؤمن بمبادئ خاصة ويعتقد اعتقاداً خاصاً ويعيش لغاية خاصة ، فهو من هذه الناحية سر من أسرار الحق ودعامة من دعائم العالم وحاجة من حاجات البشرية

والشعوب بأفاقبته وإنسانيته ، وبين عباد الشهوات والأهواء والمنافع بتجرده من الشهوات وتمرده على موازين المجتمع الزائفة وقيم الأشياء الحقيرة ، وبين أهل الأثرة والأنانية : بزهده وإيثاره وكبر نفسه ، ويعيش برسالته ولرسالته ، ذلك المسلم الحق الذى مهما اختلفت الأوضاع وتطورت الحياة .. لا يزال الحقيقة الثابتة التى لا تتغير ولا تتحول وأما ما عداه فزبد يذهب جنّاء ، ذلك المسلم هو كالشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، أما ما عداه فشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، يقول فى بيت « إنك أيها المسلم حق فى العالم وحدك وما عداك سراب خادع ودرهم زائف ، ويقول فى بيت آخر : « إن إيمان المسلم هو نقطة دائرة الحق وكل ما عداه فى هذا العالم المادى وهم وظلم ومجاز » .

المسلم له وجودان :

إن المسلم له وجودان ، الوجود الإنسانى ، والوجود الإيماني ، أما الوجود الإنسانى فهو الوجود الذى يشاركه فيه كل إنسان يولد ، كعمامة الناس وينشأ ويكبر كعمامة الناس ويجوع ويظمأ ويشعر بالبرد والحر

المسلم من العالم لأن وجوده رمز لرسالات الأنبياء وأن أذانه إعلان للحقيقة التي جاء بها إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم « ويقول في بيت آخر « المسلم رسالة الله الأخيرة فلا يعتريه النسخ والتبديل » ولا يعنى محمد إقبال أن كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية حى خالد يفلت من الموت ويتمرد على القانون الطبيعى ، كيف وقد قال الله تعالى « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » وقال « أَفَيُنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ مِثْرًا فَهُمْ يُخَالِدُونَ » ولكن محمد إقبال يرى أن المسلم موج من أمواج بحر الإسلام الخضم يأتى موج ويذهب موج وتترامى هذه الأمواج فى أحضان البحر وتتلشى فى وجوده والبحر لا يتغير فالبحر امتداد دائم وتسلسل قائم — لأجزاء متغيرة ، كبحر الحياة وبحر الوجود ، تتبدل أمواجه — وهى أفراد البشر — ولا يتبدل كيانه .

خلق العالم للمسلم :

ويتقدم محمد إقبال خطوة أخرى فيعتقد أن المسلم هو غاية هذا الكون خلق العالم له وخلق هو لله ، لقد كان العلماء يتباحثون فى صحة حديث « لولاك لما خلقت الأفلاك » ولكن

يستحق أن يعيش ويستحق أن ينتصر ويستحق أن يزدهر ، بل يجب أن يعيش ويجب أن ينتصر ويجب أن يزدهر ، ويدوم مع البشرية ومع هذا الكون ، فحاجة البشرية وحاجة الكون إليه ليست أقل من حاجتها إلى الماء والهواء والنور والحرارة ، فإذا كانت أشكال الحياة مرتبطة بالماء والهواء والنور والحرارة كانت معانى الحياة وحقائقها مرتبطة بالغايات والأرواح والإيمان والأخلاق التى تتكفل رسالات الأنبياء بشرحها وبيانها ويتكفل المسلم بإعلانها والقيام بها والجهاد فى سبيلها لضاعت هذه الغايات والرسالات وأصبحت سرّاً مكتوماً ، إذن فمركزه فى العالم وبقائه كبقاء الشمس والكواكب النيرة تنقرض الأجيال والأمم وتحول الأنهار مجراها وتخرّب عمائر وتعمر خرائب وتقوم حكومات وتتقلص حكومات وتأتى مدنيات ، وتذهب مدنيات وهو قائم لا يزول ولا يحول .

المسلم حى خالد :

يعتقد محمد إقبال أن المسلم حى خالد لأنه يحمل رسالة خالدة ويحتضن أمانة خالدة ويعيش لغاية خالدة ، يقول فى بيت « لا يمكن أن ينقرض

محمد إقبال لا تهمه صحة هذا الحديث لفظاً ورواية ، إنه يفهم من القرآن ومن دراسة الإسلام وطبيعة المسلم ورسالته السامية ويفهم من دراسة التاريخ الإنساني الواسعة العميقة والاطلاع الواسع على أوضاع وطبائع الأشياء ، أن المسلم الذي هو جارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه هو مصداق معنى الحديث فضلاً عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهو خليفة الله في أرضه خلق لأجله العلم وعلمه الأسماء وحكمه في الأرض وأورثه خيراتها وخزائنها وألقى إليه بمقاليدها فيجب عليه أن يعتقد ويقتنع بأن العالم خلق له ويجاهد ويجتهد لتطبيق هذه العقيدة وتحقيق هذه الفكرة ، يقول في بيت « إن العالم نراث للمؤمن المجاهد ، لا يشاركه فيه أحد ، ولا أعد مؤمناً كاملاً من لا يعتقد أن العالم خلق له » .

مقام المسلم مقام الإمامة والتوجيه :

ويعتقد محمد إقبال أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويسائر الركب البشري حيث اتجه وسار ، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه ويملي عليها إرادته لأنه صاحب الرسالة وصاحب العلم

اليقين ولأنه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهاته ، فليس مقامه مقام التقليد والاتباع ، إن مقامه مقام الإمامة والقيادة ومقام الإرشاد والتوجيه ومقام الأمر والنهي ، وإذا تنكر له الزمان وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة لم يكن له أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ويسلم الدهر ، بل عليه أن يثور عليه وينازله ويظل في صراع وعراك حتى يقضى الله في أمره يقول في بيت « يقول من لا خلاق له » دُرُ مع الدهر حيث دار » وإذا لم يسلمك الزمان فسلمه ، وأنا أقول إذا لم يسلمك الزمان فصارع وحاربه حتى ينفى إلى أمر الله » . ويرى أن المؤمن غير مأذون بمجاراة الأوضاع بل هو مكلف بمصادمة الأوضاع الفاسدة يرد الأمر إلى نصابه ، وقيم العوج ويصلح الفاسد ، وإن كلفه ذلك عملية الهدم والنقض والعملية الجراحية فإن كل ذلك في سبيل البناء والعمارة والإصلاح ، يقول في بيت « على المسلم أن يربى في نفسه الروح وينشئ في هيكله الحياة ثم يحرق هذا العالم الفاسد بحرارة إيمانه ووهج حياته وينشئ عالماً جديداً » ويقول متمثلاً

جبل أبى قُبَيْس قبل ثلاثة عشر قرناً
استيقظ هذا الكون بعد السبات العميق
الذى غطّ فيه خمسة قرون وأكثر
وكان نفخة صور للإنسانية الميتة والعالم
المختصر وهو الكفيل الآن بإيقاظ
الإنسانية وإحياء الضمير البشرى، يقول
فى بيت « إن المؤمن إذا نادى الآفاق
بأذانه أشرق العالم واستيقظ الكون » ويقول
فى قصيدة « لست أعلم بالتأكيد مصدر
هذا الصبح الذى يطلع على هذا العالم
كل يوم ولست أعلم سره ، ولكنى أعلم
أن السّحر الذى يهتزله هذا العالم المظلم ،
ويولى به ليل الإنسانية الخالك إنما ينشأ
بأذان المؤمن الصادق » .

سألنى ربى هل ناسبك هذا العصر
وانسجم مع عقيدتك ورسالتك ؟ قلت
لا ياربى ، فقال فحطمه ولا تبال .
ويرى محمد إقبال أن الخضوع
والاستكانة للأحوال القاسرة والأوضاع
القاهرة والاعتذار بالقضاء والقدر من
شأن الضعفاء والأقزام ، يقول فى بيت
« المسلم الضعيف يعتذر دائماً بالقضاء
والقدر ، أما المؤمن القوى فهو بنفسه
قضاء الله الغالب وقدره الذى لا يرد
ويقول « إذا أحسن المؤمن تربية شخصيته
وعرف قيمة نفسه لم يقع فى العالم إلا
ما يرضاه ويحبه »

المسلم رائد الانقلاب ورسول الحياة :

قوة المؤمن مستمدة من رسالته :
ويعتقد محمد إقبال بحق أن قوة
المؤمن الخارقة للعادة ، المحيرة للعقول ،
المعجزة للبشر ، مستمدة من رسالته
وإيمانه وباندماجه واضمحلاله فى
إرادة الله ، هنا لك يتحول جارية للقدرة
الإلهية وقوة القاهرة لا تصدها الجبال
ولا تقف فى سبيلها البحار ، يقول فى
قصيدة أنشأها فى قرطبة « إن يد المؤمن
جارية القدرة الإلهية ، فهمى غلابة
حلالة للعقد والمشاكل فتاحة للأبواب

ويرى محمد إقبال أن المسلم هو
مصدر الانقلاب الصالح فى التاريخ
ومطلع فجر السعادة فى العالم ، وأنه
لم يزل ولا يزال رائد الانقلاب ورسول
الحياة ومؤذن الفجر فى الليل البهيم ،
وأن أذانه لا يزال صيحة تدوى فى
هدوء الليل وسكون الموت فيعيد إلى هذا
العالم النائم الناعس المتعب حياته ،
ونشاطه ويؤذن بطلوع الصبح الصادق
وانصرام الليل الغاسق ، وعلى هذا الأذان
الصارخ والنداء العالى الذى ارتفع من

المقفلة ، لبقة صناع حاذقة، إن المؤمن :
جسمه من تراب وفطرته من نور ،
عبد متخلق بأخلاق مولاه ، قلبه غنى
عن العالمين » ويقول على لسان القائد
الإسلامي الكبير طارق بن زياد فاتح
الأندلس وهو يدعو لأصحابه العرب
بالنصر ويناجي ربه « إن هؤلاء الغزاة
المجاهدين عينيك الغامضون الذين
لا يعرفهم غيرك وقد أصبحوا اليوم
يطمحون إلى فتح العالم وإخضاعه ،
إذا ركلوا برجلهم الصحراء انشقت ،
إذا ركلوا برجلهم البحر اننلق ، انكشفت
الجبال وتقبضت بمهابتهم ، إنهم عرفوك
وأحبوك فزهّدوا في العالم واستغنوا عن
الدنيا ، لا يطلبون إلا الشهادة في
سبيلك ولا يهدفون بجهادهم إلى الفتح
والغنائم ، لقد أفردت رعاة الإبل
بنعمتك وميزتهم بين أقرانهم في الخبر
والنظر وأذان السحر ، لم يزل العالم
يعوزه لوعة القلب والتوجع للإنسانية
المظلومة وفي قلوب هؤلاء الجريحة وفي
أكبادهم المتقدمة وجد العالم مأربه »
« بل إن الشاعر يتقدم خطوة ويقول
« ما ظنك بقوة ساعد المؤمن وهو بنظرته
يقلب الأوضاع وبدعوته يرد القضاء ،
والمطلع على التاريخ ما قاله محمد إقبال

فقد هزأ المسلمون المؤمنون في عصرهم
الأول من الجبال والبحار وشقوا طريقهم
غير محفّلين بما تعترضهم من أشواك
وعقبات ، وقصص سعد بن أبي وقاص
وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني
وعقبة بن عامر ومحمد بن قاسم الثقفي
وموسى بن نصير وطارق بن زياد شاهدة
على صدق ما قاله محمد إقبال .

المسلم لا ينحصر في الأوطان والشعوب :
ويرى محمد إقبال أن المسلم حقيقة
عالمية لا تنحصر بين حدود الجنسية
والوطنية الضيقة ، بل تتخطى حدود
المكان والزمان وتفيض كالطبيعة البشرية
وكالإنسانية العامة في مساحة زمانية
شاسعة كمساحة التاريخ الإسلامي وفي
مساحة مكانية واسعة كمساحة العالم
الإسلامي ، يقول في قصيدة قرطبة
« إن المسلم لا تعرف أرضه الحدود
ولا يعرف أفقه الثغور ، ليست دجلة
والنيل ودانوب إلا أمواجاً صغيرة في
بحره المتلاطم ، عصوره عجيبة وأخباره
غريبة ، نسخ العهد العتيق وغير مجرى
التاريخ ، هو في كل عصر ساق أهل
الذوق وفي كل مكان فارس ميدان
الشوق ، شرابه رحيق دائماً وسيفه ماض
في كل معركة ويعتقد محمد إقبال

وشدة شكيمته إذا أبى وشدة بطشه إذا حارب تخلق بخلق « الجبار » ولا يكون المسلم المثل الكامل لدينه وصورة صادقة للإسلام حتى يجمع بين هذه الأخلاق المتنوعة فيجمع بين الشدة واللين ، والغضب — والرحمة والصلابة والمرونة والعفة والنزاهة ويكون في ذلك آية من آيات الله ومعجزة من معجزات الرسول ، ثم يقول الشاعر إن المؤمن هو الميزان العادل والقسطاس المستقيم به يعلم رضا الله وسخطه وبه يعرف الحسن من القبيح ، فما راق في نظره فهو حسن وما استقبحه فهو قبيح وما ثقل في ميزانه فهو ثقیل وما خف فهو طائش ، وفي عزائمه تتجلى إرادات الله وهو القرآن الناطق ، وهو الدين يسعى على قدميه ، ثم إن حياته متوافقة متشابهة كالطبيعة فالصبح يطلع كل يوم والليل يتبع النهار لا تخلف فيه ولا تناقض وهو صاحب معان كثيرة ونعمة واحدة فهو كسورة الرحمن في القرآن تتجدد معانيه وتكرر فيه آية « فَبَأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » وقد صدق الشاعر فالمسلم لم يزل يتحف كل عصر بعلومه وتوجيهاته وينير ظلمات كل عصر بنوره وضياؤه ويضرب على وتر واحد

أن العالم كله وطن للمسلم ، يقول في بيت « المسلم الرباني ليس بشرق ولا غربى ليست وطنى دهلى ولا أصفهان ولا سمرقند ، إنما وطنى العالم كله ، ويعتقد محمد إقبال أن المسلم يعتبر كل ملك الله وطناً له يقول « لما نزل طارق بالجزيرة الخضراء أمر بالسفن فأحرقت ، فجاءه رجال من الجيش ولا موه على فعله وقالوا له : لقد قطعت بنا الحبال فكيف نرجع إلى بلادنا ؟ فوضع طارق يده على السيف وقال أنا لا أفكر في الرجوع وسنبقى هنا ونتخذة وطناً ، فإن كل ما كان لله من أرض وبلاد وطن لنا ، لا فرق في ذلك بين العجم والعرب والشرق والغرب » .

المسلم متخلق بأخلاق الله :

ويعتقد محمد إقبال أن المسلم يجمع بين المتناقضات من الأخلاق والصفات وما هي بمتناقضات ولكنها ظلال صفات الله ومظاهر أخلاق الله ، فهو في تسامحه ورحابة صدره وكثرة صفحه قد تخلق بخلق « الغفار » ، وفي شدته في الدين وغضبه للحق وثورته على الباطل قد تخلق بخلق « القهار » وهو في نزاهته وعفته وطهارته ضميره قد تخلق بخلق « القدوس » وفي صلابته إذا تصلب

دولة إلا وقامت له في جانب آخر ، لم تسقط له راية إلا وخفقت له راية أخرى ولم يغيب له نجم إلا وطلع له نجم آخر لقد كانت خسارة الأندلس الإسلامية كارثة كبيرة ومصاباً عظيماً ولكن عوض الإسلام بها بدولة فتيه من أعظم دول العالم هي دولة آل عثمان في تركيا قامت في نفس القارة الأوروبية وجثمت على صدر الدول والأمم المسيحية التي انتزعت الأندلس الإسلامية وأجلت المسلمين من وطنهم العربي الإسلامي ، وكان سقوط غرناطة وأوج الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني حادثين في عصر واحد ، ونكب العالم الإسلامي ونكبت بغداد بغارة التتار وانطمست معالم الحضارة الإسلامية وزلزل المسلمون شديداً ولكن في نفس هذه الفترة كانت الدولة المسلمة في الهند تتسع وتزدهر ، وأصيب العالم الإسلامي بهزات عنيفة وقواصم مؤلمة في فجر هذا القرن المسيحي على أيدي الأوروبيين ، فقد اقتسمت الدول الأوروبية تراث الدولة العثمانية كمال سائب واغتصبت ممتلكاتها في إفريقيا وتقاسم الحلفاء سورية وفلسطين والعراق ، ولكن تبع هذا كله اليقظة الإسلامية الهائلة والوعي السياسي القوي

ويكرر رسالة الأنبياء ويقول لكل جيل « ياقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ » فهو كالصبح جديد وقديم فهو في جدته ليس شيء أجده منه وهو في قدمه ليس شيء أقدم منه ، هو قديم لكنه يتجدد به العالم وتتجدد فيه الكائنات وتتبعش به القوى وتستيقظ به الأجسام والقلوب والعقول ، ثم إنه جديد بنفسه تتجدد قواه ويتجدد نشاطه وتتفتح قريحته مع العصور علمه سيار وعقله مبتكر ونفسه طموح وهمته وثابة وهو كالطر كل قطرة غير الأولى ولكنها قطرات مطر وكلها تحيي الأرض وكلها تنبت النبات وكلها تسقي المزارع والأشجار وكلها تفتح الأزهار وكلها تكون الأنهار وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أمتي كالطر لا يدرى أوله خير أم آخره » .

المسلم كالشمس لا تغرب مطلقاً :

ويقول محمد إقبال إن المسلم كالشمس إذا غربت في جهة طلعت في جهة أخرى فلا تزال طالعة ، وقد صدق فإن الإسلام لم ينكب في ناحية من نواحي العالم ولم يخسر إلا وفتح فتحاً جديداً في ناحية أخرى ولم يخسر في جانب

خاطر ولا يقر لهم قرار، وهم ينادون بلسان الحال ،
« لا نجونا إن نجا الإسلام ولا عشنا إن عاش
المسلمون وقد وصف محمد إقبال قصيدته البديعة
«برلمان إبليس» في ديوانه الأخير أرمغان حمجاز
يعنى « هدية الحمجاز » وذكر خطورة الإسلام
في إبليس وجنوده وأنا أنقل هنا ترجمته من كتابي
« ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .

«إن الشياطين وزملاء إبليس وأعوانه —
اجتمعوا في مجلس شورى وتباحثوا في
سير العالم وأخطار الغد وفتنه وما يتوجسون
من خيفة على نظامهم الإبليسى ومهمتهم
الشیطانية ، فتذاكروا في فتن وأخطار
قد أحدثت بهم وهددت نظامهم وجللوا
خطبها وتناذروا شرها فذكر أحدهم
الجمهورية وحسب لها حساباً كبيراً
فقال الثانى : لا يهولنك أمرها فإنها
ليست إلا غطاء للملوكية ونحن الذين
كسونا الملوكية اللباس الجمهورى إذ
رأينا الإنسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر
بكرامته وخفنا ثورة على نظامنا قد لا
تحمد عاقبتها فألهيناه بلعبة الجمهورية
وليس الشأن فى الأمير والملك ، إن
الملوكية لا تنحصر فى وجود شخص
ترتكز فيها الملوكية وفرد يستبد
بالسلطان ، إنما الملوكية أن يعيش
الإنسان أعبالا على غيره مستشرفاً إلى

والطموح إلى الاستقلال والحرية والحركات
الإسلامية المختلفة التى كان يجيش بها
العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ونكب
المسلمون فى العهد الأخير نكبات
عظيمة فى الشرق الأقصى والأوسط ،
وخسرت الدول العربية فلسطين العربية
الإسلامية ولكن فى نفس هذه الفترة
قامت للمسلمين دولتان فتيتان فى ،
الشرق إحداها دولة باكستان والأخرى
أندونيسيا ، وهكذا لم يزل التاريخ الإسلامى
متأرجحاً بين الأسفل والأعلى فما تسفل
منه جانب إلا وترفع جانب آخر
كالأرجوحة تماماً ، ولم تتوار شمسها فى أفق
إلا وبزغت فى أفق آخر . وذلك لأن
الإسلام رسالة الله الأخيرة التى لا رسالة
بعدها والمسلمون هم الأمة الأخيرة التى
لا أمة بعدهم ، فإذا ضاعوا فقد ضاعت
الرسالة — وإذا هلكوا فقد غرقت السفينة
التي تحمل الذخيرة .

**المسلم هو المنافس الوحيد والخطر الدائم
على الباطل :**

لذلك لم يزل الباطل يعتبر المسلم المنافس
الوحيد والمصارع الشديد لنظامه ووكلائه
يحسبون له كل حساب ويتربصون به الدوائر
ولا يعلمون به خطراً من الأخطار ولا يهدأ لهم

الأرض ترجف بهول فتنة الغد، ياسيدى
إن العالم الذى كنت تحكمه سينقض
عليك وينقلب نظام العالم ظهراً لبطن .

فتكلم رئيس المجلس « إبليس »
وقال : إني أملك زمام العالم وأتصرف به
كيف أشاء وسيرى العالم عجباً إذا
حرشت بين الأمم فتهاششت تهاشش الكلاب
وافترس بعضها بعضاً فعل الذئاب
وإذا همست فى آذان القادة
السياسيين وأساقفة الكنائس الروحانيين
فقدوا رشدهم وجن جنونهم .

أما ما ذكرت من الاشتراكية فكونوا
على ثقة أن الخرق الذى أحدثته الفطرة
بين الإنسان والإنسان لا يرفأه المنطق
المزدكى (يعنى الفلسفة الاشتراكية)
لا يخوفنى هؤلاء الاشتراكيون الطرداء
والصعاليك السفهاء .

إن كنت خائفاً فإني أخاف أمة
لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة فى
رمادها ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم
عن المضاجع وتسيل دموعهم على
خدودهم سحراً ، لا يخفى على الخبير
المتفرس أن الإسلام هو فتنة الغد
وداهية المستقبل ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد

متاع غيره سواء فى ذلك الشعب والفرد ،
أما رأيت نظام الغرب - الجمهورى
وجهه مشرق وضاح وباطنه أظلم من
باطن جنكيزخان .

فقال الآخر : لا بأس إذا بقيت
روح الملكية ، ولكن ماذا يقول النائب
المحترم فى هذه الفتنة الدهماء التى
أثارها هذا اليهودى الذى يدعى « كارل
ماركس » ذلك الباقعة الذى ليس نبياً
ولكنه يحمل عند أتباعه كتاباً مقدساً
هل عندك نبأ أنه أقام العالم وأقعده
وأثار العبيد على السادة ، حتى تزعزعت
مباني الأمانة والسيادة ؟

فقال الآخر مخاطباً رئيس المجلس :
يا صاحب النخامة إن سحرة أوروبا
وإن كانوا يريدون المخلصين ولكنى
لم أعد أثق بنراستهم ، ها هو
السامرى اليهودى الذى هو نسخة من
« مزدك » (الزعيم الفارسى الاشتراكى)
قد كاد يأتى على العالم بقواعده فاستنصر
البغاث وأصبح «الصعاليك» يزاحمون
الملوك بالمناكب ويدفعونهم بالراح
(أعلام أرض جعلت بطائحاً) إنا قد
استهنا بخطب هذه الحركة الاشتراكية
وهاهى قد استنحلت وتناقم شرها وهاهى

فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متوارياً عن أعين الناس ولينهنكم أن المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه قليل الإيمان بدينه فخير لنا أن يظل مشغلاً بمسائل علم الكلام والإلهيات وتأويل كتاب الله والآيات اضربوا على آذان المسلم فإنه يستطيع أن يكسر طلاسّم العالم ويبطل سحرنا بأذانه وتكبيره ، واجتهدوا أن يطول ليله ويبطى سحره اشغلوه يا إخوانى عن الجدل والعمل حتى يخسر الرهان فى العالم ، خير لنا أن يبقى المسلم عبداً لغيره ويهجر هذا العالم ويعتزله ويتنازل عنه لغيره ، زهداً فيه واستخفافاً لخطره ، ياويلتنا ويا شقوتنا لو انتهت هذه الأمة التى يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتعهه .

مؤامرة أنصار الباطل ضد المسلم :

وفعلًا نجح شياطين الإنس والجن فى مهمتهم وكانت مؤامرة مبيتة ضد الإسلام وخطة منظمة ضد أجياله القادمة فأكبر ما اهتموا به هو إطفاء الجمرّة الإيمانية التى لا تزال كامنة فى الرماد وتجريد المسلمين فى بلاد العرب والعجم من الحميّة الدينية

اتخذت القرآن مهجوراً وأنها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرها من الأمم ، أنا خير بأن ليل الشرق داج مكفهر وأن - علماء الإسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التى تشرق لها الظلمات ويضىء لها العالم ، ولكنى أخاف أن قوارع هذا العصر وهزاته ستقضى مضجعها وتوقظ هذه الأمة وتوجهها إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، إني أحذركم وأنذركم من دين محمد صلى الله عليه وسلم ، حامى الذمار حارس الذمم والأعراض ، دين الكرامة والشرف دين الأمانة والعفاف دين المروءة والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ، يلغى كل نوع من أنواع الرق ويمحو كل أثر من آثار استعباد الإنسان ، لا يفرق بين مالك ومملوك ولا يؤثر سلطاناً على صعلوك ، يزكى المال من كل دنس ورجس ويجعله نقياً صافياً ، ويجعل أصحاب الثروة والملوك مستخلفين فى أموالهم ، أمناء لله وكلاء على الأموال ، وأى ثورة أعظم وأى انقلاب أشد خطراً مما أحدثه هذا الدين فى عالم الفكر والعمل يوم صرخ أن الأرض لله لا للملوك والسلطين .

هندي آخر اسمه أكبر الإله آبادي أن فرعون مصر أخطأ الرمية وجانبه التوفيق في تحقيق فكرة القضاء على بني إسرائيل فقد التجأ في قتلهم وإبادتهم إلى طرق سافرة ألصقت به العار وأثارت عليه اللعنات ، فكان يقتل أبنائهم ويستحي نساءهم ، ليأمن ثورة بني إسرائيل وغائلتهم في المستقبل ، ولو أنه رزق شيئاً من الابتكار وبعد النظر ودقة التفكير لاحتفى بتأسيس كلية لبنى إسرائيل ينشئ الجيل الإسرائيلي الجديد كما يشاء ويسبك العقول والطباع سبكاً جديداً لا يدع إمكاناً لنشء شاب مثقف يشعر الشعور الديني ويحمل العاطفة الدينية والغيرة القومية ويهتم بشيء آخر غير الوظائف والمناصب والمرتبات والدرجات لو أن فرعون وفق لهذا المشروع لتفادى من هذه المتاعب وسوء الأحداث ووصل إلى غايته في سهولة ويسر وهدوء وسلام وزيادة على ذلك اشتهر في الناس بلقب « حامي العلم » و« مربى الجيل » وناشر الثقافة والتعليم في الشعب .

نجاح أنصار الباطل في إضعاف الروح الديني :

ويرى محمد إقبال أن أنصار الباطل

والعاطفية الإسلامية التي تحمل أصحابها على التضحية والجهاد وتحمل الشدائد والمكاره في سبيل الله والثورة على الباطل وقد أوصى بذلك إبليس أشياعه وجنده ، يقول محمد إقبال في قصيدة عنوانها « وصية إبليس إلى تلاميذه السياسيين » « إن هذا المجاهد الذي يصبر على الجوع ولا يحسب للموت حساباً ، أخرجوا روح محمد صلى الله عليه وسلم من جسمه ، فيصبح قليل الصبر ، جزوعاً من الفقر شديد الخوف من الموت ، وأشغلوا العرب بالأفكار الغربية وانتزعوا من أهل الحرم تراثهم الديني تتمكنون بذلك من إجلاء الإسلام من الحجاز واليمن ، إن في الأفغان غيرة دينية وعلاجها أن تنفوا العالم الديني من جبالها وسهولها .

وكان من أقرب الطرق للوصول إلى هذا الهدف هو التعليم الذي يجرّد الشباب - المسلم من الروح الديني والعواطف الإسلامية والعقلية الإسلامية وينشئ فيه طبيعة النفعية والأبيقورية وطبيعة التهام الحياة وانتهاب المسرات وتقديس المادة ورجاها وعدم الاستقامة الخلقية والتأسك وضعف الثقة بالنفس والشك في الدين ، لذلك يرى شاعر

يوماً من الأيام إذا نظرت إلى أحد ارتعد فرقاً منك وطار قلبه شعاعاً وقد أصبحت اليوم كسائر الناس لا تحمل روحاً ولا تجذب نفوساً ، ويقول في موضع آخر « إن السجدة التي كانت تهتز لها روح الأرض لقد طال عهد المحراب بها واشتاق إليها المسجد كما تشتاق الأرض الجديبة الخاشعة إلى المطر ، لم أسمع في مصر ولا في فلسطين ذلك الأذان الذي ارتعشت له الجبال بالأمس ، ويقول في بيت « لقد فقد المسلم لوعة القلب وانطفأت نار الحياة فيه فأصبح ركاماً من تراب ، ويقول « لم أر في محيطك أيها المسلم لؤلؤة الحياة وقد بحثت عنها موجة موجة وثقة قدتها صدفة صدفة ، ويرى محمد إقبال أن مصدر هذا التدهور هو القلب الذي خوى من الإيمان وشعلة الحياة يقول « لقد فقد المسلمون سورة الحب الصادق ونزفهم دم الحياة ، فأصبحوا هيكلًا من عظام لا روح فيه ولا دم الصفوف زائغة والقلوب مضطربة والسجدة لا لذة فيها . ذلك لأن القلب خال من الحنان » .

البقطة الإسلامية :

هذا ولكن محمد إقبال يعتقد أن

قد نجحوا نجاحاً كبيراً في فكرتهم وجهودهم فضعف الشعور الديني في بلاد الإسلام وخمدت جذوة الإيمان وفقدت البطولة الإسلامية وروح الجهاد وفشت النفعية وجمحت المادية ، يقول الشاعر وقد ساح في كثير من البلاد الإسلامية والعربية « لقد تجولت في بلاد العرب والعجم فرأيت خلفاء أبي لهب كثيرين تفيض بهم البلاد ، والمتشبعين بروح محمد صلى الله عليه وسلم نادراً كالكبريت الأحمر والعنقاء والمغرب ، ويقول في قصيدة قالها في فلسطين « لا أرى في بلاد العرب تلك اللوعة القلبية التي كان يمتاز بها العرب ولا في بلاد العجم ذلك السمو الفكري الذي كان يمتاز به العجم ، ولا تزال دجلة والفرات متعطشين إلى بطل من أبطال الإسلام ولكني لا أرى في قافلة الحجاز أحداً يقوم مقام الحسين » .

يشعر محمد إقبال بهذا التدهور الذي وقع في حياة المسلمين ويتألم لذلك أشد الألم ويبكي دماً وشعره يفيض بهذه الأنات والدموع . يقول في أبيات « يا وارث التوحيد الإسلامي لقد فقدت الكلام الجذاب الساحر والعمل المسخر القاهر ، لقد كنت

الصدومات السياسية التي أصيب بها العالم الإسلامي أقضت مضجع المسلمين وأيقظتهم ودب فيهم دبيب الحياة ، يقول في قصيدته البليغة «طلوع الإسلام» إذا رأيت النجوم شاحبة منكدة تخفق فاعلم أن الفجر قريب ، هاهي الشمس قد ذر قرنهما من الأفق وولى الليل على أدباره ، إن عاصفة الغرب قد أعادت المسلم إلى الإسلام فإنما تتكون الآلى في البحر المتلاطم الهائج ، لقد دب دبيب الحياة في الشرق وجرى الدم الفائر في عروقه الميتة وذلك سر لا يفهمه ابن سينا والفارابي . إن المسلم سيمنح من الله الأبهة التركية والذكاء الهندي والنطق العربي ويقول في بيت «إن إقبال ليس يائساً من تربته الحقيمة فإنها إذا سقيت أتت بحاصل كبير» .

المسلم هو باني العالم الجديد :

ويرى محمد إقبال أن الحضارة الغربية قد مثلت دورها ونثرت كنانتها وقد شاخت وهرمت وأينعت كالنفاكهة وحن قطافها ، وأن العالم القديم الذي

حوّله مقامرو الغرب إلى حانة الفساد والمقامرة منهارة قريباً والإنسانية تتمخض بعالم جديد ويعتقد محمد إقبال أن هذا العالم الجديد لا يحسن تصميمه إلا من بنى للإنسانية البيت الحرام وورث إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام في قيادة العالم وإرشاده فيهب محمد إقبال بهذا المسلم النائم وينشده بالله أن يقوم ويمسح النوم من عينيه فقد ظهر الفساد في الثبر والبحر وعاث الأوربيون في الأرض وأفسدوا فيها يعد لإصلاحها وخربوا العالم وملئوه ظلماً وظلمات ، وشروراً وويلات وليست هذه الأرض إلا بيتاً من بوت الله جعلها مسجداً وطهوراً وأذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه ولكن الأوربيين قد حولوها إلى خمارة ، وبيت الفسق والدعارة ومكان النهب والغارة ، وقد آن لباني البيت الحرام وحامل رسالة الإسلام أن يقوم ويصلح ما أفسده الأوربيون ويعيد هذا البيت إلى قواعد إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم ويبنى العالم من جديد . . . أبو الحسن الندوي

إلى أين يتجه الإسلام والمسلمون .. ؟

العلامة أبو الأعلى المودودي

العنوان ونؤكد أنه لا يصح تفسير « الإسلام المعاصر » بواقع المسلمين في الوقت الحاضر . وهناك مفهوم آخر لهذا العنوان يساور الأذهان وهو « إسلام العصر الحاضر » ، وبهذا المعنى يصبح هذا العنوان أيضاً كلاماً فارغاً واسماً لا مسمى له . لأن الإسلام لا يختص « بالماضي » أو « بالحاضر » . بل إن الإسلام حقيقة خالدة أبدية ظلت ناصعة بديهة إلى ما قبل بلايين السنين وستظل في نفس النضاعة والبهادة ما دامت السماوات والأرض . كان من الحقيقة التي لا تقبل النقض ، قبل بلايين السنين ، أن إله هذا الكون واحد لا شريك له وسيكون كذلك من الحقيقة المبرهنة بعد بلايين السنين أن ليس لهذا الكون إلا إله واحد . ومن الحقيقة الخالدة أن ليس للمخلوق من مناص إلا أن يعبد الخالق ويخضع له ، فحيث وجد المخلوق يتحتم عليه اتباع طريق العبودية والخضوع والإخبات

من الطريف في الأمر أن العنوان الذي اختير للبحث الذي نحن فيه اليوم وضع باللغة الإنكليزية : (ISLAM TO DAY) بينما اللغة التي اختيرت للتحديث عنه كانت الأردية . ولذلك ، قبل أن أدخل في صلب الموضوع أريد أن أحدد فحواه ، وأبين ما هو مدى نطاق البحث فيه ، وما هي النواحي التي تدخل فيه والتي لا تدخل فيه .

« الإسلام المعاصر » (ISLAM TO DAY) : هذا العنوان إذا أخذناه بمدلوله الإنجليزى أى المفهوم الذى يعبر عنه أهل الغرب لهذا العنوان فيكون معناه : « المسلمون المعاصرون » إذ أن أهل الغرب كثيراً ما يخلطون « الإسلام » بـ « المسلم » فيستخدمون كلمة « الإسلام » حيث تستخدم كلمة « المسلم » ويصفون « المسلم » بما يوصف به « الإسلام » ولذلك يجب علينا قبل كل شيء أن نبعد عن أذهاننا المفهوم الخاطئ لهذا

الإسلام أو بالسلوك الذى يختارونه نحو الإسلام ، وبمدى تأثير الإسلام فى حياتهم الواقعية فى الوقت الحاضر فلا بد لإدراك كل ذلك من أن نلقى نظرة عابرة على « الإسلام فى الزمن الماضى » قبل أن تتناول « الإسلام فى الزمن الحاضر » . إذ أن الذى نحن عليه اليوم إنما هو حصيلة ما كنا عليه فى الأمس . ولا نحصد اليوم إلا ما زرعناه بالأمس . والذى سنكون عليه فى المستقبل سيتمخض عما نأتى به اليوم ونزرعه . وبحكم هذا المنطق إذا أردنا أن نعرف موقف المسلمين اليوم من الإسلام بدقة وإمعان لابد لنا من أن نتعمق فى الموقف الذى اتخذه المسلمون من الإسلام فى الأمس الدابر . ومنه نعرف الجذور التاريخية التى يقوم عليها موقفنا الحاضر — كما نستطيع خلال هذه الدراسة أن نحدد الملامح التى سوف تسود موقف المسلمين من الإسلام فى المستقبل . وانطلاقاً من وجهة النظر هذه — إذا استعرضنا تاريخنا وقلبنا صفحاته يتجلى لنا أن مسيرة الأمة الإسلامية اجتازت ثلاث مراحل من تاريخها ودخلت اليوم فى المرحلة الرابعة .

للخالق . ومن ثم لا ينشأ السؤال عن كون الإسلام متقيداً بقيود الأزمان من الأمس واليوم والماضى والحاضر والمستقبل . إذن فليس لهذا العنوان إلا مفهومان اثنان لا ثالث لهما :

الأول : ما هو السلوك الذى يتبعه المسلمون تجاه الإسلام وما هو الموقف الذى يقفون منه فى الوقت الحاضر ، وما هو مدى تأثير الإسلام فى حياتهم الواقعية ؟
والثانى : هل من المحتمل أن تعود البشرية اليوم إلى الإسلام وتسترشد بهديه أم أن هذا احتمال بعيد المنال ؟ إذا كان الجواب بنعم فكيف يكون ذلك . وإذا بالغ أحد فى تفسير هذا العنوان فله أن يقول مضافاً إلى التفسير الثانى :

— هل الإسلام صالح للتطبيق فى الزمان الحاضر أم لا ؟

هذان هما السؤالان اللذان يتضمنهما العنوان المطروح وسأحدث إليكم بما يحول فى خاطرى فيما يتعلق بهذين . السؤالين . وذلك بقدر ما يتسع لى المجال فى هذا المقام ، داعياً المولى الكريم أن يهدينى إلى سواء السبيل .

المراحل التى اجتازتها الأمة الإسلامية

— فيما يتعلق بموقف المسلمين من

المرحلة الأولى المتأالية من مراحل التاريخ الإسلامى

بدء المسيرة الإسلامية :

ابتدأت أولى مراحل تاريخنا بيزوغ فجر الإسلام فى مكة حين بعث الله تعالى رجلاً من أهلها ، وأمره أن يشيد صرح الحياة الإنسانية على أسس من توحيد الله والإيمان بالآخرة واتباع الرسالة الإلهية . وأن هذا الرجل العظيم ظل يعرض دعوته على خلق الله فى مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة متوالية . ولم يكتف بعرض دعوته بلسانه فقط . بل كانت دعوته متجسدة فى حياته الشخصية متمثلة فى كل عمل من أعماله وكل موقف من مواقفه فى الحياة الاجتماعية مصورة الإنسان المثالى الذى ينشده الإسلام ، والأخلاق السامية التى يصنعها الإسلام ، والسيرة التى يتوخاها الإسلام ، والسلوك الذى يجب أن يكون عليه فى الحياة الدنيا كل من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً . وكل ما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إليه كان يتجلى فى حياته العملية واقعا حياً ملموساً .

وقد عاضده صلى الله عليه وسلم فى تنفيذ مهمته — بعد أن سمع دعوته

من لسانه ورآها حقيقة متمثلة فى واقع حياته — ناس آمنوا بدعوته بكل تجرد ونزاهة وفهم ووعى . ولم ينضم أحد إلى دعوته — صلى الله عليه وسلم — عن جهل وعمى وعدم تفهم لحقيقتها ومتطلباتها ، بل لم يعتنقها إلا وهو شاعر بجلالة الدعوة وضخامة مسؤوليتها . وسرعان ما أفرغ حياته فى نفس القلب الذى كانت تريده هذه الدعوة .

والذين قد دخلوا فى دين الله هذه الفترة ، التى امتدت إلى ثلاث عشرة سنة حدث فعلاً فى حياة كل فرد منهم انقلاب رائع كان الإسلام يستهدف إحداثه فى حياة البشر . ثم لم يقف الأمر عند ظهور هذا الانقلاب فى نفوسهم فحسب ، بل جعلهم يكافحون بحماس واندفاع بالغين كل قوة من القوى الداخلية والخارجية التى أصبحت حجراً عثرة فى سبيل امتداد المسيرة الإسلامية وإسعاد البشرية ببركاتها وخيراتها فإن رأيت ثم رأيتهم يقومون بأكبر تضحية يمكن لرجل أن يأتى بها فى سبيل مبدأ من المبادئ . أنهم تكبدوا أفدح الخسائر المادية برحابة الصدر وارتياح النفس لأن أعظم قيمة من قيم الحياة الدنيا وأسماها فى أعينهم هى ما نالوها

وتكون هذه الدولة الصغيرة الناشئة في الطرف المقابل في هذه المعركة . ومع ذلك شرع النبي صلى الله عليه وسلم في تكوين مجتمع بشري فذ يختلف بحذافيره عن المجتمع الجاهلي آنذاك واستطاع في سنوات قليلة إعداد ، نموذج حضارى رفيع ، وعرضه على عالم العرب ، وأتاح بذلك لكل رجل أن يشاهد - إذا شاء - بأعينه القلب الذى يريد الإسلام إفراغ الحضارة البشرية فيه ، ويتبين الروح الخلقية الذى يستهدف بعثها فيها .

إن العدل الذى دعا إليه الإسلام أقيم فعلا في تلك الدولة ، وإن المجتمع النزيه الذى يود الإسلام إنشاء ، أنشئ فيها فعلا وصار واقعاً ملموساً ماثلاً للعيون . وإن الإصلاح الذى يتوخاه الإسلام في الحياة الاقتصادية وُضع فعلا موضع التنفيذ فيها . وهكذا فإن كل ما كان يدعو إليه الإسلام ويطلبه من الناس أبرزه النبي صلى الله عليه وسلم إلى حيز الوجود وجسمه في واقع الحياة ، لكي لا يكون إيمان الناس بالإسلام مقتصرًا على ما سمعوه من لسانه بل يرون بأعينهم : ما هو الإسلام ، وما هي بركاته وما هو الطريق لتطبيقه وجعله واقعاً حياً .

بفضل الإسلام . فلم يرتضوا التنازل عنها مقابل أى شيء ، واستعدوا لأن يضحوا بعدها بكل شيء في الدنيا . بل فوق ذلك فجر الإيمان فيهم عاطفة دافقة لجعل العقيدة التي آمنوا بها تسود الدنيا وتحكمها . وصمموا على عظيم كل احتمال لتغلب نظرية من النظريات الباطلة عليهم ولو اقتضى الأمر إلى التضحية بالنفس والنفائس في هذا السبيل .

تأسيس الدول الإسلامية :

وهكذا ، فإن الفئة القليلة من المجاهدين المستميتين التي أعدها الرسول عليه الصلاة والسلام وشملها بتربيته الربانية في خلال مدة ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة قد انتقل بها إلى يثرب (المدينة المنورة) وأنشأ فيها دولة إسلامية صغيرة جداً كانت مساحتها لا تزيد عن مساحة قرية صغيرة من قرى بلادكم ، وكان سكانها لا يتجاوزون ستة أو سبعة آلاف نفس . فقد قامت في هذه القرية الصغيرة دولة جعلت تتحدى الجزيرة العربية برمتها . والذي يدعو إلى العجب ويأخذ باللب هو أن تكون الجزيرة العربية الواسعة الأكناف الشاسعة الأرجاء في طرف

وسلم أن يقضى على الفوضى السياسية التى أنشبت أظفارها فى الجزيرة من القرون المتطاولة ، ثم يخضعها لنظام سياسى موحد فكيف وهو قد حقق مايفوق ذلك آلاف المرات : حقق تلك الثورة الشاملة التى لم يشهد لها تاريخ مثلاً : ثورة فى التفكير ، ثورة فى الأخلاق ، ثورة فى الحضارة ، ثورة فى المدنية . وما يدعو إلى الأسف أن النهج الخاطيء لتدوين التاريخ قد تناولت هذه الثورة الكبرى كأنها قامت نتيجة الغزوات فقط . وجاء المستشرقون الغربيون يصرخون ملء الفم :

« إن الإسلام لم ينتشر إلا بقوة السيف مع أن جميع الغزوات والمعارك التى اضطرت نيرانها فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم تكاد لا يتجاوز قتلاها من الطرفين ألفاً وأربعمائة نفس . وعلى من عنده مسحة من العقل أن يتأمل فيما إذا كان من الممكن أن تحدث ثورة كهذه بقوة السيف على هذا القدر الضئيل من الدماء ؟

سرنجاح هذه الدعوة فى مدة قليلة :

إن السبب الحقيقى لحدوث هذه الثورة الكبرى هو غير ما قيل ويقال :

ومن أروع معجزات التاريخ البشرى أن الدولة التى أنشئت فى قرية صغيرة من قرى العرب - والتى كانت عبارة عن بضعة أميال مربعة فى مساحتها ، وعن بضعة آلاف نفس فى سكانها - استطاعت أن تبسط سلطان الله فى أكناف جزيرة العرب فى غضون ثمانى سنوات فقط . إنها فى هذه المدة القصيرة غزت رقعة من الأرض كانت تحتوى على مليون ميل مربع فأكثر . وكان من بدائع هذا الفتح أن لم يصبح الناس مستسلمين للسلطان السياسى لهذه الدولة فحسب ، بل انقلبت بسببه نظراتهم إلى الأشياء رأساً على عقب ، وتغيرت مقاييسهم للقيم ، وتبدلت أخلاقهم وخصالهم ظهراً لبطن وحصل انقلاب جذرى فى عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وطرات على حضارتهم ومدنيتهم ثورة لم تغير وجهة تاريخهم فحسب ، بل غيرت مجرى تاريخ العالم بأسره . فانتهج الناس أفراداً وجماعات أسلوباً جديداً للتفكير ونمطاً جديداً من السلوك وغاية جديدة للحياة حرموها منذ مئات القرون فى تاريخهم .

وكان بحسب النبى صلى الله عليه

نتائج هذه الجهود وصاحت قائلة :
ما أتم السلام في هذا المجتمع وما
أرسخ قواعد الصلاح وخشية الله في قلوب
أهله ! . وما أعم ظواهر الصدق والإيمان
فيه ! وما أنظف العدل فيه ! وما أبعد
الفوارق الطبقيّة فيه ! وما أبرز المساواة
والأخوة فيه ! وما أظهر الحياة الاقتصادية
فيه من العضلات والتعقيدات والنقائص !
وما أجمل الحياة الاجتماعية فيه وأظهرها
من الأوساخ الخلقيّة ! .

وما استطاع إزاء ذلك من وهبهم الله
عبدوناً مبصرة أن ينكروا ذلك النور
الساطع الذي كانوا يرونه يملأ الدنيا
ضياء وسعادة ، ولا سيما أنهم كانوا
قد خبروا عصر الجاهلية وجنوا حظها
المر ، ذلك العصر الذي كان الإنسان
فيه يبتلع الإنسان ، وكانت حوادث
القتل والنهب والسلب والإغارة من
الأمور العادية ، وكان الناس غارقين
في إدمان الخمر والزنا والقمار والسرقة
وقطع الطريق ، وما إلى ذلك من الرذائل
الخلقيّة حتى أنوفهم . ولكنهم أصبحوا
يشهدون الآن تلك القناديل النورانية
من السلام والعدل والصلاح والشرف
والنزاهة والسمو تملأ أرجاء الدولة
الإسلامية ضياء وبهاء ، وتضئ عليها

لما كان النبي صلى الله عليه وسلم
في مكة يدعو إلى الإسلام ويعرضه على
المشركين لم يدرك إلا القليلون منهم
ما كانت تحمل هذه الدعوة في
أحشائها من الطاقة الهائلة . ولم يفطن
إليها إلا الذين كانوا على رصيد كبير
من الذكاء والفتنة وكانوا من أصحاب
الذهن الوقاد والبصيرة النافذة ، وكانوا
يتمتعون بالقابلية التي استطاعوا معها
أن يسموا بأنفسهم عن حمأة العصبية
الجاهلية ليعرفوا الحق فيؤمنوا به
- لكونه حقاً وصدقاً - ويتبعوه في
حياتهم الواقعية ، ويقوموا برفع لوائه
ونشره في العالم مهما غلا الثمن وعظمت
التضحية .

ولما برزت إلى حيز الوجود جماعة هذه
سماتها وتلك عزائمها شرع النبي
صلى الله عليه وسلم على سواء ببناء
مجتمع إسلامي منشود ، وبعد أن تولى
زمام دولته الإسلامية المستقلة أخذ يطبق
هذا المجتمع ما أوحاه الله إليه من
خطة إصلاحية للحياة الإنسانية وما
للأوضاع القائمة والظروف السائدة آنذاك
إزاء هذه الخطة إلا أن تتبدد بين عشية
وضاحها .

وأخيراً شاهدت الدنيا بأم أعينها

حللاً قشبية من الجمال والنضرة . ولم يبق بعد ذلك إلا نزر يسير من غشيت أبصارهم لم تعجبهم إلا ظلمات الجاهلية كالحفاش الذى لا ينظر إلا فى الظلام وغير هؤلاء الشذاذ آمن بصدق رسالة النبى صلى الله عليه وسلم فى نهاية المطاف جميع من كانوا يضعون العراقيل فى طريقه وكانوا يقاتلونه أعنف المقاتلة : آمن به خالد بن الوليد ، وخضع له عكرمة بن أبى جهل ، واعترف بدعوته عمرو بن العاص ، حتى أنا أبا سفيان وزوجته هند : آكلة كبدة حمزة أعلننا بأن الدعوة التى تؤتى هذا النوع من الثمار لا تكون إلا دعوة حق وصدق . وذلك لأنهم رأوا الحق متلائماً فى واقع الحياة أمامهم . ولم يعد الإسلام فكرة مجردة معروضة عليهم فى شكل دعوة جوفاء بل أصبح يتفاعل فى الحياة الإنسانية ويؤتى ثمراته الحلوة نتائجه الشهية فى الواقع الملموس .

ومن حصيلة هذه الثورة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كونه أمة بكاملها كانت ترجمة حية للإسلام : كانت عقائدها وأفكارها ونظرياتها مشبعة بالإسلام وكان الدين الذى اعتنقته لا تشوبه شائبة من العبودية لغير الله

الواحد الصمد . وكان سلوكها الفردى وأخلاقها الاجتماعية قد صيغت فى قالب الإسلام بعد أن تطهرت من نتن الجاهلية وعفونتها ، وكانت الحضارة والمدنية اللتان رفعت لواءها تفسيراً حياً للإسلام ، وكان نظام دولتها يسير وفق قانون الإسلام . إن هذه الأمة قررت ألا تحيا إلا لأجل الإسلام ، ولا تموت إلا فى سبيله . وقد اتخذت إعلاء كلمة الله فى الأرض شعارها القومى . وكان من مبادئها الأساسية تشييد صرح الحياة الإنسانية على دعائم الإسلام فى كل بقعة تخضع لسلطانها ، ومتابعة نشر دعوة الإسلام فيما لا يخضع لسلطانها من البقاع . وهكذا تهيأت فى العالم الأمة المتكاملة العناصر التى تطبق الإسلام فى حياتها الواقعية وتستهدف نشره على وجه الأرض كجزء من أجزاء مهمته القومية . كما أن الدولة بعناصرها الشاملة قد برزت إلى مسرح الوجود وكان الإسلام متجسداً فى نظامها الداخلى بجميع مبادئها وأسسها فى جانب ، وفى الجانب الآخر رفعت لواء الإسلام فى أدنى الأرض وأقصاها .

انتشار الإسلام فى العالم :

وبعد أن قامت فى الدنيا أمة هذه

الذى يمكنه لإخضاع رقاب العالم كله يكمن فى ذلك السلوك الرائع الفريد الذى سلكه كل فرد من المسلمين بصفته الفردية والأمة الإسلامية بصفته الجماعية فى الصلح ، والحرب ، وإدارة البلاد المفتوحة ، وحسن المعاملة مع شعوبها .

إن الذين عاشوا تحت الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومية كرعايا لم يكونوا يتصورون ، بله أن يشهدوا . ذلك النوع الفريد من الولاة الذين يمشون على الأقدام فى الشوارع . يعيشون عيشة عامة السكان ، ويتركون أبوابهم مفتوحة على مصراعها فى وجه كل من مسته الحاجة ، ويضع يده فى عنقهم كل من دهته الداهية ليطلب منهم إزالة شكواه . إن سكان فارس والروم ما رأوا هذا النمط الرائع من الحكم فى الأحلام فضلا عن أن يروه فى اليقظة . بل لم يدر بخلداهم احتمال وجود هذا النوع الفريد من رجال الحكم والإدارة . إلا أنه لما دخل النظام الإسلامى بسموه ونظافته أرض هذه البلدان ، وقدم لسكانها هذا النوع من الولاة فمن ذا عسى أن يكون منهم من يمنع التعصب الأعمى من أن لا يعترف بهذا التفوق الخلقى والسمو الإنسانى

سماتها وخلالها وتأسست دولة هذه خصائصها ومزاياها بدأ الإسلام ينتشر فى أرجاء الدنيا فى عصر الخلافة الراشدة بسرعة وصفت فى التاريخ بكلمة « الانفجار » أى مثل السرعة الهائلة التى أخذ بها الإسلام فى الانتشار والازدهار كمثل انفجار المتفجرات . ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى امتدت السيرة الإسلامية من بلاد الأفغان والتركستان شرقاً إلى أفريقيا الشمالية غرباً . ونتيجة أى شئ كان هذا الانفجار الرائع يا ترى ! ؟ . ولكم أن تذهبوا إلى جزيرة العرب اليوم لتنظروا كم نسبة العمالة فيها ، وما هى مصادر الثروة المادية فى هذه الجزيرة ؟ دعوا البترول فإنه لم يكتشف إلا مؤخراً . ماذا فيها من الوسائل المادية بعد البترول ؟ وانظروا كذلك إلى عددهم : يكاد لا يزيد عددهم فى جزيرة العرب بأسرها على عشرة ملايين من النفوس ومن المؤكد إن كان عددهم فى عصر الخلافة الراشدة أقل بكثير من هذا . فهيمنة شعب كهذا ، على هذا القدر من المساحة الأرضية ، وبهذه الصورة الفجائية لم تكن فى الواقع حصيلة تنوقه على غيره فى القوة المادية ، بل السبب

بدون أن تنتهك حرمة أحد أو تمس بكرامة أحد .

وكذلك من روائع الأخلاق التي تقدم بها هؤلاء الفاتحون الربانيون الجدد أمام الدنيا أنهم إذا اضطروا إلى سحب جيوشهم من منطقة من المناطق المفتوحة أعادوا إلى أهاليها كل ما أخذوه منهم من الضرائب والأموال لدعم الأمن فيها قائلين : إن هذه الضرائب إنما أخذناها منكم للقيام بواجب حراستكم إلا أننا اضطرننا للانسحاب ، ولا نتمكن من القيام بهذه المسؤولية فهذه بضاعتكم ردت إليكم . هذا في الوقت الذي لم يكن الناس يعرفون من الغزاة إلا الذين إذا اضطروا للجلاء من بلد من البلدان المحتلة فبدلاً من أن يردوا إلى أهاليها ما كانوا جلبوه منهم من الأموال كانوا ينهبون ما تبقى عندهم من الأموال فلم يكن أحد من الناس يتوقع من الحكام والولاة أن يحتذوا ما عرف عن أنبياء الله وأوليائه من السجايا والفضائل ، ويحتلوا هذه المكانة السامية من الأمانة والنزاهة حتى في مجال السياسة والحكم .

هذه هي الطاقة الهائلة التي كان يتمتع بها المسلمون في صدر الإسلام

الذين يتفرد بها الإسلام اللهم إلا شذمة قليلة طمس الباطل معالم فطرتها وعميت أبصارها عن رؤية الحق .

ومن النماذج الرائعة في السموات الخلقى الذى عرضته الجنود الإسلامية على الدنيا أنها كانت تدخل مدينة تفتحها ، وتجوب في شوارعها ونساء هذه المدينة واقفات في الشرفات في أبهى ثياب التبرج والإغراء يتطلعون إلى المواكب . ولم يحاول جندى من هؤلاء الجنود البواسل أن يرفع رأسه وينظر إليهن ولو بنظرة عابرة . تقطع المواكب الشوارع بدون أن تعلم ما إذا كان هناك من النساء يطلن عليها من الشرفات . الأمر الذى كان يختلف تماماً عما جربته تلك الأمم المغلوبة من ويلات الغزاة فيما خلت من القرون ، وما تناقله الناس من القصص والحكايات عن الأمم الغازية . إذ كان من السنة المتبعة أنه كلما وطئ الغزاة أرض قوم عاثوا فيها فساداً ، ولم يتركوا عرض امرأة إلا وانتهكوه وارتكبوا معها الفظائع ، فبعد هذه المواقف القذرة مع أهالى البلاد المفتوحة كيف كان من الممكن أن لا تكسب الجيوش الإسلامية قلوبها : الجيوش التي تكتسح المناطق

المقام سرد المعلومات التفصيلية عن هذه المرحلة . وإنما الذى يهمنى أن أؤكد لكم أن الإسلام إذا تمكن من بسط سلطانه المدهش على القسم الأكبر من العالم لم يتمكن من ذلك إلا لأجل أن الأمة بكاملها قد آمنت بالإسلام إيماناً صادقاً وتمسكت به بعزيمة ماضية وتفهم صادق وإخلاص عميق وصار نور الإسلام يتلألأ في سلوك أفرادها الفردى والجماعى بمنتهى التصوع والكمال . وقد برزت إلى الوجود دولة تبنت الإسلام هدفاً رئيسياً لها ، وهبت تستنفذ كل ما تملك من الوسائل والإمكانات لتغليب كلمته في العالم . وهكذا تيسرت للإسلام في أولى مراحلها حركة مستميتة قوية مازالت آثارها في التاريخ واضحة المعالم جليلة الملامح حتى اليوم وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً على إنشائها . وتستطيعون أن تشاهدوا مع هذه الحالة التعيسة التى تدنت إليها الأمة الإسلامية آثار الطابع الذى انطبعت به الأمة الإسلامية في أولى مراحل تاريخها .

إن أى فرد من المسلمين مهما فسد أمره وساءت أخلاقه إذا استشففت ذات نفسه وجسست نبضه تعلم أنه لا يخن إلا إلى

فغزوا بفضلها القسم الأكبر من العالم . ومن الحقيقة التى لا يكابر فيها أحد أن الذى حققته أخلاقهم السامية وسلوكهم النزيه من المعجزات لا يقارن بما أنجزته سيوفهم . لأن من اعتنق منهم الإسلام اعتنقه بعد إدراكه الكامل لحقيقته ومقتضياته ، ثم صاغ فيه شخصيته وسيرته وسلوكه ، ولذلك أيماناً عمل قاموا به مثلوا فيه الإسلام بكامل أوجهه . وبهذه الخاصية الربانية لم تستطع أية قوة في العالم أن تصمد في وجههم . وكان يسبق تأثير أخلاقهم في قلوب الناس مضاء سيوفهم في عنقهم ، ولهذا السبب نفسه نرى أن الأقطار التى فتحوها لم يكتف سكانها بالخضوع لقوتهم السياسية بل أصبحوا من المولعين بهم والمريدين لهم : اعتنقوا دينهم ، واتبعوا حضارتهم ، وارتضوا لغتهم . وهاهى الأقطار التى فتحها المسلمون الأوائل ما زال سكانها يعتبرونهم على مدار التاريخ أبطالهم وروادهم ، ولا يحبون أن يرجعوا بأواصرهم إلى أسلافهم الكافرين أو ينسبوا إليهم ماضيهم التليد . فهل لسيف أن يحقق هذه المعجزة في العالم ؟ !!

هذه هي المرحلة الأولى من مراحل التاريخ الإسلامى . ولا أريد في هذا

الناس . ولكن رغم كل ذلك لم تقف دعوة الإسلام من الانتشار . وليس مرجعه كون المسلمين على طريقة مثلى في الحياة تستهوى الناس إلى دينهم ، بل الذين يعتنقون الإسلام من غير المسلمين لايعتقونه إلا بعد أن يتأكدوا من أن الإسلام ليس الذى يتمثل فى واقع المسلمين وإنما الإسلام الحقيقى هو الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ثم إنما يوجد اليوم فى واقع المسلمين من بعض السمو والنظافة وجوانب الخير فى تفكيرهم وأعمالهم وسلوكهم وخلقهم فليس كل ذلك إلا البقية الباقية من الآثار التى تركها الإسلام فيهم ، لا تزال تعمل عملها على مرور أربعة عشر قرناً . وبكلمة أخرى إن المرحلة الأولى من تاريخنا كانت تبلغ من حيويتها درجة استحالة معها أن يزول أثر طابعها على التاريخ .

نفس المجتمع المثالى الذى أسسه محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون . وهذا هو الهدف الذى يطمح إليه دائماً ولا يتناساه أبداً ، كأن هذا المجتمع شمس تشرق أمامه بنورها الساطع بصفة دائمة لا يدعها تغيب عن نظره . إن كل فرد من المسلمين يرى هذه المرحلة الذهبية نموذجاً وقُدوة ، ويولع بها لحد الغرام ، ويتمنى رؤيتها متمثلة فى الواقع مرة ثانية . وما انفك الإسلام يشع بنوره على العالم من عصر الخلافة الراشدة إلى هذا اليوم . ولم تبق صقعة من أصقاع العالم إلا قد تغلغلت إليه أشعته . وقد نال هذا الازدهار على رغم ما منيت به هذه الأمة من الأمراء المنغمسين فى حياة الترف والبذخ ، ونكبت بالطغاة والجبابرة ، ولم تعدم متعاطى المنكرات فى يوم من الأيام . ولم تعد منذ مدة غير قصيرة أمة مثالية تحتذى ، وتنجذب إليها قلوب

الهجرة وآثارها وأنواعها وأحكامها

فضيلة الشيخ / مصطفى الحديدي الطبر

قال الله تعالى :

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً
وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً) .
« سورة النساء الآية ١٠٠ »

البيان

الهجرة بكسر الهمزة وضمها تطلق
لغة على الخروج من أرض إلى أخرى ،
كما تستعمل في مطلق الترك كالهجرة ،
وفي عرف الإسلام تطلق على الخروج
من دار الكفر إلى دار الإيمان .

وقد أوجبه الله على المسلمين لما اشتدت
فتنة المشركين لهم بمكة ، حماية لدينهم
وعصمة لأنفسهم ، وتوعّد من لم
يهاجر منهم بعذاب الجحيم إن كان
قادراً عليها ، قال تعالى : (إن الذين
توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم

كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض
قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت
مصيراً^(١)) واستثنى من هذا الوعيد من فقدوا
الاستطاعة بقوله : (إلا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فأولئك
عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً
غفوراً^(٢)) ، وحرّم المقصرين
الذين لم يهاجروا من ولاية المسلمين بقوله :
(والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من

(١) سورة النساء الآية ٩٧ .

(٢) سورة النساء الآيتان ٩٨ و ٩٩ .

ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير^(١) .

والله تعالى يرغبهم في الهجرة بقوله: (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة) أى أنهم سيجدون في أرض الله أماكن كثيرة صالحة للهجرة والاستيطان ، وسيجدون سعة في الرزق، وأنَّ مَنْ أدركه الموت منهم في أثناء الهجرة لله ورسوله، وقبل أن يصل إلى دار الهجرة التي أرادها لسلامة دينه ونفسه ، فإن أجره واقع على الله تعالى ومُدخَّرٌ له عنده كما لو كانت هجرته قد بلغت غايتها وانتهت إلى مداها والمراغَم هو المكان الذي تحول إليه مهاجراً يبتغي المقام به ، مأخوذ من الرِّغَام وهو التراب .

وخلاصة معنى الآية أن من يهاجر في سبيل مرضاة الله تعالى، فلا يضيق صدره بهجرة وطنه ، ولا يمتس من رزق الله ورحمته في دار هجرته ، فإنه سيجد في أرض الله تعالى أماكن كثيرة صالحة للاستيطان ، غزيرة الأرزاق .

وفسر السدّي لفظ (المراغم) بقوله :

(١) من الآية ٧٢ من سورة الأنفال .

هو مبتغى المعيشة ، وقال القرطبي : هو موضع المراغمة ، فكأن كفار قریش أرغموا أنوف المجوسين بمكة ، فلو هاجر منهم مهاجر لأرغم أنوف قریش - أى ألصقها بالرغام وهو التراب كما تقدم - لحصوله في منعة منهم ، فتلك المنعة هي موضع المراغمة ، ومنه قول النابغة :

كطَّوْدٍ يُلَازِدُ بِأَرْكَانِهِ

عزيز المراغم والمهرب

وتفسير السعة بالبسطة في الرزق مروي عن ابن عباس والربيع والضحاك ، أما قتادة فيفسرها بما يشمل الدين والدنيا إذ يقول : سعة من الضلال إلى الهدى ، ومن العيلة - أى الفقر - إلى الغنى ، وقال مالك : السعة سعة البلاد - وهذا المعنى أشبه بفصاحة العرب^(١) ، فإن بسعة الأرض وكثرة المعامل تكون السعة في الرزق ، واتساع الصدر لهوموه وفكره ، وغير ذلك من وجوه الفرج ، ونحو هذا قول الشاعر :

وكنْتُ إِذَا خَلِيلٌ رَامَ قُطْعِي
وَجَدْتُ وَرَأَى مُنْفَسِحاً عَرِيضاً

(١) من هنا إلى آخر البيت الآتي تعقيب القرطبي على رأى الإمام مالك .

لرسولك ، أبايعك على ما بايع عليه رسولك صلى الله عليه وسلم ، ومات عقب البيعة .

وحكم هذه الآية يتناول كل مهاجر إلى الله ورسوله يدركه الموت في الطريق قبل وصوله إلى مهجره ، في أى عصر من العصور ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

الهجرة من مكة إلى المدينة قبل الفتح وبعده
كانت الهجرة من مكة إلى المدينة فرضاً على المسلمين لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وحماية لدين المهاجر ونفسه من أذى المشركين ، فلما أتم الله نِعَمَهُ على المسلمين بفتح مكة ، انتهى الوجوب بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » .

أنواع الهجرة الواجبة بعد الفتح

قلنا إن وجوب الهجرة من مكة إلى المدينة نسخ لانتهاه دواعيه ، ولكن الهجرة واجبة من دار الكفر إلى دار الإيمان لا تزال واجبة على المسلمين إذا أصابهم اضطهاد من أهل الكفر ، ولم يقدرُوا على رده ، وخافوا على دينهم

وقد استفدنا من الآية أن من توفاه الله في طريق هجرته قبل وصوله إلى مهجره أثابه الله ثواب من أتم هجرته ، من حيث قصد الهجرة ومباشرتها ، إذ أن المانع من إتمامها لم يأت من جهته بل من قدر الله

سبب نزول هذه الآية

اختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية ، فعن عكرمة مولى عبد الله بن عباس أنه ضمرة بن العيص ، وحكى الطبرى عن سعيد بن جبير أنه هو العيص بن ضَمْرَةَ بن زُبَاع ، وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضاً ، فلما سمع ما أنزل الله في وجوب الهجرة وعقاب من لم يهاجر (فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) قال : أخرجوني ، فهسئء له فراش ثم وضع عليه ، وخُرجَ به فمات في الطريق بالتنعيم ، فأُنزل الله فيه (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) الآية .

وقيل غير ذلك ، وتتمة قصة هذا الرجل الذى توفى في طريق هجرته ، أنه لما أشرف على الموت صفق بيمينه على شمالك فقال : اللهم هذه لك وهذه

وأنفسهم إن ظلوا بين أعدائهم الكافرين ، وقد حدثت هذه الهجرة بعد هزيمة ملوك الأندلس من الأسبانيين وتعرضهم للإبادة ما لم يكفروا ، فلهذا فرّ منهم مئات الألوف إلى شواطئ البلاد الإسلامية على البحر المتوسط ، ومن بقي منهم بالأندلس أرغموه على تغيير دينه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهناك هجرتان واجبتان غير ذلك ، إحداهما : هجرة المحرمات ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

والثانية : هجرة أهل المعاصي حتى يرجعوا تائبين لهم ، فلا يخالطون حتى يتوبوا ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع كعب بن مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، قال تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) سورة التوبة (١١٨) .

هجرة النبي وحكمتها وآثارها

لما علمت قريش ببيعة الأنصار من

أهل المدينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الذود عنه حتى الموت ، أدركوا خطورة هذه البيعة وآثارها العظيمة ، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في دفع هذه الأخطار عنهم ، وبعد أن تبادلوا الاقتراحات وناقشوها ، استقر رأيهم على أن يأتوا من كل قبيلة بشاب قوى ، ثم يجتمع هؤلاء الشباب أمام داره صلى الله عليه وسلم ، فإذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم ، فيرضون بالدية ، (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فأعلم نبيه بما دبروه ، وأمره بالهجرة إلى المدينة التي انتشر فيها الإسلام ، وهناك ستكون له العزة والمنعة بالمؤمنين من الأنصار والمهاجرين ، وستكون هذه الهجرة من أعظم الأسباب في نشر الإسلام في المشارق والمغارب .

فاستقر رأى الرسول صلى الله عليه وسلم على الهجرة في الليلة التي سيجتمع فيها أولئك الشباب حول داره ، واتفق مع أبي بكر رضى الله عنه على اللقاء ليلاً خارج مكة ، وأمر علياً أن يبيت على فراشه في الليلة المذكورة ، وغطاه ببردته حتى يظنوا الرسول نائماً على فراشه ،

أوذى من قومه وهاجر عنهم ، من إبراهيم إلى عيسى عليهما السلام ، وقد تكون هجرتهم لأسباب أخرى ، كما حدث من يعقوب وأولاده ، حيث هاجروا إلى مصر في عهد يوسف الصديق عليه السلام ، ثم هاجر موسى بنى إسرائيل عائداً بهم إلى فلسطين ينقذهم من اضطهاد الفراعنة .

وهرب عيسى عليه السلام من اليهود حين كذبوه وأرادوا قتله ، وكان يقول لتلاميذه : « طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات » ويقول : « أفرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات ، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم » .

أقسام الذهاب في الأرض وأحكامها

قال ابن العربي : قسّم العلماء الذهاب في الأرض قسمين هرباً وطلباً ، فالأول : ينقسم إلى ستة أقسام ، (الأول) الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام ، وكانت فرضاً قبل الفتح . من مكة إلى المدينة ، ثم انتهى الوجوب بإسلام أهلها ، ولكن هذه الهجرة لاتزال واجبة إلى يوم القيامة ، من أى بلد عامة أهل كفار إلى ديار

فقد كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ، ثم خرج الرسول في الوقت الذى أَرادَه الله ، وشق طريقه من بين هؤلاء الشبان المتربصين ، وهو يقرأ قوله تعالى : (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ثم التقى بصاحبه أبى بكر خارج مكة ، وتمت الهجرة على النحو المعروف للقراء مما ينشر عنها في كل عام .

والحكمة في أن الإسلام لم ينتشر بأهل مكة بل بغيرهم ، أنه لو آمن أهل مكة بالرسول أولاً ، لقال غيرهم من العرب وسواهم : إن قريشاً أرادوا أن يسطوا نفوذهم وسلطانهم على سواهم ، فعمدوا إلى رجل منهم أن يدعى النبوة ، لتكون خير وسيلة لهم إلى نيل مآربهم ، فلهذا ألقى الله في قلوب أهل مكة مقاومة الدعوة الإسلامية ، ومعاودة صاحبها ، لكى يهاجر من أرضهم ويستنصر بسواهم ، فيكون ذلك أدعى إلى إقبال سائر العرب على دعوته ، وهذا هو الذى تم - والحمد لله رب العالمين .

والهجرة سنة النبيين من قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما هاجر تمت له سنة إخوانه الأنبياء صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين ، فما من نبي إلا

المسلمين ، فمن بقى فيها كان عاصياً ، أقول : وقد أجاز العلماء البقاء لرجل قوى الإيمان ، لا يخشى على نفسه الفتنة ، فإن بقاءه قد تكون له آثار صالحة فيمن حوله من الكفار ، إذ ربما أثر عليهم فآمنوا ، كما كان يصنع تجار المسلمين الذين أسلم بسببهم بعض بلاد الكفار ، كما حدث في الفلبين وأندونيسيا (والثاني) الخروج من أرض تعم أهلها البدعة إذا لم يقدر على تغييرها لقوله تعالى : (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أقول : قياساً على ما تقدم إنه إذا كان واثقاً من أن نفسه لا تنحرف فله البقاء (والثالث) الخروج من أرض غلب عليها الحرام ، فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم (الرابع) الخروج فِرَّاراً من الأذى في البدن ، وأول من فعله إبراهيم عليه السلام ، فإنه لما خاف من قومه بعد أن أبقوه في النار قال : (إني مهاجر إلى ربي) وفعله موسى قال تعالى : (فخرج منها خائفاً يترقب) .

(الخامس) الخروج خوفاً من المرض من الأرض الوخمة إلى الأرض النظيفة التي لا ينتشر فيها المرض ،

فقد أذن الرسول صلى الله عليه وسلم للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح^(١) ، فيكونوا فيه حتى يصحوا ، وقد استثنى من ذلك الخروج من أرض الطاعون ، فقد منعه النبي صلى الله عليه وسلم — قال ابن العربي : بيد أن علماءنا قالوا إن الخروج من الأرض الوخمة مكروه — أقول — : ولعل الكراهة عندهم بسبب أن الهجرة قد تكون سبباً في نقل المرض من تلك الأرض إلى الأرض النظيفة ، فإن من فيها يحملون ميكروبات الأمراض الموجودة بها ، وذلك هو اللائق بمحاسن الشريعة ، قال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه : « لا ضرر ولا ضرار » .

(السادس) الخروج لتفادى الإيذاء في الأهل والمال ، وهو مشروع بل قد يكون واجباً إذا كان الإيذاء عند البقاء متوقعاً بأرجحية ، فإن حرمة الأهل والمال كحرمة الدم .

وأما الهجرة والخروج للطلب ، فإما أن يكون لطلب دين ، وإما أن يكون لطلب دنيا ، فالهجرة لطلب الدين كالسفر للعظة والاعتبار — وهو مندوب —

(١) أى إلى مسرح الإبل وأماكن رعيها حيث الفضاء الفسيح .

من رزقه) وقوله : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) وذلك في الرزق الزائد على القوت الضروري ، ويدخل الرزق الضروري من باب أولى . وقد يبدو عند أول النظر أن السفر لطلب الرزق يختلف بأنواعه السابقة يعتبر سفرراً لغرض الدنيا ، ولكنه معتبر في جانب السفر لطلب الدين إن صحبته نية الاستمتاع بنعمة الله وأداء حقوقها وشكر الله عليها .

ومن الهجرة لطلب الدين السفر لطلب العلم — وهو فرض كفاية ، قال تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) ومنها السفر إلى البلاد المقدسة الثلاثة مكة والمدينة والقدس . لغرض العبادة في مساجدها ، وتكثير الثواب بذلك ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكر ثلاثة مساجد ، مسجده صلى الله عليه وسلم والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ، والسفر لذلك مندوب ، ومن الهجرة في سبيل الدين الخروج إلى الثغور الواقعة بيننا وبين الأعداء للمرابطة فيها لرد الأعداء عن البلاد ، ومنها السفر لزيارة مكة الأزهر

قال تعالى : (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) وكان الخروج للحج — وهو فريضة على كل مكلف مستطيع لم يسبق له الحج ، وكسفر الجهاد — وهو إما فرض عين أو فرض كفاية أو سنة . حسب اختلاف الأحوال .

وكالهجرة لطلب المعاش ، فمن ضاق عليه العيش في بلده وجب عليه أن يهاجر إلى حيث يجد كفايته من الرزق ، أما طاب الزيادة على الكفاية فباح ، بشرط الاطمئنان على الدين والعرض في أرض الهجرة ، وليأخذ معه في مهجره القرآن الكريم ومراجع الدين والخلق والعقيدة بصفة خاصة ، حتى يعيش في جو إسلامي ، ويحمي نفسه من الانزلاق في أحوال الشبهات والمعاصي .

ومن الأسفار المباحة السفر لمجرد التجارة والكسب الزائد على القوت ، فيباح له الانتقال من بلده لذلك ، والعودة إلى بلده بتجارته أو بثمنها وربحه ، ويدل لهذا والذي قبله قوله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وذلك في الرزق الضروري لإبقاء الحياة ، وقوله تعالى : (فامشوا في مناكبها وكلوا

وأن لا تصاحبها معصية ، وإلا كانت حراماً .

ودليل إباحتها عند خلوها من المعصية قوله تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية ، وهي شاملة للمتعة بالطيبات جميعاً ، حضراً كانت أو سفيراً .

هذه هي أنواع الهجرة وأحكامها التي نقلها ابن العربي عن العلماء ، قدّمناها بين يديك أيها القارئ الكريم بأسلوب سهل ميسر ، وقد ذكرنا فيها ما لم يذكره من الأحكام والأدلة والتطبيقات ، وأسأل الله لي ولك التوفيق لما يحبه ويرضاه ، والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدي الطير

إخوانك في الله تعالى ، وهي مندوبة لقوله صلى الله عليه وسلم : « زار رجل أخاً له في قرية ، فأرصد الله له ملكاً على مَدْرَجَتِهِ — أى طريقه — فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك من نعمة تربُّها عليه — أى تملكها عليه — قال لا : غير أنى أحببته في الله عز وجل ، قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحببك كما أحببته فيه » رواه مسلم وغيره .

وأما الهجرة لطلب الدنيا أو السفر لذلك من غير نية ابتغاء مرضاة الله بأى وجه من الوجوه فهي مباحة ولا أجر فيها ، بشرط أن لا تكون للمعصية

ما يجب للجار على الجار

ابتدأه بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عليه السؤال ، ويعوده في مرضه ، ويعزيه في مصيبته ، ويهنيه في فرحه ، ويتلطف لولده وعمده في الكلام ، ويصفح عن زلته ، ومعاتبته برفق عند هفوته ، ويغض عن حرمة ، ويعينه عند صرخته ، ولا يديم النظر إلى خادمته . .

أبو حامد الغزالي

هاكم آية واحدة تبعث الحياة بين المسلمين وتجدد شباب العالم

الأستاذ / أحمد حسين

تثن ، بل وفي حالة مرض وإفلاس
فذلك يبين من كثرة عدد المنتحرين في
المجتمعات المقول بأنها أكثر غنى وتقدماً ،
وأكثر ممن ينتحرون ، هؤلاء الذين
يُجَنَّبُونَ ، وأكثر منهم وأكثر المصابون
بأمراض عصبية ، أما الإحساس
بالقلق والضيق فهو ما يعانيه الكافة ،
كافة من يسمونهم بالشعوب المتمدنة ،
ولما كان المسلمون لا يزالون يتابعون هذا
الذي يتصورونه مدنية ، فقد بدأوا
يعانون ، كما يعاني الآخرون .

الإيمان أما الإلحاد والأسرة أم الدولة :
وسنرى في الآية التي نعرضها المفتاح
لكل شيء ، الإيمان بالله أم بالمادة ؟
أن يكون أساس السلطة في المجتمع ،
الحب أم الكراهية والحق ؟ وهو الفارق
بين قيام المجتمع على الأسرة ، وعلى
القربة والمجاورة والتعامل المباشر وبين
قيامها على ما يسمونه الدولة حيث يتحول

حال المسلمين اليوم ، هي كما نعرف ،
وأنا إذا كنت متفائلاً في كل ما أكتب
فذلك لأنني أمد نظري إلى المستقبل البعيد
وأرى في الحاضر ، بذور ما سوف ينمو
في المستقبل .

وأنا بعون من الله وفضل أشغل بتفسير
القرآن الكريم منذ أكثر من عشر سنوات .
وليس في حياتي بطبيعة الحال ما يمكن
أن يقارن إلى هذا الذي وفقني الله إليه ،
ولقد جعلتني معايشة القرآن ، آية آية ،
وكلمة كلمة ، أدرك شيئاً مما فيه من إعجاز
يستحيل على أي إنسان في أي زمان
ومكان أن يقول بعض آياته ، فهذا هي
ذی آية واحدة ، نراها في كلمات
معدودة ، تقدم للمسلمين بخاصة ،
والبشرية بعامة ، الدواء الشافي المعافي
لما تثن منه البشرية .

مرض العصر :

فأما أن البشرية بشرقها وغربها

ذرة معنوية :

ولكى تصور لك أهميتها وخطورتها من حيث هى سبيل لصلاح الدنيا والآخرة نسوق لك مثلاً مادياً من حياتنا المعاصرة ، فقد أصبحنا نعرف أن الذرة إذا تفتت انطلقت منها قوة جبارة ، وهما نحن يازاء آية تتألف من كلمات قليلة جداً ، ومع ذلك فلا نكاد نفهمها حتى نجدها شملت جوهر الدين والدنيا معاً ومن يعمل بها يصبح أقوى الأقوياء ويسعد هو ومن حوله فى الدارين الدنيا والآخرة، وهى بحق مفتاح لعلاج ما أصبحت الدنيا بعامه ومصر بخاصة تشكو منه مر الشكوى ، لأنه أصبح مصدر المعاناة والقلق والضيق للكثيرين ونحن ننصح كل قارئ للعربية ، ولكل مسلم أن يحفظ هذه الآية أو يكتبها ويضعها نصب عينيه دائماً ، ثم يعمل على تطبيقها نصاً وروحاً ، فيفوز فوزاً عظيماً ، وإليك الآن مفردات وأجزاء هذه الآية الكريمة :

واعبدوا الله :

هذا هو سر الحياة وإكسيرا وعلاجها ، والأمر الوحيد الذى له معنى ومغزى ، وإلا كانت شيئاً سخيفاً ،

الناس ومشاعرهم وأحاسيسهم ، ومعاناتهم ، إلى أعداد وأرقام على الورق عند التخطيط ، و « ترس » أو « صامولة » فى الواقع ، وإليك الآن الآية ، وما وفقى الله لأقوله فى شرحها لأنبه أذهان من هم أكثر قدرة وكفاءة منى على قول المزيد : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) (١) .

آية جامعة لصلاح الدين والدنيا :

نحن كما يعرفنا من يتابعوننا ، ممن لا يحبون أن يفضلوا سورة على سورة ، أو يجعلوا لبعضها أهمية تفوق على سورة غيرها ، فالكل كلام الله القديم . ولكن ذلك لا ينسحب على آيات القرآن ، فهى اللبنة التى تؤلف البناء ألقرأت فى المشمخر ، وقد فرق الله سبحانه وتعالى بين مختلف الآيات فوصف بعضها بأنها محكمات هن أم الكتاب والآية التى نحن بصدددها ، آية محكمة من أمهات الكتاب العزيز .

وضياع يشهد بذلك كثرة المنتحرين ،
والحبرمين ، والمنحرفين .

ولا علاج لذلك كله إلا في العودة
إلى الدين بشقيه : الإيمان بالله والعمل
الصالح ، وهذا ما تدعوا إليه أول جملة
في هذه الآية (واعبدوا الله) .

ولا تشركوا به شيئاً :

الشرك بالله ، بمعنى إشراك آخر في
عبادته من الأمور التي تخفى على
الكثيرين فالشرك بالله لا يعنى الكفر به ،
فلقد حكى القرآن الكريم في أكثر من
آية أن مشركى قريش ، لم ينكروا وجود
الله (ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله) فالمسألة إذن لم
تكن في الإقرار بوجود الله أو نفيه ،
ولكنها كانت في هذه الأصنام والأوثان
التي اعتبروها شريكة لله في حكمه وفي
تصريف الأمور وتديرها في هذا الكون ،
فراحوا يعبدونها ويتقربون إليها بالذبائح
والضحايا ، وأهم من ذلك كله يسلكون
في الحياة ، وفق أهوائهم وشهواتهم ،
ناسبين ذلك لأصنامهم ، فتصدوا لسيدنا
محمد بالمعارضة والإنكار ثم الاضطهاد
والحرب بمقولة أن هذا هو ما يفرضه
عليهم واجب عبادتهم لهذه الأصنام .

أن يعيش الإنسان منذ يولد إلى أن يموت
في ألوان من المشاق والمعاناة ، التي
تصل أحياناً إلى درجات غير
متصورة من الآلام والحرمات والشعور
بالقهر والظلم ، فليس سوى الإيمان بأن
هذه الحياة الدنيا هي مرحلة مؤقتة
وعابرة ، وأن وراءها حياة أخرى ينعم
فيها المحروم والمعذب والمظلوم بالعدل
والطمأنينة والحصول على ما حرم منه في
هذه الدنيا ، وحيث يجازى المسيء
بإساءته ، والظالم بظلمه . . إلخ
ليس سوى الإيمان بهذه الحقيقة ، وأن
الخالق لهذا الكون ابتداء ، هو سيجرى
حكمه وعدله بهذا الأسلوب ، نقول :
أن ليس سوى الإيمان بهذه الحقيقة ،
من يجعل لمرحلة الحياة معنى ، ويغرس
الأمل في النفوس حيث ينعدم كل أمل .

جسيم الإحاد :

ولقد حاول أقوام أن يجردوا الناس من
هذا الإيمان ، بدعوى أنه سبب التخلف
والشقاء ، وقالوا قولتهم المشهورة : « الدين
أفيون الشعوب » فإذا كانت النتيجة ؟
كانت هذا الجسيم البشرى الذى أصبح
يعيش فيه الغارقون في المادية فزادت نسبة
المجانين ، والمرضى بأمراض عقلية .
وأصبحت الكثرة الغالبة ، في حالة قلق

فيها ، فهي مسألة خلافية يجتهد كل فيها برأيه ، ولكن الذى نقطع به هو أن وصف المسلم بأنه مشرك لأنه هتف بالسيد البدوى أو سيدنا الحسين هو ضرب من ضروب المبالغة والمغالاة التى فرقت بين المسلمين وبالتالى أضعفتهم ونالت من مكانتهم فى العالم .

عبادة المال والدولار كلون من ألوان الشرك :

والآن فلنتحدث عن لون حديث من الشرك بالله فى تصورنا ، ففى بعض المجتمعات أصبحوا يقومون كل إنسان بما يملك من الدولارات وأصبح امتلاك الدولار هو غاية الغايات ، يبذل كل شىء فى سبيله وغنى عن البيان ، أن الدولار هو رمز لتقديس المال وعبادته ، وحقاً كان الإنسان وسبقى محباً للمال شريطة أن يكون حب الله أقوى ولكن الأمر وصل فى هذه المجتمعات إلى أن يكون المال كل شىء ، أى أنه أصبح إلهاً يعبد ، ومن الناحية المقابلة ، نجد من جعلوا « الحزب » هو فاعل كل شىء ، والقادر على كل شىء والعالم بكل شىء ، إلى آخر صفات الألوهية ، سئل واحد فى هذه البيئة وكان من رواد الفضاء ، ألم يداخلك خوف ، وأنت

فشركو قريش ، لم يقنوا عند حد اعتبار الأصنام شركاء لله ، بن تصدوا لمحاربة التوحيد ، ولكل ما جاء به الإسلام من تعاليم ، وكان أول ما كفروا به وأنكروه أن يكون سيدنا محمد هو رسول الله وأنه يوحى إليه ، وأنه سيكون هناك بعث بعد الموت ، وحساب ثم جنة ونار ، ولعل هذا يظهر مدى تطرف البعض ومبالغتهم عندما يعتبرون مئات الملايين من المسلمين مشركين لمجرد كونهم يهتفون « ياسيد يا بدوى » أو « يا حسين » أو « ياسيدة زينب » فهؤلاء المعتقدون بسلطان هؤلاء الأولياء ، إنما يؤمنون أولاً بالله ووحدانيته وأن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام هو عبده ورسوله ، وهم بعد ذلك يصلون ويصومون ويحجون كما تقضى تعاليم الإسلام . فوصف هؤلاء بأنهم مشركون ، لا اعتقادهم أن أولياء الله لهم حظوة عند الله بحيث يشفعون عند الله لمن يحبهم . فهم يحاولون أن يستخلصوا ذلك من أقوال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، أو بعض أعماله وتصرفاته ، أو من بعض آيات القرآن نفسه .

ولسنا هنا بصدد الفصل فى هذه القضية ، وما هو وجه الحق والصواب

ولم يجعل القرآن الكريم لهذه القاعدة أى استثناء، وظل يطالب بالإحسان إلى الوالدين ، حتى ولو دعواه وحرصاه على الإشراف بالله : (وإن جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفًا) . . كما ورد قوله تعالى : « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

ولا عجب فى ذلك ، فإن المجتمع البشرى لا يمكن أن يقوم - فضلاً عن أن يسعد - إلا استناداً على أساس الأسرة القوية .. ولا مجال للأسرة القوية ، إلا بولاء الأبناء للآباء .

عصر الشيخ محمد عبده :

وليس هناك ما يبرز صورة انحراف المجتمع المصرى الإسلامى فى أيام الشيخ محمد عبده « أوج الاحتلال البريطانى » من أن يطالع الإنسان تفسيره لهذه الآية ، مما جاء فى تفسير المنار ، فقد ترك أمر القرآن للأبناء أن يحسنوا إلى أبويهم ، وراح يندد بالآباء وما يفعلونه بأبنائهم ، حيث يلغون كل إرادة للأبناء ويفرضون إرادتهم هم فى مسائل التعليم والزواج وشئ شئون الحياة . حيث انقلب الأمر اليوم إلى النقيض ، فأصبح لا رأى للوالدين فى شأن من

معلق بين الأرض والسماء؟ فأجاب : لا لأننى كنت واثقاً أن الحزب إلى جوارى ولن يتخلى عنى ، وهذا هو الشرك عن طريق إضفاء قوة غيبية لانتهائية للحزب وهكذا فعل الآخرون عن طريق إضفاء هذه القوة الغيبية اللانتهائية للدولار أعاذنا الله من أن نشرك مع قدرته « شيئاً » .

وبالوالدين إحساناً :

ومن الإيمان بالغيب : الذى هو ينبوع كل قوة أمل ودافع ومحرك فى هذه الدنيا ، إلى المحسوس والملموس وهو السبب الظاهر لوجود الإنسان فى الدنيا ، وهما الوالدان ، فهما وحدهما ، العلة فى وجود الإنسان : أى إنسان مهما بلغ من العظمة والقدرة ، والمجد والعلم ، فهو ما كان ليوحد لولا الأبوان ، فإن جحد الإنسان فضلهم وهما السبب المباشر لوجوده ، فهو لا يمكن إلا أن يكون أكثر جحوداً ، للسبب الخفى وراء وجوده .

ومن هنا قرن القرآن دائماً بين عبادة الله والإحسان بالوالدين ، باعتبارهما وجهين لحقيقة واحدة ، كما هو الحال فى قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) .

وبذى- القربى واليتامى والمساكين :

أفضنا من قبل كثيراً ، فى اعتبار الإسلام أن الأسرة دعامة المجتمع الأولى ، وإذا كانت الأسرة تتكون أول ما تتكون من الأبوين ، فقد جعل الإحسان إليهما قرين عبادة الله وعدم الإشراك به . وهو فى هذه الفقرة من الآية يمد « الإحسان » كما تمتد الشجرة ، بفروعها وأغصانها وورقها ، فتصبح وارفة الظلال غزيرة النزع والثمر ، فكذلك الإحسان يجب أن يمتد من الوالدين ليشمل بقية أفراد الأسرة : الأقرب فالأقرب .

وقبل أن ينتقل القرآن « مكانياً » أى قبل أن ينتقل من دائرة الأسرة الواحدة والبيت الواحد ليحدثنا عن الجيران نراه يشفع ذكر ذوى القربى باليتامى والمساكين ، رافعاً إليهم من حيث الإحسان إلى مرتبة ذوى القربى ، حتى ولو لم يكونوا من أقرباء الإنسان ، وهذا التكافل والتضامن الاجتماعى هو من أقوى سمات المجتمع الإسلامى ، وهذا ما جعلنا نصيب فى الآونة الأخيرة بكلمة « الاشتراكية » ، حيث إن الإسلام جاء بأعظم منها وأدق وأكمل ، فجعل التكافل الاجتماعى

شئون ابنهما أو بنتهما فانهارت الأسرة . وكلا الأمرين شر بطبيعة الحال ، وتطرف ، وخروج عن جادة الإسلام . فإن القرآن يلزم الأبوين بالتشاور مع أبنائهما الكبار .

(وأمرهم شورى بينهم) .

(وشاورهم فى الأمر) .

وأبناء الإنسان لم يخرجوا من دائرة المؤمنين ، لمحض كونهم أبناء الإنسان . وهدف الشورى بطبيعة الحال هو تحقيق أكبر قدر من الخير والصلاح ، وحق الأبوين على أولادهما هو الطاعة التى لا يجوز لأى ابن أو بنت أن يتحلل منها إلا إذا كانت أمراً بمعصية الله ، فقد جاء فى الحديث الشريف « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

أما إذا كان الأمر الصادر من الأبوين هو الإشراك بالله أو الكفر به فالأمر الإلهى قاطع وصريح : « فلا تطعهما » أما فى خارج الأمر بالشرك والمعصية فالطاعة واجبة ، قال تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وأى ولى لأمر الإنسان أكثر من والديه ؟ ! فطاعة الآباء واجبة ، والتمرد على الأبوين لثم يفوق كل لثم .

وضياع ، إلا أن تقارن هذا الذى يجب أن يكون بما أصبحنا نعيش عليه فى المدن ، حيث نعيش فى بيوت لا نكاد نعرف أسماء من يعيشون معنا فى نفس الطابق ، وهو ما ورثناه من العادات الغربية المزدولة .. ولقد حان الوقت لىنتهى كل ذلك ونعود للتمسك بأصالتنا ، وتقاليدينا التى هى من وحي ديننا كما تنطق هذه الآية ، وقد روى البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « ما فتئ جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » .

وفى حديث آخر رواه مسلم عن أبى ذر عن رسول الله ما يكمل هذه الصورة الرائعة ، قال : « يا أبا ذر ، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك » .

وثمة حديث ثالث نختاره ، لأنه يؤلف مبدأً أساسياً وقاعدة . وقد رواه البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها ، قالت : « قلت يا رسول الله ، إن لى جارين فىلى أيهما أهدى ، قال : إلى أقربهما منك باباً » .

وهكذا أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القول فى اعتبار أن القرب المكافئ

بكل أبعاده ومعانيه هو حجر الزاوية فى المجتمع الإسلامى .

اليتيم والمسكين :

وطالما شرحنا معنى اليتيم : وهو القاصر الذى فقد السند الأول للإنسان فى صغره ، وهو أحد الأبوين بعامة ، والأب بخاصة .

أما المسكين ، فهو ليس الفقير الشحاذ الذى لا يملك شيئاً .. جاء فى القرآن الكريم عن إحدى السفن أنها كانت (للساكنين يعملون فى البحر) فدل ذلك على أن المسكنة مسألة نسبية ، فأى صاحب حاجة مشروعة يكون ضعيفاً عن تحقيقها يكون مسكيناً ، ويكون المسلم مأموراً من الله سبحانه وتعالى أن يحسن إليه بمعاونته على قضاء حاجته ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً .

والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب :

فى هذه الدعوة الإلهية للإحسان إلى الجيران يظهر تفوق التعاليم الإسلامية التى لا حد لها من الناحية الإنسانية التى تجعل من المجتمع الإسلامى مجتمعاً واحداً متكافلاً ، وليس هناك ما يظهره على ما أصبحت عليه حياتنا من دمار

الجنب هو الجار غير المسلم ، وقيل هو الجار الغريب ، وكل هذا ينتهي إلى نتيجة واحدة هي وجوب الإحسان .

والصاحب بالجنب :

وهنا قال البعض : إن المقصود به هو رفيق الإنسان في السفر ، وقال آخرون هي : « الزوجة » ، وظل بعض ثالث في دائرة الجوار فقالوا : إنه يمتد حتى أربعين بيتاً .

ونحن لا نرى مانعاً من الأخذ بكل هذه الأقوال ، فالإحسان مطلوب لكل الناس .

وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً :

ويوسع الإسلام دائرة من يجب على الإنسان أن يحسن إليهم ، فبعد أن بدأ بالوالدين ثم الأقارب والجيران واليتامى والمساكين ، وصل إلى حد وجوب الإحسان إلى أي إنسان (أيّاً كانت ملته أو مذهبه) ما دام الطريق قد جمعكما : وهذا هو « ابن السبيل » .

أو ما ملكت أيمانكم :

وقد تحدثنا من قبل باستفاضة عن الرق في الإسلام ، فألغاه عند المنيع

هو الذي يحدد أولى الجيران بالمدينة ، حتى لو كان نصرانياً أو يهودياً .

ومن أراد أن يعرف قوة الإسلام ولماذا لا يزيده مر القرون إلا قوة وانتشاراً فعليه أن يقف طويلاً أمام هذه المعاني وعظمة دلالتها ، وقد حدثني صديق عزيز هاجر إلى أمريكا ونجح في حياته نجاحاً باهراً ، كيف أنه عندما اشترى بيتاً في إحدى المدن الأمريكية بدأ بزيارة جيرانه ودعوتهم إلى زيارته ، فاعتبر هذا حدثاً جللاً ، وتوثقت عرى الألفة والمودة بينه وبين جيرانه ، ونكتفى بهذا القدر لنعرف ما المقصود ببعض الألفاظ وما جرى حول ذلك من خلاف نراه ثانوياً .

والجار ذى القربى :

دار التساؤل عن القرب ، أهو في النسب ، أم هو القرب المكاني . والنتيجة واحدة ، وهي وجوب الإحسان إليه .

والجار الجنب :

أي أن حق الجوار لا يقف عند حد الجار « اللصيق » أي المتصل بالبيت مباشرة ، وإنما حق الجوار مسألة نسبية تتحدد بظروفها . وقال البعض : إن الجار ذا القربى هو الجار المسلم ، والجار

ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً :

أى أن الله لا يرضى عن المختال ، والمختال ذو الخيلاء أى الكبر ، جاء فى الحديث الشريف : « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » أعاذنا الله من الكبر والتكبرين .

والفخور :

هو المغرور الذى يتصور نفسه من طينة غير طينة البشر ويروح يعدد مناقب نفسه : كبراً وتطاولاً على الناس ، قال تعالى :

(ولا تمش فى الأرض مرحاً^(١) إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) .
أحمد حسين

(١) أى فى تطاول وخيلاء .

بين المسلمين ، فأصبح لا يجوز تحويل المسلم إلى عبد نتيجة أسره فى الحرب ، وهى القاعدة التى سار عليها العلم منذ عرف الحضارة ، وحث الإسلام على تحرير الأرقاء باعتباره من أعظم القُرْب إلى الله ، واعتبر تحرير العبد كفارة لعديد من المخالفات الدينية ، وحيث كانت البشرية تعتبر الرقيق كشيء مملوك لا حساب له فى دنيا البشرية ، فهذا هو القرآن الكريم يدعو إلى الإحسان إليهم كأقرب المقربين إلى الإنسان .

ويزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر تبياناً وشرحاً ، فيقول صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم وغيره عن أبى ذر وقد جاء فى الحديث : « هم إخوانكم ، جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون

آداب الغنى

لزوم التواضع ، ونفى التكبر ، ودوام الشكر ، والتوصل إلى أعمال البر ، والبشاشة بالفقير والإقبال عليه ، ورد السلام على كل أحد ، وإظهار الكفاية ، ولطافة الكلمة ، وطيب المؤانسة ، والمساعدة على الخيرات . .

أبو حامد الغزالي

بطولات إسلامية

مسلمة بن عبد الملك بن مروان فاهر هرقه وفاحم اللدنا، صول

للسير اللواء الركن / محمود شيت خطاب

(١)

أبوه : أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان^(١) ، وأمه من أمهات الأولاد ، ويريدون بكلمة أمهات الأولاد : الجوارى والإماء اللواتى ولدن لمواليهن ذكرانا .

وقد ذكر الإمام ابن حزم الأندلسي^(٢) فى رسالته : « أسماء الخلفاء والولاة وذكر مدّهم » ما نصه : « وفى أيامه — يريد أيام سليمان بن عبد الملك — حوصرت القسطنطينية^(٣) وحاصرها أخوه

(١) انظر سيرته المفصلة فى : قادة فتح المغرب الغربى (٩٥/٢ - ١٥٢) .

(٢) الأمام الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٨٣٨٤ - ٨٤٥٦) .

(٣) القسطنطينية : مدينة شهيرة جداً ، كانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية الشرقية ، بناها قسطنطين سنة (٣٣٠م) ، وهن مسورة بسور حصين ، ارتفاعه ما بين أربعة عشر قدماً وعشرين قدماً ، ويحيطها أكثر من اثني عشر ميلاً ، انظر التفاصيل فى منجم العمران (٢٩٩/٢ - ٣٠١) .

هو مسلمة بن عبد الملك ابن مروان بن الحَكَم بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي القرشي الأموي^(٢) .

(١) الأناضول : أو الأناطول ، لفظة يونانية ، معناها : المشرق ، اسم لشبه جزيرة كبيرة ، هى عبارة عن آسيا الصغرى كما نطلق عليها اليوم . يحدها من الشمال الغربى الدردنيل وبحر مرمرة والبحر الأسود ، ومن الشرق جبال إرمنية وفروعها الجنوبية الغربية إلى الإسكندرونة ، من الجنوب البحر الأبيض المتوسط ، ومن الغرب الأرخبيل اليونانى ، وهى ما نسميه : تركيا ، عدا القسم الأوروبى منها ، انظر التفاصيل فى منجم العمران (٦٣/٢ - ٦٥) والجغرافية العمومية (١٨١ - ١٨٥) .

(٢) انظر التفاصيل فى طبقات ابن سعد (٢٢٣/٥) وتهذيب الأسماء واللغات (٢٠٩/١) وجمهرة أنساب العرب (١٠٣ - ١٠٥) وفوات الوفيات (٣/٢) وقادة فتح المغرب العربى (٩٥/٢) .

سنى حياتهم ، ولكنهم لا يتأخرون عن العشرين إلا نادراً ، خاصة إذا كانوا من ذوى الكفايات القيادية العالية التى تظهر عليهم مبكراً - كما هو الحال فى مسلمة وأمثاله من بنى أمية ومن الذين تولوا القيادات العسكرية فى عهدهم كـ محمد بن القاسم الذى تولى القيادة زعمه سبع عشرة سنة كما هو معروف .

نشأ مسلمة وترعرع فى ظروف ملائمة لاستكمال متطلبات شخصيته فكرياً وإدارياً وسياسياً وعسكرياً : فهو من بيت السلطة والملك - بنى أمية ، وأهله أمراء وقادة وخلفاء ، وظروفهم الإدارية والعسكرية والسياسية لا تخلو من مشاكل وصعوبات تعين على التعلم والتدريب ، وكان التعليم لاستيعاب الثقافة المتيسرة حينذاك ميسوراً لبنى أمية ولغيرهم من الناس ، لذلك نشأ فى دمشق عاصمة الخلافة ليتعلم القرآن ويروى الحديث ويحفظ الأخبار ويتقن علوم اللغة وفنون الأدب شعراً ونثراً ، ثم شعراً ونثراً ، ثم ليمارس القضايا الإدارية والسياسية عن كثب ويرى كيف تُصرف الأمور وتُعطى القرارات . كما تدرب على ركوب الخيل والفروسية والسباحة والرمي بالنبال والضرب بالسيف والطعن

مسلمة ، وسن مسـلمة أربع وعشرون سنة ^(١) ، وكان حصار القسطنطينية سنة ثمان وتسعين الهجرية ^(٢) (٧١٧ م) . ومعنى ذلك أن مسلمة ولد سنة أربع وسبعين الهجرية (٦٩٣ م) .

ولست مع الإمام ابن حزم الأندلسى فيما ذهب إليه ، لأن أول قيادة تولّاها مسلمة كانت سنة ست وثمانين الهجرية ^(٣) ، وليس من المعقول أن يتولى مسلمة قيادة جيش من جيوش المسلمين ، فى أخطر جبهة من جبهات القتال بالنسبة للدولة الأموية ، وهى جبهة مقاتلة الروم فى عقر دارهم ، وهو فى سن الثانية عشرة !!

والمعقول أن يكون عمره حينذاك عشرين سنة على الأقل ، أى أن ولادة مسلمة كانت حوالى سنة ست وستين الهجرية (٦٨٥ م) .

ومهما يكن من أمر تاريخ مولد مسلمة الذى أغفله المؤرخون ، فإن أبناء الخلفاء لم يكونوا يتولون القيادة ويشهدون المعارك الطاحنة قبل أن يبلغوا السادسة عشرة من

(١) أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم (٣٦٢) - ملحق بكتاب جوامع السيرة .

(٢) ابن الأثير (٢٧/٥) وابن خلدون

(٣/١٥٥) وفتح القسطنطينية (٣٨) والإمبراطورية البيزنطية (٣٦٦) .

(٣) ابن الأثير (٥٢٤/٤) والعبر (١٠١/١)

وتربى مسلمة في كنف أبيه بعد استعادة (الوحدة) للدولة الإسلامية بجو كله استقرار وأمن ودعة وبناء علمي وإداري وسياسي وعسكري ، في بداية العصر الذهبي لحكم بني أمية ، برعاية والده الحبيب العالم الداهية الذي يُعَدُّ بحق أبرز خلفاء بني أمية في الشام علماً وعملاً ومقدرة وذكاءً فأفاد مسلمة من رعاية والده في وقت تفرغ فيه عبد الملك لرعاية شؤنه الخاصة أكثر من السابق - يوم كان في دوامة الفتن والقلق والاضطرابات ، وبقي يحظى بالرعاية الأبوية والعائلية الكاملة ، حتى توفي عبد الملك سنة ست وثمانين الهجرية ^(١) (٧٠٥ م) ، فأرسي عبد الملك أسس شخصية ابنة مسلمة وبدأت ملامحها واضحة جليلة في وقت مبكر من عمره ، تلك الأسس التي كانت عبارة عن : الدين والتفقه فيه والتمسك بتعاليمه ، والعربية واتقان علومها ، والسياسة وممارسة قضاياها ، والإدارة وحل مشاكلها ، والعسكرية والتدريب على متطلباتها ، فكان مسلمة بحق نسخة طبق الأصل من والده عبد الملك وأشبه الناس به ، عدا الخلافة التي

بالسنان ، حتى أضحي في الميادين الثقافية والإدارية والسياسية والعسكرية ذا مرتبة سامية ومكانة مرموقة ومنزلة رفيعة .

ولعل مما زاد في فرص تعليم وتدريب مسلمة ، أنه تلقى علومه وتدريبه في كنف والده أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان بعد استقرار ملكه في الدولة الإسلامية واستعادة (الوحدة) سنة ثلاث وسبعين الهجرية ، إذ قضى على الخوارج في (البحرين) وأعاد بناء (الكعبة) بمكة المكرمة على ما كانت عليه قبل عبد الله بن الزبير ، فانطلقت الجيوش الإسلامية للفتح واسترداد المناطق التي سيطر عليها في إيران وبلاد الروم وإفريقية ، وكان من ثمرات استعادة (الوحدة) أن أعادت الدولة الإسلامية بقيادة عبد الملك بعد ما عاناه من فتن داخلية واضطرابات وحروب أهلية ومشاكل خارجية كامل سيطرتها على ما فتحه الخلفاء الأولون ، بعد ما كان عبد الملك يدفع الإتاوة لإمبراطور القسطنطينية منذ توليه الخلافة حتى استعاد (الوحدة) أيام الفتن الداخلية والحروب الأهلية ^(١) .

(١) انظر التفاصيل في : قادة فتح المغرب العربي (١١٣/٢ - ١١٤) وانظر ابن خلدون (١٥٢/٣) .

(١) تاريخ بغداد (٢٩١/٣٠) وتاريخ الخميس (٣١١/٢) .

وَتَعْتَدُوا^(١) ذُنُوبَ أَهْلِ الذُّنُوبِ ، فَإِنْ اسْتَقَالُوا
فَأَقْبِلُوا ، وَإِنْ عَادُوا فَانْتَقِمُوا^(٢) .

لم يذكر الخليفة الداهية عبد الملك
ابن مروان في وصيته الأخيرة لبنيه وهو
يحتضر تلك الوصية التي تعتبر خلاصة
تجاربه في الحياة ، صاغها بكلمات
معدودات ، غير مسلمة من بين أولاده ،
وقد ذكره بالشثناء العاطر والتقدير البالغ
مما يدل على مبلغ ثقته به واعتماده عليه .

وليس من السهل على أحد أن يحوز
على ثقة شخصية قذرة واعية كعبد الملك .
ولولا أن مسلمة كان حرياً بالثقة الكاملة
والاعتماد المطلق ، لما أشاد به أبوه — وهو على
فراش الموت — هذه الإشادة النادرة :

لقد تهيأ لمسلمة الطبع الموهوب والعلم
المكتسب والتجربة العملية ، فنال
مانال من تقدير والده بخاصة وأهل
بيته بعامة والمؤرخين من بعده ، فكان
الرجل المناسب للمناصب المناسبة التي
تولّاها سياسياً وإدارياً وعسكرياً .

١ - في أرض الروم

في سنة ست وثمانين الهجرية (٧٠٥ م)
غزا مسلمة أرض الروم^(٣) ، وفي سنة

حرم منها ، لأن أمة من أمهات
الأولاد ، وكان لا يتولى الخلافة إلاّ أمويّ
أمه عربية حرّة ، بالرغم من : « إنه كان
أحق بالملك من سائر إخوته »^(١) .

وحين اشتد مرض عبد الملك جمع
بنيه وهو على فراش الموت وأوصاهم
قائلاً : « أوصيكم بتقوى الله ، فإنها
أزين حلية وأحصن كهف ، ليعطف
الكبير منكم على الصغير ، وليعرف
الصغير حق الكبير ؛ وانظروا مسلمة
فاصدروا عن رأيه ، فإنه نابكم^(٢) الذي
عنه تفترن ، وَمِجَنَّتْكُمْ^(٣) الذي عنه
ترمون ؛ فأكرموا الحجاج فإنه الذي
وطأ لكم المناير ، ودوخ لكم البلاد ،
وأذل الأعداء . وكونوا بني أم برودة
لا تدب بينكم العقارب ، وكونوا في
الحرب أسراراً ، فإن القتال لا يقرب
ميتة ؛ وكونوا للمعروف مناراً ، فإن
المعروف يبقى أجره وذكره^(٤) ؛ وضعوا
معروفكم عند ذوى الأحساب ، فإنهم
أصون له وأشكر لما يؤتّى إليهم منه ،

(١) دول الإسلام (٦٢/١) وانظر الأعلام
(١٢٢/٨) ومسلمة بن عبد الملك (٤٥) .

(٢) الناب : السن في جانب الرباعية ،
ولأنسان نابان في كل فك . وناب القوم : سيدهم .

(٣) المجن : الترس . وفلان مجنكم : حاميككم .

(٤) في رواية : دخرة .

(١) تغمد الشيء : امتصه ، استوعبه .

(٢) ابن الأثير (٤/١١٧ - ١١٨) .

(٣) الطبرى (٤٢٦/٦) وابن الأثير =

وفي سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٧ م) غزا مسلمة والعباس بن الوليد ابن عبد الملك بلاد الروم ، وكان الوليد ابن عبد الملك قد كتب إلى صاحب (إرمينية) يأمره أن يكتب إلى ملك الروم يُعرفه أنَّ (الخزر) وغيرهم من ملوك جبال (إرمينية) قد أجمعوا على قصد بلاده ، فغفل ذلك. وأكثر الوليد من قواته القاصدة أرض الروم ، فساروا نحو (جزيرة ابن عمر) ثم عطفوا منها إلى بلاد الروم . واصطدم الطرفان ، فانهزم الروم ، ثم أعادوا الكرة فانهزم المسلمون ، ولكنَّ العباس بن الوليد بن عبد الملك ثبت على رأس (الساقة) صارخاً «أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟ !» ، فقبل له : نادم يأتوك ، فنادى : يا أهل القرآن ! فاقبلوا جميعاً ، فهزم الله الروم حتى دخلوا (طُوانة)^(١) ، وحاصروهم المسلمون في هذه المدينة ، وفتحوها في جمادى الأولى من هذه السنة وشتوا فيها^(٢) ، كما فتح مسلمة

سبع وثمانين الهجرية (٧٠٦ م) غزا الروم فأثخن فيهم بناحية (المصيصَة)^(١) وفتح حصوناً كثيرة منها : حصن (بُولُق) و(الأخزَم)^(٢) و(بُولُس) و(قمقيم)^(٣) وقتل من المستعربة ألف مقاتل وسبى أهاليهم^(٤)

= (٥٢٤/٤) وابن خلدون (١٥٣/٣) والنجوم الزاهرة افتتح مسلمة بن عبد الملك حصن بولق وحصن الآخر ، وانظر العبر (١٠١/١) وفيه : افتتح مسلمة حصنين في بلاد الروم ، وفي تاريخ الإسلام للذهبي (٣٠٢/٤) : : وأول ماولى غزوا الروم في آخر دولة أبيه ، فافتتح ثلاثة حصون ، وانظر تاريخ خليفة بن خيالى (٢٩٣/١) .

(١) المصية : مدينة على شاطئ نهر جبحاق من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم وتقارب طرسوس ، وكانت ذات سور وخمسة أبواب ، انظر معجم البلدان (٨٠/٨) والمسالك والممالك (٤٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٦٤) . (٢) انظر الطبرى (٤٢٩/٦) وابن الأثير (٥٢٨/٤) ، وفي ابن خلدون (١٥٥/٣) : الأخزم، وهو حصن في منطقة المصيصَة لا ذكر له في الكتب الجغرافية التي في أيدينا .

(٣) قمقيم : وردت كذا في ابن خلدون (١٥٥/٣) ، ووردت في الطبرى (٤٢٩/٦) وابن الأثير (٥٢٨/٤) : قمقم .

(٤) ابن خلدون (١٥٥/٣) ، وانظر - الطبرى (٤٢٩/٦) وابن الأثير (٥٢٨/٤) وحصون : بولق والأخزم وبولس وقمقم سولا ذكرها في الكتب الجغرافية القديمة التي بين أيدينا ، ومن الواضح أنها حصون صغيرة في المنطقة الجبلية المحيطة بالمصيصَة .

(١) طوانة : بلد بثغور المصيصَة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦٥/٦) والعبر (١٠٣/١) وفي المعارف (٣٥٩) : وفي سنة ثمان وثمانين فنحت الطوانة .
(٢) الطبرى (٤٣٤/٦) وابن الأثير =

و (قَمُونِيَّة) ^(١) .
وفي هذه السنة أيضاً ، غزا مسلمة
الترك حتى بلغ (الباب) ^(٢) من ناحية
(أَذَرَبَيْجَان) ^(٣) . ففتح حصوناً
ومدائن هناك ^(٤) .

(١) الطبري (٤٣٥/٦) وفيه : قمودية
وابن الأثير (٥٣٥/٤) ، وفي ابن خلدون (٣/
١٥٤) : قمولية ، ولم أجد لقمونية ذكراً في
الكتب الجغرافية التي بين أيدينا في منطقة بلاد
الروم ، بل ورد ذكرها في إفريقية ، انظر معجم
البلدان (١٦٢/٧) .

(٢) الباب : مدينة باب الأبواب ، ميناء
كبير على بحر الخزر ، وهي مدينة كبيرة محصنة
انظر التفاصيل في المسالك والممالك طلاصطخري
(١٠٩ - ١١٠) ومعجم البلدان (٩/٢)
وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٠٦) ، وهي
مدينة درنبد كما يطلق عليها في الوقت الحاضر .

(٣) أذربيجان : كلمة أذربيجان في
في الفارسية معناها : أرض النار أو معابد النار ،
وقد أطلق عليها هذا الاسم لكثرة معابد النار التي
كانت موجودة فيها حينذاك . وأذربيجان : صقع
جليل ومملكة عظيمة ، والغالب عليها الجبال ، انظر
التفاصيل في معجم البلدان (١٥٩/١) والمسالك
والممالك للاصطخري (١٠٨) وآثار البلاد وأخبار
العباد (٢٨٤) .

(٤) الطبري (٤٤١/٦) وابن الأثير
(٥٤٠/٤) وابن خلدون (٣/١٥٤) .
وفي فتوح البلدان (٢١٨) : ولما كانت سنة
(٨٩) اجتمع الجراجمة إلى مدينتهم ، وأتاهم
قوم من الروم من قبل الإسكندرون وروفس ،
فوجه الوليد بن عبد الملك إليهم مسلمة بن عبد
الملك ، فأناح عليهم في خلق من الخلق فافتتحها =

في هذه السنة (حرثومة) ^(١) . وفي
هذه السنة غزا مسلمة الروم أيضاً ،
ففتح ثلاثة حصون : أحدها حصن
(قُسْطَنْطِين) و (غزالة) و
(الأخرم) وقتل من المستعربة نحو من
ألف وأخذ الأموال ^(٢) .

وقد تكرر فتح حصن (الأخرم) سنة
سبع وثمانين وثمان وثمانين الهجريتين ،
ومن المحتمل أن الروم استعادوه فعاد
إليه مسلمة وفتحته ثانية .

وفي سنة تسع وثمانين الهجرية (٧٠٨ م)
غزا مسلمة والعباس بن الوليد بن عبد الملك
الروم ، فافتتح مسلمة حصن
(عَمَمُورِيَّة) ^(٣) ولقي من الروم
جمعاً فهزمهم ، وقيل : إن مسلمة
قصد (عَمَمُورِيَّة) ، فلقى جمعاً من
الروم كثيراً ، وافتتح (هَرِقْلَة) ^(٤)

= (٥٣١/٤) والعبر (١٠٣/١) ، وفي الطبري (٦/
٤٣٤) : إن فتح طوانة كان في جمادى الآخرة .
(١) العنبر (١٠٣/١) والظاهر أنها قرية
أو بليدة في منطقة طوانة لا ذكر لها في الكتب
الجغرافية القديمة التي بين أيدينا .

(٢) في الطبري (٤٣٦/٦) : حصن -
قسطنطينية ، وانظر ابن الأثير (٥٣٢/٣) .

(٣) عمورية : بلد من بلاد الروم ، انظر
التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٦/٦ - ٢٢٧)
وكان اسمها : (Ammorium)

(٤) هرقل : مدينة ببلاد الروم ، انظر
التفاصيل في معجم البلدان (٤٥٣/٨ - ٤٥٤) .

تدقيق سير الفتح التي نهض به مسلمة في تلك الأيام ، يتضح أن الحصون الخمسة تقع شمالي (جزيرة ابن عمر) متاخمة لمدينة (ديار بكر) من الشمال .

وفي سنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٠٩ م) غزا عبد العزيز بن الوليد ابن عبد الملك الصائغة^(١) ، وكان على ذلك الجيش مسلمة . وفيها عزل الوليد بن عبد الملك عمه محمد ابن مروان بن الحكم عن (الجزيرة) و (إرمينية) واستعمل عليها أخاه مسلمة ، فغزا مسلمة الترك من ناحية (أذربيجان) حتى بلغ (الباب) ، وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق^(٢) .

وفي سنة اثنتين وتسعين الهجرية (٧١٠ م) غزا مسلمة أرض الروم ، ففتح حصوناً ثلاثة ، وجلا أهل

البلدان (١٧١/٥) ومن الواضح أن الحصون الخمسة التي فتحها بسورية هي التي تقع في الإقليم المتاخمة لجزيرة ابن عمر من الشمال ، أي شمالي مدينة ديار بكر الحالية الواقعة في الجمهورية التركية ، وانظر تاريخ الإسلام (٣٠٢/٤) وانظر تاريخ ابن خياط (٣٠٦/١) .

(١) الصائفة : الغزوة في الصيف ، وبها سميت غزوة الروم ، لأنهم كانوا يعزون صيفاً أقاء البرد والتلج .

(٢) الطبرى (٤٥٤ / ٦) وابن الأثير (٤ / ٥٥٥) وابن خلدون (٣ / ١٤٥) والنجوم الزاهرة (٢٢٢ / ١) وتاريخ الإسلام (٣٠٢ / ٤) ، وتاريخ خليفة بن خياط (٣٠٧ / ١) .

وفي سنة تسعين الهجرية (٧٠٩ م) غزا مسلمة أرض الروم ، ففتح الحصون الخمسة التي بـ (سورية)^(١) ، ومن

على أن ينزلوا بحيث أحبوا من الشام ويجرى على كل امرئ منهم ثمانية دنانير ، وعلى عيالاتهم القوت والقمح والزيت ، وهو مدان من قمح ، وقسطان من زيت ، وعلى أن لا يكرهوا ولا أحد من أولادهم على ترك النصرانية ، وعلى أن يلبسوا لباس المسلمين ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية ، وعلى أن يغزوا مع - المسلمين فينفوا أسلاب من يقتلون مبارزة ، وعلى أن يؤخذ من تجارتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين ، فأخرب مدينتهم ونزلوا مناطق (حمص) ، ونزل بطريق الجرجومة في جماعة من انطاكية ، ثم هرب إلى بلاد الروم . . . انتهى . وفي معجم البلدان (٨٠ / ٣) : الجرجومة : مدينة يقال لأهلها الجرجامة ، كانت على جبل اللكام بالشعر الشامي فيما بين بياس وبوقه قرب انطاكية . والجرجامة : جبل . . . انتهى .

أقول به وهؤلاء كانوا يسكنون ما يسمى : جبل لبنان في الوقت الحاضر مع امتداده إلى انطاكية ، وكانوا نصارى ولا يزالون ، ولكن من الصعب تصديق : أن مسلمة نهض بالقضاء على هذه الفتنة الداخلية سنة (٨٨٩) ، لأنه كان مشغولاً في تلك الأيام بغزوتين كبيرتين ، ومن المحتمل أنه قضى عليها في فرصته سنحت له قبل قبل خوضه لتلك الغزوتين أو بعدهما .

وفي تاريخ الإسلام (٣٠٢ / ٤) : غزا مسلمة (عمورية) والتقى بالمشركين فهزمهم .

(١) الطبرى (٤٤٢ / ٦) وابن الأثير (٥٤٧ / ٦) وابن خلدون (٣ / ١٥٤) - والنجوم الزاهرة (٢٢١ / ١) والمبر (١٠٤ / ١) . وسورية : موضع بالشام بين خناصره وسلمية ، والعامه نسيمل : سوية ، انظر التفاصيل في معجم

فافتتح (سَنْدَرَة)^(١)، وهي حصن من حصون الروم التي أقامها البرزطيون للدفاع عن عاصمتهم (القسطنطينية) من الجنوب، ومن الغزو عاد إلى الديار المقدسة، فحجج بالناس في هذه السنة^(٢).

وفي سنة خمس وتسعين الهجرية (٧١٣ م)، غزا مسلمة مدينة (باب الأبواب) وفتحها وخرَّبها ثم بناها بعد ذلك^(٣) بعشر سنين^(٤) أو تسع سنين^(٥). وكانت هذه المدينة للمسلمين من قبل، وقد انتقض أهلها فأعادها مسلمة للمسلمين.

وفي سنة ست وتسعين الهجرية (٧١٤ م) غزا مسلمة الصائغة^(٦) في بلاد الروم.

وفي سنة سبع وتسعين الهجرية (٧١٥ م)، غزا مسلمة أرض (الوضاحية)، ففتح الحصن الذي فتحه

(١) العبر (١٠٩/١)، ولا ذكر لسندرة هذه في الكتب الجغرافية القديمة.

(٢) الطبري (٤٩١/٦) وابن الأثير (٤/٥٨٢) وانظر تاريخ ابن خياط (١٣٠/١).
(٣) النجوم الزاهرة (٢٢٩/١) والبدایة والنهاية (٣٢٨/٩).

(٤) البداية والنهاية (١١٧/٩)، والصحيح بتسع سنين لأنه يناها سنة ثلاث عشرة هجرية، انظر المعارف (٣٦٥) وانظر تاريخ خليفة بن خياط (٣١١/١).

(٥) البداية والنهاية (٣٢٨/١).

(٦) البداية والنهاية (١٤٢/٩) والنجوم الزاهرة (٢٣٣/١) وتاريخ ابن خياط (٣١٨/١).

(سُوُسْتِه) إلى بلاد الروم^(١).

وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) غزا مسلمة الروم فافتتح (ماسة) وحصن (الحديد) و (غزالة) و (بَرْجَمَة)^(٢) من ناحية (ملطية)^(٣)

وكان مسلمة قد فتح حصن (الغزالة) سنة ثمان وثمانين الهجرية كما ذكرنا سابقاً، والظاهر أن الروم استردوها من المسلمين، فاستعادها مسلمة ثانية.

وفي سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢ م)، غزا مسلمة أرض الروم،

(١) الطبري (٤٦٨/٦) وابن الأثير (٥٦٩/٤) وابن خلدون (١٤٥/٣) والنجوم الزاهرة (٢٢٥/١)، وسوسة حصن من حصون الروم، هو أكبر الحصون التي فتحها مسلمة في تلك الغزوة، وفي النجوم الزاهرة (٢٢٥/١) نص على: ويقال إنه بلغ الخليج، والخليج بحر دون القسطنطينية، انظر معجم البلدان (٤٦٠/٣)، ومعنى هذا أن سوسة تقع في المنطقة الجنوبية لمدينة القسطنطينية وأحد الحصون المنيع للدفاع عنها من الجنوب.

(٢) برجمة: حصن للروم، ورد ذكره في شعر جرير، انظر معجم البلدان (١١٢/٢).

(٣) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكرة تتأخم بلاد الشام، انظر التفصيل في معجم البلدان (١٥٠/٨) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٦٤) والمسالك والممالك لابن خردادبة (٩٧) والبلدان (٢٥) لابن الفقيه وتقويم البلدان (٣٨٤)، وانظر ما جاء عن هذه الغزوة في الطبري (٤٦٩/٦) وابن الأثير (٥٧٨/٤) وابن خلدون (١٥٤/٣) والنجوم الزاهرة (١/٢٢٦) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٠٩/١).

فتح حصن (الحديد) وحصن (برجمة) سنة ثلاث وتسعين الهجرية ، والظاهر أن هذين الحصنين انتقضا فأعادهما مسلمة للمسلمين سنة سبع وتسعين الهجرية .

الوضاح ^(١) . وفيها أيضاً غزا مسلمة (بَرْحَمَة) وحصن (ابن عوف) وافتتح أيضاً حصن (الحديد) و (سروراً) ^(٢) وشتى بأرض الروم ^(٣) ، وكان مسلمة قد

(٢)

٢ - حصار القسطنطينية

فتحتها وفي الحفاظ عليها ، وما دامت القسطنطينية بيد الروم ، فهذه الأصقاع الواسعة معرضة للغزو كلما ضعف المسلمون أو تفرق شملهم ، وقوى الروم واشتد ساعدتهم . لذلك جرت عدة محاولات لفتح هذه المدينة .

أول تلك المحاولات جرت سنة اثنتين وثلاثين هجرية (٦٥٠ م) في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكانت هذه الحملة بقيادة معاوية بن أبي سفيان أمير الشام آنذاك .

والمحاولة الثانية جرت في أيام معاوية ابن أبي سفيان سنة خمسين هجرية (٦٦٣ م) ، وكانت هذه الحملة بقيادة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ^(١) .

(١) العبر (٥٦/١) ، وشارك في هذه الحملة عدد من كبار الصحابة ، منهم : الحسين ابن علي رضى الله عنهما ، وأبو أيوب الأنصاري الذي توفي أثناء الحصار ودفن قرب القسطنطينية حيث يوجد قبره الآن ، وعبد الله بن العباس وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم .

أدرك المسلمون أن حدودهم الشمالية مهددة بالروم ، وأن فتح القسطنطينية يزيح عن كاهل الفاتحين أعباء الدفاع عن تلك الحدود .

كما أن أرض الشام : فلسطين والأردن وسورية ولبنان من جهة ، ومصر والمغرب العربي من جهة أخرى ، كانت من أملاك الإمبراطورية البيزنطية الشرقية التي كانت عاصمتها القسطنطينية وقد عانى المسلمون ما عانوا من أهوال في

(١) الوضاح : قائد من قادة مسلمة انظر ابن الأثير (٥) (٨١-٨٢) واطاهر أنه من القادة المروسين غير المشهورين وانظر ابن الأثير (٢٦/٥) حول هذا الفتح .

(٢) ترجمة وحصن بن عوف وحصن الحديد وسرورا . حصون في منطقة (مليطة) انظر الطبري (٤٦٩/٦) وابن الأثير (٤٦٩/٤) وابن الأثير (٥٧٨/٤) وابن خلدون (١٥٤/٣) (٣١) البداية والنهاية (١٧٠/٩) والنجوم الزاهرة (٢٣٤/١-٢٣٥) وانظرنا تاريخ خليفة ابن خياط (٣١٩/١) .

يستطيع سلفه تحقيقها في أيامه لانشغال جيوشه في حمل مهمة الفتح بجبهات مختلفة شرقاً وغرباً وشمالاً ، بالرغم من أنه مهد لفتح القسطنطينية بتعرضه المستمر طيلة أيام حكمه بالجبهة الرومية على حدود دولته من الشمال .

وكان حرص سليمان على فتح القسطنطينية عظيماً ، حتى كأنه لم يتول الملك أو لم يخلق إلا لتحقيق هذا الحلم الذي راود الخلفاء من قبله من أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أيامه . والواقع هو أن انخلاء جميعاً اللذين واتهم ظروفيهم الداخلية والخارجية

ولكن هاتين الحملتين لم يكتب لهما النجاح^(١) .

وفي سنة سبع وتسعين الهجرية (٧١٥م) بدأ سليمان بن عبد الملك بتجهيز الجيوش لفتح القسطنطينية^(٢) بعد أشهر معدودات من توليه الخلافة ، فقد توفي سلفه الوليد بن عبد الملك في جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين الهجرية (أواخر شباط - فبراير - ٧١٥م) ، فاقتنى سليمان خطة سلفه بضرب عاصمة الروم ضربة كبيرة بقوة جسيمة^(٣) ، تلك الخطة التي لم

(١) بعد حصار القسطنطينية سنة خمسين الهجرية وإخفاق هذا الحصار ، عسكر المسلمون في ميناء كيزيكوس (Cyzicos) واتخذوه قاعدة أمامية لأعمالهم العسكرية في سبع سنوات وإلى ذلك يشير ابن الأثير في حوادث سنة أربع وخمسين الهجرية : « وفيها كان مشى محمد بن مالك بأرض الروم وصائفة مع بن يزيد السلى ، وفيها فتح المسلمون ومقدمهم جنادة بن أبي أمية ، جزيرة (أرواد) قرب القسطنطينية فأقاموا بها سبع سنين ، وكان معهم مجاهد بن جبر ، فلما مات معاوية وولى ابنه يزيد أمرهم بالعودة «فعادوا» انظر ابن الأثير (٤٩٧/٣) ، وما يفهم منه أن المراد بجزيرة أرواد هي جزيرة كزيكوس .

(٢) النجوم الزاهرة (٢٣٥/١) وابن خلدون (١٥٥/٣) والبداية والنهاية (١٦٩/٩) وأبو الفدا (٢٠٠/١) وانظر الطبري ج ٦ / ٥٢٣ (٣) ولطاونز - الدولة العربية وسقوطها (٢٠٩)

الواقع أن المسلمين كانوا يستهدفون فتح القسطنطينية فقد ذكر فازلييف في تاريخه الكبير للدولة البيزنطية ، أن العرب بعد أن أخفقوا في الاستيلاء على القسطنطينية سنة (٦٧٠م) في عهد قسطنطين الرابع (٦٦٨ - ٦٨٥) بسبب استئصال الروم للنار الإغريقية التي اخترعها إذ ذاك رجل سوري يدعى (جالينيكوس) ظلوا يترددون على القسطنطينية كل عام حتى سنة (٦٧٧م) ، وقد منى الأسطول العربي بكارثة كبيرة إذ هبت عليه عاصفة عنيفة ، فتحطت معظم سفنه على الشاطئ الشمالى لآسيا الصغرى . وفي نفس الوقت أخفقت كل المحاولات البرية التي قام بها العرب إذ ذاك ، فاضطر الخليفة إلى استرجاع جنده ، وعقد معاهدة ، مع الدولة البيزنطية تعهدت الدولة بمقتضاها أن تدفع له ضريبة - سنوية - . انظر : (Vasiliev: Hist, de L'empireyzn tin,B 1, pp. 283 — 284)

واستشار سليمان القادة المجربين ،
ومنهم موسى بن نصير اللخمي^(١)
بالخطة المناسبة لفتح القسطنطينية ،
فأشار عليه موسى بأن يفتح مادونها
من المدن والرساتيق^(٢) والحصون ،
حتى يباغ المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد
هدمت حصونها ، ووهنت قوتها ،
وقال موسى : « فإذا فعلت ذلك ،
لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا
بأيديهم ويسلموا لك البلد^(٣) » .

ثم استشار أخاه مسلمة ، فأشار عليه
بأن يدع مادونها من البلاد ويفتحها
عنوة ، ففنى ما فتحت فإن باقى مادونها
من البلاد والحصون تصبح بيد المسلمين ،
فقال سليمان : « هذا هو الرأى^(٤) » .

وأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك
سنة يعمل بكل جهد ونشاط وعزم

فكروا فى فتح القسطنطينية ، والسبب
أن البيزنطيين لم ينسوا أبداً البلاد
الشاسعة الغنية التى كانت تابعة لهم
وفتحها المسلمون ، وأنهم بذلوا قصارى
جهدهم لاستردادها ، وأن هذه البلاد
لا تكون آمنة من غزو الروم واستردادها
ما بقيت للروم دولة عاصمتها القسطنطينية
وهى البلدة الحصينة التى يسهل الدفاع
عنها براً وبحراً .

وكانت الخطة السَّوْقِيَّة^(١) للمسلمين
تتلخص فى مهاجمة الروم فى عقر
دارهم كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ،
لأن الهجوم هو أنجح وسائل الدفاع .
وأمر سليمان سنة سبع وتسعين
الهجرية فى إعداد قواته الضاربة مادياً
ومعنوياً لتكون قادرة على النهوض
بواجب فتح القسطنطينية^(٢) .

(١) انظر سيرته فى قادة فتح المغرب العربى (٢٢١/١)
- (٣٠٩) .

(٢) الرساتيق : جمع رستاق ، وهى كلمة
فارسية ، وهو كل موضع فيه مزارع وقرى ، ولا يقال
ذلك للمدن كالبصرة وبغداد ، فهو عند الفرس ،
بمثلة السواد عند أهل بغداد ، انظر التفاصيل فى
معجم البلدان (٣٧/١ - ٣٨) .

(٣) انظر البداية النهاية (١٧٤/٩ - ١٧٥)

(٤) انظر البداية والنهاية (١٧٥/٩) ،
والعنوة : أخذ الشيء بالغلبة ، وهو ضد الصلح ،
انظر معجم البلدان (٤٠/١) .

(١) الاستراتيجية (Strategy) ، انظر المعجم
المسكرى الموحد (٨٤٢) إنكليزى - عربى .

(٢) ورد فى تاريخ : العيون والحدائق فى
أخبار الحقائق (٢٤) : « وقيل : إن سليمان لماولى
الخليفة حدثه جماعة من العلماء ، أن الخليفة الذى
يفتح القسطنطينية اسمه اسم نبي ، ولم يكن من ملوك
بنى أمية من اسمه اسم نبي غيره ، فاستعد
لذلك ، ولم يشك أنه الذى يلى ذلك » ، وليس لذلك
سند تاريخى أو علمى ، وقد حاصر القسطنطينية قبل
أيام سليمان المسلمون فى عهد عثمان بن عفان ومعاوية
ابن أبى سفيان ، واسماهما ليسا اسم نبي !!

لم يبق أمام سليمان بعد لإكمال استحضارات قواته وحشدتها غير اختيار القائد المناسب لمثل هذه المهمة الحيوية ، فاختار أخاه مسلمة .

ففى سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦ م - ٧١٧ م) ولّى سليمان أخاه مسلمة قائداً عاماً للقوات الغازية للقسطنطينية^(١) ، فسار مسلمة على رأس جيشه اللجب المؤلف من مائة وعشرين ألفاً^(٢) فى رواية ، ومن مائة وعشرين ألفاً فى البر ومائة وعشرين ألفاً فى البحر^(٣) يؤيد ذلك المصادر غير العربية^(٤) ، وأرجح الرواية الأولى ،

لإنجاز استحضارات قواته ، وكان الخليفة حين يعتزم أمراً خطيراً له مابعده فى مجال الإعداد العسكرى تطبيقاً لخطّة سوقية حاسمة ، يكتب إلى أمرائه على الأمصار ، ايعد كل أمير أو وال الجيش المناسب للعمل العسكرى المناسب ، وهذا ما فعله سليمان سنة سبع وثمانين الهجرية ، واتخذ من مدينة (دابق)^(١) بعيداً عن عاصمته (دمشق) مقراً له ، لئلا يشغل بأمور الدولة الأخرى ، وليكون كل وقته من أجل إعداد القوات العسكرية القادرة على الفتح ، إذ تفرغ لهذا الهدف الحيوى تفرغاً كاملاً ، وبذل كل طاقاته المادية والمعنوية لتحقيقه .

وحسب سليمان أنه قضى مدة خلافته بـ (دابق) ، من أجل إنجاز استحضارات قوات فتح القسطنطينية قبل الحملة ، ومن أجل الإشراف على سير القتال فى أثنائه ، حتى توفاه الله هناك ، فدفن فيها شهيداً بحق من شهداء فتح عاصمة الروم .

(١) الطبرى (٥٣/٦) وابن الأثير (٥/٢٧) والبداية والنهاية (١٧٤/٩) وأبو الفدا (٢٠٠/١) والعب (١١٦/١) وابن خلدون (١٥٥/٣) مختصر تاريخ الدول لابن العبرى (١١٤) ، وفى تاريخ الإسلام للذهبي (٣٠٢/٤) : « قال زيد بن الحباب : أنبأ الوليد ابن المغيرة عن عبيد الله بن بشر الغنوى عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اتفتحن القسطنطينية ، ولنعم الأمير أميرها » ، قال فدعاني مسلمة فحدثته بهذا الحديث ، ففزعهم » ، رواه أبو كريب وأحمد بن الفرات عن زيد .

(٢) دول الإسلام (٥٨/١) مختصر تاريخ الدول (١١٥) والبدء والتاريخ (٤٣/٦) (٣) البداية والنهاية (١٧٥/٩) وانظر خطط الشام (١٢٣/١) .

(٤) فتح القسطنطينية (٣٨) : تعلم المسلمون =

(١) دابق : قرية يقرب حلب من أعمال (عزاز) ، بينها وبين (حلب) أربعة فراسخ ، عندها مرج معشب كان ينزله بنو مروان ، إذا غزوا الصائفة ، انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٣/٤) .

سار مسلمة حتى نزل (دابق) وجاءته الأخبار من كل ناحية^(١) : من الشام والجزيرة^(٢) ، فسار إلى أرض الروم وانضم إليه فيها جيش المسلمين الذين كانوا هناك^(٣) ، وسلك طريق (مرعش)^(٤) فافتتح مدينة (الصقالية)^(٥) وهجم الشتاء ، فانحرف مسلمة بجيشه إلى مدينة (أفيق)^(٦) وشتى بها وهي ليست القرية من (حوران) في طريق (الغور) وهو غور (الأردن) المعروف ، إذ ليس من المعتقد أن يعود إلى (الأردن)

(١) العيون والحذائق في أخبار الحقائق (٢٥).

(٢) البداية والنهاية (١٧٥/٩) .

(٣) البداية والنهاية (١٧٤/٩) .

(٤) مرعش : مدينة الثنور بين الشام وبلاد الروم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢٥) وهي مدينة صغيرة ، انظر تقويم البلدان (٢٦٢) بينها وبين مدينة (الحدث) وهي من الثنور خمسة فراسخ ، انظر المسالك والممالك لابن خردادبة (٢١٦) .

(٥) الصقالية : جبل حمراألوان صهب ،

الشعور يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٢/٥) والقاموس المحيط (٩٣/١) ولسان العرب (١٤/٢) وهم السلاف (Slaves) أو الجنس السلافي ، وجبال الروم هي : جبال الطوروس . ومدينة صقالية : مدينة تقع بين (دابق) و (عمورية) في جبال طوروس .

(٦) أفيق : قرية من حوران في طريق الغور (الأردن) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠٧/١) .

لصعوبة حشد مثل هذه القوات الجسيمة بالنسبة لذلك الوقت في جبهة واحدة ، كما أن المصادر الأجنبية تبالغ في تعداد قوات المسلمين - خاصة البحرية منها - لتبرز أهمية النصر على تلك القوات وردّها خائبة عن القسطنطينية دون أن تحقق أهدافها المرسومة .

لقد زعمت بعض تلك المصادر الأجنبية ، أن المسلمين حملوا قواتهم البحرية التي تعدادها مائة وعشرون ألف مقاتل على ألف وثمانمائة سفينة^(١) ، وهذا مالا يتيسر للمسلمين حينذاك .

ومع هذا ، فقد كان جيش مسلمة المؤلف من مائة وعشرين ألفاً برياً في أكثره وبحرياً منقولاً بالسفن في أقله ، حتى يستطيع فرض الحصار برأ وبحراً في آن واحد ، كما سنجد ذلك في خطة مسلمة في الحصار حسب مجرى الحوادث للمعركة .

وكانت مدينة (دابق) هي القاعدة المتقدمة لحشد جيش مسلمة ، فقد

= من تجربة الحصار الأول ، أن ليس في استطاعتهم خرق الأسوار المنيعة ، لذلك بنو خطتهم هذه المرة على إنزال بحري ، يقال : إنهم أعدوا لذلك ألفاً وثمانمائة سفينة تنقل مائة وعشرين ألف محارب جاهزين للإنزال .

(١) فتح القسطنطينية (٣٨) .

أتى القسطنطينية في أيام الفتن التي كانت بها ، فصار مشهوراً ببيع الخمر وكان فصيحاً بالعربية والرومية . ثم إنه انخرط في سلك الجندية وشهد المعارك الدائرة بين المسلمين والروم وأبلى فيها وظهرت له شجاعة حسنة ، فقدّمه الروم ، ولم يزل ينتقل في المنزلة إلى أن صار (بطريق) مدينة (عمورية) . وقيل : إنه لما جاء إلى (عمورية) بكتاب الملك على أنه (بطريق) رده وقالوا له : مثلك لا يلينا ، لأنك نبط من أنباط العرب . فقال لهم : « إني لا أتولى عليكم إلا بأمركم ، وقد بلغكم حالي ورُجلتي وغنائى ، وحالكم مختلط ، ومُلككم مضطرب ، والفتن كثيرة ، وهذا مسلمة بن عبد الملك قد شارف بلادكم ، وهو يُوقع بكم ، فأدخلوني وفوضوا إلى أمركم ، فإن قمتُ فيه كما تُؤثرون وإلا فأخرجوني واصنعوا بي ما أردتم » . فقالوا : صدق ، فأدخلوه إليهم وولّوه أمرهم ، فنزل به مسلمة وهو يريد (القسطنطينية) ^(١) .

ولا تختلف هذه الرواية العربية كثيراً عن الرواية الأجنبية التي جاء

ليقضى الشتاء فيه ، والظاهر أن (أفيق) تقع في منطقة (عمورية) في السهل الواقع شمالي جبال (طوروس) ، وهذا السهل أقل برذاً في الشتاء من جبال (طوروس) التي تغطيها الثلوج شتاء وفي أكثر شهور الربيع أيضاً .

ولما خرج الشتاء ، سار مسلمة إلى (القسطنطينية) حتى نزل (عمورية) ، وبطريقها ^(١) (ليون) بن قسطنطين المرعشي ، فودعه مسلمة وأعطاه رُهنًا وأخذ منه مثل ذلك ، على أن ينصحه ويظاهره على أهل (القسطنطينية) ويكون عوناً له ، وملك القسطنطينية يومئذ (تيودوس) وهو (تيودوسيوس الثالث) الذي حكم من سنة (٧١٥ م إلى ٧١٧ م) وهو من أسرة (هيرقل) ^(٢) وكان (ليون) أو (ليو) هذا ، نصرانياً من سكان مدينة (مرعش) وله بها كنيسة مشهورة تنسب إليه ،

(١) البطريق ، رتبة عسكرية في جيش الروم ، وهو قائد فرقة ، والفرقة في جيش الروم تتألف من عشرة آلاف رجل بقيادة بطريق ، ويشابه البطريق في التنظيم الحديث قائد فرقة برتبة لواء ، انظر عقبة بن نافع الفهري (٥٨) - الطبعة الرابعة .

(٢) انظر : الإمبراطورية البيزنطية (٤٠١ - ٤٠٣) .

(١) العيون والحدائق في أخبار الحقائق (٣٦) .

(٣٧) ، وانظر : سني ملوك الأرض والأنبياء (٦٩) .

يذكر المؤرخون أن مسلمة صادف مقاومة تذكر في صفحة مسير الاقتراب أثناء تقدمه من (عمورية) حتى (القسطنطينية) ، مما يدل على نجاح مسلمة في استمالة (ليون) إلى جانبه ، ومن الواضح أن (ليون) كان طموحاً جداً ، وكان يتطلع إلى أن يكون امبراطور الروم ، فوداع مسلمة كمرحلة لتولى السلطة تحقيقاً لمطامعه — خاصة بعد وفاة امبراطور الروم السابق (ثيودوسيوس الثالث) آخر أباطرة أسرة (هرقل) . واستصحب مسلمة (ليون) ليدله على الطريق والعورات ، وأخذ عهوده ومواريثه على الوفاء والمناصحة^(١) ، وكان (ثيودوسيوس) ضعيف الرأي ، سيئ التدبير عاجزاً فيما تقلده من أمر الروم ، وكان أمر الروم مضطرباً وأيامهم أيام هرج ومرج^(٢) .

أما جيش المسلمين بقيادة مسلمة ، فقد كان موضع اهتمام الخليفة سليمان بن عبد الملك: أخرج لهم الأعطية ، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة ، وأعلمهم بغزو (القسطنطينية) والإقامة إلى أن يفتحوها ، ثم سار سليمان من (بيت المقدس)

(١) البدء والتاريخ (٤٤/٦) .

(٢) المهون والحدائق في أخبار الحقائق (٣٦) .

فيها : أن (ليو) نشأ فلاحاً ثم أصبح جندياً مرتزقاً ، وتقدم في الجندية لشجاعته في القتال ، حتى وصل إلى القيسة بفضل مقدرته وحدها ، وكان ما يزال شاباً^(١) .

ولكن كيف اتصل مسلمة بليون ، هل اتصل به مباشرة كما ذكرنا ، باعتبار أن مسلمة كان قد فتح (عمورية) سنة تسع وثمانين الهجرية (٧٠٨ م) فهو يعرف مداخلها ومخارجها وأهلها^(٢) ؟

هناك رواية تذكر : أن (ليون) أتى الخليفة سليمان بن عبد الملك من (أذربيجان) وضمن له فتح الروم ، فوجه مسلمة معه ، فسارا إلى (القسطنطينية)^(٣) .

وأرجح أن مسلمة اتصل مباشرة بليون ، الذي كان المسئول عن المنطقة الأممية للدفاع عن (القسطنطينية) بصفته بطريق (عمورية) ، لذلك لم

(١) فتح القسطنطينية (٣٨ - ٣٩) ، وفي تاريخ خليفة بن خياط (٣٢١/١) : أن مسلمة شتى بضواحي الروم .

(٢) جاء في البداية والنهاية (١٧٤/٩) : «ثم إن مسلمة داخل رجلاً من النصارى يقال له : إليون ، وواطأه في الباطن ليأخذ له بلاد الروم» ، وانظر أيضاً البدء والتاريخ (٤٣/٦ - ٤٤) .

(٣) ابن الأثير (٢٧/٥) وابن خلدون (١٥٥/٣) وانظر الطبري (٥٣١/٦) الذي ذكر أن (ليون) قدم من (إرمينية) .

من طعام على عجز فرسه إلى (القسطنطينية) ففعلوا ، فلما أتاها أمر بالطعام فألقى أمثال الجبال ، وقال مسلمة للمسلمين : « لا تأكلوا منه شيئاً ، وأغبروا في أرضهم وازرعوا » ، وعمل بيوتاً من خشب ، فشقى فيها وصاف ، وزرع الناس ، وبقي الطعام في الصحراء ، والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات ومن الزرع ^(١) .

هكذا كان جيش مسلمة من الناحية الإدارية منظماً تنظيمًا جيداً ، وكانت خطته الإدارية خطة جيدة أيضاً ، وللخطة الإدارية الجيدة أثر بالغ في إحراز النصر ، لأنَّ الجندى يمشى على بطنه كما يقول المثل العسكري المشهور .

ولكنَّ أرزاق جيش مسلمة لم تقتصر على ذلك ، بل جاءت العُدَّة والأطعمة ونقلت إليه من الضواحي ومن رساتيق الروم وجاءته في المراكب ^(٢) ؛ كما حشد لجيشه السلاح ، فجمع آلات الحرب للصيف والشتاء والحجانيق والنفط وغير ذلك ^(٣) ، وهكذا استكمل مسلمة

إلى (دمشق) وقد اجتمعت له العساكر ، فأمر عليهم أخاه مسلمة ثم قال : « سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف » . ثم سار سليمان ، حتى نزل (مُرج دابق) ، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة والمحتسبين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم يُر مثله ^(١) .

وانطلق مسلمة بهذا الجيش ، فلما دنا من (القسطنطينية) ، أمر كل فارس أن يحمل معه مُدَّين ^(٢) (١) البداية والنهاية (١٧٥/٩) .

(٢) المد : من المكايل الإسلامية ، يختلف من قطر إسلامي إلى آخر ، والمد السوري يساوي (٢٠٨٤) كغم ، انظر التفاصيل في هنز (Walther Hinz) - المكايل والأوزان الإسلامية (٧٤ - ٧٧) - منشورات الجامعة الأردنية - ترجمة الدكتور كامل العلي - عمان - ١٩٧٠ ، وانظر ترتيب القاموس المحيط (١٩٨٢/٤) ومعجم من اللغة (٢٦١/٥) ، وتنفيذاً لأمر مسلمة يحمل كل فارس مدَّين ، أى يحمل ما يساوي (٥٦٨) كغم ، وحمل مثل هذه الكمية القليلة غير معقول ولا يؤدي إلى الغرض المطلوب ، وهو تكديس كميات من الطعام لفرض حصار طويل . وأرى أن مسلمة في قوله : يحمل كل فارس مدَّين ، لا يريد المعنى الحرفي ، بل يريد : أن يحمل كل فارس ما يستطيع من أرزاق ، والمقدار الذي يحمله الفارس هو عشرون كياو غراماً كمدل ، وهذا نتيجة لخبر الشخصية باعتباري ضابطاً في صنف الخيالة (سلاح الفرسان) .

(١) الطبري (٥٣٠/٦) وابن الأثير (٢٧/٥) ، وفي التنبيه والإشراف (٢٩٠) : وكان مسلمة بن عبد الملك لما بنى مدينته التي على خليج القسطنطينية سماها : مدينة (القهر) .
(٢) الميرون والحدائق في أخبار الحقائق (٢٦)
(٣) الميرون والحدائق في أخبار الحقائق (٢٤)

قضاياها الإدارية تسليحاً وتجهيزاً وأرزاقاً وعلفاً وإسكاناً ، فأعد بخطته الإدارية هذه متطلبات النصر إدارياً .

تلك هي مجمل خطة مسلمة الإدارة ، فما هي خطته العسكرية في الحصار ؟

تحتل مدينة (القسطنطينية) موقعاً سوفيقياً (استراتيجياً) فريداً ، حبته الطبيعية بأهم عوامل الدفاع الطبيعية التي تساعد المدافعين عنها على الثبات . تحوطها من الشرق مياه البسفور ، وتحدها من الغرب والجنوب مياه (المرمرة) ويقسمها (القرن الذهبي) إلى قسمين عظيمين هما : (بيرا) وهو القسم الشمالى الشرقى ، و (استانبول) ^(١) وهو

المدينة البيزنطية الحقيقية . وتحتل (استانبول) مثلثاً عظيماً من المرتفعات الصخرية ، تشرف قاعدته على (المرمرة) وضلعه الأيمن على مياه (القرن الذهبي) والميناء ، وكان كل من هذين الجانبين يحرسها سور واحد . أما الضلع الثالث وطوله ستة أميال ، فهو الجانب المتصل بالقارة الأوروبية ، يحميه خط مزدوج من الأبراج والحصون المنيعة ، وخندق واحد مزدوج ، وفيه عدة أبواب ، وفي كل زاوية من زوايا المثلث الثلاث قلعة منيعة ، وكانت مياه القرن الذهبي الذى يحمى ضلع المدينة الشمالى الشرقى ، تغلق بسلسلة حديدية هائلة يمتد طرفاها عند مدخله بين سور (غلطة) وسور (استانبول) .

وهكذا تهيأت أسباب الدفاع المديد لهذه المدينة : أسباب طبيعية ، وأسباب صناعية ، مما جعلها موقعاً حصيناً وقلعة آمنة ، من الصعب على الغزاة احتلالها ^(١) .

وكان بنو أمية دولة وحيشاً ، يهتمون كثيراً بجمع المعلومات المفصلة الدقيقة عن أعدائهم ، وكانت وسائلهم وأساليبهم للحصول على هذه المعلومات كثيرة

(١) بين العقيدة والقيادة (٣٥٥ - ٣٥٦) وانظر مواقف حاسمة (١٧٥) .

(١) استانبول : يسمى المسلمون (Constantinople) بالقسطنطينية ، أما فيما يتصل باسمها البيزنطى الذى يقال إن منه اشتق لفظ (استانبول) وهو الاسم التركى الحديث ، فإن المسعودى فى النصف الأول من المئة الرابعة الهجرية والعاشر الميلاية كتب فى كتابه : (التنبيه) ص (١٣٨) : أن الروم فى أيامه كانوا يسمون عاصمتهم : (بولن) - (Polin) أى (Bulin) ، ومعناها المدينة : « وإذا أرادوا عنها أنها دار الملك لعظمها قالوا : (استن بولن) ، ولا يدعونها : القسطنطينية ، وإنما المسلمون تميز عنها بذلك » ، واستن معناها : دار الملك أو العاصمة ، واستن بولن معناها مدينة دار الملك ، أو المدينة العاصمة . ف (استن بولن) هي : (استانبول) .

و هو البحر الذى نطلق عليه اليوم (البحر الأسود) وبين (القسطنطينية) والبحر الأبيض المتوسط ، فقطع (الخليج) حتى نزل (القسطنطينية) ، وعبر من موضع يقال له (أبيدُس) ^(١) ، يكون عرض (الخليج) هناك غلوة ^(٢) سهم - مقدار ثلاث مئة ذراع إلى أربع مئة - وهو الخليج الذى يدعى بحر (بُنطُس) يقبل من (إرمينية) ، حتى إذا صار إلى (القسطنطينية) افترق من وجهين : شمالاً وشرقاً ، فإذا باغ (أبيدُس) ضاق حتى يصير مقدار غلوة بين جبلين ، وبين (أبيدُس) والقسطنطينية مئة ميل (الميل العربى = كيلومتران) ^(٣) فى مستوى من الأرض وسهولة ^(٤) .

ببحر الشام ، وقبل اتصاله ببحر الشام يسمى : بنطس ، انظر معجم البلدان (٦٦/٢) و (٢/٢) ٩٣م) وهو البحر الأسود .
(١) لم أجد لها ذكراً فى المصادر الجغرافية العربية القديمة التى بين أيدينا ، والموجود هو (أندس : مدينة على غربى خليج القسطنطينية .

(٢) الغلوة : مقدار رمية سهم ، وتقدر بثلاث مئة ذراع إلى أربع مئة .
(٣) الميل : أربعة آلاف ذراع شرعى ، انظر معجم البلدان (٣٥/١) وهو كيلومتران ، انظر المكييل والأوزان الإسلامية وما يعادها فى النظام المتري (٩٥) .

(٤) الميول والحدائق فى أخبار الحقائق (٢٦) وانظر مختصر تاريخ الدول (١١٤) .

ومتعددة ، كالعيون والأسرى والتجار والمرابطين والمجاهدين ونحوهم ، فكانت القيادتان السياسية والعسكرية لبنى أمية فى الشَّام تعمل لتحقيق أهدافها الحيوية وهى على بصيرة من أمرها ، فهى تعمل مفتوحة العينين فى النور لا مغمضة العينين فى الظلام .

لقد كانت مخابرات المسلمين تعرف كل شئ عن الروم : قواتهم ، قياداتها ، تنظيمها ، تسليحها ، تدريبها ، ما تعانیه من ثغرات ، طبيعة بلادها ، مواردها التموينية ، مشاكلها الداخلية والخارجية ، وغيرها من المعلومات المفصلة الدقيقة .

جعل مسلمة من (عمورية) قاعدة متقدمة ، واتجه شمالاً نحو (القسطنطينية) فلاقى مقاومة فى طريقه ^(١) تغلب عليها ، حتى وصل إلى (الخليج) وهو المضيق الذى يصل بين بحر (بُنطُس) ^(٢)

(١) انظر : (La M. A. Cheira — Lutte entre Arabes et Byzantins).
(١٨٠ - ١٨١) وفيه : قامت الحملة بأعمال ضد نيقيا وبرغر وساردوس .

(٢) بحر بنطس : بحر يعرف بهذا الاسم عند اليونانيين ، وهو البحر الذى يتفرع منه خليج القسطنطينية ، أوله فى أطراف بلاد الترك فى الشمال ويمتد إلى ناحية المغرب والجنوب حتى يتصل

ووسائل تنقله البرية ومواده الإغاشية ونحوها، والظاهر أنه عبر من مسافة ميل واحد عربى (كيلومترين) من غرب القسطنطينية . لأنه عبر من (أندُس) وهذه المسافة مناسبة حقاً ، والموقع بين جبلين يخفى العبور عن رصد العدو ، وقد استفاد مسلمة من السفن التي رافقت حملته فى العبور ، والظاهر أنه لم يلق مقاومة تذكر فى عبوره .

وبذلك أنهى مسلمة مرحلة (مسير الاقتراب) ^(١) من خطته التى رسمها لفتح القسطنطينية ، وبدأ مرحلة جديدة ، هى مرحلة : فرض الحصار فى سنة ثمان وتسعين الهجرية (١٥ آب - أغسطس ٧١٦ م) ^(٢) .

طوّق مسلمة بقواته البرية والبحرية مدينة (القسطنطينية) ، فقد طوّقت قواته البرية هذه المدينة بالقرب من الخندق الذى يحيطها من جوانبها البرية يجرى الماء فيه ^(٣) . كما سدت هذه

(١) مسار الاقتراب : تقدم الجيش من قواعد الرئيسية أو قواعد الأمامية أو المتقدمة إلى ساحة القتال حتى التماس بالعدو .

(٢) (La Lutte entre Arabes et Byzantins) (٣٤٧/١) ،
tina) انظر التفاصيل (١٨٠ - ١٨٥) .
(٣) (العيون والحداثق فى أخبار الحقائق) (٢٧)

ومن الواضح أن مسلمة عبر من غرب القسطنطينية ، فمدينة (أبدُس) تقع بعد القسطنطينية بالنسبة للبحر الأسود استناداً إلى نص ما جاء عن العبور : « حتى إذا صار إلى القسطنطينية (يريد البحر الأسود) افترق من وجهين : شمالاً وشرقاً ، فإذا بلغ (أبدُس) ضاق . . . إلخ » ، فهو - أى مسلمة قد عبر من المضيق الغربى للقسطنطينية ، كما أنه لا مضائق شمال هذه المدينة يمكن عبورها بسهولة ويسر . ثم إن (أبدُس) التى ورد ذكرها فى هذا النص هى مدينة (أندُس) ، وهى مدينة على غربى خليج القسطنطينية بين جبلين ، بينها وبين القسطنطينية ميل فى مستوى من الأرض ^(١) .

لا أتصور أن هناك مسوّغاً لعبور مسلمة على بعد مئتين كيلومتر (مئة ميل عربى) من القسطنطينية ، فهذه مسافة شاسعة جداً من ناحية ، ولا وجود لمضيق على بعد مئتين كيلومتر من القسطنطينية شمالاً أو جنوباً يمكن عبوره بجيش ضخم مع تجهيزاته العسكرية

(١) انظر معجم البلدان (٣٤٧/١) ،
ومن المحتمل أن تكون مدينة (أبدُس) قد حُفرت إلى (أندُس) .

لتقيهم المطر والثلج والبرد ، وأمر الناس بالزراعة ، فصاف وشتى وهم يأكلون من زراعتهم ، وطعامهم الذى استاقوه مُدْخَرًا^(١) .

وكان هدف مسلمة من خطته الإدارية وخطة العمليات ، هو ما ذكره علناً لرجاله : «إننا نرجع عن هذا البلد إلا أن نفتحها إن شاء الله»^(٢) ، وكان سبيله لتحقيق هدفه : فرض الحصار المديد ، لكى يستسلم المحاصرون جوعاً .

ومنذ فرض الحصار على القسطنطينية حتى انسحب المسلمون إلى قواعدهم ، جرت حوادث القتال فى صفحات ثلاث .

الصفحة الأولى من تاريخ فرض الحصار فى أواخر صيف سنة ثمان وتسعين الهجرية (١٥ آب - أغسطس ٧١٦ م) حتى تولى ليون الثالث عرش القسطنطينية فى سنة ثمان وتسعين الهجرية (٢٥ مارت - مارس - ٧١٧ م)^(٣) ، ويمكن أن نطلق على هذه الصفحة اسم : صفحة (المبادرة) .

القوات المنافذ البحرية من الشمال ، بوضع مراكز مراقبة برية قوية على الساحل مزودة بالمنجنيقات ، ومن المحتمل جداً أن تستفيد هذه المراكز من

السفن المحلية التى يعمل فيها المسلمون أو المرتزقة للمعاونة فى سد المنافذ البحرية للقسطنطينية من الشمال ، ولكن هذه المراكز لم تكن كافية ، وهى ثغرة فى خطة الحصار ، لأن تلك المنافذ البحرية يجب أن تغطى بمراكز مراقبة بحرية لا مراكز برية قوية وقوات بحرية غير كافية .

أما البحرية الإسلامية التى جاءت من سورية ومصر ، فقد قاتلت أسطول الروم فى (رودس) وأسرت بعض سفنه ودمرت أخرى ، وكان بحارة الأسطول الرومى فى عصبان حينذاك ، ينقصهم الضبط والنظام ، كما هاجمت البحرية الإسلامية سواحل آسيا الصغرى حتى وصلت إلى قرب القسطنطينية ، فسدت المنافذ البحرية لهذه المدينة استكمالاً لخطة تطويقها .

وعند حلول موسم الشتاء ، أمر مسلمة أن يبنى رجاله بيتاً من الخشب^(١) ،

(١) الطبرى (٥٣٠/٦) وابن الأثير (٢٧/٥٣) وابن خلدون (١٥٥/٣) والبداية والنهاية (١٧٤/٩) .

(١) ابن خلدون (١٥٥/٣) وانظر الطبرى (٥٣٠/٦) وابن الأثير (٢٧/٥) والبداية والنهاية (١٧٤/٩) .

(٢) البداية والنهاية (١٧٤/٩) .

(٣) البحر الزاخر (٣٦٧/٢) .

مسلمة في هذه الصفحة حتى استحوذ على ثقته التامة .

وبعث مسلمة ليون إلى أهل القسطنطينية في رسالة ، فلما دخل عليهم ليون قالوا له : رده عنا ونحن نملكك علينا^(١) ، فاستوثق منهم وتولى عرشهم^(٢) ، وبذلك تكملت جهود

(١) البداية والنهاية (١٧٤/٩) وفي ابن الأثير (٢٧/٥) : فقالت الروم لليون : إن صرفت عنا المسلمين ملكناك .

(٢) ابن الأثير (٢٧/٥) والبدء والتاريخ (٤٤/٦) ، وقد جاء في ابن الأثير (٢٧/٥) أن ليون مسلمة فقال له : « إن الروم قد علموا أنك لا تصدقهم القتال ، وأنتك تطاولهم ما دام الطعام عندك ، فلو أحرقتهم أعطوا الطاعة بأيديهم » ، فأمر به فأحرق فقوى الروم وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون . وقيل : إنما خدع ليون مسلمة بأن يسأل أن يدخل الطعام إلى الروم بمقدار ما يعيشون به ليلة واحدة ليصدقوه بأن أمره وأمر مسلمة واحد ، وأنهم في أمان من السبي والخروج من بلادهم ، فأذن له ، وكان ليون قد أعد السفن والرجال ، فنقلوا تلك الليلة الطعام ، فلم يتركوا في تلك الحظائر إلا مالا يذكر ، وأصبح ليون محارباً ، وقد خدع خديعة لو كانت امرأة لعبت بها . وفي ابن خلدون (١٥٥/٣) : قال ليون لمسلمة :

« لو أحرقت هذا الزرع علم الروم أنك قصدتهم بالقتال ، فتأخذهم باليد ، وهم الآن يظنون مع بقاء الزرع أنك تطاولهم » فأحرق الزرع ، فقوى الروم ، وعذر ليون ، فأصبح محارباً ، وجاء في الطبري (٥٣١/٦) ما جاء في ابن الأثير (٢٧/٥-٨) ومن المعلوم أن ابن الأثير نقل =

وبالرغم من أن المصادر العربية وغير العربية لا تذكر معلومات وافية عن أعمال الجيوش الإسلامية والرومية ، إلا أننا نستطيع أن نذكر أن مسلمة في هذه الصفحة هاجم أسوار القسطنطينية مرتين : الأولى بجشد أربعة آلاف مقاتل ، وكان اتجاه هجومه منطقة (باب الذهب) ، والثانية بجشد ثلاثة آلاف مقاتل ، ولكنه لم ينجح في هذين الهجومين^(١) .

واستطاع المسلمون أن يؤثروا في الروم المحاصرين تأثيراً شديداً ، فأرسل الروم إلى مسلمة يعطونه عن كل رأس ديناراً ليرحل عنهم ، فلم يقبل مسلمة^(٢) بهذا العرض ، وأصر على فتح المدينة .

وأقام مسلمة محاصراً القسطنطينية قاهراً لأهلها^(٣) ، مانعاً لهم من كل مرفق براً وبحراً^(٤) ، وكان معتمداً على جيش المسلمين وعلى جماعة من الروم على رأسهم ليون ، الذي عاون

(١) La Lutte Entre Arabes et Byzantins

time انظر التفاصيل في (١٨٥ - ١٨٠) .

(٢) ابن الأثير (٢٧/٥) وابن خلدون (١٥٥/٣) .

(٣) الطبري (٥٣٠/٦) .

(٤) البيهقي والحداث في أخبار الحقائق (٢٧) .

ليون التي بذلها لتولى العرش بالنجاح .
لقد كان بإمكان مسلمة أن يحقق
إنجازات عسكرية في هذه الصفحة أكثر
مما حققته عملياً ، لولا ثقته بليون
الذي منّاه بفتح القسطنطينية بالمكر
والخداع ، فاستنم مسلمة لتلك الأمانى
العذاب ، وأخيراً ظهر له أن ليون
لم يكن حرياً بكل هذه الثقة ، وهو
يعمل لنفسه مسخراً مسلمة لتحقيق
مصالحه الذاتية .

والمهم هو أن نذكر أن قسماً من
المؤرخين صوروا أن مسلمة كان ضحية
لمكيدة من مكاييد ليون جعلته يحرق
أكداس الأرزاق والعلف لجيش المسلمين ،
وهذه مكيدة لا يقع فيها عاقل كمسلمة ،
بل لا يقع فيها أى عاقل ، كما أن اختلاف
الروايات لمختلف المؤرخين ، يؤدي إلى
زعزعة الثقة بتلك الروايات ، هذا بالإضافة
إلى أنها روايات متهافة لا يصدقها
عاقل ، فهي أقرب إلى حكايات
الأخباريين منها إلى حقائق المؤرخين .

=بِكثير من التهم - خاصة وأن تاريخهم سجل بعد
زوال ملكهم وتولى أعدائهم من بعدهم ، فلا يستبعد
أن يفتري مفتري ، فيروى ما سمعه المؤرخ ، فيأتى
من بعده فينقلون تلك الفرية ، وقد كان مسلمة
معروفاً بالدهاء ، فكيف تجوز عليه خدعة لا تجوز
على أى إنسان حتى ولو كان من أغبي الأغبياء ! ؟
مجلة الأنهر

.

= نص ما جاء في الطبرى . وفى البداية والنهاية
(١٧٤/٩) : قال ليون لمسلمة : « إنهم - أى
أهل القسطنطينية - ما داموا يرون هذا الطعام
يظنون أنك تطاوطم فى القتال ، فلو أحرقتة لتحقيقوا
منك العزم ، وسلموا إليك البلد سريعاً » فأمر
مسلمة بالطعام فأحرق ، ثم أبحر إيون بالأسفن
فأخذ ما أمكنه من أمتعة الجيش فى الليل ، وأصبح فى
البلد وهو محارب المسلمين . وفى البدء والتاريخ
(٤٤/٥) : قال ليون لمسلمة : « لا يفتحون
مالم يتنح عنهم » ، فارتحل مسلمة وتنحى إلى بعض
الرساتيق ، فدخل ليون وليس التاج وقعد على سرير
الملك وأمر بنقل الطعام والعلوفات من خارج ،
فلاؤا الأهراء وشحنوا المطاير . وفى العيون والحدائق
فى أخبار الحقائق (٢٨) : أن مسلمة أرسل
ليون مع جماعة من أهل ثقافته إلى أهل القسطنطينية
يقول لهم : لست أرحل عنكم حتى تملكوا مولاي ليون
ويسلم إليهم ملككم ثم أرحل عنكم وأدعكم وبلادكم
ودينكم وكنايسكم . . .

وأرى أن هذه أشبه بالأساطير منها بالحقائق
التاريخية ، فليس هناك قائد يحرق مواد جيشه
الغذائية ، وليس هناك قائد يفسح المجال لعدوه
بأخذ مواد جيشه التموينية ، وليس هناك قائد يتخلل
عن الحصار ويذهب بعيداً تاركاً غلات جيشه
كسباً للعدو . كما أن الحجج التي قدمها إيون
لمسلمة لا تقنع عاقل ، إذ كيف يستسلم العدو
والجيش إذا أحرقت المواد التموينية لذلك الجيش ،
بينما المعلوم أن يستسلم العدو إذا وجد خصمه
قد كدس الأرزاق الكافية لإدامة حصار طويل ،
وكل محاصري يستسلم غالباً من الجوع ، ولا نعرف
جيشاً استسلم من الشيع !!

وليس إجماع المؤرخين حجة دامنة على صحتها ،
فالخلف ينقل عن السلف ، وقد اتهم بنو أمية =

ولعلّ مصدر تلك الروايات أعداء الأمويين ، وما أكثرهم عدداً ، وما أشدّ عداوتهم وأعظمهم لعدداً . تلك هي الصفحة الأولى من صفحات حصار القسطنطينية وهي صفحة (المبادرة) ، وهي المبادرة التي لم يستند منها مسلمة كما ينبغي ، لتحقيق نصر عسكري وسياسي للمسلمين .

أما الصفحة الثانية فتبدأ بتولى (ليون الثالث)^(١) عرش القسطنطينية في

(١) ليون الثالث : ليون المرعشي ، انظر البدء والتاريخ (٤٣/٦ - ٤٤) وهو ليون بن قسطنطين المرعشي ، انظر العيون والحدائق في أخبار الحقائق (٢٥) ، نشأ فلاحاً ثم أصبح جندياً مرتزقاً ، وتقدم في الجندية لشجاعته في القتال ، ووصل إلى القمة بفضل مقدرته وحدها ، وكان ما يزال شاباً ، انظر فتح القسطنطينية (٣٨ - ٣٩) . وفي ٢٥ مارت (مارس سنة ٧١٧م جلس ليون الثالث على عرش الإمبراطورية البيزنطية الشرقية وأسس عائلة جديدة عرفت بالعائلة (الايسوريانية) ، وكان من أهل (أيسوريا) واسمه الأصلي كوزون ، وقد قُدح فيه المؤرخون الذين من عادتهم القدح والذم ، ووصفوه بأنه كان طواغافاً على حمار له في الأمصار يبيع الفراخ ، وأن أباه هاجر من آسيا الصغرى وأقام في نواحي (ثراسية) وعمل في بيع الحشيش ، عمل ليون جندياً وترقى بالتدريج واشتهر اسمه وعلا قدره في الحرب ، فعينه بسلطان قائد للفرق الأنضولية حتى اختير ، إمبراطوراً ، انظر البحر الزاخر (٣٦٧/٣) ، وكان نصرانياً من سكان (مرعش) ، فأق

.....

(القسطنطينية) في أيام الفتن التي كانت بها وصار مشهوراً ببيع الخمر ، وكان فصيحاً بالعربية والرومية ، وقد حضر الحرب الدائرة بين المسلمين والروم ، فأبلى فيها وظهرت له شجاعة حسنة ، فقدّموه ، ولم يزل ينتقل في المنزلة إلى أن صار (بطريق) عمورية . وقيل : إنه لما جاء إلى عمورية بكتاب الملك على أنه (بطريق) ردوه وقالوا له : ملكك لا يلينا ، لأنك نبطي من أنباط العرب . فقال لهم : « إني لا أتولى عليكم إلا بأمركم ، وقد بلغكم حالي ورجلي وغنائمي ، وحالكم مختلط ، وملككم مضطرب والفتن كثيرة ، وهذا مسلمة بن عبد الملك شارف بلادكم ، وهو يوقع بكم ، فأدخلوني وفوضوا إلى أمركم ، فإن قمت به كما تؤثرن » وإلا فأخرجوني واصنعوا بي ما أردتم » ، فولوه ، أمرهم ، انظر العيون والحدائق في أخبار الحقائق (٢٥ - ٢٦) .

وبدأ سلطنته بالمدافعة والمحافظة الكبيرة على القسطنطينية ، ولما خلس المملكة . وانقذها من العرب عكف على إحياء رسومها وتقويتها ، ففتح من إدخال القوانين والأنظمة الجديدة فيها عصر جديد في سعادة المملكة وفلاحها ، واستتب السلم والأمن فيها ، وقد حكم البلاد أربعاً وعشرين سنة ، وبعد موته خلفه ابنه قسطنطين الخامس وتولى العرش في (حزيران ٧٤١م) سنة ثلاث وعشرين ومئة الهجرية ، انظر البحر الزاخر (٣/٣٦٧) ، وانظر أيضاً تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (٦٩) وابن الأثير (١/٣٣٥) ، وليون الثالث هو (Leo the Jsau Rian) .

وظل المؤرخون يعتبرون أسرة (ليو الثالث) أيسورية حتى نهاية القرن التاسع عشر ، ولكن في سنة ١٨٩٦م كتب العالم الألماني (شينك) في مجلة الأبحاث البيزنطية في مؤسس هذه الأسرة ،

الملك والطريقة التي اعتلى بها عرش القسطنطينية وتاريخ حياته قبل اعتلاء العرش وبعده ، إلا أنه كان إمبراطوراً عظيماً وقائداً متميزاً محنكاً ، وكان حاذقاً في وضع الخطط العسكرية^(١) .

فقد قدر أن الروم سيواجهون حصاراً طويلاً ، لذلك بذل جهده في تكديس المواد التموينية ، ولما كان هناك خطر الموت جوعاً عند نجاح الحصار البحري الذي فرضه المسلمون على القسطنطينية ، عمل جهده لتقوية سفنه — وكان عددها قليلاً جداً — بالنسبة لأسطول المسلمين ، فهي ليست قادرة على النهوض بمهاجمة الأسطول الإسلامي ، لذلك أمن حمايتها بسلسلة حديدية هائلة أقامها لسد مدخل المرفأ ، فنع أي سفينة قادمة من الخارج من دخوله ، وكانت هذه السلسلة هي : (السد البحري)^(٢) الذي تعلمه منه المدافعون عن القسطنطينية من بعده حتى

سنة ثمان وتسعين الهجرية (٢٥٠ مارت — مارس — ٧١٧ م) إلى حلول شتاء سنة تسع وتسعين الهجرية (كانون الأول — ديسمبر ٧١٧ م) ، ويمكن أن نطلق على هذه الصفحة اسم : صفحة (المصابرة) .

ومهما اختلفت الروايات في حقيقة علاقة (ليو الثالث) بمسلمة بن عبد

=فجعله سورياً لا أيسورياً ، انظر : اجاء حول ذلك في : Scheng, K., Kaiser Leones, Byz., V, 296 FF)

ثم جاء بعده من أيد ، انظر :

Jorg, N., Origines de L'Iconoclasme Bulletin Acad, Roumaine, XI, (1924), 149.

وجاء بعده من عارضه ، انظر :

(Kulakovsky, J. A., Hist., of Byzantine, 111, 3 319.)

والسبب في هذا الاختلاف أن (ثيوفانس) المرجع الرئيسي في سيرة (ليو) قال عنه من أبناء مرعش (جرمانيكية) ومن أصل إسوري ، انظر :

(Thephanes, Chronographia, ed. Boor, 391).

وكان انسطاسيوس الذي نقل كتاب ثيوفانس إلى اللاتينية في منتصف القرن التاسع قال في ترجمته : إن ليون كان من أبناء جرمانيكية ، وأنه كان سوري المولد ، انظر ما جاء حول ذلك في : Chronographia Triperita, ed. Boor, 25) (Sclaves)

الأصغر يؤيد القول بالأصل السوري ، ويوافقه على ذلك المؤرخ العربي المجهول صاحب كتاب : العيون والحدائق (٢٥) ، انظر كتاب : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم (٢٨٩/١ - ٢٩١) .

(١) فتح القسطنطينية (٣٨ - ٣٩) .

(٢) السد البحري هو لإغلاق ممر القرن الذهبي : يبدأ من شمال المدينة ، وينتهي عند حي (غلطة) ، وبالطبع استعملنا الأسماء الجغرافية الحديثة التي لا تزال مستعملة حتى اليوم ، لإمكان إيضاح مكان هذا السد البحري بالنسبة للدارسين المحدثين ، انظر الخريطة المرافقة .

والمعتقد أن : (النار اليونانية) خليط من النفط والكبريت والقار ، ولكن نسب التركيب كانت سرية ، فكانت السنة القائمين بإعداد الخليط تقطع لأغراض الأمن والكتمان ، وكان هذا سرّاً خاصاً بالقسطنطينية فقط ، احتفظت به طيلة أربعمئة عام^(١) .

وقد أفادت هذه النار المدافعين مادياً ومعنوياً ، فاستفادوا منها لفتح ثغرات برية وبحرية بين صفوف المسلمين المحاصرين للقسطنطينية تسربت منها المواد التموينية للمحاصرين من الروم ، كما رفعت معنويات الروم التي كانت منهارة . كما أضرت هذه النار بالمسلمين مادياً ومعنوياً أيضاً ، فكبدتهم خسائر فادحة بالأرواح والمواد والسفن ، مما أدى إلى زعزعة معنوياتهم التي كانت عالية في الصفحة الأولى من الحصار : صفحة المبادرة .

(١) فتح القسطنطينية (٣٩) ، وفي تاريخ التمدن الإسلامي (١٨٠/١) : أن هذه النار مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والأدهان في شكل سائل يطلقونه من اسطوانة نحاسية مستطيلة ، كانوا يشدونّها إلى مقدم السفينة ، فيقذفون منها السائل مشتعل ، أو يطلقونه بشكل كرات مشتعلة أو قطع من الكتان الملوّث بالنفط ، فيقع على السفن أو البيوت فيحرقها .

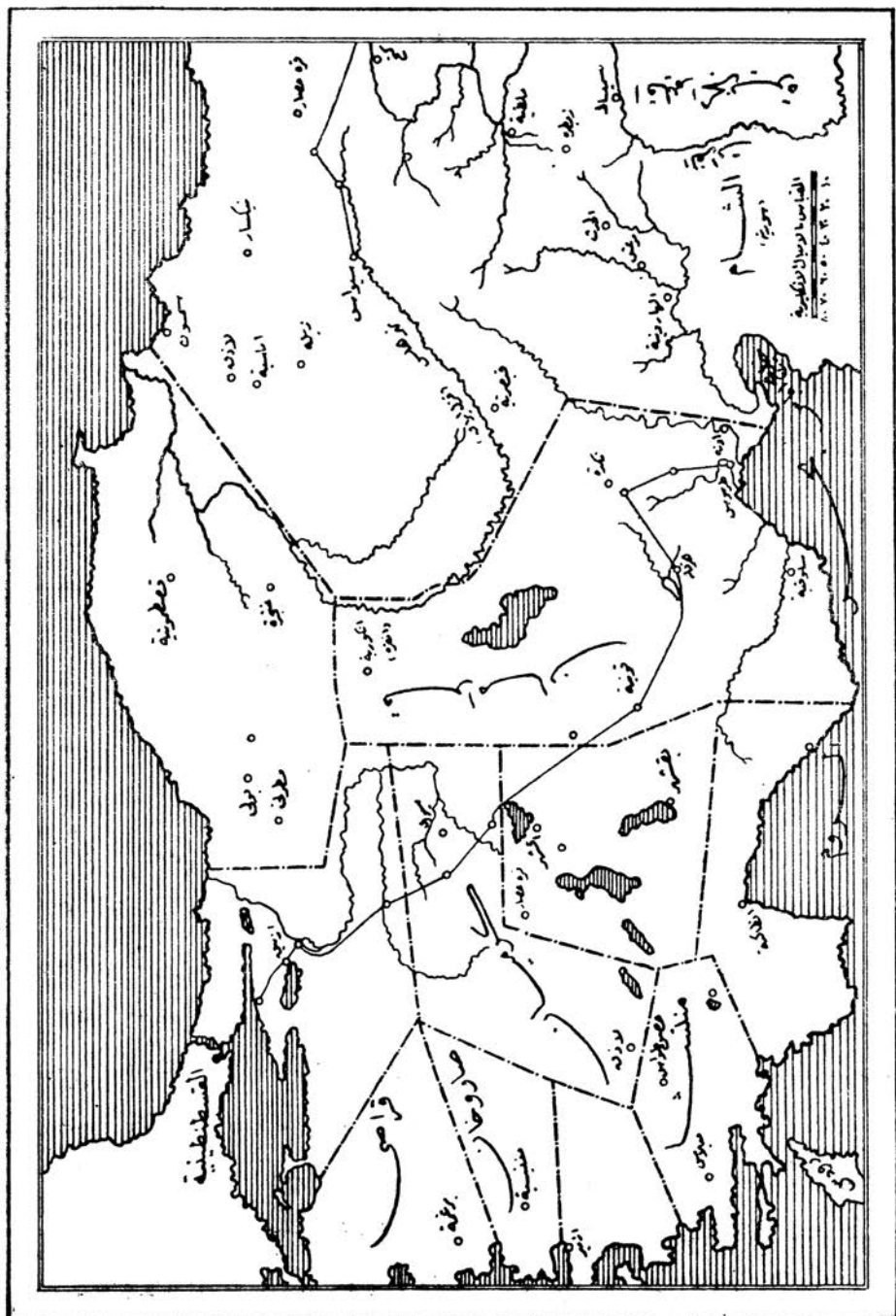
فتحت على يد محمد الفاتح . وكان لهذا السد دور كبير في الدفاع عن المدينة المحاصرة ، وأثر في منع الأسطول الإسلامي من التغلغل في المياه القريبة من هذه المدينة ، وفي حماية السفن البيزنطية التي تجمعت وراءه من غارات أسطول المسلمين .

ولكن تكديس المواد التموينية وإقامة السد البحري ، مع الاحتفاء بأسوار حصينة منيعة ، والاستفادة من موقع القسطنطينية الحصين المساعد على الدفاع ، غير كافية لترجيح كفة الروم على المسلمين وأخذ (المبادرة) نهائياً منهم ، لأنّ كل هذه العوامل — على أهميتها — عوامل دفاعية وليست تعرضية ، لذلك ركز (ليو الثالث) طاقاته لابتكار سلاح جديد تعرضى ، فتهياً له سلاح سرى فتاك هو : (النار اليونانية) ، ذلك السلاح الذي نقل (المبادرة) من أيدي المسلمين إلى أيدي الروم وأثر في مصير المعركة كلها تأثيراً حاسماً .

والمظنون أن رجلاً من أهل الشام اسمه (كالينكوس) هو الذي نقل هذا السلاح إلى الروم ، في وقت كان الروم فيه بأمر الحاجة إلى هذا السلاح^(١) .

(١) تاريخ التمدن الإسلامي (١٧٩/١) .

بلاد الروم



الروم قوة وازداد المسلمون ضعفاء .
انظر خريطة بلاد الروم (ص ٦٩) .
فقد أدى شتاء عام تسع وتسعين
الهجرية (٧١٨ م) القارص البرد بثلوجه
وأعطاه الغزيرة ، إلى موت آلاف
المسلمين ، لأنهم تعودوا الطقس الحار
الدافئ ، كما شلت الرياح الهوج
العاتية والتيارات البحرية الجارفة في
(البسفور) سفنهم عن العمل^(١) .

ونفذت المواد التموينية للمسلمين
ولم يبق منها إلا أقل القليل ، فأكلوا
الدواب والخلود وأصول الشجر وكل
شيء غير التراب^(٢) .

كما انهارت معنوياتهم ، حتى كان
الرجل منهم يخاف أن يخرج من العسكر
وحده^(٣) .

وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك
لا يزال مقيماً في (دابق) ، فلم يقدر
أن يمد المسلمين بشيء من الأزواد
لكثرة البرد والثلوج^(٤) .

لقد أصبح موقف الجانب المدافع
بقيادة الإمبراطور الجديدي الذي أعاد
تنظيم قواته ، وادخر لهم ما يكفيهم من
مواد تموينية ، مستفيداً من أسوار قوية
ودفاعات منيعة تحيطهم من كل جانب ،
ومن سفن جيدة في مرفأ محمي حماية
قوية ، توافرت لهم النار اليونانية المؤثرة .

أمام موقف المسلمين ، فلم يكن لميثوساً
منه ، فكانت الإمدادات تصلهم بانتظام
ولكنها لم تكن بشكل تجعل التفوق إلى
جانبيهم ، وكان أملهم باستعادة المبادرة
كبيراً فقاوموا وصابروا وصبروا انتظاراً
لقوات ضاربة متأنقة تصلهم من القاعدة
لمتقدمة (دابق) التي يربط فيها سليمان
ابن عبد الملك ليشرف على الإمدادات
بنفسه .

أما الصفحة الثالثة وهي صفحة :
(المكابرة) ، فتبدأ من شتاء سنة تسع
وتسعين الهجرية (كانون الثاني -
يناير - ٧١٨ م) إلى انسحاب المسلمين
من حصار القسطنطينية في بداية حكم
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

كان موقف الروم في هذه الصفحة
أفضل من موقف المسلمين بكثير ،
وكان عامل الوقت بجانب الروم على
المسلمين ، فكلما تقدم الوقت ازداد

(١) فتح القسطنطينية (٣٩) .
(٢) الطبرى (٥٣١/٦) وابن الأثير (٥/٢٨)
وابن خلدون (١٥٥/٣) ، وانظر مختصر
تاريخ الدول (١١٤) .
(٣) الطبرى (٥٣١/٦) وابن الأثير (٥/٢٨) .
(٤) العيون والحقائق (٣٣) وانظر الطبرى (٦/٥٣١)
وابن الأثير (٥/٢٨) وابن خلدون (٣/١٥٥) .

كما أن (ليو) دأب على شن الغارات الليلية على قوات المسلمين ، كما دأب على وضع الكمائن لهم ، وهذا أدّى إلى تردى معنويات المسلمين كما ذكرنا .

أن مسلمة غزا القسطنطينية فحاصرها ، وافتتح مدينة الصقالبة ، وكسر ملكهم البرجان ، ثم عاد إلى محاصرة القسطنطينية . . . انتهى .
وفي معجم البلدان (٣٧٢/٥) : الصقالبة بلاد بين بلغار وقسطنطينية . . . انتهى .

أقول : ليس : من المستبعد أن يستعين (ليو الثالث) بجيرانه الغربيين لمحاربة المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ليشغل قواتهم ويكبدوا الخسائر تخفيفاً لضغطها على مدينة ، فأجبر مسلمة على تخصيص قوة مناسبة من قواته لمحاربتهم ، مع إبقاء قواته الضاربة محاصرة للقسطنطينية ، والمصادر الأجنبية تؤكد أن (ليو الثالث) تلقى مساعدات حربية من الصقالبة ، وهذا من جملة محاولات (ليو الثالث) لكسب المعركة وجعل المسلمين يخفقون في مهمة فتح القسطنطينية .

والصقالبة هم ما يسمون : (Solaves) .
والمصادر الأجنبية تؤكد معاونة البلغار لليو الثالث ، ولكنها تبالغ كثيراً في جدوى تلك المعاونة ، فتدعى أن البلغار فاجأوا جيش مسلمة من وراء فقتلوا من رجاله عشرين ألفاً ، انظر التفاصيل في : (The ophanes, Chron., 395 — 399).

فكم كان عدد البلغار والمهاجمين حتى يقتلوا عشرين ألفاً من المسلمين ؟

وكيف استطاع البلغار أن يفاجئوا جيش مسلمة من وراء ؟ وهل كان جيش المسلمين نائماً ؟!

إن المصادر الأجنبية التي ذكرت هذا الخبر لا تخلو من مبالغات غير منطقية ولا تستقيم مع الفكر العسكري .

لقد كانت الظروف قاسية بالنسبة للمسلمين في صفحة (المكابرة) بقدر ما كانت مؤاتية بالنسبة للروم .

ولعل الشتاء القارص^(١) كان من أقوى حلفاء الروم على المسلمين ، ولكن المسلمين تحملوا وصبروا إلى درجة (المكابرة) ، حتى ضاق بهم الأمر ، فكان لا بد لهم من التخلي عن الحصار والانسحاب إلى قواعدهم .

ولكن لم تكن هذه العوامل وحدها هي التي جعلت كفة الروم ترجح على كفة المسلمين في ميدان القسطنطينية بالرغم من أهميتها ، إذ كان لتشبهات (ليو الثالث) التعبوية والإدارية أثر ملموس في رجحان كفة الروم في ذلك الميدان .

فقد كان من ترتيبات (ليو) التعبوية قصف تجمعات المسلمين بالنار اليونانية فأدى ذلك إلى ابتعاد قواتهم عن الأسوار ، فأصبح موقفها موقف المراقب ، ولم يعد لها تأثير مباشر على المدينة المحاصرة^(٢) .

(١) كان شتاء سنة ١٩٤١ قارصاً في روسيا ، فكان من أهم عوامل إخفاق المحور في هجومهم على الاتحاد السوفياتي .

(٢) يبدو أن (ليو الثالث) حرص الصقالبة على المسلمين الذين كانوا يحاصرون القسطنطينية لكي يخفف الحصار على المدينة المحاصرة .

فقد جاء في البداية والنهاية (٣٢٨/٩) :

حاولت سفن المسلمين الانسحاب طلباً للنجاة ، أخذت تصطدم الواحدة بالأخرى ، فقفز الرجال إلى البحر وغرقوا فيه ، وتحطمت هياكل السفن ، وهوت للصواري ، وضاعت المجاديف . وفي تيار البسفور القوي ، انقلبت سفن كثيرة وغرقت ، وعندما انتهت المعركة لم تبق سفينة من سفن المسلمين في مدى النظر سالمة ، ويقال : إن خمس سفن منها فقط نجت وعادت إلى سورية لتروى القصة . وكانت القصة هي قصة النار اليونانية التي تصب على سفن المسلمين من قدور كبيرة موضوعة على دكاك ، أو تقذف بكرات متوهجة حمراء من الحجارة أو الحديد ، أو ترى بالأسهم أو الرماح المغمورة بالسائل الملتهب ، أو تنفخ في أنابيب طويلة من النحاس مثبتة في مقدم السفن ، فتحدث دخاناً أسود ثم انفجاراً يصم الآذان ، ومن ثمَّ يَنتشر لهيب لا يمكن إيقافه ويسير حتى على الماء ^(١) .

لقد كانت هذه المحاولة الهجومية آخر سهم في جعبة مسلمة ، استعمله لاستعادة (المبادرة) ^(٢) من الروم ،

كما حرض (ليو) البلغار فهاجموا جيش المسلمين ، ولكنهم هزموا .

كما بذل جهداً في وضع الكمائن لضرب مؤخرة قوات المسلمين وطرق تموينهم ، مما أدى إلى حرمانهم من المواد التموينية في وقت هم بأمس الحاجة إليها .

وعندما حل الربيع ، كانت قوات المسلمين قد ضعفت كثيراً ، ولكنهم كانوا يأملون في استعادة (المبادرة) إلى أيديهم بالاستفادة من تفوقهم في البحر ، فأعدوا خطة هجومية من اتجاه البحر . وكان (ليو) ينتظر هذا الهجوم لا نزال ضربته الكبرى .

فقد سدت السلسلة الضخمة المرفأ طيلة الشتاء ، فقام (ليو) بفتحها لإغراء المسلمين لتنفيذ خططهم الهجومية . ولما اقتربت سفن المسلمين من المرفأ كانت سفن (ليو) بانتظارها ، فغمرتهم بالنار اليونانية ، وكانت النتيجة دماراً كاملاً للسفن المهاجمة فقد انهالت عليهم النار اليونانية من كل جهة : من السفن ، ومن أسوار المدينة ، ومن البر . وفي الارتباك الذي نتج عندما

(١) فتح القسطنطينية (٣٩ - ٤٠) .

(٢) تشبه هذه المحاولة ما فعله الجيش الألماني =

(١) الطبرى (٥٣/٦) .



وأمره بالقول منها بمن معه من المسلمين^(١) ووجه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً، وحث الناس على معونتهم، وكان عدد الخيل التي وجهها لمسلمة خمسمائة فرس^(٢)، لأنه كان قد أصاب

(١) قبالة المصادر الأجنبية في خسائر مسلمة ويجمل ما ذكرته تلك المصادر: جاء شتاء سنة ٧١٧م - ٧١٨م بثلج دام ثلاثة أشهر، فأت عدد كبير من جنود مسلمة بالبرد وداء الزحار. وفي ربيع سنة ٧١٨م، وصل أسطول احتياطي من مصر وجيش جديد من طرسوس. واحتل هذا الجيش شاطئ البسفور الآسيوي، ورسا الأسطول في مياهه، فتسللت سفن النار الرومية إلى مرسى الأسطول، المصري فأحرقتة، ونزلت قوة من الروم، وراء الجيش الجديد فباغتته ومزقته إرباً. وبدأت المجاعة تهاجم صفوف مسلمة، ثم فاجأه البلغاريون من الورا. فقتلوا من رجاله عشرين ألفاً، فراجع عن عاصمة الروم بعد أن فقد معظم جيشه، وتعرض لباقي من أسطوله لعاصفة في بحر إيجه، فلم يعد إلى شواطئ الشام سوى خمس سفن فقط، انظر التفاصيل، في (Canard, M., Expéditions Arabes, Journal Asiatique, 1929. 102-80).

والمبالغة واضحة للغاية، إذ كيف تسللت سفن النار الرومية إلى مرسى الأسطول المصري فأحرقتة!! أكان هذا الأسطول في سبأ عميق؟ ألم يدافع عن نفسه؟ وكيف فاجأ البلغاريون جيش مسلمة من الورا!! ألم يتخذ مسلمة تدابير الحماية؟ ألم يكن له دوريات وأرصاد؟ ثم كيف يمكن أن يتسلل البلغاريون من وراء جيش مسلمة ومن أين؟ تلك مبالغات لا تستحق الرد عليها لأنها لا يمكن أن تحدث في الحرب فعلاً.

(٢) الطبري (٥٥٣/٦) وانظر ابن الأثير) =

ولكن لم يكتب لمحاولته النجاح. ولم يكن مسلمة بدرجة من الغفلة بحيث لا يدري ما حل بجيشه مادياً ومعنوياً، وبخاصة بعد نجاح (ليو) في تكديس الأرزاق الكافية لقواته، وكان مسلمة يعلم أن المسلك الوحيد المفتوح أمامه هو: الانسحاب.

ولكن أمر هذا الانسحاب لم يكن بيده، بل كان بيد الخليفة سليمان الذي كان مرابطاً في (دابق)، معنياً بفتح القسطنطينية أشد العناية، ولا يرضى بالانسحاب ولا يوافق عليه.

انظر خريطة القسطنطينية (ص ٧٣).

ومات سليمان بن عبد الملك بدابق لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين الهجرية^(١)، فتولى الخلافة من بعده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فوجه إلى مسلمة وهو محاصر للقسطنطينية

= سنة ١٩٤٤ في الهجوم على قوات الحلفاء المتفوقة في الجبهة الغربية، وأطلق على عملياته اسم: تعرض الأديين، انظر التفاصيل في كتاب: المشرقيون رونشت (٢٧٠ - ٢٨٨).

(١) الطبري (٥٤٦/٦) وابن الأثير (٥/٣٧) والعب (١١٨/١) والمسعودي (١٨٢٣/٣) وفي شذرات الذهب (١١٦/١) والعيون والحدائق (٢٣)، أن سليمان توفي لعشر غلات من صفر سنة تسع وتسعين الهجرية، وكذلك في التنبيه والأشرف (٢٧٥).

المسلمين مجاعة فقواهم بذلك^(١) .
وكان قرار عمر بن عبد العزيز
بإانسحاب مسلمة حصيفاً صائباً ،
لأن عمر غير ميال إلى حروب الفتح
والاستيلاء^(٢) ، بل لأن موقف
المسلمين المحاصرين للقسطنطينية كان
ميتوساً منه ، فأمر بإسحابهم حقناً
لدمائهم^(٣) . بعد أن بلغ بهم الجهد^(٤) ،
إذ لم يغفل أبداً عن غزو الروم دفاعاً
عن حدود أرض الشام الشمالية . وليس
صحيحاً أنه لو طال أجله لأجلى المسلمين
عن الأندلس ، لأنه رأى مقامهم فيها
غير طبيعي لإحاطة الأعداء بهم^(٥) ،
لأن (ناربون) من أعمال الأندلس
فتحت في أيامه وحصنت^(٦) ، كما
سمح بامتلاك الفاتحين للأرض في

الأندلس ، مستهدفاً تعلق المسلمين
بأرضهم عن طريق امتلاك الأرض ،
وقيل : إنه اتخذ عمر بن الخطاب رضي الله
عنه مثالا له فيما عمله بالهند ، فلو لم يعط
عمر بن الخطاب المحاربين الأرض في
الهند ، لكان الدفاع عن هذا القطر
مستحيلاً^(٥) . وبالطبع لم تفتح الهند في
أيام عمر بن الخطاب ، والمقصود بالهند
المناطق المتاخمة لها من بلاد فارس .

أما سبب رد جيوش المسلمين من
الشرق ، ومنعهم من التوغل فيه قائلين :
« يكفى ما فتح الله على المسلمين من
فتوح »^(١) ، فسببه المباشر تردى
الأوضاع العسكرية في تلك المناطق .
والواقع أن عمر بن عبد العزيز ورث
تركة مثقلة بالفوضى ، فكان همه الأول
موجهاً إلى السياسة الداخلية ، فأحدث
تغييراً فيها^(٢) ، إذ ليس من المعقول
أن تصبح بلاده بالفوضى وهي قاعدة
الفتح ومرتكزة ، ثم يصرف همه إلى
الفتح ، فيكون كالذى يشيد قصراً على
جرف هار .

كما أن مد الفتح الإسلامي كان قد
بلغ أوجه ، وفقد الدافع الأول لاستمراره ،

(٤٣/٥) = (٣٩) والعيون والحدائق وانظر سيرة
عمر بن عبد العزيز (٣٢) وانظر المعارف
(٣٦٠) والبداية والنهاية (٣٢٨/٩) وتاريخ
خليفة بن خياط (٣٢٦/١) .

(١) العيون والحدائق (٣٩) ، وانظر سيرة
عمر بن عبد العزيز (٣٢) .

(٢) يوليوس ولها وزن - الدولة العربية وسقوطها
(٢١٨) .

(٣) خطط الشام (٥٥٢/١) .

(٤) خطط الشام (٥٥٢/١) .

(٥) الدولة العربية وسقوطها (١٨) .

(٦) Dozy, Recherches (1881), 1^o 16 .

(١) خطط الشام (٥٥٢/١) .

(٢) الدولة العربية وسقوطها (٢١٨) .

وهو الجهاد في سبيل الله ، فغيّر الناس ما بأنفسهم ، وأصبح أكثرهم يشهد الفتوحات للغنائم .

لقد أحسن سليمان بن عبد الملك في الإعداد والإمداد ، فقد وضع مهمة فتح القسطنطينية فوق كل مهماته العسكرية والإدارية ، وجعل لها الأسبقية الأولى على كل أعماله الأخرى ، وقضى أيام خلافته كلها في (دابق) ، وأرسل ولده داود إلى القسطنطينية مع مسلمة^(١) ، دليلاً على شدة حرصه على فتحها ، وأمر مسلمة : أن يقيم على القسطنطينية حتى يفتحها أو يأتية أمره^(٢) ، فلم يأمره بالانسحاب حتى توفاه الله دليلاً على إصراره البالغ على تحقيق الفتح .

كما أحسن مسلمة في قيادته ، فبقى محاصراً للقسطنطينية ثلاثين شهراً حتى أكل عسكره الميتة والعظم وقتل منهم خلق كثير^(٣) ، فما وهن ولا توانى

(١) العيون والحدائق (٣٨) وبقي مع مسلمة إلى نهاية الحملة .

(٢) العيون والحدائق (٣٢) ومختصر تاريخ البشر لأبي الفدا (٢٠٠ / ١) .

(٣) البدء والتاريخ (٤٤ / ٦) ، وقد بدأ الحصار في ١٥ آب (أغسطس) ٧١٦ م وانتهى في ١٥ آب (أغسطس) ٧١٨ م كما تنص على ذلك المصادر الأجنبية ، وبذلك يكون حصار المسلمين

للقسطنطينية عامين لا ثلاثين شهراً ، أما المصادر العربية فتتنص على أن الانسحاب جرى في أيام عمر بن عبد العزيز أى في تشرين الأول (أكتوبر) سنة ٧١٨ م أى أن حصار المسلمين للقسطنطينية سستان وشهران .

وأرى أن المسلمين لا يمكن سحبهم بعد استلام أمر الانسحاب مباشرة ، أى بعد تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة مباشرة ، فلا بد من اتخاذ تدابير الانسحاب حسب خطة مرسومة حتى لا ينقلب - الانسحاب إلى هزيمة ، وهذا يستغرق ما لا يقل عن أربعة أشهر ، لإمكان ترقيق الجبهة والانسحاب تدريجياً ، وبذلك يكون ما جاء في : البدء والتاريخ ، من حصار المسلمين للقسطنطينية لمدة ثلاثين شهراً صحيحاً وأقرب إلى المنطق العسكري . وانظر أيضاً : مختصر تاريخ الدول (١١٤) حول حصار المسلمين للقسطنطينية لمدة ثلاثين شهراً .

وفي البداية والنهاية (٣٢٨ / ٩) : فلما ولى عمر بن عبد العزيز أرسل إليهم بالبريد يأمرهم بالرجوع إلى الشام فحلف مسلمة أن لا يقلع عنهم حتى يبنوا له جامعاً كبيراً بالقسطنطينية ، فبنوا له جامعاً ومئذنة ، فهُوبها إلى الآن يصل ، فيه المسلمون الجمعة والجماعة . . . انتهى .

أقول : لا نستبعد أن الروم بالرغم من رجحان كفتهم في الأشهر الأخيرة من حصار القسطنطينية إلا أنهم كانوا يثمنون انسحاب المسلمين عنهم ، لطول بقائهم محاصرين ، ولخوفهم من قدوم إمدادات جديدة من الرجال والأرزاق ترجح كفة المسلمين عليهم ، لذلك رضخوا لشرط مسلمة وبنوا جامعاً ، ومما يدل على ضعف قوة الروم في أيام انسحاب مسلمة ، عدم قيام الروم بمطاردة المسلمين في أثناء انسحابهم .

لقد كانت قوات الروم قادرة على تحمل أعباء

وبدونه يبقى الإسلام جثة هامدة بدون روح .

ولم يستطع المسلمون الذين كانوا بقيادة مسلمة فتح القسطنطينية من جراء أخطاء سوقية أو تعبوية ارتكبتها قيادتهم القادرة ، ولا من جراء تهاون قواتهم وضعفها ، ولكنهم أخفقوا في فتحها لأسباب عسكرية قاهرة : منها مناعتها الطبيعية والاصطناعية التي سهلت أمر الدفاع عنها ، ولرصانة أسوارها وخنادقها المحيطة بها بقوة ومتانة ، ولأن الحصار من جراء ذلك طال أمده كثيراً فاستغرق ثلاثين شهراً ، والعرب في طبيعتهم لا يصبرون على حصار طويل الأمد ، ولأن برد شتاء سنة تسع وتسعين الهجرية (٧١٨م) كان قارساً شديداً بصورة غير اعتيادية^(١) ، والعرب لا يتحملون البرد القارس الشديد ، وهذا البرد غير الاعتيادي حرمهم من الإمدادات العسكرية والتموينية ، والجندى لا يقوى على البرد وهو جائع ، وأخيراً وليس آخراً مقاومتهم بسلح جديد لا علم لهم بأسلوب الوقاية منه وليس لديهم سلاح يقاومه ، وهو النار اليونانية التي فتت استعمال الروم لها في مقاومة العرب وأثر في معنوياتهم وكبتهم خسائر فادحة بالأرواح والسفن والمعدات .

(١) العيون والحداث (٣٢) .

ولا ضعف عن النهوض بواجبه .

كما أحسن عمر بن عبد العزيز في قراره بانسحاب المسلمين عن القسطنطينية ، لأن الموقف العسكري كان يتطلب إصدار مثل هذا القرار ، ولو كانت كفة المسلمين راجحة في حينه ، لكان من المستحيل عليه الأمر بانسحاب المسلمين ، ولكن هناك مسوغ للدعاء بأن عمر بن عبد العزيز غير مبال لحروب الفتح ، دون تمحيص للموقف العسكري الراهن .

إن عمر بن عبد العزيز ، مظلوم بهذا الادعاء الذي صدر عن مؤرخين غير عسكريين ذوى اختصاص بالقضايا العسكرية ، ومثل هذا الحكم خارج نطاق اختصاص المدنيين ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ولم يكن عمر بن عبد العزيز وشهرته كلها في حرصه على تطبيق تعاليم الدين الخفيف ، ليجمّد فرض الجهاد ، وهو روح الإسلام الحركي ،

= حرب دفاعية ، ولكنها لم تكن قادرة على تحمل أعباء حرب تعرضية ، لذلك لم يستطيعوا مطاردة المسلمين بعد انسحابهم .

وفي حوادث سنة خمس وخمسين وأربع مئة ، أن ملك الروم عمّر جامع مسلمة في القسطنطينية إرضاءً لطغرى لبلك ، وعلق فيه القناديل ، وجعل في محرابه قوساً ونشاباً ، انظر ابن الأثير ٢٨/١٠ .

في كل ما يؤثر في نتائجها من قريب أو بعيد^(١).

إن حصار القسطنطينية^(٢) كان

(١) ورد في كتاب : فتح القسطنطينية ، ما نصه : لو سقطت القسطنطينية عام (٧١٧م) ، لما عاشت المسيحية ، ولذا فالعالم المسيحي مدين إلى (ليو الثالث) . بالحفاظ على المدينة والمسيحية لمدة (٥٠٠) سنة أخرى ، ولولا لكان من المحتمل جداً أن يتبدل مجرى التاريخ ، فلو نجح المسلمون سنة (٧١٧م) ، لكان من المحتمل أن يكون عالمنا إسلامياً بحتاً .

أقول : وهذا الادعاء لا يخلو من مبالغة ، لتضخيم انتصار الروم وجعله من الانتصارات الحاسمة في التاريخ .

وقد فتحت القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح ، فأصبحت أوروبا إسلامية بحتة ، وبقي المسيحيون على دينهم في تلك المدينة وفي البلاد التي فتحها العثمانيون ، وقد فتح المسلمون أرض الشام والعراق ومصر في الصدر الأول للإسلام على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولا يزال المسيحيون في تلك البلاد حتى اليوم !

(٢) أفاض (بروكس E. W. Brook) في سرد غزوات المسلمين في آسيا الصغرى ، مستقيماً معلوماته مع التعليق عليها في بحثه الموسوم : « العرب في آسيا الصغرى من سنة (٦٤١م إلى سنة ٧٥٠م) وعنوان بحثه (The Arabs in Asia Minor, G41 To 750) المنشور في مجلة الدراسات الهلينية المجلد (١٨) سنة (١٩٨م) .

(Journal of Hellenic studies)

وقد عالج موضوع حصار القسطنطينية العظيم في أيام خلافة سليمان بن عبد الملك في مقال نشره في مجلة الدراسات الهلينية أيضاً (المجلد ١٩) =

وتاريخ الحرب في جميع العصور ، يقرر أن من أهم أسباب عوامل النصر هو : استعمال سلاح فتاك جديد لا يتوقعه الخصم ، أو استعمال أسلوب قتالي جديد لا يتوقعه الخصم ، أو استعمالهما معاً في الزمان والمكان المناسبين بشكل لا يتوقعه الخصم ، وكل ذلك يباغت هذا الخصم ويربك قيادته وخططها المرسومة ، والمباغتة كما هو معروف هي أهم مبادئ الحرب على الإطلاق .

ومن الإنصاف أن نضيف إلى عوامل انتصار الروم في الدفاع عن القسطنطينية عاملاً آخر هو : كفاية (ليو الثالث) المتميزة في القيادة ، وتشبعه بمزية إرادة القتال .

وإذا كان هناك ما يلام عليه مسلمة في حصار القسطنطينية ، فهو عدم استفادته كما ينبغي من صفحة : (المبادرة) ، في التركيز بالهجوم على المدينة المحاصرة وإدامة زخم الهجوم عليها أولاً ، وثقته غير المحدودة بحليفه (ليو) ، لأن الذي يخون بلاده وقومه أولى أن يخون غير بلاده وغير قومه ، فكانت هذه الثقة العمياء بهذا العميل لأمسوخ لها ثانياً ، فالحرب من القضايا المصيرية ، ولا بد من إدخال أسوأ الاحتمالات

تلك الأيام ، بل كانت مضطربة تسودها الفوضى والفتن والقلاقل والاضطرابات ، فكانت الدولة في شغل شاغل لإقرار الأمن الداخلي ، ولم تكن في موقف يسمح لها بالانطلاق في مجالات الفتوح .

وقد استفاد الروم من دروس حصار القسطنطينية استفادة كبيرة ، فكانوا يطبقونها في الدفاع عن مدينتهم منذ انسحب المسلمون عنها بقيادة مسلمة ، وفي صدِّ محاولات غيره من القادة المسلمين من بعده لفتحها ، وفي دفاعهم عنها حتى أيام السلطان محمد الفاتح^(١) ، وهذا مكسب عظيم للروم .

لقد كان حصار القسطنطينية ملحمة رائعة بالنسبة للمسلمين والروم على حد سواء . (البقية في العدد القادم)

(٣) انظر سيرته في كتابنا : بين العقيدة والقيادة - ص (٣٥١ - ٤٦٦) ، وانظر ما جاء فيه حول غلق القرن الذهبي بسلسلة حديدية هائلة في ص (٣٥٦) من هذا الكتاب ، وهو درس عسكري استفاده في ذلك الزمن المتأخر امبراطور الروم حينذاك من (ليو الثالث) الذي كان أول من استعمل مثل هذه السلسلة في أيام حصار القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك .

ومن المعلوم أن السلطان محمد الفاتح فتح القسطنطينية يوم الثلاثاء (٢٠ جنادى الأولى سنة ٨٨٧٥ ٢٩ مايس - مايو - ١٤٥٣ م) ، انظر ص (٤٠٦) من : بين العقيدة والقيادة :

ملحمة من ملاحم تاريخ الحرب المهمة ، ولكنها لم تكن معركة حاسمة من معارك تاريخ الحرب ، على الرغم من محاولات المؤرخين الأجانب اعتبارها معركة حاسمة ، بادعائهم أن المسلمين لو فتحوها لأصبحت أوروبا قارة إسلامية^(٢) .

والواقع أنها كانت معركة تعبوية ، ولو فتحها المسلمون حينذاك ، لأصبحت حدود الدولة الشimalية أكثر أمناً واستقراراً ، وربما امتدت الفتوح إلى قسم من بلاد غرب أوروبا ؛ لأن أوضاع الدولة الإسلامية داخلياً ، لم تكن مستقرة في

= لسنة ١٨٩٩ م) بعنوان : « حملة سنة (٧١٦ م) إلى سنة (٧١٨ م) بحسب المراجع العربية : (The Campaign of 716 to 718 from Arabis (J. B. Bury

وتناول هذا الموضوع من الجانب البيزنطى الأستاذ (J. B. Bury) في كتابه : (The History of the Later Roman Empire) المجلد الثانى - ص (٤٠١) .

وهناك دراسات في هذا الموضوع كثيرة ، ترجم بعضها إلى العربية ، وكلها تجعل حصار القسطنطينية معركة حاسمة ، وهى ليست كذلك بحال من الأحوال .

(١) انظر مثلاً ما جاء في كتاب : فتح القسطنطينية - برناردين كيلتى (Bernardine Kielty) ص (٤٠) ، وقد ذكرنا نص ما جاء ، في هذا الكتاب سابقاً .

بين الموالاة والمعاداة

(٣)

الركنور عبر الفتح عبر الله بركة

موقف المسلم

والفرق بيننا وبينه ، أنه يبادرنا بعداوته ،
وأن عداوتنا له رد فعل ، وأن عداوته
لنا في سبيل الباطل ، ونحن نعاديه في
الحق ، ولا يستوى من يبادرك بعداوته
مبطلا حين ترد عداوته محققاً ، لذلك
أمر الله المؤمنين بجهادهم والإغلاظ عليهم
فقال : (يأيتها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم
وبئس المصير) (التوبة ٧٣ والتحريم ٩)
وذكر للمسلمين موقفاً من مواقف
الفصل بين الحق والباطل ، بين
التوحيد والشرك ، بين الإيمان والكفر ،
ذلك هو موقف سيدنا إبراهيم عليه
السلام ، وكيف أنه كان لا يزال
يأمل في هداية قومه وأهله ، فلما تبين

تبينا في المقالين السابقين^(١) أن
موالاة الكافرين بأى شكل من أشكال
الموالاة محرمة في الإسلام تحريماً
قاطعاً صريحاً مؤكداً ، حتى قيل :
إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه
من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ،
بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده .

فماذا يكون موقف المسلم ! ؟

لقد أصبح واضحاً تمام الوضوح .

إنه ما دام الكافر يظهر العداوة حين
يستطيع ، ويضمهرها عندما يضطر ،
فإننا نكون من السداجة والغفلة إن لم
نبادله عداوته بمثلها .

(١) في العدد الثامن (عن شهرى شوال
وذي القعدة ١٣٩٧هـ) وفي الجزء السادس (عن
شهر شوال ١٣٩٨هـ) من مجلة الأزهر .

رب لا تذّر على الأرض من الكافرين
دياراً ، إنك إن تذّرهم يضلّوا عبادك
ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً (نوح
٢٦ : ٢٧) .

وهذا سيدنا موسى عليه السلام
(وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون
وملأه زينة وأمّوالاً في الحياة الدنيا ربنا
ليضلّوا عن سبيلك ربنا اطمس على
أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الأليم) (يونس ٨٨) .
ولقد تهدد الله المسلمين في معرض
الحديث عن موالاة اليهود والنصارى
ووصف ذلك بالارتداد ، وبأن الله
قادر على أن يستبدل بهم قوماً يحبهم
ويحبونه ، يكونون أذلة على المؤمنين ،
أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل
الله دون خوف .

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء
بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله
لا يهدي القوم الظالمين ، فترى الذين في
قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون
نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن
يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصيبحوا
على ما أسروا في أنفسهم نادمين ،
ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا

له ثباتهم على الكفر تبرا منهم ، ونايذهم
العداوة ، وأعلنهم بالبغضاء .

إنه لا محبة ولا مودة ولا رحمة ولا موالاة
إلا في الله سبحانه وفي سبيل الله ، ومن
خرج على سبيل الله فلا ولاء له ولا مرحمة .

(قد كانت لكم أسوة حسنة في
إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا
برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحدّه
إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك
وما أملك لك من الله من شيء) .
(الممتحنة ٤) ، ثم ذكر الله عدول
سيدنا إبراهيم عليه السلام عن الاستغفار
لأبيه بعد أن تبين له أنه عدو لله ،
فقال : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه
إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له
أنه عدو لله تبرأ منه) (التوبة ١١٤) .

والمسلمون مأمورون أن يتخذوا من
هذا الموقف العظيم أسوة ، كما قال الله
في أول الآية (قد كانت لكم أسوة حسنة
في إبراهيم والذين معه) .

وهذا سيدنا نوح عليه السلام ،
ماذا قال عندما عرف أنه لن يؤمن من
قومه إلا من قد آمن ! ؟ (وقال نوح

بالله جهد أيمانهم إنهم لمحكم حببط أعمالهم فأصبحوا خاسرين ، يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راکعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ، يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، وإذا ناديتُم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (المائدة ٥١ : ٥٨) .

وفي هذه الآيات يظهر بجلء أنها إحدى ولايتين :

إما ولاية الله ورسوله والذين آمنوا ، وإما ولاية الكافرين من أهل الكتاب والمشركين ، وأنه من وإلى طرفاً فهو منه وإليه ، وأن المسلم لا يصح أن يكون انتأؤه وولأؤه إلا للمسلمين ، وأن الكافر لا تقبل منه دعوى الولاء للمؤمنين ، بل ينبغى أن نجعل ولاءهم بينهم ، لأن

تظاهروهم بشيء من ولائنا تحت أى ظرف من الظروف يخفى وراءه عداوة مستكنة لا تهدأ ولا تخبو (وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون) (المائدة ٦١) ، (إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون) (الممتحنة ٢) .

(وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خضتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً) (النساء ١٠١)

(ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) (النساء ١٠٢) .

وهكذا حدد الله ولاية الكافرين . وجعلها فيما بينهم ، وجعل المسلمين براء منها ، وحذر عواقب مخالفة هذا القانون الإلهى بقوله (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) (الأنفال ٧٣) وطالب بمعاداتهم ومناذتهم بهذه العداوة صراحة وعلانية ، دون أن نخاف فى ذلك لومة لائم ، وإلا استبدل الله بنا غيرنا ولقد وصف الله سبحانه وتعالى سيدنا محمداً وأصحابه ، صلى الله عليه

(النساء ٧١) وحث على قتالهم عندئذ مبيناً أن ذلك إنما هو دفاع عن الحق وأهله ، وأنه لا يستوى من يقاتل في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الطاغوت (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ، وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ، الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) (النساء ٧٤ : ٧٦) .

ولقد حث الله سبحانه وتعالى على مقابلة عداوتهم بعداوة مثلها حتى لا نستأصل وتدور علينا الدائرة ، ونصبح فإذا بنا قد غضب الله علينا ، واستبدل بنا قومًا غيرنا .

(ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) (التوبة ١٣) (يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا

وسلم ، بهذا الوصف الجميل في آخر سورة الفتح فقال (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) .

ومن هنا يتبين أن من أهم القواعد التي تضعها عقيدة التوحيد للمحافظة على تماسك المجتمع الإسلامي وسلامته هي قاعدة الموالاة والمعاداة . وأن ولاء المؤمنين بعضهم مع بعض مقابل ولاء الكافرين بعضهم مع بعض يحفظ على المجتمع الإسلامي تماسكه من الداخل ، وأن عداوة المسلمين للكافرين في مقابل عداوتهم للمسلمين يحفظ على المجتمع الإسلامي كيانه وهيكله العام وسلامته من العدوان الخارجي .

ولقد حذرنا الله منهم ، وطلب منا أن نكون دائماً على استعداد للمقابلة عدوانهم (يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً)

الله به وما حذرهم منه، فتفتت وحدتهم ،
وتفرقت كلمتهم ، وتمزقت أمتهم ،
ودالت دولتهم ، وزالت خلافتهم ،
وتمكن منهم أعداؤهم من المشركين
وأهل الكتاب ، وتسلبوا عليهم ،
وأخرجوهم من حكم الله إلى حكم الطاغوت ،
وصار بأس المسلمين فيما بينهم ،
وأصبحوا شيعاً يذوق بعضهم بأس بعض ،
وما نزال تحت فتنهم حتى يردونا عن
ديننا إن استطاعوا .

وقد أصبح المسلمون على يقين من
أصل الداء ، ومع ذلك لا تزال الغفلة
تضرب عليهم أطباؤها ، ولا يزالون
يؤثرون كل كافر وكل ملحد ، مهما
يكن ذنب الأصل ، داني المنزلة ، على
أى مؤمن ، مهما يكن رفيع القدر ،
على الكرامة . بل إنهم يضعون
السيف في أعناق إخوتهم من المؤمنين ،
رغبة في إرضاء هؤلاء الكفرة ، ويتشبهون
بحكم الطاغوت دون حكم الله اكتساباً
لمودتهم ، وأى شيء أكثر من ذلك
يتمناه عدو من أعدائنا (يريدون أن
يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن
يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم
ضلالاً بعيداً) . (النساء ٦٠) . وارجع
بصرك حيث شئت من العالم الإسلامي ،

في سبيل الله اثاقلم إلى الأرض أرضيتم
بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة
الدنيا في الآخرة إلا قليل ، إلا تنفروا
يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً
غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل
شيء قدير » (التوبة ٣٨ : ٣٩) .

ويجب أن يظل هذا المعنى ماثلاً
أمام أعيننا واضحاً في ضمائرنا ، مهما
أظهروا لنا من المودة ، وبذلوا لنا من
البشاشة ولين الجانب (ما يود الذين
كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين
أن ينزل عليكم من خير من ربكم)
(البقرة ١٠٥) ولا تأخذنا ساحة الإسلام
وحسن معاملته إلى المدى الذي يغطي
أعيننا عن رؤية عداوتهم ويمنعنا من
التألم لما يصيبوننا به من جراح ، إنهم
إن يهدؤوا ولن يناموا إلا ريثما تواتيهم
الفرص لإيذائنا والتسلط علينا أو
إخراجنا من ديننا (ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)
(البقرة ١٢٠) (ودوا لو تكفرون كما
كفروا فتكونون سواء) (النساء ٨٩) .
وعندما غفل المسلمون عن هذه
الحقيقة ، واتخذوا الكافرين أولياء من
دون المؤمنين ، واستنصروا بهم على
إخوتهم وبني دينهم حق عليهم ما توعدهم

وإذا كنا نريد التعجيل بهذه الصحوه ، فعلينا أن نعجل بإيضاح هذه الحقيقة ونشرها ، وإبرازها بصوة قوية شاملة .

(هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) (آل عمران ١١٩) .

(بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) (آل عمران ١٥٠) .

(ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) (محمد ١١) .

عن البراء بن عازب : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أى عرى الإسلام أوثق ! ؟ قال : قلنا : الصلاة .

قال : حسنة ، وما هى بها !

قلنا : صيام رمضان .

قال : حسن ، وما هو به !

قلنا : الجهاد .

قال : حسن ، وما هو به ، إن أوثق عرى الإسلام أن تحب فى الله وتبغض فى الله .

رواه أحمد وابن أبى شبة والبيهقى كما روى الطبرانى عن ابن عباس

هل ترى لغير الكافر كلمة تطاع أو لغير أعوانهم رتبة أو منزلة ، أو لغير المسارعين فيهم منصباً أو جاهاً ، اللهم إلا من عصم الله ولم يدعوا له غناء .

ولا عودة للأمة الإسلامية ، ولا صحوه لها ، ولا نهضة يمكن أن تنهض بها من كيوتها ، ما لم تأخذ بهذا الدواء الأساسى ، الذى يساهم فى إعادة الحد الأدنى من الصحوه لها ، وهو الموالاة والمعاداة ، الموالاة فى الله ، والمعاداة فى الله ، ولاية الله ورسوله والمؤمنين ، وعداوة الشيطان وأهله من الملحدين والمشركين وأهل الكتاب ، أن نجعل ولاءنا خالصاً لكل مسلم ، مهما تكن علاقتنا الدنيوية به ، وأن يكون عداؤنا خالصاً لكل كافر ، مهما تكن علاقتنا المادية به ، وأن نبذل جهدنا لإشاعة هذه الولاية بين المؤمنين بعضهم مع بعض وتنبههم لإيها ، وإيقاظهم وتنبههم إلى عداوة الكافرين لهم مهما تكن مسترة أو مقنعة ، إننا بذلك نسهم فى إعادة الصحوه إلى جسد الأمة الإسلامية المتهالك المتخثر بالجراح .

ولسوف تظل صحوه الأمة الإسلامية رهينة بإدراك هذه الحقيقة ، والعمل بمقتضاها .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة
في الله ، والحب في الله ، والبغض في
الله عز وجل .

فرق بين العداوة والعدوان :

وينبغي عدم الخلط بين أمرين :
العداوة ، والعدوان .

إنه ليس من الضروري حين توجد
العداوة أن يقع عدوان ، بل يمكن أن
يحل السلام مع ثبوت العداوة .

والمسلمون بحكم إسلامهم وبحكم
اتباعهم للحق لا يبدؤون بعدوان ،
ولكنهم كذلك لا يقبلونه ، ولا يستسلمون
له ، والمسلمون أولى الناس بالحرص على
السلام إذا وجدوه ، لأن الحق ينمو
ويتنشر في ظل السلام أكثر مما يكون
في ظل الحرب ، لذلك يسارعون عندما
يجدون في عدوهم ميلاً إلى السلام ،
تحقيقاً لقوله تعالى (وإن جنحوا للسلم
فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع
العليم) (الأنفال ٦١) .

بل إنهم يتجاوزون ذلك إلى إحسان
المعاملة وإقرار العدل والقسط وتنفيذ
ما يتم بينهم وبين الآخرين من عقود
وعهود بمنتهى الأمانة والدقة ، وقد أمرنا

الله بذلك في قوله (يأيتها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا
هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله
خبير بما تعملون) (المائدة ٨) ، ولقد
فعلوا ذلك حتى مع المشركين حين كان
لهم عهد فقال : (إلا الذين عاهدتم من
المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا
عليكم أحداً فأتوا إليهم عهدهم إلى
مدتهم إن الله يحب المتقين) (التوبة ٤)
وقال : (إلا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
إن الله يحب المتقين) (التوبة ٧) .
والفصل بيننا وبينهم هو العدوان
بأى صورة كان ، فإذا وقع منهم عدوان
فلا عهد بيننا ولا أمان ، (فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم) (البقرة ١٩٤) .

بل إن ساحة الإسلام تتجاوز هذا
الحد في إحسان معاملتهم فيقول جل
شأنه (لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله
يحب المقسطين) (الممتحنة ٨) .

لهذا ينبغي أن لا يخطر في بالنا
أن قاعدة الموالاة والمعاداة الإسلامية

على ديار الإسلام ، أنهم لا عهد لهم
ولا أيمان ، وصدق فيهم قول الله ،
ومن أصدق من الله قيلا (إن يثقبوكم
يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم
وأستنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون)
(الممتحنة ٢) .

لهذا فإنه ينبغي أن نكون أشد وعياً
وأعظم حرصاً ، وأن نكون أكثر
انتباهاً وحذراً ، وأن نكون أتم التزاماً
بقاعدة الموالاة والمعاداة الإسلامية .

والله تعالى أعلم .

الدكتور عبد الفتاح عبدالله بركة

تمنعنا من أن نعامل بالحسنى من يحسن
معاملتنا منهم ، ما دامت معاملتنا معهم
على مقتضى القواعد والنظم المعتبرة ،
والمتفق عليها بيننا وبينهم ، بحيث
لا يكون فيها مساس بالإسلام ،
ولا بأوطان المسلمين وحقوقهم ومصالحهم
وبحيث لا تتعارض مع القواعد والنظم
التي أقرها الإسلام ونظم بها مختلف
العلاقات بين المسلمين وغيرهم من سائر
الأديان .

نعم ، قد علمتنا التجارب ، خاصة
في هذه الأيام التي ساد فيها سلطانهم

ما ينبغي للفقير

أن يلزم القناعة ، وأن يكتم الفاقة ، وأن يتجنب البذالة
والتضعع ، وأن يطمح لا يطمع ، وأن يستبشر الخير
ويتأهب له .

في مواجهة الإلحاد المعاصر

دكتور / يحيى هاشم

(٥)

اتجاهات في الفكر الإسلامي لنقد العقل المستقل

من الضلال». وانتهى فيه إلى أنه لم يتوصل إلى اليقين بالحس ، أو بالعقل ، وإنما بالنور الذي قذفه الله في قلبه . فهو موقف جليل مشهور .

لكن ما نراه جديراً بالتنويه هو موقف الإمام الرازي الذي ينظر إليه باعتباره قمة الاتجاه العقلي في علم الكلام . فله مواقف أخرى لم تشتهر عنه .

لقد وجدنا الإمام الرازي في كتابه (المطالب العالية) يثبت حيرته ،

واتهامه العقل بالعجز عن الوصول إلى الحقيقة في مسائل خالف فيها الأشاعرة

واختار التوقف :

في مسألة جواز رؤيته تعالى . أو العكس . . .

في مسألة حدوث العالم أو قدمه . .

تحدثنا في المقالات السابقة عن استحالة استقلال العلم والعقل عن الدين في تحصيل المعرفة والوصول إلى اليقين وبيننا أن العقل لا بد له من أساس إيماني تسليمي يقوم عليه ، ووجدنا هذا الأساس في الفطرة ، أو في الضرورة العملية ، وبقي علينا في هذا المقال أن نبين موقف الفكر الإسلامي من اتجاهنا إلى إقرار الحدود التي تُحدِّد العقل ، وتمنعه من أداء القدرة على تحصيل المعرفة اليقينية وتجعله قاصراً عن ذلك إلا أن يستقي هذه المعرفة من إيمان سابق بالله .

إننا نجد في تراثنا الأصيل ما يعضد موقفنا هذا . . .

١ - لسنا بحاجة إلى التنويه بموقف

الإمام الغزالي الذي سجله في « المنقذ

الحجة بوجه آخر يدخل فيه إلى جانب خفاء علم الإنسان بذاته ، خفاء علمه بالمكان والزمان والجسم . وهو يوضح كيف خفي علينا العلم بهذه الأمور .

والحجة الثانية :

تشبيهه قوة البصيرة بقوة البصر ، فقوة البصر تخفي عليها المبصرات الحقيرة الضعيفة ، والمبصرات القوية القاهرة ، كقرص الشمس عند غاية لمعانه وإشراقه ، ولا تبصر بإحاطة وتعام إلا المبصرات المعتدلة أو المتوسطة فكذلك قوة البصيرة تخفي عليها — المعلومات الضعيفة الحقيرة والمعلومات القاهرة العالمية المقدسة وهذه أشرفها وأعلاها ذات الله وصفاته .

والحجة الثالثة :

قائمة على تقسيم العلوم إلى تصورية وتصديقية ، والتصورية أربعة أنواع الماهيات التي تدرك بالحوس ، والماهيات التي تدرك من نفوسنا إدراكاً ضرورياً كالألـم واللذة ، والماهيات التي ندركها بحكم فطرة عقولنا لتصورنا لمعنى الوجود والعدم والوحدة والكثرة ، والماهيات التي يُركَّبُهَا الخيال أو

في مسألة الجبر والاختيار^(١) . وهو ما جعله يقول :

رأيت في بعض الكتب أنه نقل عن عظماء الحكمة وأساطين الفلسفة أنهم قالوا : الغاية القصوى في هذا الباب الأخذ بالأولى والأخلق ، والتمسك بالجانب الأفضل الأكمل ، أما الجزم المانع من النقيض فقد لا يمكن تحصيله في بعض المباحث. وللقائلين بهذا القول أن يحتاجوا بوجوه . . ثم يذهب الرازي يقرر هذه الحجج :

فالحجة الأولى :

قائمة على أن علم الإنسان بذاته — وهو أظهر المعلومات عنده — (قد بلغ في الصعوبة والخفاء إلى حيث عجزت العقول عن الوصول إليه) .

فن باب أولى : يكون علمه كذلك في الإلهيات .

والرازي يسوق أدلة على أن علم الإنسان بذاته يكون أظهر من علمه بغيرها . ويسوق أدلته أيضاً على أن علم الإنسان بذاته قد بلغ الغاية في الصعوبة والخفاء ، ثم هو يقرر هذه

(١) انظر مقدمة المطالب العالية تحقيق

يركبها العقل من هذه الماهيات المتقدمة هكذا . . التصورات محصورة في هذه الأقسام وبالتالي فالتصديقات محصورة فيها ، وحقيقة الحق سبحانه مخالفة لجملة هذه الماهيات بأسرها . ثم يقرر أنه مخالف لها في سائر الوجوه . (وإذا كان كذلك وجب ألا يكون حقيقته متصورة للخلق بوجه من الوجوه وإذا لم تكن حقيقته متصورة للخلق كان الحكم عليها بالسلب والإيجاب البسيطين أو المركبين ممتنعاً .

الحجة الرابعة :

أن الانتقال من المعلوم إلى المجهول لا يعقل إلا بأحد ثلاثة وجوه : الاستدلال بالعلة على المعلول ، الاستدلال بالمساوى على المساوى ، الاستدلال بالمعلول على العلة . ولا يجوز الاستدلال على الله بأحد الوجهين الأولين ويمكن بالوجه الثالث . إلا أن الوسائط ما بين المعلول والعلة بحسب درجات الموجودات المجردة المقدسة كثيرة خفية (فلا جرم بقيت أكثر النفوس البشرية في درجة من درجات هذه المتوسطات . . بل نقول : أكثر الخلق بقوا في حضيض عوالم المحسوسات ، والشاذ القليل منهم

خلص من عالم الحس ، فيترقى من عالم المحسوسات إلى عالم الخيالات والقليل من أصحاب الخيالات انتقل إلى عالم المعقولات ، ثم في عالم المعقولات مراتب الأرواح المقدسة كثيرة فلا جرم أكثر العقول الواصلة إلى أنوار المعقولات تلاشت وفنت واضمحلت في أنوار تلك الأرواح المقدسة إلا من أيد بقوة قاهرة ونفس إلهية تترقى من زنجبيل المريخ إلى سلسبيل المشتري ومنه إلى كافور زحل ثم استعلى على الكل وترقى على الكل ووصل إلى الحضرة المقدسة عن لواحق الإمكان وغبار الحدوث واستسعد بقوله وسقاهاهم ربهم شرباً طهوراً^(١) .

وهذا مالا لاحظته ابن تيمية أيضاً
إذ يقول :

إن كبار العقليين معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية ، فإذا كان هكذا فالواجب تلقى ذلك من علم النبوات^(٢)

ويقول الإمام الرازي في خاتمة

(١) المطالب العالية للرازي . تحقيق د. عمران ص ١٠ إلى ٣١ .

(٢) الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية من مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ١٠٢ .

فخر الدين الرازي يقول (يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام وبكى) . عن شدات الذهب لابن العماد ٢١/٥ . وروى عنه أبيات يقول في آخرها :

ولم نستفد من يحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
عن وفيات الأعيان ٢ : ٢٦٦ وغيرها^(١)

ويقول الإمام الشاطبي :

(إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب ، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون . وقد دخل في هذه الكلية ذوات الأشياء جملة وتفصيلاً ، وصفاتها وأحوالها وأفعالها وأحكامها جملة وتفصيلاً . فالشيء الواحد من جملة الأشياء يعلمه الباري تعالى على التمام والكمال بحيث لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أحكامه ولا في أحواله .

بخلاف العبد فإن علمه بذلك قاصر ناقص^(٢) .

(١) انظر المطالب العالية . المقدمة للدكتور عمران ص ٨٨ - ٨٩ .
(٢) الاعتصام ج ٣ ص ٢١٦ .

الفصل الرابع والعشرين الذي عقده في إثبات وجود الله عن طريق التدبر في أجزاء العالم : (إن الدلائل التي ذكرها الحكماء والمتكلمون وإن كانت كاملة قوية إلا أن الطريقة المذكورة في القرآن عندي أنها أقرب إلى الحق والصواب . وذلك لأن تلك الدلائل دقيقة وبسبب ما فيها من الدقة انفتحت أبواب الشبهات وكثرت السؤالات . وأما الطريق الوارد في القرآن فحاصله راجع إلى طريق واحد ، وهو المنع من التعمق والاحتراز عن فتح باب القيل والقال .. ويقول في مرضه الذي توفي فيه :

(ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوى التي وجدتها في القرآن العظيم ، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات . وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية . .

عن : «عيون الأنباء ٤٦٧ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣٧:٥ المطبعة الحسينية» ويقول ابن الصلاح : أخبرني القطب الطوغاني مرتين أنه سمع

ويقول الدكتور سليمان دنيا :

(إن البحث في حقيقة ذات الله ، وحقيقة صفاته فيه مجاوزة للحدود التي رسمها لنا هادينا ومرشدنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله « تفكروا » في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا » وفيه فضلا عن ذلك بذل لشيء غير قليل من العناء طمعا في معرفة مالا سبيل إلى معرفته معرفة يقينية) .

ولعل ابن رشد نفسه يعترف بأن الوصول إلى آراء عقلية يقينية في هذا المجال أمر عزيز المنال . حيث يقول في المسألة السادسة من كتابه « تهافت التهافت » : إن الأقاويل البرهانية - يعني في العلم الإلهي - قليلة جداً ، وهي من الأقاويل بمنزلة الذهب الإبريز من سائر المعادن والدر الخالص من سائر الجواهر .

ويعجبنى في هذا المقام ما يرويه « الجلال الدواني » في شرحه على العقائد العضدية عن بعض الأصفياء (عندى أن زيادة الصفات وعدم زيادتها وأمثالها مما لا يدرك - أى يعلم علما يقيناً - إلا بالكشف ، أى بإعلام الله عن طريق الوحي أو الإلهام ، ومن أسنده إلى غير الكشف فإنما

يتراعى له ما كان غالباً على اعتقاده ، بحسب النظر الفكري^(١) .

وفي رأي أنه إذا كان اليقين كما لا في المعرفة - وهو كذلك - وإذا كان المتكلمون يرون أنه في الحكمة النظرية التي هي كمال القوة النظرية في الإنسان لا بد من وضع قيد ، هو أن تكون (... بقدر الطاقة البشرية ..)^(٢)

فهم إذن - أى المتكلمون - يعترفون ضمناً بأن القدرة البشرية عاجزة عن تحصيل الحكمة النظرية على الوجه المذكور ، أى عاجزة عن تحصيل اليقين لأن اليقين لا يكون بغير هذه الحكمة سواء كان ذلك بالنسبة للمسائل التي يتعرض لها العقل في مجموعها أو في مسألة واحدة .

كذلك فإنه لما كان المتكلمون يحكمون بظنية الدليل الثقلي لأنه لا يكون يقينياً إلا بشرط عدم المعارض العقلي والحكم بعدم المعارض العقلي مستحيل . فإن اشتراط عدم المعارض وارد أيضاً على الدليل العقلي مما يلزم بقصوره عن مرتبة اليقين التام .

(١) مقدمة تحقيق تهافت التهافت ص ٤٣ .

(٢) انظر شرح المقاصد للفتاوى ج ١ ص ٤٥ .

(حاول بعض الفلاسفة أن يجعلوا العقل حداً للدين . .

حاول هؤلاء أن يجدوا في عقل الإنسان - وحده - هادياً ومرشداً أميناً . . أخفقوا سعيًا وضلوا سبيلاً . لأن الطبيعة لم تحب الإنسان بشيء من ذلك^(١) . .

٢ - وفي رأي أن الذين يعطون العقل هذا الدور الأساسي - من المتكلمين والفلاسفة المسلمين - مدفوعون بنية حسنة ، إذ يتصورون أن رد الأمر إلى العقل وجعله حكماً يسلم بما يدركه بنفسه ويرفض ما عدا ذلك هو الطريق الوحيد إلى التمييز بين العقائد الصحيحة والباطلة .

وفي رأي أن هذا ليس هو الطريق . وأن هناك طرقاً أخرى . .

وبتعبير أدق :

ليس العقل طريقاً إذا طلبنا اليقين المطلق فإذا اكتفينا برجحان الظن كانت هناك طرق أخرى تتكامل مع العقل ، وهي أكثر قرباً من طبيعة الإنسان وإمكاناته ، وأقل مشقة وبذلاً للجهد . .

إن ما أراه هو أن العقل محتاج

ولا يكفي لرفع ذلك - بالنسبة للدليل العقلي - ما ذكره من أن الناظر في الدليل العقلي بمقدماته القطعية يحصل له العلم بعدم المعارض بداهة - فذلك شعور فردي لا يصلح في العقليات ، ولا يتمشى مع « العلم » بمفهومه الاصطلاحي الذي يقتضى حصول اليقين .

وإني لأختلف مع أستاذي المرحوم الدكتور محمود حب الله إذ يؤكد أن الدور الأساسي في معرفة الله هو للعقل إذ يقول (فعرفه الإنسان لله إذن معرفة عقلية) ودور الوحي إنما هو التذكيرة والتنبيه ، فالعقل الخالص من الشوائب هو الحكم في جميع الحالات ، وقد يساعد كل من الوجدان والعاطفة ، ولكنهما ظهيران فحسب^(١) .

ذلك أن الكلام عن عقل خال من الشوائب هو مجرد فرض لا سبيل إلى تحقيقه ولا إلى التحقق منه ، وهو لا يزيد عن افتراض وجدان خال من الشوائب أيضاً .

ويقول الأستاذ إسماعيل مظهر . .

(١) الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية ص ٢٥٢
للدكتور محمود حب الله طبعة ١٩٤٨ م .

(١) ملق السبيل ص ٥١ - ٥٢ .

للشرع احتياجاً رئيسياً لا لمجرد
التذكرة والتنبيه ، وذلك في جميع
أنواع العلوم .

فبالنسبة للعلوم الضرورية « البديهيات »
نرى العقل في حاجة إلى الشرع للوثوق بها ،
لأنها علوم حادثة والثقة فيها لا تحقق إلا
بالثقة فيمن أحدثها ، ومحدثها هو الله
تعالى ^(١) فلا بد من الإيمان به سبحانه
أولاً .. وفي هذا قول الإمام الشاطبي
(فالعقل غير مستقل أبته على غير أصل وإنما
يبني على أصل متقدم على الإطلاق) ^(٢)

وبالنسبة للعلوم النظرية يقول الإمام
الشاطبي (لا يمكن الاتفاق فيها عادة
لاختلاف القرائح والأنظار ، فإذا وقع
الاختلاف فيها لم يكن بد من مخبر
بحقيقتها . . .

ويقرر الإمام الشاطبي أن العقل
محكوم بالشرع وليس حاكماً ، إذ
يقول : (فهذا أصل اقتضى للعقل
ألا يجعل العقل حاكماً بإطلاق ،
وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو

الشرع . بل الواجب عليه أن يقدم

(١) عند كل من الأشاعة والمعتزلة أن العلوم
الضرورية والنظرية مخلوقة لله تعالى . .

(٢) الاعتصام ج ١ ص ٤٥ .

ما حقه التقديم وهو الشرع ، ويؤخر
ما حقه التأخير وهو نظر العقل لأنه
لا يصح تقديم الناقص حاكماً على
الكامل لأنه خلاف المعقول والمنقول .

والذي أراه أنه ليس من السائع قول
المتكلمين بأن الشرع جاء ليدعو
العقل إلى البحث النظرى الطويل المعقد
في حدوث العالم ، ووجود الله ، وكونه
عالمًا قادراً مرسلًا للرسل ، مظهرًا
للمعجزة على أيديهم ، وذلك كله
قبل أن يكلف الإنسان بالإيمان
وتوابعه ، فإذا وصل العقل في بحثه النظرى
إلى الإيمان بوجود الله ولواحقه بدأ
الشرع في تكليف الإنسان . . .

إن معنى ذلك أن الشرع يقف
موقف المستأذن من العقل . .

وهذا غير مستساغ لمنزلة الشرع
والعقل والإنسان ، إن الشرع هو
الأعلى ، إنه صادر من قبل الخالق
فلا يتصور أن يقف موقف المستأذن
من العقل ، يأذن العقل إذا عرف
ولا يأذن إذا لم يعرف .

كذلك فإن الشرع جاء لهداية
الإنسان فما الحال إذا لم يأذن العقل -
وهذا يحدث كثيراً بحجة أنه لم يعرف ؟
وهل من مهمة الشرع أن يأتي

نقول عن الشارع إنه قادر على أن يتدخل بخلق العقل على نحو يضطر فيه إلى معرفة الله ، وهذا هو مذهب الفطرة ، أو معرفة الله بالضرورة ، لا بالبحث والنظر .

أو نقول إنه يتدخل بتبليغ الحكم النهائي الذي ينبغي للعقول المتخالفة أن « تستمع » إليه نزولاً على ما نسميه « الضرورة العملية » وهذا هو مذهب التلقى من الرسول :

تَلَقَّيْ الْعُقَاثِدَ وَالشَّرَائِعَ كُلَّهَا ،
لَا فَرْقَ بَيْنَ مَسْأَلَةٍ مِنْهَا وَمَسْأَلَةٍ أُخْرَى .
والله الموفق .

د . يحيى هاشم

بأدلة « عقلية » يقدمها للعقل لكي يعرف فيأذن ؟ وهذه الأدلة العقلية التي جاء بها الشرع ألم تخطر على العقل بدونه ؟ فهل مهمة الشرع أن يذكر العقل بهذه الأدلة ؟ هذه مهمة متواضعة إلى حد لا يليق بمكانة الشرع ، ولا بقدرة الشارع ولا بحرصه على هداية البشر (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

إن العقل مخلوق للشارع مملوك
له ، فلا يليق بنا أن نقول للشارع
أن ينتظر من العقل حكومته وإذنه .

إن الأليق بنا في هذا المقام أن

قال أحد الحكماء

لا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، وإن بليت
بصحبة السلطان فكن منه على حذر ، ولا تمازح لبيباً فيحقد
عليك . . ولا سفياً فيجتري عليك . .

من تراثنا الحديث :

منهج المدرسة الإسلامية الأولى

المرحوم العلامة

محب الدين الخطيب

بالتاريخ من رجال الأمة الإسلامية
البحث عن (النصوص السليمة) التي
أبقاها لنا التاريخ دالة على شيء من
الأساليب والطرق التي ربي بها الهادي
الأعظم صلى الله عليه وسلم أصحابه
الأولين ، وكون منهم أمثلة الكمال في
الرجولة ، وفضائل النفس ، والاستعداد
العجيب لممارسة الحكم العادل الرحيم .
والذي عرفناه بتتبعنا لهذا الموضوع
العظيم - الذي يتوقف بعثنا السعيد
على معرفته والعمل به - أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان لا يهتم بحشد المعلومات
الكثيرة في ذاكرة أصحابه ، وإنما يهتم
بتلقيهم المبدأ الصحيح بعد المبدأ الصحيح
والحقيقة الناصعة بعد الحقيقة الناصعة ،
والفضيلة المصهورة بعد الفضيلة المصهورة
ويطالبهم بأن يتخلقوا بكل خليفة من
هذه الخلائق حتى تمازج دماءهم وتخالط
ينابيع الإيمان من قلوبهم ثم ينقلهم إلى

المدرسة الإسلامية الأولى التي
لم يكن للمسلمين مدرسة قبلها ، ولم
ينجحوا في جميع أدوار تاريخهم في
تأسيس مدرسة تضارعها في مهجة تكوين
الرجولة ، وفي تهذيب النفس الإنسانية
وتوجيهها إلى الحق والخير - هي هذه
البقعة التي لا تزال موجودة إلى اليوم في
المسجد النبوي بالمدينة ، بين منزل أم
المؤمنين عائشة الذي تشرف بالقبر
المحمدي الطاهر ، وبين موضع منبره صلى
الله عليه وسلم في جنوب ذلك البيت .
وتلك البقعة التي كانت فيها المدرسة
الإسلامية الأولى كانت في الوقت نفسه
دار الحكم الأولى في الإسلام ، ومركز
التعبئة الأول لكتائب الحق ، وأول
ندوة أعد فيها دعاة المسلمين وقادتهم
لإصلاح العالم بعناية عبده ورسوله صاوات
الله عليه وسلامه .

ولقد كان من واجبات المشتغلين

السلمى فيما نقله ابن تيمية :
حدثنا الذين كانوا يقرئوننا - عثمان بن
عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما -
أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله
عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها
حتى يتعلموا ما فيها من « العلم »
و « العمل » . قالوا (أى الصحابة) :
فتعلمنا القرآن والعلم . ورأيت مثل هذا
النص فى ترجمة أبى عبد الرحمن من
طبقات القراء لابن الجزرى (١ : ٤١٣ -

الترجمة ١٧٥٥) : روى حماد بن زيد
وغيره عن عطاء بن السائب أن
أبا عبد الرحمن السلمى قال : أخذت
القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا
تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى
العشر الآخر حتى يعلموا ما فيهن ،
فكنا (نتعلم) القرآن و (العمل)
به ، وأنه سيرث القرآن بعدنا قوم
لا يجاوز تراقيهم ، بل لا يجاوز ههنا
(ووضع يده على حلقومه) .

ومن علمهم بالقرآن ألا يعصوا الله
بتناول الأجر عليه . قال عطاء بن
السائب : كان رجل يقرأ على أبى
عبد الرحمن السلمى ، فأهدى له فرساً ،
فردّها وقال : ألا كان هذا قبل القراءة ؟
ولو أن أزهرنا ومعاهده ، ومدارسنا
مجلة الأزهر

غيرها . وكان الكتاب الذى يستمد منه
هذه المبادئ والحقائق والفضائل هو
كتاب الله ، وينتهج - فى تمرين
أرواح - أصحابه عليها - منهج
التدريج عملاً بسنة الله فى تنجيم النزول ،
فلا تنزل الآية أو الآيات من وحى الله
حتى يكون أولياء الله من أصحاب
رسوله تخلقوا بالآيات التى نزلت قبلها
وأصبحت سجية لهم لا يعرفون سجية
لهم غيرها .

وقد التزم هذه الطريقة تلاميذه من
كبار الصحابة فى نقل العلم المحمدى
والرسالة الإسلامية إلى نفوس تلاميذهم
من كبار التابعين .

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية فى
« رسالة الإكليل » عن أبى عبد الرحمن
عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمى
تلميذ أمير المؤمنين عثمان بن عفان
وعلى بن أبى طالب وأضرابهما من علماء
الصحابة كعبد الله بن مسعود وزيد
ابن ثابت وأبى بن كعب ثم كان شيخاً
لشيوخ أئمة الإسلام كعاصم بن أبى النجود
وعطاء بن السائب وأبى إسحاق السبيعي
وعامر الشعبي والحسن والحسين ابنى على
بن أبى طالب وعشرات غيرهم من
عظماء السلف . يقول أبو عبد الرحمن

أمة ، ولا تحتكره قارة من قارات الأرض فيكون غيرها عالة عليها فيه . إنه مشاع كالهواء الذى نتنفسه ، والبحار التى تحيط باليابسة وتمخر فيها ألوف السفن حاملة مئات الأعلام . ثم إن العلم تراث إنسانى ، ما من أمة إلا لها فيه جهاد وجهود ، وكل درجة ارتقاها العلم فى أى عصر من عصوره على يد أمة من الأمم فى بلد من بلاد الناس ، إنما كان ذلك بفضل درجة أخرى قبلها كان العلم قد وصل إليها فى عصر آخر قبل ذلك العصر وعلى يد أمة أخرى من الأمم فى بلد غير ذلك البلد الذى وصل العلم فيه إلى الدرجة التى تلى تلك الدرجة .

ولكن ما هو العلم ، وما هى الثقافة ، ولماذا كانت غيره وكان هو غيرها ؟ العلم : هو مجموعة الحقائق التى توصل إليها العقل البشرى فى مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن ، والحررة بالامتحانات المتكررة ، فلا تختلف بتفاوت الأذواق ، ولا تتغير بتطور المصالح ، إن جدول الضرب من المعارف الإنسانية العريقة فى القدم ، وسيبقى حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب فى كل وطن وفى كل زمن . ولولا ما كان معروفًا قبل

وما بعدها من جامعات ، تعنى بتربية نفوس التلاميذ قبل عنايتها بحشد المعلومات فى ذاكرتهم ولا تملى عليهم إلا الحق والخير ، ولا تتجاوز شيئًا من هذا الحق والخير إلا بعد أن يؤمن به تلاميذهم ، ويعاهدوا على العمل به وعلى إقامته فى الأرض حتى يكون هو المعمول به ، وهو المرجوع إليه ، وهو المطلوب فى التعامل والتعاون والتنافس فى كل الظروف والأحوال ، لأنّج هذا المنهج فى التعليم فى هذا القرن الرابع عشر مثل النتيجة التى كانت له فى القرن الأول للهجرة .

مفهوم الإسلام

« الإسلام : تسليم النفس إلى الحق الذى جاء من عند الله بلسان جميع أنبيائه ورسله » .

« والمسلم : هو الذى يوطن نفسه على أن تكون منقادة للحق الذى تولت رسالات الله الدعوة إليه ، ورفعت لواءه فى أجيال الإنسانية من أقدم عهودها » .

بين العلم والثقافة

العلم شىء ، والثقافة شىء آخر . العلم عالمى ، لا تختص به أمة دون

فيهم — دائماً — العدد الكافي من العالمين به ليتولوا مرافق بلادهم بأنفسهم ، ويحققوا أسباب قوتهم الصناعية والحربية والاقتصادية بأيديهم ، وإذا لم يتحقق ذلك إلا بإرسال البعثات إلى البلاد التي تفوقت به فعليهم أن يوالوا إرسالها إلى أن يتوافر عندهم من أبنائهم رجال الكفاية لسد هذه الحاجة على قدرها . ولكن ، هذا « العلم » شيء ، و « الثقافة » شيء آخر .

الثقافة في كل أمة لها لون قومي خاص تستمدّه من مألوفها ، ومن ذوقها ، ومن موارثها الأدبية ، ومن ظروفها الجغرافية ، ومن ضروراتها الإقليمية ، وحاجاتها الاجتماعية . ولذلك نرى الثقافة الفرنسية تختلف عن الثقافة الألمانية ، بل نرى الثقافة البريطانية تختلف عن الثقافة الأمريكية مع اتحاد الأمتين في اللغة والآداب — والصينيون يتفوقون مع اليابانيين في الكثير من المقومات ، وكانوا بين الحريين العالميتين في حاجة إلى عضد قوى يستعينون به لمقاومة الاستعمار المحيط بهم من كل جانب ، ومع ذلك فإن اختلاف الثقافتين أنشأ الحرب بين الصين واليابان سنين طويلة قبل الحرب العالمية الثانية وفي خلاها . ولو لم تكن

العرب والمسلمين من علم الحساب لما توصل العرب والمسلمون إلى إتخاف الإنسانية بالحقائق الأولية من قواعد علم الجبر والمقابلة ، ولولا علم الجبر والمقابلة الذي توصل علمائنا إليه قبل مئات السنين لما تقدمت في العصور الأخيرة العلوم الرياضية الأخرى التي وصلت بها الأعمال الهندسية إلى ماوصلت إليه الآن من التقدم . فالعلوم الرياضية والحقائق الهندسية من العلم العالمي المشاع بين البشر ، والذي اشتركت عقول البشر في تقدمه وارتقائه منذ العصور العريقة في القدم ، ولا غضاضة على أمة في أن تطلب العلم به حيث تجده . وكذلك الطب وعلوم الطبيعة وكل ما تمس إليه حاجة الأمم في قوتها وأسباب عزتها وتوفير حاجات أوطانها ، والمسلمون على الخصوص يوجب عليهم دينهم أن يتعلموا ما تدعو حاجتهم في مرافقهم إلى تعلمه من العلوم التي إن لم يحدقوها تولوها عنهم الأغيار ، وكان جهلهم بها من أسباب ضعفهم القومي والملي .

هذا النوع من المعارف الإنسانية هو « العلم » وهو واحد في كل أمة ، وهو اليوم سبيل القوة في الحرب والسلم ، وهو الذي ينبغي للمسلمين أن يكون

« إنك ذاهب إلى بلاد شرقية ، فإذا رأيت الشرق المتمسك بزيه الأصيل ، وإذا رأيت الشرق الذى لبس البنطلون تقليداً للغرب ، فاعلم أنه فقد موارثه فى الفضائل ، ولم يكتسب أخلاق الغرب وفضائله » .

إن القول الفصل بين العلم والثقافة ، هو أن العلم عالمى والثقافة قومية وملية والعلم لا لون له ، والثقافة ذات لون . وكذب أن فى الدنيا ثقافة عالية ، ولا يمكن أن تكون فيها ثقافة عالمية . فعلى كل أمة أن تتمسك بثقافتها ، وأن تبعث فيها أسباب الحيوية يوصل ما بين ماضيها وآتيها ، خصوصاً نحن المسلمين الذين لا نكون مسلمين بارتداد الجامع فقط ، ولا بتصحیح العقيدة فقط ، بل إن إسلامنا يتناول البيت كما يتناول الجامع ، ويفرض سنته وأحكامه على المجتمع كما يفرضها على الفرد . وسنن الإسلام وأحكامه مصدر كريم من مصادر ثقافتنا ، فلا يكفى أن نعرف كيف نصلى ، بل يجب أن نعرف كيف نكون أفراداً مسلمين فى مجتمع إسلامى ، وأن نعرف كيف نكون رعايا مسلمين لدولة إسلامية . وبعد : فإن للإسلام وهو الدين

الثقافة من الفوارق الجوهرية بين الأمم لكان من المعقول أن تتعاون الصين واليابان وتتحد وجهتهما وكانت تكون منهما حينئذ قوة رهيبه لعلها تكتسح الأمم وذلك ما كان ينذر به إمبراطور ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى ويسميه « الخطر الأصفر » .

تاريخ الأمة من عناصر ثقافتها ، آداب الأمة من صميم ثقافتها ، أخلاق الأمة فى كل عصر من عصورها حلقة من سلسلة الأخلاق القومية التى هى من ميراث الماضى ، وقد يكون فى ميراث الأمة من أخلاق ماضيها الكثير من الخير والكثير مما ينافيه فعلها أن تصلح بخيرها المتوارث ما ينافيه من الأخلاق التى تحتاج إلى إصلاح ، فإذا حاولت الأمة أن تتنكر للطيب من تراثها الأخلاقى بتطعيمه بأخلاق أجنبية عنها أضاعت نفسها وفقدت أصالتها وصارت إلى هجنة تنافى الأصالة ، ويحتقرها الأصلاء من أصحاب تلك الأخلاق الأجنبية . وأذكر كلمة حكيمة لبسارك كان قالها لغليوم الثانى لما كان لا يزال ولى عهد الإمبراطورية الألمانية حينما أرسلوه إلى روسيا ليمثل ألمانيا فى مناسبة من المناسبات ، فقد قال له بسارك :

ما نحتاجه في حربنا وسلمنا . هذا العلم يجب أن نأخذه حيث وجدناه .

أما المعارف التي لها لون قومي ، لأقوام غير أقوامنا ، ولها لون وطني لأوطان غير أوطاننا ، ولها لون ملي للمل غير ملتنا ، فذلك ما يسمى ثقافة . ونحن في غنى عنه بثقافتنا التي يجب أن نستمدّها من مألوفنا ، ومن ذوقنا ، ومن موارثنا الأدبية وظروفنا الجغرافية ، وضروراتنا الإقليمية ، وحاجاتنا الاجتماعية ولهذا الثقافة مثل في تاريخنا وتراجم أسلافنا ، فيجب أن نعرفها بمعرفتهم ، وأن ندرسها بدراسة تراجمهم ، وأن نحییها بالتخلق بأخلاق أهلها واتخاذهم قدوة لنا وأسوة .

نحن في مرحلة انتقال ، ومن النصيح للأمة أن نتعاون على معرفة الطريق الذي نسلكه إلى مرحلتنا الجديدة . وعندى أنه الطريق الذي يجمع بين تعلم كل ما عند غيرنا من العلوم العالمية التي لا لون لها ، والاحتفاظ بكل ما يحفظ علينا إسلامنا وعروبنا ومصريتنا من الثقافة التي نحن أغنى أمم الأرض بها ، ما علينا إلا أن تستأنف دراستها وأحياءها والعمل بها ، ويومئذ تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

الاجتماعي — ثقافة واسعة شاملة في هذه الأمور وفي كل الأمور . ولولا أن دانلوب حرم المتعلمين في مصر من أن يتعرفوا إلى ثقافتهم الإسلامية ، فجرد مدارس الدولة منها ، لكان الجيل القائم الآن خيراً منه الآن ، ولقطعنا شوطاً طويلاً في طريقنا إلى القوة وإلى العزة وإلى السعادة والسلامة والعافية .

والمطلوب من وزارة التربية والتعليم — بعد أن جعلت التربية العنصر الأول من عناصر رسالتها . أن تلتمس كل الأسباب للتعرف إلى التربية الإسلامية وتعريف الجيل بها ، لأن التربية من أهم عناصر الثقافة ، وما دمنا في بلد إسلامي عربي فيجب أن تكون ثقافتنا إسلامية عربية ، وتربية أبنائنا تربية إسلامية عربية ، وهذا — لا ينافي إرسال البعثات إلى أوروبا وإلى أمريكا لتخريج مهندسين في الطبقة الأولى ، وكيميائيين وأطباء في الذروة العليا ، وعلماء معادن وجيولوجيا من الطراز الأول ، لأن هذه المعارف من العلم العالمي الذي لا لون له ، ونحن في حاجة إليها في مرافقنا وتعددين معادننا ، واستنباط البترول من تربتنا ، وإصلاح زراعتنا وتوسيعها . وتجهيزها بوسائل الري والصرف ، وإقامة المصانع لكل

عن أهداف الإسلام باسم الإسلام .
وأولئك من الكثرة إلى درجة أن الذين
نسمع بأسمائهم وتعرف شيئاً عنهم
لا يبلغون جزءاً من مليون جزء من رجال
العلم والأخلاق والفضائل والجهاد في
سبيل الحق والخير . والآخرون الذين
أفسدوا في الإسلام باسم الإسلام قد
أنسى الله المسلمين العدد الأعظم من
أسمائهم فأتوا وماتت أسماءهم معوم ،
لأن أكثرهم كان يعمل في الخفاء ،
وأهل الظهور من منافقيهم تركوا وراءهم
ما سيفضحهم — إن شاء الله — يوم نجرد
التركة ، ونحلل التراث ونميز بين ما فيه
من خير وحق ، وما فيه من شر وباطل .
إلا أن أهل الشهرة من دعاة البدع —
وإن كانوا قد بادوا وبادت أسماء
أكثرهم — لا يزال كثير من بدعهم
مشوباً به كثير من فضائلنا وتقاليدينا
ومحفوظاتنا .

هذا بعض تراث الإسلام فينا من
أربعة عشر قرناً ، وأن لنا وراءه تراثاً
آخر للعروبة ويتوغل أكثر من أربعين
قرناً في أحشاء الماضي ، ومنه هذه
اللغة العجيبة الثرية ، الدقيقة ، الجميلة ،
الوارفة الخلال ، الأبدية الحية ، هذه
اللغة وما تدل عليه من خطرات نفس

الأساس الذي تقيم عليه نهضتنا :

الأهم العربية والعالم الإسلامي على
على أبواب نهضة وبعث جديد لا شك
فيهما . وفي كل يوم ألقى شاباً من
شبابنا المثقف يسألني الواحد منهم ،
أول ما يسأل :

— ماذا يجب أن نعمل ، بماذا يجب
أن أبدأ ، ما هو الطريق الذي تشير
على بأن أجعله طريقى في الحياة ؟

كلهم متوثبون ، وكلهم يريدون
أن يعلموا . ولكنهم يريدون أن يجدوا
من يدهم على طريق العمل ، وعلى نوع
العمل .

وجوابى دائماً لأمثال هؤلاء الشبان
الأطهار : إن العمل كثير ، والمهمة
التي تواجه هذا الجيل ، وكان يجب
عليه أن يضطلع بها كاملة وافية ،
أعظم من أن يكنى لها عددنا لو أننا
تفرغنا كلنا لها . لأن من ورائنا تراث
أربعة عشر قرناً في الإسلام يجب
علينا دراسته وتحليله ومعرفة جميع عناصر
الخير والشر التي فيه ، وسيرة الدين
عملوا لأخذ المسلمين إلى طريق الإسلام ،
والآخرين الذين عملوا لتحويل المسلمين

التي له فيها يد ، وسبق له في موضوعها دراسة وتخصص . إلا أن للمستشرقين وجهة نظر إلى التراث الإسلامي غير الوجهة التي يتجه إليها نظر المسلمين أنفسهم لو درسوا هذا التراث الإسلامي كدراسة المستشرقين له .

وإن مثل هذا الجهد العظيم الذي بذله المستشرقون في — دائرة المعارف الإسلامية — وهو جهد جهيد وعظيم حقاً — لو بذل المسلمون أنفسهم مثله لجاء منه عمل آخر غير هذا العمل ، لأنهم يدركون من هذه الدراسة ما لا يدركه المستشرقون ، ويشعرون بعداوة الأعداء للإسلام في ماضي المسلمين وبإخلاص المخلصين منهم له ما لا يشعر به المستشرقون . وفي الحق أننا أمة تحتاج في هذا الجليل إلى أن تعرف ما تخلف في الإسلام من عداوة أعدائه وصدق أصدقائه . ولكن دراسة كدراسة المستشرقين لهذا التراث تحتاج إلى جهود لا نرى في الذين يسألون من شبابنا « ماذا نعمل ؟ » من يأنس في نفسه الرضا ببلدنا ، وإذا أنس من نفسه ذلك لا يجد من ثقافته التي قدمتها له الدولة في مدارسها ما يؤهله لذلك ما لم يكن عنده استعداد شخصي يتغلب

ومدارك عقل ، وعواطف قلب ، وتسلسل وتناسل وتكاثر في المعاني وفي مشتقات الألفاظ الدالة على هذه المعاني — كل ذلك يحتاج منا إلى دراسات لا آخرها . للجهاد بالسلاح أهله الذين وجههم الله إليه ، ويسره لهم .

وللجهاد بالدعوة أهله الذين وجههم الله إليه ويسره لهم .

وللجهاد الاقتصادي أهله كذلك . وما من عمل ظاهر ويتصل بمعايش المثقفين إلا وله من أبنائنا المثقفين كتائب مجندة للاطلاع به .

أما تراث الإسلام ، وتحليل ما تلقيناه عنه من عناصر إسلامية سليمة ، ومن عناصر أجنبية طارئة عليه فتولدت منها البدع ، وتفرعت عنها المذاهب الشاذة والطوائف المناهضة للأهداف الإسلامية الأولى ، فهذا قلما وجد في شبابنا من تفرغ لدراسته ، ومعرفة مصادر هذه الدراسة ، وكيفية التمييز بين الحقائق وأضدادها ، والميزان الذي توزن به الفضائل وأهلها .

إن المستشرقين حاولوا هذا بتأليفهم (دائرة المعارف الإسلامية) ، وهو مجهود علمي عظيم تضافروا عليه جميعاً وأسهم فيه كل واحد منهم من الجهة

عنها شيئاً ، وما دمنّا على هذه الحالة ،
تبعاً لأسلوب التعليم الذى يتخرج به
النشء ، فسنبقى غرباء عن العلم ، وعالة
على الأجانب فيه وضحايا لأغراضهم التى
يروجونها علينا بأساليب تخفى على
أشباه العلماء ، وتنقطع لها قلوب العارفين .
ترى متى نضع « الأساس » لنهضتنا
وثقافتنا يبعث تراثنا وتحليله وتنظيمه .
إن المسلم فى المجتمع الإنسانى أشبه
بابن السبيل الهائم على وجهه فى ببداء
الحياة . وببداء الحياة — التى يهيم
فيه المسلم على وجهه منذ ولد إلى أن يلقي
الله راضياً عنه أو ساهطاً عليه — هى
هذا المجتمع الإنسانى المختلف الأهواء
المتضارب العقائد ، المتباين المقاصد
والشارب والأخلاق والسجيا .

والمسلم ليس مسلماً بشهادة الميلاد ،
فهذه أحسن الشهادات للمسلم على
إسلامه . ولا هو مسلم بما يقوم به
من الفرائض المكتوبة عليه وحسب ،
فهذا شطر من إسلامه الذى لا يستكمله
إلا باستيفاء سائر وجوه الإسلام ونواحيه .
لأن الإسلام أوسع الديّنات دائرة وأعماها رضاء
وأدقها أنظمة ، وأبعدها هدفاً . وهو
أعظم رسالات الله ، وأشملها للمعاني
الإنسانية العليا التى حامت حولها أحلام

على هذه الصعوبة . ومن العجيب
أن يستسهل المستشرق الأجنبى عن
الإسلام ما يستصعبه الشاب المسلم الناشئ
فى مدارس دول تنتسب إلى الإسلام .

العمل واسع ، وكثير النواحي ،
وهو دراسة وتحليل وتنظيم لجهود أربعة
عشر قرناً فى الإسلام ، وأربعين قرناً
فى تراث العروبة قبله . ولا بد لبعث
هذا التراث وتنظيمه من أن يتخصص
فى المثقفين منامئات فى مختلف نواحي
التراث الإسلامى والماضى العربى .
ليصيروا فينا نوايغ فى هذه النواحي كالنوايغ
من المستشرقين الذين نرى أسماءهم فى
ذيل المواد الدقيقة التى تتألف منها
أجزاء « دائرة المعارف الإسلامية » .

وبعث هذا التراث وتدوينه على هذا
الوجه هو « الأساس » الذى تقوم عليه
« النهضة » والذى نستطيع أن نبني عليه
ثقافتنا المستقبلية .

أما طريقة حملة الأقلام الآن ممن
« يسرقون » جهود المستشرقين ، ويعرضونها
علينا بعجبرها وبجبرها ، وبدسائس
أصحابها فيها ، ثم يزعمون أنها من
« تأليفهم » فإن نظرة واحدة فيها تدل
على أنهم لم تقع أنظارهم على المراجع
العربية التى أخذ عنها المستشرقون ولا يعرفون

حكماء الأرض ، وعليها تتوقف السعادة
بأكمل ما ترتجى .

ومن الأغراض التي جاء بها الإسلام ،
بل من الشروط التي يتوقف عليها
تحقيق أغراضه ، أن يجعل من المسلمين
في ببدأ الحياة قافلة ممتازة بسجايا
ومبادئ وصفات ومظاهر وأنظمة خاصة
بهم ، وبها يتحقق اتساع وشمول غرضه
والوصول إلى أهدافه . وتفقد هذه القافلة
الممتازة صفة امتيازها إذا هي انسافت
في قافلة الملل الأخرى ، ولو فيما تظن
أنه لا يمس العقيدة أن ينقص من
العبادة ، لأن أهل هذه القافلة أراد
لهم إسلامهم ألا ينطبعوا إلا بطابعه ،
وألا يصطبغوا إلا بصبغته ، وألا يسايروا
في ببدأ الحياة إلا المنتظمين في نظامهم
المنخرطين في سلوكهم ، المتخلقين
بخلاتقهم وسجاياهم . وليس ذلك
أنانية منهم ، أو أثر من نظامهم ،
بل لأن الأسس التي قام عليها نظامهم
والأغراض التي يهدف إليها هي التي
تم بها السعادة للإنسانية .

والإسلام كل لا يتجزأ . فضائله
بغير عقائده ناقصة ، وعباداته مجردة
من فضائله تلعن صاحبها ، وعقائدها
مجردة من أنظمتها تعيش مريضة حتى

تقام أنظمتها فتحيا بها عقائده .

ولذلك كان الإيمان الإسلامي بضعة
وسبعين شعبه ، وكل ما جاء الأمر به
كتاب الله وسنة الهادي الأعظم صلى
الله عليه وسلم فهو من شعب الإيمان ،
وما يتعلق منه بفصائل الأخلاق وحسن
التعامل مع الناس أكبر أجزائه وأكثر
شعبه . وكل ما جاء النهي عنه في
كتاب الله وهداية المرشد الأعظم صلى
الله عليه وسلم فالانتهاء عنه من شعب
الإيمان ، وما يتعلق منه بالشر عن شوائب
الأخلاق والتعفف عن معاملة الناس
بالباطل والشر من أكبر تلك الشعب .

هذه الأوامر الإسلامية في كتاب
الله وسنة رسوله تناولت كل حق عرفه
البشر ، وكل خير خطر على بال حكمائهم
وأذكيائهم وقادة الفكر منهم . وهذه
النواهي الإسلامية في كتاب الله وسنة
رسوله أحاطت بجميع معاني الباطل وبكل
ما يهدف إليه الشر وأهله . لذلك كانت
أوامر الإسلام ونواهيها مناط السعادة ،
لأنها جماع الحق والخير ، ووقاية الله من
الباطل والشر . وأن ديننا جعل مجموع
هذا من شعب الإيمان به بلحدير بما
وصفنا من أنه هو الإنسانية العليا التي
أوحت بها السماء إلى أهل الأرض .

وقد نبغ من عظماء دعاة الهداية
 الخلفاء الراشدون ، والصحابية العدول
 الهادون المهتدون ، والتابعون لهم بإحسان ،
 وحملة هذه الأمانات من الأئمة والعلماء
 والصالحين . وفي سيرة هؤلاء تطبيق عملي
 لهذه الهداية ، وفي أفوالهم الماثورة
 تفسير لما ورد منها مجملا في كتاب
 الله وسنة رسوله . ومجموع ذلك تألق
 منه في بيدااء الحياة معالم للمسلمين
 تستدل بها قوافل أجيالهم على الوجه
 التي وجهها الإسلام إليها .
 والمسلمون ذلوا وضعفوا ، وأخطأهم

النصر والتوفيق ، وأبطأ عليهم الارتقاء
 والتقدم والتميز على أمم الأرض ، منذ
 تجاهلوا معالمهم ، وسايروا أهل الحضارات
 والملل والأهواء في طرقهم وأنظمتهم
 وتقاليدهم ومظاهرهم وأذواقهم وأساليب
 تفكيرهم . وسيستشعرون العزة والقوة ،
 وينالون الفوز والظفر ، ويقودون حركة
 التقدم في الأرض ، يوم يعرفون معالمهم
 فتسترشد بها قوافلهم في بيدااء الحياة .
 أيها المسلمون ، إن لكم معالم ، فانتبهوا
 إلى معالمكم . .
 محب الدين الخطيب

آداب الشريف

يصون شرفه ، ولا يأكل بنسبة ، ولا يتعدى بحسبه ،
 ويهذب أخلاقه ، ويتحفظ في الفاظه عند غضبه وخطابه ،
 يكرم جلساءه ، ويواصل إخوانه ، ويصون أقاربه ،
 ويعين جيرانه ، ويزين بنفسه أخدانه . .

دعوة صادقة :

عالم أزهرى يدعو إلى السلام العالمى

للككتور محمد رجب البيومى

الأستاذ بطنية اللغة العربية بالقاهرة

المقال إلى العربية ، وأمر بنشره
فى مجلة الأزهر ، بالمجلد السابع عشر
فى الصفحات ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ثم اجتمع بدوى البيان
من أعضاء هيئة كبار العلماء بالأزهر
ليدعوهم إلى التفكير فيما كتبه صاحب
المقال ، ولإبداء الرأى من وجهة عقلية
تقنع كل قارئ مهما كان مذهبه
الدينى ، ومعتقده السياسى ، وموقعه
الجغرافى ، ليستطيع صوت الدين
العاقل أن ينقذ البشرية من أعاصير
الرعب وزعازع الفزع ، وقد شاء الله
أن يلقى الشيخ الأكبر ربه قبل أن
يجد من كتابات الكاتبين ما يعلن
وجهة نظر الأزهر ، فذهب الموضوع
بذهابه . ولكن عالماً كبيراً من أعضاء

فى أوائل سنة ١٩٤٦ م بعد أن
اخترعت القنبلة الذرية ، وكثر الحديث
عن مصائبها الهائلة ، ورأى الناس
بأعينهم فظائعها الرهيبة فى اليابان ،
كتب أحد رؤساء الأديان مقالا قوياً
تحت عنوان : (يجب أن تختار الإنسانية
بين الخوف من الله ، والخوف من القنبلة
الذرية) ، وجعل إهداءه لفضيلة الأستاذ
الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق
رحمه الله ، وكان شيخ الأزهر حينئذ ،
وله من المكانة العلمية والجلال الدينى
والنظر الفلسفى ما يستطيع به أن يفهم
مغزى المقال فهماً إيجابياً يدفع إلى
العمل قدر الطاقة لإنقاذ البشر من
هاوية الفناء المتربص ، وكان الشيخ
حكيماً رزيناً ، فعمل على ترجمة

فلاقت استهواءً جاذباً لدى قوم منا يتلقفون كل غريب بالاحتفاء والتنويه ويعرضون عما يقوله علماءهم دون أن يقرءوه ! ولعل أَرْضِي ضميري الناقم حين أتحدث عن دعوة شيخنا الكبير الأستاذ محمد عرفة رحمه الله في هذه السطور .

بدأ الأستاذ كتابه بالحديث عن الحياض الإيجابية، بين الكتلتين المتصارعتين فذكر أن الناس يلهجون به ، ويؤيدونه في مقالات عاطفية ، وندوات خطابية دون أن يُقيموا له فلسفةً نظرية تجمع الأدلة المقنعة على ضرورته ، على حين نرى لكل من الشيوعية والرأسمالية فلسفتها المدعمة بالآراء والأرقام والأحداث ، فإذا شئنا أن نؤيد هذا الحياض ، فلا بد من ارتكازه على نظر فلسفي يقف به أمام ما ينازعه من المذاهب ، وفي هذا النطاق يؤلف الأستاذ كتابه ، والحق أن ما كتبه المؤلف لا يقف عند النظر الفلسفي وحده ، لأن الفلسفة تخاطب العقل ، وتتأى عن مؤثرات العاطفة ، وكلُّ دعوة يتوجه بها صاحبها إلى الناس لا بد أن تخاطب العقل والعاطفة معاً ، فلو قصر المؤلف كثيراً من قرائه الذين لا يصبرون على

جماعة كبار العلماء هو الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة ذو الرأي الحر ، والقلم البليغ ، كان قد احتفل بالموضوع وشغل ذهنه المفكر ، فأخذ يدون خواطره في أوراق متناثرة ، وكان موقفه من الدقة البالغة بحيث أثر التريث المتشد ، آخذاً في حسابه أنه يخاطب الناس جميعاً بمنطق العقل وحده ، فلا مجال إلى الاستشهاد بالنصوص الدينية التي يؤمن بها فريق دون فريق ، ولا إلى عرض أحداث خاصة لا تمثل القاسم المشترك بين ذوى الأفهام من أبناء البشر كافة ، حتى استطاع أن يُخرج كتابه الرائع (إنقاذ البشر من أن يفنوا بعضهم بعضاً بالحرب الذرية) وكان الظن بمفكرى العالم العربى فضلاً عن جميع المفكرين قاطبة أن يعطوا للكتاب ما يستحقه من التحليل والنقد، ولكن العجب العاجب أن يُهمَّسَ الكتابُ في حياة صاحبه ، وبعد أن لقي ربه سعيداً بما قدَّم من جهاد في شتى ميادين الإصلاح العلمى والاجتماعى ، على حين نرى الصحف من يومية وأسبوعية وشهرية حافلة بتحليل كتب معاصرة تنحو منحى الأستاذ ، كتبها نفر من مفكرى أوربا وأمريكا ،

وها هو ذا يثبت لهم بالمنطق الصريح أن القنبلة الذرية ستذهب بكل ما يملكون فلا نفع من ورائها حين يتحطم بها الغالب والمغلوب .

وقد أعلن الأستاذ إيمانه بالإنسان ، وبما يتجه إليه من جواذب الخير لو استمع إلى صوت الطبيعة فى نفسه ، واستلهم الفطرة التى تهديه سواء السبيل ، ولكنه قد حاد عن الحق حين أصاح إلى صيحات باطلة أخذت تزين له الشر عسراً بعد عصر حتى نسى طبيعة الخير ، وأصبح يرى أن العدالة ما تنتجها القوة ، فإذا استطاع الوحش أن يصرع ضحيته فهو عادل فى قتلها لأن القوة قد أمكنته من فريسته الضعيفة ، لقد وُجدَ هذا المنطقُ الظالمُ فى كل عصر ، وُجدَ فى عهد الإغريق واعتنقه السوفسطائيون وبدلوا جهودهم فى تأييده بخوادع الأدلة ، ومن الحق أن نقول إنه وجد المعارض ممثلاً فى سقراط وتلاميذه ، ولكنه لم يعدم على كثر الأيام مؤيديه لأن حب الغنائم والافتراس مما يدعو أصحابه إلى التمسك بفسفسات تُقدم لهم تبريراً سطحياً لما يرتكبون ، وقد جاءت الأديان لتقيم العدالة على قسطاس سوى لا يميل ، ولكن ذوى الشر قد

حديثه على الإقناع الفلسفى وحده لخسر غموض الأدلة وتشابكها ، وهكذا وفق الله الكاتب لأن يكون مفكراً ذا بيان ناصع يُقنع ويُمتنع ويستميل .

حدد الكاتب وجهته الهادفة حين أعلن أنه لا يتحاكم مع رؤساء الدول المتنافسة إلى الدين ، إذ يرى فيهم من يحجده ويراه ألُهيَّةً ينخدع بها الصغار وقد شبوا عن الطوق فلا ينخدعون . كما أنه لا يتحاكم إلى الضمير إذ يرى فى هؤلاء من يقوون إن الضمير من وحى البشة والتربية وإنه قد يطن إلى الشر إذا حسنت لديه بواعثه وغاياته فيظن فيه الخير كل الخير ، كما أنه لا يتحاكم إلى المثل العليا لأنها فى رأى كثرتهم مظنة التبديل والتغيير ، فما يكون رائعاً جليلاً فى عهد من هذه المثل يكون سخيلاً مبتذلاً فى عهد آخر ، وإذا كان الكاتب لا يتحاكم إلى الدين أو الضمير أو المثل العليا فإنه يتحاكم إلى المنفعة وحدها ! لأن الفريقين من المتصارعين يهدفان إلى المنفعة العاجلة ، ويخططون لها فى كل خطواتهم ، فإذا كانت المنفعة هذه هى وسيلة الإقناع لدى الكاتب ، فلا بد أن يستجيب له من ينشدونها فى كل اتجاه !

أصموا آذانهم عن هوائف الخير ، ووجدوا من كبار الكتاب من يؤيد اتجاههم الظالم وكأنه يؤيد حقاً لا مرية فيه .

يقول الأستاذ محمد عرفقاً ص ١٢٩ (لقد اعتقد الساسة أن ما يأتون من امتلاك الشعوب والسيطرة على أراضيها وثوراتها عدل ليس فيه ظلم ، لأن العدل هو منفعة الأقوى ، وما يفعله الأقوى في سبيل وجوده أو في سبيل وجود أفضل فهو عدل ليس بظلم) .

وبهذا الاعتقاد كان الاستعمار بطولية لدى المستعمرين ، فإذا قاومت الدول الضعيفة من تريد استعمارها فقهرتها الأمة القوية بالحديد والنار فهذا حق لا عيب فيه ، ومن هنا تسابقت أمم أوروبا على امتلاك أفريقيا وآسيا ، وأدى هذا الوضع إلى تناحر بين القوى والضعيف ثم إلى تناحر بين الأقوياء طمعاً في الاستلاب حين ترى أمة أوربية أن نصيبها أقل من نصيب جارتها !! لقد أصبح النزاع بين قوى متكافئة تملك جميعها القنبلة الذرية : وأصبح خطر الإبادة متوقعاً بين حين وحين !

فقد يرى المعسكر الشرقي أن بلاده فسيحة الأرجاء وأن دول المعسكر الغربي ضيقة مكتظة ، فإذا تكافأ التدمير من

المعسكرين ، فسيبقى للمعسكر الشرقي ما يعتمد عليه ! وقد يخطئ أحد الفريقين تقدير صاحبه ، ويظن أنه سيدأ بالهجوم فيبادر هو الآخر إلى أن يتغذى به قبل أن يأكله ، وتنفجر القنبلة فتقابل بالمثل ، وقد تسقط القنبلة خطأ حين تحملها طائرة من مكان إلى مكان فتحدث خطراً يقابل بالمثل ممن ظن الخطأ متعمداً فيحدث الفناء ، وقد ترزق إحدى الدولتين رئيساً متشائم النظرة سيئ الرأي في الحياة والأحياء فيبدأ الهجوم الذري دون نظر إلى العواقب ، ويقابل صنيعه بالمثل فتجرف الراجفة ، وكل ذلك يدعو الأستاذ عرفة إلى أن يقول في ص ٥٥ :

(ليس الحاجز بين البشر وفنائهم بالقنبلة الذرية حصيناً ، بل فيه ثغرات بهذه الاحتمالات المفروضة ، وإن واحدة منها لتدك العالم دكاً ، وهكذا تقوم الساعة ويفنى البشر) .

إن العلاج الحاسم لا يكون بالودع وحده ، ولكنه يتغلغل في رأى الكاتب إلى البحث عما سبب هذه الآراء العدوانية وأصلها في النفوس هذا التأصيل ، وإذا كان المؤلف قد أشاد بسقراط حين واجه السوفسطائيين وأنكر مذهبه في

من المستحيل أن يرثى لها ، وحاش لله أن يكون قد أودع رُوحاً - أو على الأخص - روحاً طيبة في جسد حالك السواد .

وهذا قول يهوى بمكانة صاحبه العلمية ، أو نزع الغشاوات عن العيون ، كما يدل على تحجر إنسانى يجعله صخرة صماء لا تنبض بعاطفة ما ، ومثله لا يجوز أن يكتب عن روح القوانين ، فيتصدر مقعد التحليل والتشريح ، وقد فقد نور البصيرة ، ورقة الإحساس !

وإذا كانت ألمانيا قد اعتقدت مذهب القوة ورأت في نفسها استعلاءً شامخاً ، يدفعها إلى منافسة استعمارية تجعلها ذات نفوذ سياسى واقتصادى ينبقُ نفوذ إنجلترا المستعمرة الأولى - وتمت ذاك - في العلم فشنت حربين عالميتين كبيرتين أخذت أولاهما سبعة ملايين من النفوس وجاوزت الأخرى هذا العدد فأضافت مليونين جديدين ، إذا كانت ألمانيا كذلك فإن اعتناق مذهب القوة الذى بشر به فلاسفتها المتكبرون قد كان سبب كارثيتها المتتابعين في مدى يقل عن نصف قرن ، فلولا دعاة القوة الغاشمة ما ظهرت النازية في ألمانيا ،

البطش والاستعلاء ، فقد كان عليه أن يأخذ على أفلاطون وأرسطو إنكارهم للمساواة بين البشر ، لأن انتشار المذاهب اليونانية في العالم الأوروبى كان مدعاة البطش الظلم ممن يظنون أنفسهم أرق من سواهم ، وقد رأت أوروبا فريقاً من المفكرين ينكرون حق البشرية في الحرية الشاملة ويدعون إلى أن يستبعد القوى الضعيف ، وقد بلغوا في أقوامهم مكان الرئاسة العلمية والتوجيه الفكرى حتى صاروا أصحاب مذاهب ذائعة في السياسة والاجتماع ، وانتشرت آراؤهم انتشاراً ساعد على الظلم والعدوان ، وقد تعرض المؤلف إلى هذه الآراء مندداً مفنداً فنقل ما كتبه الفيلسوف الاجتماعى (مونتسكيو) في روح القوانين حين قال :

(إذا كان على أن أدافع عن حقنا المكتسب في اتخاذ الزوج ذوى البشرة السوداء عبيداً ، فإننى أقول إن شعوب أوروبا ، وقد أفنت سكان أمريكا الأصليين لم يكن أمامهما إلا أن تستبعد شعوب أفريقيا ، لكى تستخدمها في استصلاح أرجاء أمريكا الشاسعة ، وما شعوب أفريقيا إلا جماعات سوداء البشرة من أخصص القدم إلى قمة الرأس ذوو أنوف فطس إلى درجة يكاد يكون

وما انتقلت عدواها إلى إيطاليا لتظهر الفاشية مؤاخية لها في طريق التدمير والهلاك ، لذلك تحدث المؤلف عن (نيتشة) فيلسوف النازية ، وعن دعوته الباطشة إلى استئصال كل ضعيف بحيث لا يبقى إلا القوى ! ونقل عنه هذه الأقوال الآتية :

(إن الضعفاء والعجزة يجب أن ينفوا ، فهذا أول مبدأ من مبادئ حينا للإنسانية ، ويجب أن نعلم أن من أشد الرذائل حينا للضعفاء والعاجزين إذ الخير فيما يعلى شعور القوة وإرادة القوة ، والشر كل الشر فيما يصدر عن الضعف) .

وقد كانت ألمانيا أول من أودى بهذه الآراء ، ولكنها دفعت الثمن غالياً حتى انكشفت عنها غشاوة الدجل الفوضوى الآثم ، ولو رُزقت قادة حصفاء لتجنبوا مآزقها الدامية ، وأدركوا أفن هذا الداعية الأهوج ! وقد كان في حياته الخاصة التي انتهت بالحنون ما يدفع إلى مراجعة أقواله : ولكنها صادفت هوى لدى من يريد استعباد الأمم فاستعبده هواه ، وخسر نفسه ودولته ، ولحقته لعنات اللاحقين .

ولم يبعد نيتشة عن (لينين) في شيء فكلاهما يدعو إلى استئصال العامة لينعم نفر محدود بالمال والجاه ، وقد

ذكر الأستاذ محمد عرفه رسالة كتبها الزعيم الشيوعي لينين إلى مكسيم جوركي الأديب الروسي يقول فيها : (إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء ! وإنما الشيء الهام أن يصبح الباقي شيوعيين) ! وإذا كان المؤلف قد تحدث عن المعسكر الشيوعي المتربص بالعالم أجمعه ، يثير دفاثنه ويبعث أحقاداً ، ويجعل بأسه مسلط على نفسه ! فإن الكاتب قد أخطأ تقدير الشيوعية حين قال عنها : ص ٥٣ . (إن العقيدة الشيوعية أصبحت عند معتنقيها ديناً ، ففيها ما في العقيدة الدينية من حماس واندفاع وفداء ، وقد يخطئ فهم ذلك المعسكر الغربي ، ويقيسه على نفسه فإذا هو يرى خصمه يقتحم المخاطر ، ولا يحسب حساب الربح والخسران وإنما يحسب حساب الفداء والتضحية أو تقدم العقيدة) .

نقول إن الكاتب رحمه الله قد أخطأ تقدير الشيوعية حين قال إنها تنزل منزلة العقيدة الدينية في حماس معتنقيها ! لقد كان ذلك متوهماً متخيلاً لدى من يصدقون الشعارات ، ولكن التجربة الواقعية بعد الحرب العالمية الثانية أوضحت أن الشيوعية استعمار جديد ، يؤلب الطبقات ليحتل أماكن النفوذ ،

وليستنزف الثروات ، ولا يقدم للأمم المستنجدة به غذاءً أو كساءً أو تمدناً بل يقدم السلاح المدمر بيد، ليعتصر ثمنه بيد أخرى من دماء الضعفاء ! ولو كانت الشيوعية عقيدة ذات حماس عاطفي لوقف الشيوعيون جميعاً في جبهة واحدة ، ولكن استبداد موسكو الدكتاتورية واغتصابها المادى قد كشفها أمام أصدقائها، فحاربها تيتو في يوغوسلافيا، وانتفضت عليها الصين بحيث أصبحت تراها العدو الأول ، وهاجمتها الأحزاب اليسارية في أوروبا ! وبذلك ظهرت موسكو في ثوبها المستعمر بحيث لا تدعو إلى مذهب اقتصادى إلا لتخدع به الفريسة حتى تقع وتصبح سهلة الازدراء! ولعل المؤلف لم يكن يتصور هذه الفجائع حين كتب مؤلفه ، إذ انتهى منه قبل أن تتناكر الوجوه ويفتضح الخداع .

على أن الأستاذ محمد عرفه كان صادق النظرة ، صائب الفكرة حين تحدث عن خداع الشيوعية ، وفساد أسلحتها أمام التطور الاقتصادى فى المعسكر الغربى ، فقال فى وعى أمين : ص ٨٤ .

«إن كارل ماركس لم يكن من غرضه أن يدلل الشرق من الغرب ، وإنما أن

يدلل الضعفاء من الأقوياء ، والعمال من أرباب الأموال فأخى لهم أخية لا يقطعها المهر الأرن ، والتقطتها روسيا ، ونجحت بعض النجاح ، . . . ولكن الغرب بنجته وبصره بالأمور ، ومسايرته للزمن ، سبق فأعطى العمال ما يبتغون ، وأصبح العمال يوازنون بين العامل فى الغرب ، والعامل فى روسيا فيجدونه فى الغرب أنعم بالآ ، وأرغد عيشاً ، لأن العامل فى روسيا كان عليه أن يعمل ليلحق بالغرب فى تقدمه وثرته فبدأ مرهقاً ، وأقل نصيباً فى الحياة ومعنى هذا أن بريق المساواة الاقتصادية لم يعد جاذباً لقوم يجدون أنفسهم من ذوى الرفاهية على حين يرون أصحاب المذهب الشيوعى متقيدى فى آرائهم ، منخفضين عنهم فى مستواهم المعيشى !! فكيف — بالله — يفرون من السعة إلى الضيق ، ولهم عيون تنظر ، وعقول تفكر وتحكم ! وما كتبه المؤلف الكبير تحت عنوان (على من تقع التبعة) تبعة الواقعة إذا وقعت ! والدمار إذا تبع انطلاق القنبلة الذرية الحاصدة للأرواح والمتاجر والمزارع وكل متطلبات الحياة! أقول إن ما كتبه المؤلف فى هذا الفصل دقيق عميق حيث يلتقى بالتبعة على العلماء العباقرة الذين اكتشفوا سر

القبيلة لتضر الناس لا لتفعلهم، وكان عليهم أن يمحضوا بجهودهم العلمية إلى حيث يفيدون ويخصبون ويُسِرُّون ، ثم على رجال السياسة ممن يندفعون إلى المنازعات السياسية ليجلبوا لهم صيتاً مدوياً في العلم دون نظر إلى خراب الأمم وفناء الشعوب ، ثم على رجال الحروب الذين أصبحوا آلات متحركة في أيدي الساسة والمتصدين للزعامات عن انتخاب متورم يحتاج إلى استئصال ، ثم على الأمم الخاضعة للسادة المتصدين بحيث أصبحوا لا يملكون الاعتراض بل يساقون كما تساق النعاج ! على هؤلاء الأربعة من الطوائف تقع تبعات الحرب الذرية ، وقد أفاض الكاتب الكبير في تحديد تبعات هؤلاء بما لا يقبل الجدل من منصف يرى الحق فيذعن إليه في استسلام منطقي ، إذ ليس بعد الحق غير الضلال .

ومن الأبواب الجيدة التي تحدث عنها الأستاذ محمد عرفه ما كتبه عن القومية وخطرها ، فقد كان المؤلف إنساناً كل الإنسان في نظره الرحيم ، وأحكامه العادلة ، إذ أن اعتناق القومية قد جعل الدولة أنانية شرهة ترى النفع لها دون غيرها ، بل تجد من أسباب التفوق أن تقهر غيرها لتستول على ثرواتها ،

وتستعبد أفرادها ، وإذا كان البشر قد تطوّروا في الناحية الاجتماعية من الأسرة إلى القبيلة إلى القرية إلى المدينة إلى الأمة وهي التي تتمثل فيها القومية فإن من الواجب أن تتطور القومية إلى إنسانية عادلة رحيمة ترى الكذب والغدر والخيانة نقيصة عامة تشبُّن العدو والصديق والقريب والبعيد ، لا أن يصبح الغدر مشروعاً مع دولة دون دولة كما نرى في عالم السياسة اليوم !! إذ يجب أن يبقى ولاء الإنسان لأخيه الإنسان مهما كان من غير أبناء جنسه ولونه ولغته ودينه فإنه مع ذلك كله أخوه ، وكلكم لآدم وآدم من تراب .

وقد كان المؤلف متواضعاً كل التواضع حين قال في خاتمة كتابه : ص ١٦٢ .

(إن بعض من يقرءون كتابي هذا سيشرحون بخيبة أمل بعد قراءته ، لأنهم كانوا يقدرّون شيئاً يشبه المعجزة أو السحر ينقذ العلم قسراً من الحرب الذرية ولكنهم رأوا مقدمات ونتائج وعللاً وأسباباً وإشارات إلى العلة وموضعها وإلى الدواء الذي يزيلها وهذا شيء موكول إلى رؤساء الدول) .

ونحن نقول للرجل الفاضل ، إن عليك إلا البلاغ ، ولست صاحب أداة

تنفيذية حتى تجبرُ الناس على اتباع
 بما لا يطبق! وأرجو أن ألتقى مع الباحث
 ما تذهب إليه ، وحسبك أن رأيت الداء
 الجليل فى مقال تال يكشف عن بعض
 فدللت عليه وحللت بواعثه ، وحددت
 جهاده العلمى الدعوب .
 دواءه ، وما عليك أن تلزم المريض
 د. محمد رجب البيوى
 بالدواء ! فلن يكلف الله إنساناً
 الأستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة



لا تستبق الأحداث

ما أسرع الأيام فى الشهر
 وأسرع الأشهر فى العمر
 ليس لما ليست له حيلة
 موجودة خير من الصبر
 فاخطُ مع الدهر إذا ما خطا
 واجر مع الدهر كما يجرى
 من سابق الدهر كبا كبوة
 لم يستقلها آخر العمر
 أبو العلاء المعرى



العمل الاقتصادى من وجهة نظر الإسلام

دكتور / روفى شحى

بسم الله الرحمن الرحيم
(وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ
يَقْتَرُوا وَكَمَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) ...
(الفرقان ٦٧)

ولهذا فإن الدراسات الاقتصادية يمكن
أن تتركز فى :

الندرة .. الإنتاج .. التوزيع ..
وما يتصل بهذه الأنواع من تفصيلات
فإنما هى خاضعة للظروف المحلية والدولية .

ولهذا فإن الدراسات الاقتصادية
المعاصرة لا يمكن أن تتصف بالثبات
والاستقرار لأنها تخضع للعوامل البيئية
المتغيرة . فإذا ما أراد المسلمون أن
يتعرفوا على نظام اقتصادى من القرآن
فإنما عليهم أن يتعرفوا على أسس العمل
الاقتصادى التى تشكل قواعد كلية
يخضعون ظروف البيئة الاقتصادية لها

أسس العمل الاقتصادى فى الإسلام :

الدراسات الاقتصادية الحديثة تنوع
إلى عدة شعب ولكل شعبة هدف ومنهج
خاص فى البحث .

فالنظريات الاقتصادية تبحث فى
آثار الندرة النسبية

وعلم الاقتصاد يبحث فى سلوك الفرد
المعيشى .

وتاريخ الاقتصاد يبحث فى الأحداث
التي تؤثر فى السلوك الاقتصادى ومجالات
الإنتاج والتوزيع .

والاقتصاد السياسى يبحث فى تأثير
العلاقات السياسية بين الدول على العمل
الاقتصادى .

لا أن بخضعوا القرآن لظروف البيئة الاقتصادية . لا سيما إذا كانت ظروف البيئة الاقتصادية من عمل وتقاليده وعادات فكر غير إسلامي .

وبوجه عام فإن القرآن الكريم كتاب الله المعصوم وتطبيقه يكتل السعادة للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والإعراض عنه يكسب المسلمين شقاوة :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . .

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) . .

وقد أقر علماء الاقتصاد بوجه عام أن هدف الاقتصاد هو تحقيق الرفاهية للناس جميعاً ، ولكن هذا الهدف لم يستطع علم الاقتصاد ولا علماءه أن يحققوه . وقد كان الأمل عند علماء الاقتصاد أن يصل هذا العلم إلى غايته بالثورة الصناعية ولكنه فشل كذلك .

لقد فشل علم الاقتصاد في تحقيق السعادة بين العمال وأصحاب العمل .

لقد فشل علم الاقتصاد في تحقيق السعادة بعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م .

لقد فشل علم الاقتصاد في تحقيق السعادة بعد قيام الثورة البلشفية في عام ١٩١٧م وهانحن نرى في روسيا ثورة ضد النظام نفسه .

وهذا دليل على أن العمل الاقتصادي يخضع لقانون آخر ليس في مقدور الإنسان أن يحققه . . ذلك القانون هو :

(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ) (١٢ الشورى)

وإذا كانت النظريات الاقتصادية تقوم على ثلاث دعائم :

الإنتاج ، والتوزيع ، والقيمة

فقد جاء القرآن الكريم بحملة قواعد تؤلف أسساً لهذه الدعامات منذ نزول القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقبل أن يوجد أجداد أصحاب هذه النظريات في الوجود الإنساني . .

بل انفرد القرآن وحده بحل المشكلة الاقتصادية من ناحيتين :

الأولى :

أنه وقبى المجتمع من تفاقم المشكلات

الثانية :

معالجة الانحرافات التي تهدد كيان المجتمع . . .

ولا يصدر هذا عن القرآن إلا لأنه وحى غير مسبوق البتة. وسأتحدث هنا عن :

١ - الحاجات الأساسية للإنسان عند علماء الاقتصاد وفي القرآن وعن العمل ودوافعه والأجرة والأجر . .

٢ - وعن التوزيع : الثروة في نظر الإسلام . . وعن القيمة :

٣ - وعن رأس المال ومفهومه في الإسلام . .

٤ - وعن المشكلة الاقتصادية وموقف الإسلام منها . .

وعندئذ تظهر لنا الأسس التي يقوم عليها العمل الاقتصادي في الإسلام . .

أولاً :

الحاجات الأساسية للإنسان . . السلوك الاقتصادي أثر للتحرك الإنسانى بناء على الدافع Motive أو الرغبة Desire في الحصول على ما يحقق له العيش ، والدوافع أو الرغبة هي الحاجة

التي يشعر بها الإنسان لمواد المعيشة . .

وقد ناقش علماء الاقتصاد هذه الحاجات وأصالوا فيها فرأى Maslow أن الحاجات

الأساسية للإنسان خمس مستويات . ١ - الطعام ، الماء ، الإخراج ،

النوم ، الحرارة ، الجنين .

٢ - الأمن المادى : الملبس ، السكن ، تجنب مصادر القلق . .

٣ - الأمن النفسى : عطف الآخرين ، الاطمئنان على فرص العمل ومستقبل

الأسرة ، صيانة الحقوق والمركز الاجتماعى . ٤ - التقدير الاجتماعى : إخفاء

العيوب .

٥ - تأكيد الشخصية ، الإبداع ، إنتاج الأعمال النافعة :

ويتلخص هذا كله في مسألتين :

حاجات دنيا هي في المستوى الأول والثانى .

وحاجات عليا هي من المستوى الثالث إلى الخامس .

ويرى علماء الاقتصاد أن الحاجات العليا لا توجد إلا عند التقدم الحضارى .

أما الحاجات الدنيا فهي اللازمة لبقاء الإنسان وهي :

الحصول عليها والعمل يجد لاكتسابها
وقرر الإسلام أن العمل في سبيل تدبير
المعاش واجب شرعى وأن المسئول
مسئولية واجبة عن توفير هذه الحاجات
الأساسية الأسرة هو الرجل ، والمرأة لها
أن تعمل تطوعاً وذلك كلا في آية
واحدة : (إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعَ
فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُ
فِيهَا وَلَا تَضْحَى) .

الجوع : الأكل .

والعرى : النساء

الماء : الشراب .

المأوى : السكن .

وهذا هو القدر المشترك بين جميع
أبناء البشر ، وقد سَوَّجَ الإسلام هذه
الحاجات الأساسية بسياسين :

الأول : ضرورة العمل للحصول عليها .

الثانى : إطلاق حرية الأفراد في

نشاطهم من أجل الحصول عليها ،
فالمسلم لا يَحُونُ إلا مُتَجَبِّاً .

والمسلم حر لا تقيده غير قوانين
الشريعة ، فلا شروط تقلل من نشاطه
وعمله أو تعطل من إنتاجه أو تنرض
عليها لونه خاصاً من المشروعات
الإنتاجية ، قال تعالى :

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

أصل الحديث . . . ولعلماء الاقتصاد
نقد ملخصه أن المستريات التي ذكرها
(ماسلاو) مكررة ومتداخلة وأن بعضها
لا يصلح أن يكون حاجة أساسية لأن
الحاجة الأساسية هي : كل ما يلزم
لحياة الإنسان بغض النظر عن درجته
الاجتماعية أو العلمية أو السيرة فإذا
ما قلنا أن الطعام حاجة أساسية كان
ذلك معقولاً لأنه يضم جميع الأفراد
تحتة . أما إذا قلنا أن المدح والثناء حاجة
أساسية كنا مجافين صفة العموم فبعض
الناس يزيده المدح نقصاً . .

ثانياً :

أما مالينوسكى Malinowski فقد
قسم الحاجات إلى ثلاثة أقسام رئيسية :
١ - حاجات أساسية .
٢ - حاجات متفرعة .
٣ - حاجات ثقافية .

وهذا رأى كسابقه كذلك لا يحدد
القاسم المشترك بين أفراد الإنسان ويلاحظ
كل هذا اتكال الفرد على ما تبذله له
الدولة من خدمات .

أما القرآن الكريم فقد حصر الحاجات
الأساسية للإنسان كقواعد للحياة في
أربعة عناصر ، ودفع الإنسان إلى

(وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ) . .

(فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ
مَرْجِعُكُمْ . . .)
وفي الحديث :

« إِنَّ اللَّهَ يَجِبُ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا
عَمِلَ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ » .
« إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكْتَفَرُهَا
إِلَّا الِاهْمُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ » .

« مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا تَعَفُّفًا
عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَسَعْيًا عَلَى عِيَالِهِ
وَتَعَفُّظًا عَلَى جَارِهِ لِقَى اللَّهَ وَوَجَّهَهُ
كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » .

ما هذا الذي أرى بيدك ؟ قال من
أثر المسحاه .. أضرب وأنفق على عيال
فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده وقال :

هذه يد لا تمسها النار . .

والعمل بهذه الصورة وظيفة أساسية
في أن يجد الإنسان احتياجاته الأساسية
في الطعام والكساء والشراب والمأوى . .

فتلك الحاجات هي الحاجات الفطرية
التي لا بد منها للإنسان في أى عصر

(١) المسحاه : هي المجرفة راجع كتاب
النهاية في غريب الحديث ج ٤ ص ٣٢٨ .

ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا
مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك)
(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) . (الزلزلة)

وقد حذر الإسلام من الكسل والبطالة
فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز
بالله من العجز والكسل ، وكان ينصح طابى
الصدقات بالاحتطاب والبيع في الأسواق .

(ب) العمل ودوافعه :

العمل : هو كل إجهاد ذهني أو
عضلي يهدف به الإنسان إلى إيجاد شيء
يسد به بعض حاجاته .

والعمل بهذه الصفة واجب إسلامي
يقول الله تعالى :

(وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) . .

(فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ
رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) . .

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

فأكل الرجل المسلم حاجة أساسية أحاطها القرآن بالرعاية في لحظة العسرة وفي سعة اليسر ورخاء العيش، وقد جعل الإسلام النفقة على العيال واجبة وجعل الحفاظ على حياة الإنسان واجبة، وهنا تدرك حكمة الإسلام في تحريم الانتحار وقتل النفس بغير حق.

والشراب أو الماء بصفة عامة مطلب أساسي للإنسان في حياته وفي عاداته فعليه أن يشرب ماء نقياً وتقية الماء تتطلب منه جهداً تحدده مستويات العمل الاقتصادي، وعليه أن يتوضأ ويغتسل وهذا يوجب عليه أن يسعى اقتصادياً بالتبادل لهذه الحاجة الأساسية على أرفع مستوى، ليحيا وليعبد الله لأن الماء الملوث والنجس لا تصح به الصلاة ولا الغسل وهي أمور أساسية في الدين.

والكساء حاجة أساسية ثم هو واجب شرعى لستر العورة وللصلاة والحج فعلى المسلم إذن أن ينشط اقتصادياً ليكفل حياته هذه الحاجة الأساسية وليستطيع أن يؤدي الصلاة صحيحة، ولباس الأبيض يوم الجمعة سنة، ولباس الفاخر من الثياب وجديدها أيام العيد سنة، والسنة هنا سلوك إسلامي مرغوب فيه. وإذن المسلم مطالب بالنشاط

ثم هي تأخذ مستواها الحضاري بعد ذلك. فالأكل حاجة أساسية : ونوع العمل ومقداره هو الذي يطور مستوى هذه الحاجة الأساسية.

والشراب حاجة أساسية : ونوع العمل ومقداره هو الذي يطور شكل ومستوى هذه الحاجة.

والكساء حاجة أساسية : ونوع العمل الذي يبذله الإنسان ومستواه هو الذي يطور هذه الحاجة الأساسية.

والمأوى حاجة أساسية : وظروف الإنسان الاجتماعية والعسكرية، وحالات في أيام السلم والحرب هي التي تحدد مستوى عمله في تطوير هذه الحاجة الأساسية.

فالمسلم مثلاً يجد أن الله سبحانه وتعالى حدد له الغاية من الطعام وهي المحافظة على حياته. وفي سبيل ذلك جعل له في حالات الاضطرار أن يأكل ما يجده من بعض المحرمات.

ثم في جانب اليسر جعل له كل ما أخرجه له من الطيبات يقول الله تعالى: « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » (الأعراف) (قل من حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطيبات من الرزق) ...

الأساسية ليس حقاً مشروعاً فقط كما يذهب إلى ذلك المشرعون للقوانين الوضعية ولكنه واجب شرعى .

ففي سنة الترمذى :

* لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه فيستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول . . .
ويقول :

إن المسألة كد يكذبها الرجل وجهه .

وفي مسلم :

* دينار أنفقته في سبيل الله .
ودينار أنفقته في رقة .
ودينار تصدقت به على مسكين .
ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك .

* لا يتصدق أحد بشمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيريها كما يربى أحدكم قلوصله حتى تكون مثل الجبل أو أعظم .

* وعن مسلم :

ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه نزعة لحم .

الاقتصادى الذى يحقق له هذه الحاجة على مستويات الواجب والسنة ليكون متأسياً حقيقة بالسلوك الإسلامى الذى سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحديث يقول :

من رغب عن سنتى فليس منى . . .
والمأوى : حاجة أساسية وهو مأوى الإقامة ومأوى الترحال ، ولقد سبق القرآن الكريم الفكر الاقتصادى حتى الآن فى جعل المأوى قسمين : مأوى ثابت ومأوى انتقال . يقول الله تعالى :

والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين . (٨٠ النحل)

فالحاجة الأساسية فى المأوى للسلم مرتبطة بحياته الشخصية وحياته الدينية « وهو يجاهد فى سبيل الله فلا بد وأن يكون له مأوى .

« وهو حاج فلا بد وأن يكون له مأوى كذلك :

مأوى فى الطريق ومأوى فى الإقامة ..
والمأوى يحتاج إلى مواد بناء ومرافق للحياة . . كالمياه والأسواق وغيرها ..
والعمل للحصول على هذه المطالب

خاصاً بالرجل . .

قال تعالى :

(فَقُلْنَا يَا آدَمُ : إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
وَلَزَوَاجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنْ
الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) .

وجه الخطاب إلى آدم وحواء معاً
فيما يتعلق بتحذيرهما من إبليس حتى
لا يخرججا من الجنة ، فإن خرجا كانت
الشقاوة والتعب لآدم لأنه هو المسئول عن
تهيئة وسائل العيش له ولزوجته وأولاده .
وليس في هذا منع للمرأة من العمل
ولكن إيجاب العمل على الرجل وحده
ويوضح هذا جلياً : (قَالَتَا لَا نَسْقَى
حَتَّى يُصْدَرَ الرَّعَاءُ) .

فبنتا شعيب تسقيان الغنم لأن والدهما
شيخ كبير لا يقدر على العمل وليس
لهما أخ ذكر يعمل فعملتا ولكنهما
لم تستطعا مُزاحمة الرجال فوقفتا بعيداً
حتى ينتهي الرجال من سقى أنعامهم وذلك
سعى ونصب في سبيل الحصول على واحد
من مقدمات الحياة الأساسية وهو الماء .

فدل ذلك على أن العمل للمرأة مباح
في حدود تدبير المعاش وبناء الأسرة إن كان
في طلب الرزق حاجة لإيها لعدم وجود
من يعولها أو لعجزه إن كان موجوداً .

و أفضل الكسب كسب الصانع بيده . .

• إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة :

رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة
حتى يصيبها ثم يمسك .

ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله
فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من
عيش أو قال سداداً من عيش .

ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة
من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت
فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى
يصيب قواماً من عيش أو قال سداداً
من عيش فما سواه من المسألة يأكلها
صاحبها سحتاً . .

وفي مسلم :

على كل مسلم صدقة قيل أرأيت إن
لم يجد ؟

قال يحتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق .
بهذا يخلص الفرد المسلم من الذلة
ومن الكسل ويحقق لوجوده حياته بالعمل
الشريف وبياراته المنطلقة في اختيار
ما يحبه من شتى الأعمال .

• • •

ولما كان العمل للحصول على مطالب
الحياة الأساسية واجباً فقد
أعنى الله المرأة من هذا الوجوب وجعله

هذا بالإضافة إلى الأعمال التي يوجبها الإسلام على المرأة . .

فالإسلام يوجب على المرأة أن تكون طيبة ترعى مصالح النساء إذ ليس كل المباح على إطلاقه أن يداوى الطبيب المرأة إلا عند عدم وجود طيبة من النساء لمن . . وقد فطن إلى هذه الخلفية شعوب منطقة جنوب شرق آسيا . .

والإسلام يوجب على المرأة أن تدرس الفقه للنساء فإن في مسائل الفقه قضايا لا يحيز الإسلام للرجل أن يشرحها للنساء بالأسلوب العادى فإن الحياء شعبة من الإيمان .

والإسلام يوجب على المرأة أن تكون ممرضة لأقسام النساء في المستشفيات إذ لا يبيح الإسلام مطلقاً أن تتكشف عورات النساء أبداً على الرجال . .

وذلك كله اقتصادى فى ادّخار الشعور بالأمن فى المجتمع وذلك أساس أصيل فى ضمان سلامة الإنتاج . . .

مستوى العمل :

والعمل الذى يوجبه الإسلام على الفرد المسلم إنما هو العمل الطبيعى الذى تستحقه كل صفة إنه العمل المتسق المناسب وليس العمل الردىء السيئ ٥

والعمل من الفرد المسلم طاعة لله فالرقيب هنا هو الله وحده . . وفى هذا الجو ترتبط مشاعر العامل المسلم بالله دائماً . لأن الله هو الذى يطلب إليه أن يعمل : وقل اعملوا ..

والله سبحانه هو الذى يراقبه : اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. وفى الحديث :

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ أَحَدَكُمْ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ ..

وذلك القدر هو الذى يُعْجِزُ جميع علماء الاقتصاد فى مجال التطبيق . . فلا يقدرون أن يقنعوا العامة والخاصة بقيمة العمل على هذا النحو الإسلامى الذى تحترم فيه الإنسانية ويكرم فيه الإنسان ، حتى ولو ملأوا المكتبات بالفقه والنظريات ، إذ النفس بفطرتها لا تدل إلا لخالفها ، والتمرد على سلطان البشر أمر مألوف وعاقبته وخيمة . . !

وبهذا فقد قرر الإسلام :

أن العمل هو السبيل الطبيعى لكسب المعاش . .

ولبقاء الإنسان على قيد الحياة . .

وأنه لا يجوز أن يهبط العمل عن الحد

وصاحب العمل لمجرد تغير التسمية كما جنح إلى ذلك بعض علماء الاقتصاد فغيروا اسم الأجير إلى عامل لأن العمل في نظر الإسلام من حق كل فرد وواجب على كل فرد ، ومطالب الحياة لا تغلب فهى تقهر النفس الإنسانية وتجبرها على السعى للحصول عليها .

ولقد فشل النظام الرأسمالى أو الاشتراكى بوجه عام فى وضع نظام عادل للعمال .

فى الرأسمالية قد يحصل الأجير على أجر يسمح بمستوى مناسب للعيش ولكنه لا يملك شيئاً من وسائل الإنتاج . وفى الشيوعية قد يملك العامل جزءاً من وسائل الإنتاج ولكنه لا يحظى بمستوى مناسب من العيش ومن الحرية الشخصية فى اختيار العمل الذى يعمل له .

.. أما فى الإسلام فقد قسم الفقهاء الأجير إلى قسمين :

— أجير خاص وهو الذى يقف وقته وجهده على صاحب العمل كالمدرس والموظف الإدارى .

— وأجير مشترك وهو الذى يعمل فى جهات متعددة ومثله الطبيب والمهندس الحر والحياط . .

الذى يكفل تحقيق الحاجات الأساسية للفرد المسلم فى الحالىن : الفردى والدينى . ولا يسمح الإسلام للفرد المسلم أن يعيش عالة أو أن يعطل غيره عن العمل ، أما الناحية الإدارية لتنفيذ هذه القواعد فترجع إلى السلطة الإدارية فى الدولة الإسلامية لأنها تتطور حسب الظروف والأحوال وهى جزئيات تتغير وتنقص وتزيد .

وملخص هذا الجزء :

١ — أن العمل واجب .

٢ — وأن الدولة أو الفرد فى المجتمع ليس من حقه أن يمنع أحداً عن طلب هذه الحاجات الأساسية بالأسلوب الحلال المشروع بل على الدولة الإسلامية .

٣ — أن توفر فرص العمل لكل فرد ليحصل لنفسه ولأسرته على هذه المطالب الأساسية .

٤ — وليس من حق أحد أن يفيد نشاط العامل بحد محدود أو عمل معين . وعلى هذا فكل مال يحصل عليه بغير جهد لا يسمح به الإسلام لأن العمل هو أساس الحصول على الثروة . .

الأجرة والأجير :

لا تتغير العلاقة بين العامل الأجير

وفي كلا الحالتين : فإن الإسلام يأمر بإعطاء الأجير كِراه قبل أن يحف عرقه ، ففي الحديث الشريف : أعطوا الأجير أجره قبل أن يحف عرقه . .

عدالة الأجر :

وإذا كانت الأجور في الغرب تقوم على أساس الخدمة التي يؤديها العامل بغض النظر عن احتياجاته ويرون العدالة في أجور العمال هي التساوى في الأجر نظير نوع العمل المتساوى أو المتشابه . .

فإن الإسلام يعتبر العدالة في الأجر هي عدالة الكفاية . . يقول الله تعالى :

(وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادٍّ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) .

(النحل ٧١)

ففي الآيات نص صريح على تفاوت الأرزاق وعدم قبول النفس التنازل عنه إلى العبيد بناء على اختلاف متطلبات الحياة لكل من الصنفين وهذا ابتلاء من

الله تعالى ليختبر ويمتحن عناصر الجنس البشرى . .

* وتفاوت الأرزاق ظاهرة طبيعية في جميع أنواع المجتمعات قديماً وحديثاً ، لأنها تتبع التفاوت في الذكاء والقدرات الخاصة والظروف التعليمية والاجتماعية والسياسية بل إن مصلحة المجتمع وتطوره وبقائه مرتبطة باختلاف هذا التفاير .

فيقول الله تعالى :

(أَهُمْ يُقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ . نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

(الزخرف ٣٢)

فالتسوية نسبية لا حسابية فإذا زيد أجر عامل متزوج ليواجه متطلبات أسرته فإن أجره يزيد على نظيره العزب الذي يشترك في العمل ، ومع هذا فإنه يقال بحق أن تحديد الأجرين روعيت فيه التسوية وتقوم هذه العدالة على أساس وجدان تأمر به المبادئ الإسلامية ففي الحديث : لا يؤمن أحدكم حتى

١٩٣٦ . . وذكر أن إنجلترا أخذت نظام الضرائب الذي يساعد على حل المشكلة غير أنه أبدى تأسفه الشديد لأن كثرة الضرائب تؤدي إلى التهرب منها . ولذا فقد حكم بأن حل المشكلة عن طريق فرض الضرائب غير مأمون العاقبة .

وقد قرر اللورد ما ينارد كنز : أن العضو المستثمر الذي يقدم أمواله للصناعة والتجارة ويقعد عن السعي والعمل لا يعتبر عاملاً في المجتمع بل هو عضو مشلول وعبارته بالإنجليزية : The Paralyzed investor وذهب إلى أن تحقيق العمالة الكاملة في نظره لا يتأتى إلا إذا جمعت المدخرات وفائض الإيرادات وسلمت إلى الدولة للتصرف بها في وجوه الإصلاح لتحقيق العمالة الكاملة . . وهو بهذا لا يتفق مع المذهب الاشتراكي الذي يقول بتملك أدوات الإنتاج للدولة .

كما عكف جانب كبير من علماء الاقتصاد على دراسة هذه الظاهرة ومنهم : إيفان دوربين Evan Dorbin الذي استمر أكثر من عشرين عاماً لاحظ أن ١٠٪ من البريطانيين يحصلون على ٤٥٪ وأن ٩٠٪ يعيشون على ٥٥٪ وأعاد سبب هذا التعاون إلى نظام الموارث الإنجليزي الذي يعتمد على الوصية ، لا سيما

يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . .
فرعاية حقوق العمال أو الأجراء في نظر الإسلام لا تقوم على أساس من العمل فحسب بل على أساس من الانسجام الوجداني الذي يقوم على الحب الخاص لوجه الله ، وفي الحديث : وَرَجُلَانِ تَحَابَبَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَذَلِكَ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ الشَّرْعِيُّونَ الْاِفْتِصَادِيُّونَ أَوْ السِّيَاسِيُّونَ .

وبذلك فقد ضمن الإسلام مستوى إنسانياً لمعيشة الأجير بقيام هذا المستوى على المودة النفسية والحب في الله . .

ثانياً - توزيع الثروة

« كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ . (الحشر : ٧)

يعترف الصادقون في بحوث الاقتصاد أن الاقتصاد المعاصر يرتكب خطئين بارزين .

الأول : النسب في تحقيق العمالة الكاملة .

الثاني : التوزيع التحكمي الغاشم للثروة والدخل على نحو لا يحقق العدالة .
يقرر ذلك اللورد ماينارد كنز في كتابه :

« النظرية العامة » الذي صدر في عام

بنى النصير قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم النبي وأعطاه كله للمهاجرين
لأن الأنصار لهم أملاك وثروة . .
لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للأنصار :

إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم
ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنمة ،
وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم
ولم يقسم لكم شيء من الغنمة ؟
فقلت الأنصار : بل نقسم من أموالنا
وديارنا ونؤثرهم بالغنمة ونشاركهم فيها . .
والدليل على صحة هذا المبدأ أن^(١)
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى
رجلين قصيرين من الأنصار قسماً
كذلك للدلالة على أن المراد هو عمل تعادل
في توزيع الثروة على المسلمين^(٢) .

وبهذا وضع الإسلام في هذا الفجر
الصادق لكل مجتمع إسلامي ناشئ مبدأ
توزيع الثروة على المستحقين حتى لا يكون
المال دولة بين الأغنياء فقط .

٢ - وينظم الإسلام داخل المجتمع
الإسلامي عدة مبادئ اقتصادية تساعد
على توزيع الثروة على جميع فئات الأمة :

(١) في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ٣١ مجلد ٨
ص ٣١١ حياة محمد .
(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١١٧ .

تلك الظروف التي سببت دخلاً كبيراً
لأصحاب المصانع .

ولذا فقد كانت الوصية التي استخلصها
هؤلاء الاقتصاديون :

خفض الأرباح :
ورفع الأجور :

والاتجاه الأمريكي حول هذا يقول :
ليس في وسعنا أن ننتج بالعمل الرخيص
سلعة تجمع بين الجودة وانخفاض
التكاليف فهو إذن لا يوافق على خفض
الأرباح لأنها تؤثر في نوعية الإنتاج وإن
كانت النظرية الأمريكية توافق على
رفع الأجور لأنها تؤدي إلى حرص
العامل على جودة الإنتاج . .

فإذا ما رجعنا إلى القرآن الكريم والسنة
النبوية وجدناهما يقرران توازناً بين
الربح والأجر وعدم إجهاد المستهلك .
فيما يتعلق بالربح والأجر : (إنَّ
لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)
(الكهف ٣٠)

فحسن العمل مرتبط به الأجر . .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : «إن
الله يحب لأحدهم إذا عمل عملاً أن يتقنه» .

١ - وقد حرص الإسلام على ذلك منذ
فجر بناء المجتمع الإسلامي ، ففي غزوة

١ - فقد أقر الرقب والعمرى فى البخارى :

قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرى لأنها لمن وهبت له .

والعمرى هى : تملكك منفعة لأجل تعود بعدها العين إلى المالك إن مات المنتفع أو يملكها المنتفع إن مات المالك قبله .

٢ - والهبة ، ففى البخارى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويشيب عليها وفى سبيل ذلك فقد شرع الإسلام مسألتين :

الأولى : عدم العود فى الهدية ففى البخارى . . العائد فى هبته كالكلب يقىء ثم يعود فى قيئه . .

٢ - وعدم احتقار كمية الهدية ففى البخارى .

« يا نساء المسلمات لا تحضرن جارة لحارتها ولو فرش شاه . » .
وفيه أيضاً :

« لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت » .

٣ - الزكاة وهى تنظيم متكامل للقضاء على الفقر فى المجتمع الإسلامى :

١ - إذ الإسلام يحدد أن هذا الجزء يخرج لواحد من الأصناف الثمانية

٢ - وأن الإسلام يحذر من البطالة .
٣ - ويحذر من عدم إخراج الزكاة .
● ففىما يتعلق بالنقطة الأولى يقول الله تعالى :

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ
قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) . .
(التوبة ٦٠)

● وأما فيما يتعلق بالمسألة الثانية ففى مسلم :

- « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله . وليس فى وجهه نزعة لحم » .

- « من سأل الناس أموالهم تكثرأ فإنما . . . يسأل أجراً فليستقل أو ليستكثر » .

- « من كان عنده مال لم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع فيقول أنا كنزك . » .

● وأما فيما يتعلق بالمسألة الثالثة ففى مسلم :

يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك .

وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على مجلة الأنهر

- كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير
من اليد السفلى . » .
- ٤ - ثم هو يبحث على الصدقة والعمل
من أجلها : ففى مسلم .
- « خير الصدقة عن ظهر غنى واليد العليا
خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » .
- إغاثة المحتاج فى سنن أبى داود
عن فاطمة بنت قيس عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال : إن فى المال حقاً
سوى الزكاة .
- ٥ - وجعل الوصية ونظامها عاملان
من عوامل توزيع الثروة .
- ٦ - وكان الميراث أحد أركان هذا
النظام . .
- ٧ - ومن أجل توازن عادل فى استقرار
توزيع الثروة كان هناك نظاماً .
- (أُرِيتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ)
إلىخ السورة .
- ١ - للعارية :
- كنا نعد الماعون على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر .
- ٢ - العقيقة ففى البخارى مع الغلام
عقيقة فأهرقوا عنه دمًا . .
- ٣ - الكفارات : الظهار ، اليمين ،
والقتل الخطأ .
- ٤ - النذور لله تعالى .
- ٥ - حقوق الحوار : من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ومن
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .
- ٦ - القرض الحسن : (من ذَا
الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حسنًا) .
- بهذه الأنظمة :
- ١ - الأجر المناسب .
- ٢ - العمل الجيد .
- ٣ - توزيع الثروة عن طريق
تشريعات هى عبادة الله سبحانه وتعالى
يظهر جانب من الاقتصاد الإسلامى
فى جانب توزيع الثروة والأجر والعمل ..
- ثالثاً - (١) رأس المال فى نظر الإسلام :
- رأس المال فى نظر الإسلام ليس
هو النقود وحدها ولكن رأس المال
ثلاثة عناصر :
- ١ - الأرض وما فيها . .
- ٢ - الإنسان وما له من خبرات . .
- ٣ - والنقود وهى حاصل العمل ويمكن
استثمارها فى اتجاهات أخرى ، وبملحوظ أن
عمل البنوك فى المال لا يقوم على ادخارها
فقط بل هو يربحها عن طريق التجارة
أو المشاريع الاقتصادية الأخرى .

فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ (النحل ١٣ - ١٤)

٢- أما فيما يتعلق بالقوى العاملة:
فقد جعل الإسلام الذكاء والقدرات
الخاصة من نعم الله على الإنسان ليستخدمها
في كل ما ينفع وفي كل ما هو خير . .
يقول الله تعالى :

(والله أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا . وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .
(النحل ٧٨)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :
« المؤمن القوىُّ خَيْرٌ وأحبُّ إلى الله
من المؤمن الضعيف وفي كُلِّ خير » .
« المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ . . » .

٣- وأما فيما يتعلق بالنقود فقد
نظم الإسلام عملية التبادل ففي القرآن
الكريم « كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ
الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » وإن صح أن يشمل
هذا كل ما له قيمة مالية .

غير أننا نستخدم المال هنا لأنه هو
الأثر الظاهر في العصر الحديث لعين
الثراء والمال .

وبهذا فإن الأمة الإسلامية بما وصفها
الله فيه من أرض لها إمكانيات كثيرة

١- أما فيما يتعلق بالأرض كجزء
من رأس المال فالقرآن الكريم يقرر :

- اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ
لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

- (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَفِكُونَ)
(١٢ ، ١٣ الجاثية)

وإذا كانت هذه الآيات مكية
فغنى هذا أن القرآن منذ فجر الدعوة
وهو يوجه المسلم إلى حقيقة أساسية هي :
أن الوجود كله سخر للمسلم ليطوِّعه
لوجه الله الكريم .

ويقول الله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا
وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور) .
(الملك ١٥)

- (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا) . (البقرة ٢٩)

(وما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلَفًا
أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ
وهو الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُ مِنْهُ حُلِيَّةً
وَتَلْبَسُونَ مِنْهَا وَتَرَى الْفُلُكَ مَوْآخِرَ

هي أنفس ما تعتر به الدولة الحديثة من البترول والمطاط والخشب والذهب والفضة والحديد والفحم والقصدير والثروة المائية . إلخ .

وبما تملكه من أعداد هائلة من البشر ليس لها عذر في تأخرها عن التقدم الاقتصادي وما عليها إلا أن تأخذ بسبيل الإسلام فيما هيأه لها من الثروات فتعمل بما أتاها من عند الله « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

(ب) وظيفة المال :

لقد حدد القرآن وظيفة المال ، يقول الله تعالى : (ولا تُؤثُّوا السُّفَهَاءَ أموالكم التي جعل الله لكم قياماً) . فالمال هو وسيلة العيش وهو أصل تقوم عليه الحركة المعيشية وهذه الوظيفة حرص الإسلام على المال حتى تضمن الأمة الإسلامية عيشاً مستقراً لها .

وجعل الله في هذا المال حقوقاً :

(وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) (النور ٣٣)

(والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) .

(المعارج ٢٤ : ٢٥)

وحفاظاً على المودة والبخوة الإسلامية فقد أكد الإسلام على سداد المسلم في إخراجه للصدقة أن يراعى مسألتين :

الأولى : النوع الذي يخرج منه الصدقة فقال :

(ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) . (البقرة ٢٦٧)

والثانية : طريقة لإخراج الصدقة فقال : وإن تَخَفَوْهَا وَتُؤْثُّوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ) . (البقرة ٢٧١) وقد جعل الإسلام للفرد ذاته وللأسرة وللفقراء والمساكين والأيتام حقاً في المال يقول الله تعالى :

(وآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَفِي الرِّقَابِ) . (البقرة ١٧٧)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أفضل دينار ينفقه الرجل : دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على راتبه في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله » رواه مسلم . وعند مسلم عن جابر قال : أعتق رجل من بني عذرة عبداً له عن دين فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألك مال غيره ؟ فقال : لا

- ١ - الجهد الإنساني .
 - ٢ - السيادة والاستقرار للدولة والمجتمع .
 - ٣ - الثروة الطبيعية التي تملكها الجماعة الإسلامية . .
 - ٤ - إسهام المال في إشاعة الرخاء لجميع طبقات المجتمع الإسلامي . .
- فهل للمسلمين اليوم ملجأ يهرعون إليه في طلب العدالة الاجتماعية بعد دين الله الحقيقي ؟
- أما الله فقد أُنذَرنا . . (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) . (طه ١٢٣ ، ١٢٤)
- وقد وقع المسلمون في هذا الضنك فهل يفيقون ويرجعون إلى شريعة الله ودينه الإسلام الحنيف لعلهم يرحمون ؟ .
- رابعاً - المشكلة الاقتصادية :**
- يدعى الباحث الاقتصادي (بيجو) أن وظيفة الدراسات الاقتصادية هي تحقيق أعلى المستويات الممكنة عملياً لرفاهية الإنسان .
- ومعنى ذلك في العرف الاقتصادي :
- زيادة ما ينخص الفرد من السلعة الاستهلاكية والخدمات التي تشبع حاجاته مع تخفيف الجهد الذي يبذله في طلب الرزق . .

- فقال : من يشتره مني ؟ غاشتره نعيم بن عبد الله العدوي بمائة درهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعها إليه ثم قال : ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك فإن فضل من أهلك شيء فلذى قرابتك فإن فضل عن ذى قرابتك شيء فهكذا وهكذا . .
- فوظيفة المال إذن هي : إشاعة الرخاء في المجتمع الإسلامي عامة . . وبهذا العرض الموجز يتضح أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على دعائم منبثقة عن العقيدة بالله سبحانه . وأول هذه الدعائم :
- ١ - أن المال أساس للحياة الإنسانية وأن العمل حق واجب يأثم كل مسلم لا يقوم بواجبه على قدر ما منحه الله من الذكاء والقوة .
 - ٢ - أن الحركة الاقتصادية حركة تجمع مستقر له سيادة على جميع أفراد وبلاده . .
 - ٣ - وأن الثروة الطبيعية هي جزء أساسي من رأس المال الذي يجب على المسلمين أن يطوروه بحسب مقتضيات الزمن والبيئة .
 - ٤ - وأن وظيفة المال وقيمتها لإشباع حاجات الإنسان الضرورية وإشاعة الخير والرخاء في المجتمع الإسلامي .
- وملخص هذه الأسس كما يلي :
- يقوم الاقتصاد الإسلامي على عدة دعائم :

تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاطِرَ
لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .
(فاطر ١٢)

(الله الذي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ
لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، وَسَخَّرَ
لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ) . (الجاثية ١٢، ١٣)

فالقرآن يوجه الفكر الإنساني خاصة
والفكر الإسلامي إلى الاستفادة من البحر
في حل المشكلة الاقتصادية التي يبنى
عليها رخاء عيش الإنسان في الأرض . .

ثانياً : كما حث على عمارة الأرض
وأرشد المسلمين إلى معالجة اقتصادهم عن
طريق إضافة أرض جديدة صالحة للإنتاج
وحدد لذلك مدة ثلاثة أعوام لأنها المدة
التي يراها الإسلام كافية للعمارة والتملك
يقول النبي صلى الله عليه وسلم . .

« من أحيا أرضاً ميتة فهي له . .
وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين ^(١) .

ثالثاً : استخراج المعادن من باطن
الأرض . .

ففي الحديث : « المعدن جبار .

(١) رواه أبو يوسف في كتاب الخراج :

ويستدعي هذا الكشف عن الموارد
الطبيعية التي تساعد بتصنيعها على
تحقيق هذا الهدف ولكن الواقع المشاهد
الآن هو : أن قوى العالم الغربي والشرقي
قد اتجهت إلى توسيع رقعة الصناعات
العسكرية وأبحاث الفضاء بما لا يدع مجالاً
للتفكير في حل المشكلة الاقتصادية .

فالنفقات العسكرية التي تستغل في
زمن السلم بلغت أكثر من ١٦٠,٠٠٠ مائة
وستين ألف مليون جنيه إسترليني في العام
الواحد . . أما نفقات أبحاث الفضاء فقد
بلغت أرقاماً مذهلة وكل ذلك على
حساب عيشة الإنسان على وجه الأرض .
وبذلك فإن المشكلة الاقتصادية قد عقدتها

الغرب والشرق ولم يعد قادراً على حلها بعد
أن تورط في السباق العسكري والفضائي . .
أما موقف الإسلام من هذه القضية :
« المشكلة الاقتصادية » فقد قدم لها الحلول
منذ الزمن البعيد :

أولاً : وجه الإنسان إلى الثروة المائية
بكل ما في البحر من معادن وحيوانات
يقول الله تعالى :

(وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ : هذا
عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِفٌ شَرَابُهُ ، وهذا
ملح أجاج ، ومن كل تاكلون
لحماً طرياً وتستخرجون حليّةً

كثير يحقق الرفاهية لأن كل فرد سيجد ما يحتاجه دون جهد وبذلك تبرز قيمة من قيم الاقتصاد الإسلامي وهي القضاء على المشكلة الاقتصادية . . بكثرة الإنتاج واتزان الإنفاق .

خامساً :

١ - حرم الإسلام جميع الأنظمة المالية التي تعطل الدورة الاقتصادية مثل : كنز المال : (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعتاب أليم) . (التوبة)

٢ - الربا : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا . (البقرة)

٣ - الاحتكار : يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« لا يحتكر إلا خاطئ » (مسلم وأحمد وأبو داود) .

« من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ » (رواه أحمد) من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجدام والإفلاس (ابن ماجه)

٤ - والغش : « من غشنا فليس منا » . (حديث مشهور) .

وفيها خمس ما يستخرج زكاة وأربعة أخماس لمن استخرجه . . . » .

رابعاً : قانون الإنفاق :

أباح الله الأكل والشرب .

ولكن بقانون : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين) . (الأعراف ٣١)

وجعل التبذير علامة على التبعة للشياطين : (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) . (الإسراء) وجعل الاعتدال من صفات المتقين :

(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواماً) . (الفرقان)

ثم أمر الفرد المسلم أن يكون معتدلاً في كل أحواله .

(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك . . ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد مذمومةً مخذولةً) (الإسراء)

وذلك القانون له أثره في حل المشكلة الاقتصادية إذ رفاهية الإنسان خاصة إلى الإنتاج والإنفاق معاً ، فكثرة الإنفاق مع الإنتاج ، لا تحقق الرفاهية ، واتزان الإنتاج مع اعتدال الإنتاج ولو غير

٣ - والشركة والمضاربة : عن رويغ
ابن ثابت قال :

إن كان أحدنا في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليأخذ نضو أخيه
على أن له النصف مما يغم ولنا النصف
وإن كان أحدنا ليظير له الفصل والريش
ولآخر القدم .

ولو طبق ذلك النظام لانتهت المسألة
الاقتصادية من المجتمع الإسلامى وعادت
الامة التى بعثت لتكون خير أمة أخرجت
للناس . .

فهل من صاحب لب حصيف .. ؟
هل من صاحب لب يخلص النية لله
ويأخذ بيد الأمة إلى حياض الإسلام
الحنيف . . لعل الله يرحمنا من بلاء
الاقتصاد الذى أتمكنه حقول التجارب
بين أضاير النظريات الشرقية المتداعية
والغربية المتعجرفة . . ؟

لعل فينا رجلاً شديداً يأوى إلى ركن
الإسلام الحنيف ويومها نجد الله قد
رضى عنا وجعل لنا من بعد عسر يسراً ..
فإنه وحده جل شأنه يبسط الرزق لمن
يشاء . . ويرزق من يشاء بغير
حساب ؟ . .

دكتور رعوف شلبي

٥ - والغضب : « لا يأخذن أحدكم
متاع أخيه جاداً ولا لاعباً »

(أحمد وأبو داود)

« لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب
نفس . . . » . الدارقطنى

٦ - والسرقة : (والسارقُ والسارقةُ
فاقطعوا أيديهما) (المائدة)

٧ - وحرَم الرِّشوة : لعن الله الراشئ
والمرتشئ والرائش : (ولا تأكلوا أموالكم
بينكم بالباطل وتدُلُّوا بها إلى الحُكَّام)

٨ - الميسر : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) (البقرة)
سادساً : وأباح كل نظام استثمارى فيه
فائدة للأمة الإسلامية فأحل الله . .

١ - السلم : يقول النبى صلى الله عليه
وسلم :

« من أسلف فليسلف فى كيل معلوم
ووزن معلوم إلى أجل .. » (رواه الجماعة)

٢ - القرض : (مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ
أَضْعَافًا كَثِيرَةً) . . (البقرة)

وفى الحديث :

« ومن فَرَّجَ عن مسلم كُرْبَةً من
كُرْبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً من
كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . . . »

جرير والموالى

الأستاذ / السيد حسن قرون

من شأنى ، والثانى حديثه عن القرى ،
وتزعم الرواة أن ما أنفت منه جلة الموالى
هذا البيت يعنى قوله : « بيعوا الموالى
واستحيوا من العرب » لأنه حطهم
 ووضعهم هكذا يقول المبرد ، والأمر
الثالث « نسب بنى العنبر فى بنى تميم »
وسواء لدى أن ينسب بنو العنبر إلى
تميم أو بهراء فهذا مالا أريده ، إنما
همى من ذلك الشعر موقف جرير من
الموالى ، والموالى فى أيام جرير كانوا
قد دخلوا فى الإسلام وعنوا بالكتاب
والسنة ودراسة اللغة العربية ، حتى قال
فيهم الشعبي وقد مرَّ على قوم منهم
يتدارسون النحو لئن أصلحتموه لإنكم
لأول من أفسده . وكلام الشعبي لا يغضب
الموالى ؛ لأنه يصف واقعاً فاختلاط
العرب بغيرهم من البلاد المفتوحة أفسد
فصاحتهم وتقويم الألسنة منهم ، لكن
جريراً يدخل فى الناحية النفسية فيجعلهم
دون العرب منزلة ومقاماً ، وذلك يرجع

فى الباب الرابع والثلاثين من كتاب
« الكامل للمبرد » كلام كثير صدره
المبرد بذلك الخبر وما صحبه من شعر :
قال جرير - ونزل يقوم من بنى العنبر
بن عمر بن تميم فلم يُقَرُّوه حتى اشترى
منهم القرى فانصرف وهو يقول :

يا مالك بن طريف إن بيعكم
رَفَدَ القرى مفسد للدين والحسب

قالوا : نبيعهك بيعاً فقلت لهم :

بيعوا الموالى واستحيوا من العرب

لولا كرام طريف ما غفرت لكم

بيعى قرأى ولا أنسأتكم^(١) غضبى

هل أنتم خير أو شاب زعانفة

ريش الذنابى وليس الرأس كالذنب

والمبرد رحمه الله يورد هذا الشعر لجرير

لأمور ثلاثة : إعراب « مالك بن خريف »

فلك فى مالك وهو منادى النصب

والرفع ، ولا أتعرض للعلة فذلك ليس

(١) أخرت غضبى .

إلى عنجته جرير وتربيته الأولى ، فقد ولد في اليمامة سنة ٢٨ هـ وبقي مدة بين الأعراب فشب أعرابياً جافياً أوقل كما قال عامل الحجاج إنه أعرابي باقته أى داهية ، ولم يكن بيت جرير ذا ثراء ودعة ، فقد كان أبوه من فقره وحرصه على المال لا يخلب شاته في وعاء خوف أن يسمعه ماراً أو جار فيطلب إليه شيئاً من اللبن ، وجدّه (الخطفي) واسمه (حذيفة) كان له مال ضنّ به على ابنه (عطية) والد جرير فلما ولد جرير وهبه له ثم رجع في هبته ويعلل ابن سلام في (طبقات الشعراء) لرجوع الجحد في هبته بقوله : « ولد للخطفي صبية فرجع فيما كان نخله جريراً . ومن هنا جاء شعر العتاب الذي صاغه الحفيد قاسياً منه :

وإني لعف الفقر مشترك الغنى
سريع إذا لم أرض دارى انتقاليا
وإني لمغرور أعلل بالمسنى
ليالى أرجو أن مالك ماليسا

فأنت أبى ما لم تكن لى حاجسة
فإن عرضت أيقنت أن لا أباليا
ومن أعجب مالاقتة تلك القصيدة
العابئة أنها نقلت إلى دار الخلافة بدمشق

فاستخدمها يزيد بن معاوية على أنها له حين عرض له سوء تفاهم مع أبيه فوجهها إليه ، ويقول ابن سلام : وفد جرير بعد ذلك إلى يزيد وهو خليفة وجرير حدث فأنشده :

وإني لعف الفقر مشترك الغنى
سريع إذا لم أرض دارى انتقاليا
قال : كذبت ، ذاك جرير . قال :
فأنا جرير . قال يزيد : والله لقد فارق أمير المؤمنين معاوية الدنيا وهو يرى أن هذا البيت لى . ولو طال عمر يزيد لكان لجرير شأن عنده لإعجابه به . أليس قد روى شعره ونخله نفسه ؟ ولكن الأمور تبدل ، وتنتقل الخلافة إلى مروان وبنيه ، وجرير لا ينعنيه شيء سوى المال ، والتكسب بالشعر ، ويعيش قابعاً باليمامة ينتظر أن ينتهى الصراع الدائر بين مكة وخليفاتها عبد الله بن الزبير ودمشق وخليفاتها عبد الملك بن مروان ، ليجد فرجاً من حرج ، ومخرجاً من ضيق ، وانتصر عبد الملك ، وقامت وحدة الأمة الإسلامية من جديد ، وانتعش الفتح والدعوة إلى الإسلام ، وجرير لا يجد سبباً يصله بالخليفة ، وأقرب أرض لليمامة العراق ، وفي العراق وال هو بشر بن مروان أخو الخليفة

وتقبل الحكم شعر الشاعر ، وتحدث إليه وفاطنه فوجده حصيفاً ، وافر العقل والذكاء ، فكتب إلى الحجاج أنه قدم على أعرابي باقعة لم أر مثله ، فكتب إليه الحجاج أن يحمله معه ، فلما دخل عليه قال له (بلغنى أنك ذو بديهة فقل فى هذه الجارية لجارية قائمة على رأسه . فقال جرير : ما لى أن أقول فيها حتى أتأملها ، وما لى أن أتأمل جارية الأمير ؟ فقال : بلى ، فتأملها واسألها ، وهنا اتجه جرير إلى الجارية ، فقال لها : ما اسمك ؟ فأمسكت ، فقال الحجاج : خبريه يا خنء . فقالت : (أمانة) فقال جرير : ودع أمانة حان منك رحيل إن الوداع لمن تحب قليلٌ مثل الكتيب تمايلت أعطافه فالريح تجبر متنه وتميل هذى القلوب صواديها يتَمَّتْها وأرى الشفاء وما إليه سبيل فقال الحجاج : قد جعل الله لك السبيل إليها : خذها هى لك ، فضرب بيده إلى يدها فتمنعت عليه فقال : إن كان طيبكم الدلالُ فإنه حسن دلالك يا أمام جميلٌ فاستضحك الحجاج ، وأمر بتجهيزها معه إلى اليمامة .

فليذهب إليه عله يبلغ مناه ، وله موهبته الشعرية الغذة . ألم ينل إعجاب يزيد ؟ يَمِّم جرير العراق وهناك وجد واليا قرشيّاً أمويّاً ودّ لديه أن ينال الجوائز التى تغنيه عن غنم أبيه ومال جده . ولكن بشراً خيب رجاءه ، وجده يلهو بالشعراء يغرى بعضهم ببعض ليسمع التهاجى ، فنال جرير من منافسيه ونالوا منه ، فرجع إلى اليمامة يحمل جراحه ونواحه ، وجرير لا يرى عيباً فى التكسب بالشعر فهو ميراث الشعراء من لدن الجاهلية إلى يومه ومات بشر وسمع بوال جديد فراوده أمله وشد رحله إلى البصرة ، ووجد طلبته عند (الحكم بن أيوب الثقفى) وهو ابن عم الحجاج وعامله على البصرة فأنشده :

أقبلن من ثهلان أو وادى خيم
على قلاص^(١) مثل خيطان السلم
إذا قطعن علماً^(٢) بدا علم
حتى أنخناها على باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم
فى ضئضى^(٣) المجد وبجوح الكرم

(١) نُوقْ شابة .

(٢) جلا .

(٣) أصل .

وينبغي أن تكون أمانة جميلة ، فقد أحبا جرير حباً ملك عليه شغاف قلبه ، ورآها نموذج الجمال في أوانه ، ولا أدل على شغفه بها من أن إختوتها - وكانوا أحراراً من أهل الرى - تبعوه فأعطوه بها - وهو الضنين على المال - عشرين ألفاً فلم يقبل ، بل أنشد :

إذا عرضوا عشرين ألفاً تعرضت

لأم (حكيم) حاجة هي ماها
لقد زدت أهل الرى عندى مودة

وحبيت أضعافاً إلى المواليا

تغيرت نظرتي إلى الموالى ، وارتفعوا في نظره ، وكرموا لديه ، أليسوا أحوال بنيه منها : حكيم وبلال وحزرة هذا هو ما كانت تكنى به أمانة ، فإذا شعر أو مدح ذكرها في شعره ، وتحدث عما يجرى بينها وبينه فأمام الخليفة عبد الملك هتف باسمها قائلاً :

تعزت أم حزرة ثم قالت :

رأيت الواردين ذوى امتناح

تعلل وهى ساعبة بنيتها

بأنفاس من الشبم القراح

سأمتاح البهور فجبنيتي

أداة اللوم وانتظري امتياحي

ثقي بالله ليس له شريك

ومن عند الخليفة بالانجاح

وقد نجح ونال الجوائز الوافرة ورجع إليها قرير العين ، ويقول الرواة إن عبد الملك أعجب بقوله : ألسم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ؟

وأعلن لمن حوله : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا . وهذا الشعر لا يقبله عصرنا فهو أشبه بالسؤال منه بالمديح ، ولكن الشاعر عقله في قلبه وحبه فيهمه أن يذكرها ويؤنوه بها ويحكى ماجرى بينه وبينها ولو تخيلاً ..

وينبغي أيضاً أن يكون غلوه في مدح الحجاج وهو الحقود الحسود كما وصف نفسه مرده إلى أمانة فهو الذى وهبه إياها ثم هو بعد وصله بالخليفة ، فن مبالغاته في مدح الحجاج قوله :

صبرت النفس يابن أبى عقيل

محافضة فكيف ترى الثوابا ؟

ولو لم يرض ربك لم ينزل

مع النصر الملائكة الغضابا

إذا سحر الخليفة نار حرب

رأى الحجاج أثقبها شهابا

إلى كثير من مثل هذا مما يجب

أن يحظى به غيره من الأئمة المهتدين .

وهكذا كان قلب جرير ، فانظر معي

ويحكى عمارة بن عقيل بن بلال
المعاصر للمبرد أنه يوم مدح الموالى
وافته مائة حلة من بنى الأحرار،
وقد يكون جرير ممن أسهم في تسمية
الموالى ببنى الأحرار .

ومن الغريب أن أبناءها كانوا
يفخرون على من أمهاتهم حرائر، لأن
أمامة بثت فيهم الاعتزاز بها والفخر
بها ، إليك هذا الحوار الذى جرى
بين بلال ابنها وبين الحماني الشاعر
لترى صدق ما نقول .

قال الحماني لبلال : يا بن أم
حكيم ليضع من شأن بلال . فقال بلال .
« ما تذكر من ابنة دهقان (أمير)
وأخيدة رماح ((أسيرة حرب) وعطية
ملك (الحجاج) ؟ ليست كأملك التى
بالمروت تغدو على أثر ضأنها كأنما عقباها
حافر حمار » وكان رد الحماني عليه
لاله قال : « أنا أعلم بأملك ، إنما عتب
عليها الحجاج في أمر الله أعلم به فحلف
أن يدفعها إلى الأم العرب فلما رأى
أباك لم يشكك فيه » .

وكان لها تأثير كبير على فنه الأدبي ،
ومذهبه الشعري ، وكل نسب بدأ به
قصائده أهازيج في ذكر تلك الجارية
التي سكنت قلبه وبيته ، والنقاد القدامى

إلى هذا الرجل الذى يقول « بيعوا
الموالى واستحيوا من العرب » ويقول
في مهاجاة الأخطل :
لاتطلبن خثولة في تغلب

فالزنج أكرم منهم أخوالا

تجده يمدح الموالى فيقول :

(ويجمعنا والغرّ أولاد سارة

أب لا نبلى بعده من تعذرا)

[تعذر احتج لنفسه]

ولأنك لتعجب من هذا الأعرابي
الباقعة التميمي اليربوعي وهو من لب
مضر (تميم من إلياس بن مضر)
كيف قبل تزويج ابنته من غير أمامة
إلى ابن أخى أمامة ؟ ويذكر ابن
سلام أنه كان ذا لبل اسم (عصبدة)
لقصر في يده فلم تزل به أمامة حتى
زوجه ابنته وهو على هذا النقص
ثم صحا جرير فقال فيه وذكر
أثر أمامة في وجهته فقال :

وغرنا أمامة فافتحلنا

(عصبدة) إذ تُنْخَلَّتْ^(١) الفحول

إذا ما كان فحلك فحل سوء

خلجت^(٢) الفحل أو لؤم الفصيل

(١) افتحل : اختار فحلا كريما ، وتنخل : تخير .

(٢) فرقت بين الزوجين .

والمحدثون يكادون يجردونه من لواجج الصبابة ، ويصفونه بالقـدرة على الغزل وحسن الأداء فيه ، لأنه لم يفرغ نفسه لفن الغزل كما فعل جميل بثينة وقيس بن ذريح وعمر بن أبي ربيعة وفاتهم أن ينظروا إلى الشعر من حيث هو كلام صادر عن هوى وصبابة ، ولا يغرنك أن يكثر من ذكر الأسماء في ذلك الغزل من سليمى وخالدة وبوزع وما إلى ذلك فكل رمز لأمامة أم خرة أو أم حكيم ، ومعاصروه تنبهوا لروعة بيانه في هذا الضرب من الشعر ، وتدارسوا ما يقوله ، وقد أخذت عليه السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنها جفاءه في قوله :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا

وقت الزيارة فارجمى بسلام

ومع أنه أحسن الخطاب لها ودعا لها بالسلامة في إيابها إلا أنها قالت : ما أجفاه ! ألا يأخذ بيدها ويعاملها بما هي أهله ؟ وقد يكون ذلك قبل أن يعرف أمامة ، وقد يكون قد حزه أمر لا يود أن يشركها فيه ، وهو رجل بلاه الله بكثرة الخصوم ، وكان (المريد) في البصرة في الإسلام بمثابة عكاظ في الجاهلية يتناول

أقوال الشعراء ويستهنون ويستحسن ما يشاء ، وكان الفرزدق وجل بنى تميم يسكنون البصرة وينهون بشعره ، فبنو يربوع وهم قومه الأعلون أغروه بأن يطيل مكثه في البصرة ليكون لسانهم والمتحدث عن أمجادهم ، وكان يستجيب لهم ، وقد يكون الطارق أتاها في ليلة الهموم حين أراد الرد على الراعى النميرى الذى هجاه ونصر الفرزدق عليه ، وقد حكى السيدة التى نزل عندها أنه كان كالذى مسه طائف من الجن حين نظم تلك القصيدة التى فضحت الراعى ونميرا ومنها .

فغض الطرف إنك من نمير

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

فكان يقفز ويحجل ويقول : فضحته

والله ، أخزيتة والله ، فقد جاء خيالها عندئذ فكان ما كان ، وهو رجل صادق لا يزيغ العواطف ولا يلعب بالألفاظ ، بل ينبث تلقائياً استجابة لمشاعره ، وانسياقاً وراء دوافعه ، لكن حين لا يكون إلا هواه ، ولا تتملكه إلا نجواه يحيى السحر الحلال ، والمنطق الصافى كالماء الزلال ، وإليك دليل هذا المقال . يقول محمد ابن يزيد المبرد في كتابه الكامل :

وحدث أن الفرزدق قدم المدينة فنزل على الأحوص بن محمد بن عبد الله ابن عاصم بن ثابت بن أبي الألقح (الأنصارى الشاعر) فقال الأحوص: ألا أسمعك غناء من غناء القرى (المدن) ؟ فأتاه بمغن فجعل يغنيه فكان مما غناه :

أتنى أن تودعنا سليمى
بفرع بشامة سقى البشام ؟
ولو وجد الحمام كما وجدنا
بِسُلْمَانَيْنِ لا كَتَابُ الحمام

فقال الفرزدق لمن هذا ؟ فقالوا :
لحرير . ثم غناه .

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى
شيئاً ألدَّ من الخيال الطارقِ
إن البلية من تمل حديثه
فانقع فؤادك من حديثِ الواقعِ

فقال : لمن هذا ؟ فقبل : لحرير ،
ثم غناه :

إن الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك ما يزال معينا
غَيَّضْنَ من عيراتهن وقلن لى :
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال : لمن هذا . فقالوا : لحرير ،

فقال الفرزدق : ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري ، وأحوجنى مع فسوقى إلى رقة شعره . والخطأ الذى وقع فيه النقاد أن العفة تنافى الحب والحديث عنه ، وأن جريراً كما قلنا لم يفرد للغزل قصائد خاصة مثل الشعراء العاشقين فى عصره ، والرجل لا يقل عنهم صباية وهياماً ، ولكنه حب الزوج ، فما إن يفارقها راحلاً نحو البصرة أو ضارباً نحو الشام حتى يلم به الخيال الطارق ، أو ذكرى الوداع ، أو الحنين إلى من غيظن من عـَبْرَاتِهِنَّ ، وبين أثر الفراق فيهن وفيه ، وطبعاً هذا القول لا يصدر عن قلب سليم معافى من داء الحب ، وهو اجس التبريح ، ويتحير النقاد فى جمال تعبيره وحسن تصويره ، فيقول ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء) « كان جرير عذهاة (عازفاً عن النساء) وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيهاً » وهذه قضية منقوضة ؛ ففاقد الشيء لا يعطيه فالإناء يفيض إذا امتلأ ، والمصدرور ينثى إذا لج به الألم ، ولو لم يكن جرير ملئ القلب بالحب لما استطاع أن يصرف الأنظار إليه ، وأن يجعل من « خياله الطارق » منهجاً للشعراء بعده ولا سيما البحترى . فالسيدة سكيمة سيدة محترمة

صلى الملائكة الذين تُخَيَّرُوا
والطيبون عليك والأبرار
فلقد أراك كسيت أحسن منظر
ومع الجمال سكينه ووقار

ويختم الرثاء بالهجاء أو بالغضب
على الفرزدق ومن تابعه في تهوين أمرها ،
والفخر بتشجيع الحرائر غيرها فيقول :
أقام حزرة يا فرزدق عَيْتُمُ
غضب الملك عليكم الجبار

دعك من حياء الشاعر فهو مستعار
وهو بقية من أعرابيته في اليمامة نكصت
به عن واجب الوفاء نحو شريكته وأم
أولاده النجباء ، لكنه بكى واشتكى
ودعا ، وقضى حق الوفاء لها بهذا الشعر
الخالد ، وكفهاها فضلا أنها ألهمته الشعر
فتاة وزوجا وربة بيت ، وصانعة أولاد ،
ورفعت عن عينيه الغشاوة فرأى في الموالى
أناساً يستحقون الثناء وتبادل العطاء .

رحمه الله فقد فارق الدنيا سنة ١١٠هـ
بعد وفاة الفرزدق بستة أشهر ، وخلف
لنا شعراً يطيب تلقيه ودراسته ، وهذا
جانب من حياة جرير ، ولنا عودة إلى
نقاشه إذا وقفنا إلى عرضها .

السيد حسن قرون

ويهما أن يجد الإنسان قبولاً في
زيارته من المشاشة وتقديم الواجب ،
فما بال النقاد يغفلون عن قلب جرير
وهو الذى يقول لولا أن الهجاء شغلنى
لقلت شعراً يحرك العجوز في محرابها
أو كما قال ، والحمد لله أن شغله الهجاء .

وإذا كان جرير أحسن لقاءها في
مجلس الحجاج في العراق فقد أحسن
توديعها يوم ذهب إلى بارثها ، فقد
فتح للشعراء باباً ولجوه بعده ، ولم
يجدوا غضاضة في أن يلجوه ، وله أسوة
في أبي العاص بن الربيع حين بكى زوجته
زينب بنت رسول الله بشعر يقطر حزناً
ووفاء ، وقد تبع جريراً شعراء مصريون
بدأهم البارودي ، ثم جاء عبد الرحمن
صدقي ، وعزيز أباظة ليفرد كل منهما
ديواناً من الشعر في بكاء الزوجة الغاربة .
فماذا قال جرير في أمامة ؟

قال :

لولا الحياء لهاجنى استعبار
ولزرت قبرك والحبيب يُزَار
ولمت قلبي إذ علتني كبرة
وذوالتأم من بنيك صغسار
لا يلبث القراء أن يتفرقوا
ليل يكر عليهم ونهار

مع رسالة الأديب الصوفي

الأستاذ / عبر الحفيظ فرغلي القرني

القصة الصوفية :

أشرت فيما سبق إلى أن رسالة الأديب الصوفي تتلخص في إعلاء القيم وبحث المثل العليا في النفوس ، وتذكير الناس بما يجب عليهم نحو واجب الوجود ، وإذا كان للأديب العام رسالة تشير إليها هذه العبارة التي وردت على لسان أحد الأدباء « الأديب هو كل من يدلني على الطريق ويسير أمامي » فإن الأديب الصوفي أولى الناس بذلك وأجدرهم به ؛ لما يحتويه كليمه من صدق وروعة وجلال .

وقد تقدم عرض بعض الآثار الأدبية الشعرية والنثرية التي تدور حول بعض المعاني الصوفية ، والتي تجمع بين صدق الوجدان وقوة الفكر وجودة الأسلوب ، حتى إنه ليشعرنا بمدى الرثاء لأدبنا الذي يهمل — عن عمد أو غير عمد — دراسة هذا اللون الممتاز الذي يرفع من قامة

الأديب في الوقت الذي يعني العناية الفائقة بدراسة نماذج شتى بعضها يضر ولا ينفع ، وإني لأتساءل : كيف نقدم للمتعليم نصوصاً متنوعة من الغزل الصريح لبشار ابن برد وعمر بن أبي ربيعة ومن مجون أبي نواس ، ولا نقدم له نصوصاً من شعر الصوفية الذين نسجوا في الأخلاق والحكم والمثل العليا ألواناً رائعة وآثاراً خالدة ؟

وإذا كنت قد تحدثت فيما سبق عن بعض موضوعات الأديب الصوفي فلا ينبغي إغفال فن القصة التي أسهم الصوفية فيها بنصيب وافر .

والقصة يأنس إليها الإنسان بطبعه ، وللقرآن الكريم في ذلك نماذج متعددة تشهد بماللقصة من تأثير طيب في النفوس .

هدف القصة الصوفية :

والقصة الصوفية لها هدف واضح لا تتعده ، وهو تدعيم المبادئ الصوفية وتعظيمها في النفوس عن طريق ما يجتمع

كيف يكون حب الله عز وجل وطاعته والإخلاص له . وفيها إلى جانب ذلك إشارة إلى القوة الروحية التي يصطفى الله لها من يحب من عباده فيرون ما لا يرى غيرهم من الناس . وتغلب على هذه القصة الصفة الحوارية ، وهي سمة كثير من القصص الصوفية .

ومن هذا اللون الحوارى ما تحكيه القصة الآتية :

« مر إبراهيم بن أدهم برجل ينطق وجهه بالهم والحزن فقال له : أيها الرجل ، إني سائلك عن ثلاث فأجبنى عنها ، فقال الرجل : سل عما تريد ، قال إبراهيم : أيجرى في هذا الكون شيء لا يريده الله ؟ قال : لا . قال : أفنتقص من رزقك شيء قدره الله لك ؟ قال : لا . قال : أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة ؟ قال : لا .

قال إبراهيم : فعلام الهم والحزن إذن ؟ ووضح ما تهدف إليه هذه القصة من تدعيم لقيمة التفويض إلى الله والرضا بقضائه وقدره .

موضوعات القصة الصوفية :

والقصة الصوفية تدور حول موضوعات متعددة :

فيها من عبارات وإشارات وما تحويه من معان وأذواق ، وهي المثل : تبعد عن التفصيلات المثيرة والعبارات الفضفاضة والأوصاف الجانبية التي تعتمد عليها القصص الأخرى وهي في جملتها موجزة لأنها لم تسق إلا لغرض واضح محدود ، فمن ذلك ما يحدث به « ذوالنون » قائلا :

« بينما أسير في أنطاكية إذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جبة صوف ، فسلمت عليها فردت على السلام ، ثم قالت : ألسن ذا النون المصرى ؟ فقلت : عافاك الله كيف عرفتنى ؟ فقالت : عرفتك بمعرفة حب الحبيب . ثم قالت : أسألك عن مسألة ، قلت : سألنى . قالت : أى شيء السخاء ؟ قلت : البذل والعطاء . قالت : هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين ؟ قلت : المسارعة في طاعة رب العالمين . قالت : إذا سارعت إلى طاعة المولى فهو أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد منه شيئا . ويحك يا ذا النون ، إني أريد أن أطلب منه شيئا منذ عشرين سنة فأستحى منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة ، ولكن اعلم تعظيما لهيبته وعز جلاله » .

فالهدف من هذه القصة تعليم الناس

أسهروا الأعين العليلة حبا
فانقضى ليلهم وهم ساهروننا
شغلهم عبادة الله حتى
قبل في الناس إن فيهم جنونا
فهذه قصة تدعو إلى خشية الله
وليثار الآخرة على الأولى ، والزهد في
المظاهر ، والسهر في الطاعة والاهتمام
بالعبادة ، وهذا كله مما يدعو إليه
الصوفية ويربون مريديهم عليه .

٢- ومن قصصهم ما يتجه إلى
تعظيم الصالحين عن طريق سرد حكاياتهم
وقصص كراماتهم وإبراز مكاناتهم وعلو
كعبهم في الطريق ، وهذا اللون كثير
منبث في الكتب ومن نماذجه ما أورده
الطوسي في كتابه اللمع .

« أخبرني جعفر الخلدي رحمه الله
فيما قرأت عليه قال : حدثني الجنيدي
رحمه الله قال : دخلت على سري
السقطي رحمه الله يوماً فقال لي :
أعجبك من عصفور ينجى فيسقط على
هذا الرواق ، فأخذ لقمة فأفقتها في
كفى فيسقط على أطراف أنامل
فيأكل ، فلما كان في وقت من الأوقات
سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي
فلم يسقط على يدي كما كان قبل ذلك ،
ففكرت في سبب العلة في وحشته غنى

١- منها القصة الأخلاقية التي
تهدف إلى توطيد الأخلاق في النفوس
وتربية السالكين والمريدين مثل هاتين
القصتين السابقتين ومثل القصة التالية :

قال عطاء السلمي : منعنا الغيث
فخرجنا نستقي فإذا بسعدون المجنون
في المقابر ، فنظر إلى فقال : يا عطاء ،
أهذا يوم النشور أو بعث ما في القبور ؟
فقلت : لا ، ولكننا منعنا الغيث فخرجنا
نستقي ، فقال : يا عطاء ، بقلوب
أرضية أم بقلوب سماوية ؟ فقلت :
بل بقلوب سماوية . فقال : هيهات
يا عطاء ، قل للمتبهرجين : لا تبهرجوا ؛
فإن الناقد بصير ، ثم رمق السماء بطرفه
وقال : إلهي وسيدى ومولاى ، لا تهلك
بلادك بذنوب عبادك ، ولكن بالمكنون
من أسمائك ، وما وارت الحجب من
آلائك إلا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا
تحى به العباد وتروى به البلاد يا من
هو على كل شيء قدير . قال عطاء :
فما استتم كلامه حتى أرعدت السماء
وأبرقت وجادت بمطر كأفواه القرب ،
فولى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدون
إذ ملوهمو أجاعوا البطون

قلت : نعم ، ففشى بين يدي خطوات
وغاب عن عيني فإذا أنا على الجادة ،
ومنذ فارقت الشخص ما تهت ولا أصابني
الجوع ولا العطش .

والقصص التي تدور حول الكرامات
كثيرة ، وقد دار حول كرامات الصوفية
كلام كثير لا مجال للحديث عنه ،
ويكفي أن تكون الكرامة قد ورد في
القرآن الكريم والحديث الشريف ما يثبت
حدوثها . على أن الصوفية أنفسهم لم
يجعلوا الكرامة هدفاً لهم ولم يقنوا عندها
وقالوا في حقها : ربما يرزق الكرامة من
لم تكمل له الاستقامة ، والكرامة الحقيقية
في نظرهم هي ما قاله سهل بن عبد الله
رضي الله عنه : « ما الآيات وما الكرامات ؟
إنها تنقضي لوقتها ، ولكن أكبر
الكرامات أن تبدل خلقاً محموداً من
أخلاق نفسك بخلق منموم » وقيل
لأبي يزيد رحمه الله : فلان يقال إنه يمر
في ليلة إلى مكة ، فقال : الشيطان يمر في
لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة
الله « وأصدق ما قالوه في ذلك :
الاستقامة خير من ألف كرامة .

٣- ومن القصص ما يدور حول
السباع - ولهم في السماع شرائط متعددة
قلما تتحقق - ويكون هذا اللون من

فذكرت أني أكلت ملحاً بأبزار (توابل)
فقلت بسري : أنا تائب من الملح المطيب ،
فسقط على يدي فأكل وانصرف .

ولا يخفى ما في قص هذه الكرامة
أيضاً من توجيه روعي عال لزهاد
الصوفية الذين أصبح المباح في نظرهم
حجاباً . ولئن كان الخلدی في هذه
القصة ألزم نفسه الشدة فإن غيره من
بعض الصوفية لم يقف عند هذا المعنى
للزهد ، ولكن نظر إلى أن الزهد الحقيقي
في ترك حظوظ النفس ، وعلى ذلك
فتناول الدنيا مع عدم تعلق القلب بها من
تمام الزهد ، ويحكى عن الحارث
المحاسبي أنه كانت له دار حسنة وثياب
نظاف وفي داره شاه مرغ ، وكان
بعضهم يقول لمريده : إذا عطشت
فاشرب الماء البارد لأنك إذا قلت الحمد
لله قلتها برضا نفس وانشراح صدر ، أما
إذا شربت الماء الحار وقلت الحمد لله
قلتها بكرازة نفس وضيق صدر . وهذا
من دقائق التأديب .

ومما يقصه إبراهيم الخواص قوله « تهت
في البادية أياماً ، فإذا بشخص واغاني
فقال لي : السلام عليك ، فقلت :
وعليك السلام . فقال : تهت ؟ فقلت :
نعم . فقال لي : ألا أدلك على الطريق ؟

الغلام قد أفقرني وأهلك جميع مالي وأضر بي وبعمالي . فقلت له : ما فعل ؟ فقال : إن هذا الغلام له صوت طيب ، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال ، فحملها أحمالاً ثقيلة وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة ، فلما وافت وحطت أحمالها ماتت إلا هذا الجمال ، ولأنك ضيفي قد وهبت لك الغلام فحل قيده .

فلما أصبحت أحببت أن أسمع صوته فسألته ذلك فغنى فوقعت على وجهي ، وما أظن أني سمعت صوتاً أطيّب من صوته .

وليست قصص السماع عند الصوفية قاصرة على الشعر وغنائه دون غيره ، ولكن السماع أياً كان موضوعه ولغته له في نفوس الصوفية أثر مشهود ؛ لأنه يصادف ما وقر في وجدانهم من شعور وفي أذهانهم من معان . حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : دخلت على سري السقطي رحمه الله ، فرأيت رجلاً بين يديه قد غشي عليه ، فقال لي : هذا رجل سمع آية من كتاب الله عز وجل فغشي عليه ، فقلت : اقرأ عليه هذه الآية التي قرئت . فقرأ فأفاق . فقال لي : من أين لك هذا ؟ فقلت : رأيت يعقوب عليه السلام كان عماء من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر

القصص مادة سخية في القصة الصوفية ، ومن ذلك : « حضر أحد تلامذة ذي النون مجلس قوال في بغداد ، فلما طاب السماع وتواجد السامعون صرخ ذلك التلميذ ووقع فحركوه فوجدوه ميتاً ، فوصل الخبر إلى ذي النون ، فقال لأصحابه : تجهزوا حتى نصل إلى ذلك القوال ، فلما وصلوا إليه غنى ذو النون وأصحابه ، والقوال يسمع . ثم صرخ ذو النون فوقع القوال ميتاً ، فقال ذو النون : قتيل بقتيل أخذنا بثأر صاحبنا .

ومن ذلك ما حكاه الدقي في اللمع قال : كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خبائه ، فرأيت في الخباء عبداً أسود مقيداً ، ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت ، ورأيت جملاً قد نحل وهو ذابل كأنه ينزع روحه . قال : فقال لي الغلام المقيد : أنت الليلة ضيف مولاي وأنت عنده كريم فتشفع فيّ حتى يحل عني هذا القيد فإنه لا يردك .

قال : فقدموا لي الطعام فأبيت أن أكل فاشتد ذلك على صاحبي ، فقال لي : مالك ؟ فقلت : لا آكل طعاماً إلا بعد أن تهب لي جناية هذا الغلام وتحل عنه قيده ، فقال : يا هذا إن هذا

ولو كان عماء من أجل الحق ما أبصر بمخلوق . فاستحسن منى ذلك .

والقصص التي تدور حول السماع إما أن تكون مخبرة بواقعة حال أو بيان أدب في السماع أو لفت النظر إلى سر من أسرارهم وهكذا ، والجمال يضيق عن عرض نماذج من ذلك .

٤ - ومن القصص الصوفى ما يدور حول الحب الإلهى وما يعانى المحبون منه ، والصوفيون يعتنون بهذا اللون من القصص لأنه يطابق أحوالهم ويحكى وجدانهم ويشير إلى ما يقاسونه من وجد وشوق . « حدث أبو على الروذبارى قال : جرت يوماً بقَصْرٍ فرأيت شاباً حسن الوجه مطروحاً وحوله ناس مجتمعون فسألتهم عنه فقالوا : إنه جاز بهذا القصر فسمع تجارية تغنى وتقول :

كبرت همة عبد
طمعت فى أن تراكا
أو ما حسب لعين
أن ترى من قد راكا
فوقع ميتا .. ذلك لأن القول صَادَفَ
هوى فى نفسه وحرك شجونه وأثار وجدانه .

خصائص القصة الصوفية :

سبق الإشارة إلى أن بعض القصص

الصوفية فيها إيجاز وحوار ، وهى تتسم إلى جانب ذلك بالواقعية لأن صاحبها يعيش فى الواقع الذى يشغل حياته ويملاً فراغه ، وهو أبعد الناس عن الخيال الذى يعتبره ضرباً من الوهم يتعارض مع مثاليته وأخلاقياته ، وليس المقصود بالخيال بداهة ما يلجأ إليه الشاعر أو الكاتب من صور بلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية مما يعين على تأكيد الواقعية دون معارضة لها .

وباستعراض النماذج السابقة نجد الواقعية واضحة فيها فهى مشتقة من تجاربهم التى يمرون بها .

كما يغلب على القصة الصوفية مزجها بالشعر الذى يصف الحالة الوجدانية التى يمرون بها ، ومن هنا يمكن القول بأن القصة غالباً ما تكون ثمرة تجربة ذاتية ويحكى بها صاحبها واقعة حال ، وندرك ذلك من القصة التالية :

« وقع أبو حمزة الصوفى رحمه الله فى بئر فطموا رأسها ، فجاء سبع ففتح رأس البئر ونزل فتعلق أبو حمزة برجله فأخرجه من البئر ، فسمع هاتفاً يقول : هذا حسن يا أبا حمزة نجيئك من التلف بالتلف : من البئر بالسبع ، فأنشد أبو حمزة :

قصة « رؤيا في السماء » التي يصور فيها على لسان أبي خالد الأحول الزاهد قصة الشيخ أبي ربيعة الفقيه الصوفي حين ماتت زوجته ، وقصة « بنته الصغيرة » التي يحكى فيها طرفاً من سيرة أبي يحيى مالك بن دينار وغيرهما من القصص ، ونستشهد لهذا اللون بطرف من قصته « الشيطان » :

« قال الشيخ أبو الحسن بن الدقاق :
كان شيخى أبو عبد الله محمد الأزهرى العجمى رضى الله عنه رجلاً صاحب آيات وخوارق مما فوق العقل ، كأنما هو سر من الأسرار الجارية في هذا الكون ، وقد بلغ رتبة النجم في أفقه البعيد فيه أهواء الإنسان وشهواته وطباعه إلا أنها كنور النجم في تألقه ولألانه من إشراق روحه وصفائها ، وقد ارتفع بآدميته فوق نفسها فأصبح في الناس ومعه أساؤه يجعلها بين قلبه والدنيا ، والرجل إذا بلغ هذا المبلغ كان حياً كالميت ساعة احتضاره ينظر إلى كل ما في الحياة نظرة من يترك لا من يأخذ ، ومن يعتبر لا من يغتر ، ومن يلفظ لا من يتذوق . . . ويرى الشهوات كأنها من لغة لا يعرفها فهمى ألفاظ فيها معانى أهلها لامعانيه . . . »
وقد سألت الشيخ مرة : كيف تحدث الكرامات والخوارق للإنسان ؟

نهانى حياى منك أن أكتم الهوى
وأغيتنى بالفهم عنك من الكشف
تلطفت في أمرى فأبديت شاهدى
إلى غائبي واللفظ يدرك باللفظ
ترأيت لى بالغيب حتى كأنما
تبشرنى بالغيب أنك في الكف
والقصة الصوفية قصيرة لأنها تقصد إلى المغزى رأساً ولا تغنى بالتفصيلات والجزئيات لأنها في غنى عن ذلك ، ولكنها مع إيجازها الشديد ترك في النفوس أثرها المنشود ، إنها تعتمد على الإشارة أكثر مما تعتمد على العبارة ، وخير الكلام ما قل ودل . .

أما القصة الحديثة بعقدتها وحلها فهي لم تعرف طريقها بكثرة في الأدب الصوفي ، وذلك أن القصة الجيدة تستمد مادتها من الخبرة الذاتية التي يحصلها القاص بتجاربه الخاصة ويشترط فيها الصدق مع النفس ، وربما نقل عن تجارب الآخرين المدونة أو المروية التي تمثل ثقافته العامة ولكن بشرط صدق الانفعال أيضاً حتى تصبح هذه التجارب كأنها تجربته هو . وقد نجد أمثلة لذلك فيما كتبه الرافعي رحمه الله في كتابه وحى القلم من إقصص استمدت غذاءها من الحو الصوفي وحياة الصوفيين ومن أمثال ذلك

وبينها عشرات الأميال ، والشمس توشك أن تغيب ، وأنا والسائق في خطر الموت جوعاً أو اقتراساً في موقف ليس فيه بصيص من رجاء ، ولم أجزع . كانت بعض نفحات من إيمان قد نبئت من الجزع الذي عشت فيه أكثر العمر والأيام ، وذهبت أمشي في الرمال إلى غير قصد سوى أن أهدئ من روعي وقد أسلمت أمري إلى الله .

« والتفت صاحبي وقال : ماذا تحسبني رأيت في الصحراء الجرداء ؟ رأيت جدولا من الماء هو نفسه الذي شهدته في حلم الصبي ذي الاثني عشر ربيعاً ، ستقول إنها نفحات « دروشة » أصابتني وأنا على مقربة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قل ما شئت ، فهذا ما حدث والله بيني وبينك شاهد على أنني لا أروى إلا الصدق الصراح ، تولتني الدهشة وتساءلت : كيف يصبح ما حسبته يوماً من الأيام أضغاث أحلام حقيقة واقعة ؟ وارتويت وصليت وسجدت لله شكراً ، ودعوته أن يكون معي وقد تطهرت من الذنوب والآثام .

« وعدت من حيث الغدير إلى حيث السيادة المغرورة في الرمال ، واستعنت

فقال : يا ولدي ، إن الإنسان من الناس المحجوبين يتصرف في جسمه ولا يكاد يملك لروحانيته شيئاً ، فإذا أبلى في المجاهدة ووقع في قلبه النور تصرف في روحانيته ولا يكاد يملك لجسمه شيئاً ، فمن أطاق أن ينسلخ من بشريته واتسعت ذاته في معاني السماء بمقدار ما ضاقت من معاني الأرض ، وكان معداً لأن يتحقق في روحانيته معاناً على ذلك بطبيعته فوق الاعتدال فقد شاع في الكون وأصاب له وجهاً ومذهباً إلى تلك القوة التي تهدم في العالم وتبنى وتفرق وتجمع وتنقل الصور بعضها إلى بعض ، فإن الكون كله جوهر واحد هو النور . . »

وربما كان من قبيل القصة الصوفية الحديثة ما نقرؤه بين الحين والحين من ثمرات أقلام بعض الأدباء في لحظة من لحظات الصفاء الروحي التي يمر بها الإنسان حين ينتصر على ماديته ، وفي أثناء رحلة من رحلات الروح وتجربة من تجارب اليقين ، ولنقرأ مثلاً ما نشرته يوماً إحدى الصحف للأستاذ محمد زكي عبد القادر يسرد قصة صديق :

« . . . كنت على موعد في ينبع آخذ منها الباخرة إلى أرض الوطن ، وبينى

« وأغمض المتحدث عينيه كأنه ذهب في غيبوبة ثم أفاق ليقول : لن تصدق ، اجعله مصادفة ، اجعله قدراً ، اجعله ما تحب مما تريد أن تصفه به ، ولكن ما حدث ردني إلى صفاء نفس وشفافية إحساس ، وآمنت أن هناك قوة تعطى وتمنع وأنا لا نملك من أنفسنا إلا ما يريد الله » . . .

وهكذا تمضي القصة الصوفية في تحقيق رسالة الأدب الصوفي من إعلاء للقيم وإحياء للمثل وتذكير بالله وتدعيم لمبادئ الأخلاق وتصوير لجانب عظيم من جوانب المجتمع الإسلامي يصدر كل ذلك عن فطرة صافية ، وما توحى به الفطرة أعمق أثراً مما يخلقه التنميق والتجيد والتزيين كما يقول الأدباء .

عبد الحفيظ فرغلي على القرنى

بالله ورفعتها فارتفعت ثم دفعتها إلى الأمام . .

« وبلغنا ينبع وقد أوغل الليل وكانت الباخرة قد أقلعت في موعدها قبل أن نصل . قلت لصاحبي : إنك لن تشاء إلا أن يشاء الله ، وأقمت في الميناء بعض الوقت أسأل عن الباخرة التالية وأرتب نفسي على حساب جديد ، ولم أكن ضيق الصدر بما حدث من تخلفي عن الباخرة .

« وبينما أعد شأني انتظاراً لموعد الإبحار الحديد إذا بمن ينبئني أن الباخرة التي كانت قد أقلعت في المساء عائدة إلى الميناء . . وأضاف موضعاً . . وقعت على ظهرها حادثة وفاة ، ويقضى القانون البحرى أن تعود الباخرة إلى حيث أقلعت ما دامت لم توغل في البحر .

من آداب الوالد مع أولاده

« يعينهم على بره ، ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم ، ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم ، ولا يمنعهم من طاعة ربهم ، ولا يمن عليهم بتربيتهم » .

قضايا لغوية ..

أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية

للكسور توفيق محمد شاهين

(٣)

أو الكلية تتجمع في مجموعات من الألفاظ هي أشبه بالقبائل العربية ، ويبقى في اللغة دائماً عنصراً خالداً ثابتاً في مادة الألفاظ .. وفي معانيها»^(١) . وبقيت محافظة على أنسابها مهما تأت ديارها .

وحين لمس علماءنا القدامى المناسبة بين اللفظ والمعنى أشاروا إلى تلك الظاهرة ، وتبعوها من قديم : وعقد لها ابن جني فصلاً في خصائصه ، بعنوان (باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني)^(٢) ، ذكر فيه : أن الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، قد نبها عليه ، وأن جماعة اللغويين قد تلقته بالقبول .. وحددوا الأماكن التي تكون فيها هذه الظاهرة واضحة جليلة . كما تظهر في الألفاظ التي تحكى

رأينا فيما سبق أن اللغة لم تبدأ - في أول أمرها - بالمنطق والفكر ، ومن ثم تبعتها المنهج الوصفي في تتبع تاريخها ومحاولة الكشف عن حقيقتها السحيقة ، ولم تتبع المنهج الفلسفي الإغريقي الذي ادعى أن اللغة منطقية .

وتنفرد مجموعة اللغات السامية بميزة ظاهرة ، هي الاعتماد على الجذر والاشتقاق وفي لغتنا العربية نجد أن كل مجموعة تشترك في الجذر الأصلي ومعنى عاماً يولف الطبقة الأصلية المشتركة لمفردات المجموعة . وثبات الحروف الأصلية يساعد على كشف العلاقات بين المأظها : فالصديق ، والصدقة ... من مادة (الصدق) . والعدو ، وعدا واعتدى .. من (العدوان) وهو التجاوز في الظلم . ومحصل ذلك : (أن المعاني العامة

(١) عبقرية اللغة العربية ١٩ .

(٢) الخصائص ١/ ٥٤٤ .

بل عد علماء اللغة من لطيف صنع العرب وحكمتهم اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيباً ، وتقديم ما يضاهي أول الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود ويمثل ابن جني لذلك بحروف (بحث) :

(فالباء) لغلظها تشبه بصورتها خفقة الكف على الأرض ، و(الحاء) لصحلها تشبه مخالب الأسد وبرائن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض . و(الثاء) للنفث والبت للتراب^(١) .

وأكثر من ذلك ، نجد أن المعنى العام باق مع تقاليد حروف المادة ، وقد نبه على ذلك القدامى كالحليل ابن أحمد وابن دريد ، والفارسي ، وسماء ابن جني بالاشتقاق الأكبر . والمادة الثلاثية تعطي ست مواد في تقاليدها ، والرابعة تعطي أربعاً وعشرين ، والخماسة تعطي مائة وعشرين . وقد تستعمل كل التقاليد أو بعضها أو تهمل كلها لإهمال الأصل . فتقاليد (سلم) الستة تفيد معنى السهولة والأصحاب والملاينة .

(١) الخصائص ٤٥٦/١ .

أصواتا ، كخزير الماء ، وأزير القيدر . أو في المصادر التي تتابع حركاتها ، كالغليان ، والدوران ، والجمزى والبشكى . أو في حروف إذا تصدرت الفعل نقلته من حال إلى حال : فالفعل (غفر) يفيد ثبوت المغفرة ، وحروف الاستقبال ، تنقله إلى طلب المغفرة ورجاء تحقيقها في (استغفر) .

كما تظهر في اختيار اللفظ المناسب للحدث قوة وضعفاً ، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث : فالنضح (بالحاء) لرش الماء برقة ، والنضخ (بالحاء) لشدة فورانه وقوته ، إذ في الحاء لين ورخاوة ، والحاء تزيد عليها شدة وقوة .. ومن هنا نلمح سر الإعجاز في التعبير القرآني عن متع الجنة ونعيمها : « فيهما عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ » بالحاء ، وفي الأثر (كل إناء بما فيه ينضح) بالحاء . وأيضاً مثل : (خضم) لأكل الشيء الطرى ، و(قضم) لأكل الشيء اليابس الجاف : إذ في الحاء رخاوة ، وفي القاف صلابة . والله دَرَأَى ذر - رضى الله عنه - حين صاح منكرراً على الحكام نعيمهم وترفعهم وشظف عيش رعيته : (ويخضمون ونقضم ، والموعود الله) .

طبيعتها ما يجعلها دالة حتمًا على الشيء
الفلائي ، أو الفحوى الفلائي ، إنما
تنشأ الصلة بين الصوت ومعناته اتفاقًا ،
أو بإرادة المتكلمين عن طريق السماع
أو الاستعمال . . . » إلى أن يقول :
«إننا لا نجحد أن لبعض الكائنات
دويًا ، وللحيوانات أصواتًا ، بيد أن الناس
يحاكون هذا الدوى ، وهذه الأصوات
بطرق متباينة ، إذ أن كل فريق يتوهم
سماع نوع من الدوى والصوت فيحاكيها ،
طبقًا لهذا الوهم»^(١) ونقول له : حسبنا الدوى
والأصوات وتوهم المتوهمين ، ليصوغوا
منه ما يفهمون وما ينطقون .

وقد بهرت هذه الظاهرة العجيبة في لغتنا
علماء اللغة ، وهى وشائج القرني والصلات
الواضحة بين المجموعات اللغوية ، سواء
اشتركت في حرفين أو في حرف واحد
مما يوحى بأن القول بالأحادية في نشأة
اللغة له أساس : ثم تدرجت من هذا
الدور نحو الاكتناز ، لتفى بما يطلب منها
تبعًا لمقتضيات التطور .

فالكلمات المشتركة في الحرفين (ن ،
ف) تدور حول معنى الخروج ، مثل :
نفث ، نفح ، نفخ ، نقد ، نفذ ، نفر ،
نفس ، نفح ، نفق ، نفق ، نفل ، نفى) ...

(١) معجميات عربية سامية ١٠٢ .

وتقاليب (جبر) تدور حول معنى عام
هو الشدة والقوة^(١) في (جبر ، جرب ،
يجر ، برج ، رجب ، رجب) .

ويرى الشيخ العليلي ، أن :
«القاعدة تقضى بوجود جامع معنوي
بين المقاليب الستة ، لا يمكن أن
يتخلف ، وإن كل على بعد»^(٢) .

وهكذا ظل الاشتراك في كل
الحروف أو بعضها ، مع الصلة
الصوتية السبيل لمعرفة الأصل ، وفي
معجم مقاييس اللغة لابن فارس
الحشد الهائل والأمثلة الوفيرة لتبيان
ذلك ؛ إذ قد شارك أصحاب المعاجم
في جمع الكلمات المشتقة من مادة
واحدة في باب واحد ، وزاد عليهم
بمتابعة المعاني مفردات الباب الواحد ،
وإرجاعها إلى أصل واحد ، أو عدة
أصول من المعاني .

ولذلك فنحن لا نذهب مذهب
الأب مرمرجى الدومكى ، الذى
ينشئ وجود علاقة طبيعية بين الصوت
وحروف الكلمة ، وبين « المعنى المتعلق
بها ، لأن الأصوات مجردة ليس من

(١) الجمهرة لابن دريد ٢٠٧ / ١ ،

والخصائص ١ / ٥٢٥ .

(٢) مقدمة ١٤٩ .

وكل ما فيه حرف الغين (غ) يدل على الغموض والاستتار ، مثل (غاب غار غاص غاض غام غرب غمض غم غش غز غص غن غبر غبن غبق غفا غطى غرق غمر غفر) . . .

وفي مقاييس ابن فارس الشيء الكثير من ذلك كما قلنا . .

وكانت إشارات علمائنا القدامى والمحدثين إلى ذلك إيحاءً وباعثاً حثيثاً بضرورة معرفة الرأي في نشأة اللغة العربية والقول بالثنائية أو الثلاثية .

إلا أن الأقدمين — من علمائنا — لم يشيروا صراحة إلى القول بالثنائية وأنها أصل الوضع ، وإنما كان بحثهم تاريخياً ، يرجع باللغة إلى عهود تحاول معرفة تدرج ألفاظ اللغة وتطورها ، حتى استقرت في طورها الأخير إلى صورتها وأشكالها المرضية والمعبرة والمفيدة . . وازدادت الأبحاث عمقاً عند المحدثين في ضوء أبحاث المجموعات اللغوية الأخرى ، وبخاصة في الساميات .

* * *

والنظرية الثنائية ، أو المذهب الثنائي في اللغة ، يقوم على اعتبار الأصول اللغوية — في الأسماء والأفعال — ثنائية : أى يتركب كل منها من حرفين أساسيين

وأن الأصول الثلاثية وما فوقها مستنبطة من تلك الأصول الثنائية .

ويرى الأب مرمرجى الدومنيكى أن الجذر الثنائي يشمل المجموعة السامية في عمومها ، يقول : « الثنائية » bilitteralime هي النظرية القائلة بأن (الأصول) في العربية ، وكذلك الحال في أخواتها السامية : ليست الألفاظ ذوات الحروف الثلاثة ، بل ذوات الحرفين ؛ إذ من شأن الثلاثيات أن ترد إلى الثنائيات « (١)

وجورجى زيدان يرى « الثنائية » في النشوء اللغوى بالاستقراء ، فيذكر أن الألفاظ الدالة على معنى في نفسها ، يرد معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية أحادية المقطع تحاكي أصواتاً طبيعية « (٢) أى أن الثلاثى وما فوقه يرد إلى ثنائى سابق ، لافى الاشتقاق فقط كما فهمه الأقدمون حين ذهبوا يطبقونه فى الإبدال وتعاقب الحروف ، بل فى النشوء اللغوى أيضاً . ويشير زيدان إلى بعض أسباب نشأة « الثنائية » ويؤكد الحصر والاستقراء ، يقول : « لغتنا مؤلفة من أصول محصورة عدداً ، أحادية المقطع ، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية ،

(١) المجمية العربية ٦ .

(٢) الفلسفة اللغوية لجورجى زيدان ٣٨ .

وبعضها عن الأصوات الطبيعية ، التي ينطق بها اللسان غريزيًا^(١) .

والشيخ العلايلي يرى الثنائية دوراً ثانياً من أدوار اللغة في حياة الإنسان ، الذى حاكى الطبيعة بقصد ، أو بغير قصد ، فأكسبته المحاكاة أكثر المقاطع الثنائية التى يمكن فرضها ، وبخاصة إذا كانت ناشئة عن ضم بعض المقاطع الأحادية التى يحتملها التعبير» . . .

ويقرر الشيخ العلايلي أيضاً أن (المعتل) هو ثنائى لفظاً ، وإن كان ثلاثياً خطأ فى العربية : أى أن المعتل هو ثنائى ألحق بالثلاثى ، وأنه أقدم ما حفظت اللغة من كلمات العهود السابقة^(٢) .

ويلاحظ أن الشيخ العلايلي — كما ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين فى دراسته الواعية — لا يؤسس تصوره للثنائى على تصوره للأحادى ، بمعنى أنه لم يتبع فى الواقع وجود كلمة «أحادية» صارت إلى الثنائية على أساس افتراضه السابق . ومن ثم نرى أفكاره تتكامل نظرياً فقط ، دون أن يستطيع تأسيسها على تكامل لغوى .

لكننا نلتمس العذر للشيخ ، ونبيح له التصور الذكى ممزوجاً بخيال غير جامع فى فترة يعلوها الضباب ، ويلفها صمت التاريخ^(١) .

ويصور الأب أنستاس الكرملى «الثنائية» وطريقة اكتناز الكلمات وتدرجها بأنها : «تطورت فى وضعها من هجاء واحد (أى مقطع) أصلاً ، إلى مضاعف من ثلاثى ورباعى : فيكون ثلاثياً إذا لم تتخيل الحركة فى الشيء ، ورباعياً إذا تخيلتها فيه . وعلى هذا النحو تطور الهجاء الواحد (صر) بسكون الراء إلى (صرّ) بتشديدها ، وإلى (صرصر) ، ثم تطور فى اتجاه آخر (صار) ، أو (صرى) ، وبذلك عرف المضعف والأجوف والناقص ثم المهموز^(٢) . ومعنى ذلك أن الثنائية كانت وفيرة وكثيرة فى وقت ما من عهود اللغة إذا لم تكن هى الأصل ، ثم تحول عدد كبير منها إلى الثلاثى بالإضافة أو التضعيف ، وليس هذا خاصاً بلغتنا العربية ، وإنما هو قدر مشترك بين الساميات .

وأشار (الأقدمون — كما قلنا — إلى

(١) فى التطور اللغوى ١٢٧ .

(٢) نشوء اللغة العربية ٢٠ .

(١) المصدر السابق ٣٤ .

(٢) المقدمة ٣٠ .

فحاويها الأولية مثلما ضاعت ، أو لم ترد الأصول الثلاثية لبعض المزيادات أو المشتقات ، التي بلغ عددها الثمانمائة أو أكثر^(١) فالرساس العربية عنده أوفر من غير العربية ، والثلاثي وما فوقه توسعات اشتقاقية للرساس الثنائية التي بدأت بها نشأة اللغة ، وعنهما صدرت جميع التوسعات والاشتقاقات ، حتى صارت العربية عنده بها « أوفر ثروة من لغات العالم أجمع »^(٢) .

● ويؤنس المقام أن نذكر بعض أمثلة ذكرها المؤصلون للثنائية تزييد الأمر إيضاحاً ، وطرق اكتناز الثنائية لترتقي إلى أعلى منها :

يقول جورجي زيدان : إن الجذور الثلاثية ترد أصلاً إلى جذور ثنائية ، هي حوامل المعاني ، وليست الثلاثية سوى وسيلة لتوزيع المادة اللغوية ، وتطوير الاستعمال الدلالي .

فالأصل اللغوي « قط » حكاية لصوت القطع ، وهو ثنائي تأتي توسعاته بمعناته ، مثل : (قط ، قطع ، قطب ، قطف ، قطل ، قطم) ، وكلها أفعال بمعنى (القطع) من (قط) . .

مبدأ « الثنائية » ، ولكن لم ينصوا عليها صراحة ، وبدأ بها أصحاب المعاجم مواد قواميسهم عند ترتيبها : فبدأ الخليل ابن أحمد (١٧٥ هـ) بالثنائي في (العين) ، واحتذاه ابن دريد (٣٢٥ هـ) في (الجمهرة) ، والأزهري (٢٨٢ هـ) في التهذيب ، والقالى (٢٨٨ هـ) في (البارع) ، وابن سيده (٣٩٧) في المحكم^(١) .

وحدّوا الثنائي بأنه ما تكون من حرفين ولو مع تكرار أحدهما ، وسموا الثنائي المضاعف : الثنائي في الخط ، والثلاثي في الحقيقة : الثلاثي الصحيح . والثلاثي المعتل الحواشي والأوشاب^(٢) .

ويكاد الأب مرمرجي أن يلزمنا القول بالثنائية ، كما ألزم نفسه بها : فالرباعيات عنده « ليست مجردة كما يقول الصرفيون : بل هي ثلاثيات مزيدة ، والثلاثيات الشاملة : (المثال والأجوف والناقص والمهموز والمضاعف ومكرره) قابلة جميعها الرد إلى (الرس الثنائي) مع استمرار المناسبة المعنوية بينهما . أما ما يتعذر رده من الثلاثي إلى الثنائي فيعزى ذلك إلى فقدان

(١) هل العربية منطقية للأب مرمرجي ١٤٥ .

(٢) معجميات عربية سامية ٧٩ .

(١) راجع المعاجم اللغوية د . إبراهيم نجا .

(٢) المصدر السابق .

وعموماً^(١) وعنده أن : « نهى ، نهنه نهر) بمعنى الزجر^(٢) . أصلها (نه) بمعنى الزجر . ولعرفة الأب مرمجى بكثير من اللغات السامية أمكنته المقارنة اللغوية بين الساميات بإلقاء الضوء على كثير من الأصول الثنائية التي بنى عليها نظريته في « الثنائية » ، ولا ينكر أحد أهمية هذه الدراسات المقارنة ؛ إذ أنها تكشف كثيراً من الغامض وما خفى على الكثيرين . ولذا نظر لكثير من الأفعال التي يقال بأنها ثلاثية في العربية بنظيرها في السريانية مما جاء على الثنائية فقط ، فذكر أن في العربية (حم) بالتشديد ، يقابله في السريانية بالتخفيف . و (مص ، مس) بالتشديد ، يقابلها (مص ، مس) بالسكون . ويردف بأن « الثنائي وارد في كل الساميات متصفاً بمعنى حقيقى وتام »^(٣) .

وأرجع المضاعف الرباعى مثل : (مرمر ، قرقر ، دب ، دب ، لع لع ، لألاً . .) إلى ثنائيين مكررين . ومن هذا شيء وافر في العربية وكذا اللغات

وأيضاً مقارب المادة (قط) وهو « قص » يفيد تثليثه القطع ، مثل (قصب ، قصر ، قصف ، فصل ، قمم) وأيضاً مجانس (قص) وهو « كس » بمعنى القطع يأتي منه (كس ، كسر ، كسع ، كسم) . ومثله : « جذ » بمعنى القطع ، يأتي منه « جذ ، جذب ، جذر ، جذف ، جذم) وأيضاً : « جز » يأتي منه بمعنى القطع : (جز ، جزا ، جزر ، جزح ، جزع ، جزل ، جزم)^(١) . وكل ذلك من باب القطع ، وهى ترد إلى أصل واحد ، هو حكاية صوت ، وذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أن هذه الأمثلة كلها نقلها جورجى زيدان عن كتاب المفتاح للسكاكى^(٢) . أى أن كتاب المفتاح أشار إلى الأصول الثنائية المشتركة في المعنى العام ، وما ينوع المعنى من زيادة عليه .

والأب مرمجى يرى : أن كلمة (ج ج) أصلها ثنائى ، لاسم صوت ينطقه المجهدون تخفيفاً من عنائهم^(٣) و « ثب » أصلها « ثب » بمعنى الحركة

(١) معجمات عربية سامية ٩٩ .

(٢) المعجمة العربية ١٣٠ .

(٣) معجمات عربية سامية ٩٨ .

(١) الفلسفة اللغوية ٩٨ .

(٢) في التطور اللغوى ٨٦ .

(٣) المعجمة العربية ٤٨ .

ويطبق الأب الكرملى النظرية على اللغة اللاتينية ، لأن الكلم عنده مبنى على محاكاة الطبيعة وعلى الهجاء الواحد غالباً ، فيقول :

« قد يتفق مصطلح العرب ومصطلح أبناء الغرب إذا اتفق الخاطران في توهم صوت الطبيعة ولا يكون هذا الأمر إلا إذا كان ثم هجاء واحد ، أو هجاءان اثنان لا أكثر . فمثال الهجاء الواحد قول العرب (رد) بالتشديد ولا جرم أن أصله (رد) بفتح وسكون ، وهو في اللاتينية Raddere ومن المعلوم أن ere كاسعة (ما يزداد في الآخر) تكسع بها كثير من أفعالهم ، إذن Raddere ليست إلا (رد) العربية ^(١) .

والشيخ العلايلي يرى أن إنسان الدور الثانى استخدم معانى الجدول الهجائى الفينيقى ، وضم بعض المقاطع الأحادية ليعبر عما فى نفسه من معان ، ويمثل بلفظه (عبي) وهو ثنائى فى صورة ثلاثى ، أو ثنائى الحق بالثلاثيات : « فإن العين تدل على الحيوان الزئيرى . والباء تدل على البيت ، وكأن المعنى : حيوان البيت القوى ، الذى هو كناية عن الرجل . وقد وردت فى العربية كلمات مثل (دد)

(١) السابق .

السامية . . ففى السريانية ، bal-bal (zal-zal على وزن ززل ، وبلبل) . وقد أمكنه جمع ٣٥٠ مادة منها فى العربية الفصحى وحدها ، ويوجد أكثر منها فى اللهجات ^(١) .

وأكثر من ذلك أن رسالة الألفاظ السريانية تنترض وجود الثنائية دون شعور وقصد منها ^(٢) .

ومن علمائنا القدامى من أشار إلى طريقة اكتناز المواد الثنائية لتصبح ثلاثية ، بزيادة حرف ، كابن فارس وابن جنى ، فى مثل : (نب) فيصبح (نبأ ، نبج ، نبج ، نبذ ، نبر ، نبس ، نبش) مع بقاء المعنى العام . وعند الأب أنستاس الكرملى : أن الهجاء الواحد (المقطع) ذا المعنى ، قد يزيد عليه هجاء أو أكثر ، مثل (رم) بالسكون فيصبح (ثرم ، جرم ، حرم ، خرم ، شرم ، صرم ، عرم غرم) .. ومثل : (نب) ومنها (نبأ ، نبت ، نبت ، نبيج ، نبج ، نبذ ، نبر نبر ، نبس ، نبش ، نبض ، نبغ ، نبغ) ^(٣) . وهى نفس طريقة القدامى كما أشرنا .

(١) السابق ٩٧ .

(٢) السابق ١٠٠ .

(٣) نشوء اللغة العربية ٣ .

على الترتيب (مص ، مص ، شد ، شد) (رب ، ربا) (طم ، طما) . (مد ، ماد . ضر - ضار) . (رسا ، رسب) . (سما ، سمي) . (محا ، محق) . (رخا ، رخص) .

— ويوجز الأب مرمجي طرق توسع الثنائيات ، إمّا :

(أ) بتكرار الحرف الثاني ، مثل : أم — أم ، جل — جلل .

(ب) وإما بالتكرار والمد معا ، مثل : أز — آزار ، أط — أطيّط ، بر — برور .

(ج) وإما بزيادة تاء في الآخر ، مثل سك — سكة ، تل — تلة ، جب — جبة .

(د) وإما بالتكرار والمد والتاء معا ، مثل : ضر — ضرورة ، كز — كزوزة كزازة .

وكل هذه التوسعات المختلفة التوسع متضمنة منطوق « الرس الثنائي »^(١) المشتقة منه ، وقد أحصى منها الأب مرمجي ٣٢٧ مادة .

وهذه التوسعات في الكلمة تتخذ مواقع مختلفة :

(أ) فتسمى الزيادة تنويجا أو

بمعنى اللهو ، و (ببة) للطفل السمين أو لعبة ، ويردهما الشيخ العلابي إلى (ددا) المعتلة ، وإلى (ابو) بمعنى ولد الناقة أو جلد يخشى أى شيء لتتسلى به الناقة على ولدها^(١) .

واحتفظت القواميس العربية بثنائيات قديمة ، كأسماء الأسرة : (أب ، أم ، أخ ، أخت أم ، بن ، بنت ، حم) . وأسماء الأعضاء : (يد ، دم ، شفه ، لثة) .

وعلى مر العصور ، وترق الإنسان ضاقت الثنائيات عن التعبير عن المعاني ، فكان لا بد من التوسع في صور لفظية جديدة ، لتلبية الحاجات الآنية والمستقبلية ، فكان لا بد من الاكتناز والتوسع في الألفاظ الثنائية ، لتدل على معان إضافية .

« ففرع العرب بزيادة حرف على الثنائي ، أو صوت ثالث ، أدى إلى صورة لفظية جديدة »^(٢) .

فلجأت العربية إلى طرق أدت إلى اكتناز الألفاظ بالمد ، والتشديد ، وقد تداخل بابهما . أيضاً لجأت إلى تحويل المضاعف ناقصاً أو يحول المضاعف أجوفاً ، أو يتخلى الناقص عن حرفه الأخير لصالح حرف صحيح ، والأمثلة

(١) مقدمة ١٣٣ .

(٢) الألسنية العربية لريمون طحان ٨٤ .

(١) معجمات عربية سامية ٧٨ .

اعتمدوا وتعتمدوا تسكين الحرف الثاني في (الثنائية)، ثم شدد دوه، ثم فكوا تشديده، واستبدلوا ثانی المشدد بحرف يختلف عنه، مروراً من الثنائي إلى الثلاثي وغيره، مثل (النون والفاء) بمعنى الخروج، مع تخصيص حاصل بفعل تخصيصها، فقاوا: (نف، نف، نفث، نفث، نفخ، نقد، نفذ، نفر، نفس، نفع، نفق، نفل، نفى).

وما قرره الأقدمون من الزيادة بالحروف على الرباعيات والثلاثيات، يسوغ — عند الأب مرمجي بكل حق وصواب تطبيقه في الثنائيات. ومثل لما زاد على الثنائي بالأمثلة الآتية: (يقطين، من قطن أى أغنى، وترفل، من رفل وزنبيل من زبيل، وعنصل من عصل، وذمعت من ذعط. . . ولسن من بلس، وعيدل من عبد. . . وعد من ذلك شيئاً كثيراً في العربية وبقية الساميات»^(١).

فالزيادة والترقى من الأقل إلى الأكثر، كانت طريقاً مألوفاً ومعروفاً للعرب في توسيع المواد وزيادتها وتنويعها، لتقابل المعنى الجديد. . . كما كانت هناك زيادات متنوعة تجرى بضرب من الاعتبار، أى لدواع غير داعي

تصديراً (Prefix) إذا وقعت في أول الكلمة مثل (جرم، حرم، خرم، شرم، صرم، عرم، غرم). . . تشترك في (الراء والميم) وفي المعنى العام لها.

(ب) وإذا وقعت آخر سميت: تذيلاً، أو كاسعا (Suffix) وهذا هو الغالب، مثل: (قطب، قطع، قطف، قطل، قطم). . . تشترك في (القاف والطاء) وفي المعنى العام وهو الفصل.

(ح) وإذا وقعت وسطاً، سميت: إقحاماً، أو حشواً (in Fixe)^(١). مثل: (قحم، قرم، قسم، قصم، قضم، قطم، قلم). . . تشترك في حرفي (القاف والميم) والمعنى العام في الشق والقطع.

ويزيد الأب مرمجي بأن المقرر عند علماء العربية قديماً وحديثاً، وعند الأجانب من مستسمين ومستعربين أن الزيادة تجرى بالتتويج والإقحام والتذييل. وفي كل حال من الأحوال يتم الأمر على سبيل الأغلبية، أى بالسمع، وليس بقياس محكم»^(٢).

ولا مانع من أن يكون العرب قد

(١) نشوء اللغة ٣، والمعجمية العربية ١٣٥

(٢) معجميات ١٠٥.

(١) السابق ١٠٥، ١٠٦.

وجوانى، ويرانى، وصيدلانى) بإقحام النون.
ويخلص من ذلك الأب مرمجى
إلى أن اللغة تتبع السنة الطبيعية، وتخضع
لأحوال الإنسان المختلفة، ولأعضاء
نطقه، وللتطورات الاجتماعية والمؤثرات.
كما أنها فى بعض أجزائها قياسية منتظمة
محكمة، وفى البعض الآخر سماعية:
لا ضابط ولا قيد لها، وقواعدها ليست
قواعد حسابية رياضية^(١).

وكثيراً ما سمعت الشيخ العلالى
يطلق على قواعد العربية ضوابط لا قواعد،
تأييداً لذلك.

ولتوفر الأب مرمجى على دراسة
الثنائية، وطول نظره فيها، وتقصيه لها
ومزاولتها، أمكنه بعد التقصى والاختبار
أن يصنف الحروف التى تقبل الزيادة
على الراس الثنائية من باب الأغلبية
والإطلاق، كما يلى:

(أ) حروف تصلح أن تكون متوجة،
ومقحمة، ومذيلة وهى: (أ، ت،
ر، ع، ل، م، ن، هـ، و، ي).

(ب) حرفان يصلحان للتتويج
والتذيل، وهما الحاء، والشين.

(ج) حروف تستخدم للتذيل، وهى

الدلالة على معنى خاص، أو على دور
معين، كما ذكر الأب مرمجى.
وضرب مثلاً لذلك.

بالزيادة للإلحاق، لمحض الموافقة بين
وزن وآخر، ليعامل معاملته، مثل:
(قعد، وجلب، وشمل) فى التذيل.
و (حنظل وحوقل ودهور) لزيادة النون
والواو والهاء حشواً.

وزيادة للغنة، مثل: قنبرة من
قبره. وإنجاص من أجاص، وخزير
من خزير. وزيادة لتقوية الحركة،
دون قصد معنى معين، مثل: (برع
من برأ، وينسب إليه برعى أى برانى)
و (توقع من توى) و (شفع من شفى)
و (بدأ وبدع من بدأ).

وزيادة لعذوبة اللفظ وتسهيله مثل
(يا أبى، وعصاى، ودد، بدل من
يا أبى وعصاى ودد). و (فدنى وقطنى)
بإقحام النون. و (لعلت، ثمت،
ربت) بإلحاق التاء.

وزيادة لإقامة الوزن فى الشعر،
نحو (تبيضضى) عوض تبيضى.

وزيادات أخرى تجرى دون قصد
اشتقاقى، مثل: (خوارنة، جمع
خورى) و (أبهات وأمهاات) بإقحام
الهاء. وكذلك النسبة إلى (صنعانى،

(١) السابق ١٠٧، ١٠٨ بتصرف.

ويعزر ابن دريد في (جمهرته) وجهة نظر الفريق القائل بأن الكلمات المشتركة في حرفين وفي معنى عام يضمهما كانت في الأصل ثنائية المقطع نظراً إلى الصورة الملفوظ بها ، دون التفات إلى الحرف المكرر بمثابة حرفين ، وإن كان في الحقيقة ثلاثياً . يقول ابن دريد : « والثاني الصحيح لا يكون حرفين ألبتة إلاً والثاني ثقيل (أى مُضَعَّف) حتى يصير على ثلاثة أحرف . . . اللفظ ثنائى والمعنى ثلاثى . وإنما سمى ثنائياً للفظه وصورته ، فإذا صرت إلى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة ، والثانى حرفين مثلين أحدهما مدغم فى الآخر ، نحو (بتَّ يبتُّ بتّاً) بمعنى قطع ، وكأن أصله بتت فأدغموا التاء فى التاء ، فقالوا : « بتَّ » وأصل وزن الكلمة فعل ، وهو ثلاثة أحرف ، فلما مازجوا الإدغام رجعت إلى حرفين فى اللفظ ، فقالوا : بتَّ ، فأدغمت إحدى التائين فى الحروف المعجمة^(١) .

« فالنظرة إلى اعتبار المضعف الثلاثى ثنائى الصورة تبدو بجلاء ووضوح عند الأقدمين فى جمهرة اللغة لابن دريد ،

(س ، ب ، ذ ، ك ، ق)^(١) .

ثم أفاض فى شرح ذلك وتفصيله فى مصنفاته اللغوية الكثيرة ، تأييداً لدعواه ليثبت دعائم الثنائية التى نصب نفسه محامياً لها ، ومدافعاً عنها طوال حياته . ومن استعراض الأمثلة السابقة يمكن القول بأن الألفاظ فى العربية جاءت من أصليين أساسيين ، خصهما بمعنى واضح حرف ثالث ، أى أنها عرفت عبر تاريخها الحافل مفاهيم تعود إلى أصول غير ثلاثية ، وإن ارتكزت - بعد تطور وأدوار - على أسس ثلاثية والحرف الثالث الذى حدد المراد من المعنى العام ، تنوع حسب ما يتطلبه المقام : « فإن أراد العرب إيابة شىء عن شىء وفصله عنه مع معاناة ومشقة قالوا : قالوا : (قطع) وإن أحبوا أخذ شىء من آخر دون مُعَانَاة أو مشقة قالوا : قطف ، لقوة العين وضعف الفاء^(٢) اللهم إلا إذا عن غرض بلاغى فيتجاوز عن ذلك ، كقول الحجاج بن يوسف : (إنى لأرى رعوساً قد أينعت وحن قطفها) ، فلشدته وهو أن أصحاب الرعوس ، جاء التشبيه بالزرع والقطف .

(١) فقه اللغة العربية د. إبراهيم نجا ٨٣ .

(٢) السابق ١٠٦ .

وفي المقاييس لابن فارس ، بل إن في جمهرة اللغة لابن دريد ما يدل دلالة أكيدة على توثق النظرة عنده : فإنه عند الكلام على الثنائي ينهى القول على جميع مواده صحيحاً أو معطلاً ، قبل أن ينتقل إلى الثلاثي ^(١) .

والمحدثون تتبعوا هذه النظرية ونظروا لها بما هو وارد في الساميات من ثنائيات مثل (حم ، مص ، مس) بالتشديد في العربية بما يقابلها في السريانية (حم ، مص ، مش) بدون تشديد للحرف الأخير ^(٢) .

إلا أن الشيخ العلايلي يجعل الحرف المزيد على الثلاثي حلقة ثالثة في الدور الثالث من أدوار الإنسان في تدرجه نحو الرشد ، فعرف الكتابة وعرف الحروف وتنوعت حاجاته ، فجعل الحرف الثالث

حشواً في وسط الثنائيات — غالباً ليغطي مفاهيم جديدة ، فجعل من (قف) : (قطف ، فرف ، قذف) ^(٣) . .

ولوفرة الشواهد والأمثلة في هذا الصدد ، « أطلق بعض الباحثين المعاصرين القول ^(٤) بأن الذي يتفرس كلم العربية بإنعام نظر ، يجد أن معظم موادها أصلاً يرجع إليه كثير من كلماته وإن لم نقل كلها ، وذكر لذلك (فل) فإنها تدور حول الشق والفتح : كفلح ، فتح ، فلح ، فَلَخَ ، فلي . وكذلك نجد ابن فارس في كتابه (المقاييس) يذكر أن مادة (قط) تدور حول القطع .

وللثنائية أسباب وأدلة ، نذكرها في مقال آت بإذن الله . .

دكتور توفيق محمد شاهين

(١) فقه اللغة العربية د نجا ٨٥ .

(٢) معجميات ٩٨ .

(١) المقدمة ١٤٤ .

(٢) فقه اللغة العربية د نجا ٨٥ .

« من آداب اصطناع المعروف »

البداية به قبل السؤال ، والمبادرة به عند الوعد ، والستر له بعد الأخذ ، وترك المنة بعد القبول ، والمداومة على اصطناعه .
والحذر من إنقطاعه .

اليهودية :

عقيدة ابتدعوها .. وتورا حَرَفوها

الدُّسَّادُ زاهر عزب الزعبي

(٢)

واستشهدنا على ذلك بنصوص من التوراة ذاتها . . وأوردنا بصدد ذلك محاولتين لإصلاحيتين قام بهما أحبار اليهود مدعين في كل مرة أنهم قد عثروا على التوراة الصحيحة ، أو على تابوت عهد الرب الذي أودعه موسى وصايا الله وتعاليمه . . ومع ذلك ظل رجال الدين والكتبة يواصلون عملية تطويع التوراة ويضيفون المزيد من أسفارها .. وقد ظلوا يؤدون مهمتهم هذه حتى ظهور المسيح عليه السلام .

ولأول وهلة لم يكن السيد المسيح ينظر إلى الكيفية التي يؤدون بها هذه المهمة الخطيرة بعين الرضا وقد ظهر سخطه على هذه الطائفة في قوله لهم : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون لانكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين

في المقال السابق أوضحنا كيف كانت اليهودية لا تعدوا أن تكون طورا من أطوار الديانات القديمة ، وأنها بطبيعتها لا يمكن إلا أن تكون من الديانات المحلية الموقوتة.. كما أوضحنا أن الشخصية الإسرائيلية ضعيفة متهافنة لا تقوى على الصمود لظروف أقل قسوة مما تعرضت له خلال المحن والأزمات والتشرد والأسر التي صادفت اليهود عبر تاريخهم الطويل » .

ولكن الشخصية اليهودية بقيت صامدة تجتر أوهاماً وأساطير دبَّجتها أقلام كتبة التوراة . . تلك التوراة التي حرفها كتبها وابتعدوا بها عن وصايا الله الموحاة إلى موسى عليه السلام .. وسمحوا للشعب أن يشرك وأن يعبد آلهة عدة .. كما حولوا المعابد إلى مواخير للفسق .

الأباريق والكثوس وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون . . ثم قال لهم : حسنا رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم . لأن موسى قال : أكرم أباك وأهلك . . ومن يشتم أباً أو أمّاً فليمت موتاً . . وأما أنتم فتقولون : إن قال إنسان لأبيه أو أمه . قربان أى هدية هو الذى ننتفع به ، فلا تدعونه فيما بعد يفعل شيئاً لأمه أو أبيه . مبطلين كلام الله بتأييدكم الذى سلمتموه وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون (مرقس ٧ : ١١/٥) .

ولم يكن المسيح وحده بصفته مبشراً بدين جديد — هو أول من حمل على هؤلاء الكتبة وأتهمهم بالتدليس والتحيز فى نقل رسالة الله وانتلاعب فى وحيه . بل إن كثيراً من أبناء بنى إسرائيل أنفسهم قد حملوا عليهم حدلات شعراء أشد عنفاً ، ووصفوهم بنعوت أكثر قسوة من تلك التى وصفهم بها السيد المسيح فقد كذل لهم أشعياء الهجوم والاتهام . ومن ذلك قوله : « ويل للذين يقضون أقضية الباطل ، ولاكتبة الذين يسجلون زوراً ليصدوا الضعفاء عن العدل ويسلبوا حق بائسى شعبي ، لتكون الأرامل غنيمةم ينهبوا الأيتام . . وماذا تفعلون فى يوم العقاب حين تأتى التهلكة من

يدخلون . . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون حقوق الأراامل . . ولعلمة تطيلون صلواتكم . . لذلك تأخذون دينونة أعظم . . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ومتى حصل تصنعونه إبناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً . . ويل لكم أيها القادة العميان ، القائلون : من حلف بالهيكل فليس بشيء ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . . أيها الجهاال والعميان . . أيهما أعظم ؟ الذهب أم الهيكل الذى يقدسه !! ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم » . (إنجيل متى ٢٣ : ١٨/١٢) .

وجاء على لسان المسيح أيضاً قوله لهؤلاء الكتبة حينما حضر إليه بعضهم وانتقدوا أتباعه لأنهم لا يراعون قواعد النظافة ويأكلون بأيديهم غير مغسولة : « حسنا تنبأ أشعياء عنكم ، أنتم المراءون كما هو مكتوب : هذا الشعب يكرمنى بشفتيه وأما قلبه فابتعد عني بعيداً . . وباطلا يعبدوننى . . وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس . . لأنكم تركتم وصية الله وتمسكون بتقليد الناس . . غسل

لم يغفلوا عن المطاعن والشبهات التي تعيب هذه التوراة . . وفي نفس الوقت عرفوا كيف يستفيدون منها على علاقتها من حيث إنها قد صورت واقع الحياة اليهودية من جميع نواحيها العقائدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . . . وتعمقت أبحاث العلماء في التوراة . . . فلم يكتفوا بمناقشة ما ورد فيها من وقائع ، بل استشفوا من خلال ما تضمنته الصورة الحقيقية للشخصية اليهودية ، تماماً مثلما يفعل الناقد الأدبي في استخلاص الصورة الحقيقية للكاتب الأديب من خلال إنتاجه . . استناداً إلى أن معظم سمات الكاتب في أخلاقه ومزاجه النفسي لا بد وأن تظهر أطيافها ظلالاً واضحة في كل ما يدبجه قلمه وتلمبه قريحته . . وقد أفادتنا التوراة من هذه الوجهة فائدة عظيمة . إذ أنها - كعمل اجتماعي اشتركت في إنشائه أجيال من المحررين والكهنة على مر الأزمان خلال فترة طويلة - قد أوضحت لنا المعالم الأساسية للمجتمع اليهودي بأسره . . أما من حيث صحة الوقائع نفسها فليس هناك من سبيل إلى التوصل لقرار حاسم . . وبقيت الأفكار والعقائد والمبادئ أموراً مجهولة لا يمكن تقييمها مثل سائر الروايات التاريخية التي

يعيد إلى من تهربون للمعونة . . . وأين تتركون مجدكم . . أمماً يمجثون بين الأسرى وإمماً يسقطون تحت القتلى (أشعيا ١٠ : ٤/١) .

وقد وصفهم أرميا ضمن الكهنة بالتزوير والتزييف والكذب على الله بقوله : « أما وحى الرب فلا تذكرونه بعد ، لأن كلمة كل إنسان تكون وصية . . إذ قد حرفتم كلام الإله الحى ، رب الجنود ، إلها » (أرميا ٢٣ : ٣٦) .

وإذا كانت التوراة قد وُجّهت إليها أمثال هذه المطاعن المشينة الكفيلة بإهدار أى مصدر تاريخي وجعله عديم القيمة والجدوى بحيث لا يمكن الاعتماد عليه فى استقواء الوقائع التاريخية واستخلاص الحقائق الصحيحة . . فكيف خدع فيها كل من تصدى للبحث فى تاريخ اليهود ودراسة الديانة اليهودية فى عهدها القديم . وقد كانت التوراة هى المصدر الوحيد لكل باحث فى هذا الموضوع ؟؟ ... سؤال برئ لا ضير فيه . . ولا يمكن أن يتضمن تلميحاً من أى نوع إلى تهافت كل الأبحاث والدراسات التى أجريت على العقيدة والشخصية اليهودية واعتمدت على هذا المصدر المطعون عليه والمشكوك فيه . . . وفى الحقيقة أن معظم الباحثين

وصلت إلينا من طرق غير محايدة أو في ظروف غامضة . . ومثل هذه الروايات التاريخية . . إما أن تهمل كلية.. أو تروى على علاقاتها . . أما في مجال الاستشهاد فلا يمكن الاعتماد عليها أبداً .

ومع هذا فنحن مضطرون إلى الرجوع إلى النصوص الواردة في التوراة كي نتعرف كنه العقيدة الدينية لدى اليهود . ومدى ما يمكن أن تستفيد منها البشرية . . . وحتى لا يتهم المرء — كمسلم — بالتحيز في أحكامه ، فإنني أطلب من القارئ أن يستصحب التوراة ويتابع ما سأرشده إليه من نصوصها . . فإنني لن أستشير في هذا البحث إلا بما تضمنته أسفار العهد القديم وإصحاحاته من وقائع وروايات.. لن أحتكم إلا إليها ولاسواها .

ولقد بدأت دعوة موسى وانتهت بالتبشير بإله ضنَّ بهدايته وبركته فلم يمنحهما إلا لشعب إسرائيل الذي اختاره هذا الإله من بين شعوب البشرية كلها كي يحتكر كل منهما الآخر . . . الشعب لا يتعبد لسواه من الآلهة ، والإله لا يمنح البركة ولا يقود إلى العزة والنصر والسعادة سوى هذا الشعب المختار . . شعب إسرائيل . . . ولقد صورت التوراة هذا الإله بصورة هي بدع في صور

الآلهة .. فهو إله إسرائيل إله « صارم صعب المراس يتوقد حماساً إلى الحرب والقتال ولا يجنح للسلم أبداً . . . ثم هو فوق ذلك غضوب ، شره في تعطشه للدماء ، متقلب الأطوار . . . لأنفه الأسباب ينقض كل ما بناه أو يتراجع تراجع الأحمق لا تراجع الداهية الأريب . وهو في ملكوته السماوى محدود البصر والبصيرة وهو يعيش بصوت مسموع كالبشر فيختبئ منه آدم خلف الشجرة فلا يراه وهو على بعد خطوات منه ، أو يطلب إلى اليهود أن يميّزوا بيوتهم حتى لا يهلكهم على غير علم منه في الوقت الذى قرر فيه أن يضرب على المصريين في مهاجمهم بالليل . . وكثيراً ما يندم هذا الإله على فعل قام به أو على قرار اتخذه . . . وكثيراً أيضاً ما يكون ندمه بعد فوات الأوان . . . وهو ليس بمعصوم عن الخطأ . . . ويتضح له مؤخراً أن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان . ويندم أيضاً على أن اختياريه لم يقع إلا على شعب إسرائيل . . هذا الشعب النكد المنحوس الجبان الرخو المتمرد المتآمر الذى لا يقدر مسئوليته وينوء بتحمل تبعات واجباته . . فهذا الشعب إذ قاده موسى إلى الحرية ناءت كواهله عن تحمل مسئولياته

إلا الصورة الوحيدة التي توأمت الحالة النفسية التي كان عليها اليهود حين خروجهم من مصر . . فإن قسوة الرق التي عانوها خلال قرون طويلة جعلتهم يتوقون إلى نهاية ينعمون فيها بالحرية . . ولن تكون هذه النهاية إلا على يد منقذ يخلصهم من قبضة فرعون القوية الجائرة . . وكانت الظروف التي تسود الموقف برمته توحى باستحالة هذا الخلاص إلا بمعجزة . . وفي نطاق الإطار الديني الذي كان يحيط الحياة المصرية آنذاك . تصورت العقلية الإسرائيلية شكل المعجزة التي ستحقق لهم الخلاص والحرية . . زعامة دينية تعتمد على قوة إلهية أكبر وأعظم من قوة فرعون وجنوده . .

وإذا كان إخناتون قد بشر بدعوته التوحيدية قبيل الخروج الإسرائيلي فإن عقلية الإسرائيليين لم تكن من النضج الكافي لكي تستسيع أو تتمثل الصورة النبيلة الراقية التي صورت بها تلك الدعوة الألوهية بكل ما فيها من سمو وعظمة . . ولكنها على كل حال قد أتاحت لليهود أن يتصوروا الألوهية على الصفات التي تحقق لهم رغبتهم المكبوتة في الخلاص . . ولكنها صفات من نوع خاص . . القدرة والمهارة الحربية

فيطمح إلى العودة لذل العبودية والرق عند المصريين . . ويصل الأمر إلى حد تدبير المؤامرات الخسيسة ضد موسى وأخيه هارون حتى لا يخوضوا غمار الجهد المقدس . من أجل الأرض الموعودة، وحتى يعودوا إلى مصر حيث الرق والمهانة . . ولكن هناك أيضاً القدور المليئة باللحم والطعام الشهى . . .

ثم إن هذا الإله لا يكثر كثيراً بالمبادئ أو القواعد الأخلاقية فهو يخرقها ويتجاهلها في سبيل الحصول على مغنم رخيصة ، ويستحث يعقوب على خداع لاپان . . وضميره لا يقل مرونة عن ضمير الكاردينال ريشيليو أو أى أسقف آخر يندفع في تيار السياسة . . . وهو ثرثار كثير الكلام ، ويستطيب إلقاء الخطب الطوال .

وقصارى القول فإنه — كما قال ديورانت في موسوعته قصة الحضارة — « لم يكن للأمم القديمة إله آدمى في كل شيء كإله اليهود هذا » . . وهذه الصورة البدائية الفظة للإله قد تجاهل العلماء نسبتها إلى موسى واعتبروها من اختراع الخيال اليهودي وحده . . وسواء أكانت تحريفاً للصورة الحقيقية التي بشر بها موسى أم شيئاً يختلف عنها ، فإنها ليست

أثيوبيا . . وبساط مصر ، ووطنت كل
إنسان في بلاده .

ملأت الأرض بخيرك الوافر
وأفضت على الإنسان بنعمك .
وقتاً لكل واحد أيام حياته .

وجعلت اختلافاً في لغات الناس
والوانهم وأخلاقهم وأصواتهم لتمييز بين
خلقك .

الماشية كلها فرحة بمرعاها
والأشجار والنباتات تزهر وتثمر
والطيور تخرج من أكنانها
ترفرف بأجنحتها راقصة لتتبع لك
والحياة الجميلة تظلل الجميع
لأنك أشرقت عليهم
أنت خالق النطفة في الإنسان
ومنها خلقت الجنين في رحم أمه
ووهبت له الحياة

وجعلت في الأم حناناً لتلاطف
الطفل عندما يولد حتى لا يتكدر
أو يبكي وتفتح فمه الواهن بألمة ثديها
الناعمة الدقيقة

وتعلمه الكلام . . ولا تدخر وسعاً في
تحقيق حاجاته

لأنك يا إلهي : لقوى وجميل
أنت معطى الحياة للفرخ في البيضة
وجعلته ينمو فيها حتى يكتمل سوي الحلقة

والسياسية . . أما ماعدا ذلك من صفات
الإله الأعظم فلم يكن مما يعينهم أو مما
تستسيغه عقولهم . فضوا يتصورونه على
تلك الصورة البشرية . . حتى الوجدانية
المطلقة كما بشر بها إخناتون فقد أنكروها
أو تجاهلوا لأنها لا تستقيم مع أهدافهم ،
وتصوروا إلههم على أنه لهم حدهم
لا يؤلهون غيره ولا يعبد سواهم وبذلك
ترتبط مصالح هذا الإله بمصالحهم وتتفق
أهدافه مع أهدافهم . . وأثر الإخناتونية
في اليهودية واضح لا ينكر ، حتى أن
هنري برستيد^(١) وأثر ويجال عقدا مقارنة—
بين صلاة إخناتون وأحد المزامير اليهودية
اتضح منها اتفاق في المعاني لا يمكن
نسبته إلى توارد الخواطر أو المصادفات.
وتقول صلاة أخناتون :

أيها الإله آتون :
أيها الإله الواحد الذي لا شريك له
ما أكثر آلاءك وما أعظمها
إنها خفية علينا ونجهل حصرها

خلقت الأرض بمشيئتك . . وغمرت
الكون بالإنسان والحيوان الكبير والصغير .
خلقت سفوح سوريا . . وجبال

(١) عن كتاب :

"The Development of Religion and
intellect in Ancient Egypt.

ليتمكن بقوته أن يثقب جدارها ويخرج منها
فرحاً سعيداً بنورك .

أيها الإله الذى أوجد نفسه بنفسه
خلقت النيل وأرسلت شعاعك الدفء
ليغذى الحدايق

أنت خالق الفصول المختلفة
فى الشتاء برودة

وفى الصيف حرارة .

أنت رافع السماء عالية لتناسب مقام
شروقك، منها ومن علاك تراقب مخلوقاتك
تنتعش الحياة وتنشط

والسفن تسير مع التيار شمالا
وتسخر الريح لتسير جنوباً
وكل طريق يتفتح للسالك . . لأنك
أشرقت فى السماء

أما السمك فيقفز كالفضة فى ضياء وجهك
حينما تخترق أشعتك مياه البحر الكبير

وحينما تغيب فى الأفق الغربى
يخيم الظلام على الأرض كأنها ماتت
ويخدر الوسن جفون الناس

فتتلاقى أجفانهم ولا يرى الواحد منهم
الآخر، ويخرج الأسد من العرين .

أما الحيات فتجد رحاباً تسعى فيه . .
ويعم الظلام وتصبم الأرض . . لأن
خالقها يسير فى أفقه .

ثم تضىء فتزول الظلمة . . ويستيقظ

الناس فيغتسلون ويسعون . . ويرفعون
أكفهم إليك بالضراعة ويمضى سكان
العالم يعملون

أنت فى قلبى وفكرى وكيانى
فسأحيطُ بالرعاية والنجاة

ابنك أخناتون

واجعله يدرك كنه جمالك . . وقوتك

* * *

وبمثل هذه المعانى جاء المزمور الرابع
بعد المائة وفيه : باركى يانفس الرب ...

صنع القمر للمواقيت ، والشمس تعرف
مغربها .. جعل ظلمة فيصير ليل . . .
فيه يدب كل حيوان الوعر

الأشبال تزجر لتخطف . . ولتلتمس
من الله طعامها

ويستطرد المزمور قائلاً :

تشرق الشمس فتجتمع فى مأويها
تريض .

الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله
إلى المساء .

ما أعظم أعمالك يارب .

كلها بحكمة صنعت .. ملأته الأرض
من غناك .. هذا البحر الكبير الواسع الأطراف .

هناك دبابات بلا عدد . . صغار
حيوان مع كبار

هناك تجرى السفن — لوناثان

« التمساح » هذا خلخته ليلعب فيه .
أكفهم إليك بالضراعة ويمضى سكان
العالم يعملون .

* * *

ويقابل هذا الجزء من المزمور -
ما جاء في صلاة أخناتون .

وحينما تغيب في الأفق الغربي . .
يخيم الظلام على الأرض كأنها ماتت
ويخدر الوسن جفون الناس فتتلاقى
أجناسهم . . ولا يرى الواحد منهم الآخر
ويخرج الأسد من العرين . . أما
الحيات فتجد رحاباً تسعى فيه .

أيها الإله آتون . . . الواحد الذى
لا شريك له

ما أكثر آلاءك وما أعظمها إنها
خفية علينا ونجهل حصرها خلقت
الأرض بمشيئتك . وعمرت الكون بالإنسان
والحيوان الكبير والصغير .

السفن تسير مع التيار شمالاً

وتسخر الريح لتسير جنوباً

وكل طريق يفتح للسالك لأنك
أشرفت في السماء

أما السمك فيقفز كالفضة في ضياء
وجهك

حينما تخترق أشعتك البحر الكبير
ثم تضىء فتزول الظلمة . . ويستيقظ
الناس فيغتسلون ويسعون . . ويرفعون

ولم يكن ويحال وبرستيد وحدهما هما
اللذان استرعى نظرهما هذا التوافق
العجيب في بعض المظاهر بين الأخناتونية
واليهودية . . . بل إن فرويد قد ألف
كتاباً كاملاً في هذه المقارنة هو كتاب
موسى والوحدانية Moses and Mono-
theism وخلص من بحثه حول هذه المقارنة
إلى أن موسى عليه السلام ، وقد تربى
في مصر تحت ظلال الوحدانية ، وولد
عقيب المعركة بين الأخناتونية وديانة
آمون ، فاستعد للنبوذة في بيئة موحدة .
ولم يكن من العسير عليه أن يعلم
بنى إسرائيل كيف يوحدون الله ،
ويمجدون صفاته .

وقد كان خروج موسى بنى إسرائيل
من مصر فيما بين القرن الرابع عشر
والثالث عشر قبل الميلاد . . أما أخناتون
فقد بدأ دعوته عام ١٣٥٤ ق . م . أى
في نهاية النصف الأول من القرن الرابع
عشر قبل الميلاد ، ومات عام ١٣٣٦
ق . م . وعلى هذا التقدير يكون قد
عاش بمصر في الجيل التالى لظهور
الأخناتونية واكتمال عقيدة التوحيد ،
لدى المصريين .

قطع الحرف هذه اسم إله كان يعبد
الكنعانيون يسمى « ياه أو ياهو » . .
والأقرب إلى العقل أنه بعد وفاة موسى
عليه السلام . لم يلبث أن ارتد اليهود إلى
الوثنية فاختروا هذا الإله الكنعاني وعبدوه .
ويبدو أن هذا الإله كان إلها للرعد يعبد
الكنعانيون خوفاً من بطشه وقسوته فحول
كاتبو الأسفار وكهنة اليهود إلى إله للحرب
ليقود الجيوش ويدعو للاستعمار
والفتح ، وتمثلته العقلية اليهودية بالصورة
التي توائم مزاجها وطبيعتها ، ثم رويداً
رويداً نسبها كاتبو الأسفار إلى موسى عليه
السلام واستبدلوا بصورة الإله الحقيقي
الذي بشر به موسى ودعا لعبادته صورة
هذا الدعوى المزعوم . . وعلى لسان موسى
أثبت مؤلفو التوراة في وصف هذا الإله :
« الرب رجل الحرب » . . ويردد داود
نفس هذا القول : « ويعلم بدى القتال »
ويهوه هذا الإله الجبار يعد « بأن يزجج
جميع الشعوب الذين تأتي عليهم ،
وأعطيك جميع أعدائك مدبرين » . .
وبأن « يطرد الحوبيين والكنعانيين والحيشيين »
يطردهم « قليلاً قليلاً » . . وهو فخور
معجب بنفسه كالأبطال الرومان يتقبل
الثناء ويشتهيه ويغرق في التباهى بقوته
وجبروته فيعرف المصريون أنى أنا

ويمضى فرويد في افتراضاته وتقديراته
حتى يظن أن موسى عليه السلام كان أحد
الكهنة المصريين آمن بالإخناتونية ، ولم
يستطع الجهر بها خشية بطش كهنة
آمون فبشر بها لدى الإسرائيليين وخرج
بهم من مصر إلى حيث البقعة الوحيدة
التي يمكن أن تكون مهجراً لأمثال
هؤلاء اللاجئين .

وإذا كان عالم يهودى مثل فرويد
يذهب في تقديراته عن اليهودية إلى
هذا المدى فإن لغيره من العلماء كل
الغدر في أن يرتأوا بأن تفاعل الأحداث
نفسها مع اليهود في أخريات أيامهم
بمصر جعلهم يتوصلون إلى هذه العقيدة
بشكلها البدائي . . ولم يكن هناك من
حاجة إلى مبشر بها أو داعية إليها
وموسى في زعم هؤلاء شخصية أسطورية
لم يكن لها قط وجود . . ولكن أمثال
هذه الافتراضات المتطرفة نتجت من
عطل التوراة وعدم صلاحيتها لأن تكون
مصدراً تاريخياً يعتمد عليه أو يوثق فيه .

وفي أوائل مايو عام ١٩٣١ عثرت
بعثة بريطانية للتنقيب عن الآثار في
فلسطين على قطع من الحرف من بقايا
عصر البرونز أى قبل ظهور اليهودية بنحو
من ستة عشر قرناً . وقد نقش على

الرب حين أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه .. وحين يأمر بنى إسرائيل بأن يقتلوا كل رجال ونساء وأطفال الكنعانيين الذين يتغلبون عليهم لكي تخلص الأرض لشعبه المختار يبدو وكأنه قد تجاهل كل معاني العدالة والرحمة فقد كانت وصيته الوحيدة التي أمر بها شعبه وهو مرتاح الضمير إبادة الكنعانيين في الحرب الدائرة هي: « اقتلوا كل ذكر حتى الرضيع وكل امرأة عرفت رجلاً .. اقتلوا .. لكن جميع الأطفال وكل النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة رجل ابقوهن لكم حيات » (عدد ٣١ : ١٧ : ١٨)

والذي يطالع في التوراة وصف المعارك الحربية بين اليهود والكنعانيين تقفز إلى خاطره صور الجرائم الدنيئة التي ارتكبتها اليهود في عدوانهم الأخير ضد العرب ، أمثال مذابح دير ياسين وقبية .. وكان التاريخ يعيد نفسه .. ولكنهم اليهود كانوا منذ ثلاثين قرناً كما هم اليوم .. وعلى الجملة فلم يكن هذا الإله إلا نسخة ثانية من رئيس عمال فرعون الذي عرفه الإسرائيليون قبل اهرب فظاً قاسياً متباهياً يقبل المدح والثناء ، جباراً لا يقيم وزناً للعدالة ولا ينبض قلبه بالرحمة ، ولابدأ اليهود يزنون مع بنات مواب قال لموسى « خذ

جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس » (عدد ٢٥ : ٤) فهو في غضبه على استعداد لأن يبيد بلا رحمة وبلا عدالة : « أنا الرب إلهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث من مبغضى » (خروج ٢ : ٦٥) . وهو يتوعد اليهود بإهلاكهم عن بكرة أبيهم لأن بعضاً منهم قد عبدوا العجل الذهبي ويضطر موسى إلى أن يراجعهم ويتسامحه وأخيراً « ندم الرب على الشر الذي قال « إنه يفعل لشعبه » وكذلك يريد أن يفنى اليهود أصلاً وفرعاً لعصيانهم موسى ولكن موسى يستشير حميته وكبرياه فيعفو أخيراً خشية على سمعته : « وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب ، وحتى متى لا يصدقوني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم إني أضربهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم ، فقال موسى للرب فيسمع المصريون الذين أصعدت هذا الشعب من وسطهم ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا أنك يارب في وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم ، وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهراً وبعمود نار ليلاً .. فإن قتلت

يسلطة الرب عليك حتى تهلك » (تثنية ٢٨ : ١٥ / ٦٨) .

ولم يكن يهوه هو الإله الوحيد الذى يعترف اليهود بوجوده أو يعترف هو نفسه بوجوده فقد كان موسى — كما تقول التوراة — يتغنى بنشيدته المشهور « من مثلك بين الآلهة يارب » (خروج ١٥ : ١١ ، ١٨ : ١١) . أما يهوه الرب نفسه فقد كان كل ما يطلبه فى أولى الوصايا العشر هو أن يكون مقامه فوق سائر الأرباب ويعترف بأنه إله غيور لا يرضى أن يشاركه فى شعب إسرائيل إله آخر ويأمر الإسرائيليين أتباعه أن يهدموا مذابح الآلهة الأخرى وأن يكسروا أصنامهم ومن الواضح أن هذه الوصية الإلهية قد أهملت ردها طويلاً من الزمن قبل أشعيا النبي فإن اليهود لم يفتأوا بعد وفاة موسى أن أشركوا يهوه الذى لم يعد إله الأسباط جميعاً . فقد كان للمواييين إلههم شمش ولعكرون إلههم بلزنوب ولعمون الإله ملكوم . فقد كان الانفصال السياسى والاقتصادى بين الأسباط قد أدى إلى عدم الوحدة الدينية . . كما كانت عبادة تموز — هو إله من أصل كلداني على ما يظهر — قد شاعت بين جميع أسباط اليهود حتى غدت معترفاً

هذا الشعب كرجل واحد . . تكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين : لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التى حلف لهم قتلهم فى القفر . . . فقال الرب قد صفحت حسب قولك » (عدد ١٤ : ١١ / ٢٠) .

وألفاظ السباب التى يكيلها يهوه الإله لشعبه تعد نموذجاً لفحش القول وأغلظه : « ملعونا تكون فى المدينة وملعوننا تكون فى الحقل . . ملعونة تكون سلتك ومعجنتك ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمره أرضك ، نتاج بقرك وإناث غنمك . يرسل عليك الرب اللعن والاضطراب والزجر فى كل ما تمتد إليه يدك لعمله حتى تهلك . . يلصق بك الرب الوباء حتى يببذك عن الأرض التى أنت داخل إليها لكى تمتلكها . يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والحفاف واللفح والذبول فتتعبك حتى تفنيك . يضربك الرب بقرحة مصر والبواسير والحرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء . يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب . تخطب امرأة ورجل آخر يضمع معهما ، يُسألم بنوك وبناتك لشعب آخر وعيناك تنظران إليهم طول النهار . . يجعل الرب أيضاً كل مرض وكل ضربة لم تكتب فى سفر الناموس هذا

الكثيبة مهيمنا على نفوس وأفكار أتباعه ويشيع الرعب والخوف في أوصالهم حتى كان عصر الأنبياء . . أو بالأحرى حتى كان ذلك المؤلف المجهول الذى أكمل سفر أشعيا والذى كان يهدف لا إلى — إعادة مجد يهوه فحسب . . بل كان — وهو يعمل على إعادة شعب إسرائيل إلى حظيرة الدين من جديد — يرمى أيضاً إلى الارتفاع بمستوى هذا الدين ، فى أسلوب جزل مشرق عمل على طمس الصورة القائمة لهذا الإله ورسم له لوحة بهيجة أسطع ألوانها الحب : « روح السيد الرب على . . لأن الرب منحني لأبشر المساكين ، أرسلنى لأعصب مكسورى القلب . . لنادى للمسيبين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق » (أشعيا ٦١ : ١) .

ويرسم أشعيا الثانى هذا صورة للرب قائلاً : اطلبوا الرب . . ما دام — يوجد ادعوه وهو قريب ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران (أشعيا ٥٥ : ٦ / ٧) . « هوذا الرب يأتى بقوة وذراعه تحكم له . . كراع يرمى قطيعه ، بذراعه يجمع الحملان ، وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات »

بها من القيادة الدينية الرسمية — مجمع الكهنة — الأمر الذى شكاه منه حزقيال حين آلمه أن يسمع البكاء حزناً على تموز من داخل الهيكل (حزقيال ٨ : ١٤) .

ومن بين المفاسد اليهودية التى جعلت أرميا يتميز غيظاً ما شاهده فى عهده من تعدد الآلهة اليهودية حتى كان لكل مدينة إلهها . ومن قوله فى خطابه لسكان مملكته يهوذا « على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا » . وليس فقط بعلا ومولك اللذين وضعت أصنامهما داخل الهيكل نفسه (أرميا ٢ : ٢٨ ، ٣٢ / ٣٥) .

ومن الواضح أن الوحدة السياسية التى قامت بين الأسباط فى عهدى داود وسليمان كانت بداية لفترة قصيرة ازدهرت فيها عبادة يهوه كإله أوحده لليهود . . إذ أن الوحدة السياسية وتركز القيادة الدينية والعبادة فى الهيكل العظيم الذى بناه سليمان فى أورشليم قد جعلت النفوذ الدينى لهذا الإله يتسلط من جديد على الشعب برمته . . .

وإلى أكثر من القول بأن هناك إلهاً واحداً لإسرائيل . مع الاعتراف بوجود آلهة أخرى ولكن لشعوب أخرى — لم يخط اليهود فى طريق التوحيد خطوة واحدة . . وظل هذا الإله « يهوه » بصورته القاسية

ومغذول من الناس، رجل أوجاع ، ومختبر الحزن ومسترعنه وجوهنا . . . محتقر فلم نعتد به . . . لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها . ونحن حسبنه مصاباً مضروباً من الله - ومذلولا - وهو مجروح لأجل معاصينا . مسحوق لأجل آثامنا . . . كلنا كغنى ضللنا . . . ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا . . . وجعل مع الأسرار قوة ، ومع غنى عند موته على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش . . . أما الرب فسرَّ بأن يسحقه ، بالحزن . أن جعل نفسه ذبيحة لإثم . . . وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت - نفسه ، وأحصى مع إثمهم وهو حمل خطيئة كثيرين وشفع في المذنبين (أشعيا ٥٢ حتى آخره وبكل آيات الإصحاح ٥٣) .

وابتداء من هذه الدعوة الإصلاحية وردت في الأسفار إشارات إلى أن اليهود يقتربون من التوحيد الكامل ولكن ليس لأن يهوه هو الإله الواحد الذى لا شريك له . . . بل لأن النصر قد بات قريباً وأن الإسرائيليين سيسيظرون على العالم وسيفرضون على جميع الشعوب عبادة

(أشعيا ٦٢ : ١٦) . . « فرحاً أفرح بالرب ، تبتهج نفسى يا إلهى ، لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص ، كسافى رداء البر مثل عريس يتزين بعمامته ، ومثل عروس تتزين بحليها . . . لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها ، وكما أن اللجنة تنبت مزروعاتها ، وهكذا السيد الرب ينبت . . . برا وتسييحا أمام كل الأمم) (أشعيا ٦١ : ١٠ : ١١) .

وفى خلال دعوة الإصلاح هذه يوضع أساس فكرة (الخطيئة والخلاص منها بالفداء) . . تلك الفكرة التى هى أساس المسيحية . . بل تأتى البشائر الأولى للمسيح المنتقد وترسم له صورة توضح سماته وصفاته التى كان عليها لبثان حياته وتبشيره بالدين الجديد .

« ما أجمل على الجبال قدمى المبشر . . المخبر بالسلام ، المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك . . هوذا عبدى . يعقل ويتعالى ويرتقى ويتسامى جدا . . كما اندهش منك كثيرون . . . كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته - أكثر من بنى آدم . . هكذا ينضج أما . كثيرون . . من أجبه يسد ملوك أفواههم لأنهم قد أبصروا - ما لم يخبروا به وما لم يسمعه فهموه . . محتقر

إلههم وعندئذ ستبطل عبادة جميع الآلهة ما عداه . . أما يهوه فسيبقى وحده في علاه يرعى ويبارك شعبه المختار سادة الدنيا وحكام الشعوب .

أما فكرة البعث في الآخرة فقد خلت منها الكتب الإسرائيلية إذ لم يكن اليهود يعتقدون بالبعث والحساب الأخرى وإنما الأرض السفلى أو الحب أو شيول هي الهاوية التي تأوى إليها الأجسام بعد الموت والاتجاه الميت « وأن الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد . . أما الثواب والعقاب فليس إلا جزاء عاجلا في الدنيا مرض أو دمار أو هزيمة أو ذل يتلى به الله العصاة والمذنبين . وخير وكسب وفلاح متحقق عاجلا للمخلصين الطائعين .

وأول إشارة إلى يوم البعث والدينونة فقد جاءت بصورة غامضة غير واضحة في سفر دانيال يقول : « إن كثيرين من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون : هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدى » « دانيال ١٢ : ٣/٢ .

ولم ترد هذه النبوءة إلا في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد حوالى عام ١٦٥ ق. م.

وأثناء الأسر في بابل نبتت فكرة المسيح المنتظر في العقيدة الإسرائيلية وكانوا يتوقعون ملكا فاتحاً مظفراً ويسمونه

ابنا لله . وأطلقوا اسم المسيح على كل من يعاقب أعداءهم ويفتح لهم باب الخلاص من أسرهم ، وتهذبت العقيدة مع الزمن فأصبحوا ينتظرون الخلاص على يد الهداة العاديين بعد أن يشوا من أن يحىء من بين الغزاة الفاتحين . . وقد عقد أحد كبار فلاسفة العصر وهو العلامة غوستاف لويون فصلا عن اليهود في كتابه الجليل « تاريخ الحضارات الأولى » . . خلص فيه إلى : أنه لم يكن لليهود فنون ولا صناعة ولا أى شىء تقوم به حضارة ، ولم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في شيد المعارف البشرية وأنهم لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التى ليس لها تاريخ ، وأن قصتهم الكثيرة لم تكن غير قصة لضروب المنكرات وأن تأثيرهم في تطور الحضارة صفر ولا يستحقون بأى وجه أن يعدوا من الأمم المتعدنية . . وأن شريعتهم بأسرها لم تكن إلا وجهاً بسيطاً للنظام الملوكوتى (فكيف يمكن للمرء أن يتصور إمكانية صمود العقيدة الإسرائيلية أمام تيارات عاتية من الثقافات — والمبادئ الحضارية التقدمية دون أن تندثر أو تزول .. وهكذا التساؤل نفسه يمكن أن يعبر — كما أسلفنا — عن مشاعر العجب من بقاء

السقراطجنى ولا عن مقدرة الفائقة ، في فنون الحرب ولا عن فتوحاته في أوروبا وآسيا فإن قلة ضئيلة أيضاً من الجهلاء هي التي تعرف شمشون ذلك البطل الأسطوري الذي كان يصرع - كما تقول التوراة - الألوف بعظمة من فك الحمار ولا يمكن بطبيعة الحال أن نقارن بين بطولة هانيبال الحقيقية وبين الهالة الخرافية التي أحاطت بها التوراة ذلك العبراني في قصة مع دليلة وخصومه الفلسطينيين . وبفضل التوراة ظلت الأجيال تستظل وتتغنى بقوة شمشون وأمجاده تماماً كما ظل سندباد ألف ليلة وليلة حياً على الدوام في خيال الجماهير . وكذلك فإن سواد المثقفين في هذا العصر لا يحيطون علماً بثقافات وتاريخ الحضارات التي اتبعت فوق أرض الهند والصين ولكن غير المثقفين لا يجهلون حكمة سليمان ولا روعة أمثاله - كذلك لا يجهلون ما في مزامير داود وأناشيده من سمو المعنى وعذوبة الألحان .

وكان من الممكن أن تعمل يد الزمان عملها فتطوى التوراة في أطواء النسيان . فتذهب ريحها ويعفو أثرها بعد أن قضى الرومان على شعبها الذي تشتت متشرداً في انحاء الأرض التي أصبحت

الشخصية الإسرائيلية دون أن تذوب أو تندثر مع زوال وتفكك المجتمع الإسرائيلي وانحلاله برمته . ذلك الشعب الذي ملأته أقلام كتبة التوراة بأوهام عجيبة وحيرت لهجته الفارغة ومشاغباته الدائمة الدولة الرومانية التي كانت آخر دولة احتلت الشرق الأدنى قبل ميلاد المسيح فعاملت تلك الدولة ذلك الشعب في مبدأ الأمر بالاحتقار والتجاهل ثم ماعتمت فوضاه المزعجة وضوضاؤه أن استنفذت صبر الدولة العظمى فأبادته وشتتته حتى تستريح منه نهائياً ولا تعود وتسمع حديثاً عنه .

والواقع أنه لا العقيدة اليهودية ولا أية عوامل أخرى ذات صلة بالتقدم الاجتماعي أو الحضاري . قد قامت بدور إيجابي في بقاء الديانة والشخصية اليهودية ، وحفظهما من الانحلال والضياع وإنما الفضل كله يرجع إلى التوراة وما كان لكتبها من خيال خصب أعطى لوقائعها حيوية متجددة لها ما للملاحم الشعبية من تأثير يستهوى نفوس الجماهير ، ويأسرهم . وإذا كان كل سكان العالم اليوم (سوى قلة ضئيلة من الذين حصلوا على قدر وافر من الثقافة) لا يعرفون شيئاً عن البطل هانيبال

كل أرجائها له منى وأصبح اليهود فرادى
أوفى جماعات صغيرة ينشدون الاستقرار
فى أى مكان ولكن هيهات فلا استقرار
لأيهم ولا قرار . . ولكنها مع ذلك بقيت
والفضل فى ذلك كله يرجع للسيد
المسيح فإنه قد ظهر بين بنى إسرائيل
يبشر بدعوة السلام والخير لا على
أساس أنها دين جديد وإنما على شكل
ثورة إصلاحية لتقية الديانة اليهودية مما
علق بها من شوائب وترهات « لا تظنوا
أنى جئت لا نقض الناموس أو الأنبياء ..
ما جئت لأنقض بل لأكمل » (متى
١٧: ٦) . فلم تنقض المسيحية قداسة
التوراة أو تقلل من أهميتها باعتبار أنها
السجل الجامع لأحكام الدين وشريعته .
وهكذا بقيت التوراة . . بل إن انتشار
المسيحية ورواج أناجيلها قد ساعد
على رواج التوراة وانتشارها أيضاً لأن
المحافل الكنسية قد اعتبرت الديانة
المسيحية وارثة لليهودية واعترفت بصحة
أسفار التوراة وضممتها كتراث مقدس إلى
ما اعتبرته صحيحاً من أناجيل المسيحية
نفسها . . وأطلقت على المجموعة كلها
اسم « الكتاب المقدس » . وفى هذا

الإطار الجديد سميت أسفار التوراة باسم
« كتب العهد القديم » كما لقبت ،
الأناجيل باسم « كتب العهد الجديد » .
وفى الحقيقة لا تعتبر المسيحية ديانة
متميزة عن اليهودية إلا من حيث إنها قد
أحدثت انقلاباً ثورياً . فأطاحت بكل
الأرجاس والمفاسد التى طرأت على
اليهودية فلوثتها ونجسها . . ومع أن ظهور
السيد المسيح كان بعد سلسلة من
الحركات الإصلاحية التى انبعثت على
يد بعض الأنبياء والمخلصين من أمثال
أرميا وأشعيا ودانيال — إلا أن الفساد
كان قد تغلغل إلى جميع قطاعاتها سواء
فى عقيدتها أو فى شريعتها وفى سائر
أصناف وطبقات المجتمع اليهودى نفسه
ومن ثم كان الأمر يتطلب لادعوة
إصلاحية فحسب بل ثورة تطيح بكل
الكيان اليهودى وتعيد بناءه من جديد
على أسس سليمة لا عيب فيها . . وهذه
المهمة الشاقة كان يتطلب تنفيذها
مصلحاً فداًئياً متفانياً من نوع خاص . .
وكان المسيح هو ذلك الفداى الكفء
للاضطلاع بتلك المهمة العظمى . .
زاهر عزب الزغبى



الأزهر جامعًا وجامعة أو مصر في ألف عام

الأستاذ / محمد كمال السيد

(٥)

هذا الباب عُرف بباب المزينين . وهو أهم أبواب الأزهر وأشهرها . ويؤدي إلى طريقة تصل إلى الباب الأصلي للجامع . وعلى يمين الداخل من باب المزينين المدرسة الطبرسية وعلى يساره الأقفاوية التي بها مكتبة الجامع الأزهر الآن . وبذلك أصبحت المدرستان داخل الجامع . وباب المزينين عُرف بهذا الاسم لأنه كان يجلس في الطريقة بينه وبين الباب الأصلي للجامع المزينون لخلق رأس أو ذقن من يريد من المجاورين . وهناك رأى آخر أن الاسم جاء من الزينة التي توضع على هذا الباب الرئيسي للجامع في المناسبات . ويستدل أصحاب هذا الرأي بما كتب على الباب من أربعة أبيات من الشعر . والكلمات الأخيرة من البيت الأخير تسجل تاريخ بنائه بحساب

عمارة عبد الرحمن كتيخدا للأزهر : ذكرنا في المقال السابق شيئاً من تاريخ حياة عبد الرحمن كتيخدا وعصره . ونشاطه في إنشاء وتجديد المساجد ومشاهد آل البيت في الأنحاء المختلفة بالقاهرة . وكانت عمارته الكبرى في الجامع الأزهر فقد أنشأه إنشاءً آخر سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) . فقد ضم المدرستين الطبرسية والأقفاوية إلى الجامع الأزهر . بعد أن هدم الطبرسية وأعاد بناءها . وأنشأ من الجهة الغربية المطلة حالياً على ميدان الأزهر - (ونقول الغربية للتخفيف فهمي في الواقع شمالية غربية) - خارج المدرستين بابا آخر هو عبارة عن بايين متجاورين مقوصين من الحجر النحيت بأعلاهما نقوش وزخرفة بديعة .

الجُمَّل . وهذه الأبيات هي :

إن للعلم أزهرًا يتسامى
كسما ما طاولتها سماء
حيث وافاه ذا البناء ولولا
منة الله ما تسامى البناء
رب إن الهدى هداك وآيا
تك نور تهدي به من تشاء
مذتناهى أرخت باب علوم
١٤٦ ٥

وفخار به يحجاب الدعاء
٨٨٧ ٧ ١٦ ١٠٦
- ١١٦٧ هـ .

وحساب الجُمَّل استعمله القدماء
للتوفيق بين الأعداد والحروف . وأساسه
حروف الأبجدية الثمانية وعشرون . فقد
كوّنوها في ثمان كلمات (أبجد - هوز -
حطي - كلمن - سغفص - قرشت -
ثخذ - ضطغ) . وجعلوا للتسعة حروف
الأولى أعداد الآحاد من ١ - ٩ . وجعلوا
للتسعة حروف التالية أعداد العشرات من
١٠ - ٩٠ . وجعلوا للتسعة حروف الثالثة
أعداد المئات من ١٠٠ - ٩٠٠ . ثم جعلوا
للغين وهي آخر الحروف العدد ١٠٠٠ .
مع بعض الخلاف بين المشرق والمغرب
العربيين في ترتيب حروف الأبجدية ليس
هنا مجال شرحه .

وقد ذكرنا في مقال سابق (المقال
الثالث) أن الأشرف قاتيباي جدد الباب
الأصلي للجامع سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٥ م) .
والباب الأصلي للجامع يؤدي إلى
صحن الجامع ، وحول الصحن أربعة
إيوانات مفصولة عن الصحن ببوائك
محملة على أعمدة من رخام ، فالغربي
خلف المدرستين الطبرسية والأقباقوية
به ١٦ عموداً . والشمالى به ١٢ عموداً .
والجنوبى به ١٢ عموداً كذلك ، وقد
فصل جزء من هذه الإيوانات بدرابزين
من الخشب المخروط ، حيث أنشئت
الأروقة المختلفة لإقامة المجاورين بالأزهر ،
وبكل جانب من داخل الخشب المخروط
صفان من الأعمدة الرخامية المزدوجة
كحرم أمام أبواب الأروقة .

وأعلى البوائك المحملة على الأعمدة
بدائر صحن الجامع توجد نقوش عديدة
وتعلو البوائك شرفات غاية في حسن الذوق
والتنسيق .

أما الإيوان الشرقى - وبه المقصورة
الأصلية للجامع وهو إيوان القبلة -
فمتسع بعرض الصحن وعرض الإيوانين
الشمالى والجنوبى ، وبه أربعة أصف
من الأعمدة الرخامية كل صف
منها عشرون عموداً ، والصفان على يمين

وقال المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي (واشتغل عليه برسم المزاوِل والمنحرفات حتى أتقنها ، ورسم على اسمه عدة منحرفات على ألواح كبيرة من الرخام صناعة وحفرا بالأزميل كتابة ورسمًا . ونصب واحدة من هذه المزاوِل بالجامع الأزهر ، وأخرى بسطح جامع الإمام الشافعي ، وأخرى بمشهد السادات الوفائية ، وعمل له تاريخًا منظومًا نقشه عليها والكلمات الأخيرة من البيت الأخير تسجل تاريخ عمل المزولة . والأبيات هي :

مزولة متقنة	نظيرها لا يوجد
راسمها حاسبها	هذا الوزير الأجد
تاريخها أتقنها	وزير مصر أحمد
٥٥٧	٢٢٣ ٣٣٠ ٥٣
	— ١١٦٣ هـ

والمزولة المذكورة بالصحن هي إحدى هذه المزاوِل ، وتوجد بمكتبة الأزهر بالمدرسة الأقباقوية مزولة أخرى بنفس الأبيات المذكورة فلعل إحدى المزولتين الأخريين قد نقلت إلى المكتبة .

وقال الجبرتي (ج ١ ص ١٥٨ إن سبب تلقب أحمد باشا بلقب كور أنه كان بعينه حول . وقال إن مزولة الأزهر كانت لبيان دائر العصر

ويسار الداخل الأعمدة فيهما مزدوجة ، فضلا عن عمودين مواجهين للمحراب فتكون عدد أعمدة المقصورة الأصلية للجامع ٩٠ عموداً .

وصحن الجامع سماوى متسع ، وقد كانت به فسقية من عهد قايتباي ، ثم أزيلت ، وحاولوا زراعة أشجار فيه ولكن لم تفلح ، وكانت أرضيته من الحجر ، ثم أزيلت أرضية الحجر وعملت بدلها أرضية من ترابيع الرخام سنة ١٩٧٠ م وكان بصحن الجامع مزولة ، فلما جددت الأرضية رفعت المزولة وعُلقت على عمود هو العمود الرابع على يمين الداخل أى بظهر المدرسة الطيرسية .

هذه المزولة من صنع الوزير أحمد باشا كور الذى كان والياً على مصر من ١١٦١ - ١١٦٣ هـ ، (١٧٤٨ - ١٧٥٠ م) . وكان مولعاً بالعلوم الرياضية فاتصل بالشيخ حسن الجبرتي - والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي . وكان علامة وقته بالنسبة للعلوم الفلكية والميقات . وصناعة المزاوِل والمنحرفات وكانت لازمة للمسلمين لتحديد أوقات الصلاة ، فالساعات لم تكن متداولة فى أيديهم وقتذاك ، فعرف الوزير قدر الشيخ حسن ودرس عليه واستفاد من علمه الكثير .

والغروب . ومزولة جامع الإمام الشافعي
لفضل دائر الغروب . والمزولة الوفائية
للظهر والعصر .

وفصل الصحن عن المقصورة الأصلية
دارابزين من الخشب بين الدعامات
الحجرية وبه ثلاثة أبواب تؤدي إلى
المقصورة، وهذه الدارابزينات والأبواب
جميعها من عهد الأشرف قايتباي كما هو
مكتوب عليها (مولانا السلطان الملك
الأشرف أبو النصر قايتباي أدام ملكه) .

ومكتوب على الأبواب (جُددت
هذه الدارابزينات على أصلها في عهد
خديوي مصر عباس حلمي الثاني سنة
١٣١٠ هـ) .

ومحراب المقصورة الأصلية من رخام
وبه عمودان صغيران من الرخام ، وأمامهما
قبة ، وعلى المحراب نقوش بالخط الكوفي
وقد ذكرنا في المقال الثاني الطلسم
المزعوم وجوده لمنع أي طائر أن يفرخ
أو يعيش بالجامع . كذلك الأسطورة
بأنه كان بجوار المحراب الأصلي صندوق
به قطعة خشب من سفينة نوح عليه
السلام وقطعة من جلد بقرة بني إسرائيل .
كما ذكرنا رفض المرحوم الأستاذ حسن
عبد الوهاب للأسطورتين وإثباته عدم
صحتها .

وأضاف عبد الرحمن كنتخدا مقصورة
أخرى إلى مقصورة الجامع الأصلية ،
والمقصورة الجديدة يفصلها عن المقصورة
الأصلية عدة دعائم من الحجر النحيت ،
وترتفع أرضها عن أرض المقصورة
الأصلية بثلاث درجات ، وبها ثلاثة
أصقف من الأعمدة الرخامية ، وتنقص
في الطول عن المقصورة الأصلية من
جهة يمين الداخل حيث يوجد باب
يؤدي إلى ضريح عبد الرحمن كنتخدا
ولى باب يؤدي إلى رواق الصعايدة لأنه
أعلاه ، ومن جهة اليسار تنقص أيضاً
بمقدار المدرسة الجوهريّة السابق ذكرها
في المقال الثالث .

وذكر الجبتي - وسايه على باشا
مبارك - أن بالمقصورة المستجدة خمسين
عموداً من الرخام . ولكنني لم أحصر غير
تسعة وثلاثين عموداً .

والمقصورة المستجدة محرابها من رخام
ملون وبها منبر من الخشب الثمين
المطعم بالصدف مكتوب على صدره
(إن الله وملائكته يصلون على النبي) .
وعلى أحد جانبيه (بسم الله الرحمن
الرحيم . الله أكبر) وعلى الجانب الآخر
(الله أكبر تم في عهد الرئيس جمال
عبد الناصر) .

مدهون ويعلو سقف المقصورة المستجدة عن الأصلية بما يسمح بعده مناور من خشب وسلك ، وبسقف المقصورة المستجدة أربعة مساقط للنور (شخشيخة) بكل منها عدة مناور من الخشب والزجاج على شكل عربي ، وعلقت بسقف الجامع في المقصورتين المراوح الكهربائية ، كما ركبت أنوار الفلورسنت في عروق الخشب التي تصل الأعمدة ببعضها للتثبيت .

وأرض المقصورتين مفروشة بالسجاد الأحمر الفاخر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر .

وكان بالأزهر عدد من الأوراق والرواق بمثابة منزل كامل الاستعداد من غرف ودورة مياه ودواليب وخزائن لحفظ الكتب والأمتعة ، ولكل طائفة رواق خاص بهم ، وينفق على الرواق من أوقاف محبوسة عليه ، فضلاً عن جارية أي : راتب من الخبز يصرف يومياً ويحدد قدر هذه الجارية الأوقاف المقررة للرواق وعدد المقيدون فيه . ولكل رواق شيخ يدير شؤونه ويباشر أوقافه .

وسنعود لذكر هذه الأوراق بإذن الله ، ولكن نقول هنا إن أشهر هذه

وبالمقصورة المستجدة محرابان آخران على يمين المحراب الكبير بالنسبة للمصلي الأول منهما من رخام وبه عمودان صغيران وليست عليه كتابة ، والثاني من مصيص وبه عامودان من رخام وعليه كتابة وكان الشيخ الدردير - وسيأتي ذكره بإذن الله - يصلي في أحدهما فعرف به .

أما المقصورة الأصلية - ففضلاً عن المحراب الكبير السابق ذكره - بها محرابان صغيران على يمين المحراب الأصلي بالنسبة للمتجه للقبلة .

هذه هي المحاريب الحالية بالمقصورتين وقد ذكر على مبارك (ج ٤ ص ١٦) أن بالمقصورة المستجدة المحراب الكبير ومحراب الشيخ الدردير فقط ، كما ذكر محاريب أخرى كانت موجودة ، ولعله أزيل بعضها في العمارة التي عملت بالأزهر سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) في عهد الخديو إسماعيل .

وتواجه المحراب الكبير ، بالمقصورة المستجدة سندرة التبليغ . ويرق إليها بسلم خشبي خلف المحراب الأصلي ، والسندرة من خشب وشرفتها من خشب مخروط .

وسقف المقصورتين من خشب

الأروقة كان رواق الصعايدة ، لأنه كان أغناها في جهة الوقف والحراية ، وكانت مشيخته غالباً للمدرسين من جهة بنى عدى بالقرب من منفلوط بمحافظة أسيوط .

والنسبة إلى بنى عدى المذكورة عدوى (بفتح العين) ، أما عدوى (بكسر العين) فنسبة إلى العدو بمحافظة المنيا ، أو العدو بمحافظة الفيوم أو العدو بمحافظة الشرقية .

ورواق الصعايدة المذكور بناه عبد الرحمن كنتخدا من ضمن تجديداته للأزهر ، ولعل هذا بسبب تقديره للشيخ على الصعيدى العدو فقد كان من شيوخ الأزهر المعدودين ، وكان محل احترام يهابه الأمراء ، وكان يرى عدم شرب الدخان بحضرة العلماء توقيراً لهم ، فكان الأمراء يمتنعون عن التدخين في حضرته حتى إنه زار مرة على بك الكبير وكان يدخن الشبك ، فبمجرد أن علم بحضوره أمر برفع أدوات التدخين ، والشبك عبارة عن قصبة طويلة للتدخين مثل البيبة الحالية ولكنها تزيد عليها سمكاً وطولاً . وقد يصل طولها إلى سبعين سنتيمتراً أو أكثر ، ويتولى الخدم تغذيتها بالنبغ والنار ، وكان بعضها

يرصع بالأحجار الكريمة أو شبه الكريمة ، وكان الشيخ على الصعيدى مقرباً إلى محمد بك أبى الذهب - خلف على بك الكبير فى السلطة - فلما أنشأ أبو الذهب مدرسته المواجهة للأزهر من الجهة الغربية عينه فى التدريس بها ولم يترك تدريسه بالأزهر ، وكان يقضى حوائج الناس عنده ولا يرد لهم طلباً ، وتوفى سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥م) عن ٧٧ عاماً ، وقال عنه الجبرتى : (وكان على قدم السلف فى الاشتغال والقناعة وشرف النفس وعدم التصنع والتقوى ولا يركب إلا الحمار ويواسى أهله وأقاربه ويرسل إلى فقرائهم ببلده الصلات والأكسية والبز والطرح للنساء والعصائب والمداسات وغير ذلك . ثم قال : وصلى عليه بالأزهر بمشهد عظيم ودفن بالبستان بالقرافة الكبرى . رحمه الله ، ولم يخلف بعده مثله) ا هـ .

وبنى عبد الرحمن كنتخدا لرواق الصعايدة باباً عظيماً للخارج عبارة عن باب مزدوج بشارع التبليطة الحالى الذى كان اسمه الشيخ محمد عبده وذكره على مبارك باسم شارع الأزهر ، وهو الشارع جنوبى الأزهر والباب المذكور هو بآخر مباني الجامع بهذا الشارع .

ونلاحظ حذف ألف الوصل في الرحمن ولو أثبتت لكان تاريخ وفاة سنة ١١٩١ هـ .

وأنشأ عبد الرحمن من داخل باب الصعايدة مئذنة ، كما أنشأ أخرى عند باب الشربة .

وباب الشربة كان بالخائط الشرق للمقصورة المستجدة على يسار المحراب بالنسبة للمصلى ، وقد سُدَّ الآن ، وسمى بهذا الاسم لقربه من مطبخ الشربة الذي كان يطبخ فيه الأرز في شهر رمضان ويفرق على فقراء الجامع .

وكان الباب المذكور يطل على طريق يفصل الجامع عن منزل السيد عمر مكرم المجاهد الوطني المعروف والذي أنشأت له ثورة سنة ١٩٥٢ الجامع المعروف باسمه بميدان التحرير تخليداً لذكراه ، وكان محل هذا الجامع مسجد يعرف بمسجد الشيخ العبيط بميدان الاسماعيليه المعروف الآن بميدان التحرير .

وفي صحن باب الصعايدة عند ضريح عبد الرحمن كتحدا كان يجتمع شيوخ الأزهر عند المشورة في المهمات .

أبواب الجامع الأزهر :

وللجامع الأزهر ستة أبواب منها بابان

وأنشأ عبد الرحمن انفسه في داخل الباب ضريحاً دُفن فيه ، وبين باب الصعايدة طرقة . وللضريح باب إلى المقصورة المستجدة بداخل الجامع وفوقه قبة مرتفعة ، وعلى القبة تركيبة من رخام عليها أسماء العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهم أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة الجراح ، والزبير بن العوام . رضى الله عنهم .

وعلى الجانب الآخر المأثور عن الإمام على بن أبي طالب في وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام وبيتان من الشعر يسجل الشطر الثاني من البيت الثاني تاريخ وفاة عبد الرحمن كتحدا بحساب الجُمْل ، مما يدل على أنها عملت بعد عودته من مكة مريضاً ، وقد شعر بدنو أجله أو كان أوصى بها ، والبيتان هما :

بروض نعيم فاز كهف مكرم
وحاز بفضل الخير جنات رضوان
هنيئاً له فالخور في الخلد أرخت

لقد فاق في الفردوس عبد الرحمن

١٣٤ ١٨١ ٣٨١ ٩٠ ٧٦ ٣٢٨

— ١١٩٠ هـ .

في المدرسة الجوهريّة ، وكان هناك باب الشربة وقد سُدَّ .

وفي النية تحويل دورة المياه الموجودة في الجانب الشمالى في الجامع إلى الفراغ الموجود شرق الجامع بينه وبين كليات الجامعة الأزهرية .

منارات الجامع :

وللجامع خمس منارات منها ثلاثة في الجانب الغربى ، الأولى منارة المدرسة الأقبغاوية على يسار الداخل من باب المزينين ، واثنان على يمين الداخل إحداهما من إنشاء الأشرف قايتباى ، والأخرى على يمينها خلف المدرسة الطيرسية وهى من إنشاء الأشرف قانصوه الغورى ، وهى منارة ذات برجين وقد سبق ذكرها .

والمنارة الرابعة عند باب الصعايدة ، والخامسة عند باب الشربة .

وكان التقليد ألا يتولى الأذان إلا العميان لعدم جرح الجيران ، ولكل منارة خلوة ينتظر فيها المؤذن وقت الأذان ولا يؤذنون إلا بناءً على أمر ميقانى مخصوص لتحديد الوقت ، وكان ينبئ على أذان الجامع الأزهر الأذان فى باقى المساجد .

مزدوجان أى الباب عبارة عن باين متجاورين .

فأول هذه الأبواب وأكبرها هو باب المزينين على ميدان الأزهر الحالى وهو باب مزدوج من إنشاء عبد الرحمن كتحدا كما سبق ذكره .

وللمدرسة الطيرسية باب بالوجهة الغربية للجامع جنوبى باب المزينين ، وهو من إنشاء عباس حلمى الثانى سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) كما هو مكتوب عليه .

وبالوجهة الجنوبية أربعة أبواب ، الأول منها هو باب المغاربة ومكتوب عليه (جددت هذه الأروقة فى عهد عباس حلمى الثانى سنة ١٣٢٣ هـ) ، والثانى مستجد أيضاً مع العمارة المذكورة وثابت عليه تاريخها وعليه يافطة باسم رواق الأفغان . والبابان المذكوران لم يذكرهما على مبارك لأنهما أنشئا بعده (الخطط التوفيقية طبعت من ١٣٠٤ - ١٣٠٦ هـ) والثالث باب الشوام ويظهر أنه من الأبواب الأصلية للجامع . والرابع باب الصعايدة فى آخر الوجهة المذكورة وقد سبق ذكره ، وقد جدد هذا الباب فى عهد الخديوى إسماعيل .

هذه هى الستة أبواب ، ويمكن أن نضيف باباً سابعاً هو باب صغير

كثيرون من الأعيان والعلماء بمكتباتهم الخاصة للمكتبة ، منهم سليمان باشا أباطة ، والشيخ محمد نجيب ، والشيخ محمد الأنباي ، والشيخ حسونة النواوى ، وغيرهم .

وقد أضيف جزء من المدرسة الطبرسية للمكتبة ، ولآن لم يتم طبع فهرس المكتبة وإن كانت قد طبعت منه أجزاء . وكان هذا منذ حوالى ستين ولا أدري هل تم طبع الفهرست جميعه الآن . وهذه المكتبة غير ما يوجد من كتب ببعض الأوراق تحت إشراف أمناء يحافظون عليها وفي بعضها مثل رواق المغاربة مخطوطات ثمينة نادرة (قصة الأزهر بحث للأستاذ عاطف مصطفى . كتاب الهلال ص ١٨٠ فى يناير سنة ١٩٧٣) .

أروقة الأزهر :

ذكرنا معنى الرواق ، وأنه كان لكل طائفة من المجاورين رواق خاص بهم ، وقد تضاعف الآن شأن هذه الأوراق بإنشاء مدينة البعوث الإسلامية .

ولكن نمر على أسماء هذه الأوراق للقيمة التاريخية ، ولبيان ما للأزهر من مكانة سامية متصلة بجميع البلاد

مكتبة الأزهر :

وبالمدرسة الأقبغاوية قبتان تعتبران بما فيهما من هندسة وزخارف ونقوش من تحف العمارة الإسلامية ، وقد جُددت هى والمدرسة الطبرسية فى عهد عباس حلمى الثانى .

وبالأقبغاوية الآن مكتبة الجامع الأزهر ، وهى مكتبة تعتبر من أغنى المكتبات العامة ، بها الآن من الكتب حوالى ١٥٤٠٠٠ مؤلفاً تصل بأجزائها إلى ما يزيد على الربع مليون كتاب ومن هذا العدد ٢٥٠٠٠ مخطوط بعضها نادر ولا يوجد فى غيرها ولا فى دار الكتب العمومية .

وهذه المكتبة جديرة بمكان أكثر اتساعاً حيث مكانها الحالى مكتظ بالكتب والموظفين ، ولا يجد الباحثون فرصتهم فى الاطلاع فترة طويلة لضيق المكان .

ومن التحف الموجودة بالمكتبة — فضلاً عن المزولة السابق ذكرها ، وفضلاً عن المخطوطات الثمينة من المصاحف — مرصد فلكى من إهداء المغفور له إسماعيل باشا مصطفى الفلكى سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) ، وقد تبرع

الإسلامية فضلاً عن نواحي القطر المختلفة بالدلتا والصعيد .

تذكرها دائرة المعارف الإسلامية ، كما ذكرت دائرة المعارف عشرة أروقة لم يذكرها على مبارك وعلى هذا يكون عدد الأروقة ٣٧ رواقاً .

وقد أنشئت هذه الأروقة على دفعات وفي مناسبات مختلفة ، وبيانها كالتالي : ونبدأ من يمين الداخل من باب المزينين خلف المدرسة الطبرسية ثم بالريح الجنوبي للجامع :

بالدور العلوى .
نسبة إلى ونا من محافظة بنى سويف وهو بأسفل رواق الهنود ، ولعله الذى ذكرته دائرة المعارف الإسلامية باسم الطبرسية .

وهو من الأروقة التى لم تذكرها دائرة المعارف الإسلامية .
من إنشاء الأشرف قايتباى وقد رمه عثمان كتخدا .
من إنشاء محمد على باشا . ولم تذكره دائرة المعارف الإسلامية .

من إنشاء الأشرف قايتباى

من أكبر الأروقة من إنشاء الأشرف قايتباى وقد زاد فيه عثمان كتخدا ثم عبد الرحمن كتخدا .

وقد ذكر لنا على مبارك ٢٧ رواقاً (الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٢٢) كما ذكرت دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة المجلد الثالث ص ١٩٦) ٣١ رواقاً ، مع خلاف فى أسماء بعض الأروقة عن صاحب الخطط التوفيقية ، وقد ذكر على مبارك ستة أروقة لم

- ١ - رواق الهنود
- ٢ - رواق الونائىة
- ٣ - رواق البغدادية
- ٤ - رواق الأكراد
- ٥ - رواق اليمنىة
- ٦ - رواق الجبرتية
- ٧ - رواق البرنية
- ٨ - رواق الأتراك
- ٩ - رواق النارية
- ١٠ - رواق المغاربة
- ١١ - رواق السليمانية
- ١٢ - رواق الجاوة
- ١٣ - رواق الشوام

- | | |
|--------------------|---|
| ١٤ - رواق الدكرانة | الغورية - وهو من الأروقة التي لم تذكرها دائرة المعارف الإسلامية . |
| ١٥ - رواق الحرمين | وهو من الأروقة التي لم تذكرها دائرة المعارف الإسلامية . |
| ١٦ - رواق الصعايدة | وقد سبق ذكره وهو آخر الأروقة في الجنوب الشرقى . |

فهذه ستة عشر رواقاً . وعلى يسار الداخل من الباب الغربى الكبير أى خلف الأقبغاوية ، ثم بالريح الشمالى للجامع نجد الأروقة الآتية :

- | | |
|----------------------|---------------|
| ١٧ - رواق البحيرة | أو البحاروة . |
| ١٨ - رواق الفيومية | |
| ١٩ - رواق الأقبغاوية | |
| ٢٠ - رواق الشنوانية | |

ويسمى أيضاً رواق الريافة ، أى : أهل الريف باللدلتا ، ويسمى أيضاً رواق المنايقة أى أهل المنوفية . من إنشاء راتب باشا الكبير ، وكان شرع فيه عباس حلمى الأول لأهل بلدة الشيخ الباجورى شيخ الجامع وقتذاك وأتمه راتب باشا رواقاً للحنفية ، وهو الذى ذكرته دائرة المعارف الإسلامية باسم رواق الباجورى . ولم تذكره دائرة المعارف الإسلامية .

- | | |
|-----------------------|--|
| ٢٢ - رواق الفشنية | |
| ٢٣ - رواق ابن معمر | |
| ٢٤ - رواق البرابرة | |
| ٢٥ - رواق دكرانة صليح | |
| ٢٦ - رواق الشرقاوية | |

من إنشاء إبراهيم بك الكبير قبل دخول الفرنسيين لأهل (مديرية) الشرقية التى منها الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر وقتذاك . من الأروقة التى تذكرها دائرة المعارف الإسلامية .

- | | |
|--------------------|--|
| ٢٧ - رواق الحنابلة | |
|--------------------|--|

أما العشرة الأروقة التى ذكرتها دائرة المعارف الإسلامية ولم يذكرها على مبارك فى الخطط التوفيقية فهى الآتى ذكرها .

لأهل أفريقيا الوسطى .

- ٢٨ - رواق التجارية
- ٢٩ - رواق الفلاتة
- ٣٠ - رواق الشيخ ثعلب
- ٣١ - رواق الدناشرة
- ٣٢ - رواق الشبراخيتي
- ٣٣ - رواق الدمهورى
- ٣٤ - رواق البشاشة
- ٣٥ - رواق دارفور
- ٣٦ - رواق محمد المغربل
- ٣٧ - رواق عيسى أفندى

وأكبر هذه الأروقة رواق الصعايدة والشوام والأتراك والمغاربة .

حارات الأزهر :

ذكرها على مبارك فى الخطط التوفيقية ، وعرفها بأنها عبارة عن جهات بها الخزن والدواليب موضوعة فى نهاية المقصورة القديمة وخلافها ، فتجد بعض طوائف المجاورين لهم خزن فى جهات مخصوصة تعرف بهم ويسمونها حارة كذا ، وذكر من هذه الحارات :

حارة البشاشة - حارة السليمانية - حارة الدكة - حارة الممشى - حارة النفراوية - حارة البجيرمية - حارة العففى - حارة الزرقانية .

مساحه الأزهر :

ومساحة الجامع الأزهر الحالية ١١٥٠٠ م . تقريباً . أو حوالى ٢٣ فدان .

محمد كمال السيد

باب الفتاوى

الدُّسَاد عبد الحميد سائمين

(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال" وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) .

شهر المحرم أحد الأشهر الحرم :

والواقع أن الإسلام لا يعرف لشهر المحرم سوى أنه أحد الشهور الأربعة المحرمة من قديم الرسالات ، والمعروفة باسم « الأشهر الحرم » .

(إن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض . منها أربعة حُرُمٌ . ذلك الدين القيم . فلا تظلموا فيهن أنفسكم) ومقتضى هذا ن شهر المحرم شهر لا يضيق صدره - على الأقل - بفعل الخير إن لم يتسع له ويعظم التفاؤل به ، وأنه إنما يأبى المعاصي والمظالم أن تقع فيه وأنها فيه أشد نكراً عند الله منه في غيره . وليس من شك في أن الزواج من

س : يتخرج بعض الناس عن عقد الزواج في شهر المحرم لكونه حراماً فيه ، أو يتشاءمون من ذلك ويعتبرونه نذير سوء للحياة الزوجية التي تعقد فيه . . . فما حكم عقد الزواج في هذا الشهر ؟

ج : أجاب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت عن مثل هذا السؤال بقوله :

كنت أظن هذا النوع من الابتداع في « الحرام والحلال » أو من « التشاؤم » بالزمان والمكان قد عفى عليه عصر « الإدراك والثقافة » وضيق عليه دائرة الوجود حتى صار لا يجد له مستقراً إلا في عقول تعاصت على الوعي العصري والتنبيه الزمى . وظلت ترسف في أغلال الجهل والتقليد الخرافى مما صرفها عن الحقائق وحال بينها وبين أقل تفكير في معنى « الحلال والحرام » فنسبت إلى الدين ما ليس منه ، وتقولت على الله الأقاويل

وملابسها وسائر شئونها ، وتحرم فيه كل مظاهر الفرح وازينة والمتعة . .
وفي هذا الجو الملبد بغيوم الفن التي ألبست ثوب الدين نبتت هذه الفكرة واتسع نطاقها . وتسربت إلى جميع الأرجاء الإسلامية ، التي تولت هذه الفرقة حكمها والسلطان فيها ، وقد كانت مصر من هذه الأرجاء . وكان من آثارها فيها (توارث تحريم عقد الزواج في شهر المحرم) ولا تزال فكرة (الحزن المحرم) متأصلة إلى اليوم في بعض الجهات الإسلامية بصفة عامة شاملة ، كما لا تزال شعائر الحزن تقام كل عام في تلك الجهات على قدم وساق .

العصبية تعمل على الجانب الآخر :

ومن عجيب العصبية — التي تأخذ بالناس عن الحقائق الواضحة — أنها نشرت أجنتها في الجانب الآخر أيضاً ، وابتدعت في يوم عاشوراء « يوم الحزن عند هؤلاء » مشروعية الفرح والسرور والتجميل والتزين وأدخلت كل ذلك على الناس « بمرويات » عن الرسول عليه السلام وآثار من أصحابه كما صنعت « العصبية » عكس ذلك في الطرف الآخر ، فكرة بفكرة . وحديث

أبرز أعمال الخير ، به تعصم النفوس ، وبه تنشأ الأسر . وبه يستمر التناسل ، وبه السكن والمودة والرحمة ، وإذن فالإسلام برىء من هذه الفرية ، وبرىء مما يمكن أن يكون منشأ لها فيه ! ! .

جهل وعصبية :

ولم يبق بعد هذا سوى أن هذه « الفرية » محض ابتداء جرّه : إما جهل واندفاع به في تيار فكرة « التشاؤم » العامة التي ينكرها الإسلام أشد الإنكار ، والتي تسلطت بالوهم الفاسد على بعض العقول فيما يختص بالزمان والمكان ، والكلمات المسموعة ، والأشياء المرئية ، كما هو معروف عند الناس جميعاً ، وإما عصبية خاصة نبتت في أحضان (فرقة إسلامية) عرفت بآرائها ومبادئها من أواخر عهد الخلافة الإسلامية الحققة ، وكان ذلك بمناسبة حادث وقع في شهر المحرم وفي العاشر منه ^(١) واشتد له أسف المسلمين جميعاً ، ولكن هذه الفرقة أسرفت بعصبيتها . فاتخذت الشهر كله زمن حزن تعلن فيه حدادها ، وتجمع فيه ما تتخيل من مظاهر المأتمية في مجتمعاتها وما كلها

(١) هو مقتل الحسين — رضى الله عنه .

الدجالين بإشاعة فكرة التشاؤم بينهم .
هذه الفكرة التي يصير بها الإنسان أسير
الوهم في كلمة يسمعونها ، أو يوم يمر
عليه ، أو منظر يراه ، وأن يطهروا قلوبهم
من هذه الأوهام ، وأن يقدموا على
أعمالهم وقضاء مصالحهم في أوقاتها
التي تتطلبها . معتمدين في ذلك على
إيمانهم النقي ، وعلى توفيق الله لهم ،
غير عابئين بوهم أو خرافة ، فتسلم
حياتهم ، وتستقر شئونهم والله ولي
التوفيق والهداية .

س : هل السنة لإفراد يوم عاشوراء
بالصيام أم ضم غيره إليه ؟

ج : قال ابن القيم في كتابه « زاد المعاد »
بعد أن ذكر الآراء والروايات
الواردة في موضوع عاشوراء
وناقشها : فراتب صومه ثلاثة :
أكملها : أن يصام يوم قبله ويوم
بعده ، ويلى ذلك : أن يصام
التاسع والعاشر وعليه أكثر
الأحاديث ، ويلى ذلك إفراد
العاشر وحده بالصوم . . .

س : مات الميت وعليه زكاة أموال
وكفارات وفدية صوم ، ونحو
ذلك من حقوق الله .

فهل لأحد الورثة أن يطلب منهم

بحديث . وابتداعا بابتداع ، فيالله
للمسلمين !!!

وبالمنازع العصبية المتعاكسة صار
الناظر إلى المسلمين وفي كتبهم يرى
ويقرأ أن الإسلام يطلب من المسلمين
مظاهر الفرح والحزن في يوم واحد لشهر
واحد . . . وهكذا تنشقوا في دينهم وكانوا
شيعة : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعاً لست منهم في شيء) والحق أن
الفريقين قد انحرف عن الصراط المستقيم .
وخاضوا فيما يحرم الإسلام الخوض فيه .

وإن واجب المسلمين اليوم ليحتم عليهم
— وقد بدت البغضاء لهم جميعاً من
أعدائهم المتربصين بهم — أن يطهروا
أنفسهم من هذه العصبية التي فرقتهم .
وأن يجتمعوا على كلمة سواء بينهم . . .
وإلا يفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد
كبير .

التشاؤم :

هذا هو أصل فكرة « تحريم عقد
الزواج » وقد ألبست هذه الفكرة عند
من لم يعرفوا هذا الأصل ثوب « التشاؤم »
والتشاؤم هو الآخر قد أخذ مجالا واسعا
عند الناس بدافع الهوى والدجل . .

وواجب المؤمنين أن يتنبهوا إلى عبث

حجز مبلغ من التركة لأداء هذه الحقوق التي مات عنها وهي في زمته؟

ج : يجب عن هذا الشيخ محمود شلتوت في فتاواه بقوله : إن أول ما يجب أن يخرج من التركة هو تجهيز الميت تجهيزاً معتدلاً ، لا إسراف فيه ولا تقتير ، ثم قضاء ديونه التي هي للعباد . . .

أما الديون الواجبة لله كالزكاة ونحوها ، فإن كان قد أوصى بها لزم الورثة أن يخرجوها ، فإذا ما تبرعوا بها وأخرجوها من حقوقهم فهل تسقط عنه الواجب ؟ يرى بعض الفقهاء أنها لا تسقط

عنه الواجب ، لأنه عبادة والعبادة لا بد في سقوطها من فعل أونية ، ولا فعل ولا نية من الميت ، وفعل الورثة لا يقوم مقام فعله إلا بإذنه . ولم يوجد إذن .

ولكننا نرى أن في إذن النبي صلى الله عليه وسلم بالحج عن الوالد دون وصية منه ما يجعلنا أقوياء الرجاء في قبول التبرع من الورثة ، ورفع العقاب به عن الميت وإثابته عليه ، نظراً إلى أن المال من كسبه وسعيه ، والورثة أولاده وأولياؤه ، فهم منه وما لهم من ماله .

والله أعلم

عبد الحميد السيد شاهين

من آداب الرجل في نفسه

لزوم الجمعة والجماعة ، ونظافة الملبس ، وإدامة السواك

ولا يلبس المشهور ، ولا المحقور ، ولا يطيل ثيابه تكبراً

ولا يقصرها تمسكنا ، ولا يكثر التلفت في مشيته ولا ينظر إلى

غير حرمة ، ولا يكثر لإخوانه الحديث عن زوجته وما

في بيته .

"کتاب الشہر"

الإسلام دين الجماعة "لارئيس أحمد سيكوتوري"

عرض و تقديم :
الدكتور عبد الوود ديلبي

فى أواخر الخمسينيات من هذا القرن
ظهرت زعامات جديدة لشعوب ودول
لم تكن نسمع عنها من قبل . . . لقد
انتصرت حركات التحرير فى إفريقيا
وآسيا ، وانحسرت أمواج الاستعمار
الكثيب من كل أرجاء الدنيا . . .

كانت بريطانيا تمثل — فى نظر
الغالبية العظمى من الشعب — الرمز
الكريه لهذا الاستعمار . . . لم يكن
يخطر ببال الكثيرين أن بريطانيا
ليست إلا واحدة من عدة دول فى
هذا المجال . . . فإذا كان لها (أى
لبريطانيا) إمبراطورية لا تغيب عنها
الشمس . . . فقد كان كذلك لفرنسا
مثل هذه الإمبراطورية — وكان
للبرتغال مثل هذه الإمبراطورية كما
كان لهولندا . . . وبلجيكا إمبراطوريتان
على امتداد قارتى آسيا وإفريقيا .

وربما يرجع سبب هذا التصور لعداء
بريطانيا وكراهيتها أنها كانت الدولة
التي احتلت مصر بالقوة ، واجتاحت
معظم بلاد العالم الإسلامى بالغدر
والخدعة فكانت . . . تمثل فى نظرنا —
العدو الأول لمصر . . . والمحتل الغاصب
لديار الإسلام والعروبة .

حتى إفريقيا التي تقع بلادنا على
بابها الشمالى من جهة الشرق ، وتقف
حاجزاً فى وجه كل تيار يحاول اجتياحها
من جهة البحر . . . إفريقيا هذه
لم تكن فى تصور الكثيرين تتجاوز
أسوار « جوبا » و « نيمولى » ، على
حدود السودان المشتركة مع أثيوبيا ،
وفى أحسن الفروض لم تكن تبعد كثيراً
عن « زيلع » و « مصوع » على شاطئ
البحر الأحمر .

من كان يسمع عن موريتانيا وهى
بلد إسلامى مائة فى المائة ؟ . . .

من كان يسمع عن السنغال والمسلمون
فيها أكثر من خمس وتسعين فى المائة ؟
ومالى . . . وسيراليون وغينيا بل من كان
يسمع عن إمبراطورية غانا الإسلامية
والحركة الإصلاحية الكبرى التي قادها
الزعيم المصلح « عثمان دنفديو » فى نيجيريا ؟

لقد كانت هناك صلات وثيقة
بين هذه الأقطار وغيرها من بلاد العالم
الإسلامى منذ مئات السنين . . . وفى
عهود الاستعمار المظلمة أسدل ستار
كثيف على هذه العلاقات ، حتى
يسهل على الغزاة ابتلاعها . والقضاء
المبرم على عقائدها وشعوبها .

بهذه اللغة نظير مساعدات مالية وثقافية وعلمية تقدمها فرنسا لهذه المستعمرات بعد استقلالها . لقد رأى الزعيم سيكوتورى أن هذه محاولة لدخول فرنسا إلى المستعمرات من النافذة بعد أن طردت من الباب بعد فترة جهاد طويلة . . فرفض كل هذه الإغراءات بقوة وأثر لنفسه وشعبه الحرمان والجوع على التسهل قيد أنملة في الكرامة الوطنية وقال كلمته المشهورة - :

« إننا نفضل الفقر مع الحرية على الغنى مع الذل والعبودية . . » :

وكان هذا الموقف الأبى من الزعيم المسلم صفقة لفرنسا ... فبدأت تشن حملاتها الدعائية ضده وتلصق بحركته ودعوته أشنع تهمة ، فكان اتهمه بالشيوعية جزءاً لا يتجزأ من حملة العداء والكراهية . . .

وبعد عامين أو أقل من نشوب ، هذه الحملة الإعلامية قام الرئيس أحمد سيكوتورى بزيارة للولايات المتحدة وكان ذلك - على ما أذكر - في عهد رئيسها الراحل « دوايت إيزنهاور » .

ففوجئت بزيارة الرئيس الغني للمركز الإسلامي الثقافي ، ومسجده الكبير

وقد حدث إبان ثورة الجزائر أن الجنود الذين عينوا لحراسة المعتقلين من رجال الثورة كانوا من السنغاليين لم يكن يعرف هؤلاء الحراس شيئاً عن الجزائر... أكثر من أنها إحدى الولايات الفرنسية . . . وأن شعبها من الفرنسيين المتمردين على السلطة . . وأنهم بالتالي كانوا يدينون للبابا بالولاء والقداسة ، وكانت المفاجأة التي جعلت السلطات الفرنسية تغير سياستها ... بسرعة . . .

لقد دخل أحد هؤلاء الحراس زنزانة أحد المسجونين فوجده يقرأ القرآن ويقف بين يدي الله خاشعاً في الصلاة . . . لقد ألقى الجندي سلاحه . . وخرج صائحاً في وجه أصحابه . . . الجزائريون مسلمون . . . مسلمون . . .

ولقد كان من أبرز زعماء إفريقيا بعد انحسار موج الاستعمار ومده عن هذه القارة : الرئيس أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا . . . وقد ذاع صيت هذا الزعيم المسلم بعد رفضه شروط الجنرال ديغول الذي حاول احتواء المستعمرات الفرنسية بعد - الاستقلال في إطار ما يسمى بـ « المجموعة الفرنسية » أو رابطة المتكلمين

في واشنطن ، وكان مما أثار دهشة الصحفيين في هذه الزيارة أن الرئيس سيكوتورى حين خلع حذاءه استعداداً لدخول المسجد ، ظهر جوربه ممزقاً من خلف قدمه ، والتقط الصحفيون صورة هذا الجورب الممزق ثم أذاعوها على العالم بشتى وسائل الإعلام الملقق .

لقد أحسست منذ هذه اللحظة أن الرجل كان صادقاً مع نفسه ... وأن موقفه من فرنسا تجسد في صورة هذا الجورب الممزق من خلف ، قدمه .

وقد فوجئت منذ أشهر بالأخ الصديق « على رشوان » المستشار الفنى لمطابع دار المعارف يبعث إلى كتاباً دهشت من موضوعه ، ومن مؤلفه . كان اسم الكتاب « الإسلام دين الجماعة » . واسم المؤلف : أحمد سيكوتورى وقد ظننت لأول وهلة أن هذا المؤلف غير « سيكوتورى » رئيس الجمهورية فهذه الأسماء المتشابهة نجدتها كثيراً في إفريقيا وبخاصة بين الجماعات الإسلامية التى تتفاعل بأسماء أوليائها وشيوخها إلا أن الصفحة الأخيرة من الغلاف نفت أى احتمال لوجود هذه المشابهة وأكدت بالرسم والكلمة أن المؤلف هو نفسه

الرئيس أحمد سيكوتورى رئيس الجمهورية . وكانت المفاجأة الثانية - بالنسبة لى شخصياً - أن مترجم الكتاب اسمه : محمد البخارى ... محمد البخارى لمننى أذكر صديقاً قديماً يحمل هذا الاسم . . . لقد كان طالبا معى فى معهد القاهرة فى أوائل الأربعينيات ولا زلت أذكر « الخال » الذى يميز وجهه . . والشارع الذى تعود المشى فيه . . كنت ألتقى به دائماً فى شارع الغورية قادماً من الأزهر أو ذاهباً إلى شارع المغربلين . . و « الخيامية » حيث يقيم هناك فى منزل والده العضو الشهير فى الجمعية الشرعية .

لقد اختفى محمد البخارى منذ سنوات طويلة لم أعد أراه فى القاهرة . . أو ألتقى به فى أية مناسبة ... وقد قيل لى منذ سنوات قليلة . . . إنه سافر إلى فرنسا للدراسة . وإنه أصبح عضواً بارزاً فى « الحركة اليسارية الفرنسية » .

لقد أحنزنى ذلك كثيراً . . فليس من المعقول أن يكون « البخارى » يسارياً وليس مقبولا أن يفصل بتقاليده عن والده العضو النشط العامل فى الجمعية الشرعية .

وسواء أكان هو « البخارى » الذى

عرفته أم « بخارى » آخر يحمل نفس الاسم والصفة . فإن ترجمته لهذا الكتاب تعتبر توبة وعودة أكيدة إلى رحاب « الحيامية » وقيم الجمعية الشرعية . . .

وقد سلكت في عرض هذا الكتاب مسلكاً جديداً يختلف عن أساليب العرض الأخرى . . . فلم أهتم بالشكل والتقسيم ولم أتبع فصوله وأبوابه كما يفعل الكثيرون . . . فالمضمون هو الأهم . من وجهة نظري . . . والأفكار التي أضاء بها ذهن المؤلف هي الغاية دون تقيد بفصول الكتاب وأبوابه . . .

لقد أردت أن تكون الصورة واضحة في ذهن القارئ بكل ألوانها وتفصيلها فأخذت من هنا وهناك ما يساعد على تجلية هذه الصورة من كل جوانبها . وهكذا : تدور أفكار سيكوتورى - كما يقول مترجم الكتاب حول نقطة واحدة أو محور واحد هو « جماعية الإسلام » فليس المسلم فرداً . بل عضواً في جماعة .

وتأخذ فكرة الجماعة هذه مكانها كالركيزة في فكر سيكوتورى فهو يراها في فاتحة القرآن الكريم إعلاناً من من المسلم بانضمامه لجماعة المسلمين حين يتلو قوله تعالى « إياك نعبد وإياك

يقول المؤلف - :

منذ تأسس المجلس الإسلامى الوطنى

المحيطين به ومعرفة بلاده ، بل وأحياناً معرفة سلالاته العرقية وعقيدته الدينية ، كما تتطلب معرفة سلوكه النفسى وأوجه نشاطه المختلفة ، فليس فى الكون من ينفرد بالوحدانية سوى الله الذى يعرفه الناس فرداً أحداً لا شريك له . بينما لا يمكن معرفة الإنسان وجيداً منبت الصلة عما عداه . ومن هنا تبدأ معرفة الإسلام .

تتطلب معرفة الإسلام (فى إيجاز) الاعتراف بوحدانية الله الفرد الأحد والتسليم بأن الإنسان كائن مركب من عناصر متغايرة تجعل وجوده على الأرض رحلة قصيرة المدى ، فالإنسان متعدد العناصر المتنوعة بين معلومة ومجهولة . فى حين أن الله تعالى أحد باق منزّه عن كل شبه بال مخلوقات .

ويعنى هذا أن الله منزّه عن المتناقضات وهو أحد باق لا يوصف بأن له عمراً أو حجماً أو وزناً . بينما يجتمع فى الإنسان كل ما يمكن أن يتطرق له الخيال . ففيه من الثرى والماء والشجر ، وفيه تكمن ينابيع الخير والحق والنقاء ، ولكن الشيطان يسكنه أيضاً ، أى أنه يطوى بين حناياه الشر والزيف والدنس فالإنسان يضم المتناقضات ، ولما كان

وتصديده لحمل رسالته الطموحة لدعم مكانة الإسلام ونشر فكره وترسيخ قواعده فى أرجاء غينيا ، وفى أنحاء إفريقيا والعالم كله ، وأنا أتأمل العلاقة الوثيقة بين فهم الإسلام والدفاع عنه ، ذلك أن المرء لا يملك أن يدافع حقاً إلا عن الشيء الذى يحبه ، وما يحب المرء إلا ما يعرفه ، وما يعرف إلا ما أتقن تعلمه ، ولهذا لا يستطيع أحد أن يحب الإسلام حباً صادقاً دون أن يعرفه ولا أن يعرفه دون أن يعرف ذاته .

ولكن كيف يستطيع الإنسان أن يعرف ذاته ؟؟

إننى أتصور أن عليه أن يوجه لنفسه عدداً من الأسئلة التى تضىء أمامه الطريق .

عليه أن يتساءل عما إذا كان يعرف أسرته والمحيط الاجتماعى الذى يحيا وسطه وطبيعة المنطقة التى يعيش على أرضها والقوانين التى تحكم بلاده والتقاليد التى تشكل ملامحه الخاصة وعناصر الطبيعة الجغرافية من حوله .

— فبالإجابة على هذه الأسئلة يهتدى الإنسان إلى معرفة ذاته التى تتطلب تحديد مكانه فى المجتمع وتعيين موقعه الجغرافى ، أى معرفته من خلال معرفة

أن المعرفة بالإنسان معرفة نسبية ،
فحين ترون الإنسان تعرفونه معرفة
جزئية في حين أن هناك جزئيات
لا تملكون معرفتها إذ تستند المعرفة
بالإنسان إلى خمسة مصادر ، غير
أنها جميعاً في تغير متصل ، وذلك
هو السر في استحالة معرفة الإنسان
بطريقة مطلقة وبشكل نهائي .

١ - ترتبط المصادر الثلاثة الأولى
بالزمن . وهي اللحظات الثلاث التي تحدد
الفترات الزمنية الأمس واليوم والغد .

من الممكن أن يكون اليوم غير
الأمس ، ويمكن أن يختلف الغد
عن اليوم ومع ذلك فإن هذه الدعائم
الثلاث : أمس واليوم والغد ، تشكل
حقيقة واحدة هي اتصال الزمن ،
ولكن فبينما يمثل الزمن للإنسان ثلاث
مراحل ، فإنه بالنسبة لله وحدة لا تتجزأ
فليس هناك ما يعد بالنسبة له أمس
ولا اليوم ولا الغد ، لأن الله خالد وأبدى :

٢ - ويتمثل المصدر الرابع في
الشعب ، ذلك أن إنساناً ما يستطيع
أن يقول : « إنني فرنسي أو إنجليزي
أو أمريكي ، أو إنني عربي » . كما
يستطيع مواطن في غينيا أن يقول حسب
إقليمه « أنا سوسي أو مالنكي أو بلهي »

المجتمع يتشكل من مجموع الأفراد
الذين يطوى كل منهم صدره على
تناقضه الذاتي فمن المحتوم أن يتضمن
المجتمع كل تناقضات أفرادهِ .

وهكذا يبدأ الإنسان معرفة الإسلام
بمعرفته بذاته وبشعبه وبالطبيعة المادية
حواله وبالتسليم لله بالقدرة على خلق
كل ما عرفه ، فيجب لمعرفة الإسلام
معرفة الله عبر مظاهر قدرته وخلقهِ .

— ثم إن معرفة الله تتجسد في وجدان
الإنسان من خلال كل ما يراه من
أدق الأشياء صغراً إلى أكبرها حجماً ،
ومن خلال كل ما يسمعه ، وكل
ما يحس به ، وكل ما يحيط به ومن خلال
كل ما يتخيله ، ولما كانت كل هذه
الأشياء من إبداع الله فإن على الإنسان
لكي يسمع صوت الله أن ينظر إلى
أعماقه الدفينة ، وأن يستمع إلى صوته
الداخلي ، وأن يتأمل خلق الله ومخلوقاته
ويصغى إليها ، فبهذا يدرك الإنسان
الله ويستمع إليه ويستشعر وجوده داخل
وعيه ، حذراً مع ذلك من أن يجعل
الله حجماً أو شكلاً أو لوناً محدداً
لأن الله تعالى مع تجليه لنا يسمو عنا
إذ ليس كمثلهِ شيء . . .

والمعرفة بالله معرفة مطلقة ، في حين

وهذا يعنى : أن الناس أيضاً يعرفون من خلال المجتمعات التى ينشأون فيها ؛ بل إنكم بعد معرفتكم بسورة « قل هو الله أحد » لا تكادون ترون شجرة أو إنساناً أو حيواناً أو حجراً حتى تقنعوا بأن لكل موجود أمماً وأباً وأصلاً ينحدر منه . . . سوى الله ، فإنه واحد أحد لقد نبت الإنسان من الشعب ، لكن الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . .

٣- ويتمثل المصدر الخامس ، لمعرفة الإنسان فى الحيز المكافئ ، إذ يشغل الإنسان دائماً جزءاً من الكون لكنه لا يشغل الكون كله أبداً ، وإذا كان الإنسان لا يشغل إلا جزءاً من الأرض ، إلا جزءاً من الكون ، فإن الله يضم وحده الكون كله ويشغله كله ؛ وبينما لا يشغل الإنسان غير مكان بالغ الضآلة ، يوجد الله فى كل مكان . ويحيط بكل شيء علماً .

— على أن المعرفة الحقبة بالإسلام تكشف عن دوره الهائل فى توحيد الجماعة وثقيفها وهدايتها ، فقد جاء الإسلام ليتيح للإنسان أداء جميع واجباته على الأرض تجاه الله ، وتجاه مجتمعه .

— ويستطيع المرء بسهولة أن يدرك أنه لا يوجد دين للشجر ولا للحيوان ، وأن الدين لم يخلق إلا لأفراد الجنس البشرى . . . وليست حياة النباتات ، والحيوانات إلا جزءاً من حياة الطبيعة خاضعاً لها ، فى حين أن حياة البشر ، وإن كانت تعتمد هى الأخرى على حياة الطبيعة ، إلا أنها تتجاوزها مع ذلك ، فقد غرس الله فى الإنسان ذلك الوجدان الذى يتيح له — رغم احتوائه داخل الكون الطبيعى — أن ينفذ خارج إطاره هذا حتى يرى ذلك الكون الذى يحتويه ، بل ليحتوى بفكره هذا الكون الذى يحتوى جسده .

لقد انفرد الجنس البشرى إذن بوجود دين له . لأن البشر هم الذين كرمهم الله وفضلهم على جميع المخلوقات لأنهم وحدهم الذين يملكون « الوجدان » الوعى . وهما نحن هنا حبيسون داخل هذا البيت ، غير أنه لا شيء حبيساً هنا حقيقة إلا أجسادنا أى كل ما أخذناه من التراب والماء ، من الكون الطبيعى ، أما ما خصنا الله به مما هو أعظم من كل هذا وهو الوعى ، وهو الوجدان ، فهذا ما لا يمكن سجنه .

ولو أننا طلبنا الآن إلى أئمة غينيا

وإذا كانت حواسنا الخمس :
البصر والسمع والشم والذوق واللمس ،
لا تتيح لنا أن نتصل إلا بما خلقه الله
فإنها لا تتيح لنا اتصالاً مباشراً بالله
نفسه وتبقى هذه هي الرسالة المهمة ،
التي يتحملها الوجدان وحده ، لأنه هو
الذي يمثل في نفس الوقت العيون المبصرة
والآذان المستمعة والشم المتحدث واللسان
المتذوق والأيدى الملامسة ، إن الوجدان
هو الذي يصل الإنسان بالله ويربطه
بخالقه .

وعندما يقول امرؤ : « إننى أناصر
الدين ، وأعادى السياسة » فإنه يشبه
من يقول : « إننى أشهر سيفاً ،
وسأقتل أبى وعدوى » فهو يحمل سيفاً
ولا يعرف ما يفعل به .

في حين أن السياسة تقول لك :
« حارب بالسيف الاستعمار والإمبريالية
واقتل به عدو شعبك ، ودافع به عن
الحرية ، واحرس خيرات بلادك ،
واحم والدك » .

وإذا كنت مثلاً إماماً في أحد
الأقاليم ولأحظت في مدينتك أن محالا
مفتوحة في عدة أماكن ، لا تباع
السلع والكتب والأدوية والملابس

أن يتصور كل منهم مسجده كما كان
عليه يوم الجمعة الماضى ، أو الجمعة
السابقة عليه ، لحظة كان يؤم المسلمين
لتراعى لكل منهم على الفور مسجده
وهو قائم في مكانه في صدر إخوانه
المصطفين وراءه يؤدون الصلاة ومع
هذا فبينما يحلق بكم فكركم وينقلكم
خارج هذه القاعة تظل أجسادكم هنا
بين جدرانها . فمن الممكن أن يسجن ،
الجسد الذى هو امتداد للأرض بينما
لا يمكن أن تسجن الروح التى هى
امتداد لله ، إن الروح تسمو على —
الزمان والمكان ، أما الجسد فرهينهما
معاً ، والروح موصولة بالله فهى مثله
أبدية وموجودة في كل الوجود .

— ونحن نرى بعيوننا كل الأشياء الممكنة
الرؤية ، فنحن نرى أنفسنا ونرى الأشياء
المحيطة بنا ، وبآذاننا نسمع كل
ضجيج ، وبأنوفنا نشم كل رائحة
وبأيدينا نستطيع أن نلمس كل ما هو
حسى ، وهكذا لا تتصل الأعين
والأنوف والأيدى إلا بالطبيعة كما هى
في الواقع المادى المحسوس . بينما
نعجز عن أن نرى الله بعيوننا أو نسمعه
بآذاننا أو نشمه بأنوفنا أو نحسه بأيدينا .
ذلك أن اتصالنا بالله إنما يتم عبر
وجداننا وفكرنا .

والأنسجة التي يحتاجها الشعب بل تقدم لروادها المشروبات الكحولية، أو لاحظت دوراً يلتقي بها الرجال والنساء لممارسة أمور تحط من قدر الإنسان، فإنك لن تكون في هذه الظروف مسلماً ما لم تفصح هذه الأوضاع التي تتعارض مع تقدم الإنسان الاجتماعي ومع الخط الإسلامي ولن تستطيع أن تخطو للمسجد وتقول: «الله أكبر» وتؤم المصلين المؤمنين بينما ترتكب أمام عينيك أعمال يدينها الإسلام دون أن تعلن عليها حرباً علنية صريحة.

إن فصح مثل هذه الآثام والعمل على استئصالها هو الذي يحبك إلى مسلم حقيقي وذلك الكفاح هو كفاح سياسي. وهو كفاح يتطلب احترام الإسلام وازدهاره الدائم. يجب إذن العمل بالسياسة الحيرة، تلك التي تحمي استقلال الوطن - وتحرس العدالة والمساواة والأخلاق والتآزر. وبدون ذلك لا يمكن ضمان عظمة الأمة وليست هذه السياسة إلا تطبيقاً للعقيدة الإسلامية التي تجعل من الفرد جندياً في مجتمعه لكي يحمي القيم الإنسانية الإيجابية.

ونستطيع أن نوجز ذلك قائلين: إن الإيمان القلبي يتجلى في عداء الشيطان وعداء كل ما يمثله، وفي بقاء الإنسان على النهج الذي حدده رسول الله، وهو النهج الذي يصل بالإنسان إلى الفردوس وهكذا يجب أن يجد الإيمان القلبي، في كل لحظة، ترجمته في سلوك الإنسان الإيجابي.

فإذا كان سلوك المرء يعادى كل ما يتناقض مع مبادئ الإسلام فهو إذن على الطريق المستقيم.

يعارض المسلم القوى الإيمان بحسم كل ما هو إثم وشيطاني، ويناصر في حسم كل ما يتفق مع الإسلام، أي كل ما هو حق وعدل وخير للشعب.

وفي ركن الإسلام الثاني. وهو الصلاة مكافحة للشيطان. فالصلاة يسبقها الوضوء. فأى سر يحتاج وراء هذا الوضوء؟ - اغسل قدميك اللتين قادتاك إلى أماكن محرمة مطيعة بذلك الشيطان اغسلهما لتفصل عنهما الشيطان.

- ويداك؟ لقد مسست بهما أشياء محرمة عليك، نقلت بهما سلعاً مهربة وكتبت بهما أكاذيب، وضربت بهما بانساً وضعيفاً وصغيراً، اغسلهما إذن لتطرد عنهما الشيطان.

رمضان يرقى الوجدان ، وتعلو الإرادة
والفكر فوق الجسد ، لقد فرض الإسلام
الصوم الإلحاق الهزيمة بالشيطان .

وفي الحج كذلك لطمة للشيطان الذى
يتمتم لك : « أنك المسلم الوحيد ،
فقد انهار الإسلام ولم يعد هناك مسلمون »
وحين تسافر إلى مكة تلحظ أن كل
بلاد العالم قد أرسلت وفوداً منها .
على عكس ما أكدته لك الشيطان ،
وتفهم ساعتها أن الشيطان قد كذب
عليك ، إنك ترى فى مكة ملايين
الأفراد جاءوا من كل بلاد العالم لأداء
فريضة الحج وهو ما يعطيك فكرة عن
المدى الفسيح الذى بلغه الدين داخل
المجتمع الإنسانى وسير يحك هذا ويحفرك ،
ثم تتبادل مع غيرك المعارف والمعلومات
فيزيد كل هذا من صلابة عزمك
على محاربة الشيطان .

على أن كل هذا يتجسد فى هذا
الحصى الذى يقذف به كل حاج ،
الشيطان فى « منى » رمز رفض وإدانة ،
وهكذا فرض الحج عداء للشيطان أيضاً .

إن لقواعد الإسلام الخمس نصيبها
فى مكافحة الشيطان ، ولو نسي المرء
نصيب قاعدة فى مكافحة الشيطان
لما كان مسلماً مكتمل الإسلام .

— وأنفك ؟ لقد تشممت به ما حرم
عليك شمه .

— وفمك ؟ كذبت به وقصصت
حكايات منافية للحقيقة .

— وأذنيك ؟ لقد استمعت بهما
همس الشيطان . . .

اغسل إذن عينيك وأنفك وفمك
وأذنيك ويديك وقدميك لتمحو عنها
أثر الشيطان ذلك هو معنى الوضوء .
وكل ذلك من أجل إقصاء الشيطان .

وفى الزكاة أيضاً مكافحة للشيطان وقد
يهمس لك : « ليس صحيحاً أن هناك
داراً آخرة . فحين تنتهى حياتنا ينتهى
كل شيء » وقد يوسوس لك أيضاً :
« لا تعط أحداً شيئاً ، كل ونخذ كل
شيء لك » غير أنك حين تؤدى الزكاة
تقصي الشيطان ، لأنك تحتجز لك
مكاناً فى الدار الآخرة أولاً ، ثم لأن
ما تدفعه للغير واجب عليك أداؤه ، إنه
دين الفقراء عليك ، لقد فرض الإسلام
الزكاة صفة على وجه الشيطان .

وفى الصوم كذلك معاداة للشيطان
فالشيطان يعلى قدر الجسد المادى ،
ويخترق فكر الرجل بالكحوليات —
والمخدرات والأكاذيب ، حتى يتحكم
الجسد فى الإنسان ، وهكذا فحين تصوم

إنه ينبثق من جزىء لا تستطيع العين رؤيته حتى لو وضعت ألفاً منه معاً لما استطاعت العين المجردة أن تلمحها لشدة ضآلتها إن هذا الجزىء الدقيق هو أصل الإنسان ، ففي اللحظة التي يبدأ فيها هذا الجزىء الحياة بعد سبعة أسابيع يكون نقطة « خنى » أى تجمع خصائص الذكورة والأنوثة معاً ، فإذا كان اليوم الخمسين من نمو الجنين أخذ أحد الجنسين يتغلب على الآخر في النطفة ، وقد تستطيع خصائص الذكورة التغلب على خصائص الأنوثة وعندئذ يكون المولود صبيّاً . ونستطيع أن نتصور الوضع العكسى وعندئذ يكون المولود فتاة ، ولهذا فحينما ترون رجلاً فهناك المرأة داخله . وحينما ترون امرأة فهناك الرجل في أعماقها . وهكذا خلق الله الإنسان مسكنّاً للمتناقضات .

نحن أولاً نأكل لحوم الحيوانات ونشرب ألبانها ؟ ونتناول الأعشاب والثمار والجذور ؟ ومع ذلك فإن الحيوانات تأكلنا ، تأكل لحومنا كما تأكل الثمار والجذور وأوراق الشجر ، وحينما نموت ونوارى التراب تأكلنا الأشجار ، أما الشئ الذى لا يستطيع الحيوان ولا النبات أن يأكله منا .

فلتذكروا أن الشيطان قد خطر على كل ملليمتر مربع من سطح الكرة الأرضية وأنه يعرف العالم أفضل منا ، لقد شهد خلق آدم وتبعه وأدرك مستوى المعرفة لا يملك أحد منا أن يبلغه .

إن إسلام المرء يتطلب أن يبحث في كل مكان ليتعرف على ملامح الشيطان ليفلت منه وليعاديه في كل زمان ومكان .

* * *

وكم قلنا وأعدنا القول بأنه « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وهو وحده الذى تفرد بصفاته على جميع مخلوقاته ، فهو وحده الذى لا يمكن وصفه بأنه أبيض أو أسود بأنه قصير أو طويل ، بأنه شاب أو شيخ ، وهذا يتيح لكم أن تعرفوا أن بين مخلوقات الله من تستطيعون رؤيته بعيونكم ، وكذلك من لا تستطيعون رؤيته بها ، وهذا يعنى أيضاً أن جميع المخلوقات تولد وتنمو وتموت والله وحده هو الباقي وهذا يعنى كذلك أن هذا المخلوق الذى ولد منذ قليل ، وما يزال صغيراً ، يمكن أن يكبر ويشيخ ويندثر . أى أن هناك تغيرات وتقلبات في حياة كل موجود سوى الله .

لنفكر في الإنسان جنيناً في الرحم .

فهو روح الإنسان وفكره .

وهذا يعنى أن بيننا وبين الحيوان والشجر قرابة جزئية . والإنسان الحقيقى أى المختلف عن الحيوان والنبات ، هو الذى يطور فكره ويثقف نفسه ويربى وجدانه فذلك هو ما يميزه عن كل ما عده من المخلوقات ، ويسمو به عنها جميعاً .

ولما كانت النطفة التى يبدأ منها خلق الإنسان دقيقة إلى حد لا تستطيع معه العين رؤيتها فإن فكر الإنسان هو الذى يتيح له السيطرة على الطبيعة ونسف الجبال وعبور البحار والصعود فى الآفاق والوصول إلى القمر ، وفكر الإنسان هو أساس تفوقه وكل سمو يديه على الجمادات والنباتات والحيوانات ولهذا يفرض الإسلام على كل مسلم تحصيل العلم وتعميق المعرفة والتربية ، الصالحة ونشر التعليم على نطاق المجتمع كله .

يظل الإنسان دائماً تلميذاً فى مجال البحث عن المعارف ، فهو تلميذ أبيه وأستاذه وجميع الذين يكبرونه سنّاً ، بل إنه كذلك تلميذ ابنه وحفيده وجميع الذين يصغرونه سنّاً ، ممن هم أكثر شباباً منه .

لنفترض أن (قلما) ما يجسد الحقيقة ، فلو أننا سحقتنا إلى ملايين الجزئيات ثم نثرنا هذه الجزئيات كالغبار المتساقط فى كل مكان ، فلسوف يكتشف كل واحد أحد جزئياته ، قد يعثر ابنك على جزء وخادمك على ثان ، بل لقد يجد عدوك أيضاً جزئياً كما قد يجد والدك وتجد أنت أيضاً ، فى كل مكان حيث توجد الحقيقة فلتتعلمها حتى لو كان ابنك هو حاملها ، وقدّر كأستاذك من أجل معرفة الحقيقة . ولو كان خصمك أو عدوك الذى تريد قتله هو المحق فسلم بأنه على صواب ، فإنك لا تقدره هو حينئذ ، بل تقدر الله من خلال الحق .

إن الإنسان لا يخترع الحقيقة ولا العلم ، بل يكتشفها ، فالقوانين العلمية قائمة منتشرة ، كما بذرت الحقيقة على سطح الكرة الأرضية . وعلى كل رجل وامرأة وعلى كل شعب أن يبحث عن الحقيقة وأن يكتشف العلم ، فإذا اكتشف العلم فسيطروا عليه لتحقيقوا بواسطته سعادة البشر ، ذلك أن الحقيقة هى الله فاسمه الحق ، والحقيقة لا تخص إنساناً واحداً حتى قائلها أو مكتشفها .

وطالما أن العلم والحقيقة منتشران

عبر العالم كله فإن من واجبنا أن نبحث عنهما دائبين ، وأن نكتشفهما ونتملكهما ونستزيد منهما ، إنه ليستحيل على إنسان فرد أن يشغل الأرض كلها ، وأن يرى جميع البنور المغروسة في كل مكان غير أنه يوجد أناس في كل مكان . فيجب إذن أن يتبادل البشر عبر حدود الأوطان والقارات المعارف بمجرد اكتشافهم لها ، والديموقراطية هي هذا التواصل وهذه - المسئولية التي يتحملها البشر ، الذين يشغلون حيزاً مكانياً واحداً ، سواء كان ذلك حياً أو قرية أو إقليماً أو وطناً ، فعلى الرجال أن يقيموا فيما بينهم وسائل اتصال ليتبادلوا المعارف ، وليتدارسوا معاً المشاكل التي يواجهونها ، من أجل الوصول إلى اتفاق على أفضل الحلول .

لنفترض أن لدى رجل من الثمار والأطعمة ما يزيد على حاجته للغذاء ، وأن حوله بعض الجوعى فإن رفض إعطائهم بعض الأطعمة لكانت تلك جريمة ، غير أن هذه الجريمة أقل خطراً من تلك التي يرتكبها إنسان متعلم يعرف الحقيقة ويرفض نقلها للآخرين ويضن بمعارفه عليهم . إن رفض نقل الحقيقة ، والضن بالعلم على الآخرين

بشكل جريمة أكبر من رفض مد الجوعى بالغذاء ، إن من يملك الإمكانيات ويرفض أن يغيث فقيراً فإنما يحرم نفسه هو ، لأن الغوث الذي سيقدمه للفقير هو الذي كان الله سيرده إليه غداً وهكذا لم يقف الإنسان الذي رفض تقديم العون إلى المحتاج عند حد حرمان هذا الفقير بل تعداه إلى حرمان نفسه لأنه لم يعن بإعداد مستقبله في الدار الآخرة إن إثمه كبير لكنه أقل جرماً من ذلك الذي يغتصب أرث اليتامى ويحرمهم بذلك من حقوقهم المشروعة في أموالهم الخاصة . إن تجريد اليتامى من إرثهم جريمة تعادل جريمة الذي يعرف الحقيقة ويرفض إيصالها للآخرين ، أو ذلك الإنسان الذي تلقى العلم ويضن به على غيره ، ذلك أن الحقيقة لم تخلق لهذا الفرد ، ثم إنه ليس هو الذي خلق العلوم والمعارف وإنما نقلت إليه ، والأولى أن تكون ملكاً للبشرية جمعاء فهي الميراث المشترك بين جميع البشر ، وليس رفض نقل المعرفة والحقيقة للغير إلا مصادرة ميراث أسرة وترك أفرادها اليتامى بين أيدي الفاقة والبؤس .

لو أنك تملك خزانة مليئة بالفضة

دون تمييز بسبب اللون أو القومية أو السن أو النوع ، إنه يعلن هذه المساواة ويفرض تطبيقها الفعلي واحترامها الدائم .

فلا الثراء إذن ولا الميلاد ولا اللون ولا الجنس ولا قدر الثقافة يمكن أن تكون مصدر تفضيل لبعض الأشخاص على بعض . ثم إنه يجب تسخير الثروة والعلم من أجل الارتقاء الدائم بمستوى الشعب .

وقد عبر النبي محمد عن هذه ، الحقيقة القرآنية قائلا : « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى » أى إن الفارق الذى يمكن أن يقوم بين الأفراد لا ينبع من ألوان جلودهم أو من أصولهم العرقية بل من قوة إيمانهم التى تتجلى فى مسلكهم وفى نفعهم الاجتماعى .

يُسبِّه النبي محمد المساواة القائمة بين الناس بالمساواة القائمة بين أسنان المشط ونحن نعلم أنه توجد أسنان أكثر ضخامة وأخرى أكثر دقة وقد يطول بعضها ويقصر البعض الآخر ، لكنها جميعاً متساوية بسبب مهمتها المشتركة التى لا تترى ، ونحن نعلم أن هناك أناساً

أو الذهب أو صندوقاً مليئاً بالآقمشة أو صومعة مفعمة بالغلال ثم أخذت تغرب منها وتعطى ، فهى تتناقص وزناً كلما أخذت منها قدرأ كما تقل قيمتها بقدر الكم المنقوص ، فى حين أنك كلما نقلت الحقيقة إلى الغير كلما ازدادت ثراء وكلما أثريت الذى تلقاها ، وكلما نشرت العلم كلما ازدادت ثراء وكلما أثريت الذى تلقى العلم . ذلك هو السر فى أن رفض نقل العلم والمعرفة هو عمل موجه ضد الذات أولاً ثم ضد البشرية بعد ذلك ، فهو إذن جريمة مزدوجة ، يستطيع المرء أن يقول : « لست أرغب فى إعطاء نقودى للغير فقد أحتاجها غداً ، ولو أننى اقتطعت من مالى جزءاً لقل رصيدى منه » بينما لا يستطيع المرء أن يقول ذلك عن العلم والمعرفة ، من أجل ذلك فنحن نكرر أن نقلهما للغير لإثراء للنفس وللغير والأنانية فى مجال العلم جريمة مزدوجة .

والإسلام دين يحث بشكل جوهري على العدل بين أفراد الأسرة الواحدة ، وبين مواطني بلد واحد وبين شعوب العالم . والإسلام كذلك هو الدين الذى ينادى بالمساواة بين جميع أفراد البشر

لأن الناس غالباً ما يتخاذلون أمام مطالبها وأحياناً يخشى المرء أن يقول الحقيقة أمام أبيه أو زوجته التي يحبها أو صهره أو أمام رئيسه في العمل أو أمام رجل من الأثرياء . بينما يطالب الإسلام المرء بأن يقول الحقيقة دون رهبة وفي كل مكان يلتقي فيه الإنسان بأخيه الإنسان .

يحدث كثيراً في بلاد مختلفة أن يلقي عديد من الأبرياء في السجون ، بينما يظل المجرمون الحقيقيون مطلقي السراح ، بل إنهم يظفرون بحماية أولئك الذين يقيمون « العدالة » المزعومة ولو أن رجلاً أشعل النار ظلماً في كوخ رجل آخر لارتكب بذلك جريمة . أما لو عرفت هذه الحقيقة وكنت قاضياً مكلفاً بإصدار الحكم فأدنت بريئاً وأطلقت سراح المذنب لكان ذلك عدواناً منك أولاً على أوامر الله لأنك بذلك تكون قد عصيته ، كما تكون قد اعتديت على هذا البريء مرتكباً بذلك جريمتين . . . إحداهما لا تغتفر .

لقد تحدث النبي محمد إلى أحد صحابته الذي جاء يشفع عنده لمن سرق قائلاً : « أتشفع في حد من حدود

أكثر اكتنازاً وآخرين أكثر نحافة ، وأن بعضهم رؤساء وبعضهم وزراء ومنهم أئمة ومنهم مزارعون ، وهنالك مساكين يستجدون العطاء على أبواب المساجد ، غير أن هؤلاء متساوون أمام الله ، لا شيء يفرق أحدهم عن الآخر إلا مقدار تطابق سلوكه طوال عمره مع وصايا القرآن الكريم .

من أجل هذا يلتزم النظام الثوري بمحاربة سيادة المال في كل مكان ، ومكافحة القبلية والظلم لفرض احترام الروح الإسلامى .

ومن أجل هذا ينبغي التزام المسلمين أيضاً بمحاربة سيادة المال والظلم والكسل والسرقة والقبلية .

لقد دخل رسول الله في سبيل ذلك معركة ضارية مع قبيلة « قريش » التي ينتسب إليها حين أدان الوثنية والظلم والتجارة غير المشروعة والقبلية وقد كانت قريش تدعى لنفسها التفوق على قبائل مكة الأخرى .

والنهج الإسلامى هو نهج حقيقة ومساواة اجتماعية وعدالة اقتصادية واجتماعية هو نهج يؤازر التقدم الاجتماعى .

إن العدالة فضيلة عسيرة الممارسة ،

الله ؟ والذي نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

يطالب الإسلام الإنسان بأن يتخذ عملاً إيجابياً وأن يسلك سلوكاً أميناً وأن يحافظ على كرامته ، وقد كان النبي يقول لابنته فاطمة ولعمه العباس إنهما يستطيعان أن يأخذا من ماله ما يشاءان ، لكنه لا يملك لهما من الله شيئاً إن ارتكبا إثماً .. فعلى كل إنسان أن يؤدي واجباته تجاه مجتمعه وتجاه ربه ، وإذا كان النبي لن يدافع عن ابنته ولا عن عمه يوم القيامة ، فإن أحداً منا لا يملك أن يدافع عن غيره ولا غيرنا يملك أن يدافع عنا ، يجب أن يحمل كل فرد مسؤوليته بوصفه إنساناً واعياً ومؤمناً مخلصاً وهو يعمل وأن يقدس القواعد الإسلامية التي تفرض على المسلم أن يعيش حياة كدح وأمانة وورع ونفع للجماعة .

علينا أن نعترف بفضل هؤلاء الرواد الكبار في الإسلام الذين أحيوا موات أرض إفريقيا وغينيا ، ووضعوا شعبنا على طريق الدين الإسلامى ، ومن واجبنا أن نحفظ بذكراهم دائماً وأن نظل معترفين لهم بالفضل ، وأن نواصل نفس المعركة التي قادوها ،

لتحرير ذواتنا ، وتسخير الطبيعة لنا حتى ننجح في كبح جماح الشيطان الذى يمثل النقيض لكل ما جاء به النبي .

وهكذا يجب أن نعرف أننا نواصل العمل الكبير الذى بدأه أسلافنا العظماء من أمثال الحاج عمر طال . والإمام سامورى ، تورى ، وأنسافاديجا ، ولا نسينى دومبويلا ، وأبو بكر بير وبارى ، ومحمد ساميا مومبيا ، وأبوبهاء نديان ، ومورى كابا ، وسيكوفاتنا مادي شريف وشريف ساجال ، وأبو بكر كوريلاندى . وديباني ، والفامو الكلابى ، وقاسم دبالو . وإذا كنا قد استبحنا لأنفسنا الحق

في تقديم صورة عامة موجزة للملامح الإسلام فإننا نعلن أن من رأى في بحثنا خطأ أو خلطاً أو كذباً . فإن من واجبه أن يصحح الخطأ والخلط ، وأن يفضح الكذب ويندب به ، لأنه بذلك يحترم تعاليم الله ، ويدافع عن الإسلام ، ويقدم لنا ، في نفس الوقت خدمة ، كبرى ، لأن الإسلام هو دين الحق ..

* * *

ونحن نعرف أن حياة الإنسان تمر بمراحل ثلاث ترمز إليها مراحل الزمن الأمس واليوم والغد .
— يتميز الطور الأول من حياة

لمجتمعه عن طريق مساهمته بنصيب
في الممتلكات الجماعية .

يدين كل فرد للمجتمع بالكثير
في حين أنه لا يقدم للمجتمع إلا القليل
والإنسان في حاجة إلى من هو أكبر
منه كثيراً ، كما أنه في حاجة لمن هو
أصغر منه كثيراً ، فليس هناك إنسان
كامل تماماً ، ولذلك فليس هناك
إنسان يستطيع أن يعيش بمفرده خارج
إطار المجتمع وفي غنى تام عنه .

إن العمل وحده هو الذي يجسد العدالة
التي تصطبغ التضامن في العلاقات
الاجتماعية ، ولا يمكن لفرد لا يمارس
العمل والعدالة أن يكون متضامناً مع غيره
من الأفراد ويشاركهم أفراحهم وآلامهم .

وإذا كان أمس واليوم هما طوراً
الزمن الأول والثاني ، والغد هو طوره
الثالث ، فإن الإعداد للغد إنما يتم اليوم
ولهذا فيجب ألا يقتصر هدف العمل
على أداء ديون الأمس ، بل أن يمتد
لضمان رفاهية الإنسان في الغد ، وإرساء
مستقبل سعيد للشعب بأسره ، وأن العمل
الواعي الذي نقوم به اليوم هو مساهمتنا
في القيام بواجباتنا الاجتماعية وعن طريقه
نجدد تضامناً مع أجيال الغد .

من اليسير إذن أن نتبين أن اختيار

الإنسان بعجزه للتسام ، فهو أولاً
لا يختار قريته ولا وطنه ، وهو لا يستطيع
يوم مولده أن يوفر لنفسه الغذاء ولا
الكساء ولا المسكن فهو في حاجة ماسة
إلى عون الآخرين وتلك هي مرحلة
عجز الإنسان وجهله .

— يتميز الطور الثاني من حياة
الإنسان بقدرته التي اكتسبها بفضل
المجتمع طوال الفترة السابقة حين حظى
برعاية المجتمع وحمايته له وتربيته
وتعليمه ، ومن هنا كان عليه في هذه
الفترة أن يرد للمجتمع ما استدان منه
وما ظفر به من فضل ، ويتمثل هذا
في العمل الذي يجعله عادلاً ونافعاً
لنفسه ولغيره .

يبدأ شعار دولة غينيا بكلمة « العمل »
لأن العمل هو الذي يتيح للإنسان أن
يفي بديونه ، كما أن العمل هو الذي
يقيم العدالة الاجتماعية ، ثم إن الإنسان
يعرف جيداً أنه إنما يشبع حاجاته
الخاصة ويسدد ديونه الاجتماعية من
نتاج عمله وأنه بدون العمل لا يستطيع
ممارسة العدالة الاجتماعية التي تتطلب
بذورها ممارسة التضامن الاجتماعي .
ذلك أن على الإنسان بالإضافة إلى
أداء ديونه للآخرين — أن يعطي المحتاجين
ما يمثل تضامنه معهم حتى يكون نافعاً

شعار الأمة : « العمل والعدالة والتضامن » هو اختيار « للوفاء بالديون عن طريق عمل كل فرد في إطار الأمة » ولهذا يجب أن نتعلم احترام الشعب في كل لحظة ، والحياة في إطاره مع بذل كل طاقات النفع الاجتماعي ، التي يمثل تزايدها المتصل مطاباً من مطالب الوجدان الحي ، وممارسة للحقيقة – التاريخية والمنطق الاجتماعي .

إن عظمة الإنسان لا تتبع من فخامة الدار التي يسكنها ولا من جمال الثياب التي يرتديها أو كثرة عددها ، ولا من مستوى قيافته ، ولا من جماله الجسدي إنما تقاس عظمة الإنسان بمدى ما يقدمه للمجتمع من نفع وفعالية وتأثير .

العمل إذن هو الذي يرسى أساس عظمة الإنسان سواء كان عملاً فكرياً أو حسيّاً أو عضليّاً ، ما دام عملاً يستهدف سعادة المجتمع ، في حين أننا كثيراً ما يتميز أحدنا عن الآخر بصفات جسدية ، فنقول أحياناً إنه جميل الوجه أو أنيق الثياب أو غزير المعرفة أو واسع الثراء ، والواقع أنه لا معنى لكل هذا إذا لم يكن المرء يقدم للمجتمع عملاً إيجابياً ، فاللص الثرى والكذاب الذكي وقاطع الطرق المثقف الحبير

بالوسائل التكنيكية المتقدمة يمكنهم الإضرار بالمجتمع أكثر مما يستطيعه اللصوص والكتابون وقطاع الطرق الجسورون الذين لا يتمتعون بالمعارف الفنية والتكنيكية والدراسات المتخصصة . من أجل ذلك يدعونا الفكر إلى أن نحكم على الأفراد لا من أقوالهم بل من أفعالهم ، دون أن نغفل الأهمية الكبرى للتكوين العقائدي للإنسان ولسيطرة فكره على سلوكه الاجتماعي ، طالما أن كيفية تفسير الأفراد للحياة الإنسانية هي التي تقسمهم إلى فئات اجتماعية مختلفة .

ومن أجل هذا فإن من واجبنا أن نقدم الرعاية المادية والمعنوية للمعدين والمعوقين ، والعجزة البائسين . بل أن ندرس ظروف حياة هؤلاء المساكين في كل قرية وكل حي . وأن نضع الحلول لمشاكل وجودهم حيي نجسد تضامناً في عمل إيجابي على نحو ما يريده فكر الثورة .

إن علينا أن نفعل كل شيء من أجل أن يعرف الإخوة البؤساء السعادة إن أحداً لا يعرف الشكل الذي يمكن أن تختم به حياته ، ومن يرد نهاية سعيدة لحياته ، ليقدم عوناً لمن تعصف بهم المآسى . على أننا من جانبنا نفضل

صداقة المساكين على صداقة الأثرياء ، كما أننا نقدم للشباب صداقتنا ونضع فيهم ثقتنا بأكثر مما نفعل مع آبائهم وأجدادهم .

حين يختار الإنسان المجتمع ، فإنه يختار أولاً الشباب والمساكين . وإذا أراد المرء إسعاد مجتمعه فعليه أن يغيث من بين أفرادهم من كانوا يعانون البؤس والحرمان .

يجب أن تقيم كل قرية أو كل سلطة محلية « مدينة تضامن » لإيواء عجزتها وأن تخصص « مزرعة تضامن » يتطوع للعمل فيها لكل مواطن يوماً واحداً وذلك كفيل بإثراء محاصيلها .

ويجب أن تكون في كل إقليم مؤسسة يتلقى فيها جميع اليتامى والأطفال المشردين عون المجتمع ، ويحصلون على قدر من التعليم الجاد والعلاج اللازم . وتلك مطالب « التضامن »

يجب ألا نتخلى عن إخوتنا البائسين ونتركهم يمدون أيديهم يستجدون الناس على أبواب المساجد ودور السينما ، ففي استطاعتنا أن نهيب ظروف حياة كريمة لهؤلاء الإخوة المحرومين من وسائل العيش ، ومن أجلهم يجب إقامة « مدينة التضامن »

التي يعالج فيها مرضاهم ، فإذا استردوا صحتهم أعيدوا إلى مزاوله أنشطة الحياة اليومية التي تلائمهم . ولهذا يجب أن تشمل « مدينة التضامن » عيادة طبية قادرة على علاج المرضى ... ومسجداً تقام فيه الشعائر الدينية ، ومدرسة لتعليم النشء ، ومراكز تأهيل مهني للقادرين على بذل مجهود عضلي تمثل « مدينة التضامن » امتداداً للمجتمع ، ويجب أن يقدم كل مواطن - مساهمته في بنائها ، ثم يتناسى صنيعه الكريم ، فلا يأتي يوم يزهو فيه ويقول مفاخراً : « لأنني أنا الذى قدمت هذه النقود ، أو هذا الفراش أو فراء الصلاة أو أنا الذى شيدت هذا الجدار . . . » إن كل عطاء لإخوتنا البائسين ، وكل إسهام لمؤازرة المعلمين ، يجب أن ينصهر في العمل الإنساني الشامل فلا ينتظر مقدمه ثواباً من أحد ، فهو أقرب ما يكون إلى تسوية حساب قديم يجب أن ينساه المرء تماماً ، أما هؤلاء الذين يقدمون مساهمة مالية لبناء مسجد ، ثم يفاخرون بعد ذلك بعملهم قائلين : « ذلك مسجدنا أو مسجد أسرتنا » فليسوا مسلمين مخلصين حقاً ، بل ليسوا مؤمنين صادقين ، كما أنهم ليسوا أنصار قضية نبيلة ، لأنهم يزهون بحمل لقب « المسلمين » دون

وأن تربي النشء حسب القواعد القرآنية وحددنا نهاية العمل يوم الجمعة قبل الصلاة حتى يتمكن المسلمون من الذهاب إلى المسجد لصلاة الجمعة . . لقد قضينا على الوثنية والشعوذة ، ولم يعد أحد في بلادنا يقدس الأحجار أو الأشجار أو التماثم وهو ما تعلمه إفريقيا كلها . . ونحن نحرم الخمر والفجور . . وندعم في كل يوم إجراءات العقاب ضد هذه الأوبئة الاجتماعية .

وقد أعدنا تنظيم القضاء على أساس الفكر القرآني ، وقررنا مجانية التعليم في جميع مراحل ، وأعطينا الدولة مسؤولية تنظيم رحلات الحج كل عام . وألغينا جميع أنواع التفضقة التي كانت قائمة على أساس الجنس لصالح وحدة المسلمين . وإن كان العدو يتناول في تشويه صورتنا حتى ليظن البعض أن غينيا بلد شيوعي .

ونحن لا نغير اهتماماً لحملات الدعاية الكاذبة التي تشنها علينا الصحافة الغربية فليس لنا نفس النبي ^(١) . . بل قد لا نكون نحن وهم نعبد نفس الإله . . « لأن

(١) لعله يقصد بهذه العبارة أن دعوة المسيح كانت خاصة ببني إسرائيل دون غيرهم من الأمم . أما دعوة « محمد » فقد كانت عامة لبني البشر جميعاً . . .

أن يصبحوا بعد مسلمين حقيقيين . حين يفكر المرء في عالم الغد ويريد أن ينشئ لنفسه فيه بيتاً ، ثم يقدم خيراً للمجتمع الذي سينشئ له هذا البيت في عالم الغد الذي لم يأت بعد فيجب أن ينسى ذلك تماماً ، كما يفعل حين يقدم مالا لله تعالى فيقبله الله ، إذ ليس من الممكن أن يقول بعد ذلك : إن هذا المال ماله ، لأنه لن يراه بعد ذلك ، يجب إذن أن ينسى من قدم إسهاماً في بناء مسجد ما فعل تماماً ، لأنه لو قبل بعد ذلك حمل لقب « صاحب المسجد » لما كان قدم أية تضحية مادام الذي دفعه ما يزال متنسباً إليه .

إننا مدينون بالعرفان لله لأننا ولدنا في بلد مسلم آوى الإمبراطوريات الأولى التي أظلت غرب إفريقيا كله . وذلك هو السر في أن جميع بلاد إفريقيا — عدا غينيا — قد سقطت سريعاً في يد الاستعمار . بينما لم ينجح الاستعمار في بسط نفوذه على كل أجزاء غينيا كما تستطيع أن تقول : إن أبطالنا الوطنيين أمثال الحاج عمر طال والإمام ساموري توري ، والإمام أبو بكر باري لم يكونوا يدافعون إلا من أجل وجود الإسلام في إفريقيا . لقد طلبنا إلى كل قرية أن تهدم ما بها من أوثان ، وتحطم ما بها من تماثم وتعاويد ، وأن تقيم مسجداً ،

الإله في الإسلام واحد وفي المسيحية
ثلاثة » : ولكننا نقول لإخواننا المسلمين ..
إن غينيا لم ولن تكون أبداً بلداً شيوعياً ..
* * *

وأخيراً . . . لقد قلت في مقدمة عرضي
لهذا الكتاب أنني لم أتبع في تقديمه وعرضه
الطريقة المألوفة لدى القراء . . . لم أهتم
بالشكل والتقسيم ولم أتبع فصوله وأبوابه كما
يفعل الكثيرون .

لقد أردت أن تكون الصورة واضحة في
ذهن القارئ بكل ألوانها وتفصيلها فأخذت
من هنا وهناك ما يساعد على تجلية هذه الصورة
وعرضها في هيئة متكاملة لتكون إطاراً
لأفكار هذا الزعيم الذي ثار بلده الإمام
ساموري توري . بعد ستين عاماً مضت
على اعتقاله في حركة جهاد شاملة ضد
الاستعمار الفرنسي . . .

دكتور عبد الودود شلبي



أيها الناس : ليس بكافٍ
أننا المسلمون بالأسماء ! ؟
إنَّما المسلمون بالعمل الصالح ،
لا بالمظاهر الجوفاء ! ؟
نحن إن لم نَحْكُمْ بما أنزل الله ؛
فَدَعَوَى الإسلام محضٍ إدعاء ! ؟



ملف خاص عن حياة الإمام الأكبر المفتور له الدكتور عبدالحليم محمود

عالم عامل	للسيد الأستاذ حسن التهامي
كان صافي الوجدان لا يغضب	نائب رئيس الوزراء برياسة الجمهورية
فقيه الإسلام	فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
الدكتور عبد الحليم محمود	وزير الأوقاف وشئون الأزهر
كان عالماً عاملاً	فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر
كان للمتقين إماماً	وكيل الأزهر
ظل حتى آخر أيامه يدعو لتطبيق الشريعة الإسلامية	السيد الوزير سليمان متولى
وداعاً شيخنا الجليل	الأستاذ خالد محمد خالد
الإمام عبد الحليم محمود	فضيلة الشيخ جاد الحق
نحو النور	مفتي جمهورية مصر العربية
آخر حديث مع الإمام	الأستاذ نصر عبد الغفور
هذا قضاء الله [قصيدة شعر]	الأستاذ حافظ محمود
حياة الإمام في سطور	للأستاذ محمد زكي عبد القادر
	للأستاذ جلال الجويلي
	الدكتور سعد ظلام
	التحرير

وفاة شيخ الأزهر

آلاف المواطنين تشترك في تشييع جنازته

مصر العربية الشيخ جاد الحق ورؤساء وعمداء وأساتذة وطلبة جامعة الأزهر ورؤساء الجامعات المصرية ، وممثلون للطائفة ، المسيحية ، وعدد كبير من أعضاء مجلس الشعب ، وجمعية الشبان المسلمين ، والجمعيات الإسلامية الأخرى ، واللواء أحمد بدوى رئيس هيئة أركان القوات المسلحة وكبار قادة القوات المسلحة ، كما اشترك أيضاً عدد من الشخصيات العامة من بينهم اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية الأسبق والسيد حسين الشافعى النائب السابق لرئيس الجمهورية .

وقد قامت الإذاعة بإعلان نبأ الوفاة فى العاشرة من صباح يوم الوفاة ثم أعقبت النبأ بقراءة القرآن الكريم ، وقد تابعت إذاعة القرآن الكريم إجراءات تشييع الجنازة على الهواء مباشرة .

كما اشتركت إذاعات ووكالات الأنباء والصحف العربية والأجنبية فى نقل مراسم تشييع الجنازة .

وقد تم نقل جثمانه الطاهر إلى بلدته قرية السلام مركز بليس محافظة

فقدت مصر والعالم الإسلامى عالماً جليلاً وواحدًا من أبرز رجال الإسلام هو فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، الذى انتقل إلى رحاب ربه ، إثر هبوط حاد مفاجئ فى الدورة الدموية ، نتج عنه نزيف حاد فى المخ : أدى إلى الوفاة .

وقد أناب الرئيس السادات فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بىصار وزير الأوقاف وشئون الأزهر فى تشييع الجنازة التى بدأت عقب صلاة العصر من الجامع الأزهر واشترك فيها نحو خمسين ألفاً من المواطنين يتقدمهم السيد محمد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية والدكتور مصطفى خليل رئيس مجلس الوزراء والسيد محمد حسن التهامى نائب رئيس الوزراء برياسة الجمهورية والسيد فكرى مكرم عبيد نائب رئيس الوزراء والسيد حسن كامل رئيس ديوان الجمهورية وعدد كبير من الوزراء وسفراء العالم العربى والإسلامى ، كما اشترك فى تشييع الجنازة هيئة كبار العلماء ومفتى جمهورية

فى التحسن . وفجأة شعر بمظاهر تعب استدعى المستشفى على أثره الدكتور إبراهيم بدران وزير الصحة السابق الذى أجرى له الجراحة وظل بجواره مع عدد من الأطباء من بينهم الدكتور : عبد المنعم أبو الفضل أستاذ التحاليل وأنور بليغ رئيس جراحة الصدر بقصر العيني وصلاح إبراهيم رئيس الأمراض الباطنية بطب الأزهر ، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ، وكانت آخر كلماته : « لا إله إلا الله - الله حق » .

الشرقية حيث تم دفنه هناك ، وقد احتل نبأ وفاته مقدمة نشرات الإذاعات المصرية والعربية والعالمية ، كما قامت بعض الإذاعات الإسلامية والأجنبية ، بنقل فقرات من حياته الحافلة فى خدمة العلم والإسلام .

وكان فضيلة الإمام الأكبر قد دخل مستشفى الشبراويشى يوم الثامن من شهر أكتوبر لإجراء جراحة استئصال المرارة التى كان يشكو منها منذ فترة طويلة وقد أجريت له بنجاح ، وبدأت صحته

عالم عامل . . وعارف واصل

السيد الأستاذ محمد حسن التهامي
نائب رئيس الوزراء بوزارة الجمهورية

« يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » .
صدق الله العظيم

علوم الظاهر التى شاهدك بها الناس ودلت عليها آثارك وهمتك مع المؤمنين . . درساً وتلقيناً لمدرسة الإيمان والفكر ومدرسة النشء ومدرسة حب الله ، وزرع شجرة الإيمان فى قلوب من وجبت علينا أمانتهم وطوقت أعناقنا مسؤوليات عقائدنا

يا أخانا فى الله أخوة من يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله . . لا نرتاب يقيناً أنك على مدارج العلا فى مقامك عند رب العرش قد سلكت طريق الأوابين فإن الله لا يضيع عمل عامل مثلك ، ونحن نعرف عنك أحوال

الدنيا وكرسيها ونحن في منى نحمل
زادنا إلى عرفات فإذا بالحق تعالى يختم
اليوم حياتك معنا والناس على أهبة الرحيل
إلى عرفات . وما كانت الدنيا لديك
إلا تكليفاً أسند إليك ، وما زادتك إلا
يقيناً بأن الأمانة أكبر فاستعنا بالله
تعالى سويّاً على أدائها وتحملت يا شيخ
عبد الحلیم ما تحملت صابراً محتسباً
لله فليس كل ما يعرف يقال ، واستعنت
بالله على دنياك وبستر الله مضيت
وارتضيت والحمد لله .

لقد ختمت حياتك وأديت رسالتك
في الدنيا، وكانت روحك وابتهامة هندوئك
بادية في لقائنا الأخير في ليلة واحدة
قبل أن تخطو آخر خطواتك في هذه
الدنيا عندما أقبلت لتطمئن وتستفسر
عن مستقبل القدس وأمانة المؤمنين
ومسئوليتهم فيها قبل أن يختم جيلنا
وأخر مسئولياته وجئت لتطمئن على
مستقبل العرب والمسلمين ، وكأنك تؤدي
أمانة كلفت بها وأردت أن تودعها قبل
رحيلك وسألت عن تطابق الأحوال بين
الظاهر والباطن بين ما يجري على ألسنة
القادة والحكماء ومن ولاهم الله في أركان
الدنيا، وبين مانبتغيه لمستقبل عزة أمتنا على
طريق هي لنا واضحة وكنا من خلال

قبلهم . ولا تزال أسماعنا وقلوبنا تذكر
لك أحاديث الروح في مقام التوحيد وهو
مقام التشريف لبنى الإنسان ، فالتوحيد
كالضد للإلحاد - ومقامات السجود
لله والاستغفار والتوبة وعلوم القرآن
وعلوم السيرة وأعلام التصوف ومدارسهم
الفكرية - من الذين هم - بفضل الله
قادرون من بعدك على حمل الرسالة
وأداء الأمانة ، على أرض مصر الطاهرة
مصر الإيمان ، مصر دار آل بيت النبوة
عليهم الصلاة والسلام ، مصر اليقين
برسالة الأصفياء من عباد الله بما يرضى
الله وتطمئن به روحك عند رب العرش
وأرواح السابقين قبلك من أهل الإيمان
وكما كانت تلك حالك في بقاع الإسلام
التي عرفتك علماً ومجاهداً ومعيناً على
الحق وكما عرفك الموحدون من أهل
الكتاب وكنت لديهم - في كل موافقك
ولقاءاتك بهم - موضع التقدير والاحترام.

كما فتح الله علينا بعض أبواب معرفتك
في حياتك وخلوصك مع ربك فعرفناك
ومع رهن من المؤمنين في رحاب مسجد
سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وشاهدناك
في بقاع مكة وعلى عرفات وأنت محرم
ومتجرد ، في حالك مع ربك وما كنت
تدعو لدنيا أو جاه بل لقد جاءتك مهام

كسالى ما لهم فى الجنة نظراء ، فأنعم
بما اجتباك به ربك . الله أكبر . . أعلنتها
يوماً مع الشهداء وما تمنى صادق على
ربه إلا كان هو الله المقصد والرجاء .

لقد كنت محباً لله ولرسوله وآل بيته
الأطهار فأحبناك وصدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذ يعلمنا بأن لقاء الأرواح
على تآلف نعمة كبرى لله على الإخوة
من بنى الإنسان وأن المرء يحشر مع
من أحب - فى الدنيا والآخرة فإلى أن
نلقاك محبين لله وأرسوله سنودك فى
مقام عليين - أمانة الله ورسوله - والحمد لله
رب العالمين .

حديثك نستقرئ الأحداث لنرى معاً
صورة المستقبل لتودعه وداعك الأخير
أو لتودع أمانتك عند الله الذى لا تضيع
عنده الأمانات واستودعتنا فاستودعناك
والله يجمع بيننا بالحق على شهادة لا إله
إلا الله محمد رسول الله ياشيخ عبدالحليم .
رحلت عن الدنيا وقد زهدتها والتمست
سبيلك من بيننا إلى العلياء وخلفت وراءك
الدنيا بخذافيرها ولم تكن الدنيا يوماً هى
الغاية والرجاء ، تركتها وكم هى مع
غيرك قد تداولت ، كما غاب عنها من
قبلك ذوو همة وصفاء . رفاقك فيها
قد تفاوتوا ما بين زاهد أو عابد وبين

كان صافى الوجدان . . لا يغضب حين يغضب الناس

الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
وزير الأوقاف وشئون الأزهر

من فكر واحد ليس له هدف بيننا ،
إلا أن نرعى مصلحة الحق ومصلحة
الإسلام والمسلمين وكان - رحمه الله -
سريع التحرك بوجدانه إلى ما ينبغى أن
يكون عندما يطرأ أمر أو تزحف حادثة
من أحداث الحياة .

وكانت حركته بوجدان صاف وفكر
مجلة الأزهر

كان - رحمه الله - زميل الحياة
وصديق العمر ، وكانت صلاتنا فى
العمل الذى تعاصرنا فيه يحرسها الحب
ويغذيها التعاون بيننا . . ومع ذلك إذا
اختلفت وجهات النظر فى إبرام أمر
من أمور العمل المشترك بيننا كنا سرعان
ما نجتمع فى رأى على أرض - وننطلق

مدرك، وصفاء نفس عميق وما ذكرت يوماً أنه غضب عندما غضبت أو انفعل عندما خولف في رأى، وإنما كان رحمه الله يبدد الغضب ويصرف الانفعال بابتسامة رقيقة ترسم على شفتيه معبرة عن معنى دقيق من الأخوة والصفاء وراءها فيض جارف من العواطف الأخوية والعبارات الشفافة الملطفة التي تبدد كل غيم وتوضح كل لبس، وأن ما كنت ألمسه فيه دائماً من ميل إلى السلم والمسالمة في علاج الأمور وكان يشجعني أنا - شخصياً - على أن أسالم وأن أتخذ نفس المنهج في معالجة ما قد يطرأ من اختلاف في وجهة النظر وما قد يخيم على العلاقات في التعامل من غيوم سرعان ما تتبدد وتزول .

وقبل أن تجرى له العمالية الجراحية التي وافاه فيها قدره المحتوم كنت معه في المستشفى وكنا نتحدث لرسم للمستقبل في حياتنا ولم نكن نعلم أن قضاء الله

أقوى وأن قدره قد حل وأن ما خططناه فيما بيننا من أسلوب عمل لصالح الإسلام والمسلمين لن يكتمل بانتزاع أحدنا إلى لقاء ربه ، وإنما أذكر لفضيلته - عليه رحمة الله - في هذا الموقف أنه قال : « ما تقتنع به أبرمه وما يحاك في صدرك شيء منه نبخته إن شاء الله بعد خروجي من المستشفى » وكانت لهذه الكلمات الأخيرة الأثر القوي في نفسي عندما فوجئت وأنا بمكتبي بوزارة الأوقاف ، بالنبأ الأليم، فقد قطع الموت بيننا أسباب التعاون ، وحال بيننا وبين إكمال مسيرتي معه لتحقيق ما نرجوه للإسلام والمسلمين وما نسأل الله أن يوفقنا إليه من خدمة الوطن والدين .

وإننا لنؤمن بأن له رصيдаً عند الله ورصيдаً في قلوبنا يعوضنا عن فقدته ، ويطمئتنا على مستقبله عند ربه ونزلته لديه ، فإنه إن شاء الله مع الصديقين، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

فقيده الإسلام

الدكتور عبد الحليم محمود

فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وكيل الأزهر

كان يتغاضى عنها بجوار ما تحمله من دفعات روحية . .

وكان فى حياته يسير بروح صوفية فهو يحب الخير لكل من حوله وللناس ، وتغلب عليه هذه النزعة حتى ولو جلبت عليه شخصياً بعض الاعتراضات والمضايقات وإذا وصل إلى رأى فقلما يجيد عنه أو يقبل من أحد رأياً غيره . .

لقد كان المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود طبعة خاصة مميزة من العلماء الذين عملوا للأزهر ولدينهم ، وهب كل لحظة فى حياته من أجل هدفه سواء كان فى بيته أم فى مكتبه أم فى رحلة من رحلاته الكثيرة ، كان يغريه حبه للخير والأزهر فيتحمل الكثير مما ينوء بجسمه وصحته ، ويسافر هنا وهناك مما يتردد فى حمله الشباب ، وقبل انتقاله للمستشفى ببوين كنت أزوره فى سريره بمنزله ، ورأيت فى وجهه وجسمه علامات المرض ، وتحدث إلى عن بعض ما يعانى به ، وكان عائداً قبل يومين من رحلة فى المنوفية ، فرجوته أن يراعى حالته ، ويقلل من

رحل عنا رجل من رجال الأزهر والإسلام شغل حياته كلها بالعمل للدين الله وبالطريقة التى اقتنع بها وارتضاها ، وإن اختلف معه بعض الناس فيها « وكل شيخ وله طريقة كما يقولون » ولكنه وعلى طريقته قد ركز حياته وجهده لما يؤمن به سواء من ناحية الفكر أم من ناحية العمل . عرفته وصادقته منذ عاد من فرنسا حاملاً شهادة الدكتوراه مدرساً بالكليات الأزهرية ، لكنه كان على غير عادة الذين يعودون من أوروبا وقتذاك ، فقد عاد بروح صوفية لا بروح أوربية ، وبالرغم من أنه درس فى فرنسا الفلسفة والتصوف أيضاً ، فقد جاء منحاذاً تماماً للتصوف حاملاً على الفلسفة ، معتقداً أن التصوف هو الطريق الذى يهدى إلى الله ويعطى النفس روح الاطمئنان على عكس الفلسفة . . ولذلك وهب نفسه وجهده للتصوف فعمل على إحيائه بما نشره وما شجع على نشره من كتب كثيرة ربما كان فى بعضها مآخذ ظاهرة ، لكنه

في الأزهر وخارج الأزهر .. ومثله في ثروته هذه : الروحية والملمية ، يظل حياً في النفوس الكثيرة المتأثرة به ، في مصر وخارج مصر .. ولن ينساه عارفوه ومقدروه ممن عاصروه ، وستذكره الأجيال المقبلة كلما انتفعوا بآثاره الباقية . رحمه الله وطيب ثراه وجزاه خير ما يجزى به العاملين .

رحلاته والازدحام فيها ، والمأكولات التي لا تناسب صحته وأن ينب عنه من يرتضيه في مثل هذه الرحلات ، حتى يتجنب آثارها ومضاعفاتها ، وكانت آخر جلسة معه عليه رحمة الله . . .
لقد ترك الشيخ الكثير الباقي وراءه ، من مؤلفاته وأعماله وأفكاره ، وتلاميذه ومحبيه

كان عالماً ... عاملاً

السيد الوزير : سليمان متولى

معه موضوع المعاهد الدينية في محافظة المنوفية — أعطانا من الإمكانيات ومن الثقة ما أمكن معه استكمال عدد كبير من المعاهد كانت قد توقفت لقصور في النواحي المالية وكنا نتابع زيارته للعالم الإسلامي ورحلاته إلى كل مكان توجد فيه جاليات إسلامية ينشر الدعوة، ويدعو إلى سلوك وخلق الإسلام فكان واجهة الأزهر المشرقة بما تحمله من إيمان الواصلين وثقافة المطلاع على معارف الخلق الصالح وتراثه المجيد ، والمسائر لموكب العصر ومستحدثاته وكل جديد فيه .

وكانت جولاته في أقاليم مصر من أقصاها إلى أقصاها يدعو بالقول والعمل

كان نقائى الأول بنفسيّة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود — رحمه الله — منذ أكثر من عامين ، سعت إليه أعرض بعض مطالب محافظة بنى سويف في مجال إقامة معاهد دينية وإنشاء كلية للأزهر ، وجدته عالماً جليلاً مهيباً — نوع فريد من الرجال يحسن الاستماع ثم يستفسر في عمق وخبرة ثم يعطى القرار واضحاً في هدوء عن خبرة في الأسلوب السليم الإدارة وفي فن قيادة الرجال ، ثم بعد ذلك كله يمنح التشجيع والثقة كى تنشر الدعوة على أيدي قاعدة كبيرة من القادة والمسؤولين .
ثم كان اتصالي به بعد ذلك لأبحث

كان يشدنا إليه سلوك المؤمن الحق
يرعى كل من حوله ويقربهم إلى مجلسه
ويطمئن عليهم واحداً واحداً ، ويشع
منه النور والبركة ويهدي دائماً إلى
المحبة والسلام ، ويذكرنا في كل
حديث له بما تفرضه علينا دولة
العلم والإيمان التي أقامها الزعيم المؤمن
محمد أنور السادات من العمل
الجاد المخلص والقيم والسلوك والمحبة
والترابط .

ثم كان خبر انتقاله إلى الرفيق الأعلى
لينعم في جنة الخلد مع الصديقين
والشهداء - وجلت له قلوب المؤمنين
الخاصين - وتوجهت جميعها بالدعاء
إلى العلى القدير أن يجزيه لقاء ما قدم
وأعطى لمصر والأمة الإسلامية .

يترك في كل موقع إشعاعاً للدين من
معاهد ومكاتب لتحفيظ القرآن ويدعو
إلى التسابق في عمل الخير وفي التطوع
لنشر الدعوة لكل قادر على المساهمة والعطاء .
وتعددت زيارته لنا في محافظة المنوفية
فقد جذبنا إليه ما كان يتحلى به من
صفات المؤمن من العالم ، تواضعه وعلمه
وخبرته وقدرته الفائقة في تحريك العمل
ودفعه ، وفي حماسه ونشاطه ، وفي
تشجيعه لكل من يتوسم الخير فيه .

وفي زيارته الأخيرة لنا ليفتح المعاهد
الجديدة ويبارك افتتاح الكليات الأزهرية
- وقد كان صاحب الفضل في
إقامتها - ويوزع شهادات التفوق
على حفظة القرآن - ويوافق على
فتح جميع المعاهد فترة مسائية
لتحفيظ القرآن .

كان للمتقين إماماً

الأستاذ خالد محمد خالد

- كان كالأنفاس الطاهرة الهادئة ،
والنسمات الوداعة في صمته ، وصوته ،
وجميع سمته .
- كان عظيم الصدق مع ربه ومع نفسه .
- كان شجاعاً في اختيار طريقه ،

- بالأمس . . رحل عن الدنيا رجل
من الأخيار .
- رجل اتقى الله وآمن برسوله فاتاه الله
كفيلين من رحمته ، وجعل له نوراً
يمشي به .

وفي السير على هذا الطريق غير ملق
بأله لنقد الناقدين ولوم اللاتمين .

● لم تكن له شخصيتان .. بل شخصية
واحدة اتسقت اتساقاً باهراً مع نور
الشريعة والحقيقة معاً .

● وكان يذكر كلما ذكر الإخلاص ،
والطهر ، والتقى . . ذلكم هو الإمام
الأكبر (عبد الحليم محمود) . .

● عاش حياته مبتلاً محبباً أو أباً ..
وكان يحمل كل خصائص العلماء الذين
كتب لهم أن يكونوا للناس قدوة وأئمة ورواداً .
● وكان للمتقين إماماً . .

● (عبد الحليم محمود) .. اسم عظيم
لرجل عظيم . . رجل شرف به الإسلام
كوحد من أبنائه ، وعلم من أعلامه .

* * *

● نشأ في رحاب الله ، وشب شباباً
عفاً وطاهراً ، واهتدى في ناشئة حياته
إلى طريق أهل الله ، ووضع يده في
أيديهم حتى إنه وهو في فرنسا يتقدم
برسالة الدكتوراه عن رجل من أهل
الله ، وواحد من أعلام التصوف . اهتدى
إلى اختياره ببصيرة متصوفة وروح محبته .

● ثم عكف بهذه البصيرة ، وبهذه
الروح على تنمية شخصيته ، وصوغ
حياته ماضياً في تصوفه الصادق وراء

أبطال التصوف المباركين من الذين آمنوا
وكانوا يتقون . . والذين لهم ما يشاءون
عند ربهم والذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون . .

● ولما كان (التصوف) في حقيقته
وجوهره ليس إلا (صدق التوجه إلى
الله) فقد مضى راحلنا الكريم مع هذه
الحقيقة وهذا الجوهر متأسيماً بالرواد من
الأولياء والأقطاب الذين فتحوا للروح
الإنسانية منافذ النور والضياء كان يحبهم
أعظم الحب ويعرف منازلهم عند الله
ويعلم ما لمحهم ولوليتهم مما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .
● وكما لاهم اللاتمون فما خبا حبه ،
ولا ضعف ولاؤه ولا تعثرت على الطريق
خطاه . . ذلك أنه حب على بصيرة .
كما آمن على بصيرة ، وذاق فعرف . .
وعاين وشاهد مالا تراه الأعين المثقلة
بالأجفان الراقدة .

* * *

● ترى كيف أرثيه وأبكيه . .
● هذا الذي أحسست حين سمعت
نعيه أن جزءاً كبيراً من الحياة قد ارتحل
واختفى وليس مجرد رجل من الرجال
● إلا أن الحياة التي صاغها لنفسه
والتي صحبته في سفره إلى ربه لن تخلو

- منها الحياة فستظل ذكرى شاهدة
سامقة تقول للناس :
إذا ما بناء شاده الفضل والتقى
تهدمت الدنيا ولم يتهدم
ستبقى صورته مثبتة على جدار الزمن
ولن تدار إلى الحائط أبداً .
● وستبقى حياته كما كانت ، وكما
- أرادها أن تكون ، مثلاً حياً لشجاعة
الاختيار وللسلك الأبرار .
● فوداعاً للعالم الكبير .. والصوفى النضير .
● وسلام على عباده الذين اصطفى .
● وعزاء للإسلام وللمسلمين . .
● أما أنت أيها الراحل المقيم . .
فروح وريحان ، وجنة نعيم .

ظل حتى آخر أيامه يدعو لتطبيق الشريعة الإسلامية

الشيخ / جاد الحق على جاد الحق
مفتى مصر

كما عمل على إصدار نماذج للتقنين
من أحكام المذاهب الفقهية الإسلامية
حتى تكون هذه الثروة الفكرية الفقهية
المستنبطة من الكتاب والسنة تحت يد
المقننين في الدول الإسلامية يستقون
منها الحاجات التي تلزم المسلمين في
هذا العصر .

رحم الله شيخ الأزهر الأستاذ الإمام
الأكبر عبد الحلیم محمود وأسكنه فسيح
جناته وعوض الإسلام والمسلمين خيراً
فيه ، فقد كان مجاهداً في شتى الميادين
فاستغل قلمه وعباراته التي أجراها الله
على لسانه بيان حكم الإسلام وتاريخ
رجالها العاملين في شتى ميادين المعرفة
الإسلامية مدافعاً عنهم مبيناً صائب

فقد العالم الإسلامي عالماً فاضلاً
صالحاً قاد الأزهر فترة طيبة ، ونشط
في الدعوة إلى الله في داخل البلاد وخارجها .
وكان - رحمه الله - ورعاً تقياً يعمل
لصالح الإسلام وتصحيح مسار العقيدة
وأحكامها وتنقيتها مما علق بها في فترة الركود
العلمي التي مرت بالعالم الإسلامي وقد ظل
يعمل حتى لقي ربه ، في سبيل عودة
الحكم بالشريعة الإسلامية وأحكامها وقاد
مجمع البحوث الإسلامية شوطاً طويلاً
في الوصول إلى الهدف .

لقد كان وإلى آخر لقاء بيننا يعمل
على إصدار دستور إسلامي يكون
نموذجاً للحكم الإسلامي في الدول
الإسلامية ، موحداً لها على هدف واحد .

آرائهم التي كشفوا بها عن مزايا الإسلام
عقيدة وشريعة ، كما دافع عن الإسلام
وأوضح حجته بكل وسائل الإعلام
الميسرة في هذا العصر من إذاعة مسموعة
ومرئية وصحف ونشرات ، كما جاهد
في سبيل ربط الأمة الإسلامية والجمع
بين علمائها ليتدارسوا أمور دينهم في
رحاب الأزهر الشريف وتحت علم مصر
رائدة العرب والإسلام والمدافعة عنهم
والمجموعة لشتاتهم .
ولقد حدثني رحمه الله عن مشروعاته
وأمله في أن يعود الأزهر بمعاهده وكللياته
إلى ما كان عليه من تحصيل جيد للعلوم
الإسلامية والعربية .

وداعاً .. شيخنا الجليل

الأستاذ نصر عبد الغفور

خبير لجنة التعليم بالمجلس القومى

ما يكون حرصاً على الحركة والنشاط ودقة
الأداء وقبل أن يدخل المستشفى بيوم
واحد كان يجوب القرى في المنوفية يفتتح
المعاهد الدينية وجمعيات تحفيظ القرآن
ويوزع الجوائز على الحفاظ والمحفظين .
ويهز الرأي العام بقوة ، داعياً إلى الله .
حافزاً للهمم .. بكل ما يمتلئ به قلبه
الكبير من حب لرسالته وإيمان بها ..
ودفاعاً عنها .

آمن بالتوسع في المدارس والمعاهد الدينية
وعارضه كثيرون في الأزهر وخارج الأزهر ..
بدعوى التجديد قبل التوسع .. وضيق ذات
اليدين .. يد الأزهر .. ونقص الموارد المتاحة وقلة
الأساتذة .. وهبوط المستوى .. وكانت آخر

فزعت مصر .. وررع المسلمون ..
وجزع الشرق .. حين نعى الناعى الرجل
العظيم إمام المسلمين الأكبر وقائد المسيرة
القرآنية .. وزعيم علماء العصر بلا منازع
وما كان الجزع والترويع والفرع لموت الفقيد
الكريم .. فالموت حق على الجميع فلقد
مات الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام
ولكن مظاهر الحزن والفرع كانت للمعانى
التي كان يمثلها الإمام الراحل في حياته .

كان يرحمه الله ويطيب ثراه رجلاً
بكل ما تحمله كلمة الرجولة من معان .

كان بطلاً .. تنحنى أمامه الهامات .
وكان صاحب رسالة آمن بها وناضل
من أجلها حتى وافته المنية وهو أشد

العالم . . يطالبهم برعاية الدعوة الإسلامية ودعمها وتقويتها . . ولقد قاد الأزهر منذ إنشائه مئات من شيوخ الأزهر وعلمائه . . وأشهد أن الشيخ عبد الحلیم محمود قد سجل في التاريخ صفحات من أنصع وأعظم الصفحات وأنه يعد بين شيوخ الأزهر السابقين من أكثرهم علمًا وأشدهم تأثيراً في الأزهر وسيدكر له التاريخ جهده وجهاده ونضاله وسيبقى هذا الذكر للأبد .

لقد كان لي شرف لقائه خارج الحدود . . في دولة إسلامية وغير إسلامية . لاقيته في السعودية في موسم الحج . . يقف على بابہ الأمراء والعلماء من جميع الأجناس . . يقبلون يده . . وينحنون في حضرته احتراماً وإجلالاً . . وهو يستقبل الجميع في عطف وإعزاز لا يصدر إلا من عظماء الرجال .

لاقيته في المغرب بنفس الصورة في فندق الأندلس محل رعاية ملك المغرب المعظم الملك الحسن ومئات السيارات في الخارج . . وشرطة المرور تنتقل بالمئات لتنظيم خطوط السير لزيارة الإمام الأكبر . . وهو هو بقامته الرفيعة وبسمته التي تلازمه يستقبل الألوف مرحباً وداعياً ومهنشاً بشهر رمضان وملقباً تعليماته الرائعة في

كلماته في (منشأة سلطان) مركز منوف في افتتاح معهدھا الديني . . أن الذين يدعون إلى عدم التوسع مخطئون . . أنا مع التوسع بلا حدود وبلا قيود . . وإذا قصرت الموازنة في تدبير الموارد فلدى الكثير من إعانات أهل الخير والبر . . وهم والحمد لله كثيرون فلا تشييط للهمم بل حفز لها . . وأرد عليهم فأقول: عدد الذين يتعلمون في المعاهد الأزهرية كلها في جمهورية مصر بما فيها جامعة الأزهر خمسون ألفاً . . وفي وزارة التربية والتعليم سبعة ملايين فأين التوسع . . ولماذا التخوف؟ هل هناك رد أبغ من هذا الرد ؟ هل هناك مقارنة كهذه المقارنة ؟ خمسون ألفاً إلى سبعة ملايين . . يا له من رقم . ومنذ ولى أمور الأزهر شيخاً له . وإماماً عظيماً . . وهو لا يكل ولا يمل . - جهاداً في سبيل تعميم التعليم الديني . . وأثره للفكر الديني .

لا يمر يوم إلا وله حديث صحفي أو مقالة أدبية أو دينية . . ولا يمر شهر إلا وله كتاب يطبع . . ويوزع ليس في مصر وحدها بل في العالم الإسلامي كله .

فكر متدفق . . إيمان عميق . . ثقة زائدة لا حدود لها . يهز الرأي العام العالمى الإسلامى بكلماته القوية يخاطب الأمراء والملوك والوزراء وأهل الرأي في أنحاء

جلال عميق . وفي لندن . . في المؤتمر
الإسلامي العالمي مهرجان يضم وفود كل
مسلمى العالم . . ويتقدمون أمام ملكة
بريطانيا في انحناء إلا هو فقد سلم عليها
منتصب القامة وأمام كاميرات التليفزيون
من جميع أنحاء العالم تكاد الملكة تنحني
احتراماً لمقدمه الجليل .

إن العيون لتدمع وإن القلوب لتفجع
وإن الأفئدة لتتصدع . . ولا نملك إلا
أن نقول ما قاله رسول الله الكريم . .
إنا لله وإنا إليه راجعون .

لا أقول وداعاً شيخنا العظيم . . بل
إلى لقاء في الملأ الأعلى مع النبيين
والشهداء وحسن أولئك رفيقاً .

الإمام . . . عبد الحليم محمود

الأستاذ حافظ محمود

لست أدري لم لا تبرح مخيلتي صورة
صباه ؟ إنني لم أصدق حين رأيته
أول مرة . . أنه من علماء التخصص في
الأزهر ، ولولا ملابسه الريفية الأصيلية
لحسبته فناناً ، فقد كان شاباً ، أريد
أن أقول فتى ، في قسماط وجهه سماحة
عجيبة ، وقد انطبعت على شفثيه ابتسامة
لا تكاد تفارقهما أبداً ، وكانت ابتسامته
تخلل كلماته دائماً ، فمع أنه جاء
ليقابلني وأنا صحفي جديد في جريدة
« السياسة الأسبوعية » ليمتعني بـ « وليرد
على مقال لي - إلا أنه بدأ - حديثه معي
بالسخرية من بعض المظاهر . . وأحببت
سخريته منذ اللحظة الأولى ، فقد كانت
سخرية مهذبة تخلو من ليونة الهزل ،

ومن خشونة الغرور ، وبعد بضعة دقائق
صرنا صديقين .

تعودت سخريته المهذبة ، حتى إنه
حين قال لي : إنه يعتزم السفر إلى باريس
ظننته ساخراً ، ولم أصدق إلا حين أطلعني
على حقيقة زاده .

نعم لقد سافر الشيخ « الشاب »
عبد الحليم محمود موسراً ، ولم يكن مبهوراً
كغيره من الشباب بالعيش في أوروبا ،
ولم يكن ينقصه العلم في تخصصاته . .
ورغم هذا كله سافر ليدرس الفلسفة . .
وليحصل على درجته العالمية (الدكتوراه) في
هذه المادة . . وكان أعجب ما في
هذا التحدى سخريته بالفلسفة ذاتها .

الإمام والفلسفة :

ظلمت السنين الطوال أتعجب من سخريته بمادة الفلسفة ، والتي حصل فيها على أعلى الدرجات العلمية ، إلى أن التقينا قبل عام في النادي الثقافي بلندن ، وكان الأستاذ الإمام قد جاء إلى هذا النادي ليلقي محاضرة على شباب مصر المبعوثين للدراسة في لندن ، فإذا به يفسر في محاضراته كيف انتهى من دراسته في الفلسفة إلى السخرية بالفلسفة . قال ، عليه رضوان الله : إنه لم يجد فيلسوفاً واحداً قد قطع بشيء أو جزم بشيء . . . إنهم جميعاً يتحدثون بلغة الاحتمال الذي لا يثبت فيه . . . ولكم - هكذا كان يقول - أن تتصوروا حال الفكر البشري بين هذه النظريات الاحتمالية التي تتحاشى اليقين دائماً أو غالباً .

ولما سأله طالب : إذن مارأى فضيلتك في « الفلسفة الإسلامية » ؟ . قال : إنكم تسمون المذاهب الصوفية في الإسلام فلسفة . . . لكنها شيء آخر . . . ثم أضاف : إن الفطرة السليمة تبحث عن اليقين لا عن المشكوك ، وقد أثرى الله قلوبنا باليقين في كلماته ، فمن السخرية أن نترك هذا اليقين لنلتفت إلى متاعب الشك عند الفلاسفة إلا أن يكون هذا من باب الاطلاع والاعتبار .

الإمام والدعوة :

كان الإمام الشيخ عبد الحليم محمود عظيم العقيدة إلى الدرجة التي جعلته يتحول بمنصب شيخ الأزهر إلى داعية من دعاة الله . . . فما كان يوم يمر دون أن نسمع للشيخ خطاباً أو محاضرة أو نقرأ له كتاباً أو مقالاً في الدعوة إلى دين الله ، وقد جعله حبه للدعوة يستجيب لنا فوراً حينما اقترحنا عليه إنشاء دراسة إعلامية في الأزهر ، وكان هو خير مثال لهذا الجانب الإعلامي .

لقد تخطى نشاطه الإعلامي في سبيل الله صحف القاهرة إلى كثير من العواصم الإسلامية . . . وكان من عجائب القدر أنني استمعت إلى نبأ وفاته من الإذاعة وأنا أقرأ له مقالاً حديثاً في مجلة من مجلات الأقطار الشقيقة .

إنني أعلم أن البعض كان يأخذ عليه كثرة كتاباته في الصحف مما قد لا يتفق في رأي هذا البعض مع هالة المشيخة الكبرى . . . لكنني أعلم أيضاً أنه كان يعمل هذا عن إحساس صادق بمسؤوليته عن توعية المسلمين جميعاً . لقد كان هذا الإحساس يبدو واضحاً جداً وهو يلقي خطبة الجمعة أحياناً . . . وكنت تشعر وهو يخاطب أن الكلمات ينطق

نتهياً لصلاة الجنازة على جثمان الإمام
الشيخ عبد الحليم محمود . . لكننى هذه
المرّة لم أجفف دموعى لأنها لم تكن
مدامع عين لكنها مدامع قلب فقد
صديقاً عظيماً .

بها قلبه قبل لسانه وذات مرة وأنا أستمع
إليه فى خطبة الجمعة بالجامع الأزهر
بكيت . . ثم سارعت إلى تخفيف دموعى
لأننا كنا نتهياً للصلاة .
وقد بكيت مرة ثانية عندما كنا

نحو النور

الأستاذ محمد زكى عبد القادر

رکناً صامداً يدفع هذه الحملة فى صمود
لايتزعزع ، ويقين يزداد يقيناً كلما زادت
الحملة ضراوة ، فلم يكن يتوقف عن الدعوة
إلى الدين ، سواء بالتأليف والكتابة
أو الرد على المعترضين والزائغين أو الاشتراك
فى الإذاعات والندوات والخطابة فى
المساجد فى جموع المصلين . . وهكذا
جعل من شيخ الأزهر منارة للهداية والعمل
الدائب والنزول إلى الجماهير ، دعوة إلى
الدين الصحيح ودفعاً للشكوك والشبهات
وتثبيتاً للوحدة الوطنية ومقاومة تيارات
الدس والتفريق .

وقد ساعده أفقه المنفسح وعلمه الغزير
ومزجه بين الثقافتين الشرقية والغربية على
أن يضطلع بهذا الواجب أتم ما يكون
الاضطلاع ، تأثيراً فى الناس وجذباً لهم
إلى طريق الهداية والنور .

جاز إلى ربه راضياً مرضياً المرحوم
الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجامع
الأزهر ، ففقد فيه الأزهر والعالم الإسلامى
فقيهاً كبيراً من فقهاء الكبار ، نذر
نفسه لخدمة الدين والشریعة ، وترك
وراءه تراثاً فيه الإيمان والفهم والدعوة إلى
الأسوة الحسنة ومكارم الأخلاق .

وهو ينتمى إلى كبار الشيوخ ممن آلت
إليهم مشيخة الأزهر ، فأحيوا سنة الصالحين
وذكرى السلف الصالح ، و زادوا عن
الدين الشبه والشكوك ، ووقفوا فى وجه
الانحراف والشرك والزيف فى قوة ويقين . .
وهى مهمة ازدادت صعوبة فى هذا العصر
الذى ذاعت فيه الشكوك والريب حول
الأديان ، وجذبت إليها العديد من الشباب
وغيرهم ممن شنوا حملة ضارية ضد الأديان
والإيمان بها .

وكان المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود

ما لم يتح إلا للشهداء ممن ذادوا عن الدين ،
يجزيه ربه عنهما أوفى الجزاء ويسكنه جنات
أعدت للمتقين .

وهو إذ يلتقى ربه ، يلقاه راضياً هائناً
أن أتيح له أن بلغ في أمته ما بلغه من
مكانة ، وأن يبلغ في مجال التقوى والصلاح

آخر حديث - عن الدنيا - مع الإمام الأكبر

أجرى الحديث الأستاذ جلال الجويلي

الحياة اليومية تزداد تعقيداً : لكن هل
يعنى ذلك أن تضعف الأخلاق ؟
رد الإمام الأكبر : الواقع أن هناك
آفات كثيرة في المجتمع لم تكن موجودة في
بعض العصور . حقيقة أن كل عصر من
العصور فيه آفاته أو فيه مفسده لكن
هذه المفسد في كثير من العصور لم تكن
عامة على هذه الصورة التي نراها الآن .
سلوك الناس في المجتمع يصدر عن
الوضع الحقيقي الذي ينبغي أن يكون .
الإنسانية تركت تشريع الله سبحانه وتعالى
في الأخلاق تركت تشريعه في السلوك ،
تركت تشريعه في القانون لكي تفرض
أهواءها هي .

في كثير من العصور كانت البلاد تحكم
بناء على أهواء الحاكم : ديكتاتورية كاملة
من فئة قليلة تسود الأغلبية العظمى اعتماداً
على القوة التي تجعل هذه الأغلبية ترتدع
ثم تطيع . هكذا عندما انحرفت الإنسانية
عن الأوصاف الإلهية كانت كل هذه النواحي

في مسكنه المتواضع في البيت رقم ٢٤ في
شارع العزيز بالله في الزيتون كان لقائي
مع الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم
محمود شيخ الجامع الأزهر . . ولم أكن
أتصور وقتها أنه اللقاء الأخير .

كان قد انتهى من صلاة المغرب .
هنا يعيش الرجل منذ أربعين عاماً
أى منذ أن عاد من باريس بعد أن حصل
على درجة الدكتوراه من السوربون .
كان يرتدى جلباباً أبيض . . نفس
لون المسبحة التي كان يضغط عليها بين
أصابع يديه ، لم يتوقف عن الضغط عليها
على مدى ساعة أمضيتها أستمع إليه
حول هذا الذي أصاب حياتنا من حيث
سلوك الناس .

العصبية تسيطر على الكل - الألفاظ
الجارحة تبدر من الكل لا فرق بين أستاذ
في الجامعة أو صبي فران . لم يعد أحد
يحتمل أحداً كما لو كان الصبر قد نفذ
من صدور الناس جميعاً ، صحيح أن

على الهامش :

من كان يتصور أن التعليم في مصر الذى كان أساسه الدين حتى نهاية القرن الثامن عشر يصبح في مدارس بلد الإسلام أقل شأنًا من الرياضة . . على أى حال : ما من شك في أن وزير التعليم رجل صالح . رجل مخلص يهتم كل الأهمية أن يأخذ الدين جوه الصحيح في مدارسنا .

لكن ماذا أقول! إذا كانت التقاليد جرت على أن يكون الدين على الهامش حصصًا ! . على الهامش امتحان . على الهامش من ناحية انتقاء الصفوة الممتازة التى تتولى تعليم الجانب الدينى أرجو الله أن تتعدل الأمور .

في هذه المناسبة أريد أن أقول: إننا مع الأسف نأخذ عادة الأمور تقليدياً ثم نسير في هذا التقليد إلى أبعد الحدود . مثلاً هذا التعليم المدنى الذى أدخله عندنا في مصر في صورته الحالية هو الاستعمار الذى أراد أن يكون التعليم بعيداً عن الجوه الدينى الصحيح السليم ، ويقفز الحديث إلى داخل الأوتوبيس في بلادنا . ترى : ما رأى الإمام الأكبر في هذه الصورة المؤلة ، صورة المواطنة المصرية التى تكافح في شرف من أجل

من الفساد في الأخلاق والفساد في السلوك . هذا الانحراف عن الأوضاع الإلهية تجده على سبيل المثال في التعليم عندنا . لم يكن من المنتظر مطلقاً أن ينفصل التعليم عن الدين . كان الرئيس السادات موفقاً حين وضع المنهج الذى ربط فيه العلم مع الإيمان إننا لو اتبعنا هذا المنهج أى حققنا توازن العلم مع الإيمان في البيئة التى نعيش فيها كانت الأمور قد سارت على أوضاع تختلف عن أوضاعنا التى نعيشها كانت الأمور سارت إلى أوضاع أحسن ، أوكل الله إلى الإنسانية أمر الجانب المادى لكنه لم يكل إليها جانب السلوك ولا جانب الأخلاق ، بل أوكل أمره إلى تشريع منه هو .

في الجانب المادى تقدمت الإنسانية حتى وصلت إلى القمر إلى الكواكب السماوية أو إلى غير ذلك من وسائل الكشف مع وسائل التدمير أيضاً لكنها في الجانب الآخر ، جانب السلوك ، جانب الأخلاق ، لم تلتزم تشريع الله .

لو اتبعنا الذى أحبه الله لنا من السلوك والأخلاق والعقيدة ومصدرهم الدين وأن المادة طبيعة أو كيمياء أو فلك إلى غير ذلك مصدرهم التجارب مع الحواس . . كان الأمر يسير على نسق يرضى .

عناية كبيرة . هناك أمور كثيرة في مجتمعنا هذا الآن من الممكن تيسيرها لكن مع ذلك لا تيسر ، كما لا يهتم أحد أو يعمل على تيسيرها .

هناك مرفق المياه ، هناك مرفق التليفونات ، هناك مرفق الكهرباء ، هناك التموين كل هذه النواحي لا تيسر على الوضع الذي ينبغي أن يكون .

الحرب انتهت من فترة ، البلاد التي دمرت في الحرب أعيد بناؤها في سرعة ثم استقرت فيها الأمور أو سارت على خير ما ينبغي . اليابان مثلاً أو ألمانيا الغربية كل هذه البلاد دمرت تدميراً في الحرب ولكن مع ذلك استقرت أمورها بعد ذلك .

نرجو من الله أن يهب لمصر القوم الذين يخلصون لها وتسير الأمور على خير ما ينبغي إن شاء الله .

اقطعوا أيدي النشالين :

ثم مرة أخرى نعود إلى الأوتوبيس فسألته عن رأيه في موقف المواطن الذي طعن نشالاً في الأوتوبيس بعد أن حاول هذا النشال أن يطعن المواطن الذي ضبطه أثناء محاولة نشله .

رد : هذا من غير شك دفاع عن النفس لكن المشكلة في أساسها : لِمَ

حياة أفضل سواء كانت عاملة أو مدرسة أو طبية أو مهندسة تهدر كرامتها داخل الأوتوبيسات التي تجرى في شوارع مصر - قد شكت المواطنة عن كل ما يجرح كرامتها في الأوتوبيس من أجل أن تكون في موقع عملها في الموعد المحدد أو في البيت من أجل الزوج أو الطفل كيف يرى الإمام الأكبر هذه الصورة ؟

رد الدكتور عبد الحليم محمود :
الواقع أن المجتمع شغل نفسه في أشياء غير الأشياء الأساسية . من الأشياء الأساسية سهولة المواصلات - لماذا نجد أن البلاد الكثيرة فيها مواصلات سهلة لا تعرف هذا الازدحام أو ليس فيها كما يقولون علب السردين هذه ، بينما نحن هنا نجد هذه المشقة في المواصلات .
لماذا لا تيسر المواصلات ؟

ثم أضاف : كما أن النساء أنفسهن عليهن لوم كثير ، المرأة تخرج غير متحشمة إلى جانب أنها تخرج سواء كان هناك سبب أو دون سبب بينما كان من الممكن أن تبقى في بيتها معززة مكربة .

من ناحية أخرى هناك أشياء كثيرة غير ميسرة من الواجب أن نغني بها

المسألة يجب أن تنتهى على الفور . يجب أن نأويهم ثم نعمل على تدريبهم على الحرف اليدوية حتى نوفر لهم الحياة الكريمة . يجب أن نقيم المؤسسات من أجلهم .

تربية الضمير :

ثم من النشالين إلى المتسولين إلى أجهزة الدولة التى تذيق المواطنين الأمرين قبل أن أن تؤدى واجبها نحوهم .

هناك أمران : الأمر الأول عدم تربية الضمير عدم وجود أهمية لتربية الضمير فى مجتمعنا المصرى سواء عن طريق المدارس أو عن طريق وسائل الإعلام . الأمر الثانى : عدم مؤاخذه المهمل أو اللامبالى - إننا لو أخذنا هؤلاء أى لو كان هناك عقاب على تأخير ، أعمال المواطنين لما ساروا على هذا .

ثم عن أزمة الشباب فى مصر تحدثنا عن الشباب الذى يقف عاجزاً أمام تحقيق أمنيته فى الزواج أمام الأزمة الطاحنة فى المساكن أو فى المغالة فى المهور :

قال الإمام الأكبر : فى أقطار كثيرة يحصل الموظف فى بدء حياته على أضعاف ما يبدأ به الموظف فى مصر مع أن الحياة فى مصر فى الواقع أصبحت صعبة

يوجد النشال فى مجتمعنا نحن ؟ وجود النشال فى مجتمعنا يبين إلى أى مدى قد بعدنا عن الجوال الإسلامى أو الأخلاق الإسلامية .

لو سرنا على النمط الإسلامى ، على الأخلاق الإسلامية ، لما وجد النشال فى مصر .

هذا الرجل أخذ السكين من النشال كان يدافع عن نفسه لكن هناك أشخاصاً من الضعف إلى حد أنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ولذلك يفتك بهم النشال .

هناك حوادث كثيرة من هذا النوع لو ارتدع النشال أى لو طبق عليه العقاب الإسلامى لما عاد إلى هذا .

سبة فى جبين مصر :

ثم من النشالين إلى المتسولين الذين أصبحوا ظاهرة اجتماعية خطيرة فى مصرنا - سألته هل يجوز أن يكون عندنا متسولون ؟

يقول الإمام الأكبر : هناك أمر فى غاية الأهمية هو انصراف المجتمع عن أداء الزكاة لو أديت الزكاة على ماينبغى أن تكون عليه لما كان هناك هذا الجمع الغفير من المتسولين . الواقع أن هؤلاء المتسولين سبة فى جبين مصر .

أن يجدوا مساكن أخرى تأويهم إلا أنه في حالة انتفاء الضرورة يجب على المواطن الذى يقيم فى المقابر أن يتنقل إلى المسكن الذى يتاح له .

ثم جاء دور التلفزيون . أين هو من كل ما أصاب حياتنا ؟ أين الإذاعة أيضاً من كل هذا ؟

أسرع الإمام الأكبر يرد : هناك برامج كثيرة لا بأس بها فى التلفزيون أو الإذاعة لكن شهر العبادة لم يمنع المسؤولين فى التلفزيون من أن يقدموا أشياء لا يرضى عنها الضمير الحى أو يرضى عنها الخلق السليم أو يرضى عنها الإسلام .

كان يجب أن ينتهزوا شهر رمضان الذى هو شهر التقوى لكى يهيموا المجتمع الإسلامى - الذى هو مهياً من أجل الصوم - لكى يتقبل النصائح أو المواعظ أى نهىء له جواً من الإيمان جواً من التقوى سليماً خالصاً صافياً من شوائب الخرافات . من شوائب الأساطير من شوائب اللهو فى هذا الشهر المبارك .

الواقع أن التلفزيون أداة من أكبر الأدوات فى مجال إصلاح الأخلاق أو إفسادها . عليه يعتمد الكثير من صلاح المجتمع أو فساده .

مجلة الأزهر

بينما المرتب الذى يبدأ به الشاب حياته ٢٠ جنيهًا أو أكثر لا تكفى حقيقة لا المسكن ولا المعيشة .

لو أن الموظف حصل فى بدء حياته على مرتب لا بأس به يستطيع أن يحقق به الحياة الكريمة ما كنا نسمع عن هذا التحلل الأخلاقى فى كثير من نواحى الحياة : كما يجب تركيز الجهود على بناء المساكن الاقتصادية التى تساعد على حل هذه المشكلة :

الأحياء فى المقابر :

هنا سألته رأى الدين فى شأن المواطنين الذين زحفوا على المقابر يزاحمون الأموات فى سكناتهم - إن عدد الذين يعيشون الآن فى الأحواش يزيد على نصف مليون مواطن ، يعيشون حياتهم الدنيوية فوق أجداث إخوتهم الذين سبقوهم إلى العالم الآخر .

قال الإمام الأكبر :

فى حقيقة الأمر كلما كانت هناك ضرورة حتمية كلما كان هناك جواز فى الشرع الذى يبيح أو يسمح حينما تكون هناك ضرورة حتمية .

إن هؤلاء الذين يسكنون المقابر ما كانوا يحبون ذلك أو يميلون إليه أو يرغبون فيه لكنهم سقطت بيوتهم دون

ليس من المعقول أن يقدم التليفزيون امرأة راقصة في يوم إسلامي بينما هي تشبه أن تكون عارية .

إنه يفعل ذلك في كثير من الأوقات كما أنه ليس من المعقول أن تأتي منه هذه الأغاني العابثة اللاهية التي تدعو إلى أشياء كثيرة من التحلل أو من الإباحة في الجو الإسلامي .

كما ينبغي أن يكون هناك ضمير حي عند المشرفين على هذه الأدوات حتى تكون هذه الأدوات أداة إصلاح . لكن ليس من المعقول أن ننفي هذه الآلاف بل الملايين في هذه الأمور التي تفسد المجتمع .

كان ينبغي أن يكون هناك ضمير

حي عند المشرفين على هذه الهيئات . ثم من التليفزيون إلى الشباب على كل ما هو عليه حيث سألت الإمام الأكبر أن يتكلم إليه في كل موقع .

قال الإمام الأكبر : أدعوا أبناءنا أن يجدوا في أعمالهم . . الوطن في حقيقة الأمر في أشد الحاجة إلى شبان مخلصين يعملون من أجله حتى يرتفعوا به إلى المستوى الذي وصلت إليه الأوطان الأوروبية .

كنت قد استأذنت الإمام الأكبر في ساعة بعد المغرب . حرصت على أن أكون ملتزماً أمام الرجل الذي يستقبل من بعد المغرب حتى صلاة العشاء عشرات من أبنائه الذين يحرسون على أن يستزيدوا علماً . . ولكنه رحل وتركهم وكان آخر لقاء .

هذا قضاء الله

إلى روح الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
الذي رحل عن دنيانا من قريب *
دكتور سعد ظلام

هذا قضاءُ الله في الأكوانِ
قضت المشيئةُ . . لا بقاءَ لكائن
أنسى اتجهتُ إلى الحياة فلم أجِدْ
وأرى الوجودَ كزورقٍ متحطمٍ

ورسالة الأحياء والأزمانِ
غيرُ الإله : . وكل شيء فانِ
إلادُخانا آخذاً بدخانِ
يرنو بإشفاق إلى الربانِ

• • •

إمامنا . . والفكر في أوهامه والعقل بين تصارع الغيدانِ

ناديتُ قلبي يوم داهمك الردى
ومضى المغرّد . . والجراح تؤوده
ومشى على ألق الحميلة عاصف
كانت جنان أزاهر فتانة
ناجت بها الفجر الجميل بلابلي
يا قلب . . جفت أغصنى وجنانى
واستسلمتُ لخريفها أفنانى
خشعت لديه سوامقُ الأغصانِ
لم يغفُ عن تنسيقها جنّانى
أين السنا ؟ وتبسم الألمان

* * *

هذا الموسّد أمة . . مذخورة
العالم المفضل فى أقواله
سبق الزمان بفكره حتى سما
مترفع حتى على آلامه
أجاده . . لم يُحصِها حُبانى
وفعاله والروح والوجدان
وعلا على الأكوان والأزمان
كالطود تيّاه على الوديان

* * *

أنا لست أنعى . . كيف يُنعى خالد
إنى أحسك فى النماء وفى الربى
وأراك فى جنن الصباح تحوكة
وأحسّ روحك فى السهول وفى الربى
وأحسّه بين الجموع حماسها
وأحسّه فى كل شىء حوانا
لا . . لم تمت « عبد الحليم » ولن تموت
وهو الخلودُ الثابتُ الأركان
ع يرف فوق ذوائب الأغصان
ثوباً لشعبك زاهر الألوان
دوحاً . . تدفق بالشذى الفتان
متدفقاً . . كتدفق الفيضان
نغمساً ودوداً فوق كل لسان
ت . . فأنت فوق الموت والحديثان

* * *

لهفى عليك . . وقد نُعيت فروعت
ومشى الأسى فى كل قلب . . فاكتوى
ومشى على الآفاق . . فارتاعت له
كم أجهشت روح . . وذابت مهجة
وسرى بعاطفة الجذوع . . كما سرى
كيف انحنيت أمام أحداث الردى
كيف ارتضيت هزيمة . . لم ترضها
منا النفوس . . ورؤّع الثقلان
ألمّا . . وأذكى لسوعة الأسوان
كلّ القلوب . . قصيها . . والبدانى
وذوى فؤاد . . واكتوت عينان
بين المشيم تسهّج النيران
ولأنت عمرك ما انحنيت لجانى
أبدأ . . وأنت بساحة الميدان

لكنها فوق الوجود . . وفوق نا
 قدر يصيرنا . . ونحن إزاءه
 وقضاً يريد . . ولا مفر من القضا
 ومنية . . نجري فتجري خلفنا
 ورحى تدور بعمرنا ووجودنا
 ونفراً من طيف المنون . . فلتقي
 سكن الحراك . . وكنت ملء حياتنا
 الله جارك . . كنت خير جوارنا
 بكت الكتانة والعروبة والندى
 موسى الحياة . . وقدرة الإنسان
 مستسلمون . . كريحة الفنان
 أبداً . . فتلك قضية الحدثان
 ولسوف تدركنا بكل مكان . .
 فنموت صرعى ذلك الدوران
 بطيوفه في ذلك الجريان
 نبض الحياة . . وخفقة الشريان
 والله أمنك . . كنت خير أمان
 والشرق والإسلام ينتجبان

* * *

يا راعي الإسلام عشت جهاده
 آليت لا تدع السلاح مجاهداً
 وتمد فوق الضفتين نهاره
 حرّاً . . وقدت فيالق الإيمان
 حتى يصلّى النور في الشيطان
 وضيائه الألاق للإنسان

* * *

الأزهر المعمور في أحزانه
 قد كنت مثذنتيه حين تأبتا
 أعليت فوق النيرين مكانه
 ودفعته نحو النهوض وشمرت
 وكم اختلافنا في السبيل . . وإنما
 قد كنت تلقاني بوجه باسم
 يأسى . . ويكي أنجب الولدان
 والقبلتين . . ومهرجان أمانى
 وغرست دوحته بكل مكان
 يملك تعلّى نهضة العرفان
 في الغاية العصماء متفقان
 وتُجل فوق الفرقدين مكاني

* * *

الأزهر المعمور . . فوق جراحه
 ما زال يزأر بالذوغ وبالحنجى
 قالوا: انتهى العلماء .. دعوى .. لم تقم
 الله باركه . . وأفعم ساحه
 من كل أروع كالسما شموخه
 يقظ المواهب . . واثق الإمكان
 الساح . . والأبهاء . . مأهولان
 فالأم ما عقت . . ولا القمران
 بالنابيهين . . الشيب . . والشبان
 وعلومه . . والشمس مؤتلقان

قد ماج بالأشبال .. أو ماجت به
يفدون بالأرواح عذب سنائه
الأمس شدناه عزيز الشان
وغداً ستوقظه مواكب فجرنا
متحفزات للوثوب الداني
من أجل أن يبقى على الأزمان
واليوم نرفعه عزيز الشان
ولسوف يحيا في الغد اليقظان

* * *

يا صاحب القلب المضيء نبالةً
وتغيب عن ساح الجهاد .. وينتهى
في عالم الدين القويم شبيبتهما
ومضيت تحمل مشعلا متألقاً
حرّ العقيدة .. لا تخاف .. ومؤمننا
لك في قلوب المسلمين جميعهم
أفهلكذا تنأى عن الميدان ؟
في الجيل مد البحر والبركان
غراء للكهال والشبان
كالشمس في ألق الشروق الحاني
بالحق .. لا متزعزع الإيمان
فضل .. يقل إزاءه شكراني

* * *

يا راقداً خلف الغيوب معانقاً
ما مات من ملأ الزمان مناقباً
في كل ناحية شبيت أئمةً
وبنو الحياة مع الحياة .. يهتمهم
لما يئست من الحياة .. وأهلها
ناديت للربان : ألق شراعنا
وحملت فوق الموج روحاً حالماً
قرآن ربك .. حافظ القرآن
وحبا الحياة مناهل العرفان
تسمو إليها أكبد الظمان
أن يسعدوا بتناول البنيان
وسئمت ما في الدهر من بهتان
يا للحياة تضيق بالإنسان
مُزجت به الأحلام بالأشجان

* * *

أبتي .. وصفوة من عرفت .. وذاكري
إن يقضني حزني عليك فإنما
لكن عزائي فيك أنك مؤمن
أفريت عمرك جاهداً ومجاهداً
حتى غدوت .. وكل يوم مشعل
إن عفتني في محنتي إخواني
قلب الوفاء تغله أحزاني
بالله .. باليوم القريب الداني
في العلم والتقوى وفي الإحسان
وحياتك الفيحاء .. خضر جنان

هذا عزائي فيك يا أملاً ذوى وعزاء نفسي في رضا الرحمن
 ذهب الردى بالأمنيات . . ولم يعد إلا الأسى . . وتجرع الشكلا
 الركب أسرع بالمسير . . ولم يزل قلبي الحزين للوعة النيران
 الحزين الأسيف
 د/ سعد ظلام

شيخ الأزهر

(حياته ومؤلفاته في سطور)

- ولد شيخ الأزهر الراحل في قرية السلام بالشرقية في مايو عام ١٩١٠ والتحق بالأزهر حيث حصل على الشهادة العالية عام ١٩٣٢ وفي نفس العام سافر على نفقته الخاصة إلى فرنسا حيث التحق بجامعة السوربون ودرس فيها علم النفس والاجتماع وتاريخ الأديان وفي عام ١٩٣٧ ضم إلى البعثة الأزهرية بباريس فدرس الدكتوراه وكان موضوعها في التصوف الإسلامي ، ونال عليها درجة الامتياز بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤٠ بعدها عاد إلى مصر وعين مدرسا لعلم النفس بكلية اللغة العربية ، وظل يتنقل في المناصب العلمية حتى وصل إلى عميد كلية أصول الدين عام ١٩٦٤ .
- وفي عام ١٩٦٨ عين أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية ، ثم أصبح
- وكيلا للأزهر عام ١٩٧٠ وفي عام ١٩٧١ اختير وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر ، ثم أصبح شيخاً للأزهر منذ عام ١٩٧٣ .
- وقد سافر فضيلة الإمام الراحل إلى معظم البلاد العربية والإسلامية والأوربية حيث سافر إلى السعودية والكويت وأندونيسيا والباكستان والهند ويوجوسلافيا . . وكان أول شيخ للأزهر يزور الولايات المتحدة الأمريكية ، ويلتقى بالرئيس كارتر في العام الماضي .
- كما اختير أستاذاً زائراً لكثير من الجامعات العربية والإسلامية من بينها تونس وليبيا وجاكارتا وكابول والخرطوم وماليزيا ، كما حضر العديد من المؤتمرات والمهرجانات الإسلامية في البلاد العربية والإسلامية والأوربية ومن بينها المهرجان

فتح المعاهد الأزهرية والاستمرار في المطالبة بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. كما ذكر أحد المقربين إليه أنه أوصى بأن يدفن بجوار سيدى ابن عطاء الله السكندري غير أن الأسرة أصرت على أن يدفن في قريته .

● من آخر قراراته قبل دخوله المستشفى تعميم معاهد القراءات في جميع محافظات الجمهورية باعتبارها تخدم القرآن وتسد حاجة مصر والعالم الإسلامى من القراء ، كما اعتمد أكبر حركة ترقيات في الأزهر شملت نحو ألف من العاملين في الأزهر وقد كانت آخر مذكرة اطلع عليها عن تدعيم المناطق التعليمية والإدارة العامة لشئون القرآن الكريم .

● كان مهتماً في آخر أيامه بمشروع الدستور الإسلامى الذى سيعرض على المؤتمر الدولى التاسع لعلماء المسلمين الذى سينظمه مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة - إن شاء الله - عملاً قريب .

● توفياً للإمام الأكبر الراحل وصلى ركعتين لله قبل الدخول إلى غرفة العمليات وظل يؤدي الصلاة متيمماً من حجر جاف بعد إجراء الجراحة وظل هكذا حتى لحق بالرفيق الأعلى .

الإسلامى الكبير الذى عقد في لندن عام ١٩٧٦ .

● ألف وترجم وحقق العديد من الكتب باللغتين العربية والفرنسية وكان آخر كتبه عن تاج الصوفية أبوبكر الشبلى وقد تسلم النسخ الأولى منه وهو على فراش المرض .

● كما صدر آخر كتاب له مترجم إلى الإنجليزية في الشهر الماضى في لندن عن (عقيدة الإسلام) وكانت مؤلفاته تتجه بصفة عامة نحو التصوف الإسلامى .

● كانت السعودية آخر رحلاته إلى الخارج ، حيث شارك علماء المسلمين في المؤتمر الذى عقدته في الشهر الماضى أمانة المؤتمر الإسلامى بجدة عن تطوير الدعوة الإسلامية وقد قام عقب انتهاء المؤتمر بأداء العمرة وزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم .

● للإمام الراحل ولدان هما الدكتور محمد عبد الحليم وزير مفوض بالخارجية والدكتور منيع مدرس بكلية أصول الدين جامعة الأزهر وثلاث بنات و٢٩ حفيداً .

● ومن وصايا الشيخ التى ظل يطالب بها حتى آخر لحظة في حياته الاستمرار في

إلى السادة راغبى الاشتراكات فى مجلة الأزهر
عليكم الاتصال باشتراكات أخبار اليوم (توزيع الأخبار)
٣ (أ) شارع الصحافة - القاهرة

وفىما يلى قيمة الاشتراك للمجلة لمدة ١٠ أعداد سنوياً

أولاً : جمهورية مصر العربية

١,٥٠٠ (جنية وخمسمائة مليم)

ثانياً : دولة اتحاد البريد العربى الأفريقى :

٢,٧٠٠ (جنيهان و ٧٠٠ مليم) أو أربعة دولارات

ثالثاً : باقى دول العالم :

٨,٧٠٠ (ثمانية جنيهاً و ٧٠٠ مليم) أو ١٣ ثلاثة

عشر دولار تسدد قيمة الاشتراك فى مصر نقداً

أو شيك لأمر اشتراكات مؤسسة أخبار اليوم تسدد

قيمة الاشتراك للدول العربية الأفريقية .

والدول الأجنبية بشيك مصرفى مسحوباً على أحد البنوك

العالمية لأمر اشتراكات مؤسسة أخبار اليوم :

المراسلة على هذا العنوان

توزيع الأخبار ٣ (أ) شارع الصحافة - القاهرة

فهرس العدد

- | صفحة | |
|-----------|--|
| ١٥ - ١ | ١ - الإنسان الكامل فى نظر محمد إقبال
للعلامة أبو الحسن الندوى |
| ٢٦ - ١٦ | ٢ - إلى أين يتجه الإسلام والمسلمون ... ؟
للعلامة أبو الأعلى الموددى |
| ٣٤ - ٢٧ | ٣ - المهجرة وآثارها وأنواعها وأحكامها
للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير |
| ٤٣ - ٣٥ | ٤ - هاكم آية واحدة تبعث الحياة بين المسلمين وتجدد شباب العالم
للأستاذ أحمد حسين |
| ٧٩ - ٤٤ | ٥ - مسلمة بن عبد الملك بن مروان
للواء الركن محمود شيت خطاب |
| ٨٧ - ٨٠ | ٦ - بين الموالاة والمعاداة
للدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة |
| ٩٥ - ٨٨ | ٧ - فى مواجهة الإلحاد المعاصر
للدكتور يحيى هاشم |
| ١٠٦ - ٩٦ | ٨ - منهج المدرسة الإسلامية الأولى
للعلامة محب الدين الخطيب |
| ١١٥ - ١٠٧ | ٩ - عالم أزهرى يدعو إلى السلام العالمى
للدكتور محمد رجب البيوى |

صفحة

- ١٠ - العمل الاقتصاى من وجهة نظر الإسلام
للدكتور رعوف شلبى
١١٦ - ١٣٦
- ١١ - جرير والموالى
للأستاذ السيد حسن قرون
١٣٧ - ١٤٤
- ١٢ - مع رسالة الأدب الصوفى
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى
١٤٥ - ١٥٣
- ١٣ - أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية
للدكتور توفيق محمد شاهين
١٥٤ - ١٦٦
- ١٤ - اليهودية : عقيدة ابتدعوها وتورا حرفوها
للأستاذ زاهر عزب الزغبى
١٦٧ - ١٨٢
- ١٥ - الأزهر جامعاً وجامعة
للأستاذ محمد كمال السيد
١٨٣ - ١٩٤
- ١٦ - الفتاوى
للأستاذ عبد الحميد شاهين
١٩٥ - ١٩٨
- ١٧ - كتاب الشهر : الإسلام دين الجماعة (لارئيس أحمد سيكوتورى)
للدكتور عبد الودود شلبى
١٩٩ - ٢٢٠
- ١٨ - ملف خاص عن حياة الإمام الأكبر المغفور له الدكتور عبد الحليم محمود
التحرير
٢٢١ - ٢٤٧
- ١٩ - القسم الفرنسى
للأستاذ مصطفى جلال الدين
٢٥١ - ٢٦٩
- ٢٠ - القسم الانجليزى
للأستاذ زاهر عزب الزغبى
٢٧٠ - ٣٠٤

sur le respect de la personne humaine et défini par le pacte Kellôg de 1929; "L'exploitation colonialiste internationale, écrivait-il dans la revue **Hespéria** de Zurich, exploitation savante et implacable, n'est pas le déchaînement d'un matérialisme aveugle, c'est **une dépravation calculée** des forces spirituelles authentiques de l'humanité. L'apparente dispute entre les Anglo Américains n'est qu'une comédie; leur solidarité financière profonde, par quoi ils prétendent défendre au Proche Orient et singulièrement en Palestine les religions contre l'URSS, n'est qu'une accélération du suicide moral de la civilisation européenne."

Le pieux chrétien qu'était Louis

Massignon ne voyait plus luire qu'un seul espoir : la possibilité de relancer un nouveau droit international fondé, cette fois, sur des principes islamiques, au premier plan desquels le droit d'hospitalité, affirmé avec tant de force par les textes sacrés juifs et islamiques (et fondamental aussi dans de nombreuses civilisations qui ne connaissent ni la Bible ni le Coran).

Massignon rejoignait ainsi cet appel à une union dans le cadre de l'Islam que nous venons de citer; et cet appel constitue peut être la seule chance de survie de l'héritage spirituel que nous ont légué les siècles passés, héritage menacé, à l'heure actuelle, de destruction totale.

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

ment, en se conformant aux préceptes révélés de sa religion. Sinon, je vous le demande, **à quoi bon faire un monde meilleur**, comme ils disent, **si c'est pour une humanité pire** ? En fait, par beaucoup de ses aspects, cette "civilisation moderne" est une civilisation qui est sortie de ses rails, et son sort tragique est facile à prévoir....

Mais, en cette fin de 20^e siècle, **c'est là le fait nouveau**, cette civilisation risque d'entraîner dans sa perte une grande partie de l'humanité. Et c'est pourquoi nous souhaitons que retentissent partout les Avertissements et le Rappel coraniques, adressés de façon pertinente à tous les peuples qui s'engagent sur la voie d'un matérialisme sans issue.

Serait-il impossible d'élever le niveau de vie des masses humaines qui souffrent actuellement dans leur chair de la faim et de la misère, tout en sauvant les facultés supérieures de l'homme, ses facultés de compréhension et de contemplation des Vérités éternelles, lesquelles peuvent l'aider à se surpasser, à se transformer en développant le meilleur de lui-même pour son salut ou pour sa délivrance ?

A cette question, les Musulmans répondent : Non ! Non, ce n'est pas impossible; citons encore quelques lignes du livre **La Mission civilisatrice de l'Islam**, publié, nous le rappelons, au Caire en 1954 :

"Les progrès de la science positive

mettent à la disposition de l'homme des forces naturelles dont, il y a encore peu de temps, son imagination était incapable de concevoir la puissance, — par exemple l'énergie atomique dont le 20^e siècle, ce géant en science et pygmée en morale, a abusé avec barbarie; ces progrès permettent la destruction rapide de villes et de populations entières par bombardements aériens, et ont développé la crainte de la bombe à hydrogène, capable d'anéantir la civilisation et même l'espèce humaine; d'où la proposition, par certains, d'un gouvernement mondial et de l'abolition des frontières nationales et ethniques, obstacle à l'unité à l'échelle universelle.

Mais est-il possible, demandait l'auteur du livre, de réaliser une telle suggestion, alors qu'une décadence spirituelle générale a conduit à la faillite même la Société des Nations et l'actuelle Organisation des Nations - Unies ?"

Il ajoutait toutefois : "cependant, sous la pression des événements, le monde entier, pour se sauver, cherche à réaliser son unité, sous une forme ou sous une autre." Et il concluait :

"L'orientation spirituelle nécessaire qui manque à la civilisation occidentale, le monde musulman la possède."

A la même époque, Louis Massignon, professeur au Collège de France, la plus haute institution universitaire française, constatait la faillite du Droit international fondé

J'aurais voulu aussi expliquer ce qu'il faut entendre par le primat de l'intelligence dans l'Islam. Le Coran déclare explicitement que le Christianisme est la religion de la Compassion. L'Islam, lui aussi, fait une place de choix à la compassion, puisque chaque musulman évoque perpétuellement, dans ses prières quotidiennes, Dieu sous le nom de Compatissant; le Christianisme met l'accent sur la Compassion, tandis que l'Islam le mettra sur l'Intelligence, non pas l'intelligence utilitaire qui n'est qu'une sorte de fonction biologique, mais sur l'Intelligence Supérieure, celle qui permet à l'homme de s'élever à la connaissance de l'Unité Suprême, à la Transcendance Divine, à la Contemplation, ce que met en évidence la parole fameuse que la Tradition reconnaît avoir été prononcée par le Prophète (Paix sur lui et sur les siens) :

“L'encre de celui qui sait vaut mieux que le sang des Martyrs”

Nous venons d'évoquer ce qui nous semble une des caractéristiques fondamentales de l'Islam; il faudrait une causerie entière pour examiner d'une façon approfondie le Primat de l'Intelligence, et tout ce qu'il implique; mais je me suis promis de vous dire encore quelques mots à propos de la crise de la civilisation moderne et contemporaine, - et ceci afin de dégager l'idée que l'Islam offre actuellement à l'humanité entière sa meilleure chance.

C'est de façon tragique que, dans plusieurs sourates, le Coran évoque les civilisations de nombreux peuples détruits à cause de leur refus d'écouter les Prophètes à eux envoyés : peuple de Thamoud, peuple de Noé, peuple de Loth et combien d'autres... vieux peuples certes, mais non vieilles histoires : chaque fois que j'entends ces versets, je les sais actuels; ces civilisations condamnées pour avoir perdu le sens du Sacré me font penser à cette civilisation contemporaine, essentiellement européenne et américaine, où l'on constate objectivement, et de plus en plus, le refus, conscient ou inconscient, par des millions d'êtres humains, du Sacré...

Ou bien ils se précipitent dans une recherche effrénée du confort matériel, idéal pour lequel, paradoxalement, ils se livrent souvent, pendant des années, à des travaux épuisants et absorbants : leur vraie religion, c'est celle du confort matériel, et cela devient vite la religion de l'Argent, le culte du Veau d'Or.

Ou bien ils espèrent changer le monde où ils se trouvent, mais ce que nous disent des siècles de sagesse et de piété, ce qui est à changer, c'est essentiellement l'homme, ce n'est pas le monde; certes, dans certains cas, il peut être bon de modifier telle institution politique ou économique, - mais à condition de se souvenir que ces transformations ne doivent pas diminuer les possibilités que chaque homme a de s'élever, d'évoluer intérieure-

“dure” pour l’homme de cette **civilisation moderne** qui s’est développée sur-tout en Amérique et en Europe. Idée désagréable, idée inopportune, idée qu’on rejette, idée que l’on proclame au besoin “révoltante”. L’homme s’examinant lui-même, se trouve bon, intelligent, libre ...

“Alors, si Dieu existe, il reconnaîtra mes mérites, il ne peut me punir ...” Un tel homme comprend le Jugement de Dieu d’une façon puérilement anthropomorphique. Il s’imagine dans les arrières-plans brumeux de sa conscience un Dieu qui serait un homme aux facultés supérieures élargies et devenu immortel ... Mais ce n’est pas à tort que les religions nous montrent souvent le “coupable” ou le “méchant” sauvé après repentance, - et celui qui se croyait “sincèrement” bon condamné, condamné pour son aveuglement et les mensonges qu’il se faisait à lui-même. Cet aveuglement se dissipera peut-être dès la mort, et le déchirement devant l’évidence que c’est trop tard, qu’on a jeté ses bonnes cartes et perdu la partie sera peut-être le Feu Brûlant, l’Enfer. Selon la formule coranique, “ses membres mêmes l’accuseront!” Lorsqu’il quittera l’existence, ces quelques dizaines d’années passées entre la naissance et la mort, c’est son essence même, c’est le plus intime de lui-même qui l’accusera, c’est ce patrimoine qu’il aurait dû préserver et faire fruc-

tifier, et qu’il a négligé.

J’aurais voulu pouvoir dire aussi quelques mots sur l’existence dans l’Islam de voies spéciales qu’on groupe parfois sous le nom d’**“ésotérisme islamique”**. Certains fidèles désirent vivre leur religion en appartenant à un groupe qui leur fournit des maîtres, des compagnons d’étude et de développement. L’Islam donc ne condamne pas a priori de tels groupements; il enseigne à les considérer avec prudence, leurs particularismes créant des conditions favorables à des déviations qui peuvent être de différentes sortes; pour ne citer que la plus misérable, l’utilisation, à certains moments, par des puissances colonialistes, de certaines confréries menées par des chefs égarés. Ceci posé, il n’est pas indifférent de connaître leur existence. J’ajoute que dans ces confréries, en général, la soumission à un ou plusieurs maîtres spirituels, l’adoption de règles spéciales, la pratique d’exercices particuliers n’exclut nullement l’exécution des actions que l’Islam déclare obligatoires ou recommandées. Pour le faire comprendre, certains, symbolisant l’ésotérisme par la maison et l’exotérisme par la porte, prononcent la formule coranique suivante :

« وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا »

“Entrez dans les maisons par les portes.”

lui opposant le Bien; aimer son prochain mais du fond du cœur; savoir pardonner, mais aux vrais repentants; savoir s'opposer fermement à la violence. Tuer un innocent est "aussi criminel que de tuer toute l'humanité, mais celui qui sauve une âme a tout autant de mérite que s'il sauvait toute l'humanité..."

La compassion envers tous les êtres, la piété, l'humilité devant Dieu, l'amour et le respect des parents, la pudeur sont aussi des vertus exaltées en termes souvent sublimes dans le Livre Saint.

Mais plus de 80 fois y est répété le mot PATIENCE. Le mot arabe que nous traduisons par patience évoque le courage et la persévérance dans l'effort, l'adversité et le danger. Cette vertu est espérance, elle est charité, elle est foi. Par elle, le Coran nous invite à supporter les maux, les coups du sort, les vicissitudes de la vie, car notre espérance ne peut mourir si notre foi reste vivante; par cette vertu le Coran fortifie ou fait naître au cœur de l'homme une charité qui nous permet de supporter nos semblables, même lorsque l'ignorance ou la méchanceté les possède, que ce soient nos semblables au sein d'une même nation, ou que ce soit au sein de la famille ou des groupes professionnels.

Corrélativement à la Patience, un des traits les plus frappants de la foi islamique est l'absence de barrières entre Dieu et les hommes, entre l'Adoré et les adorateurs.

Comme je le lisais en 1954 dans le livre **La Mission civilisatrice de l'Islam**, de Mohammed Atta: "Le Message du Prophète, déclarant que Dieu est plus près de l'homme que son âme même, mettait ainsifin aux hérésies, aux médiations ecclésiastiques et aux pratiques de ce genre. Le contact étroit entre l'homme et son Créateur, selon l'enseignement de l'Islam, s'établit simplement par la Foi. Chaque Musulman peut facilement se laisser absorber dans l'esprit de l'Islam, en respectant ses commandements, en observant ses préceptes sans astreinte exagérée, sans effort excessif".

CINQUIEME CAUSERIE

Je dois la vérité à mes auditeurs : je me proposais de développer encore quatre points : Jugement dernier, Confréries islamiques, place privilégiée de l'intelligence dans l'Islam et enfin, la crise du monde moderne, quatre questions fort différentes, mais d'importance considérable. Je devrai me borner à les définir rapidement.

J'aurais voulu faire entendre plusieurs passages des nombreuses Sourates qui annoncent l'Événement inévitable, le Grand Tremblement de la Terre, le Jour qui enveloppera tout, le Ciel qui se fracturera, les Etoiles qui se disperseront, ce jour de la Grande Nouvelle, ce jour du Jugement que le Coran évoque si dramatiquement, et tant de fois, et qui est peut-être si proche. Cette idée est souvent

“patriarcal père de famille.”⁽¹⁾

Le jeune homme évoque alors les nombreuses familles iraniennes où l'homme ayant plusieurs femmes consacre son existence à organiser de façon correcte la vie extérieure et la vie intérieure de ses épouses. Celles-ci s'efforcent d'aider leur mari dans ses obligations de vie; par contre, l'euro péenne, en général, dès le jour du mariage, considère son mari comme son “bien personnel”; Et, se croyant assurée de cette propriété, elle consacre toute sa vie intérieure à poursuivre “ce quelque chose qui constitue l'Idéal incertain dont s'éprennent dès l'enfance les demoiselles européennes, grâce à la fameuse éducation imaginée à leur intention, ajoute l'iranien, avec toujours plus de raffinement, par certains écrivains malhonnêtes de là-bas”. Dans les conditions européennes de la vie familiales où, bin souvent, le nombre de femmes dépasse de beaucoup celui des hommes, l'absence de l'institution bienfaisante de la polygamie, conclut-il, “donne lieu à des milliers d'ennuis et d'inconvénients qui pourraient fort bien ne pas exister.”

La polygamie, remarquons-le encore une fois, n'est même pas conseillée par le Coran, et vous vous souvenez des conditions qui y sont attachées. Dans une société musulmane donnée, la proportion

des foyers polygames peut être extrêmement faible (moins de UN pour cent).

Mais cette institution permet à certains hommes et à certaines femmes de vivre une vie normale, alors que l'intolérance des législations monogamiques ne le leur permettrait pas. Or, pour me borner au cas des hommes, certains ont besoin (pour une raison ou pour une autre), à certains moments, ou bien tout au long de leur existence, de plusieurs épouses. Est-il besoin de rappeler qu'y voir débauche ou luxure témoigne d'un esprit superficiel et de l'ignorance des charges que doit assumer le musulman qui a plusieurs femmes?

Ces devoirs qui constituent une éthique conjugale bien définie me donnent l'occasion de rappeler qu'il y a dans le Coran toute une éthique, - que le Livre Saint indique, d'une façon sobre et précise, - bien différente de la plupart des exposés courants de morale religieuse qu'on rencontre en Occident; un certain nombre de “vertus” sont prônées explicitement; on ne peut séparer cette éthique, cet idéal personnel d'un idéal communautaire qui la prolonge, qui s'en dégage naturellement et logiquement; nous sommes obligés de nous borner ici à une énumération un peu sèche, condensant des enseignements disséminés dans les Sourates, notamment 5, 6, 17, 23, 42.

L'homme doit rendre le bien, mais au décuple; chasser le mal, mais en

(1) G.I. Gurdjieff *Récits de Belzébuth* éd. Janus, Paris 1973 (p. 963).

il est fort souvent préférable que l'homme n'ait qu'une épouse, — mais, en certains cas, il peut être bien que l'homme en ait deux, trois ou quatre; il n'y est autorisé que s'il pense être capable de les traiter avec justice. Comprenons bien : une justice rigoureuse est évidemment impossible, mais un effort sincère pour un traitement équitable des épouses est exigé :

“Vous ne pourrez jamais traiter également toutes vos femmes quand bien même vous le désireriez ardemment; mais si vous êtes sur une pente, ne vous laissez pas aller du côté de cette pente : ne laissez pas une autre femme en suspens. Si vous êtes généreux et remplis de la crainte de Dieu, Dieu pardonne dans la Miséricorde.”

Par ailleurs, dans le droit musulman, les formes du mariage sont souples et variées; si le mari a toujours le droit de répudiation, la femme peut se réserver la liberté de rompre son mariage par clause inscrite au contrat, par exemple, au cas où son mari prend une deuxième épouse.

Et, si une tradition pose que de toutes les choses permises, le divorce est celle qui plaît le moins à Dieu, la deuxième des citations que nous allons faire montrera que le Coran n'en reste pas à une attitude négative vis-à-vis des personnes divorcées. D'abord le Livre Saint recommande, en cas de division entre époux, de leur envoyer deux arbitres, un, pris dans la famille du

mari, l'autre, dans celle de la femme. Et, si la réconciliation intervient, Dieu fera régner l'entente entre les époux. Mais:

وَأِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

“Si le divorce est irrévocablement décidé, Dieu entend tout et sait tout.” Et en ce cas:

وَأِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ
وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَلِيمًا .

“Si les époux se séparent, Dieu par sa surabondance comblera chacun d'eux, Dieu est immense et sage”.

La réglementation musulmane du mariage est d'une grande souplesse et peut s'adapter bien mieux que beaucoup d'autres à l'extrême variété des situations et des aspirations individuelles.

Donnons la parole à un écrivain grec contemporain (ou plutôt à un de ses personnages, jeune iranien vivant en Europe depuis plusieurs années); considérant sur le mode plaisant tous les couples assis dans le “Grand Café” où il est installé, il s'exprime ainsi : “si vous remarquez dans les voix de ces hommes et de ces femmes certaines notes gaies, tandis qu'un sourire apparaît sur leur visage, vous pouvez être tout à fait sûrs qu'ils apporteront tous leur soins, s'ils ne l'ont déjà fait, à gratifier leur **“légitime moitié”** de la plus grande et de la plus magnifique **“paire de cornes”**. Tout homme tant soit peu rusé passe ici pour un très honnête mari et un

j'estime nécessaire d'avertir certains auditeurs qui pourraient être dérangés dans leurs habitudes mentales par certaines des vues que nous dégagerons (pourtant à mon avis banales et naturelles); à ceux - là qui pourraient être choqués par quelques - uns des points que je compte aborder, je demande de réfléchir, de ne pas se laisser entraîner par une réaction négative automatique. Et je ne peux mieux faire que de leur demander de faire avant tout un effort de sympathie et de compréhension. Et je prendrai à mon compte ce que répétait souvent un de mes maîtres :

“Le péché contre l'Esprit, le seul péché qui ne puisse être pardonné, c'est de ne pas essayer de faire d'abord un effort pour voir en toute chose, en tout être, le Bien qu'il comporte. Il en comporte toujours”.

QUATRIEME CAUSERIE

Nous commencerons aujourd'hui, — comme nous l'avons annoncé — par les prescriptions coraniques concernant la nourriture, avant tout, la boisson. Certains pays-et non des moindres-sont minés par le fléau de l'alcoolisme; chez les peuples musulmans l'alcoolisme et ses méfaits sont à peu près inconnus : ils ne concernent tout au plus que certains cas individuels.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا .

‘On t’interrogera sur les boissons fermentées et sur les jeux de hasard. Dis-leur : dans l’un comme dans l’autre il y a du mal et des avantages pour les hommes, mais le danger l’emporte sur les avantages.”

Quand on sait les sommes fantastiques que coûtent aux contribuables de grands pays comme la France, ou les Etats-Unis, les conséquences de l'alcoolisme : enfants tarés, adultes malades, fous ou criminels, quand on sait l'impuissance des pouvoirs publics à juguler ce fléau, nous pouvons comprendre la dette de reconnaissance contractée par les pays musulmans envers les quelques versets coraniques qui ont su écarter ce mal de la communauté islamique.

Tout aussi importantes sont les prescriptions relatives à la vie familiale et sexuelle.⁽¹⁾ Sur ce point l'Islam montre une compréhension profonde de la nature humaine; — les occidentaux sympathiques à l'Islam se sont bornés souvent à un aspect particulier, en soulignant que la femme musulmane jouit sur le plan juridique de droits longtemps déniés (ou encore désirés par elles) aux femmes de chez eux. A notre avis, ce n'est pas l'essentiel.

L'Islam est large, compréhensif, tolérant, la nature humaine est complexe et variée, les situations sociales le sont aussi. L'Islam ne condamne ni la monogamie, ni la polygamie;

(1) Je passe sur la question d'hygiène intime, fondamentale pour le musulman.

qui le désire, moi qui me trouve si bien dans mon indolence, ce n'est pas moi qui le souhaite, moi qui me complais dans des rêveries imaginaires et dans la satisfaction de moi-même; c'est la voix du Muezzin qui me réveille, ou l'annonce du Ramadan.

« Bien sûr, dira-t-on, l'habitude peut envahir la Prière et le Jeûne; certes, mais il faut faire l'expérience de la Prière et du Jeûne pour saisir à quel point les deux institutions, face à la masse humaine, contribuent à atténuer les effets pernicioeux de l'habitude. C'est d'ailleurs pourquoi ceux qui veulent simplifier, faciliter ou supprimer Prière et Jeûne meurtrissent le coeur même de l'Islam. Dans les détails rituels ont été fixés des préventifs souvent fort efficaces à l'installation d'habitudes mécaniques. Au hasard, un exemple : la Prière n'est pas valable si elle n'a pas été précédé de l'expression **consci ente de l'intention**.

J'espère avoir mis ainsi en évidence que le Coran est, au sein des masses, un puissant facteur de régulation d'une existence ordonnée vers une vie spirituelle authentique; quand je dis: masses, ceci implique que l'illettré comme l'homme instruit, le balayeur des rues comme le gros commerçant, le cordonnier du coin comme le président du tribunal, chacun peut y trouver l'aide et le ferment pour le développement de ses capacités personnelles. Mais quand je considère

toute une partie du monde actuel, j'ai dû mal à séparer des cinq obligations auxquelles je me proposais de me borner les prescriptions coraniques qui concernent la nourriture d'une part, et surtout d'autre part la vie sexuelle et la famille. Non seulement comme nous venons de le voir, au Croyant menacé par la tyrannie éventuelle de l'estomac, du sexe et du désir de dominer, l'Islam rappelle l'urgence et l'exigence du spirituel, mais encore le Coran donne sur la nourriture et le sexe des prescriptions qui diminuent le danger qu'ils peuvent représenter, — en contribuant à leur donner leur juste place. Encore une fois toute une partie de l'humanité, depuis plus ou moins longtemps, me semble égarée pour avoir totalement oublié ou déformé les enseignements révélés dans la Bible Juive et dans le Coran. Mais avant d'aborder ces prescriptions que l'on appelle souvent particulières parce qu'elles sont moins générales que les cinq obligations fondamentales, je tiens à rappeler qu'au rebours des livres saints brahmaniques le Coran ne donne pas de prescriptions pour les détails infimes de la vie journalière; il ne définit pas non plus un statut précis de la vie politique ou économique mais il définit les bases, les principes sur lesquels peuvent s'édifier des systèmes variés, selon les temps et selon les lieux.

C'est ce que nous verrons au début de la prochaine causerie. Mais

témoignage quotidien de la vitalité de l'Islam et de sa grandeur, le Ramadan en est la consécration annuelle. Prière quotidienne et Ramadan, je l'ai constaté depuis longtemps, et je le constate encore, impressionnent fortement les incroyants les plus endurcis parmi les étrangers qui séjournent en pays musulman. Cela ne provient pas tant, au fond, d'une ferveur et d'une sincérité subjectives chez les individus que de la puissance objective de l'institution établie directement par voie prophétique il y a plus de mille ans. Et si Prière et Jeûne ont éminemment un aspect personnel, ils ont aussi éminemment un aspect communautaire. Un voyageur allemand me disait un jour "L'Islam est avant tout une Religion individualiste"; un de ses amis, peu après, s'exclamait: "Quel sens du collectif dans cette religion !" La vérité, c'est que l'Islam se développe sans contradiction dans ces deux dimensions apparemment contradictoires. Prière et Jeûne sont, sur des plans différents, les pulsations de la communauté musulmane à travers le monde, et de même que dans tous les Pays de la terre les hommes se ruent 2, 3, 4, 5 fois ou plus chaque jour sur la nourriture matérielle, les musulmans se ruent cinq fois par jour sur le pain spirituel.

Je ne veux pas m'attarder aujourd'hui sur l'aumône légale et le Pèlerinage. Ce n'est pas qu'il n'y ait rien à dire. Ces obligations sont

toutes aussi fondamentales que les autres, même si certains sont enclins à penser le contraire. Nous le verrons une autre fois, s'il plaît à Dieu. Il nous faut dégager auparavant le fait que toutes ces obligations, qui ne proviennent pas de la subjectivité de l'individu, mais d'une réalité extérieure, d'une Loi canonique révélée, constituent un **Rappel**.

Que de fois ce mot revient dans le Coran :

(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)

"C'est seulement un Rappel pour l'Univers".

Rappel signifie qu'il y a eu **oubli**. L'homme oublie. L'homme dort, somnole tout au long de son existence; la plupart du temps il agit, il pense comme une mécanique, ballotté au gré d'impulsions extérieures, oubliant l'essentiel.

Dans la sourate 54 revient à intervalles quasi réguliers ce lancinant refrain :

(وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ)

"Nous avons rendu le Coran aisé comme un rappel. Mais y a-t-il quelqu'un pour y réfléchir ?"

Le Rappel est un réveil, ou du moins un effort pour réveiller. Et ce rappel, ce réveil, les institutions musulmanes vous l'administrent, si j'ose risquer cette expression, de façon exemplaire. Ce n'est pas moi

retour sur soi sérieux, à susciter en soi une méditation susceptible de garantir la solidité de l'engagement

que l'homme éclairé prendra vis-à-vis de lui-même.

TROISIEME CAUSERIE

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

“Vous qui croyez, le Jeûne vous est prescrit, comme il a été prescrit à ceux qui vous ont précédés.”

C'est après la profession de foi et la prière, la troisième des obligations fondamentales; nous la définirons brièvement, ainsi que la quatrième et la cinquième.

Chaque année, tous les jours du mois de Ramadan, le Jeûne consiste dans l'abstention de toute nourriture ou boisson et de tout acte sexuel de l'aube au coucher du soleil. Outre ces interdits précis, une orientation religieuse de tous les actes, des sentiments, des pensées est exigée.

La quatrième obligation est l'aumône obligatoire; il s'agit d'un renoncement précis que doivent faire les riches, les gens aisés, et ceux qui ne sont pas indigents. Son produit doit être affecté à des usages bien définis, en premier lieu au soulagement de la misère.

La dernière obligation est le pèlerinage qui doit être accompli au moins une fois dans la vie, pour

peu qu'on en ait matériellement la possibilité. Il consiste à se rendre à une époque précise à la Mecque, et à s'y acquitter de quelques rites, parfois pénibles sur le plan physique.

Ces cinq obligations, simples à exposer, n'exigent point en général des efforts héroïques, mais elles exigent toujours des efforts sérieux; la prière vient chaque jour arracher; et souvent au sens fort de ce mot, — arracher le croyant au train-train de la vie quotidienne, aux sollicitations de l'extérieur, à la douceur du repos, à la chaleur du lit, aux associations d'idées qui tyrannisent la pensée et la mènent, l'arracher aux émotions, aux sentiments divers qui nous assaillent si souvent de toutes parts.

Le Ramadan joue, sur un plan différent, un rôle analogue. On est encore plus arraché, en un sens, à ses habitudes : la vie sociale tout entière est perturbée, selon un mode provisoire; ce dépaysement facilite une mise au point, un retour en arrière et une perspective vers l'avenir, un examen de conscience sur le plan de l'année, d'une de ces quelques dizaines d'années dont se compose votre existence terrestre. Alors, comme la prière est le

La deuxième obligation est ce qu'on appelle souvent en français la Prière; mais comme elle diffère de ce qu'on nomme ainsi couramment dans d'autres religions, on peut l'appeler aussi la Salutation. Voici comme je répondais l'an dernier à une personne qui m'avait écrit pour me demander de lui exprimer de façon très condensée l'essentiel de ce qu'est la Prière musulmane ou Salutation :

Cinq fois par jour le musulman doit arrêter quelques minutes ses activités, ses pensées, ses sentiments pour se rappeler quel est son vrai but, quel est le vrai sens de la vie.

La prière est précédée d'ablutions et de l'expression claire de l'intention consciente qu'a le fidèle d'exécuter cet exercice religieux.

Les détails des gestes et des attitudes de la prière (qu'on ne peut comprendre qu'après l'avoir souvent exécutée) repose sur une connaissance profonde de l'homme et peut prendre des valeurs symboliques précises.

Deux des prières de la journée sont quelque peu différentes des trois autres et sont aussi différentes entre elles.

Des paroles accompagnent les gestes et les attitudes; elles sont prononcées à haute voix ou intérieurement.

A chacune des cinq prières, on récite plusieurs fois la Fatha, la courte sourate initiale du Coran, sur laquelle nous reviendrons, s'il

plaît à Dieu. En attendant, nous définirons au début de la causerie prochaine, les trois autres obligations fondamentales, — puis nous montrerons comment elles peuvent ramener l'ordre, autant qu'il est possible, dans l'existence de chaque musulman (elles le ramènent aussi d'ailleurs, autant qu'il est possible, dans chaque communauté musulmane).

Nous commencerons par l'obligation du Jeûne, c'est pourquoi nous croyons bon de répéter en le traduisant plus littéralement le premier verset sur le Ramadan cité au début de cette causerie, verset où le Coran est défini sous le nom de Distinction ou, si vous voulez, Critère (en tant qu'il nous propose de façon instantane une option décisive) :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ
الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) .

“C'est pendant le mois de Ramadan que le Coran est descendu d'en Haut : **Direction** pour les hommes, **Explication claire** de la Direction et **Critère** du Bon chemin”.

Chaque nouveau Ramadan comme c'est le cas aujourd'hui, réitère cet appel, cette invitation urgente à chercher la Voie Droite, à choisir la juste route après un

Voici donc ces cinq obligations — nous verrons ensuite comment elles pouvant atteindre le but dont nous parlions tout à l'heure : ramener l'ordre, autant qu'il est possible, dans l'existence individuelle de chaque musulman.

La première obligation, c'est de prononcer la formule "Il n'y a de Dieu que Dieu et Mohammed est un Prophète".

Cette profession de foi ne comporte que deux points :

1. L'unicité de Dieu. Il n'y a qu'un Dieu, celui auquel s'adressent toutes les grandes religions révélées, le Dieu d'Abraham, si l'on veut, en se souvenant de l'affirmation coranique :

"Abraham n'était ni un Juif, ni un chrétien."

(مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا) .

2. Mohammed est Prophète — non pas le seul, mais il est un prophète. Beaucoup de non-musulmans qui acceptent le premier point, l'unité de Dieu, resteront en suspens : comment être sûr que Mohammed est bien un Prophète ? Je ne puis développer ici cette question, mais je puis indiquer qu'il peut y avoir des preuves directes et des preuves indirectes — j'en citerai une de chaque sorte :

Pour ceux qui parlent arabe l'audition ou la lecture du Coran

produit fréquemment, à plus ou moins longue échéance, la conviction qu'il est une révélation véridique venue d'en haut, et ceci entraîne directement l'évidence que Mohammed véhicule du Coran, est un Prophète. Un exemple de preuve indirecte, maintenant : elle consiste dans la constatation que l'on peut être amené à faire de l'excellence des prescriptions ou des enseignements de l'Islam, constatation qui peut se faire d'abord dans un domaine précis et limité, puis s'étendre de plus en plus jusqu'à devenir évidence et amener en conséquence, la conviction de la mission prophétique de Mohammed.

Notons encore une fois l'extrême simplicité de cette affirmation fondamentale sur Dieu. **Dieu est Un.** C'est cette extrême simplicité qui fait peut-être l'extrême puissance de l'Islam. Dieu ainsi affirmé, c'est la reconnaissance de la transcendence divine. Il suffit de cette profession de foi, d'ailleurs, pour être musulman. Comme le dit excellemment un écrivain que j'ai déjà cité : "Si l'Islam voulait enseigner exclusivement qu'il n'y a qu'un Dieu et non pas deux ou plusieurs Dieux, il n'aurait aucune force de persuasion. La fougue persuasive qu'il possède en fait vient de ce qu'il enseigne au fond (par l'unité de Dieu) la réalité de l'Absolu et la dépendance de toutes choses à l'égard de l'Absolu."⁽¹⁾

(1) F. Schuon, livre cité.

Buvez et mangez, mais avec sobriété”.

En ce qui concerne l'orgueil et le désir de dominer, l'Islam proclame qu'il ne faut pas plus être leur esclave que l'esclave de certaines formes d'humilité et de faiblesse. Certes l'Islam signifie soumission, donc humilité devant les décrets de Dieu, et certes comme le dit le Coran :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

“Dieu n'aime pas les oppresseurs”.

Mais par ailleurs une parole sainte est :

“Dieu n'aime pas les faibles”.

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» .

Il faut entendre par là que l'Islam est viril, qu'il exalte l'énergie et la force de caractère; on passe souvent sur la parole du Christ : “Je suis venu apporter non la paix, mais l'épée”. L'Islam proclame ouvertement le devoir de juste guerre, l'Islam brandit l'épée, mais ce devoir de juste guerre, c'est essentiellement ce que le Prophète — Paix sur lui et sur les siens — appelait la Grande Guerre Sainte, la guerre que chacun devrait mener en lui-même contre les puissances inférieures aveugles, “matérialistes, impérialistes”, qui veulent prendre le commandement de chacun de nous.

Cet appel à l'énergie, à la lutte ne concerne pas que la vie intérieure; le musulman doit lutter aussi pour la défense des justes causes et des principes éternels. Cette doctrine, qui ressort des textes sacrés de l'Islam et de l'exemple donné tout au long de sa vie par le Prophète, pourrait se rencontrer dans tel ou tel texte de telle ou telle autre grande religion, christianisme, brahmanisme. Mais il ne s'agit pas pour nous de recherche érudite. Une religion s'adresse à la masse humaine et ce qui m'importe, c'est que les institutions de l'Islam se révèlent capables de faire vivre actuellement cette doctrine, et de vivifier ainsi, au 20^e siècle, l'existence de centaines de millions d'hommes. Et si elles en sont capables c'est d'abord parce que les cinq obligations fondamentales de l'Islam, les cinq piliers, sont admirablement adaptées à ce rôle, de nos jours comme elles l'étaient déjà du temps du Prophète.

Avant d'évoquer ces obligations fondamentales, soulignons que leur nature et leur petit nombre éliminent les dogmes compliqués, sujets à discussion, qui risqueraient d'être pour les croyants une cause de disputes et d'incompréhension, et qui risqueraient donc de les égarer sur les chemins éloignés des vrais problèmes et des questions sérieuses fondamentales. Nous verrons aussi que rien dans ces cinq piliers n'implique en aucune façon l'existence d'un clergé, d'une “église” constituée.

qu'une vie humaine puisse être ordonnée.

Qu'est-ce que j'appelle ordre et désordre ? il y a ordre quand le supérieur régit l'inférieur tout en le respectant, sans l'opprimer donc, — en le respectant, disais-je, parce qu'il a ses raisons d'exister, — bref en s'efforçant de lui donner sa juste place.

L'homme est sans cesse sollicité par la nourriture, par le sexe, par l'orgueil et par le désir de dominer, — par l'argent enfin qui constitue un moyen pour satisfaire les impulsions que nous venons d'énumérer. Celles-ci, la plupart du temps, étouffent, plus ou moins complètement les aspirations supérieures de l'être. Ces impulsions, nourriture, sexe, etc. ne sont pas mauvaises en elles-mêmes, mais parce qu'elles dévient très fréquemment de leur rôle propre, parce qu'elles ne sont pas maintenues dans les justes limites; la nourriture est une bonne chose, le sexe aussi; il y a un juste emploi de l'énergie qui suscite l'orgueil et le désir de dominer. Le jeûne du Ramadan, occasion de ces causeries, nous rappelle fort justement que nourriture et sexe doivent être domptés sévèrement. (puisque durant le jour nous leur tenons la bride), mais qu'il ne faut ni les supprimer ni les opprimer, (puisque la nuit nous leur lâchons la bride, que nous retiendrons dès l'aurore). Saisissons cette occasion pour citer quelques fragments coraniques à propos du

Ramadan :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ
الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) .

“Le mois de Ramadan est celui pendant lequel le Coran a été révélé **pour indiquer avec toutes les précisions désirables** le bon chemin aux hommes...”

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ
مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى
اللَّيْلِ) .

“Mangez et buvez jusqu'à ce que vous puissiez distinguer à l'aube un fil blanc d'un fil noir, jeûnez alors strictement jusqu'à la nuit !.”

(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ
إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ
لِبَاسٌ لَّهُنَّ) .

“Il vous est permis pendant la nuit du jeûne de vous unir à vos femmes. Elles sont pour vous un vêtement comme vous en êtes un pour elles.”

Et, en dehors du Jeûne, le Saint Coran nous le dit encore : “Il ne faut pas négliger la part qui vous revient des biens de ce monde.

“concret” a de la valeur, il ne saurait ni s'accommoder d'une attitude fausse (celle qui consiste à rejeter toute doctrine) ni être tout à fait nouveau : il y a toujours eu des religions et des doctrines, ce qui prouve que leur existence est dans la nature de l'homme; depuis des millénaires, les meilleurs des hommes, que nous ne pouvons mépriser sans nous rendre méprisables, ont promulgué et répandu des doctrines, et ont vécu selon elles, ou sont morts pour elles.

Le mal n'est certes pas dans l'hypothétique vanité de toute doctrine, mais uniquement dans le fait que trop d'hommes ou bien n'ont pas suivi (ou ne suivent pas) des doctrines vraies ou bien au contraire ont suivi (ou suivent) des doctrines fausses; que les cerveaux ont été exaspérés et les coeurs déçus par trop de théories inconsistantes et trompeuses; qu'une erreur in-

nombrable, bavarde et pernicieuse, a jeté le discrédit sur la vérité, qui, elle aussi, s'énonce forcément par des mots et qui est toujours là, mais que nul ne regarde. Trop de gens ne savent même plus ce que c'est qu'une idée, ce qu'est sa valeur ou son rôle; ils sont loin de se douter qu'il y a toujours eu des théories parfaites et définitives, donc pleinement adéquates et efficaces sur leur plan, et qu'il n'y a rien à ajouter aux anciens sages, si ce n'est notre effort de les comprendre. Si nous sommes des êtres humains, nous nous choisissons une doctrine; la lassitude, le manque d'imagination et l'orgueil infantile d'une jeunesse désabusée et matérialiste n'y changeront rien. Si c'est la science moderne qui a créé les conditions anormales et décevantes dont souffre la jeunesse, c'est que cette science est elle-même anormale et décevante⁽¹⁾”.

DEUXIEME CAUSERIE

Dans ma précédente causerie, j'ai cité un texte qui évoquait le désarroi intellectuel de la majeure partie de l'Occident contemporain. Le trouble et le désordre dans les idées, le manque de confiance dans ce qui se présente comme une doctrine, l'ignorance même de ce que c'est qu'une idée, de ce que c'est qu'une doctrine, tout ce à quoi nous faisons allusion se transpose aisément sur le plan de la

vie personnelle et de la vie quotidienne.

En effet le désordre s'est installé dans l'existence de la plupart des gens : on a perdu confiance même dans l'espoir et la possibilité d'une vie ordonnée; c'est même chose commune que l'ignorance du fait

(1) Frithjof Schuon **Pour comprendre l'Islam** éd. Gallinard, Paris, 1961 (p. 152).

qui reconnaissent ces deux bases fondamentales, ne sont, chacune, que la vraie Religion, embarrassée d'exagérations, de déviations et obscurcie par l'esprit de rivalité.

Le musulman doit se soumettre à cette vérité; Islam signifie pacification, soumission : soumission à une vérité que le croyant atteste solennellement : l'existence d'une Réalité Suprême : Dieu, attestation clamée dans l'histoire de l'humanité par de nombreux prophètes, dont Mohammed est le Dernier, celui dont l'enseignement n'a plus besoin d'être complété. C'est la **chahada**, la "profession de foi" musulmane,, :

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)
 . (اللَّهُ)

"Il n'y a pas d'autre dieu que Dieu et Mohammed est un Prophète."

Cette tendance essentielle de l'Islam à l'universalisme entraîne logiquement la condamnation des sectes et de l'esprit sectaire :

(وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
 الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) .

"Ne vous divisez pas en sectes."

(مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
 شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)

"Une secte ne se prévaut que des produits de sa fantaisie".

Mais l'opposition aux sectes ne doit pas se faire par la violence :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) .

"Pas de contrainte, en religion !"

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا
 بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا
 مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا
 وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُكُمْ وَاحِدٌ
 وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) .

"Si vous discutez avec les gens des autres Ecritures, ne le faites qu'avec douceur, sauf s'ils sont injustes. Dites - leur : Nous croyons tout autant à ce qui vous a été Révélé. Notre Dieu et votre Dieu, c'est le même et nous lui sommes soumis".

Permettez - moi une digression. Certains de ceux qui m'écoutent se disent: tout ceci est bien beau, mais cela ne nous intéresse pas — la religion est une chose périmée. Je voudrais leur lire un texte qui vient de me tomber sous les yeux :

"On dit qu'une grande partie de la jeunesse actuelle ne veut plus entendre parler ni de religion, in de philosophie, ni d'une doctrine quelconque, qu'elle a le sentiment que tout cela est épuisé et compromis, et qu'elle n'est sensible qu'à du "concret" et du "vécu", voire du "neuf". La réponse à cette déformation mentale est simple : si le

je formulerais une traduction, plus ou moins approximative, la traduction exacte du texte saint n'étant point humainement possible. Je ne puis résister au désir de citer à ce propos quelques lignes émouvantes extraites d'un petit livre de l'orientaliste Rissler sur la **Civilisation arabe** :

"Le Coran doit être lu et débité à haute voix. Aucune traduction ne peut rendre ses nuances. Il faut l'entendre dans le texte original pour en apprécier la force et la beauté aussi bien que la noblesse de la forme. Sa prose rythmée et assonancée dégage par elle-même un charme pénétrant, tellement les images et les idées resplendent de chaleur et d'éclat. Nul ne saurait nier que son pouvoir d'incantation et son élévation spirituelle contribuent à donner l'impression que Mohammed fut illuminé par la Splendeur et la Majesté de Dieu."

Voici maintenant les citations annoncées, d'où se dégage avec force l'idée que la Révélation divine est descendue maintes et maintes fois sur les communautés humaines :

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) .

"Mohammed n'est qu'un prophète; avant lui d'autres prophètes ont passé".

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا

إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ) .

"Nous t'avons donné la Révélation, comme nous l'avons donnée à Noé et aux Prophètes qui l'ont suivi, comme nous l'avons donné à Abraham, à Ismaël, à Isaac, à Jacob, à Jésus, à Job, à Jonas, à Aaron, à Salomon . . ."

(وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ
قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) .

"Il y a eu des Envoyés dont nous t'avons déjà parlé auparavant; il y en a eu d'autres dont nous ne t'avons rien dit . . ."

L'Islam ne se présente donc point comme une religion nouvelle, au rebours de tant d'autres religions, mais comme la Religion, dont dérivent (par sectarisme et par déviations) de nombreuses confessions qui sont en concurrence sur la planète. En un sens tout homme qui naît naît musulman, et c'est ensuite que, par un rite ou par un autre, il devient membre d'une religion particulière. Il n'y a qu'une Religion, la Religion immuable, la Religion naturelle (en ce sens qu'elle est conforme à la nature de l'homme). L'amour agissant, la charité en oeuvre en est une base fondamentale, de même que l'adoration de Dieu, qui est indispensable à l'homme et l'élève vers la connaissance. Les religions diverses,

(1) Editions Payot.

REVUE DE L'AZHAR

Section française

POLES D'ATTRACTION DE L'ISLAM UNIVERSEL

par Moustafa Djellal-el-Dine Daumal

PREMIERE CAUSERIE

Au cours des deux derniers siècles l'impérialisme, les révolutions, les guerres généralisées, le colonialisme ont bouleversé le monde. Rares sont les régions, rares sont les communautés humaines qui n'ont pas été touchées. Que devient, dans ce trouble quasi général, la Religion ? Dans les pays les plus divers de nombreux esprits (et je pense aussi bien à ceux qui assument de hautes responsabilités qu'aux gens les plus simples) ont été et sont encore en désarroi; je pense surtout à ceux qui ont des aspirations religieuses, mais sont déçus par les croyances et les pratiques qu'ils connaissent ou qu'ils rencontrent autour d'eux; ils ne peuvent les accepter; ils cherchent, un certain temps, à savoir s'il existe d'autres pistes, d'autres chemins; souvent, tels des voyageurs égarés, sans cartes, sans boussole, ils se lassent et renoncent. A ces chercheurs de vérité, à ces hommes et femmes de bonne foi j'ai souvent déploré qu'on ne présentât point une image simple et juste de l'Islam. C'est une telle image que, dans la mesure de mes faibles moyens et dans le cadre de ces quelques causeries, je vou-

drais essayer d'offrir ici; je consacrerai la première à quelques aspects de l'universalité de l'Islam.

Dans mon enfance, j'avais appris l'existence de diverses religions; cette diversité m'intéressa; je lus beaucoup, et surtout les différentes Ecritures Saintes; j'en vins à la pensée que, par delà les différences extérieures que présentent les grandes religions de la terre, des éléments communs fondamentaux les unissent. Je constatai d'ailleurs que beaucoup de gens autour de moi pensaient de même, la plupart du temps sans aller plus loin.

Cette idée qu'une même Tradition primordiale s'est manifestée à de nombreuses reprises, sous des aspects très différents, dans l'histoire de l'humanité, cette idée je la trouvai dans les religions de l'Inde, dans St. Augustin même; mais c'est dans le Saint Coran que je la vois le plus clairement et le plus précisément exprimée; comme toujours par la suite, par un respect élémentaire du texte du Coran, je donnerai d'abord la citation que je veux faire en arabe, littéralement, puis

punishments, would stand highly among the greatest acts of Jihad.

And, to stress the point once again, it is natural for a nation with such a role and a way of life, as prescribed by God, to uphold Jihad in its highest levels as a sacred, God — imposed duty, ranking up in weight with prayers

and regular charity.

“Fighting (in the cause of Truth) is prescribed for you, and ye dislike it. But it is possible that ye dislike a thing which is good for you, and that ye love a thing which is bad for you. But God knoweth, and ye know not.”

(Holy Quran, Sura II. 216)

Hussein A. El-Elaimy

O God, our help in ages past,
Our hope for years come,
Our shelter from the stormy blast;
And our eternal home

In Islam, Jihad stands out as an original and important element. It is the positive means of suppressing evil, whether self — inspired or externally induced. It follows that Jihad is an ever — activated and endless process, so long as good and evil shall be going abreast in human life, and so long as Islam stands out as the infinite Good and Truth. To this fact the prophetic hadith points out by saying :

“Jihad is ceaselessly going on until the Day of Resurrection.”

Let not anyone think that Jihad is limited only to war and fighting. The military activity is but one of the many aspects Jihad may take. And although it is the highest and most noticeable in rank and importance, military Jihad is the last of all possibilities to be considered for implementation. This fact has been attested to very clearly during the history of the prophetic call.

For thirteen years, the Prophet and his companions stayed in Meca performing, as we shall later point out in more detail, all sorts of Jihad. The Meccan period witnessed the Prophet and his companions suffering all types of persecution, offense and falsehood. Yet they went on, patiently enduring, forgivingly bearing, and peacefully inviting people to Islam. Almost fifteen years had elapsed in such terrific suffering and endurance before the first Muslim sword was taken out of sheath.

Logical sequence of events, also, certifies that self — reform and self — purification are prerequisites for assuming the responsibilities of military struggle. Prior to assuming their leading role, social reformers must at first be self — reformed.

In studying Islam, one can easily note that Jihad is the intended context and purpose of all Islamic worship, ethics, rules, directions and laws. Praying, fasting, pilgrimage, regular charity, abiding by truth, righteousness, patient perseverance, forgiveness, generosity, obedience in whatever is right, repentance, self — observance, purity, satisfaction, loyalty, self — respect and refraining from the opposites of those qualities are some forms of Jihad centered mainly around one's own self.

Engaging whatever is right, forbidding whatever is wrong, calling for the good of society, providing advice to Muslim caretakers and declaring truth before the unjust ruler are also among the noblest acts of Jihad.

Prophet Muhammad (God's peace and prayers be upon him) said : “The noblest of Jihad is a statement of truth spoken out before an unjust ruler.”

God's religion defines the ways by which to fend off corruption, criminal behavior and deviation. Therefore, upholding and applying the religion of God, whether in worships, worldly dealings or legal

pletion. And so Prophet Muhammad (God's peace and prayers be upon him) was sent to all mankind.

"We have not sent thee but as a universal (Messenger) to men, giving them glad tidings and warning them (against sin)."

(*Holy Quran, Sura XXXIV, 28*)

To him was revealed the everlasting Book, the Holy Quran, which provided an undisputable sign of Muhammad's prophethood and guaranteed happiness for all mankind, both in this life and in the hereafter. God Himself has promised to keep Quran from corruption or distortion.

"We have, without doubt, sent down the message; and

We will assuredly guard it (from corruption)."

(*Holy Quran, Sura XV, 9*)

With Islam God has abrogated all preceding messages. And thus He declared it, thundering and straightforward, that :

"The religion before God is Islam."

(*Holy Quran, Sura III, 19*)

"If anyone desires a religion other than Islam, never will it be accepted of him."

(*Holy Quran, Sura III, 85*)

God has invested the Muslims with the responsibility of guiding and directing all other nations and leading them to the True Religion.

With the illuminating guidance of the Quran, Muslims are entrusted by God to lead mankind out of the depths of darkness to light.

"Ye are the best people, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong, and believing in God."

(*Holy Quran, Sura III, 110*)

It is therefore natural, rather inevitable, for a people entrusted with such a role and responsibility to advocate Jihad as a way of life. A message as such cannot be carried out except by Mujahids. They are the only ones capable of standing up to the requirements of that message. It is for this choosy nomination that God commands the Muslims to take up Jihad. They are responsible for promulgating God's call and disseminating it to every part of the world. In carrying out this mission, they are entitled to become God's witnesses who would testify that God's call has been brought up to all peoples.

"And strive (Ye who believe) in His cause as ye ought to strive (with sincerity and under discipline). He has chosen you, and has imposed no difficulties upon you in religion; it is the cult of your father Abraham. It is He who has named you Muslims, both before and in this (Revelation); that the Apostle may be a witness for you, and ye be witnesses for mankind !"

(*Holy Quran, Sura XXII, 78*)

THE CONCEPT OF JIHAD IN ISLAM

By

MAJOR HUSSEIN AHMED EL-ELAIMY

For mankind, the whole universe was created by ALLAH, the Great Almighty.

“And He has subjected to you, as from Him, all that is in the Heavens and on earth.”

(Holy Quran, Sura XLV, 13)

Man, in his turn, was created for the purpose of serving God and worshipping Him.

“I have only created Jinns and men that they may serve Me.”

(Holy Quran, Sura LI 53)

ALLAH has not created people to go astray in life, guessing at the unknown. Nor has He created them to let them strike haphazardly and aimlessly in the course of life. But He has provided them with a light of His own. He has revealed His messages to usher men into the facts of the unknown and the goal of their life on earth. Through God's messages, men get to organize the details of their lives and their interrelations with one another.

It is thus obvious that ALLAH, the Elevated Almighty, has guaranteed for mankind both the material and spiritual essentials of their existence; the former as being ma-

nifested in subjecting the universe for the benefit of men, and the latter in God's messages of guidance and order.

God's messages to mankind have been revealed one after the other. When a message was obliterated by the people to whom it had been directed, another message was soon to follow. God's⁽¹⁾ apostles also came one after the other, guiding people to the path of God where, by following, man would be a worshipper of God alone and free of any other form of submission.

Yet all those messages were rather „national” and “temporary”. In other words, every apostle was sent to his own people in particular.

“We did indeed send, before thee, apostles to their (respective) peoples.”

(Holy Quran, Sura XXX, 47)

“And there never was a people without a warner having lived among them (In the past).”

(Holy Quran, Sura XXXV, 24)

Such was the case, that is, every apostle was sent to his own people, until it was time for mankind to reach maturity and for God's messages to reach conclusion and com-

(1) God = ALLAH

Glorious Throne”.

This is reported in another Tradition;

“There is no God save Him, the Patient, the Beneficient, Lord of the seven Heavens and God of the Tremendous Throne. There is no God save thee, the Almighty and sublime”.

It is stated in another Tradition that the Prophet has said “Allah is sufficient for us ! most excellent is He, in whom we trust. There is no power or might except by the will of Him, The Wise, The strong. We depend upon Him and resort to Him for help”.

The Prophet has said, “We all are protected against evil by God, The Alive, The Eternal, who never dies. There is no might except that of Him, The Sublime, The Tremendous”.

And he says, “O God, The Benovelent, whose benovelence is above all benovelence, the Owner of Heaven and Earth, the Alive The Eternal, The Dignified, The Exalted who is capable and who grant us health and security in general”.

These prayers have a definite effect and were tried successfully.

CONCLUSION

God has likend striving in the cause of Truth and Justice which means striving in the cause of Allah, to a successful trade.

God sayeth.

“O ⁽¹⁾ ye who believe shall I show you a commerce that will save you from a painful doom ?

Ye should believe in Allah and His Messenger, and should strive for the cause of Allah with your wealth and lives. That is better for you if ye did but know. He will forgive you your sins and bring you unto Gardens underneath which rivers flow, and pleasant dwellings in the Garden of Eden. That is the supreme triumph”.

Abd-ul-Halim Mahmoud

(1) The Ranks 10 — 12.

Book — Revealer, the clouds — Mover and the parties — Defeater; defeat them, and help us to triumph over them'. In another Tradition he has said, „O God, the Book — Revealer and the quick judge vanquish and shake them'.

It is reported upon the authority of the two "Sahihs" after Anas, God be pleased with him, that when Kheiber saw Mohammed, The Messenger, they said, Mohammed and his army" and took refuge in the fort.

So the Prophet Mohammed raised his hands and said "O Greatest Lord, may Kheiber go to ruin. If we are engaged in a fight with the enemy, may those who warned us have a bad time".

It is reported on the genuine authority in Abi Dawood's "Mosnad" after Sahl Ibn Saad, God be pleased with him, The Prophet has said "Two things cannot be rejected : pleading during prayer, and pleading during hardship while fighting in close contact.

It is reported in Sunan Abi Dawood and Eltirmizy and Elnisai, after Anas, God be pleased with him, that the Prophet, God bless him used to say when fighting "O God! my supporter, my helper, I struggle and fight with your support;,".

It is reported on the authentic authority of "Abi Dawood" and "Elnesai" after Abi Mousa Elashary, God be pleased with him, that when the Prophet fights a

nation he says, "God : We appeal to thee to protect us from them.

It is reported on the authority of Ibn El Sawmi after Gaber Ibn Abdullah, God be pleased with them, that the Prophet, God bless him, has said on Hunyn's Day, Do not long for meeting the enemy, as you do not know what affliction will befall you, and if you meet the enemy recite the following :

O Lord, thou are our God and their, our hearts and theirs are yours. It is you God, who will defeat them'.

It is reported upon the authority of Ibn Elsonni after Anas, God be pleased with him, he said "we were with the Prophet, God bless him, during fight and heard him saying O Lord, owner of the Judgement — day, Thee alone we worship, Thee alone we ask for Help". Then the enemies were seen falling dead; they were hit by Angels in front and from behind.

It is reported that El Imam El-Shafi has said., That the Prophet God bless him, has said, Ask God to Grant your request when you fight, when you pray to God and when it is raining'.

Here is a prayer, it was mentioned before, it is written in the two "Sahihs" : "Allah, there is no God save Him, the Almighty, the Patient, there is no God save Him, the Great Lord of The Throne, there is no God save Him, Lord of Heavens and Earth, Lord of the

PRAYER

The Prophet, may God bless him, was controlling firmly the material matters that concern striving for the cause of God. He and the strivers, used to pray and implore God to fulfil His Promise. Here we note some of the Messenger's Prayer, and what he was teaching his companions to recite before and during the battle.

Here in this chapter we refer to what El Imam El Nawawi has said in his blessed book, "Alazhar".

God sayeth,⁽¹⁾ "Oh ye who believed ! when ye meet an army, hold firm and think of Allah much, that ye may be successful, and obey Allah and His Messenger, and dispute not one with another lest you falter and your strength depart from you ! But be steadfast : Lo ! Allah is with the steadfast. Be not as those who came forth from their dwellings of carelessly for mere pretence, and todebar men from the way of Allah, . . . ,".

Learned men have said that this glorious context includes much of the battle manners.

It is reported in the two "Sahihs" after Ibn Abbas that the prophet has said, while staying in his hermitage, "O God ! I adore you to keep your Promise and pledge (to support us) otherwise you will not be worshipped.

Then Abou Bakr, God may bless him, took the Prophet by the hand and said, "Enough O Messenger of God, you have persisted upon God" then he went on saying, "they, all will be defeated and turn tail, the day of doom will be their destination, that day will be a bad and a bitter day.

This is reported after "Elbukhari"! at Badr-Battle.

It is reported on the authority of "Moslem" that the Prophet, May God bless him, turned his face towards "Elkiblah" extending his hands, and called God saying :

"O Lord, fulfil your promise, if that faithful group perish, there will be no believer to worship you on earth.

He continued calling God with extended hands, till his gown fell down.

It is reported in the two "Sahihs", after Abdullah Ibn Abi Awfa, that the Messenger, God bless him, on one of those days when he was engaged with the enemy in fight waited till the sun had set, stood and addressed the people saying :

"O people, do not long for meeting the enemy, and beg God to save you from all misfortunes and if you meet the enemy, be steadfast, and learn that Paradise is under the shadows of the swords".

Then he said; "O God, the

(1) Sûrah. The spoils of war 45, 46, 47.

It is reported on the authority of "Moslem" after Gaber, God bless him, that a man asked the Prophet Mohamed saying :

"Whe is my place, Messenger of Allah, after being killed in the cause of God ?"

The Prophet answered "In Paradise".

The man threw the dates he was keeping in his hand, and engaged himself in the fight until he was slain.

(1) God sayeth, „Let those fight in The way of Allah who sell the life of this world for the other. Who so fighteth in the way of Allah be he slain or be victorious, on him we shall bestow a vast reward".

God sayeth. (2) "And call not those who are slain in the way of Allah "dead" Nay, they are living, only ye perceive not".

The martyr is happy, because he was killed in the cause of God :

It is reported that Ibn Kathir has said; when the Messenger of God saw that Gaber Ibn Abdulla was concerned about his father's death as a martyr in the battle of Badr, he comforted him saying "Don't you want to know what God has said to your father ?"

Gaber answered in the affirmative.

"God has never spoken to anyone while being seen, but he revealed himself to your father. „The Messenger has said.

God sayeth, „I shall grant you anything if you but ask."

He answered, "I beg Thee to restore me to life, to be slain again in your cause".

God sayeth "Those who die never come back to earth, as I have said before".

He said, "Let them (the living) know the happiness and prosperity which the martyr enjoys in Paradise".

God sayeth, "think not those who are slain in the way of Allah as dead, Nay they are living with their Lord they have provision. Jubilant (are they) because of that which Allah hath bestowed upon them of his bounty. Rejoicing for the sake of those who have not joined them but are left behind that there shall no fear come upon them, neither shall they grieve. They rejoice because of favour from Allah and kindness, and the Allah wasteth not the wage of the believers".

On the authority of Elnisa'i El-turmithy and Ibn Mageh are reported to have said : The martyr is so happy for striving in the cause of God that he wishes to be restored to life to be a martyr once more.

(1) Sûrah. "The woman" 77.

(2) The Cow 154.

That had taken place during Huneyn Battle.

God has described the situation eloquently, He sayeth.

"Allah hath given you victory⁽¹⁾ on many fields and on the day of Huneyn when you exulted in your multitudes, but it availed you naught, and the earth vast as it is, was traitened for you ! then you

turned back in flight, then Allah sent his peace and reassurance down upon His messenger and upon the believers, and sent down hosts ye could not see, and punished those who disbelieved, such is the reward of disbelievers. Then afterwards, Allah will relent towards whom He will; for Allah is forgiving Merciful."

THE MARTYR

How he is appreciated by God

The martyr is greatly estimated by God, His place is illustrated by genuine traditions and texts from The Koran.

Haretha Ibn Soraka was martyred in Badr-Battle. His mother, daughter of Albaraa, came to the Messenger of God and said, "O messenger of God, will you not tell me anything about haretha ? If he is in Paradise, I shall be steadfast, and if not I shall weep and lament him".

Then the Prophet; God may bless him answered "Mother of Haretha, there are many gardens in Paradise and your son has reached the highest one.

It is reported upon the authority of the 2 "sahih" after Anas, that the prophet God may bless

him, has said "No one enters Paradise and wished to return to earth except the Martyr".

The Martyr wishes to come back to earth to be killed scores of times (in the cause of striving) because he will be rewarded by Him. This is reported about the merit of martyrdom by Gaber son of Abdallah, may God bless him "My father was brought and placed before The Prophet, he was disfigured. I tried to uncover his face, but my people forbade me. Then a wailful voice was heard ? it might be the voice of Amre's daughter or that of his sister.

The Messenger has said,⁽¹⁾ "Why do you weep ? you must not do, the Angels are shading him with their wings."

(1) Sûrah. Repentance 25 — 27.

(1) Reported upon the Authority of "The Bokhari and Muslim".

or physical pleasures, but it was meant for striving in the cause of God and His Messenger. Such strife aims at the revelation and promotion of Allah's word (Religion).

The word of Allah is truth, justice, mercy, fraternity and universal peace. Regarding the individual, the word of Allah means the security of man's life, blood, wealth and honour. Regarding the nation, the word of God means 'its dignity, pride and all that is sacred.

"Those⁽¹⁾ who believe do battle for the cause of Allah".

Spiritual mobilisations is capable of making a nation, in its strife, as strong as a solid structure.

Hence comes the fourth step which is planned for by the Koran, in the way of triumph.

„Lo !⁽²⁾ Allah loveth those who battle for his cause in ranks, as if they were a solid structure.

"And dispute not one⁽³⁾ with another lest ye falter and your strength depart from you, but be steadfast ! Lo ! Allah is with the steadfast".

If evil thoughts of dispute or disagreement are suggested by the devil, or if the heart feels a tendency towards separation or discord, the way of adjusting those differences is clearly laid out.

"And hold fast,⁽¹⁾ all of you together, to the cable of Allah, and do not separate".

If evil thoughts of dispute or disagreement are suggested by the devil, or if the heart feels tendency towards separation or discord, the way of adjusting those differences is clearly laid out.

"And if ye have a dispute concerning⁽²⁾ any matter, refer it to Allah and the messenger, if ye are (in truth) believers in Allah and the last Day. That is better and more seemly in the end".

The nation that helps God, through striving for his cause, and following the true principles of religion is promised triumph from Him, who never breaks His promise.

"If ye help Allah,⁽³⁾ He will help you and will make your foothold firm "

"Verily Allah helpeth one⁽⁴⁾ who helpeth Him Lo ! Allah is strong, Almighty".

The last stage is to have confidence in God, recompense Him, depend upon Him and not up on material power or anything else.

Moslems were given a severe lesson by God, when they depended only upon their power, multitudes and arms and said, "We shall not be vanquished today by a minority".

(1) Sûrah. The women 78.

(2) Sûrah. The Ranks.

(3) Sûrah. The Spoils of war 46.

(1) Sûrah. The Family of Imran 103.

(2) Sûrah. The women 59.

(3) Sûrah. Mohamed 7.

(4) Sûrah. Pilgrimage 50.

Day, and whose hearts feel doubt, son in their doubt they waver".

The existence, of those who have no faith, amidst the strivers is something harmful.

"Had they gone forth⁽¹⁾ among you they had added to you naught save trouble, and had hurried to and fro among you seeking to cause sedition among you; and among you there are some would have listened to them".

Those whose faith is weak, and those who have no faith show no interest when the struggle begins and remain behind when the strive strats rejoicing at what they have done.

"Those⁽²⁾ who were left behind re joiced at sitting still behind the Messenger of Allah, and were averse to striving with their wealth and their lives in Allah's way, and they said : Go not forth in the heat ! say : the heat of Hell is more intense of heat, if they but understood"

The Koran order the Prophet, God may bless him, to remove those people (the disbelievers) away from the camp of the believers and not allow them to participate in striving.

"⁽³⁾If Allah brings thee bacg (from the campaign) into a party of them, and they ask of thee leave

to go out (to fight), then say unto them : Ye shall never more go out with me, nor fight with me against a foe, Ye were content with sitting still the first time. So sit still with the useless". This faith is but an active faith, everything is well prepared and everyone is ready for the mobilisation for striving.

Hence is the second step in the way of triumph represented in the Mighty God's saying.

„Prepare for them the strongest power you can ever prepare".

This power is not limited within the material one, but it also includes the spiritual mobilisation. There is no doubt that the spiritual mobilisation is an actual power towards steadfastness in facing the enemy courageously.

"⁽¹⁾ Oh Ye who believed ! when you meet an enemy, hold firm, andy thing of Allah much, that ye ma be successful".

This spiritual mobilisation becomes firm and yields its fruits when the goal of striving is a clear and bovious one.

Hence comes the third step which was planned for by the Koran in the way of triumph, and that is the clearness of aim, the aim of The Koran. For striving, is not a material or a worldly goal.

The migration of the strivers was not meant for worldly gains,

(1) Sûrah. The Repentance 47.

(2) Sûrah. The Repentance 81.

(3) Sûrah. The Repentance 83.

(1) Sûrah. The Spoils of war 45.

"You should be stern with them".

From the very beginning the Moslem rulers and people took this attitude of Islam towards the enemies. And here we find the true believer Abdullah Ibn Abdullah Ibn Ubay asking the Prophet (God bless him) if he wanted the head of his father, he would bring it to him. He says to the Prophet (God bless him).

"Messenger of God. I have heard that you wanted to kill him just order me and I will bring you his head".

This is the correct attitude of Islam : that a Moslem should never follow those who fight against the Moslems even if they were their fathers, their sons, their brethren, or their clans, or else God and his messenger will be angry with them and thus they deserve to be afflicted with Pain in this world before the Hereafter.

(The Koran Plans for the way of Victory)

God sayeth⁽¹⁾, Allah hath bought from the believers their lives and their wealth because The Garden will be theirs : they shall fight in the cause of Allah and shall slay and be slain. It is a promise which is binding on Him in the Towrah and The Gosple and Koran. Who fulfilleth His covenant better than Allah ? Rejoice then in your bargain that ye have made, for that

is the supreme triumph.

This covenant and agreement between God and the believers is but the covenant of faith, where the believer sells his life and wealth, he offers them willingly to God without being avaricious whenever the circumstances require spending and sacrifice.

So one of the conditions of Belief is sacrificing one's life and wealth. It is the first step in the way of triumph. But it is a step without which there never will be a straight, correct basis on which the nations and the leaders can depend, in order to have a dignified place among nations. The believer is not considered faithful, according to the Koran, unless he offers his wealth and life for striving in the cause of Allah.

"The true believers⁽¹⁾ are those only who believe in Allah and His Messenger, and afterward doubt not, but strive with their wealth and their lives for the cause of Allah. Such are the sincere". But if the beliefs are weak, shaky and unsteady, the result will be sloth and retardation striving.

"Those who believe in Allah⁽²⁾ and the last Day, ask no leave of thee to strive with their wealth and their lives. Allah is aware of those who keep their duty (unto Him). They alone ask leave of thee who believe not in Allah and the last

(1) Sûrah. The Repentance 111.

(1) Sûrah. The private Apartments 15.

(2) Sûrah, The Repentance 44, 45.

and more stable than any other bond.

Therefore in order that the unity of a nation may continue, there must be sincere cooperation among the members of society. They should be given advice and preaching in this respect. Those who try to split the unity must be severely punished.

No. 4. — *The judgement of God on those who follow the enemies :*

The enemies make war upon God and his messenger, and all those who follow them are also making war upon God and his messenger because in that case they are helping the enemies of God to overcome His followers. And so they belong to the enemies and are of them.

God the Mighty sayeth :

"The only reward of those who make war upon Allah and his messenger and strive after corruption in the Land will be that they will be killed or crucified, or have their hands and feet on alternate sides cut off, or will be expelled out of the land, such will be their degradation in the world, and in the hereafter theirs will be an awful doom"(1).

Islam wanted to guarantee safety Inside the Islamic state and resist as much as possible the ene-

mies who are outside it, even if they belonged to Islam. That is why there must be a severe punishment for these and those in the way as Moslem Governor finds suitable as mentioned in the Holy verses of God, like killing or crucifying them, cutting off their hands and feet on alternate sides or expelling them out of the land. God has explained that those people are not following the rules of Islam and that there is no faith left in their hearts.

God sayeth :

"Thou will not find folk who believe in Allah and the last Day loving those who oppose Allah and His messenger, even though they be their fathers or their sons or their brethren or their clan. As for such, He hath written faith upoon their hearts and hath strenghtend them with a spirit from Him, and He will bring them into Gardens underneath which rivers flow, wherein they will abide. Allah is well pleased with them, and they are well pleased with Him. They are Allah's Party. Lo : ! it is Allah's Party who are successful"(1)

Those who follow the enemies are creatures without faith in their hearts. And so the Attitude of Islam towards them is that the believers should be stern with the opposers to God and His messenger. For that God demands; saying :

(1) The Table preads : 33.

(1) She that Disputeth : 22.

Ideals. For Islam did not base its unity on the colour of man, discriminating between a white man and a negro, or between the yellow or red races, or to torture one of them without a reason or rob him of his rights unjustly and aggressively.

There are some continents on this earth which pretend to be civilised nations. They consider themselves to have reached the summit in humanity, thought and culture but still they are enslaved by colour. They torture the innocent first for the cause of colour and not for ideals or moral principles, because all this is against ideals and moral principles. The only reason for injustice, torture and aggression is their fanaticism against coloured races. For that we ought to be proud of Islam which established unity among people on the basis of benevolence and truthfulness.

There are some countries during our actual age that still discriminate between classes. There should never be any distinction, because their people were brought up in the same place, drank the same water, ate the same food and breathed the same air. Naturally, there should not have been any distinction between them, but still this distinction exists in some countries :

It was not raised by any moral principle or ideal but it is raised only by tradition and covention.

In this case we ought to be proud of Islam because what counts is virtue and right, no matter if the

person is an Arab or non-Arab, a white man or a negro.

“Verily, the noblest among you before God is the most virtuous”.

Then the unity of principles in Islam produces the equality and the consolidation of the nation.

“For believers, men and women, are friends to one another”. And when the believers are together, helping one another, they are like a building of bricks, each is holding the other.

A moslem is the brother of a Moslem and should never fail him or give him up”.

A Moslem is bound to all Moslems wherever they are. He must help the Moslem wherever he is. God reminds us of this bond of principles and that it is a blessing of God in return to what man has done of follies, which make relations based on colour or home or any thing of that sort, which brings about shame to humanity when it gets rid of its follies. This bond is the root of all relations and home-lands.

God urges us to stick to the unity that is based on His lofty principles.

“And hold fast all of you together, to the cable of God and do not separate. And remember God’s favour unto you; how Ye were enemies and He made friendship between your hearts”.

The bond of principles in the divine and gigh vision is stronger

Society free from fear of death, it also has made it free from the worry about provision that concerns the man himself who is in charge of the family and also concerns each member of the family, in both times of War and peace that is because : It is God who gives provision (God provideth every living creature, for he knows where it stays and where it lives).

"That which Allah openeth unto mankind of mercy, none can withhold; and that which he withholdeth, none can release thereafter He is the Almighty, the Wise"⁽¹⁾.

God hastold us that provision is appointed and determined in heaven. God has sworn that it is a truthful fact. God has sworn because of what He knows about the weakness of the human nature and how people are anxious about their living.

He Sayeth :

"And in the heaven is your providence and that which Ye are promised; and, by the Lord of the heaven and the earth, it is the truth, even as (it is true) that Ye speak"⁽²⁾.

The wealthy man who depends on his broad wealth without putting in mind that it is God the Almighty who has offered him his living and wealth, might lose all his wealth and his house if God

wished as He Had done to Karoon. God might send one of his angels to visit his garden and fields and leave it lucked as God did to the owners of the gardens in the story He related to us in the Holay Koran, in the chapter of the Pen".

There is no doubt that we must endeavour in order to earn our living. There are certain sins that are ever forgiven exceptable by endeavouring for provisions. It is true that serious and tough work is one of the features of Islam. And as livelihood is in the lands of God and labour is wanted, then what Islam forbids is this anxious and greedy Picture of people trying to obtain money by foul means or of those who think it is in the hands of one of the creatures of God to give or stop living, to increase or decrease it and take it or leave it.

This is the attitude of Islamic Society from the worry about provisions which might be a reason for its weakness and its humiliati.

No. 3. — *The unity of a nation is one of the factors of victory.*

God the Almighty sayeth :

"Your nation is but one nation and I am your Lord, so worship Me".

There is no doubt that the call for the unity of the nation is the nature and one of the principles of Islam, because it is a unity that is based on principles and noble

(1) The Angels : 2.

(2) The winnowing winds : 22, 23.

ded by God for their bravery towards the cause of humanity and religion.

Declarations of Divine Statements to The Believers for The cause of Victory

No. 1. — In order that a moslem would not be a coward :

The primitive humanity since humanity existed is terrified from death. This remained in the behaviour of the People and the result is Cowardice.

God the Almighty did not wish the Islamic nation fear death and become a nation of Cowards like other nations so He clarified this matter in the Koran and So did the Prophet, God bless him, in the religious law, sunna.

The owner of all Kingdoms is the only one who takes and gives life. He can bring death to the tyrants or leave them alive. When God does so, He does it for a certain wisdom He only Knows about. It is God who decides and fixes the days of our lives. When the day comes no one can postpone it or advance it.

Being careful of life or being a coward does not prolong life. Bravery and audacity do not shorten life. God explains this very clearly in the Holy book. and as every soul dies at an appointed term, aslo every nation is finished at a certain time. But those who say;

“Had we had any part in the cause we should not have been slain here”.

God the Almighty answers them:

“Say : Even though Ye had been in your houses those appointed to be slain would have gone forth to the places where they were to lie”(1). And to those who wrongly said to their brethren.

“If they had obeyed us they would not have been killed” God the Mighty, the Tremendous, orders his messenger (God bless him) To answer them saying :

“Then avert death from yourselves if you are truth ful”(2). But those the true believer is never a coward and the devil cannot mislead him by whispering to him to fear anyone but God the Almighty.

No. 2. — In order that a Moslem would not become a coward :

If fear of death is the first reason for Cowardice then the second reason is what the devil whispers to man about provision and how he could provide his children and wife with provisions when he goes to war or when he dies as a martyr.

As God and his Messenger have explained in detail that life is limited to an appointed term, also God and His messenger have explained in detail that provision is determined by fate.

As Islam has made the Islamic

(1) The Family of Imran : 154.

(2) The Family of Imran ; 168.

with heaviness. Take Ye Pleasure in the life of the world rather than in the Here-after ? The comfort of the life of the World is but little in the Hereafter. If Ye go not forth He will afflict you with a painful doom, and will choose instead of you a folk other than you. Ye cannot harm Him at all. Allah is able to do all things.”⁽¹⁾

God has clarified that those who do not go to fight have no faith in God and in the last Day, for god sayeth :

“Those who believe in Allah and in the Last day ask no leave of thee to strive with their wealth and thier lives. Allah is Aware of those who keep their duty (unto Him). They alone ask leave of thee who believe not in Allah and the Last day, and whose hearts feel doubt, so in their doubt they waven”,⁽²⁾

Those who remain, behind thinking that this would escape them, from death are wrong because as we have seen before lives end and appainted terms.

When our Sire Khaled Ibn El Walid was on his death bed and all his body was stabbed by daggers and swords, he was sorry to die in bed. He wished to die as martyr in the field of battle.

As Cowardice does not prolong lives, bravery does not shorten. it. The Cowards sleep with their eyes opened but the brave are rewar-

rewarded and what he took as spoils of war.

By Him who has the life of Mohammed in his hands, when the dooms day comes, any wound for the cause of God will appear again as it was when it happenend, having a red coulour like blood and l smell of fragrance.

By Him in whose hands lies the life of Mohammed; unless it is difficult to Muslims I should like to join any troop of soldiers fighting for the cause of God, but I am unable to do that so are they. It will cause them great trouble if they don't follow me as well.

By Him in whose hands lies the life of Muhammed, I would love to invade for the cause of God and be killed, then invade and be killed and invade again and be killed.⁽¹⁾

He who is able to Strive but remains behind is a disbeliever

The person who does not pay his duty in striving for the cause of God does not foloow the divine rules of Islam. Because God has ordered us to strive and warned us of remaining behind.

God the Almighty sayeth about those who do not go to fight.

“O ye who believe! what aileth you that when it is said unto you : Go forth in the way of Allah, Ye are bowed down to the ground

(1) Repentance : 38, 39.

(2) Repentance : 44, 45.

(1) Reported by Musslim and Al-Bukhari.

to enter Paradise.⁽¹⁾

It was reported by Abu Daoud from a Genuine source that Abu Umama - (God be pleased with him) said that a man said to the prophet :

"Messenger of God, give me sanction to travel for worshipping". The prophet said :

"The travel for may nation is their striving for the cause of God the Mighty, the Tremendous"⁽²⁾

It was reported by Abi Umama that the Prophet God bless him Said :

"He who does not invade or helps an invader to get ready or bring up one member of his family as a good invader, God will smite him with disaster before the coming of the dooms day."⁽³⁾

Abdullah Ibn Omar (God be pleased with him!) said that the Prophet said :

"If you neglect your strive, God will torture you with humiliation which will not be removed until you return back to you religion"⁽⁴⁾

Abu Huraira said that he had heard the Prophet saying :

"Going and coming for the cause of God is better for you than the world and what is in it."⁽⁶⁾

Gaber Ibn Abdulla (God be pleased with him) said :

"When Abdullah ibn Omar Ibn Huraam was killed during the battle of Uhud, the Prophet said to Gaber, the son of Abdulla :

"Gaber ! do you wish to know what God the Alimighty said to your father ? ,,I answered" Yes.

The Peophet said :

"When God spoke to some one hespoke to him unseen but He confronted your father. God said to him" My servant, ask for anything and I shall give it to you". Abdulla said :

"O God! give me life again and I shall fight and be killed for your cause again". God said :

"As I have said before, those who die do not return to this world lgain".

Abdulla said "O God ! say it again to all".

So a verse of Koran was revealed on that occasion saying :

"Thing not of those who are slain in the way of Allah as dead. Nay, they are living with their Lord and they have Provision."

It was reported by Al-Emam Musslem from Abi Huraira that the Messenger of God said :

"God assures every one who strives for His cause and who believes in God and His Messenger either to enter Paradise or return him home from war with what he was

(1) Reported by Al-Turmizi and said :
A tradition saying of the Prophet.

(2) Reported by Abu Daoud.

(3) Reported by Abu Daoud.

(4) Reported by Abu Daoud.

(5) Reported by Al-Bukhari.

the best deed to be done ?⁽¹⁾

"The prophet answered "It is to have faith in God and to strive for his cause."

It was reported by Abi Daoud, from a Genuine Source, from Anas (God be pleased with him !) that the prophet (God bless him) said :

"Fight in the way of Allah against the disbelievers with your wealth, your lives and your tongues"

It was related that the Prophet (God bless him) said :

"He who died without invading or even thought of invading had died on hypocrisy."⁽²⁾

It was reported by Abi Al-Dardaa (God be pleased with him) that the prophet (God bless him) said :

"He whose feet were covered by dust in his striving for the cause of Allah, his body will never be touched by Fire."⁽³⁾

From Ibn Abbas who said that he heard the Prophet (God bless him saying) :

Two eyes will never be touched by fire, the one that weeps out of fear of God and the other that keeps guard all night for the way of God."⁽⁴⁾

It was reported by Abi Saeed Al-Khudri - God be pleased with

him) that the Prophet was asked :

Messenger of God; "who is the best man among the people ? The prophet answered.

"A believer who strives for the cause of God with his life and wealth".⁽¹⁾

It was reported by Sahl Ibn Saad Al-sadi (God be pleased with him) that the prophet said :

The suspense of one day for the cause of God is better than the whole world and all that is on it, and the going and coming for the cause of God is better than the world and what is on it"⁽²⁾ Abu Haraira (God be pleased with him !) said :

"Once one of the companions of the Prophet (God bless him) passed by a spring of fresh water. He liked the place and said : "I will retire from people and live by the spring but I will not do so until I ask the permission of the prophet "God bless him" He went to the prophet and asked him and the prophet answered :

"Don't do that, because he who strives for the cause of God is better than he who prays for God, in his home, for seventy years. Don't you wish God forgives you and makes you enter his Gardens, then invade for the cause of God. He who fights for the cause of God deserves

(1) It was reported by Al Bukhari and Muslim.

(2) From Al-Nessai.

(3) As reported by Al-Tabarani in the Awsat.

(4) Reported by Al-Turmizi.

(1) Issued by Al-Bukhary.

(2) Reported by the Sheikh.

but begin not hostilities. Lo ! Allah Loveth not aggressors. And slay them wherever ye find them and drive them out of the places whence they drove you out, for persecution is worse than slaughter”(1)

God sayeth :

“And fight them until persecution is no more, and religion is for Allah. But if they desist, then let there be no hostility except against wrong doers.”(2)

God sayeth :

“O prophet! exhort the believers to fight. If there be of you twenty stedfast they shall overcome two hundred, and if there be of you a hundred stedfast they shall overcome a thousand of those who disbelieve, because they (the disbelievers) are a folk without intelligence.

Now hath Allah lighten ed your burden for He knoweth that here is weakness in you, So if there be of you a stedfast hundred they shall overcome tow hundred, and if there be of you a thousand (stedfast) they shall overcome two thousand by Permission of Allah. Allah is with the stefdast.”(3)

God sayeth :

“Say if your fathers, and your sons, and your brothers, and your wives, and your tribe and the wealth

ye have acquired, and merchandise for which ye fear that there will be no sale and dwellings ye desire are dearer to you than Allah and His Messenger and striving in His way: then wait till Allah bringeth His command to pass. Allah guideth not wrong diong folk.”(1)

God sayeth :

“And strive for Allah with the endeavour which is His right. He hath chosen you and hath not laid upon you in religion any hardship; the faith of your father Abraham (is yours). He hath named you Muslims of Oldtime and in this (scripture) that the messenger may be a witness against you and ye will be witnesses against mankind. So establish worship, pay the poor due, and fast to Allah. He is your protecting Friend, Ablessed Patron and a blessed Helper.”(2)

And God Sayeth :

“As for those who strife in Us, We surely guide them to our paths, and lo ! Allah is with the good.”(3)

The Tradition sayings of the Prophet (God bless him) are numerous and abundant.

Some of them are as follows :

It was reported by Abi Thur (God be pleased with him) that he asked the Prophet “What is

(1) The Cow : 190 — 191.

(2) The Cow : 183.

(3) Spoils of war : 65, 66.

(1) Repentence : 24.

(2) The pilgrimage : 78.

(3) The Spider : 69.

Here are some verses of Koran and sometradiation sayings which illustrate clearly the attitude of Islam to wards striving : God the Almighty sayeth : (Mohamed; L. 4,5).

"Now when ye meet in battle those who disbelieved then it is smiting of the necks until, when ye have routed them, then taking them as captives; and afterwards either grace or ransom till war lays down its burdens. That (Is the ordinance) and if God willed He would have punished them (without you) but (thus it is ordained) that He may try some of you by means of others. And those who are slain in the way of Allah, He renderth nottheir actions vain. He will guide them and improve their state, and bring them in unto the Garden which He hath made known to them."⁽¹⁾

God sayeth : (Repentance L : 14, 15).

"Fight them ! Allah will chastise them at your hands, and He will lay them low and give you victory over them and he will heal the breasts of folk who are believers. And he will remove the anger of their hearts. Allah relenteth towards whom He will. Allah is knower and wise"⁽²⁾.

God sayeth "(Repentance L: 16).

"Or deemed ye would be left (in peace) when Allah yet knoweth not there of you who strive, choo-

sing for familiar none save Allah and His messenger and the believers Allah is Informed of what ye do."⁽¹⁾

God sayeth : (The family of Imran L. 142).

"(Or deemed ye that ye would enter Paradise while yet Allah knoweth not those of you who really strive, nor knoweth those (of you) who are stedfast?"⁽²⁾.

God sayeth: Muhammed L: 31).

"And verly We shall try you till we know those of you who strive hard (for the cause of Allah) and stedfast, and till re test your record"⁽³⁾

God sayeth : (Women L : 74).

"Let those fight in the way of Allah who sell the life of this world for the other. whoso fighteth in the way of Allah, be he slain or be he victorious, on him we shall bestow a vast reward."⁽⁴⁾

God also sayeth: (Repentance L: 41).

"Go forth, light-armed and heaving - armed, and strive with your wealth and your lives in the way of Allah ! that is best for you if ye but knew."⁽⁵⁾

God Sayeth :

"Fight in the way of Allah against those who fight against you,

(1) Repentance : 16 —.

(2) The Family of Imran : 142.

(3) Mohammed : 31 —.

(4) Women; 74.

(5) Repentance : 41.

(1) Mohamed : 4 — 5.

(2) Repentance : 14 — 15.

Thus if the enemy is, for example in Plestine - as the case actually is - Jihad is enjoined upon the Muslims of Pakistan, of India, of Algeria, of Tunis ... etc. It is an injunction upon every Muslim on the globe.

This is not to say that every person-whatever his job is - must give up his work, take to arms and make for the battle - field. It means that the whole state must be fully mobilized.

All the Islamic States have to mobilize their efforts now, in order to pay the duty of striving or else, every individual or state will be considered as a Sinner.

The only Islamic attitude of Islam in concern with striving is that every Moslem should get ready to become a soldier fighting for the cause of God by his life and his wealth.

One day, one of the Companions of the Prophet (God bless him), passed by a spring of fresh water. He liked the place and wished to retire from people and live beside it to worship God, there in isolation. He wanted to retire to the mountain, drink from the water of the spring and eat the plants that grow around it. He wanted to live there in contentment and peace. But he said to himself that he would not do so unless he asked the premission of the prophet (God bless him). The prophet said "Dont do this, because he who fights for

the cause of God is better than he who prays for God at home for seventy years", If you wish that God may forgive you and make you enter his Paradise, then invade for His cause. He who fights for the cause of God even for a period as short as the interval between two miliking-times of a she camel; deserves to inter his gardens.

It is the duty of every Moslem to prepare himself and to be always ready as a soldier to strive for the cause of God. It is also his duty to be careful not to lose this quality because he who learns some technique of war and neglects them, and is careless about defending his home land is considered by God, a big sinner, Nevertheless there is no harm in reminding the people again that; striving is lawful, in Islam, when it is for self-defence, for the restraint of injustice, for the abolishing of tyranny, for the emancipation of people and to give way for truth, guidance and benevolence which tyrant kings and princes have always tried to stop.

The first verse of Koran that expresses the reason for the legality of striving says : (The piligirmage : 39, 40.) "Sanction is given unto those who fight because they have been wronged; and Allah is indeed able to give them Victory; those who have been driven from their homes injustly only because they said our Lord is Allah⁽¹⁾".

(1) The Pilgrimage : 39 — 40.

Messenger - blessing and peace be upon him, with his companions, so that they might reach Badr before the polytheists.

When the latter arrived, Allah's Messenger - blessing and peace be bestowed upon him - said.

"None of you shall proceed to do anything unless I am in between."

The Polytheists approached, whereupon said Allah's Messenger blessing and peace be upon him.

"Raise ye to a garden as vast as heaven and earth."

Thereupon, 'Umayr-ul-Ansariyy-Allah be pleased with him-said, "Messenger of Allah ! Is it a garden as vast as heaven and earth ?"

Said Allah's Messenger : "yes" said "Umayr" : "hurrah! hurrah!" "Said Allah's Messenger : "What is that prompts you to say Hurrah ! "Said Umayr : "In the name of Allah O Messenger of God, I said so only because I hope to be one of its inhabitants."

Said the messenger : "Nay, you are one of its inhabitants."

At that point, "Umayr produced a few dates, from his sack, and started eating, then said :

"Should I live till I finish my dates, it would be a too long life indeed".

He flung whatever dates were left with him, then went fighting till

he perished. (This is related by Muslim).

Thus : Allah's Messenger (blessing and peace be upon him) - says (according to Imam Muslim) after abu Hurayra - Allah be pleased with him - the Messenger, being ever the truthful mouthpiece of the believer :

"By Him in whose hand is Muhamed's soul, I wish had conquered, in the path of Allah, and perished then conquered and perished, then conquered and perished."

Allah's Messenger - blessing and peace be upon him - said that only out of Knowledge of the satisfaction of Allah with the martyrs. Allah enjoins Jihad upon Muslim in a statement that is outspoken beyond all ambiguity and vagueness : He - blessed be His name - said "war is prescribed to you : but from this ye are averse. Yet haply ye are averse from a thing though it be good for you and haply ye love a thing though it be bad for you : and Allah knoweth; but ye know not."

(Cow : 217)

It is understood that this injunction is confined to those who are on the spot and are qualified for fighting, as long as the enemy is outside Muslim lands. But when the enemy is within Muslim lands, Jihad becomes an unqualified injunction upon every Muslim, wherever he is.

that faith is nullified, when one flees from Jihad, or shrinks from it.

The Faith - pact between Allah and ourselves, has — as one of its most important stipulations — the article that we — in fulfilment of the terms of the compact — are under the obligation to give a way our lives and property for Jihad in the cause of Allah. The recompense of this self — denial is the Garden of Eden.

Allah makes that clear — beyond all doubt — in this verse :

“Verily, of the Faithful hath Allah bought their persons and their substance, on condition of Paradise, for them in return; on the path of Allah shall they fight, and slay and be slain : a promise for this is pledged in the law, and in the Evangel; and in the Qur'an - and who is more faithful to this engagement than Allah ? Rejoice, therefore, in the contract that ye have contracted : for this shall be the great bliss.”

(Repentance : 111)

On the descent of this verse, the Disciples - Allah be pleased with them - hailed it in these words : “At a great profit is the sale. We shall not rescind it or ask anyone to do so.

Thus the believer is a person devoted to Jihad “in the path of Allah”, at every minute. In the

cause of Jihad, he gives away his property his life and his time. Deeds and words are both his instruments of fighting. Human existence must be a Jihad, at all stages of life. Hence, the early Muslims competed along the route of Jihad. Allah - Blessed be his name - portrays them in this verse :

“They who believe in Allah and the Last Day will not ask leave of thee to be exempt from contending with their substance and their persons. But Allah knoweth these who fear Him.”

(Repentance : 44)

As for hypocrites, and those who have no faith, they seek pretexts for shrinking from Jihad. They ask leave for flinching from it. They have recourse to sloth and langour. Allah - blessed be He - exposes them, and portrays both their outside and inside :

“They only will ask thy leave who believe not in Allah and the Last Day, and whose hearts are full of doubts, and who are tossed up and down in their doubts.”

(Repentance : 45)

Hence for the sake of pleasing Allah - blessed and exalted be He - and for the sake of admission to the Garden of Eden, where one has the sight of His holy image, the Muslims compete in Jihad. Imam Muslim related that Anas - Allah be pleased with him - said : “Allah's

competing at arrow-shooting, whereupon he said.

"Shoot, ye descendants of Isma'il your father was a bow-man".

The Prophet - Allah's blessing and peace be upon him - hated to hear that any man learned missile - shooting but came to give it up and neglect it."

Imam Muslim related that Ibn - Hammad - Allah be pleased with him - said that Allah's Messenger - Allah's blessing and peace be upon him - said :

"Whoever learns missile - shooting then gives it up, is none of us, or he has sinned."

The Messenger - Allah's blessings be bestowed upon him - did not omit the manufacture of arrows, or the recompense of their maker. He remarked that such a man's reward is the Garden of Eden, as long as they are made for the cause of Allah. Thus Ibn - Dawood - Allah be pleased with him - related that Allah's messenger - Allah's blessing and peace be upon him - said :

"Allah - for a single arrow - admits three men to the Garden of Eden : its maker (being a good - doer); its shooter and one who prepares it for shooting.

Shoot and ride. Verily shooting is nearer to my heart than riding. Whoever has learnt shooting and then abandons it, through aversion, throws away a blessing bestowed

upon him, or rather, betrays ingratitude."

Allah's Messenger - blessing and peace be upon him - exhorted men to learn riding - both for horsemanship and for Jihad. He urged the breeding of horses, and lavish expenditure of them.

He himself loved them, and rode and tamed them.

Ibn Yasar - Allah be pleased with him - said - according to Imam Ahmad and Nissa'i - that nothing was nearer to the heart of Allah's Messenger than horses. It was he - Allah's blessings be upon him - who said - according to al-Bukhari and Muslim :

"Verily tied to horses' foreheads are good, and moral, recompense and booty, up to the Day of Judgment."

Concerning this readiness, both material and moral, Allah says, commanding and directing :

"Prepare against them whatever power you can command."

This power may be either material or moral. The capacity of commanding power is in truth, limitless. Thus the act of preparation has no end, nor may it slacken at any time.

Allah did draw a close union between faith and Jihad. It is a solid union that is unbreakable. Faith and Jihad are so united by Allah,

The reasons for giving the permission to fight are general ones. They are the very reasons for the Islamic Jihad in the causes of Allah everywhere and in every age, namely putting an end to oppression in general—in its numerous ugly aspects like ejecting the guiltless and the peaceful from their homes, and dispossessing them, or confining them to their homes in a state of humiliation, servitude, in violation of the rights of man, and the principles of morality.

Among the reasons for the permission to fight is the deviation from right and good and from monotheism and justice.

Thus came the permission to fight and came the commandment of Jihad. The persuasion to Jihad was sometimes based on purely psychological lines. At other times, it adopted social lines and tackled the place of the Islamic Nation in the universe.

Sometimes, it tackled reasons and motives. At other times it inclined to the expounding of the reward and the recompense; from Allah—blessed and exalted be His name.—

Jihad in Peace And war

"Perscribed for you is fighting, but it is hateful to you. yet peradventure that ye hate a thing while it is good for you, and peradventure that you love a thing while it is bad for you; Allah knows, and ye, do not know."

(Cow : 216)

Related by Imam Muslim that Abu-Hurayra - Allah be pleased with him - said that Allah's Messenger, - Allah's blessing and peace be upon him - said : "Whoever dies, having had no part in nor thought of partaking of conquest die with a tint of hypocrisy."

The holy verse quoted above is corroborated by many other. The honoured Tradition just quoted is also backed by innumerable others. All in all, they enjoin Jihad in the cause of Allah, and impose it, in all its various aspects. The Commandment of Jihad has a far-stretched and varied range, in accordance with the extant conditions and circumstances. It is a commandment whose aspects vary according to the variance of the need to in peace and in war.

Jihad in peace is a state of readiness that never slackens. On the one hand, it is moral readiness, consolidating faith, and confirming the dependence on Allah. On the other hand, it is a material readiness, which is not confined to a single one of the elements required for power.

Allah's Messenger—Blessing and peace be upon him—encouraged missiles shooting, and was pleased whenever he saw the Muslim youth learning it. Related by al-Bukhari that Salmah Ibn-al-Akwa' - Allah be pleased with him said :

"The prophet — Allah bestow His blessing and peace upon him — passed by a throng of youngmen

2. Justice
— in the field of legislation.
3. Mercy
— in the field of morals.

When Allah, the Gracious, the Merciful, the Affectionate; the Nigh, the Responsive, speaks of the "raison d'être" of the Islamic mission, its significance, its nature, its general character and its specific character, He proclaims it as "MERCY".

Thus he says :

"We sent you only out of mercy to mankind".

This is the path of Allah, and the mission which the Islamic Nation was enjoined to believe in, to propagate, to guard and to consolidate in souls and in all lands.

Should countries allow the call to it, and the propagation of its principles—this being monotheism, justice and mercy.

Should communities and people come to believe in this mission, which is right and good.

Should individuals and nation adopt this religion, where—in lie their well-being and felicity...

The Islamic nation would have no occasion for armed Jihad, and there would be no fighting in the cause of the Islamic call.

But the Messenger—Allah bestow upon him blessing and peace—continued the persuasion of his people day and night, and the

more he persuaded, the more they turned away from him. Whenever he called them to the path of Allah, they put their fingers in their ears (they turned a deaf ear), hid their faces under their clothes, persisted, and took to arrogance. The Messenger—Allah bestow upon him blessing and peace—openly invited them to Islam having previously called for Islam in confidence.

The polytheists did not respond to the voice of monotheism and justice. They did not respond to the voice of virtue and noble morals. They did not even adopt a passive attitude. They tormented the Moslems, ejected them from their homes; hence came this holy verse.

"Permission is granted unto those who take arms against the unbelievers, for that they have been unjustly persecuted by them; and Allah is certainly able to assist them : who have been turned out of their habitations injuriously, and for no other reason than because they say, Our Lord is Allah.

(Pilgrimage 39-40)

The polytheists tyrannized, and drove the Prophet—Allah's blessing and peace be bestowed upon him—form their community, and were on the point of murdering him. They displaced his followers, scattering them beyond hope of reunion : Some of them going to Abyssinia, the others to Medina.

not measure and weight. Verily I see you to be in a happy condition but I fear for you the punishment of the day which encompass the ungodly."

(Hûd : 84)

And says He-His be omnipotence and glory - indicating His path through commandment and interdiction :

"Verily, Allah enjoins justice and the doing of Good and gifts to Kindred and he forbideth wickedness and wrong and oppression. He warneth you that haply ye may be mindful."

(The bees : 90)

And says He :

"O prophet, when believing women come unto thee, and plight their faith unto thee, that they will not associate anything with Allah, nor steal, nor commit fornication, nor Kill their children, nor come with a calumny which they have forged between their hands and their feet, nor be disobedient to thee in that which shall be reasonable : then do thou plight thy faith unto them, and ask pardon for them of Allah, for Allah is inclined to forgive, and merciful." (The Woman who is tried : 12).

And says He (blessed by His name) :

"Say: come, I will rehearse what your Lord hath made bidding on you-that ye assign not aught to

Him as partner; and that ye be good to your parents; and that ye slay not your children, because of poverty : for them and for you will we provide : and that ye come not near topollutions, outward and inward : and that ye slay not anyone whom Allah hath forbidden you, unless for a just cause. This he enjoined on you, to the intent that ye may understand.

And come not nigh to the substance of the orphan, but to improve it, until he becomes of age : and use a full measure and a just balance : We will not ask a soul beyond its ability. And when ye give judgment, observe justice even though it be the affair of a Kinsman, and fulfil the covenant of Allah. This hath Allah enjoined you for you monition.

"And 'this is my right way'. Follow it then; and follow no other paths, lest ye be scattered from His path. This hath He enjoined you, that ye may fear him.

(Cattle : 151-152)

The messenger - Allah's blessing and peace be upon him sums up his Message in the following statement :

"I have been sent to accomplish nobility of morals."

There is no doubt that nobility of morals consists in :

1. Monotheism

— in the field of creed.

and dignified statement wonderful in truthfulness, laconism and eloquence - is his saying :

"Verily, that which is preached by Muhammad-were it not a religion is at least beautiful as morals."

(c) Even Abu-Sufian, the bitter enemy of Islam, could not deny—before his conversion to Islam—that Muhammad calls for prayer, Alms-giving, and the observance of the blood that ties and inter-Moslem friendship. Abu-Sufian acknowledged that matter amidst a crowd of witnesses, in reply to a question put by Hercules, according to the account of Imam Al-Bukhari, pleased be God with him.

(d) The path of Allah is that delineated by Allah—exalted be He—and revealed by him to his messenger—upon him be Allah's blessing and peace, and thus becoming the Quran and the Sunna.

The path of Allah, according to the Holy Quran and the Honoured Sunna is crystallised and focused in:

1. Monotheism
(In the field of creed)
2. Mercy
(In the field of morality)
3. Justice
(In the field of Legislation)

Says Allah (blessed and exalted be His name) in the field of creed:

"Never have we sent a messenger before thee, but with the revelation

that there is no God but I, thus worship me."

(Prophets : 25)

For further evidence He says, in an account of our master, Hûd :

"To' Ad, we dispatched their brother Hûd; he said, "Ye my people, worship Allah; no God have you but He. Verily you are mere slanderers. Ye my people, I ask you no recompense, My recompense being charged to none but Allah. Will Ye not therefore understand? My people, plead for the forgiveness for Allah, your Lord, and repent. Thereupon he will send you plenty of rain, and bestow further power upon you. Do not turn your heels, being criminals.

(Hûd : 50-52)

In the account of Salih : God, the Almighty, says : "And to Thamud (We dispatched) their brother Salih - He said : (Ye my people, worship Allah; Ye have no God other than He. It is he who hath produced you out of the earth, and hath given you an habitation therein. Ask pardon of him, and be turned unto him; for my Lord is near; and ready to answer)"

(Hûd : 61)

And in the account of Shu'ayb: "And unto madyan, (We sent) their brother Suh'ayb. He said : "O my people Worship Allah; ye have no god but him, and diminish

brought by Muhammad—God bless him—only came from the same fount whence issued the mission of Jesus—peace be upon him.

The path of Allah, as portrayed by our master Ja'far is Monotheism, the exclusive worship of Allah, veracity, the delivery of trust, the observance of the ties of blood, good will to one's neighbour, and abstinence from sin and bloodsheds; prayer-saying, alms-givings and fasting; keeping clear of fornication falsehood, embezzlement of the orphan's property, and slandering the chaste females.

The path of satan is :

Idolatry: servitude to one's appetites, domineering, tyrannizing, enslaving others, ejecting the peaceful from their homes without any reason.

The path of Satan is: doing fornication, isolation of the ties of blood, abuse of neighbourhood, and the oppression of the weak by the strong.

The path of Satan is also: falsehood, propagating false rumours, cheating in all its forms, robbing the orphan, and slandering the chaste females.

Should we look for another representation—a comprehensive one—of the path of Allah, according to a wise man of Arabia, that had not hitherto been converted to Islam, (Aktham-ibn Sayfi, by name), one may, for a more realistic portrayal

of the matter, recount the following anecdote :

“When Muhammed made his appearance in Mecca as a prophet, and preached Islam, Aktham-Ibn-Sayfi dispatched his son (Hubaysh). The latter returned with full information about Muhammad, whereupon Aktham assembled Bani-Tamim Tribe, and addressed them, saying among other things.

“My son has had an interview with that man, and brought full information about him and his book. This man calls for beneficence, and forbids (in it) abomination, and enjoins in it high morals. He preached monotheism—the exclusive worship of Allah—exalted be He, the rejection of idols, and abandonment of swearing by fore. Those who are wise among you have come to know that what he calls for is good, and that leaving what he forbids is good judgment.”

Then he said these wonderful words :

“Verily that which is preached by Muhammed—were it not a religion—is at least beautiful as morality”.

The path of Allah—as conceived by Aktham—is :

Acknowledgment of Allah as the only God, calling for beneficence, forbidding abomination, and adoption of beautiful morals.

“Adoption of beautiful morals,” is an exquisite phrase that is inclusive. But his really admirable

to their people, who are better-informed."

When the Nagashi had listened to them, he deemed it wise not to deliver the immigrants until he heard what they got to say. He thus invited them to his presence, and asked : "What is that religion wherein you have deviated from your people's creed, and yet have not adopted my religion, or that of anybody else,

It was Jaafar-ibn-abi-Taleb that replied, saying :

"Ye King, we were barbarous men that worshipped idols, ate that which died of itself, committed the deadly sins, paid no regard to blood relationship, nor to the right of our neighbour. The strong of us devoured the weak.

"We thus lasted till Allah sentous a messenger, of our own race esteemed by us for his descent, truthfulness, integrity and purity. He invited us to monotheism, to the worship of Allah, to the rejection of the former objects of our worship, the stones and the idols.

"He enjoined veracity, the delivery of trust, the observation of the ties of blood, goodwill towards our neighbour, and abstinence from sin and blood-shed. He forbade fornication, falsehood, robbing the orphans and slandering the chaste. He commanded us to worship none but Allah, to attribute divinity to none other than Him, to observe

prayer, alms-giving, and the fast... (Here he expatiated upon the teachings of Islam.)"

We therefore believed him, and accepted his teachings, and followed him in obeisance to that which was revealed to him from Allah. We thus came to worship Allah and none else, to attribute divinity to none but Him. We forbade what he had tabooed, and permitted what he had conceded.

Our people tyrannized over us, tormented us, and prosecuted us on the score of our religion, in order to idolatry, taking us away from the worship of Allah—blessed be He—and to practising our old filthy deeds. When they overpowered us, oppressed us; fettered us and barred us from our religion, we fled to your land.

When a portion of the chapter of Mary was read to him, Nagashi wept and said. "Verily, both this that I hear and that which was revealed to Jesus come from the same source of light. Then he turned to Abd-ullah-ibn-Rabi'a and 'Amr ibn-il-As and said : "Away, both of you; by God, never will I deliver them to you."

Nagashi, immediatehe had heard the discourse, learned the principles of Islam.

These principles are sound. They are clear verses, whose truth is evident to the clear-headed. He came to know that that which was

"Fight for the cause of God; and know that God is He who heareth and knoweth."

From these holy Quranic Verses, it is evident that Jihad in Islam is a strife for a principle. This (principle) being expressed by Allah in terms of : the path of Allah, this path being Good, Justice and Right. Thus fighting in Islam is done :

1. So that the only worship be that of Allah;

2. Lest there be civil discord;

3. On behalf of the weak among the men, women and children, these being powerless, victimized by tyrants, and harassed by much evil. Hence they plead with God, (the Almighty to save them from oppression and on behalf of those who have been ejected from their homes, and expropriated, for no reason other than their saying : "Our God is Allah".

One might ask :

"What is the path of Allah ?"

"How may the only worship be that of Allah ?"

In order to indicate the path of Allah, one may point out certain Islamic principles implied in the real accounts that reflect the path of Truth and the path of Error, and point out the followers of

Allah and the followers of Satan :

1. Among the earliest of those accounts is that of emigrants to Abbysinia for the cause of their religion. They never emigrated as tourists seeking pleasure or responding to the call of lust. They never emigrated for worldly advancement or in pursuit of a women. They emigrated with their religion, for their religion. They emigrated from the home of tyranny and injustice, for the sake of Allah, noble morals and ideals.

They were ejected from their homes, for no reason other than their saying, "Our God is Allah".

When they arrived, with their religion, in Abbysinia, the Quraishites dispatched, to the Nagashi, a delegation comprising Abdu-llah-Ibn-abi-Rabi'a-and Amr ibn-ul-As. The delegation asked for the delivery of the fugitives, with a view to subjecting them to further persecution.

When the Delegation appeared before the Nagashi, Amr ibn-ul-As began thus :

"There arrived in your land certain ill-advised youngsters that have forsaken the religion of their people, yet have not been converted to your own. They have invented a new creed not known to us, nor to you. We are dispatched by the dignitaries of their people, their fathers, uncles and tribes, to plead for the delivery of these fugitives

THE JIHAD

By

His Eminence Dr. Abd-ul-Halim Mahmoud

Rector of Al-Azhar

The Jihad and Victory by the will of Allah

In the name of Allah, most Gracious, most Merciful. Praised be the Great Allah, Lord of Heaven and Earth. Blessing and Peace be to the noblest of militants, braves of fighters, and best of the whole creation, our Master, Muhammad, his household, his Companions and all that followed his Guidance down to the Day of Judgment.

Jihad in Islam is A Strife For Principles

Allah (Blessed and Exalted be his name) says :

“But what hath come to you that Ye fight not on the path of Allah, and for the weak among men, women and children, who say, “O our Lord ! bring us forth from

this city whose inhabitants are oppressors; give us a champion from thy presence, and give us from thy presence a defender”.

“They who believe, fight on the path of God; and they who believe not, fight on the path of thagout : Fight therefore against the friends of Satan. Verily the craft of Satan shall be powerless”.

(Women : 75-76)

And says He, the Omnipotent and Glorious :

“Fight therefore against them, until there be no more civil discord, and the only worship be that of Allah, but if they desist, then let there be no hostility, save against the wicked.”

(Cow : 193)

And says He, Blessed be his name :

numerous advantages, excellences and superiorities. He was thus as erudite scholar, as adequate rector of Al-Azhar, as True Sufi and as brave courageous international Muslem Leader.

I shall not be righteous if I have tried to bewail him or to write a

proper eulogium but I have to leave this task to the annals of history.

“Lo ! those who believe and do”

“good works, theirs are the gardens of”

“Paradise for welcome.”

Zaher A. El-Zoghby

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

English Section

EDITOR - IN - CHIEF : Dr. Abd - ul - Wadoud I. Shalaby

SUPERVISOR : Zaher A. El - Zoghby

Volume: 51 No. — 1 Mohrram Muharrm 1399 A.H. — December 1978 A.D



In The Name of ALLAH, The Beneficent, The Merciful.

ABSENCE OF GLITTERING STAR

By

Zaher A. El-Zoghby

“But ah! Thou soul at peace”

“Return unto thy Lord, Content in His
good pleasure !”

“Enter thou among My bondmen”

“Enter thou My Garden !”

Waves of painful sadness extended
and covered all world with the
death of His Eminence, The Grand
Imam, SHAIKH AL-AZHAR Dr.
ABDUL-HALIM MAHMOUD.

The Grand Imam was of dis-
tingwshed merits, superhuman
talents and proper manliness.

Aptly he ascended upto the sum-
mit position of the international
Islamic Leadership that enabled
him to preach and defend the
effective idealistic principles of
Islam.

The Late Dr. ABDUL-HALIM
MAHMOUD Was a man of

12/12/92

العنوان
إدارة الأزمات

مجله دانش

مدير المجلة
ورئيس التحرير
الدكتور

عبدالورد رحلی

مجلة شريعة جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

الجزء الثاني - السنة الحادية والخمسون - صفر ١٣٩٩ هـ (يناير ١٩٧٩ م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غارة السار على العالم الإسلامي
"أسبابها ونتائجها"

العلامة أبو الحسن الندوي

على العالم الإسلامي كله .
والمعروف أن السبب في هذه الكارثة
هو خطأ ارتكبه السلطان علاء الدين
محمد خوارزم ، وذلك أنه أمر بقتل
التجار التتار الذين دخلوا بلاده لممارسة
التجارة ، ولما أرسل إليه جنكيزخان
سفيراً يسأله عن سبب قتل التجار
قتله أيضاً ، فاشتعل جنكيزخان غضباً
وقام بحملة هوجاء على مملكة خوارزم

غارة التتار وأسبابها الحقيقية في ضوء القرآن :

واجه العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري كارثة ينذر نظيرها في تاريخ العالم ، وكادت تقضي هذه الكارثة على شخصية العالم الإسلامي ، وهو زحف الوحوش التتار الذين تقدموا نحو الشرق كجراد منتشر . وسيطروا

شاه ، ثم على عالم الإسلام كله .
ولكن إذا تدبرنا في ضوء ذلك
القانون العام الخالد نتائج الأعمال
والأخلاق ، وازدهار الأمم وانحطاطها
الذى أشار إليه القرآن ، ولا سيما

أوضاع مركز الخلافة والعالم العربى فى هذا العصر :

إن المملكة الأيوبية توزعت بعد وفاة
السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة
٥٨٩ هـ بين أولاده وأفراد أسرته ، ولكن
هؤلاء لم يستخدموا مؤهلاتهم وكفاءاتهم
في أداء هذه الأمانة التي آلت إليهم ،
شأن كثير من أولاد الولاة وأولى
العزم من الحكام ، فقد ظل الصراع
قائماً بينهم إلى مدة طويلة ، حتى
أن بعضهم لم يتورع عن الاستعانة
بالصليبيين وتبذير المؤامرات ضد أخوانهم
وأصحابهم ، وقد أنتج هذا الوضع
الشاذ اضطراباً سياسياً وانحلالاً خلقياً
وفوضي في سائر الولايات التابعة لهذه
المملكة ، وكان الناس يعيشون في جو
من القلق والخوف .

هذا وكانت الغارة الصليبية الإفريقية
تتعاقب على تلك الحواضر الإسلامية
التي كان السلطان صلاح الدين قد
استردها بعد توضحيات ضخمة ، وقد

ما ذكره في بدء سورة الأسراء من تدهور
بنى إسرائيل وإفسادهم في الأرض ،
وعلوهم وتمردهم وما جرّ ذلك إلى زحف
الملوك الظالمين ، وتسلطهم على بنى
إسرائيل وخراب المسجد الأقصى ،
يبدو لنا أن السبب الحقيقي في هذه
الفتنة الكبرى والحنة التي أصيب بها
العالم الإسلامى ، ليس اقتراف ملك
أو حاكم أخطاء في التدبير والسياسة ،
فيتدفق سيل عرم من المحن والبلاء
ويفاجأ العالم الإسلامى ، وتصاب الأمة
الإسلامية بهذه الفتنة العمياء - التي
لم تكن تتوقعها ولا تستحقها - لمجرد
أن يخطئ فرد من أفرادها .

إذا حملنا نبراس القرآن في يدنا ،
واستعرضنا أوضاع المسلمين الخلقية
والدينية والمدنية والسياسية في ذلك العصر
تحقق لنا كالشمس في رابعة النهار ،
أن هذه الحادثة المشثومة لم تكن مفاجأة
ولأنما هناك أسباب أكثر عمقاً وأصالة
مما ظنه الناس وذكره ، ولكي نبحث

الجزيرة والروم والعراق ... وخُرِبَتْ محال^١ كثيرة في طرابلس ونابلس ، ولم يبق بنابلس سوى حارة السامراء ، ومات بها وبقراها ثلاثون ألفاً تحت الردم ... وماتت أم لا تُحصى ولا تُعَدُّ حتى قال صاحب «مرآة الزمان» : إنه مات فى هذه السنة بسبب الزلزلة نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان قتلاً تحتها والله أعلم .

هذا ، وقد تفاقم الشر فى مركز الخلافة (دار السلام بغداد) ، وسيطرت عليه مظاهر الأبهة المملوكية والسلطان الأعشى ، وتغلغل نفوذ الخدم والحشم فى قصور الخلفاء وبلغت الثروة والمدنية ذروتها ، ولا يمكن أن تتصور ما كان يمتلكه الخدم والمماليك الذين كانوا لدى الخلفاء من المال والعقار .

ويكفى أن نذكر على سبيل المثال ، أن علاء الدين الطبرسى الظاهرى ، وهو ممن اشتراهم الخليفة الظاهر ، كان يحصل له من أملاكه التى استجدها ثلاث مائة ألف دينار سنوياً ، وكانت له دار لم تكن ببغداد مثلها ، وكذلك مجاهد الدين أيبك الدويدار المستنصرى وقد ملك جزيل الأموال من الينابيع ، والرقيق ، والدواب ، والعقار والبساتين

فشت أمراض وأوبئة ومجاعات شديدة نتيجة لهذا الانحطاط الخلقي والانحراف الإدارى ، وفى سنة ٥٩٧ هـ حدثت مجاعة فى مصر إذ لم يفيض فيها النيل ، وتزلزلت أرض مصر بمنازعات الملكين : العادل والأفضل ، حتى اشتد الغلاء بأرض مصر ، فهلك خلق كثير جداً من الفقراء والأغنياء ، ثم أعقبه فناء عظيم حتى حكى الشيخ أبو شامة ، فى الذيل :

« إن العادل كفَّن من ماله فى مدة شهر من هذه السنة نحو من مائتى وعشرين ألف ميت ، وأكملت الكلاب والميتات فيها بمصر ، وأكبل من الصغار والأطفال خلق كثير ، — يشوى الصغير والداه ويأكلانه ، وكثر هذا فى الناس جداً حتى صار لا ينكر بينهم ، فلما فرغت الأطفال والميتات غلب القوى الضعيف فذبحه وأكله » .

واستمرت هذه الحال وفقاً لسنة الله فى الأرض ، وظلت الانذارات السماوية والأحداث الجسام تحذر الناس ، وكانت كفيلة بأن تبعث الناس على التوبة والإنابة إلى الله ، وإصلاح أحوالهم . وحدثت فى نفس هذه السنة زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى

بالموكب الملكي ، الذي خرج يوم عيد الفطر سنة ٦٤٠ هـ واستمر إلى الليل، حتى صلى الناس صلاة العيد قبل نصف الليل قضاء، وذكر في «العسجد المسبوك» : «أن العساكر في عاشر ذي الحجة سنة ٦٤٤ هـ خرجوا إلى ظاهر البلد ، وصلوا صلاة العيد وقت غروب الشمس، وأما تقبيل الأرض بحضرة الخليفة مرات عديدة فمن الأمور المألوفة ، وكذلك تقبيل اليد وعتبة باب النبى ، وحافر الخيل والأرض والרגام . وقد تميز هذا العصر بكثرة المصادرات وتفشى الرشوة وعزل كبار الموظفين ، وإلقاء القبض عليهم ، وبيع ممتلكاتهم وتفاقم أمر الباطنية والشطار والعيارين ، واشتداد النزاع الطائفي والتفكك الخلقي ، والانصراف إلى الملاحى والقيان والتكاثر فى الأموال » .

وفى نفس هذه الأيام كان التتر يعشون بكرامة فارس وتركستان ويأتون عليهما من كل جانب، وكانت أبصارهم شاخصة إلى بغداد ، أكبر مركز إسلامى فى ذلك العهد، ويتحدث المؤرخ الشهير ابن كثير عن استهلال سنة ٦٢٦ هـ بما يأتى :

« استهلت هذه السنة ومولوك بنى

والضبياع ، ويتعذر وصف ما أنفقته من قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، والجواهر التى جهز بها أولاده وبناته فى ليالى الزفاف ، كما أن الفراش صلاح عبد الغنى بن فاخر المتوفى سنة ٦٤٨ هـ ، وكان شيخ الفراشين بدار الخلافة، كان يعيش - مع خُلوّه من العلم - عيشة الملوك، بينما كان مدرسو المدرسة المستنصرية فى هذا العصر وهم من كبار علماء بغداد بوصفهم يدرسون فى أكبر جامعة إسلامية فيها، لا يتقاضى الواحد منهم أكثر من ١٢ ديناراً شهرياً . ويجانب ذلك نجد أن ٤٠٠٠ دينار ينثرها خادم للشرابى على مجد الدين أليك المستنصرى ، المعروف بالدويدار الصغير عند زواجه من ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وأن ٣٠٠٠ دينار أعطاهما الشرابى للأشخاص الثلاثة الذين أتوا بطائر من الموصل .

ولكى ندرك مدى نفوذ هذه المظاهر الكاذبة ، والتظاهر بالفخفة والأبهة المملوكية يجب أن نعرف أن المواكب التى كانت تخرج فى مناسبات العيد والتتويج كانت تشغل الناس حتى أنهم كانوا يتناسون أنفسهم ، ويتشاغلون عن أداء الصلوات . ونستطيع أن نقيس ذلك

وأطلق بعض المكوس التي جردها ببغداد خاصة ، ثم أعادها ، وجعل جل همه في رمى البندق وصيد الطيور ولبس سراويل الفتوة ، وأبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا لمن يلبس منه سراويل يدعى إليه ، ولبس كثير من الملوك منه سراويل الفتوة ، فأجاب الناس بالعراق وغيره إلى ذلك ، فكان غرام الخليفة بهذه الأشياء من أعجب الأمور ، وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك .

توفي الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ هـ ، وخلفه المستنصر بالله ، وكان جميل الصورة حسن السريرة جيد السيرة كثير الصدقات والبر والصلات ، محسناً إلى الرعية بكل ما يقدر عليه ، فكان نموذجاً للخلفاء الصالحين في كثير من خصائصه وعاداته ، ولكنه — مع الأسف — لم يجد فرصة للتنظيم والإصلاح ، وخلفه ولده المعتصم بالله في سنة ٦٤٠ هـ ، وكان المستعصم صحيح العقيدة متديناً يظهر عليه خشوع وإناة ، لم ينقل عنه إنه عصى الله بفمه ، ولا بفرجه ، ولا شرب مسكراً ، ولا أدخل بصيام الاثنين والخميس من

أيوب مفترقون ، مختلفون » ، وظلت بغداد دار الخلافة الإسلامية مركزاً للاضطراب والفساد ، ولم يتمكن الناس من السفر للحج ، ولم يستطع الخليفة تغيير كسوة الكعبة الشريفة — التي قد جرت عادة خلفاء الإسلام من قديم بتغييرها — بين ٦٤٠ هـ و ٦٤٣ هـ ، وبقيت جدران الكعبة عارية عن الكسوة إلى ٢١ يوماً ، فتشاءم به الناس .

في سنة ٥٧٥ هـ جلس الخليفة الناصر لدين الله على عرش الخلافة ، وطالت أيام خلافته إلى أكثر من ٤٦ سنة ، وهي مدة طويلة لم تتيسر لأحد من الخلفاء العباسيين ، ولكنها أظلم عهد في تاريخ الخلافة العباسية ، وقد ذمه المؤرخون وتناولوا أعماله وأخلاقه بالنقد اللاذع ، يتحدث عنه المؤرخ ابن الأثير ، فيقول :

« وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً ، فخرّب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد ، وأخذ أملاكهم وأموالهم ، وكان يفعل الشيء وضده ، فمن ذلك أنه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر الناس عليها في رمضان فبقيت مدة ثم قطع ذلك ، ثم عمل دور الضيافة للحجاج فبقيت مدة ثم أبطلها ،

ويحزنون على الإسلام وأهله ، وذلك كله بسبب آراء الوزير ابن العلقمى الرافضى .

كان المستعصم رجلاً صالحاً حسن السيرة والفكر ، وكان يحرص على إصلاح الأوضاع ورفاهية البلاد ، ولكن فساد الناس واضطرابهم وفساد رجال الحكومة بلغ مبلغاً لا يؤثر فيه إلا مَنْ رزق الإرادة القوية ، والشخصية العبقريّة ، ومن يستطيع أن يقف سداً منيعاً في وجه الفساد ، ويتغلب على الأوضاع السيئة ، ولم ينفع في مثل هذه الحال إلا العظماء الذين افتتحوا عهداً جديداً وأسسوا حكومات جديدة في التاريخ .

ولقد تكرر في التاريخ أن آخر أفراد أسرة حاكمة ، وآخر حاكم في مملكة آخذة بالانحطاط كان يتصف بالصلاح والتقوى ، غير أن تلك الأسرة أو المملكة كانت قد وصلت إلى آخر نقطة من الانحلال والتدهور ، وكان الفساد قد تفاقم والكأس قد طفحت ، فلم يكن هنالك من يحول بين هذه الحكومة وبين نهايتها الأليمة التي كان يفرضها قانون السماء وتقتضيها طبائع الأشياء .. وشاءت الأقدار أن

كل شهر ، وكان يصوم شهر رجب من كل سنة ، وكان يحفظ القرآن ومواظباً على الصلوات في أوقاتها . إلا أن المستعصم لم يكن بصيراً بتدبير الملك — على ما رواه ابن كثير — ، وكان فيه لين وعدم تيقظ ، ومحبة للمال وجمعه .

وفي سنة ٦٤٢ هـ استوزر الخليفة المستعصم بالله محمد بن العلقمى ، ولكنه لم يكن وزير صدق ولا مرضى الطريقة ، فاضطرب نظام الحكومة ، ولما وقعت الحرب العظيمة بين أهل السنة والرافضة في سنة ٦٥٥ هـ « نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة ، حتى نهبت دور أقرباء الوزير ، فاشتد حنقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد » .

وبالرغم من أن التتار كانوا يتقدمون نحو بغداد — وكان الخطر التتارى يقرع الأبواب — كانت جيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة لا يبلغون عشرة آلاف فارس ، وهم بقية الجيش ، كلهم قد صرفوا من إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأمام أبواب المساجد وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم

السلجوقية الصغيرة الواقعة فى الشمال الغربى لآسيا الصغرى ، وكان علاء الدين محمد خوارزم شاه (٥٩٦ - ٦١٧) أعظم ملوك الأسرة طموحاً ، وأعلامه همة ، وأكثرهم فتحاً وانتصاراً ، وهو أكبر ملك مسلم وأقواهم فى عهده ، يتحدث عنه المؤرخ « هيرلد ليمب » فى كتابه (جنكيزخان) فىقول :

« كان السلطان محمد خوارزم شاه متربعاً على عرش الملك فى قلب البلاد الإسلامية وكانت رقعة ملكه تمتد من ثغور الهند إلى بغداد ، ومن بحر الخوارزم (آرال) إلى خليج الفرس ، وكان مسيطراً على الممالك الإسلامية كلها عدا دولة الأتراك السلاجقة الذين انتصروا على الصليبيين ، وأسرة السلاطين من ممالك مصر ، وكان السلطان محمد إمبراطوراً بالنظر إلى مكانته بالرغم من أن الخليفة العباسى الناصر لدين الله سخط عليه ، ولكنه كان يعترف بقوته ، إن الخليفة فى بغداد بعد ما تجرد عن كل سلطان دنيوى عاد مجرد رمز دينى شأن البابوات فى روما » .

أما المؤرخون العرب فلم يشرروا إلى موضع ضعف أو عيب شخصى كبير فى سلوك محمد خوارزم شاه وأخلاقه ، بل

يُعْتَبَرُ ذلك الرجل الأخير مستولاً عن نهاية الحكومة فى أسرته الحاكمة بالرغم من أنه كان أكثر صلاحاً وديانة ، وأحرص على إصلاح الفساد من سلفه الماضيين .

وقد كان عدد من الصالحين مشغولين بالعلم والتدريس والعبادة ، كما كان عدد منهم معتزلين فى الزوايا والمساجد ، ولكن الفساد كان قد استحوذ على طبقة الحكام والمترفين . يقول المؤرخ أبو الحسن الخزرجى يصف أهل العراق يومئذ :

« واهتموا بالإقطاعات والمكاسب ، وأهملوا النظر فى المصالح الكلية ، واشتغلوا بما لا يجوز من الأمور الدنيوية ، واشتد ظلم العمال ، اشتغلوا بتحصيل الأموال ، والملك قد يدوم مع الكفر ، ولا يدوم مع الظلم » .

القسم الشرقى من المملكة الإسلامية :

وكان ملوك الخوارزم منفردين بالحكم فى الجزء الشرقى للعالم الإسلامى ، قامت دولتهم ذات الشوكة على أنقاض المملكة السلجوقية فى آخر القرن الخامس الهجرى ، وكان العالم الإسلامى كله خاضعاً للحكم الخوارزمى باستثناء مصر والشام والعراق والحجاز والمنطقة

التاريخ التي تدور حول البلاط الملكي والسراني ، ورجال الحكومة . وإن مظنة هذا الحديث هي كتب المشايخ الصوفية ، والمصلحين الاجتماعيين ، وكتب المواعظ التي اكتسح معظمها السيل التتاري ، ولا يسعنا أن نحمل ما صرح به المؤرخ المسيحي « هيرلد ليمب » في كتابه « جنكيز خان » على مجال التعصب الديني والمبالغة ، إنه يقول :

« إن العالم الذي كان يعيش فيه المسلمون كان عالم الحرب والجلاد وكان لا يخلو من شغف بالغناء والموسيقى ، ومن الطرب والاهتزاز ، لكنه برغم هذا الظاهر كان يعيش في قلق واضطراب ، فكان المماليك والعبيد يحكمون مكان الملوك والسلاطين ، وقد بالغ الناس في جمع الأموال والثروات ، وقد انتشرت الأدواء الخلقية والمؤامرات السياسية ، وكان زمام الأمور في يد أولئك الذين كانوا ينهبون الرعية ، ويترفهون على حسابها ، وكانت حراسة الحرم ، والإشراف على السرائي للخصيان » .

خطأ الملوك الخوارزمية :

وقد صدر عن الملوك الخوارزميين نفس الخطأ الكبير الذي وقع فيه الحكام العرب في الأندلس ، ولم يعف عنهم

لأنهم يعترفون بتدينه ، وحسن عقيدته وشجاعته وتصلبه بوجه عام ، ولكن الذي لا خلاف فيه ، أنه بذل جميع مواهبه وطاقاته في القضاء على الحكومات الإسلامية الصغيرة والكبيرة ، حيثما وجدت في هذا الجزء الشرق الواسع ، وأنه أجبر السلاجقة إلى التأخر والانسحاب إلى آخر حدودهم في جانب ، كما أنه ظل يحارب الغوريين في الشرق والجنوب في جانب آخر ، واضطروهم إلى الانحصر في جزء محدود . وأن خيرة عناصر الفروسية والنضال في إيران وتركستان قد أئختتها الحروب الطاحنة المتواصلة التي لم تكد تنتهي ، فكان الجو الحربي يسود على المدن والأقاليم الحصبة الغنية وعلى مشاعر أهلها في كل حين ، وقد اجتمعت غنائم البلاد المفتوحة وحاصلات الأقاليم الحصبة ، وتأنق الصناع في الصناعات وأدوات الزينة فبلغت - بذلك كله - المدنية أوجها ، واجتمعت جميع عوامل الغنى والجلدة والرفاهية والانتصارات وما يتبعها من ترف وبطر .

ومن الصعب العسير أن يوجد حديث عن الأدواء الخلقية - التي كانت تعانيها الحضارة والمجتمع - في كتب

التتارى فى عالم الأسباب ، هو أن جنكيز خان بعث إلى خوارزم شاه رسولا يقول له : إنك تحكم رقعة عريضة كما أننى أملك مملكة واسعة ، فإذا قامت بين المملكتين علاقات تجارية ، وسمح للتجار بتبادل التجارات بين البلدين كان ذلك فى صالح البلدين ، فقبل ذلك خوارزم شاه ، وقامت العلاقات التجارية وبدأ التجار يتبادلون أموال التجارة بين البلدين ، ولكن ما الذى حدث بعد ذلك حتى شهد العالم الإسلامى ذلك اليوم المشؤم الذى يدعى بغارة التتار ؟ ولنقرأ ما كتبه عن ذلك المؤرخ الغربى « هيرلد ليمب » ويصدقته تماماً ما جاء فى التاريخ الإسلامى . إنه يقول :

« انفصمت العلاقات التجارية التى أقامها جنكيز خان بين البلدين فجأة وكان السبب فى ذلك أن قافلة من التجار كانت متجهة من (قراقورم) إلى الغرب ، فلما وصلت إلى « اترار » تعرض لها حاكمها الذى كان يدعى باينل جق وأسر رجالها ، وأخبر ملكه خوارزم شاه بذلك ، وقال إن هذه القافلة لا تحلوا من جواسيس جنكيز خان وكان هذا الخبر مما يؤيده العقل .

وما أن وصل الخبر إلى خوارزم شاه

قانون المكافأة الإلهى ، وبذلك بذلوا كل قواهم فى توسيع رقعة الملك ودعمه ، وقمع الخصوم ، ولم يبذلوا أى اهتمام بتبليغ رسالة الإسلام إلى ذلك القسم البشرى الذى كان يعيش بجوار حدودهم ، وكان بنفسه عالماً مستقلاً ، وبصرف النظر عن الدافع الدينى والواجب الإسلامى ، كان مقتضى الحزم السياسى وبعد النظر أن يعنوا بإيجاد الانسجام العقائدى مع هذه الدنيا الإنسانية الواسعة ، وبذلك يكونون قد أقاموا حولهم سياجاً ، يحفظهم من ذلك الخطر الذى لم يواجههم وحدهم فحسب ، بل اكتسح المسلمين كلهم .

زحف التتار نحو العالم الإسلامى :

فى هذه الأحوال والزمان تقدم التتار يادئ بدء ، كعقاب إلهى بقيادة ملكهم « جنكيز خان » نحو الجزء الشرقى للعالم الإسلامى ، إيران وتركستان حتى وصلوا إلى بغداد التى أسلفنا ذكرها ، وأخيراً قاموا بتدميرها وإبادة أهلها سنة ٦٥٦ هـ (واتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

إن الدافع القريب لهذا الزحف

حتى أمره بقتل التجار كلهم دون أن يفكر في هذه القضية ، ويتأني في إصدار الأمر ، ونفذ أمره بقتل التجار الذين جاءوا من قراقورم ، ولما علم بذلك جنكيز خان ، أرسل سفراءه إلى خوارزم شاه يشكو إليه ما حدث مع هؤلاء التجار ، وانتهاز خوارزم شاه الفرصة فقتل رئيس السفراء ، وأمر بإحراق لِحَيِّ الباقيين الذين رجعوا إلى جنكيز خان وقصوا عليه القصة ، وفور سماع هذه القصة صعد جنكيز خان على جبل في « صحراء الجوبي » ليفكر في القضية ، لأن قتل رسول المغول كان جريمة لا تغتفر ، وكان لا بد من القصاص لها حسب ما جرت عادة المغول في مثل هذه الأمور . وأعلن جنكيز خان قائلاً : إذا كانت السماء لا تحتمل وجود شمسين ، فإن الأرض — كذلك لا تحتمل وجود ملكين » .

أبو الحسن الندوي



هو ما وافق القرآن

عن أبي هريرة — رضى الله عنه — في شأن ما صحت روايته عن رسول الله قوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأحاديث ستكثر عَنِّي بعدى كما كثرت عن الأنبياء من قبلى ، فما جاءكم عَنِّي فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فهو عَنِّي ، فقلته أو لم أقله . »



إلى أين يتجه المسلمون ؟

المرحلة الثانية عصر الملكية

العلامة أبو الأعلى المودودي

(٢)

والكيف . الأمر الذى تسبب فى تقلص عدد المسلمين فى الدنيا رويداً رويداً ، ومن ذلك النمط المثالى الرائع ، الذى كان مسلماً حقاً واعياً وكان قوله يطابق فعله . فانخفضت نسبة هذا النمط من المسلمين فى المجتمع من جهة ، ومن جهة أخرى تصاعدت نسبة الذين هم وإن كانوا قد دخلوا فى الإسلام إعجاباً بمبادئه وأسسها ، وخضعوا له بتجرد وإخلاص إلا أن الناحية السلوكية فيهم لم تكن منطبقة كلياً بطابع الإسلام ولم يكونوا موفورى الرصيد من الفهم للدين والتعمق فيه . وهذه الظاهرة أدت إلى انقلاب خطير فى مجرى التاريخ الإسلامى وهو تحويل نظام الخلافة إلى نظام الملكية .

وتسرد أسباب كثيرة ساعدت فى هذا التحول ، غير أن السبب الرئيسى

هيا بنا نأخذ الآن المرحلة الثانية من مراحل التاريخ الإسلامى . إن هذه المرحلة تبدأ من عهد امتد فيه الإسلام إلى جنبات الأرض وانتشر نوره فى أرجائها بسرعة تفوق التصور ، وقد دخل فى حظيره العدد الهائل من خلق الله . إلى أن تعذر على المسلمين الأوائل العناية الكافية بتربية هذا العدد الضخم تربية إسلامية وثقافته ثقافة إسلامية ، مع أنه كان فى المسلمين رجال الصلاح والتقوى ، ولم يكن الناس يقبلون على الإسلام إلا لإعجابهم بما كانوا عليه من سلوك حسن وعمل صالح وخلق كريم ، فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا ، ولم يكن من السهل الميسور بتاتاً أن يحدث فى حياة هذا البحر الخضم من البشر نفس الانقلاب الذى حصل فى حياة المسلمين الأولين من حيث الكم

لهذا التحول في نظرى هو تناقص عدد المسلمين المتعمقين الواعين في المجتمع الإسلامى في ذلك الحين . إن الذين كانت حياتهم الواقعية ترجمة حية للإسلام أخذ عددهم في انحسار وتقلص بينما الذين كان ينقصهم الفهم الحقيقى للإسلام وكان لا يتلاءم سلوكهم مع الإسلام قد تصاعدت نسبتهم إلى درجة أصبح معها من المستحيل تخليص المجتمع الإسلامى من المضاعفات المنبثقة من فقدان الوعى الإسلامى الصحيح فيهم ، وأصبح معها من المستحيل المحافظة على المجتمع من آثار عاهاتهم الخلقية . ونتيجة لذلك حلت الملكية محل الخلافة ، وانفطرد عقد النظام الذى أقامه المسلمون الأوائل ببذل مهجهم . وطالت هذه المرحلة من مراحل تاريخنا قروناً طويلة . ولا يسمح لى المقام أن أتناول بالبحث مخلفات هذه المرحلة وما كان وراءها من العوامل بتفصيل واف . وإنما أذكر لكم الآن أربعة أو خمسة من أهم نتائجها التى لا يزال طابعها ثابتاً ملموساً على وضعنا الحاضر . وبكلمة أخرى ، لا تزال ملامح تلك المرحلة من « ماضينا » تتجلى في « حاضرنَا » .

انقسام القيادة :

إن أول ضرر من الأضرار الرئيسية التى نكبت بها الأمة الإسلامية من جراء النظام الملكى هو أن انقسمت قيادة الأمة المسلمة إلى قسمين ، بعد أن كانت هذه القيادة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين رضى الله عنهم موحدة تستقطب جميع نواحي الحياة الروحية والعلمية والفكرية والسياسية حول محور واحد بحيث كانت التوجيهات السياسية والتدابير القضائية والتعليمات الإدارية والتنظيمات العسكرية وشئون الحرب أو الصلح تنطلق من مصدر بعينه . ونفس القادة الذين كانوا يوجهون هذه النواحي هم الذين كانوا في الوقت نفسه قادة المسلمين في إصلاح الأخلاق ، وقادتهم في الفكر والعلم ، وقادتهم في التربية الروحية . إن هذه القيادة بجميع نواحيها كانت تدور حول محور بعينه . إلا أنه لما نجم قرن الملكية اعترى القيادة الانقسام وانشقت إلى شقين . ففيا يتعلق بالشئون السياسية استأثر به الحكام ، وفيما يرجع إلى النواحي الخلقية والفكرية والروحية انتقلت أزمته إلى رجال العلم والفقه

الملكية في التاريخ الإسلامي لا يقاس أبداً بعصور الملكية في تاريخ الشعوب الأخرى . لأن الملكية في تاريخنا الإسلامي مع ما جاءت به مشحونة بكثير من السيئات والويلات إلا أنك سوف لا ترى عبر التاريخ الإسلامي تلك العصور المظلمة التي هي علامة بارزة في تاريخ الأمم الأخرى . ولا أملك نفسي في هذه المناسبة إلا لأسجل إعجابي واستحساني لما توافر في التاريخ الإسلامي من الملوك الأتقياء الصالحين ، وما استطاع أى شعب أن ينجب هذا العدد الوفير من الملوك الصالحين . وبرغم إعرابي عن خالص تقديري لوجود هؤلاء الأفراد الصالحين في وسط النظام الملكي لا أملك إلا القول كذلك أن الذى نجم عن هذا النظام من نتائج الفطرية وآثاره الحتمية جلب على الأمة الأضرار الباهظة ، أبرزها أن الحكومات الإسلامية تخلت عن فريضة الدعوة إلى الإسلام ، وحمل مشاعله في الدنيا بل اقتصر أمرها في أكثر الأحيان على فتح البلاد وجباية الأموال . وانتهى بها المطاف إلى ما نعانى في وضعنا الراهن .

ونرى فيكم اليوم عدداً هائلاً من

والتصوف : أصبح فقهاء المسلمين وعلماءهم القادة في الشؤون الروحية والخلقية والدينية ، وأصبح الملوك والأمراء قاداتهم في الشؤون السياسية . وكان هذا الانقسام في القيادة في حد ذاته فتنة مدمرة كان من المحتوم أن تعكس آثارها السيئة في المجتمع . ثم زادت الطين بلة طبيعة القيادة السياسية إذ من مقتضاها الطبيعي أن تفحم نفسها في كل شأن من شئون الحياة وتقدس أنفسها في كل أمر من أمورها . وانطلاقاً من هذه الطبيعة هبت القيادة السياسية تفرض سلطانها على كلمتا الناحيتين من الحياة : الدينية والخلقية . بينما كان أصحاب العلم والفقه والتصوف لم يكونوا ليرضوا وما كان ينبغي لهم أن يرضوا بحال من الأحوال تدخل القيادة السياسية في شئون الدين والأخلاق كى لا يشوه وجه الدين ، ولا يغير الفكر الإسلامى ، ولا تمسخ المبادئ الخلقية . فنجم عن كل ذلك التباعد بين هاتين القيادتين ، واتسع الصدع بينهما ، ثم شرع التناحر والتصارع بينهما بدلا من التعاون والتلاحم ولا نزال نشاهد هذه الظاهرة الغريبة على قدم وساق في تاريخ الإسلام المعاصر وما لا يستحق الجدل أن عصر

الذين هاجروا إلى باكستان من المناطق التي حكمها المسلمون طيلة ثمانية قرون كبلمدة « دلهى » وضواحيها ، ومنطقة شرقى بنجاب ، ومقاطعات الهند الوسطى وولاية حيدرآباد الدكن . كان الحكم فى هذه المناطق كلها بيد المسلمين . ولو كانت حكوماتهم التى تعاقبت عليها داعية إلى الإسلام رافعة لواءه ، وجاعلة نصب أعينها تبليغه فى أرجاء المعمورة لتوطدت فيها دعائم الإسلام ولكان هو وحده يعم أرجاءها ، ويبدل الوثنيين فيها بالموحدين . نعم ، لو كان الأمر كذلك لما انتهى الأمر بكم اليوم إلى هجرتها تاركين دياركم وأموالكم فيها . ولكن لجوءكم إلى باكستان يصرخ بلسان الحال ، إن حكام تلك المناطق لم يؤدوا مسئولياتهم نحو الإسلام ولم يوفوا بحقه كحكام مسلمين مخلصين ، وإذا قدر الله للإسلام أن ينتشر فى تلك الأقطار على رغم ذلك فلم ينتشر إلا بفضل الجهود التى كرسها الفقهاء والمصلحون أما الحكام فبدلاً من أن يكون لهم ضلع فى انتشاره وامتداده غالباً ما وقفوا فى وجهه عقبة كأداء أو وقفوا غير مشجعين لانتشاره على الأقل . وهم بسبب استخدامهم

وسائل البطش والإرهاب والقهر لتوطيد حكمهم ، وانغماسهم فى حياة الترف والبذخ ، وظهورهم فى مظهر الأخلاق الرذيلة صاروا منفريين للناس من الإسلام . والأعمال التى كان من شأنها تحبيب الإسلام إلى القلوب فلم يأتوا بها إلا فى النادر القليل . وأعود فأقول : إن الحكام الذين كانوا على رصيد كبير من التقوى والصالح أتقدم إليهم بالثناء العاطر والتقدير البالغ ، إلا أن النظام الملكى فى مجموعته لم يثمر إلا عواقب وخيمة وانحرافات خطيرة ، ولا سيما فى عهد الملوك الذين لم يبق لديهم من حركة الإسلام الأولى إلا كباقي الوشم على ظهر اليد . ومن الحقيقة بدون منازع أن كل ما تحقق للإسلام من الانتشار والازدهار ما كان إلا بفضل الجهود الجاهدة من جماعات راشدة من أهل العلم والفقہ والتصوف ولم يكن فى وسعهم من أن يستميلوا الناس إلى الإسلام بطيب الكلام ونبيل الأخلاق وصالح الأعمال ، وينيروا لهم طريق الحق بالدروس والمواظ وبطريقتهم المثلى . ولم يكن بمقدورهم أن يتخذوا التدابير اللازمة لتربية الملايين من البشر الذين كانوا يدخلون

لحياة الإسلامية فإذا عسى بوسعهم أن يأتي به هؤلاء الدعاة أكثر مما أتوا به . وكان من واجب حكومات المسلمين أن تشعر بمسئوليتها وتزود المسلمين حديثي العهد بالإسلام بما يجعلهم عنصراً حيواً نافعاً في المجتمع الإسلامي . ولكن مع الأسف فإن الحكومات المسلمة تقاصرت عن إدراك مسئوليتها نحوهم . نعم إن رجال الجود والإحسان في الأمة حاولوا ملء هذا الفراغ بصفتهم الفردية بوقف أموالهم وعقاراتهم في مختلف العهود ، فأنشئت المعاهد والزوايا لتأمين المطالب التعليمية والتربوية وكان لتلك المواقف أجمل الآثار وأعظم النتائج ، إلا أنه ما دامت الحكومات متهاونة في أداء مسئوليتها في هذا الباب ومتخلفة عن توعية عامة السكان فإن انتزاع المسلمين الجلد من برائن الجاهلية ورواسبها وجعلهم مسلمين واقعيين يتمثل الإسلام في حياتهم حياً ملموساً كان من باب المستحيل .

ومن الحق أن نقول إن وضعنا الحاضر هو أيضاً مطبوع بنفس الطابع الذي يرجع إلى هذه المرحلة الثانية من التاريخ الإسلامي . وما أشبه الليلة بالبارحة .
فها أنتم قد تستطيعون أن تشاهدوا عشرات

حظيرة الإسلام تربية إسلامية كافية ، لأن الحكومات هي التي كانت مدعوة إلى أداء هذا الواجب ولكنها لم تعر أى اهتمام بهذه الناحية . ولو كانت هناك حكومة تدعم هؤلاء الدعاة وتشد أزهم وتقدر مساعيهم أو أن تبذل عنايتهم - في أقل . الاحتمالات - على أوسع نطاق تربوية وتوعية الموجات البشرية التي كانت تدخل في دين الله متجاوبة مع المحاولات الفردية من جهة هؤلاء الدعاة لكان الأمر عكس ما تراه اليوم . ولكن لم يحدث هذا ويا للأسف ، ولم يتجاوز الأمر أن يهب عبد من عباد الله يعرض على الناس الإسلام ويقدم لهم نماذجه العملية من خلال نظافة حياته وسمو سلوكه وطهارة ذيله : النماذج الرائعة التي تضرب على أوتار قلوبهم ، وتستهوئها لدعوته فإذا بهم يتقدمون إليه في غمرة من الانفعال يطلبون منه إدخالهم في نفس الدين الذي سما به إلى هذا المستوى من طهارة الخلق ونزاهة العيش . فهذا العبد الصالح - على غرار المئات من أمثاله - يلقي الناس كلمة الشهادة ، ويبدل أسماءهم الكافرة بالأسماء الإسلامية ، ويعلمهم ما يلزم من الآداب والطرائق

الملايين من المسلمين في المدن والقرى :
 ما أغرقهم في تقاليد الجاهلية وأعمال
 الشرك وما أفرغهم من الوعي الإسلامى ! .
 وما أصبرهم على الخزعبلات الهندوكية
 مع أنهم مسلمون ! . وما أشد تدنس
 حياتهم بآثار الديانة البوذية وما أرضاهم
 بالآثار التى امتازت بها المجتمعات
 الجاهلية قبل الإسلام في مجتمعاتهم ! .
 وملخص القول إن أوضاعنا الحاضرة
 لا تزال متسمة بنفس الطابع الذى
 أوجدته المرحلة الثانية من مراحل تاريخنا .
 وإن شئت فقل : إن الذى نحصله في
 «العالم المعاصر» هو ما غرس في
 «ماضينا الغابر» ، وهذه هى سنة الله
 في الكون . ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ازدهار العصبية :

ومن سيئات هذه المرحلة أن نجم فيها
 قرن العصبية الجنسية والقبلية والوطنية
 والجغرافية مرة أخرى بعد أن أفلتت
 نجومها بطلوع شمس الإسلام .
 وكانت هذه العصبية قد رفعت رأسها
 في العصر الأموى من جديد ثم ما فتئت
 تشتد وتترعرع في المجتمعات الإسلامية
 وتنتشر فيها انتشار الأمراض المعدية
 كأوبئة الطاعون والكوليرا . وتؤتى حصاها
 المر . وإذا تأملتم في صفحات ماضيكم

وجدتم الكثير من الإمبراطوريات فاطحت
 هذه الصخور فتكسرت وأصبحت أثراً
 بعد عين . وهذا الداء الويل هو الذى
 هوى بالحكم الأموى إلى الانهيار ،
 وهو الموضوع الرئيسى في قصص الصراع
 الذى استعر أواره بين القبائل العربية
 في ذلك العهد وإليه يرجع الدور الأكبر
 في تدمير العرش الأموى في الأندلس ،
 والقضاء على الكيان الإسلامى فيها .
 وما يوم سقوط الإمبراطورية المغولية
 والحكومات الإسلامية في ولاية حيدر
 آباد الدكن في الهند ببعيد . وما يوم
 حليلة بسر . وخلاصة القول : إنكم حينما
 سرحتم النظر وجدتم في دمار المسلمين
 وذهاب حكوماتهم العظيمة ضلعاً كبيراً
 لهذا الداء الفتاك . إن المسلمين بالرغم
 من أن الله قد أَلَفَ بينهم . وجمعهم
 على كلمة التقوى وجعلهم بنعمته إخوانا .
 تناسوا هذه النعمة الجليلة من وقت لآخر
 فعادتهم النوازع العصبية التى سوغت
 لهم اللجوء إلى الشعارات القبلية والألوية
 الجنسية^(١) والفوارق العنصرية كالعربية
 والفارسية والأفغانية والتركية والمغولية
 والهندية فالتهمتهم غوائلها ونهشتهم
 عواذها في النهاية . وهذا هو السر في

يدعوقومه إلى شعار البلوشية ، وخامس يعتز بكونه بنجابيا . إن هي إلا إحدى الكبر ، نذير للبشر ، وأشرار الساعة ، والساعة أدهى وأمر .

الآثرة وعبادة النفس :

وهناك داء آخر تولد في ذلك العصر أيضاً . وتفاقم خطبه واستفحل أمره على مر الزمان . وهو أنه قد طويت صحف جميع النواحي من الولاء الإسلامى في المسلمين ولم يبق إلا ولأء الرجل لنفسه أو لقييلته فقط . بينما الإسلام قد وضع تحت قدميه جميع الأنواع من الولاء سواء أكان للجنس أو للون أو التراب أو اللغة . إلا الولاء لله ولرسوله ولدينه . وهذا هو الولاء الذى كان ينصاع فيه سلوك المسلم إن فردى أو جماعى ، فأخذ هذا الولاء يتضاءل فى عصر الملكية رويداً رويداً . ولما أخذ هذا الولاء الذى كان من ركائز معنوياتهم ومقومات تفوقهم الخلقى ينخر ويضمحل حلت محله - طبيعياً - الأنانية واتباع الهوى . ومن طبيعة البشر أنه إذا لم يسعفه الولاء الأعلى لا يضحي بنفسه ونفيسه فى سبيل مبدأ من المبادئ مهما شرف وعظم بل كان ما يصدر منه بعد ذلك يكون مبعثه إما مصلحته

تدهور المسلمين وانفكاك عراهم لإربا لإربا ، وتمزق صفوفهم شذرمذر فى التاريخ . وهو من مساوئ الملكية التى توارثها المسلمون .. إن الملوك فى عصور الملكية كانوا يستغلون هذه العصبية لتحقيق مصالحهم الشخصية فانتعشت حركة بنى العباس تقاوم بنى أمية وتؤلب عليهم الفرس باستغلال العصبية القومية . لماذا ؟ لتحقيق مآربهم وإقامة عرشهم ولا غير .

وهكذا هذه الداهية النكر - داهية العصبية الجاهلية - قد أناخت بكلكلها فى المرحلة الثانية من تاريخنا . ولا نزال نشعر بمرارتها ونعانى من ويلاتها فى « حياتنا المعاصرة » .

وأسرد إليكم ، كالجملعة المعترضة ، مثلاً من تاريخنا المعاصر وهو أنكم ، أيها المسلمون ، قد جمعتكم شملكم تحت لواء الإسلام فنصركم الله نصراً مؤزراً وكتب لكم النجاح والتوفيق فى إنشاء باكستان : بلداً إسلامياً مستقلاً تعيشون فيه أحراراً مكرمين ، ولكن بعد هذا الفتح المبين والنجاح الباهر تشرعون تستذكرون أصول الجاهلية : فهذا ينادى بالعنصرية البشتوية ، وآخر يعلن بأنه بنغالى ، وثالث يهتف بجنسيته السندية ، ورابع

الذاتية أو مصلحة قبيلته وأسرته ، وكان من جراء هذا الأمر أن نشأت في المجتمع الإسلامى فئة مرتزقة من الجنود والضباط والإداريين قد تدنوا خلقياً لدرجة أن كل من سولت له نفسه أن يشتري ذمهم ، ويساوم ضمائرهم مقابل ثمن زهيد كان له ما أراد . وكان مثلهم كمثل الوحش الأليف الذى إذا أطعمته يتبعك ثم إذا أغريته بأحد يعدو عليه ليفترسه ويفتك به . ونحذوا - مثلاً - ما جرى فى تاريخ بلادكم : على أى مدى كان الشعب المسلم يؤمن للحكومات المتعاقبة جماعات من الجنود المرتزقين . أرى أنه لا يخفى عليكم أن دولة المهرتا التى كانت ألد أعداء المسلمين ولم تسلم من تطاولها أموال المسلمين وأنفسهم وأعراضهم . إن هذه الدولة أيضاً كانت فى جيشها فرق من الجنود المسلمين ممن كان لهم كعب عال فى ضرب المدافع وإلقاء القنابل . ولما دخل الإنجليز هذه البلاد ظفروا هم الآخرون أيضاً من الشعب المسلم نفسه بحشود كبيرة من الجنود المأجورين الذين أتموا لهم الاحتلال وحققوا لهم ما أرادوا لدرجة أن الإنجليز أصبحوا فى غنى من استقدام

القوات من الخارج . لأنهم وجدوا فى هذه البلاد نفسها من أكمل لهم الغزو العسكرى ، وأصبح لهم الساعد الأيمن فى استتباب الأمن وتنظيم شئون البلاد . ولم يكن أحد من هؤلاء المرتزقين يستشعر فداحة دوره ويتفكر : فى مصلحة من يجند طاقاته وكفاءته ؟ وأى بلد نهض يغزوه مع الغزاة ؟ ولأجل أية جهة يتولى شئون الإدارة والتنظيم ؟ هل تفكرتم لماذا كان كل ذلك ؟ لأن جميع أنواع الولاء النبيلة انعدمت فيهم ، وآخر ولاء كان شأنه أن ينقذهم من النذالة والهون « وهو الولاء لله ورسوله ودينه » قد أتوا عليه أيضاً . ولم يبق فيهم إلا الولاء للنفس الأماراة بالسوء . وهل من ولاء غير الولاء للنفس يُمكن أن يحمل صاحبه على ذلك النوع من الأعمال الخسيسة التى يرفضها العقل ويمجها النوق .

وعلى هذا ، فإن جميع الحكومات الإسلامية من جزر الفلبين شرقاً إلى المغرب العربى غرباً شرعت تذهب أبهى أبهى سبا واحدة تلو الأخرى . وفرض الاستعمار الفرنسى سيطرته عليها . وليست سيطرة الاستعمار الغربى على الشعوب الإسلامية وليدة الصدفة بل

وإن بقيت دولة أو دولتان بمنجاة من الاستعمار قال أمرها أيضاً إلى أسوأ مما كانت عليه الدول المحتلة . فبقاء تركيا أو إيران أو أفغانستان مثلاً بمنجاة من تطاول الاستعمار لم يكسبها موقفاً محسوداً بل انحدرت إلى ما هو أسوأ حالا وأردى وضعاً من البلاد المحتلة نفسها .

مردّها إلى جُلُور تاريخية عميقة لا يسمح لي المقام أن أستعرضها بالتفصيل وإنما أذكر لكم - متوخّياً الإيجاز - الدوافع التي شكلت المرحلة الثالثة من مراحل تاريخنا . أي المرحلة التي أضحت فيها جميع الشعوب الإسلامية ضحية الجشع الاستعماري بدون استثناء .

المرحلة الثالثة : دور الاستعباد وآثاره السيئة

على المسلمين وإبلا من الظلم والعدوان والبطش والتنكيل ، وأنزل بهم ضرراً من الفن كقطع الليل المظلم . كما دك حكوماتهم ، واحتل أراضيهم الخصبه وسيطر على أوقافهم ، وتلاعب بأنفسهم وأموالهم وأعراضهم . بيد أن جميع هذه الأعمال الإجرامية لا تساوى ظلماً ارتكبه الاستعمار حين فرض علينا النظام التربوي الحديث الغريب عن معتقداتنا والبعيد عن قيمنا ، قسراً ، في جانب ، وفي جانب آخر عطل نظامنا التليد للتعليم والتربية وحوله إلى حالة العقم ، وجعله في وضع يرثى له . وحاول بهذه الطريقة أن ينشئ منا أجيالاً تنكر لشخصيتها الإسلامية . وتبغض دينها ، وتجهل تقاليدها ،

ولنأخذ الآن المرحلة الثالثة والأوضاع التي مررنا بها في هذه المرحلة . ولسنا بحاجة إلى الدراسة التفصيلية عن هذه المرحلة . إذ أننا لسنا ببعيدى العهد بها بل قد اجتزناها قبل عشرين سنة فقط . والذين كانوا في ميعه الشباب في تلك الفترة قد شهدوها عياناً فلا يخفى عليهم ما مر عليه من الأظوار والأحوال . اللهم إلا الذين كانوا في تلك الأيام في سن الطفولة . وهم إن كانوا إلا يستذكرون أحداث هذه المرحلة بحكم سنهم غير أنهم قد سمعوا من آبائهم وإخوانهم ما جعلهم في غنى عن الدراسة التفصيلية .

إن الاستعمار الغربي بعد تعميق مخالبه في البلاد الإسلامية جعل يصب

وتنظر إلى تاريخها الحافل بالأعجاز بنظرة الاستحقاق ، وتعتبر حضارتها الرائعة شيئاً أكل عليه الدهر وشرب وتقتنع بأن ثقافتها قد تقادم عليها العهد ، وتؤمن بأن نظامها للفكر والعمل لا يصلح للعصر الحاضر ، ويترسخ في ذهنها وقلبها أنه إذا كانت هناك معارف فهي التي تدون في الغرب ، وإذا كانت هناك حضارة فهي التي مهدها الغرب ، وإذا كانت هناك أخلاق فهي التي يتخلق بها الغرب ، وموجز القول أنه إذا كان هناك شيء يتسم بالمثالية الجديرة بالتأسي ، وبالتصور الإنساني الرفيع الحقيقي بالتقدير والاعتناء فهو ما عند الغرب كما قال الشاعر :

إذا قالت حذام فصدقوها

فإنّ القول ما قالت حذام

هذا هو أعظم ظلم مارسه الاستعمار في حقنا . أما النظام التربوي الذي كان يواجهنا إلى ديننا ، ويربطنا بتقاليدنا ، ويوطد صلتنا بحضارتنا عاد نظاماً مرفوضاً لا يجد سوقاً رائجة . ولأجل ذلك فإن أي فرد من المسلمين كان يتوق إلى التقدم المادي صار يرغب عنه وينبذه وراء ظهره ، ويتلهث وراء النظام الحديث الحلاب . فكانت

لهذا التحويل آثار بعيدة الأغوار في مجتمعتنا ، وما لبث أن مال إلى هذا النظام التربوي النخبة الممتازة من هذه الأمة ، المتمثلة في ذوى الثراء والفظانة والنباهة ، وفيمن كانوا يتعمقون بقسط وافر من المواهب والحيوية وقوة العمل والتفكير وقابلية التوجيه . إن جميع تلك العناصر الصالحة اندفعت إلى نظام الاستعمار للتربية والتعليم تحت ضغط منطق الظروف مع العلم أن هذا النظام لم يكن ليبعدنا عن ديننا وتاريخنا وحضارتنا فحسب ، بل ليكون منا أمة تتقزز من تراثها العقائدي وتنفّر من قيمها الحضارية .

تحول قيادي :

وتعميقاً لهذه السياسة قصر الاستعمار جميع مجالات التقدم وفرص الترقّي على الذين كانوا يتخرجون من هذا التعليم ، لأن الاستعمار قد أتى بخطة محكمة الدرس ومتقنة الأداء في هذا الصدد ، كان من نتائجها الطبيعية أن الذي أراد أن ينال في الدنيا عيشاً رغيداً ووضعاً مزدهراً — بل وحتى الذي أراد الحياة فقط — لا يتأتى له ذلك إلا أن يسلم أولاده لنظام التعليم الحديث لينزعهم من دينهم وقيمهم . نفذ الاستعمار هذه الخطة على المدى البعيد ، وفي

حتى يترجع على المناصب الرئيسية الحكومية « المسلمون » الذين وإن كانوا يحملون أسماء إسلامية ولكنهم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه . وسرعان ما رأينا نتيجة لذلك أن جميع المناصب الرئيسية تحولت إلى هذا الضرب من المسلمين ، وجميع القطاعات الاقتصادية (أى العصب الحساس) لا تُفْتَحُ أبوابها إلا على وجههم . وشوهت هذه السياسة نفسها متبعة في جميع البلدان الإسلامية . وأينما توجهت في البلدان الإسلامية تفاجئت هذه السياسة بقضها وقضيضها وويلاتها وثبورها .

الحركات التحريرية :

ولما أطلت الحركات التحريرية برأسها في البلدان الإسلامية ، وبدأت في قلوب الناس تلتهب جذوة تحرير الوطن بعد أن درسوا المؤلفات الغربية وتاريخ الشعوب الغربية ، وتفطنوا لوضعهم المزرى اقتضى منطق الأوضاع أن يتولى قيادة هذه الحركات الزعماء الذين كانوا يعرفون لغة الشعب الغازي . وكانوا يدركون طبائعه وطرائقه . وكانوا يفهمون منافذ الدخول إليه . هذا النمط من القيادة إنما فرضها منطق الأوضاع على الشعوب الإسلامية الطامحة للتحرير ، ولم

جميع البلدان الإسلامية شرقاً وغرباً . أى حيثما ألقى عصاه بلحاً إلى هذه الخطة الممقوتة . وليس الاستعمار الإنجليزي بالوحيد في هذا الأمر ؛ بل تلتقى عليه جميع القوى الاستعمارية كالاستعمار الهولندي والبلجيكي والفرنسي والألماني . وعلى كل . فإن كل بلد من البلدان الإسلامية دخلته الشعوب الاستعمارية طبقت فيها نفس المكيدة .

ثم إن السياسة التي اتبعها الاستعمار فعلاً في توظيف المتخرجين من هذا النظام في تسيير دفة الحكومة وفي المجالات الاقتصادية كانت تُحْتَمُّ أنه قدر ما يكون المرء متجرداً من آثار الإسلام قدر ما يتقلد أرقى المناصب . ولا شك أن هذه السياسة الإجرامية لم تدون ولم تطبق في شكل القانون ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى صياغتها وإدراجها في لوائح الموظفين . بيد أن الوضع السائد والتخطيط الإداري كانا يتجهان - جملة وتفصيلاً - إلى أن الموظف كلما ينسلخ في حياته العملية من الصبغة الإسلامية ، وينطبع بطابع الحياة الغربية كلما يجد الفرص مواتية والحظوظ حليفة في إحراز التقدم . وهكذا تجد المستعمرين يتدرجون بالأمر

الإسلام والكفر . وعليكم - يا معشر المسلمين - ألا تألوا جهداً في التضحية بأنفسكم وأموالكم ومواهبكم وأوقاتكم حتى يتحقق النصر ، ويكون الأمر كله لله ، وتعود المياه إلى مجاريها ويعود للإسلام مجده التليد ، وتشرق الأرض بنور ربها .

إن هذه الظاهرة لم تلعب دورها في بلد واحد فقط بل في أى بلد من المسلمين تدرسون تاريخه تجدون نفس الظاهرة تتحكم في الأوضاع . وأضرب لكم مثلاً من الجزائر التى نالت الاستقلال في عهد قريب بعد أن خاضت غمار الحروب الدامية ، إن نفس الظاهرة لعبت دورها فيها . ولا أقول ذلك جزافاً ، بل توصلتُ إلى هذا الرأى عن الجزائر بعد دراساتي القرية لأوضاع هذا القطر الإسلامى . إذ كنت متتبِعاً لتطور الأحداث فيه ، ثم ناقشت في هذا الموضوع ، أكثر من مرة ، القادة الجزائريين في الوقت الذى كانت فيه الحرب حامية الوطيس ، فلم يسعهم إلا أن يصدقوا وجهة نظرى ، ويقولوا بصراحة : إنهم إذا لم يؤكدوا للرجل العادى من الجزائر أن المعركة التحريرية التى أهبنا نيرانها هى معركة الإسلام والكفر ، هى الجهاد فى سبيل الله الذى أمرنا به

يكن لها بد من التسليم لها والاعتراف بها . أما خريجو المعاهد الدينية - والأصح خريجو النظام القديم للتعليم - فلم يكونوا يصلحون لقيادة المسلمين بل لم يكن باستطاعتهم أن يتحملوا عبء قيادة الشعوب وخوض غمار المعارك التحريرية . فاتجه الناس فى عجز واضطرار إلى النوع الأول من الزعماء ، وألقوا إليهم مقاليد القيادة ، وبدأوا الحروب التحريرية ضد الاستعمار تحت إشرافهم وتوجيههم . ولذلك فإنك إذا أجلت نظرك فى أى قطر من الأقطار الإسلامية ، وفى أية رقعة من الأرض ، طيلة هذه المرحلة ، وجدت أن الذين يقودون الحركات التحريرية ويضطلعون بالدور الطليعى فيها فى شرق الأرض وغربها هم الزعماء من النوع الأول . كما رأيتم فى خلال المعارك يلجأون إلى إذكاء عواطف المسلمين الإسلامية ومناشدتها لأنهم ما كانوا يستطيعون تصعيد التحرير بدون إثارة هذه الجذوة .. أهاب هؤلاء الزعماء بالشعوب الإسلامية باسم الإسلام فى كل أرض إسلامية قامت فيها معارك تحريرية ، معلنين : أن هذه الحرب إنما هى حرب فاصلة بين

في هذه الأرض . وهكذا فإن مصطفى كمال حرص على الجهاد المسلمين الأتراك الذين خرجوا واضعين رؤسهم على أكفهم ، وطرّدوا اليونان من أرضهم مسجلين التضحيات الجسام على ما كانوا عليه من قلة العتاد الحربي ونقص الإمكانيات المادية بينما كان اليونان يساندهم الحلفاء .

وكل بلد إسلامي درست تاريخه تجد نفس هذه الظاهرة تلعب دورها : تجد الذين بيدهم أزمة القيادة والتوجيه بعيدين عن الإسلام ، جاهلين به ، لا يعرفون عنه شيئا ولا يجدون في أنفسهم ميلا إلى تطبيقه لأنهم تثقفوا بثقافة تبدلت بها مقاييسهم للقيم ، وتبدلت بها أذواقهم وتبدلت بها خصالهم ، وبهرت عيونهم حضارة أخرى غير حضارة الإسلام ، وأخذ بمجامع قلوبهم منهاج غير منهاج الإسلام . وكانت الجماهير الإسلامية مضطرة كما قلنا إلى إسناد القيادة إليهم طوعا أو كرها . ثم إن كل ما حققه هؤلاء القوم من الانتصارات حققوها باستشارة جنوة المسلمين الإسلامية ، وما من معركة تحريرية تحقق انتصارها إلا بهذه الطريقة نفسها .

الله ورسوله ، ومن استشهد فيه دخل الجنة ، إذا لم نقل له ذلك لا يستجيب لنا ويلجئ نداءنا ويتقدم إلى ساحة القتال واضعاً رأسه على راحته . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشعب الجزائري لم يندفع إلى المعركة التحريرية إلا باسم الإسلام ، امثالاً لما يأمر به الدين وينادي به الله ورسوله ، ثم تعرض لما تعرض من أنواع البطش والتعذيب ، وتكبد ما تكبد من الخسائر وسجل ما سجل من التضحيات والبطولات مما يحير الألباب ويأخذ بمجامع القلوب ، ويجعل الإنسان يستغرب كيف أن شعباً أعزل يستطيع أن يحقق كل ذلك في هذا العصر ضد الاستعمار المدجج بأحدث السلاح وأفتكه .

ونخذ لذلك مثلاً آخر من تركيا . لما غزا اليونان آسيا الوسطى بعد الحرب العالمية الأولى هب مصطفى كمال يقحم نفسه في الجيوش التركية وفي يده مصحف وناشدهم بحماس دافق : أيها الأتراك : هل تعلمون ما هذا الكتاب الذي بيدي إنه المصحف الشريف . فيقول لهم : لأنكم إذا لم تخرجوا معي للحرب مع اليونان فلن يكون لهذا الكتاب بقاء

مات الرجل الذي كان وجوده على رأس الأزهر إرهاصاً بما هو مقبل عليه من مجد وسؤدد .

الأستاذ / أحمد حسين

الرغم من أنني قلت : إن جميع كتبى الدينية يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وهو صاحب الحق فيها ، أقول بالرغم من ذلك ، فقد ترك هذا الموقف من الشيخ أثراً عميقاً فى نفسى ، أما المحور الثانى الذى جمعتى والشيخ فهو بعض كتبه فى السيرة النبوية التى كتبها ، وقد رجعت إليها وأنا أضع كتابى « نبي الإنسانية » ، وقد لاحظت جنوح الشيخ إلى تأكيد كل ما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خوارق لازمته منذ الميلاد ، ومن ذلك قصة شق الصدر ، فالحديث الصحيح المتفق عليه أنها حدثت مرة واحدة إبان طفولته فى بنى سعد ، ولكن هناك رأياً آخر يقول إن عملية شق الصدر قد تكررت أكثر من مرة ، وأن إحداها كانت قبل عروجه إلى السماء ، وفى معرض البحث العلمى فقد نقلت أقوال الشيخ فى كتابى ، وعارضتها بما أتصوره

ما كان لصاحب هذا القلم ألا يرى فقيد الأزهر وفقيد مصر والمسلمين من كان وجوده على رأس الأزهر إرهاصاً بما سوف يكون عليه الأزهر من زعامة وقيادة لمصر كما كان شأنه دائماً وبالتالى للعالم الإسلامى كله .

ولم يكن لى صلة خاصة بالفقيد ، ولم أتشرف بلفائه ولو مرة واحدة ، ولكنى كنت على صلة به من ثلاثة محاور تلتقى كلها عند نهاية واحدة ، وهى أننا بإزاء عالم جليل تقى ورع عالم زاهد .

فأما المحور الأول فأشخاص أجملهم وأحترمهم كانوا على صلة بى ، وهم فى نفس الوقت يتصلون به ، وكانوا جميعاً يشنون عليه أطيب الثناء ، وإن أنس فلست أنسى أنه أرسل إلى بيتى بمجرد أن ولى وزارة الأوقاف موظفاً كبيراً يقول إنه موفد من الوزير ليشترى أى قدر من كتبى الدينية ، وعلى

ولكنه كبير لعلماء الأزهر قام بواجبه على الوجه الأكمل ، من حيث هو عالم فقه وشريعة ، بل إن الرجل ، وقد كان من القلائل الذين تثقفوا إلى جوار ثقافتهم الإسلامية بالثقافة الغربية فهو حائز على درجة الدكتوراه من جامعة السربون الفرنسية ، فقد حرص على مناقشة الماركسية ، والوجودية ، وبقية الفلسفات المادية ، مناقشة علمية موضوعية ، وقد كنت ألتهم مقالاته في مجلة الأزهر التهاماً ، وأتلقى منها ، وأستزيد من معارفى .

ويتحدث المتصلون به عما فعله في شئون الأزهر الإدارية ، للمحافظة على كرامة الأزهر وتحريره من كل تبعية ، ويقولون إنه ولي الأزهر ويتبعه بضعة وسبعون مؤسسة دينية وتربوية ، ولحق بالرفيق الأعلى وقد ناهزت هذه المؤسسات السبعمائة ، وهذه إحصاءات لا دخل لى فيها ، بمعنى أنى لم أحققها ، وإنما رويت لى ، ولكن الشئ المحقق (كما شاهدته فى التلفزيون) أن الرجل أعاد للأزهر تقليده العريق ، وهو أن يجلس شيخ الأزهر على « الكرسي » فى المسجد ليلقى درساً فى الدين ، ليستفيد به كل من حضر ، وقد

ولكن الشئ المؤكد . أن مذهب الشيخ هو آية تصوفه وورعه ، فقد لا توافقه على رأيه ، ولكنك لا تستطيع إلا أن تقر له بالورع والتقوى .

مشيخة الأزهر :

ويجئ المحور الثالث من محاور اتصالى الروحى بالشيخ وذلك بعد صيرورته شيخاً للأزهر ، هنا وقد بدأت نفسه الكبيرة تتجلى ، إذ أعطى المنصب الكبير حقه ، من حيث الأزهر أعظم جامعة فى الدنيا فى الفقه الإسلامى والشريعة الإسلامية بعامة من حيث هى علم وعمل ، فأبقى التصوف لنفسه وسلوكه الخاص مع الناس ، حتى قبل لى من أحد المقرين إليه ، إنه لم يرفض أبداً دعوة وجهت إليه من أصغر الناس شأناً فلو دعاه أحد السعاة والفراشين إلى بيته ، لما اعتذر أبداً ، ولقد قال لى أحد إخوانى يوماً « أتحب أن يزورك الشيخ » وقد استوقفنى منه صيغة القطع واليقين التى راح يتحدث بها ، وكيف أنه ما على إلا أن أقول نعم ، لكى يحضر فوراً ، ولكن الكتاب كان أسرع .

فالشيخ المتصوف البسيط الزاهد ظل كذلك حتى آخر لحظة فى حياته ،

كانوا يشفقون من نتائج هذه الرحلة ، واقترحوا على أقل تقدير أن تؤجل بضعة أشهر ، ليكملوا الاستعداد لها بما يتفق ومكانة الرجل في العالم الإسلامي ، ولكن الرجل البسيط المتواضع لم يلق بالا بكل هذا ، لقد تلقى دعوة من جمعية إسلامية صغيرة في لوس أنجلوس (الشاطئ الغربي لأمريكا) لافتتاح مسجد لها الصغير ، ولم يفكر الرجل لحظة في المشقة التي سوف يعانها في هذه الرحلة ، لم يفكر فيما فكر فيه الرجال الرسميون ، مما يجب أن يحاط به من مظاهر التكريم ، لم يفكر الرجل إلا في شيء واحد ، وهو أنه دعى لافتتاح مسجد ويجب أن يلي ، فالأمر كله في سبيل الله .

وسافر الرجل الشيخ إلى أمريكا ، وانقلبت الرحلة إلى غزوة ، غزوة مباركة بكل ما تعنيه الغزوة من معان ، أي يعقبها فتح مبين ، ولست بصدد وصف وقائع الغزوة ، وكيف تسابقت محطات التلفزيون والإذاعة والصحف على تلقف كل كلمة تخرج من فم الرجل ، وتصوير كل حركة وكل لفظة ، وكيف احتشد مئات الألوف من المسلمين ، في كل مكان قصد إليه ، وانتهى ذلك كله

لا يعرف الكثيرون أن هذا التقليد قد نقل من الأزهر إلى كل جامعات الدنيا ، فأصبح منتهى ما يمكن أن يصل إليه أستاذ هو أن يقال إن له كرسى .

وهكذا أعاد الشيخ تقليداً أزهرياً كاد أن يندرس ، وباطل هذا النهج الذي اتبع في السنوات الأخيرة وهو أن يحال كبار الأساتذة في الدين إلى التقاعد ، فلا تقاعد للعالم إلا بموته ، ويجب أن يعود علماء من أمثال الشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ عبد الحليم عيسى ، ليجلسوا على الكرسى في الأزهر ويفيضوا من علمهم إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلاً (من الناحية الصحية) وشكراً للراحل الكريم الذي أعاد هذا التقليد .

رحلة أمريكا :

وبحكم ظروفى الصحية (الشلل الكامل) لم أعد أتابع من الأحداث إلا أضخمها ، وعلى رأس هذه الأحداث رحلة الشيخ إلى أمريكا ، وهى أول رحلة من نوعها يقوم بها شيخ الإسلام .

ولا أذيع سراً إذا قلت إن بعض المسئولين سواء في أمريكا أو مصر ،

قانون العقوبات نصاً في أوله يقرر أن لا عقوبة على عمل ارتكب بنية سليمة بمقتضى أحكام الشريعة الإسلامية ، كما حظر على محكمة الجنايات أن تقضى على أى مصرى بالإعدام إلا بعد كلمة المفتى .

فالشريعة الإسلامية كانت حتى في أيام سيطرة الإنجليز ، هى المثل الأعلى عند المصريين ، وعند ما نزلت إلى الحياة العامة ، كان أحد مطالبنا الرئيسية هى الحكم بالشريعة أكثر من هيئة دينية ، ونمت إحدى الهيئات الدينية وتضخمت وعظم تأثيرها في الحياة المصرية ، لأنها جعلت محور جهادها الحكم بالشريعة الإسلامية .

فالدعوة ليست جديدة ، ولكن الجديد أن يتبناها رسمياً وينادى بها شيخ الأزهر ، فيُعقد مؤتمر يضم الهيئات الدينية الداعية لهذا المطلب تحت رعايته وتشجيعه ، ويبحث برسائله إلى رئيس مجلس الشعب ، وإلى رئيس الدولة مطالباً بتطبيق الشريعة .

هذا هو الرجل الذى فقدته الأزهر ، وفقدته مصر وفقدته العالم الإسلامى ، وليس هو أول من يموت ولا آخر من يموت فهى سنة الله تعالى في هذه الدنيا ،

إلى قمة ، عندما يدعى إلى مجلس الشيوخ الأمريكى (الكونجرس) ليحاضر في الإسلام ويرتل الشيخ الحصرى (الذى رافق الشيخ) يرتل القرآن لأول مرة في التاريخ تحت قبة الكونجرس ، يقول لى صاحبى : لقد تخيلنا أن السموات والأرض كانتا ترتلان معه ، كما كان يتجلى على وجه أعضاء الشيوخ الذين كانوا فاغرى الأفواه منبهرين بما يسمعون ، ثم تولى الشيخ إفهامهم ما سمعوا ومن هنا هنأت الشيخ بعد عودته ، على هذا الفتح المبين .

الدعوة إلى تطبيق الشريعة :

على أن دور الرجل الكبير والخالد كان في وقوفه بكل ثقله كشيخ للأزهر خلف الدعوة للحكم بالشريعة الإسلامية وهذه الدعوة ليست جديدة بطبيعة الحال فصر كانت تحكم بالشريعة الإسلامية قبل دخول الإنجليز ، أى حتى عام ١٨٨٢ وحتى بعد أن دخلوها حرصت الحكومة المصرية ، ألا تكون القوانين الوضعية الجديدة غير متمشية مع الشريعة ، ففضمننت المجموعة المدنية ، كل الأحكام الشرعية التى جرى عليها العمل في مصر كالشفعة والبيع الوفاى والوقف والحكر ... إلى آخره ، وتضمن

إن بكل من يولد يموت ، قال تعالى
 لأعظم إنسان عرفته الدنيا وهو سيدنا
 محمد عليه الصلاة والسلام : (إِنَّكَ مَيِّتٌ
 وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) فالقضية ليست قضية
 أن شيخاً صالحاً للأزهر قد مات ، فكل
 إنسان يؤدي رسالته ، وعلى الأحياء
 من بعده أن يكملوا هذه الرسالة إن
 كانت صالحة ، ولا خلاف بين أحد
 وأحد على أن رسالة الشيخ الصالح بشقيها

وأعنى بهما ، التقيد في الحكم والمعاملات
 بالشرعية الإسلامية ، والإعلاء من
 شأن الأزهر ومكانته ، وعندنا أن ذلك
 يبدأ بإعادة تقليد قديم من تقاليد
 الأزهر وهو إعادة هيئة كبار العلماء ،
 لترشح لرئيس الدولة واحداً أو اثنين
 أو ثلاثة ليختار واحداً منهم ليكون
 شيخاً للأزهر .
 والله ولي التوفيق .

أحمد حسين



من صفات الكريم

إن الكريمَ ليخفى عنك عُسرتهُ
 حتى تراهُ غنياً وهوَ مَجْهُودُ
 إذا تَكَرَّهْتَ أن تعطى القليل ولم
 تقدر على سعة لم ينفع الجودُ
 أَوْزِقْ بخير تُرْجَى للنَّوَالِ فَمَا
 تُرْجَى الثَّمارُ إذا لم يورق العودُ
 بُثَّ النَّوَالُ ولا تمنعك قِلَّتُهُ
 فكل مَآسَدٌ فقراً فهو محمودُ

« بشار بن برد »



بطولات إسلامية

مسلمة بن عبد الملك بن مروان قاهر هرقه وفاحم الدنيا ضول

للسيد اللواء الركن / محمود شيت خطاب

(٢)

٣ - توطيد الأمن الداخلي

ابن الخطاب عامله بالكوفة ، ألا
يُحَرِّكهم حتى لا يفسدوا ماء ويفسدوا
في الأرض ، فإن فعلوا وجهه إليهم رجلا
صلباً حازماً في جُند .

وبعث عبد الحميد والى الكوفة محمد
ابن جرير بن عبد الله البجلي^(١) في ألفين ،
وأمره بما كتب عمر بن عبد العزيز
إليه ، كما كتب عمر إلى بسطام الخارجي
يسأله عن مخرجه ، فقدم كتاب عمر
إلى بسطام ، وقد قدم عليه محمد بن

(ب) القضاء على حركة شوذب الخارجي :

في سنة مائة الهجرية (٧١٨ م) ،
خرج شوذب الخارجي ، وهو بسطام
من بني (يَشْكُر)^(١) في (جُوخَى)^(٢)
وكان في ثمانين رجلاً .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى
عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد

(١) هو يشكر بن وائل ، انظر التفاصيل
في جمهرة أنساب العرب (٣٠٨) .

(٢) جوخى : وردت في معجم البلدان
(١٦١ / ٣) : جوخا : اسم نهر عليه كورة
واسمة في سواد بغداد ، ولم تكن ببغداد مثل
كورة جوخا .

(١) انظر سيرة والده : جرير بن عبد الله
البجلي في كتابنا : قادة فتح العراق والحزيرة
(٣٥٦ - ٣٧١) .

جرير ، فقام بإزائه لا يتحرك .

وكان في كتاب عمر بن عبد العزيز إلى بسطام : « بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله ، ولست أولى بذلك مني ، فهلهم إلى أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا ، دخلت فيما دخل الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرك » .

وكتب بسطام إلى عمر : « قد أنصفت ، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك » .

ووصل الرجلان إلى عمر ، وناظراه فاقتنعا بوجهة نظره^(١) .

ومات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سنة إحدى ومائة الهجرية^(٢) ، (٧١٩ م) ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرض إليهم ولا يتعرضون إليه ، كل منهم ينتظر عودة الرسل من عند عمر بن عبد العزيز ، فتوفي عمر والأمر على ذلك^(٣) .

وتولى يزيد بن عبد الملك بن مروان

الخلافة بعهد من أخيه سليمان بعد عمر ابن عبد العزيز^(١) ، فأحب عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أمير الكوفة أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمناجزة شوذب ،

ولما رأى الخوارج محمداً يستعد للحرب ، قالوا : « ما فعل هؤلاء هذا إلا وقد مات الرجل الصالح » ، يريدون عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

ونشب القتال بين الطرفين ، فأصيب من الخوارج نفر ، وقتل الكثير من أهل الكوفة وانهزموا ، وجرح محمد بن جرير فدخل الكوفة ، وتبعهم الخوارج حتى بلغوا الكوفة ، ثم رجعوا إلى مكانهم .

ووجه يزيد بن عبد الملك تميم بن الحباب في ألفين ، فحاربه الخوارج وقتلوه وقتلوا أصحابه ، ولحأت فلول جيشه إلى الكوفة وإلى يزيد بن عبد الملك هاريين .

وأرسل يزيد قوة بقيادة نجدة بن الحَكَم الأزدى فقتلوه وهزموا أصحابه ، فوجه يزيد السَّجَّاح^(٢) بن وداع في ألفين

(١) انظر التفاصيل في الطبرى (٥٥٥/٦) وابن الأثير (٤٥/٥ - ٤٨) .

(٢) الطبرى (٥٦٥/٦) وابن الأثير (٥٨/٥) والعبير (١٢٠/١) وشذرات الذهب (١١٩/١) .

(٣) ابن الأثير (٤٨/٥) .

(١) ابن الأثير (٦٧/٥) .

(٢) في الطبرى (٥٧٦/٦) الشَّحَّاج ،

وفي ابن الأثير (٦٩/٥) : السَّجَّاح .

فقتلوه وهزموا أصحابه أيضاً .

(ب) القضاء على فتنة يزيد بن المهلب :

في سنة مائة الهجرية (٧١٨ م) ، كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عدى بن أرطاة وإلى البصرة لعمر^(١) ، يأمره بإنفاذ يزيد بن المهلب إلى دمشق موثقاً . وكان عمر قد كتب إلى يزيد بن المهلب أن يستخلف على عمله ويقبل إليه ، فاستخلف مخلداً ابنه وقدم من (خراسان)^(٢) ونزل (واسطاً)^(٣) ، ثم ركب السفن يريد (البصرة) ، فبعث عدى بن أبى أرطاة موسى بن الوجيه الحميرى ، فلاحقه في نهر (معقل)^(٤) عند الجسر ،

وأقام الخوارج بمكانهم حتى دخل مسلمة بن عبد الملك الكوفة ، فشكا إليه أهل الكوفة مكان شوذب ، فأرسل إليه مسلمة سعيد بن عمرو الحرثى ، وكان فارساً ، في عشرة آلاف ، وأتاه وهو بمكانه ، فرأى شوذب وأصحابه ما لا قبل لهم به ، فقال لأصحابه : « من كان يريد الشهادة فقد جاءته ، ومن كان يريد الدنيا فقد ذهب » . وكسر الخوارج أعماد سيوفهم وحملوا ، فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً ، حتى خاف سعيد الفضيحة ، فوبخ أصحابه وقال : « من هذه الشرزمة لا أب لكم تفرون ! يا أهل الشام ! يوماً كأيامكم ! » وحمل أصحاب سعيد على الخوارج ، فطحنوهم طحناً ، وقتلوا بسطاماً - وهو شوذب - وأصحابه^(١) .

وهكذا قضى مسلمة على حركة من حركات الخوارج ، استعصت على الآخرين وكان يمكن أن تتطور فتصبح خطراً داهماً يهدد أمن الدولة واستقرارها .

(١) جمهرة أنساب العرب (٢٥٦) .
(٢) خراسان : بلاد واسعة تتأخم العراق من الغرب وأفغانستان والهند من الشرق ، وتقع كرمان وسجستان إلى جنوبها ، وتمتد من الشمال إلى أقصى تخوم إيران . من أمهات مدنها : نيسابور وهراة ومرو وبلخ ، انظر التفاصيل في الممالك والمسالك للإصطخرى (١٤٥ - ١٦٠) ومعجم البلدان (٤٠٧/٣) .
(٣) واسط : مدينة كبيرة بناها الحجاج ابن يوسف الثقفى ، وسميت واسطاً لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٨/٨ - ٣٨٧) وقد أطلق اسم واسط على محافظة من محافظات العراق الحديث ، وهي محافظة الكوت على نهر دجلة .
(٤) نهر معقل : منسوب إلى معقل بن يسار =

(١) انظر التفاصيل في الطبرى (٥٧٥/٦ - ٥٧٨) وابن الأثير (٦٨/٥ - ٧٠) .

فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز في دمشق .

ودعا به عمر ، وكان ييغض يزيد وأهل بيته ويقول : « هؤلاء جبابرة ، ولا أحب مثلهم » ، وكان يزيد ييغض عمر ويقول : « إنه مُرَاءٍ » ، فلما ولي عمر عرف يزيد أنه بعيد عن الرياء . ولما دعا عمر يزيد ، سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال : « كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني به ! » ، فقال عمر : « لا أجد في أمرك إلا حبسك ، فأتق الله وأد ما قبلك ، فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها » .

وحبسه بحصن (حلب) ، وبعث

= المنزى ، صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو نهر معروف بالبصرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٥/٨ - ٣٤٦) ، وفيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر أبا موسى الأشعري أن يحفر نهراً بالبصرة وأن يجريه على يد معقل بن يسار المنزى ، فنسب إليه .

أقول ولا يزال النهر موجوداً حتى اليوم وعليه ضاحية (المعتقل) التي هي من ضواحي البصرة حالياً في شمال البصرة وبالقرب منها ، وهي معروفة جداً في الوقت الحاضر ، يقصدها السائحون خاصة في الشتاء ، وفيها مناظر خلابة جميلة .

إلى الجراح بن عبد الله الحكيم فسرحه إلى (خراسان) أميراً عليها ، فبقي يزيد في محبسه حتى بلغه مرض عمر^(١) .

ولما اشتد مرض عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، خاف يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك^(٢) ، فأرسل إلى مواليه يخبرهم بعزمه على الهرب من السجن ، فأعدوا له إيلاً وخيلاً . وواعدهم مكاناً يأتيهم فيه ، وبعث إلى عامل (حلب) مالا وإلى الحرس الذي يحفظونه وقال : « إن أمير المؤمنين قد ثقل وليس برجاء ، وإن ولي يزيد بن عبد الملك يسفك دمي » ، فأخرجوه فهرب إلى المكان الذي واعد أصحابه فيه ، وركب هناك الدواب وقصد (البصرة) . وكتب إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً يقول فيه : « إني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ، ولكني خفت أن يلي يزيد فيقتلني شر قتلة » ، فورد الكتاب وبه رmq ، فقال : « اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً

(١) الطبرى (٥٥٦/٦ - ٥٥٨) وأين الأثير (٤٨/٥ - ٥٠) وانظر كتاب الوزراء والكتاب (٣١) .

(٢) كانت بين اليزيديين عداوة قبل أن يتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، وقد توعد كل منهما صاحبه ، انظر ابن الأثير (٥٧/٥) .

أرطاة أهل البصرة وخندق عليها، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله ابن أبي عقيل الثقفي .

وبعث عديّ على كل خمس من أخماس البصرة رجلاً . خمس الأزد ، وخمسين تميم ، وخمس بكر بن وائل ، وخمس عبد القيس ، وعلى خمس العالية من قريش وكنانة والأزد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة ، فأقبل يزيد لا يمرّ بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن طريقه حتى نزل داره .

واختلف الناس إلى يزيد ، فأرسل إلى عديّ « أن ابعث إلى إخوتي وإني أصالحك على البصرة وأخيلك وإياها حتى آخذ لنفسى من يزيد ما أحبّ فلم يقبل منه .

وسار حميد بن عبد الملك بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك ، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد القسريّ وعمرو بن يزيد الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهله .

وأخذ يزيد بن المهلب يعطى من أتاها قطع الذهب والفضة ، فقال الناس إليه ، وكان عديّ لا يعطى إلا درهمين درهمين ويقول : « لا يحل بحلة الأثر »

فألقه به وهضبه فقد هاضنى » ، وكان هروب يزيد بن المهلب سنة إحدى ومائة الهجرية ^(١) (٧١٩ م) .

وكتب يزيد بن عبد الملك بعد توليه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب عامله على الكوفة وإلى عدي بن أرطاة عامله على البصرة يأمرهما بالتحرز من يزيد ويعرفهما هربه ، وأمر عدياً أن يأخذ من بالبصرة من آل المهلب فأخذهم وحبسهم .

وأقبل يزيد حتى ارتفع إلى (القطقطانة ^(٢)) وبعث عبد الحميد جنداً إليهم عليهم هشام بن ساحق العامري القرشي - عامر بنى لوى ، فساروا حتى نزلوا (العذيب) ^(٣) . ومر يزيد قريباً منهم ، فلم يقدموا عليه . ومضى يزيد نحو (البصرة) وقد جمع عدي بن

(١) انظر التفاصيل في الطبري (٦ / ٥٦٤ - ٥٦٥) وابن الأثير (٧٥ - ٥٨) ابن خلدون (٣ / ١٦٦) .

(٢) القطقطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٦ / ١٢٥) .

(٣) العذيب : ماء بين القادسية والمنجشة بينه وبين القادسية أربعة أميال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ١٣١) ، والمنجشة منزل في طريق مكة بعد العذيب نحو مكة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ١٠٦) .

لى أن أعطيكُم من بيت المال درهماً
إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ، ولكن
تسلّخوا بهذه حتى يأتي الأمر بذلك » ،
وفى ذلك يقول الفرزدق :

أظنُّ رجال الدرهمين تقودهم
إلى الموت آجال لهم ومَصَارِعُ
وأَكْبَسُهُمْ من قرّ في قعر بيته
وأيقن أن الموت لا بد واقعُ

وخرجت بنو عمرو بن تميم من
أصحاب عدى ، فزلوا (المِرْبَد) ^(١) ،
فبعث إليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال
له « دارِس » فحمل عليهم ، فهزمهم .

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع
الناس له ، حتى نزل جبّانة بنى يشكر
وهى النصف فيما بينه وبين قصر الإمارة
فى البصرة ، فلقمه قيس وتميم وأهل
الشام واقتتلوا هنيهة ، ثم حمل عليهم
أصحاب يزيد فانهزموا وتبعهم ابن
المهلب حتى دنا من القصر ، فخرج
إليهم عدى بنفسه ، ولكن أصحابه انهزموا
بعد قتال تكبدوا فيه خسائر كبيرة .

(١) المرید : مرید البصرة من أشهر محالها
وكان فيه سوق الإبل قديماً ، ثم صار محلة
عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاعرات
الشعراء ومجالس الخطباء ، انظر التفاصيل فى
معجم البلدان (١١/٨ - ١٣) .

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل
داراً إلى جنب القصر ، وأتى بالسلام
وفتح القصر . وأتى بعدى بن أرطاة
فحبسه وقال له : « لولا حبسك إخوانى
لما حبستك » .

فلما ظهر يزيد ، هرب رءوس أهل
البصرة من تميم وقيس وغيرهما ، فلاحقوا
بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشام . وخرج
المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي نحو
الشام ، فلقى خالد القسرى وعمرو بن
يزيد الحكسمى ومعهما حميد بن عبد
الملك بن المهلب ، قد أقبلوا بأمان يزيد
ابن المهلب وكل شىء أراداه ، فسألاه
عن الخبر ، فخلا بهما سرّاً من حميد
وأخبرهما : بأن يزيد بن المهلب قد
ظهر على البصرة ، وقتل القتلى ، وحبس
عدى ، فارجعا ، فارجعا ، وأخذوا
حُمَيْدًا معهما .

وأصبح الموقف خطيراً للغاية ، فأرسل
يزيد بن عبد الملك إلى الكوفة شيئاً
من المال ، ومَنَّى أهلها الزيادة ، وجهز
أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه
العبّاس بن الوليد بن عبد الملك فى
سبعين ألف مقاتل من أهل الشام
وجزيرة ابن عمر ، وقيل : كانوا ثمانين
ألفاً ، فساروا إلى العراق . وقدم الكوفة

ونزلاً بـ (النخيلة) ^(١) .

ولما سمع أصحاب ابن المهلب بوصول مسلمة وأهل الشام راعهم ذلك فبلغ ابن المهلب فخطب الناس يشجعهم ويهون من أمر أهل الشام . وكان الحسن البصري يسمع ، فرفع صوته يقول : « والله لقد رأيتك والياً ومُوكى عليك ، فما ينبغي لك ذلك ! » ، فوثب أصحابه وأخذوا بفمه وأجلسوه ، وكان النضر ابن أنس بن مالك يثبّط أهل البصرة كما يثبّطهم الحسن البصري منعاً لاقتتال المسلمين فيما بينهم وقطعاً لدابر الفتن . وسار يزيد من البصرة ، واستعمل عليها أخاه مروان بن المهلب ، وأتى (واسطاً) ، فلما نزل (واسطاً) أقام بها أياماً وخرج سنة إحدى ومائة هجرية . ودخلت سنة اثنتين ومائة الهجرية

(٧٢٠ م) ، فسار يزيد من (واسط) واستخلف عليها ابنه معاوية وجعل معه بيت المال والأسرى ، وسار على فم

(١) النخيلة : موضع بالقرب من الكوفة على سبيل الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٦/٨ - ٢٧٧) .

(٢) انظر التفاصيل في الطبري ٥٧٨/٦ - ٥٨٩ وابن الأثير (٧١/٥ - ٧٧) وابن خلدون (١٦٦/٣ - ١٦٩) وانظر خلاصة الذهب المسبوك ص (٢٦) .

(النيل) ^(١) حتى نزل (العقر) ^(٢)

وقدم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة ، فاستقبله العباس بن الوليد بن عبد الملك بـ (سورا) ^(٣) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، كانت الجولة الأولى منه لآل المهلب ، ولكن تغيرت المعركة لصالح العباس بن الوليد ، فأنكشف جيش ابن المهلب ، وانهزموا عائدين إلى يزيد بن المهلب .

وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات إلى (الأنبار) ^(٤) ، فعقد عليها الجسر وعبر ، ثم سار حتى نزل على ابن المهلب .

وأتى إلى ابن المهلب ناس من أهل (الكوفة) كثير ومن الثغور ، فقسمهم أقساماً وجعل على كل قسم منهم

(١) النيل : بليدة في سواد الكوفة قرب (حلة) بنى يزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير ، انظر معجم البلدان (٣٦٠/٨) (٢) المقر : عقر بابل ، قرب كربلاء من الكوفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٤/٦ - ١٦٥) .

(٣) سورا : موضع بأرض بابل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٨/٥) .

(٤) الأنبار : مدينة على الفرات في غرب بغداد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٠/١ - ٣٤٢) ، وهي مدينة الفلوجة كما تسمى اليوم .

قائداً ، وكان هذا التقسيم بالنسبة للقبائل العربية : الأزد ومذحج وأسد وكندة وربيعة وتميم وهَمْدَان ، وجعل مر كل تلك الأقسام إلى المَفَضَّل بن المهلب ، وأحصى ديوان يزيد بن المهلب مائة ألف وعشرين ألفاً ، فقال « لوددت أن لي بهم من بخراسان من قومي » ثم قام في أصحابه وحرّضهم على القتال .

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنُخَيْلَة ، وشق المياه ، وجعل على أهل الكوفة الأرصاء لئلا يخرجوا إلى ابن المهلب ، وبعث بعثاً إلى مسلمة مع سبرة بن عبد الرحمن بن مِرْخَنَسَف ؛ ولكن مسلمة عزل عبد الحميد عن الكوفة واستعمل عليها محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي المَعِيط ، وهو ذو الشامة .

ومن الواضح أن عبد الحميد لم يكن مسيطراً على الكوفة ، لذلك تسرب أكثر أهلها إلى ابن المهلب ، كما لم يكن ذا كفاية قيادية ولا يتحلى بمزية المبادرة ، وكان ضعيفاً متردداً ، لذلك عزله مسلمة وولى قائداً متميزاً ، ليضمن قاعدته الأمامية : الكوفة .

وجمع يزيد بن المهلب رعوس

أصحابه فقال : « قد رأيت أن أجمع اثني عشر ألفاً ، فأبعثهم مع أخي محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ، ويحملوا معهم البراذع والأكف والزُّبُل لدفن خندقهم ، فيقاتلهم على خندقهم بقية ليلته ، وأمدّه بالرجال حتى أصبح ، فإذا أصبحت نهضت إليهم في الناس فأنا جزهم ، فإني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم » ، فأجابه أحد أصحابه ^(١) قائلاً : « إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا أنهم قبلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا » ، فثنى على قوله آخر ^(٢) قائلاً : « صدق ! هكذا ينبغي » . فقال يزيد : « ويحكم ! ... إنهم يخادعونكم ليمكروا بكم ، فلا يسبقوكم إليه . إني لقيت بني مروان ، فما لقيت منهم أمكر ولا أبعد غدرًا من هذه الجرادة الصفراء » ، يعني مسلمة فقالوا : « لا نفعل ذلك حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا » .

وكان مروان بن المهلب بالبصرة

(١) اسمه : السميذع .

(٢) هو أبو روبة رأس الطائفة المرجئة

ومعه أصحاب له .

مع ابن المهلب الدخان ، وقيل لهم :
أحرق الجسر ، انهزموا ! فليل ليزيد :
قد انهزم الناس ! فقال : مم انهزموا ؟
هل كان قتال يُنْهَزَمُ من مثله ؟ ! » ،
فليل له : قالوا أحرق الجسر ، فلم
يثبت أحد ! فقال : « قَبَّحَهُمُ اللَّهُ !
بَسَقٌ دُخْنٌ عَلَيْهِ فطار ! » .

وخرج يزيد مع أصحابه المقربين
إليه في محاولة لرد المنهزمين من جيشه ،
ولكنه أخفق في محاولته .

ونزل يزيد يقاتل ، فجاءه من ينحى
إليه أخاه حبيباً الذى قتل في المعركة ،
فقال يزيد : « لآخر في العيش بعده ،
قد كنتُ والله أبغض الحياة بعد الهزيمة
وقد ازددت لها بغضاً ، امضوا قَدْماً » ،
فعلموا أنه قد استقتل ، لذلك تسلى
عنه من يكره القتال ، وبقى معه جماعة
حسنة ، وهو يتقدم ، فكلما مر بنحيل
كشفها ، أو جماعة من أهل الشام
عدلوا عنه .

وأقبل يزيد نحو مسلمة لا يريد غيره
فلما دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب
فعظفت على يزيد خيول أهل الشام وعلى
أصحابه ، فقتل يزيد ومحمد بن المهلب .

وكان المفضَّلُ بن المهلب يقاتل
أهل الشام وما يدرى بقتل يزيد

يبحث الناس على حرب أهل الشام ،
والحسن البصرى يشبطهم فهدد مروانُ
الحسن بالعقوبة الصارمة وتوعده ، فقال
الحسن : « والله ما أكره أن يكرمنى الله
بهوانه » ^(١) ، فقال ناس من
أصحاب الحسن : « لو أردك ثم
شئت لمنعناك » ، فقال لهم : « فقد
خالفتكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه ! آمركم
ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيرى ، وأمركم
أن يقتل بعضكم بعضاً دونى ! » .

وكان اجتماع يزيد بن المهلب
ومسلمة بن عبد الملك ثمانية أيام ،
فلما كان يوم الجمعة لأربع عشرة
مضت من صفر ، بعث مسلمة من
يحرق الجسر .

وخرج مسلمة مُعَبِّباً ^(٢) أهل الشام ،
ثم قرب من ابن المهلب ، ثم عبأ
العباس بن الوليد رجاله ، وكان مسلمة
على الناس قائداً عاماً .

وعبأ يزيد بن المهلب رجاله أيضاً .
وأحرق الجسر ، فسطع دخانه ،
وقد أقبل الناس ونشبت الحرب ولم
يشدد القتال ، فلما رأى الناس الذين

(١) يريد بعقوبته وتوعده .

(٢) كانت التعبئة حينذاك : ميمنة ومسيرة
وقلبا ومقدمة ومؤخرة .

ولا بهزيمة الناس ، وكان كلما حمل على الناس انكشفوا . ولكن أصحابه تخلوا عنه هاربين وهو يقاتل ، فقيل له : ما تصنع هاهنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد وانهم الناس منذ طويل ؟!

ولما تفرق الناس عنه ، مضى إلى (واسط) ، ولم يكن في العرب أضرب بسيفه ولا أحسن تعبئة للحرب ولا أغشى للناس منه .

وأسر مسلمة نحو ثلثمائة أسير فسرهم إلى الكوفة ، فحبسوا بها . وجاء كتاب يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة وإلى الكوفة يأمره بضرب رقاب الأسرى ، فبدأ بالتنفيذ وقتل قسماً من الأسرى ، فجاء رسول بكتاب من عند مسلمة يأمره بترك قتل الأسرى ، ثم أقبل مسلمة حتى نزل (الحيرة)^(١) .

ولما أتت هزيمة يزيد إلى (واسط) ، غادرها آل المهلب إلى البصرة ، ومن هناك حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن

(١) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له النجف ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) ، وللنجف اليوم قريبة من الكوفة ، وفيها مرقد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

البحرية ثم لجؤاً في البحر ، فلما كانوا بجيال (كرمان)^(١) خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب ، وكان المقدّم عليهم المفضل بن المهلب وكان بكرامان فلول كثيرة اجتمعوا إلى المفضل ، فبعث مسلمة قوات من أصحابه ، فقاتلوا فلول المفضل وانتصروا عليهم وكبدوهم خسائر فادحة بالأرواح .

ومضى آل المهلب ومن معهم إلى (قنند آييل)^(٢) ، فطاردهم أصحاب مسلمة ، فتفرق الناس عن آل المهلب ، ولكن آل المهلب تقدموا بأسيا فهم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم ومنهم : المفضل ، وعبد الملك ، وزيد ، ومروان بنو المهلب وثلاثة من أبنائهم ، فبعث مسلمة برؤسهم إلى يزيد بن عبد الملك وحين بلغ يزيد بن عبد الملك خبر مقتل يزيد بن المهلب وكثير من آل المهلب ، سره هذا النصر سروراً عظيماً^(٣) .

(١) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى واسعة في إيران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان .

(٢) ٢٤١ / ٧) والمسالك والممالك للاصطخرى (١٠٠ / ٩٧) .

(٣) قنند آييل : مدينة بالسند ، انظر ، التفاصيل في معجم البلدان (١٦٧/٧) .

(٤) انظر التفاصيل في الطبري (٥٩٠/٦) =

وقد خسرت الدولة بالقضاء على يزيد
ابن المهلب وبني المهلب خيرة قادتها
وأحسن جنودها وأقدر أمرائها وولاتها
وهي خسارة كبيرة بلا مراة^(١).

وأدهى من ذلك وأمر، أن الاقتتال
الذي نشب بين الإخوة أدى إلى عداة
عميق الجذور بين القبائل العربية في
العراق قاعدة الفتح الإسلامي الرئيسية
في المشرق الإسلامي، وفي فارس قاعدة
الفتح الإسلامي المتقدمة، مما أدى إلى
انصراف الفاتحين عن الفتح إلى الاقتتال
فيما بينهم، فأصبحت طاقاتهم موجهة
إلى أنفسهم بدلا من توجيهها إلى
أعدائهم، فأنحسر مد الفتح وتقلص

(١) في العبر (١/١٢٤) : أن يزيد
كان مدحاً كثير الغزو والفتوح، وانظر أيضاً
شذرات الذهب (١/١٢٤). وفي يزيد وآل المهلب
يقول الشاعر

نزلت على آل المهلب شاتياً
غريباً عن الأوطان في زمن المحل
فا زال بى إحسانهم وافتقارهم
وبرهم حتى حسبهم أهلى
انظر مختصر تاريخ البشر لأبى الفدا
(٢٠١-٢٠٢)، وفي النجوم الزاهرة (١/٢٦٩)
وقال الفرزدق :

إن المهالبة الكرام تحملوا
دفع المكاره عن ذوى المكروه
فأنوا قديمهم بحسن حديثهم
وكرم أخلاق بحسن وجوه

وهكذا انتصر مسلمة على يزيد بن
المهلب وآل بيته، فخدم الدولة خدمة
لا تقدر بقضائه على ثورة يزيد الذي
خلع يزيد بن عبد الملك، وقاد أخطر
ثورة هددت كيان الأمويين.

ومن الإنصاف أن نذكر أن يزيد
ابن المهلب كان قائداً فذاً وإدارياً
حازماً، ولكنه خسر حياته وحياة أكثر
آل المهلب، لأنه قاد جيشاً لا يثق به
ولا يعتمد عليه، أفراد مرتزقة كل
همهم كسب المال، لذلك لم ينفذوا
أوامره ولم يطبقوا تعليماته. ولم يكن
يجعل قابلية جيشه المتضعضعة ومعنوياتهم
المهارة، وأدرك في أول المعركة بأنه
خسرها، ولكنه قاتل عن شرفه وأحسابه
ولم يرض لنفسه الفرار أو الاستسلام.

وكان مسلمة أيضاً يقود جيشاً
أكثرهم من المرتزقة، ولكنهم كانوا
ملتزمين، أما جيش يزيد بن المهلب
فكان من المرتزقة غير الملتزمين، لذلك
كان جيش مسلمة يتحلى بإرادة القتال
فانتصر، وكان جيش يزيد لا يتحلى
بهذه المزية فانهزم.

= (٦٠٤) وابن الأثير (٥/٧٧-٨٩) وابن
خلدون (٣/١٦٦-١٧٢) وانظر المسعودى
(٣/١٩٩-٢٠٠) وتاريخ الموصلى (١٠-١٦)
والمعارف (٤٠٠).

الفتح وتهديد مصير الفاتحين في البلاد المفتوحة في بلاد فارس والسند وما وراء النهر .

لذلك عمل مسلمة على اختيار الرجال الذين يثق بهم ويعتمد على كفايتهم ، لغرض معاونته في ترصين الجبهة الشرقية للدولة ، فأقر محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة ، لأنه سيطر على الكوفة في أيام نشوب القتال بين مسلمة ويزيد ابن المهلب سيطرة كاملة ، وأمد مسلمة بالرجال والمواد التموينية ، وحمى خطوط مواصلاته ، وجعل من الكوفة قاعدة متقدمة لقوات مسلمة المقاتلة .

وكان قد قام بأمر البصرة بعد آل المهلب شبيب بن الحارث التميمي ، فبعث عليها مسلمة عبد الرحمن بن سليمان الكلبي ، وعلى شرطتها وأحداثها عمرو بن يزيد التميمي ^(١) .

والظاهر أن عبد الرحمن بن سليمان الكلبي كان والياً ناعماً منتقماً ، لأنه أراد استعراض أهل البصرة فيقتلهم ، انتقاماً منهم لميلهم إلى آل المهلب

(١) في ابن الأثير (٨٩/٥) : ورد اسمه عمرو ، وفي الطبري (٦٠٤/٦) ورد اسمه عمر .

لنفوذ الدولة في العراق وفارس وفي السند والأفغان وفيما وراء النهر .

وانتهز هذه الفرصة السانحة العباسيون للقضاء على الأمويين ، وأصبح دعاة بني العباس يسرحون ويمرحون في بلاد فارس بخاصة بجزيرة كاملة دون رقيب فعال وحسيب مؤثر .

لذلك كان انتصار مسلمة في هذا الاقتتال تعبويّاً ، ولكنه كان هزيمة سوقية (استراتيجية) على المدى البعيد . والانتصار التعبوي لا قيمة له بالنسبة للهزيمة السوقية كما هو معروف .

(ج) ترصين الجبهة الشرقية :

لما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب ، جمع له لإخوة يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان وذلك سنة اثنتين ومائة الهجرية ^(١) .

كانت مهمة مسلمة صعبة ، لتناحر القبائل ونشوب العداوة بينها ، وضياح الأمن والاستقرار ، مما أدى إلى توقف

(١) الطبري (٦٠٤/٦) وابن الأثير (٨٩/٥) وانظر المعارف (٥٧١) وفيه أن مسلمة كان بين أول من جمع له المصران : الكوفة والبصرة وانظر التنبيه والإشراف (٢٧٧ - ٢٧٨) .

على تلك المناطق وترصين قواعد الفتح المتقدمة ، ولكن نجاحه كان محدوداً ، لأن كفايته لم تكن بالمستوى المطلوب^(١).

ولم يكد مسلمة يمضى بضعة أشهر على العراق وخراسان^(٢) حتى عزله أخوه يزيد بن عبد الملك سنة اثنتين ومائة الهجرية .

وكان سبب عزله أنه ولي العراق وخراسان ، فلم يرفع من الخراج شيئاً إلى يزيد بن عبد الملك . واستحيا يزيد أن يطالبه أو يحاسبه ، كما استحيا أن يعزله ، فكتب إليه : «استخلف على عملك وأقبل » .

ولم يلبث مسلمة حتى أتاه عزله بعمر بن هُبَيْرَةَ الفزاري الذي تولى مكانه العراق وخراسان ، فعزل عماله واستعمل الغلظة عليهم ، فقال الفرزدق :
راحتْ بمسْلَمَةَ الْبِغَالُ عَشِيَّةً
فَارْعَى فَنَزَارَةَ لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ

وقيل هما صفدان : صفد سمرقند وصفد بخارى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٢/٥) .
(١) الطبري (٦٠٥ - ٦١٥) وابن الأثير (٩٠/٥ - ٩٧) ، وفي أنساب الأشراف (٣/١٦٢) : أن أهل خراسان شكوا خذينة فعزله .
(٢) المعارف (٣٥٨) ، وفي العيون والحدائق (٧٥) : أنه بقى ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر .

وعطفهم عليهم ومعاونتهم لهم مادياً ومعنوياً ، فنهاه عمرو بن يزيد التميمي ، وكتب إلى مسلمة بالخبر ، فعزله وولى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم ، وأقر عمرو بن يزيد التميمي على الشرط والأحداث^(١) .

لقد كان مسلمة بعيد النظر حقاً ، لذلك كان يحاول تصميم الجروح لا تعميقها ، فلم يرض عن أسلوب عامله على البصرة باتجاهه إلى الصرامة والانتقام ، فقد كانت الجروح غائرة وهي ليست بحاجة إلى تعميق ، فعزل عامله فوراً وبعث مكانه عاملاً جديداً .

واستعمل مسلمة على خراسان سعيد ابن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية وهو الذي يقال له : سعيد خُذْيَنْتَةَ^(٢) ، وكان سعيد زوج ابنة مسلمة . وقد غزا سعيد الترك وعبر النهر وغزا (الصَّغْدُ)^(٣) ، وأراد السيطرة

(١) الطبري (٦٠٤ / ٦ - ٦٠٥) وابن الأثير (٨٩ / ٥) .
(٢) خذينة بالفارسية هي الدهقانة ربة البيت ، انظر ابن الأثير (٩٠/٥) وهو من أبناء عمومة مسلمة يلتقى نسبها بالحكم والد مروان بن الحكم ، انظر أنساب الأشراف (١٦١/١) وفتوح البلدان (٦٠٠) .
(٣) الصغد كورة عجيبة قصبتها سمرقند

عُزِّلَ بنُ بشرٍ وابنُ عمرو قبله وأخوه هراة لمثلها يتوقع
يعنى بابن بشر : عبد الملك بن
بشر بن مروان بن الحكم ، وبابن
عمرو محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة
ابن أبي معيط ذا الشامة ، وبأخى
(هراة) سعيد بن عبد العزيز بن الحارث
بن الحكم بن أبي العاص بن أمية^(١) ،
وهم عمال مسلمة .

والذى يبدو أن يزيد بن عبد الملك
عزل أخاه مسلمة ، لأنه لا يستطيع
السيطرة عليه في تصرفه بالأموال وفي
توجيهه سياسة الدولة في تلك البلاد
الشاسعة الغنية ، فأراد أن يولى من
يستطيع السيطرة عليه ويوجهه كما يريد^(٢) .

(١) الطبرى (٦ / ٦١٥) وابن الأثير
(٩٧ / ٩٨) ، وفيهما رواية أخرى عن
سبب عزل مسلمة عن العراق وخراسان لا تتفق
مع المنطق ولا يصدقها العقل ، وانظر المعارف
(٣٦٤) عن تولية عمر بن هبيرة العراقيين ،
وانظر أنساب الأشراف (٣ / ١٨١) حول
عزل عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم وشعر
الفرزدق .

(٢) في العيون والحدائق (٧٥) : قدح
فيه عند يزيد ، وقالوا : إنه غير مأمون على
الخارج فعزله . . . انتهى .
يقصد : قدح في مسلمة عند الخليفة يزيد
ابن عبد الملك .

كما أن خراج العراق وفارس كان
مصدراً غنيا من مصادر تمويل الدولة ،
فلا يمكن السكوت عن تصرف به
كما يشاء دون قيده أو شرط .

ولم يكن مسلمة ممن يضع أموال
المسلمين في غير مواضعها ، فمن المحتمل
أن يكون الخراج في تلك السنة قد تأثر
بظروف الحرب في العراق وظروف التسبب
في خراسان ، مما أدى إلى ضعفه وقلة
موارده ، خاصة وأن حياته في تلك
الظروف مع تغير الولاة ، من مواليين
لبنى المهلب إلى مواليين لبنى أمية ،
وقتل قسم من أولئك الولاة ، ضيع
المسؤولية وأدى إلى ذهاب الأموال بدداً .

فلما تولى مسلمة ، كان عليه أن
ينفق ما جباه في التعمير وتأليف القلوب
وتقوية جيشه ، لذلك لم يبق في يديه
ما يبعث به إلى الخليفة في الشام ،
ولو بقى منه شيء لفعل .

لقد استفاد يزيد بن عبد الملك من
أخيه مسلمة في أيام الشدة والحرب ،
وبعد أن استقرت الأمور أو كادت
تخلى عنه في أيام الرخاء والسلم .

ولم يكن بمقدور أحد من رجال
يزيد ، أن ينهض بمهمة القضاء على
ثورة يزيد بن المهلب ، وهى ثورة

عبد الملك باستشارة مسلمة^(١) .
 وحين عزل يزيد عبد الرحمن بن
 الضحاك عن المدينة ومكة لغضبه عليه ،
 لم يجد ملجأ يلجأ إليه غير مسلمة الذي
 أجاره وكلم أخاه يزيد بن عبد الملك
 ليعفو عنه^(٢) .

وكان يزيد بن عبد الملك يحب
 جارية اسمها (حَبَابَة) ، فلما توفيت
 وجد عليها وجداً شديداً ، وخرج مشيعاً
 جنازتها ومعه أخوه مسلمة ليسليه ويعزيه
 وقيل إن يزيد لم يطق الركوب من
 الجزع وعجز عن المشي ، فأمر
 مسلمة أن يصلى عليها . وقيل : منعه
 مسلمة من الصلاة عليها لثلا يرى الناس
 منه ما يعيونه به^(٣) ، ومكث يزيد بعد
 موتها سبعة أيام لا يظهر للناس ، أشار
 عليه مسلمة بذلك ، وخاف أن يظهر
 منه ما يسفههم عندهم^(٤) .

(١) ابن الأثير (٥ / ٩١) وابن خلدون
 (٣ / ١٧٤) والأغانى (٧ / ٢) .
 (٢) ابن الأثير (٥ / ١١٦) وابن خلدون
 (٣ / ١٨٢) ، وقد أجاز أيضاً عمر بن هبيرة
 على يزيد ، فقبل شفاعته ، انظر العيون والحدائق
 (٨٥) .

(٣) ابن الأثير (٥ / ١٢٠) والعيون ،
 والحدائق (٧٨) .

(٤) ابن الأثير (٥ / ١٢١) وقاريخ
 الموصل (٢٠) .

عارمة هددت الدولة تهديداً خطيراً
 جداً ، ولو كان يجعبه يزيد بن عبد الملك
 من يستطيع النهوض بمثل هذه المهمة
 الصعبة ، لرى به ابن المهلب دون
 تردد .

ولم يكن بمقدور كل قائد أن يسد
 ثغرة في قلب الدولة أيام الحرب كما فعل
 مسلمة ، فبمجرد قدومه على رأس
 جيشه إلى العراق ، جعل معنويات
 جيش ابن المهلب تنهار ويتخلى عنه
 رجاله ، كما جعل معنويات رجاله
 ترتفع ، وازداد الإقبال عليه .

ولكن بمقدور كثير من الولاة أن
 يحلوا محل مسلمة في أيام السلام .
 إن مسلمة خلق ليكون غازياً ، ولم
 يخلق ليكون والياً .

ويظهر أن يزيد بن عبد الملك
 تخلى عن مسلمة والياً ، ولكنه لم يتخل
 عنه ناصحاً ومستشاراً ، فاستبقاه إلى
 جانبه في (دمشق) يستنصحه ويستشير
 في إدارة شئون الدولة وتصريف أمورها
 فكان له نعم الناصح المخلص والمستشار
 الأمين .

وما يدل على ثقة يزيد بن عبد الملك
 بمسلمة ، أنه بايع لهشام بن عبد الملك
 ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد بن

.....

السريير . وقيل: إرمينية الكبرى خلاط ونواحيها وإرمينية الصغرى تغليس ونواحيها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ٣٠٣ - ٢٠٦) والمسالك والممالك للأصطخري (١٠٨) وتقويم البلدان (٣٨٧) ومختصر كتاب البلدان (٢٨٦ - ٣٠١) والمسالك والممالك لابن خرداذبه (١٢٢ - ١٢٤) وأحسن التقاسيم (٣٧٤) ، وكتاب الأقاليم (٧٩) والبلدان لليعقوبي (١٥٦) والأعلاق النفيسة (١٠٦) . وإرمينية اليوم في الجزء المتاخم لإيران - تركيا - الاتحاد السوفياتي وهي في هذه البلاد جميعاً وأهلها أرمن .

(٤) أذربيجان : كلمة أذربيجان الفارسية معناها : أرض النار أو معابد النار ، وقد أطلق عليها هذا الاسم لكثرة معابد النار التي كانت موجودة فيها حينذاك . وأذربيجان صقع جليل ومملكة عظيمة ، والغالب عليها الجبال ، وأشهر مدنها تبريز وهي قصبتها ، وأكبر مدينة فيها أردبيل ، ومن مدنها : المراغة وأرمية وخوى وسلماس ومرند وموقا ... إلخ انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ١٥٩ - ١٦١) والمسالك والممالك للأصطخري (١٠٨) وآثار البلاد وأخبار العباد (٢٨٤) وأحسن التقاسيم (٣٧٤ - ٣٧٨) وكتاب الأقاليم (٧٩ - ٨٥) والأعلاق النفيسة (١٠٦) والبلدان لليعقوبي (١٠٦) والمسالك والممالك لابن خرداذبه (١١٨ - ١٢١) وتقويم البلدان (٣٨٦ - ٤٠٧) ومختصر تاريخ البلدان (٢٨٤ - ٢٨٦) ، وأذربيجان اليوم في إيران والاتحاد السوفياتي ، بينهما الحدود التي تفصل بين البلدين ، ولإحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي هي : جمهورية أذربيجان ، وهي القسم الذي ضمن حدوده من هذه البلاد الشاسعة .

ولما مات يزيد سنة خمس ومائة الهجرية ، صلى عليه مسلمة ^(١) ، وهذا يدل على أن مسلمة كان أقرب المقربين إلى يزيد حتى توفاه الله ^(٢) .

لقد استأثر يزيد بمسلمة لرجاحة عقله واتزانه وإخلاصه له وللدولة ، ولم يعزله عن العراق لأنه كان يخشاه ويتوقع منه شراً ، إذ ليس من شأن مسلمة ولا من سماته إشعال نار الفتن وضرب إخوته وأهل بيته من الخلف وتفريق صفوف المسلمين .

٣ - أرمينية ^(٣) وأذربيجان ^(٤) :

وفي سنة سبع ومائة الهجرية (٧٢٥ م)

(١) ابن الأثير (١٢٠ / ٥) .
(٢) لقد ذكرت هذه الحوادث لافند ما زعمه أحد المؤلفين في كتابه : مسلمة بن عبد الملك (٥٦) ما نصه : ويبدو أن يزيد بن عبد الملك كان يخشى مسلمة ويتوقع منه شراً ، إذ وجدناه يعزله عن العراقين . . . وما يدل على خوف يزيد من مسلمة وحذره الشديد منه ، أنه لم يستعمل مسلمة على ولاية طيلة خلافته ، ولا سند لهذا الادعاء ولا دليل عليه .

(٣) أرمينية : يكسر أوله ويفتح ، وسكون ثانيه ، وكسر الميم ، وياء ساكنة ، وكسر النون ، وياء خفيفة ، مفتوحة ، اسم صقع عظيم واسع وقيل هما : إرمينيتان : الكبرى والصغرى ، وحدثهما من برذعة إلى باب الأبواب (درنيد) من الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القبق وصاحب =

بن عمرو ذو النور^(٥) في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فيكون دور مسلمة وقائده في هذا المجال هو : القضاء على اضطرابات داخلية، وتوطيد أركان الأمن في منطقة من المناطق المفتوحة .

وفي سنة ثمان ومئة الهجرية (٧٢٦م)، غزا مسلمة الروم مما يلي (الجزيرة)^(٦)، ففتح (قيسارية)^(٧) وهي مدينة مشهورة^(٨).

وفي سنة تسع ومائة الهجرية (٧٢٧م) غزا مسلمة الترك^(٩) من ناحية

(٣) انظر ترجمته في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٤١٥ - ٤٢٢) .

(٤) انظر ترجمته في كتابنا : قادة فتح فارس (٢٠٥ - ٢٠٨) .

(٥) انظر ترجمته في كتابنا : قادة فتح فارس (٢٠٩ . ٢١٣) .

(٦) الجزيرة : هي جزيرة ابن عمر .

(٧) قيسارية : مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم تقع مدينة سيواس في شرقها ويتنقل منها إلى قونية ، انظر معجم البلدان (٧ / ١٩٥) وتقويم البلدان (٣٨٢ - ٣٨٣) والمشارك وضعاً والمفترق صقماً (٣٦٤ - ٣٦٥) .

(٨) ابن الأثير (٥ / ١٤٠) ، وفي العبر (١٣١ / ١) وشذرات الذهب (١ / ١٣٤) .

أن قيسارية فتحها مسلمة سنة سبع ومئة هجرية في رمضان عنوة ، وكذلك في تاريخ الموصل

(٢٦) وانظر النجوم الزاهرة (١ / ٦٢) .

(٩) في تاريخ الموصل (٢٩) أنه غزا الخزر لا الترك .

استعمل هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة على إرمينية وأذربيجان خلفاً للجراح بن عبد الله الحَكَمِيّ، فاستعمل مسلمة الحارث بن عمرو الطائي ، فاقتح رستاقاً^(١) وقرى كثيرة وأثر فيها أثراً حسناً^(٢) .

ومن المعروف أن تلك المناطق قد فتحها عُتْبَةُ بن فِرْقَد السَّلَمِيّ^(٣) وبُكَيْر بن عبد الله الدَّيْثِيّ^(٤) وسراقة

(١) الرستاق : كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد ، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد ، وهو أخص من الكورة والأستان ، انظر معجم البلدان (٣٧ / ١) ، والكورة اسم فارسي بحت يقع على قسم من أقسام الأستان ، وقد استعارتها العرب وجعلتها اسماً للأستان ، فالكورة والأستان واحد . والكورة : كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة ، لقولهم دارا بجرد مدينة بفارس لها عمل واسع يسمى ذلك العمل بجملته : كورة دارا بجرد ، ونحو ذلك نهر الملك ، فإنه نهر عظيم من مخرجه من الفرات ويصب في دجلة عليه نحو ثلثمائة قرية ، ويقال لذلك جميعه : كورة نهر الملك ، انظر معجم البلدان (٣٦ / ١) . وأما الأستان والكورة واحد ، انظر معجم البلدان (٣٧ / ١) .

(٢) ابن الأثير (٥ / ١٣٧ - ١٣٨) والعبر (١٣٠) وشذرات الذهب (١٣٤) وتاريخ الموصل (٢٥) وتاريخ ابن خليفة (٢ / ٣٥٠) .

وكانت ملحمة عظيمة في سابع جمادى الآخرة من هذه السنة^(٦) ، ويبدو أنها سميت غزوة (الطين) لهطول أمطار غزيرة جعلت ساحة المعركة أوحالاً .

وفي سنة إحدى عشرة الهجرية (٧٢٨ م) استعمل هشام بن عبد الملك هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على إرمينية وعزل أخاه مسلمة^(٧) ، فدخل الجراح بلاد الخزر من ناحية (تقليس)^(٨) ففتح مدينتهم (البيضاء)^(٩) وانصرف سالماً ، فجمعت الخزر وحشدت وسارت إلى بلاد الإسلام ، وكان ذلك

(أذربيجان) فغنم سبا وعاد سالماً^(١٠) . وهذه غزوة أخرى من غزوات توطيد سيطرة الدولة في البلاد المفتوحة وإشاعة الأمن والاستقرار في (أذربيجان) الجبلية ذات البرد القارس .

وفي سنة عشرومئة الهجرية (٧٢٨ م) غزا مسلمة الترك من باب (اللان)^(١١) فلقى (خاقان)^(١٢) في جموعه ، فاقتتلوا قريباً من شهر ، وأصابهم مطر شديد فانهزم خاقان ، ورجع مسلمة على مسلك (ذى القرنين)^(١٣) منتصراً^(١٤) . وهذه الغزوة تسمى غزوة (الطين) ،

(١) ابن الأثير (١٤٥/٥) وتاريخ الموصل (٢٩) وتاريخ الإسلام (٣٠٢/٤) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٥٢/٢)
(٢) اللان : بلاد واسعة طرف إرمينية قرب (باب الأبواب) مجاورون للخزر ، انظر معجم البلدان (٣١٦/٧) وتقويم البلدان (٤٠٤) .

(٣) خاقان : لقب ملك الترك ، ومعناه : الملك .

(٤) ذو القرنين : أحد الفاتحين العظام ، ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف ، واختلف المؤرخون في اسمه الحقيقي وتاريخ حياته وهو الذي بنى سد الصين المشهور ، ويسمى سد يأجوج ومأجوج ، انظر المسالك والممالك لابن خردادبة (١٦٢ - ١٦٤) .

(٥) ابن الأثير (١٥٥/٥) .

(٦) النجوم الزاهرة (١/٢٦٧) وتاريخ الإسلام (٣٠٢/٤) .
(٧) ابن الأثير (١٥٨/٥) والنجوم الزاهرة (١/٢٧٠) وابن خلدون (٣/٢٩٩) وتاريخ الموصل (٣٠) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٥٣/٢) .

(٨) تقليس : بلد بإرمينية الأولى ، وبعض يقول بأران ، وهي قسبة ناحية جرجان قرب باب الأبواب ، وهي مدينة قديمة ، انظر معجم البلدان (٣٩٦/٢) وتقويم البلدان (٤٠٢) - (٤٠٣) وكتاب صورة الأرض (٢٩٢) - (٢٩٤) .

(٩) البيضاء : مدينة بلاد الخزر خلف مدينة باب الأبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣٦/٢) والمشارك وضماً والمفترق صقماً (٧٧ - ٧٨) .

لربية أو لأنه قصر بواجهه لما أعاده إلى منصبه سنة اثنتى عشرة ومائة الهجرية (٧٢٩م) والياً على (إرمينية) و (أذربيجان)، فوصل إلى البلاد وسار إلى الترك فى شتاء شديد ، حتى جاء (الباب) (٤) فى آثارهم (٥) .

وثبت مسلمة لمدينة (الباب) ففتحها وكان فى قلعته ألف رجل من بيوتات الخزر ، فحاصروهم ورماهم بالحجارة ، ثم رماه بقبائل من الحجارة ، ولكنه لم ينتفع بذلك ، فعمد إلى العين التى يجرى منها الماء إلى صهريجهم ، فذبح البقر والغنم وألقى فيه الفرث والمواد الأخرى التى لا ينتفع بها الناس ، فلم يمكث ماؤهم إلا ليلة حتى دود وأتت وفسد ، فلما جن عليهم الليل هربوا وأخلوا القلعة . وأسكن مسلمة مدينة (الباب) أربعين ألفاً من أهل الشام على العطاء ، وبنى هُرباً لاطعام وهُرباً للشعير وخزانة للسلاح ، وأمر بكبس الصهريج ورم المدينة (٦) .

سبب استشهاد الجراح (١) سنة اثنتى عشرة ومائة الهجرية (٧٢٩م) ، وكان الجراح خيراً فاضلاً من عمال عمر بن عبد العزيز ، ورثاه كثير من الشعراء (٢) .

ولا يذكر المؤرخون سبباً لعزل مسلمة ، ويبدو أن مسلمة كان فى (دمشق) سنة إحدى عشرة الهجرية ، فلم يغز فى تلك السنة ، كما أن الترك سارت إلى (أذربيجان) فلقبهم الحارث ابن عمرو فهزمهم (٣) ، مما يدل على أن مسلمة كان بعيداً عن ميدان القتال ففقد المعركة قائد من قادته الذين يعملون بإمرته ، وهذا يدل على أن مسلمة كان فى (دمشق) لأسباب قاهرة ، وقد يكون مريضاً ، لأن هشام بن عبد الملك لا يمكن أن يستغنى عن يده اليمنى فى تلك المناطق النائية المضطربة ، كما لا يمكن أن يعزله بدون رغبته ولأسباب قاهرة .

ولو أن هشام بن عبد الملك عزله

(٤) الباب: وهى باب الأبواب (دوبند)
مينا على بحر الخزر، انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٩/٢) وتقويم البلدان (٤٠٤ - ٤٠٥) .
(٥) ابن الأثير (١٦٢ / ٥) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٥٧/٢) .
(٦) فتوح البلدان (٢٩١) .

(١) ابن الأثير (١٥٨/٥) والنجوم الزاهرة (٢٧٠/١) .
(٢) ابن الأثير (١٥٩/٥) وابن خلدون (٢٩٩/٣) والنجوم الزاهرة (٢٧١/١) وتاريخ الموصل (٢٢) وتاريخ خليفة بن خياط (٢/٣٥٤) .
(٣) ابن الأثير (١٥٨/٥)

(الجزيرة) و (أذربيجان) و (إرمينية)
وعزل مسلمة^(٥) ، فأقبل بعد ما هزم
خاقان وأحكم ما هناك وبني (الباب)^(٦) .
فما هو سبب عزله ؟

لقد كان مروان بن محمد بن مروان
ابن الحكم - وهو آخر خلفاء بني أمية
مع عسكر مسلمة بأرمينية حين غزا
الخرز ، فلما عاد مسلمة إلى (الباب)
سار مروان إلى هشام بن عبد الملك ،
فلم يشعر به حتى دخل عليه ، فسأله
عن سبب قدومه ، فقال : « ضقت
ذرعاً بما أذكره ، ولم أر من يحمله
غيزى ! » ، قال : « وما هو ؟ » ،
قال مروان : « قد كان من دخول
الخرز إلى بلاد الإسلام وقتل الجراح
وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن
على المسلمين ، ثم رأى أمير المؤمنين
أن يوجه أخاه مسلمة بن عبد الملك
إليهم ، فوالله ما وطئ من بلادهم إلا
أدناها ، ثم إنه لما رأى كثرة جمعه
أعجبه ذلك ، فكتب إلى الخزر يؤذنههم

وفي سنة ثلاث عشرة ومائة الهجرية
(٧٣٠ م) ، فرق مسلمة الحيوش
ببلاد خاقان ، ففتحت مدائن وحصون
على يديه ، وقتل منهم وأسر وسبي
وأحرق ، ودان له من وراء جبال
(بلسنجر)^(١) ، وقتل ابن خاقان^(٢) ؛
فاجتمعت تلك الأمم جميعها : الخزر
وغيرهم عليه في جمع لا يعلم عددهم
إلا الله ، وقد جاوز مسلمة (بلسنجر) ،
فلما بلغه خبرهم ، أمر أصحابه ،
فأوقدوا النيران ، ثم ترك خيامهم وأثقالهم
وعاد وعسكره جهيدة ، وقدم الضعفاء
وأخر الشجعان ، وطور المراحل كل
مرحلتين في مرحلة ، حتى وصل إلى
(الباب) في آخر ربيع^(٣) فأكمل
بناء (الباب)^(٤) وحصنها .

وفي سنة أربع عشر الهجرية (٧٣١ م)
استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن
محمد بن مروان وهو ابن عمه على
(١) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف
(باب الأبواب ، انظر التفاصيل في معجم
البلدان (٢٧٨/٢) .

(٢) في المعارف (٣٦٥) : أنه قتل
خاقان ملك الترك .

(٣) ابن الأثير (١٧٣/٥ - ١٧٤) .

(٤) المعارف (٣٦٥) وانظر تاريخ
خليفة بن خياط (٣٥٩/٢) .

(٥) ابن الأثير (١٧٧/٥) والنجوم
الزاهرة (٢٧٣/١) وتاريخ الموصل (٣٤)
والعبر (١٤١/١) وشذرات الذهب (١٤٧٤/١)
وابن خلدون (٣٠٠/٣) .
(٦) ابن الأثير (١٧٩/٥) وتاريخ ،
خليفة بن خياط (٣٥٩/٢) .

فإن مسلمة عاد بعد أن قتل خاقان وأحكم ما هناك^(٤) ، فلم يدخل الوهن على المسلمين إذأ . كما أن مسلمة تغلغل في بلاد الخزر ، فكيف لم يطا من بلادهم إلا أذناها ؟ !

أما أنه كتب إلى الخزر يؤذهم بالحرب ، وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر حتى استعد الخزر وحشدوا ، فليس ذلك معقولا ، إذ لا يمكن أن يتصرف أى قائد هذا التصرف ، فينذر عدوه بالحرب ، ويفسح له المجال للاستعداد ثم يترأخى عن العدو ثلاثة أشهر !

أما أن مسلمة لم تكن له كفاية بالخزر ، فهذا ما يدحضه سير القتال وما أنجزه مسلمة في الحرب .

يبقى ما ورد عن خروج مروان بن محمد مخفياً من مسلمة إلى هشام بن عبد الملك ، فلو كان مروان مبيتاً الوشاية بابن عمه مسلمة ، لاستأذنه في القفول إلى دمشق لسبب من الأسباب ، ثم يعود أدراجه إلى دمشق ، إذ ليس من المعقول أن يعود مروان من (الباب) إلى دمشق ، وهو قريب القربى من مسلمة ، فيبقى أمر عودته سراً مكتوماً على مسلمة ، ولا يعرف مسلمة عن رحيله شيئاً !!

(٤) ابن الأثير (١٧٩/٥) .

بالحرب ، وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر ، فاستعد القوم وحشدوا ، فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية ، وكان نصاراه السلامة ، وقد أردت أن تأذن لي في غزوة أذهب فيها عنا العار وأنتقم من العدو » ، قال هشام : « قد أذنت لك » ، قال : « وتمدني بمائة وعشرين ألف مقاتل ؟ » ، قال : « قد فعلت » ، قال : « وتكتم هذا الأمر عن كل واحد ؟ » قال : « قد فعلت ، واستعملتك على إرمينية »^(١) .

وقد خرج مروان مخفياً عن مسلمة إلى هشام^(٢) ، أى أنه عاد إلى الشام من الجبهة الأمامية دون إذن مسلمة ودون علمه !!!

وفي رواية أخرى : لما أقبل مسلمة ، زحفت إليه الخزر ، فلم يشعر مسلمة حتى طلعوا عليه ، فقاتلهم وحال بينهم الليل ، وبات المسلمون يحيون ، وانصرف الخزر . وقفل مسلمة واستخلف مروان بن محمد وذلك كله سنة عشرة ومائة الهجرية^(٣) .

والتناقض بين الروایتين واضح ،

(١) ابن الأثير (١٧٥/٥) ، وابن خلدون (١٩٧/٣) .

(٢) ابن خلدون (١٩٧/٣) .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط (٣٥٩/٢) .

كما أن العلاقة الوثيقة بين مسلمة ومروان من جهة ، والعلاقة الوثيقة بين هشام ومسلمة من جهة أخرى ، تجعل من الصعب على مروان أن يشي بمسلمة ، وتجعل من الصعب على هشام أن يصدق وشاية مروان ، خاصة وأنها تناقض الحقائق الناصعة ولا يصدقها عاقل . كل ذلك يجعلنا نعتمد الرواية الثانية وهي أن مسلمة بعد أن أنهى واجبه على أحسن ما يرام ، قفل راجعاً إلى دمشق ، واستخلف مروان على ولايته . ويبدو أن مسلمة بعد عودته ، اقترح على هشام أن يولى مروان مكانه فاستجاب هشام لاقتراح مسلمة . ولم يكن هشام يعزل مسلمة الذي كان الرجل الثاني في الدولة الأموية ، وليس من المعقول أن يعزل مسلمة لعدم كفايته ، لأن كفايته فوق الشبهات ولأن هشام بن عبد الملك ولاه لكفايته حتى يعيد سيطرة الدولة على تلك الأصقاع النائية . وما يلفت النظر أن مسلمة لم يَغْزُ ولم يتول ولاية منذ سنة أربع عشرة ومائة الهجرية ، حتى توفاه الله سنة عشرين ومائة الهجرية أو سنة إحدى وعشرين ومائة الهجرية .

وغيابه عن تحمل أعباء الجهاد ، وهو من هو كفاية وحرصاً على النهوض

بهذا الغرض - ليس طبيعياً ، بالرغم من ثقة هشام به ثقة مطلقة ، وبالرغم من حاجة الدولة إلى أمثاله من القادة الأفاضل . وإذا كان بالإمكان أن يتخلى مسلمة عن تولى المناصب الإدارية ، فليس بالإمكان أن يتخلى عن تولى المناصب القيادية ، وهو الذي حمل السيف قائداً ولم يتجاوز العشرين من عمره ، وقضى كل سنى حياته فى ساحات الجهاد قائداً حتى سنة أربع عشرة ومائة الهجرية ، فمن المعقول أنه تخلى عن المناصب القيادية لأسباب اضطرابية خارجة عن إرادته .

والذى يبدو أن تخليه عن القيادة مكرهاً ، كان لاعتلال صحته وإصابته بالمرض ، ومن المعروف أن من مزايا القائد المتميز تمتعه بالقابلية البدنية المتميزة ، ليستطيع تحمل مشاق التنقل وأعباء الجهاد ، وإلا فليس هناك ما يسوغ ابتعاده عن ساحات الوغى غير المرض الذى أقعده عن قيادة الجيش . وعلى كل حال ، فقد أدى ما عليه من واجبات قيادية وإدارية بما فيه الكفاية ، وخدم الدولة فى ميدان القيادة والإدارة على حد سواء بشرف وأمانة وإخلاص وقوة . « يتبع »

محمود شيت خطاب

مُحَمَّد دعوة إبراهيم .. وبشرى عيسى

وقبلة الشيخ / مصطفى الحديدي الطبر

قال تعالى في سورة البقرة « الآية ١٢٩ » حكاية عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : (ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك . .) وقال في سورة الصف « من الآية ٦ » حكاية عن عيسى عليه السلام : (يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .

البيان

حكى الله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل في سورة البقرة، أنهما دعوا الله تعالى وهما يرفعان القواعد من البيت قائلين (ربنا نَقْبَلُ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتْنَا أُمَّة مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنْسَكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) وجاءت هذه الآية : (رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ..) الآية : تكملة لدعائهما^(١) عليهما السلام ، وهي تفيد أنهما طلبا منه

سبحانه ، أن يبعث في ذريتهما رسولا منهم ، يتلوا عليهم آياته ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم : وقد استجاب الله دعاءهما فبعث في أهل الحرم - وهم من ذريتهما - بعث فيهم رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الإسلام فأصبحوا بنعمة الله مسلمين ، وبذلك تحققت دعوتهما بجزأيهما (١) أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة لله (٢) وأن يبعث فيهم رسولا منهم يكون سبباً في إسلامهم وذلك بأن يتلوا عليهم آيات الله ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ولهذا قال

(١) انظر الآيات ١٢٧ - ١٢٩ من

سورة البقرة .

صلى الله عليه وسلم «إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طيئته ، وسأنبئكم بأول ذلك . دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين يترين » أخرجه الإمام أحمد عن العزباض ، والمراد برؤيا أمه ما رآته في منامها من أنها خرج منها نور أضلعت له قصور الشام . كما أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة ، وستحدث عن بشرى عيسى بعد توفية الحديث عن دعوة إبراهيم .

فإن قيل إن إسماعيل شارك أباه إبراهيم في الدعاء ، فلماذا قال صلى الله عليه وسلم (أنا دعوة إبراهيم) ولم يقل . أنا دعوة إبراهيم وإسماعيل ، قلنا : لعل الدعاء كان أصلاً من إبراهيم أما إسماعيل فكان يؤمن على دعاء أبيه ، فلذا اقتصر الرسول على إبراهيم لأنه هو الذي دعا ، واعلم أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإن بدأت في ذريتهما ، فقد انتقلت منهم إلى سواهم وبجهادهم ، قال تعالى في سورة الجمعة (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (١) وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز

الحكيم (٢) والمراد بهؤلاء الآخرين جميع الناس كما قال مجاهد وغيره (١) ، وما جاء في عموم رسالته للناس جميعاً قوله تعالى : (وَأرسلناك للناس كفافة) كما أنها عامة للجن أيضاً ، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة الأحقاف : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضى ولّوا إلى قومهم مُنذرين) (٢٩) قالوا يا قومنا إننا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مُصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مُستقيم (٣٠) يا قومنا أجيئوا داعي الله وأمينوا به يتغفر لكم من ذُنُوبكم ويخرجكم من عذاب أليم (٣١) ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) (٣٢) .

وقوله تعالى : (يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) .

تضمنت هذه الآية الكريمة أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، دعوا الله تعالى أن يبعث في أهل الحرم رسولا

(١) وعلى هذا تكون (من) في قوله (آخرين منهم) بمعنى من أي وآخرين بعيدين عنهم ليسوا من العرب الأميين - كما يصح أن تكون (من) ابتدائية - ، وهي في كلتا الحالتين ليست للتبخيص .

بإرسال رسول من أبنائنا برسالة عامة
وكتاب حكيم ، يودى إلى زكاتهم وطهارتهم
من العقائد الفاسدة ، والمعاصى المهلكة ،
وأنت يارب عظيم الحكمة فى رعاية
مصالح عبادك .

بشارة عيسى بالنبي فى القرآن :

قلنا إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :
« أنا دعوة لإبراهيم وبشارة عيسى » فأما
أنه دعوة لإبراهيم فقد بيناه فى شرحنا
لقوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلو عليهم آياتك .) الآية
وأما أنه بشارة عيسى فقد جاء ذلك
فى قوله تعالى فى سورة الصف (وإذ قال
عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ
مِنَ التَّوْرَةِ ومبشراً برسول يأتي من بعدى
اسمهُ أحمد . .) الآية (٦) وأحمد من
أسمائه صلى الله عليه وسلم ، فقد صرح
عنه أنه قال « لى خمسة أسماء ، أنا
محمد وأحمد ، وأنا الماحى الذى يمحوا الله
بى الكفر ، وأنا الخاشع الذى تخشع
الناس على قدمي ، وأنا العاقب » وفى
حديث لمسلم عن أبى موسى الأشعري قال
« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمى نفسه أسماء ، فيقول : أنا محمد
وأحمد والمقفى والخاشع ، ونبي التوبة

منهم يتلو عليهم آياته ، لترشدكم إلى
توحيد الله سبحانه ، وتلهم على ما يوصلهم
إلى معرفته ، وتكون شاهداً على نبوة هذا
النبي الذى دعوا الله أن يكون من
ذريتهما ،

كما تضمنت أنه يعلمهم الكتاب ، أى
يعرفهم طريقة أدائه ، ويفهمهم معانيه
وأسراره وأحكامه ويخرجهم به من الظلمات
إلى النور - ويعلمهم أيضاً الحكمة - وهى
وضع الأشياء فى مواضعها ، أو هى السنة
النبوية المبينة للكتاب ، ففيها شرح
المعاني المرادة لله تعالى ، وفقاً لقوله جل
ثناؤه وأنزلنا إليك الذِّكْرَ لَتبين للناس
ما نزل لإيهم .

وكما يعلمهم الكتاب والحكمة
يزكيهم ، أى يطهرهم من أرجاس
الشرك والشك والمعاصى ، فإنهم إذا
أخذوا بما علمهم إياه من الكتاب والحكمة
استقامت عقائدهم ، وزكت نفوسهم ،
وطهرت أخلاقهم وأعمالهم ، وقد حقق
الله دعاءهما بإرسال نبينا محمد من
ذريتهما ، وتعليمهم القرآن وتزكيتهم به .

ثم ختم لإبراهيم وإسماعيل دعاءهما
بالثناء على الله تعالى ، حيث قالوا (إنك
أنت العزيز الحكيم) أى إنك أنت
الغالب القادو يا الله على تحقيق دعائنا ،

ونبي الرحمة « إلى آخر ما جاء في السنة من أسمائه الكثيرة - صلى الله عليه وسلم .

بشارة عيسى بالنبي في إنجيل برنابا :

تعددت بشارة عيسى بالنبي صلى الله عليه وسلم في إنجيل برنابا ، ومن ذلك ما جاء في الفصل السابع عشر : « ولكن سيأتي بعدى بهاء كل الأنبياء والأطهار ، فيشرق نوراً على ظلمات سائر ما قال الأنبياء ، لأنه رسول الله » ٢٢ ، ٢٣ .

وفي الفصل السادس والثلاثين عدد (٦) « وقد جاء الأنبياء كلهم إلا رسول الله الذى سيأتى بعدى ، لأن الله يريد ذلك حتى أهيب طريقه » .

وفي الفصل التاسع والثلاثين من الفقرة ١٤ إلى الفقرة ٢٨ ما يلى :

« فلما انتصب آدم على قدميه ، رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس ، نصها : لا إله إلا الله . محمد رسول الله ، ففتح حينئذ آدم فاه وقال : أشكرك أيها الرب إلهي ، لأنك تفضلت فخلقتني ، ولكن أضرع إليك أن تثبتني ما معنى هذه الكلمات (محمد رسول الله) فأجاب الله . مرحباً بك

يا عبدى آدم ، وإني أقول لك إنك أول إنسان خلقت ، وهذا الذى رأيته إنما هو ابنك الذى سيأتى إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة ، وسيكون رسول الذى لأجله خلقت كل شيء ، متى جاء سيعطى نوراً للعالم الذى كانت نفسه موضوعة فى بهاء سماوى ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً ، فضرع آدم إلى الله قائلاً : « يا رب هبني هذه الكتابة على أظفار أصابع يدي » ، فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه ، على ظفر إبهام اليد اليمنى مانصه (لا إله إلا الله) وعلى ظفر إبهام اليسرى مانصه (محمد رسول الله) فقبل الإنسان الأول بجنو أبوى هذه الكلمات ، ومسح عينيه وقال : بورك ذلك اليوم الذى ستأتى فيه إلى العالم .

وقد تضمن هذا النص أن نفس محمد صلى الله عليه وسلم كانت فى بهاء سماوى - أى نور سماوى . ستين ألف سنة قبل خلق الأشياء ، إلخ ولعله يشير إلى هذا ما جاء فى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على

النبين ، فإنه إذا كان خاتم النبين فلا يكون لدينه نهاية ، كما جاء في الفقرة الأخيرة السابقة عن إنجيل برنابا .

وفى بقاء الإسلام إلى قيام الساعة يقول صلى الله عليه وسلم « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة » .

عموم بعثة محمد في إنجيل برنابا :

جاء في الفصل الثالث والأربعين من إنجيل برنابا ، ابتداء من الفقرة ٩ ما يلي :

« وهكذا لما أراد أن يخلق قبل كل شيء نفس رسوله الذى لأجله قصد إلى خلق الكل ، لكى نجد الخلائق فرحاً وبركة بالله ، ويسر رسوله بكل خلائقه التى قدر أن تكون صبيداً له ، ولماذا وهل كان هذا هكذا إلا أن الله أراد ذلك ؟ الحق أقول لكم : إن كل نبي متى جاء فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ، والملك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا إليه ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده ، فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض

الماء ، ومن جملة ما كتب في الذكر - وهو أم الكتاب - أن محمداً خاتم النبين : ١٥

ومن أعجب تصريحات السيد المسيح في تعظيم سيدنا محمد ما نقله عنه الحواري برنابا في إنجيله (فصل ٤٢ فقرات ١٠ - ١٣) حيث قال برنابا : « فقال حيثل يسوع : أنا صوت صارخ في اليهودية كلها ، بصرخ : أعدوا طريق رسول الرب كما هو مكتوب في أشعيا » ثم قال : « أجاب يسوع . إن الآيات التى يفعلها الله على يدي ، تظهر أنى أتكلم بما يريد الله ، ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لأنى لست أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسياً الذى خلق قبلى ، وسيأتى بعدى ، وسيأتى بكلام الحق ، ولا يكون لدينه نهاية » وهذا التصريح الأخير موافق لما جاء في القرآن المجيد من أنه صلى الله عليه وسلم (خاتم النبين) وذلك في قوله تعالى في سورة الأحزاب : (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبیین) كما أنه موافق لما جاء في آخر حديث مسلم السابق من « أن محمداً خاتم

سير حداثك^(١) ، لأني إذا نلت هذا صرت نبياً عظيماً وقدوس الله إلخ . وفي عموم بعثته ورحمته يقول الله تعالى في سورة الأنبياء (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) ١٠٧ .

نبذة عن إنجيل برنابا :

هذا الإنجيل كتبه برنابا أحد حواربي عيسى ، وهو أحد الأناجيل الصريحة في إثبات وحدانية الله تعالى وإنسانية عيسى ونفى نبوته لله ونفى شركه في الثالوث ، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالاسم والعلامات الصريحة وقد ذكرنا نموذجاً في صراحة في حق خاتم المرسلين .

وكانت توجد في العصور الأولى للمسيحية فرق تدين بالتوحيد ، ولها أناجيلها الصريحة في ذلك ، ولما انعقد مجمع الأساقفة بانيقية سنة ٣٢٥ تحت إشراف الملك قسطنطين ، قرروا التثليث ، وتكفير من يقول بإنسانية المسيح ، وإحراق الكتب التي أنكرت ألوهيته أو تحريم قراءتها ، ومن هذه الكتب إنجيل برنابا ، ولكن نسخة منه

(١) تلك درجة عظيمة من التواضع وهضم النفس من السيد المسيح عليه السلام .

الذين يقبلون تعليمه ، وسيأتي بقوة على الظالمين ، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان ، لأنه هكذا وعد الله إبراهيم فأني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض .

ولما سأله : أهو نسل إسحاق أم من نسل إسماعيل ؟ أجاب : صدقوني لأني أقول لكم الحق : إن العهد صُنع بإسماعيل لا بإسحاق .

وفي الفصل الرابع والأربعين ابتداء من فقرة (١٩) يقول برنابا في إنجيله ما يلي :

ولذلك أقول لكم : إن رسول الله يسره كل ما صنع الله ، لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة ، روح الحكمة والقوة ، روح الخوف والمحبة ، روح التبصر والاعتدال ، مزدان بروح المحبة والرحمة ، روح العدل والتقوى روح اللطف والصبر ، التي أخذ منها ثلاثة أضعاف ما أعطى الله لسائر خلقه ، وما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم ، صدقوني : إني رأيته وقدمت له الاحترام ، كما رآه كل نبي لأن الله يعطي روحه نبوة ، ولما رأيته امتلأت عزاء قائلاً : يا محمد ليكن الله معك ، وليجعلني أهلاً أن أحل

ومما يدل على أن مسيا هو محمد ما جاء في الفصل السابع والتسعين من إنجيل برنابا فقرة ١٣ - ١٨ ونصه « أجاب يسوع أن اسم مسيا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق روحه ووضعها في بهاء سماوى ، قال الله : اصبر يا محمد لأنى لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وحجاً غفيراً من الخلائق التى أهبها لك ، حتى إن من يباركك يكون مباركاً ، ومن يلعنك يكون ملعوناً ، ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولاً للخلاص ، وتكون كلمتك صادقة ، حتى إن السماء والأرض تهتجان ، ولكن إيمانك لا يهن أبداً ، إن اسمه المبارك محمد ، حيث رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم » .

وحيث عرفت أن مسيا هو محمد ، وأنه جاء بلفظ أحمد في بعض النسخ ، فلهذا يكون قوله تعالى (ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد) إنما هو حكاية لبعض ما كان عيسى عليه السلام يذكره من أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا لا ينافي أنه كان يذكره تارة باسم محمد وأخرى باسم

سلمت ، وعثر عليها راهب لاتينى اسمه (فراموينو) في المكتبة البابوية في روما ، ولما انتشر خبرها في بداية القرن الثامن عشر أحدث ضجة عظيمة ، وجدلا بين العلماء والباحثين فهو ينكر ألوهية المسيح وبنوته لله ، ويذكر أن المسيح أعلن ذلك أمام الجنود اليهود ، كما أعلن برنابا في إنجيله المذكور أن المسيح لم يصلب ولم يقتل ولم يعذب بيد اليهود .

وقد ترجم إنجيل برنابا إلى الإنجليزية الدكتور (منكيوس) أحد أساتذة كلية (أكسفورد) وترجمه من الإنجليزية إلى العربية الدكتور خليل سعادة (المسيحى المصرى) وطبع بمطبعة المنار سنة ١٩٠٧ .

وإذا كانت هذه النسخة سَمَّيت النبي صلى الله عليه وسلم بمحمد وسَمَّته تارة أخرى بمسيا ، فقد جاء في نسخة أخرى للإنجيل باسم أحمد ، فقد نقل الشيخ محمد يريم عن رحالة إنجليزى أنه رأى في المكتبة البابوية بروما نسخة من الإنجيل بالقلم الحميرى قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها يقول المسيح (ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد) .

(مسيحياً) أو غير ذلك كإيليا^(١) ،
 فقد جاء في إنجيل متى (الإصحاح ١١
 فقرة ١٤) : « وإن أردتم أن تقبلوا فهذا
 هو إيليا المزمع أن يأتي ، من له أذنان
 للسمع فليسمع » إلى غير ذلك من
 مختلف الأناجيل وإن طمسها الطامسون.

تظليل الغمام للرسول في إنجيل برنابا :

هذا الإنجيل عجيب في بشاراته
 الصريحة برسول الله صلى الله عليه وسلم
 وما أكثرها - ومنها ما جاء في الفصل
 الثاني والسبعين ابتداء من الفقرة (١٠)
 ونصه ما يلي على لسان السيد المسيح
 « أما من خصوصي فلإني قد أتيت
 لأهبي الطريق لرسول الله الذي سيأتي
 بخلاص للعالم ، ولكن احذروا أن
 تغشوا ، لأنه سيأتي أنبياء كذبة كثيرون
 يأخذون كلامي وينجسون إنجيلي ،
 حيثذ قال إنديراوس : يا معلم . اذكر
 لنا علامة لتعرفه ، أجاب يسوع . إنه
 لا يأتي في زمنكم ، بل يأتي بعدكم

(١) ومن أسمائه في الأناجيل (البار قليط)

ومنائه قريه من أحد أو محمد ، ويجوز أن يرجع
 اختلاف أسمائه صلى الله عليه وسلم في الأناجيل
 المختلفة إلى الترجمة من لغة إلى أخرى ، ومن
 ذلك أنه جاء في بعض الأناجيل باسم (منعمينا)
 ترجمة لمحمد .

بعده سنين ، حينما يبطل إنجيلي ولا يكاد
 يوجد ثلاثون مؤمناً : في ذلك الوقت
 يرحم الله العالم ، فيرسل رسوله الذي
 تستقر على رأسه عمامة بيضاء ، يعرفه
 أحد مختاري الله ، وهو سيظهره للعالم
 وسيأتي بقوة على الفجار ، ويبيد عبادة
 الأصنام من العالم ، وإني أسر بملك
 لأنه بواسطته سيعلمن ويمجد الله ويظهر
 صدقي ، وسينتقم من الذين سيقولون
 إني أكبر من إنسان ، الحق أقول لكم :
 إن القمر سيعطيه رُقّاداً في صباه ،
 ومتى كبر هو أخذه في كفيه ، فليحذر
 العالم أن ينبذه ، لأنه سيفتك بعبادة
 الأصنام ، فإن موسى عبد الله قتل
 أكثر من ذلك كثيراً .

وهذا الذي رواه برنابا عن السيد
 المسيح من تظليل الغمام للرسول روته
 السيرة الشريفة ، فعن ابن عباس رضي
 الله عنهما أن الشيماء أخت النبي صلى
 الله عليه وسلم من الرضاعة ،
 رأت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت
 وإذا سار سارت ، أيام كان عند
 حليلة .

وروى البيهقي وأبو نعيم أن بحيراً
 الراهب النصراني رأى النبي صلى الله
 عليه وسلم وهو مسافر مع عمه إلى

علامتك ، أن ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ، ولذلك لا تخشاه .

وورد في القرآن ما يوافق ما جاء في هذه البشارة ، قال تعالى في سورة الحاقة : (وَأَن تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم يدعو قومه ثلاثة وعشرين عاماً عصمه الله فيها ممن يريدون قتله من المشركين ، وفاء بقوله سبحانه (وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ) وروى الواقدي عن ثعلبة ابن أبي مالك أن عمر بن الخطاب ، سأل أبا مالك ثعلبة بن هلال - وكان من أحبار اليهود - فقال : أخبرني بصفات النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال : إن صفته في توراة بني هارون التي لم تبدل ولم تغير هي (أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم وهو آخر الأنبياء ، وهو النبي العربي الذي يأتي بدين إبراهيم الخنيف ، يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، في عينيه حمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ليس بالقصير ولا بالطويل ، يلبس

الشام ، وفوق رأسه غمامة بيضاء تظله من بين القوم ، وأن بجيرا قام فاحتضنه وجعل يسأله عن أشياء في نومه وأحواله وأموره المختلفة ، فيخبره الرسول بما يوافق ما عند بجيرا من صفته ورأى خاتم النبوة بين كتفيه كما ثبت عند بجيرا ، فطلب من عمه أبي طالب أن يرده إلى مكة خوفاً عليه من اليهود ، فإنه نبي آخر الزمان ، فردّه أبو طالب - إلى غير ذلك من الخوارق العجيبة التي ظهرت عليه قبل النبوة وبعدها ، ولولا أن التعليق على هذا النص المنقول عن إنجيل برنابا يطول لبسطنا فيه القول ، ولبينا مراميه وأغراضه البعيدة .

التبشير به في التوراة :

جاء في الإصحاح الثامن من سفر التثنية - من العهد القديم - خطاباً لموسى عليه السلام « وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوانهم ، وأجعل كلامي في فمه ، يكلمهم بكل شيء أمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي ، فأنا الذي أنقم منه ، فأما النبي الذي يجترئ على الكبرياء ويتكلم باسمي بما لم أمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل ، وإذا أحببت أن تميز بين الصادق والكاذب فهذه

« جاء الرب من سيناء ، وأشرق
من ساعير ، واستعلن من جبال فاران
ومعه ألوف الأطهار ، في يمينه سنة ^(١)
من نار ، أحب الشعوب ، جميع
الأطهار بيده » .

هذا ما قاله موسى في وصيته قبل
موته ، وقد رمز بمجيء الرب من سيناء
إلى مجيء شريعته تعالى ، وبإشرافه
من ساعير إلى ظهورها من ساعير على
يد عيسى ، ورمز باستعلائه من جبال
فاران إلخ إلى ظهور شريعته في بلاد
العرب على يد نبيه محمد ومعه الألوف
من أصحابه الأطهار ، ورمز بالسنة
من النار إلى أنه صلى الله عليه وسلم
هاد للناس وسراج منير لهم كما جاء
في قوله تعالى (بَيَّأَ بِهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وداعياً إلى الله
بإذنه وسراجاً منيراً . ويجوز أن
تكون رمزاً إلى شدته على الشرك والمشركين .

وقد جاء في وصف النبي وأصحابه
في التوراة والإنجيل قوله تعالى في
آخر سورة الفتح (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا

الشَّمَّةُ ، وَيَخْزِيءُ ^(١) بِالْبَلْغَةِ) ويركب
الحفار ويمشي في الأسواق ، سيفه
على عاتقه ، لا يبالي مالتى من الناس ،
معه صلاة لو كانت في قوم نوح
ما هلكوا بالطوفان ، ولو كانت في قوم
عاد ما أهلكوا بالريح ، ولو كانت
في ثمود ما أهلكوا بالصيحة ، يولد
بمكة ، وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ
المكتوب ، وهو الحماد ، يحمد الله
شدة ورخاء ، سادته بالشام ، وصاحبه
من الملائكة جبريل ، بلقي من قومه
أذى شديداً ثم يُدَالُ عليهم فيحصدهم
حصداً تكون الواقات يترب ، منها
عليه ومنه عليها ، ثم له العاقبة ، معه
قوم هم أسرع إلى الموت من الماء من
رأس الجبل إلى أسفله ، صدورهم
أناجيلهم ، وقربانهم دماؤهم ، ليوث
النهار رهبان الليل ، يرهبه عدوه
مسيوة شهر ، يباشر القتال بنفسه ثم
يخرج ويحكم ، لا شرط معه ولا حرس
الله بحرسه .

وجاء في الإصحاح ٢٣ عدد ٢ من
سفر التثنية على لسان موسى عليه
السلام ما يلي :

(١) البلغة العلم القليل الذي يتبلغ به
من البلوغ وهو الكفاية .

(١) أي قبس من النار ، مأخوذ من السني
وهو الضوء .

عرفوه وأنكروه وظلمنا
كتمته الشهادة الشهداء
أو نور الإله تُطفئه الأفوا
ه وهو الذى به يستضاء

نبوءات أشعياء

أشارت همزية البوصيرى إلى نبوءة
أشعياء ، وهو صاحب سفر من أسفار
العهد القديم ، ولعله يقصد ما جاء
فى الإصحاح ٢١ فقرة (١٣) ونصها
«وحى من جهة بلاد العرب ، فى
الوعر تبيتين ياقوافل الداوينين ،
هاتوا ماء لملاة العطشان ، وخبزة للهارب
من أمام السيوف ، يأسكان التيمن
قال الرب : تغنى جبابرة قيدار » .

فالوحى من جهة بلاد العرب فى
الوعر صريح فى صدق نبوة محمد
(صلى الله عليه وسلم) فإنه بعث فى
أرض مكة الجذباء ، وقوله (هاتوا
ماء لملاة العطشان وخبزة للهارب)
إشارة إلى هجرة الرسول من مكة إلى
أرض الماء والطعام الشبيهة ببلدان وهى
المدينة ، وأهلها هم سكان التيمن
والتفاؤل والخير ، فقد انتصر بهم ،
الإسلام ، وجبابرة قيدار إشارة إلى
الجبارين من أحفاد فينار الذى هو

مِنَ اللَّهِ وَرَضُونَا سِيَاهُمْ فى وُجُوهِهِمْ
مِنَ أَثَرِ السُّجُودِ ذلك مثلهم فى التوراة
ومثلهم فى الإنجيل كزَّرَع أَخْرَجَ شَطَأَهُ
فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ
يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ
وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) آخر سورة
الفتح وفى بشارة التوراة والإنجيل بنينا
محمد صلى الله عليه وسلم يقول
البوصيرى فى همزيتة :

بينته توراتكم والأناجيه

ل وهم فى جحودهم شركاء

إن يقولوا ما بينته فماذا

لت بها عن قلوبهم عشواء

من وهو الفارقليط والمنحمين

ء وبالحق تشهد الخصماء

أخبرتكم جبال فاران عنه

مثلما أخبرتكمو سيناء

وأناكم من المهيمن قدي

س وكم أخبرت به الأنبياء

وصفت أرضه نبوة شعيا

فاسمعوا ما يقوله شعيا

أرض بدوعطشى حكمت أرض لبنا

ن لقد ناسب الرواة الرواء

من أولاد إسماعيل ، وقد توعدتهم
 البشارة بالفناء ، وهذا ماحدث ، فقد
 قضى الإسلام على دعاة الوثنية من
 أحفاد إسماعيل في الجزيرة العربية ،
 وقد ترجم سفر أشعيا إلى اللغة
 الأرمنية القسيس أوسكان الأرمني
 وطبع سنة ١٧٣٣ بمطبعة أنتوني بورتل
 ويوجد في الباب ٤٢ هذه الفقرة
 « سبخوا الله تسبيحاً جديداً وأثر سلطته
 على ظهره ، واسمه أحمد » والمراد

بأثر سلطته الذي على ظهره خاتم النبوة
 الذي يشبه (زر الحجلة) كما جاء
 في صحيح البخارى وغيره ، وبالحملة
 فإن سفر أشعيا ملء بالبيانات
 الصريحة ببعثة الرسول صلى الله عليه
 وسلم ، فتنى يفتق العالم ، ومتى يشرح
 الله صدورهم للإسلام ليكونوا على
 نور من ربهم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

قال تعالى

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
 وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
 فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ
 يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ » .

صدق الله العظيم

إيمان بغير دين ... إلحاد مُبين

دكتور / عبدالفتاح بركة

أن تكون صاحب دين . . هذا شرف . وأن يكون هذا الدين هو الحق . . هذا شرف أعظم وأن تكون على يقين من هذا الدين الحق . . فهذا هو أعظم الشرف .

معنى الدين :

ويكفى لفهم المعنى الذى نقصده من لفظ الدين بهذا الإطلاق ما يتبادر منه إلى أذهان القراء مباشرة دون الدخول فى تفصيلات اصطلاحية ، ذلك لأننا لا نريد فى هذا المقال أن نخرج من التفصيلات الاصطلاحية بأكثر مما يوحى إلينا هذا المعنى المتبادر . إنه نظام أساسى كلى إذا التزمه الإنسان أعطاه مطلق الهيمنة على فكره وشعوره وسلوكه .

فمعنى الإلزام والالتزام ملاحظ فيه ، وهو ملاحظ فى معظم تأويلاته الاصطلاحية وهو لذلك يكفيننا فى هذا المقام .

والتزام الفرد بنظام يفرضه بنفسه على نفسه لا يحمل معنى الإلزام ، لأن الإلزام الذاتى هو والالتزام وجهان لشيء واحد هو إرادة الفرد ، ولذلك لا يشعر الفرد معه بالثقل والكلفة التى يجدها عندما يلتزم بنظام مفروض عليه من خارج نفسه ، وإن وجد تجاوياً مع طبيعته وفطرته ، وعندما يتضح لهذا الفرد أن النظام الذى ألزم به نفسه لا يتفق مع تحقيق ما رسمته من أهداف ، لم يجد فى ذلك مثاراً للغضب والجحود ، لأنه سيجد نفسه هى موضوع هذا السخط وهذا الجحود ، وهو لا يستطيع بحكم فرديته أن يفاصل

علينا القرآن الكريم - أول من فعل ذلك ، حيث وصفه بأنه أبى واستكبر مع أن الضرورة التي كانت تحكم عليه بالامتثال والخضوع كانت واضحة صريحة مباشرة : لقد صدر الأمر الإلهي الكريم للملائكة أن يسجدوا ، والضرورة الماثلة في الأمر الإلهي تحكم بالامتثال والضرورة الماثلة في العظمة الإلهية تحكم بالخضوع ، والضرورة الماثلة في تدبير الله لآدم أن يكون خليفة في الأرض تحكم بالتواضع ، وقد استجاب الملائكة لحكم هذه الضرورة ، فالتزموا بها وسجدوا طائعين ولم يسجد إبليس مع إحاطة هذه الضرورة به من كل جانب ، ومع إدراكه لها بكل ما أوتى من وسائل الإدراك ، ولم يكن عدم التزامه ناشئاً عن جهل ، أو نقص في المعرفة والإدراك ، ولكن فريته الأنانية ثارت به ، فأبى واستكبر ، (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) (البقرة : ٣٤) .

هل آمن إبليس :

وليس من شك في أن إبليس

نفسه بالعداء ، لكنه ينتقل في سر وتسامح إلى تعديل خطته وإصلاح نظامه وانتهاج خطة جديدة لحياته ، فإذا لم يكن ملتزماً بغير ما تفرضه نفسه عليه ، كان ملجأً لادين له . لكن الفرد بحكم فريته لا يستطيع أن يلتزم بنظام مفروض عليه من خارج نفسه إلا إذا لم يجد مناصاً من قبول هذا الالتزام ، تحكم به عليه الضرورة بوجوهها المختلفة : عقلية ووجدانية وعملية ، كما يدركها هو ، فعندما يدرك هذه الضرورة المركبة لا يجد مناصاً من قبول الالتزام بحكمها ويصبح هذا الالتزام وكأنه ناشئ من داخل نفسه بحكم إدراكها لهذه الضرورة ، ويصبح هذا الالتزام ، عملاً من أعمال إرادته ، أملتة عليها الضرورة المركبة المحيطة به والمسيطرة على منافذ إدراكه ويتحقق بذلك معنى الدين بوجه عام .

إبليس نموذج للإلحاد :

وقد تتأبى إرادته على الرضوخ لهذا الالتزام ، إمعاناً في الفردية الأنانية ، واستكباراً على حكم الضرورة ، ونفوراً من قيودها .

ولقد كان إبليس - فيما قصه

فهو يخاطبه بالربوبية ، قائلا
(رب فأنظرنى) ويعترف له بالعزة ،
مقسما بها (فبِعزتك لأغوينهم) ، ومع
رسوخ هذه المعرفة وثبات هذا الإدراك
لديه فإنه لم يكن مؤمناً ، وإنما كان
من الكافرين .

فالمعرفة وحدها دون التزام لا تستتبع
وصف الإيمان ، أى أن المعرفة بغير
التدين ليست من الإيمان فى شئ ،
وإنما هى أدخل فى باب الكفر ، لأنه
جحود وإنكار مبنى على علم ،
واستكبار .

تحريف لفظ الإيمان عن معناه :

وكثيراً ما يلتبس الأمر على بعض
الناس ، حتى على بعض المثقفين منهم ،
فيطلقون وصف الإيمان على كل من
أقر لهذا الكون بمكون عظيم ، بصرف
النظر عن موقفه من الأديان ، فسواء
التزم بدين أو لم يلتزم ، فإنه يعد
مؤمناً ، ما دام يقر بهذا المكون لهذا
الكون البديع .

والإقرار بمكون أو بخالق للعالم
ليس - فى الحقيقة - مشكلة ،
لأن كل الضرورات العقلية والعملية
والوجدانية تلجئ إليه ، ولا يسع إنساناً
محنة الأزم

كان - كسائر الملائكة - يعرف
ربه ، ويعرف له ماتستوجه ربوبيته
وألوهيته ، لكن الملائكة التزمت
ما عرفته ، ولم يلتزم ، فحفظت لله دينها ،
وجحد إبليس دينه ، لذلك وصفه
الله تعالى بأنه كان من الكافرين
فلم يصفه - مع هذه المعرفة التى كانت
له ضرورة - بأنه كان من المؤمنين .

وحين نقرأ القصة لما وقع بعد ذلك
نجد إبليس يتحدث حديث الذى
يعلم يقينا مقام الله وعزته وربوبيته
يقول تعالى : (إذ قال ربك للملائكة
إنى خالق بشراً من طين ، فإذا سويته
ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا
إبليس استكبر وكان من الكافرين ،
قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت
بيدى أستكبرت أم كنت من العالين ،
قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته
من طين ، قال فاخرج منها فإنك
رجيم ، وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين .
قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون ،
قال فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت
المعلوم ، قال فبِعزتك لأغوينهم أجمعين
إلا عبادك منهم المخلصين) ص :
(٧١ - ٨٣) .

سليم العقل والإدراك أن ينكره ، وإنما يحتاج المنكرون إلى تبرير موقفهم بما لا يستطيعون إقامته من شبه وأوهام .

تبقى المشكلة فيما تستتبعه هذه الضرورة من معرفة هذا الخالق حق معرفته ، ومعرفة حقه على مخلوقاته ، وما يلزمهم به عن طريق وحيه ورسله من شرائع وتكاليف ، فيها الأوامر والنواهي التي تنظم مجمل حياتهم وعلاقاتهم تنظيمًا صحيحًا ، مبنياً على صخرة الحقيقة الأولى وهي ربوبية الله وما تستتبعه هذه الضرورة - أيضاً - من نتيجة حتمية هي إثابة من أقر والتزم ، وعقاب من أبى واستكبر ، وذلك في يوم خاص هو يوم الدين .

وقد وقف إبليس عند الضرورة الأولى ، فلم يتجاوزها إلى لوازمها ، فأصبحت بذلك فاقدة الأثر ، عديمة الجدوى ، ولم يمكن وصفه بالإيمان من أجل ذلك ، بل وصف - على الرغم من ذلك - بأنه كان من الكافرين .

وكان هذا الموقف بعينه هو موقف الكفار الأولين فلم يأت رسول من الرسل ليدعو الناس إلى اكتشاف وجود الله ، وإنما ليدعوهم إلى توحيده ،

والالتزام بطاعته وعبادته (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (لقمان : ٢٥ ، والزمر : ٣٨) ، (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) (العنكبوت : ٦٣) ، (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع الملت ويخرج الملت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) (يونس : ٣١) ، (قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) (يونس : ٣٤) ، إلى غير ذلك من الآيات ، ومع إقرارهم واعترافهم بهذه الضرورة فإن مشكلتهم كانت فى التوقف دون ما تستلزمه هذه الضرورة من ضرورات أخرى ، فاستنكروا الوحي ، ثم تدرجوا فاستنكروا أن يوحى إلى بشر ، ثم تدرجوا فاستنكروا أن يكون هذا البشر من طبقة أو طائفة لا تنال رضاهم ثم تدرجوا فاستنكروا أن يكون هناك بعث أو حياة أخرى ، مع إثارة الشبه فى كل درجة يتدرجون منها إلى ما بعدها .

ولا يزال هذا الموقف هو موقف

وإذا نجحوا في قصر لفظ الإلحاد على إنكار وجود الله ، كان مجرد الاعتراف بوجوده خروجاً من دائرة الإلحاد المقيتة ، إلى دائرة مقبولة مرضية هي دائرة الإيمان ؟

وبذلك لبس هؤلاء الملحدون ثوب الإيمان ، بعد أن اتسع حجمه إلى الدرجة التي يستطيع فيها أن يلبسه كل من لا يلتزم بدين ؟

لا إيمان بغير دين :

بل وسعوا من إطاره ليسع كل من أقر لهذا الكون بموجد أو مكون ، مهما نسب إلى هذا الموجد من صلات إلى درجة تجعل الإقرار به مساوياً لعدم الإقرار به ، فيصبح الإيمان والإلحاد في قرن سواء ، فاتخلوا أنفسهم من العقل مرة ، ومن الروح أخرى ، ومن المادة ثالثة ، ومن النظام الذي يشتمل هذا الكون تارة ، ومن الإنسانية تارة ، ومن القوة أو الطاقة أو ما شابه ذلك تارات أخرى ، وذلك للابتعاد عن مقتضى الضرورة في الاعتراف للمخالق برهوبيته ووحدانيته ، واستقلاله وسلطانه ، مما يقتضى الخضوع له والامتثال لدينه ؟

الملحدون في كل زمان مع تغيير في صورة الشبه ، يساعد عليه تطور العلم وظهور نظريات وافتراضات تتجدد في كل أوان .

ولكن الإلحاد لفظ كربه ، يتعرض صاحبه للمقت العام ، نظراً لأنه يصادم الشعور الضروري لدى الإنسانية بالاعتراف بحق الله ، للملك لبس الملحدون ثوباً غير ثوبهم ، كمن وضع اسم الفلفل على علبة السكر تضليلاً للنمل ومصرفاً لأنظاره ، فجعلوا الإلحاد اسماً لمن ينكر وجود الله جملة بعد أن جعلوا من إثبات وجود الله - وهي قضية ضرورية - مشكلة تحتاج إلى بحث وإلى برهان ، ومن لم يهتد إلى هذا الدليل ، أو لم يقتنع به ، فأنكر وجود الله فهو ملحد ، لكنه عندئذ ملحد معلور ، لم تنتصب أمامه الدلائل الكافية أو البراهين المقنعة ، وأقاموا له من شبه العلم ما يستند إليه في دعواه ، كأن الأصل وجود الكون بغير خالق ، فإذا ظهر من يدعى وجود الخالق طوبى بالدليل وهو عكس للقضية ، إذ الأصل ألا يوجد كون بدون خالق ، ويطلب من ينكر ذلك بالدليل ؟

للألوهية إنكاراً مطلقاً - رغم اعترافه للمادة بكل شيء - ونصب من نفسه داعية للإلحاد على طول العالم وعرضه، وأقام للإلحاد هيكله ودولته في الاتحاد الشيوعي الاشتراكي العالمي .

وكل من تابعه في خطته واقتفى آثار نظرياته فهو ملحد يتعبد في هيكل الإلحاد ، ولو تقمص ثوب الإيمان وارتدى بعنوانه ، فدعوى الإيمان الذي يدعيه هؤلاء المدعون مع عدم اعترافهم بالدين دعوى لا تؤيدها الحقيقة كاسم الفلفل فوق وعاء السكر .

لكن رفض وجود الخالق وإنكاره جملة غير مستساغ عند الكثيرين ، لكونه حقيقة ثابتة أثبت من أى حقيقة أخرى ، حيث إنها أصل الحقائق ، وكل الحقائق التي يريدون أن يتعاملوا معها تؤدي إليها ، وتنتهي عندها ، فاعترف بها من اعترف كرها ، وكان اعترافهم بها مظهراً من مظاهر الإلحاد وإن أخذ صورة الإيمان ، لأن مصدره الشعوري والوجداني والعقلي ملحد ، يدل على إلحاده أنه بدل أن يخضع نفسه لما تمليه هذه الحقيقة من واجبات الدين ، أخضع هو هذه الحقيقة لتجريداته العلمية ، وافتراضاته الظنية

فالإيمان بوجود الخالق دون الالتزام بدينه يساوى إنكار وجوده ، وسواء اعترفنا بوجوده أو أنكرناه فإن ذلك لن يغير من واقع الأمر شيئاً ما دمنا - مع ذلك - نجحد سلطانه ، ولا نقر له بحقه في فرض دينه .

وحقيقة الإيمان بالنسبة لهؤلاء الأدعياء تتجاوز كل عقل ، وكل منطق ، وكل واقع تجريبي ، لأن عقولهم قد حاصرتها المادة ، ومنطقهم قد أفسدته التجارب ، وتجاربهم قد دارت في نطاق فروضهم وتخميناتهم ، وأصبحوا في النهاية أسارى ظنونهم وأوهامهم ، لا يقبلون إلا ما يريدون قبوله ، وهم لا يريدون أن يقبلوا الدين ، لأنه مفروض عليهم من قوة عليا خارجة عن نفوسهم ، مع ما في نفوسهم من الكبر الإبليسى ورفض الدين لا يتم ما دامت الحقيقة الكبرى لهذه القوة العليا ما ثلة أمامهم لذلك لم يكن بد من رفضها حتى يستريحوا من عناء الخضوع للدين والالتزام به .

ولقد وجدنا من الملحدتين من واجه هذه الحقيقة في صراحة دون أن يتوارى خلف هذه الغلالة المتهافنة من دعوى الإيمان ، فاعترف بإلحاده وإنكاره

تمليه عليه نفسه ، وما تختاره إرادته هو الذى يحظى بقبوله ورضاه .

وإذا كان هذا الإلحاد مذهبا سائداً فى مجتمع من المجتمعات لم يكن عجيباً أن نجد من السلوك والتصرفات أنواعاً بعدد الأفراد ، لأنك لا تكاد تجد فردين يمثلان فيما تمليه النفس وما تختاره الإرادة ، وليس هنالك معيار واحد تفرضه قوة واحدة تملك الحق فى فرضه ، وتقتنع به نفوس هؤلاء الأفراد اقتناعاً يودى إلى الالتزام بل كل فرد وطائره .

كما أنه لا يوجد قالب تصب فيه هذه الأفراد لتخرج جميعها نسخة مماثلة متألّفة الطباع ، متناغمة الميول متوحدة الاتجاهات .

ومثل هذا الفرض لا يفيد المجتمع ، بل يضره أبلغ الضرر ، لأن المجتمع الذى لا تنوع أفراده ، ولا تختلف نزعاتهم واتجاهاتهم ، مجتمع متجمد ، لا ابتكار فيه ، ولا مجال للتطور أو التقدم .

بل إن مثل هذا المجتمع الموحد الأفراد لا يستطيع أن يكتفى حاجاته ، لأن حاجاته تختلف وتنوع وتتجدد ، وهم على وضع لا يختلف ولا يتنوع ولا يتجدد .

ولا يصلح المجتمع إلا أن يكون

ثم لم يلبث أن تخلل من كل واجب قبلها ، ومن أى التزام تجاهها .

وليس الإيمان كذلك ، ليس الإيمان أن تضع مبدأ تعتنقه ثم تجرده من كل تأثير ، وتعرّله عن مجرى الشعور ، وتجعله فى موضع الشك أو فى موضع التردد أو فى موضع التجهيل ، أو أن تنصبه بنفسك لنفسك ، فتكون صاحب الحق فيه ، إن شئت خولته السلطان ، وإن شئت عزلته عن السلطان ، كمن يصنع صنمه من عجوة يسجد له فى الصباح ليلتهمه إذا جن المساء .

لا تستقيم الحياة بغير دين :

وهذا الإلحاد فى الإيمان لا يقتصر تأثيره على الفرد ، بل إن حياة المجتمع نفسها لا تستقيم مع هذا الإلحاد .

إذ ما معنى أن يكون الفرد مؤمناً لا دين له ؟ معناه أن يكون متحلاً من أى التزام تجاه تلك الحقيقة الكبرى المهمة على هذا الكون ، وإذا زال هذا الالتزام لم تعد هنالك جهة أخرى تستطيع إلزامه ، إذ لا توجد جهة هى أولى بذلك من جهة .

ولأنما يكون التزامه تجاه نفسه ، فما

كما خلقه الله متنوع النزعات والميول والاتجاهات بحسب تنوع الأفراد والشخصيات ، كما لا يصلح المجتمع مع ذلك - إلا إذا تحكمت في هذه الاختلافات قواعد ملزمة تؤلفها وتوجهها إلى رشدنا وفلاحها . ولا تركها لتتوزع وتشتت ، فتبتد وتضيع سدى .

والملاحدون الذين يتهربون من الالتزام تجاه هذه الحقيقة الكبرى لا يجدون مهرباً من هذه الحقيقة الاجتماعية التي تسوقهم إلى الله ، ولكنهم يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ويفرضون هم باسم المجتمع - ومن دون الله - قواعد وقوانين يحكمون بمقتضاها أفراد المجتمع ، ويلزمونهم باحترامها ، ويطلبون منهم أن يلتزموا بها .

فهى قواعد وقوانين تحل محل الدين ، وايسست هى الدين ، تفرضها الضرورة الاجتماعية ، ولكنها لا تعتمد على الضرورة العقلية أو الضرورة الوجدانية ، لذلك كانت قداستها مصطنعة ، واحترامها تقليدياً ، وممارستها تبادلاً للمنافع ، ثم لا يتجاوز أثرها بعد ذلك إلى مجرى الشعور ، ولا إلى قرار الإدراك .

بل إن هذه القواعد وهذه القوانين التي تحل محل الدين ، ليست فى حقيقة أمرها ضرورة اجتماعية ، وإنما هى نتيجة مزيفة لهذه الضرورة الاجتماعية ظهرت بعد أن أغفلنا الحقيقة التي تتطابق مع الضرورة الاجتماعية وهى الدين ، فلما أغفلنا الدين وظلت الضرورة الاجتماعية قائمة تنادى بوجوب الإلزام والالتزام ، ظهرت تلك القوانين ، والقواعد ، والمبادئ والتنظيمات ، والتنظيرات ، والأيدولوجيات ، وكل ذلك ليس بحكم الضرورة الاجتماعية ، بل بحكم أفراد تواضعوا عليها ، وفرضوها فيما بينهم ، بالتراضى ، أو بالقسر والإكراه ، ليسدوا بها خلة الضرورة الاجتماعية ، وهيهات ، فما تزال هذه القواعد والقوانين - التي أرادوا لها أن تحل محل الدين - عرضة لكل غالب يغير فيها وفق هواه ونزعاته ، بطريقة من هذه الطرق التي تفرض بها هذه القوانين عادة وهى فى النهاية محصلة التزام الفرد أمام نفسه وتبعاً لهواه ، وإن سرى حكمها بين الآخرين ولذلك كان صلاح المجتمع بها حلم واهم أو خيال حلم .

ولى دين) الكافرون : آخر آية ، ولكنه لا يعترف بحقيقة الدين إلا لدين واحد ، هو الحق لا سواه وهو الإسلام فيقول : (إن الدين عند الله الإسلام) آل عمران : ١٩ ، والإسلام هنا يشمل مختلف معانيه كاسم للدين الذى أرسل به محمد عليه الصلاة والسلام ، وكوصف لما فيه من معانى الإسلام لله وحده .

أما غيره من الأديان ، فليست بأديان على الحقيقة ، لأنه إذا كان الدين يشتمل على الإلزام والالتزام فهذه الأديان - وإن ظهر فيها نوع من الالتزام - لم يستند فيها أصل الإلزام إلى مصدره الصحيح وهو الله سبحانه وتعالى ، حيث إنها إما صادرة فى أصلها عنه لكنها حرفت أو شوهت أو استبدلت ، وإما أنها لم تصدر عنه وإنما صدرت عن وسائط انتحلوا من حقوق الربوبية ما ليس لهم باسم الأرواح الخفية والقوى الغيبية ، وغير ذلك من وسائط شيطانية ما أنزل الله بها من سلطان .

لذلك لا اعتبار لهذه الأديان فى ميزان الحق . ولا غرو أن ينشأ الإلحاد فى مهدها ويزرع فى سهلها ونجدها .

الدين الحق لا يكون إلا لله :

ولقد نجد العذر إذا استشرى الإلحاد فى بيئة محرومة من الدين الصحيح حيث يجد فى الأديان السائدة ما يثير معانى التناقض وعدم الاقتناع ، ولا يلبث موقف الفرد حينئذ أن تنتاشه مختلف الأفكار والاتجاهات ، وكلها تسلمه إلى الشعور بالغرابة والضياغ وعدم الارتكان إلى الحقيقة ، ويجد نفسه مطالباً بدين لا يملأ عقله ووجدانه ، ولا تبرهن تشريعاته العلمية على ثبات أصله ورسوخ بنيانه .

وذلك ما جعل الإلحاد يترعرع فى أوربا ، وفى البلاد التى تثقفت بثقافتها وتشربت بأفكارها ومبادئها .

ذلك أن الدين لا يكون ديناً صحيحاً إلا إذا اعتمد على مصدره الصحيح ، وسلك فى وصوله إلينا طريقاً سليماً ، وتلقيناه بروح الاتباع بغير ابتداء ، أما إذا خلا من ذلك فإنما هو دين عند أصحابه ، لا فى الحقيقة والواقع .

ولذلك نجد القرآن الكريم يجارى أصحاب الأديان المختلفة ، فيصف مذاهبهم وملهم بوصف الدين ، حسبما يعتقدون ويقول لهم (لكم دينكم

من معناه ، وأفزغه من محتواه .

وفات المسلمين حين حكموا في بلادهم قوانين الغرب أنهم خطوا بذلك أولى الخطوات العملية في طريق الإلحاد ، لأنهم تحلوا من التزامهم بتطبيق شريعة الله ، وهو لب الدين وجوهره .

وقد حدث ذلك بالفعل ، فتحت هذا التناقض بين النص والقانون الذى يخالفه فتحت الأبواب لكل ذى مذهب منحرف واتجاه إلحادى أن يبيض ويفرخ ، ويطير بإلحاده شرقاً وغرباً ، وما نراه الآن من أفعال وردود أفعال بين الانحراف المنحرف والتطرف المتطرف بنى عن فوضى فكرية ، واضطراب نفسى ، وقلق عقيدى وهو نتيجة طبيعية لكل ما ذكرناه .

ثم خطا الإلحاد خطوات أخرى في ضمائر المسلمين ومشاعرهم ، وزيف عليهم مفهوم الإيمان ، وجعله يكتفى بمجرد الاعتراف بإله لهذا الكون ، فمن اعترف بذلك فقد خرج من ربة الإلحاد ، وأصبح أهلاً للتسامح وأن يعامل معاملة المؤمنين .

ثم أصبح هذا المعنى شعاراً يرفع رسمياً في بعض البلاد الإسلامية ،

كيف يوجد الإلحاد في ديار الإسلام ؟!

ولا غرو أن يصل الإلحاد إلى البلاد التى تقتنى آثارها ، وترضع لبانها ، مع وجود الإسلام وهو دين الحق بين ربوعها ، ذلك لأن دعاة الإلحاد في أهلها قد قطعوا صلتهم بدينهم ، ولم يعرفوا من وجه الدين إلا ما رأوه في دعايات أولئك الإلحاديين وظنوا أن الدين كله سواء ، ما كان منه ديناً على الحقيقة وهو الإسلام ، وما كان منه ديناً باعتباره نظرة أهله إليه وهو ما عدا الإسلام فقاموا يدعون إلى الإلحاد خفية وجهراً ، ويبشرون مبادئه ، وينشرون قواعده بكل وسيلة من وسائل الدعوة ، صريحة أو ملتوية ، عنيفة أو لينة ، يؤزهم على ذلك الاستعمار الذى سيطر في غفلة طال أمدها على ديار الإسلام ويمد لهم في حباله ، ويمكن لهم من مفاتيح التوجيه ووسائل الريادة والقيادة .

ولقد قنع في بداية الأمر أن يترك النص على أن دين الدولة هو الإسلام موجوداً في دساتير تلك البلاد ، ولكنه فرض قوانينه وشرائعه ، وجعلها هى التى تسود وتحكم ، فجرد هذا النص

الشعور بلاد المسلمين ، فنجد في باكستان - مثلاً - من ينادى بوضع إطار سياسى إسلامى للبلاد ، بدلا من النظام الحالى المخالف للتعاليم الإسلامية ، وأن نرى قيادانه تنادى بضرورة جعل باكستان دولة إسلامية حقاً^(١) .

كما نرى مثل هذا الشعور عاماً متبادلاً بين الشعب والقادة في مصر العربية، ويتبلور ذلك الآن في مؤسساتها التشريعية^(٢) ، ويقوم مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بالإعداد لعقد مؤتمر خاص يدرس مشروع دستور إسلامى يكون في متناول الدول الإسلامية الراغبة في سلوك هذا المنهج وفي العودة إلى حظيرة الإيمان الصحيح .

كذلك نجد أن إندونيسيا قد غارت لديها وإسلامها فأصدرت مؤخراً عدة قرارات مجيدة تمنع هؤلاء الملاحدة - الذين يلبسون مسوح الرهبان، ويتزيون تحت شعار الإيمان ليعيشوا في الأرض

(١) الأهرام ٢ من المحرم سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢ من ديسمبر سنة ١٩٧٨ م .

(٢) انظر حديث الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب في الأهرام ٣ من المحرم سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٣ من ديسمبر سنة ١٩٧٨ م .

كما نجد ذلك في الباناشاسيلا الإندونيسية ، وإندونيسيا بلد إسلامى أصيل يبلغ تعداد المسلمين فيه أكثر من مائة مليون ، وبنسبة تربو على ٩٠٪ . وفي ظل هذا الشعار أئيع الإلحاد وازدهر ، وسرح بين ربوعها ، ومرح في جزرها وشطآنها ، ينشر عوامل التحلل والوثنية واللا دينية^(١) باسم الشيوعية مرة ، وباسم التبشير المسيحى كرة ، وباسم الروحية عدة كرات ، مستتراً في كل ذلك خلف شعار الإيمان فحسب .

ولقد يشفع للمسلمين في جميع بلدانهم ، أنهم لم يرتضوا ذلك يوماً ، ولم يقبلوه ، ولم يهنوا في رفضه ومقاومته، والمطالبة بتغييره ، وإنما فرض عليهم بفعل الاستعمار وأعوانه وأذنا به ، وبثقل الضغوط الدولية والأوضاع الاقتصادية ، وقد آن الأوان أن نتخلص من هذه الآثار ، ونتخفف من تلك الآصار ، ونتبرأ إلى الله من جميع الأوزار ذلك أن الإيمان بغير دين كفر صراح ، وإلحاد بواح .

ولإنها لبشريات طيبة أن يسود هذا

(١) قد نعود إلى الحديث في هذا الموضوع في مقال آخر .

فساداً - تمنعهم من اقتحام أسوار الأسر المسلمة ومن إزعاجهم عن إسلامهم بالترهات والخزعبلات .

ولكن ما يعيننا بالمقام الأول أن نبين أن الإلحاد يلبس أردية مختلفة ، فيستخفي حين لا يستطيع أن يستعلن ، ويداور ويناور حين لا يستطيع أن يواجه ويواجهه ، ففي بلد كعدن من بلاد اليمن - معقل الإسلام - يكشف عن وجهه القبيح بالقتل والتذبيح ، وفي بلد كلندونيسيا يستتر خلف مبادئ البانشاسيلا ويتخذها درعاً ، ومتراساً ، ويقول كلمة حق مبتورة ليصل بها إلى باطل صريح ، مدعياً أن مبدأ الدولة هو الإيمان بالله ، وماذا يقول كثير من الملاحدة غير ذلك ؟!

ألا إن هذا المبدأ وحده لا يكفي

ولا يمكن أن يكون وسيلة لإيمان صحيح ، بل إنه يفتح الباب للإلحاد على مصاريعه وتلك القرارات التي أصدرها مؤخراً وزير الشؤون الدينية خطوة طيبة ، ولكنها تحتاج إلى ردء ووزر وقوة تعضدها وتساندها بوضع هذا المبدأ في وضعه الصحيح ، وهو النص على أن دين الدولة هو الإسلام ، كما تفعل كل البلاد الإسلامية التي لا تريد أن تتحلل من دينها .

بقي أن نقول :

لأنه لكي يكتمل الإيمان وتستقيم أمور الحياة في ظلاله ، لا بد لكل بلد إسلامي أن يعترف وينص رسمياً على أن دين الدولة هو الإسلام وأن شريعته هي القانون .

والله أعلم .

د. عبد الفتاح عبد الله بركة

من آداب العالم

« لزوم العلم ، والعمل به ، ومنع التكبر ، والرفق بالمتعلم ، وإصلاح المسألة للبليد ، واستماع الحجة والقبول لها ، وإن كانت من الخصم » .

في مواجهة الإلحاد المعاصر .. استمرار الصراع بين الدين والعلم

دكتور / يحيى هاشم

(١)

وفي مجال العقيدة الإسلامية لا مبرر للحديث عن « جمود الأيدولوجية » لأن العقيدة الصحيحة القائمة على هدى الإسلام ، صالحة للإنسان في كل زمان ومكان وهي في نفس الوقت لا تقوم بهذا الدور الأصيل إلا إذا احتفظت بأصالتها وصفائها ونقاها مهما توالى عليها الأزمان والدهور ، ومن ثم فإن شعار الجُمود الذي قد يطرح في هذا المجال يصبح مضللاً إلى أبعد الحدود .

وإذن فإن ما يحتاج إليه المسلم هو تشدده في التمسك بأصالة عقيدته الصحيحة وصفائها إذ أنه في هذا الصفاء وفي هذه الأصالة تكمن صلاحيتها للإنسان في كل زمان ومكان وللمجتمع في أي طور من أطوار نموه ، ومن ثم فإنه لا يصح أن نفترض احتمال وجود تعارض بين مصالح الفرد أو

تمهيد :

١ - لا شك في أن للعقيدة الدور الأساسي في حياة الإنسان وينبغي ألا يكون هناك شك أيضاً في أن ما يحتاج إليه الإنسان ليس مطلق عقيدة ، ولكن العقيدة الصحيحة في الواقع ونفس الأمر .

إن الخطر الداهم الذي تتعرض له مجتمعاتنا الإسلامية من استيراد العقائد الغريبة عنها لا ينحصر في كونها أداة للسيطرة الأجنبية ، وإنما يرجع في الأساس إلى كونها عقائد باطلة موضوعياً .

وإنه لمن الخطأ الاتجاه إلى المزج بين « أيدولوجيات متناقضة » وعلى ذلك فإنه لمن الضروري المحافظة على صفاء العقيدة الصحيحة التي اهتدى إليها مجتمعنا منذ انتشر فيه ضياء الإسلام .

لقانون أو عادة أو عاطفة ، لها علاقة بتلك القوة الغيبية :

ويرى كل من سبنسر وماكس مولر :
أن الدين مرادف لما وراء العقل -
فالدين نوع من الإدراك لما يفوت العلم
وينقطع دونه العقل .

ويرى برونتير أن مايميز الدين هو
الأمر الخارقة للطبيعة .

ويرى آخرون أن الدين هو ربط
الحياة الإنسانية برابطة تقوم بين الروح
الإنسانى وروح غيبى له سلطانه على
العالم كله . وذلك الروح الغيبى هو
الله . وفى بعض الأديان تقوم مقام
هذه الروح أرواح الأموات أو أرواح
أخرى متعددة فى المراتب لها قداساتها
ومناسكها واعتبارها الدينى وإن لم تكن
آلهة بالمعنى الحقيقى .

ويرى دوركايم أن الأمور الدينية
تنقسم بطبيعتها إلى قسمين أصليين .
عقائد وعبادات . .

والعقائد الدينية تقسم الأشياء إلى
مرتبتين :
مقدسة وغير مقدسة .

وعلى ذلك فالعقائد الدينية تتعلق
بالأمور المقدسة وعلاقاتها ببعضها

الأمة ومشاكلها الحاضرة وبين العقيدة
الصحيحة التى نشير إليها وعلى ذلك
فإنه كلما ظهر أن هناك تعارضا بينهما
يكون المطلوب هو الرجوع إلى العقيدة
فى منهلها الصافى الصحيح .

وهنا يقتضينا المقام أن نذكر كلمة
موجزة عن معنى « الدين » والمراد بتعريف
الدين تعيين الخصائص التى لا يكون
الدين ديناً إلا بها .

والكلمة الأوربية التى تدل على
ما تدل عليه كلمة دين عندنا هى
(Religion رلجيون) المقتبسة من
اللاتينية . وترجع الكلمة فى مبدأ
اشتقاقها Religio إلى معنى الربط ،
الشامل لربط الناس ببعض الأعمال
وربط الناس بعضهم ببعض . وربط
الناس . بالإلهية . وهى تفيد أيضاً معنى
الشعور بحق الآلهة فى الخشية والإجلال .

أما الكلمة الحديثة (Religion)
فتدل على وجود نظام يؤلف بين
جماعة من الناس بإقامة شعائر وعبادات
معينة ، وبالإيمان بقوة روحانية أسمى
من الإنسان حالة أو متعددة ، أو واحدة
يستحق الاحترام والخشوع ، ويمكن
الاتصال بها . كما تدل على الخضوع

عشرين معنى ، بعضه مولد وبعضه مجازي ، وبعضه متداخل .

يرى الأصفهاني في كتاب «المفردات في غريب القرآن» أن الدين يدل أصالة على الطاعة والجزاء . ويدل مجازاً أو توليداً على الشريعة والملة .

ويرى النيسابوري في تفسيره .. أن الدين يدل أصالة على الجزاء ويدل مجازاً على الطاعة لعلاقة هي السببية . أو على الشريعة وذلك الرأي منقول عن كليات أبي البقاء .

والشهرستاني في الملل والنحل يرى : أن الدين يدل أصالة على الطاعة والانقياد والجزاء والحساب ويدل مجازاً على الملة والشريعة .

والمستشرق ماكدونالد نقلاً عما كتبه في دائرة المعارف الإسلامية في لفظ دين يرى أن للكلمة ثلاثة أصول مختلفة المعنى :

(أ) أصل آرامي عبري بمعنى الحكم .

(ب) أصل عربي بمعنى العادة .

(ح) أصل فارسي بمعنى الملة .

وينكر فولرس الأصل العربي للكلمة

وعلاقتها بالأمور غير المقدسة : أما العبادات فهي تنظم للسلوك الإنساني بإزاء الأمور المقدسة .

ويضيف دوركايم إلى الدين خاصة أخرى تفرق بين الدين والسحر في نظره . تلك هي ما للدين من الصبغة الاجتماعية الملازمة .

ويرى الأستاذ لا لاند أنه لا تناقض من جهة الشكل بين تعريف بروتنيير وبين دوركايم ، لأن المقابلة بين المقدس وغير المقدس عند دوركايم تطابق المقابلة بين الطبيعي والحارق عند بروتنيير .

وليس يحتم عند لاند أن تكون الأمور الدينية شأنًا من شؤون الجماعة .

وليس كل العلماء على رأي دوركايم في ضرورة الفصل بين الدين والسحر إذ قد يختلطان في بعض العقائد الساذجة .

على أن قيد الصبغة الاجتماعية لا يحقق لدور ككايم ما أرادته من التفرقة بين الدين والسحر ، إذ أن السحر أيضاً متصل بالجماعة وقائم على عقائدها .

أما كلمة « الدين » في اللغة العربية : فقد ذكرت المعاجم للفظ دين

كان العرب يستعملونها بمعنى الملة فهم يريدون بذلك الملل المعروفة لديهم .

لكن ما هي الملل المعروفة عندهم ؟
إن المرجع الصادق في ذلك هو القرآن ، وهناك آيات نستخلص منها الملل المعروفة التي سميت باسم الدين ، وهي التي ينتسب إليها الجماعات الرئيسية الآتية :

- ١ - المؤمنون ، ٢ - اليهود .
- ٣ - النصارى ، ٤ - الصابئة .
- ٥ - المجوس ، ٦ - المشركون^(١) .
- ٧ - وآخرون مختلفون فمنهم :
- (أ) من أنكر الخالق والبعث والإعادة وقال بالدهرية^(٢)

(ب) ومنهم من أقر بالخالق وبالحدوث وأنكر البعث^(٣) .

(ح) ومنهم من أقر بالخالق وبالحدوث وبنوع من البعث وأنكر الرسل وعبد الأصنام كوسطاء^(٤) .

ويرى أنها مستمدة من اللغة الفارسية . وهذا رأى مستبعد لما ذكره ماكدونالد ولما يجده الباحث من تفنن العرب في اشتقاقها لهذه الكلمة وتعدد صيغها واستعمالاتها مما لم تجر لهم به عادة في الكلمات المعربة .

ويرى الشيخ مصطفى عبد الرازق أن الكلمة مولدة من اللفظ العربي « دين » فهما من مادة واحدة وهما مصدران لفعل واحد وهما يستعملان للدلالة على شيء غير حاضر . وكانت لفظة « دين » أصلاً ، لأنها على وزن فعل وفعل أكثر استعمالاً في العربية من فعل . ومع ذلك فإن هذا الرأى لا يمنع أن تكون الكلمة مستعملة في معان أخرى كثيرة كالطاعة وغيرها .

وأما استعمال كلمة « الدين » في القرآن الكريم :

فقد ورد لفظ دين في القرآن في أكثر من ثمانين موضعاً .

ويفهم من كلام الراغب الأصفهاني أنها ترجع إلى ثلاثة معان : الطاعة ، الجزاء ، الملة .

ولا شك أن القرآن يستعمل الكلمة في المعاني المعروفة عند العرب ، وإذا

(١) الآيات ٦٢ سورة ٢ .

٦٩ سورة ٥ .

١٧ سورة ٥ .

(٢) الآية ٢٤ سورة ٤٥ .

(٣) الآية ٧٨ ، ٧٩ سورة ٣٦ .

(٤) الآية ٣ سورة ٣٩ .

نفسها في عدااء مع العلم تحت أى ظرف من الظروف .

ولما كنا بصدد تكييف العلاقة بين العلم والدين ، فإننا نجد أنه من غير المستساغ - إسلامياً - الظن بأن هناك تعارضاً بينهما ، أو القول بأن العلم والإيمان يكمل أحدهما الآخر ، ذلك لأن الدين الإسلامى مكتمل بالوحي لا بغيره (اليوم أكملت لكم دينكم) .

ونؤكد أن العلم يجب أن يكون خادماً مطيعاً للإيمان^(١) ، وليس لنا أن نتخرج من القول بذلك . فقد كان الأمر ولا يزال على هذا النحو في جميع الحضارات والعصور وإنما يأتى الفرق بين حضارة وأخرى ، وعصر وآخر ، من طبيعة الإيمان الذى تعتنقه الحضارة أو يعتنقه العصر ، وفي الحضارة الإسلامية تسمح العقيدة الإسلامية للعلم بآفاق من النمو لا مزيد عليها في عقيدة أخرى .

ولسنا نريد في هذا المبحث أن نتعرض لهذه القضية - قضية العلاقة بين العقيدة الإسلامية والعلم الصحيح - في المكتبة الإسلامية اليوم طائفة كبيرة من الكتب

(١) هذا ما نشته في مبحثنا الخاص بمشكلة

القيم .

وأما المعنى الشرعى لكلمة دين :

فذكر أن القرآن قرر في الدين أصولاً جعلت له معنى شرعياً خاصاً .

١ - فهو لا يكون إلا وحياً من الله إلى أنبيائه^(١)

٢ - وهو واحد لا يختلف في الأولين والآخرين^(٢) .

وننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن الصراع بين الدين والعلم .

• • •

لا شك أن العقيدة الإسلامية - والحضارة الإسلامية بوجه عام - لم تجد

(١) انظر الآية ٣ سورة ١٣ .

والآية ٤٣ سورة ١٦ .

والآيات ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥ .

سورة ٤ والآية ١٣ سورة ٤٢ .

(٢) انظر الآية ١٣ سورة ٤٢ .

والآية ٥٣ سورة ٢٣ .

والآية ٤٨ سورة ٥ .

والآية ٨٣ ، ٩٠ سورة ٦ .

والآية ٦ ، ٧ سورة ٩٥ وانظر

تفسير محمد عبده بلزعم إذ قال (الدين ههنا هو خلوص السريرة للحق وقيام النفس بصالح العمل وهو ما كان يدعو إليه صلى الله عليه وسلم وسائر إخوانه من الأنبياء .

وانظر كتاب الدين والوحي والإسلام للشيخ

مصطفى عبد الرازق .

والمباحث التي أنصفت الإسلام . ولكن الذى نريد أن نتعرض له هو دعاوى الإلحاد الذى يحارب الدين باسم العلم ، وهذه الدعاوى تحتاج إلى معالجة مستقلة ، إذ هى تظل قائمة مهما أبدع الكاتبتون فى بيان الوفاق بين الإسلام والعلم . إنه من المسلم به أن العصر الحديث هو عصر ازدهار العلم التجريبي .

وبالرغم من أن لهذا العلم مجاله الخاص الذى لا يتعارض فيه مع الدين — « الإسلام » فإنه لا تزال هناك بعض المواقف الإلحادية التى يبدو فى الظاهر أنها تستند إلى العلم التجريبي .

وفى تقديرى أن هذه المواقف تنبع من سوء الفهم لقضية المنهج العلمى والادعاءات التى تروج له . لا بد لنا أولاً من أن نقرر .

أن القول بأن المنهج العلمى التجريبي من اختراع الحضارة الأوروبية الحديثة فى عهد النهضة على يد فرنسيس بيكون قول مبنى على كثير من الغرور والإدعاء والمغالطة . .

إن فرنسيس بيكون عندما دعا إلى المنهج التجريبي كان مستمداً من سلفه الذى ظهر قبله بقرنين (روجر بيكون) ١٢١٤ — ١٢٩٢ .

وكان هذا مستمداً من علماء — الحضارة الإسلامية عندما ما أطلع على تراثهم ، وتلمذ على أيديهم ، والحضارة الأوروبية بصفة عامة متلمذة فى هذا على الحضارة الإسلامية أثناء احتكاكها بها فى الحروب الصليبية ؛ كذلك فإن الحضارة الإسلامية كانت مستمدة هذا المنهج من روح الإسلام والقرآن والسنة .

إن البحث التجريبي له تاريخ طويل ينشط بنشاط الحضارة ويضمحل بجمودها وتأخرها .

ولم يكن توهم الغربيين أنهم كانوا البادئين بالمنهج التجريبي إلا لأنهم كانوا العاملين على إمارته وإخماده فترة مرورهم فى عصور الظلام ، والعصور الوسطى ، فلما تحركت فيهم عوامل النهضة تنبهوا إلى هذا المنهج وبهروا به وحسبوا أنهم أصحابه ومريدوه ، بينما هم فيه تبع لغيرهم .

ونحن لا ندعى بذلك أن هذا المنهج اليوم كما كان فى بداياته فى عصر اليونان ومن قبلهم فى عصر المصريين القدماء .

لا شك أنه اليوم أكبر وأحمق وأشد سيطرة على العقول والقلوب والسلوك والتطور ، ومجرى الحياة .

المنهج التجريبي ووحدانيته ، لا من مجرد احتواء الديانة المسيحية على مواقف معادية للبحث العلمى .

وتكاثرت بعد ذلك أو حول ذلك المذاهب المادية التى ترتدى مسوح العلم منكراً للدين مدعية أنها تستغنى عنه بالعلم . وانتهت الصلة بين الدين والعلم فى القرن التاسع عشر إلى ثنائية حاسمة فكلاهما مطلق على طريقته ، و تتميز عن الآخر من كل وجه تميز الذكاء والعاطفة ، أو العقل والقلب .

واستناداً إلى هذا الاستقلال لاح إمكان وجودهما معاً فى ضمير واحد ، بحيث يقومان جنباً إلى جنب - كأنهما ذرتان ماديتان صامدتان متجاورتان قد تفاهما - ضمنا أو صراحة - على أن يتفادى احدهما بحث مبادئ الآخر .

وكما يقول أميل بوترو : حلت بذلك مشكلة الصلة بين العلم والدين بكل سهولة فى عالم التصورات . .

ولكن لم يكن الأمر كذلك فى عالم الواقع .

إذ أين نجد فى الإنسان الحد الفاصل بين القلب والعقل ؟ وفى الطبيعة الحد الفاصل بين الأجسام والأرواح . كان هذا هو السبب فى أن الدين

كان فى بدايته أكثر التصاقاً بالتفكير العقلى التأملى المجرد لأسباب منها ضعف وسائل المنهج التجريبي ، وآلاته حينذاك .

أما اليوم فهو يتبكر هذه الآلات ويتقدم بها وينمو فى أطوار متلاحقة يتضاعف فيها كل طور عن طور سابق . . . ، ويبدو تراكم النمو فى الأطوار الأخيرة هائلاً مدهشاً بينما معدل النمو واحد تقريباً فى البدايات والنهايات ، إذا أسقطنا من الاعتبار - عوامل التأخر الحضارى الأخرى .

* * *

وهنا يمكننا أن نقول :

إن هذا المنهج التجريبي منذ ظهر فى الحضارة الأوربية فى عصر النهضة أعلن استقلاله عن الكنيسة ، دون أن يحسم موقفه من الدين بصفة نهائية حاسمة حتى ظهرت الثورة الفرنسية .

وفى أتون الثورة الفرنسية ظهرت الفلسفة الوضعية على يد الفيلسوف - الفرنسى أوجست كونت (ت ١٨٧٥م) التى أعلنت أن الدين طور متخلف من أطوار الفكر البشرى وكذلك الميتافيزيقا ، وأن العلم هو الذى سوف يحل محلها بحكم قانون التطور .

وهذه النظرة تنبع من طبيعة استقلالية

وتطوره وأن أول سمة للروح العلمية الآن هي عدم التسليم بأى مبدأ للبحث وأى مصدر للمعرفة سوى التجربة .

فالعلم يوضع فى نظر العالم كأنه أمر أولى مطلق ومن العبث أن يطلب منه اتفاقه مع أى شئ آخر ، إذ صحت مشيئته على أن يتفق مع الوقائع وحدها .

فإذا شئنا الاستماع لكلمة العلم ، فلا غنى لنا عن قبول وجهة النظر التى يتخذها . ويقول أيضاً :

(إن الروح العلمية الراهنة لا ريب أنها لم تعد دجماطيقية بالمعنى الذى تخلعه الفلسفة النظرية على هذا اللفظ ..

ولكنها تضع لنفسها ضرباً من الدجماطيقية النسبية القائمة على التجربة ، وهى تعتقد فى قدرتها على الانتشار غير المحدود ، وفى قيمتها المتزايدة إلى ما لا نهاية^(١) .

ويتحدث أميل بوترو عن المخاطر التى تهدد الدين اذا اقتصر على محاولة الإفادة من تواضع العلم واعترافه بمحدوده ... يقول (لاشك أن العلماء لا يخاطرون الآن - كما كان الحال من قبل بإعلان نتائج مطلقة لا تتناسب مع وسائل معرفتنا ، ويصرحون بأن كل علم نسبي ... إلخ ..

(١) والمراد بالدجماطيقية اليقين القطعى .

وجد نفسه محصوراً فى محراب الضمير ، بل فى نطاق ضيق منه ، فاضطر إلى العمل على استرجاع مكانه السابق .

ومن جهة أخرى أعلن العلم - وقد اكتسب باستقلاله قوة ونجاحاً واهتماماً متزايداً .. أن عالم الحقائق بأسره وبجميع أجزائه أصبح مفتوحاً لبحوثه .

ومنذ ذلك الحين ، أصبح الصراع الذى استبعد - بلباقة - نظرياً ، لا يمكن تجنبه عملياً .

هذا الشعور بالمواجهة بين العلم والدين ظهر بوجه عام فى الثلث الثانى من القرن التاسع عشر . .^(١)

ومن هنا فإنه إذا كان البعض يعتقد أن قضية الإلحاد باسم العلم تتداعى بمجرد إظهار حدود العلم وأنها أى هذه الحدود - تقف به دون التدخل فى قضايا الدين سلباً أو إيجاباً .

فالحقيقة أن القضية لا تنحسم عند هذا الحد . وأن دعوى استقلال العلم عن الدين تفتح الباب بين حين وآخر لتأييد دعاوى الإلحاد ، وتساعد فى التشويش على قضية الدين .

والسبب فى ذلك كما يوضحه أميل بوترو :

(أن العلم أصبح يكتفى نفسه فى نموه

ولا يكفي أن نتعلل بأن ما نتمسك به مما يتجاوز حدود العلم يمكن أن يأخذ مكانته باعتباره « اعتقاداً » لأن « الاعتقاد » من وجهة النظر العلمية ليس له قيمة إلا إذا كان قائماً على ملاحظ الوقائع وموجهاً في طريق العلم .

والدين وقد اقتصر على ميدان الاعتقاد الذى يلوح له أن العلم قد هجره لا يمكنه حتى فى داخل هذه الحدود أن يضمن استقلاله وأمنه ، لأن كل تقدم من جانب العلم يهدده .

ويخطئ من يظن من جانب آخر أن الدين - فى عصر العلم - يسترجع مكانته الأصلية ، بتلقى فئات العلم الذى لا يقر العلم بمشروعية استناده الدين به ، وإن اتفق مع حقائقه .

يقول أميل بوترو :

(والدين - أو الفكر الدينى - يثير بحماسة من أجل التلازم والتوافق مع العلم - يثير موازنة بينه وبين العلم تسيء إليه ، لأنه يقابل بين سير العلم الوطيد وبين شكوكه ومخاوفه ، ويلوح على الفكر الدينى - فى هذه الحالة - أنه لا يعيش إلا كاسم رنان كان يستند فى القديم إلى شيء عظيم ، ولم يعد اليوم

لكن يجدر بنا أن نعرف أن هذه العبارة لا تدل - فى مفهوم العلم التجريبي على أن خارج الميدان الذى يتحرك فيه العلم يوجد ميدان آخر هو ميدان المطلق يباح لأنظمة أخرى أن تعيش فيه .

ولكنه - بالعكس - يعمل على أن يمنع العقل البشرى من ارتياد أى ميدان ليس فى متناول العلم . لأنه إذا كان ثمة شيء لا يمكن أن يعرفه العلم فهذا الشيء من باب أولى لا يمكن أن يعرفه أى نظام آخر « هكذا » . .

والعلم بحسب إحساسه بالكفاية التى يختص بها وحده فإنه حين يقول : إني أعلم ، فعنى ذلك أن الشيء موجود بالنسبة للعقل البشرى . وحيث يقول العلم .

ولا أعلم ، فهذا يعنى أن أحداً لن يدعى المعرفة .

ليس من الواضح إذن بأى حال أن العلم الحديث على الرغم من زى التواضع قد يكون أكثر ملاءمة من العلم الدجماطيقي بالنسبة للدين . فالدين من وجهة نظر العلم ليس إلا مجموعة قصورات تعسفية . . .

منها ، وقفل الأبواب دونها ، وأن كلمة « مادية » تستخدم في العادة في سياق الاتهام لامن أجل التصنيف فقط) ثم يقول (لهذا فهم يميلون إلى إطلاق اسم « التجريبية » و « الطبيعية » و « الإنسانية » و « الواقعية » وما شابه ذلك على فلسفات كان من الأدق أن تسمى « مادية ») .

والماركسية لم تختص باسم الفلسفة المادية المعاصرة إلا لأن (المفكرين السوفيت يحذون حذو ماركس وإنجلز في مقت أى تحايل لتفادى استخدام كلمة « مادية » فأطلقوا عليها بجرأة كلمة « المادة ») .

ومن هنا أيضاً يمكننا أن نقول إن بحثنا هذا يرد على أسس الاتجاهات المادية في المذاهب المختلفة ولا ينصرف إلى بعض هذه الفلسفات دون بعض وإنما يشملها جميعاً طالما أن تناولنا هو للثالث المشترك بينها :

وهو الاستناد إلى العلم أولاً .
وإنكار الدين ثانياً .
والإيمان بالمادة ثالثاً .

• • •

هذا هو الثالث غير المقدس للإلحاد المعاصر .

إلا ذكرى خالصة لا يزال المخلصون يحتالون بتقواهم وخيالهم على صبغها بألوان من الحقيقة . . .) .

إن تصديق العلم لبعض حقائق الدين إنما يقع اتفاقاً ، وهو لا قيمة له في نظر العلم لأنه كما يقول أرنست هيكل ١٨٤٠ - ١٩١٩ (الأديان تقوم على الوحي ، والعلم لا يعرف إلا التجربة ، ولا قيمة في نظره لأي فكرة إذا لم تكن تعبيراً مباشراً عن وقائع ، أو نتيجة لاستنباط محدود قائم على القوانين الطبيعية ...) .

• • •

ولما كان الإلحاد المعاصر في شتى مذاهبه يرتدى مسوح العلم . . .

فإن المذاهب التي تصدى لفصم عراها بالعلم التجريبي تتفق غالباً في نظرتها إلى المادة باعتبار أنها أصل الوجود .

وهروب بعض هذه المذاهب من التسمية باسم المادية منشؤه كما يقول الأستاذ جون سومرفيل :

(أن مجرد تسمية إحدى الفلسفات لنفسها « بالمادية » يعتبر عادة في نطاق حدودنا الثقافية أمراً يدعونا إلى النفور

الركن الأول من هذا الثلاث « العلم »
كمبدأ يرى أن المعرفة لا يمكن أن تأتي
من غير بابه . . .

وعلى هذا النحو يستمر الصراع
وينهار الثلاث وتنفض مهانته ويصبح
واضحاً لدينا أنه لا بد من إعادة تكييف
العلاقة بين العلم والدين ، وأنها
— كما سيتبين لنا — لا تستقيم إلا إذا
قامت على أساس تبعية العلم للدين
ونعنى به الإسلام :

دكتور / يحيى هاشم

وغاية هذا البحث هو أن يفضح
الصراع الدفين الدائر بين أركان هذا
الثلاث ، ذلك أن العلم الحديث أصبح
لا يقر المادية المتخلفة « مادية هو لباخ »
المغلقة . . .

فإذا تصالح العلم مع المادية على
صعيد المفهوم الغيبي للمادة الذى
تقدمه لنا الفيزيكا الحديثة ، كان
لا مفر من إلغاء الركن الثانى من هذا
الثلاث « إنكار الدين » . . فإذا
تصالحت المادة التى تقدمها الفيزيكا
الحديثة مع الدين كان لا بد من إلغاء



ما يصفو به الود

قال على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — : لا يكون
الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه فى ثلاث : فى نكبته ،
وغيبته ، ووفاته .

وقال أبو العتاهية :

أحب من الإخوان كل مُؤاتى وكل غضيض الطرف من عثرائى
يوافقنى فى كل أمر أريده ويحفظنى حياً وبعد مماتى
ومن لى بهذا ليت أنى وجدته فقاسمته مالى من الحسنات



نظرة إسلامية إلى المال ووظيفته

الركنور روف شلبي

أن الحركة البشرية في جلايب إيمانها
أو إلحادها ، وزحمة أفكارها ، وحماة
وطيسها ، إنما تجرى على نظام مألوف
لدى فقه الآيات الصادقة بذاتها في
كتاب الله القرآن الكريم .

ومن هذه القضايا التي انتهى النشاط
البشري الطويل فيها إلى حقيقة ما حكم
به الإسلام .

قضية المال :

فقد فشل فلاسفة الاقتصاد جميعاً
في إبراز تخطيط عادل لعملية التوزيع
الاقتصادي وشهدت الحياة صخب
المناقشات بين موائد فلسفة التوزيع
الشيوعي والتوزيع الرأسمالي ولم يجد
كلاهما مسعفاً له يحمي مخططاته إلا
رغبة الحديد ووهج النار ، وأخرج
التعصب حدود التفكير في كل من
المعسكرين عن الوضع الطبيعي لمعنى
الكرامة الإنسانية .

ونشأت مشكلات في كل من

١ - حوادث الحياة تشرح آيات القرآن :

تضغط حوادث الحياة على حركة
العقل المفكر . . . ليدرك في أعقابها
المتلاحقة معنى مؤكداً هو . .

● أن الحياة بكل ما فيها من متع
سامقة في رقى الحضارة المادية تافهة . . .

● وأن هذه التفاهة التي يدركها العقل
أخيراً قد وضحتها القرآن الكريم للبصيرة
المستعدة للإيمان قبل البصر المناقش
للقضايا .

وينتهي العقل : إلى أن الحياة
بأحداثها ، إنما تفسر محكم آيات القرآن
الكريم التي قضت في حكم نهائي
أنه لا يمكن لواحدة من الأحداث أن
تمر في نهرها دون أن تفسر هذا المعنى :
مادية الحياة تافهة وأن الآخرة هي
دار الحيوان ، وهي خير وأبقى . .

ويستقر في فكر العلماء بعد هذا
أن إعجاز القرآن له منطق ذاتي هو :

الزحمة الحديدية التي خلقت لتحمي المخططات الفلسفية للتوزيع المتجافية مع الطبع الإنساني ، كانت هذه العمليات كلها تفسيرات لمحكم آيات القرآن الكريم :

١ - (إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر . ٣٠ - الإسراء

٢ - (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) . ٣٢ - الزخرف

٣ - (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) . ٢٧ - الشورى

٤ - (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) . ٦ - هود

فيرد القرآن الكريم عملية التوزيع الاقتصادي إلى الله وحده ، وهذا هو سر فشل الأبحاث الاقتصادية كلها في نظرية التوزيع .

ويعلل القرآن الكريم رد عملية التوزيع الاقتصادي إلى الله وحده بعلتين :

الأولى :

إن الله وحده هو المتكفل بأرزاق العباد وهو المسخر للأسباب النفسية والمادية للكسب والعمل (وهذا القانون لم يتوصل إليه بعد علماء الاقتصاد) .

المذهبين : الشيوعي ، والرأسمالي ، لا علاقة لها أصلاً بفكرة المال أو الاقتصاد ، ولكنها أقحمت وسارت كنتيجة شبه طبيعية لدافع التعصب الرديء في عمه فكان الإلحاد قرين المبدأ الشيوعي ، كرد فعل لما لاقاه الكادحون في ظل القيصرية الروسية القديمة من السطو الكنسي الذي سخر عرق الشعب ظلماً لترفيه البلاط القيصري .

وفي المذهب الرأسمالي ، ولدت العنصرية ، والأنانية الفردية ، واستغل قانون العرض والطلب في خلق طبقات متناحرة على المادة في قرصنة تجارية جائعة ، حتى خرج الإنسان عن حدود الإنسانية وأنزل نفسه من درجات السمو في علاقاته البشرية إلى أحط ما تكون العلاقات بين عوالم الحيوان الأعجم الذي لم يشهد التاريخ أن واحداً من أجناسه قامت بينها عداوات أو أحقاد كالتى يشهدها دائماً بين طوائف البشر من أجل المادة والمال .

وكان مرد هذا الفشل أن فلاسفة الاقتصاد لم ينتبهوا إلى أن مسألة التوزيع عملية خاصة بالتنظيم الإلهي للسلوك الإنساني . فكانت حصيلة الثقافة الاقتصادية بمذاهبها المتعددة ، وكانت

الثانية :

إن الله لو بسط الرزق لعباده لأفسدوا في الأرض (وهذه العلة توصل إليها أخيراً جداً فلا سفة الاقتصاد في القرن التاسع عشر الذين ذهبوا إلى أن الكم يؤثر في الكيف وهو المعبر عنه بلغة القرآن « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

٢ - الكم والكيف ووظيفة المال :

ويمضى القرآن الكريم بعد هذا يصور الانفعالات النفسية والسلوك البشرى المنتظر تجاه ملكية المال وعدمها فتتلو الآيات :

١ - (يحسب أن ماله أخله) .

٣ - الهمة

٢ - (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن) . ١٥ ، ١٦ - الفجر

٣ - (وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما) ١٩ ، ٢٠ - الفجر

٤ - (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون .

وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين) . ٣٤ ، ٣٥ - سبأ

ومع عملية الكشف عن نزعات النفس التى تتأثر بالمال كثرة وقلة وتفسر السلوك المترقب نتيجة لذلك ، فإن القرآن الكريم يحدد وظيفة المال ، ويبين ملكيته الأصلية فيقول :

١ - المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً . (٤٦ - الكهف)

٢ - وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . (٧ - الحديد)

٣ - وآتوهم من مال الله الذى آتاكم (٣٣ - النور)

٤ - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل - واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعرى . (٥ - ١٠ - الليل)

فيجعل القرآن وظيفة المال ثانوية في الحياة ، فهو فقط وسيلة لتعمير الأرض لإقامة العدل الطبيعى من أجل حياة أفضل سرمدية في المستقبل عند الله .

ويرجع الملكية كلها إلى الله وحده ، ويحدد مقدار تسلط يد البشر على المال

كما تسد خللاً طارئة لبعض الأثرياء كإسعاف لحالاتهم التي ولدتها ظروف خاصة ، وبذلك يصون - القرآن الكريم في المجال التطبيقي - وحدة الأمة النفسية ، ويقرب بين طوائفها الذين خلقوا على تباين في الذكاء ، والقدرات والمهارات ، والاستعدادات ... إلخ .

فبإرأ المجتمع من الطبقة المادية التي تخلخل أركانه وتزعم نفسيته . يقول الله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) . (٦٠ - التوبة)

ولإجوار هذه الضريبة الأساسية ، يوصى القرآن الكريم كل مسلم بأصحابه في كل اتجاه مع وصيته بضعفاء السابلة وجميع المحاويع ، فيما تتلوه سورة النساء :

(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى ، واليتامى ، والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) . (٣٦ - النساء)

بمقدار ما يكون للوكيل من يد في مال موكله .

وتفسر السنة الإسلامية هذه النصوص الرئيسية فتقول :

« إن هذا المال خضرة حموة فمن أخذه عن طيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكأنه كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » .

٣ - العدل الاجتماعي وسياسة الإنفاق :

ومع هذه القواعد التي تحدد قيمة النظرة إلى المال ، فإن القرآن الكريم يحفل :

١ - بقواعد التوزيع الإلهي التي تحترم القدرات الخاصة في البشر وتساند ذكائه في عملية الإنتاج وتخلق منه طاقة هائلة تحترم مبدأ الكفاية والعدل لتحقيق التكافل الاجتماعي .

٢ - كما يحفل بسياسة الإنفاق الفردي - في ظل فكرة ثانوية المال حتى لا يتكالب الناس على جمعه فيعطلون وظيفته الطبيعية ويسئون استعماله (١) فسن خطوياً رئيسية للرعاية الاجتماعية تحقق العدل المعيشي للمتخلفين ،

(ب) وتتسق مع الفكرتين السالفتين :

١ - فكرة نظرة الإعلام إلى المال .

٢ - وفكرة التوزيع للرعاية الاجتماعية

وتحقيق الكفاية والعدل .

تتسق مع هاتين الفكرتين (فكرة

الإنفاق) فيوصي القرآن الكريم بنبي

البشر في قواعد عامة ترتبط بالسلوك

الديني المفوض لإثابته إلى الله تعالى

وحده فيقول :

١ - (ولا تجعل يدك مغلولة إلى

عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد

ملوماً محسوراً) . (٢٩ - الإسراء)

٢ - (وآت ذا القربى حقه والمسكين

وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً) .

(٢٦ - الإسراء)

ويضع القرآن الكريم هذا التحذير

داخل إطار لصورة تقشعر منها نفسية

المؤمن الصادق فيقول - تكملة للآية :

(إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ،

وكان الشيطان لربه كفوراً) .

(٢٧ - الإسراء)

وفي لحظات الإيقاظ العفيف للعواطف

يخاطب الله عباده في مجال تحديد

صفات عباد الرحمن فيقول :

(. . .) والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا

وتجعل آيات سورة آل عمران البذل

والإنفاق من كمال صفات المؤمنين :

(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة

عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين

الذين ينفقون في السراء والضراء ،

والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس

والله يحب المحسنين) .

(١٣٣ - ١٣٤ آل عمران)

كما تشترك في هذا التفسير آية سورة

الأنفال :

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله

وجلّت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم

آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون

الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم

ينفقون) (٢ - ٣ الأنفال)

وهذا المنهج الواضح لا يحتاج إلى

تخطيط أو تنسيق بأكثر من إحاظته

إلى قيادات تفهم سبيل تطبيقه ،

وتهرع إلى تحقيق العدل والكفاية على

نظام طبيعي تألفه الفطرة وتحميه العقول ،

وتسرع به الأيدي مع العواطف إلى

درجة أسمى من الكرم وأكبر من

المشاركة والمعاونة ، درجة الإيثار

وبذل التضحية .

(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان

بهم خصاصة) . (٩ - الحشر)

وهذا كله في ثوب الإيمان بالله الذي يقوى رباط التماسك الاجتماعي ، ويصنفي هموم القلب من الأحقاد التي يجيشها في الصدر العوز والحاجة ، ويمكن عناصر الوحدة في كنف الأخوة الحانية من الدوام ، فإن جوع الفرد وسط الجماعة يدفعه الشعور به إلى السطو أو الانفصال عن الجماعة في الفكر والنزق والشعور . . . إلخ .

وحول هذه المعاني يمكن أن يفهم ذلك - أدبا - من قول الله تعالى :
(كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)
(٧ - الحشر)

وتكون النتيجة الحتمية الطبيعية لهذه التشريعات :

١ - عدالة في التوزيع تحترم الظروف النفسية والأحداث الزمنية .

٢ - رعاية متكاملة للجوانب للمحتاجين .

٣ - هدوء النفس من الفقراء واطمئنان على مستقبلهم المعيشي .

٤ - سباحة ورضا وإسهام من جانب الأثرياء .

٥ - وحدة تماسكة للأمة في المشاعر والفكر ، والعمل والإنتاج . . . إلخ .

للفرد فيها وحده أمة .

ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما) .
(٦٧ - الفرقان)

وتوضح السنة الإسلامية المطهرة فقه هذه الأسس في قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن يأكل في سبعة أععاء » .
(رواه البخاري)

وملخص الحديث في الجوالاقتصادي - أن المؤمن يتناول من متع الحياة الحلال بقدر التوسط الذي لا يخرج به عن الاعتدال الطبيعي إلى الشراهة في الإنفاق بالإسراف أو إلى شح في الجمع بالتقتير .

فهو يتناول من المال بالقدر الوظيفي له ، والذي يجعله عبداً تقياً :

١ - ير بالوالدين .

٢ - ويحض على طعام المسكين ورعاية اليتيم .

٣ - ويرعى بحساسية اجتماعية جميع المحاويج .

٤ - ويسعف ذا النكبة والجار والملهوف :

٥ - ويجهز جيش الإسلام ويكثر صفوف المسلمين .

٦ - وبقى نفسه شر الفاقة والعوز .

والأمة فيها معقل نضال، وقلعة أمن، للخير والسلام.

٤ - القرآن وضع الحد الطبيعي لقضية المال ... ولكن :

وبهذه الخطوط :

١ - النظرة إلى المال على أنه ثانوى فى الحياة .

٢ - وتحليل السلوك البشرى نتيجة الشعور بالغنى أو الفقر .

٣ - وتوزيع يحقق العدل والتكافل .

٤ - وتنظيم لحياة الفرد الاقتصادية على نظام التوسط والاعتدال .

بهذه الخطوط القليلة فى الكم الكتابى انتهى القرآن الكريم من مشكلات (قضية المال) ، وانتهى منها فى سرعة تتلاءم مع الفطرة الحقيقية للمال دون احتفال به على وجه أو نظام فسيح قد يبرز أهميته أكثر من وظيفته الثانوية ، ولكن فلاسفة الاقتصاد أنفسهم قد أتعبوا تفكيرهم كثيراً فى تحديد تخطيط ولو شبه عادل لعملية التوزيع والإنفاق، حتى ألجأهم إلى حماية آرائهم بالحديد والنار، فقد نسوا :

١ - أن مسألة التوزيع مردها إلى الله تعالى وحده .

٢ - وأن المال تافه فى ذاته ، فلمنه قد يذهب من أجل متعة رخيصة أو يرجى أن يدفع كله لدفع مصيبة .

وإذا كانت عظمة الشيء فيما ينتجه فلأن المال لا ينتج إلا شيئاً رديئاً ، فهو حقير تافه، حقارة نتيجته وتفاهتها ...!

إن المال ليس بذى قدسية ذاتية ، لأنه وسيلة ، وإذا أخذت الوسيلة قدسية الغاية فقد ضل الناس الطريق .

وصدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » (رواه البخارى)

وصدق الله العلى العظيم (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) . (٤٦ - الكهف)

(ما عندكم ينفد وما عند الله باق) (٩٦ - النحل)

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

دكتور / رؤوف شلبي

النَّذِين غَرِيزَة فِي طَبْعِ الْإِنْسَانِ

الرَّكْتُور محمد عَبيد عابدين

كَي تَمْنَحِ الْكَائِنَ الْحَيَّ الدَّفْعَ وَالرَّحْمَةَ
وَالطَّعَامَ وَالْحَيَاةَ (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ
شَيْءٍ حَيٍّ) وَاللَّيْلَ لَا يَفْتَأُ يَطْرُقُ الْكَوْنُ
لَا يَخْتَلِفُ عَنْ مِيعَادِهِ ، حَتَّى إِذَا
اشْتَدَّتْ ظِلْمَتُهُ وَأَلِيلَ صَدْعُهُ نَوْرَ الْفَجْرِ
لِيَمْزِقَ تِلْكَ الْأَسْتَارَ الْحَالِكَةَ ، وَيَسْلِمَ
الْكَوْنَ إِلَى ضَوْءِ النَّهَارِ الَّذِي يَنْشُرُ الْحَرَكَةَ
وَالْتَجْدِيدَ وَالنَّشَاطَ - (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ
نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مَظْلَمُونَ) .
وَالنَّجُومُ تَتَعَاوَنُ مَعَ الْقَمَرِ فِي هِدَايَةِ
الضَّالِّينَ السَّائِرِينَ بِاللَّيْلِ : (وَعَلَامَاتُ
وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) وَالشَّمْسُ لَا تَضُنُّ
بِأَشْعَتِهَا عَلَى الْحَيَاةِ وَلَا تَبْخُلُ بِهَا يَوْمًا
أَوْ يَوْمَيْنِ أَوْ أَيَّامًا بَلْ نَعْمَاؤُهَا دَائِمًا
مُسَبَّغَةٌ وَالْأَوْثَانُ دَائِمًا مَغْدُوقَةٌ .

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ -
وَيَكَادُ يَكُونُ أَوْضَعُ حَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ
- قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ تَسْخِيرِ مَا حَوْلَهُ مِنْ
الظُّوَاهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ بِتَحْقِيقِ أَغْرَاضِهِ وَمَآرِبِهِ
الَّتِي لَا تَفْتَأُ يَتَطَّلَعُ مِنْهَا إِلَى مَا بَعْدَ :
حَتَّى إِلَى مَا وَرَاءَ الْكَوْنِ . .

إِنَّ ارْتِبَاطَ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ بِالْعَقِيدَةِ
قَدِيمٌ قَدَمُ الْحَيَاةِ ، وَغَرِيزَةٌ مِنْ غَرَائِزِ
النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ .

فَالْإِنْسَانُ مَشُوقٌ بِفَطْرَتِهِ إِلَى اعْتِنَاقِ
عَقِيدَةٍ يَدِينُ بِهَا وَيَحْتَدِي هَدْيَهَا وَيَسِيرُ
فِي رِكَابِهَا . وَمَبْعَثُ هَذَا التَّأَثُّرِ الطَّبِيعِيِّ
فِي الْإِنْسَانِ هُوَ مَا يَرَاهُ مِنْ تِلْكَ الظُّوَاهِرِ
الطَّبِيعِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ وَمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ
إِبْدَاعٍ وَإِتْقَانٍ وَنِظَامٍ أَبْهَرَ الْعُقُولَ وَأَدْهَشَ
النَّفُوسَ بِمَا فِيهِ مِنْ جَمِيلِ الصَّنْعَةِ وَقُوَّةِ
الْإِبْدَاعِ وَحَسَنِ النِّظَامِ ، فَالْأَرْضُ
مَنْبَسُطَةٌ مُمَهَّدَةٌ تَعْجِبُ بِالذَّهَابِ وَالْإِيَابِ
وَتُجَوِّدُ بِالْقُوَّةِ أُنَى طَلْبِهِ الْإِنْسَانُ وَالْمَعَادِنُ
فِي بَاطِنِهَا قَدْ مَكَّنَتْهُ بِتَوَافُرِهَا وَكَثْرَةِ
عَنَاصِرِهَا مِنْ إِيجَادٍ مَا يَحْتَاجُهُ مِنْ
الآلَاتِ ، وَالْأَنْهَارُ مُتَدَفِّقَةٌ لَا يَنْضُبُ
مَعِينُهَا وَلَا يَنْقُطِعُ عَطَاؤُهَا .

(وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ
بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) .

وَهِيَ كَذَلِكَ مِنْذُ مَلَائِينَ السَّنِينَ

وحسن الإبداع وقوة التركيب بما فيه
من عروق وحجرات :
(صنع الله الذى أتقن كل شئ *
إنه خبير بما تفعلون) .

وهذه اليد التى تبدو فى عين رائيها
لأول وهلة أنها قطعة من اللحم والعظم
سهلة لكنها مع سهولتها ويسرها استطاعت
بما وراءها من القوة المحركة لها أن تصنع
ما أذهل العقول وحير الأفكار وأحال
الحياة من طور إلى طور ، فالحديد
فى قبضتها كالعجينة اللينة صنعت منه
القطار ، السيارة ، الطائرة بل وسفن
الفضاء ، وحينما يريد الإنسان آلة
لتشكيل حديدية معينة ذات وضع
معين لم تستطع تلك الآلة بعد أن تقوم
بعمل آخر غير الذى صنعت من
أجله (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات
والأرض وما خلق الله من شئ * وأن
عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى
حديث بعده يؤمنون) (وفى الأرض آيات
للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون) .
إلا أن دلائل تلك القوة التى وراء
هذه المظاهر والتى تؤثر فى تغييرها من
ولادة إلى ولادة ومن غصن إلى شجرة
ومن بيضة إلى طائر ، ومن منبع إلى
مصب ، ومن نهار إلى ليل ، الكل

وهذه الوحوش الضارية يستطيع أن
يسجنها وأن ينال منها ، وهذه الأجسام
الضخمة التى كالإبل والبقر يستطيع
أن يستعملها ويستفيد من كل جزء
من جسمها وهى له طبيعة لينة . بل
ما هذا الصنع العجيب وهذا الإبداع
العظيم فى جسمه هو ، رجلان تحمله
وإلى أى غرض توصله ، وقد صممت
على أحدث نظام يمكنها من
السير والصعود والهبوط ناهيك بما
هو داخل تجويف البطن من آلات
وعصارات وأجهزة عجيبة نائية عن قدرة
الإنسان مهما سما فكره أو اشرب إلى
الاختراع بصره وبصيرته فلا يستطيع
ولن يستطيع أن يخترع بديلا لجلده
أو شحمه أو لحمه .

لقد حاولوا إحداث آلة تقوم بدورة
الدم فى الجسم عند توقف القلب فكانت
فى حجم كبير يثقل كاهل حامله
ولا تعمل إلا بقوة دافعة لها « الكهرباء »
أو « النرة » أو « الطاقة » فأين هذه
من قطعة لحم لا تزيد على قبضة اليد
تقوم بهذا العمل بلا توقف ولا ملل ،
ولا تحتاج إلى تجديد : ألا وهى القلب
الذى أودع الله به من غريب الصنع

ولا أدري لماذا هذا التسلسل ولم لم
يقم العقل الأول بالتدبير . .

بين الأديان السماوية والعقول المتحجرة :

ولكن الناس لم يستطيعوا مع تعنتهم
وجحودهم لدعوة السماء أن يكفوا عن
التفكير فيما وراء هذا الكون ، ومن
الذى أوجده ويغيره وينظم ليله ونهاره
ويوجد في أرضه وبحره مئات الآلاف من
الأجناس المختلفة والأحجام والأشكال
المتباينة ؟ ما هذا ؟ لا بد لذلك كله
من صانع ، من موجد ، من محرك .
فبعض الناس ضلّت عقولهم فتوهّموا تلك
القوة أو تمثّلوها في شخص رجل صالح
فنحتوا له صنماً وعبدوه ، أو تمثّلوها في
ملك أو طائر فشكّلوا له صنماً أو وثناً
وقدسوه ، وبعض الناس ترسم تلك
القوة في النار أو الشمس أو بعض
الحيوانات كالعجول واتخذوا من تلك
المعتقدات الضلالة التي تنأى عن الرشاد
ديدنا لهم وهدفاً لمعتقداتهم فضلّوا أنفسهم
وأضلّوا غيرهم ، ومن هؤلاء « زرادشت »
وغيره من أصحاب المذاهب والعقائد
الوثنية التي لا تستمد عقيدتها إلا من
وحي هواها وأغراضها الفاسدة .

فلذلك كانت العقائد غير السماوية
لها نزعات وشطحات تأبأها العقول

فان ويتجدد والقوة التي وراءها لا تمل
ولا تكل . تسير في فلكها الدائب
ونظامها المحكم وجمالها البديع .

ولقد دفع ذلك بعض المفكرين من
العلماء أن يقولوا بوجوب الإيمان على
الإنسان مهدياً بتلك الظواهر التي تدل
بلا شك على وجود موجد لها وأن فلاسفة
الإغريق وهم الذين شهد لهم الداني
والقاصي بجمادة العقل والذكاء وقوة
الفتنة والتفكير نراهم - وهم لا يدينون
بدين - يفكرون ويعملون الفكر بإمعان
وروية فيما وراء هذا الإبداع ، فيعرفون
أن هناك قوة محرّكة لهذا الكون وإن
كانوا لا يسمونها إله ، وعلى رأس
هؤلاء أفلاطون الإغريقي وتلميذه أرسطو
وبعض المفكرين يعزوا هذه الحياة وما فيها
من رقي وتقدم ووجود وحركة وتجدد إلى
قوة وراء الكون يسمونها العقول العشرة .

العقل الأول :

وله ثلاث جهات : جهة وجوب ،
وجهة وجود ، وجهة إمكان ، وبالجهة
الآخيرة أوجد العقل الثاني الذي له أيضاً
تلك الجهات الثلاث وبجهة الإمكان
أوجد الثالث .. وهكذا .. حتى العقل
العاشر وهو المدبر لهذه الحياة والحرك
لشئون هذا الكون .

السليمة وتمجها الأنفس العالية .

وفي الهند كثير من تلك العقائد والنحل...

دخل ذات يوم بعض المشركين وهو
أبى بن خلف على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأمسك بعظمة قد رمت
وبليت من طول ما لبثت ، ففتتها بيديه
أمام النبي صلى الله عليه وسلم وقال :
يا محمد أترى أن ربك يحيي هذه بعد
رميمها ؟ . .

فقال عليه السلام : « نعم ، ويبعثك
ويدخلك النار » ، وفي ذلك نزل قول
الله تعالى : (وضرب لنا مثلاً ونسى
خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم
قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل
خلق عليم) .

وإن بعض الناس ذهب إلى أبعد
من ذلك وادعى أن الطبيعة هى التى
أوجدت الكون ، وأنكر وجود الإله
مطلقاً ، ومن العجيب أن من بينهم
الفلاسفة والمخترعين ، ويعتقدون أنهم
يسIRON دقة الأمور فى الدنيا وحيثما
صعد جاجارين بسفينته إلى الفضاء
مخترقاً الغلاف الجوى دائراً حول الكوكب
الأرضى ظنوا أنهم قد قبضوا بأيديهم
على ملكوت السماوات والأرض وأنهم
أهله هذا الوجود ، وسخروا من وجود

المعبود ، وقال كبيرهم لقد طلبنا من
جاجارين أن يحضر لنا معه شيئاً من
المن والسلوى فلم يجد ، وهم يريدون
بذلك إلزام الحجة لذوى العقائد السماوية
بسفينة الفضاء التى لم تخرج عن فلك
الأرض ، وحتى لو خرجت فإلى مجموعة
الشمس التى نعيش فى كنفها ونحيا
بإشعاعها وفى الكون آلاف الشمس وهم
لا شك إلى الوصول إليها عاجزون ولو
وصلوا فليروا آيات الله وقوة قدرته وحسن
إبداعه (سريهم آياتنا فى الآفاق وفى
أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

لقد عميت بحق بصائر هؤلاء الضالين
الذين يشيحون بوجوههم عن الهدى
المبين ويعرضون بسموم أفكارهم عن
النور واليقين ، إنهم يعيشون فى الأرض
وتعيش معهم حيواناتهم التى يعتمدون
عليها فى أعمالهم وأقواتهم وكذلك تحيا
معهم كثير من الكائنات ، وهى هى
الطيور التى تسبح فى الفضاء والخلائق
التي تحيا بين طبقات الماء كل ينطق
بقدره مقتدره وحكمة بالغة وقوة عالية
محركة . لقد وضعوا أرجلهم على القمر
بإرادة الله ليروا نعمة الله عليهم فى
الأرض ، لقد وجدوا القمر خالياً من
كل أسباب الحياة وعناصرها ، وأنه

قيل إن بعض الطبيعيين الذين لا يؤمنون بوجود الإله اشتد ضلالهم وكبر في نفوسهم فدخلوا على أحد الخلفاء العباسيين يحاجونه في وجود الخالق العظيم واهب الحياة لجميع العالمين فدعى لمناظراتهم بعض أئمة المسلمين وحدد لتلك المناظرة العظمى ميعاداً معلوماً، فلما حان الوقت وحل الأجل لم يحضر الفقيه المسلم فسخر الطبيعيون من الخليفة حتى أوغروا صدره على الإمام وكاد يشتد غضبه عليه ، وبعد ساعة أو ساعتين حضر الفقيه العظيم فاستقبله بغضب ووجوم شديد ، واستقبله الطرف الآخر من المناظرين بالسخرية والضحك واتهموه بالهروب والعجز ، ولكن الإمام العظيم وقف ثابتاً وثاقاً من صلابته وقوة حجته وناضج برهانه فقال في هدوء : « مهلاً بامسادة إننى أسكن في البر الثانى من المدينة ووقفت أنتظر سفينة تنقلنى إلى هذا البر فلم أجده ، وفجأة وجدت ألواحاً تجرى على الماء ودسراً «مسامير» تجرى حولها حتى حضرت عندى فقامت الألواح مع الدسر بالتشابك والالتئام حتى تكونت منها بصورة تلقائية سفينة كاملة فركبتها وجئت إلى هذا البر . ولكن المناظرين الطبيعيين علا ضحكهم واشتدت قهقهتهم ساخرين من هذا مهلة الأزم

كوكب لا يصلح مطلقاً للبقاء فيه أو التواجد على سطحه لأنه خال تماماً من الهواء أو على الأقل من عنصر الأكسجين الذى هو أهم عنصر فى الهواء ولولا ما يحملونه معهم من الأكسجين والماء والطعام لهلكوا .

ومناخ القمر كما أخبرونا إما بارد إلى حد القتل ، وإما ساخن إلى حد الغليان ، ولولا الملابس التى يرتدونها المزودة بأحدث الأجهزة العلمية التى تدرأ عنهم هذا الانعكاس الجوى الذى لا تألفه ولا تحيا فيه المخلوقات لكان مصيرهم الهلاك والدمار ، ذلك ليعلموا أن وجود الحياة فى الأرض ليس عبثاً إنما هو إعداد حكيم خبير هياها وبسطها وأوجد من الحياة ما يتلاءم وبقاء الإنسان وغيره من سائر الحيوان : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) ، (والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً) ، (وهو الذى سخر البحر لناأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) .

النبا وقالوا : أرأيت يا أمير المؤمنين
ما ينبئنا به صاحبك ؟

**فضل الله تعالى على الإنسان بإرسال
الرسول :**

إن الله الذى خلق الإنسان ومنحه
العقل وعلمه البيان وهو بتفكيره خبير
وعميوله ورغباته بصير ، يعلم أن له
فى الأرض عدواً مبيناً يحبك له دائماً
شباك الفتنة والوقية حيث يجره إلى
مهاوى الرذيلة والضلال ، هذا هو
الشیطان الرجيم الذى أخرج أبويه من
الجنة وأقسم من قبل لأغويهم أجمعين .

فلذا اقتضت حكمة الله ورحمته
بعباده أن يحول بينهم وبين عدوهم
ويدفع عنهم ما يلحقهم منه من ضرر
فتعهدهم منذ أبيهم آدم بإرسال الرسل
مصلحين ومرشدين منذرين ومبشرين
يبصرونهم بعاقبة أمرهم وضراوة عدوهم
ومآل أعمالهم وأنزل معهم الكتب والصحف
ملیة بالعظة والاعتبار محفوفة بالرحمة
والمعرفة والتبشير أو الإنذار لتكون
دستوراً به يهتدون وصراطاً به يسيرون .

ومن رحمة الله بالإنسان أنه أرسل
كل رسول بلسان قومه ليبين لهم . . .
(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم فيفضل الله من يشاء ويهذى
من يشاء وهو العزيز الحكيم) . .

فقال الإمام العظيم كيف تستبعدون
صنع سفينة بلا صانع ولا تستبعدون
وجود الكون بلا خالق ؟ .. فأرتج
عليهم وسقط فى أيديهم ورأوا أنهم ضلوا
فألحمت ألسنتهم وغاب الجواب عن
عقولهم لأنه لا جواب ، بل هو فصل
الخطاب والإلزام والبرهان والحجة ،
وقاموا من مناظرتهم مهزومين . فأجزل
الخليفة العطاء للإمام الفقيه . .

وروى أن بعض فقهاء المسلمين
وأئمتهم قد ألف كتاباً يزيد على ألف
صفحة يسرد فيه مئات الأدلة على وجود
الله واحتفل الناس بالعالم الجليل لإتمامه
هذا العمل العظيم ، ورأت بعض المتصوفات
من المؤمنات هذا الاحتفال الكبير
فسألت ما هذا ؟ فأخبروها به فقالت
إلى الإمام فأقبل عليها فقالت ما هذا
يا أخى لقد أتعبت نفسك بلا داعى
كمن يحاول إثبات الشمس فى وضوح
النهار بلا غيوم ، ثم قالت :
البعرة تدل على البعير والخطوة تدل على
المسير فليل داعى ونهار ساج وسما
ذات أبراج وبحار ذات أمواج ألا يدل
ذلك على اللطيف الخبير فعند ذلك بكى
الإمام وأمر بتمزيق للكتاب .

ولكن الشيطان الذى آل على نفسه
إضلال الإنسان وغوايته لا يفتأ ينشب
أظافر غوايته فى عقولهم فتطوى نور
الحق فى صدورهم وتنسج حجب الغواية
والضلال على بصائرهم وقلوبهم فيبدلون
دين الله ويغيرون معالم الهداية السماوية
ويكتم علماءهم الحق بعد ما تبين
يشترون عرض الدنيا والمناصب وينسون
الله تعالى فأنساهم أنفسهم ويحرفون الملل
والعقائد حتى يدين الناس لهم بالولاء
والطاعة ويقبضون على زمام الأمور
باسم العقيدة أو الدين (أتأمرون الناس
بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب
أفلا تعقلون) .

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل) . فاستجابت
لهم العقول السليمة وآمنت بهم القلوب
الواعية واعتنق دعوتهم ذوا الكفاءة
والخبرة فى الناس لما وجدوا فى دعوتهم
من الصدق واليقين الذى تؤيده آيات
الله فى الأرض والنفس والسموات ،
وتؤيده أيضاً المعجزات فنجا بهديهم
المفكرون وانحرف عن طريقهم الضالون
وظلوا فى ظلمات الجهل والعنت يسقطون
ويهوون والشيطان بحكم عداوته للإنسان
يزين لهم سوء صنيعهم ليحقق مأربه
ويجنى مكسبه .

حكمة الله تعالى فى إرسال الرسل :

لما لعب الشيطان بعقل الإنسان
وأضل بنى آدم عن الصراط السوى ،
اقتضت حكمة الله البالغة وهو الرحيم
بعباده أن يأخذ بأيديهم إلى السعادة
والفوز والنجاة . فكلما أضلهم وأنساهم
ذكر الله وما أنزل فيهم من الشرائع
والنواميس والصحف والكتب المليئة بالعظة
والتوجيه السليم والإرشاد الحكيم ، غمروهم
العناية الإلهية وحفهم الرحمة الربانية
بإرسال رسول منهم ناطق بلسانهم ليهديهم
إلى الحق ويسلك بهم سبيل الرشاد .

١ - لذلك كان بعث الرسل لإيضاح
ما عمى على الناس من الإيمان الحق
واليقين الصدق ليخبروا الناس بأن الإيمان
هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان
بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
وعلم من الدين بالضرورة ، مع الإيمان
بوحداية الله تعالى وأنه لا إله إلا هو
لا شريك له ، ويجب له كل كمال
ويستحيل عليه أى نقص وأن الرسول
هاد مرشد أيده الله بالمعجزات وأمرنا
أن نطيعه وأن نأخذ عنه الشرع ونؤمن
بما جاء به .

الله مما هو واضح تمام الوضوح أنه لا ينفع ولا يضر فن عبدة الأصنام إلى سجد للنار إلى ركع للكواكب والعجول ومن العجيب أنهم يرون وجود الله في آياته فيضلون عنها ثم يصنعون الصنم بأيديهم وينسون أنهم صنعوه فيبتغون عنده الأمل والرجاء والسعادة والنعيم فيخرون لما صنعت أيديهم ساجدين .

لهذه الحكم وغيرها اقتضت حكمة الله البالغة أن يذكر الإنسان دائماً بعداوة - الشيطان له وأن يرشده دائماً إلى الطريق المستقيم المعبدة فيضيئها له بهداية المرسلين ودعوة الأنبياء الذين يرجعون إلى أعمال الفكر والعقل دون تعسف ولا عنت ليدفعوا عنه ضرر الغواية والإضلال .

اتفاق أهل العقائد السماوية :

وإنه مهما احتدم الخلاف أو نأى الفكر بين ذوى الملل السماوية فلمهم متفقون على أدق القضايا مساساً بالحياتين وأعظمها ارتباطاً بالعقيدة والعقل . ذلك فإن مدار العقائد واحد لأن الإيمان له أركان ومقومات لا يختلف في التبليغ بها أى رسول ، والأديان السماوية مستمدة من دعوى الأنبياء الذين تيقن الناس

٢ - وكذلك ليسينوا للناس كيفية العبادة التي يعبد الله بها المؤمنون من طهارة وصلاة وصوم وزكاة وحج وبيان كيفية كل ركن من هذه الأركان .

٣ - وكذلك لينظموا بشريعة الله التي أرسلوا بها العلاقة بين الناس وما يجب لكل إنسان على أخيه الإنسان وما عليه نحوه من واجبات بما في ذلك المعاملات المالية والعلاقات الخلقية والحفاظ على الكرامة الإنسانية ووضع القواعد والمبادئ والأسس التي تنظم علاقة الفرد دون استغلال أو سيطرة أو استحواز على ما في يد الغير بالكرامية والجبر والإذلال وتنظيم الأسرة واحترام الأعراض وبقاء النسل وحصول كل فرد على ما يريد من أخيه الإنسان برضاء وقبول .

٤ - وكذلك لتكون دعوتهم إلى هذا الإيمان الحق تحقيقاً لسعادتهم ونعيمهم وتصفية لنفوسهم ورضاً كاملاً في معاملتهم وتوفير العزة والكرامة لهم ونجاتهم في يوم الآخرة يوم تسأل كل نفس عما كسبت « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » .

٥ - الرجوع بالإنسان إلى قيمته البشرية وإعمال العقل بعد أن دعاه الشيطان إلى إهماله قلبه وسجد لغير

٤ - إن الله تعالى أرسل بالحق رسلاً مؤيدين بالمعجزات مبلّغين عنه الرسالات يدعون إلى الخير وينهون عن الشر تسامت في الإنسانية صفاتهم وتناءت عن الدنيا ميوههم وصفت في حب الله قلوبهم وطهرت من الدنس والأرجاس نفوسهم بعثهم الله مصلحين لفساد القلوب، مبلّغين قانون السماء الذي لا يأتيه الباطل ولا يشوبه الانحراف، ليكون مبدأ العدل في حياتهم ومنار السعادة في دنياهم وآخرتهم ومرشداً لهم إلى مآل خلودهم ، ومحذراً لهم من غواية علومهم ليكونوا لهم في الدنيا هداة مرشدين وعليهم شهوداً يوم الدين .

٥ - إن الله تعالى ذود هؤلاء الرسل بكل كمال بشرى كالعصمة والبعد عن الزلل والحيطه عن الحرام والفظانة ، وتجوز عليهم الأعراض البشرية البعيدة عن الخلل في الشرف والكرامة كالأكل والشرب والزواج والإنجاب والأمراض غير المنفرة والتي لا تخل بتبليغ الرسالة ويستحيل عليهم كل نقص يخل بأداء الرسالة كارتكاب المنكرات سواء كانت صغيرة أو كبيرة .

٦ - إن جميع الأديان السماوية تدعو إلى الخير وتنهى عن الشر فهي

شبهت رسالتهم وتحقيق نبوتهم لذلك كان اتباعهم مهما تباعد الزمان واختلف المكان لازماً، لأنهم متفقون على المبادئ القويمة للإيمان التي منها :

١ - اليقين بأن الموجد لهذا الكون المهيمن على كل شيء فيه القادر على إبقائه أو إهلاكه هو الله عز وجل سبحانه وأنه واجب الوجود ، قديم لأول له ، باق لانهاية له ، قادر للاحد لقدرته ، وأنه عليم ببواطن الأمور وظواهرها ، واجب له كل كمال يليق بذاته العلية ويستحيل عليه أى نقص وإن كمالات الله تعالى لا تنهاى ولا يحصرها العد ولا يحصيها الفكر .

٢ - إن طاعته سبحانه واجبة على كل مؤمن وأنها نجاة من عذاب خالد ، وأن معصيته مستحيلة على كل مؤمن وأنها مهلكة مبعدة عن نعيم خالد .

٣ - إنه تعالى المعبود بحق ولا معبود سواه وأن للشريعة أسساً ومبادئ لا بد من تنفيذها وعبادة الله بها سواء كانت ظاهرة الحكمة في عقولنا أو كانت خفية الحكمة عن إدراكنا كوجوب الطهارة والصلاة والصوم والتصدق ومساعدة المحتاجين وزيارة الأماكن المقدسة .

الأرواح أى انتقالها من جسم إلى جسم فالموت عندهم إذا كان نهاية الجسم فهو انتقال للروح من جسد إلى جسد . وقد حكى ذلك صاحب مسلم الثبوت فى أول باب النسخ .

وليس أدل على تعمق اعتقاد تجدد حياة أخرى عند من لا دين لهم ، هو ما نشاهده اليوم من الآثار التى ترجع إلى آلاف السنين ، فيها يحتفظ الأهل والآباء والأحباب والأصدقاء بما يكفل النعيم والسعادة والراحة للميت حينما تعود إليه الروح وتدب فى عروقه الحياة من طعام وكساء وحلى واحتفاظ بكنهه الجسم بالتحنيط . وقد وجدت بعض هذه الآثار فى أمريكا الجنوبية وفى المكسيك وغيرها من الدول ، وفى إفريقية كثير من هذه المعتقدات . ولعل فى بلادنا مصر أكد دليل على ذلك فالأهرام بأنواعها المختلفة وما عثر عليه فيها من الأدوات والحلى وما على جدرانها من النقوش والتعاويذ ما يدل على اعتقادهم بالحياة الأخرى بل أنهم يعتقدون أن الإنسان بعد عودة الروح إليه سيحاسب حساباً شديداً على ما قدمت يداه وما اقترف من إثم . فسيقف بين محكمة مكونة من ٤٢ إله يرأسهم الرب

تدعو إلى احترام الوالدين وتربية الأولاد وبذلك تنشئ الأسرة السعيدة وتدعو إلى الحلم والصفح والنجدة والمروءة ومساعدة الضعفاء والبذل والجود والعطاء والعفو ، وتنفر من أصداد هذه الصفات :

٧ - الكل متفقون على أن الدنيا دار انتقال وأنها باب يمر منه الإنسان إلى الشقاء أو النعيم ، وأنه لا خلود فيها لأحد ولا بد أن تعقبها حياة البقاء الأبدى يوم القيامة ، فالبعث عقيدة يقينية عند ذوى العقول والأبصار والإيمان باليوم الآخر جزء من الإيمان المنجى من عذاب الله ومن أنكر البعث فى أى دين سماوى فقد عصى الله ورسوله الذى آمن به وأقحم نفسه فى زمرة المملحين الخاسرين .

العقل يؤيد البعث والنشور :

إن الإيمان بالعودة وتجدد الحياة ليس وليد الأديان السماوية وحدها بل هو عقيدة جارية فى دماء الذين عبدوا الأحجار والكواكب والذين لا دين لهم ، الكل يؤمنون بأن للإنسان عودة بعد تلك الحياة التى كل ما يجرى فيها يدل على التجديد والتغير .

وقد زعم بعض الهنود وغيرهم تناسخ

ويقوم بعملها من بعدها وفي فصل الشتاء تعرى الأشجار من أوراقها حيث تصفر وتتساقط مؤذنة بانتهاء دورها في الحياة ليخلفها الورق الأخضر في فصل الربيع والشمس تجرى في فللكها لتوجد النهار ، فيه الحركة والضوء والعمل يحمل الحياة في يوم جديد بعد الموت الصغير الذى يرتدى ثيابه كل ذى روح إذا ما انصرم النهار ووجن الليل وأسدل أستاره على الكون فيأوى إلى كنفه الكادحون المتعبون ليستريحوا من العناء والتعب متشوقين بعد كدهم وجهدهم إلى حياة جديدة يعيدون فيها ما عسى أن يكون فاتهم من السعادة والرقى والنعيم .

فتغير الحياة على هذا النحو يدل على عدم استقرار هذا الكون وإن القوة المسيرة له التى انفردت بالبقاء والدوام لا تريد له إلا الفناء والإعدام ليكون الخلود لله والتمجيد والحدوث لما عداه .

والمناخ نفسه متجدد فمن ربيع إلى صيف إلى خريف إلى شتاء تحيل الحياة إلى ألوان متطورة من قوة إلى ضعف ثم إلى قوة بعودة الربيع ، كل ذلك يدل على أن الحياة لا بد بعدها من حياة ومن عودة .

« أوزيريس » . وبفضاء تلك المحكمة يخلد هذا العائد في الحياة الأخرى إما في الشقاء وإما في السعادة والنعيم .

فلم يكن عجباً على العقول والأسماع أن تبلغهم الأديان السماوية بتلك الحياة الأخرى التى أقرها من حولهم والتى يدل عليها كل ما فى الوجود ، والعقل لا ينكر ما اقتنع به من برهان ، وما ظهر له جلياً من الحجة والبيان وهناك من الأدلة القاطعة والبراهين العقلية الساطعة ما يرشد إلى ذلك بصرف النظر عن أى دليل سمعى فى أى كتاب دينى .

٤ - التجدد والحدوث :

منذ آدم حتى الآن والكائنات الحية متوالدة حادثة لا تنقطع عن التجدد ولا ينقرض نسلها وفق الطبيعة والنفط ففهمى فانية متجددة وكأن الجنس مع موته وهلاكه عائد إلى الحياة ففناؤه غير مستمر وليس ذلك خاصاً بذى الروح بل النباتات باقية بولادتها من بذورها وأغصانها .

فشجرة الموز تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها وقبل أن تميل إلى الأرض هالكة فانية تترك مولودها ليجدد حياتها

عروقه فيقعهه عن تنشق أريج النعيم
وما على الأرض من ملذات وشهوات
وآخرون قد ألبسهم القدر ثوب القوة
والصحة والعافية فهم في السعادة يرفلون
ونعيم الدنيا وملذاتها يتمتعون .

ومن الناس من أقعدهم الفقر أو
التكوين العقلي عن التمتع والتلذذ بالعلم
وحلاوته وآخرون اتخذوا من العلم وسيلة
إلى إسعادهم ونيل ما يرجون من دنياهم
بل أنهم اتخذوا من العلم مطية لإرهاب
الضعفاء وإذلال البائسين الجاهلاء ،
ولو أن الله تعالى قلب عليهم سوء
صنيعهم وسلط أيديهم على رؤسهم
لتكون القنبلة الذرية مثلاً وغيرها من
مخترعات الدمار والإهلاك شبحاً مخيفاً
ووحشاً ضارياً يقض مضجعهم ويملا
فراشهم بالشوك .

ولا شك أن عدالة الحكيم الذي اتفق
الكل على عدله وحكمته لا ترضى أن
تكون هذه الحياة وحدها فيصلاً ونهاية
للجميع بفنائها وهلاكها يتساوى المحقون
والمبطلون والسعداء والأشقياء ، والفقراء
والأغنياء والمرضى والأصحاء . بل أن
العقل الثاقب يستحيل على عدل الله
ذلك ولا بد أن تكون هناك حياة أخرى
على نمط غير الذي ألفناه وعلى نهج

٢ - العدل الإلهي :

لقد ثبت بما لا يرقى إليه الشك أن
موجد هذا الكون هو الله تعالى الذي
استقرت على ألوهيته كل العقول واعترفت
بجلاله وعظمته وعدله وحكمه كل الملل
والأديان ، والكون مليء بظلم الإنسان لأخيه
الإنسان وتمادى الظالمين في ظلمهم
وشقاء المظلومين في ظلامتهم فمن قتلة
سفاكين إلى مقتولين منكوبين ، ومن فقراء
محتاجين يبيتون على الطوى إلى أغنياء
وأثرياء هانئين متمتعين بميلون في سعادتهم
مع الشهوات والهوى ، بل قد يتعدى هذا
التباين بين الناس إلى التباين بين الحيوانات
فمن قوى ذا مخلب وناب يأكل من
الضعيف الكبد واللباب ، وكثيراً
ما ينسى القوى إنسانيته وضميره فيفتك
بالضعيف أو يمتص دمه أو يسترقه
ويستعبده وليس هذا قصراً على الأفراد
بلى قد تعداه إلى الجماعات فالدولة
ذات المال والبأس والقوة لا تشعر بأى
غضاضة في إزالال من حولها وسلب
أراضي جيرانها وسومهم سوء العذاب
إذا لم يدينوا لها بالولاء والطاعة .

ومن الناس من يسرى المرض في

غير الذى عرفناه تعود الأمور فيها إلى
تصاها وتنزح الحقوق فيها إلى أصحابها
ويجزى المسمى فيها على إساءته ، ويعطى
المحسن فيها جزاء إحسانه وتقبله عبادته .

٣ - الجزاء والثمرة :

إذا اجتهد التلميذ في مذاكرته وأمعن
الطبيب في علاج مرضاه وحرص القائد
على إحكام خطته وحياة جنوده ، وأتقن
العامل صنعته فلا بد أن يجنى هؤلاء
ثمرة جدهم وجزاء جهدهم ، ولا بد

لأضدادهم أن يحصدوا سوء صنيعهم وأن
يسقطوا في مهاوى رذائلهم وإهمالهم .
وفي الدنيا كثير من الأضداد
والمتناقضات . فغصن البرتقال لا يثمر
حفظلاً . والقصب لا يخرج ملحاً ولا
تستوى الحسنة ولا السيئة بل لا بد أن
يكون لكل غصن ثمرة ولكل عمل جزاء
وفضل الله لا يسوى بين الكادحين
والراقيدين بل لا بد من الوفاء في يوم
الدين .

دكتور محمد عيد عابدين

دعاء

اللهم صن وجهى باليسار ، ولا تبدل جاهى بالإقتار ،
فأسترزق طامعاً رزقك من غيرك ، وأستعطف شيرار خلقك ،
وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتنن بدم من منعنى ، وأنت من
وراء ذلك كله ولى الإجابة والمنع .

على بن أبى طالب

التربية الدينية وبناء المسلم السوي

الأستاذ / السيد حسن قرون

والدين أو التدين طبيعة في البشر يحسون بأثره إذا ألمت بهم مصيبة أو ضاقت عليهم السبل ، أو وقعوا في خطر ، حينئذ تراهم يلجئون إلى الله ويجأرون بالتضرع إليه أن ينقذهم مما هم فيه . (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ^(١)) والله - سبحانه - رحيم بعباده لم يتركهم هملاً ، بل أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين ، يبصرونهم بخالقهم ورازقهم ، ويدعونهم إلى توحيده وتمجيده وطاعته حتى يكونوا من الناجين ، والأديان على تعاقب الحقب والعصور كانت السبيل إلى طمأنينة الإنسان ورضاه ، وهدايته إلى معرفة الله ، وسلوك الطريق المستقيمة ، واتباع الحياة القويمة مما به يسعد في نفسه وجنسه ، ويحسن التعامل والتعايش مع غيره ، ولولا الأديان لعاشت الإنسانية في دياجى الجهالة ، ولضلت العقول

(١) آية ٥١ فصلت .

قال محمد بن إدريس الشافعى - رحمه الله - : « العلم علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان » ونحن في حاجة إليهما ، ولك أن تتوسع فيما ذهب إليه ، فتجعل العلم شاملاً لما تقوم عليه العقيدة والزلفى إلى الله من العلوم التى ظهرت نتيجة لنزول القرآن على خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وأن تكون إزاء هذه العلوم الدينية علوم تدرس الكون وما حوى مما يفيد الإنسان في معاشه والدفاع عن نفسه ، وربطها بروح الدين ما أمكن .

لكن مجالى الذى أقصد إليه ، وأريد الإفاضة فيه هو « التربية الدينية » في المدارس المصرية ، وما قمنا نحوها من جد وعمل ، وما رغبتنا فيه من تحقيق الأمل في أننا نخرج على الناس بناشئة قد وعوا شئون دينهم ، وعرفوا قدره في نفوسهم ، وامتألت قلوبهم برقائقه وحقائقه ، ليكونوا جند الله وبناء حضارة كما كان أسلافهم في سالف الأزمان .

عن الاهتداء إلى سوء السبيل ، ولما عرفت للتأخى معنى ، ولا للعدالة ميزة ، ولا للعمل طعماً ، ولا للحضارة مسلكاً ، ولا تقل لى : قامت حضارات فى الأمم القديمة فى مصر واليونان والهند والصين ، فالجواب حاضر إنما ذلك يرجع إلى فطرة الإنسان نحو الدين ، وإن كانوا من معرفة الحق فى ضلال مبين .

ومعنى هذا أن الدين هو العاصم من الخطل ، والدافع إلى خير السبل ، والنور الذى يطلبه من كره الظلام ، والحمد لله الذى هدانا إلى الدين الإسلامى الذى هو خاتم الرسالات ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ، وجعل القرآن مهيمنا على الكتب السماوية ، والدال عليها ، والمبين لمراميها ، والمنبه على التغيير الذى حدث فيها ، وواجبنا أن فنشئ أبناءنا على فضائله من نعومة أظفارهم حتى يشبوا صالحين كاملين لا تغرهم فتن الدنيا ولا تستهويهم مطالب المادة . فإذا قدمنا لهم ؟ وكيف وصلنا النور إليهم ؟ إن ما نقوم به هو ضرب من مطالب الحياة اليومية أو المدرسية ، لأن الدولة أرادت أن تقوم التربية بجوار العلوم التى تدرس ، والتى عليها تقوم الآمال والأعمال ، وما من شك فى

أننا بحاجة إلى النظرة الجادة فى هذا الطريق الذى عبدناه ، والأمر الذى اتفقنا عليه ، فعجيب أن يدرس التلاميذ والطلاب مصاد دينهم من سن السادسة حيث المرحلة الابتدائية إلى سن الشباب فى المرحلة الثانوية ، ثم لا تجد محصولاً فى صدورهم ، ولا أثر فى نفوسهم ، ثم نشكى من الفراغ الدينى كأن تلك السنوات فى هذه المرحلة لم تكن شيئاً مذكوراً ، وقديماً قالوا : العلم قائد والعقل سائق ، والنفوس ذود^(١) فإن كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يميناً وشمالاً وإذا اجتماعاً أنابت طوعاً أو كرها

ومعنى هذا أن نجاة النفس مرجعها إلى العلم والعقل وهذا هو واجبنا نحو الناشئة : أن يعلموا ويعقلوا فتصفو نفوسهم ، أو بمعنى أدق أن نصل بهم إلى الإيمان وهو المنارة والهداية والدليل الذى لا يخبى . فما وسائلنا إلى ذلك ، هناك فى زارة التربية أجهزة ومشرفون ينظرون فى المناهج ، ويقومونها ثم يقدمونها علوماً ومعارف ، ومنها التربية الدينية .

ونظرة عاجلة إلى تلك المناهج تجدها

(١) إبل من ثلاثة إلى عشر .

بغضاضة تجعله دون مدرس أول اللغة العربية ، ولو نظرنا نظرة سامية لعد نفسه من ورثة الأنبياء ، وطريقه طريق الخلفاء ، لكنها الرواسب الاستعمارية ، والجو العكر الذى يحيط به يدفعه إلى سوء الظن بنفسه وبعمله .

٢- ويتبع ذلك أنه يتقاعس عن أداء الواجب كما ينبغي ، فيذهب إلى تلاميذه متأخراً ، ويؤدى درسه متكاسلاً ، فقد الروح الصافية ، والقذوة الحسنة ، وران على تلاميذه شعور بضالة هذا الدرس فلم يتحمسوا لآثره فى حياتهم وحياة مجتمعهم ، وأخذوه على أنه شيء على هامش الحياة المدرسية ، وقد ترك الحصنة لزميله إن احتاج إليها بحجة تأخره فى المنهج ، وقد يقف طويلاً عند إعراب جملة فراراً من كشف ما بدرسه من المثل العليا ، والمقاصد النبيلة ، والأهداف الجلية ، ويعتقد أن ذلك فى صالح طلابه .

٣- والإدارة المدرسية توحى إليه بذلك عمداً أو على غير عمد ، فتجعل درسه فى آخر اليوم المدرسى ولها حجج لا ترد فى هذا الأمر ، لأنها بصدد تجميع المسيحيين فى فصل واحد ، أو أن هناك عجزاً فى المدرسين أول العام

وافية بالغرض ، ملائمة لكل مرحلة وكل فرقة ، فيها سور وآيات من القرآن الكريم وطائفة من الأحاديث الشريفة ، ودراسات فى العبادات والتهذيب والسير والشخصيات الإسلامية ، ومن الآيات ما يحفظ ، ومنها ما يرتل ويفهم ، وتجند ترابطاً بين كل هذه الأنماط ، كل ما فى المنهج يسير وفق الآيات القرآنية حتى يسهل الفهم والحفظ ، ويستقر الأثر فى القلب والعقل معاً ، وهذا أمر سار وبار فن أين جاءه النقص فحاد عن المراد .

١- مفهومات قديمة أو رواسب استعمارية من عهد دانلوب المستشار الإنجليزى فى وزارة المعارف آن ذاك فقد جعل النظرة إلى « الديانة » كما كان يسميها ، والقائمى عليها نظرة ازدراء ، وعاشت فكرته جيلاً بعد جيل ، ومع أن الاستعمار حمل عصاه ورحل فلا تزال وساوسه ودعاواه تملأ الأفق المدرسى إلى حد التأثير على مدرس اللغة العربية فيراه كبار رجال التعليم أقل إدارة من زملائه الآخرين فى الحقل المدرسى ، وجاء يوم على رجال اللغة والتربية الدينية حين كان للغة مدرس أول وللتربية الدينية مدرس أول أن الثانى يشعر

نص المنهج ما استطاعت الوسواس المضللة أن تجد إلى نفسه سبيلا . اقرأ معي بعض ما تقول المناهج الدينية . إنها تقول مبينة الأهداف .

— بناء إيمان الطالب بالله تعالى ورسوله وما جاء به من تشريع وأحكام وحدود على اليقين والتبصر والاقتناع .

— تقوية الوعي الديني في نفسه تقوية تحول بينه وبين التيارات الهدامة لنظام المجتمع ، وتعصمه من المبادئ الإلحادية وتحرره من الخرافات والأساطير ، والتقاليد المخالفة للعقيدة الإسلامية .

— إقامة إيمانه بالفضائل الخلقية والقيم الاجتماعية على أساس من التفكير والفهم والتحليل ، واتجاهه في حياته إلى المثل العليا من العزة والشجاعة والثقة بالنفس وحب الإيثار ، وتشربه معاني الخير والحق والواجب ، ونزوعه إلى التفاؤل واتساع آماله في الحياة ، وميله دائماً إلى الطموح والبناء وتحمل الأعباء .

— تقوية ميله إلى المحافظة على شعائر الدين ، ومبادئه السامية في غير تزمت أو نفور أو تشدد متخذاً من يسر الإسلام وسماحته ما يحمله على الاتزان في جميع أعماله مع البعد عن نزعات الهوى والميل .

الدراسي ، أو أنها في حاجة إلى تقوية الطلاب في المواد الأخرى آخر العام الدراسي مما يجعل الدروس الدينية عاجزة كل العجز عن بناء الشخص المتدين الذي يعرف ربه ورسوله ومعجزة القرآن والأحاديث التي تفصل مجمله أو توضح مشكلة ، أو تقيد مطلقه ، ويعر على السيرة مر الكرام ، ويتصفح سيرة الخلفاء أو الصحابة أو الشخصيات الإسلامية تصفحاً لا يئتي المنشود منه ، وأنا لا أهتم بالامتحان في التربية الدينية من حيث النجاح أو الرسوب اهتامي بالأهداف والمقاصد ، فالنجاح الحقيقي أن تبعث في صدر الطالب خفقة الحب والتقديس لشئون دينه ، فيتمثل ما يدرس ، ويفيض من قلبه نور يدفعه إلى الوفاء بعقوده مع ربه ومجتمعه ، يقبل على العبادة بصدق ويعامل غيره بشرف ، وتأتية مناعة صلبة فلا تؤثر فيه دعاوى المغرضين ممن يريدون تنحيته عن منهج الدين بأفكار مستوردة أساسها الهزء بالأديان ، وأنها من مخلفات القرون الأولى ، أنها تبعد بالإنسان عن أخذ حقه في الحياة أو التمتع بخيرات الدنيا .

ولو كانت التربية الدينية حرس كما

— تعميق إيمانه بأنه عضو عامل في الأمة ، يقدر العمل في كل ميدان ، ويحرص على تنمية الثروة العامة ويحافظ عليها أن تضيق في غير حق .

— تنمية روح التعامل الاجتماعي الصحيح في الطالب ، وعنايته بآداب المجتمع الذي يعيش فيه على فهم صحيح لروح الدين وجوهره .

— التسمي بالغرائز والميول في نفوس الشباب لتحريرهم من الخوف والضعف والعقد النفسية ، وتربيتهم تربية وجدانية صحيحة تقوم على الاستقرار النفسي والالتزان العاطفي .

— تذوق ألوان الجمال الفني واللغوي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

— تبصير الطلاب بالعالم الإسلامي وما بين المسلمين من روابط .

هذه بعض الأهداف سقتها لك من كتاب « المناهج المعدلة لسنة ١٩٦٦ ل ترى إلى أي حد هي صالحة البناء المسلم سوى .

ولكنك تنظر فلا ترى صورة عملية في هذا الجليل كما أرادها ذلك المنهج . لماذا ؟ لأننا لم ننفذ ما حددناه ووصينا

— تقوية واتصاله بالقرآن الكريم والحديث الشريف وزيادة اطلاعه على ألوان الثقافة الدينية ، وانتفاعه بها انتفاعاً عملياً في حياته الفردية والاجتماعية وإدراكه أن الدين لا يتعارض مع العقل ولا مع التقدم العلمي والحضارى ، وأنه كفيل بتحقيق مجتمع شورى يستهدف الرخاء والأمن والسلام .

— تنمية قدرته على فهم مرامى الدين الإسلامى في تكوين الأسرة ورعايتها ودعم نظامها ، وبنائها على أساس من الدين والخلق والقومية .

— توسيع فهمه لمرامى الدين في تكوين الجماعة الكبرى ، وقيام الحكم فيها على التشاور والعدل والحرية والمساواة والإخاء وإدراكه معنى التكافل والتعاون بين المسلمين .

— ازدياد ولائه لوطنه ولأهدافه السامية التى تتفق مع أهداف الدين ، وجهاده في مقاومة أساليب الاستعمار ، واعتزازه بالتراث الإسلامى الخالد ، وانتفاعه بهذا التراث ثقافياً خلقياً ، وتقوية ميوله إلى البناء على أجداد الماضين بإرادة قوية ، وحب للتضحية في السلم والحرب متخذاً من البطولات الإسلامية أحسن قدوة .

في المنهج حديث عن الشريعة الإسلامية، والمدرس الحصيف يستطيع أن يبلغ بتلاميذه كنه أحكام الشريعة الإسلامية، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، فقد رأيت من بعض المحامين ازوراراً عن حديث الشريعة الإسلامية وإحلالها محل التشريع الوضعي، ذلك أنه لم يتعمق في دراسة الفقه الإسلامي الذي نوه به أساطين رجال القانون أمثال المرحوم السنهوري وغيره من الأحناء. وهل الدراسة الدينية في الطفولة والشباب إلا فتح الباب على مصراعيه للدراسة؟

وفي المنهج بحث عن انتشار الدين الإسلامي، والمدرس الواعي يستطيع أن به أن يرد على من يقول إن الإسلام انتشر بالسيف، والواقع معه، فما انتشر بفضل التجار المسلمين ورجال الطرق الصوفية أكثر مما صاحبه السياف، وما صاحبه السياف كان دفاعاً ولم يكن هجوماً واندفاعاً.

إذا درس المنهج حق الدراسة، وقامت القدوة مقام الدعاية، وراعينا الله في أبنائنا بلغنا الهدف وبعدنا عن الخطر في زمن القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، الفتنة فيه تعترض الشباب في كل سبيل ووسائل

به، فالمدرس من الجائز أنه قرأه وهز رأسه استخفافاً به، ومن الجائز أنه لم يقرأه ولم يتابعه الموجه ولم يناقشه فيه. ولم يقومه حسب ما دعا إليه، المدرس والموجه والإدارة كل أولئك مسئولون عن الناشئة، وردد كثيراً في مجالسنا ومناقشاتنا القول المأثور «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك ومن الدنيا وما فيها» والأمر متاح لنا أن نصل إليه، والفرصة سانحة لاقتناصها ومع ذلك نتركها تفوت ولا نحرك نحوها ساكننا هل أعد المعلم ليقوم بهذا الأمر الجليل إن الخريجين من الأزهر ودار العلوم وكليات الجامعة التي تدرس اللغة العربية هم المنوط بهم تنفيذ هذا المنهج وأمثاله. هل هم على مستوى المسئولية، إن النتائج تقول لا، إن المنهج يريد تكوين مسلم مثالي في ضوء ما يدرس وما يؤدي فليس يكفي أن يشرح المدرس الدرس، ولا أن يحفظ الطالب ما يحفظ، فلا بد من أن تتخالط مفاهيم الدين مشاعره ولا بد أن تكون لديه هي الحياة وهي السمو وهي النجاح، قرب من الله، وسمو عن الرذائل، وإنبعاث للمشاركة في البناء، وفهم لما يجري حوله قريباً أو بعيداً، والقدوة الماثلة هي خير سياج للناشئة.

وإغراء الطلاب بالقراءة مطلب رشيد
فمن حين إلى آخر يثير المدرس قضية
أو فكرة أو أثر شخصية ثم يدعهم إلى
البحث عنها، والكتابة فيها، ويصحهم
إلى مكتبة المدرسة؛ لينقبوا ويبحثوا
ويسجلوا، وحذا لو خصص ركن
بالمكتبة يحتوى على الكتب الدينية والثقافية
المتصلة بالإسلام ورجاله، ويتنزه
فرصة المواسم والأعياد؛ ليقدم من
طلابه من يتحدث من الهجرة أو المولد
أو عيد الفطر أو عيد الأضحى مما
يمرن الطالب على القول، ويغري غيره
بالعمل على منواله، وفي هذا إثراء
لثقافة الدينية، وربط الحاضر بالماضي
وتجديد الصورة المثلى في الأذهان.

وحين يثار واقع المسلمين بالموازنة
بين الحديث والقديم، أو الموازنة بين
المسلمين وغيرهم اليوم يجب أن يكون
المدرس لبقاً فاهماً قادراً على الإقناع
حتى لا تهتز الصورة الجميلة في نفوس
طلابه، وحتى يحول بينهم وبين الانهار
بما يرى من علوم الغرب واختراعاته
ووصوله إلى القمر والسير على أرضه.

يقول الدكتور طه حسين في كتابه
(مرآة الإسلام) «قامت الأمة الإسلامية
قروناً طويلاً، ولكنها حين استيقظ بعض

الإعلام تغريه بكل وبيل، ومطالب
الحياة الملحة تطير به كل مطير،
فالمسلم في حاجة ماسة إلى إقرار الإيمان
في قلبه حتى لا تستهويه زينة الحياة
الدنيا، وليس معنى هذا أن نجعله راهباً
زاهداً فيها، ولكن نسير به حسب
ما جاء به ديننا، ووفر في صدورنا من
قوله تعالى «ولا تنس نصيبك من
الدنيا» وقول بعض أسلافنا: «أعمل
لدينا كأنك تعيش أبداً، وأعمل
لآخرتك كأنك تموت غداً». دين وسط
في كل شيء، وخير الأمور الوسط،
«وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا
شهداء على الناس».

ويتحدث المنهج عن العلم والحضارة
وهنا يجد المدرس فرصته، فيبين جهد
أسلافنا في هذا السبيل وأن علمهم قاد
الإنسانية إلى النهضة العلمية في أوروبا
في كل نواحي الحياة من طب ورياضيات
وفلك وغيرها، فيدفع طلابه إلى الطموح
ليكونوا كأسلافهم بناء حضارة،
وأصحاب كشف واختراع، لا أن يمر
على هذا مرأ غافلاً، أو يترك الطلاب
لقراءته، فنناقشة ما في الكتاب أمام
الطلاب ينير عقولاً، ويبعث همماً، ويغير
سلوكاً، ويصنع قادة ورواداً وحلمين.

لسنا وإن كرمتم أوائلنا
يوماً على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ، ونفعل مثل ما فعلوا

ميزان عادل لا حيف فيه ، العلم
للجميع نأخذ منه ، ونهض به ،
ويكفيها مثونة الالتجاء إلى غيرنا في
التسليح ونظم الإدارة ، ونجعل ماضيها
نبراساً يهدينا سواء السبيل ، وتحذير
الدكتور طه في محله ونظرة شاعرنا
كريمة فيها الحفاظ والانطلاق ،
ويصوننا الإيمان والهداية بالقرآن .

فعلى القائمين بأمر التربية الدينية في
مصر وفي غيرها أن يتوخوا الجحد في
عملهم ، وأن يوطنوا أمرهم على أن
يكون ناشئة المسلمين على صراط مستقيم
بالبناء السوي السليم ، ففي صلاح المدرس
وصلاح الإدارة والإشراف الصادق
ما ينأى بنا عن الزلل ويقربنا من الأمل
ويعطينا نماذج بشرية صالحة لحمل
الأمانة وأداء الرسالة بين هذا الخضم
المتراعى الأطراف من الفتن والحسن
والمغريات حتى يسلم الكيان وتبقى دار
الإسلام في سلام . والله المستعان .

المسيد حسن قروني

الممتازين منها ، ودعوها إلى اليقظة في
الحاح أتيح لها في الوقت القصير شيء
لا بأس به من التنبيه ، بل شيء لا بأس
به من التقدم ، وإن لم تزل بعيدة أشد
البعد عن أن تكون جديرة بتاريخها
الإسلامي للبعيد .

ومعنى هذا أن يشعر المسلم أن هناك
تخلفاً وقع ، وتقصيراً عاقنا عن مساواة
غيرنا في العلم والتقدم وأن حاضرتنا
لا يتوافق مع ماضيها السعيد ، وأن علينا
أن نهض ولا ننسى الحفاظ على هذا
الماضي وارتباطنا به ، ومع أن الدكتور
طه حسين من دعاة الأخذ من علم
الغرب خيره وشره فإنه يقرر في هذا
الكتاب (مرآة الإسلام) قائلاً :
والمستعمرون في هذا العصر الحديث
يوشكون أن يفرضوا عليهم - المسلمين -
ضروباً من العلم قد تخرجهم من الجهل
ولكنها ستقطع الأسباب فيما بينهم وبين
تاريخهم وتفتنيهم في الأمم المستعمرة
إفناء» أرايت كيف حذرنا من مغبة
الارتقاء في أحضان الغرب وعلمه ،
فالأخذ عن الغرب وإتباع طرائقه في
التفكير ، وإهتمامنا بعلمه وإبتكاراته
لا تدعونا إلى الانفصال عن تراثنا وما به
من كنوز علمية وأخلاقية وتشريعية ،
وقديماً قال شاعرنا :

الأزهر جامعاً وجامعة أو مصر في ألف عام

الأستاذ / محمد كمال السيد

(٦)

وكان هذا هو الحال أيضاً في باقي البلاد العربية . وظل الأزهر طوداً شاعراً بما كانت له من المكانة . فاستمر محافظاً عليها . وأصبح الجامعة الكبرى لجميع العالم الإسلامي . والمرجع إلى شيوخه في كل ما يتعلق باللغة أو الدين . وقلما تجد عالماً من علماء مصر السابقين للفتح العثماني إلا وله بالأزهر صلة الدراسة أو التدريس .

وكان لعلماء الدين منزلة ومكانة في كل العصور الإسلامية . فقد ذكرنا ما جرى بين العادل الأيوبي والقاضي ابن الوراق . كما ذكرنا موقف شيخ الأزهر أحمد بن عبد الحق بن داود باشا الوالي العثماني .

ونذكر أيضاً قاضي القضاة عز الدين ابن عبد السلام (٥٨٧ - ٦٦٠ هـ)

رأينا في المقال السابق من أسماء أروقة الأزهر كيف كان الأزهر مقصداً للطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي . فرواق المغاربة لأهل المغرب العربي ، وأروقة الشوام والبغدادية والحرمين واليمينية للمشرق العربي .

والجبرتية والبرابرة والفلاتة لأفريقيا الإسلامية .

والجاوة والهنود للمسلمين بالشرق الأقصى .

والأتراك للعثمانيين المنتشرين في مصر والعالم الإسلامي .

وذكرنا أن المدارس التي أنشأها الأيوبيون والسلطان المماليك قد تعطلت بعد الاحتلال العثماني . لنهب أوقافها وإهمال مرافقها . فاندرس بعضها وتحول الباقي إلى مجرد دور للعبادة .

الشاذلي كان يقول : ما من مجلس في
الفقه أبهى من مجلس عز الدين بن
عبد السلام . وأن ابن كثير قال عنه
في تاريخه : انتهت إليه رئاسة المذهب
وقصد بالفتوى من جميع الآفاق .

وروى عنه أيضاً أنه أسقط شهادة
فخر الدين بن شيخ الشيوخ استنداد
الصالح نجم الدين . ولم يعترض السلطان
ثم أرسل الصالح نجم الدين رسولا إلى
الخليفة العباسي في بغداد في أمر ما .
فسأل الخليفة الرسول : هل سمع الرسالة
من السلطان ؟ فقال الرسول : لا
ولكن نقلها إلى عنه فخر الدين بن
شيخ الشيوخ . فقال الخليفة : لقد
أسقط ابن عبد السلام شهادة فخر الدين
فلا نقبل الرسالة التي نقلها .

ونذكر منهم أيضاً قاضي القضاة
تقي الدين محمد المعروف بابن دقيق
العيد (٦٢٥ - ٧٠٢ هـ) تلميذ عز الدين
ابن عبد السلام . ذكره السيوطي بين
الأئمة المجتهدين كما ذكره بين قضاة
الشافعية . وقال إنه دخل مرة على
السلطان لاجين فقام له السلطان وقبّل
يده . فلم يزد الشيخ على أن قال :
أرجوها لك بين يدي الله .

ودقيق العيد لقب جده . وسمى

الذي تصدى لبيع أمراء المماليك .
ومنهم نائب السلطنة . لأنه لم يصبح
عنده عتقهم . وبذلك يصبحون ملكاً
لبيت المال . وصمم على هذا . وباعهم
فعلا بالمزاد بأعلى الأسعار . وقبض
ثمنهم . وضمه إلى بيت المال .

وهي قصة مشهورة ذكرها السيوطي
في حسن المحاضرة (ج ٢ ص ٩٩) .
ولم يذكر السيوطي اسم السلطان الذي
حصل في عهده هذا الأمر . ولكنه
ذكر أن ابن عبد السلام استعفى من
القضاء بعد ذلك مرتين حتى قبل
السلطان إعفائه . واكتفى بالتدريس في
مدرسته (أي مدرسة السلطان) بين
القصرين . وابن عبد السلام توفي
سنة ٦٦٠ هـ . ولم تكن هناك مدرسة
بين القصرين قبل هذا التاريخ غير
مدرسة الصالح نجم الدين أيوب المتوفى
سنة ٦٤٧ هـ . وهي للمذاهب الأربعة .
ومدرسة أبيه الكامل المتوفى سنة ٦٣٥ هـ
وهي لعلم الحديث . وابن عبد السلام
ولى القضاء سنة ٦٣٩ هـ . فيكون
السلطان وقت هذه الحادثة هو الصالح
نجم الدين أيوب .

وذكره السيوطي بين الأئمة المجتهدين
وقال عنه : إن العارف بالله أبا الحسن

بهذا لأنه خرج مرة يلبس ثوباً ناصع
البياض فرآه أحد الغلمان فقال : كأنه
دقيق العيد .

واستمرت مكانة علماء الأزهر في
العهد العثماني . وكان علماءؤه كما ذكرنا
صمام الأمان للشعب ضد عسف الولاة
وعبث البكوات المماليك .

ففي سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ م)
تسلط ممالك مراد بك على الناس
بالمصادرات والهجوم على البيوت ونهبها
بسبب وبغير سبب . وعلى رأسهم مملوك
اسمه حسين بك شفت أى اليهودى .

وثار الناس وذهبوا إلى شيوخ الأزهر
يشكون . فأيدهم الشيخ أحمد العدوى
الشهير بالدردير (بفتح العين والدال
نسبة إلى بنى عدى بلدة الشيخ على
الصعيدى وكان الدردير من تلاميذه
وتولى مشيخة رواق الصعايدة بعده)
وكانت للدردير مكانة كبيرة عند الجميع
فقال لهم : سنذهب باكر لنهب بيوتهم
كما ينهبون ، ونموت شهداء أو ينصرنا
الله . وطلعوا على المآذن يصيحون
ويلعنون المماليك .

وخاف إبراهيم بك - قسم مراد بك
في الحكم وأكبر المماليك شأناً - من
استفحال الأمر . فأرسل إلى الشيخ

الدردير بأنهم مستعدون لرد المنهوبات
أو دفع قيمتها . وأرسل إلى حسين بك
شفت فكان جوابه : كلنا نهابون .
أنت نهب ، ومراد بك ينهب . وأنا كذلك
أنهب . ولم يرتدع .

وطلب إبراهيم بك من الشيخ الدردير
كتابة قائمة بالمنهوبات . وتعهد بأن
يأتى بها من محل ما تكون . واتفقوا على
ذلك . وقرأوا الفاتحة ... وقال الجبرى :
وانفض المجلس وبردت القضية .

وتوفى الدردير سنة ١٢٠١ هـ
(١٧٨٦ م) . ودفن بزاويته الموجودة
للآن بشارع الدردير بالكحكيين .

وفي سنة ١٢٠٠ هـ أيضاً لما ساءت
سيرة إبراهيم بك ومراد بك . أرسلت
الدولة العثمانية حسن باشا القبطان على
رأس حملة لقمع الفتنة والقضاء عليهما .
وتمكن من التغلب عليهما . فهربا من
العاصمة . وهرب أيضاً أتباعهما من
المماليك . وانطلق الجنود الأتراك في
بيوت الأمراء الهاريين ينهبونها . وأنزلوا
من بها من الجوارى فباعوهن بينهم
بالمزاد . حتى أن حسن باشا أمر ببيع
زوجات الأمراء وأولادهم . فتصدى له
الشيخ محمد السادات ، والشيخ أحمد
العروسى ، والشيخ أحمد الدردير وقالوا

مندوباً عنه يحضر الاجتماع . ويخبرهم أن رفع المظالم يضايق الأمراء في معاشهم ونفقاتهم (هكذا ١١) . فقالوا له : ليس هذا بعذر عند الله . فما الباعث على الإكثار من النفقات وشراء المماليك؟ والأمير يكون أميراً بالعطاء لا بالأخذ . ثم تجدد الاجتماع عند مراد بك بالحيزة حيث كان مسكنه . وكان تقريباً بموقع حديقتي الحيوان والأورمان (الغابة) والشارع الذي به حديقة الحيوان اسمه الحالي شارع مراد بك .

وبعد جدال اجتمعوا أخيراً في ذي الحجة سنة ١٢٠٩ هـ بمنزله إبراهيم بك . وحضر الاجتماع الباشا الوالي ، والقاضي ، والشيخ البكري ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ الشرقاوي شيخ الأزهر . وفي الاجتماع أعلن الأمراء أنهم تابوا والتزموا بما شرطه العلماء ، وتعهدوا بإرسال غلال الحرمين والصرة والعيود المقررة (والصرة هي المال الذي كان يرسل سنوياً للحرمين وكان هذا من التزامات الحكومة المصرية في عهد العثمانيين) . وأن يصرفوا غلال الشون وأموال الرزق (جمع رزقة) ويطلقوا ما استحدثوه من ضرائب ومكوس ، وأن يسيروا سيرة حسنة .

إن الشريعة تمنع بيع الأحرار وأمهات الأولاد . فعدل عن أمره .

وكان إبراهيم بك قبل هروبه قد زار هؤلاء المشايخ الثلاثة . وتصاغر في نفسه جداً - كتعبير الجبرتي - وأوصاهم بالمحافظة وكف الرعية عن أمر يحدثونه أو قومة أو حركة في مثل هذا الوقت . والشيخ أحمد العروسي كان شيخاً للأزهر وقتذاك . وتوفي سنة ١٢٠٨ هـ . وتولى بعده مشيخة الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوي الذي عاصرت مشيخته الحملة الفرنسية ، وأوائل حكم محمد علي .

وفي سنة ١٢٠٩ هـ (١٧٩٤ م) أخذت عوامل الغضب تتجمع في نفوس الشعب . وأثارها أن بعض الأهالي (مديرية) الشرقية حضروا إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الأزهر وشكوا من ظلم محمد بك الألفي وتعديه عليهم . فأتصل الشرقاوي بإبراهيم بك ومراد بك فلم يفعلوا شيئاً . فاغتاظ الشرقاوي ، وجمع المشايخ ، وأغلق الأزهر ، وطلب من الأهالي إغلاق الحوانيت ، واستجاب الأهالي ، فقد كانت نفوسهم مكبوتة بالغضب من عسف الحكام .

ثم اجتمعوا بمنزل الشيخ محمد السادات وأحسن الأمراء . فأرسل إبراهيم بك

وكتب القاضى حجة بما تم الاتفاق عليه . وفترَمَن عليها الباشا والى أى وضع عليها ختمه . وختم عليها إبراهيم وأرسلها إلى مراد بك فختم عليها أيضاً . وانجلت الفتنة وفرح الناس (الجبرتي ج ٢ ص ٢٥٨) .

ويعطى بعض المؤرخين أهمية كبيرة لهذا الاجتماع . ويعتبرونه باكورة لتحرك الشعب المصرى للمطالبة بحقوقه . ونجد كثيراً من مثل هذه المواقف المشرفة . وسنذكر غيرها أيضاً بإذن الله عند الكلام على شيوخ الأزهر . ونكتفى بما ذكرناه من الأمثلة . وننتقل إلى ذكر ما كان للأزهر وعلمائه وطلبته من من شأن أثناء الحملة الفرنسية .

الأزهر فى عهد الفرنسيين :

دخل الفرنسيون مصر فى المحرم سنة ١٢١٣ هـ (يولية سنة ١٧٩٨ م) . وكان هذا بادئة تحول فى تاريخ مصر الحديث .

وكان استيلاء الفرنسيين على مصر سهلاً . فالمماليك لم يكونوا يفكرون إلا فى مصالحهم الشخصية والتنافس عليها فيما بينهم . والولاة الأتراك - لقصر مدتهم وضعف سلطانهم إزاء المماليك -

قد أهملوا كل تفكير فى مرافق البلاد . ومن ضمن المرافق الحيوية الهامة تدعيم وسائل الدفاع عنها . فالطوبى والقلاع التى أقامها السلاطين المماليك كانت قد وصلت إلى حالة من الضعف جعلتها لا تصلح لصد أى عدوان .

وبرغم ما عرف عن المماليك من شجاعة وفروسية . فقد كانوا متخلفين عن الفنون الحربية الحديثة - بالنسبة لذلك الوقت - بعدة قرون . وكان ينقصهم الحافز الذى يجعل الفداء والتضحية فى سبيل الوطن أثمن من الحياة .

هذا فضلاً عن تزعزع وحدتهم للتنازع بينهم على مراكز الحكم . فبينما كان مراد بك فى البر الغربى من النيل عند إمبابة يحارب القوات الفرنسية . كان إبراهيم بك فى البر الشرقى ببولاق ينظر إلى المعركة ، ولم يفكر أن يمد له يد المساعدة . وما إن تحققت هزيمة مراد بك وهربه حتى انسحب إبراهيم بك والوالى التركى أبوبكر باشا الطرابلسى هارين إلى بلبيس .

وصدم الشعب بما رآه من أن جل هم المماليك أثناء المعركة كان إنقاذ ما أمكنهم إنقاذه من أموالهم بالقاهرة .

لتطهير البلاد من ظلم المماليك . وأنهم
أصدقاء السلطان ، ويساعدونه ضد روسيا
عدوته وعدوة الإسلام . وأنهم يهتزمون
الإسلام . وقد جاربوا البابا الذي كان
يحض دائماً على حرب المسلمين .

ويبدأ المنشور : بسم الله الرحمن
الرحيم ولا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك
له . . . إلخ . ويطلب من الأهالي عدم
مساعدة المماليك حتى يكونوا في مأمن
وأمان ، وأن المخالفين يتعرضون لأشد
العقاب . وأن كل قرية تقاوم الفرنسيين
تحرق بالنار . وعلى جميع القرى أن
تنصب العلم الفرنسي بجانب العلم
العثماني . وأن يتحفظ مشايخ البلاد على
ثروات المماليك . وتختم المنشور بالدعاء
بدوام إجلال السلطان العثماني . ودوام
إجلال العسكر الفرنسي . ولعنة
المماليك ، وصلاح حال الأمة المصرية .

وكان المنشور معداً من قبل . وهو
أول منشور بالعربية للفرنسيين . وذكر
أمين باشا سامي (تقويم النيل ج ٢
ص ١١٤) أنهم أحضروا معهم مطابع
من أوروبا تطبع بخمس لغات :
الفرنسية والعربية واللاتينية واليونانية
والسريانية . وذكر الرافعي (تاريخ
الحركة القومية ج ١ ص ١١٤) .

ولكن الشعب لم يقصر في واجب الدفاع
عن بلاده . فقد بلغ الحماس في القاهرة
الذروة . بقيادة السيد عمر مكرم نقيب
الأشراف وقتذاك . وخرج كل قادر
على الحرب إلى بولاق . واستعانوا بكل
ما وصلت إليه أيديهم من أسلحة وعصى
ليقفوا بجانب القوات النظامية . وفوجئ
بهزيمة هذه القوات في أقصر فترة .
وشل تفكيره وأضعف عزيمته هروب
هذه القوات فلم يجد مناصاً من التسليم .
وأنف السيد عمر مكرم من التسليم
بالهزيمة فخرج مع إبراهيم بك إلى
بليس .

والسيد عمر مكرم من خريجي الأزهر
ولكنه لم يشتغل بالتدريس . وكان
منصرفاً إلى الحياة العامة حيث كان
استعداده العقلي والنفسي يميل به نحو
السياسة والاهتمام بشئون المجتمع المصري .
(سيرة السيد عمر مكرم للأستاذ محمد
فريد أبو حديد ص ٤١) .

وبدأ نابليون حملة التمويه وخداع
الشعب . فأصدر من الإسكندرية منشوره
الأول بتاريخ ١٨ المحرم من سنة ١٢١٣ هـ
(٢ / ٧ / ١٧٩٨ م) . وأرسل منه
صوراً للبلاد ومنها القاهرة قبل وصوله
إليها . ذكر فيه : (أن الفرنسيين حضروا

أن المطبعة كانت تسمى أولاً بمطبعة جيش الشرق . ثم نقلت من الإسكندرية إلى القاهرة بدار عثمان بك الأشقر في الأزبكية بالقرب من بيت الألفي الذي اتخذه نابليون سكناً له . وسميت المطبعة الأهلية . ثم نقلت إلى الجيزة أثناء ثورة القاهرة الثانية . ثم إلى القلعة إلى حين جلاء الفرنسيين عن مصر . فأخذوها معهم . ولم تعد الطباعة لمصر إلا في عهد محمد علي .

ولم ينخدع الشعب بهذه التموهيات فقد قاوم الفرنسيين باستمرار . وما إن خرج الجيش الفرنسي من مديرية البحيرة إلى القاهرة حتى ثارت القرى على الحاميات الموجودة بها ، وما إن أفاقت القاهرة من صدمة هزيمة المماليك ودخول الفرنسيين القاهرة في ٢٤ / ٧ / ١٧٩٨ حتى قامت بثورتها الأولى في ٢١ / ١٠ / ١٧٩٨ . ثم بثورتها الثانية في مارس أبريل ١٨٠٠ . وكان هذا حال باقي البلاد . فلم يهدأ للفرنسيين بال . ولم يستقر لهم حكم شامل لجميع البلاد طوال الثلاث السنوات التي أمضوها في مصر . فما يكادون يخضعون قرية في الصعيد ، ويتركونها للإخضاع أخرى حتى تهب الأولى نائرة مرة أخرى . وكان هذا أيضاً

الحال في الوجه البحري .
ولسنا بصدد تاريخ وجود الفرنسيين بمصر ، ولكن يعيننا موقف الأزهر وشيوخه وعلمائه أثناء الاحتلال الفرنسي .
فبعد معركة إمبابية اجتمع في الأزهر بعض العلماء ، وفكروا في الاتصال بالفرنسيين كما ذكر الجبرتي ، أو أن تجار الفرنج أشاروا عليهم بهذا الاتصال كما قالت المراجع الفرنسية . وبعد اتصالات تمهيدية انتدب العلماء اثنين منهم هما الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي - وسيرد ذكرهما ثانية بإذن الله - فقابلاً نابليون في معسكره بالبر الغربي . فأحسن مقابلتهما . وأظهر شعوره الودي نحو الأهالي ومكثا عنده إلى المساء . ولما عادا اطمأن برجوعهما الناس .

ودخل نابليون القاهرة في ٢٤ يولية . وسكن بيت محمد بك الألفي بالأزبكية وعرف نابليون قيمة الأزهر وعلمائه . وأثرهم في قيادة الرأي العام . فأنشأ في ٢٥ يولية ديواناً من عشرة أعضاء من علماء الأزهر هم :

- ١ - الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الأزهر .
- ٢ - الشيخ خليل البكري (عينه

قائلون في ١٧ من أغسطس نقيماً للإشراف بعد خروج السيد عمر مكرم كما سبق ذكره).

٣ - الشيخ مصطفى الصاوي .

٤ - الشيخ سليمان الفيومي .

٥ - الشيخ محمد المهدي .

٦ - الشيخ أحمد العريشي .

٧ - الشيخ موسى السرسى .

٨ - الشيخ محمد الدواخلى .

٩ - الشيخ يوسف الشبراخيتى .

١٠ - الشيخ مصطفى الدمنهورى .

وجرت عادة الاستعمار من قديم الزمان أن المستعمر لا يستطيع حكم المستعمرين حكماً مباشراً . فيقيم حكومة وطنية أو لجنة من المواطنين تكون واسطة الاتصال بين الأهالى وقوات الاستعمار وإنشاء مثل هذه اللجان ضرورى للمستعمر فى بادئ الأمر على الأقل .

واختلفت الآراء فى تقدير من يقبلون عضوية هذه اللجان . هل يُعتبرون خائنين لوطنهم ومن أعوان الاستعمار ؟ أو يُعدون مواطنين صالحين يتحملون هذه المسئولية مع التضحية بسمعتهم لتخفيف ويلات الاستعمار عن مواطنيهم ؟

فقد رأينا السيد عمر مكرم يرفض البقاء تحت حكم المستعمر وغادر البلاد

كما أن الشيخ محمد السادات لم يقبل عضوية هذا الديوان سواء عن شعور وطنى أو ترفعاً بمركزه الاجتماعى عن هذا المنصب . فهو سليل بيت السادات الوفائية العريق بنسبه الشريف . ومع ذلك ظل محل تقدير الفرنسيين يعملون حسابه . وإن كانوا يشكون فى إخلاصه حتى قامت ثورة القاهرة الثانية فى مارس سنة ١٨٠٠م فاضطهدوه أشد الاضطهاد .

ولا نريد ونحن نؤرخ للأزهر وشيوخه أن ندمغ أعضاء هذا الديوان بما يشين . كما لا نريد أن نصفهم بالبطولة . ولكن للتاريخ حقه . ونحن بشر غير معصومين ويجب ألا ننسى ظرف الاحتلال وأنه من الصعب رفض ما تطلبه القوة الغاشمة . ولكن إذا ترجمنا هؤلاء الأعضاء قد نصل إلى نتيجة فى سلامة الحكم . وطبيعى أن يختلف هذا الحكم من شخص لآخر .

ولن نترجم لهم جميعاً ، وإلا ظال بنا الموضوع أكثر مما يجب . ولكن سنكتفى بإذن الله بالخمسة الأعضاء الأولين . لأن أولهم كان شيخ الأزهر ، وأن الخمسة كانوا أعضاء فى الديوان الأول والثانى والثالث فى عهد الفرنسيين ومنسوق هذه التراجم بعد إنجاز شرح هذه التشكيلات وظروف تشكيلها .

الإنجليزى الأسطول الفرنسى فى ٢٨ / ٧ / ١٧٩٨ فى موقعة (أبو قير) أى بعد معركة إمبابة بأيام . فحوصروا الفرنسيون فى مصر وانقطع عنهم أى إمداد من فرنسا .

وكان من ضمن الأسطول الفرنسى الذى دُمِّر البارجة Orient أى الشرق وذكرها الجبرقى فقال القايق الكبير المسمى (بنصف الدنيا) . وعلل المرحوم عبد الرحمن الرافعى هذه التسمية من الجبرقى بأنه ما دامت الدنيا شرقاً وغرباً . فيكون الشرق نصف الدنيا وهو تعليل فيه لباقة .

ولم يكن فرض هذه الضرائب هو السبب الوحيد لتدمير الشعب الذى اتضح له خداع الفرنسيين . ولكن كان هناك شعور يغلى فى نفوس هذا الشعب الذى استكان لعسف الحكم التركى لأنه حامل لواء الخلافة الإسلامية فلم يحتمل وجود هذا الأجنبي المختلف عنه ديناً وتقاليد . وألقى (بالفاء) العثمانيين لا حول لهم ولا قوة ، كما رأى المالليك يهربون بأنفسهم ، فلم يجد مناصاً من اعتماده على نفسه .

وهبت ثورة القاهرة الأولى فى ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨ م . أى بعد ثلاثة

لم يدم الديوان الأول كثيراً فقد ذكر الجبرقى أنه فى ١٦ من ربيع الآخر سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨/٩/٢٧ م) أهمل شأن الديوان الذى يحضره المشايخ ، فاستمروا أياماً يذهبون فلم يأتهم أحد ، فتركوا الذهاب فلم يُطلبوا .

وأنشأ الفرنسيون ما أسموه محكمة القضايا من ستة أعضاء من تجار المسلمين وستة من تجار القبط والنصارى وجعلوا رئيسهم ملطى القبطى . وفوضوا إليهم الفصل فى أمور التجار والعامه ، والمواريث والدعاوى ، وطلبوا فى قرار تشكيل هذه المحكمة أن يتقدم الأهالى بما يثبت ملكيتهم للعقارات ، وإجراءات إثبات الملكية تستلزم رسوماً فى كل خطوة ، ثم يدفع رسم على العقارات بحسب قيمتها ، فإذا عجز الشخص عن إثبات ملكيته صودر العقار . كذلك فُرضت ضريبة على التركات وعلى جميع المعاملات من بيع وإيجار وهبة وغير ذلك . كما فرض أيضاً رسم على التصريح لانتقال أحد الأهالى من جهة إلى أخرى . ورسم على إثبات المواليد يقال له رسم الحياة . . إلخ .

وكان الفرنسيون مضطرين للمبالغة فى فرض الضرائب بعد أن حطم الأسطول

ثم نقلوهم ليلاً إلى القلعة وأعدوهم .
ولم يعلم إعدامهم إلا فيما بعد .

وفي هذه الثورة قتل من الفرنسيين
ما يقرب من المائتين ، ومن المصريين
أربعة آلاف تقريباً .

وبرهن المصريون أثناء هذه الثورة
على ما جبل عليه هذا الشعب من كريم
الطباع والسجايا بشهادة الفرنسيين .
فقد آوى كثيرون من الطبقة المتوسطة
من وجدوه من الفرنسيين أعزل من
السلاح . وما حصل من النهب لبعض
النصارى لم يقيم به إلا عامة السوق من
المغاربة . والنهب لم يكن قاصراً على
أُملاك النصارى بل تعداه إلى أُملاك
المسلمين أيضاً . أى لم يكن هناك أى
تعصب دينى .

وكان أثر الثورة فى النفوس بالغاً .
فقد قضى نهائياً على تمويهات الفرنسيين .
وكما ضاعت الثقة عند المصريين ، فقد
زال الاطمئنان عند الفرنسيين ،
فأمروا من كان سكنه بعيداً بالانتقال
إلى الأزبكية ليكونوا قريبين من بعضهم
وامتنعوا عن التجول فرادى أو غير
مسلحين كما كانت عادتهم .

وعطل نابليون الديوان عقاباً للشعب ،
وظل معطلا حتى ديسمبر سنة ١٧٩٨ م

أشهر من دخول الفرنسيين القاهرة .
ولم تستمر الثورة غير يومين . فقد
قمعها الفرنسيون بمنتهى الشدة والقسوة .
وكانت منطقة الأزهر والحسنية وداخل
باب النصر هى قوام الحركة . فأطلق
الفرنسيون مدافعهم من القلعة وتلوى
البرقية (شرق القاهرة الفاطمية) مركزين
على الجامع الأزهر وما حوله .

ولم يستطع الشعب الأعزل الاستمرار
فى المقاومة ، فذهب المشايخ إلى نابليون
وطلبوا إيقاف القتال فأجابهم ، وكف
الأهالى عن المقاومة .

ودخل الفرنسيون المدينة . فأزالوا
ما أقامه الأهالى من متاريس وحواجز
فى الشوارع والدروب . ودخلوا بخيولهم
الجامع الأزهر فعاثوا فيه . وبحثوا فى
الدواليب عما فيها من ودائع وخبآت ،
ودشتوا الكتب والمصاحف ، وداسوها
بالأقدام ، وأهانوا كل من وجدوه من
الأهالى ، وأخذوا فى القبض على كل
من اعتقدوا أن له ضلعاً فى الشعب .

ومن قبضوا عليهم خمسة من شيوخ
الأزهر . وليسوا من رؤوس العلماء .
منهم الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة
العميان . فاعتقلوهم بمنزل البكرى
بالأزبكية فى ٢٤ أكتوبر - ٤ نوفمبر

الخصوصى (لأجل قضاء حوايج الرعايا وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام ، وتنظيمها على أكمل نظام وإحكام .

نابليون يذهب إلى الشام :

وخرج نابليون في فبراير سنة ١٧٩٩ في حملته الفاشلة لغزو الشام . فتحطمت آماله تحت أسوار عكا . وأمد الله العرب بجنود لم يروها من ميكروبات الطاعون ففتكت بالجيش الفرنسى . واضطر نابليون للعودة إلى مصر في يونية سنة ١٧٩٩م بعد أن خسر أكثر من ثلث قواته .

وعزل نابليون القاضى التركى . وكان يُعين من استانبول ولم يكن دائماً ذا كفاءة علمية تؤهله لمنصبه . فالحسوبة والأغراض المختلفة كانت تتدخل في تعيينه . وكلف نابليون أعضاء الديوان الخصوصى بانتخاب قاض مصرى من العلماء . فانتخبوا الشيخ أحمد العريشى عضو الديوان الأول وعضو الديوان العمومى الحالى . واعتمد نابليون الانتخاب وقرّر رسماً اثنين في المائة للتقاضى . وكانت هذه خطوة نحو استقلال القضاء في مصر ، ورمزاً لديمقراطية لم يعهدها الشعب بانتخاب القاضى انتخاباً حراً من العلماء .

ولكنه لم يستطع قطع همزة الوصل بينه وبين الشعب ، فاضطر إلى إعادته ثانية ولكن بصورة أخرى .

ففي ٢٤ / ١٢ / ١٧٩٨م قرر عمل ديوان من مجلسين . الأول عمومى من ٦٠ عضواً معينين بمعرفة الفرنسيين يمثلون العلماء والتجار والأعيان وأصحاب الحرف والنصارى والأقباط والشوام والجاليات الأجنبية . والثانى خصوصى من أربعة عشر عضواً ينتخبهم أعضاء الديوان العمومى .

وأصبح تشكيل الديوان الخصوصى خمسة أعضاء من العلماء (هم الخمسة الأولون في الديوان الأول) واثنين من الأقباط ، واثنين من التجار المسلمين واثنين من السوريين ، وثلاثة من الأوربيين ، فكان هذا الديوان سبعة من المسلمين وسبعة من غير المسلمين . وانتخب الديوان الشيخ عبد الله الشراوى رئيساً ، والشيخ محمد المهدي سكرتيراً .

أصدر الديوان بالخصوصى بيانه الأول في ٢١ من شعبان سنة ١٢١٣هـ (٢٨ / ١ / ١٧٩٩م) يحث الناس على الهدوء . وأن نابليون قد عفا تماماً عن حوائث الثورة . وأنه أعاد الديوان

سنة ١٨٠٠ م . واتفق فيها على جلاء القوات الفرنسية ومواعيد الجلاء عن البلاد المختلفة . وتأمين سفرهم إلى أوروبا . ولم يوقع السير سدنى سميت قائد الأسطول الإنجليزى المعاهدة - مع أنه كان واسطة في عقدها - وذلك لعدم تقييد حكومته بشروطها ولأنه كان في تصميمه أخذ القوات الفرنسية في مصر أسرى في طريق عودتهم إلى أوروبا حتى لا تزاد بهم فرنسا قوة في عداها مع الإنجليز .

وشرع الفرنسيون في الاستعداد للجلاء وفرح الشعب بقرب رحيلهم وتقدم الجيش التركى حتى عسكر في منطقة بلبيس ، وتقدم جزء منه حتى المطرية وعين شمس ، وبدأ العثمانيون وأمراء المماليك يدخلون القاهرة فرادى ، وذهب بعض العلماء لتحية الصدر الأعظم . ولكن وصل إلى كليبر إنذار من الحكومة البريطانية بأنها غير مقيدة بمعاهدة العريش . وأنه سيقبض على أى قوة فرنسية تغادر مصر . وعلى القوات الفرنسية أن تسلم للإنجليز مالديها من أسلحة وذخائر . وأن يسلموا أنفسهم أسرى حرب .

فأنلر كليبر يوسف باشا ضيا الصدر

ويش نابليون من تحقيق أحلامه بإنشاء إمبراطورية فرنسية في الشرق ، فبرغم أنه في ٢٥ / ٧ / ١٧٩٩ م انتصر على القوة التركية التي احتلت (أبوقير) بمساعدة الأسطول الإنجليزى فقد شعر بابتهاج الشعب لقدم الأتراك حتى أعضاء الديوان الخصوصى الذين توجب عليهم مراكزهم مجاملة الفرنسيين لم يستطيعوا إخفاء هذا الشعور .

ورأى نابليون ضرورة عودته إلى فرنسا لما بلغه عن الحالة فيها وفي أوروبا فسافر سراً في أغسطس سنة ١٧٩٩ م . وترك القيادة في مصر لكليبر .

وبعد سفر نابليون استمرت الحالة الاقتصادية تتدهور من سىء إلى أسوأ بسبب كثرة الضرائب والمصادرات . وبدأ كليبر استكمال مفاوضات الصلح التي كان قد بدأها نابليون قبل سفره .

وكانت تركيا مصممة على جلاء الفرنسيين عن مصر . في حين أن إنجلترا كانت نيتها القضاء عليهم في مصر . وأرسلت تركيا حملة بقيادة يوسف باشا ضيا الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) فتمكن من احتلال العريش في ٣٠ / ١٢ / ١٧٩٩ م .

ثم أبرمت معاهدة العريش في يناير

الأعظم بضرورة انسحاب الجيش التركي إلى الحدود السورية . ولم يضع كليبر وقتاً فباغت الجيش التركي في ٢٠/٣/١٨٠٠م (٢٣ من شوال سنة ١٢١٤هـ) وكان الجيش التركي آمناً وفي حالة من عدم الانتظام وفقد الاحتياط . فهزم شر هزيمة . وانسحب يوسف باشا إلى فلسطين .

ولكن كانت كتيبة من الجيش التركي قد انفصلت عنه وأمكنها دخول القاهرة . ولما سمع الناس قصف المدافع في عين شمس هاجت النفوس المتذمرة وقامت ثورة القاهرة الثانية في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ م . وكان من زعمائها السيد عمر مكرم والشيخ محمد السادات والسيد أحمد المحروقي كبير التجار .

« يتبع »

محمد كمال السيد



من عمرات عمر

كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وهو خليفة ، كلما لقي أسامة بن زيد ، قال له : السلام عليك يا أميرى . . فيعجب زيد لهذا . .

فيقول له عمر : لا أدعوك إلا بأميرى . لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، مات ، وأنت أمير على .

وذلك أن أسامة كان أميراً على الجيش الذى أعده الرسول قبيل موته لغزو مؤتة ، وفي الجيش عمر ، فمات الرسول الكريم قبل أن يتحرك الجيش إلى وجهته ، فأمضى أبو بكر ما أمر به رسول الله ، واستأذن زيداً فى أن يدع له عمر ، ليكون إلى جانبه فى مواجهة الأحداث التى حدثت بعد وفاة النبي ، فأذن له .



هواتف إسلامية : ترابط هذه الأمة

الكتور إبراهيم أبو خنيس

بعضاً « واللبننة الواحدة إذا سقطت من البناء ، أو فارقت موضعها من الجدار أو كان بها خلل يفقدها أثرها الذي كانت تضيفه إليه ، أو عملها الجاد في تماسكه ، جعلته عرضة للتداعي والسقوط ، ويبدو ذلك واضحاً تمام الوضوح وهو يصور ما يكون بين الناس من التواصى بالخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجماعة حملتهم سفينة واحدة في عرض البحر وكان بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها وكان هؤلاء الذين يحتلون الأسفل إذا أرادوا شيئاً من الماء تخطوا رؤوس الناس حتى وصلوا إلى العلو ليلقوا بالدلو في الماء ليجيء إليهم هذا الصنيع قالوا ألا ولما شق عليهم هذا الصنيع قالوا ألا نخرق خرقة من تحت أقدامنا ليجيء إلينا الماء من غير تلك المعاناة ، وفاتهم أنهم بهذا كالدلى يسعى إلى حتفه بظلفه ، وهناك يتحتم على الجميع

الإسلام في أوامره ونواهيه . وتكاليفه وواجباته ، يربى أتباعه على نمط خاص من السلوك والأخلاق . والطباع والعادات والميول والأهواء ، ينتهى بهم إلى الحذب والعطف والمودة والحب ، ويجعل الاتصال فيما بينهم لا يقوم على ضرورة العمران الذى تقضى به حياة الجماعة التى يضمها وطن واحد ، أو منفعة مشتركة ، أو أمانى غير متعددة . كما تقضى به المدينة التى تعيش فى ظلالها الأمم والشعوب وكفى ، وإنما يقوم على ترابط البعض بالكل ، أو الأعضاء المتنوعة بالجسم الواحد . وهى تكمل بناءه وتقيم هيكله وتبرز وجوده ، وتسهم إسهاماً لا شك فيه فى قوته وفاعليته ، أو معنى وجوده الذى به يكون شيئاً مذكوراً ، له خيار فى الفعل أو الترك والنفع أو الضرر . وليس أدل على ذلك كله من قوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه

وكل هذه المعاني تبلورت في شريعته صلى الله عليه وسلم التي جعلت رباط العقيدة وحدة بمثابة ما يكون بين الأفراد من الرحم والقربة ، والنسب والمصاهرة. ويوضح ذلك بشكل لا ريب فيه فرضية الجهاد على كل من يحمل السلاح إذا وجد من نفسه القدرة على الدفاع ، وصد غارة العدو ، فإنه مأمور بإغاثة غيره والدفاع عنه ، والإحساس بما يحس به إخوانه من هنا أو هنالك من المسلمين مهما تباعدت الديار أو كانت المشقة .

وإذا كان أقصى ما يكون بين الإنسان والإنسان من الاتصال والارتباط أن يكونا من أب واحد وأم واحدة ، ليكون كلاهما للآخر أخا ينتهي وإياه إلى وشيجة واحدة عنوانها هذه الأبوة وتلك الأمومة ، فإنه سبحانه وتعالى يؤكد ذلك كله في قوله (إنما المؤمنون إخوة) ومن هنا كان علماء الشريعة الإسلامية يقولون إن حاجة الجماعة مقدمة على حاجة الواحد . وكان من سلوك الأنصار في المدينة - مع هؤلاء الذين وفدوا عليهم من مكة مطاردين من عصابة الشرك - الإيثار الذي كان يقتضيه أن يوفر لهم الراحة والأمن ، والطعام والشراب ،

أن يضربوا على أيديهم ليحولوا بينهم وبين هذا الضرر الجماعي الذي سيودي بركاب السفينة كلهم - كما تقول الآية القرآنية - (واتقوا فتنة لا تُصيبين الذين ظلموا منكم خاصة) وهكذا يكون هذا الدين في تهديبه لأبنائه وإرشاده لأتباعه ، وإعدادة لمن ينضوي تحت رايته ، ونراه في ذلك كله إنما يحث الفرد الواحد على أن تفتى فرديته في الجماعة ، وتلاشى في الأمة ، وتذوب في غيرها من سواء المسلمين ، وهو يهتم بأمورهم ، ويعمل لإسعادهم ويجلب لهم في كل تصرفاته معهم البر والخبر ، والهدوء والاطمئنان ، ويقول جل جلاله إعلاناً لهذا المعنى : (إن هذه أمتكم أمة واحدة) وكلمة أمة على انفرادها تعني هذا اللقاء للوجداني والا متراج العاطفي ، والتقارب الشعوري وكأنما كانت كلمة (واحدة) بعد ذلك بمثابة التأكيد لما تؤديه كلمة أمة من الترابط والتلاحم ، وتقوية الأواصر ، وتلاقى الأهواء ، لأن كلمة أمة ، في اصطلاح علماء الاجتماع تعني هذا السواد من الناس الذين تضمهم مصلحة واحدة ووطن واحد . ولغة يتخاطبون بها ، ودين يعتقدون به اعتقاداً لا يختلف .

والمسكن والمأوى (يحبون من هاجر
إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة) أما الأخوة التي كان
يصنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين هؤلاء وهؤلاء فشيء آخر وراء
ما يتصوره العقل البشري من مصلح
اجتماعي ارتآه خيراً بوعيه وإدراكه ،
وحزمه وبصره . وعقله وتفكيره . لطائفة
يريد لها أن تماسك أجزائها ، وتتقارب
أهواؤها وتتعاطف قلوبها وأفئدتها . إلى
ذلك كله تزني أكملها ، وتحقق ثمرتها ..
إلى جانب ما كان ينادى به من البر
ويدعو إليه من الخير ، ويرغب فيه
من صنوف الإحسان ، وخلال الذوق
واللياقة . التي تهفو إليها الطباع السليمة
والميل المستقيمة ، كإمالة الأذى
عن طرق المارة ، وعدم الإساءة إلى
الجيران ، وهو يقول « ما زال جبريل
يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »
ووصاته بالتجاوب الوجداني الذي لا بد
من وجوده بين أبناء آدم وبنات حواء
والذي يتمثل في عيادة المريض .
والسؤال عنه ، وألا بيت الرجل شعبان
وإلى جانبه معدم يشكو من الجوع ،
ويقاسى مرارة الحرمان ، وهي كلها

أمور تؤكد هذا الترابط ، وتنمي هذا
الامتزاج ، وتجعل التعاطف قائماً بين
الناس مقام القانون . . وربما كان
موقفه صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع مع الملائم المحتشد في عرفات
ليقول لهم « المؤمنون تتكافأ دماؤهم .
ويسعى بذمتهم أدناهم . وهم يد
على من سواهم » تجسيدا لتلك الحقيقة ،
وإعلاناً عنها ، وطلباً لها ، إلا أننا
نتساءل بعد هذا الذي ذكرناه من
الوشائج المتنوعة ، التي لا تدع مجالاً
لشك في أن هذا الدين الذي اختاره
الله لنا مائدة عامة نلتف حولها ، وتكون
لنا عيداً لأولنا وآخرنا ، ونجعلها فيما
بيننا قائمة مقام الرحم والقربة ، والنسب
والمصاهرة : هل ألفت الأجزاء ،
وربطت الأهواء ، وقربت الأنحاء ،
وضمت المتفرق ، وأزالت السدود
والحدود ؟ ! . والحقيقة المرة — كما
يقولون — ونحن نتحد في الصيام والنظر،
ويومي العيد ، وصلاة الجماعة ،
والانجاء إلى القبلة ، والاجتماع في الحج
الذي يعمل الله سبحانه وتعالى حكمة
مشروعيته بقوله : (ليشهدوا منافع لهم)
وهي كلها دلالات ناطقة من غير شك
على أن يكون المسلمون كالجسد الواحد
مجلة الأزهر

إذا اختل فيه عضو من الأعضاء تداعى له كل الاعضاء بالحمى والسهر ، إلا أن منطق أرسطو لا محصل له أكثر من كونه قواعد نسلم بها ، ونذعن لها ، على أنها قضايا تحتل الصدق والكذب وأن ارتباط المقدمات بالنتائج ذهنياً - أو عقلياً - غير الارتباط الخارجى ، ولو أن هذه الأشياء كلها قربت المسافات ، وألغت الفوارق ، وأيقظت عواطف الأخوة ، وربطت - بحق ما بين المسلم والمسلم . لما كانت هذه الإحـن التى نعانيها ، والحن التى نكابدها ، وذلك النفور الذى يجده النازح من بلده إلى بلد أخرى من تلك البلاد التى تشاركنا فى شهادة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وقد أصبح السعار على العيش ، والتكالب على الحياة ، والحرص على جمع المال هو القانون الذى يتحكم فى السلوك والطباع . والآداب والأخلاق ، وكأنما الدين

عندنا لم يكن إلا تكاليف جامدة . وعبادات تقليدية ، يؤديها أصحابها ليخرجوا من عهدة التكليف لا أكثر ولا أقل . من غير نظر إلى أن لها مغزى يحتم على الناس أن يلتزموا بنوع من الحذب والأدب . ولون من المودة والعطف ، ومعنى من التقارب والاتصال يحمل الفرد على أن يفنى فى الكل ، أو يذوب فى الجماعة كما تقضى بذلك كله الأوامر والنواهي لهذا الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذى له ملك السماوات والأرض ، ومن هنا نهيب بالمسلمين أن يثوبوا إلى رشدهم ليجعلوا من دينهم هذا الرباط الذى يصل ما بين قلوبهم وأفتدتهم ليكونوا كما أراد الله لهم خير أمة أخرجت للناس .

د . إبراهيم على أبو خشب

قضايا لغوية ..

أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية

للكتور توفيق محمد صالح

(٤)

الأصوات في اللغات السامية - ومنها العربية - هو ثنائي يعتمد على حرفين صامتين ، حين حاكى الإنسان أصوات الطبيعة وغيرها من حوله بصيحاته وصرخاته الانفعالية ، وعبر بعد ما قلد عن حاجياته الطبيعية والحياتية .

ويرى الأب مرمجي أن البرهان الحسي الجلي على وجود الثنائية هو : « في أصل اللغة » ، يستخرج من العناصر الأولية للغة العربية ، وهي أسماء الأصوات ودعاء الحيوانات ، أو زجرها ، وبعض أسماء الأفعال ، فهي ثنائية ، ومنها كان بدء صوغ الفعل المضاعف ومكرره . دونك الألفاظ التالية - على سبيل المثال لأن منها في اللغة شيء كثار - : « أف » كلمة تكره وتضجر ، و « آه » كلمة توجع و « به » و « يخ » كلمتان تقالان عند استعظام الشيء و « عس » « كلمة زجر للهر »^(١) .

وهب مؤيدو « الثنائية » يدعمون أسسها ، ويرسون مبادئها ، ويسوقون شواهدا :

● فذهب بعضهم إلى : « أن الطبيعة عينها مبالاة إلى الثنائية ، لا إلى الأحادية ، لأن أعضاء النطق عينها لا تخرج للمتكلم حروفاً صامتة متفرقة ، بل مقاطع مركبة من الصاماتات تحركها الصائتات »^(١) .

● ويرى بعضهم أن القول بأن اللغة الإنسانية نشأت بطريق المحاكاة وهذا رأى من آراء كثيرة قيلت في نشأة اللغة - يرسى مبدأ هاماً من مبادئ « الثنائية » إذ أن هذا الرأى كشف عن عدد كثير من الأصوات اللغوية في مجموعات . ولوحظ أن جل الألفاظ التي نشأت عن طريق المحاكاة هو وضع ثنائى . ولذا قال كثير من الباحثين : إن أصل حكاية

(١) معجمات عربية سامية ٩٩ .

(١) معجمات عربية سامية ٩٨ .

إنما هو من الأصوات المسموعات ،
كدوى الريح ، وحنين الرعد ، وخرير
الماء ، وشحیح الحمار ، ونعيق الغراب
وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ونحو
ذلك . . . ثم ولدت اللغات عن ذلك
فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ،
ومذهب مقبل^(١) . فابن جنى يحكى
عن سبق . وفي حكايته هذه دلالة
قاطعة على أنه كان مذهباً مقررأ وشائعاً
بين السابقين من علمائنا .

وارتضى الشدياق هذا الرأى ،
وذكر له أمثلة كثيرة تعزز رأيه ، فى
كتابه القيم^(٢) .

وأيد ذلك المستشرق الفرنسى (رينان)
فى كتابه : (التاريخ العام للغات
السامية) ، وذكر أمثلة كثيرة توضح
التشابه بين الأصوات الغوية فى مجموعتى
اللغات الآرية والسامية^(٣) .

والقول فى نشأة اللغة من أقدم المشاكل
التي جابهت عقل الإنسان ، لأنه أمر
يثير الخيال ، والحق الذى يقال بصده
أن كل النظريات فى القول بنشأة اللغة

وليس هذا خاصاً بالساميات ، بل
لاحظ العلماء — أيضاً — أن لفظ
«مو» فى المصرية القديمة والصينية
يعنى (هرة) ، وجاء التوافق من أن
الهرة سميت بالصوت الذى تحدثه .
(وسواء أكانت المحاكاة لصوت
إنسان : كالحقهقهة ، والنحنحة ،
والتأوه ، والتأفف) .

(أم كانت محاكاة لصوت حيوان :
كالزقزقة ، والمواء ، والصهيل ، والزئير) .
(أم كانت محاكاة لصوت الطبيعة
ويطلق عليها المحدثون نظرية (بو- وو)
(Bow-waw) ، وذلك كحنيف
الشجر ، وخرير الماء وصرير القلم
وهزيم الرعد) . .

وليس (ماكس موar Max Mueller)
هو صاحب نظرية «المحاكاة» حين
أشار إليها فى محاضرته بلندن سنة ١٨٦٤
وأعطاه اسماً جديداً تعرف به هو
(Ding-Dong) كما أشار بعض
المعاصرين^(١) . بل إن علماءنا القدامى
عرفوها ، وأشار إليها ابن جنى (٥٣٩٢)
وحكاها عن سبقه ، ووصفها بالصلاحية
والقبول ، حين قال : . . . وذهب
بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها
(١) نظريات فى اللغة لأنيس فريخة ١٩ .

(١) الخصائص ٤٦/١ .

(٢) سراليلال فى القلب والإبدال ٢٢-٢٧ .

(٣) مجلة كلية الآداب الليبية ع ٤

سنة ١٣٩٢ .

إلى أن (نشأة اللغة إنما هي ثنائية المواد) أى أن قانون التطور يرشد إلى أن اللغة نشأت أول أمرها ثنائية المواد ، يتركب كل منها من مقطع واحد مغلق ، (أى من حرفين أولهما متحرك وثانيهما ساكن) ، وحين دعت الحاجة إلى التنوع والمزيد اقتصرت هذه المواد إلى الثلاثية وما فوقها بالطرق السالفة وأن المعنى العام كامن فى الأصل الثنائى ، وما زاد عليه لم يزد المعنى إلا تنوعاً حسب الحاجة والمقتضى .

وحفلت المقاميس اللغوية لابن فارس بالأمثلة الوفيرة التى تؤيد ذلك ، وحننا حذوه الشدياق فى كتابه : « سر الليال فى القلب والإبدال » ، وللدكتور أمين فاخر بحث قيم لدراسة معجمية إحصائية ، فى ثنائية الألفاظ فى المعاجم العربية ، وعلاقتها بالأصول الثلاثية هو بمثابة التطبيق للنظرية التى نحن بصدددها^(١) .

ويذكر الدكتور محمد مصطفى رضوان - فى مقاله القيم عن الثنائية فى اللغة^(٢) طرقاً من أقوال المستشرقين الذين يؤيدون « الثنائية » ، ويستشهدون

(١) انظر ثنائية الألفاظ فى المعاجم العربية . طبعة أولى .

(٢) مجلة كلية الآداب الليبية ع ٤

لسنة ١٣٩٢ هـ .

الإنسانية الأولى ليست يقينية ، ولا يسلم بها العلم ، لأنها حدس وخيال ، ونحن ندرسها على أنها افتراضات قيد البرهان ، وإن فسرت كل نظرية قدرأ من الألفاظ فسبقى قدر لا تتناوله هذه النظريات ، والسر : أن اللغة لم تبدأ - كما ذكرنا - منطقية ، إذ لم يكن هناك منطق ولا فكر ، كما أن قضيتها ليست لغوية بحتة ، ولا تدخل فى نطاق علم اللغة Languis Tic وحده ، بل تشعب فى نطاق (البيسيكولوجيا) (والأنثروبولوجيا) ، والفلسفة .

فنظرية المحاكاة وإن تعلق بها الثنائون وفسرت جانباً ، فهى تعطيهم شيئاً وسبباً يؤيد وجهة نظرهم ، وعليهم سوق أدلة أخرى .

«ولكن يسجل لهم أن معظم الأصوات الثنائية كانت محاكاة لأصوات الحيوان أو الطبيعة ، أو الأصوات التى تسمع عند مزاوله الإنسان للأعمال التى تدل عليها الأصوات»^(١) .

والنظرية تفسر ما يدل على المحسوس ويخرج عن دائرتها ما يدل على المعقول .

● وتعلق بعض مؤيدى « الثنائية »

(١) المصدر السابق نفسه .

لها بما في أخوات السامية ، يقول :
 لقد طبق المستشرق الألماني (فورست)
 النظرية الثنائية تطبيقاً عملياً في معجمه
 الكبير الإنجليزى العبرى . مؤيداً نشأة
 اللغة ثنائية المواد ، من مقطع واحد
 مغلق أى من حرفين : أولهما متحرك
 حركته قصيرة ، وثانيهما ساكن .
 ويقول المستشرق الألماني (جزيانس)
 فى كتاب له عن اللغات السامية ، وقد
 شرح فيه الثنائية شرحاً وافياً مؤيداً
 بالأمثلة : « إن ثلاثية الأصول اللغوية
 فى الفعل والاسم تلتزم بدقة واطراد فى
 اللغات السامية . . . إلى أن يقول :
 غير أن كثيراً من الأصول الثلاثية يمكن
 ردها إلى أصول ثنائية ، نسميها :
 جذوراً ، تفرعت منها جذوع ثلاثية
 وفوق الثلاثية .

وان الأفعال الثلاثية المركبة من
 حروف صحيحة نجد - فى جميع
 الحالات تقريباً - أن أحد أحرفها الثلاثة
 أضعف من الآخرين ، وأنه لا يحدث
 فى المعنى الأساسى إلا تعديلاً طفيفاً^(١) .
 ومن ثم يبدو أن الأصل السامى الثلاثى
 يمكن رجعه فى الغالب إلى حرفين
 أساسيين أضيف إليهما ثالث ليس له فى
 تغيير المعنى الأساسى إلا تأثير طفيف ،
 وأن الأصول الثنائية السامية هى العناصر
 البدائية التى لا تقبل النقص .

والقيمة التى تضيفها دراسة المستشرقين
 هى إلمامهم بلغات شقيقات للعربية ،
 وغيرها ، تبعد مدى الرؤية ، وتعالى من
 قيمة الشاهد ، وتقيم النظرية والتطبيق .

(١) مجلة كلية الآداب الليبية ع ٤

والمستشرق الفرنسى (رينان) ، فى
 كتابه - التاريخ العام للغات - يزيد
 الأمر وضوحاً فى هذا الصدد ، يقول :
 إن من بين الأصول الثلاثية أنواعاً
 من الأفعال ، تعد ثنائية ولا تعد ثلاثية
 إلا لاعتبارات صرفية ، تلك هى
 الأفعال المضعفة والمعتلة التى لا يكون
 فيها لتكرار الحرف الثانى ، أو لإضافة
 حرف العلة تأثير يذكر فى تغيير المعنى

لا أكثر ، مثلاً مقابل « حم » بالتشديد في العربية نرى في السريانية (حم) بالسكون ، وبإزاء (مص ومص) ^(١).

● ويرى بعض العلماء أن الثنائية طبيعية التكوين ، بمعنى أن « طبيعة الحرفين اللذين تتكون منها المادة الثنائية لها دخل كبير في بنائها على صورتها الثنائية ، إذ أن هذين الحرفين في الغالب شديداً أو رخواً أو متوسطان بين الرخاوة والشدّة .

ويرى كثير من علماء الفرنجة : أن المواد الأصلية المكونة من حروف شديدة هي على وجه العموم أقدم من المكونة من حروف رخوة أو متوسطة ويرجح أن الأخيرة نشأت عن الأولى بتخفيف الحروف الشديدة ^(٢).

ويؤيد ذلك ما ذكره الشهاب الحفاجي من أعجوبة الكلمات التي تجتمع فيها حروف معينة ، مثل جردقة ، وجلنق لصوت باب وكذلك : صنجة وصولجان . وأيضاً : نورج ونرجس . وأيضاً : مهندز وهندازة . وبست اسم لبلدة وسذاب وساذج ،

(١) مجلة كلية الآداب الليبية ج ٤ : لسنة

والأب مرمجي يرى هذا الرأي ، وكثيراً ما ذكره في مصنفاته ، ونلخص في أحدها بعض مبادئ الثنائية ورأى أن من نتائج هذه النظرية : أن المثال والأجوف والناقص « ماهي سوى مزيادات أو توسعات في الرس الثنائي الذي يجري فيه أول التوسع بتكرار الحرف الثاني منه ، أو بتشديده : أي بتكراره لفظاً ووضع الشدة عليه كتابة ، وعادة يجري التشديد في اللغات السامية : إما لعذوبة اللفظ أو تسهيله ، وإما للمبالغة ، وإما للتأكيد والتأييد . وعلى ذلك فالفعل (قام) مثلاً ، أصله (قم) أشبعت حركة حرفه الأول ، مما يظهر في السريانية في كلمة (IAM) ولو تتبعنا تصريف الفعل قام ، واتصاله بالضمائر ، لوجدت أن الأصل ثنائي وأنه يدل على معنى تام في حالة الثنائية ^(١) .

ويؤكد الأب مرمجي أن من الأدلة على وجود الثنائي في أصل اللغات ولا سيما السامية منها : « هو أن المضاعف العربي الذي يقال : إنه مركب من ثلاثة أحرف أصلية - لانجد مقابله في السريانية إلا بحرفين اثنين

طويلاً عند طبيعة الحرف الذى يثلث
المادة الثنائية .

وخلاصة رأيهم فيه : أن المعنى
العام للمادة الثنائية كامن وباق فيها
مهما توسعنا فى المادة بالزيادة ، وكلمة
رددنا موادها المزد إلى الصورة الثنائية
وجدنا الحرف الذى ثلث أصلها ما يبرح
ذا قيمة تعبيرية ذاتية توجه المعنى
الأصل العام توجيهها خاصاً ، وتزيده
تنوعاً وتقييداً فقط .

وبعض علمائنا القدامى حذق الثنائية
على هذا النمط ، كالراغب الأصفهاني
(٥٥٠٢هـ) كما فى مؤلفه : « المفردات
فى غريب القرآن » إذ اعتبر المضاعف
هجاء واحداً ، ولم يبال تكرار حرفه
الأخير ، لأنه عنده من وضع الخيال ،
لا من وضع العلم والتحقيق .

ورد ابن فارس ، فى « معجم اللغة »
باب (الجيم والذال وما يثلثهما) إلى
معنى الأصل ، كما فى جذر ، وجذع ،
وجمل ، وجذم .. وإن تفاوت الاستعمال
نتيجة للحرف الثالث : فالأصل اعام
للشجرة جمل ، وللتخلة جذع ،
وللحساب جذر . . .

وفارس الحلبة فى شرح هذا المبدأ
هو العلامة أحمد فارس الشدياق ،

وطاجن ، واصطبة . . . لأن الجيم
والقاف ، والصاد والجيم ، والنون بعدها راء ،
والزاي بعدها دال ، والباء والسين والتاء ،
والسين والزاي ، والطاء والجيم والصاد والطاء
لا يجتمع شيء من هذه الحروف إلا ودل على
أن الكلمة معربة ، وإن استعملها العرب .

ويعلق الدكتور محمد مصطفى
رضوان على هذا بقوله : « لكن يبدو أن
ترجيح أسبقية المواد المركبة من حروف
شديدة على المركبة من حروف رخوة أو
متوسطة لا يستند إلى دليل تاريخى .

ولعل الدافع لهذا الترجيح أن سنة
التطور تقضى بالانتقال من الصعب إلى
السهل كما أن العقيدة الغالبة لدى العلماء
أن الأصوات القوية هى التى لفتت
نظر الإنسان فى أول الأمر ، فحاكاها
بحروف شديدة مثلها ، ثم حاكى
الأصوات الخفيفة التى هى أقل من الأولى
شأنها بحروف رخوة أو متوسطة ^(١) » .

وهو باستدراكه على ما بدأ به قد
كفانا مئونة الرد ، والتعقيب . وبخاصة
واللغة — كما أسلفنا — لم تنشأ منطقية
ولا عقلية ، وتوحى سنة التطور والرق
بهذا التدرج .

● ووقف العلماء المؤيدون للثنائية

حكاية صوت أو صفته ، وحكاية الصوت إنما تأتي من المضاعف مثل : دب ، دق ، قر .

٢ - أن الفعل في الأصل كالاسم :

في كونه يوقف عليه بالسكون قبل اتصاله بفاعله ، فإذا اتصل بفاعله فتح : فحين وضع الواضع (دق) لم يقصد بها في أول الأمر أن تكون فعلا ولا اسما ، بل مجرد حكاية لصوت توهمه ، بقطع النظر عن أى شيء آخر ، فلما وصل (دق) بفاعله ، قال : دق الرجل . فلما أراد تخصيصه بأن يكون اسما قال : دق الرجل . وكثيراً ما نرى صيغة الاسم والفعل واحدة لهذا .

٣ - أن اللغة - كغيرها من الصناعات والموضوعات البشرية - لا يحدث شيء منها تماماً كاملاً من أول وهلة ، ولكن على التدرج . فالأحرى أن نقول : إن الفعل السالم جاء آخر الأفعال أما الأجوف فإنه غالباً ما يأتي عقب المضاعف ، مثل (طب) وطاب ، وصر وصار (أى صوت) . وأما الناقص : فإنه صدى غيره من الأفعال ، وكأنه نوع من القطعة (الترقيم) لغة لبعض العرب . نحو : همروهمى ، والأسف

والمستشرق الألماني (جزينس) ، وأجاد الدكتور محمد مصطفى رضوان في عرض آرائهم عرضاً يوضح أهم مبادئ من مبادئ وأسس الثنائية في نظره .

ولابد لنا في هذا المقام من تلخيص هذا المبدأ ، كما ورد في (مجلة الآداب اللببية في عددها الرابع عام ١٣٩٢ هـ) زيادة في الفائدة ، ولتوضح جوانب الحقيقة في هذه المشكلة التي طال أمدها ، وإظهاراً لبراعة الحس اللغوي للشدياق ، وكشفاً لعدد من مؤلفات لغوية حديثة غمرت الأسواق ، تسوق فكر الشدياق وغيره ، وبضاعتهم دون أن تذكرهم أو تغزو إليهم علمهم وفضلهم وسبقهم :

فقد رأى العلامة (جزينس) أن تنمية المادة الثنائية ، يتم بوحدة من خمس طرق أولها : تضعيف الحرف الثاني ، وتلك وسيلة أولى وطبيعية في التنمية ، كما قال كثير من العرب والمستشرقين ووافقهم الشدياق ، وذكر ستة أسباب^(١) للتدليل على صحة ما ذهب إليه ، نوجزها فيما يلي :

١ - أن معظم اللغة مأخوذ من

(١) سراليلال في القلب والإبدال ٢٢-٢٧ .

والأسى^(١).

امتخر العظم ، أى استخرج مخه فهو لابد أن يكون من امتخ إذ لم يجيء المخر بمعنى المخ . وقس على ذلك تمخى العظم ، بمعنى تمخخه .

ونخرج من ذلك بأن كل المضاعفات هى بالحقيقة ثنائيات ، والثنائى وارد حتى فى الساميات ، متصفاً بمعنى حقيقى وتام كما سبق أن ذكرنا للأب مرمجى .

ثانيها : إضافة حرف علة إلى أول المادة أو وسطها أو آخرها : ويعلل الشدياق الإضافة فى الأجوف بقوله : إن الأجوف غالباً ما يأتى عقب المضاعف ، كطب وطاب ، وضر وضار وجب وجاب . . .

وهو كثير فى العربية .

ويظهر أن السبب فى العدول عن المضاعف ، إلى الأجوف ، هو الرغبة فى التخلص من تشديد عين الفعل بمد حركة فائه ، لأن التشديد ثقيل ، حتى لا يكاد يوجد فى اللغات الآرية .

وسبق أن علل الإضافة فى الناقص بأنه : صدى غيره من الأفعال ، وكأنه نوع من القطعة (الترخيم) لغة لبعض العرب ، كما فى شجب وشجا ومحق ومحا .

٤ - أن حكم ترتيب المزيد المضاعف لا يكاد يتخلف : فقلما ترى للمضاعف معنى إلا ورأيت فى مزيدة مثله أو ما يقاربه . والمراد بالمزيد هنا ما يكون الحرف الثالث فيه أو لامه غير عينه . وذكر لذلك أمثلة كثيرة تبلغ سبعة وخمسين ، منها : سل وسلب ، وكد وكلدح ، ومن ومنح . . .

٥ - أن زيادة حرف على المضاعف ألبق بحكمة الواضع فى التفنن من نقصه ، إذ لو جعلت السالم أصلاً لزم عنه العدول من الكمال إلى النقصان ، والاختصار فى الأفعال ليس من مذهب العرب كما تدل على ذلك الأفعال المزيدة . ودليل آخر : وهو أنهم يشبعون الفتحة فى آخر الفعل فيتولد منها ألف ، كما فى : (دحب ودحجى ، وسلق وسلقى) ، وقس على ذلك زيادة الهاء فى هجزع للجبان ، والنون ، فى ضيغن ، والراء فى بحتر وبعثر .

٦ - أننا نجد أفعالا مجهولة الأصل وأصلها من المضاعف معلوم ، مثل :

(١) السابق ٢٩ ، وراجع أيضاً معجميات عربية سامية ٩٦ - ٩٨ .

تلك هي الطرق الخمسة التي تثلث المادة الثنائية ، كما لاحظها علماء اللغة ، وكلها شاهدة بأنه لافرق بين المعنى العام للمادة الثنائية ، وبين المعنى بعد أن أضيف إليها ما يثلثها .

ويعرض علينا الدكتور رضوان — في نهاية عرضه لآراء العلماء — مادة ثنائية حكائية ، مبنياً المواد الثلاثية المشتقة منها بالطرق المختلفة ، وهي مادة (قع) ، مما يؤيد أن أصل الثنائية في لغتنا مكين وثابت ، يقول :

ويظهر أن مادة (قع) في الأصل حكاية لصوت الرعد المزعج ، ومنها القعقعة ، وتقعقع أى اضطرب .

والمواد المتفرعة عن هذه المادة تفيد معنى الخوف أو الانكماش أو الاسترخاء بصورة ما ، لما يترتب على سماع هذا الصوت من خوف .

فمن ذلك (قبع) القنفذ : أدخل رأسه في جلده ، بإضافة حرف زلاق في الوسط ومثله (قنع قنوعا) أى تذلل .

وبإبدال القاف كافاً ينشأ : (كع) الرجل كعوعاً ، أى جبن وضعف .

وبإضافة الواو في الأول ينشأ (وبع) البعير ، أى سقط ضعفاً .

والتقارب شديد بين معنى المضاعف والناقص ، كما في : قضى . وغمى الخبر وغم .

والتقارب أيضاً شديد بين المضاعف والمثال ، كما في : وقص (قطع) وقص . ووخر وخز .

ثالثها : إضافة حرف من حروف الزلاقة ^(١) ، إلى المادة الثنائية ، مثل : قص قصم ، قصر ، قصب ، قصف قصل . . .

رابعها : إضافة أحد حروف الحلق ^(٢) إلى المادة الثنائية ، مثل : فق (فرق وفتح) وفقاً وققع ، وققع . ورد وردد . وقط وقطع . ومن ومنح . . . فالمضاعف والحلقى معناه واحد .

خامسها : إضافة حرف من أحرف الصغير ^(٣) إلى المادة الثنائية ، مثل فر ، وفرز وفرس ، وقرص ، وكلها بمعنى فصل وفرق وقطع . ومثلها : فل وفلذ . . .

(١) حروف الزلاقة (أى الخفة) يجمعها قولك : (مربنفل) .

(٢) حروف الحلق يجمعها قول الناظم : همز فهاه ثم عين حاء مهملتان ثم غين خاء .

(٣) أحرف الصغير ، هي : السين والزاي ، والصاد ، ويلحق بها ما يقاربها .

وبإضافة حرف علة ، فى الوسط ينشأ (كاع) ، إذا هاب وجبن .
 وبإضافة حرف علة فى الآخر ينشأ (كعا) ، أى جبن . والأكعاء ، الجبناء .
 ويقال : كعج ، أى ذل ، و(كنع) انقبض . و(كنع) هرب . وكثعت الإبل : استرخت بطونها .
 وبإبدال الكاف خاء تنشأ المواد : (خنع) الصبى ، أى فحم وأنهكه البكاء . . .
 (وخنع) السراب : اضمحل و (خرع) الرجل : ضعف . ومثله : خشع خضع خنع . ونلج الرجل أى استرخى جسمه .
 وأن نظرة على الطرق التى مرت عليها المادة السالفة ، والمعنى العام الذى يرتبط بالثنائية بقوة ، يدعونا أن نقرر : أن عدداً كبيراً من الأصول الثلاثية جاء تنمية لأصول ثنائية .
 « يتبع »
 دكتور / توفيق محمد شاهين

دعاء

إلهى إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون .

إلهى تجنب عن طاعتك عمداً وتوجهت إلى معصيتك قصداً..
 فسبحانك ما أعظم حجتك على وأكرم عفوك عني ، فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتي عنك ، وفقرى إليك وغناك عني إلا غفرت لى ، يا خير من دعاه داع ، وأفضل من رجاه راج ، بحرمة الإسلام ، وبذمة محمد عليه الصلاة والسلام .

الغزالي

الدعوة الاجتماعية في الإسلام

العقيد / فكري الجوهري

تهديد القوى التي تملك المال والسلطان ، وظلت القوة هي المسيطرة ، وظل الضعفاء يستجيرون لمطالب ورغبات الأقرباء صاغرين مستذلين .

ودنا الأسلوب في المجتمعات ، لا يتفق مع المبادئ الأساسية في حياة الفرد الإنساني وأمنه في رزقه وشرفه ومعاشه واستقلاله ، ومن ناحية أخرى حجر على فكره وسلامة تصرفاته ورغباته وعقيدته وحرية وهي أغلى ما يتغنى في حياته .

وكانت سياسة الإسلام في محاربة هذه الآفات الاجتماعية بعيدة عن الاندفاع والقوة والاضطهاد لأن الإسلام يأبى أن تكون سياسته في العلاج وتغيير أنماط السلوك في المجتمع بنفس الطريقة التي كانت سائدة ، لذا كانت تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة والإيضاح المقنع . . . فلا إكراه في الدين . . . ولم يلجأ المسلمون

طلع فجر الإسلام بنوره على شبه الجزيرة العربية وبدأ نشر الدعوة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانت تنقش الآفات الاجتماعية في المجتمعات من جرائم خلقية إلى تعدد على النفس والمال إلى انحلال في السلوك والتصرفات . ولم يكن من السهولة بمكان محاربة هذه الآفات التي تأصلت من قرون عديدة قبل الدعوة . . .

وقد تعرضت الدعوة الجديدة لمقاومة شديدة رغم أنها تدعو إلى خير الناس والعباد وإلى صلاح المجتمع ومحاربة الكثر والنسوق والعصيان ، إلا أن هذه المبادئ اعتبرها سادة القبائل العربية انتقاصاً من سلطانهم ونفوذهم وسلماً لحقوقهم ومحاربة لأهوائهم وتقوية للضعفاء والفقراء على حسابهم . .

ويرجع هذا إلى أن البشرية عاشت في عصور ما قبل الإسلام تحت وطأة

ومن هذه المبادئ التي وضعها الإسلام للمجتمع :

١ - العدل ودفع الظلم عن الناس :

كانت أولى دعائم الإسلام لإصلاح المجتمع العدل والمساواة بين الناس ودفع الظلم عنهم . . . قال تعالى :
(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) .
(المائدة ٨)

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)
(النحل ٩٠)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إن الله تعالى لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

وهكذا كانت العلاقة بين الراعى والرعية منذ فجر الإسلام ، ويحكى أن الرشيد قال لابن السماك : عظمى فأقنى له بماء يشربه فقال السماك الزاهد : لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال الرشيد : نعم قال : فما خير فى ملك لا يساوى جرعة ماء .

إلى الحرب إلا بعد أن أصبحوا مهددين بالعداوة المستمرة من أرباب الضلال وأهل السوء حتى رأينا الإسلام يستعمل القوة فى حالتين فقط حالة الدفاع عن النفس أو العرض أو المال ، وحالة الدفاع عن الدين والعقيدة . . .

والآفات الاجتماعية موجودة فى المجتمع منذ أن خلقه الله تبارك وتعالى بعد أن عصى آدم وحواء أمر ربهما واستمعا إلى صوت الشيطان واستجابا لدعوته وعصيا أمر الله وهبطا إلى الأرض حيث كان منهما فيما بعد قابيل وهابيل اللذان وقع بينهما أول صدام انتهى بجريمة قتل راح أحدهما ضحيتها - واستمرت الجرائم والآفات الاجتماعية تزداد وتستفحل فى المجتمعات وكان الله سبحانه وتعالى يهدى الناس بالرسول إلى أن ارتضى الله الإسلام ديناً خلّقه ، وجمع فيه أسس أمن المجتمع وسلامته واستقراره بل ليجعل العالم كله أسرة واحدة لا فرق بين أحد وآخر لأن الجميع من آدم وآدم من تراب :

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .
(الحجرات ١٣)

٢ - الإهتمام بالفرد كإنسان :

أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن معاملة الفرد خاصة النساء والأطفال والشيوخ والرهبان . . حتى فى القتال مع العدو الحق فيقول :

« اغزوا باسم الله فى سبيل الله . . قاتلوا من كفر بالله ... اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . . وأوصى أبو بكر أسامة بن زيد فقال ! : « لا تخزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة » .

وهكذا لا يفرق الإسلام بين فرد وآخر لجاه أو سلطان أو لون أو جنس كما نراه فى الدول المتحضرة فى التفرقة بين الأسود والأبيض وبين المواطن وغير المواطن فقد ولى رسول الله بلالا وهو عبد حبشى على المدينة .

كما أوصى بإكرام الخدم والمماليك فقال :

« إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فإن فعلتم فاعينوهم » .

٣ - أهمية دور المرأة فى المجتمع :

اهتم المجتمع الإسلامى بالمرأة وكان لها دور كبير فى النهضة بل ألزمها الإسلام بمشاركة الرجل فى كفاحه ضد المبادئ الفاسدة ، لذا اشتركت المرأة فى الحروب جنباً إلى جنب مع الرجل بل وحملت السلاح وخاضت غمار معارك شأنها شأن الرجال ، وكان لها دور فى الحث على القتال وهذه أسماء بنت أبى بكر تقوم بدور كبير فى الهجرة ، تكتم الأسرار وتعرض نفسها للمخاطر .

٤ - احترام ملكية الغير والأموال العامة :

حرم الإسلام التعرض لأموال الغير والأموال العامة حتى لا يضار الإنتاج وحتى إذا كانت ملكية هذه الأموال فى بلاد العدو . . ومن وصية أبى بكر لأسامة قوله :

« ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل » . .

وقال الرسول الكريم :

« ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فبأكل منه إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .

٥ - السلام في المجتمع :

الإسلام دين السلام نشأ في أرض تعددت فيها الطوائف والأديان في الجزيرة العربية وزادت فيه المنازعات بين العرب وتحكمت العصبية في أمور المجتمع فجاء الإسلام ليعلن الأخوة الإسلامية داعياً إلى التضامن والمحبة مقرباً بين النفوس المتنازعة جامعاً الناس جميعاً في وحدة واحدة . .

(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) (آل عمران) ثم إن كلمة الإسلام مشتقة من السلام والمؤمنون اتخذوا - المسلمين - اسماً لهم (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) . (الحج ٧٨)

كما أن تحية المسلم لأخيه المسلم هي - السلام عليكم - وختم الصلاة ، سلام على اليمين وسلام على الشمال - والقرآن نزل في ليلة السلام :

(إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى

مطلع الفجر (سورة القدر) والله تعالى يحبي عباده بالسلام . .
(تحيتهم يوم يلقونه سلام)
(الأحزاب ٤٤)
« كذا الملائكة يلقونهم بالسلام :

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم) .
(الرعد ٢٣)

وجنة الله سميت بدار السلام (لهم دار السلام عند ربهم) الأنعام ١٢٧
كما أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى

٦ - الدعوة إلى مكارم الأخلاق :

أوصى الإسلام لما فيه صلاح المجتمع - بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
الاجتماعي (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .
(آل عمران ١٠٤)

ومن وصايا لقمان لابنه :
البر بالوالدين (ووصينا الإنسان بوالديه) .

والاستقامة (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف ونه عن المنكر) .

والرجولة (ولا تصغر خدك للناس) .
والتواضع (ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور) .

مما يعود بالضرر على الفرد والمجتمع :

(والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) (التوبة ٣٤) .

ومن ناحية أخرى احترام الإسلام حرية تصرف الفرد فى أمواله حتى بعد وفاته فأرشد إلى احترام الوصية :

(كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) . (البقرة ١٨٠)

كما اهتم بالموارث الشرعية وبين حدودها . .

(يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلهما النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس . .) إلى نهاية الآية . (النساء ١١)

(يستثنونك قل الله يفتيكُم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم) . (النساء ١٧٦)

٧ - حسن استخدام موارد الفرد والمجتمع :

حث الإسلام على الانتفاع بالأموال بما يعود بالخير على الفرد والمجتمع بأن يكون الإنفاق فى سبيل الارتفاع بالمستوى الاجتماعى للكافة . . . وذلك ببذل المال فى وجه من وجوه الخير وجعل الله الإنفاق فى مستوى الإيمان :

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) . (الحجرات ١٥)

ومعنى السبيل هنا الطريق وسبيل الله طريقه الذى شرعه وارتضاه وأمر الناس بالاتجاه إليه والاستقامة عليه . بل جعل الله الإنفاق وجهاً من وجوه البر :

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذرى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة) . (البقرة ١٧٧)

وأندر الله الذين يكتزون الذهب والفضة ويخجلون ويحبسون الأموال عن التعامل

وضع حدود الأمن الجنائي :

قام الإسلام بوضع الحدود التي تكفل سلامة المجتمع والجرائم والآفات الاجتماعية لكي يأمن الناس على أموالهم وأعراضهم وحقوقهم . .

فوضع الحد للسرقة (والسارق والسارقة) فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم (المائدة ٣٨) وفي هذا الشأن كانت السيرة النبوية فقال الرسول الكريم . . .

« والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وذلك ليعين الرسول الكريم أن القصاص يكون على كل فرد في المجتمع مهما كانت منزلته أو درجته الاجتماعية . ووضع الحد للقتل (وما كان المؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) .

(ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) (النساء ٩٢)

وبين عواقب الربا (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا . (البقرة ٢٧٥)

(يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) . (آل عمران ١٣٠)

كما يبين ضرورة الوفاء بالديون وإثباتها (يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) إلى نهاية الحكم في الآية (البقرة ٢٨٢)

(بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين) (آل عمران ٧٦)

كذا اهتم بالآفات الاجتماعية الأخرى: (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) (المائدة ٩٠)

كما وضع الحد على الآداب العامة وبين كيفية عقاب الزاني والزانية لما في الزنى من اختلاط الأنساب وميلاد أطفال أبرياء ميلاداً غير شرعي ، ويكون مآلهم أن يصبحوا لقطاء مشردين .

والإسلام في بيانه للحدود وتشريعه لأحقية الفرد في الدفاع عن نفسه أو عرضه لم يفته بيان حدود الدفاع الشرعي بأن يكون رد الدفاع والاعتداء بالقدر اللازم دون مغالاة أو مجاوزة أو تنكيل :

من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم
ولأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم .

احترام العلاقات الأسرية :

اهتم الإسلام بالأسرة عماد المجتمع
كما اهتم بالعلاقة الأسرية بين الزوج
وزوجته وبين ضرورة قيام الحب
والوئام والاحترام بينهما وأوضح أن
للزوجة حقوقاً قبل زوجها كما للزوج
حقوق ، وعلى كل منهما واجبات
يجب أن يقوم بها لانتظام الأسرة
ودوامها .. وشروط الزوجة الصالحة :

(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو
أعجبتمكم) . (البقرة ٢٢١)

حتى العلاقة الخاصة بين الزوجين :

(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم
أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله
واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين)
(البقرة ٢٢٣)

كذا العلاقة الصحية بينهما :

(ويستلونك عن المحيض قل هو
أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض
ولا تقربوهن حتى يطهرن) (البقرة ٢٢٢)
فإذا كان مآل الأسرة إلى الانفصال
فهناك حدود للطلاق :

(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا
أن الله مع المتقين) . (البقرة ١٩٤)

احترام العقائد :

من مآثر الإسلام احترام العقائد
الأخرى (لا إكراه فى الدين)

وهاهو الرسول الكريم يجبى يهود
خبير إلى طلبهم فى الصلح ويبقيهم
على أراضيتهم التى آلت له بحكم الفتح
ووجد الرسول بين ما غنمه المسلمون
عدة صحائف من التوراة فطلب اليهود
ردها فاستجاب إلى طلبهم ولم يفعل
معههم كما فعل الرومان فى فتح أورشليم
عندما أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها
بأرجلهم . . كما لم يفعل ما فعل
النصارى فى حروب اضطهاد اليهود
فى الأندلس حين أحرقوا التوراة .

وفى بلاد الشام طلب الأسقف
حقر بنوس أن يسلم بيت المقدس
للخليفة دون غيره .

وجاء عمر بن الخطاب بنفسه وهو
خليفة المسلمين وصالحهم رغم مقدرة
القوات الإسلامية على دخولها عنوة
وجاء فى كتاب الصلح « هذا ما أعطى
عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء

(والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) . (البقرة ٢٢٨)

(الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) (البقرة ٢٢٩)

— كما أن للأطفال حقوقاً في الأسرة (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) (البقرة ٢٣٣)

ولليتامى حقوق حتى لا يستغل ضعفهم الاجتماعي .

(وأنوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً) (النساء ٢)

ولاحترام كيان الأسرة الكبيرة واحترام أفرادها وعدم اختلاط الأنساب وحسن السلالة التي تتكون منها الأسرة قال تعالى . .

(ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة

ومقتاً وساء سبيلاً . حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) . (النساء ٢٢، ٢٣)

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للنرد المقدم على الزواج الزوجة التي يختارها فقال :

« تنكح المرأة لأربع : لمالها وحسبها وجمالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » . . صدق رسول الله .

تلك هى بعض تعاليم الإسلام ونظمه في إصلاح المجتمع ، والتي يستغلها البعض في الشرق أو الغرب لينظمها في مواد أو نصوص يعتبرها مبادئ حديثة ونظماً مبتكرة ولو عاد المسلمون إلى كتابهم المقدس وسنة رسولهم لصلح حال المجتمع وقلت مفااسده .

عقيد شرطة / فكرى الجوهري

المسيحية توحيد لا تثليث والإسلام ضرورة عالمية

الأستاذ زاهر عزب الزعبي

ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» وقد رويت هذه القصة أيضًا في غير إنجيل متى من كتب العهد الجديد.. ولكنه في داخل هذا النطاق مضى في دعوته الإصلاحية فارتقى بالعقيدة الدينية حيث أعطى للألوهية صفاتها الأسس ونزع عن الإله قناع الغلظة والجبروت، وركز الضوء على الصفات الإلهية المحبة.. فهو الإله الرحيم البار ناصر الضعفاء ومواسي المكلومين وسعت رحمته كل شيء في ملكوته «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات. طوبى للحرزاني لأنهم يتعزون.. طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض.. طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون.. طوبى للرحماء لأنهم يرحمون.. طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون.. طوبى للمطرودين من

إذا تفحصنا جوهر الديانة المسيحية وخطوط تحركاتها والنهج الذي سار عليه نبينا عليه السلام نجد أن السيد المسيح في البداية قد حاول أن يبقى من البناء اليهودي حوائطه السليمة بعد أن يغسلها مما شابها من أرجاس، وأن يمحصر دعوته في إصلاح المجتمع اليهودي لاسواه في إطار من الاعتراف بشركة تفوق العنصر الإسرائيلي وأنه الأول والأحق بهداية الله.. ومن ذلك ما رواه إنجيل متى في إصحاحه الخامس عشر من أن امرأة كنعانية وليست من بني إسرائيل اعترضت سبيله حينما كان في طريقه إلى صور وصيداء مستغيثة متوسلة إليه أن يشفي ابنتها المجنونة فلم يأبه لها ولم يجبها بكلمة وطلب منه تلاميذه أن يصرفها.

فأجاب وقال: «لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة — فأنت وسجدت له قائلة: يا سيد أعني فأجاب وقال:

بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين - لانك بكلامك تدان» (متى ١٢ : ٢٦/٢٧) .

وكان اليهود قد استهانوا بشريعة موسى حتى أصبحت أحكامها مجرد قيود شكلية . . فاليهودى غير ملزم باتباع هذه الأحكام فى تعامله إذا كان الطرف الآخر غير إسرائيلى . . أما بالنسبة لفعاليتها فى تنظيم الشئون الدينية والمدنية داخل المجتمع الإسرائيلى نفسه فإنه كان لكل مخالفة لأى من أحكامها قربان يمحو إثمها كما كان لكل خطيئة صدقة تغفرها . .

فجاء السيد المسيح والشريعة الموسوية برمتها شبه معطلة . فعاب على اليهود مخالفتهم الآثمة لشريعة الله وأحكام دينه وحاول أن يعيد للشريعة قداستها فركزت مواعظه على إظهار حكمة التشريع وتشدد فى المطالبة باتباع روح القوانين لا جوانبها الشكلية . . « قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تقتل .

ومن قتل باطلا يكون مستوجب الحكم . . وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم . . ومن قال لأخيه رجساً يكون مستوجب المجمع . . ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم

أجل البر لأن لهم ملكوت السموات . طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجل كاذبين . افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات » . (إنجيل لوقا ٥ : ١٢/٣) . ولم يعد الإله بعد المسيحية كما كانت تصفه أسفار العهد القديم بالغطرسة والكبرياء والاندفاع مع قصور الإمكانات والعجز والحماقة فى كثير من الأحيان . . بل هو الإله الكامل « فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (لوقا ٥ : ٤٨) .

« أبانا الذى فى السموات . . ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض . . خبزنا كفافنا اعطنا اليوم . اغفر لنا ذنوبنا ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير . لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد » (لوقا ٦ : ٩/١٣)

وصحح المسيح العقيدة اليهودية فيما يختص بالثواب والعقاب واليوم الآخر فقال بالبعث والحياة الآخرة . . وأن الناس جميعاً سيحاسبون على ما قدمت أيديهم فى الحياة الدنيا ويلقون جزاء وفقاً على كل كبيرة وصغيرة من أعمالهم : « ولكن أقول لكم إن كل كلمة

إليكم ويطردونكم . . لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات فإنه يشرق شمس على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين . . لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك . . فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو أيضاً كامل (متى ٥ : ٤٨/٢١) . ويمكن تلخيص نظرة المسيح إلى قوانين الشريعة بأنه تشدد فى المطالبة باحترامها إلى درجة تباعد بين ضمير الإنسان وبين مجرد التفكير فى انتهاكها ، وليس فى حظه على الاستسلام للظلمة . وعدم مقاومة اللاطم أى تعطيل مبدأ القصاص لأنه لم يسقط العقاب الرادع لللاطم وإنما هو يأمر بالابتعاد عن الشر والعنف حتى فى مقام مقاومة الاعتداء .

ولقد ظلت المسيحية دعوة خاصة بالإسرائيليين أو حركة إصلاحية لتصحيح ما طرأ على اليهودية من مفاسد طوال حياة المسيح فى الأرض . ولكن الموقف العدائى الفظ الذى وقفه كافة اليهود من هذه الدعوة والذى كانت خاتمته مؤامرة دنيئة دبرها اليهود لهذا النبىء المسالم لتودى به فى النهاية حسب ما اعتقدوا إلى خشبة الصليب ظلما وبلا مبرر . . وجعلت

فإن قدمت قرباتك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا واصططح مع أخيك . . وحينئذ تعال وقدم قربانك . . قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزنى ، وأن كل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا لعلة يجعلها تزنى ، ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى . . أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك . . وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة . لا بالسما لأنها كرسى الله ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه . ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم . ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء . . بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا . . وما زاد على ذلك فهو من الشرير .

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً .

سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك - وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم . . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيك . وصلوا لأجل الذين يسيئون

بقى منهم حيًّا هرب بجلده إلى حيث لا تمتد إليه يد الرومان لاجئاً يلتمس الأمان في ذلةً ويبغى الحياة في مهانة .

ولقد مضت المسيحية في عهدها الأول تكتسح بروحانيتها وبساطتها مناطق شاسعة في أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط ولكن الوثنية والفلسفة الإغريقية سرعان ما تسلا إلى تلك العقيدة السمحة . . ففي القرنين الأولين من ميلاد المسيح كان الاعتقاد بإله واحد لا شريك له هو أساس الديانة المسيحية . . ولكن بعد أن اغتنقت هذه الديانة الجديدة شعوب شتى من الوثنيين اليونان والرومان والمصريين . وكلها شعوب قد تأصلت فيها وعمقت جذور الوثنية نشأت طوائف وفرق ترى كل منها في العقيدة رأياً يخالف الأخرى . وكانت شخصية المسيح نفسها موضوع الخلاف ومحوره - فمن قائل بأن المسيح ليس إلا رسولا من عند الله فقط ، وليست له منزلة أكثر من شرف السفارة بين الله وخلقه كسائر الأنبياء . . بينما يرى فريق آخر أن للمسيح علاقة بالله من نوع خاص فهو في منزلة أشرف وأعلى من مجرد الرسول لأنه من الله بمنزلة الابن . .

حواريه المخلصين يجدون للنجاة برقابهم في الهرب بعيداً عن ظلم اليهود ووحشيتهم . وتفرق هؤلاء الحواريون في أنحاء الأرض يلتمسون الملجأ والأمان في سائر بقاعها لدى كل من يجدون عنده استعداداً للعطف عليهم والتصديق بدعوتهم والاعتراف بمبادئهم . . ومن ثم أتيح لغير الإسرائيليين أن ينعموا بالزاد الإلهي الذي أعرض عنه بنو إسرائيل ورفضوه . . وعندما خرج التبشير بالتعاليم المسيحية عن نطاق الإسرائيليين وجد قبولاً شديداً لدى سائر الشعوب التي كانت متعطشة إلى الإيمان بالله والاسترواح برحمته وهدهاه فسرعان ما انتشر الدين الجديد حتى غطي في زمن وجيز معظم أنحاء العالم الوسيط ، بما فيه من الشعوب والأجناس ، أما الإسرائيليون فسرعان ما لقوا الجزاء الوفاق - على ما كانوا فيه من غي وظلم وبهتان - على يد الرومانيين الذين وجدوا فيهم شعباً متمرداً يستحيل إصلاحه أو تقويمه ووجدوا أن لا مناص لقمع الفتنة من استئصال جذورها ، فلجأوا إلى وسائل العنف والقسوة وأطلقوا فيهم يد التقتيل والإبادة ، وبذلك انتهى عهد الإسرائيليين كشعب بعد أن قتل منهم من قتل والذي

وفي خضم هذه الفوضى العقائدية التي اشتد فيها الخلاف إلى درجة هددت^(١) ما تضمنه الدين الجديد من مبادئ سامية ومثل أخلاقية رفيعة بالضيايع والزوال. قام في مصر داعية جرىء قوى الحجاج بنقذ بجرأة وبأسلوب فصيح لاذع رؤساء كنيسة الإسكندرية فيما يشونه بين المسيحيين ويروجون له من ألوهية المسيح. وكان هذا الداعية هو آريوس الذي أخذ على عاتقه أن ينقل المسيحية من أن تسلك نفس الطريق الخطر الذي ضلت فيه وضاعت من قبل اليهودية، وكان رأى آريوس أن الإله واحد وليست هناك أية وجوه للاقتران أو التشابه بين طبيعتي الله والمسيح الذي هو مجرد بشر. وأن الله كان بينما لم يكن المسيح إلا بعد أن خلقه الله وصنعه كما يخلق ويصنع كل ابن أنثى من بنى الإنسان في أوانه ووقته المقدور المحدد. . . ومضى آريوس يفسر نصوص الأناجيل التي وصف فيها المسيح ربه بأنه أبوه بأن ذلك لم يكن إلا محض تعبير مجازي لا يعنى حقيقة البنوة - وإنما يعنى الحب والرحمة. . . ولقد ازدهر أتباع

فقد خلق من غير أب. ولكن ذلك لا يمنع أن يكون المسيح مخلوقاً لله، لأنه هو كلمته، ويرى فريق ثالث أن المسيح ابن لله، له مثل أبيه صفة القدم والدوام السرمدي. . . وإذا كانت البيئات الوثنية التي نشأ فيها المؤمنون الجدد لها تأثيرها في هذا الانحراف الخطير - فلأن الأرجاس التي علقت بالمسيحية منذ البداية في منبتها الأصلية لا تقل عن ذلك تأثيراً أو خطورة.

وقد كان اليهود يعتقدون منذ البداية أنهم كشعب مختار ينتمون أيضاً إلى عنصر إلهي، فقد جاء في الإصحاح السادس من سفر التكوين: «حدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن جسداً واتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. . . وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدين لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم».

فلما جاء المسيح وحاول جهده أن يصحح الصورة الفظة التي رسمها الكهنوت اليهودي لله كان دائماً (أيؤكد رحمته ولطفه وبره) يدعوه مجازاً بالأب الذي في السماء.

(١) ملخص عن كتاب محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة.

آريوس وكثير مشايعوه إلى درجة جعلت كنيسة أسبوط تعترف بهذه المبادئ الآريوسية اعترافاً مطلقاً وتنفصل كلية عن كنيسة الإسكندرية التي تمسكت بتأليه المسيح واعتباره ابناً حقيقياً لله . ولما اشتد النزاع وكثر أشياع آريوس ومؤيدوه في كل من مصر ومقدونيا وفلسطين وأوشكت الفتنة الدينية أن تقع بعد أن استشرى الخلاف واتسع لم يجد قسطنطين إمبراطور الرومان بدءاً من أن يدعو رجال الدين وزعماء الطوائف في جميع الإمبراطورية إلى مؤتمر عام ، وفي سنة ٣٢٥م اجتمع بدعوة من الإمبراطور في مدينة نيقية حشد من البطارقة والأساقفة قدره ابن البطريق بألفين وثمانية وأربعين ليتدارسوا المصادر الدينية ويقرروا الأوفق والأصح في العقيدة والدين .

ولقد أسفر هذا المؤتمر الذي عرف باسم « مجمع نيقية » عن قرارات خطيرة أهمها الاعتراف بألوهية المسيح وأنه من جوهر الله وأنه قديم بقدمه ولا يعتره تغيير ولا تحول . . كما قرر المجمع إعدام كل الكتب والمأثورات التي تخالف القرار واعتبار كل من يقول بغير ذلك كافراً مجدفاً ملعوناً مطروداً

من حظيرة الرحمة والغفران . وابتداء من مجمع نيقية أخذت العقيدة المسيحية تتعقد وتبتعد شيئاً فشيئاً عن إمكانية الإدراك والفهم . . وأخذت شخصية المسيح تأخذ مكانها المرموق على عرش الألوهية ضريباً وقريناً لله ذاته باعتبار أنهما من طبيعة واحدة وأمن طبيعتين مختلفتين توحدهما روح القدس أو أن المسيح نفسه يتكون من طبيعتين متباينتين ناسوت ولاهوت تقربه الأولى من الناس وتربطه الثانية بالله .

وفي هذه الآونة راح الملايين من المسيحيين ضحايا للخصومة العاتية بين الفرق والطوائف المسيحية بسبب خلافات سفسطائية أضاعت للدين هيئته وذهبت ببهاء قدسيته وتحولت تعاليم المحبة والرحمة وصفاء القلب ونقاء الروح التي تضمنتها المسيحية (على يد المسيحيين أنفسهم) إلى دواعي للفرقة وللخلاف وللقسوة . . بل باسم هذه المبادئ نفسها قتلوا الأنفس وأزهقوا الأرواح ونكلوا بمخالفيهم وعذبوهم بأفظع ما عرفت الإنسانية من صور القسوة والوحشية . . وفي سبيل النور في هذا التطاحن الديني راح رجال الدين ورؤساء الطوائف يتقربون إلى الأباطرة والولاة وينافقونهم

الإغريقية والتجربة التي خاضتها البشرية خلال اليهودية والمسيحية قد ارتقت بالمعارف الإنسانية والثقافة العامة إلى درجة كبيرة من النضج فلم تعد نفوس الناس ولا عقولهم تقنع بما دون المثالية الكاملة .

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه العقول والنفوس تواقه إلى المثالية والكمال في الفكر وفي القول وفي الأخلاق .. كان العالم كله يعاني من الفوضى في كل مجال من مجالات الحياة .. فالوثنية الدينية كانت لم تترشح بعد عن عرش أمجادها في أنحاء شتى من العالم المعمور .. بل كانت قد تمكنت من التسلل إلى حيث خالطت العقيدة الدينية في قلوب المؤمنين بالمسيحية واليهودية .. وكانت شريعة الغاب هي الدستور الأقوى في كيان المجتمعات ونظم الحكم .. وكان التسلسل الطبقي في كل مجتمع قائم آنذاك يضمن لقلّة ضئيلة التمتع بكل ما أتيح للأحياء من مباحج واستمتاع بينما لم يبق للغالبية العظمى إلا التعاسة والقسوة والشقاء ، وفي مثل هذه المجتمعات لا يمكن أن تتحقق عدالة اجتماعية أو مثالية أخلاقية أو استقرار فكري .. ومن ثم كانت هناك ضرورة ملحة تقتضى ثورة إصلاحية شاملة تقوض كل القيم الفاسدة من أساسها وتشيّد من جديد

ليستعينوا بهم على خصوصهم . وليس من جديد الآن أن يقال بأن رجال الدين قد ذهبوا آنذاك إلى حد تزيف التعاليم المسيحية وتحريفها على نحو يصادف هوى ومطامع ذوى السلطان حتى يتقربوا إليهم ويضمنوا نصرتهم . ولم يأت القرن الخامس الميلادي حتى كان العالم كله يعاني فوضى في الأخلاق وبلبلّة في الفكر وفقراً في الروح . . فالمسيحية بسبب انحرافها إلى معركة عقائدية قاسية قد دمرت مثلها وروحانياتها وداخلها الكثير من الأباطيل والأراجيف التي دست إلى التعاليم الصحيحة فشوهتها مما أفقدها القدرة على مواصلة التقدم نحو هدفها المنشود في تكوين مجتمع فاضل تنظم شئونه بوحى الله وهداياته ويسوده الحب والإخاء والمساواة والإيثار والرحمة . . وتحولت من دين حق تنبئ فلسفته الرئيسية على مبادئه ومثله الرفيعة إلى دين يدور حول محور واحد ويعتمد على ركيزة واحدة هي شخصية الداعية وبدلاً من أن تتطور من خلاله العقيدة والإيمان بالله هبطتافيه إلى درك يرفضه كل من العقل والفطرة .

تجددت ضرورة العالم إلى دين جديد :

وفي هذه الآونة : كانت الفلسفة

خيرات لا تحصى فيتحقق له ما ينشده
وما يريد له الله من سعادة وهناء ومتعة .

وكانت كل الظروف مهياة والعوامل
متوفرة لهذه الثورة الإصلاحية العالمية
المنشودة . وكان مرور كل برهة زمنية
مهما كانت ضآلتها يسبب أساساً وقنوطاً
في النفوس المنشوقة المترقبة للإصلاح
بعد أن استطال صبرها على الفساد
والبؤس ، وفي نفس الوقت كان الفساد
الاجتماعي والديني قد عمقت جذوره
واستشرى بحيث كان كفيلاً أن يقضى
على أية ثورة فكرية أو دينية أو اجتماعية ،
وكانت عناصر الرجعية والتعصب
والفساد الديني والاجتماعي قد تركزت
وتحصنت في منطقتين استراتيجيتين في
العالم وهما دولة فارس العظمى والإمبراطورية
الرومانية الشرقية . . وفي هاتين الدولتين
كانت أية محاولة للإصلاح كفيلة بأن
يقضى عليها وهي لا تزال وليدة في مهدها .

وفي وسط هذا العالم القلبي المضطرب
المشوق للخلاص كانت شبه الجزيرة
العربية بقعة يسودها الهدوء والاستقرار
النسيان لأن الترابط القبلي بين أعراب
الصحراء وبدوها قد جعل بين سكان
تلك البقعة المنعزلة تماسكاً اجتماعياً
يناسب ظروف المكان والبيئة ، فألفتها

عالمًا آخر تتحقق فيه للإنسان كرامته
ويجد فيه مثالية في الأفكار ومبادئ
الأخلاق تقتنع بها العقول وتمتلىء منها
الأرواح وتتشبع بها النفوس .

ولما كانت الحضارة قد وصلت في
العالم إلى طور بلغت فيه الإنسانية دور
الاستواء والنضج وازدادت فيه الروابط
والصلوات الفكرية والتجارية والسياسية
بل وتشابكت فيه كل المصالح الإنسانية
بين سائر المجتمعات في العالم . . فكان
من غير المجنى أن تجيء الثورة الإصلاحية
لتعالج العيوب والمناسد السائدة معالجة
جزئية أو محلية . . بل كان يتحتم
أن تكون هذه الثورة عامة شاملة من
حيث أسسها ومبادئها حتى تناسب
العالم كله وحتى تتيح للبشرية كلها
نمطاً من التنظيم القويم وتنشلها من وهدة
الفوضى والارتباك اللذين يعوقانها عن أن
تنطلق بعد أن تم نضجها واستواؤها - لتبني
صرح أعجادهما ولتحقق كيانهما ولتستغل
كافة إمكانياتها وقدراتها في ريادة
غير محددة لجميع الآفاق والمحافل
حيث يتيح التوسع الفكري والعلمي
أن يزداد الإنسان معرفة بربه وبذاته
وبعالمه وأن يعرف متى وكيف ينتفع
بكل ما يحويه هذا الكون الهائل من

بأوشاب الغنى والبطر كما بقيت له روحه السمحة لم تكدرها مرارة التعاسة والحقد شأن كل معوز . ومنذ كان صبيماً عرف عنه أنه يتصف بكل مزايا الإنسان وليس فيه شيء من نقائصه ، ثم اشتغل بالتجارة — شأن كل شريف من قومه — فازداد خبرة بالحياة وتجربتها وتكامل انشاعاً في الحجى ونضجاً في الرأى ، فكان الرجل الأصلح للاضطلاع برسالة الله والدعوة لها .

ونحن إذا تدبرنا كل ظروف ذلك العصر وملابساته وجدنا أن العلم كان في حاجة ملحة إلى إنقاذ عاجل . . إلى رسالة إلهية تقضى على فوضى عارمة كانت كفيلة بأن تقضى على الإنسانية أو تبقيها في جاهلية بهيمية . . وكان لا بد لهذه الرسالة الإلهية حتى تنجح أن تكون شاملة عامة غير موقوفة أو محلية وأن تتوافر لها في البداية البيئة المناسبة حتى تنضج وتتكامل تعاليمها ومبادئها . . وأن يقوم بها داعية كفء وبالاختصار كان ولا بد للدعوة الإسلامية أن تقوم في وقتها وفي مكانها وأن تكون دعوة عالمية شاملة . وأن يكون داعيتها هو محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وتسليماته .

زاهر عزب الزغبى

النفوس وعاشت في كنفه رداً طويلاً من الزمان . . ومع أن هذا النظام القبلى في شبه الجزيرة كان مشوباً بالكثير من عناصر الإقطاع والعنجهية الطبقية إلا أن ما خالطه من شوائب الفساد الاجتماعى كان شيئاً لا يستحيل أو يعز لإصلاحه كما أنه كان من طبيعة العرب أن يمدسوا حرية الرأى كما كانت القبيلة تتكالف على نصرة كل من ينتمى إليها وحمايته من كل أذى ، فكانت البقعة الوحيدة التى يمكن أن تقوم فيها دعوة للإصلاح الدينى والاجتماعى تجد لها الداعية الكفاء بين قوم يجيدون فن التعبير ويحترمون حرية الكلمة وتضمن تقاليدهم الأمان لهذا الداعية الذى تجد قبيلته أن واجبها يحتم عليها أن تنصره وتبعد عنه كل ما يهدد حياته أو يعوقه عن مواصلة مهمته . وفي حاضرة هذه الصحراء « مكة » ومن قبيلة من أشرف قبائل العرب وأشدهم بأساً وجاهلاً « قريش » ومن أعرق بطون هذه القبيلة وأنقاها نسباً وأعلاها شرفاً جاء محمد بن عبد الله يتيماً فقيراً كفله جده ثم عمه فقضى صباه في غير يسر وعاش أيام عمره الأولى في غمرة الحياة كادحاً في غير بؤس ، فبقيت له نفسه النقية لم تتلوث

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى حد شرب الخمر

المستشار حسن حسب الله

(١٤)

البراندى يضم عدة أنواع من المشروبات
liquers مثل النبيذ والكونياك وغيرها
وذلك حسب نوع الفاكهة المستخدمة
فى عملية التقطير .

أما المواد التى تستخدم لإعطاء هذا
الشراب طعماً معيناً فمنها الشيكولاته والفانيليا
والنعناع والورد والينسون - والبرتقال .
وتشترك هذه المشروبات جميعها فى
أنها تحتوى على نسبة من الكحول تصل
فى بعضها إلى ٤٩٪ (الويسكى) .

والكحول أصلاً لفظ عربى نقله
بعد ذلك الأوروبيون إلى لغاتهم فليست
كلمة الكحول العربية ترجمة للفظ alcohol
ولئلا العكس هو الصحيح

وقد انتشرت صناعة الخمر فى جميع
أنحاء العالم وتدخلت الدول فى تنظيمها
بمنح التراخيص اللازمة لصناعتها وتحديد
مواصفاتها وتعيين مندوبين عن الحكومة

عرفت البشرية صناعة تقطير الخمر
منذ عهد بعيد وتشير الآثار إلى انتشار
هذه الصناعة بالهند وسيلان منذ سنة
٨٠٠ قبل الميلاد .

والخمر : هى الشراب الناتج من تقطير
بعض النباتات لإفراز الكحول بها مع
إضافة بعض المواد التى تعطىها طعماً
معيناً flavour ورائحة معينة والتحكم
فى نسبة الكحول الموجودة بها .

والأنواع المعروفة حالياً من الخمر
هى البيرة beer والويسكى Whisky
ويصنعان من الحبوب (كالشعير والأرز
والذرة) والفودكا Vodca وتصنع من
البطاطس والروم rum ويصنع من قصب
السكر والجبن gin ويصنع من الثمار
الجافة لشجر الصنوبر والبراندى brandy
ويصنع من الفواكهة كالتفاح والعنب
والخوخ والبرقوق والكريز وغيرها) وشراب

وتأتى مضار الخمر من أنه عقب شربها مباشرة تمتصها المعدة والأمعاء الدقيقة بسرعة كبيرة وترفعها إلى مستويات عالية بالدم فى وقت قصير جداً . وعن طريق الدم يتم توزيع مادة الكحول على جميع أجزاء الجسم بما فيها المخ والرئتين ويبقى الكحول بعد ذلك فى الجسم لمدة ثمان عشرة ساعة بعد شرب الخمر وبذلك يتأثر جسم وعقل شارب الخمر دفعة واحدة فى وقت واحد .

فمن الناحية البدنية تتغير خلايا الجسم لتكيف نفسها مع الكحول — adapted to alcohol وتصبح تعمل بأقل من طاقتها فى حالة عدم تزويد الجسم بالكحول ، كما يصاب الشارب بعسر الهضم وضعف وألم الأعصاب خاصة أعصاب الساقين ويعانى الكبد من تغيرات كثيرة ويبدأ به مرض التليف الكبدى الذى يؤدى إلى الإصابة بالإغماء والموت أحياناً ، كما يتضخم التجويف البطنى ويصاب شارب الخمر أيضاً بصداق قاس ودوار وغثيان وقىء إلى جانب ما تتأثر به الأذن الوسطى فيفقد الجسم توازنه .

ومع مرور الجسم بهذه التغيرات تتأثر نفسية شارب الخمر فبعد أن كان يشرب أولاً فى فترات عرضية للحصول على الراحة النفسية تجده يشرب بعد ذلك باستمرار

فى المصانع المنتجة لها لمراقبة الإنتاج وحصر كمياته كما فرضت جميع الدول المنتجة والمستوردة على الخمر ضرائب مرتفعة سواء على ما تنتجه الدولة محلياً أو ما تستورده من الدول الأخرى وأصبحت هذه الضرائب تشكل جزءاً هاماً من موارد هذه الدول مما رفع من أسعار الخمر فى كل مكان ، ومع ذلك فقد أصبحت ظاهرة شرب الخمر ظاهرة عامة فى كل الدول حتى تلك التى لا تنتج ولا تستورد حيث يعتمد بعض الأفراد فيها على تهريب الخمر إليها أو تصنيعها محلياً على نطاق ضيق وسرى أو شرب بعض السوائل المطهرة التى تحتوى على مادة الكحول والتى تباع فى كل مكان ولا يمكن حظر تداولها .

وقد ساعد على انتشار شرب الخمر منذ العصور الوسطى الأطباء فى ذلك الوقت حيث كانت تعتبر الخمر علاجاً طبيياً وجرعة محببة ومثيرة للشهوة الجنسية وشراباً منعشاً أو منبهاً إلا أن العلم الحديث قد أثبت أن الفائدة الطبية للكحول ضئيلة القيمة وأن شرب الخمر وإن كان يهدئ ويسكن الألم ويذهب بالقلق إلا أن كل ذلك يكون لفترة محدودة وعلى حساب الجسم والعقل فى آن واحد .

ومرض التسمم الكحولى من الأمراض غير القابلة للشفاء وكل ما يرجى من وسائل العلاج بالنسبة له هو وقف زيادة سوء الحالة ووقف تقدم المرض . وقد بلغت أعلى نسبة للإصابة فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث وصلت إلى ٤٪ من السكان وتليها فى ذلك بالترتيب فرنسا والسويد وسويسرا والدنمرك وكندا والنرويج وفنلندا وإستونيا وإنجلترا وإيطاليا .

ولا يخفى على أحد الآثار الصحية السيئة والآثار الاجتماعية والاقتصادية الناتجة^[١] عن تفشى^[٢] شرب الخمر فى أى مجتمع من المجتمعات للأسباب التى سبق أن ذكرناها .

وقد عرف العرب فى الجاهلية شرب الخمر وكانوا يشربونها بإسراف ويتسابقون إلى مجالسها ويدحونها فى شعرهم : صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها

إن مسها حجر مسته سراء
وكان يصاحب مجالس الشراب
طعام من الذبائح التى ينحرونها على
الأنصاب وهى أصنام لهم كانوا يذبحون
عليها ذبائحهم وينضحونها بدمها
ويقسمون هذا الطعام بينهم فى مجالس
الشراب عن طريق الأزلام وهى قداح

للحصول على الراحة النفسية أكبر وقت ممكن وبذلك يعتاد الشراب وتبدأ الجرعات فى الزيادة حتى يصل إلى فقد كامل للذاكرة فى الصباح فينسى كل ما قاله أو فعله فى مساء اليوم السابق ويبدأ فى الشعور بالألم لشربه الخمر ويفقد السيطرة على نفسه ويتعرض للضغط من حوله بسبب شربه الخمر فيختلق المبررات والأعذار لشربها وأخيراً قد ينتهى به الحال إلى أن يتلف عقله ويصبح غير مكترث بمظهره ومهملاً لأسرته فلا يشعر بمسئوليته الاجتماعية ويصبح قاسياً فى معاملته لا ينجل من أى فعل يرتكبه بهذه كلها أعراض^[٣] مرض التسمم الكحولى - adapted toalehol الذى يعتبر أخطر ما يتعرض له شارب الخمر ، مرض التسمم الكحولى يجعل المصاب به فى حالة رغبة دائمة لشرب الكحول ولا يمكنه السيطرة على هذه الرغبة .

وهذا المرض غير مرتبط بالانتظام أو عدم الانتظام أو الاستمرار فى شرب الخمر ، فقد يصاب به من يشرب الخمر لأول مرة فى حياته وقد لا يصاب به من شربها واستمر على شربها مدة طويلة وبذلك فلا أمان إطلاقاً فى شرب الخمر ولو مرة واحدة .

بالخمر من تصنيع وتجارة وشرب وغير ذلك .

وقد أوضحت هذه الآيات الحكمة في تحريم الخمر ذلك أن الإسلام يفرض على الإنسان أن يكون متصلاً بالله دائماً مراقباً له في كل أعماله وخطواته وهذا يتطلب يقظة الجسم والعقل وصلاحيهما وأن شرب الخمر لا ينتج عنه إلا غيبوبة السكر وفساد الجسم والعقل معاً مما يهدد الحياة الاجتماعية والاقتصادية وينشر الضعف والفساد فلا يكون هناك أمان من الاعتداء على النفس والأعراض . هذا الاعتداء الذي لم تنتج منه أمهات وأخوات الخمورين - وفي محاضر الشرطة في مصر - ما يثبت العديد من هذه الحالات وأن المعتدى كان شارباً للخمر وقت الاعتداء .

ولذلك حرص الإسلام على تجنيب الإنسانية آثار هذا الشر المستطير الناتج عن شرب الخمر وذلك بإجراءين هامين :

الإجراء الأول : هو عدم رفع المسؤولية عن شارب الخمر عند ارتكابه لآية جرمية وهو تحت تأثير الخمر فإن شارب الخمر الذي يقتل أو يزنّي وهو تحت غيبوبة السكر غير راع لما يفعله يعاقب على جرميته كما لو كان واعياً تماماً ومدركاً لكل ما يفعل فكل ما يعاقب

مجلة الأزهر

يستقسمون بها الذبيحة فيأخذ كل من الجالسين نصيبه منها بحسب قلدحه فالذى قلدحه (المولى) يأخذ أوفر نصيب وهكذا تتناقص الأنصبة حسب قدح كل منهم .

وقد اعتاد العرب شراب الخمر في الصباح (عادة الصبوح) وبعد العصر وفي المساء (عادة الغبوق) .

وهكذا كانت مجالس العرب تضم الخمر والميسر وعبادة الأصنام في وقت واحد ولذلك نزلت الآيات (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون - إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون - وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) ، المائدة ٩٠ و ٩١ و ٩٢ .

وهذه الآيات صريحة في تحريم الخمر والتحذير من مخالفة الأمر باجتنابها وإن استعملت لفظ الاجتناب وليس لفظ التحريم ، ولفظ الاجتناب أعم وأشمل فالتحريم قد يقتصر على الشرب فقط أما الاجتناب فيشمل كل ما يتعلق

به الصاحي يعاقب به السكران وفي هذا تحذير كبير له لأنه لا يدرك ما سوف يفعله بعد سكره ، وقد رأينا كيف أن بعض السكارى فقد التمييز حتى وصل به الأمر إلى الاعتداء الجنسي على والدته أو أخته ولعل في هذا التحذير ما يجعله يفكر في عدم الاقتراب من الخمر . وأما الإجراء الثاني فهو : عقاب شارب الخمر لمجرد شربه لها حتى وإن لم يتأثر بالشراب ولم يفقد وعيه ولم يصدر عنه أى فعل ضار بالغير وسواء كان ما شربه قليلا أو كثيراً .

وحد شرب الخمر قد ثبت بالسنة النبوية حيث لم يرد به نص قرآني كباقي الحدود لقوله عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر فاجلدوه » .

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب شارب الخمر ولكن الفقهاء اختلفوا في مقدار الحد فقال أبو حنيفة ومالك والثوري وأحمد بن حنبل (في رواية عنه) : أنه ثمانون جلدة استناداً إلى أن هذا القدر حصل عليه إجماع الصحابة في عهد عمر .

وقال الشافعي وأحمد (في رواية عنه) : إن حد شرب الخمر أربعون جلدة لأن ذلك هو ما جرى عليه العمل في حياة

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث روى عن أنس بن مالك أنه قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب الخمر فضربه بالنعال نحواً من أربعين » .

ويرى بعض الفقهاء أن ما جرى عليه العمل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤيد الرأي القائل بأن حد شرب الخمر هو ثمانون جلدة لأن الضرب كان بنعيلين أربعين مرة فكان مجموع الضربات في الواقع ثمانين ضربة وهو ما حدا بالصحابة لأن يجمعوا في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه على القول بأن مقدار حد شرب الخمر هو ثمانون جلدة ، ونرى أن هذا الرأي هو الأصح ، لأن إجماع الصحابة في عهد عمر بن الخطاب وكلهم شاهد على ما جرى عليه العمل في عهد رسول الله أقوى في الدلالة على مقدار الحد ، من تفسيرات من أتى بعدهم من الفقهاء . وثبتت جريمة شرب الخمر بأربع وسائل :

الوسيلة الأولى : هي اقرار شارب الخمر بشربها ولا يشترط أن يتعدد الإقرار كما تتعدد الشهادة فيكون أن يكون الإقرار مرة واحدة ، وهذا ما يأخذ به مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد .

ويشترط فيمن ثبت ارتكابه لجريمة شرب الخمر عدة شروط حتى يمكن إقامة الحد عليه فإن انتفى أحد هذه الشروط لم يعاقب على ارتكابه هذه الجريمة بعقوبة الحد ، وإن كان يمكن معاقبته تعزيراً كما سيجيء بعد ذلك .

وأول هذه الشروط : هو أن يكون مكلفاً أى بالغاً عاقلاً فلا يقام الحد على الصغير ولا على المجنون أو المعتوه .

وثانى هذه الشروط : هو أن يكون قد شرب الخمر مختاراً فإن شربها مكرهاً فلا حد عليه سواء كان الإكراه تاماً (ملجئاً) أو غير تام (غير ملجئ) فإذا هدد بالضرب أو الجرح أو القتل أو إتلاف ماله فشرّب فلا حد عليه وتأخذ حالة الإضطراب نفس حكم حالة الإكراه ، فمن كان في حالة جوع أو عطش شديد ولم يجد أمامه إلا الخمر فشرّبها ليدفع عن نفسه الهلاك فلا حد عليه لقوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) ، البقرة ١٧٣ فالضرورات تبيح المحظورات وإذا انتفى الإثم فلا حد .

ويشترط أخيراً أن يشرب المسكر وهو عالم بأن كثيره مسكر وإن كان قليله غير مسكر فإن كان لا يعرف ذلك ولم ينبه

وأما الوسيلة الثانية فى إثبات جريمة شرب الخمر : فهى شهادة الشهود . وقد اشترط الفقهاء فى هذه الحالة ألا يقل عدد الشهود عن رجلين اثنين ويشترط فى كل شاهد أن يكون بالغاً عاقلاً وعدلاً أى غير فاسق والقاعدة أن كل مسلم عدل حتى يثبت عليه الفسق . ويرى ابن تيمية وابن القيم قبول شهادة غير المسلم على المسلم فى كل ضرورة كما يذهب ابن حزم بجواز قبول شهادة النساء ونرى الأخذ برأى ابن تيمية وابن حزم فلا يشترط إسلام الشاهدين والاكتفاء بشهادة رجل واحد وامرأتين تيسير الإثبات هذه الجريمة الخطيرة والشائعة .

أما الوسيلة الثالثة من وسائل إثبات شرب الخمر : فهى وجود رائحة الخمر فى فم الشارب أو فى قيئه .

والوسيلة الرابعة : هى وجود الشارب فى حالة غيبوبة السكر .

وهاتان الوسيلتان يمكن أن يعبر عنهما بحالة التلبس بارتكاب الجريمة لأنهما غالباً تتلوان الشرب بفترة قصيرة وعلى الشارب إثبات أنه شرب الخمر فى هذه الحالة للضرورة أو نتيجة للإكراه الملجئ أو عن جهل بأن ما شربه خمر حتى يدرأ عن نفسه الحد .

ونرى أن رأى الجمهور هو الأصوب وهو الواجب الأخذ به لأن جريمة شرب الخمر يتأثر بها في المجتمع الإسلامي المسلم وغير المسلم ولا يمكن أن نترك المسلم في بلد إسلامي يتعرض للمخاطر الناجمة عن سكر غير المسلم، فالسكران عند اعتدائه على الغير لا يستطيع أن يفرق بين مسلم وغير مسلم في عدوانه ولا يلبق بالبلد الإسلامي أن يترك الخمر تشيع في أرجائه حرصاً على إرضاء نزوات غير المسلمين مع ما في ذلك من ضرر بليغ بالمسلمين أنفسهم وتيسير لهم على ارتكاب هذه الجريمة .

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن حد جريمة شرب الخمر وننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن جرائم البغي وقطع الطريق والردة .

المستشار / حسن حسب الله

إلى ذلك فإنه لا إثم عليه ولا حد ما دام لم يعلم ولم يكن في إمكانه أن يعلم .
وقد ذهب الإمام أبو حنيفة وأصحابه إلى عدم إقامة الحد على غير المسلمين المقيمين في بلد إسلامي إستناداً إلى أن الخمر مال مقوم عندهم وشربها مباح في شرائعهم وأنا أمرنا بتركهم وما يدنون ، وذهب بعض الحنفية إلى أنهم إذا شربوا وسكروا فإنه يقام عليهم الحد كعقاب على السكر وليس على الشرب .

وعلى خلاف الحنفية فإن جمهور الفقهاء يرون إقامة الحد على غير المسلمين المقيمين في البلاد الإسلامية لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ولأن الخمر محرمة في كل الأديان السماوية وأن تحريمها هو لحماية المجتمع من الفساد وذلك يسرى على جميع الذين يعيشون بين المسلمين .



التوجيه الإسلامي لعلم النفس

الدكتور فؤاد أبو حطب

(١)

مقدمة :

لعل علما من العلوم الإنسانية أو السلوكية أو الاجتماعية لم يلق من الهجوم من أطراف عدة ما لقيه علم النفس ، وكانت أشد هذه الحملات ضراوة في السنوات الأخيرة تلك التي صدرت عن فريق من الكتاب المسلمين ، ومع ذلك لم يجد هذا العلم من رجاله - كما وجدت العلوم الأخرى كالاقتصاد والاجتماع - من يرد أو يصد أو يدافع .

وقد أتيح لكاتب هذه السطور أن يطلع على قدر لا بأس به من كتابات النقاد الإسلاميين لعلم النفس ، كانت حافزاً لتأمل ميدان هذا العلم - الذي يعتز بالانتماء إليه درساً وتدريساً - منذ سنوات قبل تلقى هذه الدعوى الكريمة

للمشاركة في هذه الندوة الجلية * ، ثم كان اشتغال المؤلف بتدريس علم النفس بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة خلال الفترة بين عامي ١٩٧٣ - ١٩٧٧ حافزاً أكبر لمزيد من التأمل . وطوال هذه السنوات كان الكاتب يشعر مع زيادة الاهتمام والاندماج في موضوع « الإسلام وعلم النفس » مشقة المسألة ووعورة الطريق ، ولولا ما وجدته المؤلف خلال السنوات الأربع التي قضاهـا بمكة المكرمة من أمل عظيم من قلة من الزملاء ونخبة من الطلاب (وبخاصة في الدراسات العليا) لطالت فترة التأمل ولازداد الشعور بصعوبة

* ندوة (علم النفس والإسلام) التي وجهت جامعة الرياض للدعوة إلى عقدها خلال شهر ذو القعدة ١٣٩٨ - أكتوبر ١٩٧٨ ، وقد أقيمت بالفعل في الفترة من ١٤ - ١٨ أكتوبر ١٩٧٨ وحضرها المؤلف وألقى فيها هذا البحث .

العمل ليصل إلى حد الإحساس بالعجز أو المقاومة .

القسم الأعظم منها لأسس توجيه علم النفس توجيهًا إسلاميًا .

وكان الخروج من المأزق - عند المؤلف - في عام ١٩٧٥ مع صدور العدد الأول من مجلة جامعة الملك عبد العزيز التي كتب فيها دراسة عن « الإدراك السمعي والبصري في ضوء القرآن الكريم (٣٨) » - ووعد أن تكون بداية لسلسلة من البحوث النفسية في ضوء كتاب الله ، وبالفعل كتب دراسة أخرى عن « التوسط والاعتدال في سلوك الإنسان » في إطار هذه الوجهة للنشر في العدد الثاني من نفس هذه المجلة (٣٩) .

ثم كانت دعوة جامعة الرياض لحضور ندوتها عن « علم النفس والإسلام » والاشتراك ببحث فيها فكانت أكبر الحوافز لتناول الموضوع من منظور أكثر عمومية وشمولاً هو ما نسميه « التوجيه الإسلامي لعلم النفس » وكانت هذه الدراسة التي وجدنا من الملائم أن نبدأها بمناقشة بعض الانتقادات الموجهة إلى علم النفس

من الكتاب الإسلاميين ، ثم عرض ناقد للاتجاهات المختلفة في بناء « علم نفس إسلامي » وسنخصص بعد ذلك

حجج نقاد علم النفس - تحليل ومناقشة :
يمكن أن نلخص حجج نقاد علم النفس من وجهة نظر إسلامية فيما يلي ° :

١ - أن علم النفس ليس علماً بالمعنى المتعارف عليه للعلم ، بل لا تنطبق عليه شروط العلم الواجبة وأهمها اليقين والموضوعية . وهى شروط العلوم الطبيعية وقد ردد هذا النقد كثيراً الدكتور مصطفى محمود (٥٤: ٥٥) ، كما ركز عليه الدكتور : اسماعيل راجى الفاروقى (٦١) في إطار رفضه العام للعلوم « الاجتماعية » ودفعه إليها جميعاً بأنها علوم زائفة False .

٢ - غلبة الاتجاه المادى على علم النفس بحيث جعله يتصور « النفس الإنسانية » تصوراً مادياً ، فهى مجموعة « غرائز » تتطلب الإشباع المادى المباشر . والإنسان في إطار هذه النظرة المادية

• قد يكون أكثر هؤلاء النقاد شهرة الكاتب الأديب الذائع الصيت الدكتور مصطفى محمود فى كتبه الخفيفة ومقالاته فى الصحف السيارة ، وقد ضمنا حججه مع حجج الآخرين هنا ، وسوف نشر إليها فى موضعها إذا تطلب الأمر ذلك .

وقبل أن نبدأ بتحليل هذه الحجج ومناقشتها لدينا حكم عام عليها بأنها من نوع خلاصة «قراءات خارجية» من غير أهل الاختصاص . وفي مجملها لا تتفق مع كثير مما هو شائع وموطد ومستحدث في علم النفس وفي نظرية المعرفة «الايستمولوجيا» ، لذلك فهي في رأينا تستحق وقفة موجزة لضيق المقام .

ونبدأ بمناقشة هذه الحجج بالتتابع الذى عرضناها به فنقول : إن رفض علم النفس لأته - كما يقال - لا تنطبق عليه شروط العلم الواجبة كاليقين والموضوعية حجة متخلفة . وحسبنا أن نشير إلى أن مفاهيم اليقين والموضوعية فى الايستمولوجيا المعاصرة - تتعرض لتطور كبير إلى حد يدفعنا إلى القول بأنه لا يوجد فرع من فروع العلم التجريبي - ومنه العلوم الفيزيائية - يؤدي إلى المعرفة اليقينية . ولا توجد ملاحظة بشرية معصومة من الخطأ Infallible . وكل ما نطمح إليه فى العلوم التجريبية فى الوقت الحاضر أن يكون ما يقرره الملاحظ أكثر احتمالاً فى ضوء ما يمكننا أن نستنتجه من دقته وثباته فى الملاحظة ومن غير ذلك من الحقائق المتصلة بعملية الملاحظة .

مدفوع دائماً بقوى لا معقولة ، ومغلوب على أمره ، تصدر عنه أفعال قهرية ، وكل ما يملكه العقل من « حيل » هو تبرير هذه الأفعال ، أو البحث عن وسائل مقبولة لإشباعها ، أو التسامى بها ليزاؤها بصورة أجمل (٥٥) .

٣ - معظم النتائج التى توصل إليها بعض أصحاب الاهتمامات النظرية فى علم النفس - وعلى رأسهم فرويد - استخلصت من الحالات المرضية ثم عُمِّمَت على حالات الأسوياء . وبنيت نماذج نظرية كاملة فى هذا الإطار الزائف (٨ ، ٥٥) .

٤ - علم النفس التجريبي هو أيضاً كذبة كبرى - على حد تعبير الدكتور مصطفى محمود (٥٤ ، ٥٥) : لأن النفس - كما يقول أيضاً - «ذاتٌ كُليَّة» ولا يمكن تحويلها إلى موضوع أو تشريحها تحت المهجر ، وهى بالتحليل والتشريح تصبح شيئاً آخر غير النفس الحية المطلوب فهمها ، والنفس بطبيعتها تتقلب وتستخفى على التجريب ، وإذا اقتطعت من النفس جانباً فى عملية التحليل فإن ما تراه لا يكون هو النفس ، لأن النفس كل لا يقبل التجزئة وواحد لا يقبل القسمة (٥٥) .

الكتاب في دعوتهم إلى « الغاء » علم النفس بسبب لا موضوعيته وإلى « بناء » علم نفس إسلامي في وقت واحد ، فهل يعنى ذلك أن دعوة البناء عندهم تتضمن أن يقوم « علم النفس الإسلامى » على الأسس الموضوعية للعلوم الطبيعية ما دام علم النفس لا تتوافر فيه هذه الأسس ؟

إن الإجابة على هذا السؤال ليست بالإيجاب قطعاً . وكل ما نستخلصه من من كتابات النقاد الذين استخدموا هذه الحجة بإسراف شديد أنهم يرفضون «الوجهة الوصفية الإمبريقية» Positivistic Empirical approach التى تغلب على علم النفس الحديث ، وهو موقف يوافقهم عليه معظم الكتاب المحدثون في علم النفس وفي نظرية المعرفة ، ومنهم أقطاب وصفيون وإمبريقيون قدامى لهم باع طويل من أمثال كارناب وبردجمان ، ويكفي أن نشير إلى الاهتمام المعاصر بالعوامل « الشخصية » و « الذاتية » في المعرفة كالحساسية والتميز والاستبصار والحكم الشخصى والحدث بالاضافة إلى ما يسميه بولانى بالمعرفة الضمنية والاندماج Indwelling وما يدعو إليه بردجمان — مؤسس الإجرائية — من عودة للاهتمام بالاستبطان .

والرفض بحجة اللاموضوعية واللايقين في علم النفس له تاريخ قديم وكان رد الفعل إزاءه عنيفاً ، وأشهر نماذجه التطرف السلوكى في أطواره المتعددة ابتداء من راطسون ثم كلارك هل وحتى السلوكية المعاصرة . وقد ناقشنا هذا الاتجاه في موضع آخر ، وبيننا آثاره في علم النفس الحديث ، ومعظمها آثار سلبية يصل بعضها إلى مستوى « المحنة » وليس أقلها اهتمام هذا العلم — في إطاره السلوكى — بالصورة الدنيا والبسيطة من السلوك ، وإهمال النشاط العقلى المعرفى للإنسان .

وبالطبع فإن هذه الحجة عند نقاد علم النفس من الكتاب الإسلاميين لا يقصد بها الدعوة إلى مزيد من التطرف « الموضوعى » كما فعل السلوكيون وأشباعهم ، وإنما تتضمن نوعاً من الحكم « بالإعدام » على هذا العلم ، ما دامت تعوزه الموضوعية وما دام لا يستطيع تحقيقها ، وقد أشرنا إلى تهافت هذه الحجة في ضوء طبيعة الملاحظة في العلم عامة ، ونشير إلى تهافتها أيضاً في ضوء التناقض الذاتى الذى وقع فيه بعض

* راجع دراستنا عن الساركية في علم النفس . مجلة عالم الفكر ، الكويت سبتمبر ١٩٧٢ .

الطبيعية - ومضمونها الإلحادى - هى التى دعت فريقاً من العلماء المسلمين إلى محاولة إعادة كتابة علومهم من جهة نظر إسلامية ، ورفض بعض إدعاءات هذه العلوم ؟ مثل مبدأ أزلية المادة والطاقة ، ونسبة كل شئ فى الكون إلى الطبيعة وقوانينها ، ومحاولة تفسير التدرج فى عمران الأرض على أنها عملية مادية تلقائية بحتة (التطور المادى - التطور الكيميائى - التطور العضوى) . وقد بذلت جهود جادة فى هذا الصدد لا يتسع المقام لتناولها وخاصة فى ميدان الجيولوجيا والفسياولوجيا والطب .

أما الحجة الثالثة والتى تركز خاصة على فرويد فليست من الحجج الجديدة على ميدان علم النفس ذاته ، فأراء ، فرويد وأتباعه - بل وآراء أصحاب مدرسة التحليل النفسى عامة - تواجه بالنقد العنيف داخل الإطار السيكلوجى ذاته ، وتتسع دائرة هذا النقد ابتداء من فرويد شخصاً وشخصية (٢٠) حتى التحليل النفسى مدرسة ومنهجاً وفلسفة حياة (١٠) .

ومن الأمور الملفتة للنظر حقاً هذا الجمع الغريب بين التحليل النفسى وعلم النفس على نحو يكاد يجعل منهما

والحجة الثانية التى يطرحها نقاد علم النفس هى غلبة المادية عليه . ومن الطريف أن أحد هؤلاء النقاد (٥٥) يقبل العلم « الطبيعى » بمنجزاته الصناعية والتكنولوجية ، فهذا العلم فى رأى « محايد » والحقائق العلمية من هذا النوع « واحدة » . ولا ندرى كيف غاب عنه أن المادية فلسفة حياة ، وإذا كانت قد تركت بصماتها صريحة - بحيث استطاع إدراكها - فى علم النفس وغيره من العلوم الإنسانية ، فإن « جراثيمها » مضمرة فى العلوم الطبيعية التى يقبلها ويتحمس لها ، ولا ندرى كيف لا يدرك هذا الناقد وغيره ما أحدثته منابع العلم الطبيعى ومراجعته الأصلية « المحايدة » - كما يقول - من صراع بين « الدين » و « العلم » لدى المسلمين من المثقفين والعامة . وقد أشار إلى هذه المسألة أحد علماء الجيولوجيا المسلمين المعاصرين (١٦) حين حلل مصادر التحدى الحضارى الذى يتعرض له المسلمون اليوم ، وخص منها « ما يحملة تيار العلم - الوافد إلينا من الغرب ومن الشرق - من خلفية إلحادية واضحة فى طياته جعلت من الكفر بكل ما هو غير مادى سمة هذا العصر » .

ثم أليست سيطرة المادية على العلوم

في دراسة النفس لأن دراسة الكون والإنسان واكتشاف سنن الله وتأمل آياته فيهما من أعظم الأدلة على إبداعه سبحانه وتعالى وقدرته في خلقه . وعلى هذا النحو يمكن لعلم النفس - كأى علم تجريبى آخر أن يكون « مادياً » مغرقاً في ماديته - كما حدث بالفعل له ولغيره من العلوم الإنسانية بل وللعلوم الطبيعية كما بينا ، كما يمكن أن يوجه وجهة إسلامية كما سنحاول أن نفعل في هذه الدراسة .

أما عن رفض منهج « التحليل » فليس أمراً جديداً في السياق السيكلوجى ذاته ، وتاريخ الصراع بين المدرسة التحليلية والمدرسة التركيبية الكأية (والتي سميت أحياناً بمدرسة الجشطالت . وأحياناً أخرى بمدرسة المجالين) تاريخ معروف مألوف للمتبدئ في علم النفس . وأيست الحجج التي سقت - وأشرنا إليها آنفاً - بجديدة على الميدان ، إلا أن الخطأ الذى وقع فيه أصحاب هذا الجدل بأطرافه جميعاً هو التزامهم الصارم بأحد أطراف ثنائية التحليل - التركيب دون محاولة التأليف الابتكارى بينهما ، وهو منهج إسلامى في جوهره . وقد سبق للمؤلف (٣٦) أن ناقش هذه المسألة بشئ من التفصيل ، وحسبنا هنا أن نقول

صنوين . بل إن الأمر يصل أحياناً - داخل الكتابات السيكلوجية المتخصصة ذاتها إلى حد التوحيد بينهما ، فما بالك بغير المتخصصين . وربما تكون لشهرة فرويد وانتشاره الهائل أسباب ثقافية وحضارية ، بل وأيديولوجية لا يتسع المقام لتفصيلها ، إلا أن هذا لا يعنى أن يصمت علماء النفس من العرب والمسلمين على هذا التشويه شبه المتعمد لميدانهم وتحويله إلى بؤرة للدعاية الرخيصة لاهم لها إلا الجنس عند فرويد ويهوديته بل وصهيونيته ، مما يصل بهم إلى حد الشلل الكامل أو العجز المطلق ما دام يربط هذا كله على نحو تعسفى بعلم النفس ، وأخيراً فإذا في علم النفس التجريبى ؟ إن المنهج التجريبى الذى يؤكد لعلم النفس « علميته » لا يتعارض بحال مع قيم ومبادئ وتعاليم الإسلام ، فالإسلام قد دعا إلى البصر فى النفس ودراستها . وفى كثير من المواضع التي أشار فيها القرآن الكريم إلى التفكير فى آيات الله فى الكون أشار أيضاً إلى التفكير فى آيات الله فى النفس . وهذا فى رأينا دعوة صريحة فى كتاب الله تعالى إلى استخدام نفس منهج دراسة الكون

أو الشخص الذى يلاحظه أو تصفه وصفاً كاملاً ، ومع هذا فإن ذلك ليس سبباً كافياً لرفض المنهج التحليلي ، لأن ملاحظاتنا يمكن أن تصل إلى قدر كاف من الشمول إذا توافر لدينا الجهد والوقت .

وفى جميع الحالات يجب أن يتبع الباحث منهجه التحليلي بنظرة تركيبيّة بنائية تكاملية ترسم « البروفيل » النفسى الذى يربط بين مختلف الخصائص والسمات حتى يحدد « النمط الكلى » الفريد لهذه السمات » والذى يميز الشخص أوالشخصية . والباحث النفسى هنا يشبه الفنان الذى يرسم صورة مجمعة Identific وهى عادة ما تكون صورة لشخص غير محدد يرسمها الفنان - اعتماداً على السمات أو الصفات التى يشهد الشهود أنها تشبهه . ويتطلب هذا بالطبع دقة فى استخدام منهج التحليل أولاً ليزود الفنان بمجموعة كافية من التفاصيل والأجزاء . وتتوقف درجة اقتراب الصورة المجمعة من الحقيقة الموضوعية الخارجية على مقدار هذه الأجزاء والتفاصيل ودرجة الدقة فى وصفها . وبالمثل فإن دقة وصفنا « للنمط الكلى » الفريد للسمات - وهو تعريف الشخصية كما يستعمله المؤلف (٣٦) يتوقف

إن الملاحظة باعتبارها جوهر « العلم التجريبي » الذى يحض عليه الاسلام ، هى عملية تحليلية فالاشخاص - كالأشياء لا تعرف إلا بخصائصها وسماتها ، كما أنها لا تتميز إلا بأضدادها . فنحن نصف الشيء بأنه مستدير أو حاد أو ثقيل أو بهذه الصفات جميعاً . وبالمثل فإننا نصف الشخص بأنه يستجيب بسرعة أو بعنف أو بدقة أو بغير ذلك من الطرق .

والخصائص أو السمات هى تجريدات نصل إليها بتحليل الكليات وتجريد إحدى السمات من كلية معينة لا يؤثر فيها ، لأنها تظل ثابتة محتفظة بكيانها الكلى الذى هى عليه قبل التحليل . فوصف البرتقالة بأنها صفراء اللون ، سكرية الطعم ، كروية الشكل لا يقضى على « كيان » البرتقالة ككل ، أو على « وجودها » المتميز بذاته ، وكذلك فإن وصف الشخص بأنه عدوانى فى انفعالاته ، متوسط فى ذكائه ، عملى فى ميوله ، محافظ فى اتجاهاته لا يؤدى إلى تجزئة « الشخصية » أو القضاء على « وجود » الشخص ككل .

ولا يستطيع أحد أن يزعم أن تجريداته مهما تعددت وتنوعت تستغرق الشيء

على كفاية منهجنا التحليلي في تحديد هذه السمات .

اتجاهات في بناء « علم نفس إسلامي » :

يتبين لنا مما سبق قصور الجهود التي تسعى إلى استبعاد علم النفس أو رفضه ، والأفضل من ذلك بذل محاولات تحدد موضع هذا العلم في النسق المعرفي الإسلامي العام . وقبل شيوع الانتقادات السابقة لعلم النفس ، بل وقبل ظهور علم النفس الحديث ذاته ، اهتم علماء المسلمين بهذه المسألة ، ويمكن أن نصنف اتجاهاتهم في هذا الصدد إلى ما يأتي :

١ - بناء علم نفس « ديني » إسلامي :

وأول من دعا إلى هذا الاتجاه المرحوم الدكتور أحمد فؤاد الأهواني عام ١٩٦٣ (٥) بل نكاد نقول إن الأهواني هو أول من استخدم عبارة « علم النفس الإسلامي » على نحو ما يقال بوجود علم نفس بوذي أو يهودي أو نصراني « لاختلاف خصائص كل دين من هذه الأديان » .

وهذا الاتجاه في رأينا محاولة لبناء فرع إسلامي لعلم النفس شبيه بما يسمى

علم النفس الديني Psychology of religion والذي ظهر وتشعب في أوروبا والولايات المتحدة ، ابتداء من الكتابات المسيحية المبكرة والعصر المدرسي في العصور الوسطى ، وعصر الإصلاح الديني في أوروبا ، ثم ارتباطه بنشأة علم النفس الحديث عند فوندت والذي شملت بحوثه في سيكولوجية السلالات البشرية اهتماماً بالدين يجعله أقرب إلى أصحاب المدرسة الوضعية في علم الاجتماع (ومنهم إميل دوركايم وإيني بريل في بحوثهما في علم الاجتماع الديني) .

وقد تتابعت بعد ذلك كتابات علماء النفس الأوروبيين والأمريكيين حول « الخبرة الدينية » وكان أشهر هذه الأعمال كتاب ولیم جیمس W. James الذي صدر عام ١٩٠٢ بعنوان Varieties of religious experience ثم كتاب برات Pratt الذي صدر عام ١٩٢٠ بعنوان The religions consciousness بل إنه لا تكاد توجد مدرسة رئيسية في علم النفس إلا وتناول أقطابها ما يسمى علم النفس الديني ، ومن هؤلاء فرنسيس جالتون وأصحاب مدرسة فوزبرج ورواد التحليل النفسي (ومنهم فرويد ويونج) وغيرهم ، ويمكن الرجوع إلى

بعض المصادر المتخصصة لاستطلاع تاريخ هذا العلم واهتماماته الأساسية (٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦) .

وهذا الاتجاه نحو بناء « علم نفس دينى إسلامى » قد يكون مفيداً إلا أنه ليس كافياً ، لأن التركيز على « الظاهرة الدينية » لا يتفق مع خصائص الإسلام الذى لا يضاد بين « الدين » و « الدنيا » ومعنى ذلك أننا - كعلماء نفس مسلمين مطالبون بما هو أكثر من

مجرد إنشاء فرع جديد لعلم النفس نسميه علم النفس الدينى الإسلامى ؛ إنما - فى الحق - مطالبون بالنظر إلى علم النفس من منظور شمولية الإسلام ليصبح هذا العلم الذى يشمل مختلف جوانب سلوك الإنسان الدينية والدنيوية موجهاً وجهة إسلامية .

دكتور / فؤاد أبو حطب



« من كلمات خليفة رسول الله أبى بكر الصديق »

- أولى الناس بالله أشدهم تولياً له .
- الصديق أمانة والكذب خيانة .
- إن عليك من الله عيوناً تراك .
- اهدم الكفر بعضه ببعض .
- ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى والنكث والمكر .
- حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلًا ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً .



أخطاؤنا لله

الأستاذ / عباس أبو السعود

الله صلى الله عليه وسلم لحله وحرمة أى عند إحرامه والحرام ضد الحلال ومنه قوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) ومثله الحرم بالكسر وزن الشرّك ، وقرئ به قوله سبحانه (وحرّم على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) وقولك حرام الله لا أفعل كذا قسم كقولك يمين الله لا أفعل كذا .

ويقال : حرّم الشيء يحرم حرمة بالضم ، وحرّمه الشيء يحرمه حرماً بكسر الراء فيها مثل سرّقه يسرقه سرّقا .

والغلطة الأخرى : كلمة بداية ، إذ لم ترد في العربية ، والصواب أن يقال : بدء العام الهجرى أو بدأته ، أو بداءته بنصبين أو مبتدؤه بضم الميم ، كما قالوا كان ذلك في بدء الإسلام ومبتدئه أو يقال : أول العام الهجرى أو صدره .

٤٥٣ - وكتبت صحيفة الأخبار في

٤٥٢ - في صحيفة الأهرام عنوان هو (غداً الأحد أول محرم بداية العام الهجرى الجديد) :

وهذا العنوان على الرغم من قلة كلماته به غلطان ، إحداهما : أنها قالت : محرم بدون آل وهذا ضلال بعيد ، والفصحح أن اسمه المحرم بأداة التعريف ، وإنما أدخلتها العرب عليه لمحا للصفة في الأصل ، وجعلته علماً بها كما فعلت مثل ذلك في النجم وهو الكوكب ، والدبران بالتحريك وهو منزل للقمر ، والمحرم أيضاً من الإبل هو الذلول الوسط الصعب التصرف ، وكذلك هو الأعرابي الذى لم يخالط الحضرة ، جمعه محارم ، ومحاريم ومحرمات والأشهر الحصرم : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد ، والحرم وزان القفل هو الإحرام ، قالت عائشة رضى الله عنها : كنت أطيب رسول

(إنا أعطيناك الكوثر) وقد يحذف أحد المفعولين للعلم به ، فمن حذف الأول قوله سبحانه (حتى يعطوا^(١)) الجزية عن يد وهم صاغرون) ومن حذف الثاني قوله (ولسوف يعطيك^(٢)) ربك فترضى) وقد يحذف المفعولان معاً للعلم بهما كما في قوله (فأما من أعطى^(٣)) واتى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) .

٤٥٤ - في صحيفة الأهرام عنوان كتبه بخط عريض وقالت فيه :

(إيطاليا تهدي وزير البترول قلاذتها)
وهذا العنوان يشوبه الخطأ ، لأنها جعلت الفعل تهدي ناصباً مفعولين ، وهو لا ينصب إلا مفعولاً به واحداً ، تقول : أهديت لفلان أو إلى فلان كذا ، فكان عليها أن تقول : إيطاليا تهدي لوزير البترول أو إلى وزير البترول قلاذتها .

والهدى بزنة العدل ما يهدى إلى الحرم من النعم ، والهدية ما أتحف به جمعها هدايا ، وهداوى وتكسر الواو ، وهداؤ بتنوين الواو مكسورة .

(١) حتى يعطوا الجزية : أى يعطوا ما تقرر عليهم .

(٢) يعطيك ربك كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين .

(٣) أعطى واتى : أعطى الله طاعته واتى بمعنيته .

صدر صفحتها الأولى (لن نلتزم بأى تعهد تعطيه أية دولة لإسرائيل) وفي هذه العبارة أغلوطنان: إحداهما أنها عدت الفعل نلتزم بالباء ، والحق أنه يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد لأنه مطاوع لفعل يتعدى إلى مفعولين ، تقول : أزمته الشيء فالترمه ، ويؤيد ذلك قوله تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) وقوله (وأأزمهم كلمة التقوى) وقوله (أنأزمكموها) أما الذى يجوز أن يتعدى بنفسه وبالباء فهو الثلاثى تقول : أزمته الشيء لزوماً ، ولزمت به، وأما ما كان بزنة فاعل فلا يتعدى إلا إلى واحد تقول : لازمته ملازمة إذا تعلقت به ويقال : التزمت الشيء إذا تعلقت به واعتنقته فهو ملتزم بصنيغة اسم المفعول ، ومنه يقال لما بين باب الكعبة والحجر الأسود : ملتزم ، لأن الحجاج يعتنقونه ويضمونه إلى صدورهم . ويقال : صار الشيء ضربة لازم ، وصار ضربة لازب أى لازماً ثابتاً : واللزوب اللصوق .

والأغلوطة الأخرى : قولها تعطيه ، لإسرائيل بتعدية تعطى إلى المفعول الثانى باللام والصواب أن هذا الفعل يتعدى إلى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى

وسميت هدية لأنها تقدم غالباً في مهدي بالكسر وهو الإناء يهدي فيه ومن يهدي يسمى مهدياً بالكسر والمد، سواء أكان رجلاً أم امرأة .

ويقال : فلان يهدي للناس بتشديد الدال مكسورة إذا كان كثير الإهداء قال أبو خراش :

لقد علمت أم الأديب أنني أقول لها هدي ولا تذخري^(١) لحي وتقول : هديت العروس إلى زوجها هدياً بكسر الهاء إذا دللتها فهي هدي وهديّة ويبنى للمفعول فيقال : هديت العروس فهي مهديّة ، هذه لغة تميم . أما قيس عيلان فيقولون : أهدينا العروس إلى زوجها إهداء أي جعلناها هدية فهي مهداة .

ويقال أهديت لفلان كذا بالألف إذا بعثت به إليه فهو هدية ، وأهديت الهدى إلى الحرم إذا سقته إليه .

ومن معاني الهدى السيرة ، تقول : ما أحسن هدى فلان أي ما أحسن سيرته ، وهدي هدي فلان أي سار سيرته ، وفي الحديث « واهدوا هدى عمار »

فيقال أيضاً : ما أحسن هدية فلان

(١) تذخري : تدخري .

بكسر الهاء وفتحها أي ما أحسن سيرته . ٤٥٥- كتبت صحيفة الأهرام تقول على لسان رئيس الجمهورية :

(لو بعث إلى كارتر بما لا يوافق آراءنا سأقول له : لن أذهب إلى جنيف) .

والفصيح أن يقال : لو بعث إلى كارتر بما لا يوافق آراءنا لقلت له : لن أذهب إلى جنيف ويؤيد هذا قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وقوله (ولو أراكمهم كثيراً لفشتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم) .

وقوله (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقوله (ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها) وقوله (ولو شئنا لطمسنا على أعينهم) وقول توبة :

فلو أن لبلى الأخيلية سلمت على ودوني جندل^(١) وصفائح^(٢) لسلمت تسليم البشاشة^(٣) أوزقا^(٤) إليها^(٥) صدى من جانب القبر صائح

(١) الجندل : الحجارة .

(٢) الصفائح : صفائح الباب : ألواح .

(٣) البشاشة : طلاقة الوجه وفرح الصديق

بصديقه .

(٤) زقا : صاح :

(٥) الصدى : ما يجيبك بمثل صوتك .

نسبه من نسبه وهو الجانب والناحية
تقول : أقام فلان في شق من الدار ،
وهو المشقة كما في قوله تعالى (وتحمل
أنفالكُم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق
الأنفس) .

والشقة بالضم والكسر البعد والناحية
يقصدها المسافر والسفر البعيد ، ومنها
قوله عز شأنه (لو كان عرضاً قريباً
وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت
عليهم الشقة) جمعها شقق كصرد ،
وشقق كعنب .

والشقاق بالكسر الخلاف والعداوة
تقول : بين فلان وجاره شقاق ، ومنه
قوله تعالى (وإن تولوا فلإنما هم في شقاق) .

٤٥٧ - ويخطئ كثير من المثقفين
حينما يقولون : فلان مستهتر بكسر التاء
الثانية يعنون أنه يبيع لنفسه ما لا يباح
والصواب فتح هذه التاء لأن كلمة مستهتر
لا تكون إلا اسم مفعول من فعل مبنى
للمجهول دائماً ، ولها معان مختلفة
أوردها ابن منظور في لسان العرب ،
ملخصها ما يأتي :

١ - يقال : رجل مستهتر لمن لا يبالي
ما قيل فيه ، ولا ما قيل له ، ولا ما شتم به .
٢ - ويقال فلان مستهتر بالشراب
أو بلعب الميسر إذا كان مولعاً به ، وفي

٤٥٦ - قرأت في صحيفة الأهرام
عنواناً هو (نيمرى يعلن عودة المنشقين)
وكلمة المنشقين تعني الصحيفة بها من
خالفوا الرئيس السوداني وخرجوا عن
طاعته وصاروا له خصماء ، وهذا خطأ
لأن الانشقاق لا صلة له بهذا المعنى ،
وإنما له معنى آخر هو أن تحدث في
الشيء المنشق فرجة ، كما أن المنشق
لا يكون إلا من غير الأناسي ، إذ تقول :
شق الرجل الرغيف شقا من باب رد
فانشق بالفعل المطاوع فالرغيف انشق ،
وشق الولد البطيخة فانشقت فهي منشقة
والقمر ينشق في قوله تعالى (اقتربت
الساعة وانشق القمر) والسماء منشقة في
قوله (فإذا انشقت السماء فكانت وردة
كالدهان) وقوله (وانشقت السماء فهي
يومئذ واهية) والأرض منشقة في قوله
سبحانه (تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الأرض) .

ومن المجاز قولك : شق فلان عصا
المسلمين إذا خالفهم ، وانشقت العصا
بينهم إذا تفرقوا أما الشق بالكسر وقد
يفتح فهو نصف الشيء ، تقول : المال
بنى وبين أخى شق الشعرة أى نصفان
سواء ، وكذلك هو الأخ ، تقول :
هو أخى وشقيقى وشق نفسى ، كأنه شق

حديث ابن عمر رضى الله عنه « اللهم إني أعوذ بك أن أكون من المستهترين »
 ٣ - ويقال : استهتر فلان بالبناء للمفعول فهو مستهتر إذا كان كثير الأباطيل لأن المتر هو الباطل .

٤ - والاستهتار أيضاً هو الولوع بالشيء والإفراط فيه ، والمستهترون ينتح التاء هم المولعون بالذكر والتسبيح من حديث نبوى ، وفي حديث آخر « هم الذى استهتروا بذكر الله » أى أولعوا به .

٥ - ويقال : استهتر فلان بكذا إذا أولع به ، وقد أهر بفلانة واستهتر بها إذا فتن بها وأولع ، مما عرضنا استبان أن مستهتر لابد أن تكون بصيغة اسم المفعول وأنها تستعمل كثيراً فى المعنى الشائع أى فى الأحوال المكروهة ، كما فى أمثلة الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، وتستعمل أيضاً بمعنى الولوع بالشيء والإفراط فيه ولو كان حسناً كما فى مثالى الرقمين ٤ ، ٥ .

٤٥٨ - أثبتت صحيفة الأهرام فى صفحتها الأولى عنواناً قالت فيه :

(محاولة إسرائيلية جديدة لإعاقة السلام)

تعنى به صرف السلام وتثييطه وحجسه وهذا التعبير خطأ ، والفصحح أن يقال : لعوق السلام ، أو اعتياقه ، أو تعويقه

فقد قالت العرب : عاقه يعوقه عوقاً من باب قال إذا حبسه وثبطه ، ومثل ذلك اعتاقه اعتياقاً ، وعوقه تعويقاً واسم الفاعل من هذا مُعَوِّق بضم الميم وزان مُنْظَمٌ ، ومنه قوله جل شأنه (قد يعلم الله المعوقين منكم) .

ويقال : أخرنا عن لقائك عاققة من عوائق الدهر وهى الشواغل من أحداثه قال أبو ذؤيب :
 ألا هل إلى أم الخويلد مرسل

بلى خالد إن لم تعقه العوائق والتعويق التثييط ، ومنه تقول : فلان صاحبه التعويق فهجره التوفيق ، ويعوق علم على صنم كان لقوم نوح عليه السلام وفى التنزيل (ولا تذرن وراء ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) .
 ومنه تقول :

يا مَنْ عَنّ الخير تعوق
 إن أحق أسمائك تيق

٤٥٩ - ويقولون : لا يمكن لأحد من هؤلاء الشباب أن يصعد هذا الجبل ، كما لا يمكن لنا أن نصعده فيعدون الفعل خطأ باللام ، والصواب أن يتعدى بنفسه ، فيقال : لا يمكن أحداً أن يعمل كذا ، أى لا يسهل عليه ولا يتيسر له ، فأحداً مفعول به ليتمكن

وها هي ذى قد أخطأت في هذا النسب ، لأن قنا اسم مقصور مؤلف من ثلاثة أحرف ، وقاعدة النسب إلى الاسم المقصور أن ينظر إلى ألفه ، فإن كانت ثالثة وجب قلبها واواً ، فيقال : في قنا قِنوى ، وفي طيما طِمْجوى وفي بيبا بَبوى ، وفي قها قَهوى ، وفي الثرى وهو التراب ثُروى .

أما إذا كانت رابعة وثانى الاسم ساكن فإنه يجوز حذفها ، وقلبها واواً ، ويجوز مع القلب أن تزداد ألف قبل الواو ، فيقال في النسب إلى بينها : بِنهى ، أو بنهوى أو بنهاوى ، وفي النسب إلى بشلا : بِشلى أو بشلوى أو بشلاوى ، وفي النسب إلى شبرا : شبرى ، أو شبروى ، أو شبراوى .

وأما إذا كانت رابعة وثانى الاسم متحرك ، أو كانت خامسة أو سادسة فإنه يجب حذفها فيقال في النسب إلى قلما : قلمى وإلى سنفا سنفى ، وإلى كسلا كسلى

وفي النسب إلى مصطفى مصطفى ، وإلى مرتضى مرتضى ، وفي النسب إلى إدفينا إدفينى وإلى مستشفى مستشفى .

٤٦١ - ويقولون : هذا الرجل شيبال يشبل كثيراً من الأحمال الثقال ، وهذا

والمصدر المؤول من أن يعمل كذا فاعل ، ويقال أيضاً : كما لا يمكننا أن نصعبه فنا مفعول به والمصدر المؤول فاعل .

ومن هذا يقال : فلان لا يمكنه النهوض بهذا العمل ، أما أنا فلا يمكننى تركه وإهماله .

ويقال : مكنت فلاناً من السفر تمكيناً ، وأمكنته منه أى جعلت له عليه سلطاناً وقدرة فتمكن منه واستمكن أى قدر عليه ، فالفعل الرباعى المضعف والرباعى المهموز سواء فى المعنى .

وأما الثلاثى فيقال منه : مكُن مكانة كضخم ضخماته إذا عظم وارتفع فهو مكين وهم مكناء والمكينة بكسر الكاف القوة ، تقول : لفلان مكينة على كذا أى قدرة وشدة والمكينة أيضاً ببضة الضبة والجرادة ونحوهما ، جمعها مكين^(١) ومكينات بكسر الكاف فيهما ، وفى الحديث « أقرؤا الطير على مكيناتها » أى بيضها فلا تزجروها ولا تؤذوها .

٤٦٠ - كتبت صحيفة الأهرام عنواناً ، هو (الشعراوى يحضر مولد عبد الرحيم القناني) تعنى أنه منسوب إلى قنا .

(١) مكينة ومكين ومكينات ككلمة وكلم وكلمات .

فاسد وبيان ذلك أن الفعل اليائى الذى استعملوه فى عبارتهم لا وجود له فى العربية ، وإنما هو عامى ، وأما الفعل الذى استعملته العرب فهو الواوى .

تقول : شالت الناقة بذنبها تشول شؤلاً من باب قال ، وشؤلاًنا أيضاً إذا رفعتة للقاح ، وشالت العقرب بذنبها ، وشالت القرية إذا ارتفعت قوائمها عند الملاء أو النفخ .

ويقال : شال الميزان إذا ارتفعت إحدى كفتيه عن الأخرى ، قال الأخطل : وإذا وضعت أباك فى ميزانهم قفرت حديدته إليك فشالا

ويقال : شالت نعماتهم إذا خضوا وطاشوا خوفاً فهربوا ، وشال للقوم إذا خفت منازلهم منهم ، أو تفرقت كلمتهم أو ذهب عزهم ، وامرأة شؤالة بالتشديد إذا كانت نمتامة .

والأفصح فى هذا الزعل أن يتعدى بالباء كما قلنا آنفاً ، أو بالهمزة كما فى قولك : أشال الرجل البحر فانشالت هى ، ويتعدى بنفسه فى لغة فيقال : شال الرجل يده إذا رفعها يسأل بها .

ولإصلاح عبارتهم لتؤدى المعنى المبتغى ينبغى أن يقال : حمل الرجل الشيء

يحملة حملاً من باب ضرب وحملاًنا أيضاً بالضم فهو حمال والشيء محمول وحميل ، والحمل بالكسر ما حمل ، جمعه أحمال .

ويقال : حملة على الأمر فأنحمل إذا أغراه به ، وحملة للأمر تحميلاً وحملاً بالكسر ككذاب فتحمله تحملاً وتحملاً بالكسر ، وتحامل فى الأمر ، تحاملاً وبه إذا تكلف على مشقة ، وتحمل عليه إذا كلفه ما لا يطيق .

٤٦٢ - فى صحيفة الأهرام عنوان قالت فيه : (اكتشاف عقار لتفادى النوبات القلبية) .

وهذا العنوان على الرغم من قصره يحوى ثلاث غلطات .

إحداها : كلمة اكتشاف ، لأن لها معنى غير الذى يقصدون إليه ، تقول : اكتشفت المرأة لزوجها إذا بالغت فى التكشف له عند الجماع ، واكتشف الكباش إذا نزا ووثب .

والصواب أن يقال : كَشَفَ بمعنى الإظهار كالمكاشفة »

تقول : كشفته الكواشف إذا فضحته فتكشف أى افترض ، وتكشف البرق إذا ملأ السماء ، وكشفت فلاناً تكشيفاً

قوله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وقوله (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) وقد يكون المفعول الأول نائباً عن الفاعل كما في قوله سبحانه (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) .

٤٦٤ - وينكر عدد واخر من الأدباء والمتقنين أن يقول الصائم : لقد فطرتُ عقب غروب الشمس ، فأنا الآن فاطر بالفعل الثلاثي ، ويصرون على أنه كان من الواجب أن يقول : لقد أفطرت بالفعل الرباعي فأنا الآن مفطر من مفاطر .

ففي القاموس : فطر ناب البعير فطراً وفُطوراً طلع ، وفطر الله الخلق خلقهم وبدأهم ، وفطر فلان الأمر أنشأه ، وفطر الصائم أكل وشرب كأفطر .

وفطرت فلانا بالفعل الثلاثي وفطرته تفطيراً بالفعل المضعف وأفطرته بالفعل المهموز كل أولئك بمعنى واحد .

ويقال : رجل فطر بكسر الفاء أى مُفطر ، وقوم فِطَر أى مفطرون فهو صالح للمفرد والجمع لأنه في الأصل مصدر والفتطور بالفتح ما يفطر عليه ، وبالضم المصدر ، والاسم الفِطَر بالكسر .

٤٦٥ - أثبتت صحيفة الأهرام في صدر صفحتها الأولى عنواناً هو « اتفاق

عن كذا إذا أكرهته على إظهاره . ومن المجاز قولك كشف الله غمه وهو كشف للغم .

والثانية : كلمة عقار إذ معناها الأرض والضياع والنخل ، والصواب أن يستبدل بعقار دواء فيقال : كشف دواء ، ولو قالت الصحيفة عقار بزنة عطار لكان هذا حسناً وسليماً ، لأن كلمة عقار بالتشديد جمعها عقاير وهي أصول الأدوية .

والثالثة : كلمة لتفادى النوبات بإضافة تفادى للنوبات والفصحى أن يقال للتفادى من النوبات ، لأن التفادى لا بد أن تذكر بعده من الجارة فقد قالت العرب : تفادى فلان من كذا إذا تحاماه ، وفداه من الأسر إذا استنقذه بمال ويؤيد هذا قول ذى الرمة :

(تفادى الأسود الغلب منه تفادياً)

٤٦٣ - وفي صحيفة الأهرام عنوان آخر قالت فيه :

(الرئيس يكلف حسنى مبارك بالإعداد لحولة بالعواصم الإفريقية) :

فجعلت الفعل يكلف متعدياً إلى المفعول الثانى بالباء ، والحق أن هذا الفعل يتعدى بنفسه إلى مفعوله كما في

كقوله عز وجل (وادعوه خوفاً وطعماً)
أى خائفين طمأعتى وقد قال ابن مالك
في ألفيته :

ومصدر منكر حالا يقع
بكثرة كبغته زيد طلع

ومثل ذلك قولك : جاء فلان ركضاً
وقتل المجرم صبراً ، وهو عند سيبويه
والجمهور على التأويل بالوصف ،
والتقدير طلع باغثاً مفاجئاً ، وجاء راكضاً
وقتلته مصبوراً أى محبوساً فكان على
صحيفة الأهرام أن تقول : حول الموقف
من جوانبة كافة بنصب كافة منونة .

٤٦٦ - يقول كثير من الخاصة والأدباء
زارنا ليلاً أحد الشعراء المفلقين ، وظل
يتحفنا برائع شعره ، وهذا خطأ فاحش
لأن كلمة ظل لا تستعمل إلا نهاراً ،
تقول : ظل فلان يفعل كذا يظل من
باب تعب ظلوا . بضم الظاء إذا
فعله نهاراً .

ففى مختار الصحاح وغيره : ظل
الرجل يعمل كذا إذا عمله بالنهار دون
الليل ، ومنه قوله تعالى (فظلم تفكهون)
وقال الخليل : لا تقول العرب ظل إلا
لعمل يكون بالنهار .

ولتأدية المعنى المبتغى يجب أن

وجهات النظر المصرية والفلسطينية
حول الموقف من كافة جوانبه » وهذا
العنوان مشوب بالفساد من ناحيتين
أولاهما : أنها أضافت كلمة كافة
إلى ما بعدها ، وهى لا تضاف أبداً .

والأخرى : أن كافة واجبة النصب
دائماً ، تقول : عاد الحجيج من الحجاز
كافة أى عادوا جميعاً ، وبُعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ،
ويؤيد هذا قوله تعالى :

(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة) وقوله (بأيها الذين آمنوا ادخلوا فى
السلم كافة) أما نصبها فعلى الحال
نصباً لازماً ، لا تستعمل إلا كذلك ،
فقوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس)
معناه وما أرسلناك إلا للناس جميعاً .

قال الفراء فى كتاب معانى القرآن :
نصبت على الحالية لأنها فى مذهب
المصدر ، ولذلك لم تدخل العرب فيها
الألف واللام ، وهى فى مذهب قولك :
قاموا معاً ، وقاموا جميعاً .

وقال الأزهرى : كافة منصوبة على
الحال ، وهى مصدر على فاعلة كالعاقبة
والعاقبة كما لو قلت : قاتلوا المشركين كافة .
ولا خلاف فى ورود المصدر حالا

يقال : بات يتحفنا برائع شعره ، وذلك
لأن البيت معناه التفكير والتدبير ليلا
تقول : بيت فلان أمره تبييتاً إذا دبره
ليلا ، ومنه قوله عز شأنه (إذ يبيتون
مالا يرضى من القول) ويقال : بيت
الجيش العدو إذا أوقع بهم ليلا ، وبيتك
الله في عافية أى منحك العافية ليلا .
والبيات بالفتح الإغارة ليلا وهو اسم من
بيت تبييتا ومنه قوله سبحانه « أفأمن أهل
القرى أن يأتهم بأسنا بياتا وهم نائمون)
وقوله (قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا
أو نهاراً) أى أتاكم عذابه ليلا
أو نهاراً .
عباس أبو السعود



« فضل الأدب »

يروى أن أعرابياً وقف على عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : إن لى
إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله
وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك . فقال له على : خط^(١)
حاجتك فى الأرض ، فإنى أرى الضر عليك ، فكتب الأعرابى على الأرض :
إنى فقير . فقال على لحامده ، ادفع إليه حتى الفلانية . فلما أخذها مثل بين
يديه فقال :

كسوتنى حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن الثناء ليحى ذكر صاحبه كالغيث يحيى نداء السهل والجبال
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به فكل عبد سيُجزى بالذى فعلا
فقال على لحامده : أعطه خمسين ديناراً ، أما الحلة فلمسألته ، وأما الدنانير فلأدبه .

(١) إنما دعاه إلى كتابة حاجته رفقا به وصيانة لماء وجهه .



باب الفتاوى

الأستاذ / عبد الحميد السيرى

ولم يتصل به بيان قاطع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قبل ذلك في حقيقةتها ، وقيل في صفتها .

ومن أغرب ما قيل في حقيقةتها :

أنها إنسان ، وأنه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقيل : إنها ولد ناقة صالح فر هارباً حينما عقر القوم أمه . وانفتحت له في طريقه صخرة فدخلها ثم انطبقت عليه ، فهو في باطنها إلى أن يخرج قرب يوم القيامة ..

وقيل : إنها دابة قديمة خلقت في عهد الأنبياء المتقدمين . وإن موسى سأل ربه أن يريه إياها . فأخرجها ثلاثة أيام ولياليها . تذهب في السماء لا يرى واحد من طرفيها . فرأى عليه السلام منظراً فظيماً ، فقال : يا رب ردها فردها . . .

أو إنها هي الثعبان الذي كان في جوف الكعبة ، واختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام فنعهم ، فألقته

س : سؤال من طالبة حقوقية بجامعة الإسكندرية تقول فيه : قد اختلفت أنا وزميلاتى في تفسير قول الله تعالى في سورة النمل (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) . الخلاف ينحصر فيما يأتى : هل الدابة حيوان وله رأس إنسان وجسد طير ؟ وهل صحيح أنها تكلم الناس ومعها عصا موسى وخاتم سليمان ؟ أو هى حشرة من الحشرات المؤذية يسلطها الله على عباده فما رأيكم ؟

ج : هذا السؤال وجه إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله - فأجاب عليه بما يأتى : الواقع أن هذه الدابة قد قيل في شأنها أكثر من ذلك ، وعملت فيها الرايات والآثار عملها المعروف في كل أمر غيبي أخبر به القرآن

التي أظلمت الجو على طلاب الهداية
القرآنية وشغلتهم عن اللب والجوهر بما
ألصقته بالقرآن .

وليس هذا خاصاً بالدابة بل في كل
أمر غيبي أخبر به القرآن فقد قيل مثله
في « يأجوج ومأجوج » وفي « الصور »
وفي « اللوح المحفوظ » وفي غيرها . .

الوقوف في شئون الغيب عند النصوص :

والذي أحب أن أقرره هنا - فيما
أخبر به الله من شئون الغيب التي لم يتصل
بها بيان قاطع عن الرسول : من الدابة .
والصور . ونحوهما هو : أنا نؤمن به على
القدر الذي أخبر الله به دون صرف
اللفظ عن معناه ، ودون زيادة عما تضمنه
الخبر الصادق ، فنؤمن مثلاً بأنه سيكون
في آخر الدنيا صور ينفخ فيه . فتكون
صعقة ، ثم ينفخ فيه أخرى فيكون
البعث به ، أما الخوض في حقيقته
ومقداره وكيفية النفخ فيه أو حمله
على أنه تمثيل لسرعة إفناء العالم وبعثه
بسرعة النفخة المعروفة للناس ، فإنه
رجم بالغيب . وتقول على الله بغير علم .

ونؤمن بأن القرآن - كما أخبر الله -
في لوح محفوظ ، أما الخوض في
حقيقته ، أو تأويله . بأنه تمثيل لصونه

العقاب بالحجون ، فالتقمته الأرض وهو
في باطنها حتى يخرج يوم القيامة .

ومن أغرب ما قيل في صفة الدابة :
أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه
السلام لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب .
وأن لها مع جميع دواب الأرض مشابهة
تامة مع عضو من أعضائها : فلها
وجه إنسان . ورأس ثور ، وعين
خنزير . وأذن فيل « إلى آخر
ما سودت به الصحف . وضاع الوقت
في نقله » وهي كلمة حق قالها أحد
المفسرين ونقلها الألوسي في تفسيره
وأقرها . . وقال معتدراً عن ذكره شيئاً
من أخبارها : وأنا إنما نقلت بعض
ذلك دفعاً لشهوة من يحب الاطلاع
على شيء من أخبارها صدقاً كان أو كذباً .

وقال الإمام الرازي بعد أن حكى
هو أيضاً شيئاً من أخبارها : « واعلم
أنه لادلالة في الكتاب على شيء من
هذه الأمور فإن صح الخبر فيه عن
الرسول صلى الله عليه وسلم قيل وإلا
لم يلتفت إليه » وهو يعنى أنه لا يصح
من أخبارها شيء غير المذكور في
القرآن الكريم . .

هذا وقد فات المفسرين أن يضعوا حداً
لصون التفسير عن هذا الإسرائيلية

عن التغيير والتبديل . فإنه رجم بالغيب
وتقول على الله بغير حق .

التي قام بها من تلقاء نفسه إلى ملكة ،
سباً .

ما يجب أن نعلمه عن الدابة :

وعلى هذا نؤمن - بأنه حينما يقع
أمر الله وتحق كلمته . ويأتى اليوم الذى
لا ينفع فيه نفساً إيمانها لم تكن آمنت
من قبل - ستظهر للناس دابة . ولكن
هل تتولد من الأرض أو هى من دوابها ؟
ذلك يعلمه الله !!! وهل هى صغيرة
أم كبيرة ، وعرضها كذا وطولها كذا ؟
وهل تحمل معها عصا موسى . وخاتم
سليمان . أو لا تحمل شيئاً ؟ ذلك
يعلمه الله !!!

نؤمن فقط أن دابة ستخرج وتكلم
الناس ، هل تكلمهم بلسان عربى ذلق
أو بغيره ؟ كذلك هذا يعلمه الله ؟!!!
نؤمن بها وبكلامها دون استبعاد أو إنكار .

وقد قص الله علينا فى السورة نفسها
أن عصا موسى وهى جماد (تحركت
واهترت كأنها جان . وأنها تلقف
ما يأفكون ، وقص علينا أن الحيوان الذى
ليس من شأنه أن ينطق ولا أن يعبر عن
الإيمان أو الكفر « كالهدهد » نطق وعبر
عن الإيمان والكفر - وأن نبي الله سليمان
فهم منه كل ما أراد ، وانتفع برحلته

وإذا كانت الحمادية تلحقها . فى
الدنيا بسنن الله الخاصة بالحيوانية
فتتحرك وتبتلع ، والحيوانية كذلك تلحقها
بالسنن الخاصة بالناطقة . فتفكر وتدبر
وتنطق وتعبر - فما بالناس بالشأ الأخرى
التي لا سبيل إلى معرفتها ولا معرفة
أحداثها ، ولا سنن الله فيها إلا بالخبر
الصادق عنه سبحانه ؟

نعم يجب الوقوف فى الإيمان به عند
الحد الذى جاء به الخبر الصادق ،
ولا ينبغى التصرف فيه بالحمل على التمثيل
أو الزيادة عليه وضم شيء إليه ،
فضلاً عن استبعاده أو إنكاره . وهذا
هو شأن المؤمنين بالله وبكتابه وغيبه .

س : هل تجوز صلاة القائم خلف
إمام قاعد ؟

ج : اتفق^(١) العلماء على أنه ليس للصحيح
أن يصلى فرضاً قاعداً منفرداً
كان أو إماماً لقوله تعالى :
(وقوموا لله قانتين) .

واختلفوا إذا كان المأموم صحيحاً

(١) المرجع فى هذه الفتوى كتاب بداية
المجتهد - وكتاب سبيل السلام .

صلى (صلى الله عليه وسلم) وهو شاك جالساً وصلى وراءه قوم قياماً ، فأشار إليهم أن اجلسوا ، فلما انصرف قال : إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا ركع فاركعوا ، وإذا رفع فارفعوا ، وإذا صلى جالساً فصلوا جالساً ...

والحديث الثاني : حديث عائشة « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي توفي منه - فأتى المسجد فوجد أبا بكر وهو قائم يصلى بالناس - فاستأخر أبو بكر فأشار إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن كما أنت ، فجلس رسول الله إلى جنب أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الناس يصلون بصلاة أبي بكر » .

فذهب الناس في هذين الحديثين مذهب النسخ ومذهب الترجيح ، فأما من ذهب مذهب النسخ فلإنهم قالوا : إن ظاهر حديث عائشة « وهو » أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤتم الناس وأن أبا بكر كان مستمعاً لأنه لا يجوز أن يكون إمامان في صلاة واحدة ، وأن الناس كانوا قياماً وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً ، فوجب أن يكون هذا من فعله صلى الله عليه وسلم

فصلى خلف إمام مريض يصلى قاعداً على ثلاثة أقوال ؟ أحدها : أن المأموم يصلى خلفه قاعداً ، ومن قال بهذا القول أحمد وإسحاق . . والقول الثاني : أنهم يصلون خلفه قياماً . قال أبو عمر بن عبد البر . وعلى هذا جماعة فقهاء الأمصار - الشافعي وأصحابه - وأبي حنيفة وأصحابه - وأهل الظاهر وأبي ثور وغيرهم .

الثالث : روى ابن القاسم أنه لا تجوز إمامة القاعد وأنهم إن صلوا خلفه قياماً أو قعوداً بطلت صلاتهم ، وذهبت الهادوية ومالك وغيرهم إلى أنه لا تصح صلاة القائم خلف القاعد لا قائماً ولا قاعداً . .

وقد روى عن مالك أنهم يعيدون الصلاة في الوقت - وهذا إنما بنى على على الكراهة لا على المنع . والأول هو المشهور عنه . . .

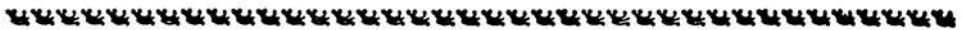
وسبب الاختلاف تعارض الآثار في ذلك - ومعارضة العمل للآثار ، أى عمل أهل المدينة عند مالك وذلك أن في ذلك حديثين متعارضين : أحدهما حديث أنس وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً » وحديث عائشة في معناه وهو « أنه

إذا كان آخز غفله ناسخاً لفعله وقوله
 المتقدم .
 وأما من ذهب مذهب الترجيح فإنهم
 رجحوا حديث أنس بأن قالوا : إن
 هذا الحديث قد اضطربت الرواية عن
 عائشة فيه - فيمن كان الإمام هل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أبو بكر؟
 وأما مالك فليس له مستند من السماع
 لأن كلا الحديثين قد اتفقا على جواز
 إمامة القاعد ، وإنما اختلفا في قيام
 المأموم أو قعوده « . . .
 وقد رجح العلماء جواز إمامة القاعد
 للقائم وصحة صلاته خلفه - والله أعلم .
 عبد الحميد شاهين



(حكم)

- من أحب الحمد أحسن السيرة .
- الاختيار دليل العقل .
- إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضها .
- الهوى مفتاح السيئات .
- شرار الناس الذين يُكرّمون اتقاء شرهم .



"كتاب الشهر"

شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين

صاحبة الشیخ / نديم الجسر

مفتی طرابلس وشمال لبنان

يسر مجلة الأزهر أن تعيد نشر هذا البحث خدمة
للشباب الذى يتعرض لضغوط نفسية وثقافية وبخاصة
فى هذه الأيام ، وهو سبحانه ولى التوفيق .

السادة ، أن الموضوع ... على خطره -
لا يستحق بحثاً طويلاً عن أسباب هذه
الظاهرة ، لأنها بينة ظاهرة . ولكن كلاً .
إن الأسباب أكثر وأعمق وأخفى وأدق من
أن تعرف بنظرة عابرة أو دراسة عاجلة .
إن لها أسباباً كثيرة معقدة ومتشابكة
منها الخارجى ، ومنها الداخلى المحلى ،
ومنها العقلى ، ومنها النفسانى ، ومنها
الذى يستشرى فى قطر أكثر من قطر
آخر . ومن كل هذا التعقيد والتشابك
والتنوع والظهور والخفاء كان الفشل فى
العلاج .

لذلك سأحاول ، بقدر استطاعتي ،
أن أبسط هذه الأسباب ضمن المباحث
الآتية . وأنا على تمام اليقين من أن
السادة العلماء الأعلام هم أدرى بها
منى ، ولكنى أجمعها تيسيراً للبحث
على صعيد واحد ، أمام أنظارهم الثاقبة ،
وعقولهم النيرة ، ليصلحوا ما فيها من
أخطاء ، ويتمموا ما فيها من نقص ،
ويتولوا وصف العلاج الصحيح .

الظاهرة الغربية :

إننا أمام ظاهرة اجتماعية خطيرة يشكو
منها العالم الإسلامى بأسره وهى : أن
أكثر شبابنا المثقف بالثقافة العلمية
العالية هم أقرب إلى الإلحاد ، وأن
القلة المؤمنة منهم أميل إلى إهمال
العبادات والشعائر .

إن هذه الظاهرة الغربية بدأت مع
عصر النهضة العلمية فى بلاد العرب
والإسلام ، وأخذت تزداد خطراً كلما
ازدادت النهضة انتشاراً وازدهاراً ، وقد
منيت بالفشل كل المحاولات التى قام
بها المصلحون فى سبيل معالجتها .

فما هى أسباب هذه الظاهرة ؟ .

ولماذا ترافق العلم ، والعلم نور يهدى
إلى الحق والخير ، والإيمان والإسلام نور
وحق وخير ؟ .

وما هى أسباب الفشل فى معالجتها ؟ .
أكاد أقرأ فى أفكار بعضكم أيها

شبابنا في شخصيتهم والمحيط :

لكي نتوصل إلى دراسة صحيحة لأسباب هذه الظاهرة المزوجة المتجلية في الإلحاد وإهمال الشعائر ، لا بد لنا أن ندرس شخصية شبابنا ، والمحيط الذي يعيشون فيه ، والأفكار التي تغزو عقولهم .
إن شبابنا - في عقله وجسده وميوله وأخلاقه - يقف مرتبكاً بين عدة تيارات : سلطان العقل ، أو هام التعقل ، سلطان العلم ، أو هام العلم ، سلطان الجهل بحقيقة الإسلام ، عدوى الملحدين ، كيد المستعمرين ، أخطاء المستشرقين والمؤرخين ، العقد النفسية ، فساد المحيط .
فوارحمته لكم يا شباب الجيل !! ...

إن العقل فطرة تظهر آثاره ، وتسيطر أحكامه ، حتى في الطفل ، ثم تزيده التجارب انكشافاً ونضوجاً . ولكن طالب العلم اليوم يفرض عليه ، من أول خطوة يخطوها في دراسة الحساب ، إلى آخر خطوة يخطوها في دراسة الرياضيات والفلكيات والطبيعات والمنطق والفلسفة أن يستعمل عقله دون سواه . فيشعر بسلطان العقل شعوراً طاعياً ، ترافقه انتفاضة من الزهو والعجب والكبرياء ، كالتى ترافق كل قوى

يشمخ برأسه فوق أعناق الضعفاء ، وترافق كل عالم يشمخ بعقله وعلمه فوق رؤوس الجهال والبسطاء ، حتى يبلغ هذا الاعتزاز بالعقل والعلم حد الغرور والتقديس .

هذا في مجال الإيمان بالله وتعقل القضايا الدينية . وأما في مجال العمل بوصايا الدين وشعائره ، فلإننا بين زخم الشباب وشبوبة ، وزخم المحيط وعبوبه نجد العوائق ، فالأجساد في بركان من العواطف والشهوات ، والمحيط في زلزلة من الفوضى والفجور ، والحياة كلها في تيار جارف من الكدح السريع المرير .

هذا واقع شبابنا عقلاً وجسداً ومحيطاً فما لم نقنعهم بأن الإيمان بالله هو من أصدق وأوجب أحكام العقل ، وما لم نيسر لهم التربية الصالحة ، والمعرفة الميسرة ، والقُدوة الكريمة لن يكونوا عاملين .

سلطان العقل في الإسلام :

كما فعلت في محاضرة ألقيتها في نادى المعلمين بالقاهرة أطرح على سمع الشباب المسلم السؤال الآتى .
ما هى أعظم مزية يمتاز بها دين الإسلام ؟ .

لا ريب عند المسلم في أن الأديان السماوية كلها ، هى في أصلها وأساسها

أوهام التعقل :

ولا بد لي قبل أن أضرب للشباب الأمثلة على سلطان العقل في قضايا الإيمان والدين أن أكشف لهم النقاب عن أوهام التعقل وأبين لهم الفرق .

١ - بين المستحيل العقلي والمستحيل العادي .

٢ - بين استحالة التعقل وصعوبة التصور .

٣ - بين حكم عقلي عام تتفق عليه كل العقول السليمة ، وبين نظرة فردية خاصة تختلف بشأنها العقول السليمة .

٤ - بين الحقائق العلمية المقطوع نهائياً بصحتها والآراء العلمية غير المقطوع نهائياً بصحتها ، والتي تظهر وتبرز على مسرح التفكير حقبة من الزمن ، ثم تخبو إلى الأبد .

إن الخلط بين هذه الحقائق والفوارق هو من أوهام التعقل التي يقع في أغاليطها كثير من الناس ، حتى المثقفون بأعلى الثقافات . فمن الواجب على الشاب الذي يدخل في جدل مع نفسه ، أو مع غيره ، حول أية قضية دينية ، أن يقف تمام الوقوف على هذه الفوارق ، كي لا يقع
مجلة الأزهر

من عند الله ... ولا ريب عند العاقل في أن الأديان السماوية تتلاقى ، في أصلها وأساسها ، على كل معاني الحق والخير بلا أدنى خلاف .

ولكن مزية الإسلام هو أنه قد جعل للعقل السلطان الأعلى في فهم النصوص المنزلة . هذا العقل الذي أمرنا الله في آيات كثيرة من القرآن أمراً قاطعاً أن نحتكم إليه عند جدلنا مع أنفسنا في معركة الشك واليقين ، وعند جدلنا مع غيرنا من الملحدين والمشركين ، يشمل سلطانه كل معنى في الوجود ، ابتداء من أبسط الأمور ، كإمالة الأذى عن الطريق إلى أعظم معنى في الوجود ، وهو الألوهية والوحدانية .

فليس في الإسلام إيمان يتناقض مع العقل ، ولا نص خبر يتناقض مع العقل ، ولا أسرار ، ولا خرافات ، ولا أوهام تتناقض مع العقل والعلم الصحيح ، وكل نص يوجب ظاهره تناقضاً عقلياً في الذهن ، يتوجب علينا تأويله تأويلاً يرتفع به التناقض العقلي .

وهذا شأن الإسلام مع قضايا العلم التي بلغت مرتبة اليقين في الحكم العقلي القاطع .

في أحبولة أوهام التعقل .

فالمستحيل العقلي هو الذى يوجب تصور وجوده أو تصور عدمه تناقضاً عقلياً في الذهن : كقولنا الواحد نصف الثلاثة ، أو قولنا الجزء أكبر من الكل أو قولنا إن جبل المقطم يدخل في الفنجان .

أما المستحيل العادى فلا يوجب تصور حصوله أو عدم حصوله تناقضاً عقلياً في الذهن ، ولكن جرت عادتنا نحن البشر ، أن نعهده مستحيلاً في العادة ، كخرق النواميس الكونية بالمعجزات الإلهية .

فأرجو أن يكون هذا الفرق نصب أعين الشباب .

كذلك نقول عن الفرق بين استحالة تعقل الشيء وبين صعوبة تصوره . فكم من حقيقة يمكن تعقلها ، أى أن العقل يقطع بصحتها ، ولكن يصعب على الذهن تصورها ، كأحجية الورقة الرقيقة التى يكرر تقطيعها مع التضعيف خمسين مرة ، فيبلغ سمكها ، إذا ركت المقطعات ، إلى سطح القمر . . . أو كعدد ذبذبات الصوت التى أثبت العلم أنها قد تبلغ بالحساب الدقيق القاطع إلى نصف مليون ذبذبة في

الثانية . فيمكن تعقلها ، ولكن لا يمكن تصورها مطلقاً في الذهن ، لأننا مهما جمعنا خيالنا وركزناه لا نستطيع أن نتصور أن ثانية من الزمن تتسع لنصف مليون ذبذبة .

وإنى لأرجو أن يكون هذا الفرق بين استحالة تعقل الشيء وصعوبة تصوره نصب أعين الشباب فلا تحملنهم صعوبة التصور على القول باستحالة التعقل . فما كل شيء يصعب تصوره يكون مستحيلاً عقلاً ، ولا كل معقول يسهل تصوره . . . فإن الشباب إذا تنبهوا إلى هذا الفرق بين التعقل والتصور وفروا نصف طريق الجدل والمراء . مع أنفسهم في معركة الشك واليقين ومع غيرهم حول قضايا الإيمان .

كذلك نقول عن الفرق بين النظر العقلى العام الذى تنفق على صحته كل العقول السليمة بلا خلاف ، وبين النظرة الخاصة التى تختلف فيها العقول . فلا يقولن الشاب أثناء الجدل العقلى على قضية من قضايا الدين : هذا رأى وهذا عقلى . لأننا نقول له : عقلك وحده ليس بحجة على الحكم الصحيح ولكن اتفاق كل العقول هو الحجة . كذلك نقول عن الفرق بين الحقائق

والحادهم هو أساس باطل . تعبوا في البناء عليه ، ولما ظهر الحق خر البناء من القواعد .

أمثلة على سلطان العقل في الإسلام :

١ - قضية وجود الله الخالق لهذا الكون : هي حقيقة ذكرتها الكتب المنزلة . وعند عرضها على العقل ، كما أمرنا الله في آيات كثيرة من القرآن ، نجد أن إقرارها لا يشكل تناقضاً عقلياً ، بل إنكارها هو الذى يشكل تناقضاً عقلياً ، لأنه يجعل العالم الممكن الحادث المعلوم موجوداً بغير علة ولا فاعل ، وهذا مستحيل يشكل تناقضاً عقلياً فاضحاً . . . أو يجعل المعلوم عين العلة وهذا أيضاً مستحيل يشكل تناقضاً عقلياً فاضحاً ، وعن هذين المستحيلين عبر القرآن بقوله : (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) (١) .

٢ - والوحدانية حقيقة ذكرتها كل الكتب السماوية ، وعند عرضها على العقل - كما أمرنا الله - نجد أن إقرارها لا يوجب تناقضاً عقلياً . بل القول بتعدد الآلهة هو الذى يشكل تناقضاً عقلياً .

٣ - قضية المعجزات التى ذكرتها

العلمية المقطوع عقلياً ونهائياً بصحتها ، وبين الآراء والنظريات العلمية الظنية المرجحة ، التى لم يقم الدليل القاطع على صحتها ، ويحتمل أن تظهر أدلة جديدة تنفي صحتها وتوجب بطلانها ، والأمثلة كثيرة لا تحفى على الشباب المثقف .

كروية الأرض . حركة الأرض . حركة الشمس . حقيقة النور . حقيقة الألوان . الطيف الشمسى . العالم غير المنظور . حقيقة العناصر الكونية . بمقتضى القانون الذرى . الجاذبية . الكهرباء . أوام التاربخ التى تلبس ثوب الحقيقة القاطعة ، وغير ذلك من الآراء والنظريات العلمية ، التى كانوا يحسبونها حقائق علمية قاطعة ، فإذا بالعلم يتطور فيكشف عن بطلانها من أساسها . أو بطلان مقاييسها ، وما زال العلم إلى اليوم يعدل ويبدل في الكشف عن أسرارها . كما رأينا في نظرية النسبية الحديثة .

فعلى الشباب - إذاً - ألا يبنوا آراءهم النهائية وجدلهم في إنكار القضايا والأخبار الدينية ، على أساس آراء علمية خاطئة أو ناقصة يظنونها حقائق علمية . ثم يظهر لهم بعد ذلك أن هذا الأساس الذى بنوا عليه جدلهم وجحودهم

إعادة خلقه بل هو أهون عليه .
وعن هذه البدهة العقلية عبر القرآن
بقوله : (أو ليس الذى خلق السموات
والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم)^(١)
وقوله : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم
يعيده وهو أهون عليه)^(٢) .

٥ - قضية الإسراء التى ذكرها
القرآن : عند عرضها على العقل لا نجد
حصولها بشكل تناقضاً عقلياً ، بل
القول باستحالة وقوعها هو الذى يشكل
تناقضاً عقلياً . لأنها إن كانت معجزة
وخرقاً للنواميس فالله خالق النواميس قادر
على خرقها وإن كانت تصريفاً لقوة
السرعة فالعلم قد اكتشف وتوصل اليوم
إلى قطع المسافة بين مكة والقدس بأقل
من المدة التى قطعها بها محمد بقدره الله .

٦ - ولكن إذا عرض لنا نص يوجب
الأخذ بظواهره تناقضاً عقلياً كما فى
الآية السادسة والثمانين من سورة الكهف
التي حدثنا بها القرآن عن ذى القرنين ،
حيث قال : (حتى إذا بلغ مغرب
الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) ،
وجب علينا التأويل لرفع التناقض ،
لأن نص هذه الآية إذا أخذ على

الكتب السماوية ، عند عرضها على
العقل لا نجد أن تصور حصولها يوجب
تناقضاً عقلياً ، بل ادعاء استحالتها
استحالة عقلية لا عادية ، هو الذى
يوجب تناقضاً عقلياً عند من يؤمن بأن
الله هو خالق الكون وخالق النواميس ،
لأن المعجزات هى خرق للنواميس الكونية
وهذا الخرق مستحيل فى العادة ، ولكنه
غير مستحيل عقلاً ، لأن الذى خلق
النواميس قادر على خرقها .

وهنا يطيب لى أن أستنكر تفسير
المعجزات الإلهية تفسيراً علمياً ، لأن
هذا التفسير يفقد المعجزة معناها ، ويرد
الشباب المثقف الذين نريد حملهم على
تصديق المعجزة إلى نكسة عقلية فى
معجزات يستحيل تفسيرها على أساس
علمى ، كما أوضح الشيخ أبو النور
الموزون السمرقندى فى (قصة الإيمان
بين العلم والفلسفة والقرآن) .

٤ - قضية البعث التى ذكرها وأكدها
القرآن : عند عرضها على العقل لا نجد
أن تصور حصول البعث يوجب تناقضاً
عقلياً ، بل القول باستحالة حصول
البعث هو الذى يوجب تناقضاً عقلياً .
لأن البعث هو خلق جديد ، والذى
خلق الإنسان أول مرة ، قادر على

(١) يس ٨١ .

(٢) الروم ٢٧ .

لنعمة الليل والنهار وجعلهما خلقه ؟ .
 أما اليوم — بعد أن بطلت النظريات القديمة ، وظهر أن الأرض كروية ، وأن لها حركة سنوية حول الشمس تجعل أحد قطبيها في نهار دائم والآخر في ليل دائم عدة أشهر من السنة ، وظهر أن هناك أقواماً في أقاصي القطب ، فإن معنى الآية أصبح واضحاً ومفهوماً .
 وهذا المثل من خير الأمثلة على وجوب عدم التسرع في رفض النصوص الدينية لمجرد الظن بأنها تتناقض مع العلم .

تيسير الفهم والتفهيم :

إن تيسير فهم النصوص ، وفهم حكمة أحكام الدين ، له أثر كبير في جذب الشباب المثقف نحو القيام بالعبادات والشعائر . وشبابنا مسدودة في وجوههم أسباب هذا التيسير للفهم من كل النواحي : مسدودة في البيت مسدودة في المدرسة ، ومسدودة ببركाम من الكتب الضخمة ، التي يجفل الشباب من مجرد رؤيتها ، بل يعسر فهمها حتى على بعض رجال الدين ، ومسدودة بمحمود كثير من المعلمين المرشدين ، الذين يقابلون كل سؤال بغضبة وكل استفهام بلعنة ، وكل

ظاهرة اللفظي يشكل تناقضاً عقلياً ، إذ من الثابت ثبوتاً قاطعاً ، أن الأرض أصغر من الشمس بمليون وثلثمائة ألف مرة . ومن البديهيات العقلية أن الجسم الكبير لا يدخل في الوعاء الصغير فنقول ، كما قال العلماء الأعلام من قبلنا : معنى الآية أن ذا القرنين رأى الشمس تغرب وراء الأفق ، أى وراء البحر أو وراء بحيرة ، كأنها تغرب في عين حمئة ، كما يرى أحدنا الشمس تغرب في النيل ، وهو يعلم أنها تغرب وراء الأرض لا في النيل .

٧- وإلى الشباب المثقف مثالا آخر على وجوب عدم الاسترسال مع النظريات العلمية الظنية وذلك في الآية ٩٠ من سورة الكهف حيث يقول القرآن عن ذى القرنين : (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) .

هذه الآية كانت تبدو مشكلة في عهد النظرية القائلة بأن الأرض منبسطة وساكنة وأن الشمس هي التي تدور حولها. فما معنى أن الله لم يجعل بين هؤلاء القوم من البشر وبين الشمس ستراً ؟ وكيف لا تغيب الشمس عنهم ؟ وكيف التوفيق بين هذا النص وبين ذكر القرآن

اعتراض وبحث عن المعقول بالتكفير .
وأضرب على عدم تيسير الفهم مثلاً
بسيطاً يخص العرب .

هذا القرآن الذى يقول الله به للعرب
(إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)^(١)
فيه أكثر من ألف كلمة عربية لا يعرف
الشباب المثقف معناها اللغوى وهو
يسمعهما فى كل يوم وإيلة من الإذاعات
فكيف الحال مع غير العرب ؟...

فى سبيل تيسير الفهم والتفهيم على
الشباب ، يجب أن نضع بين أيديهم
كتاباً دينية واضحة سهلة جذابة ، وأن
نقيم على تعليمهم فى المدارس أساتذة
يحبسون الفهم والتفهيم . ويدركون أساليب
التربية النفسية ، ولهم صدور واسعة ،
وعقول نيرة ، وثقافة واسعة تتناسب مع
ثقافة الشباب المعاصر .

ولا يغرنكم أيها السادة فى القاهرة
ومصر وبعض البلاد العربية من بعض
أسباب التيسير ، فإن هنالك فى آسيا
وفى إفريقيا أقطاراً إسلامية عربية وغير
عربية لا يعرف شبابها من الدين إلا اسمه ،
وهم عرضة لهذا الغزو الإلحادى الذى
يعانيه الناس رغم كونهم فى جوار الأزهر .

المثقفون والخرافات :

ومن أعظم ما ينفر الشباب المثقف
من الدين تلك البدع والشوائب والخرافات
والأباطيل التى ألصقت بالإسلام وهو
براء منها .

ولذلك كان من أخطر المهام الملقاة
على عاتق مجمع البحوث الإسلامية
بمقتضى نظامه - تطهير الإسلام من
هذه الشوائب .

وليس أدل على بعد الإسلام وترفعه
عن هذه البدع والخرافات ، من هدى
القرآن والسنة الصحيحة وهما المنبعان
الأصيلان للتشريع .

فإذا تصفح الشبان القرآن وجدوا أنه
فى كل سورة ، بل فى كل صفحة
يعلى كلمة (الحق) ، ويجعل العقل
إليه هادياً ، والعلم عليه دليلاً ، والعلماء
عليه شهداء . . . ويحذر من الظن
الذى لا يغنى عن الحق شيئاً . . .
ويستهزئ بالخرافات والأساطير . . .
ويفصل فصلاً صارماً بين الألوهية
والبشرية ، ويخوف أشد التخويف من
الشرك الخفى ، ويصل العبد بالله من
غير وسيط ، ويفتح باب التوبة
والاستغفار له من غير شفيع إلا بإذنه

والسكينة إلى هرج الطقوس والحركات والرقص والتخبط ، وكان عليه الصلاة والسلام أعظم الناس زهداً وتقشفاً ولكنه لم يخرج في زهده وتقشفه وتصوفه - إذا جاز التعبير - عن بساطة الإخلاص إلى تعقيد الرياء الذي سرت طوقسه إلى المسلمين من الأمم التي اختلطوا بها بعد الفتح .

فخرجوا أن يعلم الشباب كل هذا حتى لا يخلطوا بين حقيقة الدين وشذوذ بعض المسلمين .

عقدة الكبت :

ومن أسباب انصراف الشباب عن الشعائر عقدة الكبت .

إنني أعرف كثيراً من الشباب المثقف يكره ممارسة الشعائر من أثر كبت نفسى حصل له في صغره ، بسبب الطريقة التي ساقه بها أبوه أو معلمه في المدرسة إلى ممارسة الشعائر ، وهي طريقة القسوة .

هذا الكبت يجب أن يحل محله التشويق والترغيب والإيحاء والاستهواء ، مع شيء من الشدة عند اللزوم .

ولهذا النهج من الترغيب أساليب : منها أن يكافأ الولد على الصلاة من أبيه بالمال ، ومن المدرسة بزيادة علامات

فأين محل الأباطيل والخرافات والبدع من هذا القرآن ؟ .

وإذا تصفح الشباب السنة الصحيحة - وهي هدى رسول الله قولا وعملا - وجدوا أنه ، صلى الله عليه وسلم ، كان أبعد الناس عن أوهام الخرافات والأساطير وأشدهم إنكاراً للتنجيم والعرافة والسحر والشعوذة والاسترقاء ، والاستجارة بغير الله ، وكان أعظم الناس تبرأ من معرفة الغيب ، ومن كل ما يرفعه عن مستوى البشرية والعبودية لله .

انكسفت الشمس يوم مات ولده إبراهيم فقال الناس : انكسفت الشمس لموت إبراهيم ، فخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عجلاً يجر رداءه ، حتى انتهى إلى المسجد ، وثاب الناس إليه ، فصلى بهم ، ثم خطبهم فقال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » .

وكان عليه الصلاة والسلام أكثر الناس عبادة وصلاة وصياماً ، ولكنه لم يخرج عن سميت البساطة التي شرعها له ربه . . . وكان عليه الصلاة والسلام أكثر الناس ذكراً لله ولكنه لم يخرج عن حدود الوقار والإحبات والخشوع

حسن السلوك ، ومن ذلك أن نجعل من أول يوم في رمضان يوم فرح وسرور واحتفال وهدايا للصائمين من الأولاد ، حتى يصبح دخول شهر الصوم عندهم مفرحاً كيوم العيد ، ومن ذلك أيضاً أن نكافي الولد الذي يتصدق على الفقراء من « خرجيته » بعطاء أجزل ليستقر في نفسه أن قرش الصدقة معوض بأمثاله كما وعد الله المتصدقين .

أما الشباب البالغون فمن أهم أساليب الإيحاء لهم أن تحمل الجماعات الرياضية والكشفية وأمثالها على أن تدخل في نظامها إقامة الصلاة وصيام رمضان ، فإن تأثير الإيحاء الذي يأتي للشباب من رفاقه وفرقة وجمعيته ، ومن نظام فرضه هو على نفسه ، أشد من النصيحة والوعد والوعيد .

كذلك يحسن في باب التوجيه أن نجعل للمصلين والصائمين من الموظفين والعمال الشباب علامات تدخل في إضباراتهم ، ويكون لها شأن في الرقبة والمكافأة ، وتوسيع مدة الإجازة ، فإن هذا التوجيه له أثره .

وأخيراً يجدر بنا ونحن ندرس عقدة الكبت ، أن نتذكر الطهارة للصلاة وما يعترى الشباب أحياناً من الحياء

والخوف والكرب من بعض موجباتها . فإن كثيراً من الشباب يتركون الصلاة لهذا المانع . فعلينا أن نيسر لهم أمر التطهر بالماء وبغير الماء عند المانع ، كي يستهلوا الصلاة ويتعودوا عليها ، وهي بعد ذلك تنهاهم عن الفحشاء والمنكر وتنههم عن التيمم بلا عذر صحيح . فهذا خير من ترك الصلاة . كذلك يحسن أن نيسر لهم الجمع بين الصلاتين عند العذر ، أخذاً بمذهب ساداتنا الحنابلة وفي هذا العصر عصر الكدح السريع المرير في سبيل العيش ، وهذا أرجح وأولى من التعسير المؤدى إلى ترك الصلاة .

عقدة التقنيط :

ومن أسباب إصرار الشباب على ترك الشعائر : التقنيط .

فالشبان ، بحكم مرح الشباب وفورته وجموحه وهوه ، لا بد أن تكون لهم في حياتهم مزالق إذا اتفق لأحدهم أن أسرف على نفسه ، ثم سمع من الوعاظ أحوال المُنذرات ، تكونت في صدره عقدة القنوط ، فازداد إمعاناً في الإسراف ، ولو أن الوعاظ اتبعوا نهج القرآن في الترغيب ، والترهيب ، لفتحوا لذلك الشاب في جدار يأسه كوة ينفذ منها إلى الأمل ويخرج منها إلى التوبة ،

لسانه وقلمه وأعماله مظاهر الكفر والإلحاد ، ولكن الذى يتورط فى أحوال الإلحاد والإسراف ، ويغلق عليه سجن القنوط ، يشعر برغبة فى التنفيس عن نفسه ، إما بالجلد دفاعاً عن إلحاده ، وإما بالاستهزاء بالشعائر دفاعاً عن تقصيره وتهويناً لذنوبه ، وإما بيجر الآخرين إلى مهاوى الإلحاد والذيلة ، لكى لا يكون وحده فيها ، وتلك طبيعة المجرمين المطرودين من رحمة الله ، وبسببها قال إبليس لربه بعد أن لُعِنَ وطُردَ : (رب بما أغويتنى لأزین لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين)^(١).

الفراغ والتقليد :

وسرت إلى شبابنا المثقف عدوى التقليد بعد أن قرأ تاريخ النزاع الطويل بين المفكرين ورجال الدين فى أوربا الذى انتهى عند بعض المفكرين إلى الشك ، وانتهى عند الماركسية المادية إلى الكفر والإلحاد واحتقار الشعائر ومحاربة الدين ورجاله .

إن شبابنا الذى فتحت فى تفكيره هوة من (الفراغ) بسبب ما يحمل فى رأسه من غرور العقل وأوهام التعقل

وقد علم ربنا وخالقنا . وهو أحكم الحاكمين ، ما يترك التقنيـط فى نفوس المذنبين المسرفين . ففتح لهم بحكمته باب الأمل والخروج من سجن الذنوب على مصراعيه بقوله تعالى : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً)^(١) .

لذة التنفيس :

ومن عقد القنوط تتكون . عند الشاب المسترسل فى الإلحاد والفساد لذة التنفيس عن نفسه بثلاث طرائق : طريقة الجدل فى الإلحاد ، وطريقة الاستهزاء بالشعائر ، وطريقة جر الرفاق الزملاء إلى الانزلاق .

ذلك لأن الضمير الدينى لا يموت موتاً نهائياً فى صدور الناس . مهما أسرفوا على أنفسهم ، لأن الشعور بالمسئولية هو شىء فطرى ولد معنا . كما ولدت فطرة الحنو على أطفالنا وقد نما هذا الشعور وترعرع فى صدورنا بمرث الأجيال . . فلا تصدق أن إنساناً يستطيع أن يتخلص من خوف السماء ، مهما ظهرت على

٣- النزاع الذى ظهر فى عهد الإصلاح الدينى منذ قيام لوتر والبروتستانتية وغيرها من الفرق وأسفرت عنه حروب دامية .

٤- القسوة التى عومل بها بعض العلماء والمفكرين من قبل رجال الدين قتلا وإحراقاً وتعذيباً لقولهم بآراء علمية فلكية كشفت الأيام عن صحتها .

عقدة التخاذل والاستخزاء :

ومن جملة عقد الشباب عقدة التخاذل والاستخزاء التى تظهر عند بعض الشبان الذين لم تتحمل رءوسهم زهد الثقافة فداخوا بكل معنى كلمة (الدوخ) النصيحى والعامية : أى ذلوا ودارت رءوسهم فتحلوا - باسم التقدمية والبرء من الرجعية - عن شعائر دينهم وعزتهم الإسلامية والعربية فى آن واحد .

هؤلاء المخاذيل ليسوا كلهم ملحدين بل قد يكونون فى قرارة نفوسهم من المؤمنين ، ولكن إذا ضمهم المجالس والنوادى مع الإفرنج والمتفرنجين أظهروا من باب التفاخر بالتقدمية العصرية ، أنهم لا يبالون بشعائر الدين ، واستخفوا أمامهم بالصلاة ، وهم من المصلين ، واستهزؤوا بالصوم وهم من الصائمين .

والجهل بتحقيقة الإسلام ، وما يحمل فى صدره من عقد الكبت والقنوط ، أصبح بحاجة طبيعية للمء هذا الفراغ بأية فكرة تلائم نفسيته ، فانجرف مع تقليد الغربيين فى شكوكهم ، ثم زادته المشاكل الاقتصادية المعاصرة فراغاً ، فانجرف مع تقليد الماركسية بشيوعيتها وإلحادها .

ولكن شبابنا فاتهم ، وهم ينجرفون مع هذه التيارات أن يفهموا ، بل فاتنا نحن علماء الدين أن نفهمهم الأسباب التى حملت المفكرين فى عصر النهضة الأوروبية على النزاع مع الدين ، الأسباب التى حملت الماركسية على الإلحاد ومحاربة الدين ورجاله ، ولو فهمناهم لظهر أن أسباب الشك والإلحاد ومحاربة الدين ورجاله عند الغربيين والشيوعيين ليس لها فى تاريخ الإسلام أى أثر .

فمحاربة الدين ورجاله فى أوربا بنيت على أسباب أربعة :

١- النزاع الذى قام بين الفرق الدينية من عهد آريوس الإسكندرى حول الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية .

٢- النزاع المسلح الدامى الذى قام بين الكنيسة والحكام من أباطرة وملوك .

العليا في كل باب من أبواب الحياة .

ككل أمة عظيمة لها في التاريخ
أعجاز ولها أخطاء ومخازن مسطورة تنبئ
عن دورها في كل مجالات التفكير
والتشريع والعمل ، فيما يتفق مع المثل
العليا أو يتناقض مع المثل العليا ،
ولكن الذين كتبوا تاريخ الحضارة من
المؤرخين الغربيين . وهو التاريخ الذي
يقرؤه العالم ويقرؤه شبابنا ، ولا يكادون
يقرأون سواه ، لم يكونوا مجردين من أثر
العاطفة القومية والدينية ومن رواسب
الأحقاد ، أو على الأقل ، من غشاوات
الجهل لتاريخ العرب والإسلام فأبرزوا
القليل من أعجازنا ، والكثير من مخازن
بعض ملوكنا وأمرائنا وجهالنا ورعاينا ،
ونسبوا جميع تلك المخازن إلى دين
الإسلام . فلو وضعنا التاريخ المقارن
للقائع والأحداث لاستطعنا أن نبرهن
لشبابنا وللناس ، على أن لنا في ميادين
الحق والخير أعجازاً تفوق أعجاز كل
الأمم ، وأن المخازن التي تؤخذ علمنا هي
أقل بكثير من مخازن الأمم الأخرى ،

ولاستطعنا أن نبرهن لذلك الفيلسوف
على أن البحر المتوسط الذي يريد أن
يستدرج العرب إلى شطائه ليغسلوا
سيوفهم من الدماء في مياهه ، قد

هؤلاء المستخرون المتصاغرون المتعبرون
بدينهم وملتهم وقوميتهم ، لو كان
أحدهم منتسباً إلى فرقة رياضية أو
كشفية صغيرة ، أو حزب سياسي
هزيل ، أو حزب عقائدي ملحد ،
لرأيته يحمل شاراتها ، ويرفع شعارها ،
ويفتخر بها ، ويدفع عنها ، ويقاقل
في سبيلها ، ولكنه ، وهو المنسوب
إلى أمة عظيمة تؤلف ثلث العالم بشراً
وأرضاً ، ولها في تاريخها ما يرفعها في
كل مستويات المثل العليا من الحق
والخير فوق كل الأمم ، يتعبر منها ومن
شعائرها وتقاليدها ، ويكاد لولا تذكره
الهوية يتبرأ منها . هذا الاستخزاء سببه
جهل شبابنا للتاريخ ، ولو زعموا
أنهم قرأوه واجتازوا به امتحانات
إبكالوريا واليسانس ... فأنا أعرف
كيف يدرس التاريخ في كل البلاد
العربية والإسلامية التي كانت إلى عهد
قريب تحت نير الاستعمار ، وأية
صفحاته تنشر وأية صفحاته تطوى عن
قصد أو عن غفلة .

وعلاج هذا الجهل عندى كتاب
موجز في التاريخ المقارن للأعمال بين
أمتنا وكافة الأمم التي لها شأن في التاريخ
يوضع على أساس البعد أو القرب من المثل

المحاربين الذين يقاوموننا ، فإذا تم لنا
الفتح ، ظفراً أو صلحاً ، آمنا السكان
والأسارى على أرواحهم ، ولم نقل
بلسان (رب الجنود) : إذا ظفرتم
بمدينة فاقتلوا جميع الرجال ، والنساء
والأطفال والرضع ، وأحرقوا المدينة بالنار
كما فعل بنو إسرائيل .

ونشرنا شريعتنا للناس ، بدون أن
نكرهم عليها ، لأن ربنا رب العالمين
يقول لنا : (لا إكراه في الدين)^(١)
ويقول لمحمد عبده ورسوله : (أفأنت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)^(٢)
فلم نعذب الناس بالحديد والنار ،
ذبحاً ، وتقصيماً ، وشيئاً على الجمر كما
فعلوا مع العرب في الأندلس . ولم
نشو الناس في (الأفران) كما فعل
الأتلمان . . . وكنا في فتوحنا نحارب
الجنود المحاربين ، ونأمر بترك غير
المحاربين الآمنين في المدن من الرجال
والنساء والرهبان ولكننا لم نهلك بقنبلة
واحدة (٢٨٥) ألف نسمة ، من
الشيوخ والعجائز والصبايا والأطفال غير
المحاربين كما فعل غرنا في هيروشيا . . .

غسلت فيه من قبلنا ، ويجب أن تغسل
فيه من بعدنا وإلى اليوم ، سيف
كثيرة ، عليها مع الدماء من
أقذار الظلم ، وأرجاس القسوة وأنجاس
البربرية المترفة ، ما لا تكفى لغسله
مياه المتوسط إلا إذا أضفنا إليها أمواه
المحيطات الثلاثة من شواطئ السود في
إفريقيا ، والهند في أمريكا ، وقليل من
مياه بحر اليابان في شواطئ هيروشيا . . .
إننا حملنا كاليونان ، مشعل العلم
والفلسفة وأمددناه بلهب من الذكاء
والعبرية والدرس والبحث ، ولكن بدون
أن تكون لنا وثنية وبدون أن تكون لنا
آلهة تسكر وتزنى ، وكان لنا كالرومان
تشريع وأدب وفتوح وحروب وأسرى ،
ولكننا لم نكن نتلذذ بمشاهد تسليط
الضواري المجموعة على الأسرى والمسيحيين
لنا كلهم عضواً عضواً . .

وفتحنا الأقطار ، كما فعل غرنا ،
لنفسح لأنفسنا مجالا حيويًا ونفتح لنهر
شريعتنا المجرى الذي يتدفق فيه إلى
العالم ، بهلا من أن يتحول إلى مستنقع
يجف في أرض الجزيرة العربية الجرداء
كما يقول (غوة) ولكننا كنا أرحم
الفاحين كما يقول (غوستاف لوبون) .
وفي معارك الفتح كنا نحارب الجنود

(١) سورة البقرة ٢٥٦ .

(٢) يونس ٩٩ .

(لو رأى الناس نبياً : سائلاً ما وصلوه) .

سوء القدوة :

٣ - جعلهم تحت رقابة مملكية صارمة تحفظ عليهم دوام الاحترام والثقة .

سلطان الرأي العام :

وفوق كل هذه العلاجات لعقد الكبت والتخاذل والتقليد ، علاج لا بد أن نستعين به لأن الله فرضه ، وهو (سلطان الرأي العام) .

إن أولئك المصابين من شبلنا بتلك العقد ، والذين بلغ الأمر بهم إلى حد إعلان الإلحاد والاستهزاء بالدين ، وإغواء الآخرين ، وتخذيل الأمة ، هم مرضى ويجب أن نعالجهم كما نعالج كل الأمراض النفسية ، والعقلية . أى تارة بالعطف واللطف والإيحاء والاستهواء والإرشاد ، وتارة بشيء من القسوة .

أما علاج الإرشاد فهو من عمل المرشدين الذين تحدثنا عنهم . وأما علاج القسوة فهو من عمل الرأي العام .

هذا الرأي العام ، الذى وضع به التشريع الإسلامى أعظم ركائز الإصلاح والزجر فى المجتمع ، وجعله من مزايا الإسلام بقول القرآن : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون

ومن أعظم أسباب ضعف الإيمان عند الشباب سوء القدوة فى البيت ، وفى المدرسة ، وفى المسجد ، ذلك لأن القدوة إنما تبنى على الاحترام والثقة . وما لم يكن للشباب ، فى قرارة نفسه ، احترام لرجل الدين ، وثقة بعلمه وخلقه قولاً وعملاً ، لا يمكن أن يتخذ منه قدوة ، بل يكون غير الصالح من رجال الدين سبباً لتجرؤ الشباب على الإلحاد . وعلاج هذا الأمر يفتقر إلى تحضير جيل كامل من رجال الدين ، يتولى هو بدوره تخريج جيل من الآباء والأمهات والمعلمين الصالحين القدوة ، لتستكمل الحلقة دورتها . وتحضير هذا الجيل يركز على الأسس الآتية :

١ - اختبار للنخبة من الطلاب الأذكياء ، الأصحاء جسماً وعقلاً ، للسلك الدينى ، وتسليحهم بكل أسلحة العلم الدينى والدنيوى ، التى تصلح لمواجهة الشباب المثقف .

٢ - رفع مستواهم المعاشى حتى لا يكونوا محتاجين . وأذلاء . فالناس لا يقتدون بالمحتاج الذليل ولو طبق الدنيا عدلاً . وقدماً قد قيل :

عن المنكر...»^(١) ، (ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)^(٢) .

هذا الرأي العام له سلطان وهيبة لا تقل عن هيبة الدولة ، بل قد تفوقها لأنه ينفذ إلى حيث لا تصل عين الدولة ، فرى الشاب . مهما كان مستهتراً ، يثكم عن الناس ويستخفى في الذنوب التي يشعر أن الرأي العام ينكرها أشد الإنكار .

فلو أن الرأي العام دج على إظهار الاستنكار والاحتقار للمجاهرين بالإلحاد والمستهترين بالدين ، والمفاخرين بترك الشعائر ، والساخرين من أحكام الشرع ، لأحدث ذلك أثراً عظيماً في الإصلاح .

الإيمان بالله ضرورة :

وأخر طرق العلاج مع الشباب المثقف بل أولها عند البعض ، أن نقنعهم بمجدوى الإيمان وأنه « ضرورة » إنسانية .

في فلسفة البراغماتيزم Yragmatisme التي سموها في العربية « فلسفة الذرائع » ، أن الفكرة إنما تكون « حقاً » لأنها « نافعة » وإنما تكون نافعة لأنها حق .

وأن « الحق والنافع » يعبران عن شيء واحد . أي أن القضية تصبح حقاً عندما تبررها العواقب . فنحن في زعم البراغماتيزمية الأمريكية ، نخلق « الحقيقة » ونخلق « الحقيقي » حسب حاجة المجتمع .

إن هذه الفلسفة ، التي تتخذ من القيمة العملية للفكرة مقياساً للحقيقة ، ليست صحيحة في أساسها . وليس هذا مقام الكشف عن جوانب الخطأ فيها . ولكننا نتخذ منها منطلقاً لطرح السؤال الآتي :

هل نبدأ التفكير في « الحق » أولاً ، لنستخرج منه « النافع » أم نبدأ التفكير في النافع الضروري لنقول عنه إنه حق ؟ إنني ، مع الشباب المثقف بالذات ، وفي قضية الإيمان بالذات ، أرى أن نبدأ بالثاني . ولكن من أي جوانب النفع والضرورة نمسك خيط الجدل مع هؤلاء الشباب الذين تحيط بهم الشكوك في الدين من كل جانب ؟ .

يقول القرآن : (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً^(١)) فكيف إذا كان هذا الإنسان من الشباب المزود بسلاح العلم المجادل في كل القيم ؟ .

(١) آل عمران ١١٠ .

(٢) آل عمران ١٠٤ .

(١) انكهف ٥٤ .

والكنار بالتغريد ، والطاووس بجمال الشكل ، إلى غير ذلك .

أما الإنسان فإنه يشارك الحيوانات الأخرى ، بصنمات الحركة والتغذى والتناسل ، ويمتاز عنها بمزية واحدة : وهى « النطق » أى العقل ، ومن هنا أطلقوا عليه اسم « الحيوان الناطق » أى العاقل .

ولكن التحقيق العلمى قد أثبت أن الحيوانات لا تخلو من عقل تدرك به كثيراً من أمور معيشتها لذلك صار علينا أن نبحث عن مزية أخرى خاصة يمتاز بها الإنسان عن الحيوانات ، وبها يسمى إنساناً .

هذه المزية الخاصة هى : « الأخلاقية » التى تتجلى « بالضمير الإنسانى » .

فالحيوان يعقل ، وقد ترتقى فيه قوة التعقل ، كما فى بعض القروء ، ولكنه لا يفهم معنى « الأخلاقية » ، ولا يمكن أن يكون له الشعور الذى نسميه « الضمير » .

فأخلاقيتنا ، إذأ ، هى المزية الوحيدة التى نثبت بها « إنسانيتنا » ، وإذا خرجنا عن هذه المزية عدنا إلى مرتبة الحيوانات ، بل كان كل حيوان ،

إن السنين الطوال سوف تنضج ، على جمر العذاب ، تفكير الشباب حتى يصلقوا أن الإيمان « حق وضرورة » ولكننا نريد أن نختصر لهم السنين الطوال ، ونوفر عليهم عذاب الندم والحسرة إذا (جاءت سكرة الموت بالحق) كما يقول القرآن . فمن أين نبدأ الكلام فى أن الإيمان بالله ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية ؟ .

لا ريب فى أن البداية يجب أن تكون أمراً نتفق نحن والشباب على أنه « حق وضرورة » . فما هو هذا الأمر ؟ . إنه « إنسانيتنا » التى يمكن أن يجادل الشباب فى كل شىء إلا فيها .

يقول الفيلسوف الإسلامى الكبير « ابن مسكويه » فى كتابه الموجز الجليل « تهذيب الأخلاق » إن المزية الوحيدة التى يتميز بها الإنسان عن الحيوانات الكثيرة كلها ؛ هى « مكارم الأخلاق » .

ذلك أن كل مخلوق يشترك مع غيره من المخلوقات فى بعض الصفات ، ويمتاز عنها لنفسه بصفة ومزية خاصة لا يشاركه فيها غيره ، كالأسد يمتاز بالقوة ، والفرس بسرعة الجرى ، والبغل والحمار بحمل الأثقال ، والعنديل

بمزيتة الخاصة ، خيراً منا لأننا فقدنا
مزيتنا الخاصة ، وليس لنا مزاياه .

هكذا قال ابن مسكويه ، وهكذا
من بعده بعضوور ، جاء « دارون »
يقول إن الضمير أو الحس الأخلاقي هو
أظهر فاصل يفرق بين الإنسان والحيوان
جاء « كانط » يتخذ من هذا « الشعور
الأخلاقي » منطلقاً لإثبات خلود الأرواح
ويوم الحساب ، ووجود الله الحكيم
العدل القدير . هذا الضمير الأخلاقي
إنما يصونه الصيانة الكاملة الدائمة
الساهرة ، النافذة من وراء حجب الخفاء
شيء واحد ، وهو الإيمان بوجود الله
الحكيم العدل القدير .

فتحقيق إنسانيتنا ضرورة اجتماعية ،
وإنسانيتنا لا تتحقق إلا بأخلاقيتنا ،
وأخلاقيتنا لا تصان إلا بالإيمان . فالإيمان
إذاً ، أمر ضروري لأنه يمسك أخلاقيتنا
التي تثبت بها إنسانيتنا .

وأكرر القول للشباب : إن الإيمان
بالله هو :

أس الفضائل .

ولحام الرذائل .

وقوام الضمائر .

وسند العزائم في الشدائد .

وبلسم الصبر عند المصائب .

وعمد الرضى والقناعة بالحفظ .
ونور الأمل في الصلور .

وسكن النفوس إذا أوحشتها الحياة .
وعزاء القلوب إذا نزل الموت أو قربت
أيامه . . .

والعروة الوثقى بين الإنسانية ومثلها
الكريمة . .

فلا يخذعنكم ، أيها الشباب ، من
يقول لكم إن مكارم الأخلاق تغني
بوازع الضمير ، عن الإيمان ،
لأن مكارم الأخلاق التي تواضعنا عليها
للتوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع
لا بد لها ، عند اعتلاج الشهوات ،
في الشدائد والأزمات ، أن تعتمد
على الإيمان . بل إن هذا الشيء الذي
نسميه ضميراً إنما يعتمد ، في سويدهاته
على الإيمان . . .

وانقياد الناس لمكارم الأخلاق ،
إنما يكون بزاجر من سلطان ، أو وازع من
القرآن ، أو رادع من المجتمع ، فإذا كنا
في نجوة من سلطان القانون والدين والمجتمع
لم يبق لنا وازع إلا الضمير . ونحن في
معركة الشهوات والغرائز مع الضمائر
قل أن ترى الضمير منتصراً ، إلا عند
القلة من الناس ، وهذه القلة نفسها
لا تتمسك بضمائرها عند جموع

ما يضرها وما ينفعها ، ولكنها في نجوة
من أعباء التكليف ، وأثقال الأوزار ،
ومضض الشك ، وكرب الحيرة ،
وعذاب الضمير . . .

وهي تمرض كما نمرض ، وتموت
كما نموت ، ولكنها في راحة من التفكير
في عقبي المرض ، وفراق الأحباب ،
وسكرات الموت ، ومصير الموتى وراء
القبور . . .

والضواري تسفك الدماء لتشبع ،
بلا سرف ، ولكنها لا تسفكها أنفأ ،
ولا جنفاً ، ولا صلفاً ، ولا ترفاً ،
ولا علواً في الأرض ، ولا استكباراً .

أما هذا الحيوان الفيلسوف ، الضعيف
المهلوع ، الجزوع ، المطماع ، المختال ،
الفخور ، المترف ، المتكبر ، المتجبر
السافل الدماء ، الذي لا يأتيه شقاء
الحياة ، أكثر ما يأتيه ، إلا من تفكيره
فإنه لا علاج لشقائه إلا بالإيمان فالإيمان
هو الذي يقويه ، وهو الذي يعزیه ،
وهو الذي يسليه ، وهو الذي يمينه ،
وهو الذي يرصيه ، وهو الذي يجعله
إنساناً يسعى إلى مثله الأعلى لتسجد له
الملائكة . . . ومن دون هذا الإيمان
يكون هذا الإنسان المسكين أتعس
الخلائق ، وأسوأها حظاً ، وأعظمها شقاء
مجلة الأزهر

الشهوات ، إلا إذا كانت تخشى الله .
ولو تركنا مكارم الأخلاق جانباً ،
ونظرنا إلى حاجتنا للإيمان من حيث
هو سند في الشدائد وبلسم للمصائب ،
وسكن للنفوس ، وعزاء للقلوب ، وعلاج
لشقاء الحياة ، لوجدنا أننا عند فقد
الإيمان نكون أسوأ حظاً في الحياة ،
وأدنى رتبة في سلم المخلوقات من أذل
البهائم ، وأضعف الحشرات ، وأشر
من الضواري :

فالبهائم تجوع كما نجوع ، ولكنها
في نجوة من هم الرزق وخوف الفقر ،
وكرب الحاجة ، وذل السؤال . . . وهي
تلد كما نلد ، وتفقد أولادها كما نفقد ،
ولكنها في راحة من هلع المشكلة ، وجزع
الميتة ، وهم اليتامى المستضعفين .

وهي في أجسادها ، تلتذ كما نلتذ ،
وتألم كما نألم ، ولكنها في راحة مما يأكل
القلوب ويقرح الجفون ويقض المضاجع
ويقطع الأرحام ، ويفرق الشمل ، ويخرب
البيوت من المهلكات : كالحسد ،
والكذب ، والنميمة ، والفرية ، والقذف
والنفاق ، والخيانة ، والعقوق ، وكفر
النعمة ، ونكران الجميل ...

وهي تعرف ، بنوع من الإدراك

وأشدّها بلاءً وأحطها رتبة، وأرزها مصيراً .
وسبيله إلى الإيمان هو ذلك « التفكير »
الذى كان سبب شقائه . إنه عبد
لتفكيره قبل أن يكون عبداً لربه ولا يكون
عبداً لربه ، حق العبد ، إلا بهذا التفكير
الذى ينسج أكثر خيوط سعوده ونحوه
فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

لقد خلق الله هذا الإنسان ، ورفع ،
وكرمه ، وميزه بهذه النفس العاقلة المفكرة
التي علمه بها الأسماء كلها وخلفه
بها على الأرض ، وصيره بها فوق
الملائكة ، وكتب الفلاح لمن زكاها ،
والخيبة لمن دساها (ونفس وما سواها *
فألهما فجورها وتقواها * قد أفلح من
زكاها * وقد خاب من دساها) (١)
فكيف نزيها ؟

إننا نزيها بالتفكير ، حتى تتسامى
إلى مثلها الأعلى وتصل إلى « اليقين »

من الحق والخير والجمال ، فزى الله
عنده . . . وتجد من حلاوة الإيمان
ما تدرك به سر شقائها وسعادتها وضعفها
وقوتها ، وعجزها وقدرتها ، وعبوديتها
وحريتها . . . بل سر خلقها ، ووضعها
على مفترق « النجدين » وتركيبها على
هذه الصورة القابلة « للضدين » ، التي
من دونها لا يفهم معنى « العبودية »
ولا يستقيم معنى « العبادة » . . .

لذلك كان حقاً علينا ، من باب
الحاجة والضرورة ، إن لم يكن من باب
الحق والعبادة والتقوى ، ومن أجل سلامة
عقولنا ، وسلامة قلوبنا ، وسلامة
ضمائرنا ، وسلامة إنسانيتنا ومثلها العليا ،
وسلامة المجتمع ، أن ندعو إلى الإيمان
بالله ، ونيسره للعقول ونشرح له الصدور .

نديم الجسر

فهرس العدد

الصفحة	الموضوع
٣١٤ - ٣٠٥	١ - غارة التتار على العالم الإسلامى (أسبابها ونتائجها) العلامة أبو الحسن الندوى
٣٢٧ - ٣١٥	٢ - إلى أين يتجه المسلمون ؟ المرحلة الثانية عصر الملكية العلامة أبو الأعلى المودودى
٣٣٢ - ٣٢٨	٣ - مات الرجل الذى كان وجوده على رأس الأزهر إرهاباً بما هو مقبل عليه من مجد وسؤدد الأستاذ أحمد حسين
٣٥٤ - ٣٣٣	٤ - بطولات إسلامية - مسلمة بن عبد الملك بن مروان قاهر هرقل ... وفاتح الأناضول اللواء الركن محمود شيت خطاب
٣٦٦ - ٣٥٥	٥ - دراسات قرآنية - محمد دعوة إبراهيم وبشرى عيسى الشيخ مصطفى محمد الحديدى
٣٧٨ - ٣٦٧	٦ - إيمان بغير دين إلحاد مبین الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة
٣٨٩ - ٣٧٩	٧ - فى مواجهة الإلحاد المعاصر - استمرار الصراع بين الدين والعلم الدكتور يحيى هاشم
٣٩٦ - ٣٩٠	٨ - نظرة إسلامية إلى المال ووظيفته الدكتور رؤوف شلي
٤٠٩ - ٣٩٧	٩ - التدبئن غريزة فى طبع الإنسان الدكتور محمد عيد عابدين
٤١٧ - ٤١٠	١٠ - التربية الدينية وبناء المسلم السوى الأستاذ السيد حسن قرون

- الموضوع
 ١١ - الأزهر جامعاً وجامعة ؛ أو مصر في ألف عام
 الأستاذ محمد كمال السيد
 ٤١٨ - ٤٣٠ الصفحة
- ١٢ - هواتف إسلامية - ترابط هذه الأمة
 الدكتور إبراهيم أبو الخشب
 ٤٣١ - ٤٣٤
- ١٣ - قضايا لغوية ؛ أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية
 الدكتور توفيق محمد شاهين
 ٤٣٥ - ٤٤٤
- ١٤ - الأمن الاجتماعي في الإسلام
 العقيد فكري الجوهري
 ٤٤٥ - ٤٥٢
- ١٥ - المسيحية توحيد لا تثليث والإسلام ضرورة عالمية
 الأستاذ زاهر عزب الزغبى
 ٤٥٣ - ٤٦١
- ١٦ - الشريعة الإسلامية والقانون الانجليزى (حد شرب الخمر)
 المستشار حسن حسب الله
 ٤٦٢ - ٤٦٨
- ١٧ - التوجيه الإسلامى لعلم النفس
 الدكتور فؤاد أبو حطب
 ٤٦٩ - ٤٧٧
- ١٨ - أخطاء شائعة
 الأستاذ عباس أبو السعود
 ٤٧٨ - ٤٨٧
- ١٩ - الفتاوى
 الأستاذ عبد الحميد شاهين
 ٤٨٨ - ٤٩٢
- ٢٠ - كتاب الشهر - شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين
 سماحة الشيخ نديم الجسر
 ٤٩٣ - ٥١٤
- ٢١ - القسم الفرنسى
 إشراف الأستاذ المهدي حامد عساكر
 ٥٢٠ - ٥٢٩
- ٢٢ - القسم الانجليزى بقلم المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة
 إشراف الأستاذ زاهر عزب الزغبى
 ٥٣٠ - ٥٧٦

إلى السادة راغبي الاشتراك فى مجلة الأزهر
عليكم الاتصال باشتراكات أخبار اليوم (توزيع الأخبار)
٣ (أ) شارع الصحافة - القاهرة

وفى إىلى قىمة الاشتراك للمجلة لمدة ١٠ أعداد سنوياً

أولاً : جمهورية مصر العربية

١,٥٠٠ (جنية وخمسمائة ملجم)

ثانياً : دولة اتحاد البريد العربى الأفريقى :

٢,٧٠٠ (جنيهان و ٧٠٠ ملجم) أو أربعة دولارات

ثالثاً : باقى دول العالم :

٨,٧٠٠ (ثمانية جنيهاً و ٧٠٠ ملجم) أو ١٣ ثلاثة

عشر دولار ، تسدد قىمة الاشتراك فى مصر نقداً

أو شيك لأمر اشتراكات مؤسسة أخبار اليوم .

تسدد قىمة الاشتراك للدول العربية الأفريقية .

والدول الأجنبية بشيك مصرفى مسحوباً على أحد

البنوك العالمية لأمر اشتراكات مؤسسة أخبار اليوم :

المراسلة على هذا العنوان

توزيع الأخبار ٣ (أ) شارع الصحافة - القاهرة

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

et se bornant par conséquent à recevoir ce qui vient à lui en quelque sorte spontanément et sans aucune initiative de sa part, ne saurait avoir de méthode; il ne peut donc pas y avoir de **tariqah** mystique, et une telle chose est même inconcevable, car elle est contradictoire au fond. De plus, le mystique, étant toujours un isolé, et cela par le fait même du caractère "passif" de sa "réalisation", n'a ni "cheikh" ni maître spirituel" (ce qui, bien entendu, n'a absolument rien de commun avec un "directeur de conscience" au sens religieux), ni **silsilah** ou "chaîne" par laquelle lui serait transmise une influence spirituelle (**baraqah**)".

Et c'est avec logique et bon sens que René Guénon conclut qu'il faut traduire **tassawwuf** par "initiation", en se souvenant que voie initiatique et voie mystique sont rigoureusement incompatibles. Faut-il ajouter, précise-t-il, qu'il n'y a en arabe "aucun mot par lequel on puisse traduire même approximativement celui de "mysticisme", tel-

lement l'idée que celui-ci exprime représente quelque chose de complètement étranger à la tradition islamique,"

Rappelons à ce propos la très-précieuse distinction que l'Islam établit entre le domaine de la Connaissance pure, de la "vérité intime" (**Haqiqah**) et la Route Générale (**Chariyah**) : tous les autres aspects de la Religion, rituels, émotifs, sociaux, législatifs, etc...). Pas de contradiction.

En effet, c'est la **Haqiqah** qui donne sa vraie valeur et sa vraie signification à la Route Générale. La **Haqiqah** est comme le Centre et la **Chariyah** est comme la circonférence engendrée à partir de ce Centre. Les rayons représentent les voies d'accès pour ceux qui, partant de la Circonférence, veulent rejoindre la **Haqiqah**; celle-ci et les voies d'accès constituent un ensemble; cet ensemble, c'est l'ésotérisme islamique; les **voies** sont multiples et se rapprochent les unes des autres au fur et à mesure que chacune se rapproche du Centre.

sont eux qui répandront l'Islam par contre-coup dans une vaste zone de l'Afrique Noire, du Sénégal jusqu'à l'Éthiopie.

Replacée dans ce contexte, l'entreprise du grand Sanoussi n'a rien d'extraordinaire, d'"original" au mauvais sens du terme.

Qu'est-ce que le Soufisme ?

C'est un mot qu'il vaudrait mieux ne pas employer; les finales en -isme font penser à une doctrine ou à une systématisation et rien n'est plus déplacé en l'occurrence; en fait c'est un mot inventé par des orientalistes non musulmans, qui en ont fait un synonyme d'**ésotérisme islamique**; pourtant le mot arabe⁽¹⁾ qu'ils traduisent "soufisme" s'applique à tout enseignement ésotérique traditionnel, quelle que soit la forme religieuse ou philosophique qu'il ait pu revêtir; le mot **soufi** lui-même, en arabe, désigne celui qui a atteint le plus haut degré de développement possible à l'homme; nul ne peut se dire soufi, mais on peut être "mutasawwuf", c'est-à-dire à un degré, ou à un autre, de l'évolution spirituelle : cela nous rappelle Pythagore refusant le titre de SOPHOS (généralement traduit par "sage") et revendiquant celui de PHILO-SOPHOS ("chercheur amoureux de la Sagesse").

Nombre d'orientalistes occiden-

taux ont voulu insinuer que le "soufisme" serait venu s'ajouter à l'Islam pour ainsi dire **du dehors**, alors que les doctrines traditionnelles auxquelles ils prétendent se référer sont un élément essentiel de l'Islam depuis ses origines. Cette déformation, consciente ou inconsciente selon les cas, des réalités musulmanes s'est aggravée quand ces messieurs se sont mis à nous parler de "mystique musulmane", à propos des Ordres initiatiques islamiques, exposant ainsi aux yeux des gens avertis leur incompétence et leur ignorance, mais aussi abusant et induisant en erreur quantité d'esprits que personne ne songe à mettre en garde. Comment des esprits sérieux, formés aux méthodes "scientifiques" de la critique universitaire allemande ou française ont-ils pu délibérément entretenir de pareilles confusions? Comment... ou **„pourquoi”** ?

Quand un chercheur de bonne foi croit trouver en dehors du Christianisme des équivalents du mysticisme, manifestation qui n'appartient en fait qu'à cette religion, c'est qu'il est abusé par quelques ressemblances extérieures accidentelles, souvent fondées sur le vocabulaire: ces vagues analogies n'ont aucun poids en face des différences fondamentales que l'on a oubliées. Le but du mysticisme n'est pas la Connaissance pure, aussi fait-il partie du domaine général de la Religion, de l'exotérisme. "Le mystique ayant une attitude "passive"

(1) Tassawwuf.

veulent bien laisser, de leur constitution intime, de leur base, de leur organisation ésotérique.

C'est ainsi qu'on peut relever des traces d'infiltration de l'Ordre Qadiryah en Afrique du Nord au 12^e. siècle; mais ceci ne nous permet point de juger de l'importance effective, numérique ou autre, de cette pénétration d'un Ordre qui s'était constitué au 11^e. siècle.

Quand s'éteint, vers 1200, le grand initié de Tlemcen, Abou Madyan, c'est au Maghreb que son disciple Noureddine al-Shadili, mort en 1258, jette les bases de ce qui deviendra bientôt, après son exode en Egypte, l'Ordre shadiliyah; le succès de al-Shadili avait été si foudroyant en Tunisie que les autorités en prirent ombrage; laissant là des quantités de disciples déjà organisés, el Shadili recratera avec une aussi grande facilité en Egypte, en Syrie, en Arabie des adeptes enthousiastes.

Comparativement aux Qadiryah et aux Shadiliyah, les deux autres grands ordres, tous deux apparus en Asie entre 1200 et 1250, fondés l'un par Shihâb el-Dine et l'autre par Djelaleddine Roumi, ont eu en Afrique du Nord une diffusion modeste, au moins du point de vue quantitatif. Ces grands ordres fondamentaux sont tous les quatre marqués, dès cette époque, dans l'enseignement de leurs cercles ésotériques, par la pensée et l'œuvre prestigieuse de Mohieddine Ibn-Arabi, mort vers 1240, — Ibn-

Arabi qui repose dans une mosquée de Damas et auprès de qui a voulu reposer son disciple Abd-el-Kader, le chef de la résistance algérienne au 19^e siècle, auteur lui-même de commontaires sur Ibn-Arabi et d'ouvrages divers.

Laissons passer deux siècles : vers 1400, l'action des confréries en Afrique du Nord a été telle que les centres vitaux de l'enseignement islamique ne sont plus simplement les mosquées et les medersas, mais aussi, sinon plutôt, les communautés organisées des ordres religieux, concrétisées dans des édifices : les zaouyas. Aux yeux de beaucoup de gens, les gardiens du pur Islam, les défenseurs de la foi sont moins les ulémas, les théologiens, que les dirigeants des confréries et leurs collaborateurs.

C'est un fait indiscuté d'ailleurs que, bien souvent, la résistance à l'expansionnisme européen viendra des Ordres, bien plus que des Pouvoirs, — et certes, dès 1700, ce sont les Ordres qui, sur le plan international, apparaîtront comme les défenseurs de l'Islam, plus que les Califes; si les historiens orientaux n'insistent guère à ce propos, n'oublions pas que l'Orient musulman a souvent méconnu l'Afrique du Nord, lui a donné une place insignifiante dans ses préoccupations, ainsi que dans les œuvres des géographes et des historiens. Ce sont les Ordres qui, de Tunis jusqu'à l'Atlantique, feront face aux missionnaires et aux colonisateurs de tous poil, ce

laisse pas d'entretenir avec les Ordres initiatiques, dont nous allons parler, des rapports plus ou moins étroits selon les conjonctures.

F. — Les Medersas et les Ordres

Partout au fur et à mesure que dans les régions troublées par les envahisseurs et par les guerres, le calme s'était rétabli, on avait vu apparaître, déjà aux approches de l'an mil, les medersas; comme nous l'avons déjà dit, c'étaient des institutions d'état, auxquelles était dévolu l'enseignement de l'Islam selon le rite malékite; elles devaient aussi défendre l'Islam contre les déviations; ces medersas sont patronnées directement par des hommes influents, souvent des souverains.

Mais quand s'effondrent les Almohades et pendant qu'en Espagne l'Islam chancelant se maintient, ici et là, encore un siècle⁽¹⁾, les Ordres initiatiques commencent à se faire connaître à de larges couches des populations islamisées, ils en viennent souvent même à s'incorporer étroitement à la vie populaire; jusqu'à l'an mil, on avait surtout connu des réunions libres de chercheurs de perfection autour d'un Maître vénéré. Dès 1200, se présentent des organisations puissantes : les Confréries. Elles affrontent sans crainte, s'il le faut, la Théologie officielle et les Pouvoirs.

(1) Plus longtemps encore à Grenade.

Elles prétendent ainsi, elles aussi, contribuer à la revivification de la foi; par delà le noyau d'initiés qui est le cœur de l'organisation, elles veulent agir sur le plan exotérique, sur les masses, grâce, à leurs adhérents (les "mountasibin", que nous avons définis au début du chapitre IV) et grâce à leur organisation matérielle, centrée sur un certain nombre de "Maisons" de la Confrérie; la "maison" s'appelle tantôt **ribat**, tantôt **zaouya**, tantôt **khanagua**, tantôt **tekkié**.

Les zaouyas d'Afrique du Nord, comme le seront celles des Sanousis, ne se contentent pas de donner l'enseignement propre à l'Ordre qui les a créées, elles offrent aussi des cours généraux de sciences islamiques (théologie orthodoxe, droit musulman, etc.). Souvent elles documentent la population sur les événements politiques et sociaux, jouant un rôle d'information des plus importants. La revivification de l'Islam s'appuie donc, dès lors, sur un nouvel élément; jusqu'alors, elle avait été le fait de penseurs vigoureux, comme ghazali, Ibn Taimyah et tant d'autres, — ou bien de personnalités puissantes, à la fois initiés et chefs politiques et militaires, comme Ibn Tachfine ou Ibn Toumert.

Penseurs et conquérants ne se cachent pas à l'historien, leurs livres et leurs victoires ne peuvent rester dans l'ombre; il est bien évident que les Ordres religieux ne laissent souvent que les traces qu'ils

de maîtres prestigieux; il revient, passant par Alexandrie, puis par la Tunisie, proclamant avec zèle l'Unité divine. Ses disciples porteront le nom d' "al-muwabhidoun" ("les gens de l'Unité"); de ce mot déformé proviendra l'appellation "almohades".

E. — Les Almohades

Revenu chez lui, Ibn Toumert, puisqu'il faut citer son nom, dénonce les déviations des Almoravides, prêche contre la musique, l'usage du vin, le luxe, contre les Califes de Bagdad et du Caire... il finira même par se présenter comme le "Mahdi". A sa mort (1142), un de ses disciples, originaire de Tlemcen, Abd el-Moumen, poursuit son œuvre; après d'âpres combats, il soumet le Maroc, puis l'Algérie et la Tunisie, prend le titre de Calife, et règne sur l'Afrique du Nord tout entière, de l'Atlantique jusqu'à la Tripolitaine.

Défaits au Maroc, les Almoravides n'avaient pas pu tenir non plus en Espagne islamique; le pouvoir s'y était émietté, derechef, entre de nombreux petits émirats particularistes. Certains appelèrent les Almohades à l'aide; d'autres, n'ayant pas oublié ce qui s'était passé après l'intervention almoravide, s'allièrent à des princes chrétiens. Aussi lorsque abd-el-Moumen reconstitua l'Espagne islamique, dut-il laisser de côté une petite zone orientale; mais pendant cinquante ans, sous

le sceptre almohade, l'Islam va briller à nouveau, d'un éclat incomparable, au milieu d'une prospérité économique jusque là inégalée; et non seulement l'Espagne, mais le vaste Empire dont elle fait partie, qui va du Maroc à Tolède, de la Mauritanie à la Libye: seule époque dans l'histoire connue où l'Afrique du Nord ait été totalement unie.

C'est ainsi donc qu'en moins de deux siècles Almoravides et Almohades achevèrent, par la constitution de vastes empires unifiés, l'islamisation et l'arabisation de l'Afrique du Nord. Austères, rigoristes au début les uns et les autres, leurs successeurs s'assouplirent et goûtèrent aux douceurs de l'Espagne musulmane. Tout en restant malékites, les Almehades encouragèrent une libre recherche intellectuelle; c'est l'époque d'Ibn Tofail et d'Averroès⁽¹⁾ pour ne citer que deux noms au hasard; ils montrèrent aussi une tolérance compréhensive envers le culte des saints qui se popularise de plus en plus, et ne

(1) On l'oublie trop souvent : ce sont des circonstances politiques accidentelles qui poussèrent un prince almohade à exiler Averroès, pour se concilier les théologiens orthodoxes : et c'est ainsi qu'émigra en Europe la recherche philosophique libre; et c'est un saint chrétien, le plus grand philosophe sans doute que l'Europe ait produit, Thomas d'Aquin, qui continuera l'œuvre d'Averroès : singuliers caprices des circonstances.

Celui-ci fonda dans l'île de Tidiris, au large de la Mauritanie, une Ecole, un sorte de monastère où il vécut avec quelques fidèles, sous une rude règle; le nombre des disciples s'accrut; ayant réuni une équipe de collaborateurs endurois et qualifiés, Yassine s'attacha à créer, tout au long des pistes caravanières, espacés d'étape en étape, de nombreux monastères fortifiés⁽¹⁾.

La piété et le courage des "moines-soldats" enthousiasmèrent les Sanhadja; quand leur nombre atteignit le millier, ils décidèrent d'agir; ayant soumis aisément les tribus des alentours immédiats, ils lancèrent des raids en direction du "Soudan"⁽²⁾, châtièrent la ville renégate d'Adouaghost, ainsi que Sigilmassa, où les moeurs étaient par trop corrompues. Enfin, Ben Yassine et son général victorieux, en même temps son disciple, Ben Omar, moururent à quelques années de distance, vers 1058, alors qu'ils piétinaient aux confins du Maroc, à la tête de leurs moines-chevaliers voilés d'une fine éteffe violette ou indigo... Image légendaire.

L'austère et vaillant Youssef ben Tachfine prit la relève, et pénétra au Maroc en 1062, fondant aussitôt Marrakech, puis soumettant

rapidement le Nord du pays, Fez, Ceuta, atteignant Alger en 1082 : le Maroc avait largement refait son unité pleine et entière.

Ben Tachfine jugea alors le moment venu de répondre aux invites répétées des Emirs d'Andalousie qui, depuis des années, réclamaient son appui militaire⁽³⁾. Sept fois, il traverse la mer, livre des batailles spectaculaires, écrase ses adversaires, s'empare de Valence, Cordoue, Séville, Tolède, Saragosse; puis, en raison de leur vie molle et relâchée, de leur apparente tiédeur religieuse, il dépose ces Emirs-là mêmes qui l'avaient appelé au secours. Une nouvelle ère de grandeur s'ouvre pour l'Espagne islamique, pendant que de 1106 à 1142 le fils de Ben Tachfine, Ali ben Youssef, consolide l'oeuvre de son père.

Mais, au bout de deux générations, l'Espagne musulmane avec ses arts, ses musiciens, ses chanteurs, ses poètes et sa douceur de vivre ont déjà bien altéré le mode de vie prôné par les premiers Almoravides; on le sait vite au Maroc, où commencent aussi à s'infiltrer les influences amollissantes de l'Espagne. Issu de la tribu des Masmouda, un homme se lève, prend le bâton du voyageur, va à Damas, puis à Bagdad où il étudie dix ans auprès

(1) De "ribat", mot qui désigne ce type de couvent-forteresse, on a tiré : "almara-boutin" (**les gens du ribat**) qui s'est transformé en "Almoravides".

(2) Soudan : littéralement "le pays noir".

(3) Depuis la mort d'al-Mansour (1002) l'Espagne musulmane s'était morcelée en plus de vingt états, divisés par d'incessantes querelles.

soeur des bords du Guadalquivir, la Grande Mosquée de Cordoue : l'orthodoxie sortait triomphante de ses épreuves.

Beaucoup de ceux qui avaient espéré une revivification de la foi sous l'étendard kharidjite ou chiite, constatant en définitive la désunion de l'Islam et les troubles incessants, reviennent à l'orthodoxie; des faits analogues pouvaient s'observer au Khorassan, en Asie Centrale, en Iran oriental : c'est là que, dès le 10^e siècle, commencement à s'ouvrir des écoles enseignant l'Islam sunnite, formant des ulémas et des cadres : ce sont les "madrasas", qui, peu après, fleuriront en Afrique du Nord, sous le nom de "médersas".

Les controverses, les disputes nées des hérésies et leurs implications politiques et sociales avaient constitué en fait une longue orise de croissance; l'enseignement religieux en avait reçu une impulsion vigoureuse, de même les méditations sur la doctrine de l'Islam; cette crise n'avait pas été cantonnée à quelques milieux intellectuels, mais avait dominé la vie quotidienne et le destin des foules.

1050, date du ralliement ziride à Baghdad, marque donc un tournant dans l'histoire de l'Afrique du Nord; à l'Ouest, en Mauritanie se lèvent les Almoravides, dont nous allons parler, — à l'Est c'est le bouleversement social réalisé par les Beni Hilal: détruisant d'un côté les réalisations de la civilisation

sédentaire et urbaine, villes et villages, par ailleurs ils font revivre la vie tribale et son organisation complexe; ils donnent ainsi à l'arabisation et à l'islamisation des Berbères, qui n'étaient jusque là achevées que dans les villes, un coup de fouet énergétique, sinon décisif.

Mais, bien sûr, tout aussi capitale en ce sens fut à l'Ouest la double épopée Almoravide - Almohade (1050 — 1200); si les Almohades s'opposèrent aux Almoravides, les détruisirent et les remplacèrent, il n'empêche qu'au départ de ces deux prissantes dynasties, il exista une même volonté de revivification de la religion, de retour à la pureté première, sous l'impulsion d'une personnalité exceptionnelle qui, pour son dessein, n'a pas choisi de créer une Ordre religieux, mais un Empire.

D. — Les Almoravides

Entre l'an 900 et l'an 1000, les Sanhadja, affaiblis par des divisions intestines, avaient été subjugués par les troupes de l'Etat du Ghana. Au 11^e siècle, un chef énergique, Yahya el-Godali, rétablit leur unité, fit le pèlerinage, d'où il revint pour consulter à Kairouan Abou Imran el Fasi, maître illustre d'origine marocaine; il rejoignit ses Berbères, bien décidé à revivifier leur foi par des méthodes appropriées. Il confia cette tâche à un prédicateur du Sud-Narocain, Ben Yassine.

En effet, vers 750, les Arabes améliorent la piste qui joint le Sud-Marocain à l'Adrar et lancent une attaque exploratrice contre le Ghana; ils en reviennent chargés d'or. "Pays des Noirs - Pays de l'Or", ce slogan incite marchands et aventuriers à risquer la traversée du désert : arabes et berbères islamisés, vont se fixer, nombreux, en ce "Pays des Noirs : à la source même du trafic du métal jaune, ils en profitent pour vendre aux habitants les produits amenés du Nord : céréales, sel, étoffes, armes, métaux, etc ... Le pays leur fournit, outre l'or la noix de kola, fort appréciée au Maghreb; les conversions se multiplient en pays noir. Et, au sein de la grande tribu berbère des Sanhadja, qui contrôle toutes les pistes caravanières venant du Maroc, une de ses importantes subdivisions, les Léntoumna, s'assure assez vite l'hégémonie. Islamisés dès le 9^e siècle, les Sanhadja contribueront à la prospérité de la cité commerciale d'Adouaghost, bien vite pourvue de mosquées, et capitale d'un puissant royaume, rival du Ghana.

B. — 900 : Les Fatimides

Un "Mahdi" apparaît, vers 900; selon ses dires venu de Syrie, descendant d'Ali et de Fatima, fille du Prophète, il annonce pour sa lignée un triomphe imminent, qui se réalise effectivement; les Fatimides vont, en peu de temps, dominer une partie de l'Afrique du Nord, la

Tunisie toute entière, la Sicile, la Syrie, l'Egypte et la Nubie.

Installé au Caire en 973, le chef des Fatimides se proclame solennellement Calife, déniait toute légitimité au Calife de Baghdad. Déjà, sous les coups des Fatimides, s'étaient effondrés en 909 les Rostomides et en 920 les Idrissides; en 975, c'est Kairouan qui tombait aux mains d'une petite tribu berbère, vassale des Fatimides, les Zirides. Pendant trois quarts de siècle, les Fatimides vont régner sur une partie du Maghreb et sur une partie de l'Orient Arabe; une grande prospérité s'ensuivra pour tous, un esprit de large tolérance se développera.

C. — 1050 : Moment - clé pour l'Afrique du Nord :

Mais en 1050 l'Emir ziride al-Moezz va rompre avec le Caire et proclamer son allégeance au Calife de Baghdad. Les Fatimides donnèrent alors le feu vert aux puissantes tribus des Beni Soliman et des Beni Hilal, jusque là contenues dans les frontières de la Nubie; c'est un déferlement destructeur qui, traversant la Libye (une partie de ces tribus s'y attarde ou s'y fixe), s'abat sur la Tunisie, la proie désignée : elle est ravagée presque de fond en comble ...

Vingt ans après, Kairouan renaît au milieu du désert créé par l'expédition vengeresse; la Grande Mosquée se remet à enseigner l'orthodoxie sunnite, de concert avec sa

d'autres religions); nous voulons parler du Kharidjisme et du Chiisme⁽¹⁾; c'est d'ailleurs à cette époque qu'arrivaient jusqu'au Maroc, comme dans tout le monde musulman, de véritables "missionnaires" d'une importance secte chiite : les Ismaéliens; les opposants étaient aussi portés à se rallier à ceux.

(Parfois chiites) qui faisaient leur la croyance au "Mahdi", croyance qui s'était plus ou moins répandue selon les régions (le "Mahdi" étant un Envoyé de Dieu qui doit venir restaurer l'Islam dans sa pureté primitive).

A. la Période 750 — 900 :

Entre 750 et 800, de nombreux soulèvements kharidjites locaux aboutissent, en quelques décades, à la constitution de trois importants royaumes qui rejettent l'autorité du

Calife de Bagdad : **Sigilmassa**, dans le Sud-Ouest marocain), **Tlemcen**, qui va connaître un prodigieux essor commercial et devenir en même temps un grand centre à la fois de théologie dogmatique et de libre recherche spirituelle ; enfin au Sud-Est de Mostaganem, le Royaume de Touhert (**Tiaret** pour les Français) fondé par l'iranien Ibn Rostom, état fort, dirigé par un roi élu (investi dès lors d'un pouvoir absolu, et tenu à une vie simple, rude et pieuse).

Chiite par contre, le gouvernement du Royaume Idrisside, créé par Idris I^{er} à la fin du 9^e siècle⁽¹⁾; il fonde Fès, bientôt capitale du nouvel Etat, que son fils Idris II va étendre, en un quart de siècle, à peu près jusqu'aux frontières du Maroc actuel.

Enfin, simultanément, se constituent peu à peu en Mauritanie les conditions qui permettront l'essor, trois siècles après, de deux mouvements de revivification essentiels dans l'histoire de l'Islam : Almoravides et Almohades.

(1) Après la mort du Prophète, certain musulman pensaient que son gendre, Ali, devait lui succéder comme chef de la Communauté islamique. Les Chiltes, partisans d'Ali, se divisèrent très vite en de nombreuses sectes. Les Kharidjites (du verbe **kharadja**, sortir) "sortirent" de la communauté musulmane; persuadés qu'Ali avait un droit imprescriptible au Califat, ils s'indignèrent de le voir accepter, sur cette question, un arbitrage. Très violents et sectaires au début, ils prirent souvent par la suite des formes plus modérées (ibadisme, etc). Au total chiites et kharidjites n'ont jamais constitué, au sein de l'Islam, qu'une très petite minorité.

(1) Fuyant l'Orient, où sa famille avait été massacrée, Idris trouva accueil chez les Berbères Awraba; il se présentait comme un arrière petit-fils d'Ali; fait assez fréquent, l'équipe directrice chiite groupée autour d'Idris ne prétendait pas enseigner à la population la doctrine particulière qui était la sienne; membres de sociétés ésotériques ils pensent que l'enseignement fondamental auquel ils se rattachent n'a pas à être vulgarisé.

REVUE DE L'AZHAR

Section française

par

Moustafa Djellal-el-Dine Daumal

NOTE SUR L'HISTOIRE DE L'AFRIQUE

DU

NORD ET LES ORDERS RELIGIEUX

Le Prophète Mohammed mourut en 632.

Moins de vingt ans après, les Arabes, maîtres de l'Égypte, poursuivaient déjà en Afrique du Nord le prodigieux mouvement d'expansion qui avait suivi la Révélation coranique; la conquête fut aisée, hormis l'Extrême - Ouest et les régions montagneuses, où elle exigea un demi-siècle. Les conversions étaient nombreuses, en général volontaires, sincères, car les nouveaux arrivants ne cherchaient pas, pour de multiples raisons, à convertir systématiquement juifs et chrétiens; ils les considéraient comme "Gens du Livre", adorateurs du même Dieu que le leur. A cette masse de néophytes, il fut difficile de donner d'emblée un enseignement religieux suffisant; on fit au mieux; des théologiens s'y employèrent, agissant parfois sur l'ordre des Pouvoirs,

parfois de leur propre initiative.

Peu après l'an 700, une nouvelle vague de conversions : après la défaite de leur reine, âme de la résistance, Kahina, de nombreux berbères rebelles se font musulmans; avant de mourir, Kahina avait solennellement prédit le triomphe de l'Islam; ses fils se convertirent; leurs soldats allèrent grossir les troupes du Calife; et bientôt, après la conquête de l'Espagne par les armées berbères musulmanes de Tariq (720), des conversions massives se produiront à nouveau.

Aux opposants qui subsistaient, opposants par intérêt, opposants par tempérament, l'Islam lui-même offrait une voie d'intégration: l'adoption de positions doctrinales frondeuses ou subversives (que certains baptisent "hérésies" en forçant abusivement l'analogie avec

have it in abidance with God's admonition "And if any of the idolaters shall demand protection of thee, grant him protection, that he may bear the word of God; and afterwards let him reach the place of his security."

The Prophet has also stated that any believer could conclude a security covenant or an immunity pledge with enemy men, both individuals or groups. Any of the enemy's soldiers so immunised, were treated as *Zimmis* and no longer prisoners of war. A security pledge was deemed finally effective only through the sanction of the authorities or the army leaders; it took effect, however, from the date it was issued and could not be abrogated except where it was established that he who had been given

it was a spy on the Muslim armies.

Even slaves were allowed to give security pledges to the enemy; such tolerance having been so attended to spare as much as human blood as possible, and to minimise the possibilities of continued warfare.

Captives

57 — Islam preserves human dignity both in war and peace. It dealt mercifully with war prisoners; history having known no warriors other than Muslims that were so tolerant towards captives.

The Prophet admonished the believers to administer respectful treatment of the prisoners of **Badr** as if they were his own guests.

Muhammad Abu Zahrah

created the heavens and the earth: Of these, four are sacred. This is the right religion : theretore deal not unjustly with yourselves therein. But attack the idolaters in all the months, as they attack you in all."

The truce besides its value in facilitating the performance of pilgrimage, might inspire the two disputant parties with peaceul sentiments when the trace is over and peace could thus be restored.

53 — The second case where truce is compulsory is when peace is requested by the enemy, unless this would prejudice Muslim interests, as laid in God's words "And if they 'incline unto peace, do thou also incline thereto ; and put thy confidence in God, for it is he who hearth and knoweth. But if they seek to deceive thee, verily God will be thy support. It is He who hath strengthened thee with His help, and with that of the faithful." This means that enemy's request for a cessation of hostilities should be granted while maintaining proper precautions.

End of War through Permanent Peace :

54 — That war could be terminated with a permanent peace is borne out by the Quranic texts already quoted in substantiation of the fact that the basis of relations between Muslims and the others, is peace.

Observance of a permanent peace

would not impede precaution, however. It should rather make such precaution necessary as a safeguard against possible treachery by the enemy.

Permanent peace could also be achieved through the enemy's entry into covenant with the Muslims.

End of War Through Surrender :

55 — War could also be ended through the defeat of either party. Should defeat be the lot of Muslims, they must not give up or submit to oppression for Islam is the religion of dignity and self-prestige.

If a cessation of hostilities be brought about by the enemy surrender, old enmities should be removed and justice and tolerance substituted for them. Islam admonishes mercy and not punishment for the vanquished. The reason for this is that war is not between peoples but rather confined to the camps of sovereigns who dominate these peoples. With the surrender of a sovereign's troops, there can be no further causes of hostility and amicable relations should be restored.

Immunity :

56 — War as already stated is not with peoples but with a dominating and despotic ruler. It could be terminated any moment, and such of the enemy's men who would seek a safety pledge, should

them, ordained piety for "God is with the pious." Piety here is meant for virtue in the sense that the believers while repelling aggression in like manner should not profane the sanctity of virtue even though it is violated by the enemy in raping women, disfiguring dead bodies, leaving the captives to die of hunger, or killing them.

The conduct of war at the times of the Prophet, the Prophet's successors, and many Muslim leaders was characterised by these principles. An outstanding example is provided by Saladin El-Ayubi's behaviour towards war prisoners. A large number of captives fell in his hand upon the recovery of Jerusalem. Feeling that he would not be able to feed them, the Muslim leader decided to release them to avoid their dying of hunger. The captives once they were set free, rallied together and fought him again but the Muslim leader never regretted his act.

An opposite example was set by Richard, leader of the enemies, who after giving three thousand Muslims a safe conduct if they surrendered, killed them in violation of this pledge.

Napoleon Bonaparte set a similar example by exterminating the troops he took prisoner at the battle of Acre.

50 — The fact that certain Muslim leaders such as Moguls, and Turkman committed barbaric

crimes was due to their own perversion, and violation of Islamic precepts.

5 — Cessation of Hostilities

51 — War is terminated in either of three cases : (a) if it outlives its purpose through enemy surrender, concluding a covenant, adopting Islam, accepting an armistice whereby fighting will be called off for a permanent peace.

Truce :

52 — This is an armistice declared in the course of the fight which could end in a permanent peace, or lead to another flare-up of hostilities.

Truce is compulsory in two cases:

a) During the four forbidden months of Zu Al-Ke'da, Zu Al-Hejja, Al Muharram, and Ragab for the three first months cover the pilgrimage season and the fourth the period for the pilgrims' return. Muslims are forbidden to fight in these months unless they are driven to it ; God having said, "and when the months wherein ye are not allowed to attack them shall be past, kill the idolaters wheresoever ye shall find them, and take them prisoners, and besiege them, and lay wait for them in every convenient place, "And" the couple number of months with God, is twelve months, which were ordained in the book of God, on the day whereon he

The Prophet also forbade the killing of workers provided also that they neither fought nor acted in such a manner as to fortify the armies.

We are to apply these Muslim rulings to contemporary times, We would prohibit the use of all the weapons being used against innocent peoples.

Prevention of Destruction :

48 — Abu Bakr could not have advised against the destruction of prosperous places and the cutting of fruitful trees had he not been inspired by the Prophet to this effect.

Nevertheless, the scholars differed over the permissibility of cutting the trees. According to Awza'i, a scholar of Syria and a contemporary of Abu Hanifa, he confirmed the ban on the cutting of trees and the destruction of prosperous places unless there be a military necessity to do so as in the event of the enemies hiding in the trees or the buildings when trees could be removed and the buildings demolished. As to demolition for the mere sake of weakening the enemy or kindred purposes, it is not lawful.

Other scholars held different views and in support of their contention on the permissibility of cutting the trees, quoted God's words in the chapter of Exile, "What palm-trees ye cut down, or

left standing on their roots, were so cut down or left by the will of God."

They also quoted the Prophet as having ordered the Believers to destroy the homes of Beni Al-Nadeer; and to hit Thakeef's citadel with catapult. The same scholars further contend that if souls were allowed to be wasted what value was there for property ?

A review of the sources of the Muslim Code, however, would give much weight to Awza'i's opinion to the effect that the uprooting of trees and the destruction of homes was permitted only for military needs and not for ruin or the vexation of the enemy. It is illogical that destruction should have been allowed for the mere sake of destruction. These are the rules of the Muslim jurisprudence which further prohibit any harm to the peoples in battles, the destruction of both land and plant, or the raiding of peaceful citizens.

4. Observance of Virtue During Wars :

49 — Virtue governs Muslim actions even though war is raging. If God has ordered the believers to fight and to treat the enemy on equal footing, He has made this contingent upon the observance of virtue. In the chapter of the Cow God, while commending them to attack the infidels in the same manner as the latter had attacked

This choice is intended to ensure that the enemy shall not be taken by the Muslims unawares. Islam has recognised this choice to be the right of the offenders as borne out by orders once given by Omar ibn Abdul-Aziz to Muslim armies under Qutayba ibn Muslim to withdraw from lands they had conquered in Samarkand without such choice being offered to the people.

When the choice was eventually offered, the people chose a covenant. Some of them adopted Islam.

The Prophet made it a point to show mercy even in the field of battle and to proclaim human unity even when swords are unsheathed to strike. In his pre-battle prayers he used to say, "My Lord, we are your slaves just as they are; and our destinies are in your hand; may you grant us victory over them." This prayer manifests human unity and thus creates the feeling that war is but to ensure mercy for Humanity.

The Prophet also counselled the leaders he despatched against the infidels not to fight them until "you have called them to reason, if they fail to respond do not fight them until they take the initiative; if they do wage not the fight until they kill one of you, whereupon show them their crime and invite them to the course of righteousness. That God guides one man through you, is better than anything over which the sun shines and sets."

Peaceful intentions are manifest in this counsel even where two armies meet.

3. In the Battle :

46 — The same benevolence that attended the commencement of battles, lasted till the very end. The Prophet called his men to be patient and try to rally the people together. "To bring them to me as Muslims is nearer to my heart than to bring their women and children."

Muslim wars were thus characterised by conciliation and not by killings, and by the preservation and the wasting of human lives. The Prophet's successors followed suit and commanded the same virtues. Abu Bakr ordered his men to kill no woman, juvenile or a senile; nor to cut off fruitful trees, to ruin a prosperous place, or kill a sheep or a vow except for food."

47 — Foremost among Abu-Bakr's other commandments is prohibiting the killing of the religious who shut themselves up in monasteries and thus protected the temples and the hermits against the sword.

Both the Prophet and Abu-Bakr after him also forbade the killing of women, and children.

The killing of those advanced in age was also prohibited unless they partook in planning or inciting people to war.

Relations in War

43 — God has said, "Warfare is ordained for you, though it is hateful unto you; but it may happen that ye hate a thing which is good for you, and it may happen that ye love a thing which is bad for you. Allah knoweth, ye know not."

However, Islam would not take a negative attitude towards 'injustice' for Muslim virtue is positive and active.

Since corruption on land should be repelled and prevented otherwise corruption will prevail in both land and sea, God has said, "And if Allah had not repelled some men by others the earth would have been corrupted. But Allah is a Lord of kindness to (His) creatures."

The general mercy which God has made a duty would require the people of the right to fight in order to repel the wrong for it is no mercy to men to leave the unjust devour the weak.

10 Motive for war :

44 — As already stated, war has been made justifiable in Islam for two objects :

- a) To repel aggression.
- b) To safeguard the Muslim Call, being the Call to justice, by ensuring that peoples shall be free to

embrace it, and be immune against persecution if they do.

It should not be imagined for a single moment that fighting was prescribed to coerce anybody into believing in Islam for there is no compulsion in the Religion according to Islam. The Muslim Call, nevertheless, should be enabled to reach all the peoples to whom it is addressed for them to adopt the Faith of their own free will without coercion. The existence of non-Muslim communities in Muslim lands ever since Muslim conquests, provides conducive evidence of non-compulsion and of religious freedom. Had coercion been legitimate in Islam, such communities would have been persecuted as Nero had done with the Christians Diocletian with the Copts and the despotic rulers of Spain and other countries.

Preparation for the Battle :

45 — The Prophet advised against precipitation to the battle. He used to say "Don't desire to meet the enemy and if you meet them be patient."

However, should the fight be unavoidable, the enemy should beforehand be given the choice of:

1. Islam so as to be one hand with the Muslims,
2. a covenant for the Muslims to enjoy peaceful neighbourhood,
3. the fight.

bring about a rally of Muslim forces to repel it. Aggression on a Muslim party is but aggression on all the Muslims combined; the Prophet himself having fought the Muslims of Syria. A Muslim state might well be the aggressor. The duty of Muslims in such a case is to use their good offices towards a settlement through counsel and calling the people to the road of righteousness.

Third Form : The event of fighting between two non-Muslim states, which has three subdivisions :

1 — The situation where either fighting state is on hostile terms with the Muslims, and a truce or temporary armistice is being observed. The truce in this case is binding unless it be discovered that the truce is intended to gain time for an aggression on Muslims.

2 — The situation where a support-treaty exists between the Muslims and either fighting country in which case the Muslims could not adopt a neutral stand for they should put the treaty into execution. The Prophet declared war on Quraish for having violated the covenant by attacking Khoza' who had joined the Prophet's ranks.

3 — A situation where neither fighting country has a covenant or treaty with the Muslims. According to sources, Muslims are bound to hold to neutrality in such a

case for the origin of Muslim relations is peace. This is so long as no aggression is waged on Muslims by either country at war. Malik has advised non-belligerence in this case for "God to punish a wrong-doer by another wrong-doer" and also because Muslim intervention might entail support for either evil party. The Prophet has also said "He Who backs an unjust party will suffer Hell fire." Neutrality in cases such as this will also spare Muslim force.

Supposing, however, that either country is just and the other not, will a Muslim intervention in support of the wronged be justifiable? Muslim logic would advise intervention with due regard to Muslim interests as in cases of supporting the weak or the distressed provided that ample safeguards are obtained for the benefit of Muslims.

42 — To sum up, international relations in peace-time are based on three foundations :

a) The establishment of justice and the realisation of human understanding and beneficial cooperation among people in implementation of Quranic ordinances.

b) Preventing Muslim aggression on other peoples for Islam has forbidden aggression in all forms.

c) The protection of non-Muslims' freedoms especially the religious.

in the Quran where war flared up between Muslims, and other peoples while other countries, desirous of neutrality, kept aloof from the conflict. The Quran has made it imperative to respect such countries' neutralism as in God's words:

"Except those who seek refuge with a people between whom and you here is a covenant, or (those who) come unto you because their hearts forbid them to make war on you or make war on their own folk. Had Allah willed He could have given them power over you so that assuredly they would have fought you. So if they hold aloof from you and wage not war against you and offer you peace, Allah alloweth you no way against them."

This text is frank in that whoever wishes neutrality should have it without condition other than to make sure that he harbours no intention of aggression nor does he use the proclamation of neutrality as means of passing time for an early war. In the event of such aggressive intentions being ascertained, precautions should be taken as in God's words, "O ye who believe! Take your precautions, then advance the proven ones, or advance all together."

41 — This is the case of neutrality if called for by non-Muslims. As for neutrality in the event of war between two countries it has three forms :

Fire form : The occurrence of

a dispute between two parties of believers such as happened at the time when dissensions were wide open among the Muslims and they had no league to bring them together and prevent inter-Muslim aggressions. The Quran covered this case in God's Words, "And if two parties of believers fall to fighting, then make peace between them. And if one party of them doth wrong to the other, fight ye that which doth wrong till it return unto the ordinance of Allah; then, if it return, make peace between them justly, and act equitably. Lo ! Allah loveth the equitable. The believers are naught else than brothers. Therefore make peace between your brethren and observe your duty to Allah that haply ye may obtain mercy."

Neutrality in this case is unpermissible for a non-belligerent Muslim state should work towards conciliation and if either of the warring parties continue the aggression, it (the neutral) should join the victim to bring about a decisive conclusion to the dispute.

Undoubtedly, the set-up of a Muslim league regulating Muslim relations, is imperative as means of obviating inter-Muslim aggressions.

The Second Form is the case where war is already raging between one Muslim and another non-Muslim State in which case neutrality shall also be unjustified, for aggression on a Muslim should

Zimmis and Covenanted Peoples' Treaties :

39 — It is to be noted that the security pledge given to Zimmis under a covenant could be only permanent. The divergence of opinion over permanent peace does not cover this kind of pledge neither does it affect the treaty with a covenanted people which must always be everlasting in case the Muslims assume such people's defence.

It has already been stated that a covenanted people are that of a country governed by its own sons who are left free by the Muslims to manage their own affairs provided they (the Muslims) would defend them against all aggression in return for payment towards the equipment of the defending army.

The Prophet has also stressed the necessity of fulfilling pledges towards covenanted peoples and their protection as in the Prophet's words "If you fight and conquer a people and such people would protect themselves against you by their money and not their sons, you must come to terms with them over this and get nothing from them thereafter".

These treaties are possibly made with the Kings but since Islam always has a special regard to the interests of the people themselves without flattering their Kings, a

treaty should be based on justice to the people. Al-Sarkassi in his 'Mabsut' said :

"If a Zimmi King should ask to be left free to rule the people of his Kingdom in the way he likes by killing, crucifixion or other means which are not tolerated in the land of Islam, his demand should not be complied with, for the recognition of injustice with prohibition being possible, is an unlawful act and because a Zimmi is a person who is bound to abide by the rulings of Islam on dealings and any conditions in his security pledge which run counter to Islam, are invalid as stated by the Prophet in the words, "Every condition that exists not in God's Book is invalid".

5 — Neutrality :

40 — Neutrality is imposed where there exist two contesting powers, influence and the desire to dominate. It is also imposed upon the occurrence of war between two or more states, when one or more states would declare having nothing to do with such a war or dispute.

Neutrality would, however, appear to have not been known by that name to Muslim scholars hence the contention by some contemporary writers that the neutral system was not known in Islam.

Such contentions are erroneous, however, for situations are related

overcome them if ye are (indeed) believers.”

But permanent peace through power is in point of fact the height of human relations and not weakness or submission.

Some scholars absolutely confirmed permanent peace as did Ibn Taymich in his Treatise on Fighting.

Divisions of Treaties :

38 — Treaties are of two parts: **Provisional** treaties which continue to be valid until their expiry and **absolute** in the sense that they are tied to no time-limit. A third division is of permanent treaties on which scholars' views have already been quoted.

Provisional treaties should be carried out until their expiration. As for the absolute treaties for which no time-limit has been set, the point has been raised whether they should be deemed to be valid for all times as if they were perpetual. The scholars did not interpret the absoluteness of such treaties as perpetuity but made it contingent upon the circumstances in which the treaties have been concluded. They said that so long as such circumstances existed the treaties should be regarded as valid otherwise Muslims could have the treaties annulled. But if the treaties were no longer required could they be legitimately cancelled ?

To this the scholars said there should be no fight under changed conditions unless there be aggression or suspected aggression as borne out by God's words, „... except those with whom ye made a treaty near the sacred Mosque ? As long as these stand be true to them.”

A school of thought has said all treaties in the interest of Muslims should be fulfilled where such interest would be served through fulfilment, otherwise they should be returned to the contracting party. This view was held by a certain section of Hanafi scholars who further stated that treaties are concluded for the benefit of Muslims at the time when they are held. Should conditions change with the result that the continued application of a treaty and abidance by its terms would prejudice Muslim interests, it should be annulled. This would be tantamount to the abolition of contracts for changed conditions; treaties being of the same nature as cintracts, are affected by emergencies.

This in point of fact, is contradictory to the Quranic texts and the Prophet's tradition that render necessary the fulfilment of pledges unless treachery is feared. This is borne out by God's saying : “And if thou fearest treachery from any folk, then throw back to themv (their treaty) fairly. Lo ! Allah loveth not the treacherous.

they are bound to this pledge by the conscience of God and His Prophet, and he amongst them who will act charitably and piously, will be granted victory.

All these treaties are evidently pacts for the establishment of peace and good neighbourliness.

37 — It will also be seen that the Prophet's treaties were in most cases aimed at the regulation of peace. Some of them such as the Hodaybiyah peace-treaty had appeasement or truce for their objective. In the times of the Prophet's successors, treaties were not intended for the regulation of peace but rather for the cessation of hostilities or to offer the choice between covenants, Islam or the fight before warfare was launched. Among the treaties that stemmed from such choice was the one which Commander of the Faithful Omar ibn Al-Khattab with the people of Jerusalem.

The Umayyad and subsequent eras witnessed treaties for the temporary cessation of war. Peace then was of the nature of an armistice and not a permanent peace.

This happened in the age of **Iditihad** when Mohammad ibn Al-Hassan Al-Shibani, Al-Awzai, Abu-Yussef and Al-Shafei recorded their views on war and peace while the battles were raging. Only temporary peace pacts were known there for the Muslims in

the expectation of an enemy aggression at any time, could not conclude a permanent peace.

Al-Sarakhsi in the commentary the 'Al-Siyar Al-Kabir' said that permanent peace was not permissible, quoting the Prophet's temporary peace at Hodaybiyah in confirmation of his view. He stressed that, only that form of peace was familiar while fighting raged. Al-Rakhi confirmed this as the majority opinion.

The Hodaybiyah peace undoubtedly was different from a provisional peace-pact but it did not impede the possibility of a permanent peace. It is established in God's words, "... so, if they hold aloof from you and wage not war against you and offer you peace, Allah alloweth you no way against them."

The truth is that those who said the basis of relation between Muslims and others was peace have permitted permanent peace, being a return to normal conditions, and considered war mere emergency. Those who have been influenced by accomplished facts, have been likewise influenced in connection with peace by stating that peace cannot be permanent. They had seen relations to be permanent war and could not help advising except in the light of actual situations. They thought peace to be a sort of forbidden weakness quoting in support of this view by God's words "Faint not nor grieve, for ye will

inheritance in such a case for he regards such juridical difference as the criterion. But many scholars said inheritance was possible because of the same residence although agreeing that different jurisdictions would impede inheritance.

4. Pacts and Peace :

36 — Treaties before Islam were used by the strong as means of imposing their domination over the weak or the conquered. Once the weak grew strong, they discarded the treaties and fought to liberate themselves from the yoke of the strong. This continued to be the practice of the strong until very recently, and still prevails in contemporary relations. Pacts are resorted to in some cases to regulate peace but, it is the unjust form of peace that imposes on the weak the will of the powerful. The Holy Quran takes a different attitude towards treaties for it orders the fulfilment of pledges in an absolute manner unrest licted by power or weakness.

Since the basis of international relations in Islam is peace as we have already concluded, treaties could be aimed either at the termination of a casual war and the return to a state of permanent peace, or the establishment of peace and the consolidation of its bases to obviate any future aggression.

This latter aim was the purpose of the Prophet's covenant with the Jews of Al-Medina at the time of

Al-Hijra. The covenant was designed to establish peace and good neighbourliness, and based upon cooperation to check any external enemy or aggression.

When the covenant was concluded the Prophet in an instrument confirming it, wrote, "This is a pledge to you upon the conscience of God and of His Messenger, that you will be reassured about your lives, your religion, your wealth, your slaves and all your possessions, and that no army will tread your soil . . . He of You who goes on a journey will be safe through the protection of God and of His Messenger : There is no compulsion in Religion."

It will be seen from this covenant that the Prophet undertook to provide full protection for the Jews' religious freedom, and concluding the text he quoted God's words "No Compulsion in Religion". The Jews, nevertheless, violated the pledge and broke the covenant.

Another pledge to protect covenanted peoples' lives and property was made by the Prophet in his covenant with the Arab tribes of Beni Damra; the pledge said, "This letter by Mohamed, the Messenger of God, to Beni Damra, is to pledge security for their lives and property, and that they will be accorded victory over those antagonistic towards them ; and that they will respond to the Prophet if he calls on them for support;

Should he be creditor of some Muslims, his debt shall be forfeited for there is no money without claimant. According to certain scholars it is the Muslim Common Fund that should claim such money as its right.

Application of the Muslim Code to Protégés :

34. In relation to financial dealings, a protégé is subject to the Muslim Code in that he is forbidden to practise usury or conclude contracts which Islam regards as invalid. This is because a protégé deals with Muslims and should as such be governed by the same rules as apply to them. In matters of marriage and divorce, however, a protégé just as Zimmis, is governed by his own religious beliefs.

Punishment is divided into two groups : (a) penalties applied for transgression on people's rights such as encroachment on the right of a Muslim, an alien, or a fellow protégé. The punishment here shall be the same as prescribed for Muslims or aliens for it is necessary to those wronged, and (b) penalties prescribed for transgression on a right of God such as adultery, theft or libel. In this context, a majority of scholars hold the view that a protégé should suffer the same punishment as a Muslim or a Zimmi for such crimes and their like would spoil the Muslim society and are counted among the

acts recognised as vices by all the religions. Islam deems the defence of virtue a basis for all the human relations and an offending protégé should thus suffer the same punishment as a Muslim.

Abu Hanifa differed from this majority opinion for the basis of punishment in his view is full subjection from both the actual and the juridical points of view. A protégé from the juridical standpoint, belongs to a country other than the Muslim state.

The scholars' view is verily rational and more in conformity with religious provisions.

A Protégés Heritage :

35 — As already stated the money of a protégé should pass to his heirs after his death, contrary to Al-Shafei's views. In the event, however, of the existence of relationship between a protégé and a Zimmi, will the former inherit the latter or vice versa in the event of the Zimmi's death ? In reply, we would state that in case the Zimmi dies while the protégé lives in another state, or the protégé dies while the Zimmi resides in a Muslim land, there can be no inheritance between them because of different countries.

But in case either of them dies while the protégé lives in Muslim lands, could there be inheritance despite the difference in jurisdiction ? Abu Hanifa advised against

commercial and other activities unrestricted.

In this respect Al-Sarakhsi said, "Their property has come to be guaranteed by the security pledge and cannot be taken away as legitimate prize."

He who remains in Muslim land keeps his property which never goes out of him even though he returns to the land of war; he shall never forfeit such property even if he bears arms to fight Muslims.

This view was held by most of the scholars as evidenced by a report in (Moghni) by Ibn Qodama, to the effect that: "If a Zimmi enters a Muslim land in peace, where he deposits his money with a Muslim or a Zimmi or lends such money to them, and then returns to a land of war, the case should be considered thus: if the man has entered that land of war as a merchant, a messenger or a tourist, or for some business before he gets back to the land of Islam, he should be assured of both his life and property for he had not deviated from the intention of residing in the land of Islam. Should a Zimmi enter a land of war for residence, his life as distinct from his property, shall no longer be secure. This is because his entry into the land of Islam, security was established for his property, so that when the security of his life is no more following his entering the land of war, the security remains valid for his property.

The scholars in connection with the theory of continued security for such person's property, have laid the rule that in the event of the death of a protégé in a land of war or his being murdered in battle between his country and the Muslims, his entitlement to his own property shall not be forfeited, and the property shall pass to his heirs. The Islamic State has to transfer such property to him safe and sound.

According to Al-Shafei, however, the money shall not pass to such man's heirs for, it was him and not his heirs that enjoyed security pledge, and because the money was his. The scholars on the other hand, consider the security a right attached to money which being the property of the protégé in his life, should pass to his heirs after he dies, just as any other rights.

If the owner has no heir, even in a land of war, the money should accrue to Bait Ul-Mal (The Muslim common fund) on the ground that it has no proprietor.

Scholars would authorise the confiscation of a protégé's money in one single case; this is in the event of his return back to his country and his fighting the Muslims, and falling a prisoner of war. In such a case he is not deemed eligible for ownership and his property should accrue to the Muslim Common Fund for there can be no money without owner.

may God be gracious, to treat Zimmis with equity in abidance with the tradition of our Prophet and your cousin, Mohamed on whom be God's peace and blessings, and to inspect their conditions lest they should be wronged and to spare them any harm or obligations beyond their ability, and so that nothing of their property be taken from them without right. For the Prophet has said, "He who wrongs a covenanted person or have him suffer obligations beyond his power, will be my enemy on the Day of Reckoning." Omar ibn Al-Khattab on his death bed, also said, "I recommend the Caliph after me to abide by the Prophet's commandments in fulfilling Zimmis' contract, to fight for their protection and not to impose obligations on them beyond their endurance."

Abu Yussuf elsewhere in his same work has said, "It is related that Omer ibn Al-Khattab passing by the door of certain people's house, found a blind and elderly beggar knocking at it. Omar asked, "From whom of the people of the Book are you?" The beggar said that he was a Jew. Omar again asked "what has reduced you to this pitiable state?" The beggar answered, "Ask the tribute, the need and the age," whereupon Omar took the man's hand and led him to his own house where he gave him some money. Omar then sent for the treasurer of Bait Ul-Mal (Muslims' Fund) and ordered that

he should pay him a permanent allowance, saying, "Look after this man and his like for God will not grant us justice if we eat up his youth and let him down in old age. Charity is prescribed for the poor and the destitute. The poor are the Muslims, and this man is one of the destitute from amongst the People of the Book. "Omar ordered that the tribute payable by him and his like should be waived.

The Protégé :

33 — A protégé is a person who enters a Muslim land without the intention of living in it, but only for a specified stay under a contract known by the name of a residence contract. He may simply be given the right of residence for trade, tourism or visit. Such residence was normally limited to a specified period, renewable for further periods. If it developed into permanent residence, the protégé was deemed a Zimmi.

Islam, being tolerant and because it considered wars a temporary circumstance that they were confined to camps and would not extend to peoples, made the door of its lands wide open for protégés to enter. This was so even in case such persons who belonged to a country at war with the Muslims. Muslims. Islam also safeguarded protégés' lives and property against all aggression so long as they held to the security contract. They were likewise left free to exercise their

modities constitute respected property for the Zimmi and not the Muslim.

Abu Hanifa differed from this majority view which declared such commodities unlawful for non-Muslims and that such prohibition in Islam was by way of protectnig society against their evil. What is prescribed as protection for society should thus form part and parcel of the public order which must apply to all.

Supposing for the sake of argument that those commodities are allowed by a Zimmi's religion, the forbidding of anything permitted cannot in all cases be deemed interference in personal liberty. Such interference materialises only where a Zimmi's religion orders something for which the Muslims are punished. Permission in such a case would be tantamount to the abrogation of a religious law.

It should be noted, however, that the non-application of Islamic rules to the marriage and divorce affairs of Zimmis is to consolidate their liberty in family matters and to ensure that such affairs will continue to be governed by their religious beliefs, thereby strengthening family bonds. This is not a privilege for Zimmis but a grant as already stated. A grantor has no doubt the right to withdraw the grant if it should engender manifest harm which in this case, is the harm of "privilege."

32 — The protection of a Zimmi is incumbent upon the state for his blood is safe-guarded and he must not be the target of aggression. His personal liberty is also guaranteed against all encroachment so is his dignity for he is a man; with safe-guarded dignity.

Since the execution of these lofty and equitable principles could be difficult to some people in the presence of divergent religions, religious laws have stressed the necessity of respecting Zimmis' rights lest religious over-enthusiasm by some Muslims should waste Zimmis' rights. The Prophet has also said, "He who harms a Zimmi will be my enemy on the Day of Judgement; and he with whom I am unreconciled will be an adversary".

It was also the practice of Omar ibn El-Khattab to send spies to watch the Walis (Rulers) and see to what extent they deal justly with their subjects. The thing that occupied his best attention was their treatment of the Zimmis. Everytime deputations came to him from the provinces, his first enquiry was about such treatment.

Scholars in all the ages were most anxious to recommend Muslim rulers to be just with the Zimmis. An example of this solicitude is provided by an address reported in "Al-Kharaj" by Abu Yusef, to Haroun Al-Rasheed as follows :

"It might be necessary O Commander of the Faithful to whom

person who committed a crime in a land of war cannot be deemed as actually subject to the Muslim state although he might juridically be subject to it because of his citizenship.

If a Muslim perpetrates a crime on a land of war that carries the capital penalty such as the deliberate murder of another Muslim, and his crime has been proved in Muslim land, he should, also according to Abu Hanifa, suffer such a sentence but should rather be ordered to pay ransom so that Muslim blood may be spared.

A majority of scholars held the different view that the culprits should suffer the capital penalty, for it is the juridical and not the actual considerations that count. Muslims, they hold, are Muslims citizens from the juridical viewpoint.

State Sovereignty Over non-Muslims :

31 — A state has also an established sovereignty over those residing in its land. These are divided into Zimmis and protégés.

A Zimmi is a non-Muslim living among the Muslims, having the same rights and obligations. He is a Muslim citizen by virtue of the contract he had with the Muslims, which imposed obligations and accorded rights to civilians. It is as a perpetual contract that applied to the contracting party and his posterity as well.

Scholars have laid two conditions for Zimmi contracts :

a) Zimmis should meet certain financial obligations to be levied on those who can afford it as contribution to state development ; they should also subscribe to the financial resources of the state.

b) They should comply with Muslim rules in financial dealings and Muslim penalties so as to enjoy the same rights and incur the same obligations as Muslims.

As for family affairs in matters of marriage and divorce, the authorities left them free to practise such matters, being connected with their religion. According to Hanafi scholars Zimmis could drink alcoholic drinks and eat swine flesh if they thought this was permissible in their religion lest any restriction on their consumption of these commodities should be considered intervention in their personal freedom. Zimmis, therefore, were not punished for drinking liquor except where they incite Muslim youth to drink, by words or action. It is for this deed only that they are punished.

The same school of thought called for the protection of Zimmis freedom in this respect to the extent that a Muslim who spilled a Zimmi's liquor or killed his swine, should pay indemnity for the harm he had done. In the opposite case, the offending Zimmi was not to indemnify the Muslim for such com-

each state claiming to be the seat of the Caliph, we state that a majority of scholars had given the view that there could be only one Caliph and as such, some, if not all, of those who have claimed the Caliphate have a false cause.

According to Zayd ibn Aly Zein Al-Abedin, caliphs could be numerous if this be deemed to be in the interests of Muslims, but the view of the majority should have the upper hand, however, to ensure that the Caliphate shall bring all the Muslims together. However, the conditions of the Caliphate should be fulfilled by whoever would claim it so that his claim may be sound and be established.

This situation will arise where the difference is over claims for the Caliphate. Should the difference stem from local prejudices consequent upon the expansion of the Muslim state's territory, this should not impede all the lands being regarded as one state. It does not behove the Muslims to render such differences conducive to strife or wrongful regional bias among them.

A Muslim is a Muslim Subject:

30 — Despite the regional difference of contemporary times and of past differences, scholars establish the rule that Muslims and the People of the Book holding a Muslim pledge of security should be regarded as Muslim citizens. A Muslim of whatever nationality :

be he English, French, German or American is a Muslim citizen whenever he is while the People of the Book so long as they are covered by Muslim citizenship, should be governed by its dictates.

These rules entail the following consequences :

A — A Faithful who lives in a non-Muslim State should emigrate and reside in a state governed by a Muslim ruler if physically capable of making the trip.

B — A Muslim can inherit another Muslim whatever his home country and nationality, an English Muslim would thus inherit an Egyptian Muslim in the presence of a relationship between them in support of such heritage.

C — A Muslim who commits a crime in lands other than Muslim lands, and on his arrival in Muslim territory, his crime has been proved to a Muslim judge, he must suffer punishment according to Muslim tenets whatever the penalty prescribed for the crime so long as the victim could not be lawfully killed. This was the view held by a majority of scholars, but Abu Hanifa held a different opinion, he said that a crime committed in non-Muslim lands should not be punished by the state on the ground that a Muslim culprit to be punished should have been subject to the Muslim state from the actual and juridical points of view at the time he prepared the crime. A

law Books. It denotes a situation where the power of a state is original and not derived from another state, and that such power should cover all parts of the state — however numerous the elements and the religions in it, and however extensive its area may be.

The sovereignty of state has thus two aspects : **one external** which consists in the regulation of international relations on a basis of independence that is not shared by any other state, and **the other** the spread of the power of the state within its territory so as to bring all the subjects under one legal system unless special status is granted to certain communities in some dealings including marriage and divorce. This grant, however, should be liable to be withdrawn at such time as the state authorities so desire. It used to be accorded by the Islamic State as religious freedom, but if such a privilege develops into fetters upon the state sovereignty, it must be abolished.

European states would not allow such privileges in so far as concerns civil status for family affairs in these countries which are deemed to constitute part of the public order. If a woman gets married in Britain according to the Muslim Code, the marriage contract will not be deemed to be valid; nor would the State recognise it. The same applies to many other countries where marriage on terms other

than those of the Christian faith is not respected. Marriage under the Muslim Code is also not respected even though both parties be Muslim.

We would not, however, recommend the Muslim countries to follow the same practice. We should rather maintain religious freedom under Islam as established by our Muslim predecessors.

29 — The sovereignty of the Muslim State is established in its territories if Islam has one state through which the Islamic unity is achieved. Two points should, however, be observed in this regard; **First** that in legislation the power of the Muslim State is not absolute; it is rather restricted by the stipulations of the Quran and the Prophet's traditions, and no legislation to the contrary of these stipulations, should be enacted. This, however, does not at all clash with sovereignty, for the fact that a ruler is bound by an inviolable constitution which would not reflect on his sovereignty; **Second** will sovereignty be disputed now that the Muslims have been divided into various countries with each having its own king or head of state ?

In reply to this we would say that Muslims had been used to have a Caliph whose authority reigned supreme no matter whether he was strong or poor. If the difference over sovereignty arises from

Najran, and that between Leader Abu Obayda Amer ibn Al-Jarrah with the people of Hims (Emesa). The latter covenant embodied a pledge of protection for the people against the payment of a tribute (Jizyah). It happened, however, that the Islamic army, having been weakened by pestilence, was unable to check the Roman invasion whereupon the faithful commander whom the Prophet called the Honest one, returned the money back.

Under Uthman's rule, Egypt's Wali — Ibn Abi Al-Sarh — concluded a peace treaty with the people of Nubia whereby he pledged to ensure their safety, to protect their independence and to exchange trade with them. He levied no money for these privileges. The same was done by Moawieh with his country folk; he concluded a peace treaty with them that established their internal sovereignty.

It goes without saying that countries which enjoyed this type of covenants cannot be considered lands of war; the question is whether they should be deemed lands of Islam or merely land of appeasement. Some scholars held the view that they are lands of Islam for the Muslims are the people of the Sunna. Al-Shafei and Muhammad ibn Al-Hassan would call it a third land, the land of covenant, and make it a land of Islam in certain circumstances and not in others. In his Book 'Al-Seyar

Al-Kabeer' — Muhammad ibn Al-Hassan said, „The criterion determining the nature of a certain land is the sovereignty and power of the rule (meaning the Islamic Rule). Should the rule be one of appeasants, Should the rule be that of a sovereign power in another land, none among the first land's people shall be treated according to the rules of appeasement.”

It follows that Muhammad ibn Al-Hassan puts forward the supposition that the people of the covenant or the appeasement could be subjected in their government to another state that does not come under the category of covenanted countries. He then lays the rule that in the event of sovereignty and power being held by the people of the land that appeased, such land should be deemed a land of covenant if on the other hand, the power and the sovereignty be for another state, neither of them should be deemed a covenanted country unless it is covered by a covenant.

We may now safely say that a covenanted state cannot be a land of war but is not deemed as alien to a land of Islam and is governed by some of the latter's rules though it has an independent entity of its own.

3. Sovereignty

28 — This is a technical term commonly used in International

above, and aggression no longer requires neighbourhood to be launched, for the destructive bombs would travel between the remotest points on earth. We would thus deem the condition has outlined its purpose. Had Abu Hanifa been alive he would have abandoned it and now that we disregard it, we will in fact be following his logic. The only difference between us is one of time and place and not of argument and proof.

Even if we adhere closely to the logic of Abu Hanifa and his companions, we come across two categories of land which do not come under the definition of either the land of Islam or the land of war. These are :

a) The lands where no Muslim sovereignty is established, or aggression feared to be launched. Such category of land should be deemed as non-belligerent as it comes under those who have kept aloof and desisted from attacking the Muslims as the Quranic text goes.

b) The second category is that of non-contiguous land. This also should be regarded in the same light as the first category unless there be aggression, or support for the enemies of Islam.

We have already stressed the point that contiguity was not essential for aggression to be launched, for aggression could still take place without contiguity. Remote lands

on the other hand would prevent Muslims to send preachers who would guide their peoples and call for Islam. If there be aggression by them they should be deemed as aggressors, their fight will be justified and their land deemed a land of war on the strength of actual act and not by imagination.

Land of Covenant :

27 — This category of land is a fact rendered necessary by the exigencies of academic research and established in practice. For there existed tribes and states having respectable covenants and sovereignty in their lands, which did not fully come under the influence of Muslims, and Muslims had no power in managing their affairs except in so far as concerns the redressing of wrongs and injustices.

These countries had concluded covenants with the Muslims either before any decision to conquer them or at the outset of fighting. They had been offered the choice between Islam, a covenant or war, and chosen a covenant upon conditions that varied in power according to such terms as more agreed upon by the two parties in the light of the strength or otherwise of such lands, and the extent of their need for Muslim support.

A covenant may be a pledge of protection against certain payment as was the case with the Prophet's covenant with the Christians of

scholars including Abu Yussef, a leader of the Hanafi School of Thought.

The second view advocated by Abu Hanifa, the Zaydieh and other scholars, holds that the mere fact that sovereignty and power are held by non-Muslims, would not render the country a land of war, for three conditions should first be fulfilled :

a) That sovereignty and power be denied the Muslim ruler to such an extent that he is rendered unable to carry out Islamic rules.

b) That the region concerned happens to be bordering Muslim lands that aggression may be expected from it. It follows from this condition that deserts adjacent to Muslim countries cannot be deemed lands of war nor should the territory beyond them be regarded as such even though the Muslim ruler has no sovereignty or power over them. The same rule applies to seas surrounding Muslim land; neither these seas nor the territories beyond them should be treated as land of war.

c) That neither Muslims nor the people of the Book who are considered Muslim subjects, should remain in the land under the protection of the first Muslim assurance which had enabled the Muslims to live in it. Applying this condition, we find that a land which the Muslims had conquered, pledged safety to its people, but

had to withdraw from it under the pressure of war or other factors cannot be deemed a land of war if the non-Muslims who had dominated it, left the subjects of the Muslim State to reside in it under the pledge of safety, and preserved their liberties. This condition, however, could of course be fulfilled only where the new State has turned peaceful towards the Muslims. If it violates the peace pledge, however, and fight the Muslims, such country should be regarded a land of war.

26. — It is the second view which accords fully with the fundamental rule that peace forms the basis of relations between Muslims and other peoples. This is because it considers a country land of war only where actual aggression by it disturbs the peace of the Muslims, or an attack is to be expected through adjacency. The absence of a covenant or a non-aggression pact between two lands having common borders would render war possible at any time. This view conforms even in letter with the Quranic text, unlike the first which would appear contradictory with the terms of the Holy Book, for the basis of the relation here is one of war.

Although the second view is closer to the texts, we consider it no longer tenable to make adjacency a condition for its fulfilment. Man on earth has now been able to control the atmosphere and the space

Islam had been governed by accomplished facts and not by lofty religious ideals. In other terms they were very much like contemporary relations which would justify present-day statesmen in their aggressions.

In reply to this enquiry we would say that what the jurists have adopted of the real facts was only the denomination and not the Islamic rule. They have not abandoned the lofty principles laid by Islam, of defending virtue, liberties and justice. Nor had they the power to call things by names other than their own, for war was actually and factually in progress and the land of the offenders was actually the land of war unless they had concluded a covenant or a peace treaty.

This denomination, however, did not impede the relations between Muslims and others being based on justice, liberty, and virtue; the scholars having never mentioned that conquest gave the Muslim State, a sovereignty which was not based on virtue, justice and piety. There was no master and slave in Islam and no victor and vanquished but only justice and equity.

3. The Lands of Islam, of War and of Covenant

24 — The land of Islam is the State that governs the Muslims, in which the means of power are held by them. It is the bounden

duty of Muslims to defend this land and repel aggression to it. This defence is incumbent on those who can afford it in case the enemy has not entered the land, otherwise it shall be compulsory as regards every individual Muslim. Every country where Muslims form a majority is deemed a Muslim land even though it may be dominated by a non-Muslim ruler.

The lands of war and of covenant need more amplification.

Land of War :

25 — Scholars have differed over the definition of the land of war; two divergent opinion have been held in this context :

First : The land of war is where no sovereignty or power are held by a Muslim ruler, and where no covenant exists which regulates such country's relations with the Muslims, and safeguards them against aggression.

The sovereignty and the power of the ruler constitute the criterion in the view of the authors of this school. They hold that so long as a land is not under Muslim sovereignty or bound by covenant, it should be deemed a land of war from which aggression is to be expected at all times. God, the Almighty, they further maintain, has ordered the Faithful to be on the alert and always ready to fight and repel the aggressors.

This is the view of numerous

ticed to make preparations for aggression on the Muslim community. The Prophet, through his wisdom, could not have waited until his people have been attacked.

b) That the Kings should constitute a bar between him and the Muslim call, and then persecute the Muslims to give up their Faith as the Roman King has done.

23 — We are no doubt in agreement with Ibn Taymich's assertions and have supported what he thought more likely, but a reader of the Books of Muslim jurisprudence in the Chapters of Wars and Expeditions would possibly come to the conclusion that they incline to establish war and not peace as the basis of relations. The point arises whether the Books of Jurisprudence have contravened what the Holy Quran has called for and the Prophet's Traditions has pointed to. If such a supposition be correct, could Ibn Taymich, the most prominent scholar, have reported what the jurists had not said especially that they have called the land of the offenders as the land of war without distinction between the aggressors and the non-aggressors unless there be a charter and a covenant in which case, they would call it the land of covenant ?.

The truth is that jurists have divided lands in that way because the nature of things at the time of Al-Idjtihad (deductions by jurists)

called for such division. There was no fourth land the land of those who have abandoned the fight though they were dissidents.

Muslims ever since they have gone out on wars for fear of an invasion of their lands, or the extinction of the light of their religion have been the target of campaigns from every corner of the earth for the Kings would not leave the people of this Religion at peace to call on men to embrace it. Muslims had therefore to guard themselves against their neighbours, and offered them three alternatives : (a) To conclude a covenant to gain security against aggression (b) entry into the new religion, or (c) the fight. If such neighbours would not agree to embrace the religion of their free will, and reject the covenant that would ensure the Muslims against the fear of aggression and enable the Muslim call to proceed on its course, they would no doubt be harbouring aggressive intentions, and could not have possibly been left by the Faithful until they have launched their aggression. As Islam's eminent warrior Ali Ben Abi-Taleb has put it "No people invaded on their land escaped humiliation."

It could be argued that this division by jurists would give the impression that relations between Muslims and other peoples were governed by war until peace has been concluded. It might also be said that international relations in

to it, and trust in Allah. Lo ! He is the Hearer, the knower. And if they would deceive thee, then Lo ! Allah is sufficient for thee. He it is who supporteth thee with His help and with the believers, And (as for the believers) hath attuned their hearts. If thou hadst spent all that is in the earth thou couldst not have attuned their hearts, but Allah hath attuned them. Lo ! He is Mighty, Wise"; and "... Say not unto one who offereth you peace : "Thou art not a believer," seeking the chance profits of this life (so that ye may despoil him). With Allah are plenteous spoils. Even thus (as he now is) were ye before; but Allah hath since been gracious un to you," and "So if they hold aloof from you and wage not war against you and offer you peace, Allah alloweth you no way against them."

All these texts embody an unrestricted call for peace and indicate that no adherer to peace should fight even though he belonged to tribes at war with the Prophet. The last-quoted verse was revealed in this sense, referring to those who could not choose whether to fight the Prophet or their people and eventually elected to abandon warfare and keep neutral.

God, therefore, later said, "Ye will find others who desire that they should have security from you, and security from their own folk. So often as they are returned to

hostility they are plunged therein. If they keep not aloof from you nor offer you peace nor hold their hands, then take them and kill them wherever ye find them. Against such We have given you a clear wararnt."

22 — We have put forward this difference of views in the above context despite the fact that it is more appropriate as an illustration of the motive for warfare and should, as such, have been set out in connection with relations in wartime. The reason for this displacement is that such divergence of views would indicate the basis of the Arabs' relations with other peoples : it was until a covenant and a charter have been laid; or peace until aggression has been bunched. According to the conception that the motive for war is idolatry, the basis of such relations is war as means of safeguarding the Muslim call, while the other conception, which Ibn Taymiah thought more probable, and attributed to a majority of scholars, the basis of these relations should be peace so long as no attack or aggression is launched, even in the absence of a covenant guaranteeing such peace, consolidating its provisions or regulating its terms.

A review of the Prophet's traditions would show that the Prophet fought only in two cases :

a) An attack on Muslims or the expectation of such an attack in the event of an enemy being no-

tacketh you, attack him in like manner as he attacketh you, "and "If you punish, then punish with the like of that where with ye were afflicted. But if ye endure patiently, verily it is better for the patient".

It is derived from the Prophet's tradition that the Prophet called for the religion in peace but was molested and hurt by the idolaters. They persecuted the Prophet's companions to coerce them out of the creed they had chosen for themselves. The Prophet held to patience and appeasement, and rendered good counsel to them. When they determined to uproot the religion and to kill the Prophet, he emigrated, but they continued to molest him with hostility. When Islam was eventually established in 'Yathreb' the Prophet proceeded to a warfare with the idolaters in defence of the call of Islam and to prevent the persecution in which they had persisted, and for the Faithful to shelter themselves by the call from the horror of their persecution on the idolaters' hands. When the Faithful thought warfare an excessive measure God told them in His Book "Persecution is worse than slaughter."

The Prophet did send an expedition to fight the Romans in Syria only because the Romans persecuted the Faithful to give up their creed. Hercules had ordered the murder of all those of the people of Syria who had embraced the Religion, and war was thus

imperative for the defence of the Faithful. The Prophet willed it with emphasis that the army be led by Osman ibn Zayd whose father had been killed in the first battle. The Army was despatched at the time of Abu Bakr Al-Seddik despite the renegades' tightened pressure, and attempts at besieging the pure city.

The Prophet's companions followed the same example, for they sent armies to the land of Kisra who tried to commit against the Prophet the same crime as the idolaters had attempted before. But God saved the Prophet. The story is that in response to the Prophet's call for Islam, Kisra sent out people to murder Muhammad. It was thus imperative to consolidate the Muhammadan call and to repel this aggression, for the Muslims to fight the Persians.

21 — Quranic texts verily support the view quoted by Ibn Taymiah as being the opinion of a majority of scholars, for the call for peace is free and unrestricted in the Quran while the texts permitting the warfare are restricted by the exigence of meeting attack with attack. God, calling for peace, said "O ye who believe ! come, all of you, into submission (unto Him); and follow not the footsteps of the devil. Lo ! he is an open enemy for you."

God also said, "And if they incline to peace, incline thou also

has also said, "Keep me with those who are weak amongst you; for you are supported and endowed with God's bounty only for the sake of those weak."

Islam aims not only at the defence of a weak state against a powerful one, but would also defend those peoples who have been harrassed by oppression and their prowess humbled by tyranny.

In his letters to Kings and Heads of State calling them to Islam, the Prophet stressed their obligations towards their subjects and that such obligations made it incumbent upon them to leave such subjects free to understand Islam and adopt it as a religion, if they so wished out of their own free will. The Prophet's message to Hercules, King of the Greek, thus ran as follows, "If you embrace Islam, you will be unhurt otherwise you will bear the sin of the 'Yarissis' meaning the growers, workers and other power less classes.

For this noble principle, Islam always made it a point to defend the freedom of the weak, particularly the freedom of creed, Muslims fought only to protect this freedom. They fought the infidels only because they tempted the Faithful out of their religion. Their war with the Greeks was only because they had killed those who had embraced Islam from among the people of Syria. Compare this principle and the attitude of present-day countries ?

International Relations in Peacetime

Basis of Relations between Muslims and other Peoples :

20 — Of fighting, Ibn Taymieh enquired whether war had been prompted by the transgression of the infidels upon Islam, and the desire to repel such aggression or was it motivated by the infidels' infidelity. He said that different views on this matter were held by the scholars for while a school of thought (the majority of scholars) would consider the repelling of aggression to be the motive, another school attributed to the Shafeis hold the motive to be fighting the infidels because of their infidelity, thus consolidating the Muslim call; it being the mission of every Muslim to call for Islam so that God's word will always be the highest.

Ibn Taymieh expressed himself in favour of the former view held by the majority and quoted in its confirmation, verses from the Quran, examples from the Prophet's traditions and the acts of the Prophet's traditions and the acts of the Prophet's companions. From the Holy Quran he quoted God's words, "Fight in the way of Allha against those who fight against you, but begin not hostilities," And fight them until persecution is no more, and religion is for Allah. But if they desist, then let there be no "And wage war on all the idolators as they are waging war on all of you," "And one who at-

whereupon the Prophet said, "Let aside their intentions; we will invoke God's help against them."

10. Amity :

The general human brotherhood whereby understanding was recommended by Islam as means of settling the differences of peoples both as races or tribes, should be joined to amity, action towards reform and the prevention of corruption even though peoples might differ in religion, land and race. God has said, "Allah forbiddeth you not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that ye should show them kindness and deal justly with them. Lo ! Allah loves the just dealers. Allah forbiddeth you only those who warred against you on account of religion and have driven you out from your homes and helped to drive you out, that ye make friends of them. Whosoever make the friends of them — (All) such are wrong-doers."

Consistent amity could not be interrupted by war nor by the difference in religion. It is related that at the time of Hodaybieh, the Prophet was informed that Quraish had been hit by famine. The Prophet promptly despatched five hundred dinars to Abu Sofian, leader of the infidels, to buy wheat for the poor.

It could well happen during wars

that relations were severed between the Muslim State and the warring country while bonds were maintained with the non-belligerent subjects of that country. They were thus allowed to reside in Muslim lands, and were not harmed in themselves or their properties. Those assumed in the definition of scholars are those persons who resided in Muslim lands for a specified period under assurance of safety, for trade or the exchange of benefits.

To promote amity between peoples could possibly end the war and open the door for an honourable and dignified peace.

If amity be consistent and uninterrupted, it will go side by side with mercy. The latter is more comprehensive, however, for amity exists between peoples while mercy prevails among peoples and in the battlefield as well. No wounded, captive or surrenderer is allowed to be murdered.

19 — Of the aspects of equitable mercy and constant amity is to support the weak. Islam is a divine religion that lays down God's orders, and all divine religions have urged that protection of the weak against the strong, whether they be individuals, communities or states. God has said, "And we desired to show favour unto those who were oppressed in the earth, and to make them examples and to make them the inheritors." The Prophet

Reciprocal treatment is restricted by the exigencies of virtue as already stated. Should an enemy violate the sanctities of virtue, the army of virtue should not follow their unworthy example. The Holy Prophet's sayings have already been quoted in support of this.

On the other hand, reciprocal treatment should not exceed those fighting in the field of battle in the sense that an army of justice should not kill those who are not belligerent.

9. **Fulfilment of Promises :**

This is the ideal means of ensuring safety and basing understanding on solid foundations namely treaties of peace and non aggression.

Such treaties derive their power not only from their terms but from the intention of their signatories to fulfil such terms. Islam has thus urged fulfilment of promises which it said, is power in itself while repudiations are aspects of weakness. God, the Almighty, has established that whoever amongst the Faithful who has covenanted has taken God surety for him. God has also ruled that the desire to extend the area of a state or its strength should serve as justification for treachery. The Quranic verse embracing all these meanings reads "Fulfil the covenant of Allah when you have covenanted, and break not your oaths after the asseveration of them.

and after ye have made Allah surety over you. Lo ! Allah knoweth what ye do. And be not like unto her who unravelleth the thread, after she hath made it strong, to thin filaments, making your oaths a deceit between you because of a nation being more numerous than (another) nation. Allah only tieth you thereby, and He verily will explain to you on the Day of Resurrection that wherein ye differed."

God in this verse has likened those leaders who would violate their covenants to a stupid woman who unravels threads into thin filaments after having made it strong. God also points out the impermissibility of deceit or treachery as a means of rendering a country more numerous or wealthy than others for any power derived through the violation of covenants is doomed to extinction.

The Prophet has defined the best of people to be those fulfilling their promises saying, "Shall I tell of the best people amongst you . . . they are those who honour their promises." He also said "I am all for the fulfilment of one's promises." This was borne out by the incident of the Hodaybieh peace treaty whereby the infidels covenanted not to fight the Prophet and keep on peaceful terms with him for ten years as aforesaid. Some Muslims told the Prophet that the infidels harboured treacherous intentions and prepared for his fight,

Islam's ideal system for God has said, "Lo ! Allah enjoineth justice and kindness, and giving to kinsfolk, and forbidden lewdness and abomination and wickedness. He exhorteth you in order that ye may take heed." Scholars refer to this verse as the most comprehensive of Islam's meanings, in the Holy Quran.

If every religion has a dominant feature, Islam's feature is justice. It is the perfect criterion whereby relations between peoples in both peace and war times are determined. So while in peacetime, good neighbourliness should be based on equality, the motive for war in wartime should also be justice. This is particularly so since all the human principles of tolerance and liberty, should be characterised by equality. Tolerance that engenders loss of rights cannot be deemed as tolerance or mercy; it is rather injustice leading to the severest forms of cruelty. Forbearance towards the unjust whether they be individuals or communities is injustice to those whom they had wronged, and denied legitimate rights.

Furthermore, the world will be a worthy place only when justice has become the basis of human relations in all their forms. No strong party would thus transgress on the weak, or rights be wasted on the strength of accomplished facts such as now recognised to be common logic. This is so much so that international relations are

now based on accumulated injustices.

Justice, moreover, is the criterion of human understanding as proclaimed in the Quranic verse on general understanding between races and peoples.

8. *Reciprocity :*

16 — Equal treatment or reciprocity is an offshoot of equality; the Prophet having recommended us to "treat other people in the same manner in which we would wish them to treat us." By virtue of this equitable law a Muslim has to extend to whoever would transgress upon him, the same treatment without excess except within the limits of such safeguards as would obviate repeated aggression. If aggression be injustice, its repelling will be only equitable.

This concept will not clash with the principle of tolerance and virtue for these should not be allowed to engender injustice for this would constitute indisputable corruption. Furthermore, Muslim virtue is far from being weak or submissive; it is rather a positive and vigorous virtue that succumbs to no evil or evildoers, but towers over them all.

Justice is surely not the antithesis but the very reflection of mercy. Wherever justice prevails, mercy is there, but no mercy could exist side by side with injustice. Equal treatment would therefore, repel injustice more vigorously.

them, they should be given the choice between a covenant to be concluded with them, entry into Islam, or the fight. If they choose the covenant they must have it. If Islam be their choice, they will be deemed as Muslims.

6. *Virtue :*

God, the Almighty, concluding the verse that emphasises understanding to be the ultimate aim of the peoples' dispersion as tribes and nations, said, "Lo ! the noblest of you in the sight of Allah, is the best in conduct."

Piety is the sum-total of all human virtues. Understanding should go side by side with virtue; the latter being required of individuals as much as it is incumbent on communities.

The Quran has urged adherence to piety, the embodiment of all the virtues in both peace and war times, with emphasis on holding to it in the latter eventuality; God having said, "... And one who attacked you, attack him in like manner as he attacked you. Observe your duty to Allah, and know that Allah is with those who ward off (evil)." The reason for this is that men would behave impulsively during wars and possibly commit acts, contrary to virtue, especially if the enemy profaned their sanctities.

Muslims should not follow the example of their enemies in trans-

gressing upon virtues by distorting the dead, killing women and children, and profaning women's chastity.

It happened at the time of the Prophet that some Muslims, following the enemy's example, killed the children. The Prophet commenting on this act said, "I wonder how certain people should exceed proper limits by murdering children ... Don't kill them ... Don't kill them ..."

The Prophet also urged that no prisoners should be killed, saying "no one of you should molest his brother's own captive and kill him".

Muslim treatment to foreigners has thus been based on virtue. The limits of virtue are not allowed to be exceeded whatever the enemies' flagrant behaviour.

7. *Justice:*

15 — Human relations as regulated by Islam, are based on equality no matter whether such relations be with loyal or hostile peoples. The Holy Quran has stressed justice to be more conducive to piety; God having said, "... let not hatred of any people seduce you that you deal not justly, Do justice that is nearer to your duty," and "O Ye who believe ! Be ye staunch in justice, witnesses for Allah, even though it be against yourself ..."

Equity in all its forms represents

Islam has defended all these elements by preventing imitation without proof, and urged that behaviour should be in conformity with belief. Islam has also protected the creed of those taking shelter with it, entering into cover-out with Muslims or keeping on peaceful terms with them. It has also facilitated the performance by such people of their religious rites. Muslim scholars through their deductions from Quranic texts, the Prophet's traditions and the acts of the Prophet's companions, have laid the rule that "We have been ordered to leave people free to practise their creed." By this conception over which there is a consensus of viewpoints among scholars, the freedom of religious thought has been defended, and no non-Muslim was harmed but rather left free to perform his religious duties undisturbed.

In this context it is related that Omar ibn Al-Khattab on his visit to Jerusalem beheld a Jewish synagogue hidden from sight by dirt, only its top visible. Omar went over to the building and with his own garment, removed some of the dirt. The Muslim army followed suit until all the dirt has been lifted and the synagogue, thus cleared, was again fit for the Jews to celebrate their rites.

In this same blessed trip, Omar happened to be near a church at the time when the midday prayer was due to be said. Omar prayed

outside the church. When asked whether prayers would be invalid if said inside, the free leader replied in the negative, but explained that he feared the Muslims might remove the church after his death or use it as a mosque if he prayed inside.

Muslim scholars in establishing the concept of freedom in such a free manner, drew on the clear idea that a man with a religion is better than another without one, for the former though erroneous, has a religious conscience.

13 — Islam has ensured all the human freedoms, namely those of residence, speech, opinion and work. It has also guaranteed the freedom of self-determination. It is worthwhile to dwell a little on this last-mentioned freedom.

In relation to Muslims, a faithful should not submit to a non-Muslim state, nor should he follow non-Muslim banners for in such a case he will not be able to carry out the stipulations of his religion in dealings or punishments.

For non-Muslims, Islam has forbidden any transgression on their liberties, or their expulsion from their homes so long as they will not transgress on Muslims. Islam has also forbidden the fighting of non-Muslims unless they are the aggressors, as will be pointed out in connection with legitimate warfare.

Even in the case of fighting where aggression is expected of

control of one's whims and prejudices. Freedom also is a social meaning that manifests itself in man's relations with others and his rights as much as he values his own. Freedom and egoism are perfect antitheses that never meet; freedom accords with self-denial but not with selfishness.

In our contemporary times we come across leaders of peoples, who are described as free men and their peoples as free nations, but as a matter of fact let their prejudices control their attitudes towards others' own affairs. We see the world of to-day being dominated by the prejudices of rulers and of parliamentary councils, that contravene the judgement of free and straight minds. This as viewed by Islam, is nothing short of domination by whims over men's destinies; it has nothing in common with liberty.

12. — Islamic rules governing human relations fully respect free creed. The Holy Quran has rejected compulsion as means of driving people to embrace a certain religion and forbidden the Faithful to compel anyone to adopt a creed. God said, "There is no compulsion in religion," and addressing the Prophet, ordered him to forbid such compulsion in the words "Wouldst thou (Muhammad) compel men until they are believers?"

Islam has further considered

the persecution of a believer for his need as being worse than slaughter. God said "... sedition is worse than slaughter...." Fighting in Islam was permitted only as a means of protecting religious freedom and preventing the persecution of the Faithful; God having revealed; "But fight them that there be no sedition."

But the freedom of religion could not be realised only through the ban on persecution; it should stem from one's own self in that one's thought of the creed should be free and his judgement unrestricted by whims, or controlled by prejudices. The freedom of creed has thus been established to be made up of three elements :

A — A clear judgement which is not restricted by fanatic inclinations towards a certain nationality, tradition, or whim; prejudices and fanaticism often dominate in the name of piety.

B — The prohibition of temptation or compulsion as means of driving people to embrace a certain belief, for no man shall be free who adopts a religious creed through the lure of gold, high rank or standing. One of the most abhorrent means of compulsion is to apply drugs or strong drinks as some Christian missionaries would do in Africa.

C — Acting in line with the dictates of the creed, for the convenience of every follower of a religion without compulsion.

warriors embraced Islam including Amr ibn Al-Aas, the mastermind, and Khaled ibn Al-Waleed, the great hero. Quraish was unable in later years to launch any war on the Prophet despite its haughtiness and bitter enmity. This tolerant peace was thus a significant victory.

But the incident of tolerance that soothed the hearts and guided them more was provided by the Prophet's acts in the wake of Mecca's invasion and the conquest of the infidels who had wanted to kill him, and turned him together with his companions out of their land. At his first meeting with Quraish after the great victory, the Prophet said, "What do you think I shall do with you ? They replied, "An honourable brother you are and the son of an honourable brother whereupon the tolerant and honourable Prophet said, "I would tell you what my brother Joseph had told his brethren : "Have no fear this day ! May Allah forgive you, and He is the most Merciful of those who show mercy."

This was the usual practice of the Prophet in all wars; he treated hearts with pardon and forbearance instead of creating grudges by humiliation and revenge. A further example is provided by the war of Beni Al-Mostaleq. The Muslims had taken over one hundred of their houses and taken the people as slaves. The Prophet in a desire to render them a favour,

married Jawrieh, daughter of Al-Harith, and with every Muslim who held a prisoner releasing his captive, the whole people were set free. In this context Aisha said, "No woman has blessed her people more than Jawrieh; through her one hundred Arab homes were liberated." The marriage had this tolerant act for its sole motive. It was prompted by no lustful ends as the mischievous and the ignorant would allege. If the Prophet had desired Jawrieh he would have owned her as a slave.

This is an example illustrating that tolerance was the policy laid by the Prophet to govern relations between men, a policy that healed wounded hearts in the wake of wars, for an injured heart should be treated rather than be left to fester.

5. *Liberty :*

Liberty is a fruit of the Islamic understanding called for by the Holy Quran for true understanding could exist only between the free. There would thus be no master and slave, or victor and vanquished. All will be free and on equal footing since equality prevails only where all men are equal in freedom.

True liberty lies in the appreciation by a free man of the liberty of others as much as he appreciates his own liberty. Freedom does not conform with prejudice, or egoism. It represents one's control of oneself; the first aspect of it being one's

case in the times of Omar, on whom be God's peace.

There could be no just peace on this earth without respect for human dignity in every man and on every land irrespective of colour or race.

4. Tolerance :

10. — Forbearance is only essential for the call of human understanding to bear fruit, and for hearts to meet without hostility. Islam has thus advocated dignified tolerance for it builds human relations among individuals, communities or states on tolerance without submission to evil. The Prophet has been ordered to show benevolent forbearance towards his enemies in God's words : "So forgive, O Muhammad, with a gracious forgiveness" meaning pardon with dignity and power without humility or submission.

The Prophet has also applied the principle of tolerance in his relations even with the infidels in his covenants and wars. It happened at the time of the Hodaybiah peace-treaty between him and the infidels that the Prophet was impeded to enter the Holy House for pilgrimage. The peace-treaty was permeated with gross injustice on the infidels' part, and tolerance by the Prophet for they insisted on preventing him from performing the pilgrimage that year, and he accepted the condition despite his powerful army that could have subjugated their

land. They made it a further condition that whoever left Mecca as a Muslim following the Prophet and the Faithful should be turned over to them unless his people agreed to his departure and whoever left the Prophet as a renegade would be accepted by them. The Tolerant Prophet likewise approved of this further condition against strong protestation by some of the Faithful. Omar Ibn Al-Khattab enquired at the time "why should we tolerate shameful deeds in our religion ?" But it was another instance of the Prophet's wisdom. He chose rather to be patient and tolerant to spare human blood. This act on his part was not of the nature of tolerating a shameful deed, but rather of Muslim foresight and guidance that urged patience in lieu of murder, and forbearance in the stead of violence. To achieve one's aim belatedly with peace is far more beneficial than to attain it early with violence. God has called that peace a 'signal victory' in the words : "Lo ! We have given thee (O Muhammad) a signal victory, that Allah may forgive thee of thy sin that which is past and that which is to come, and may perfect His favour unto thee, and may guide thee on a right path, and that Allah may help thee with strong help."

This opened many hearts that had been sealed on infidelity. During the truce many of Quraish's talented leaders and staunch

truthful. They said : Be glorified ! We glorified ! We have no knowledge save that which Thou hast taught us. Lo ! Thou, only Thou, art the knower, the wise. He said : O Adam ! Inform them of their names, and when he had informed them of their names. He said : Did I not tell you that I know the secret of the heavens and the earth ? And I know that which ye disclose and which ye hide. And when we said unto the angels : Prostrate yourselves before Adam, they fell prostrate, all save Iblis. He demurred through pride, and so became a misbeliever."

With such learned aptitudes whereby God enabled him to dominate all that exists on earth, man deserved angels' gesture in prostrating themselves before him, and was worthy of such dignity on earth. God has pronounced these honours in the words, "Verily we have honoured the children of Adam. We carry them on the land and the sea, and have made provision of good things for them, and have preferred them above many of those whom We created with a marked preferment."

A man is deserving of such honours in recognition of his humanity and not because he is white, urban, cultured or advanced. The honours are due for all the colours and all the races; it is a common privilege for all people : urban and beduin, advanced or backward. A strong man should go to the aid

of the weak; an educated should teach the ignorant and an advanced should help the backward.

Dignity, furthermore, is a requirement of the code of mutual understanding and co-operation for it is not of co-operation that one man should be arrogant and another humble. True understanding and intercourse, both spiritual and practical, as well as co-operation will be best achieved where one helps another.

To make distinctions between peoples according to whether they are urban or beduin, or through colour or race is a fundamental cause of strife on this earth. Ever since human dignity was profaned and the strong men controlling world politics exploited the coloured and the underdeveloped, disputes have been raging between these exploiters over the control of such peoples as if they were coveted goods. Struggle up between the peoples and the exploiters of their land. This, on the part of the vanquished, was a legitimate self-defence dictated by nature, and rendered incumbent by dignity, the just divine codes and the Muslim Religion which nurtures dignity and self-respect in the hearts of those who embrace it, and behoves them to respect dignity in others.

Examples are many of the Prophet's glorification of man, and the acts of his companions confirming such glorification are considerable. This was particularly the

based on cooperation for good, maintaining virtue and prohibiting evil. The Jews repudiated the pact; however, and in collusion with the infidels, plotted against the Prophet although the basis of that accord was to cooperate in the upholding of justice and the aversion of aggression.

The Prophet used to enter into pacts with Arab tribes, both Muslim and otherwise, for the sake of good. Such action in contemporary times is termed "peaceful co-existence".

When the Prophet went on pilgrimage to the Holy Shrine⁽¹⁾ in Mecca, escorted by a heavy force, Quraish tried to prevent him from his resolve. The Prophet, nevertheless, extended to them a hand of peace and rather than stirring a war or dispute, called for mutual respect of the Shrine. In this context the Prophet said, "If Quraish should call me to an act whereby the prestige of this Shrine is enhanced, I will favourably respond to them."

The strongest forms of cooperation are those aimed at supporting the weak. The Prophet in his youth attended a rally of Quraish dignitaries held in the home of Abdullah ibn Jodaan, at which they undertook to support the weak against the strong. The Faithful Prophet said of this rally, "I attended a meeting in the house of

Abdullah ibn Jodaan which was considered a worthy mission. If I had been called to it in Islam, I would have responded to it.

The moment all men feel being one hand in exploiting the sources of wealth on earth and that they respond to each other in amity and co-operative spirit, the urge for dispute will disappear from among them, and the strife for existence as advocated by the oppressor will vanish. It was this strife that caused the world incalculable disaster with every people conceiving their existence to be the extinction of others.

Islam abhors strife for existence since Islam prescribes understanding and amicable response, both spiritual and practical, as means of existence. It has therefore recognised human co-operation as the spring of life for it leads to construction and the promotion of love amongst men.

3. Human Dignity:

10. — Several Quranic verses declare that God has entrusted the earth to man, that God, the Almighty, has consecrated the universe to his service, and bestowed on him such mental powers as would enable him to know things and means of putting them to good use.

God, stating the beginning of creation has said, "And He taught Adam all the names, then showed them to the angels, saying: Inform me of the names of these, if ye are

(1) The Ka'abah.

Among the causes that would hinder equitable treatment and human understanding is unjust fanaticism and prejudice for one's tribe or country. The Prophet has thus prohibited fanaticism, saying that "He is not one of us he who advocates or fights with fanaticism."

But does the prohibition of fanaticism imply the ban of patriotism? It certainly embraces nationalism that engenders injustice; otherwise nationalism is not a vice such as in cases where fanaticism or patriotism would prompt its people to improve their conditions and promote their resources without aggression. **Such sentiments** in cases as these will be unmixed virtue for they will further the interests of humanity and prompt co-operation for good.

Some of the companions of the Prophet seeing him strongly prohibiting fanaticism and advising against it, asked "Is it of fanaticism O Messenger of God that a man should love his people?" whereupon the Prophet replied, "No ! but it is fanatic of a man to support his people unjustly."

The Prophet has also likened he who would support his people without just cause as a camel falling into a pit of fire."

This simile is only too perfect; it is borne out by facts and events in modern times. The blind support now given by leaders and statesmen to their peoples and the

backing of unjust causes helped such peoples devour others' land and exploit their resources, thus making hell of the whole universe. Hardly does God put down a fire when mortals start another through their fanaticism that would bring about the downfall of peoples.

2. Human Co-operation

9 — Co-operation is first and foremost among the forms of understanding, being the ultimate purpose of different races and colours. It is an aspect of intellectual intercourse in societies, both big and small; as well as practical understanding in the human family.

God's saying, "Help ye one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and transgression," was intended for the faithful of all mankind, and stressed the prohibition of aggression even on the cooperation with aggressors themselves. The whole text of the verse is "And let not your hatred of a folk who (once) stopped your going to the inviolable place of worship seduce you to transgress; but help ye one another into righteousness and pious duty. Help not one another into sin and transgression, but keep your duty to Allah. Lo ! Allah is severe in punishment."

The Prophet duly applied the principle of international cooperation on his arrival in Medina. He concluded a pact with the Jews

Allah, is the most righteous of you," as already stated.

2. Rules of International Relations

7 — The basis on which all the rules governing international relations in Islam are established, is the acquaintance of peoples with each other which is the ultimate purpose of their differences in race and dispersion in tribes.

1. Equality :

8 — This acquaintance could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. For domination and the lust for power would set in wherever a party of a higher standing and another of a lower rank acted together. Conflicts would also flare up in consequence, and man would harbour evil intentions towards his fellow men. Equal treatment is therefore expedient, a principle which the Prophet on whom be peace has called for in the words "Like for thy brother what you like for thyself; and hate for him what you hate for thyself."

This saying applies to communities and states in the same way it applies to individuals for no distinction is made in the code of justice and equality between individuals and groups. What an individual is required to do is also expected from a community as represented in the State. Means of

attaining this objective may differ since an individual is more easily persuaded than a group. Still the objective is one and the same whatever difficulties obstruct our path.

The colour of man's skin has been used as an argument to justify domination which has prejudiced the chances of equal treatment to the detriment of peoples. The Prophet strongly fought against this conception. Once he heard a man scornfully calling another "Son of the Black Woman," whereupon the Prophet on whom be peace angrily said "this is gross injustice", repeating his words three times. He added that a son of a white woman can never be more favoured than the son of a black except through piety.

People of our contemporary times have also used ignorance as pretext for the domination of the civilised over those scientifically and culturally backward. The Muslim logic has fought such trends for it made it incumbent upon the learned to teach the ignorant and considered a learned man who would not teach the ignorant as withholding his knowledge. The Holy Quran has cursed those who would not impart their knowledge. In this context Ali Ibn Abi Taleb on whom be God's peace has said "The ignorant will not be asked why they have failed to learn until the learned have been asked why they have failed to deucate".

their common origin and formation. They spread all over the universe and underwent changes in both race and colour.

Their nature enclosed a love for conquest and an aspiration to authority and an urge for occupation, whether as individuals, communities, or countries. Conflicts flared up among them for power, land and wealth with the people of a certain region seeking to rule others in satisfaction of tribal fanaticism, or in the name of economy, wealth or religion. The only justification for this was power on the part of those desiring to conquer, and weakness, even relative, in those opposing the conquest or succumbing to it.

Hostility has since replaced unity, and complicity in vice and aggression has superseded benevolence piety and justice.

6 — The mutual understanding which the Holy Quran has called for and considered a worthy end because of the racial differences between peoples and tribes and their dispersion on earth, would undoubtedly provide proper solution for every dispute. But peoples like individuals are dominated by the same conceit that tempted Satan himself, and it is necessary in the circumstances, to regulate friendly relations and render them effective in human relations between the human communities on earth.

It is evident from the past and

the present of humanity that amity has never been established among its countries since the urge for conquest, power and authority has destroyed all possibilities of amity

based on cooperation, and substituted for it a desire for domination through racism, the ignorance of certain peoples, the domination of certain races over others on wrongful assumptions or economic allegations that certain regions stand in need of others' wealth, and so on and so forth.

Since disputes would thus replace human relations if peoples should exclusively undertake such regulation, some divine guidance was needed to help them in this process and guide them along the right path. Divine messages were thus conveyed and prophets sent with promises of bountiful reward for those who obey and menaces of punishment for the obstinate.

Islam, the last of all the divine religions revealed through Mohamed, the last of the Prophets, was the last stone in the edifice of Divine Message. It regulated the rules that govern human relations between individuals and countries on the most ideal bases, and made understanding the cornerstone of international relations; God having said : "O Mankind ! Lo ! we have created you male and female, and made you nations and tribes that ye may know one another. Lo ! the noblest of you, in the sight of

the truth that it might judge between mankind concerning that therein they differed. And only those unto whom (the scripture) was given differed concerning it, after clear proofs had come unto them, through hatred one of another. And Allah by His will guided those who believe unto the truth of that concerning which they differed. Allah guideth whom He will unto a straight path".

God has so stated human unity in the sense that peoples are one nation and that such unity embraces the unity of origin, of formation, of instincts, and of propensity for good or evil. This is because human instincts are one, the instincts of the man in the northern most regions are the same as those of peoples in the most distant south, as borne out by God's saying that every soul has a tendency for good and an inclination towards evil. He has also said, "And guide him to the parting of the mountain ways ?" Meaning the way of good and the way of evil. God has further said "And a soul and Him who perfected it and inspired it (with conscience of) what is wrong for it and (what is) right for it."

From these common instincts, and from this unity of propensity towards good and evil, emanated the apparent disparities among human beings. Some people, overcome more by evil than good and in response to the call of evil in them, led an unworthy life. Others

were fortunate in being influenced more by the good in them and followed a virtuous road. Both parties unavoidably had to clash because of their different dispositions; hence the wisdom in sending Prophets to explain good and its features. Conflicts continued, nevertheless, for some people responded to the appeal of virtue, while others adamantly persisted in their evil conduct and deviated from the path of righteousness. Thus evolved the enmity between the good and the bad, or in more proper terms, the hostility of the bad towards the virtuous.

Ever since Satan declined to kneel in homage to Adam, and emphasising his deviation from the right path, said, "My Lord ! Because those who have sent me astray, I verily shall adorn the path of error for them in the earth, and shall mislead them every one, save such of them as are Thy perfectly devoted slaves."

Satan has been tempting people and luring them into the perpetration of wrongful acts. Some were infatuated while others resisted and held to piety. The conflict thus continued between the virtuous and the evil, a situation which God has stated to people in His words : "Fall down, one of you a foe unto the other ! There will be for you on earth a habitation and provision for a while".

5 - - Peoples differed, despite

women. Be careful of your duty towards Allah in whom you claim (your rights) of one another, and toward the wombs (that bore you). Lo ! Allah has been a watcher over you.”.....

God has also said, “It is He who has created you from a single soul and from it created its mate.”

This same unity was also stressed by the Prophet in his saying “You all are Adam’s offspring, Adam is of earth, and the only credit that an Arab has over an alien is piety”.

The Quran in connection with Adam’s creation has likewise emphasized the fact that all people are but the sons of Adam and that their differences in colour, tongue, tribes, peoples and races despite this common parentage, are of the signs of God in the universe and its aspects. Different are as must produce a difference of colour and of tongues. God, the Almighty, on the link between the creation of earth and the skies and the difference of colour and of tongues has said, *“And of his signs is the creation of heavens and the earth, and the difference of your languages and colours. Lo ! herein indeed are portents for men of knowledge.”*

Furthermore, the difference between human appearance and earth, the source of humanity, no doubt entailed a disparity in many aspects, hence God’s saying : “And of his signs is this : He created

you of dust, and behold you human beings, ranging widely !

3 — This difference, however, would not clash with the principle of unity, nor should it be the cause of conflict but rather of acquaintance with each other, and of mutual friendship as substantiated by God’s saying : “O mankind ! Lo ! We have created you male and female, and have made you nations and tribes that you may know one another. Lo ! The noblest of you, in the sight of Allah, is the most righteous of you”.

This difference is therefore intended to serve as a medium for people to get together and not to clash or despise each other.

Acquaintance here is not the abstract but rather the fruitful form of knowledge where all human forces meet for man’s own benefit.

Acquaintance would serve human interests when the people of every region made the fruit of their land available to others and thus exchange benefits for the good of all humanity. Peoples’ deviation from this mutual aid as outlined in the Holy Quran led to conflicts and disputes over God’s bounty to human beings on earth.

4 — God has stated this conflict in just a position with human unity; He said, “mankind were one community, and Allah sent (unto them) Prophets as bearers of good tidings and as warners, and revealed herewith the scripture with

INTERNATIONAL RELATIONS IN ISLAM

By

His Eminence The Late Sheikh Mohamed Abu-Zahra

Member of The Islamic Researches Academy

IN THE NAME OF GOD, THE MERCIFUL,
THE COMPASSIONATE.

Praise be to God, and peace and blessings on Prophet Mohamed, his Family and Companions.

This research deals with the bases of international relations as regulated by the Quran, and as the Prophet on whom be God's peace and blessing carried out and guided his comrades therein.

Through God's help we rely in this study upon the text of the Holy Quran, the traditions of the Prophet, the acts of his companions, and the deductions of Mujtahids.

We shall be dealing with the following topic :

1 — Human unity as set out in both the Quran and the Prophet's traditions, and the causes of conflict in this universe.

2 — The rules governing relations between peoples, and their application to countries in the same manner as they are applied to individuals.

3 — Relations in peace-time and

the basis of relations between Muslims and other peoples.

4 — Relations in wartime, the restrictions imposed on believers in the conduct and in the aftermath of wars.

I. Human Unity

2 — Many verses in the Holy Quran refer to peoples as one Nation; that they emanate from one origin and share the same end when they meet God who has created them, though their reward may range from good to bad, and from everlasting bliss to excruciating pain.

All the peoples belong to one soul though they differ in shape, races, or tongues or as nations or tribes, believers or atheists, good or bad, constructive or destructive. God has said, "O mankind ! Be careful of your duty to your Lord who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread abroad a multitude of men and

other. But if there come unto you from Me a guidance, then whoso followeth My guidance, he will not go astray nor come to grief.

But he who turneth away from remembrance of Me, his will be a narrow life, and I shall bring him blind to the assembly on the Day of Resurrection.

He will say : My Lord ! where-for hast Thou gatherd me (hither) blind, when I was wont to see ?

He will say : So (it must be). Our revelations came unto thee but thou didst forget them. In like manner thou art forgotten this Day.

Thus do We reward him who is prodigal and believeth not the revelations of his Lord; and verily the doom of the Hereafter will sterner and more lasting.

Surah XX (TAHA) : 111/127.

وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى *
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ
كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ
آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ
تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ
وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

صدق الله العظيم

سورة طه : ١١١/١٢٧

Tru King ! And hasten not (O Muhammad) With the Qura'an ere its revelation hath been perfected unto thee, and say : My Lord ! Increase me in knowledge.

And verily We made a covenant of old with Adam, but he forgot, and We found no constancy in him.

And when We said unto the angels: Fall prostrate before Adam, they fell prostrate (all) save Iblis; he refused.

Therefor We said : O Adam ! This is an enemy unto thee and unto thy wife, so let him not drive you both out of the Garden so that thou come to toil.

It is (vouchsafed) unto thee that thou hungerest not therein nor art naked,

And thou thirstest not therein nor art exposed to the sun's heat.

But the Devil whispered to him, saying : O Adam ! Shall I show thee the tree of immortality and power that wasteth not away ?

Then they twain ate thereof, so that their shame became apparent unto them, and they began to hide by heaping on themselves some of leaves of the Garden. and Adam disobeyed his Lord, so went astray.

Then his Lord chose him, and relented toward him, and guided him.

He said : go down hence, both of you, one of you a foe unto the

وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا * وَلَقَدْ
عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَى
وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ
إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا
يُخْرِجُكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى *
إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى *
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى *
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ
يَسَّادُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ
الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئَلُ * فَأَكَلَا مِنْهَا
فَبَدَتْ لَهُمَا سَمُوهُمَا وَطَفِقَا
يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ
وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ
اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى *
قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ
هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

English Section

EDITOR - IN - CHIEF : Dr. Abd - ul - Wadoud I. Shalaby

SUPERVISOR : Zaher A. El - Zoghby

Volume : 51

No. — 2

Safar 1399 A.H. — January 1979 A.D

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

In The Name of ALLAH, The Beneficent, The Merciful.

The Meaning of Tho Glorious Qurāan

And faces humble themselves before the Living, the Eternal. And he who beareth (a burden of) wrongdoing is indeed a failure (on that day).

And he who hath done some good works, being a believer, he feareth not injustice nor begrudging (of his wage).

Thus We have revealed it as a Lecture⁽¹⁾ in Arabic, and have displayed therein certain threats, that peradventure they may keep from evil or that it may cause them to take heed.

Then exalted be ALLAH, The

وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا *
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا *
فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ
بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ

(1) Ar. Qura'an.

مَجَلَّةُ الْإِزْهَرِ

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عزري

رئيس التحرير

والإدارة

الدكتور

عبد الودود مصلبي

العنوان

إدارة الأزهر

بالقاهرة

٩٠٩٩٩٩

٩٠٩٩٩٩

٩٠٩٩٩٩

الجزء الثالث - السنة الحادية والخمسون - ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (فبراير ١٩٧٩ م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عودة الروح إلى باكستان

خطاب مفتوح إلى الرئيس ضياء الحق ...

الدكتور/عبد الودود مصلبي

ثمن هذا الحلم . . . كانوا وقود هذه الجذوة
المقدسة تشبنا بالإيمان في غابة الوثنية
والموت ، ففضت قوافل الشهداء منهم إلى
ربها وهي تهتف بأعلى صوت . .
باكستان زنده باد .

●●●

ولئن كنت مصريا نشأ في مصر .
إلا أنني مسلم يحتوى قلبه بلاد الإسلام كلها

باكستان . . .
الأمل والحلم . . . بلاد الإيمان
والطهر . . .

ماذا أقول ؟ ومن أين أبدأ . . ؟
طوفان من المشاعر والذكريات يتدفق
في أعماق هذه اللحظة ، إن باكستان تتجلى
أمامي الآن في أجمل صورة . . .
مئات الألوف والضحايا دفعوا حياتهم

يذبحها؟ وكما يقول المرحوم محمد إقبال :
إننا وإن كنا ولدنا في بلاد عريقة في
الوثنية . . .

رفضنا أن نعبد الثور والبقرة . . .
وأينما أن نطأ رءوسنا أمام الكهان
والسدنة . . . فلم نخر بين يدي الآلهة
القديمة . . .
كانت « لا إله إلا الله » هي فيصل
التفرقة بين الإيمان والزندقة . . .



ومنذ قامت باكستان . . . ونحن هنا
في مصر نتابع أحداثها ، ونحلل أخبارها
ونرصد ما يقع فيها . . . إن باكستان عزيزة
علينا لأنها تجسّد للعقيدة ، وواحة للإيمان
وارفة . . . والعقيدة هي الرباط الأوثق بين
المؤمنين في أى أرض ، والحبل المتين الذى
يربط بين المسلمين في الشرق والغرب .

لقد قامت باكستان . . . وكان لقيامها
معنى كبير في دنيا السياسة ، هاهنا دولة
تذوب فيها فوارق اللون ، وفوارق
الجنس ، وفوارق اللغة . دولة تقوم بعقيدة
دينية لا تفرق بين الناس ، وبروح إسلامية
لا تعرف التعصب .

ما الذى جمع « البنغال » إلى
« البنجاب »؟ وما الذى وحد بين
« السند » و « بلوچستان » وما الذى جعل

من الشرق إلى الغرب ، وقد كان
لـ « باكستان » في قلبى منزلة خاصة تجل
عن الوصف .

غير أنى لا أنكر فضلها على ، وتكرّمها
لى فقد عشت فيها دارسا ، وزرتها عابرا ،
واختلطت بشعبها من أقصى الشمال الغربى
فى « بشاور » إلى « كراتشى » على شاطئ
بحر العرب الهادر . !

لم تغب عنى حتى هذه اللحظة ذكرى
فى « لاهور » وباد شامى مسجد
وأجهرة . . . وحي أنا ركلى . . . وجامعة
البنجاب . . . والقلعة الحمراء . . . والمكتبة
العلمية ، والدكان الذى كان يستقبلنى
صاحبه بنشيد « اسلمى يا مصر » . . . لم
تغب عنى حتى هذه اللحظة أطياى
شاليمار . وقائدى أعظم مزار . . . وضريح
العلامة إقبال .



لقد قامت باكستان بالإسلام . . .
وللإسلام . ولولا ذلك ما كان لقيامها
معنى . . . ولكن الأمر استحال علاجه
بسبب التناقضات الصارخة فى العقائد ،
وبسبب الطبقة الجائرة فى نظام
الحكم ، وبسبب التفرقة الهائلة فى العرق
والجنس . . . وقد كان السؤال -
ولا يزال - هل يعبد المسلم البقرة أم

«أردو» لغة تعلو على غيرها من اللغات ؟
إنه الإسلام . . . العقيدة التي انتشرت
مسلمى الهند من الذلة والهوان . . .



« ولما كان لله سبحانه وتعالى الملك
كله . . . ولما شاءت إرادة الله جلت قدرته
أن يمنح دولة الباكستان السلطة والقوة
تراولها بواسطة شعبها في الحدود التي رسمها
لها وهو الوديعه المقدسة .

قرر المجلس التأسيسي الذي يمثل شعب
الباكستان أن يضع دستوراً تسير وفقه
باكستان المستقلة ذات السيادة . دستوراً
تمارس الدولة به وظائفها مقتضية أثر التعاليم
التي توحى بها الديمقراطية والحرية والمساواة
والتسامح والعدالة الاجتماعية كما جاءت في
تعاليم الإسلام . . . دستوراً يكيف حياة
المسلمين أفراداً وجماعات حسب تعاليم
ومعتقدات الإسلام كما وردت في الكتاب
والسنة ^(١) .

لقد كان هذا الدستور حدثاً تاريخياً
بالنسبة لشعبنا . . . كنا في هذا الوقت
لأنزال شباباً يمتلئ قلبه بالإيمان والحماسة ،
وقد وجدنا في باكستان ودستورها الأمل
الذي تخفق به قلوبنا في كل نبضة .

« ولكن هذه العملية - التي قفزت إلى

(١) دستور باكستان .

الوجود لأسباب تاريخية وسياسية - لم تجد
فرصة تهيئة هذا الجيل وإعداد هذه
القيادة ، وقد عجز نظام التعليم الغربي
السائد في الأقطار الشرقية ، وعجزت
الجامعات الغربية التي تلقى فيها زعماء هذه
البلاد ثقافتهم عن أن تقدم خيراً منهم في
عامّة الأحوال ، وعن أن تنتج غير هذا
الطراز من التفكير ، وغير هذا الأسلوب من
الحياة .

ومن المؤسف . أنه * في هذه المدة غير
اليسيرة - منذ أنشئت باكستان لم يقم
زعمائها بخطوة جريئة نحو توجيه المعارف -
التي هي العمود الفقري لتوجيه الدولة ،
وإنشائها إنشاءً جديداً يتفق مع روح
الإسلام وأهدافه ، وصياغة المجتمع صياغة
إسلامية جديدة . ووضع دستور إسلامي ،
وسد منابع الفساد والتفسخ الخلقي والفوضى
الفكرية ، ولم تكن هناك محاولة جديّة تدل
على أن باكستان (معمل) إسلامي جديد
تثبت فيه أهمية الحياة الإسلامية وصلاحيّة
القانون الإسلامي ، وتفوق الحضارة
الإسلامية ، وتقدم فيه نموذجاً عملياً
للأقطار الإسلامية الناهضة - بل -
بالعكس من ذلك - قد برهنت بعض
التشريعات ، وبعض الإصلاحات وبعض
الاتجاهات على أن واضع الدستور في

وجعل من شقيق الأمس عدوا لشقيقه .
وجعل من - العدو المشترك - حليفاً ومتقذاً
بعد ربع قرن من الحروب والقطيعة ؟

إن النظرة الحافظة تجاه هذه المأساة
تعزو ذلك إلى اختلاف اللغة والجنس ولكن
هذه اللغة وهذا الجنس لم يقفا حائلاً عند
قيام الدولة . . . وكانت باكستان الشرقية
قلعة من قلاع الصمود في وجه أية محاولة
للقضاء ، على هذه الدولة . . . لقد اختفت
سمة الإسلام من وجه الحياة الباكستانية ،
وتسلم الحكم طائفة من الطغاة والمردة ،
وابتليت باكستان بزعماء يعبدون أنفسهم
من دون الله سبحانه . وإذا كان « ذو الفقار
بوٲو - يحاكم اليوم بجرمة قتل منفردة ،
فإن الجريمة الكبرى التي ارتكبها كانت
أضعاف أضعاف هذه الجريمة مليون
مرة ! !

لو استجاب لنداء العقيدة والعقل ،
لما تمرد « حزب عوامى » وزعيمه في الشرق
ولو خضع لمنطق الحياة والإيمان لما كانت
المأساة التي لطخت وجه الأشقاء بالدم
ولكن عبادة « الذات » ، وحب التملك
والتسلط ، وإهدار مبادئ الشورى
والعدل والاستهجان بكل ما هو « ليس
منى » ، قاد باكستان المسلمة الى اتخاذ
مواقف لم تكن في حسابان أى فرد من

باكستان ، وولاة أمرها - ليسوا مأخوذین
بالأقطار الغربية فحسب - بل يعتبرونها
أساساً للتشريع ، وشرطاً لتقدم البلاد .
وقد كان انصراف باكستان عن
أهدافها الأساسية الأولية ، مأساة ضخمة
وغدراً بذمة الملايين من المسلمين الذين
تحملوا في سبيلها من المصائب ما يشيب
لهولها الولدان ، وقدموا لها ثمناً من الدماء
والأرواح والأعراض . . ثم إن هذا النكر
والانحراف يخذلان العاطفة الدينية التي لم
تزل تراود نفوس العاملين للإسلام ،
ويزهدهم في محاولة إعادة هذه
التجربة ^(١) . . .

أكثر من هذا . . إن تمزق باكستان
كان نتيجة طبيعية للتنكر للإسلام وإهمال
مبادئه في أسلوب الحياة والحكم ، والوقوع
في شرك القومية البغيضة التي شطرت
الدولة إلى دولتين في الشرق والغرب .

لقد كان « البنغاليون » من أسبق الناس
هتافاً لباكستان قبل قيامها بل إن - « مجيب
الرحمن » كان من أشد الناس حرصاً على
قيام هذه الدولة وتضحية في سبيلها فما
الذى حدث ، وغير قلب الأخ على أخيه .

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية -
العلامة أبو الحسن الندوى .

وشعب ، وفي هذه الحال تصبح معتقدات المسلمين موضع شك ومحل نقاش ونقد في نظر العالم . . . !
وهذا الكلام . . . خطير . . .
وصادق . . .

فالتجربة الباكستانية لم تعد ملك باكستان وحدها . . . إنها للمسلمين جميعا . . . لقد تجسدت فيها العقيدة . . . نظاما وأسلوباً ومنهجاً وما يحدث في باكستان سوف ينعكس تلقائياً على هذه العقيدة ونظامها وأسلوبها ومنهجها . . . وأى خطأ يرتكب ضد هذه العقيدة . . . فسوف يفسر تفسيرات (مجدفة) . . . وينحرف بالناس عن الحق والحقيقة . . .



لقد عشت في باكستان عاما كاملاً (٢)
.. تجاوزت فيه تأثير العاطفة إلى صوت العقل . . . كنت أرصد ما أراه وأسمعه فيزداد ألى بما أرى وبما أسمع . . . فليس معقولاً أن يتحول الحكم إلى قوة غاشمة لحساب نفر أو زعيم أو حزب وطائفة . . . وغير ممكن أبداً ولا مقبول أن تحرم الباكستان من حكم الشورى والديمقراطية ويسير شعبها المؤمن إلى كارثة وطنية ، وتكمم أفواه الدعاة والمخلصين للدين

شعبها ؟ ولا في تقدير أى جندي من جيشها ؟

وليسمع شعب « باكستان » هذه الكلمة التي يقولها البروفسور سمث (١) . . .
« ربما يتخيل الباكستانيون أن عملية تكوين المجتمع الإسلامى صعبة وعسيرة أكثر مما قدروها أول الأمر ، ولكننا إذا تأملنا في هذه القضية رأينا أنه لا مفر لهم الآن . . . لقد كانت وعودهم ومزاعمهم صريحة واضحة إلى حد لا يمكن التخلص منها ، والإغماض عنها . سيكون تاريخهم « تاريخ الإسلام » . . . لقد وقعت على عواتقهم مسئولية ضخمة ، إنهم لا يستطيعون راضين أو كارهين - أن يصرفوا النظر عن فكرة « الحكم الإسلامى . أو يتركوها لمدة طويلة . . . ذلك بأن القضاء على هذه الفكرة لا يعنى التعديل في الأسلوب والمنهج . . . بل إنه يعنى الضربة القاضية على الدين والوطن . ويستتج العالم منه شيئاً واحداً ، وهو : أن نظرية الدولة الإسلامية نظرية فارغة ، وأن شعارها وهتافها تضليل وخداع لا غير ، وهى لا تستطيع أن تسير مطالب الحياة المعاصرة ، ويؤمن بأن أهل باكستان أخفقوا في تطبيقها على حياتهم القومية كأمة

والأمة . . .

يهتفون بالعلمانية ، والإشتراكية وأقول
للعقلاء منهم . . . إن باكستان قامت بغير
هذه الشعارات القاتلة . . . وحين تسيطر
عليها هذه النزعات الهدامة فلن تقوم لكم
قائمة وسينتهى وجودكم من الحياة في أول
« كميونة » . . . ! !

ولقد رأيت من واجبي كمسلم . .
وكمواطن « باكستاني » . يستحق هذه
« المواطنة » كمسلم . . رأيت أن أسهم
بنصيب في هذه المعارك التي كانت تدور
خارج مسكني في نيوكمبس New Campus

كنت ألتقي بممثلي الطلبة المسلمين
لأمنحهم تجاربي في مثل هذه المعركة . . .
وكنت أنتفض من سريري خارجا كلما
سمعت هتافات « إشيأ صرخة هي » أي أسيا
حمراء . . . نفس الهتاف الذي كان يردده
القمر الصبني حين أطلق لأول مرة في
الفضاء ليعلن « إن الشرق أحمر » .

كنت اتفرس في وجوه هؤلاء المساكين
الذين يطالبون بالموت والخراب في الوقت
الذي يظنون فيه أنهم أحياء . . وأظل في
مكاني جالسا . . حتى نجى مظاهرة أخرى
تقدمها الأغصان الخضرة والمشاعل . . .
وشبابها يهتف بإيمان وعمق الله أكبر .
« إشيأ سبزه هي » أي أسيا خضراء . .

. . . غير ممكن ولا مقبول هذه
الصيحات والشعارات التي تحمل في ثناياها
الموت والخراب لهذه الدولة . . . مستحيل
هذا الذي أراه من القادة ورجال الحكم
والسياسة . . . من تحلل وإباحية ، وإهدار
لجميع القيم الأخلاقية والدينية . . . إن
هؤلاء الزعماء يدمرون أنفسهم وبلادهم
بهذه الطريقة . . . فإذا وهن الإسلام
وأهدرت قيمه . . فقد ذهب المبرر الوحيد
لقيام هذه الدولة ، وخرجت - من
جحورها - الثعابين والأفاعي لتنفث سموم
الفتن . . .

أين محمد إقبال ؟ بل أين محمد علي
جناح ؟ بل أين أرواح الألوفا الضحايا
والشهداء الذين قدموا حياتهم رخيصة في
سبيل باكستان المسلمة المؤمنة ؟ لم أكن
أتصور أن تحيط بمقام « إقبال » أماكن
اللهو والمجانة ؟ لم يكن يخطر ببالي ما أراه في
الفنادق التي لا تبالي بأية فضيلة ؟

كنت أحدث نفسي بألم . . . وأتحدث
إلى الناس بصراحة . . ما تركت وزيرا أو
أستاذا أو تاجرا . . أو طالبا إلا أفضيت إليه
بما في نفسي من ألم ومرارة . . .

بل كنت أتابع انتخابات (إتحاد
الطلبة) في جامعة البنجاب فأرثي للذين

وبحركة لا شعورية أذهب لأشترى بعض الحلوى وأوزعها على هؤلاء كي تجلو أصواتهم وهي تهتف الله أكبر: إشيا سبزه هي ...

لم أنس حتى هذا الوقت .. الطالب عبد الشكور رئيس إسلامي جمعية طلبة ... ولم أنس أيضا - على الرغم مني - الطالب علام عباس مرشح الشيوعيين وال (P.P.P) وغيرهما من أحزاب الدمار والموت ... !



يا سيادة الرئيس :

لقد تركت باكستان في أوائل ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ... ولكن قلبي بقي هناك يشارك رجال الله معاركهم ضد جحافل الكفر والشیطان .

لقد عرفت أناسا كثيرين من مختلف الاتجاهات والأحزاب ... من الجماعة الإسلامية . والرابطة الإسلامية ... وحزب مارشال الجيو السابق «أصغر خان» ..

ومن حزب بوتو أو باكستان بيلز (P.P.P) بارقي .

كنت أرى التضيق في كل مكان على كل إنسان .. وكان صدرى يضيق بالاضطهادات المتلاحقة لـ «جماعت

إسلامي» .. هذه الجماعة التي بقيت وحدها وسط هذا الإعصار تقاوم التجديف والتزيف ومعاول الهدم التي تهوى على رأس باكستان كل يوم والأغرب من ذلك كله .. إن القيادة الدينية أسندت إلى رجال سيئ السمعة ولم يبق في باكستان كلها صحيفة أو مجلة تنطق بالحق والحقيقة والصحيفة أو المجلة التي تحاول ذلك ينهى أمرها بالإعدام أو المصادرة ، وقد رأيت بعيني ما حدث لصحيفة «جسارت» في كراتشي .. وما وقع لمجلة «أوردو دايجست» في لاهور ...

يا سيادة الرئيس :

لن أحدثك عن النزعات الانفصالية التي أفرزها حكم «بوتو» فتحت يدي الكثير من قصاصات هذه المحاولات السخيفة التي تمولها دول كبرى ، أو دول مجاورة تستر وراء أشخاص باعوا ضمائرهم في أسواق العمالة السفلى ... ؟

لقد مضى «بوتو» إلى سبيله يحمل أثقاله وأثقالا مع أثقاله .. إن أمره الآن بين يدي العدالة .. إن المأساة في العالم الإسلامي .. إن الذين جرعوه الذل ، وصفدوا شعوبه بالأغلال ... وادعوا رعايتهم للفقراء تحت شعارات خادعة وكاذبة .. كانوا في حياتهم أباطرة من

وظل الحال كما تركته في باكستان حتى بدأت الأزمة في الانتخابات الأخيرة . . . لقد حدثني أكثر من « مطلع » إن حركتك قامت في اللحظة التي قرر فيها « بوتو » إخضاع الجيش لمآربه الشخصية وأن تحرككم كان عقب الأحداث الدموية التي شهدتها لاهور وكراتشي وغيرهما من المدن الكبرى .

وأيا كان الأمر . فإن جبي لك بدأ أيام الاحتفال بالذكرى المئوية لمولد العلامة « إقبال » كنت عضوا في وفد مصر إلى الاحتفال . . . وفي اليوم الأخير لهذا المؤتمر وقفت تتكلم وبدأت كلماتك تشق طريقها الى قلبي المخطم . . . !

لقد تميزت كلماتك بالإخلاص والصدق . . . وكان الإسلام نابضا في كل حرف تنطق به في هذا الحفل . . . لم أصدق أول الأمر . . . ظننتني أحلم . . . أو أن - « العلامة إقبال » بعث من قبره ليتكلم . . . !

لقد عادت الروح إلى باكستان . . . ودبت الحياة والعافية في الجسم الجريح وأشرق ضياء الحق بعد ظلام ليل قبيح . . . وأظنك تذكر يا سيادة الرئيس . . . أنني تقدمت إليك بعد إلقاء الكلمة . . . وانصراف المدعوين إلى حفل الشاي

أباطرة القرون الوسطى . . .
لقد أمت أكثر المصانع ، وصودرت أكثر الأراضي والممتلكات . . . ولكن زعيم ال (P.P.P) بقي وحده مالك الملك . . . وأصبحت « لاركانا » في عهده « ملكة المدن » . !

ويكفي أنه وعد كل فقير بيت يسكنه ، وكل فلاح بحقل يملكه ، وكل سائق « ركشا » ب (ركشا) جديدة تطعمه وتحمله . . . !

لقد مضى هذا كله كما قلت . . . انكشف الغطاء عن الزيف والتزوير الذي عاشته باكستان المسلمة لفترة طويلة . . . لم أكن أر في باكستان سوى الجيش . . . كنت أراه المؤسسة الوحيدة التي بقيت محتفظة بتقاليدها العسكرية الصارمة ، وكنت أفرح كثيرا حين ألتقي بالجنود والضباط وأحاول الاستماع أو الاستمتاع بروحهم الإسلامية الأصيلة . . . لم يكن يخطر ببالي أن تقوم بحركتك الإسلامية العاقلة . . . فأنا رجل سيء الظن بتحركات الجيوش من ثكناتها لغير الدفاع عن الوطن والعقيدة . . . بل لم أكن أسمع بك حين إقامتي في باكستان طوال سنة كاملة كان اسم الجنرال « تيكاخان » هو الظاهر في كل صحيفة ومجلة .

وأكاسرة الشرق . . وقد بدأت بعمل لم
تُسبق إليه في باكستان إن معنى الحكم بما
أنزل الله . . . إسقاط كل حكم خارج
دائرة هذا الحكم . . ومعنى تقنين
الشريعة . . إلغاء كل قوانين الجاهلية في
الشرق والغرب . .

وكما يقول العلامة إقبال على لسان
« أبو جهل » :

إن قلوبنا معشر الجاهلين قروح
وجروح تسيل دما بما صنع محمد . .

لقد نعى قيصر وكسرى . .
« وتنبأ بزوال الملوك والسلطين . . .
ونادى بأعلى صوته : (إن الحكم إلا
لله) .

لقد جعل اللات ومناة جذاذاً بضرباته
الموجعة . .
فليت العالم ينتقم منه ، ويأخذ ثأر
الآلهة . .

ولهذا يا سيادة الرئيس يحارب
الإسلام ويطارد في كل بقعة من
الأرض . . (ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم) . .



فليكن ذلك في خاطرك . . فإنك
اليوم لكل المسلمين في العالم لا مسلمي
باكستان وحدهم . واسمح لي أن أضع

خارج القاعة ، لقد عانقتك كزعيم
مسلم . . . وأهديتك مسبحتي تقديراً لهذا
الحديث الملهم . . .

وأظنك تذكر يا سيادة الرئيس . . .
أن خطاب المغفور له الإمام الأكبر
عبد الحلیم محمود - والذي بعث به إليك
رداً على رسالتك إليه - قد نوه بهذه
العاطفة التي ذكرتها للإمام الأكبر . لقد
قلت لفضيلته عقب عودتي من باكستان
مباشرة . .

إن زعامة جديدة ولدت في
باكستان . . زعامة تعتر بالإسلام وتعمل
لإحياء مجده وتراثه . .

وقد التقيت بك ثانية في كراتشي
عقب صلاة الجمعة أيام المؤتمر الإسلامي
الأسبوي فرأيت في بساطتك وإيمانك ما
جعلني أخاف عليك . إن الشرق والغرب
يا سيادة الرئيس يختلفان في كل شيء ما
عدا شيئاً واحداً لا يختلفان فيه أبداً ،
هذا الشيء الوحيد هو ضرب
الإسلام . . وضرب كل قيادة صحيحة
تدعو إلى هذا الإسلام . .

إن يقظة الإسلام تعني موت كل
الفلسفات . . وتعني زوال كل
الإمبراطوريات ، وتعني نهاية الظلم الذي
تعانيه البشرية على يدى قياصرة الغرب .

● يتمتع أهل البلاد - في حدود القوانين - بجميع الحقوق التي نصت عليها الشريعة الإسلامية من حماية النفس والمال والعرض ، وحرية الرأي والعبادة وحرية التنقل وحرية الاجتماع والمساواة في العمل ، وتكافؤ الفرص ، والاستفادة من المرافق العامة .

● لا يسلب أى مواطن حقا من هذه الحقوق ما لم يكن فيه نص من الكتاب والسنة .

● حرية أبناء المذاهب الإسلامية في القيام بواجباتهم الدينية ، وإنشاء المدارس الخاصة ، ونشر أفكارهم والدعوة إليها بكل حرية .

● لأبناء الدولة - من غير المسلمين - الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية والتحاكم حسب مذاهبهم الخاصة في الأحوال الشخصية .

● المحافظة على العهود والمواثيق التي التزمت بها الدولة تجاه غير المسلمين من سكان البلاد ، ويكون من حق هؤلاء التمتع بجميع الحقوق المدنية دون - تفرقة بينهم وبين المسلمين .

● النص على أن يكون رئيس الدولة مسلما ذكرا وأن يختار بالانتخاب العام من الشعب أو عن طريق النواب الذين

أمامك مشروعا تقدم به علماء باكستان بعد خمس سنوات من قيام دولتكم النقية الطاهرة . . .

● إن الحاكم الحقيقي من حيث التشريع والتكوين هو الله وحده .

● يكون قانون البلاد مبنيا على قواعد الكتاب والسنة ، وإلغاء ما يخالف ذلك من القوانين التي تتعارض مع الكتاب والسنة .

لاتقوم الدولة على أساس نظرية إقليمية أو قومية أو جنسية وإنما تقوم على مبادئ وغايات أساسها ما جاء به الإسلام من نظام شامل للحياة البشرية .

● مهمة الدولة الإسلامية هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء ما أرشد إليه الكتاب والسنة .

● على الدولة إتخاذ كل الوسائل والأسباب لتوثيق عرى الإخاء بين الشعوب والأمم الإسلامية . وسد كل المنافذ والطرق التي تؤدي إلى إحياء النزعات الإقليمية والجنسية .

● تتكفل الدولة بتوفير كل حاجيات المواطنين الضرورية كالمأكل والملبس . والسكن والتعليم والعلاج ، وتوفير العمل لكل قادر ، ورعاية العجزة والضعفاء وحمايتهم من الفقر والفاقة .

أو إقليمية

● لا يقبل تفسير أية مادة من مواد هذا الدستور تفسيراً يخالف الكتاب والسنة .

يا سيادة الرئيس ضياء الحق . . .
إن للأسماء نصيباً في حياة الرجل وسلوكه . . . وقد كان نبينا ﷺ يوصي أصحابه باختيار أحسن الأسماء . . . وكان يغير اسم الرجل إذا رأى في هذا الاسم ما يوحى بالضيق والتشاؤم . . . وفي تصوري - كرجل مسلم - أن في اختيار الله لك - لتقوم بحركتك هذه - سرا خفياً . . . ؟

ففي اسمك « الضياء » . . . والضياء هو نور الشمس . وفي اسمك « الحق » والحق ضد الباطل . . . وكأنما أراد الله سبحانه أن يكون مجيئك إيذاناً بنهاية عهود الباطل والظلام في باكستان الغالية . . .
ولسوف تجد من كل مسلم في أقصى مكان من الأرض وأدناه عوناً لك في رسالتك المقدسة ، فامض لما اختارك الله له بقلب ثابت . . . واختر لنفسك أعواناً يعينونك على طاعة ربك . . . وإياك وغرور السلطة وشهوة الحكم ، . . . فقد لقي المسلمون بسببها الولايات من حكام كانوا شرا عليهم من العدو . . . واذكر كما قال

يختارهم الشعب ولا بد في الحاكم من توفر شروط معينة كالتدين والكفاءة وسداد الرأي .

● رئيس الدولة هو المسئول الحقيقي عن تسيير شئون الدولة ، ويجوز أن يفوض جانباً من صلاحياته إلى فرد أو جماعة .
● الشورى هي أساس الحكم .
و يجب أن يلتزم الرئيس بهذا المبدأ ويمارس تطبيقه مع الوزراء ونواب الشعب . . .
● ليس من حق رئيس الدولة أن يلغى الدستور كله أو بعضه .

● عزل الرئيس أو انتخابه من اختصاص نواب الشعب الذين يملكون تشيته أو عزله .

● رئيس الدولة يكون مساوياً لجمهور المسلمين في الحقوق المدنية . . . ويحكم أمام القانون في حال انتهاكه لهذا القانون أو مخالفته .

● القانون سيد الجميع ويستوى أمامه الحاكم والمحكوم بدرجة واحدة .

● استقلال القضاء عن السلطة التنفيذية .

● محاربة الأفكار والمبادئ التي تمس أمن الدولة وتعرضها للقلق والفتنة .

● تقسم ولايات البلاد تقسماً إدارياً لا يخضع لاعتبارات عرقية أو جنسية

إقبال حكيم الإسلام والشرق :

لولاك يا رسول الله :

ولولا جهادك ودعوتك التي وسعت
وفتحت البلاد . .

ولولا دينك الذي آمن به أبائنا
فخرجوا به من حياة الحمول والهوان
والعزلة عن العالم إلى حياة الشرف
والطموح والمغامرة . .

فأسسوا دولاً واسعة وفتحوا بلاداً
شاسعة . .

ولولا هذا الانتقال من الجاهلية إلى
الإسلام ، ومن الانطواء على النفس ،
والحياة القبلية الضيقة إلى غزو وفتح
الأمم . .

لما ارتفعت لنا راية ، ولا رويت لنا
رواية ، ولبقينا في الصحارى القاحلة ،
والأودية الضيقة نتصارع ونتناحر . .

يأكل القوى منا الضعيف ويظلم الغنى
منا الفقير ، طعامنا أفقر طعام ، وعيشنا
أخس عيش . .

نعيش في عالم من نفوسنا وتجاربنا
المحدودة . .

أسماك بركة . . وضفادع بئر . . .

ولكنك يا رسول الله . .

ألقيت علينا ضوءاً من دينك تفتحت
به عيوننا ، واتسع به خيالنا . فخرجنا إلى
أرض الله الواسعة نحمل دينه الواسع .
ورابطته الجامعة . وأشعلنا مواهبنا الحامدة
الجامدة . . .

نحارب الشرك والوثنية . .

والجهالة والظلم . . .

فأسسنا هذه الدولة العظيمة ، ونعمنا
ونعم أولادنا في ظلها . .

وها نحن نقدم إليك تحياتنا ، ونقدم
إليك ضريبة الإجلال والتعظيم
والحب . . . وهي ضريبة نقدمها طوعاً
واختياراً . . .

ونعترف بتقصيرنا في جنب دينك
وتطبيق قانونك . . . قانون الله . . .



وليحفظ الله باكستان . . .

ولتعش إلى الأبد دولة الطهر
والإيمان . . .

دكتور عبدالودود شلبي

شعراء العجم في مدح سيد العرب والعجم

العلامة/أبو الحسن الندوي

العجم في مدح النبي ﷺ والحنين إلى
مدينته ، وما تغنوا به ، وفاضت به
قرمحتهم ، وشاء شوقهم وحبهم وإيمانهم ،
وقد تحقق عند المطلعين على الأدب
الإسلامي العالمي ، والذين درسوا آداب
اللغات التي تكلمت بها الشعوب الإسلامية
في بلادها ، وتذوقوا شعرها ، أن اللغة
الفارسية هي أغنى ثروة ، وأسعد حظا في
المدائح النبوية من غيرها وتليها « أردو » التي
هي سليلية الفارسية ، وأن ما قيل في إيران
والهند في هذا الموضوع ، يمتاز عن غيره قوة
وتأثيرا ، ورقة وعدوبة ، قد تجلت فيه
العاطفة أقوى وأروع منها في غيره ، وقد
ابتكر هؤلاء الشعراء معاني وأخيلة ، وجاءوا
بتعابير لم يسبقوا إليها ، ولا يزال السرفي
ذلك موضوع تفكير الباحثين ، وعلماء
الأدب .

وقد علل ذلك بعضهم بالمزاج الإيراني
والهندي ، وأن طبيعة الفرس والهنود طبيعة
الحب والغرام ، وأن لغتهم لغة الغزل

جزى الله صديقي زيدا أنه يتفنن في
« ضيافة » الأذواق ويتلطف في إثارة
العواطف الخامدة ، والقرائح الجامدة ،
فيؤلف نوادي أدبية يتساجل فيها الشعراء
والأدباء وينشدون من أبياتهم ، أو يتمثلون
بأحسن ما قاله الشعراء قديما من الشعر
الوجداني ، فترق النفوس ، وتلين
القلوب ، وتفيض العيون ، وينقشع
السحاب المادي الكثيف ، وينتقل الناس
من عالم تسيطر عليه الآلام والهموم
وتكاليف الحياة وأعبائها ، فكل شيء فيه
ثقل يرسف في القيود ، ويتعثر في
السلاسل ، كأنما يصعد إلى السماء ، إلى
عالم تسيطر عليه العواطف والأشواق ،
وتهب فيه النفحات القدسية فيشعرون بخفة
الروح ، وسرور القلب ، ورقة الشعور ،
وصفاء النفس ، ويشعرون بلذة الحياة
وخفتها ، فيصبح ما كان جحيا نعيما ،
وما كان ثقيلًا خفيفا .

وقد خصص ندوة أمس بما قاله شعراء

والهيام ، فلما انصرف ذلك كله إلى شخصية خصها الله بأعظم معاني الحسن والإحسان ، وأكبر مظاهر الجمال والكمال جاء بالعجب العجاب ، وصادفت قوة التعبير وبراعة التصوير ، وعاطفة الحب والتقدير ولوعة القلب والضمير ، ممدوحا ، وحبيا ألقى الله عليه محبة منه ، وكساه أجمل لباس من الظاهر والباطن ، جاءت بكل معجب مطرب .

وعلى ذلك بعضهم بالبعد والهجر ، فلها تأثير غريب في تفجير منابع القلب والحب ، وتوليد المعاني الغريبة وإشعال المواهب الدفينة ، وقد كان أكثر هؤلاء الشعراء يعيشون في بلاد بعيدة عن الجزيرة العربية ، والمدينة النبوية وفي عهد يسود فيه الاضطراب ، والفوضى ، والقلق ، وكانت قوافل الحجاج تتعرض في غالب الأحيان للنهب والغارة ، فاستعاضوا عن الرحلة الطويلة المملوءة بالأخطار بالشعر والتعبير فيه عن حنينهم ، وأشواقهم ، ولم يزل الشعر بريد القلب والشرق وهو الحمام الزاجل الذي لا يزاحمه شيء ، ولا يعوقه شيء .

وعلى بعضهم بالتصوف الذي عاش وازدهر في إيران والهند ، وهو مها انتقده المنتقدون - بحق وبغير حق - معروف بإثارة

عاطفة الحب ، وتغذيتها وتنميتها ، ويصح أن يقال : إن أساسه الحب والعاطفة ، ومن لم يرزق حظا منها لم يفلح فيه إلا نادرا ، فقد كان هذا التصوف الذي رافق الشعر الإيراني والأدب الإيراني في أكثر مراحل حياته ، وساهم في تكوينها ، ثم في توسيعها وتقويتها . مصدر هذا الشعر الغزلي الرقيق ، والأدب الوجداني العميق ، فإذا امتلأت الكأس طففت وإذا طففت فاضت ، ولا بد أن يعقب الرى السكر ، ولا بد أن يعقب السكر التغمي ، وقد عبر الشاعر العربي القديم عن هذه الحقيقة في بلاغة وجمال ، وأنشد بلسان الحال فقال :

سقوني وقالوا لا تغن ولوسقوا
جبال سليمي ماسقيت لغنت
وعلى كل فقد زخر الشعر الفارسي سواء
ما قيل منه في إيران ، أو في الهند - التي
تتلمذت عليه واقتبست منه ، حتى كانت
مدرسة مستقلة بجوار المدرسة الإيرانية
الأصيلة - ببدايع المديح النبوي ، وغوره .
وكان الصديق الفاضل موفقا في اختيار
هذا الموضوع وفي هذا الصنف من الشعر ،
وقد ضم المجلس أصنافا من الأدباء أكثرهم
يتذوق الشعر الفارسي ، ولا يحتاج إلى
ترجمة ، وضم طائفة من أدباء العرب

ومثلوا أصحابه تمثيلاً رزينا وقورا يتجلى فيه جمال الذوق ، وحسن الأدب ، ومعرفة البيئة التي عاش فيها هؤلاء الشعراء .

وكان أول من تقدم في هذا النادى هو الشيخ سعدى صاحب الكتابين الخالدين اللذين يحتلان الصدارة في مكتبة الأدب العالمى ، وهما « كلستان وبوستان » حديقتان زاهرتان إلى هذا الوقت ، وكان الشعر الذى تعلق به القلب ووقع عليه الاختيار شعرا سهلا سائعا كان مثالا للسهل الممتنع ، وكأنه بحر صب فى كأس ، أو مكتبة حشيت فى سطر واحد ، يقول : « إن اليتيم الذى نشأ أميا وعاش أميا ،

ولم يقرأ القرآن فى كتاب ، استطاع أن ينسخ مكبات شعوب كثيرة ، فتفقد قيمتها وحيويتها ، وينشئ مكتبة جديدة كانت مصدر العلم والعرفان ، ومنهل كل رائد وظمان » .

وقد لخص فى هذا الشعر تلك الثورة التى تفوق كل ثورة فى القديم والجديد فى عالم الأديان والأخلاق ، والعلوم والآداب والحضارات والمدنيات ، والقيم والمفاهيم وكيف تحققت هذه المعجزة على يد أمى . لم يجلس فى كتاب يوما واحدا ، ولم يخط سوادا فى بياض ، وكيف انبثق هذا العهد الجديد الذى لا ناسخ له ، وهذا الانفجار

الذين لا يفهمون اللغة الفارسية ، ولكنهم يتلذذون بموسيقى الشعر الفارسى ، وجمال النغمة ، وحسن الإنشاد .

وكلفنى المضيف بترجمة بعض الآيات ، وكنت أعرف أن مهمة الترجمة ، وترجمة الشعر بصفة خاصة ، وترجمة الشعر الفارسى أو الأردى بصفة أخص ، من أصعب الأعمال الأدبية وأدقها ، فلكل لغة أجواء تعيش فيها ، وتعبر عن نفسها ، ولا يمكن نقل الأجواء وما يكتنف هذه اللغة من جو ، ومحيط ، وإقليم ، وطبيعة ، ونفسية أبنائها ، وتاريخ أدبها .

والشعر أرق وأدق من الزجاج الذى يسرع إليه الكسر ، ويبطئ عنه الجبر ، وما كان سر رفته وتأثيره فى لفظه وتعبيره ، وفى أسلوبه وأمثاله ، ومناهج كلام أهله ، كانت ترجمته أصعب أو شبه المستحيل ، فتكفلت بنقل ما يأتى فى هذه الآيات من المعانى الجديدة والأفكار اللطيفة وأن يسمح لى بتخير بعض الآيات التى تنسجم مع الذوق العربى وما يسهل تناوله واستساغته فأذن لى فى ذلك مشكوراً .

وكان صديقى قد لقن طائفة من الأدباء والشباب المثقف اختار من شعر شعراء إيران والهند ، وقد أحسنوا حفظه وإنشاده ،

في العرب الذين كانوا في الاحتضار وأطفأت في وقت واحد شعلة أبي هب .
الوهاجة التي كادت تأتي على الأخضر واليابس إنه وصل في خطوتين من هذا العالم إلى ذلك العالم . وفي جولة من العالم المادى إلى العالم الروحي .

وجاء مولانا « عبد الرحمن » الجامى الذى يعتبر من أكبر شعراء المديح النبوى في التاريخ الإسلامى ، وقد تغنى بشعره أهل القلوب والعلماء والأدباء في جميع البلاد التى تفهم اللغة الفارسية ، فأنشد أبياتا من قصيدة له سارت بها الركبان ورقت في اللفظ والتعبير ، فكان مما احتملته الترجمة قوله :

« يا من نسه عربى ، ولقبه أمى ،
لقد دان بولائك ، وخضع لسيادتك
العرب والعجم سواء ، إن فصاحتك
استأثرت العرب ، وإن ملاحتك ملكت
قلوب العجم . ما ضرك أن لا تقرأ
ولا تكتب ، ففضل جهودك ، وبعثتك ،
تعلم الأميون ، ونبغ الجاهلون ، بك
ايضت صحيفة الأعمال ، وأشرق نورك في
الظلمات ، فلا ضير أن لا نخط سوادا على
بياض ، أو تضم سوادا إلى سواد » .

وقد اهتز لهذا الشعر الرقيق البليغ السامعون ، وترنحت أعطافهم ، فاستزادوا

على الهائل الذى خضعت له العصور والتاريخ ، من أمية مطبقة لا تشوبها دراسة ولا صناعة . إنها لغزة لا يحلها إلا الإيمان بالقدرة الإلهية ، وإنها غريبة لولا التواتر ، ولولا البداهة ، ولولا المشاهد ، ولولا التاريخ المقطوع بصحته ، لما جاز تصديقها والإيمان بها .

وجاء الشيخ « فريد الدين العطار » صاحب منطق الطير وصاحب الدواوين السائرة ، والكتب المقبولة ، فأنشد أبياتا تكاد تسيل رقة وعذوبة تجلت فيها الإنابة والتواضع والخشية والاعتراف بالتقصير ، وطلب فيها أن يسعد بشفاعة الرسول ، وأن لا يفتضح أمام العالمين ، والذى هز قلبى ، هو قوله : « إن له حقا لكونه سمي باسمه الشريف . والكرام يراعون الأولاد الذين يسمون باسمهم ويعرفون الحق » .

وجاء بعده شاعر الهند الأمير « خسرو » الذى سلم له شعراء إيران بالزعامة والإمامة ، وشهدوا له بالإجادة والإبداع في الشعر الفارسي ، كأبرز أبنائها ، وشعرائها وقد استرعى انتباه المستمعين ، وملك إعجابهم واستحسانهم بحسن إنشاده ، ورخامة صوته ، وحلاوة جرسه ، فكان مما قال :

« إن أنفاسه وأخلاقه قد نفخت الحياة

وصلت إليك ، فكان من شكرى واعترافى
 بهذه النعمة ، وكان من هيامى وغرامى ،
 أن كنت بأجفانى ومقلتى غبار طريقك ،
 وسجدت لله شكرا فى المسجد ، وجعلت
 روحى فراشة تنهافت على سراجك المنير ،
 هطلت سحابة عيني التى كان عهدى بعيدا
 بالنام ، نصحت بمائها عتبة بيتك
 ومدفك ، لقد سعت إلى منبرك فمسحت
 بوجهى قوائمه ، ووقفت فى محرابك
 وسجدت لله ، وغسلت موضع قدمك بدم
 العين لا بدمعها ، لقد وقفت أمام كل
 سارية ، وسألت الله أن يرزقنى مقام
 الصادقين الذين صلوا إلى هذه السوارى
 فى صدق وإخلاص .

وقد كان فى المجلس بعض العلماء ،
 فرفعوا رؤوسهم عند بعض الأبيات ،
 ونظروا إلى الشاعر شزرا ، وإلى المترجم
 إشفاقا وحذرا ، وكأنهم خافوا من تورط
 الشاعر فى بعض مالا يجوز ، فقلنا : إن
 الشاعر من الراسخين فى العلم ومن أصحاب
 العقيدة الصحيحة ، ولكنها لغة الحب
 والشعر لا لغة الفقه والكلام ، وأنها
 مجازات واستعارات لا حقائق وقضايا .

وجاء بعده الشاعر الإيرانى العظيم الذى
 هو من أئمة الغزل والقصيد ، ومن أصحاب
 المذهب الجديد ، فى الشعر الفارسى ، وهو

الشيخ وأنشدوا الشعر العربى القديم ، فإن
 الشيخ من كبار فضلاء العربية ، ومن أئمة
 النحو والبلاغة .

وحدثنا ياسعد عنهم فردتنا
 شجونا فردنا من حديثك ياسعد
 وطلبوا منه أن يذكر فضل البعثة
 المحمدية وما لها على العالم الإنسانى ، فأنشأ
 قائلا :

« لقد كانت الكعبة قبل بعثته بأصنام
 من الحجارة ، وكان الحرم على سعته ضيقا
 على من طلب الله وسعى إليه ، إنه هو
 الذى اجتث هذه الأصنام وقطع دابرها
 واستأصل شافتها ، وألقاها فى مهاوى
 العدم . لقد رجع بفضل مقام إبراهيم إلى
 مكانته الأولى ، وحقق غايته من بناء البيت
 الحرام » .

وقد استحسن ذلك الحاضرون . وقد
 عرفوا أنه سافر على جناح الشوق إلى المدينة
 ووقف على قدم الحب فى المسجد النبوى ،
 وأملأه حبه وشوقه ، الشعر الرائق ، الذى
 طار فى الآفاق ، وسار مسير المثل ،
 فاقترحوا عليه إنشاد قطعة من هذه القصيدة
 الشوقية فكأنه صادف رغبة فيه ، وأثار
 قيثارته ، فانطلقت منها نغمات ، فكان مما
 قال :

« لقد كان من سعادتى الكبرى أن

قوله : عزوت نفسي مرة إلى كلب من
كلاب حيك .

وخجلت وأطرقت رأسى حياءاً ،
وقلت هذه إساءة أدب وقلة ذوق .

وقد شعرت وأنا أنقل معناه ، أنه تورط
في مبالغة وغلو ، فالإنسان الذي أكرمه الله
بالإنسانية ، ثم أنعم عليه بالإيمان ، هو
أشرف على كل حال من الكلب ، ولكنى
قلت إن حبه وتواضعه قد ورطاه في هذا
التعبير ، وللمحب عذر وللشاعر عذران .

وقام من بين شعراء الهند الكبار
« غالب » ليلحق بهذا الركب الميمون
ويساهم في هذه الندوة الجديدة الإيمانية ،
وأنشده مما طاب وراق من أشعاره السهلة
وكان شعره من غير مبالغة في المدح
واسترسال في الخيال وإغراق في الصناعات
اللفظية .

« إن بنانه لم يمسك القلم لكنه سطر
ما عجزت عنه أقلام التاريخ ، وما وضع
قدمه على الصحراء إلا وتحولت إلى جنة
خضراء .

حلو كلامه يجعل الكافر مسلماً والزنديق
مؤمناً ، أضاء الدنيا بنور الدين وأنقذ
المؤمنين من عذاب يوم الدين .

حرر العباد من عبادة الأوثان وعمر
العالم بيت واحد ، بيت الإيمان ، أذاب

الملقب بـ « عرقي » وكنت أعرف أنه
شاعر البلاط ، ومداح الملوك ، وأستاذ
الشعراء في عهده وأن عهده قريب بمدح
ممدوحه وسيده ، ولكنه تأدب لمقام
الرسالة ، واعتذر عن مواقفه القريبة ،
وقال : إنه - لا يمكن أن يتغنى رجل بمدح
الملوك والسلاطين ، ومدح الرسول الأمين ،
وسيد الأولين والآخرين في وقت واحد ،
ومن إساءة الأدب وقلة الذوق ، أن يجمع
الإنسان بين المدحين وأن يكون له نفسان
متقاربان ، نفس في مدح سلاطين
العجم ، ونفس في مدح سيد العرب
والعجم .

وأعذره الحاضرون ولم يلحوا عليه
بإنشاد مديح نبوى ، وأخروا ذلك إلى
مناسبة أخرى .

وجاء شاعر المديح النبوى المعروف
بـ « القدسى » وهو الذى لا تزال
الأوساط العربية ، والصوفية ، تردد
صداه ، وتنشد أبياته ، وتجدد بها الإيمان
والحنان وشعره يمتاز بجمال النغمة ، وحلاوة
الوزن ، واندراج الكلمات العربية في اللغة
الفارسية لذلك هام به المغنون ، وقلده
الشعراء والعلماء ، وكان من أكثر الأشعار
التي تغنى بها الناس ، وكان البيت الوحيد
الذى استطعت أن أنقله بجماله وكماله ، هو

قلوب الأعداء ونفوس القساة الغلاة ،
ولا غرو ، فحصة عتبه تذيب الحديد ،
وتلين الشديد .
عاكف في اخراب وقلبه معلق بخلق
الله .

وجاء من بعد هؤلاء الإيرانيين الأقحاح
هندي من المعاصرين ضارع شعراء إيران في
رشاقة اللغة وحلاوة اللفظ ، وجمال
الأسلوب ، وهو الأستاذ مسعود على
اخوى^(١) : فأنشد قائلاً :

« رفعت الفطرة اللثام عن وجهها
وتجلت بأجمل مظاهرها وفعلت فعل الربيع
فكست الأرض لباساً أحمر من الزهور
والورود ، ذلك كله لأجل محمد ﷺ إن
نظره يعمل عمل الكيمياء فيحول الخزف
الأسود الذي لا قيمة له تبرا خالصاً ،
وذهباً وهاجاً ، إنه سيد استطاع من غير
جيش وكتائب ، أن يجعل من التائهين في
البادية ملوكاً يحكمون العالم ، وأساتذة
يعلمون الأمم » .

وجاء دور شعراء «أردو» وكان
عدددهم كثيراً ، فكان التغني بمدح الرسول
والتحنن إلى بلده ، ومسجده ، موضوع
شعراء الهند المفضل ، وحديثهم الأثير
الحبيب وقد ردد صداهم الشعب الهندي
المسلم في حماس وطرب ، وتسلى به في

أحزانه ، واستمد القوة الروحية والاعتزاز
بحب الرسول النبي العربي ﷺ في مقاومة
تيارات القومية الهندية المتطرفة ، أو الوطنية
الملحدة ، حتى اتهمه الغلاة من دعاة
القومية والوطنية بتفضيل الوطن الروحي
على الوطن الجسدي ، ووكر الروح على وكر
البدن .

هنالك اقترح الحاضرون على شاعر
المديح النبوي « محسن كاكوروى^(١) » الذى
وقف حياته كلها على المدائح النبوية ، وقيل
عنه إنه لم يخط يمينه غير المدح النبوي ،
ولم يكن يحب أن يمدح غيره بالقلم الذى
مدح به النبي ﷺ .

وتقدم الشاعر يصف ليلة الإسراء التى
سعدت بأنوارها ونفحاتها البشرية ، وسعد
بها حظ الأرض ، والدرجة التى فاز بها
جبريل الأمين ، وهو يتمثل أمام النبي
ليسير به في هذه الرحلة الخالدة عبر
السموات السبع إلى ما يشاء الله .

« أيقظ النبي الكريم في أدب
وتواضع ، بل أيقظ - في تعبير أصح
وأفصح - حظه وجدده وطالعه فإذا هو
ﷺ يرى في هذه الليالى من العجب
العجاب ما يأخذ بالألباب ، إن تتابع
الأيام والأعوام ، وتقلب الليل والنهار ، لم
يلد ليلة مباركة كهذه الليلة ، إن هذا

الإكرام الذى نالته الأرض فى هذه الليلة لا تناله الآن إلى الأبد ولو أصبحت تبرا وتحولت درا وجوها ، وإكسيرا ، تابعت فيها الرحات كالندى واتصلت الأرض بالسماء .

ثم تقدم زعيم الشعر الإسلامى الحديث الشيخ «الطاف حسين» الملقب فى شعره «بحالى» صاحب المنظومة أو الملحمة الإسلامية التى كان لها التأثير الكبير فى هز مشاعر المسلمين بعد ثورة ١٨٥٧ م وإيقاظ النخوة الإسلامية فيهم ، وهى التى خطبت بإقبال وقبول لم يحظ بهما شعر آخر ، وامتاز شعره الذى أنشده فى هذه المناسبة بحسن تصويره للواقع التاريخى وبعده عن المبالغة ، وأساليب شعراء العجم ، وكان مما جاء فيه :

«لقد خص من بين النبيين بلقب «رحمة للعالمين» هو الذى كان من دأبه إسعاف حاجات الفقراء ، وتحقيق رغباتهم المكنونة ، وكشف كربات الأعداء والبعداء ومشاركة البعيد والقريب فى أحزانهم ، ونوائبهم ، يتألم بألمهم ، ويفرح بفرحهم ، ملجأ الفقراء ، ومأوى الضعفاء وولى الأيتام ، ومرئى العبيد والأرقاء ، يصفح عن الأخطاء ويحسن إلى من أساء ، ويصلح ما أفسده الناس ، يوحد القبائل

المتناحرة ، ويؤلف بين القلوب المتنافرة . نزل فى غار حراء وفى يده إكسير من السماء وحول التراب تبرا ، والحصى درا وجوها ، أقبل إلى الأمة العربية التى كان يخيم عليها الجهل من قرون ، فأحدث فيها ثورة جذرية ، انقلبت بها أوضاعها وتغير بها مجرى التاريخ ، فقد ظل هذا المعدن الكريم مطمورا مغمورا فى التراب ، وتحت ركام الجاهلية لا يعلم أحد قيمته وغناه . وقد أصبح ما طبعه الله عليه من أوصاف وفضائل ، ضائعا عاطلا ، فما وقع نظره على ذلك ، وما هبت عليه نفحة من نفحات بعثته حتى تلاً : نورا وصفاء ، وأصبح ذهاباً خالصاً ، إن الحجر الذى رفضه كل بناء ، وزهد فيه كل معمار ، تناوله بيده الكريمة وجعله حجر الزاوية .

لقد هاجت سحابة من بطحاء مكة ملأت سمع الزمان وبصره ، وشرق وغرب رعداها وبرقها ، فبينما رعدت على نهر «تاجه» فى إسبانيا ، أمطرت على نهر «الكنج» فى شبه القارة الهندية . لقد أحيا غيها مزرعة الإنسانية القاحلة ، وعم برها البر والبحر فما ترى فى العالم من رواء وبهاء ، ونور وسناء ، إلا والفضل فيه يرجع إلى البعثة المحمدية .

وتبعه الشاعر الكبير «ظفر على خان»

أشعة شمس واحدة ، إنها حلقة مفرغة
لا يعلم طرفاها »

وانجهد الأبصار نحو الشاعر « إقبال
أحمد سهيل » . الذي عرف بمدائحه
المشهوره ، وقصائده السائرة ، واقترح عليه
الحاضرون ، أن ينشد قصيدته المشهورة -
(موج كوثر) فقدم بعض أشعاره ومختاراته
التي جاء فيها :

« غرة ناصية البشرية ، ونور جبين
الإنسانية ، النبي الذي بدد ظلمات الكفر
ونثر درر الإيمان ، ورفرف راية التوحيد ،
حارس حديقة البشرية ، وروضة الإنسانية
ألغى عادة الرق ، وحطم سلاسل العبودية
والذل ، أعاد إلى الروضة رواءها وأفاض
عليها خيرها وبركتها ، كانت أسرة البشرية
متفرقة ، فجمعها على مائدة واحدة ،
وكانت لآلى الحق والإيمان منتشرة ضائعة ،
فربطها في سلك واحد .

قضى على أوهام الجاهلية ، وخرافات
الوثنية ، وأتاح للإنسان أن يتصل بالخالق
الأحد الصمد ، صب على من عاداه وآذاه
رشحات حبه وعفوه ، وشمله برعاية عطفه
وحنانه ، جمع بين سلطان الفقر والغنى ،
والجسد والروح ، والدين والدنيا « ﷺ »
وتقدم بعده صاحب الملحمة الإسلامية
المشهوره « حفيظ الجالندهرى » فأنشد أبياتا

الذى أحدثت مدائحه النبوية دويا في
الأوساط الإسلامية والأدبية ، ولاحظ
ضيق الوقت وتأدب مع الأساتذة الكبار
فاقتصصر على أبيات من قصيدته السائرة التي
يفتح بها كثير من الثانويات الإسلامية .
حفلاتها ودراستها ، وقد امتازت هذه
الأبيات بجمال البحر والوزن ، وحسن
النغمة واللحن ، وكان مما جاء في هذه
الأبيات :

« إن السراج المنير الذى ظل سنين
طوالاً يتلألأ في الخلوات ، وفي بيئة ضيقة
محدودة ، لقد سبق علم الله أن تستنير به
مجالس الملوك والعلماء وتقنيس نوره وتمشى
في ضوئه قوافل العلم والحضارة ، إنه سر
الوجود ، ولولا دينه ورسالته ولولا نبوته ،
وبعته ، لما أخذت الأرض زخرفها ، ولما
أكملت السماوات زينتها » .

« إن اللغة التى عجز عن فكها التوابع
والأذكياء ، وأحقق في شرحها الفلاسفة
والحكماء ، أفشى سرها ، ورفع اللثام عن
وجهها ، أمى كان يرتدى نمرة ، في لفظ
وجيز ، وفي إشارات لطيفة . ليس الإيمان
بضاعة رخيصة ، ولا سلعة معروضة في
دكان الفلسفة ، إنه عقل نفيس ، يبحث
عنه الباحثون العقلاء فيجدونه في أجزاء
القرآن ، إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً

من ملحمة المشهورة ، وقد جاء فيها بعض الحقائق التاريخية في لفظ رشيق ، وأسلوب أدبي ساحر ، منها قوله :

« إنه رد إلى الإنسانية كرامها واعتبارها ، وإلى أفراد النوع الإنساني حقهم في الحياة ، ونكس الباطل ، وقلب عروش الملوك الجبابة ، رفع رأس كل إنسان صابر ، وشرف قدر الأجير ، وأهان المتري المستأثر ، لقد كان الفقر فخره ، ولكن كانت سطوة كسرى وقيصر تحت قدمه . إنه كسر سلاسل الظلم والباطل النارية التي يصعب كسرها ، وجبر القلوب المنكسرة المهافتة التي يصعب جبرها ، فصلوات الله عليك يامن كان كسره معجزة وجبره معجزة » .

وما أن وقف الشاعر ، حتى رنت العيون إلى « ماهر القادري » وطلب الحاضرون من الشاعر أن ينشد في هذه المناسبة الكريمة قصيدته التي صور فيها النعمة العظيمة التي فازت بها الإنسانية . عن طريق هذا « النبي العظيم » والذي لا يمثل إلا الواقع ، ولا يعبر إلا عن المشاهد الحية التي مرت على مسرح العالم فتقدم وأنشد ما طاب له من أبيات رائعة عن مبعث النبي ﷺ .

« هبت نفحات الرحمة ، وتحققت

أحلام البشرية ، وسقيت الأرض المجدبة القاحلة بوابل من جوده وكرمه وأخلاقه ، فأضاء رعاة الإبل شموع الحضارة ، وجعل الأشواك أزهارا ، وذرات الصحراء كواكب ونجوما » .

« أقام الصلة بالرب ، وفك طلاسم الباطل ، وغير مجرى التاريخ وأنزل السفينة على بر الأمان والسلامة والإيمان ، رغم أمواج هائلة ، ورياح عاتية ، منح الإنسانية سيفا وصحفا . ودنيا وآخرة ، وجعل الموت شهادة ، وعلم آداب الحياة » .

« نصر المظلومين وأغاث المهفوفين ، كان بلسم للجروح وشفاء للصدور . أضفى على المرأة رداء الحياة ، ورقة الزجاج ، وأضاء جوهر السيرة والأخلاق ، فلم يقف سيل التوحيد ولم تنتكس راية الإسلام رغم غيظ الكفار والمشركين . ومقت الشياطين ، فما أن تردد اسمه الحلو الحبيب على اللسان ، حتى تجاوبت الشفاه والعيون معا ، هذه بالدموع الفائضة وتلك بالسمعة العريضة ، وذلك شأن الحب الهائم إذا تذكر حبيبه الذي بلغ المنتهى في الحسن والإحسان » .

وجاءت نوبة (محمد إقبال) فارتفعت رؤوس الناس واشترأت أعناقهم ، وغمرت

المجلس موجة من الاهتزاز والتطلع فقام
 المضيف الكريم وقد شعر بأن المجلس قد
 طال . فقال : حسبكم أيها السادة
 ما سمعتموه وتذوقتموه ، وإن لشاعرنا الكبير
 مجلسا خاصا ، وحديثا خاصا ، لا يشاركه
 فيه أحد ، ووافق الجميع وقاموا ، وألستهم
 تلهج بالشكر ووجوههم تفيض بالبشر .
 أبو الحسن الندوى

« الوصايا النبوية »

قال النبي ﷺ : « أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني
 بالإخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد
 في الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطى من حرمني ، وأصل
 من قطعني ، وأن يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبدا » .
 صدق الله العظيم

إلى أين يتجه الإسلام والمسلمون ؟

المرحلة الرابعة عهد الاستقلال

العلماء/أبوالأعلى المودودي

٣

التي تصبو إليهما أنفسهم . وأنهم إذا أرادوا اللحاق بالركب الحضارى فلن يكون ذلك البتة بدون أن يعتنقوا الأفكار والمبادئ الغربية ويتبعوها بنصها ويقلدوها بحذافيرها .

ووجهات النظر هذه ليست عفوية قائمة على المجازفة والاعتباط بل هي وجهات مدروسة نشأ القوم عليها وترعرعوا فيها . وهم الذين اختبروا ليجتولوا مكانة الصدارة في جميع المجالات الحيوية ، ومازالوا هم مصدر التوجيه والإرشاد في كل شعبة من شعب الحياة وفي كل قطر من الأقطار الإسلامية بصورة عامة .

وهل هناك من شئ أغرب من أن تضطرم معركة التحرير باسم الإسلام ويضرب المسلمون ، باسم الإسلام الرقم القياسى في تسجيل البطولات ، ثم إذا تحقق لهم ما أرادوا يعود الإسلام أول

وقد انتهت المرحلة الثالثة إلى ما ألقنا إليه من الأوضاع وما نحن دخلنا اليوم المرحلة الرابعة من تاريخنا . وهي المرحلة التي قد نالت فيها جميع البلاد الإسلامية الاستقلال في فترات متباعدات .

المأساة الحديثة :

والذى تعيشه المرحلة الرابعة من أوضاع هى : أنه يتولى في كل بلد وفي كل قطر أزمة الحكم وشئون الحياة الاقتصادية رجال يخلون من الوعي الإسلامى والتفهم الصحيح للدين . بل ينظرون إلى تقاليد المسلمين المتوارثة بنظرة الازدراء والاستحقار ، ويعتقدون أنهم إذا اتبعوا الحياة الإسلامية ، وتمسكوا بأهداب القيم والمبادئ الإسلامية تصيبهم الذلة والمهانة في الدنيا ، ويسقطون من عيون الدنيا ولا تقوم لهم فيها قائمة ، ويحرمون من التقدم والنهضة

على أن الصيام في شهر رمضان بسبب انخفاضه في الإنتاج كأن الأمر الذي يليه الشيوعيون في روسيا في روع المسلمين فيها أصبح السيد بورقية أيضا يردده وينسج على منوالهم ويأمر الذين يشتغلون في حقول الإنتاج أن لا يصوموا شهر رمضان كيلا تنقص نسبة الإنتاج . ومن الظاهر أن الذين كبرت بهم السن لا يطيقون الصيام . فهم معذورون بحكم الشريعة . وأما الشباب فما داموا يعملون لزيادة الإنتاج في مصانع (بورقية) فلا صوم عليهم في شريعة بورقية . إذن على الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة السلام .

هذا النوع من الرجال يشكلون طبقة مستقلة بذاتها بيدها صلاحيات النقض والإبرام ومقاليده الحكم . وهناك طبقة أخرى توصف بالطبقة الدينية . وهذه الطبقة حقا أنها تضطلع بأحكام الدين ، وتعلم ما أمر الله به وما نهى عنه ، وتدرك ماهي الحضارة الإسلامية . إلا أن هذه الطبقة لم تتمكن من الحصول على الثقافة العصرية التي تجعلها موضع ثقة المسلمين فيما إذا كانوا قد انتزعوا أزمّة الحكم والتوجيه من أيدي الطبقة الأولى الحاكمة وحولوها إلى الطبقة الأخيرة لتبرهن على جدارتها في تسيير دفة الدولة والقيام بالدور القيادي على

ضحية من ضحايا قيديهم : يتكبرون له ويلفظونه لفظ النواة . . الإسلام الذي باسمه وبركته وبقوته تحقق اندحار القوى وانتصار الضعيف هل هناك من موقف أغرب من هذا ؟

وها أمامكم الجزائر أحدث مثال لذلك . وسبق أن قلت أن الجزائريين لم يظفروا بحسنة الاستقلال إلا بعد أن ضحوا في سبيله بأرواح الآلاف المؤلفة من البشر وبعد أن تقدموا بالقرابين المدهشة من براءة الصغير وطراوة الشاب وكهولة الشيخ : ونعومة المرأة تشهد بذلك وديان الجزائر وجبالها ومدنها ودساكرها . ومن يخطب الحسنة يعطى مهرها . ثم إذا رفرفت على البلاد أعلام الاستقلال فإن أول ما بشره المسلمون فيها : ان الجزائر ستكون « الجمهورية الاشتراكية » . ونفس المسرحية أقيمت في تركيا وفي باكستان وفي تونس وفي مصر ودلوفى على بلد إسلامى لم تلعب فيه هذه المهزلة دورها المشؤوم . وأضرب لكم مثالا ثانيا من تونس : تعالت فيها صرخات تحرير الوطن باسم الإسلام . وسارع المسلمون لبذل أرواحهم وأموالهم إلى ساحة الجهاد في سبيل الله . ولما نالت تونس الاستقلال في آخر الأمر على جماجم الشهداء وأشلانهم يأتي زعيمها يطلع الدنيا

أفضل منهج وأكمل وجه . وحقاً أن الطبقة الثانية أقرب الطبقات إلى أحاسيس المسلمين وأكثرها التحاماً مع مشاعرهم الدينية وأن المسلمين يضعون فيها ثقتهم فيما إذا ولوها الحكم لا تخرب دينهم ، ولا تحطم تقاليدهم ولا تسلط عليهم أنظمة الكفر والفسوق ولكنهم لا يتوقعون منها أن تستعمل دهاءها وقدرتها في تسيير شئون الدولة العصرية على وجهها الصحيح - أو تثبت كفاءتها في قيادة الشعب في العواصف العاتية من الحضارة الغربية ، أو تستطيع تنظيم شئون القضاء والاقتصاد والداخلية والخارجية وما إلى ذلك بموجب مقتضى العصر إن هذه الأمور لا يرى المسلمون - ورأيهم قائم على الحجة والمنطق - أن تنتظم بصورة مرضية على أيدي الطبقة الثانية .

العقدة الرئيسية :

إن عامة المسلمين يقفون حيارى مشدوهين أمام هاتين الطبقتين . وصحيح قد يسودهم الجهل ، وربما فسدت عاداتهم وتفككت أخلاقهم . ولكننا ، كما أئنا إليه سابقا ، إن القوة الهائلة التي كانت تملكها الحركة الإسلامية الأولى لم يستطع أحد محو آثارها الخالدة من كيان الأمة الإسلامية ، ولأجل ذلك فإن أى فرد من عامة المسلمين

مهما بلغ من الفساد فته إذا سأله عما إذا كان الخمر حلالاً أم حراماً لا يقول أبداً بأنه حلال . وكذلك إذا استوضحت رأيه عن الزنى أو عن القمار : هل هما حلال في الإسلام أم حرام فلن يقول بجلهما . سله عن جميع المنكرات والسيئات تجده يستقبحها . لماذا ؟ . . لأن القيم الإسلامية التي يؤمن بها ما تبدلت لديه إلى هذه الدرجة ، ولا يزال ينظر إليها نظرة الإجلال والتقديس ، ويشعر بسموها وجلالتها على رغم ما طرأ على عاداته وسلوكه من التفسخ والفساد ، لأن هذه القيم غدى بها من لبان أمه ، وتجري في نفسه مجرى الدم . وكذلك إذا سألت أحداً من المسلمين عما إذا كان من مظاهر الحضارة الإسلامية أن ترقص فتاة شبه عارية على المسرح ؟ يأبى ذلك بدون ما تأمل ، بل لن يخطر بباله كون هذا النشاط يمت إلى الإسلام بصلة . وحقاً أنه يجهل الإسلام ، وحقاً أنه لا يفهم القرآن ، وحقاً أنه لا يلم بما في كتب السنة ولكن كيف للتصورات التي توارثها كابرا عن كابر عن الحضارة الإسلامية أن تندثر من مخيلته وتروج من سلبقته ؟ بل هو على رغم قلة معرفته بالإسلام يستعرض كل ما يتعرض له من الأوضاع والقضايا في ضوء تقاليد وقيمه الإسلامية ولا يقرر رأياً إلا في حدود

اليقين والقناعة فلا تجد أحدا من الناس أجن منه في مواجهة الموت ، ولا تنتظر منه أبدا أن يريق دمه ، أو يقدم على ذات الشوكة ، أو يسلك طريقا محفوفا بالمكاره . هذا ما عليه المسلم العادى . ولكن الويل كل الويل فى الطبقة التى تملك أزمة التوجيه والحكم فى معظم الأقطار الإسلامية . هذه الطبقة لاتزال تحاول دفع قطار الحياة القومية إلى جهة تعاكس جهة الإسلام ، وتختلف آمال الأمة وأحلامها وعواطفها وأحاسيسها . وهى حينئذ تنادى باللا دينية علنا وعلى رؤوس الأشهاد كما شوهده فى تركيا الكمالية ، وحينئذ آخر تستغل الإسلام لتحقيق مطامعها وتنسّر وراءه ولكن بعد تشويه حقيقته ومسح ديباجته : كأن تحتضن الحضارة الغربية بما تحويه من شرور وآلام ثم تغلفها بغلاف الإسلام . هذا ما نشاهده اليوم فى كل بلد يضح بالشعارات المستوردة والمبادئ الهدامة التى تبعد عن الإسلام بعد السماء عن الأرض . ولكن عامة المسلمين ليسوا على هذه الدرجة من الحمق والبلاهة حتى يسلموا بهذا الزيف . وهذه الكارثة لا تخص باكستان بل تعم أرجاء العالم الإسلامى . إذ فى كل ناحية من نواحيه تتكرر هذه الطبقة وتشابه قلوبها وتتجانس معالمها وتتوحد نوازعها . هذه

إطارهما . وكل مسلم من عامة المسلمين يكون فى ذهنه تصور إجمالى عن الإسلام ونظامه ومقتضياته ولك أن تجول فى أكناف العالم الإسلامى ، فلن تجد الجمهور من المسلمين إلا على نفس ما أشرت إليه من عواطف وأحاسيس . لا يختلف فى ذلك المسلمون فى باكستان عن المسلمين فى تركيا ، ولا مسلمو إيران عن مسلمى مصر ، ولا مسلمو الجزائر عن مسلمى شقيقاتها ، حيثما رأيتهم لا يؤمنون إلا بنفس القيم الإسلامية ولا يجّلون إلا إياها ولا يحنون إلا إليها . وليس فى مقدور أحد أن يقنعهم بأن « القيم الإسلامية » هى تلك التى جاءتنا من الغرب ووجدنا عليها سادتنا الغربيين . .

والأمر الثانى أن المسلم العادى وإن كان لا يعلم عن الإسلام إلا علما مبسطا إلا أنه يحبه حب الوهان . وأنتك لشاهد بعينك فى التاريخ الحاضر كيف استحثه قاداته باسم الإسلام خلال الحروب التحريرية ، ثم كيف كتب صفحات ذهبية من بذل النفس والنفس . ولا يمكن استثارته إلا باسم الإسلام ، ولا يمكن أن يرحب بالموت ويقارعه إلا بعد أن يتأكد من أنه ينال بذلك الشهادة فى سبيل الله ، ويكرمه الله تعالى بجنته . وإذا أعوزه هذا المستوى من

الشعب الإسلامى عن الإسلام ،
ولا تستطيع أن تسوغ له الكفر مهما أقامت
الدنيا وأقعدتها .

الصراع الحديث :

أما الحالة الراهنة التى نحن عليها اليوم
فخلاصتها أن الحكومات تأبى أن تتبع النهج
الذى تريده الأمة الإسلامية ، والأمة
ترفض أن تتبع الوجهة التى تتجه إليها
الحكومات . فهناك صراع مستمر عنيف بين
الشعوب والحكومات فى جميع البلدان
الإسلامية . وهذه الحالة تمثل : « الإسلام
المعاصر » تبذل الجهود الجبارة ويستنفد آخر
ما فى الجعبة من السهم فى جعل المسلمين
غير مسلمين وتجند لذلك جميع الوسائل
والإمكانات . ويستخدم لذلك مجال
التعليم والتربية بصفة خاصة ؟ فتوضع
مناهج من شأنها أن تقضى على جميع ما
يوجد فى المسلمين من القيم الإسلامية ،
وتفسد اخلاقهم وأذواقهم ، وتبعدهم عما
توارثوه من التقاليد كما تشجع فيهم ثقافة
تدمر كل شئ من البقايا الخلقية ، وتروج
فيها العلوم الغربية لتثير فيهم الشبهات حول
الإسلام . ولا ينتهى هذا الأمر إلا أن يطرأ
الضعف والوهن والخور والانحلال على
سلوك المسلمين ويصبحوا قوما فاقدى

الطبقة انهزمت أمام الغرب ، وترجع على
كرسى الحكم فى بلادنا ، وتملك مقاليد
حياتنا الاقتصادية وترغم الأمة الإسلامية
قسرا على اتباع النظام الغربى للحياة . بينما
الأمة تأبى هذا التحويل وترفض هذا
الطريق المنحرف .

وفى الواقع أننا لا نستطيع أن نتصور :
كم استخدم من الوسائل الجهنمية لجعل
المسلمين غير مسلمين فى تركيا وروسيا . إذ
أن فى تركيا وحدها قد أريقَت فيها دماء
الآلاف من المسلمين لا ذنب لهم إلا أنهم
عارضوا استبدال القبعة بالطربوش كأن هذا
الأمر أيضا من الإصلاحات الجذرية التى
ما كانت لتتم إلا به ومن الطريف فى الأمر
أن قادة الإصلاح المزعومين لما لم يجدوا
الكمية الوفرة من القبعات الأوربية
استوردوا من أوروبا أكواما من القبعات
المعدمة لاستيفاء حاجة الشعب التركى إلى
القبعات وكان هذا الإصلاح من الأهمية
بمكان فى نظر القادة حتى لجأوا لتطبيقه إلى
وسائل الحديد والنار وإلى إعلان الحكم
العرفى فى البلاد . ولكن مع كل ذلك ظل
الأتراك على نفس ما كانوا عليه من حبهم
للإسلام ومن تحمسهم له . لم يطرأ عليه أى
شئ من التغير والتحويل . إذن من الواضح
جليا أن هذه الطبقة لا تستطيع أن تحول -

وبلغ الأمر ذروته في الفترة الأخيرة حين تسرب التصدع إلى الجيش أيضاً فأقصى منه حتى اليوم ستة آلاف ضابط . والذي يقال عن تركيا يقال عن البلدان الإسلامية الأخرى .

وتأكدوا ، أيها الأخوان . . أنه حينما يحدث التعارض بل التناحر بين ضمير الشعب وسياسة الحكومة ، ينشب الركود أظفاره ولا يدع الشعب يتخطى نحو الأمام ولا شبرا واحدا ولا تأخذ حوافر التقدم سبيلها إليه . ولا يمكن لأية حكومة أن توفر لنفسها القوة والمنعة إلا إذا حصل التناسق والتلاحم بين ضمير الشعب وسياسة الحكومة بحيث أن كل ما تضع الحكومة من سياسة تباركها أحاسيس الشعب ومشاعره وإذا وضعت هذه السياسة موضع التنفيذ يستमित الشعب في إنجاحها . هذا هو الطريق الوحيد لجعل الشعب شعبا ناهضا متطلعا أما إذا ظل الأمر عكس ذلك . وظل الشعب في واد ، والحكومة في واد ، فلا يتأق له أى تقدم للأبد ولنفترض أن الشعب على رغم محاربة الحكومة لرغباته ، لا يعلن الخروج عليها ولكن عدم مناصرة الشعب للحكومة ومساندته إياها يكفي لسوق البلاد إلى الدمار المحقق ، إذن أن عدم ارتباط الشعب لحكومته هو أمر خطير ووضع رهيب في حد ذاته .

الشخصية وهذا ليس من المستحيل . وإنما المستحيل أن ينسلخوا عن الإسلام عمدا ويكونوا لهم دولة لا دينية عن طوعية أنفسهم .

والذي تقاسيه البلدان الإسلامية من وخيم العواقب من هذا الصراع ، حسبك لمعرفة أبعاده أن تنظر في نسبة الأرقام التي حققها هذه البلدان في مجال النهضة . هل تنظر أى مجال من مجالات الحياة حصل فيها التقدم . وهاك تركيا التي تعيش كدولة مستقلة ذات كيان وسيادة من عام ١٩٢٤م ، إلى أى مدى أنعشت فيها الصناعة ؟ وكم جاوزت من الأشواط في باب التجارة ؟ بينا اليابان التي من لدات تركيا في الاستقلال قد بلغت من النهضة المادية شأوها البعيد . والسبب في ذلك ليس خافيا على أولى الأبواب . إن تركيا تنكبت الصراط السوى ، وتحولت إلى حلبة الصراع الداخلى : حاولت الحكومات المتعاقبة إظهار الشعب التركي في مظهر الشعب غير المسلم ، وأبى الشعب التركي أن يتحول شعبا غير مسلم ، بل يود أن يولى وجهه شطر الإسلام . مما أثار بين الحكومة والشعب صراعا مستمرا مستعرا فكيف لتركيا بعد ذلك أن تخطو نحو الأمام وتحرز التقدم المادى .

وأصرار هؤلاء القوم على هذا الاتجاه
المعاكس ليس مبعثه غير أنانيتهم وأثرهم
واتباعهم لسلطان الأهواء مع أنهم لا
يجعلون ما يريد شعبهم ، كما أن تجاربهم
الماضية خير شاهد على أن هذا الشعب لم
ينتفض ولم يسجل دوره البطولي في المعارك
التحريرية إلا باسم الإسلام . وأن انتفاضه
المنبثقة من الإسلام قد أوصلتهم إلى شاطئ
الحرية وإلى منصة الحكم . ولذلك فإن
هؤلاء الناس لا يجعلون أبدا صلة شعبهم
الوثيقة بالإسلام . وبما أنهم ربطوا مصيرهم
ومصير أولادهم بالغرب وحضارته وسرايه
وانغمسوا في الحضارة الغربية وطبعوا
عاداتهم وأذواقهم بطابعها ، ولا يريدون
اتباع طريق الإسلام . وتحول أنانيتهم دون
أى عمل إسلامى . والمنطق الذى -
يستندون إليه فى ذلك هو : « أنهم هم
الذين كتب لهم أن يحكموا شعوبهم البائسة
التعيسة على كل حال ، ولا يروقههم
الإسلام : دين هذه الشعوب . إذن على
الشعوب أن تتخلى عن دينها الإسلام » .
هذه هى القاعدة الكلية التى اتخذوها
أساسا لجميع نشاطاتهم واتجاهاتهم .

هذا هو « الإسلام اليوم » والآن أوجز
لكم القول عما ينبغى أن يكون عليه الإسلام
فى المستقبل .

مستقبل العالم الإسلامى :

إن مستقبل العالم الإسلامى يتوقف على
ما سيختاره العالم الإسلامى من السلوك نحو
الإسلام . أما إذا استمر العالم الإسلامى فيما
هو عليه اليوم من موقف مبنى على النفاق
والتمويه والازدواج ، وواصل سلوكه
المعادى للإسلام أخشى أن لا تتمكن
الشعوب الإسلامية من المحافظة على
استقلالها وصونه من الضياع ، بل
ستنكب - ولا سمح الله - بأغلال
الاستعباد ثانيا وتصبح إلى حالة أسوأ مما
عاشت فيما سبق من عهد الاستعباد ، نعم ،
إذا عاد إلى القادة الذين يملكون أزمة
الحكم فى العالم الإسلامى رشدهم قبل
فوات الأوان ، وعملوا لاستعادة الحياة
الديمقراطية الزهية فيه ، ورجع أمر انتخاب
أهل الحكم إلى الجماهير لانتخاب من تشاء
وتلقى مقاليد الحكم إلى من تحب بإرادتها
الحرية ، ووضعت أنظمة السياسة والاقتصاد
والتعليم منسجمة مع مبادئ الإسلام
وأهدافه وحضارته فإنى على يقين من أن
الشعوب الإسلامية سرعان ما تتحول إلى
قوة كبيرة فى العالم بل تملك ميزان القوة فى
الاجالات الألفية ، وتكون لها الكلمة
الحاسمة . إن وجود كتلة الشعوب الإسلامية

ﷺ دعوته في المجتمع العربي الجاهلي قام مستجيبا لدعوته ملبيا لندائه قائلا : « رضيت بك ، يا محمد ، رسولا وبالله ربا » . بل الأمر يقتصر على قوة الداعية وصموده وبسالته وإبائه ، الذي يقول للدهر : أيها الدهر إذا لم تبتغ السير معي طائعا فأنا أرغمك على السير معي أين الشيوعية من الإسلام . بينهما ما بين الأرض والسماء . إلا أني أقول لكم ، على سبيل المناقشة . أنظروا إلى الانتصارات التي حققها الشيوعية بينا الإسلام ، لا يريد انقلابا متطرفا يقلب الأمر من الأساس كما فعلت الشيوعية التي حاربت الفطرة البشرية ، فألغت الملكية الفردية نهائيا ، وجعلت الحكومة تسيطر على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم واستجمعت الثروة القومية بمرمها في يد واحدة . هذه الثورة إنما هي تطرف وهدم وتدمير يتحاشاه الإسلام ويقلب وجهها معكوسا . إن الإسلام دعوة تتجاوب مع فطرة الإنسان الذي يتوخى البناء والإصلاح . وكل دعوة إذا لم تجد العزائم الماضية والجهود المضنية والنيات الحسنة تبوء بالفشل . وقد نجحت دعوة الإسلام لما قام جماعة من الناس يعقدون العزائم على تغليبها فكان لهم ما أرادوا وأصبح الدهر ينساق وراءهم .

ليس بأمر يستهان به ، إن الكتلة التي تتسع أطرافها من اندونيسيا شرقا إلى المغرب الأقصى غربا وتملك من الوسائل والإمكانات مالا حصر له ، وتمتع بالقدر الهائل من الطاقات العددية .

إذا انتفضت هذه الكتلة تتبع مبادئ الإسلام وتتضامن على أسسه فهل لقوة في الدنيا غريبة كانت أم شرقية أن تصمد في وجهها ؟

مدى قابلية الإسلام لقيادة العصر الحاضر :

وأتناول الآن السؤال الثاني الذي أثرته في مفتتح الحديث وارد عليه بكلمات موجزة وهذا السؤال هو : هل بإمكان الإسلام أن يسود الدنيا في هذا العصر أم لا ؟ وهل من المحتمل أن ترجع إليه الأمم العالمية ؟ وإذا ترجح احتمال رجوعها إليه فكيف يكون ذلك ؟ وهل الإسلام قابل للتطبيق في العصر الحديث ؟ - هذه هي عدة نواحي من السؤال الذي يكثر عنه الحديث في هذه الأيام .

وأقول : لم يعلن الدهر من تلقاء نفسه في أى عصر من عصور التاريخ بأنه مستعد للاستمسك بالإسلام . وأكبر برهان على ذلك هو عصر النبي ﷺ نفسه فانه لما أعلن

وكذلك السؤال عن قابلية الإسلام للتطبيق اليوم فهو من لغو القول لأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، أثبت قابليته في الماضي ، ويحظى بنفس القابلية اليوم ، وسيظل كذلك إلى أبد الدهر ، وإنما الأمر يتوقف على وجود شعب في الدنيا ينهض للأخذ به كاملاً غير منقوص . وكما قلت في مطلع الحديث إن تاريخنا ابتداءً باستعداد الأمة العربية لأن تقيم بناء نظامها الاجتماعي والاقتصادى والسياسى والحضارى على دعائم الإسلام وأن تصهر حياة الناس الفردية وأوضاعهم الجماعية في قالب الإسلام . قالت هذه الأمة على نفسها أن تخرج إلى الدنيا رافعة للواء الإسلام مبلغة دعوته في أقاصى العالم ، ولا تحيا إلا لأجله ولا تموت إلا في سبيله .

ولما تهبأت في الدنيا أمة كهذه رأيتم كيف تفجرت بطاقتها وحيويتها وأصالتها على العالم انفجار القنبلة ، وكيف رسمت على وجه المعمورة آثارها التى لا تزال خالدة باقية حتى اليوم . نعم ، إذا خرجت اليوم أمة بهذه السمات تأخذ بالإسلام ، وتسير وفقه نظام حياتها ، وتجعل حياتها ومماتها لله رب العالمين فليس من المستبعد أن تجد

الدنيا نفسها مستعدة للاستمسك بالإسلام والاستغلال بظله الوارف والاستنارة بهديه الكريم . وليس من المعقول أن يرى الناس الإسلام متمثلاً نابضاً في الواقع البشرى ثم يتلثمون في قبوله . غير أنكم إذا ما اقتصرتم على نشر الإسلام بالمواظ والكتب والمحاضرات فهما انهمكتم في هذا « العمل الشريف » إلى قيام الساعة لا تكاد الدنيا تقتنع بقابلية الإسلام وصلاحه لقيادة الحياة الإنسانية العملية .

وفي الختام أريد أن أعرب لكم عما في نفسى من أمل . بما أن الله تعالى خلقنى في هذا الشعب أى الشعب الباكستانى المسلم لذلك أود أن يكون هذا الشعب هو الشعب المنتظر الذى يعيد إلى الإسلام مجده وبهائه . وإذا كانت لى سياسة فهذا الأمل منطلقها وإذا كان لى دين فهذا مطلبه . إن جميع مجهوداتى تركز على أن شعبى الذى خلقنى الله فيه وجعلنى أحد أفراده ، يشعر بمسئوليته نحو الإسلام ، ويرفع لواءه ، ويتمثل الإسلام فى واقعه الحى الملموس . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . .

أبو الأعلى المودودى

الهجرة النبوية في ضوء جديد

الدكتور / أحمد عسین

بين ما أراد به أن يحقق هذا العمل هو استخدام « فيل » فكان من أمره ما كان . وأبید الجيش الغازی تقریبا . وكان بطل اليوم هو عبد المطلب جد سيدنا محمد ، ونحن ما كنا لنشير لهذه الواقعة ، لجرد ورودها في كتب السيرة ، بل لقد ذكرها القرآن في سورة الفيل : « ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل • ألم يجعل كيدهم في تضليل • » إلى آخر السورة . فحدث الفيل حادث جسم هز قريشا ، بل هز جزيرة العرب كلها ، وكان إرهابا بما سيكون لمكة من خطر في حياة البشر المادية والروحية إلى أبد الآبدين فعندما يقول رسول الله ﷺ : ولدت عام الفيل ، وعندما تؤرخ قريش بعام الفيل ، فقد كان من المستطاع بطبيعة الحال أن يكون مولد النبي صلوات الله عليه وسلامه ، وهو بدأ للتاريخ الإسلامي . وإذا كان يوم وفاته ﷺ هو يوم حزين في تاريخ الإسلام طاش فيه عقل الكثيرين من الصحابة بما فيهم عمر بن الخطاب ، فهو على كل حال

هذا مقال أكتبه في مطلع السنة الهجرية الجديدة ولست أعرف متى ينشر ، ولكنه على أية حال ليس من مقالات المناسبات ، ولكنه بحث يشتمل على رؤيا جديدة ، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو أول من قدر البعد الحقيقي لحادث الهجرة وأنه بدأ انتصار الإسلام ، فجعله نقطة الابتداء في التاريخ الإسلامي وكان من بين ما عرض عليه من اقتراحات ، أن يكون يوم ميلاد النبي صلوات الله عليه هو بدأ التاريخ الإسلامي ، وقيل بل فليكن يوم مبعثه ، وقيل بل يوم وفاته ، وقد تصور البعض ، أن اليومين الأولين (الميلاد والبعثة) غير محققين بالضبط ، فلم يكن لرسول الله ﷺ من الشأن في صفوف قريش ، ما يجعلهم يحددون بدقة هذين اليومين ، وعندنا أن تحديد عام الميلاد سهل وميسور ، فقد روى عن رسول الله ﷺ قوله « ولدت عام الفيل » وهو صاحب الحادثة المشهورة ، عندما أراد أبرهة الحبشي أن يهدم الكعبة ، وكان من

مرة بياؤها المزل ، ومرة أخرى بياؤها المندر
ولأمر شاء الله ، فقد شاء أن تجهل تاريخ
هذا الحدث الذى يعتبر بدء للتاريخ
الإسلامى بلا جدال أو شبهة ، واكتفى
القرآن الكريم ، بتعظيم الليلة التى أنزل
فيها :

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر • وما أدراك
ماليلة القدر • ليلة القدر خير من ألف
شهر » وتحدث القرآن فى مناسبة أخرى عن
الشهر الذى نزل فيه القرآن : « شهر
رمضان الذى أنزل فيه القرآن » . وشاء
سيدنا محمد ﷺ ، بتوجيه من الله بطبيعة
الحال ، أن يبق ليلة القدر مجهلة إلى حد
ما ، فقال : « تمسوها فى العشر الأواخر
من رمضان » وهكذا شاء السميع العليم ،
أن يبق يوم مبعث رسول الله ﷺ حيث
نزل القرآن فى ليلته ، مجهلا .

يوم الهجرة :

فلم يبق يوم مشهورا ، بل ومحققا
بالساعة وبال دقيقة . سوى يوم الهجرة ، فذ
تسامع أهل يثرب بمقدم رسول الله ﷺ .
إليهم من مكة ، أصبح الأمر شغلهم
الشاغل . لا فرق فى ذلك بين كبير أو
صغير ، رجلا كان أو امرأة . مسلما كان أو
مناफقا ، أو حتى يهوديا ، لقد كان معنى

لا يصلح ليكون بداية للتاريخ الإسلامى
الذى كان قد بدأ بالفعل ، بل وانتصر
ودانت له الجزيرة العربية كلها (لأول مرة
ولآخر مرة فى تاريخها) بل إن وفاة سيدنا
محمد ﷺ ، كانت ذروة نجاح التعاليم
الإسلامية وتحرر العقل البشرى نهائيا من
الشرك بالله ، حيث خرج أبو بكر الصديق
وهو من هو فى محبة رسول الله والإيمان
به ، خرج ليعلم للناس وفاة رسول الله ،
فقال : « يا أيها الناس من كان يعبد محمدا
فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله .
فإن الله حى لا يموت » ولست أحسب أن
هناك لتعاليم الإسلام ، أعظم من ذلك
فالرسول لم يغادر الدنيا ويلحق بالرفيق
الأعلى إلا بعد أن أكمل رسالته ، فالقول
بأن التاريخ الإسلامى يبدأ بيوم وفاة رسول
الله هو قول يحافى الواقع .

فلم يبق سوى يوم البعثة ، ويوم الهجرة
فأما يوم البعثة ، فقد كان يوما خاصا
خالصا بين سيدنا محمد ﷺ ، وبين ربه ،
وقد علمه جبريل بطبيعة الحال ، إذ كان
هو الذى نزل بالقرآن ، ورجع سيدنا
محمد يرتجف فى حالة من الفرع لزواجه
السيدة خديجة . وهو يقول : زملونى
زملونى . أو دثرونى . دثرونى ، فى القرآن
الكريم إشارة إلى هذه الواقعة ، وهو ينادى

يوم الهجرة ، وحسبك أن تعلم أن مكة كانت دولة الشرك والظلم ، أما المدينة ، فقد كانت منذ اللحظة الأولى التي وصل فيها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هي المجتمع الإسلامي ، والدولة الإسلامية الكاملة ، تحت رئاسة سيدنا محمد وزعامته وقيادته ، وهذا ما سجلته كتب السيرة ، ولكن كتب السيرة الأولى ، ظلت تتحدث عن المعارك التي حدثت بعد ذلك بين رسول الله ﷺ ، وبين المشركين ، كما لو كان أمر الإسلام لا يزال في مد وجزر ، فإذا كان المسلمون قد انتصروا في بدر فقد هزموا في أحد ، ثم كانت غزوة الخندق الشهيرة ، حيث تجمعت كل العناصر المعادية للإسلام بزعامه قريش ، وتحريض من اليهود ، على استئصال شأفة المسلمين ، وهكذا . وتابع كل من كتب في السيرة المحمدية هذا التصور بغير تدبر أو تأمل .

وكان من توفيق الله لنا ، أن لم نشرع في كتابة هذا القسم من السيرة ، إلا بعد أن درسنا القرآن وتصدنا ، لتفسير سوره على صفحات منبر الإسلام ، فلم نر في القرآن الكريم هذه الصورة التي جاءت في كتب السيرة ، من أن حظ الإسلام في المعارك الحربية ، ظل يتأرجح بين النصر والهزيمة متأثرين في ذلك ، أو بالأحرى منساقين ،

وصول رسول الله إليهم ، نهاية عهد وبداية عهد جديد ، وقد ضاعف في قلقهم وتوترهم ، بل وخوفهم على رسول ﷺ ما ترامى إلى سمعهم ، من أن قريشا ، أجمعت على قتله وأنها خرجت في أثره لتنفيذ هذه الغاية ، ولم يحدث في تاريخ العرب أن عجزت جماعة قلت أو كثرت عن تعقب إنسان يسافر فوق بعير ، وهم يركبون الخيل ، فلا عجب أن يرقب أهل المدينة وصول سيدنا محمد بعد ساعة بعد ساعة ، بل عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ، هو يوم مشهود بكل المقاييس وليس أدل على خلوده ، من أن التاريخ قد حفظ لنا نشيد هذا اليوم الذي رتل الصغار قبل الكبار والنساء قبل الرجال وأعنى به نشيد :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
فلا جدال أو شبهة في أن أعظم أيام الإسلام الذي جرى تحت سمع الناس وبصرهم هو يوم هجرة الرسول ، فلا عجب أن جعل منه عمر بن الخطاب مبدأ التاريخ الإسلامي .

الرؤية الجديدة

ولا يوجد شئ جديد في كل ماسبق . فقد قيل ما هو أكثر منه وأروع لإظهار عظمة

وراء عبارة ردها أبو سفيان بن حرب ، في غزوة أحد ، حيث قال : « يوم يوم » أى أن ما جرى في أحد ، هو في مقابل ما جرى في بدر ، وأضاف أن ضرب موعدا من العام المقبل لجولة ثالثة . ولم يكن ذلك كله إلا محض مهاترة من أبى سفيان ، وأن ما حدث في غزوة أحد هو آية ما كان المسلمون قد وصلوا إليه من عزة ومنعة واستقرار تام وكامل : فقد انتصر المسلمون في غزوة أحد عند الصدمة الأولى ، وانهمز المشركون بالفعل وبدأ بعض المسلمين يتنازعون على الغنائم ، وهو ما قرره القرآن ، بأوضح وأجلى عبارة :

(ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون . . . الآية) وهذا كما قدمنا نص صريح : في أن المسلمين قد انتصروا في المعركة وانتهى الأمر (أراكم ما تحبون) وما يحبه المسلمون هو النصر بطبيعة الحال قال تعالى : (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب) .

فإذا كان بعض المسلمين بعد حدوث النصر بالفعل قد انشغلوا بجمع الغنائم تاركين بذلك مواقعهم ، فاستغل خالد بن الوليد هذه الفرصة لكي يباغت القوم

المشتغلين بجمع الغنائم ، فأحدث من الارتباك ما أحدث وقتل من قتل ، فلم يكن ذلك إلا أمرا عارضا ، لم يغير من حقيقة الوضع العسكرى ، من أن المشركين ، كانوا قد انهزموا وانتهى الأمر ، وأن قريشا كانت قد بلغت من الضعف والهوان ما يجعلها ، لم تعد نداً للمسلمين وأن غزوة أحد بالذات ، قد أكدت هذه الحقيقة ، ولم تجعلها محل شك ، وليس أدل على ذلك ، من أن أباسفيان لم يكذب يقول هذا القول حتى أصدر أوامره بالتراجع السريع ، الذى يشبه أن يكون فرارا إلى مكة ، إلى الحد الذى جعل رسول الله ﷺ يخرج إليهم في صبيحة اليوم التالى ، ويرفض أن يصحبه إلا من كان معه في اليوم السابق ، فلا يعثر لهم على أثر .

ولما جاء الموعد الذى ضربه أبو سفيان للتلاقى ، ذهب إليه رسول الله ﷺ بجيشه ، ولم تذهب قريش ، فقد كانت قد أصبحت على ثقة ، أن لا قبل لها بمواجهة المسلمين ، بل إن خالد بن الوليد نفسه ، لم يلبث وهو القائد العسكرى ، أن غادر مكة سرا ولحق بسيدنا محمد ﷺ في المدينة ، بحيث سراه على رأس قسم من جيش المسلمين ، الذى دخل إلى مكة فاتحا ، بل إن أباسفيان نفسه سوف يدعو آل مكة إلى

الأضعف الذى لا يزيدهم من الأيام إلا ضعفا ، حيث المسلمون هم الجانب الأقوى الذى يزداد قوة يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد أخرى ، وهو ما قدره مشركو قريش ، مذ استقر عزم رسول الله ﷺ على الهجرة ، فعدوا عزمهم على وجوب قتل رسول الله ﷺ للحيلولة بينه وبين مبارحة مكة بأى حال من الأحوال فأصبحت مجرد هجرة الرسول من مكة واستطاعته الوصول إلى المدينة ، هو هزيمة عسكرية من الدرجة الأولى تجعل كلمة سيدنا محمد والمسلمين هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

ما قبل الهجرة :

أنا نعلم أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام ، قد أمضى بين ظهرائى قريش في مكة ثلاث عشرة سنة على أرجح الآراء وقد شهدت قريش ، كيف فشلت كل وسائلها في إيقاف موجة الإسلام ونموها وتضاعدها على مر الأيام ، بحيث فشل كل ما اصطنعوه من وسائل . بدأت بإظهار عدم الاكتراث والسخرية ، وأرهبت واضطهدت ، وقاطعت ، وعذبت إلى درجة الموت ، ولكن ذلك كله لم يزد سيدنا محمداً ﷺ ، ومن تابعه ، إلا إيمانا وعزما

الترحيب بجيوش المسلمين . على أننا قبل فتح مكة نريد أن نقف بعض الشئ أمام صلح الحديبية ، لما كانت قريش لتبرمه مع سيدنا محمد إلا لأنها كانت قد وصلت إلى حضيض الضعف ، بحيث تعلق كل أملها ورجائها ، فى أن يرجع عنهم المسلمون عامهم هذا فلا يدخلون مكة برغم أنوفهم فى مقابل أن يتركوها لهم فى العام المقبل ، وقبل الرسول ﷺ هذا الحل فقد رأى الثمرة وقد أصبحت دانية القطوف ، فى سلام ووافق ، فعلام الخصام ، والحرب والقتال وسفك الدماء ، وقد وصف القرآن الكريم ما حدث بوصفه الصحيح فتزلت على رسول الله ﷺ وهو عائد إلى المدينة : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) فليس صحيحا ما يتصوره الكثيرون من أن قوة المسلمين العسكرية ظلت فى خفض ورفع ، ونصر وهزيمة ، حتى فتحت مكة ، وليس أدل على ذلك من أن هذا الجيش الظافر ، الذى لم تشهد له جزيرة العرب مثيلا من قبل ، قد انفرط عقده ، « تحت تأثير المباغنة » فى غزوة حنين : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا . . . الآية) . فالأمر كان قد قضى وثم لصالح المسلمين بمجرد وصول رسول الله إلى المدينة ، وأصبح مشركو قريش هم الجانب

وإصرارا بلغ إلى حد الهجرة الأولى إلى الحبشة ، وبعد أن كانت قريش تعزى نفسها ، بأن أكثر من تبعوا سيدنا محمداً على دعوته ، هم من المستضعفين والأدقاء ، فلم يلبثوا أن رأوا بعض أقطابهم يدخلون في الدين الجديد ، فبعد أن تصوروا أن الأمر قد اقتصر على الرعيل الأول من أمثال أبي بكر وعثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص ، إذا بهم يفاجأون بإسلام حمزة بن عبد المطلب ، ثم إسلام عمر بن الخطاب وغنى عن البيان ، أن من اعتنقوا الإسلام من قريش ، كانوا قد وصلوا إلى درجة من القوة والمنعة يعمل حسابها ، ولم يكن يمنعهم من التصدي لقريش ، إلا كون الرسول لم يأمرهم بالقتال بعد ، وإنما كان يدعوهم إلى الصبر والاحتمال ، وأن لا يردوا على القوا بالقوة :

(ادفع بالتي هي أحسن)

(لكم دينكم ولي دين)

(وأعرض عن الجاهلين)

هذا الموقف من المسلمين ، هو الذى استغله كفار قريش ، فظل الموقف يبدو كما لو كانت قريش الكافرة متفوقة تفوقا ساحقا ، على قريش المؤمنة بعد ثلاثة عشر عاما ، حيث لم يكن الأمر كذلك .

بشائر النصر والغلبة :

وأخيرا شاء الله أن ينهى هذه المرحلة وأن يحقق النصر للإسلام ، فإذا به يقذف بنور الإسلام ، إلى سكان يثرب الذين كانت كثرتهم الغالبة تتألف من الأوس والخزرج ، وهم من أشد من عرفت جزيرة العرب تمرسا في القتال ، وقد كان ممثلو هاتين القبيلتين ، هم من جاءوا في موسم الحج يبايعون سيدنا محمداً ويطلبون منه أن يرسل معهم من ينشر الدعوة ويفقههم في الإسلام ، فلم يحل الحول حتى تضاعف من جاءوا لمبايعة سيدنا محمد ﷺ أكثر من خمسة أضعاف فالإثنا عشر نقيباً في بيعة العقبة الأولى . قد أصبحوا بعون الله سبعينا (٧٠) في بيعة العقبة الثانية ، وعلم منهم سيدنا محمد ﷺ أن الإسلام قد تفشى في يثرب بحيث أصبح في كل دار وطلبوا من رسول الله أن يهاجر ليصبح القائد والزعيم ، وبايعوا رسول الله على أن يحاربوا معه دفاعا عن شخصه وعقيدته ، كما يحاربون دفاعا عن أنفسهم وأموالهم وأبنائهم ، وبلغ الأمر من جدية الموقف وقوته ، أن جاء العباس « عم النبی » وهو لا يزال على دين قومه ، ليستوثق لابن أخيه ، من حقيقة ما هو مقدم عليه : وتم الاتفاق نهائيا على أن

أثبتوا على مر السنين قوة شكيمتهم وعزمهم وصبرهم ، على الهجرة إلى المدينة . وطبعا بدأوا في الهجرة دون أن يعلنوا عن ذلك . فلما تنهت قريش إلى حقيقة ما يجري بدأت تعمل للحيلولة دون ذلك ، فراحت لا تسمح لأى مهاجر بالهجرة إلا بعد أن يتجرد من كل أمواله ، وفاجأهم المهاجرون بأنهم لا يترددون لحظة في التضحية بكل شىء ، وفرحت قريش بالاستيلاء على أموال المهاجرين ، فتركهم يهاجرون ، ولم تكتشف إلا أخيرا جدًّا غلظتها القتالة وهي تركها هذا الحشد من المجاهدين المقاتلين الأشداء . يتجمع في المدينة لخرهم بعد أن انضم إلى صفوفهم جموع الأنصار .

ولما لم يعد لدى قريش بعد هجرة سيدنا عمر بن الخطاب إلى يثرب شك ، أن لا بد لاحق بهم رسول الله ﷺ قرروا قتله ليتفادوا هزيمتهم التي بدأت تلوح على الأفق ، وقصة ما جرى بعد ذلك معروفة ومشهورة ، وكيف أصبح القبض على سيدنا محمد وصاحبه أبى بكر وقتلها مسألة حياة أو موت بالنسبة لقريش . ومرة أخرى لن نكرر المفهوم العام عن خطورة الهجرة في الإسلام ، ولكن الرأى الذى نسوقه ، أن الأمر كله كان معركة عسكرية ، بكل ما تعنيه المعركة العسكرية من أبعاد وبخاصة

يلحق بهم رسول الله ﷺ ، فلا يكاد يصل إليهم حتى يكونوا جيشا له ضد كل من يعترضه وعلى رأس الكل قريش الكافرة ، أو بالأحرى من ظل منهم على كفره .

أدركت قريش ما يعنيه ذلك كله : ولم يفت قريشا بطبيعة الحال معنى ذلك كله ، وأنه لو تحقق فسوف تدور عليهم الدائرة ، بلا جدال أو شبهة فقرروا أن يحولوا دون وقوعه بأى ثمن من الأثمان ، فزاهم يخرجون على تقاليدهم ، ومصالحهم التى نحم عليهم أن لا يغضبوا الأوس والخزرج ، فهم في طريق قوافلهم نحو الشام ، ضرت قريش بذلك عرض الحائط ، وأسرعت تعدو خلف حجاج يثرب الذين بايعوا سيدنا محمدا ﷺ ، فلم تظفر بهم ، ولكنها أدركت واحدا منهم يبدو أنه كان متخلفا عن بقية الركب فقبضت عليه وعادت به إلى مكة وهي تضربه وتهينه وأوشكت أن تفتك به لولا أن أجاره أحد زعماء قريش ، فخلوا سبيله طبقا للتقليد الذى كان متبعاً .

وهاجر المسلمون :

وبدأ المسلمون الأقوياء الأشداء ممن

تغير موازين القوى بين الجانبين المتصارعين ، وقد نظر لها القرآن الكريم هذه النظرة فلم يصف نتائجها بالنجاح أو الفلاح أو الفوز ، وإنما استعمل كلمة « النصر » وهو ما لم يستعمله القرآن الكريم إلا بصدد معارك القتال من مثل قوله تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) .

وكان التعبير بكلمة « النصر » هو ما اختاره الله عز وجل ليحدثنا عن موقعة الهجرة ، وقرأوا إن شئتم : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين إذ هما في الغار . . الآية) .

أحمد حسين

« الحسد »

الحسد : تمنى زوال نعمة المحسود ، وحصول الحاسد على مثلها ، من أحسن ما قيل فيه من الشعر قول الشاعر :

إن يحسدوني فإني غير لائهم
غیری من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لی ولهم ما ی وما بهم
ومات أكثرنا غیظا بما یجد

وقال شاعر آخر :

اصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتله
النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

مأساة المسلمين في اليونان وأحوالهم في يوغوسلافيا وتركيا

تقرير أعده

الدواء / أحمد عصمت محمود

عام :

معونة الأزهر ، سواء من منح دراسية أو من مبعوثين أو أى معونات أخرى في حدود إمكانيات الأزهر لأداء رسالتها ولتدعيم الروابط بين الأزهر وبين خريجيه وبين الهيئات الإسلامية في كل من اليونان ويوغوسلافيا وتركيا .

وقد تشكل هذا الوفد من السادة :

- ١ - السيد / أحمد عصمت محمود إبراهيم وكيل أول الوزارة - المشرف العام على مدينة ناصر للبعوث الإسلامية
- ٢ - فضيلة الشيخ عبد السلام عبد الخالق الشبراوى

الأمين العام المساعد

لمجمع البحوث الإسلامية

- ٣ - السيد / محمد ثروت محمد حلمى عبد اللطيف

مدير إدارة المنح الدراسية

بمدينة ناصر للبعوث الإسلامية

وكانت أول خطوة في إجراءات تنفيذ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين . وبعد .

فبناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر التى تتوخى دائما العمل من أجل نشر الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم ودعمها وانطلاقا من رسالة الأزهر الشريف الذى يعتبر بحق كعبة العلم والمعرفة ، فقد صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر رقم ٣١٥ بتاريخ ١٨ من رجب سنة ١٣٩٨ هـ الموافق ٢٤ من يونيو سنة ١٩٧٨ م بإيفاد وفد من القائمين على رعاية شئون الطلبة الوافدين لدراسة النشاط الدينى لخريجى الأزهر والمشاكل والعقبات التى تصادفهم والتعرف على الهيئات والمنشآت الإسلامية ومدى احتياجها إلى

هذه المهمة أن أُخْطِرَتْ وزارة الخارجية بصورة من قرار المشيخة رقم (٣١٥) وبصورة من الجدول الزمنى لتحركات الوفد قبل السفر بمدة شهر تقريبا .

كما حصل الوفد على المعلومات المطلوبة عن كل بلد من طلاب هذه الدول المقيمين بمدينة البعوث الإسلامية .

أولا : زيارة اليونان فى المدة من

١٩٧٨/٩/١٣ - ٧٨/٩/٧

فُنا من مطار القاهرة الساعة ١٢,٣٠ ظهرا وقبل مغادرتنا فوجئت بإذاعة الاستعلامات تطلبنى وإذا بأحد المسؤولين سفارة اليونان ويدعى دكتور ميشيل يقبل على وأخبرنى أنه حضر لتوديعنا متمنيا لنا التوفيق فى الرحلة وأفادنا بأننا سنسر من أحوال المسلمين فى اليونان فهم يتمتعون بكافة الحقوق الممنوحة لسائر المواطنين هناك فشكرناه لتكبيده مشاق الحضور لتوديعنا وعند وصولنا إلى مطار أثينا لم نجد فى استقبالنا أحداً من المسؤولين المصريين ليقوم بمهمة تسهيل الإجراءات وكل ما حصل أن القائم بأعمال سفارة مصر فى اليونان الأستاذ أحمد عبد الوهاب حمدى علم بوصولنا عن طريق أحد خريجي الأزهر فحضر إلينا فى مساء يوم الوصول بالفندق ومكث معنا حوالى ساعة استأذن بعدها لارتباطه بمواعيد

أخرى ومنذ ذلك الحين لم نر أى مسئول مصرى باليونان ، ولقد اشتكى خريجو الأزهر من سلبية المسؤولين بالسفارة المصرية وعدم تجاوبهم مع خريجي الأزهر والمسلمين هناك .

هذا وقد وافق يوم ٩/٨ يوم الجمعة ومنذ الصباح حاولنا العثور على مسجد واحد فى أثينا عاصمة اليونان ذات الحضارة العريقة - لنؤدى صلاة الجمعة ولكن للأسف لم نجد فيها سوى مسجد واحد قديم أنشئ فى القرن الثامن عشر الميلادى فى عهد محمد الفاتح لا يستخدم لأداء الصلاة وإنما حول إلى متحف أثرى يضم مكاتب الموظفين ومرافق أخرى للمتحف ولم نستطع أن نؤدى صلاة الجمعة وأسفنا لذلك أسفا شديدا .

زرنا المسلمين فى محافظتى أكسنتى وكومنتينو وبعض القرى المجاورة وتعتبر هذه المناطق مراكز تجمع المسلمين فى اليونان ، كما اجتمعنا بالسادة مفتى المحافظات ورؤساء الأوقاف الإسلامية كما زرنا بعض المدارس الأهلية والمعهد الدينى بكومنتينو وعقدنا اجتماعات بخريجي الأزهر بهذه المناطق واستمعنا إلى كثير من الأهالى المسلمين فى أنحاء متفرقة ، وقد كشفت لنا هذه الزيارة وهذه اللقاءات عن الحقائق المؤسفة التالية :

مدرسين من قبلها دون النظر إلى الكفاءة ويمثل مدرس الحكومة مراكز قوى بهذه المدارس فلهم دون سواهم الأمر والنهي والذي أكد لنا هذه الحقيقة أننا ذهبنا لزيارة إحدى المدارس الأهلية الابتدائية بقرية قريبة من مدينة كومتيني اسمها « كيكيدون » وأردنا أن نأخذ صورة تذكارية مع الأطفال والمدرسين وبعد ماتأهبنا للتصوير أوقف مدرس الحكومة المصور ومنعه من التصوير وكأننا كنا على وشك أن نصور ثكنة عسكرية .

وعندما زرنا المعهد الديني الإسلامي « المدرسة الخيرية » بكومتيني والمفروض أن مستواه التعليمي - يعادل التعليم الثانوي - وباطلاعنا على الكتب الدراسية وجدناها لاتزيد عن مستوى التعليم الابتدائي كما أنه تابع لتفتيش المدارس الابتدائية وعدد مدرسيه عشرة . منهم خمسة فقط من المسلمين والباقي من غيرهم والطالب المسلم بعد تخرجه من هذا المعهد ليس له حق في الالتحاق بأي كلية جامعية بل له أن يلتحق بالأكاديمية الخاصة لمسلمي تراقيا الغربية في اليونان التي أنشأتها الحكومة اليونانية في مدينة سالونيكى والتدريس بهذه الأكاديمية ضعيف جداً ويستمر لمدة ثلاث سنوات وباللغة اليونانية ولايدرس بها الدين

تعيش في شمال شرق اليونان في منطقة تسمى بتراقيا الغربية منذ أكثر من نصف قرن اقلية إسلامية تعدادها أكثر من مائة الف نسمة بمقتضى معاهدة لوزان التي أبرمت عام ١٩٢٣م مقابل الأقلية اليونانية المسيحية في مدينة استانبول بتركيا . وللأقليتين حقوق متساوية مع أفراد الدولة الى تعيش فيها إلا أننا وجدنا المسلمين في اليونان يعانون من التفرقة في المعاملة . فالحكومة اليونانية لاتسمح للمواطن المسلم بامتلاك الأرض أوالعقار ، ولاتسمح للمالكين القدامى ببيع ممتلكاتهم إلا لغير المسلمين . كما لاتسمح لهم بالتوظيف في وظائف الحكومة ، كما لاتسمح الحكومة اليونانية أيضا بإقامة أى مساجد جديدة وكل المساجد الموجودة قديمة ترجع إلى العهد العثماني بل إنها لاتسمح بإصلاح هذه المساجد القديمة وبعضها قد آل للسقوط . وفي حالة طلب الأهالي إجراء إصلاحات أوترميمات بالمسجد على حسابهم الخاص ، فإن طلبهم يحال إلى الأسقفية في أثينا وقيل لنا إن هناك طلبات مضى عليها حوالى خمس سنوات ولم تأت موافقة الأسقفية بعد .

تتدخل الحكومة في تعيين المدرسين في المدارس التي يقيمها الأهالي المسلمون وتعين

كنتيجة لهذه الزيارة والتي أسفنا لها كل الأسف وقد علمنا من المسلمين باليونان أن مطالبهم تنحصر في الآتي :

١ - مساواتهم في الحقوق الإنسانية مع قرنائهم المواطنين من غير المسلمين خصوصا وأنهم يؤدون ماعليهم من واجبات سواء من ناحية الضرائب أو أداء الخدمة العسكرية .

٢ - وقف تأميم أوقاف المسلمين التي دأبت الحكومة اليونانية على تأميمها بغرض إكراه المسلمين على الهجرة .

٣ - ضم الأوقاف المصرية في كافالا «قولة» إليهم لتدعيم مواردهم الضعيفة .

ومما أثار دهشتي عندما عدت إلى القاهرة أنني علمت من منزلي أن شخصا من سفارة اليونان قد طلبني قبل عودتي بيومين مرتين ، كما طلبتني السفارة كذلك في مكتبي ، وقد اتصل بي بعد ذلك الدكتور ميشيل بالمنزل وأخبرني أنه يريد مقابلتي بالمكتب ، وفعلا قابلته في اليوم التالي لاستئناف عملي بالمكتب ، فوجدته متلهفا لسماع رأيي في أحوال المسلمين هناك ولما صارحته بالحقيقة كما سبق أن بينت ، أبدى لي تأثيره العميق ووعدني بالاتصال بوزارة الخارجية اليونانية ليصحح كل هذه الأوضاع ثم أشار إلى في سياق كلامه بأنه يستطيع - عن طريق كبار المسؤولين - أن

الإسلامي ولا يوجد بها مدرس مسلم واحد وقد طالب المسلمون بتعيين أحد المدرسين لتدريس الدين الإسلامي ولم يستجاب لطلبهم ، كنتيجة حتمية فإن خريجي الأكاديمية مستواهم ضعيف جدًا وخاصة من الناحية الدينية وتعييم الحكومة لمدارس المسلمين الابتدائية والمعاهد الدينية ، ولقد اتضح لنا أن خريجي الأزهر الشريف من غير المرغوب فيهم ندر أن يعين منهم أحد في التدريس .

تقوم الحكومة بتأميم أوقاف المسلمين بحجة المنفعة العامة ، وسبق أن قامت بهدم مسجد ومقبرة إسلامية بأكسنتي ، وعلمنا أن أوقاف المسلمين في أكسنتي يديرها موظف معين من قبل الحكومة وهو غير حائز على ثقة المسلمين في هذه المحافظة ويتصرف تصرفات تضر بالأوقاف بها بإيعاز من الحكومة وكان المفروض أن يعين بالانتخاب بعد إنهاء الحكم العسكري كما هو الحال في محافظة كومنيتي . هذا وقد اضطر المسلمون إلى رفع الأمر إلى القضاء في محاولة لوقف هذه التصرفات التي تضر بموارد الأقلية المسلمة الفقيرة ، وعلمنا أنه توجد حاليا قضية رفعها مسلمو أكسنتي في هذا الشأن .

هذه بعض الحقائق التي تكشف لنا

يوقف كل أثر لما سرفعه من تقارير ولكنى لم أعر هذا الكلام اهتماما . وبعدها حضر إلى الملحق الثقافى والصحفى بالمكتب لنفس الغرض .

وفى يلى نص رسالة بعث بها سفير تركيا بالقاهرة إلى عضو بالوفد ، وقد آثرنا نشرها بنصها لعلاقتها بهذا الموضوع :

القاهرة فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٨
السيد/الشيخ عبد السلام عبد الخالق الشبراوى

الأمين العام المساعد للأبحاث الإسلامية
إدارة معاهد الأزهر

٣١٧ شارع بورسعيد - الدور الثامن
السيدة زينب - القاهرة
تحية طيبة وبعد :

أتشرف بأن أحيط سيادتكم علما بالآتى :

بما أن السيد مصطفى حلمى مفتى مدينة اسكتشى « اكسانتى » فى اليونان قد قام ببناء مبنى صغير فى المقابر بجوار جامع كونيكوى « كيمبروا » لاستخدامه فى أغراض الدفن ، وأيضا بسبب إهماله الحصول على إذن البناء مسبقا ، قد قامت محكمة اسكانتى الابتدائية بصدور حكم ضده بالسجن لمدة شهرين وبغرامة مالية قدرها ٥٥,٠٠٠ دراهمة .

إن إدانة المفتى وهو الزعيم الدينى لإحدى المدن الكبيرة فى غرب تراقيا بسبب تصرف ليس ذو أهمية وغير مقصود ومجرد نتيجة إهمال إدارى ، قد أثار اهتماما بالغاً وأسفا شديدا من جانب الجالية التركية الإسلامية فى غرب تراقيا وقد أثار أيضا أسفا ودهشة بالغة فى تركيا .

وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق الاحترام . .

ايكوت بيرك

مستشار سفارة تركيا بالقاهرة

ثانيا : زيارة يوغوسلافيا فى المدة من
٩/١٤ - ٩/١٩ ١٩٧٨

نستطيع أن نقرر من واقع زيارتنا لبلغراد وجمهورية البوسنة والهرسك وعاصمتها ساراييفو ولقائنا بكبار الشخصيات الإسلامية والمسؤولين عن الشؤون الدينية من المسلمين وغيرهم بالحكومة ، نذكر منهم فضيلة مفتى بلغراد وفضيلة رئيس هيئة كبار العلماء بساراييفو والسادة الأساتذة أعضاء هيئة التدريس بالمعهد الإسلامى الثانوى وكلية الدراسات الإسلامية بساراييفو والسيد وزير الشؤون الدينية بحكومة بلغراد - أننا وجدنا المسلمين بحالة أسعدتنا فهم يمارسون شعائهم الدينية

موافقتها ، وزرنا مكتبة خسرو وهي مكتبة كبيرة تضم مجموعة كبيرة من الكتب القيمة والمخطوطات التاريخية .

هذا وقد علمنا أن سفارتنا في يوغوسلافيا لم يكن لديها أى خبر عن البعثة .

ثالثا : زيارة تركيا في المدة من ٢٠/٩ -

١٩٧٨/٩/٢٥

قولنا بترحاب كبير من عدة هيئات رسمية وأهلية نذكر منها وزارة التربية والتعليم والجمعية الخيرية الإسلامية وحزب السلام الإسلامى والمسؤولين عن الشؤون الدينية ورؤساء هيئات الأوقاف كما استقبلنا الدكتور نجم الدين اربكان رئيس حزب السلام الإسلامى .

فنا بزيارة عديد من الهيئات الإسلامية والمعاهد والكلليات نذكر منها المعهد العالى الإسلامى - معاهد الأئمة الخطباء - المعهد الحسكى العالى - ومدارس تحفيظ القرآن الكريم للبنين والبنات - والتقىنا بخريجى الأزهر الشريف .

وزرنا المكتبة السلطانية وهي مكتبة ضخمة تضم ١٠٠.٠٠٠ مائة ألف من المخطوطات والمطبوعات . وقد أعجبتنا بنظافتها الفائقة وحسن التنظيم والتنسيق

في حرية تامة كما أنهم يقومون ببناء المساجد الجديدة - بالإضافة إلى أعمال الصيانة التى تتم في المساجد المقامة وفي كل منها مدرسة لتعليم الصغار والكبار القرآن الكريم باللغة العربية . وقد حضرنا احتفال افتتاح مسجد جديد في إحدى قرى البوسنة والمهرسك . وبلغ تعداد المسلمين في يوغوسلافيا أكثر من أربعة ملايين مسلم ويوجد بها حوالى ألفى مسجد .

ولقد علمنا أن الدولة تهتم بترميم وتجديد وصيانة المساجد القديمة ، ويصل المسلمون إلى أعلى المناصب في الدولة فمنهم من وصل إلى درجة وزير ومنهم قادة في الجيش وأعضاء بالبرلمان وعديد من المناصب الكبرى بالدولة .

وقد فنا بزيارة المعهد الإسلامى الثانوى وكلية الدراسات الإسلامية بساراييفو وأعجبنا حسن الإعداد والتنظيم والنظافة كذا المستوى العلمى بها .

واجتمعنا بهيئة التدريس التى طلبت تبادل الزيارات - مع أساتذة الأزهر للاستفادة من الخبرات في إعداد المناهج وأسلوب التعليم ، كما تقابلنا وخريجى الأزهر وتبين لنا حاجتهم إلى عدد من منح الدراسات العليا ووعدنا بعرض الأمر على لجنة شؤون الطلبة الوافدين للحصول على

البديع وطريقة عرض المخطوطات
والمطبوعات ذات الأهمية التاريخية وتطور
طرق التجليد في العصور المختلفة إلى أن
وصل إلى مرحلة أصبح آية من الفن
الجميل .

كما تضم أجهزة حديثة للتصوير
« الميكروفيلم » والتكبير والتجليد ومعامل

كيمياوية لإجراء أبحاث لمعالجة الورق الذي
أُتلفه السوس والافات الأخرى بالمواد
الكيمياوية وترقيعه بطريقة علمية وفنية
حديثة ، وذلك للمحافظة على قيمتها ،
وقد شاهدنا بها مصحفاً بالخط الكوفي
لسيدنا عثمان بن عفان .

ملخص

ملاحظات وتوصيات الوفد

على ضوء الزيارات الميدانية لكل من

اليونان - يوغوسلافيا - تركيا

أولاً : اليونان

ولقد كان لزيارة وفد الأزهر عميق
الأثر في نفوس المسلمين فقد كانت تغمرهم
السعادة لشعورهم باهتمام الأزهر بهم
وبأحوالهم من خلال هذه الزيارة ، وقد
أفصحوا لنا عن امتنانهم بهذه الزيارات
لأنها تعزز من وضعهم وتمنحهم القوة
الروحية والنفسية كما أنها تهيئ لهم الفرصة
لكي يعبروا عن مشاعرهم ومشاكلهم
ومطالبهم المتعلقة بالأمور الدينية بطريقة
مباشرة وعلى الطبيعة لإخوانهم المسلمين
وليطلعوهم على الحقيقة المؤلة التي يعيشونها

إن حالة المسلمين في اليونان تؤكد
ضرورة اهتمام الأزهر الشريف بالأقليات
المسلمة في جميع أنحاء العالم بصفة عامة ،
ومن هم في مثل حالة مسلمي اليونان بصفة
خاصة ، كما تحتاج إلى تصافر جهود الأزهر
مع باقي الجهات المعنية بالشئون الإسلامية
للعمل بكافة الطرق والوسائل حتى ينال
المسلمون هناك حقوقهم الإنسانية المشروعة
والتي أقرتها جميع الرسالات السماوية بل
والمنظمات الدولية .

خاصة وأنهم يؤمنون بأن الأزهر هو قلعة الإسلام ومنار العلم والثقافة الدينية وحامل الرسالة المحمدية المبنية على الحق والحرية والمساواة والسلام .

وقد وجدنا أنهم في حاجة إلى زيادة عدد المنح الدراسية بالأزهر كما طالبونا بإرسال عدد من مجلة الأزهر وأعداد الجمعة من الصحف المصرية اليومية لاحتوائها على مواضيع دينية ، وواعد الوفد باتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذه الطلبات ، ونفذ فعلا جزء منها وسنقوم بمشيئة الله بتنفيذ باقى الطلبات .

كما رجونا رفع الخامس بضم (أوقاف قولة المصرية) إليهم حتى تساهم في إصلاح حالتهم الاجتماعية وتعوضهم عما قامت الحكومة بتأميمه من أوقافهم ، ونحن نعرض الأمر ونضم صوتنا إلى صوتهم .

ثانيا : يوغوسلافيا :

أما بالنسبة لمسلمى يوغوسلافيا فحالتهم مطمئنة فهم يمارسون شعائرهم الدينية في حرية تامة وينون المساجد والمنشآت التعليمية دون أى قيود ولقد حضرنا حفل افتتاح مسجد جديد في جمهورية البوسنة والهرسك وتقوم وزارة الشؤون الدينية برعاية جميع الأديان دون أى تفرقة وللمسلمين

من الحقوق ماغيرهم وعليهم من الواجبات ما على الآخرين ، ولذلك وجدناهم في حالة معنوية ونفسية عالية مما أسعدنا وأثلج صدورنا .

وانحصرت طلباتهم في عدد من المنح الدراسية وتبادل الأساتذة في المعاهد والكليات مع معاهد وكليات الأزهر .

ثالثا : تركيا

لمسنا في كل ممن لاقيناه من هيئات دينية رسمية أو أهلية ومن جمهور الشعب ، كل حب ومودة تجاه الأزهر ومصر وشعبها ورئيسها كما وجدنا اهتماما كبيرا بالشئون الدينية على جميع المستويات وهم يتطلعون إلى زيادة الروابط بينهم وبين الأزهر الشريف وأبدى لنا الدكتور نجم الدين أربكان زعيم حزب السلام الإسلامى رغبته الشديدة فى الاجتماع بالمستولين بالأزهر للاسترشاد بما يتبع فى المعاهد والجامعات لتطوير المناهج الدينية وسبل التعليم بتركيا . ونحن نذكر له أنه كان له فضل الاعتراف بشهادات كليات ومعاهد الأزهر حينما كان حزبه فى الحكم .

وهناك مطالب وجدنا الجميع مجمعين عليها وتتلخص فى :

— إعادة النظر فى الأشخاص الذين توجه

من يمثلهم لحضور المؤتمر السنوى الذى سبق
أن تقدمنا باقتراح عقده صيف كل عام
بمدينة البعوث وطالبنا برصد اعتماد له
بميزانية المدينة لتغطية نفقاته ، علاوة على
مطالبتهم بمداومة إرسال وفود عن الأزهر
لزيارتهم من وقت لآخر لما يترتب على ذلك
من فوائد جلية ، وفقنا الله إلى ما فيه خير
الإسلام والمسلمين .
والله ولى التوفيق . .

اللواء/أحمد عصمت محمود

إليهم الدعوة لحضور المؤتمرات فى
المناسبات الدينية المختلفة بحيث توجه إلى
المسؤولين المهتمين بالشئون الدينية فعلا دون
النظر إلى أى اعتبارات أخرى - وسيقوم
الوفد بتقديم كشف بالأسماء التى يقترحها
لجميع الجهات المعنية .
- كما أبدى خريجو الأزهر رغبتهم
الملحة فى ضرورة استمرار الرابطة التى
تربطهم بالأزهر الشريف عن طريق إيفاد

من كلامه صلى الله عليه وسلم

من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين . نعم الرجل الفقيه فى الدين :
إن احتجج إليه نفع ، وإن استغنى عنه أغنى نفسه .
لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ولا تحاسدوا
ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا .

لا هو لحساب الإسلام ولا لحساب المسيحية .

الدكتور/عبد الفتاح عبد الله بركة

الإنسانية بما يعصم قومنا وبلادنا من شرورها
وويلاتها ، ويبصرهم بوسائلها وأساليبها ،
وأن يحظى هذا الموقف بتقدير أصحاب
الأديان الأخرى من مسيحيين وغيرهم ،
فيكفوننا أمرهم ، ويبادلوننا مسالة بمسالة
واحتراما باحترام .

ولكن يبدو أن بعض رجالات المسيحية
قد وجدوا لديهم من الفراغ والجهد
ما صعب عليهم أن يشغلوه وأن يوجهوه إلى
مثل هذه الغايات النبيلة ، فوجهوه إلى
الإسلام والمسلمين .

جماعة الإخاء الديني . . .

ومحاضرة باسم القس جورج شحاته
قنواتي :

فقد طلع علينا قسم الصحافة والنشر
بجماعة تسمى نفسها « جماعة الإخاء الديني »
بنشرة عن محاضرة عنوانها « الإيمان المشترك
بالله بين المسيحية والإسلام » بقلم الأب
الجيليل جورج شحاته قنواتي ألقيت بتاريخ

ليس من شأن المسلمين ، ولا هو من
غايتهم أن يثيروا مسائل خلافية تمس ولو من
بعيد بعض الأديان الأخرى ، وذلك
استرشادا بقوله تعالى (كذلك زينا لكل أمة
عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما
كانوا يعملون) الأنعام : آية ١٠٨ ،
وكذلك لأنه يكفيننا أن نتحدث عن محاسن
ديننا الحنيف ومزاياه ، ونترك للآخرين أن
يعقدوا بأنفسهم وبمحض تفكيرهم ما يرونه
مناسبا من طرق الفهم والتمييز .

بالإضافة إلى أن لدينا من المسؤوليات
الخاصة - في إرشاد المسلمين وتوجيههم
الوجهة التي تتفق مع دينهم وترضى ربهم
وتسعد حياتهم في نطاق الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر - ما يستغرق الجهد
المخلص ، ولا يدع منه فضلا لمثل هذه
الأغراض الأخرى .

وكنا نود أن يترك المسلمون لما تفرغوا له
من شؤونهم . ويكفيننا أن نجابه تلك
التيارات الإلحادية والمنحرفة عن الفطرة

١١ من سبتمبر سنة ١٩٧٧ بقاعة الشبان المسلمين بالقاهرة .

ولست أدري هل نسبة هذه المحاضرة إلى هذا القس صحيحة أم لا ، وهل هذه النشرة هي نص المحاضرة ، أم أنها اختصرت عنها ، وإذا كانت قد اختصرت ، فهل بقيت معانيها الأساسية بغير تحريف ، أم وقع فيها تحريف ؟ وقد نشأت عندي هذه التساؤلات لعلمي بمدى إكبار الرجل بين قومه ، ومعرفتهم بمدى علمه وسعة اطلاعه وحدة ذكائه ، فظننت أن ماوقع في هذه النشرة من تلبيس لا يصح أن يقع من أمثاله ، إلا إذا كان قد بدا له في ذلك شأن .

وسواء صحت نسبة هذا الكلام إليه أم لم تصح ، فإنه قد طبع ووزع بين المسلمين ، ولم يعد هناك مناص من أن نتعرض لمناقشته تبصيرا لإخوتنا وأهل ديننا من المسلمين ، بصرف النظر عن وجهوا هذا الكلام ، وإن كنا نرجو أن يجدوا في مناقشتنا مايقنعهم بالحق ، إن كانوا يجهلون ، أو مايقنعهم بالعدول عن هذه المحاولات العائبة ، إن كانوا يفعلون مايفعلون وهم يعلمون .

التلبيس ابتداء من عنوان المحاضرة :

أما عنوان المحاضرة فهو جميل خلاب ، يجتذب إليه الأفئدة والألباب ، وليس أحب إلى قلب المسلم من ترديد هذه الأنشودة الجميلة « الإيمان بالله » فاختيار هذا العنوان والاقتصار عليه . . يخدم هدف المخاض من ناحيتين : من ناحية كونه مدخلا جذابا محبوبا إلى قلوب المسلمين ، ومن ناحية كونه يغفل المفهوم الصحيح الكامل للإيمان بالله في الإسلام ، كما يغفل المفهوم الصحيح الكامل للإيمان بالله في المسيحية ، مما يهيء الأذهان لقبول كونه مبدأ مشتركا بين المسيحية والإسلام .

ومن المعلوم أن بتر اللفظ من سياقه ، أو اقتطاع المعنى دون بقيته يفسده ، ويجعله غير المراد أو المقصود ، وهذا المفهوم الذى ينطبع من هذا اللفظ ليس هو المفهوم الصحيح الكامل لعقيدة الإسلام في الله ، كما أنه ليس هو المفهوم الصحيح الكامل لعقيدة المسيحية في الإله . مما يجعل العنوان - بادئ ذي بدء - فاسدا لامعنى له ، ولا يمكن أن يبنى عليه مايريده المخاض من التقارب ! ؟

ولكن التركيز على مفهوم هذا العنوان دون بيان المفهوم الصحيح الكامل له في

نفسها ، بل لعله إلى ضرر المسيحية أقرب ،
لأن مقومات العقيدة الإسلامية أبسط ،
وهي لذلك أرسخ وأيسر قبولا ؟

ولكن الأمر ليس بهذه البساطة ،
والأفلوكانت عقيدة الإسلام في الله مشتركة
مع المسيحية ، فلماذا جاء الإسلام بعد
المسيحية ، وكيف أقبل الناس عليه دون
المسيحية مع أن مجاء به يتفق معها ؟ ؟
ثم دعونا نسألهم ، هل ذات الله التي
يؤمن بها المسلم هي ذات الإله التي يدين بها
المسيحي ؟ وإذا كانت العقيدة فيه مشتركة
فهل تسمحون لأي مسيحي منكم أن يقبل
الإيمان بالله كما هو محدد ومبين في العقيدة
الإسلامية ؟ أم أن إطلاق اسم الله من قبيل
المشترك اللفظي فحسب ! ؟

لو كان هذا الإيمان مشتركا - كما هو
لفظ العنوان ؟ فما هي أسباب الفارقة
والتباعد ولماذا أنكرتم رسالة نبينا محمد
ﷺ ؟ مع إنكم تقولون إنكم تؤمنون بما
يؤمن به ، وأن هذا الإيمان مشترك ! ؟
الواقع أن هذا الإيمان غير مشترك ،
وهذا هو الذي ميز الإسلام عن المسيحية ،
ومن أجل ذلك جاء الإسلام لتصحيح
مفهوم الإيمان عندكم ، وهذا هو الذي
جعلكم لاتؤمنون بالرسول محمد ﷺ .
ولقد نادى رسول الله ﷺ أجدادكم

الإسلام ، وتوجيه أنظار المسلمين إليه
وحده يترتب عليه توهين العقيدة
الإسلامية ، وإماعة مبادئها وتشتيها في
نفوس المسلمين ، فهل هذا هو الهدف
المقصود من وراء هذه النشرة ! ؟

الإيمان الإسلامي بالله ليس مماثلا للإيمان المسيحي :

إن إيهام المسلمين بأنه لافرق بين
العقيدتين : الإسلامية والمسيحية ، وأن
الفرق بينهما ضئيل لا يكاد يذكر ، ولا يؤثر
في اتجاه كل من الجانبين ، لا يضر المسلمين
وحدهم ، بل يضر المسيحية أيضا ، إذ لو
تحقق كل من المسلم والمسيحي أن أساس
العقيدة بين الإسلام والمسيحية مشترك ، فما
هو معنى أن يوجد دينان يفترقان ويختلفان ؟
أليس يكفي عندئذ لكل من المسلم
والمسيحي أن يؤمن بالله ، بصرف النظر عن
الإسلام كدين ، وبصرف النظر عن
المسيحية كدين ، ونعود بذلك - مسلمين
ومسيحيين - شعوبا لا دينية هي إلى الكفر
أقرب منها إلى الإيمان ! ؟

فالقصد إلى إماعة العقائد ، والتهوين
من حدودها ، ورفع معالمها الأساسية
لا يضر الإسلام وحده ، إن كان هذا
هدفكم ، بل يضر - فيما يضر - المسيحية

من قبل ، امتثالاً لأمر الله ، قائلاً : (يَـأْهَلُ
الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) آل عمران :
آية ٦٤ ، فهذا هو تمام الإيمان بالله في
الإسلام ، وما زال الدعاء إليه قائماً ،
ولكنكم توليتم عنه كما تولي أجدادكم من
قبل ، ولهذا نمتاز عنكم باسم الإسلام
ونشهد كل أهلٍ للشهادة أننا مسلمون .
بل لقد دعاهم ﷺ إلى المباحلة
استجابة لقوله تعالى (فَمَنْ حَاجَلْكَ فِيهِ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعِ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا
وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ) آل عمران آية ٦١ ، فنكصوا
ونكلوا ، ولم يباهلوا . ترى لو كانت
العقيدة في الله والإيمان به مشتركاً أكان
هناك مجال للخلاف والمباحلة ؟ وهل
كانوا ينكصون عندئذ ويعرضون ؟ وفيما
الخلاف الذي يصل إلى درجة الدعوة إلى
المباحلة ، إن لم يكن في أساس الدين وهو
الإيمان بالله ، وقد حددته الآية فيما سبق كما
ينبغي أن يكون التحديد .

الإيمان بالله مشترك بينكم وبين المشركين :

ولو كان مجرد الإيمان بالله - بغير
التحديد المذكور - كافياً للحكم بالاشتراك
في أساس العقيدة ، لكان كذلك كافياً
للحكم بالاشتراك في أساس العقيدة بينكم
وبين المشركين من عبدة الأوثان ، فإنهم
مثلكم يؤمنون بالله (ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله) لقمان : آية
٢٥ ، والزمر : آية ٣٨ .

ولكن إيمانهم ذلك لم ينفعهم ، ولم
يجعلهم مقبولين لا عند الله ولا عند
المسلمين ، ولقد كان هؤلاء المشركون
- الذين يؤمنون بالله كما يؤمنون - حرباً على
الإسلام وعلى رسوله ، واستمروا يناصبونه
العداء ويشيرون معه معارك لا نهياً ولا تفتراً ،
حتى نصره الله ، وما زال الإسلام يعاني من
حربهم وحرب أمثالهم - ممن يؤمنون بالله -
إلى اليوم ، وسوف ينصره الله - إن شاء -
كما نصر رسوله من قبل .

فهل كان يمكن لهذه الحرب أن تكون
بهذه الضراوة التي يرونها التاريخ لو كان
هناك أساس مشترك من العقائد يمكن أن
يقام عليه بناء المحبة والتقارب ؟ ؟

وهل تراكم بعد ذلك تعتقدون أن

بينكم وبين أمثال هؤلاء المشركين اشتراكا في الإيمان بالله ! ؟ اللهم إنا لانظن ! ومع هذا فأنتم وماترون . أما نحن فنبرأ إلى الله تعالى أن يكون بيننا وبينهم اشتراك في هذه العقائد التي جاء الإسلام لإنقاذ البشرية منها وإخراج الناس من ظلماتها إلى نور الإيمان الصحيح بالله الواحد القهار .

الإيمان بوجود الله وعلم التوحيد :

ويبدو أن « شركاء الإيمان » هؤلاء قد توهموا أن المسألة في الإيمان بالله هي مجرد الاعتراف بوجوده ، وأنه مادام كل من المسلم والمسيحي يعترف بذلك فقد أصبحا شريكي عقيدة ، حتى ذهب صاحب النشرة « المحاضرة » في استيفاء وجوه الشبه في هذا المجال إلى حد إظهار التشابه في البراهين التي يقيمها علماء الدين المسيحيون والمسلمون . وأنها مبنية على الحركة والإمكان والغائية ونظام الكون . وإلى إظهار التشابه بين مافي القرآن من الحث على التأمل والاعتبار بآيات الله الكونية ، ومافي كتبهم المقدسة من مثل هذا الحث ، ثم ضرب ضربة كبرى بناء على هذه القضية الجزئية ، فادعى وجود تشابه كبير بين علم التوحيد المسيحي « هكذا » وعلم التوحيد الإسلامي .

ونحن لانجرد المسيحية من الإيمان بوجود الله ، فقد كان لديهم - كما نعتقد - أصل صحيح ، ولامن بقايا توحيد الله ، فتلك هي المشكلة المستعصية التي لم يستطيعوا التخلص منها عندما اعتنقوا التثليث ، وأصبحت تشكل لهم عقدة لا يستطيعون حلها للجمع بين التوحيد الذي بقي لهم من أصل دينهم . وبين التثليث الذي فضله في النهاية ، ومازالوا إلى اليوم بين متشبت بالجمع بينهما على رغم العقل والمنطق ، وبين رافض لهما معا رغم وجود الدواعي إلى مطلق الإيمان ، وبين مضح بالتثليث من أجل التوحيد .

وعلم التوحيد الإسلامي لم يبن على قضية وجود الله ، حتى تؤخذ في اعتبار وجوه الشبه . ولكنها مذكورة فيه من باب استيفاء مسائل العلم . ولوحذفت منه هذه القضية ببراهينها ماتأثر بنيانه . ولكفاه التحقق من أن وجود الله مسلم به حتى عند المشركين . وأنه لاينكره إلا المعاندون . وتبقى بعد ذلك أهم مسأله . والتي أقبح علم التوحيد الإسلامي من أجلها . وهي قضية الوجدانية - في ذات الله وصفاته وأفعاله - لذلك سمي هذا العلم - بالإضافة إلى أسمائه الأخرى - بعلم التوحيد . لما أنها من أهم مسائله . وأبرز قضاياها . ولما أن الإسلام

أمر الغيبات من بعث وحساب وغير ذلك كما يعالجها علم التوحيد الإسلامى أم يعالج عقيدة الخطيئة الموروثة والفداء وغير ذلك

من هذه المفاهيم ؟ ؟

الحق أنه لا يوجد وجه لعقد مشابهة بين علم اللاهوت المسيحى وعلم التوحيد الإسلامى ، ومحاولة عقد هذه المشابهة ، والاستماتة فيها إلى درجة انتحال الاسم الإسلامى لعلم العقائد وهو علم التوحيد . ووضعه لعلم العقائد المسيحى ، محاولة أقل ما توصف به أنها محاولة لتضليل المسلمين . وإيهامهم أن المسيحية لا تختلف عن الإسلام فى عقيدتها ، بل ولا فى كتبها وعلومها الأساسية .

فهل يعتقد صاحب اخاضرة المنشورة ذلك حقاً ؟ أم أنه يتلاعب بالألفاظ ويستخدم العبارات العامة المطاطة تليسا على المسلمين فى محاضرة علنية . وفى قاعة جمعية إسلامية ؟

إن كان يعتقد ذلك حقاً ، فلماذا لا يبرهن لنا عملياً عن اقتناعه بعدم الفارق ويؤمن بما يؤمن به المسلمون صراحة وعلمنا حتى نصدقه فيما يقول ، وإلا فترجو ألا يتوجه إلينا باللوم إذا نحن حملنا محاضرتة على محمل الاستخفاف بالمسلمين ومحاولة تضليلهم ، وهو أمر نرفضه ونأباه ، ونرده

هو وحده دين الوجدانية المطلقة بغير منازع ، حتى اشتهر بهذا الاسم - وهو دين التوحيد - دون غيره من الأديان .

وأما علم العقائد المسيحية فلما سمعنا من قبل بأنه يجمع بين أسمائه اسم علم التوحيد المسيحى ، وإن كنا نعلم أنه علم اللاهوت ، وأنه لا يشبه علم التوحيد الإسلامى إلا فى هذه القضية الجزئية التى أشرتم إليها من إثبات وجود الله ، أما من حيث الوجدانية ، فوجدانية الله فى الإسلام بنت بجدتها وفريدة حقيقتها ، وليس كمثليها شئ من العقائد القائمة ، وبقية المسائل التى يعالجها علم التوحيد الإسلامى لا يشبهها شئ من علم اللاهوت المسيحى ، وإلا فهل يعالج صفات الله تعالى كما يعالجها علم التوحيد الإسلامى ، أم يعالجها من خلال مفهومه فى الأقانيم ؟ ؟ وهل يعالج النبوات والرسالات كما يعالجها علم التوحيد الإسلامى ؟ ؟ أم يعالجها من خلال تغاضيه عن خاتمة الرسالات ، ومن خلال تمييزه لشخصية عيسى عليه السلام عن بقية إخوته من الأنبياء ، وتلمسه للأنبياء عليهم السلام ما لا يصح نسبته إليهم ، حتى تظهر شخصية عيسى المسيح عليه السلام وحدها بهذا الامتياز مما يخول لهذا العلم حقاً فى إضفاء نعوت الألوهية وصفاتها عليه ؟ وهل يعالج

عليه بوضوح وإصرار .

التلبس في صفات الله :

ولقد ذكرت لنا النشرة « المحاضرة » عقيدة اجمع المسكونى الفاتيكاني الأول في سنة ١٨٧٠ « هكذا » باعتبار أن جميع ما فيها من صفات « الله » موجود في القرآن ، وتخطب النشرة المسلمين بذلك لتوهمهم بأن صفات الله في الإسلام تشبه تلك المذكورة في عقيدة اجمع المسكونى الفاتيكاني .

والحقيقة تجافى ذلك وتأباه ، فقد تبينا فيما سبق أن الموصوف عند المسلمين يختلف عنه عند المسيحيين ، والاتفاق بعد ذلك في الصفات لا يقرب في العقيدة شيئاً ، لأنها لم تحمل على موصوف واحد ، كيف والصفات كذلك مختلفة ؟! تقول تلك العقيدة المسكونية الكنسية : إن الكنيسة تؤمن وتعلم بأن الله واحد ، وهو الحق الحى خالق السماء والأرض وربها على السواء . إنه القدير السرمدى ، لا حد له . ولا يحيط به غيره علماً ، وليس أى أحد بعقله ومشيته وكماله ، وبما أنه جوهر روحى واحد في طبيعته ، لا يتركب ولا يتغير أبداً ، يجب على الجميع أن يقولوا إنه يتباين عن مخلوقاته في الواقع وبذاته ، وإذ أنه يجد رضاه في ذاته

وبذاته لأنه متعال عن كل ماسواه مما هو موجود في الدنيا أو ممكن الوجود . اهـ . فوصف الله في هذه العقيدة بأنه جوهر روحى واحد في طبيعته ، لأصل له في القرآن الكريم . ولا يوصف الله في الإسلام بأنه جوهر ، ولا بأنه روح ، ولا بأنه روحى ، ولا بأنه طبيعة ، ولا بأنه ذو طبيعة . إنما يوصف بذلك مخلوق كالسبح عليه السلام في المسيحية ، ولف هذه الصفات المجافية للإسلام بصفات أخرى لها أصل في القرآن الكريم - كوصفه بأنه هو الحميد المجيد ، أو بأنه ذو الغفران والرحمة ^(١) ، أو غير ذلك من الصفات - لا يجعلها مقبولة في جملتها لدى المسلمين ، بل يتعدى فساد الفاسد منها إلى صحة الصحيح ، ولن يجعل هذا الكلام عقيدة المسلمين تتحول من توحيد الله في ذاته وصفاته وأفعاله لتنسب شيئاً من صفاته إلى شيء من خلقه ، أو لتنسب شيئاً من صفات مخلوقاته إليه .

الإنسية القائمة على الله :

النقطة الثانية من النقاط الثلاث التى تحدثت عنها النشرة « المحاضرة » هى الإنسية

(١) الصفة الصحيحة في القرآن الكريم (. . وربك الغفور ذو الرحمة) الكهف ٥٨

القائمة على الله نتيجة الإيمان بالله .

ولاحديث لنا في هذه النقطة ، بعد أن عرفنا أن الأساس الذى نيت عليه وهو المفهوم المشترك لله والإيمان به غير ذى موضوع ، فكل مابنى عليه - بعد ذلك - غير مقبول ، ولايدخل فى ميدان الموضوعات المشتركة بحال ، وإنما نحب أن نعلق على عبارتين توضيحا للأمر وإزالة للالتباس فيهما - :

- فإنى لم أفهم ماهو المراد بقوله : « الإنسية القائمة على الله » . هل المراد بذلك : المخلوقة لله ، والمعتمدة فى وجودها وبقائها ومصيرها عليه سبحانه؟! أو المراد بها أن يكون لذات الله دخل فى تكوينها وحقيقتها . . . إنا فى الإسلام نعتقد أن الإنسان كغيره من سائر المخلوقات مدين بوجوده وبقائه ومصيره لله وحده ، وأن الله سبحانه كرمه وأعطاه الكثير من عطاياه وهباته وفضله على كثير ممن خلق .

أما المفهوم الثانى فعمل له أصلا فى المسيحية ، ونحن نختلف معها فى ذلك كل الاختلاف ، ودعوى اشتراكنا معا فى هذه الناحية غير مقبولة .

- العبارة الثانية فى هذه النقطة من النشرة « المحاضرة » هى : لقد حول إلى الإنسان

باستعمال مواهبه العقلية أن يعمل على تنظيم المجتمع بموجب الشرع الطبيعى ، هذا الشرع الطبيعى يقابل الطبيعة الإنسانية العالمية ، إذ هو مبنى على العقل . ومن ثم كما يقول اللاهوتيون المسيحيون إنه قبس من الشريعة الإلهية السرمدية ، ولذا يستطيع العقل ، أقول : العقل الخاضع للحكمة الإلهية أن ينظم صلات العدل بين مواطنين من أديان مختلفة . اهـ .

نعم . . نحن لا نمنع ما تدعيه من أن هذا الكلام هو كما يقول اللاهوتيون المسيحيون ، ولكننا لانقر لك أن هذا الكلام معترف به فى الإسلام أو بين المسلمين ، فلا اعتراف عندنا بما يسمى عند علماء اللاهوت بالشرع الطبيعى ، لأن الله أغنانا عنه بالشرع الإلهى وهو أعظم مَزَكٍ للفترة ، ودعواكم أن هذا الشرع الطبيعى يقابل الطبيعة الإنسانية العالمية لأنه مبنى على العقل نفهمها نحن بأنها جديرة أن تمنع أسباب التقارب ، وأن توقع الفرقة والشحناء بين بنى البشر ، لأن العقل البشرى ليس واحدا بالذات فى جميع البشر . ولا واحدا بالدرجة والقوة والاتجاه . . والشرع الطبيعى الذى يقابل عندكم الطبيعة البشرية المبنية على العقل جدير أن يتوزع تبعا لتوزع هذه العقول

ولمَ كل هذا العناء في إقناع المسلمين بذلك مع أن العقيدة الإسلامية لا تلزم من يخالفها ، ولا تكره أحدا على اتباعها ، وهي تأمر أهلها باحترام غيرهم من أهل الأديان السماوية ، وإقرارهم على دينهم وعباداتهم وكنائسهم وبيعهم ماسلمونا وتركونا وشأننا .

لِمَ كل هذا العناء في إقناع المسلمين بذلك ، مع أن ما عندهم من هذه القواعد ركن ركين من أركان التقريب لمن يريد أن يخلص في الدعوة إليه ، أما التقارب عن طريق تحريف العقائد فأمر لا يصح لأنه يفسد الأديان ، ويضيع معناها ، وينبغى إذن أن يكون التقارب - كما يتضح من قواعد الإسلام - في النواحي العملية التي تتم من خلال العلاقات بين الجانبين ، فبذل الجهد فيها أولى وأكثر فائدة .

ومع ذلك ، فكم هي الدعوات التي نسمعها من أقطاب المسيحية شرقاً وغرباً تنادى بالتقارب بين المسيحية والإسلام ، ثم لا نجد منها أى اهتمام بهذه النواحي العملية التي تترتب معها العلاقات وتنظم ، ولكنها تتوجه إلى العقيدة وقواعد الشريعة ، فإذا يريدون ؟؟ هل يريدون إفساد الأديان ؟ أم يريدون زعزعة الإسلام ؟

لقد أصبحنا من كثرة تكرار هذه

طرائق قددا ، وقد عصم الله من اعتصم من المسلمين بشرعه الإلهي الموحد ، الذي يسع جميع الطبائع البشرية في إطاره ، وما أجدر من يسعى إلى التقريب بين البشر ، أوبين الأديان ، أن يلوذ بكنف هذا الشرع الشريف ويحتمي بحماه .

أما دعوتكم للمسلمين بأن يشتركوا معكم في استعمال مواهبهم العقلية لوضع مثل هذا الشرع الطبيعي فهي دعوة لهم للخروج من جنة التوحيد الإلهية إلى نار الرغبات الشهوية البشرية ، وهيهات أن يقتنع بدعوتكم مسلم يعرف شريعته كما يعرف مافى تلايف أحاديثكم من تلبيس وتضليل يقصد به هدم الشريعة الإسلامية لاغير .

أغنية التقارب بين الأديان :

من هذه المناقشة يظهر أن النتيجة قد تؤدي إلى تجميع العقائد الإسلامية بذكر مايتوهم أنه مشترك بينها وبين المسيحية ، وعدم الاهتمام بماعدها ، وقد تؤدي كذلك إلى تجميع العقائد المسيحية بذكر مايتوهم أنه مشترك بينها وبين الإسلام ، وعدم الاهتمام بماعدها ، رغبة في التقريب بين الفريقين ، ولكن ذلك مسخ للعقيدتين ، وإبطال للدينين ، ولا يفيد أيا من الطرفين !؟

عهد الرسول ﷺ ، وحكى القرآن الكريم قصتها فقال : (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) آل عمران : آية ٧٢ .

وقد عقد المؤتمر العالمى للأديان فى لوندرة بتاريخ ٣ يوليه سنة ١٩٣٦ م للمناداة بمثل هذه الشعارات ، واشترك فيه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر حينئذ يبحث عن « الزمالة الإنسانية » .

وظلت يد المسلمين ممدودة تعرض هذه الزمالة وماتزال .

وظلت أمثال هذه المؤتمرات والندوات والمحاضرات تعقد وتقام وتلقى ، والموضوع هو الموضوع ، والمحاولة هى المحاولة ؟ !

فماذا يريدون منا أكثر من الزمالة الإنسانية - على حد تعبير الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ؟ ! هل يريدون أن نسلمهم عقيدتنا ونعطل شريعتنا ونلغى ديننا؟؟ ما أصدق قول الله تبارك وتعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير) البقرة : آية ١٢٠ .

الدعوة ، واتخاذها ستارا لتثويه العقيدة الإسلامية وتعطيل الشريعة الإلهية ، نشك فى كل صوت يرتفع بذلك .

ولقد ذكرنا من جانبنا النواحي العملية التى يفرضها علينا ديننا تجاه أهل الأديان السماوية ولذلك اشتهر الإسلام بأنه دين التسامح ، نظريا فى عقيدته وشريعته ف وقوانينه ، وعمليا فى تاريخه وواقعه وحياة المسلمين العامة والخاصة ، ولقد ذكر بابا الكنيسة المصرية الأنبا شنوده من تسامح المسلمين مع رفاقهم المسيحيين فى مصر مايكفى برهاننا .

فماذا وجدنا نحن من جانب المسيحية العالمية ومن جانب أصحاب الدعوات إلى التقارب بين المسيحية والإسلام ؟ ! ؟ !
إننا نحسن الظن - كما هى سجيئتنا - ولكن عندما تتكرر عوامل الخداع والإحباط ، فإننا لانكاد نأمن لمثل هذه الأصوات .

أغنية قديمة مكرورة :

ومثل هذه الأصوات المضللة ، والدعوات المزيفة ، ليست جديدة ، ولاهى بدعة هذه الأيام ، ولكنها بدعة قديمة قدم هذه العداوة ، وإن كانت تتخذ أشكالا مختلفة ، فقد حدث مثل ذلك فى

وضع هذه الدعوة .. معكوس :

ومن الغريب أن يتولى الدعوة لهذه المؤتمرات والندوات ، لفكرة التقارب هذه رجال من العالم المسيحي دون العالم الإسلامي ، وهو أمر يخالف الوضع الطبيعي والمنطقي . إذ من المفروض أن ينادى بهذه الدعوة وأن يطالب بتطبيقها المضطهدون والمظلومون ، واخرومون من النفوذ والجاه والسلطان ، المتعرضون لبطش الجبارين وقهر المستبدين ، استثارة للإنسانية في نفوس الطغاة الظالمين ، وتحريكا لمشاعر الرحمة في قلوب المتحكين والجبارين .

لهذا كان من الطبيعي والمنطقي أن يكون أصحاب هذه الدعوة من العالم الإسلامي لامن العالم المسيحي .. ذلك لأن نظرة سريعة إلى العالمين - الإسلامي والمسيحي - تبين أن العالم الإسلامي قد عانى خلال هذين القرنين ذروة العسف والتنكيل ، والظلم والاضطهاد والقهر والاستعباد ، وأبشع أنواع الاستغلال . بكل صوره وأبعاده على يد العالم المسيحي وأن العالم المسيحي - وهو يمارس هوايته في إذلال العالم الإسلامي وتجريده من كل مقوماته - يمتلك القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية والعلمية والفنية . ويصب بها

جام سخطه وكراهيته وكبريائه واستعلائه على العالم الإسلامي .

ترى أين تجد الجوع والعري ، وأين تجد الأمراض والأوبئة ، وأين تجد البطالة والتشرد ، وأين تجد اللاجئين والمنبوذين ؟ في العالم الإسلامي ! أم في العالم المسيحي ؟؟

ترى أين تجد الشيع والتخمة ، وأين تجد الإسراف والرفاهية ، وأين تجد الراحة والمتعة ، وأين تجد الغنى والرخاء ؟ في العالم الإسلامي ! أم في العالم المسيحي ؟ فأى الفريقين أولى أن يجار بهذه الدعوة ؟ دعوة التقارب بين أصحاب الدينين ؟

إنها قضية واضحة بديهية . ومع ذلك فلم تصدر هذه الدعوة من العالم الإسلامي ، لأنها داخلية في شريعته لا يحتاج معها إلى إعلان .

ولكن الغريب كل الغرابة . أن يظل الغرب المسيحي يردد هذه الأغنية العذبة الجميلة . . بينما تغوص يده القويتان الفولاذيتان في الجراح الغائرة في أعناق المسلمين .

فعلى أى معنى يمكن لنا أن نفسر هذه الدعوة ؟؟ إن لم يكن تحذير الفريسة للإجهاز عليها كلية ؟

الثالثة ردا غير جميل ، بل نريد أن نجاريه فيها ماوسعنا الجهد ، وماوسعنا حسن الظن ، فنذكر له أننا من جانبنا أقرب مما يدعون ، ومما يطلبون ، ومن الناحية العملية والعلاقات الإنسانية ، والتاريخ والواقع شهيدان ؟ !
بقى أن نرى استجابتهم لما يدعون هم إليه في هذا المجال .

نريد أن نرى هؤلاء الدعاة ، وهم يعملون جهدهم لإيقاف المذابح التي يقوم بها أبناء دينهم لأبناء المسلمين في كل بقاع العالم الإسلامي ، من الفلبين شرقا إلى بلاد إفريقيا غربا ، وأن يمنعوا السلاح عن هؤلاء الذين يستعملونه في إبادة الأقليات الإسلامية فقط .

نريد أن نراهم وهم يعملون جهدهم لإقناع الساسة من بني دينهم برد حقوق المسلمين في بلادهم وأرضهم ، وفي حكم أنفسهم بأنفسهم ، إليهم .

نريد أن نراهم وهم يعملون جهدهم لإقناع بني دينهم بعدم التدخل في شئون البلاد الإسلامية التي تريد أن تحكم بما أنزل الله ، وتتخلص من أوزار الشيوعية الإلحادية الماحقة ، والرأسمالية الربوية الساحقة ، وأن تمتنع عن تحريش الدول الإسلامية بعضها ببعض .

الوجوه التي يمكن فيها التقارب :

التقارب - إذن لا يصح أن يكون على حساب العقائد ، ولا على حساب الشريعة الإسلامية ، لأنها - وفي المقام الأول - هي الأساس الذي يضمن للمسيحيين روح التسامح لدى المسلمين ، ولأنه لا يوجد لدى المسيحيين مثل هذا التشريع الشامل لكل نواحي الحياة .

يتبقى بعد ذلك النواحي العملية في العلاقات الإنسانية ، وهي التي يمكن فيها التقارب ، وهي التي نظمتها الشريعة الإسلامية أدق تنظيم وأوفاه ، بحيث لم نعد في حاجة لمن يوجه إلينا دعوة بعدها .

ومع ذلك فقد ذكر لنا صاحب النشرة « اخاضرة » في نقطته الثالثة الخطوط العريضة للتقارب الإسلامي المسيحي في سبيل عالم أفضل ، فذكر بعض المسائل العملية وخلطها بقصد أوبدون قصد بأعمال المبشرين والمستشرقين وجهودهم . فاستوفى بذلك نواحي التخريب للإسلام ، من ناحية العقيدة في النقطة الأولى . ومن ناحية الشريعة في النقطة الثانية ، وأخيرا من ناحية العلاقات الإنسانية في النقطة الثالثة .

ونحن لانريد أن نرد عليه هذه النقطة

لكل بنى البشر ، مسيحيين وغير مسيحيين ، وأن نعمر الأرض باستخراج خيراتها وكنوزها التى سخرها الله للإنسان ليستفيد منها جميع بنى البشر ، مسيحيين وغير مسيحيين ، نريد أن نشبع الجائعين ونكسو العرايا ، ونعالج المرضى ، ونسعد الطفولة ، ونرعى الشيخوخة ، ونتيح العلم والمعرفة للجاهلين .

ترى لو فعلوا ذلك ، ألايتحقق مايزعمون أنهم يدعون إليه من وجود علاقات أفضل فى عالم أفضل ؟

أم القصود هو تقليد محالب المسلمين أولا بأول ، وتخدير أعصابهم إلى الحد الذى يمكنهم فيه أن يتلاعبوا بعقولهم وعقائدهم ، تحت تأثير تلك الأغنية المكررة .

نريد أن نراهم مرة واحدة يتصفون لحق بلد إسلامى أهدر . وأن نراهم مرة واحدة يردون على المستعمر المسيحى استعمار واستغلاله وسوء معاملته . . باسم المسيح . . باسم السيد المسيح عليه السلام . .

وماتوفيقى إلا بالله

د . عبد الفتاح عبد الله بركة

نريد أن نراهم وهم يبذلون جهدهم لمنع تسلط الأقليات المسيحية على المسلمين فى البلاد ذات الأكثرية المسلمة .

نريد أن نراهم يبذلون جهدهم لإقناع المبشرين المسيحيين فى البلاد الإسلامية بالكف عن تجريح المسلمين والطعن فى قرآنهم ورسولهم ومهاجمة دينهم واحتقار شعائرهم ومساجدهم .

نريد أن نراهم يبذلون جهدهم لإقناع أصحاب النفوذ والسلطان والمال من بنى دينهم بعدم إيذاء المسلمين ببناء كنائس فى بلاد إسلامية لا يوجد فيها مسيحيون . وبدق النواقيس تحديدا واستفزازا للمسلمين . والتطاول عليهم فى البنيان .

نريد أن نراهم يعملون ماوسعهم لإقناع المبشرين من أهل دينهم فى البلاد الإسلامية بعدم استعمال أساليب الإغراء الوضيعة ماديا وخلقيا لإفساد أبناء المسلمين واستدراجهم لترك دينهم - تحت ضغط الفقر والحاجة - دون مراعاة لوجه الحق والشرف والمروءة .

نريد أن نبني السلام ، نريد أن نبني المحبة . نريد أن نوزع الرخاء . نريد أن نعمر الأرض البور بما يكفل الغذاء والكساء

مشكلة الهلال ... أليس لها من حل .. ؟

الشيخ/على حسن البورق

تتضارب أقوالهم ، فلا يكاد المسلمون - لفترة - يعرفون رءوسهم من أرجلهم لا في صيامهم ولا أعيادهم والكون - بلا شك - بمثابة ساعة كونية دقيقة غاية الدقة ، لأنها من صنع الله الذي قدر فسوى ، وعلى هذه الساعة المضبوطة نعتمد ، ونحن مطمئنون الفؤاد ، صحيح أننا لا نستطيع أن نرى هذه الساعة الكونية كما نرى ساعاتنا التي نضعها حول معاصمنا ، لكنّ العالمين ببواطن الأمور ، والذين ينظرون إلى الكون نظرة أعمق وأشمل ، يدركون أن حركة الأرض والقمر والشمس والكواكب والنجوم والخجرات والمذنبات تضع أمام أعيننا ، وفي عقولنا ، نظماً لا يأتيها الباطل فالعلماء الذين يتعاملون مع نوااميس الوجود ، هم وحدهم الذين يعلمون أنهم أمام أفلاك متقنة ، وأزمنة محددة ودورات مقننة ، وهم بتطلعهم الطويل إلى الأجرام السماوية ، واستعانتهم بأجهزة ومعدات ومناظير فلكية متطورة قد استطاعوا صياغة

نشرت مجلة العربى بعددها الصادر في شعبان سنة ١٣٩٨ هـ مقالاً للأستاذ عبد المحسن صالح تحت عنوان «سؤال كل عام - نعتمد الرؤية - أم الحساب الفلكي ؟ لماذا الخلاف في صيامنا وأعيادنا ؟ والعلم قادر على قياس الزمن لجزء من بليون جزء من الثانية ؟ » وإلى القارئ الكريم بعض المقال ببعض تصرف :

« غريبة أحياناً أمور بعض من يوكل إليهم تحديد الشهور !! ووجه الغرابة أنهم يعتقدون في صحة الأسس العلمية تارة ، فيركنون إليها في صلاتهم وإمساكهم وإفطارهم ، أو أى شأن من شئون دنياهم ، ثم إذا بهم يعودون فيفكرون بها تارة أخرى .. فكلماً انقضى شعبان وحل رمضان ، أو جاء عيد من الأعياد ، تراهم يرسلون رسلاً منهم ، ليستطلعوا الهلال ، فيعلنوا ما رأوا في البلاد ، وكثيراً ما يضعون الناس في حيص بيص ، خاصة عندما

كل هذا الإبداع في معادلات وقوانين توضح لنا بجلاء ما يغم على عيوننا القاصرة ، وعقولنا المحدودة ، فإذا بالكون العظيم يتجلى لنا بصورة أروع وأبدع من كل مارآه الأقدمون ، ثم إن التقويم الزمني الذي يعتمدون عليه في النتائج لا ينبع من فراغ بل جاء أساسا من حركة الكون المضبوطة وليعودوا إلى القرآن الكريم ليستلهموا منه فصل الخطاب (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) ، (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ، لتبتغوا فضلا من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شيء فصلناه تفصيلا) ، (فالحق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم) ، (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون) ، (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) ، (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) .

كل هذه الآيات وغيرها تشير بوضوح أو من طرف خفي إلى أن الزمن الفلكي أو

الكوني ، إنما هو انعكاس حقيق لحركة الكون وما حوى ، وطبيعي أن الإنسان ولو كان متفقه في الدين لا يستطيع أن يرى الإتقان في التقدير ، والدقة في التسخير والإبداع في التسيير والانضباط في الأفلاك ، إلا إذا درس القوانين والمعادلات التي تحكم هذه الأكوان الخفية ، فإذا بها تريبه مالا يستطيع الاجتهاد فيه ، أو الاعتراض على ما تطويه ، إن رجل العلم الحقيقي يضع نصب عينيه دائما حقيقة لامفر منها ، فهو يطوع عقله لفهم قوانين الكون ولا يخضع الكون لبصره أو إدراكه المحدود ، ولو فعل لأخطأ وغوى ولما أدرك من الأسرار العميقة شيئا مذكورا ، إذا فالحركة والتسخير والمنازل والأفلاك التي تسبح فيها هذه الأجرام ، إنما هي دليلنا إلى علم السنين والحساب والأرقام أو هي - كما يراها رجل العلم التجريبي - حركة تؤدي إلى زمن إلى أرقام تنبع من معادلات ، أو العكس ، فلولا دوران الأرض حول نفسها لما عرفنا شيئا اسمه زمن ولا كان هناك ليل أو نهار ولا شروق ولا غروب ولا صياح ولا أعياد ولا فصول وعندئذ لن يكون لوجودنا معنى ، ولقد اقتبسنا من حركة الأرض حركة أودعناها في تروس وعقارب لتتحرك حركة إيقاعية

وما يتبعها من أثار دورة في الحجرة لها زمنها وللمجرة أيضا زمن ودورة .. إلخ (كل يجرى لأجل مسمى) ، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وطبيعى أن كل هذه العلوم العصرية لا تجد تقبلا من بعض القائلين بتحديد الشهور لأنهم يهجرونها كلها أقبلا رمضان أو جاء عيد من الأعياد ولا بد أن يختلفوا لأن مواقعهم على الأرض تمنع من توحيد الرأى والزمن ، وطبيعى أننا نعرف أن لكل دولة زمنها ولقد علم الاختلاف بين زمن قطر وقطر من التقدم العلمى الذى انعكس على آلات وأدوات تقيس الزمن لجزء من بليون جزء من الثانية ذلك أن هذه الساعة الكونية تتأثر بقوى ومقاومات كامنة في طبيعة تلك النظم فتدخل في حركاتها فتجعلها تبطئ أو تسرع كل ذلك يتوقف على الظروف السائدة ونحن لا نحس بزيادة السرعة أو إبطائها لأن ذلك يتم بمعدلات بطيئة للغاية لاتصبح محسوسة إلا بمرور ملايين السنين لكن العلماء حسبوها وقدروها، فمن العوامل التى تتسلط على أرضنا الآن وتبطئ سرعة دورانها حول نفسها كالجاذبية يتبين أن هذا الإبطاء ينعكس على إبطاء في زمننا الأرضى بحيث يؤدي إلى جعل يومنا هذا أقصر من غدنا

تفصلها وحدات زمنية نعرفها في حياتنا بالثانية والدقيقة والساعة واليوم والشهر وعندئذ نشعرنا بمرور الزمن إذا غم علينا سريانه وكما يعتمد بعض تروس الساعة على بعض ، كذلك تكون الأجرام السماوية فكيانها ووجودها وزمنها تعتمد على حركات ودورات وجذب وغير ذلك من قوى تحمل كل ما في الأرض والسما موزونا وقائما بغير عمد ترونها وعلى أساس هذا التعادل جرت معادلات العلماء وحساباتهم لتوضح لنا أن كل شئ في الكون يسرى بحساب (يفصل الآيات لقوم يعلمون) والذين يعلمون يدركون تماما لماذا استمرت السموات والأرض بلايين من السنين ليس هذا فحسب فهم يستطيعون من خلال معادلاتهم أن يقدروا ما يمكن أن يكون عليه الكون العظيم لبلايين أخرى من السنوات القادمة ، ومن أجل هذا صمد الكون ويصمد وسيصمد بفضل الدقة المتناهية في حركته وزمنه ، فالقوضى التى نعيش فيها أحيانا ، إنما تنبع من عقولنا وتنبثق من أنماط تفكيرنا ، فالقمر تابع للأرض يدور حولها وله حول نفسه دورة لها زمنها ، والأرض لها حول نفسها دورة لها زمنها ، ولها حول الشمس دورة لها زمنها أيضا ، وللشمس والأرض وكواكبها الأخرى

بحوالى ٢٥ جزءا من بليون جزء من الثانية ويترتب على ذلك أنه بعد خمسة آلاف مليون عام من الآن ستبطئ الأرض في حركتها إلى الدرجة التى يصبح فيها اليوم ٣٦ ساعة من ساعاتنا الحالية ويقدر العلماء أيضا أن هذا الإبطاء سوف يؤدى إلى ضعف في قبضة الأرض على القمر فيبدأ في الهروب بعيدا في الفضاء، فهو يبتعد عن الأرض بمقدار قدم واحدة في كل ثلاثين عاما أى أنه يبتعد عن الأرض بحوالى خمسين ألف كيلو متر بعد خمسة آلاف مليون عام ولهذا سيبدو أبعد وأضعف نورا ، وعندئذ تتمدد الشمس وتعطى الأرض دفعة فتزيد سرعتها فتشتد جاذبيتها لقمرها فيعود إلى حظيرته بل يزداد قربا من وضعه الحالى . وبهذا يتبين أن الذين يحسبون بجزء من بليون جزء من الثانية ويقدرّون المسافات بالمتر والسنتيمتر لن يعيهم أن يحسبوا بدقة تامة منازل القمر وطبعي أنه كلما تقدم بنا الزمن كانت الحسابات أدق؟ وقد يقول قائل : وما يدرينا أن هذه الحسابات صحيحة ؟ الواقع أن الحديث في ذلك يطول ويكفي أن نذكر أنه ما كان ليتيسر للإنسان أن يستكشف الفضاء بصواريخه وأقماره ويدفعها فتدور حول الكواكب إلا بمعرفة دقيقة لمواقعها

وسرعة دورانها وقوى جاذبيتها ، فإن الخطأ - وإن قل - كفيل بتحطيم آمال العلماء في غزو الفضاء ثم إنه من ميكانيكا هذه الأجرام المتقنة يمكن حساب عدد مرات الكسوف والخسوف مقدما وموعدا كل منها ، ففي موقع محدد بجنوب الأطلنطي مثلا سوف يسجل العلماء أطول كسوف لم يحدث لمئات السنوات إذ ستكسف الشمس لمدة سبع دقائق وثمان وعشرين ثانية في يوم ٢٦ يونيو عام ٢١٨٦ أى بعد مرور ٢٠٨ عاما من الآن وحتى المذنبات التى تقترب من الأرض في أزمنة متفاوتة لها حساباتها فمثلا مذنب هالى سيظهر في تمام الساعة التاسعة والنصف من مساء ٩ فبراير ١٩٨٦ ودورة هذا المذنب حول الشمس تقع في حدود ٨١ و ٧٥ عاما وإلى هنا ورغم تقدم العلوم الفلكية نرى الذين لا يعلمون عن أمور هذا التقويم شيئا لا يستفتون الذين يقدرّون ويحسبون مع أن الله عز وجل قال : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وفي الحديث : اطلبوا العلم ولو بالصين^(١) . والعلم الآن بين أيدينا ونركن إليه في تقاوينا ، فنصلى

(١) هذا الحديث رواه العقيلي وابن عدى والبيهقي وابن عبد البركلهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ .

الجمار والمبيت بنى وكذلك ربطت عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها ، والرضاع والإيلاء والحضانة والبلوغ وغيرها بظواهر معروفة .

وهذا تيسير من الشارع على الأمة وهو لا ينافي تعلم الحساب الذى يعرف به وضع القمر فى ليلة الثلاثين ، فالرؤية هى الأصل ، والحساب مهما كان دقيقا فهو مبنى عليها ، ولولاها لما استطاع الحاسبون تكوين قواعدهم التفصيلية الدقيقة ، فإذا أغنى الحساب عن الرؤية من حيث العلم فلا يغنى عنها من حيث الذكرى والتفكر والتدبر فى خلق الله (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) وفى استطلاع الهلال وانتظار ثبوت الشهر أو نفيه اعتناء واهتمام واحتفاء بالأمر الدينية فهو شعار للصوم والفطر والحج ، كالأذان للصلاة مع علم الناس بمواقيتها بالساعات وغيرها . وارتياح الناس بالاطمئنان والمعرفة التامة بعد الانتظار القليل فيه من اللذة والبهجة ما ينسى ألم الحيرة بل إن الحيرة نفسها وسؤال الناس بعضهم بعضا فيها من الاعتناء والاهتمام ما فيها فلا داعى للتحويل ورمى الأمة والأئمة بالرجعية والجمود والتأخر والتخلف عن ركب الحضارة إذا تراءوا الهلال ليلة الثلاثين من كل شهر مع تقدم

الفروض بهديها أو نصوم ونفطر ونحن مطمئنون لحساباتها دون أن نلجأ إلى الخروج للخلاء لنستطلع الخيط الأبيض من الأسود ، أو نسجل غروب الشمس وشروقها . . فإن لم يسرع القاعون بإثبات الشهور بالأخذ بأسباب العصر وعلومه ، فإن الزمن لا يرحم ، وسوف تنطلق قافلة العلم بسرعة الصاروخ ! ؟

* * *

أقول : إن الإسلام هو الدين الحنيف الصالح لكل زمان ومكان ، والعوام فى كل زمان ومكان أضعاف أضعاف العلماء ، فكان من الحكمة أن يربط الإسلام جميع عباداته وغيرها بظواهر كونية يعرفها العوام والخواص جميعا فالصلوات الخمس مرتبطة بالفجر والزوال وصرورة ظل الشئ مثله وغروب الشمس ومغيب الشفق ، والصوم مرتبط برؤية الهلال ليلة الثلاثين من الشهر المنتهى فإن لم تتحقق أكملت عدته ثلاثين ، وربطت زكاة المال والأنعام والتجارة بالحوال وهو اثنا عشر شهرا قريبا ، وزكاة الزروع بالحصاد وهو معروف للزراع والفقراء جميعا ، وربط الحج باليوم التاسع من ذى الحجة للوقوف بعرفات ، والعاشر لرمى جمرة العقبة وذبح الأصاحى والأيام الثلاثة التى بعده لرمى

علم الحساب الفلكي ، فليس في ذلك غمط للعلم ولا إنكار له ولا كفر به ولا كفران بنعمته فهي من الله (ومابكم من نعمة فمن الله) والمحققون من أئمة الهدى لم ينكروا العمل بالحساب الصحيح الذي لاشبهة فيه ، وقد اعتنى مجمع البحوث الإسلامية منذ سنوات بمسألة تحديد أوائل الشهور القمرية فكلف أحد أعضائه - وهو الأستاذ الكبير الشيخ محمد علي السائس .. رحمه الله - كتابة بحث في تحديد أوائل الشهور القمرية فكتب بحثاً نفيساً في ذلك اشتمل على بيان أقوال علماء المذاهب الأربعة وبعض الشيعة الإمامية والزيدية فيما ثبت به هلال رمضان وشوال وغيرها في حالتى الصحو والغيم ، مع بيان وجهة كل منهم ومناقشة الأدلة وترجيح المختار منها ، وبيان آراء علماء الإسلام في مطالع القمر وهل يؤثر اختلافها في إثبات الشهور أو لا عبرة باختلافها فيمكن توحيد البلاد الإسلامية واجتماعها على مبدأ واحد ؟ وبيان أنواع الحساب الفلكي وما جرى عليه العمل قديماً وحديثاً في التقاويم الرسمية وغيرها حتى يتميز ما يصح عليه التعويل وما لا يصح . وبيان آراء العلماء في الأخذ بقول أهل الحساب والفلكيين في تحديد الشهور القمرية .

- ثم ذكر خاتمة في بيان ما يجب على

الدول الإسلامية القيام به في شأن إثبات الشهور القمرية لتصل إلى هذه الغاية المنشودة من أقرب سبيل فقال : « تبين من كل ما تقدم في هذا البحث أن الراجح ما يأتي :

أولاً : أن إثبات الشهور في حد ذاته من غير نظر إلى ما يتعلق به من حقوق العباد - من باب الإخبار لا من باب الشهادة ، وأنه لا يدخل تحت الحكم والقضاء ، فلا تلزم فيه شروط الشهادة ويستوى في الخبر أن يكون ذكراً أو أنثى حراً أو عبداً ، ولا يشترط مجلس الحكم ولا تقدم الدعوى ولا قضاء قاض ولا أمر حاكم ولا لفظ أشهد ويكفى أن يكون الخبر مستورا غير ظاهر الفسق .

ثانياً : أن الشهور جميعاً سواء في حالتى الصحو أو الغيم يكفى في إثباتها خبر الواحد متى غلب على الظن صدقه ولم يكذبه الحساب الموثوق به القاضى باستحالة الرؤية وأنه لا تشترط الاستفاضة ولا العدد إلا عند مظنة الغلط أو الخطأ أو رجحان تهمة الكذب .

ثالثاً : أنه لا عبرة باختلاف المطالع فإذا ثبت الشهر في حكومة إسلامية ونقل هذا الثبوت إلى سائر البلاد الإسلامية بطريق موثوق به فإنه يعم حكمه الجميع

وبالتالى يلزم إحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله فقد حرم الله صوم أيام العيدين وأيام التشريق وأحل الفطر في شعبان كما يلزم عليه أن يكون الوقوف بعرفة في غير التاسع وأن تذبح الأضاحى قبل وقتها .

خامسا : أن الحساب الفلكى الشرعى المبني على الوضع الهلالى وإمكان رؤيته بعد غروب يوم ٢٩ من الشهر السابق بحساب الرؤية يصلح مناطا مستقلا لإثبات الشهر ، كما اختاره طائفة من العلماء الأثبات كالسبكي ، وابن سريج ، وابن مقاتل وغيرهم ، ورجحه الشيخ محمد بن خيثم المطيعى فى كتابه «إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهلة» وأن ذلك لا يتنافى مع أحاديث إثبات الشهور بالرؤية أو الإكمال بناء على أن المراد العلم بالرؤية لاحقيقتها ، بدليل وجوب الصوم على الأعمى والمحبوس وسكان القطبين ، وهم محرمون من الرؤية حتما ويدل على ذلك أيضا ما جاء فى بعض روايات الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم «فإن غم عليكم فأقدروا له»

فقد فسر من يرى من العلماء الأخذ بالحساب القطعى قوله صلى الله عليه وسلم « فأقدروا له » بمعنى فانظروه وتدبروا فيه من قولهم قدرت الأمر نظرت فيه ، وتدبرته ، وذلك بالحساب عند من خصهم الله بهذا العلم .

ماداموا مشتركين مع بلد الرؤية فى جزء ولو يسيرا من ليلة الرؤية .

رابعا : أنه لا يصح التعويل فى إثبات الشهور على قواعد الفلكيين القدماء فيما قبل النهضة الإسلامية فى العصر العباسى لأنها قواعد تقريبية ظنية غير متيقنة ولا منضبطة كما لا يصح التعويل على الجداول الفلكية التى تجعل بعض الشهور ثلاثين يوما أبدا وبعضها ٢٩ يوما أبدا فقد تبين خطأها وأنه قد تتوالى أربعة أشهر حقيقية كل منها ثلاثون وثلاثة أشهر كل منها تسعة وعشرون .

كما ثبت أن الحساب الفلكى المعمول به الآن فى التقاويم الرسمية وغيرها لا يتفق مع الحساب الشرعى الذى يعتمد على القطع بالرؤية أو إمكانها على الأقل لأن التقاويم الحالية تعتمد فى تعيين أوائل الشهور على اجتماع الشمس والقمر فيجعلون أول ليلة يغرب فيها القمر بعد غروب الشمس هى أول الشهر ولو استحالت الرؤية ومن المقرر أنه قد يتفق الحسابان وذلك فيما إذا غرب القمر بعد الاجتماع وقد يتقدم أول الشهر بالحساب الفلكى الاجتماعى على أوله بالحساب الفلكى الشرعى المبني على إمكان رؤية الهلال بيوم فى الأكثر أو بيومين فى الأقل ويلزم على الأخذ بهذه التقاويم تغيير أوقات العبادات عما حدده لها الشارع

قال تقي الدين السبكي قاضي قضاة دمشق في كتابه العلم المنشور في إثبات الشهور : إن البحث في الحديث في موضعين أحدهما قوله فأقْدروا له قال بعض من يقول باعتماد الحساب معناه : احسبوا له ويكون معناه قدروه بالحساب والمنازل كما قال تعالى (وقدّرهُ منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) قال مطرّف بن عبد الله من التابعين وابن قتيبة من المحدثين وابن سريج من الشافعية وابن مقاتل من أصحاب محمد ابن الحسن وطائفة من المتأخرين . قالوا : ولا يلزمنا ما قال بعضهم من أن الناس لو كلفوا بالحساب ضاق عليهم لأنه لا يعرفه إلا أفراد قلائل ، لأنه إنما يلزم ذلك لو كلف عامة الناس بالحساب ، ولم يقل بذلك أحد ، بل الذي قلناه : أن قوله ﷺ « فأقْدروا له » بالمعنى الذي اخترناه : خطاب لمن خصه الله بهذا العلم وقوله ﷺ « فأكملوا العدة ثلاثين يوما » كما في الرواية الأخرى خطاب للعامة . فالذين خصهم الله بهذا العلم يكون نظرهم بالطريق المقذور لهم وهو طريق الحساب ويكون نظر العامة الذين لا يعرفون الحساب أولا يقلدون من يعرفه بالطريق المتيسر لهم وهو الرؤية أو إكمال العدة ، فلا تنافي بين الروایتين بل نحن ننزلها على حالين مختلفين فنكون عاملين

بهما .

سادسا : يجب وجوبا كفايا أن يكون في كل حكومة إسلامية هيئة شرعية من مهمتها إثبات الشهور العربية بوجوه الإثبات المعتمدة شرعا مع مراعاة الاتصال بالمراسد والفلكيين العدول الموثوق بهم في دينهم وعلمهم ليتحققوا من جواز الرؤية أو استحالتها حتى لا يقعوا في الخطأ ويثبتوا الشهر قبل موعده كما حصل في بعض السنين من قاضي الرؤية المنفرد بهذا الإثبات وترتب عليه صيام المسلمين يوما من شعبان وفطرم يومين من رمضان .

سابعا : ليتحقق الأمل المنشود وهو توحيد أوائل الشهور العربية في جميع البلاد الإسلامية يجب أن ينبه ناشروا التقاويم الرسمية وغيرها إلى أنه يلزمهم أن يبينوا تحديد أوائل الشهور القمرية على الوضع الهلالي الحقيقي فيكون أول الشهر هو أول ليلة يمكن أن يرى فيها الهلال بعد الاجتماع وأن يراعوا خط عرض مراکش وهو ١٥ درجة « غرب جرينتش »^(١) لتكون تقاويمهم هلالية شرعية عالمية مساندة ومنظمة لعملية الرؤية

(١) الصحيح أن مراکش على خط طول ٨ غرب جرينتش ، وينبغي أن يقال : خط طول ١٧ غرب جرينتش وهو الخط المار بمدينة دكاكار في السنغال . وأولى من ذلك في نظري أن يراعى أقصى خط غرب أمريكا . كما سيأتي .

يراد توحيد الشهور فيها تنحصر بين خط ١٧° غرب جرينتش وهو الذى يمر بداكار بالسنغال وخط ١٢٥° شرق جرينتش ، وهو الخط الذى يمر بشرق أندونيسيا فينهما ١٤٢° درجة أى تسع ساعات وثمان وعشرون دقيقة ، فإذا رُئى الهلال بعد غروب الشمس فى داكار أمكن تبليغه إلى أندونيسيا قبل الفجر بساعة تقريبا ، وهى مدة يمكن فيها السحور وتبيت النية وستأتى لهذا الكلام بقية .

وأما النقطة الرابعة وهى عدم صحة التعويل على التقاويم ... فلا حاجة بنا إلى مناقشتها وإن كانت محل مناقشة فإن علماء المرصد عندنا يرسلون إلى فضيلة المفتى الموكول إليه إثبات أوائل الشهور - بيانا تفصيليا بوضع الهلال من غرب إفريقيا إلى شرق آسيا ، وهذا البيان دقيق جداً ويغنى عن النظر فى التقاويم المختلفة فإذا تقرر بالحساب الموثوق به أن الهلال فى الرباط من بلاد المغرب لا يمكث بعد غروب الشمس أصلا أو يمكث مقدارا أقل من سبع دقائق - علم أنه تستحيل رؤيته فى جميع الدول الإسلامية ، فلا يؤخذ بأقوال شهود الرؤية فى هذه الدول وهذه مسألة تكثُر فيها الحساسيات والعصبية التى تشبه ما كان فى الجاهلية الأولى فهى بحاجة إلى

فى جميع الحكومات الإسلامية » اهـ .

* * *

وهذه النقاط بحاجة إلى بعض الإيضاحات :

- أما النقطة الأولى وهى أن إثبات الشهور من باب الإخبار لا من باب الشهادة فهى تيسر على المسلمين كما أنها تيسر على القائلين بإثبات الشهور كما لا يخفى .

وأما النقطة الثانية ، هى أنه يكفى فى إثباتها خبر الواحد متى غلب على الظن صدقه ولم يكذبه الحساب الموثوق به القاضى باستحالة الرؤية - فهى نقطة جديرة بالاعتبار غير أنها تحتاج إلى تطبيق دقيق جدا ، وسيأتى مزيد تفصيل بهذه القضية .

وأما النقطة الثالثة وهى أنه لا عبرة باختلاف المطالع فهى جارية على رأى الجمهور وإن خالف فيها أكثر الشافعية وبعض الحنفية والمالكية والزيدية والإمامية ولكن جاء فى آخر الكلام عليها تقييد بلد الرؤية بكونه مشتركا مع البلد الذى يراد إثبات الشهر فيه فى جزء من الليل ولو يسيرا . والذى يرجع البصر فى البحث كرتين يتبين له أن هذا القيد ليس للاحتراز وإنما هولبيان الواقع ، فإن الدول الإسلامية التى

المعالجة بالحكمة - وسيأتي مزيد تفصيل

بهذه المسألة :

وأما النقطة الخامسة : وهي أن

الحساب المبني على وضع الهلال وإمكان

رؤيته بعد الغروب يصلح مناطا مستقلا

لإثبات الشهر فهو واضح لكن يجب التنبيه

إلى أن الحاسب لا يكفي بحساب مكث

الهلال في بلده بل يحسب مكثه في خط ١٧°

غرب جرينتش ، فإمكان الرؤية في الخط

المذكور يوجب ثبوت الشهر فيه وفي جميع

الدول الإسلامية إلى شرق أندونيسيا ،

واستحالة الرؤية فيه بموجب إكمال الشهر

ثلاثين يوما في جميع الدول والأولى - كما

سيأتي - اعتبار غرب أمريكا بدلا من غرب

إفريقيا

وأما النقطة السادسة وهي وجوب

إنشاء هيئة للتوقيت في كل بلد فهي

واضحة .

وأما النقطة السابعة : وهي تنبيه

واضعي التقاويم إلى أن ينوا أوائل الشهور

على إمكان رؤية الهلال بعد الغروب لاعلى

مكثه ولو دقيقة واحدة فهي واضحة

والمقصود إمكان الرؤية في غرب إفريقيا بأن

يمكث الهلال في دكا سبع دقائق أو

أكثر - ولنا كلام في هذا الموضع نذكره فيما

بعد إن شاء الله تعالى ؟

وصايا المؤتمر :

هذا ، ولما عرض البحث على المؤتمر

الثالث لجمع البحوث الإسلامية المنعقد في

جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦ هـ أوصى المؤتمر

بما يأتي :

(أ) يقرر المؤتمر ما يلي :

١ - أن الرؤية هي الأصل في معرفة

دخول أى شهر فمرى كما يدل عليه الحديث

الشريف فالرؤية هي الأساس لكن لا يعتمد

عليها إذا تمكنت فيها التهم تمكنا قويا .

٢ - يكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر

والاستفاضة كما يكون بخبر الواحد ذكراً كان

أو أنثى ، إذا لم تتمكن التهمة في إخباره

لسبب من الأسباب ، ومن هذه الأسباب

مخالفة الحساب الفلكي الموثوق به الصادر

من يوثق به .

٣ - خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ،

أما إلزام الكافة فلا يكون إلا بعد ثبوت

الرؤية عند من خصصته الدولة الإسلامية

للنظر في ذلك .

٤ - يعتمد على الحساب في إثبات

دخول الشهر إذا لم تتحقق الرؤية ولم يتيسر

الوصول إلى إتمام الشهر السابق ثلاثين

يوما .

(ب) يرى المؤتمر أنه لاعبرة باختلاف

وموريتانيا .

وشرط العمل بالرؤية ألا تتمكن التهمة فيها ، وأعظم شيء يمكن التهمة في الرؤية هو أن يدل الحساب الموثوق به من الحاسب الفلكي الثقة على عدم إمكان الرؤية في البلد الذي ادعى بعض أهله أنهم رأوا الهلال فيه - فهذه الدلالة الحسابية الفلكية اليقينية تدفع الإخبار بالرؤية بالخبر إما كاذب عمدا ، وإما واهم أو متخيل ! ؟ ويؤخذ من هذا الشرط أن السادة المكلفين بإثبات الشهور في الدول الإسلامية المختلفة يجب أن يكون عند كل واحد منهم علم سابق بوضع الهلال مأخوذ من حاسب ثقة ، ونعني وضع الهلال في الدولة نفسها وفي الدول الأخرى التي يجمعها مع الدولة جزء من الليل .

وهذا ليس بعسير ، ففي مصر مثلا معهد للأرصاء يقوم بحساب وضع الهلال في جميع الدول الإفريقية والآسيوية ، ويرسل حساب ذلك مفصلا موضحا إلى دار الإفتاء كل شهر ، ولا شك أن مدير هذا المعهد وأساتذته ثقات متخصصون لا يتطرق الشك إلى حساباتهم التي يؤيدها المرصد فيما بعد .

فلا يسوغ التشكيك في هذا الحساب ومعارضته بحساب بلاد أخرى ليس فيها

المطالع وإن تباعدت الأقاليم ، متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وإن قل ، ويكون اختلاف المطالع معتبرا بين الأقاليم التي لا تشترك في جزء من هذه الليلة .

(ج) يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الإسلامية أن يكون في كل إقليم إسلامي هيئة إسلامية يناط بها إثبات الشهور القمرية ، مع مراعاة اتصال بعضها ببعض والاتصال بالمراسد والفلكيين الموثوق بهم ! ؟

* * *

إيضاح هذه الوصايا :

(١) الوصية الأولى : العمل بالقرارات الأربعة الآتية :

١ - القرار الأول : أن الرؤية هي الأصل في معرفة دخول الشهر القمري لكن لا يعتمد عليها إذا تمكنت فيها التهم تمكنا قويا .

هذا القرار يبين أن الرؤية هي الأصل وليس المقصود رؤية البلد الذي يراد إثبات الشهر فيه ، بل المقصود - أخذاً مما يأتي - ما يشمل رؤية البلد نفسه ورؤية بلد آخر يجمعه معه جزء من الليل ، فأهل أندونيسيا مثلا يثبت الشهر عندهم بالرؤية في بلدهم أو في أي بلد آخر يجمعه وإياهم جزء من الليل كمكة ومصر وتونس والمغرب

يجعل أول الشهر سابقا بيوم على ما في التقويم المصرى - ولعل هذا يقرب شقة الخلاف بين تقويمنا وتقويم أم القرى الذى تسبق أشهره أشهرنا غالبا ، ولقد ضربت المثل بهذه المدينة والحاسبون أعلم منى بها ولعلمهم يختارون موقعا أبعد منها يكون عند خط مائة .

- فإن قيل : إن المدينة المذكورة وغيرها من بلاد أمريكا ليس فيها من يتراءون الهلال ولا الحاكم المسلم الذى يثبت عنده الشهر ؟

- قلنا : إن التقدم العلمى يقيم إمكان الرؤية مقام الرؤية ويقيم الثبوت بهذا الإمكان مقام الثبوت عند الحاكم المسلم ، والله عز وجل قال فى كتابه العزيز (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى من علم منكم بدء الشهر فليصمه سواء أكان العلم ناشئا عن رؤية أم حساب وسواء أكان بحكم حاكم أم لا ؟ !

٢ - القرار الثانى يكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر والاستفاضة ، كما يكون بخبر الواحد ذكرا كان أو أنثى إذا لم تتمكن التهمة فى إخباره لسبب من الأسباب ومن هذه الأسباب مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به الصادر من يوثق به .

هذا القرار صريح فى أنه يجب أن

مثل هذا المعهد ، ولا مثل هذا المرصد ، ولا مثل هؤلاء المتخصصين ، كما حدث فى الأعوام التسعة أو العشرة الماضية التى خولفت فيها حسابات مصر فى جميع الأشهر تقريبا ، فكل شهر من شهور تلك السنين كان أوله يسبق أول الشهر فى الحسابات المصرية مما أدهش جميع الناس حتى قالوا : إن المعهد الذى يخطئ فى حساب الأشهر أكثر من ثلاثين مرة فى نحو عشر سنين لا يصح أن يسمى معهدا بل يجب إغلاقه حتى يتعلم أساتذته كيف يحسبون وهذا أمر مؤسف جداً ، ونرجو من فضيلة المفتى الجديد أن لا ينسج على منواله .

غير أننا نرجو من السادة الحاسبين بمعهد الأرصاد أن يتخذوا بدل الرباط ومراكش موقعا غربيا أبعد يجمعه مع مصر ومكة جزء من الليل ، وليكن هذا الموقع مدينة « نيو أورليانز » الواقعة على خط ٩٠ غرب جرينتش فهذه المدينة بينها وبين مصر ١٢١ درجة وبينها وبين مكة ١٣٠ درجة ، والدرجة أربع دقائق أو جزء من خمسة عشر جزءاً من الساعة فيكون بينها وبين مصر ثمان ساعات وأربع دقائق ، وبينها وبين مكة ثمان ساعات وأربعون دقيقة ، وحساب وضع الهلال فى المدينة المذكورة كثيرا ما

موضوعي ، فإن الحساب الدال على إمكان الرؤية لا بد منه عند الرؤية وإلا كانت رؤية وهمية أو خيالية فالحساب إذاً معتمد عليه عند تحقق الرؤية لنفي التهمة عنها كما يعتمد عليه عند عدم تحققها ، ولكن في الحالة الأولى يقول مثبت الشهر : إن الشهر قد ثبت للرؤية ليكون عاملاً بحديث «صوموا لرؤيته ..» وفي الحالة الثانية يقول : غم علينا الهلال فقدردنا له فثبت الشهر للعلم بإمكان رؤيته لولا المانع عملاً بقوله ﷺ «فإن غم عليكم فأقدروا له» ويشترط في الاعتماد على الحساب شرط آخر وهو أن لا يتيسر الوصول إلى إتمام الشهر السابق ثلاثين يوماً ، وهذا الشرط معناه أن لا يدل الحساب على استحالة الرؤية في البلد وفي جميع البلاد التي تجتمع معه في جزء من الليل فإنه إن دل على استحالة الرؤية تيسر الوصول بل وجب الوصول إلى إكمال الشهر ثلاثين ، وهذا شرط شكلي أيضاً فإن الحساب إذا دل على استحالة الرؤية لزم من ذلك إتمام الشهر السابق ثلاثين ، فهذا الإتمام من لوازم الحساب لكن مثبت الشهر لا يقول : إن الشهر لم يثبت لاستحالة الرؤية بمقتضى الحساب وإنما يقول : إن الهلال قد غم علينا فوجب إتمام السابق ثلاثين عملاً بحديث فإن غم عليكم فأكملوا العدة

يكون القائم بإثبات الشهر مزوداً بالعلم بوضع الهلال قبل تلقى شهادة الشهود ، فهذا العلم المأخوذ من أقوال الفلكيين الثقات هو الذى يعرف به خطأ الشهود الذين يشهدون بالرؤية إذا دل العلم على استحالتها، ثم إن المقصود بالرؤية هو الرؤية في البلد الذى يراد إثبات الشهر فيه وفي كل بلد يجمعه معه جزء من الليل كما سبق .

٣ - القرار الثالث : خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ، أما إلزام الكافة فلا يكون إلا بعد ثبوت الرؤية عند من خصصته الدولة الإسلامية للنظر في ذلك .

هذا القرار واضح لا يحتاج إلى بيان ، والمقصود أن حاكم كل دولة ملزم دولته التى تحت حكمه لا غيرها

٤ - القرار الرابع : يعتمد على الحساب في إثبات دخول الشهر إذا لم تتحقق الرؤية ولم يتيسر الوصول إلى إتمام الشهر السابق ثلاثين يوماً .

هذا القرار معناه أنه يعتمد على الحساب الذى يبين إمكان أو عدم إمكان الرؤية في البلد أو في بلد آخر يجتمع معه في جزء من الليل ، ويشترط في اعتماد الحساب أن لا تتحقق الرؤية لغيم أو غبار في البلد والبلاد الأخرى التى يجمعها مع البلد جزء من الليل وهذا الشرط شرط شكلي لا

ثلاثين » والخلاصة أن الشرطين شكليان والحساب معتمد عليه في جميع الأحوال .

– ولنا تعقيب على عبارة هذا القرار حيث تضمنت هذه الجملة وهي « ولم يتيسر الوصول إلى إتمام الشهر السابق ثلاثين يوما » وهذه الجملة صعبة الفهم وقد شرحناها بما استطعنا وكان يغني عنها أن يقال : « يعتمد على الحساب إذا أمكنت الرؤية ولم تتحقق » والله أعلم .

(ب) الوصية الثانية من وصايا المؤتمر : « يرى المؤتمر أنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وإن قل ، ويكون اختلاف المطالع معتبرا بين الأقاليم التي لا تشترك في جزء من هذه الليلة »

هذه الوصية مبنية على مذهب الجمهور القائل « لا عبرة باختلاف المطالع » غير أن مذهب الجمهور لم يقيد بما قيدت به الوصية وهو قولها « متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية » وهذه كتب الفقهاء بين أيدينا ليس في شيء منها تقييد بهذا القيد .

ثم إن هذا القيد يحتمل احتمالين : الاحتمال الأول : أنه لا عبرة باختلاف المطالع بين الدول الإسلامية المتجاورة

المحصورة بين خط ١٧ غرب جرينتش وخط ١٢٥ شرق جرينتش فهذه الدول لا عبرة باختلاف المطالع بينها لأنه يجمعها جزء من الليل فرؤية الهلال ليلة الثلاثين في أقصى غربها كالمغرب وموريتانيا والسنغال يثبت بها الشهر في أقصى الشرق وإن لم يروا الهلال كأندونيسيا وماليزيا وباكستان ويكون المقصود من القيد توحيد أوائل الشهور في هذه المجموعة الإسلامية ويبقى بعد ذلك مسلمو أمريكا واليابان وشرق أستراليا فهؤلاء يعملون برؤية الهلال في بلدهم أو البلاد القريبة من بلدهم وقد يبلغهم خبر إثبات أوائل الشهور في مجموعة البلاد الإسلامية فيسلكون سبلهم عملا بقول الجمهور « إذا ثبت الشهر في بلد ثبت في جميع البلاد »

الاحتمال الثاني : أنه لا عبرة باختلاف المطالع بين الأماكن مطلقا سواء أكانت من مجموعة الدول الإسلامية المتجاورة أم غيرها متى كانت متحدة في جزء من ليلة الرؤية فمصر مثلا واقعة على خط ٣١ شرق جرينتش فلا عبرة باختلاف المطالع بينها وبين البلاد التي في أمريكا مثل نيو أورليانز الواقعة على خط ٩٠ غرب جرينتش فإنها يجمعها مع مصر جزء من الليل ، وكذا تجتمع المدينة المذكورة مع مكة الواقعة على

خط ٤٠ شرقاً في جزء من ليلة الرؤية .
وهذا الاحتمال هو ظاهر لفظ الوصية
وهو أوسع من الاحتمال الأول

والقيد على كلا الاحتمالين لاداعي إليه
فما أرى ولا دليل على التقييد به ولو حذف
لأدى إلى توحيد الصوم والإفطار وجميع
أوائل الشهور في الأرض كلها لا في مجموعة
الدول الإسلامية وحدها ، وليس ذلك
بعسير على الفلكيين فإنهم يستطيعون أن
يحسبوا مكث القمر بعد الغروب ليلة
الثلاثين في مثل «لوس أنجلوس» وغيرها
من البلاد التي في غرب أمريكا ولو بالقرب
من خط التاريخ الدولي^(١) ومتى عرفوا
وضع الهلال فيها أمكنهم أن يثبتوا أول
الشهر بها ليلة الثلاثين أو الليلة التالية ، فإذا
ثبت الشهر بها ثبت في جميع البلاد
الإسلامية وغيرها ، والنبوت بالحساب يغني
عن شهادة شهود وحكم حاكم وانتقال
قوم من بلد إلى بلد بالإخبار ، بل لا يحتاج
إلى انتقال الحاسبين إلى المكان الذي
يريدون التعرف على وضع الهلال فيه ،
ولعل حاسبي تقويمنا المصري يجعلون الشهور

مبتدئة من الليلة التي يمكن رؤية الهلال فيها
في غرب أمريكا بدلا من الليلة التي يمكث
الهلال فيها ولودقيقة في القاهرة فيسبق أول
الشهر غالبا مايجرى عليه العمل الآن
فلايغضب الناس إذا سمعوا من قاضينا أن
الشهر ثبت أوله مع عدم إمكان رؤيته
بالقاهرة وسائر البلاد الإسلامية - ونضرب
لذلك مثلا أول شهر ذى الحجة من العام
المنصرم ، فقد كان أوله بحسب إمكان
الرؤية في القاهرة وسائر البلاد الإسلامية
ليلة الخميس ، لأن الهلال غرب في مصر
وسائر البلاد الإسلامية قبل غروب الشمس
ليلة الأربعاء فكانت الليلة المذكورة ويومها
آخر شهر ذى القعدة عندنا وعند جميع
الدول الإسلامية ، ولكن القائلين بإثبات
أوائل الشهور في السعودية قضوا بأن أول
ذى الحجة ليلة الأربعاء بناءً على شهادة من
شهد عندهم بالرؤية مع أنها مستحيلة على
ماقره الفلكيون الثقات وحزن الناس وقالوا :
كيف يصدقون الشهود مع استحالة الرؤية
وكيف يقف الناس بعرفات يوم الثامن بدل
التاسع ؟ ويضحون يوم التاسع بدل
العاشر . . . ولو علموا أن ثبوت أول الشهر
في أقصى بلد غربي يستلزم شرعا عند
الجمهور ثبوت أول الشهر في جميع البلاد
الشرقية - لو علموا ذلك لأراحوا أنفسهم

(١) هو خط طول ٦٨٠ فإذا اعتبرناه غرب أمريكا
يكون اليوم مثلا يوم الجمعة أول الحرم الموافق لأول
ديسمبر وإذا اعتبرناه شرق آسيا فإن ذلك اليوم نفسه يكون
يوم السبت ثاني الحرم وثاني ديسمبر وتفصيل ذلك في
الكتب الجغرافية ! ؟

فإن الهلال الذى غرب قبل غروب الشمس ليلة الأربعاء بمصر ومكة وغيرها قد غرب بعد غروب الشمس فى الليلة المذكورة فى غرب أمريكا ومكث زمنا تمكن فيه الرؤية فثبت أول الشهر فى أمريكا وبثبوتها يثبت أول الشهر بمكة فأول ذى الحجة شرعا ليلة الأربعاء ووقوف الناس بعرفة كان يوم التاسع وتضحيتهم كانت يوم العاشر على الرغم من أن الشهود الذين زعموا أنهم رأوا الهلال ببلدهم كانوا كاذبين قطعاً ، ولكنهم صادفوا الحق ، وليس هذا تبريراً لصنيعهم فإن شهادة الزور من أكبر الكبائر كما لا يخفى ، ولعل هذه المصادفة من المعجزات لرسولنا ﷺ حيث قال « صومكم يوم تصومون وأضحاكم يوم تضحون » رواه البيهقى فى سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه ورواه الترمذى عنه بلفظ « الصوم يوم تصومون والفطر يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون » .

ولو فرضنا أنهم وقفوا بالثامن وضحوا بالتاسع فالله عز وجل أكرم من أن يبطل حجهم وأضحيتهم ، فإنهم فعلوا ما فى وسعهم ولم يكلفهم الله بالعمل بالحساب رحمة بهم .

(ج) الوصية الثالثة من وصايا المؤتمر :

« يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الإسلامية أن يكون فى كل إقليم إسلامى هيئة إسلامية يناط بها إثبات الشهور القمرية ، مع مراعاة اتصال بعضها ببعض والاتصال بالمرصد والفلكيين الموثوق بهم . »

هذه الوصية ظاهرة لاحتاج إلى إيضاح غير أننا نؤكد لزوم الاتصال بالفلكيين الثقافات والمرصد ، ونأمل أن يكون عند السادة العلماء القائمين بإثبات أوائل الشهور القمرية ثقة فى الحاسبين المتخصصين بحيث يجرءون على رد شهادة الشهود الكاذبين بالحكمة ، ولنضرب لذلك مثلاً :

— إذا كتب مدير معهد الأرصاد بمصر أنه لا مكث للهلال ولا تمكن رؤيته بها ولا بغرب إفريقيا ولا بغرب أمريكا فى ليلة الثلاثين : فمعنى هذا أن الشهود الذين يشهدون بالرؤية فى بلد من البلاد كاذبون فلا تقبل شهادتهم ، ولا الأحكام المترتبة عليها . ولكن التصريح بهذا يغضب القضاة المتعصبين لرؤية أهل بلدهم ولو كانت مخالفة للواقع ، فالحكمة تقتضى :

أولاً : إعلام قضاة البلاد بعدم إمكان الرؤية قبل الشهر بأسبوعين أو بثلاثة أسابيع

السبب الثاني : إكمال الشهر ثلاثين عند من غم عليهم الهلال بغيم أو غبار وعدم إكماله عند من لم يغم عليهم

السبب الثالث : اعتبار اختلاف المطالع فالدول التي لم تر الهلال تكمل الشهر ثلاثين غير ناظرة إلى الدول الأخرى التي رأت الهلال فجعلت الشهر تسعا وعشرين .

ثانيا : عدم الاتصال بهم في ليلة الرؤية .

ثالثا : الاكتفاء بالقول بأن المستطلعين عندنا لم يروا الهلال ، وأن أهل الخبرة أثبتوا أن الهلال لا يمكن رؤيته في هذه الليلة بجميع البلاد فعلى هذا يبدأ الشهر من الليلة التالية .

* * *

(ج) وأما علاج هذه المشكلة فيتلخص في مبدئين :

المبدأ الأول : اعتبار جميع الدول الإسلامية المحصورة بين خط ١٧ غ و ١٢٥ ش كأنها دولة واحدة فإذا أمكنت رؤية الهلال في أقصى دولة غربية فيها كالغرب وموريتانيا والسنغال ليلة الثلاثين ثبت الشهر في جميعها وإن لم تمكن وجب إكمال الشهر ثلاثين في جميعها .

المبدأ الثاني : القضاء على شهادة الزور التي تقدم الشهر عن مواعده الشرعي يوما أو يومين والقضاء على التأخير كذلك يوما أو يومين بسبب الغيم أو الغبار .

— ولا يقضى عليهما إلا الاعتماد على الحساب الموثوق به من حاسبين ثقافت يحسبون سير القمر ويعرفون زمن مكثه بعد الغروب في جميع هذه الدول على أنهم يكفهم أن يعرفوا مكثه في أقصى دولة

وأختم هذا المقال ببيان المشكلة وأسبابها وعلاجها بإيجاز :

(١) أما المشكلة فهي تفرق الدول الإسلامية في أوائل الشهور ، فيما يكون أول شهر رمضان مثلا الخميس عند قوم يكون الجمعة عند آخرين والسبت عند فريق ثالث والأحد عند فريق رابع مع أن القمر لا يجتمع مع الشمس إلا مرة واحدة كل شهر فيجب أن يكون مبدأ الشهر واحدا في جميع البلاد .

(ب) وأما أسباب هذه المشكلة فهي ثلاثة :

السبب الأول : الشهادة بالرؤية من قوم توهموا أو تخيلوا أو تعمدوا الكذب فيقضى القضية بشهادتهم تحسنا للظن بهم فيتقدم الشهر يوما في البلاد التي اعتمدت على هذه الشهادة دون البلاد التي لم تعتمد عليها فلا يتوحد أول الشهر .

غربية منها فإن من الحقائق التي لا يشك فيها اثنان أن استحالة الرؤية بالغرب تقتضي استحالة الرؤية بالشرق ، فإذا حسبوا وضع الهلال في هذه المنطقة الغربية فعرفوا أنه لا يمكن رؤيته فيها أثبتوا أنه لا يمكن رؤيته في مجموعة الدول كلها ، فيكون كل من شهدوا بالرؤية فيها مخالفين للواقع ، وإذا عرفوا إمكان الرؤية في هذه المنطقة الغربية عرفوا ثبوت الشهر فيها ومتى ثبت الشهر فيها ثبت في جميع الدول ، إذ لا عبرة باختلاف المطالع ، وحينئذ يقضى على الإكمال بالغيم أو الغبار أو عدم الرؤية بأى سبب كان ، فلا يتأخر الشهر عن مواعده الشرعى ، فالحساب هو العنصر الحاسم الذى به يتوحد الشهر في مجموعة الدول الإسلامية إما بثبوته ليلة الثلاثين لإمكان رؤيته في الغرب وإما بثبوته في الليلة التالية بعدم إمكان رؤيته في الغرب .

- وبهذا يتبين أنه يجب أن يكون عند السادة المكلفين بإثبات الشهور أرضية أو خلفية أو معلومات يقينية أو شبه يقينية بوضع الهلال في بلدهم وفي أقصى موقع غربي كالسنغال وموريتانيا والمغرب وأن تكون هذه المعلومات مأخوذة من حاسب موثوق به سواء أكان من أهل البلد أم من غيرهم وألا يعارضوا هذا الحساب بحساب

آخر للتوصل إلى سقوطها والعودة إلى استجداء الرؤية والشهادة ممن دلت التجارب على مخالفتهم للواقع - وبهذه المعلومات يعلمون مقدما أنهم سيثبتون أول الشهر لإمكان رؤيته في بلدهم ، أو سيثبتونه لإمكان الرؤية في الموقع الغربى ، أو سيجعلون أوله من الليلة التالية لعدم إمكان رؤيته في مجموعة الدول .

- فإذا استقرت عندهم هذه المعلومات قبل الشهر بثلاثة أسابيع أو أسبوعين أو أسبوع فليتصل بعضهم ببعض قبل الشهر للإعلام والاستعلام ، لا ليرجع واحد منهم عن معلوماته بغير اقتناع ، فإن هذا ليس من الدين ، وقد قال رسول الله ﷺ « استفت نفسك وإن أفتاك المفتون » رواه البخارى في التاريخ والإمام أحمد في المسند عن وابصة بن معبد بسند صحيح ، ومعلوم أن هذا خطاب لمن شرح الله صدره بنور اليقين .

- والحذر الحذر من اتصال بعضهم ببعض ليلة الثلاثين فإن هذا الاتصال مجلبة للقليل والقال ، لأنهم إن اختلفوا بعده كانوا كالمتخاصمين ، وإن اتفقوا كان في الاتفاق تخلى بعضهم عن معلوماته بغير اقتناع !؟ - وفي ليلة الثلاثين يندب كل واحد منهم

أم لا - كما سبق - فعلى هذا يحسب الحاسبون وضع الهلال في أقصى موقع غربي ممكن مثل البلاد الواقعة في غرب أمريكا الوسطى أو الجنوبية ، فإن اقتضى الحساب أن الهلال يكثر بها بعد غروب الشمس ليلة الثلاثين بحيث تمكن رؤيته ثبت الشهر في هذا الموقع وفي جميع بلاد الأرض وإن كان بعضها لم ير الهلال ، وإن لم يقتض الحساب مكثا بهذا الموقع الغربي أو اقتضى مكثا لامتكن معه الرؤية كخمس دقائق لم يثبت الشهر في الليلة المذكورة ، بل يكون في الليلة التالية في جميع بلاد الأرض .
وهذا تتوحد أوائل الشهور في جميع الدنيا لا في المجموعة المحصورة بين إفريقيا وآسيا فقط ! ؟

* * *

- والرأى بعد هذا للسادة أعضاء مؤتمر مجمع البحوث إن رأوا تعديل ما أوصوا به في المؤتمر الثالث .
والله الموفق إلى سواء السبيل .
على حسن البولاقي

رجالا موثوقا بهم استطلاعا للهلال لزيادة الاطمئنان وسيخبرونهم بما يتفق مع معلوماتهم إن كانت صحيحة .
- فإن أخبروهم بالرؤية وكانت ممكنة أثبتوا أول الشهر بناءً على الرؤية .
- وإن أخبروهم بعدم الرؤية حكموا بإكمال الشهر ثلاثين لعدم تحقق الرؤية إن كانت مستحيلة في الموقع الغربي .
- فإن أخبروهم بعدم الرؤية وكانت ممكنة في الموقع الغربي : حكموا بإثبات الشهر بناء على أنه لا عبرة باختلاف المطالع ! ؟

* * *

وقبل إلقاء القلم : أذكر القارئ الكريم بأن المبدأ الأول الذي ذكرته هنا وهو اعتبار الدول الإسلامية المحصورة بين غرب إفريقيا وشرق آسيا كدولة واحدة : هو المعمول به حتى الآن ، وفي رأى - كما سبق - اعتبار الأرض كلها كدولة واحدة ، فإن مذهب الجمهور أن ثبوت الشهر في موضع من الأرض يقتضى ثبوته شرعا في جميع بقاع الأرض سواء أكان يجمعها جزء من الليل

الفقه الإسلامى بين المثالية والواقعية

الدكتور/ محمد مصطفى شلبى

٣

غاية الأخلاق

والقوانين بدونها لا تغنى غناءها ولا تحقق هدفها^(٢).

فلو تصورنا مجتمعاً ترك فضيلة الصدق ، وتخلق بنقيضه وهو الكذب ،

بقي الأمر الثانى وهو جعلهم غاية الأخلاق غاية مثالية هى تهذيب النفوس دون ان يكون لها أثر فى تنظيم المجتمع .

وهو مردود كسابقه ، لأن الشارع حينما شرع الأخلاق لم يقصد بها إعداد النفوس

البشرية لتكون ملائكة تحلق فى عالم الروح بعيداً عن المجتمع الواقعى ، بل قصد بها

تهذيب النفوس لتكون نفوساً خيرة غير شريه ، فيصلح المجتمع الذى يتكون

منها ، وما المجتمع إلا بناء ضخم لبناته الأفراد فإذا كانت اللبنة صالحة كان البناء

سليماً^(١) ، وإذا فسدت اللبنة أو بعضها كان البناء عرضة للانهيار فى كل حين ،

فأثر الأخلاق بين واضح فى تنظيم المجتمع ،

(٢) ولقد اعترف بعض الفقهاء الغربيين بأثر الأخلاق الظاهر فى تحقيق القانون غايته ، فالفقيه الفرنسى ريبير فى كتابه « عن القاعدة الخلقية فى الالتزامات المدنية » كما نقل عنه الدكتور كيرة فى أصول القانون ص ٤٠ - يذهب إلى أنه لا يوجد فارق بين القانون والأخلاق لا من حيث الغاية ولا من حيث النطاق ، فقواعد القانون كلها محكمة بالأخلاق ، وهو ما يعطيه سنداً متيناً من الشرعية والإلزام فى نفوس الأفراد يجعلها أكثر قبولاً ومراعاة فى التطبيق العملى ، وبعد أن بين أن الأخلاق فى صراع مستمر على التسلل إلى القانون لتوجيه حكمه قال : إن الغلبة فى النهاية لابد مكتوبة للأخلاق طالما يفقد القانون الأساسى المائلى ، وطالما يوجد رجال يؤمنون ويكافحون فى سبيل سيادة المثل الأخلاقية .

وفى كتابه عن « القوى الخلاقة للقانون » يحذر من انحراف القانون عن قواعد الأخلاق لما شهده من هذا الانحراف فى السنوات الأخيرة - ويؤكد استمساكه بالأخلاق كأساس للقانون وكعاصم مما يتهدد المدنية من انتشار هذه الظاهرة . .

(١) أو كما يقول أستاذنا الأكبر فى كتابه نظرية الإسلام فى بناء المجتمع « وما المجتمع فى واقعه إلا الأفراد التى هى لبناته ومنها يتكون ، وما الأفراد فى واقعها إلا المجتمع الذى منها يتكون ، فبقدر صلاح الأفراد يصلح المجتمع وبقدر فسادهم يفسد المجتمع » .

فالعفو يولد العفو ، والتسامح يقتل عداوة النفوس (ادفع بالتى هى أحسن فماذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) والإحسان يأسر النفوس ويجلب المحبة والألفة وحب الخير للناس وينتزع الغل والحقد من النفوس ! ؟

وهل ينكر عاقل مالم يحياء من أثر فى عصمة النفوس ومنعها عن ارتكاب المخالفات ، وأنه إذا انعدم الحياء أو قل فى مجتمع انعدم فيه الخير أو ندر ، فتكثر الموبقات ، وقديما قيل : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وهل يستطيع إنكار مالم لا خلاص فى العمل من أثر فى رقى المجتمع وتقدمه ، ومالم العزة والكرامة والحذر والاحتياط من الإبقاء على استقلال الشعوب واحتفاظها بهيبتها ؟ ؟

وهكذا تسهم كل فضيلة فى بناء السلام والاستقرار ، وبعبكسها تكون الرزيلة معولاً يهدم صرح الأمن والطمأنينة ، فماذا نبغى من الأخلاق وراء هذا كله ؟ ؟

نعم إن أثرها الأول يظهر فى النفوس فيطهرها ، ثم ينتقل ذلك الطهر إلى المجتمع فينقيه من الأدران ، فيصبح بذلك مجتمعا صالحا يأمن كل واحد فيه على نفسه وماله وعرضه .

ثم إن الأحكام العملية ذاتها وإن قصد

والكذب قلب الحقائق أو الأخبار بما لا يطابق الواقع . كما يقول علماء الأخلاق . فماذا يكون مصير العلاقات فى هذا المجتمع الكذاب ، وأى فائدة للقوانين فيه ؟

وكيف تصل الحقوق إلى اصحابها مع هذا الكذاب المفسد للذمم ؟

ألم توجب القوانين كلها تخليف المدعى عليه إذا انعدمت البينة ؟

فأى فائدة لليمين مع انعدام الصدق ؟ بل أى فائدة للشهادة التى تبني عليها الأحكام مع عدم الاطمئنان إلى صدق الشهود ؟ ^(١)

ولو تجاوزنا ذلك وتصورنا مجتمعا عمت فيه النميمة وحب الانتقام واستباح كل واحد أن يتقول على غيره ما يحلو له غير متقيد بميزان الخلق ، وقابل للمفتى عليه ذلك بالانتقام من المفتى ، فماذا يكون نصيب ذلك المجتمع من الأمن والسلام والاستقرار التى تنشدها القوانين ! ؟

ألم يكن العفو والتسامح والإحسان إلى الغير وحب الخير لهم من دعائم الاستقرار فى المجتمع .

(١) ولقد أدرك المشرع الوضعى هذا الخطر فرتب على شهادة الزور عقوبات تختلف تبعاً لاختلاف المشهود عليه والأثر الذى يترتب عليها ، فقد تكون : السجن ، أو الأشغال الشاقة المؤقتة أو المؤبدة - وقد تصل إلى الإعدام راجع المواد ٢٩٤ - ٢٩٩ من قانون العقوبات .

ويشعر الغنى بمرارة الحرمان ، فيلين قلبه عطفاً على المحتاجين .

ولا يخفى على منصف مافى تشريع المعاملات فى الإسلام من نواح خلقية ، إذا تأملها بعين واعية . فالربا الذى حرمه الإسلام : يهدف إلى حماية المجتمع من شر الأنانية وحب الذات والتحكم فى الغير وسلب أمواله بدون وجه حق ، ويث روح التعاون فتطهر النفوس وتتحلى بثوب القناعة .

ولما فى الربا من خطر على المجتمع تواعد الله فى كتابه المرابين بإعلان الحرب عليهم فى الدنيا (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) ^(٢) وبالعقاب الشديد فى الآخرة (ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ^(٣)

وأعلن رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع إهدار ربا الجاهلية ، وانه موضوع تحت قدمه فقال : ألا إن كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ، وربا الجاهلية موضوع كله ، وأول ربا أضعه ربا عمى عباس بن عبد المطلب ^(٤)

ولم يقتصر تحريمه على هذه الأمة بل قد

بها تنظيم العلاقات أولاً فهى تعود فى غالب صورها إلى النفوس بالتهذيب لتقوى العلاقات ، وتقوم على دعائم متينة ! ؟ ألا ترى معى : أن الصلاة وهى مظهر من مظاهر العبودية لله يتعدى نفعها إلى المجتمع ، فالنفس إذا خضعت لله وذلت له ، وأيقنت بمراقبته سمت بذلك وترفعت عما يضر المجتمع ، كما صرح بذلك القرآن (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ^(١) ومن هنا قال رسول الله ﷺ فى شأنها « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » ! ؟

والزكاة وهى ضريبة اليسار فى الإسلام التى شرعت لتحقيق التعاون بين الأغنياء والفقراء ، لها أثر كبير فى تهذيب النفوس ، فتغرس المحبة فى قلوب الفقراء بعد أن تستل منها رذيلتى الحقد والحسد لأرباب الأموال ، كما تنتزع رذيله الشح والحرص على المال من نفوس الأغنياء ، ثم تحليلها بفضيلة البذل والعطاء ، وبهذا وذاك تتلاقى النفوس على الخير ، ويعم الأمن والاستقرار مجتمع الناس .

ولا يقل الصيام عن ذلك ، فهو مران على فضيلة الصبر ، وجهاد النفس الذى سماه الرسول الكريم : الجهاد الأكبر ،

(٢، ٣) البقرة - ٢٧٩ ، ٢٧٥ .

(٤) امتاع الأسماع للمقرئ ج ١ ص ٥٢٣ .

(١) العنكبوت - ٤٥ .

حرمه الله فى الشرائع السابقة ^(١) وهو دليل قبحه الدائم ، وقل أن يخلو تشريع إسلامى من مراعاة الجانبين .

جانب الفرد وجانب المجتمع وإن اختلف فى أيهما قصد أولاً ، وأيهما يأتى فى المرتبة الثانية ، وهو بذلك يبحث جذور الفساد ، ويبنى المجتمع بناء سليماً من العيوب ، ولاغرو فصدره الأول وحي الله الذى يملك الظاهر والباطن ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فهو أعلم من غيره بما ينفعه فى ظاهره وباطنه ، وقد قال سبحانه - عند خلق آدم - رداً على استفسار ملائكته عن الخليفة الذى يكون فى الأرض (إنى أعلم ما لا تعلمون) ^(٢)

وبمقارنة بين تشريع الإسلام والتشريع

(١) لقد صرح القرآن بتحريمه على اليهود (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل) ، (المائدة ١٦٠ ، ١٦١) .

ويقول ابن كثير فى تفسيره ج ١ ص ٥٨٤ «إن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه ، وأخذوه واحتالوا عليه بأنواع الخيل» .

ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ج ٣ ص ٣٩٤ عند تفسير الآية السابقة : «قالوا : والربا محرم فى جميع الشرائع» .

وروى الكاسانى فى بدائع ج ٢ ص ٣١٢ «أن رسول الله كتب إلى مجوس هجر : إما أن تذرؤا الربا أو تأذنوا بحرب من الله ورسوله» .

(٢) البقرة : ٣٠ .

الوضعى فيما يتعلق بجريمة ماسة بالعرض - والشرف والنسب « جريمة الزنى » تلك الجريمة الخلقيه الفاضحة : نجد الفرق بينها شاسعاً .

فالتشريع الوضعى أباحها فى الأصل ، بل ونظمها بفتح بيوت البغاء الرسمى ، وقد فتحت فى بلدنا الإسلامى ، وبقيت مفتوحة إلى عهد قريب ، ثم أغلقت ، وإن كان إغلاقها لم يؤثر إلا فى منع إعلانيتها فقط ، وإلا فالقانون لا يزال يحميها ويغضض عينه عنها . حيث لم يفرض عليها عقوبة إلا فى حالات خاصة ، حالة الإكراه ، وفى فراش الزوجية ، والصغيرة التى لم تبلغ سن الثامنة عشرة - وفيما عدا ذلك لاعتقاب ، بل لامؤاخذه مادام الرضا متوفراً بين الزانى والمرأة البالغة سن الزواج ، بعيداً عن فراش الزوجية ^(٣) .

وأحكامها تلخص فى أن العقوبة لاتوقع على الزانية إذا حدث الفعل برضاها وكانت غير متزوجة ، أو كانت متزوجة ولم يرفع زوجها الدعوة عليها ، أو رفعها ولم تسمع منه لسبب ما ، أو رفعها وسمعت منه ولكنه أوقف الإجراءات ، أو أوقف تنفيذ الحكم برضاها بمعاشرتها . والرجل لا يعاقب

(٣) راجع المواد - ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ،

٢٧٧ من قانون العقوبات .

إذا زنى بامرأة غير متزوجة أو متزوجة ولم يرفع زوجها الدعوة عليها ، أوقفها ولم تسمع منه لسبب ما ، والمتزوج لا يعاقب إذا ارتكبها بعيداً عن منزل الزوجية ، أو فيه ولم ترفع زوجته الدعوى عليه .

ولم يلتفت المشرع الوضعي للآثار السيئة التي تترتب على هذا الفعل من اختلاط الأنساب ، وكثرة وجود الأولاد غير الشرعيين الذين تردح بهم الملاجئ ، والعار الذي يلحق الطرفين بما يجره التماذى في هذه الفعلة الشنيعة من استخفاف بالأعراض وإهدار كرامتها .

ولعل السر في سلوك قانوننا الوضعي هذا المسلك هو أنه مستمد في أصله من القانون الفرنسي الذي تأثر واضعوه بعادات بلادهم وتقاليدها ، فهي لا تعتبر هذه الفعلة جريمة إلا إذا صحبها إكراه أو كانت في فراش الزوجية . . . وهل مثل ذلك يستسيغه العقل في بلادنا ذات التقاليد والعادات المغايرة تماماً لما عند الفرنسيين ؟ ؟ أما التشريع الإسلامي فقد اعتبرها جريمة في جميع صورها يستحق فاعلها العقوبة المقررة متى ثبت وقوعها بدليل صحيح من إقرار أو شهادة - يستوى في ذلك الرضا والإكراه في فراش الزوجية أو بعيداً عنه ، رضى الزوج بذلك أو لم

يرض ، بلغت المزنى بها سن الزواج قانوناً أو لم تبلغه (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)^(١)

وفي هذا التحريم الشامل والعقاب الزاجر : اقتلاع لبزور هذه الفعلة الدينية من أرض المجتمع الطاهرة^(٢) .
وبهذا ظهر لنا أن عنصر الأخلاق في التشريع الإسلامي لا يبعده عن الواقع بل هو عامل من عوامل واقعته وصلاحيته لسياسة المجتمع .

وإذا بطلت شبهاتهم الأولى إلى شبهتهم الثانية - وهي تأثره بعنصر الدين - لنكشف عما بها من زيف . . .

د . محمد مصطفى شلبي

(١) سورة النور : ٢ .

(٢) ويلاحظ أن مجرد تقدير العقاب الشديد كاف في الزجر عن الجريمة ، ولا يلزم من تقريره إقامته في كل حالة ، لأن الشارع بعد تقريره تلك العقوبة احتاط في إقامتها احتياطاً يجعل توقيعها نادراً كما سيأتي توضيحه فيما بعد . . .

في مواجهة الإلحاد المعاصر "عقائد العلم"

الدكتور محيى هاشم

يقول الدكتور جيمس . ب . كونانت
في كتابه « مواقف حاسمة في تاريخ العلم » :
إنه ليس بين الملاحدة واللا إدريين من
كان في قلبه من الإيمان باطراد الطبيعة
واتساقها ما يكفي لممارسة العلم : وتجارب
العلماء .

ويقول أينشتاين :

« إن العلم لا يخرعه إلا أولئك
المتشبعون تماماً بحب الحق والإدراك السليم
وهذا المصدر من مصادر الشعور ينبع من
ميدان الدين . ويتصل بهذا الميدان أيضاً
الإيمان بأن القواعد التي تنطبق على عالم
الوجود معقولة . أى يمكن إدراكها
بالعقل .

ولا أستطيع أن أتصور عالماً حقاً بغير
هذا الإيمان العميق . ويمكن التعليق على
هذا الرأي بهذه الصورة : العلم بغير دين
أعرج ، والدين بغير علم أعمى »

« ويقول دكتور جون كيميى في كتابه
« الفيلسوف والعلم » :

« إن العالم يبحث عن قوانين الطبيعة ،

نظراً لأن الخصم الذى نصاله في هذا
البحث « الإلحاد » يهاجم « الدين » باسم
العلم ، دون أن يبرأ من اعتناق نوع من
« الدين » الزائف ، فقد رأينا أن نكشف
عن هذا التناقض بين ما يتصف به ، وبين
ما يدعيه ، ولذلك فإنه يصبح من الجائز لنا
أن نقصد بالدين في هذا الباب . . المعنى
العام ، الذى لا يختص بالدين الصحيح ،
وإنما يشمل أى نظام من المعتقدات تتوفر لها
الخصائص التالية كلها أو بعضها :

أولاً : أن تقوم على إيمان أولى .

ثانياً : أن تقوم على التسليم بوجود غيبى
غير خاضع للإدراك الحسى المباشر أو غير
المباشر .

ثالثاً : الإيمان بأصل للكون يتصف
بالقدم والخلود .

رابعاً : وترجع إليه الأشياء في طبيعتها
وقوانين وجودها .

خامساً : انتظار الحياة المؤجلة التي
يستكمل فيها ما نقص من هذه الحياة
الحاضرة « الآخرة » . .

« وهذه النظرة الكونية العلمية التي عرفت في نهاية القرن التاسع عشر كانت بالطبع إيمانا يمكننا أن نصفه بأنه ضرب من التشبث . »

« لقد كان من المستحيل تقريبا أن يتجنب الباحث انتخاب حقائقه التي يريد على نور نظرية سبق أن اعتقد بها . »

ويقول : كونانت :

« إن باستور كان يدفعه في كل ما صنع إيمان عنده قوى بالفروض يتدعها من عند نفسه ، وكان إيمانه الشديد تسنده أشياء أخرى غير الحقائق ، وما يخرج منها بالمنطق . . . »

فهذا مثل لما أعنى ، حملة إلى النصر فيه الإيمان القوى الذى لم يعتمد فيه إلا على الدليل القليل . »

ويقول د . جون كيمنى :

« مهما تكن الوسيلة التي نعتمدها لتشكيل النظريات فلن نحيط علما بأكثر من أن النظريات قد طابقت المشاهدات الماضية وأن علينا أن نؤمن بأنها ستكون كذلك في المستقبل . إنه بينما يجب علينا أن نقبل بصحة فرضيتنا عن إيمان بها نستطيع التنويه بأنه لو لم تكن فرضية ما صحيحة لغدت الحياة البشرية مستحيلة وإن الطبيعة

لأن بحثه يكون عقليا لو لم تكن ثمة قوانين طبيعية إذن بالافتراض الأساسى في العلم برمته هو أن هذه القوانين موجودة بالفعل . »

ويقول الدكتور هرمان راندل في كتابه « تكوين العقل الحديث » :

« إن العلم الحديث ولد من إيمان في تفسير الطبيعة الرياضى أخذ العلماء به طويلا قبل أن يثبتوه بالتجريب . . »

يلتبه هذا الإيمان قويا في كتاب ليوناردو « قطع أدبية وفلسفية » .

إذ يبدو فيه مقتنعا بأن كل قوة في الطبيعة تنتهى إلى نتائج من نوع معين وتفصح عن ذاتها في نظام معين .

فالضرورة هي قيد الطبيعة الأبدى وقاعدتها لأن « الطبيعة محكومة بقانونها الذى يعيش مبنوثا فيها » ومع أن اكتشاف جوهر هذه القوى - وهو الذى هدف الأرسطوطاليسيون إلى البحث عنه - قد يكون في غير متناول البحوث الإنسانية غير أن نتائج فعلها يمكن أن تعرف ، إن تحديد ماهية العناصر ليس في مقدور الإنسان ولكن الكثير من نتائجها معروف وتعرض قوانين الطبيعة ذاتها في طريق ثابت لا تتغير وفيه تتبع كل نتيجة سببها . . »

يقول راندال :

وحتى إذا تبين لنا أن تكهناتنا غير صحيحة فلا يمكن لنا أن نتأكد أى النظريات هي الخاطئة إلا أننا واثقون من أن نظرية ما هي نظرية خاطئة - وعليه نعود إلى البحث عن أبسط الطرق لتحسين مجموعتنا من النظريات .

إنه بإمكاننا أن ننقد أى نظرية ولكن على حساب جعل النظريات الأخرى أكثر تعقيداً ومن أجل هذا ، يكثر من يذهب إلى أن كل تجربة هي في الواقع امتحان لمعرفتنا قاطبة .

ولنأخذ مثالا على ذلك من حياتنا اليومية .

فنحن ما فتتنا نسمع الكثير عن الصحون الطائرة . .

هنالك فرضية تقول بأن هذه الصحون الطائرة هي قذائف من الفضاء الخارجي . إلا أنني أود أن أثبت بأنى لو أردت القول بأن لهذه الصحون سببا أرضيا ، فلن يثنى عن اعتقادى أى دليل . ! !

ففى إمكانى أن أعدها وهما جاعيا فحسب . .

وإذا قيل إن شاشة الرادار قد تبينت وجودها منذ عهد قريب كان فى وسعى رد ذلك إلى أن عامل الرادار هو نفسه مصاب بالوهم وخداع الحواس .

لو صممت بشكل يجعل الاستقراءات المعقولة تبدو ، فى النهاية ، خاطئة باستمرار لاختفى الجنس البشرى خلال مهلة قصيرة . إنه قد لا يمكن أن نسوغ فرضية معينة ، إلا أن علينا أن نؤمن بفرضية على شاكلتها إذا أردنا للحياة أن تغدو ممكنة . »

ويقول ولیم جیمس فى كتابه العقل والدين :

« نحن نؤمن كل الإيمان بأن الأشياء حتى ما يبدو منها كثير التعقيد والاضطراب لابد أن يصاغ يوما فى قاعدة جلية واضحة . . . »

التحقق من النظريات العلمية يخضع للإرادة والإيمان :

مفتاح التحقق من النظريات هو أننا لا نتحقق منها البتة هذا ما يقرره الدكتور جون كيمنى ، يقول : لأن ما نتحقق منه هو المتربات المنطقية للنظرية .

فالتحقق هو عملية التأكد من أن ما قد تكهنا به هو فى الواقع كذلك . ولما كنا لا نستطيع سوى مشاهدة حقائق منفردة . . . فإن علينا أن نتحقق من المتربات المنفردة لنظرية ما وليس النظرية بالذات .

وإذا حملنى أحد ركاب هذا الصحن
وحلق بى إلى الفضاء الخارجى فإنه يمكنى
أن أقول بأن الآلة التى أركبها قد حملتنى فى
رحلة صاروخية عرض على خلالها شريط
سينمائى شعرت معه كأننى أنظر إلى الأرض
وهى تتباعد عنى .

وحتى لو حط الصحن بى فوق سطح
المريخ فإنه يمكن لى أن أعلل ذلك بأننى قد
وقعت تحت تأثيره المغناطيسى .

وإذا عيل صبر القارئ من ارتياى
بالأمور فمرد ذلك إلى أنه بلغ نقطة يعدو فيها
القبول بوجود هؤلاء المسافرين بين
الكواكب السيارة أسهل من تعديل
نظريات أساسية . غير أننى آمل أن أكون
قد أقنعت القارئ بأنه يمكن لنا منطقياً ، أن
ننقذ نظرية ما إذا كنا على استعداد للتخلى
عن نظريات أخرى .

والسبب فى ذلك هو التالى :

يجب علينا حين نحاول التحقق من
صحة نظرية ما : أن نستخلص متربات
لهذه النظرية يمكن التحقق من صحتها عن
طريق الملاحظة . .

ويلزم لهذه المتربات أن نستعين لها بعدة
نظريات ، فإذا لم تتطابق هذه المتربات مع
الخبرة الحسية فإن السؤال الذى يتبادر إلى
ذهننا هو :

وإذا أكد الكثيرون رؤية هذه
الصحن على شاشة الرادار أمكن لى أن
أفترض وجود تأثير كهوى مسبب عن كثرة
أجهزة الإرسال التلفزيونية التى تؤدى كثرة
عددها إلى تشكيل هذه « الصحن »
وصورها على شاشة الرادار .

ولاشك أن هذا قد يتضارب مع
ما نعرفه حول العلم الكهوى إلا أننى
أستطيع تعديل النظرية الكهربية المغناطيسية
لإنقاذ فرضيتى المفضلة .

ومازلت على استعداد لتعديل عدد
كاف من النظريات الأخرى . .

أما إذا أسقطت قذيفة من هذا النوع
بالفعل فإنه يجب على عندئذ أن أطرح جانباً
الفرضية القائلة بأن الأمر كله وهم .
إلا أننى أستطيع الافتراض بأنها أتت
من بلد آخر من بلدان العالم .

وإذا تبين أن بداخل « الصحن » الطائر
كياناً حياً يختلف عن كل ما نعرف فإنه
لا يزال بإمكانى أن أفترض بأنه قد جاء من
جزيرة مجهولة أو حتى من جوف
الأرض . .

إلا أن افتراض وجود الحياة فى جوف
الأرض الحار يتطلب تعديل عدد من
النظريات فإذا لم أتردد فى ذلك أمكننى أن
أنقذ فرضيتى المفضلة .

الوصف المطول لتعاقبات الانطباع الحسى» .

ويقرر هرمان راندال أن الإيمان الرومانتيكى كان هو الضامن للأفكار الأساسية التى كتب لها أن تكون مقولات علم التطور الجديد .

وأنه من هذه الرومانتيكية جاء الحافز الأعظم لدراسة الإنسان والعالم من ناحية النمو الوراثى . ثم يقول مصرحاً : -

« وهذا هو الدين العظيم الذى يدين به العلم للمذهب اللاعقلى » .

ثم يوضح لنا أن الإيمان بالتطور والتقدم كان أقوى من الشك ، وأقوى من العلم وكما يقول « لم يعد التقدم فى نظر أصحاب مذهب التطور الأوائل شيئاً يتوقف تحقيقه على الجهود الإنسانى .

بل أصبح أمراً محتوماً . لقد شك تنيسون - وهو الذى عبر عن إيمان عصره بقواف شعبية - شك فى الخلود بل وفى الله : ولكنه لم يشك أبداً فى التقدم » .

أما هربرت سبنسر فقد ذهب ، إلى أبعد من ذلك ، إذ اعتقد أن التقدم لم يكن مجرد ظاهرة إنسانية بل هو القانون الأساسى للطبيعة بأسرها .

فالنجوم السائرة فى أفلاكها ، ليست أقل يقيناً بأن الكون كله متقدم حتماً من

هل نظريتنا هى الحاطئة أم إحدى النظريات الأخرى ؟ ويمكن لنا دائماً أن نفترض أن النظريات الأخرى هى الحاطئة ، كما فعلنا فى المثل الذى أعطيناه عن الصحن الطائرة .

ولكن ما القول فى المشاهدات المؤيدة للنظرية التى أريد أن أستبعدها ؟ إنها أولاً :

نقرية هى الأخرى مما يجعلنا غير متأكدين بأنه قد جرى التحقق من صحة التكهن ، ثانياً : أن التحقق من تكهن واحد أو من عدد محدود من التكهنات لا يجعل النظرية أكيدة ، ذلك لأنه سيظل ثمة عدد لا متناه من الفرضيات المتنافسة تستطيع كلها أن تعلل جميع الحقائق المعروفة ، إذن فى هذه الحال أيضاً نجد بأننا لا نستطيع إلا القول الاحتمالى .

وهكذا اندفع كارل بيرسن إلى أن يقرر أن القانون العلمى ليس كشفاً ولكنه اختراع ؟ ! يقول :

« فالقانون العلمى ليس كشفاً لعلاقات موجودة فى طبيعة الأشياء ، وإنما هو اختراع لهذه العلاقات ، وهو وصف مختصر لطريقة تعاقب الانطباعات الحسية فى مجال معين ، أو اختزال ذهنى يحل لدينا محل

الممكنة سيظل أبدا محصورا بعبقرية العالم الخلاقة .

إن القواعد يمكن لها أن تعين على الخيار إلا أنه ليس ثمة قواعد يمكن لها أن تحل مكان التفكير المبتكر . . .

ويقول الدكتور ليونيل روى فى كتابه « فن الإقناع » ، « إن العلماء كثيراً ما يتحدثون عن بارقة البصيرة التى تنفذ إلى لب مشكلة عويصة .

يقول ألبرت أينشتاين « إن العنصر ذا القيمة الحقيقية هو عنصر البديهية » ويقول : « إن اكتمال البحث قد يكون أحيانا بديلا كافيا عن الخيال ، كما يحدث فى البحث الصناعى ، ولكن . . .

فى المستويات العليا للعلم لا يمكن أبدا أن يكون بديلا كاملا »

ليس الإيمان ضرورة من ضرورات الدين فحسب ، وليس ضرورة من ضرورات - المعقولات » فحسب أيضا . ولكنه فوق ذلك كله :

١ - ضرورة من ضرورات التسليم « بالحسوسات » . .

« يقول كانط فى كتابه مقدمة لكل ميتافيزيقا . . « إننا نسلم بالكائنات المعقولة ، ولكننا نتمسك بهذه القاعدة التى

أشكال بسيطة إلى أفراد معقدين ومتراطين عضويا . والفردية هى غاية الخلق . ولا يستطيع شئ على الأرض أن يوقف تقدمها الثابت .

وأن الإنسان سوف يبلغ الكمال ، وأنه لا ريب فى أن التطور سيصل فى نهاية الأمر إلى الإنسان المثالى .

سأقول : هذا قول يعادل أقصى ما يذهب إليه الدين من الإيمان .

الإلهام فى العلم . .

من المسلم به فى الأوساط العلمية أن المنهج العلمى كان محتاجا إلى غيره لإحراز تقدمه وانتصاراته :

يقول الدكتور كونانت :

« أعظم الفروض التمهيدية الكبرى التى جاء بها تاريخ العلم نشأت نتيجة لعملية ذهنية يعبر عنها أحيانا بأنها « مسة من عبقرية » أو « خاطرة ملهمة » أو « ومضة من خيال باهر » .

وقلما يتبين فيها الناظر أنها كانت نتيجة تمحيص للنتائج كلها أو تحليل منطقي لها أو محاولة منظمة لصياغتها صياغة أدت إلى ما انتهى إليه صاحبها . .)

ويقول د . جون كيمن :

« إننى مقتنع بأن تشكيل النظريات

لا سبيل إلى تفسيرها : كالزمان ،
والمكان ، والمادة ، والحركة والقوة وما إلى
ذلك وليس في استطاعة العقل البشرى أن
يستغنى عن أمثال هذه المفاهيم . .

وإننا لو حاولنا أن نتصور كل هذه
المفاهيم العلمية في العقل تصورا واضحا
متمايزا لانتبهنا إلى مجموعة من المتناقضات
التي لا يمكن أن يقبلها العقل ولننظر مثلا
إلى مفهومي المكان والزمان : فهل نقول
بأنهما مفهومان واقعيان موضوعيان أم نقول
بأنهما مفهومان ذاتيان ؟ هذا ما يجب عليه
سبنسر بقوله : إن العقل البشرى عاجز تماما
عن تفهم حقيقة أمر كل من « المكان ،
والزمان . . .

وهكذا الحال أيضاً بالنسبة إلى المفاهيم
العلمية الأخرى كمفاهيم المادة ، والحركة
والقوة ، فإنها جميعا تصورات غير قابلة
للتعقل .

ومع أن سبنسر يحاول أن يكشف شيئا
عن حقيقة هذه المفاهيم ، فهو في هذه
المحاولات ينتهي إلى ، أن ما يعلم منها يدل
على حقيقة مجهولة نسلم بوجودها من غير أن
نعرفها .

يرى سبنسر أن الزمان والمكان مفهومان
مشتقان على سبيل التجريد من شعورنا
بنوعين من العلاقة هما علاقة التتابع ،

لا استثناء فيها وهي :
إننا لا نعلم شيئا عن الكائنات المعقولة
الخالصة ولا يمكن معرفة أى شيء عنها لأن
تصورات الذهن المجردة لا تنطبق إلا على
موضوعات التجربة الممكنة ، وبالتالي على
الكائنات المحسوسة فقط ، فإذا ما ابتعدنا
عنها فإن التصورات تفقد كل -
دالتها . . .

ثم يقول عن المحسوسات - وهذا
مدخلنا إلى ما نحن بصددده : -
« توجد موضوعات محسوسة وخارجة
عنا . . .

لكننا لا ندرى ما يمكن أن تكون عليه
في ذاتها ، إننا لا نعرف غير ظاهرها ، أى
التمثيلات التي تحدثها فينا وتؤثر بها على
حواسنا . . وبدون أن نتشكك في الوجود
الواقعي للأشياء الخارجية نستطيع أن نقول
عن عدد كبير مما نصفها به : أنها لا تخص
الأشياء في ذاتها ، إنما تخص فقط ظواهرها
التي ليس لها وجود خارج تمثيلاتها . .
ويقول « إن ما هو جوهرى يكون غير
معلوم » .

٢ - ويقرر هيرت سبنسر في كتابه
« المبادئ الأولى » في كلامه عن الأفكار
العلمية القصوى : أن العلم مضطر إلى
الاستعانة بالكثير من المفاهيم الغامضة التي

أخرى هي : « تحول القوى وتكافؤها » ويرى أن ذلك لا يصدق على القوى الطبيعية وحدها بل يصدق أيضاً على العلاقة القائمة بين القوى الجسمية والقوى النفسية .

ومعنى هذا أن مظاهر القوة التى نسميها باسم الحركة والحرارة والضوء ، . . إلخ ، تقبل التحول أيضاً إلى المظاهر الأخرى التى نسميها باسم الإحساس ، والانفعال ، والتفكير ، إن لم نقل إن هذه - بدورها - تقبل التحول إلى المظاهر التى سبقها .

وهكذا نجد أنه فى التحليل النهائى الذى يقدمه سبنسر لما يسميه الأفكار العلمية القصوى ، تنهار الحدود التى يضعها الماديون للمادة لتقف فى نفس الموقف الذى توجد فيه المجردات المسلمة .

٣ - ويقرر برترند رسل - بالرغم من لا أدريته التى يوظفها لخاربة الدين - « أن المبادئ العامة اللازمة لتدعيم الاستدلالات العلمية غير قابلة للبرهان بأى معنى مألوف » وما يستدل به على ذلك إيمانه بما يسميه « التوقع الحيوانى » الذى لا يمكن البرهنة عليه منطقياً - كتوقع الحيوان فى خبرته راحة بعينها تدله على صلاحيته للأكل أو عدم صلاحيته - هذا التوقع

« الزمان » وعلاقة المعية ، « المكان » ، وأن مفهوم المادة يرجع إلى أبسط صورة لإدراك المادة ، وهى تلك التى نجد أنفسنا فيها بإزاء أوضاع متحركة ذات مقاومة ، وهو يرى أننا لو جردنا الجسم من ضروب المقاومة التى ينطوى عليها لاحتفى شعورنا بالجسم تاركا وراءه مجرد شعور بالمكان .

وأما فكرة الحركة فىرى سبنسر أنها مجرد فكرة لاحقة على شعورنا بالقوة .

وشعورنا بالقوة يأنى من إحساسنا بالتوتر الذاتى ، والمقاومة الموضوعية ، ولذا يرى سبنسر أن « القوة » هى الفكرة النهائية للأفكار العلمية النهائية .

ويرى سبنسر أن القوة التى تحدث بمقتضاها كل ما نحققه من مظاهر التغيير هى بطبيعتها قوة نسبية ، محدودة وهى معلولة لعلة أخرى غير مشروطة هى القوة الخضة التى نجد أنفسنا مضطرين إلى إقرارها لتكون بمثابة الطرف المقابل للقوة المعلومة .

وهذه القوة الخضة هى العلة الوحيدة التى تتمتع بالثبات أو الدوام ، والتى ليس لها بداية أو نهاية ويستنتج سبنسر من ثبات القوة ، واستمرارها ثبات العلاقات القائمة بين القوى واضطراد القانون .

ويمضى سبنسر إلى حد أبعد من ذلك حيث يستنتج من مبدأ ثبات القوة نتيجة

الذى يرقى حتى يستخدم فى أرقى قوانين الفيزياء الكمية .

ويؤكد أنه « ليس من الممكن أن تنتقل خطوة واحدة إذا نحن بدأنا من الشك الديكارى . » .

ويقول « فعلينا إذن أن نبدأ من تسليم عريض بكل ما يبدو أنه معرفة أيا ما كان وأنه ليس ثمة سبب معين لرفضه » .

ويقرر أن عدد ما توصل إليه من مسلمات خمس هي الآتية :

« مسلمة شبه الدوام ، ومسلمة الخطوط السببية القابلة للانفصال ومسلمة التمثيل » ومسلمة « الاستمرار المكافى الزمانى ، والمسلمة « البنائية »

ولا نريد أن ننقل على القارئ بشرح هذه المسلمات فى هذا المقال ^(١) ويكفى أن

نذكر هنا أن رسل يقرر أنه لا برهان يقوم على هذه المسلمات ، ولكنه يسلمها - كما يقول - لأنها متضمنة فى الاستدلالات العلمية ولأن بناء العلم كله ومعرفتنا فى الحياة اليومية يتوقف عليها .

ويستبدل رسل هذه المسلمات كما يقول بمسلمات أخرى هي مسلمة « السببية » أو « انتظام الطبيعة » بدعوى أن مسلماته أكثر

(١) نجيل القارئ هنا إلى كتاب رسل « فلسفى كيف تطورت » من ص ٢٤٥ إلى ص ٢٥١ .

تحديدا وفاعلية .

هكذا بغير برهان . .

هكذا لأنها أكثر تحديدا . . .

هكذا لأنها من الناحية العملية

ضرورية . . .

وهل يفعل المؤمن بالدين شيئا يستغنى

فيه عن البرهان بأكثر من ذلك ؟

إلا أن عنق رسل تغلظ ورأسه

يتصلب ، وقلبه يقسو ، ليصير « كالحجارة

أو أشد قسوة » كلما كان المتجه إلى الله . . .

ولكن هذا العنق يسخو ، وهذا الرأس

يطأطئ ، وهذا القلب يلين . . . إذا كان

المتجه لغيره .

فهو كما يقول بسكال - ١٦٢٣ -

١٦٦٢ - : إلحاد تدفع إليه « إرادة » الفيلسوف .

ولنا مع رسل لقاءات أخرى .

ويكفى أننا أوضحنا فى هذا المقام أن

لهذا اللا أدري إيمان ، وله مسلمات لكنه

يخصصها « إراديا » لغير الله .

٤ - ولقد عدد الأستاذ « بيتى

كروزيار » ست حقائق يجب علينا الاعتقاد

بصحتها فى حين أن العلم يعجز عن معرفتها

وإثبات وجودها بطرقه الموضوعية . هي :

١ - الاعتقاد بوجود عالم خارج عن

حيزنا . .

خذ مثلاً : التكاثر التى أكتب

عليها . . .

كل ما فى مستطاعك أن تعرف منها
ليس سوى مدركات حواس مختلفة موجودة
فيك وليست خارجة عن حيزك

إلا أن تركيب عقلك قد وضع على نظام
يحملك على الاعتقاد بأنها كائنة فى حيز
خارج عنك . . .

٢ - وجود العقل فى ذوات من البشر
غير ذواتنا .

. . . لأن مفخرة العلم ادعاؤه بأن كل
مستتجاته من المستطاع أن توضع تحت
حكم الحواس ، فإن وجود العقل فى
صاحب كوجود « واجب الوجود » كلاهما
اعتقاد إلزامى ، لا نستطيع أن نعرفه من
طريق العلم ، وفى الوقت ذاته ملزمون
بالاعتقاد به كأحد الفروض الجوهرية التى
يقوم عليها أكبر جزء من معرفتنا ومعتقدنا .

٣ - الاعتقاد فى تفوق العقل على
المادة ، والشجاعة على حب الملاذ

إن خلايا المخ - التى تنشأ من نشاطها
وحركتها تلك الانفعالات والخصائص
المتنوعة - كلها تماثل المادة ولا تدرك -
كالمادة - شيئاً من هذه الانفعالات . . .
ومع كل هذا نجد أنفسنا مسوقين إلى
الاعتقاد بأن هنالك فرقاً فى المرتبة واقعا بين

الانفعالات المتشكلة . .

٤ - الاعتقاد فى ثبات القوة . .

يقرر هيرت سبنسر مبدأ ثبات
القوة . . .

لأنها إذا لم تكن كذلك . . . تصبح
كل المعارف الطبيعية غير ممكنة . . .
لذلك كان مبدأ ثبات القوة - ولو لم
نستطع أن نثبتها علمياً - اعتقاداً إلزامياً .
يعجز العلم عن إدراكه .

٥ - الاعتقاد فى أن المادة توجد بوجود
قوى الجذب والدفع . .

أما أن قوى الجذب والدفع حقيقة
طبيعية فذلك لا سبيل إلى إدحاضه . . .
ومع كل هذا فإن هذه الحقيقة تعدو
الإدراك العلمى فى تعليل أن حقيقة واحدة
تجذب أخرى فى حين أنها تدفعها وتقاومها .
يقول سبنسر « ومع هذا فإن الاعتقاد
بذلك إلزامى ضرورى . »

٦ - الاعتقاد فى السببية :

أى أن كل نتيجة لابد لها من سبب
وهو اعتقاد فى حقيقة نساق إلى اليقين بها
ولا يمكن معرفتها من طريق علمى .

إذ لا يوجد فى مجرد تتابع الظواهر
ما يسوقنا إلى الاعتقاد باتصالها اتصال العلة
بالمعلول . وكل ما فى مستطاعنا أن نرى أن
هنالك سلسلة من سوابق ولواحق ومع

بأن يفرض أن في الطبيعة قوة مبهمه غامضة .

فالقائلون بالخلق يقولون بأن قوة مدبرة بثتها في المادة ، والقائلون بالتولد الذاتي لا يتزحزون خطوة واحدة عن معارضيتهم أصحاب الخلق . لأنهم بقولهم هذا إنما يضيفون إلى القوى الغامضة المبهمة التي يفرضونها في الطبيعة قوة من قواتهم يسمونها الحياة . لا يعنيها في هذا البحث أن نعرف بأن الحياة قد وجدت بداءة ذى بدء في صورة خلية حيوانية أم نباتية ، ولا يعنيها أن نعرف إن كان التولد الذاتي لا يزال يحدث حتى اليوم ، أم أنه حدث في أزمان خالية مرة أو مرتين ثم لم يتكرر لتغير الظروف الطبيعية . لا يهمنا شيء من هذا بل يهمنا أن نعرف ونسلم بأن الحياة حقيقة لا نعرف منها إلا ظاهراتها »

ويقول أميل بوترو في كتابه « العلم والدين » :

٥ - (أن مقالة دييوا رايونند^(١)

المشهورة التي اختتمها بقوله « لا أعلم » لم تزل منذ سنة ١٨٨٠ تتعقب عقول المفكرين . فقد نص على الغاز سبعة ، أربعة منها على الأقل لا تقبل الحل أبدا

ذلك نجد أنفسنا مسوقين إلى الاعتقاد في تلك الحلقات غير المرئية من المسببات التي تربط بعض الأشياء ببعض الاعتقاد الذي يحفظ علينا ألفة العقل ونظامه .

ويقول الأستاذ إسماعيل مظهر .

« يعدد الماديون المنكرون للقوة المدبرة لهذا الكون بعقليتهم أكثر مما في مستطاعهم أن يثبتوه لها .

فهناك أشياء يستحيل على العلم الطبيعي أو الفكر نفسه أن يصل إليها : أهمها الماهيات .

خذ مثلا ماهية الحرارة أو الكهرباء ، فإنهم لا يستطيعون أن يقولوا فيها إنها أكثر من قوة طبيعية .

على أن كلمة « قوة » و « مادة » تلك الأشياء التي يعتبرونها من الأوليات الضرورية - وإنها كذلك من حيث ظاهراتها المحسوسة - لا تؤدي إلى العقل إلا معاني غامضة إذا نظر إليها من ناحية ماهياتها .

وكذلك الحال في « الحياة » إذا نظرت إليها من ناحية الماهية فإن لا أستطيع أن أعرف مهما قلبت صفحات الماديين ما هو الفرق الحقيقي بين القول بخلقها وبين القول بأنها تولدت ذاتيا ، مادمننا لم نعرف ماهيتها ولا حقيقتها لأن كلا الأمرين يلزم العقل

(١) عالم ألماني من أصل فرنسي اشتغل بعلم وظائف الأعضاء ١٨٦٨ = ١٨٦٩ .

وهي :

ماهية المادة والقوة ، وأصل الحركة ،
وأصل الإحساس البسيط والحرية « أما
الباقى فهو « أصل الحياة ، والغائية الظاهرة
للطبيعة ، وأصل الفكر واللغة ، وهذه
الثلاثة الأخيرة يمكن إرجاعها إلى الميكانيكا
العلمية .

٦- وإذا كان أرنست هيكل
(١٨٨٤ - ١٩١٩) فى كتاب أغاز الكون
لم يقبل ما أعلنه ديواريموند وقرر « أن
جميع أغاز ديواريموند قابلة للحل أو قل
أنها منذ الآن قد حلت) تبعا لمذهبه
الواحدى .

فإنه استبقى سرا منها هو :

(الجوهر . . . فما هو هذه القوة
الماثلة . . التى يسميها العالم الطبيعة
أو العالم ؟

ويسمىها المثلث الجوهر أو الكون ؟

ويسمىها المؤمن الخالق أو الله ؟

. . . ينبغى الاعتراف بأن ماهية هذا
الجوهر تصبح أعمق سراً ، وأشد خفاء كلما
نفذنا إلى العلم بصفاتها وتطورها فنحن
لا نعرف الشيء فى ذاته « ذلك الذى يكمن
وراء الظواهر المدركة) .

وهكذا يمكننا أن نقول إنه حتى فى نظر
أرنست هيكل الملحد يتساوى التسليم بالله

والتسليم بالطبيعة ، والتسليم بالجوهر من
حيث كونه إيماناً بما هو أعمق سراً وأد خفاء
كلما خيل إلينا أننا نعرف عنه شيئاً .

٧- ويقول ولیم جيمس . « إن فكرة
الموضوعية التى تتميز بها التجربة المحسوسة
تنطوى من قبل على شيء من الاعتقاد
الأولى لأن مقولة الوجود المستقلة عن كل
عنصر شخصى هى فى نهاية المطاف
اعتقاد ، والاعتقاد أو الإيمان داخل فى
صميم كل معرفة » .

٨- ويقول كارل بيرسن عن لا تجريبية
الهندسة :

إن الهندسة تقوم أساساً على فكرتين لا
وجود لهما فى التجربة . هما فكرتا الماثلة
والاتصال ففهوم الخط مثلاً يفترض ماثلة
تامة واتصالاً كاملاً بين كل أجزائه . .
ولكن هذا الاتصال وهذه الماثلة
لا وجود لهما إلا بالفكر .

أما التجربة فلا تعرف عناصر تقوم بينها
مماثلة كاملة أو اتصال تام . .

ولعلنا لن نجد مثلاً أفضل من الهندسة
لإثبات العلم يصف عالم الظواهر بمساعدة
مفاهيم لا تطابق أية حقيقة واقعة فى
الظواهر ذاتها . .

٩- يقول جون كيمنى عن مفهوم
القوة فى العلم التجريبي : « رأينا كيف

غير ضرورى منطقيا .

أما عن مفهوم الزمن فى العلم الحديث ، فإنه يقدم لنا عن ذلك أفكارا بعيدة عن التصور ، ويكفى أن نشير فى هذا إلى نظرية «فايتان» عن «عكس الزمان» أى الزمن ذى البعدين يتجه أحدهما إلى المستقبل ، والآخر إلى الماضى ! ! ، ويقول فيلسوف العلم هانزر يشباخ «إن نظرية فايتان ، تمثل أقوى لطمة منى بها مفهوم الزمان فى الفيزياء» .

كما يكفى أن نشير إلى نظرية النسبية لأينشتين ، وما قدمته لنا من نسبية الزمان واختلافه باختلاف المكان ، واختلاف جاذبية المادة وكثافتها . . إلخ ، ولا تترك لنا هذه النظرية فرصة للاعتقاد بأن وراء هذا المفهوم المتذبذب للزمان يوجد مفهوم ثابت مستقر ، يقول الأستاذ فريترها ينزبرج : «إن قلب نظرية النسبية الخاصة هو التقرير بأن تزامن حادثتين فى مكانين مختلفين هو مفهوم مبهم وبنفس الشكل نجد أن نظرية الكم أعطت أهمية قصوى للتقرير بأنه لا معنى للحديث الآئى عن مكان محدد وعن حركة محددة للجسيم ، ولقد وضع نفس هذين التقريرين مرارا فى صورة أخرى هى :

أن قضية «الآنية الحقيقية» لحادثتين

ينبغى للنظريات أن تكون مرتبطة بالخبرة عن طريق تكهنات قابلة للملاحظة . إلا أننا لم نقل أنه ينبغى لكل ما يصدر عن النظرية أن يكون قابلا للتثبت أو أنه يجب أن تكون جميع المفاهيم قابلة للتحديد العملى .

إن كثيراً من المفاهيم التى يقبل بها دعاة الفلسفة العلمية فى الواقع مفاهيم يمكن وصفها بأنها «وهمية» ومفهوم «القوة» مثل جيد على ذلك .

ويصرح قانون نيوتن المشهور للحركة بأن $ق = ك \times ث$

حيث يرمز «ق» إلى القوة ، و«ك» إلى كتلة الجسم المعرض لتلك القوة ، و«ث» إلى التسارع معبرا عنه بوحدات قياسية .

وإنه لمن العسير جداً أن يتهرب من الاستنتاج بأن قانون نيوتن ليس نظرية بل هو تعريف للقوة .

أى أن القوة ، بكلمة أخرى ، مفهوم خيالى يقوم مقام $ك \times ث$ ، وقد نشأ نتيجة للتجارب النفسانية التى تمر بها عندما نبذل قوة ما ، فإذا بنا نحول هذا الشعور بالإجهاد إلى الطبيعة عندما نتكلم عن قوة التجاذب أو القوة الكهروستاتيكية ، وقد يكون هذا التدبير مفيداً من الناحية النفسانية ، إلا أنه

هى مشكلة « باطلّة » شأنها شأن المكان المضبوط والحركة المضبوطة للجسيم هذه مسائل لا إجابة لها ، لأنها مطروحة بشكل خاطئ^(١) .

* * *

يقول رسل :
« تعمل الفيزياء الرياضية مستعينة :
الدينية ؟
ذلك وصف حق الروح العلمية .
فهل تختلف في الجوهر عن الروح

بمكان مكون من نقاط
وزمان مكون من لحظات
ومادة مكونة من جزئيات
وليس هناك عالم معاصر في الفيزياء
يعتقد أن في الطبيعة مثل هذه
الأشياء^(٢) ؟
ويقول وليم جيمس :
« غيبات المادة » ياذن الله .
دكتور يحيى هاشم حسن فرغلى

دعاء

إلهى إن كنت لا ترحم إلا المجدين فى طاعتك فألى من يفزع
المقصرون ؟ وإن كنت لا تقبل إلا من المجتهدين فألى من يلجأ المخطئون ؟
وإن كنت لا تكرم إلا أهل الإحسان فكيف يصنع المسيئون وإن كان
لا يفوز يوم الحشر إلا المتقون فبمن يستغيث المذنبون .
(من دعاء على بن أبى طالب)

(٤) العقل والدين ص ٨٩ .

(١) المشاكل الفلسفية للعلوم النووية .

(٢) فلسفى ص ٢٥٣ .

حقائق سافرة

الأزهر والسلم الدينى

الدكتور محمد رجب البىومى

١

وينقل عن الإمام محمد عبده رضى الله عنه آراء كثيرة سردها فى كتاب « الإسلام والنصرانية » كما يعرف سلفاً ما كتبه الأستاذ الإمام فى ردّه على المسيو هانوتو مبينا دعوة الإسلام إلى السلام ومؤاخاة العلم ، واحترام الرأى المخالف ! فبالله كيف يتحدث مؤلف النظم الإسلامية حديث من لا يعرف الإسلام ، وقد تفرغ للبحث عن الشؤون الإسلامية حتى عُدَّ متخصصاً فيها لدى معشره ، وها هو ذا يتحدث عن الأزهر دون دراية ، ولا نَعُدُّه فى خطئه المغرض ، لأن رأى الأزهر فى السلام الدينى ذائع مشتهر فى أوروبا وأمريكا أذاعه شيخه الأكبر الإمام محمد مصطفى المراغى فى مؤتمر الأديان ببروكسل عام ١٩٣٦ ، وأذاعه فى باريس عالم من ألمع علماء الأزهر ونابغيه وهو الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز فى مؤتمر الأديان سنة ١٩٣٩ ، ومازال ممثلو الأزهر يعلنون فى كل

رددت بعض الصحف اليومية قولاً قديماً للكاتب الفرنسى « موريس جودفرى دى مويين » يذهب فيه إلى أن الأزهر بمصر لا يسهم إيجابياً فى السلام الدينى ! وأنا أعرف أن صاحب هذا القول المسرف قد أصدر كتاباً سماه « النظم الإسلامية » حشاه بأخطاء كثيرة نسبها إلى الإسلام خطلاً دون صواب ، فإذا نسب للأزهر هذا الرأى الجائر فليس من المستغرب ، لأن من المستغرب فعلاً أن ينصف الأزهر من لا ينصف الإسلام .

وواضح أن الأزهر يمثل الإسلام فى كل رأى يبديه ، فإذا دعا الإسلام إلى السلام الدينى فهى الدعوة التى يحتضنها الأزهر ويلتزمها أى التزام ، وليس ، رأى الإسلام فى السلام الدينى بعيداً عن كاتب يعالج شؤون المسيحية والإسلام فى باريس ،

٢

انتشر التبشير بمصر في الثلاثينيات انتشاراً أساء إلى القائمين به ممن لا يراعون حرية العقيدة في بلد إسلامي يربى روابط الإنسانية والوطنية ، وبحث الهيئات الإسلامية أسباب هذا الاعتداء الصارخ على حريات المعتقدين وفي مقدمتها مشيخة الأزهر فأدركت أصابع الاستعمار الحركة للمهزلة المنكرة من وراء ستار ، فانبثقت الأقلام المؤمنة تفصح ما استتر من الدسائس ، وتدين قوماً يتظاهرون في الخارج بالدعوة إلى سلام الأديان ، وقيمون المؤتمرات الداعية لهذا السلام . ثم جاءت الدعوة إلى شيخ الأزهر ليمثل الإسلام في مؤتمر بروكسل ، ولو كان الأستاذ الأكبر أسير عاطفته الشخصية وحدها لرفض الدعوة من قوم ينضم إليهم من يكيد في الباطن . ويتظاهر بالموادة في العلن . ولكن الإمام المراغي قد اهتبل الفرصة ليدعو باسم الأزهر إلى سلام ديني حقيقي . وليوجد أرضاً مشتركة يقف عليها دعاة الأديان المختلفة غير متنازعين ، وهو في ذلك يصدر عن دين أمر دعاته أن يهدوا الإنسانية بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإذا كان جدال فبالتي هي أحسن ، وقد استعان

مؤتمر يلتمس فيه النفع ! أف تكون محاضرات مؤتمر الأديان في باريس بعيدة عن كاتب متخصص ، يتحدث عن الشئون الإسلامية ، ويفرد المؤلفات الخاصة بها ، ثم لا يأذن لنفسه أن يلتفت إلى ما يدور حول تخصصه العلمي في وطنه . بل إلى ما قيل في أمور يتصدى للبحث عنها مصدراً رأيه النهائي ! وإذا كان ما قيل عن السلام الديني والأزهر ممماً لا يقنعه فلماذا لا يرد عليه بالمنطق الصائب لنعرف أن للرجل أبعاداً شاسعة يجهلها الباحثون . أما أن يصدر الحكم عارياً عن أسبابه . وغافلاً عما قاله الفاقهون بشأنه فهذا هو الجور الصريح .

وقد يكون من المفيد أن نلقى بعض الضوء على ما قاله الإمام المراغي . والدكتور دراز في موقفيهما الجاهرين . لأن ما قالاه منذ أكثر من أربعين عاماً يدل على أن الأزهر لا يلبس أردية مختلفة تتنوع وفق الاتجاهات المتعارضة ، بل يلتزم بمنطق الإسلام في مواجهة الأحداث ، وآية ذلك أن رجال الأزهر اليوم يقولون عن اعتقاد ما قاله أسلافهم الفاقهون ، لا لأن اللاحق يقلد السالف ، بل لأن المصدر واحد لا يختلف وهو القرآن الكريم .

والطبقة ، ودعا إلى طمأنينة وسكينة تهونان الرزايا والأحزان ، وبعد أن تحدث الإمام المراغى في مرارة عما ارتكب من المآسى بسبب الخلافات الدينية ، والدين منها براء ، عمد إلى إيضاح رأى الإسلام في السلام الديني فقال (١) .

« وهذا ما جعل اغتباطى بهذا المؤتمر عظيما ، فإنه فضلا عن سعيه للبحث عن الوسائل الموصلة لتحقيق المثل العليا للإنسانية ، وهى الزمالة العالمية بين أفراد النوع الإنسانى وأئمه ، فإنه بهذا السعى يحقق غرضا أساسيا من الأغراض التى سعت إليها الأديان ، وعنى بها الإسلام الذى أدين به ، فقد نبه القرآن إلى وحدة الأيوين الموجبة للتعارف والتعاون والتناصر ، والمبعدة عن التناكر والاختلاف ، ولم يقم وزنا لشرف المولد .

وكرم الجنس ووضع معيارا للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل . وهو تقوى الله . وفى القرآن الكريم (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفى القرآن الكريم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم . وتقسطوا

الأستاذ الأكبر بثقافة العصر الحضارية ، ومقررات العلوم الإنسانية حين أشار فى بدء كلمته إلى أن فكرة الزمالة بين المتدينين فكرة طبيعية ، وهى ليست نظرية فلسفية بل حاجة ضرورية تولدت فى النوع البشرى . ومع الشعور بهذه الزمالة . فإن أسباب التفرق أيضا لها موجباتها الضرورية إذ أن الإنسان لا يسير بالعقل وحده حتى تنحسم أموره مع المخالفين على وجه حاسم صريح ، ولكنه يخضع لغرائز قاهرة تضطره إلى مجانبة المنطق فى بعض الأحيان ولذلك كان الإخاء الإنسانى العالمى أمرا ميثوسا منه ، مادامت هناك شهوات تملها الغريزة ، ولن يقدر التقدم العلمى على التغلب على هذه الشهوات المتأصلة ، وإذا أمكن بعامل من العوامل أن تخبو جذوة تلك النار المنبثقة من قوى الطبيعة فى الإنسان فإنه لا يمكن أن تنطفئ تلك النار .

والتدين - فى رأى الأستاذ الأكبر - أصيل فى كل نفس ، ولا يحجبه إلا غشاوات عارضة تنقشع أمام النظر البصير وفى هذا التدين ما يهبط بقوى الغرائز الهاججة ، فيخفف من شرورها الكثيرة فالشعور الدينى إذا عمق وتأصل فل من أسلحة الأنانية والتعجب ، ورفع الإنسان إلى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاه

(١) مجلة الأزهر . المجلد السابع ص ٣٠٤ .

إليهم إن الله يحب المقسطين) .

ثم تحدث الإمام المراغى عن الزمالة المنشودة بين رجال الدين ، داعياً إلى الوئام الحقيقى ، وقد اضطر إلى أن يدين فى وضوح ما يرتكبه المبشرون من منكرات حين يلجئون إلى ديار الإسلام ، ليُغفروا الضعفاء بالمال والمنصب والعقار كي يتركوا دينهم دون إقناع منطقي ثم وضع النقط على الحروف حين قال :

« وما يثير العجب ويضاعف الألم أن أهل الأديان يحشدون جهودهم لمقاتلة بعضهم بعضاً مقاتلة أسرفوا فيها وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك ، وسلكوا طرقاً فى التناحر مخالفة لأبسط قواعد المنطق ، مما جعلهم سخرية أمام العلماء والفلاسفة ، وجعل كل جهودهم عقيمة النتائج فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذى هو موضع الشرف ، وموطن العزة والكرامة ، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل وركن بعضهم إلى القوى المادية للدول ، وقد نسوا أن الإيمان لا يحل القلب ، بالإكراه ، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل ، ونسوا أن العدو جادٌ فى إنزالهم من مكانهم اللاتق بهم وأن شرور العالم تغمر الإنسانية وتطفئ على ما بقى فى النفوس من هبة

واحترام للنظم الآلهية ، وكان عليهم بدل ذلك كله أن يتعاونوا على درء الخطر ، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة وهذه الإباحية التى يئن منها العقلاء ^(١) .

ثم ختم الأستاذ الأكبر كلمته باقتراحات هادفة تدعو إلى تنمية الشعور الدينى من الضغائن والأحقاد ، وتوجيه الوعظ الدينى إلى الطريق الإنسانى المجمع لا المفرق ، وجعل الدعاية الدينية قائمة على أساس عقلى محض يدعمه حب الحقيقة ، واستشهد بما يؤيد فكره الناصح بأصول إسلامية من آيات القرآن مثل قوله تعالى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقوله عز وجل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .

وقد قوبلت كلمة الإمام المراغى بما هى جديرة به من الاحتفاء ، وليس لمدح بعدها أن يعلن أن الأزهر يقف فى وجه السلام الدينى تحرصاً دون برهان .

٣

أما الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله فإن قراءه الكثيرين يعرفونه بإصابة القول وجزالته وجدته ، وأشهد أنه ما قرأ له عارفوه مقالاً أو كتاباً أو استمعوا إلى محاضرة

(١) المرجع السابق ص ٣٠٨ .

في المبادئ والمطامح تصلح أن تكون محورا لتقرير السلام بين معتنقيها ، وتسهيل تعاونهم على الخير المشترك للجميع ، هذه هي النقطة الأساسية التي تدور عليها أعمال المؤتمر ، وهذا هو الإشكال الذي يحاول المؤتمر أن يجد له حلاً .

أما أنا - أى الشيخ دراز - فأميل إلى أن يكون الحل على أساس الفصل في الأديان بين ناحيتها الاجتماعية وبين نواحيها الأخرى ، وأعتقد أن افتراق الأديان في عقائدها وشعائرها وكثير من تعاليمها لا يمنع أن تلتقى من الوجهة الخلقية عند قاعدة واحدة هي أساس التعاون المطلوب ، وذلك أنها كلها تأمر بالعدل والإحسان ، وتنهى عن الظلم والعدوان ، وكلها تسوى في هذه المعاملة الدنيوية بين أتباعها وبين أعدائها » لقد نادى الأستاذ إذن بالحل العملى ، بعيدا عن الغوص الجدلى في مشكلات لا تصل إلى نتائج ، وبعدا عن التظاهر بالعمق النظرى تظاهرا يعود على القائل بالمباهاة دون أن يفيد المجتمع الإنسانى شيئا ذابال ، وقد ساعد الأستاذ اطلاعه المقارن الشامل على أن يتحدث عن الديانات المختلفة من هندية وبوذية ويهودية ومسيحية وإسلامية حديثا واعيا بصيرا ليأخذ من كل دين دعوته إلى السلم المتسامح

علمية من محاضراته إلا انتفعوا بالجميل الطريف الزاهر ، فهم في دوحة مورقة ذات ثمر وظل ونسيم ، وقد أحسن الأزهر اختياره بيمثل شيخه الأكبر في مؤتمر الأديان بباريس حين انعقد سنة ١٩٣٩ ، فألقى محاضرة هادفة قال عنها السير فرنسيس رئيس المؤتمر : إن كلمة الأزهر هي الكلمة الرئيسية ، وقد وافق الحاضرون بالإجماع على اقتراحين قدمهما الشيخ دراز للمؤتمر فكان فوزه الباهر فوزا للسلام الحقيقى كما ينادى به مسلم داعية غيور ، وقد بدأ الدكتور محاضرتة متسائلا عن سرّ العداوة والشحناء اللتين تعمان عالم اليوم ، وألح إلى أثر المادية في التراحم على الاستلاب والغزو والاستعمار ، وقد رأى في الدين مرفأ النجاة ، وهو يعلم أن رجال الدين يتنازعون كما يتنازع الماديون ، وقد أعمل فكره ليجمعهم في جبهة واحدة يتنى معها النزاع ، وقال في توضيح ذلك ^(١) .

« غير أنا إذا رجعنا إلى الأديان نلتمس منها المعونة ، هالنا ما نراه من اختلافها اختلافا ظالما كان من أسباب الخصومات والحروب بدل أن يساعد على حسن التفاهم والتقريب بين القلوب ، فهل نستطيع أن نجد من وراء هذا الاختلاف وحدة مشتركة

(١) مجلة الأزهر ، المجلد العاشر ص ٥٣٣ .

من مناوشة مخالفه أو مضايقتهم ماداموا مسلمين ، فإذا تركوا السلم إلى الحرب فإن الإسلام يدعو إلى إعداد القوة دون أن يغفل الإنصات إلى دعوة المهادنة حيث تثمر خيرها دون عنت وإرهاق ، فإذا لم تثمر وثاماً يحفظ الأرواح كان على المحارب المسلم أن يحصر القتال في أضيق نطاق يقول الله تعالى (وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) . . . (١) .

وفي ختام كلمته البارعة استخلص الأستاذ نتائج ثلاثاً تنحصر في أن الأديان - أولاً - يجب من الآن أن تكون سبب وفاق ووثام لا مدعاة نزاع وخصام ، كما أن السبب - ثانياً - في الخصومات الدينية هو الانحراف عن الدين لا اتباعه أما العلاج الحتمي - ثالثاً - فهو العناية بين رجال الأديان جميعاً بالجانب الخلقى العام لتنمو العاطفة الدينية لدى المتدينين جميعاً فيعيشون في سلام .

هذا بعض ما يمكن تلخيصه من كلمة الدكتور دراز ، فإذا ضُمَّت إلى كلمة الإمام المراعى وقد ترجمتا معاً إلى الفرنسية ووزعتا على المؤتمرين من شتى ممثلى الأديان في الشعوب والقارات ، فليس لأحد من

فيعتها حجر الزاوية في لقاء هذه الأديان ، وكان من الطبيعي أن يفضل رأى الإسلام نظرياً وعملياً في قضية السلام العالمى فيرى أن دعوة الإسلام إلى الائتلاف قد قامت من الناحية النظرية على دعائمين أولاهما من طريق توحيد الغاية وذلك بدعوة الناس جميعاً إلى عبادة رب واحد ، وثانيهما من طريق التوفيق بين وسائل هذه الغاية حين أرجع القرآن الكريم الشرائع السماوية إلى أصل واحد ، ودعا إلى الإيمان بجميع الرسل والأنبياء وكتبهم المنزلة (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) بل إن الإسلام نفسه - في اصطلاح القرآن الكريم - اسم مشترك يضعه كتاب الله على لسان أنبياء الله قبل محمد ، فيقول في شأن إبراهيم (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) ويقول في شأن يعقوب (إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) ومضى الباحث يستعرض نظائر هذه الآيات .

أما الوجهة العملية فالإسلام قد حذر

(١) مجلة الأزهر : المجلد العاشر ص ٥٣٧ .

المتحدثين عن الأزهر أن يصمه بمجافاة السلام ، بل إن المنصف ليقدر لمثليه تسامحهم الإنساني حين أغضوا عن اتهام خصومهم بما ارتكبه في ديار الإسلام شرقا وغربا من اعتداء صارخ على الحرية الدينية ، وفي وسعهم أن يستشهدوا بما ذكرته الصحف الأوروبية نفسها من هذه الفظائع المخجلة ، لأن الحق لا يعدم أنصاره حتى من بين منائيه ، ولكن داعيتي الأزهر قد أسدلا الستار على ماكان ، طمعا في أن يميل الميزان إلى الاعتدال ، وارتقابا ليوم تنفع فيه النصيحة المخلصة ، والدعوة الصادقة فتغى عن غناء كثير .

٤

وبعد ،

أفيكفي في وقتنا العصيب أن يكون السلام بين الأديان هو المطمح الأتمثل ، أم يجب أن نمتد بالسلام السلبي إلى تعاون إيجابي أمام ما يهدد الإيمان من خطر شيوعى يزحف إلى كل مكان .

إن الذين ينكرون عالم الغيب مرتكبين على شبه تتسم بسمات العلم دون أن تؤسس على يقين جازم ، في حاجة إلى من يعارضهم بسلح العلم نفسه ليثبت أن الإيمان بالله حقيقة مكينة ، لها أثرها الحى

في طمأنة النفوس ، وبُعدها عن الهواجس المريبة ذات الفزع والاضطراب ، ثم إن دعاة الإلحاد يجدون طريقهم سهلا هينا لأنهم ينفون كل التزام جزائى فى ارتكاب الموبقات ، إذا لم يقدر لها أن تذاع على ملأ من الناس ، والنفوس بطبيعتها تميل إلى التحلل من القيود فهي إلى دعوات التحلل أسهل مقادة وألين عريكة مما يجعل الماديين يسبحون مع التيار العام ، أما دعاة الإيمان فيحاولون إقامة السدود المنيعه أمام الأهواء ، ويدعون إلى قوة الإرادة وشدة الحسم نفوسا يسوءها أن تكبح بلجام ، فطريقهم شاق وعمر عليهم أن يتعاونوا متساندين ليُعلوا كلمة الله ، وإذا كنا نرى دعوات الإلحاد تمتد وتتسع بحيث تحتل معازل جديدة على فترات متعاقبة ، فإننا نهيى برجال الأديان أن يحموا أوطانهم من الزحف الراسد ، وإذا كنا بالأمس نركن إلى الإغضاء عن محاربون الإيمان استخفافا بأثرهم فقد أثبتت الأيام أنهم يتقدمون وراء خطة مدروسة ، ويقفون جميعا متأهين للانقضاض ، ولن تندحر جموعهم إلا إذا قوبلت بإعصار كاسح يستأصل الجذور الثابتة فى الأرض ، ويضع مكانها بذور الحب والإيمان .

د. محمد رجب البيومى

الردة والخوارج

الدكتور / السيد حسن قرون

أعادت الأمر إلى نصابه ، فعادت الجزيرة العربية إلى الإسلام كما خلفها محمد ﷺ ، وكانت القبائل التي أظهرت قسوة وتنكيلا بالمسلمين بينها بني أسد ، وتميم ، وبني حنيفة والأخيرة فرع من بكر بن وائل ، وبني حنيفة وقفوا موقفا عدائيا من الإسلام حسداً لقريش بزعامة مدعى النبوة « مسيلمة الكذاب » فكلفوا المسلمين بذل الدماء والأموال .

وأبلى خالد بن الوليد وجنده بلاء حسنا حتى قضوا على مسيلمة في حرب ضروس لا داعي لتفصيلها . وقد دفعني شاعر الخوارج الذي فرح بصلاة قريش خلف بكر بن وائل أن أراجع تاريخ الردة والتاريخ الإسلامي عامة حتى أستوثق من الإجابة عن السؤال الذي بدأت به هذا المقال ، فرجح لدى أن عامل الحسد على قريش لما أتاها الله من النبوة والخلافة هو الذي دفع إلى الردة ، والردة لها أثرها في الثورة على عثمان بن عفان والخروج على علي بن أبي طالب ، فالثائرون على عثمان لم ينالوا ما

هل لحروب الردة دفعة في ثورة الخوارج ؟ قد تبدو الإجابة عسيرة عن هذا الاستفهام ، وقد يكون الاستفهام نفسه غير وارد على الافهام ، ولكن شاعر الخوارج أجاب إجابة واضحة لا تحتاج إلى تأويل ، أو إلى إحسان الظن به قال :

ألم تر أن الله أظهر دينه

وصلت قريش خلف بكر بن وائل وتزيدك المناسبة بيانا ، قال الرواة ومنهم الطبري والجاحظ : إن الخوارج بعد مقتل الوليد بن يزيد جيشوا الجيوش بقيادة « الضحاك بن قيس الشيباني » وملكوا العراق وساروا في خمسين ألفا ، وانضم إليهم بعض أمراء البيت الأموي ، فبايع « عبد الله بن عمر بن عبد العزيز » و« سليمان بن هشام بن عبد الملك » الضحاك زعيم الخوارج ، ومن هنا كانت بهجة الشاعر وتغنيه بالصلاة خلف « بكر بن وائل » وهذا يدعونا إلى الرجوع إلى الواء ، إلى « الردة » في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ونهوضه لحرب

قيس» المشهور بأبي موسى الأشعري^(١) فنزل عند رأيهم أيضا ، وأبو موسى لا يعرف للخلافة إلا عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ، وعند بدء خلافة علي رفض البيعة ولولا تهديد الأشر النخعي له ما بايع عليا ، ويقال ، إن عليا كان يريد أن يكون أحد الحكمين «أبا الأسود الدؤلي» وقد سأله معاوية عام الجماعة فقال له : بلغني أن علي بن أبي طالب أراد أن يجعلك أحد الحكمين ، فما كنت تحكم به ؟

قال : لو جعلني أحدهما لجمعت ألفا من المهاجرين وأبناء المهاجرين ، وألفا من الأنصار وأبناء الأنصار ثم ناشدتهم الله : ألمهاجرون وأبناء المهاجرين أولى بهذا الأمر أم الطلقاء ؟ قال له معاوية : لله أبوك ! أى حكم كنت تكون لو حكمت . ولكن أبا موسى لم يفكر هذا التفكير ، ولم يذهب هذا المذهب وأصحاب علي لم يفكروا فيما وقعوا فيه وفرحوا أن يكون أحد الحكمين ليس قرشيا ، وظهر من ينكر التحكيم ، فرجع معاوية وأهل الشام بالمودة والألفة ورجع علي وأهل العراق بالشقاق والافتراق . وهنا يذكرون أن أول من حكم وقال : « لا حكم إلا لله » رجل من بني تميم هو « البرك » واسمه الحجاج بن

(١) خلع أبو موسى عليا وثبت عمرو معاوية .

أملوا ، فقد لجئوا إلى أحد القرشيين فاتخذوه خليفة بعده وهو «علي» وبدت لهم خيبتهم حين رأوا عليا يولى أربعة من بنى عمه العباس ولاة على الأقاليم . قال قائل منهم : كيف فعل هذا ؟ قال الأشر النخعي : لا يكون إلا هذا ، ومعنى هذا أن الخليفة يختار لعمله من يثق به ، ولا مانع أن يكونوا من أقرب أقاربه ، وما فعله عثمان لا يعدو ما فعله علي .

ومن هنا بعدوا عن الإخلاص ، وبيتوا الخذلان فكانوا أخبث جند كما وصفهم معاوية بن أبي سفيان . وحكاية التحكيم ضرب من الخروج وشق العصا والثورة على الخليفة القرشي ؛ فما إن رفع أهل الشام المصاحف في «صفين» طالبين حكم القرآن بين الفئتين المتقاتلتين حقنا للدماء حتى أعلن أصحاب علي قبول التحكيم ، فبين لهم على أنها وهن وخديعة ، فأبوا إلا قبول التحكيم ، وعلى رجل يحب الشورى واتفاق الجماعة ، يناقش الرأي فإذا رأى مخالفه لا يرتضون رأيه دخل فيما دخلوا فيه ، بايع أبا بكر وعمر وعثمان ولم يحدث خلافاً ولو أراد له لكان ، فلما رأى جنده يرون ما رأى جند الشام نزل عند رأيهم .

وأراد اختيار عبد الله بن عباس ليكون قريع عمرو بن العاص فأبوا إلا «عبد الله بن

عبد الله ، وهو أحد الثلاثة الذين تأمروا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وهو الذي ضرب معاوية على ألبته تنفيذا للمؤامرة ؛ فإنه لما سمع ذكر الحكمين قال : أيجكم في دين الله ؟ فسمعه سامع فقال : طعن والله فأنفذ .

وقيل : أول من حَكَّم بين الصَّفيَّين رجل من بني يشكر بن بكر بن وائل ، فإنه كان في أصحاب علي ، فحمل على رجل منهم فقتله غيلة ، ثم مرق بين الصَّفيَّين فحكم ، وحمل على أصحاب معاوية فكثروه ، فرجع إلى ناحية على فحمل على رجل منهم ، فخرج إليه رجل من همدان فقتله ، فقال شاعر همدان :

ما كان أغنى البشكري عن التي
تَصَلَّى بها جمرا من النار حاميا
غداة ينادى والرماح تنوشه

خلعت عليا باديا ومعاويا
منى عينه أن يخلع عليا ومعاوية ، فمن يكون الخليفة إذن ؟ إن مسيلمة الكذاب قال لهم : « لنا نصف الأرض ولقريش نصفها » وهذا الخارج الأول يريد بها خالصة ولا يقبل نصفها ، لقد خلع عليا ومعاوية .

فالبرك وهو تميمي أنكر الحكومة وطعن فأنفذ ، والبشكري جال بين الصَّفيَّين يقتل

ويروع ويخلع الخليفة ومنازعه ، لأنها قرشيان ، وكل من ذكر في المبادرة إلى الخروج على القائد والخليفة تجده إما من تميم وإما من بكر بن وائل وقد يكون بينهم أحد من بني أسد ، فبنو يربوع من تميم لا تنسى مقتل « مالك بن نويرة » وبنو حنيفة وإخوتهم من بكر بن وائل لا تنسى حرب اليمامة وحديقة الموت ونهاية مسيلمة الكذاب وبنو أسد ، ولو أن طليحة بن خويلد رجع إلى الإسلام وصار مجاهدا يستحق الثناء الجميل إلا أن بني أسد كانوا يحبون أن يذكروا ولو بالسوء ، وخروجهم لا يعد خروجا فهم يرتضون خلافة قریش لأنهم مضر يون مثلهم .

وأعود فأقول : إني لا أكتب تاريخا له بدء وانتهاء ، ولكني أريد أن أبين أن الخوارج ليسوا - كما وصفوا - بأنهم أول من تطور من المجتمع الإسلامي فارتفع عن دعوى القبلية ، وأحلوا محلها الأخوة الإسلامية ، وأنهم ناضلوا عن مذهب رأوه يتفق والتعاليم الإسلامية ، إنهم قبلون في تصرفاتهم ، وإن كان بعض أتباعهم من القبائل الأخرى أو من الشعوب المفتوحة اغتر بدعاواهم ، ورأوا هدى ونورا . وانظر معي حين صاروا فرقا وشيعا ، من كان رؤساء تلك الفرق ؟ تجد النجدية نسبة

إلى «نجدة بن عامر الحنفي» والأزارقة نسبة إلى «نافع بن الأزرق الحنفي» والصفورية وأشهرهم عمران بن حطان - وكان رأس القعد من الصفورية وخطيبهم وشاعرهم وهو من بني شيبان إحدى قبائل بكر بن وائل . إن رواسب الماضي تحركهم وتدفعهم إلى قتال كل خلافة قامت منذ مقتل عثمان إلى القرن الثالث الهجري ، فقد عاقوا المسلمين عن القيام بواجبهم نحو نشر النور في الشعوب ، ورفع المعاناة عن البشرية التي تعبد الأوثان والطغيان ، بدءوا بإنكار التحكيم وانتهوا بتكفير جميع المسلمين ، وجعلوا الخروج على السلطان هجرة لها ثوابها ومن المبادئ الأساسية تكفير عثمان في الست الأخيرة من سنوات حكمه ، وتكفير على بقبوله التحكيم ، ثم تكفير جميع الأمة الإسلامية ممن لا يؤمنون بما آمنوا ، ويعتقدون بما اعتقدوا ، فكانوا حربا على الأمن والنظام ، فما إن يحلون بأرض حتى يعيشوا فيها فسادا قتلا وتخريبا ، ولا أريد أن أظلمهم فعلى أن أذكر شيئا من حوارهم لنرى مدى الإنصاف عندهم وبدهي أن نبدأ بحوارهم مع على وأتباعه ؛ لأن المؤرخين يجعلون بدء تاريخهم من لدن قبول على التحكيم وإن كان الأمر غير ذلك كما بينت في صدر المقال .

قال المبرد في كتاب «الكامل» في حديثه عن «الحرورية» إن عليا ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله إياهم فكان مما قال لهم : ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم : هذه مكيدة ووهن ، وأنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتوني ثم سألوني التحكيم ، أفعلتم أنه كان منكم أحد أكره لذلك مني ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : فهل علمتم أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم إليه ، فاشتطت أن حكمها نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل فإن خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء ، وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني . قالوا : اللهم نعم . ثم قالوا : حكمت في دين الله برأينا ونحن مَقْرُونُونَ بأنا قد كفرنا ونحن تائبون فأقرر بمنزل ما أقررنا وتب نهض معك إلى الشام . فقال : أما تعلمون أن الله جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأة فقال تبارك وتعالى : (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) وفي صيد أصيب في الحرم كأرنب يساوى ربع دينار ، فقال عز وجل : (يحكم به ذوا عدل منكم) فقالوا : إن عمرا لما أوى عليك أن تقول في كتابك : هذا ما كتبه عبد الله على أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة ، وكتبت « على ابن أبي طالب »

فقال لهم : لى برسول الله ﷺ أسوة حيث أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال « سهيل » : لو أقرنا بأنك رسول الله ما خالفناك ، ولكنى أقدمك لفضلك . ثم قال : اكتب : محمد بن عبد الله ، فقال لى : يا على امح رسول الله ، فقلت : يا رسول الله لا تسخو نفسى بمحو اسمك من النبوة .

فقال عليه السلام : قفنى عليه ، فحاه بيده ﷺ ، ثم قال : اكتب محمد ابن عبد الله ثم تبسم ، فقال : يا على أما أنك ستسام مثلها ، فتعطى ، فرجع منهم ألفان من « حروراء » وسماهم « الحرورية » ثم تعرضوا بعد الحوار للرجل الصالح « عبد الله بن خباب » وقد لقيهم وفى عنقه مصحف ومعه امرأته وهى حامل ، فقالوا له : إن هذا الذى فى عنقك ليأمرنا أن نقتلك . قال : ما أحيى القرآن فأحيوه ، وما أماته فأميتوه . ثم حدثت أمور منهم جعلته يحسن الظن بهم ، منها أن خارجيا وثب على رطبة فوضعها فى فيه ، فصاحوا به ، فلفظها تورعا ، وعرض للرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله ، فقالوا : هذا فساد فى الأرض ،

فاطمأن عبد الله بن خباب وقال لهم : ما على منكم بأس ، إني لمسلم . قالوا له : حدثنا عن أبيك ، قال : سمعت أبى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل ، قالوا : فما تقول فى أبى بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيرا . قالوا : فماتقول فى على قبل التحكيم وفى عثمان ست سنين؟ فأثنى خيرا . قالوا : فما تقول فى الحكومة والتحكيم؟ قال أقول : إن عليا أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة . قالوا : إنك لست تتبع الهدى إنما تتبع الرجال على أسمائهم ، ثم قرّبوه إلى شاطئ النهر فذبجوه .

وهنا كان لابد من القصاص وهو من حدود الشريعة الإسلامية والإمام هو على ابن أبى طالب ، فطالبهم بتقديم قاتل عبد الله بن خباب ، وكانوا ستة آلاف وقف إزاءهم وأمرهم بالرجوع وتسليم القاتل ، فركبوا رءوسهم وقالوا : كلنا قتله وشرك فى دمه وانتهى الكلام فكان القتال . حمل رجل منهم على صف على - وقال على : لا تبدءوهم بقتال - فقتل ثلاثة من أصحاب على وهو ينشد :

أقتلهم ولا أرى عليا
ولو بدا أو جرت الخطيا^(١)

فخرج إليه على فقتله ، فلما خالطه
السيف قال : « حبذا الروحة إلى الجنة »
فقال عبد الله بن وهب الراسبي وهو من
رؤساء الحرورية : ما أدرى ألى الجنة أم
النار ؟ فقال رجل من بني سعد : إنما
حضرت اغترارا بهذا - إشارة إلى الراسبي -
وأراه قد شك فأنزل بجماعة من أصحابه ،
ومال ألف منهم إلى راية أبي أيوب
الأنصاري ، ودارت الدائرة على
الحوارج ، وما كان أغناهم عن قطع
الطريق وقتل مسلم لم يشهر سيفاً ولم يدع إلى
حرب ، وقد فطن الأذكىاء من المسلمين
إلى مسلكتهم فكانوا يختالون لأنفسهم إذا
وقعوا بين أيديهم من ذلك ما حدث
« لواصل بن عطاء » رأس المعتزلة بعد
سنوات كثيرة من حادث ابن خباب ، أقبل
في رفقة فأحسوا الحوارج فقال واصل
لرفقته : إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا
ودعوني وإياهم ، وكانوا قد أشرفوا على
العطب ، فقالوا : شأنك ، فخرج إليهم .
فقالوا : ما أنت وأصحابك ؟ قال :
مشركون مستجرون لسمعوا كلام الله

(١) الرمح نسب إلى خط موضع بالجمامة تحمل
إليه الرماح من الهند فتقوم به .

ويعرفوا حدوده . فقالوا : قد أجرناكم .
قال : فعلمونا فجعلوا يعلمونه أحكامهم ،
فجعل يقول :

قد قبلت أنا ومن معي ، قالوا :
فامضوا مصاحبين ؛ فإنكم إخواننا ،
قال : ليس ذلك لكم ، قال الله تبارك
وتعالى . (وإن أحد من المشركين استجارك
فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)
فأبلغونا مأمننا ، فنظر بعضهم إلى بعض ،
ثم قالوا : ذاك لكم ، فساروا بأجمعهم
حتى بلغوهم المأمن . وحيلة « واصل »
تدلك على هوسهم الديني ، وعمايتهم عن
نور الحق ، وتنكيتهم الطريق السوى . وحين
يحدث الحوار معهم قد يخيل إليك أنهم
يقتنعون إذا ظهرت البيئة وقام الدليل ،
ولكن حوارهم يعقبه غالبا امتشاق الحسام
وإراقة الدماء إلا إذا كان محاورهم في منعة
لا يطاولونها ، ومن حوارهم ما جرى بين
نجدة بن عامر الحنفي وعبد الله بن الزبير حين
قام بالخلافة بمكة ، وكان مع نجدة نافع بن
الأزرق الحنفي وجماعة كبيرة ، وجرى بينهم
نقاش طويل ، وقالوا قبل لقائه تناظره فإن
قدم أبا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلى
وكفر أباه وطلحة تابعناه ، فدخلوا وهو
متبذل غير مستعد لقتال وأصحابه متفرون
عنه ، وعرضوا عليه ما تناظروا فيه .

وختموا مقامهم بالوعد والوعيد قالوا له : إن أنت قلت كما نقول فلك الزلنى عند الله والنصر على أيدينا ، ونسأل الله التوفيق ، وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول وتصويب أهلك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتولى فى السنين التى أحلت دمه وأفسدت أمانته خذلك الله وانتصر منك بأيدينا . فكان رد عبد الله بن الزبير : إن الله أمر وله العزة والقدرة فى مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول ، فقال لموسى وأخيه فى فرعون : « فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى » وقال رسول الله ﷺ : (لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى) فهى عن سب أبى جهل من أجل « عكرمة » ابنه ، وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول ، والمقيم على الشرك والحاد فى الخاربة ، والمتبغض إلى رسول الله ﷺ قبل الهجرة والمخارب له بعدها ، وكفى بالشرك ذنباً ، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذى سميتم فيه طلحة وأبى أن تقولوا : أتبرأ من الظالمين ؛ فإن كانا منهم دخلاً فى غمار الناس ، وإن لم يكونا منهم لم تحفظوني^(١) بسب أبى وصاحبه وأنتم تعلمون أن الله عز وجل قال للمؤمن فى أبويه : (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما

(١) تغضوبى .

وصاحبها فى الدنيا معروفاً) ، وقال جل ثناؤه : (وقولوا للناس حسناً) وهذا الذى دعوتهم إليه أمر له ما بعده وليس يغنيكم إلا التوقيف والتصريح ، ولعمري إن ذلك لأحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه ، فروحوا إلى من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله .

فلما كان العشى راحوا إليه فخرج إليهم وقد لبس سلاحه ، فلما رأى ذلك نجدة قال : هذا خروج مناجز ومنازل لكم ، ثم خطبهم ابن الزبير وبين فضل أصحاب محمد ﷺ ونوه بجهادهم وما كان منهم بعد أن غاب هاديهم ثم قال : فإن يكن ما سعوا فيه حقاً فأهل ذلك هم ، وإن يكن زلة فى عفو الله تمحيصها . وابن الزبير فى كل ما ذكره أولاً وأخيراً أصاب كبده الحقيقة ، ولو أنهم ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه لهدوا إلى الرشد وإلى طريق مستقيم ، ولكنهم اعتقدوا عقيدة وأرادوا أن يكرهوا عليها كل مسلم وهم فى نظر مخالفين من الضالين .

ولنافع بن الأزرق حوار مع عبد الله ابن عباس نذكره لطرافته .

قال عكرمة^(٢) : رأيت عبد الله

(٢) مولى ابن عباس وعالم من علماء المسلمين .

أخو الحرب إن عَضَّتْ به الحرب عَضَّها
وإن شمردت عن ساقها الحرب شمرًا
واستطرد نافع إلى شيء آخر ، فسأل ابن
عباس قائلاً : أرأيت نبي الله سليمان ما
خوله الله وأعطاه كيف عني بالهدهد على
قلته وضؤولته ، فقال له ابن عباس : إنه
احتاج إلى الماء والهدهد «قنأ» الأرض له
كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه
لذلك . قال ابن الأزرق : قِفْ يا وَقَّافُ ،
كيف يبصر ما تحت الأرض والفتح يغطي له
بمقدار إصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع
فيه ؟ فقال ابن عباس : ويحك يا ابن
الأزرق ، أما غلمتَ أنه إذا جاء القدر
عشى البصر ، وقد عرضت لك عقل كل
من نجدة وابن الأزرق لأن لها شأنًا في مجرى
الأحداث ، وأصحاب نافع هم أصحاب
الجد والحد والقوة وقد روعوا البصرة
والكوفة أياما وليالي وأعواما ثقالا ،
وانتدب لهم أكثر من قائد فكانوا بين قتيل
 وهارب حتى قام لهم المهلب بن
أبي صفرة ، فصمد لهم وانتصر عليهم في
موطن يطول الحديث عنها .

ولمَ افترق نجدة بن الأزرق وكيف
نشأت القطيعة بينهما ؟ كان ذلك حب
الخواارج الجدال والغلو فيه تجد ذلك عند
الإباضية والصفريّة والنجدية والأزارقة

ابن عباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله
ويطلب منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن
قول الله جلَّ ثناؤه : (والليل وما وسق)
فقال ابن عباس : وما جمع . فقال :
أتعرف ذلك العرب ؟ قال ابن عباس : أما
سمعت قول الراجز :

إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا حَقَائِقًا

مستوسقات لو يجدن سائقا
القلائص : النوق الشباب والحقائق ما
استحقت أن يحمل عليها . وسأله عن قوله
عز وجل : (قد جعل ربك تحتك سريا)
فقال ابن عباس : هو الجدول ، فسأله عن
الشاهد فأنشده :

سَلَمًا تَرَى الدَّالِجَ مِنْهَا أَزُورًا

إذا يعرج في السرى هرهرا
السلم الدلو الذي له عروة واحدة وهو دلو
السقائين ، والدالج الذي يمشى بين البئر
والخوض ، والسرى هو الجدول كما قدمنا .
وسأل ابن عباس عن قوله : (عتل بعد
ذلك زنيم) ما الزنيم ؟ قال : هو الدعوى
الملزق . أما سمعت قول حسان بن ثابت :
زنيم تداعاه الرجال زيادة

كما زيد في عرض الأديم الأكارع
وسأله عن قوله جل اسمه : (والتفت الساق
بالساق) قال ابن عباس : الشدة بالشدة ،
فسأله عن الشاهد فأنشده :

وأصحاب أنى يهس ، وكل من سار على نهجهم وهو أعوج وإن بدا آخذاً بطريق الكتاب والسنة ، وهل هناك أضل ممن يجعل نفسه مهاجراً وجميع المسلمين كفرة ؟ إلى أين يهاجر ؟ وأين يثرب التى يهاجر إليها ؟ وما موقفه من قول الرسول ﷺ « لا هجرة بعد الفتح » ؟

قال الرواة: إن نافعاً أقام بموضعه بالأهواز بعد أن ترك البصرة فطرد عن الأهواز عمال الحكومة جى الفى ومعه نجدة وأعوانه وهم جميعاً على رأى واحد يتولون أهل النهر وإن قتل على بن أنى طالب ومرداسا ومن خرج معه حتى جاء مولى لبنى هاشم إلى نافع فقال له : إن أطفال المشركين فى النار ، وإن من خالفنا مشرك ، فدماء هؤلاء الأطفال حلال . قال له : نافع : كفرت وأدلت بنفسك . قال له : إن لم آتكم بهذا من كتاب الله فاقتلنى . (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم ، فشهد نافع أنهم جميعاً فى النار ، ورأى قتلهم ، وقال : الدار دار كفر إلا من أظهر إيمانه ، ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ومن جاء منهم فعلىنا أن نمتحنه وهم كفار

العرب لا نقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ، والقعد بمنزلتهم والتقية لا تحل ؛ فإن الله تعالى يقول : (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم : (يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) لقد كان نافع بن الأزرق ذا عقل ، يذهب إلى ابن عباس ليتفق فى الدين ويتفهم القرآن فإذا به يأخذ برأى مولى بنى هاشم وكيف يتق بمولى قد يكون على ضغن للعرب والإسلام جميعاً ؟ ولذا حابه نجدة ابن عامر بقوله : يقول الله عز وجل « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ويقول : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) والقعد منا والجهاد إذا أمكن أفضل لقوله جل وعز : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) وفارقه نجدة جاعلاً وجهه الإمامة . وانقلب ابن الأزرق وحشاً ضارياً يستعرض الآمنين ويقتلهم لا يفرق بين الرجال والأطفال والنساء ، ونسى وصايا رسوله التى تدعوه إلى الكف عن قتل الشيوخ والأطفال والنساء ، ولم يتركه نجدة وشأنه بل راسله مبيناً خطأ ما ذهب إليه من الاستعراض وقتل الأطفال واستحلال الأمانة ، ورد نافع على نجدة ثابتاً على رأيه مستدلاً بالقرآن يفسره حسب منهجه .

ولم يكتف بالكتابة إلى نجدة فكتب إلى عبد الله بن الزبير داعيا له إلى الابتعاد عن تولى غير المسلمين ، وندد بموقفه من على في حياته وبعد مماته خاتما رسالته بما يمسك بخناقها : « لقد كنت له عدوا ولسيرته عائبا ، فكيف توليته بعد موته ؟ فاتق الله ؛ فإنه يقوله : (ومن يتوهم منكم فإنه منهم) كما كتب إلى أهل البصرة من « المحكمة » شارحاً مذهبه الذى سبق القول فيه ، فاختلف القوم حول مذهبه ، فأقبل أبو بيهس على عبد الله بن إباح المرى فقال له : إن نافعاً غلاماً فكفر ، وأنت نصرت فكفرت تزعم أن من خالفنا ليس بمشرك وإنما هم كفار النعم نتمسكهم بالكتاب وإقرارهم بالرسول ، وتزعم أن مناكحهم ومواريتهم والإقامة فيهم حلٌّ طلق . وأنا أقول : إن أعداءنا كأعداء رسول الله ﷺ تحل لنا الإقامة بينهم كما فعل المسلمون في إقامتهم بمكة وأحكام المشركين تجرى فيها ، وأزعم أن مناكحهم ومواريتهم تجوز ؛ لأنهم منافقون يظهرون الإسلام وأن حكمهم عند الله حكم المشركين . فهذه أقوال ثلاثة لنافع وأبي بيهس وابن إباح ، وأقربها إلى أهل السنة آراء ابن إباح ، والصفورية والنجدية يذهبون مذهبه ويأخذون برأيه . عسكر نافع بالأهواز ، وروع الآمنين واشتدت

شوكته فاجتمع أهل البصرة على رأسهم الأحنف بن قيس وذهبوا إلى الوالى وهو « عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب » يسألونه أن يحارب الأزارقة فأجابهم إلى طلبهم واختار لهم قائدا « ابن عبيس بن كريز » وكان ديناً فاضلاً ، فخرج بجيشه قائلاً :

إني ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة ، وإني لأحارب قوما إن ظفرت بهم ثما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم ، فمن كان شأنه الجهاد فليهنس ، ومن أحب الحياة فليرجع ، فرجع نفر قليل ، ومضى الباقون معه ، فلما بلغوا « دولاب » خرج إليهم نافع فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل ، وكثرت الجراح وكثر القتل ، وتضاربوا بالسيف والعمد ، وانجلت المعركة عن قتل قائدى الجيشين : قتل ابن عبيس ، وقتل نافع بن الأزرق ، وتولى قيادة الجيش الحكومى رجل من غدانة هو « الربيع بن عمرو » وتولى قيادة جيش الأزارقة « عبيد الله ابن بشير » من بنى سليط ، وكلاهما من بنى يربوع ، انتهى نافع ولم تنته دعوته ، وتغيرت الحكومة وتوحدت الدولة بخلافة عبد الملك بن مروان بعد القضاء على الزبيريين ومازال القتال دائراً بين الخوارج

وجيش الحكومة والمهلب بن أوى صفرة يومئذ يداورهم ويقاثلهم حتى تغلب عليهم أو قل شتتهم بعد هرب قطرى بن الفجاءة وقتل عبد ربه الصغير.

ولم تكن معارك الخوارج سهلة أو منقطعة فقد كانت أشد قتال قابله الدولة ، وكان الشعر يصف تلك المعارك ويشيد بالأبطال من الجانبين ، وقد خلّد الشعر «يوم دولاب» ورثى نافع بن الأزرق ونعته بأمر المؤمنين ، ومن طرائف الأحداث أن مصعب بن الزبير التقى بعبد الملك بن مروان بمسكن ، فانتصر عبد الملك وقتل مصعب ، وأتى خبر مقتله الخوارج ولم يأت المهلب وأصحابه ، فلما تقابل جيش الخوارج وجيش المهلب . ناداهم الخوارج ، ما تقولون فى «مصعب» ؟ قالوا : إمام هدى . قال الخوارج : ما تقولون فى عبد الملك ؟ قالوا : ضال مضل .

فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل مصعب وأن أهل الشام والعراق اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته . فلما توافقوا ناداهم الخوارج : ما تقولون فى مصعب ؟ قال أصحاب المهلب . لا نخبركم . قالوا : فما تقولون فى عبد الملك ؟ قالوا : إمام هدى . قال

الخوارج : يا أعداء الله بالأمس ضال مضل واليوم إمام هدى ، يا عبد الدنيا عليكم لعنة الله ، وإنه يملأ القلب أسى أن تتطور قصة التحكيم إلى هذا التطور ، وأن ينبثق منها مذهب كان أشد فتق فى الإسلام ولا تحسن أن الخوارج لم يكن لهم تأثير فى تفكير العلماء والشعراء وأولى الفضل ، فقد غرت دعوتهم كثيرا من الناس ، وكان الخوف يملأ قلوب ذوى الشأن فيخافون أن يتهموا بهمة الميل إلى رأى الخوارج . هذا الراعى الثميرى يخاطب عبد الملك قائلاً :

إنى حلفت على يمينٍ برّة
لا أكذب اليوم الخليفة قليلا
ما إن أتيت أبا خبيب وافدا
يوما أريد بيعتى تبديلا
ولا أتيت نجيدة بن عويمر
أبغى الهدى فيزيدنى تضليلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتى
أنى أعدله على فضولا

ألم تره فى شعره قرن «نجدة بن عامر» بأبى خبيب عبد الله بن الزبير ، وجعله قوى البيان يزيد سامعه تضليلا ؟ إنهم الخوارج أفسدوا العقيدة بخلطهم السياسة بالدين ، وخلقهم من التحكيم أمرا دينيا تدور حوله الحجج والبراهين ، وهو أمر لا يحتاج إلى نظر ونقاش وعداوة لداء ، ودماء تسيل ،

وترقب تنفيذها . والتقى الجيشان في رمضان
عشية خميس ، وقد جُهد يزيد وعطش
عطشا شديدا جعله كما تقول الرواية يرمى
خاتمه في ثمة ويلوكه ويقول لمن معه من
الجند :

فداكم أبى وأمى ، إنما هي الخوارج
ولهم حملة فاثبتوا لهم تحت التراس ، فإذا
انقضت حملتهم فاحملوا ، فإنهم إذا
انهزموا لم يرجعوا ، فكان كما قال ، حملوا
حملة وثبت يزيد ومن معه من عشيرته
وأصحابه ، ثم حمل عليهم فانكشفوا ،
وتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد
مسافة بعيدة فقتله ، وكان الوليد يقول :

أنا الوليد بن طريف الشارى
قسورة لا يصطلى بنارى
جوركم أخرجنى من دارى

وما أدرى ما الجور الذى لحقه ؟ وإنما
أخرجته وساوس الشيطان ، ورواسب
ماضى بكر بن وائل وحسدها لقريش منذ
ظهر نبى الإسلام من قريش . وكان المنتظر
أن تبدأ الحرب . فلما إن جاء الصباح حتى
خرجت ليلى أخت الوليد تقود الخوارج
عليها الدرع والجوشن ، فجعلت تحمل على
جيش يزيد ، فقال : دعوها ، ثم خرج
إليها ، فضرب بالرمح مؤخر فرسها ، ثم قال

وتكفير لأمة تقرأ القرآن وتروى السنة ،
ويتحرز جل خلفائها وأمرائها من مخالفة
أوامر الله ونواهيه ، وكانت بدعة ظهرت
بعدها الفرق المتناطحة حول الإيمان والكفر
والفسق ، ومن حين إلى حين يحدث زلزال
من الخوارج ، وكان أشده ما حدث في
عهد الرشيد ، وكان الخارج من بنى شيبان
أخت يشكر ، وحنيفة اسمه « الوليد
ابن طريف » ولقبه الشارى والشارى تساوى
الخارجى كان رأس الخوارج وأشدهم بأسا
وصولة ، فاشتدت شوكته ، وطالت
أيامه ، وأخاف الطريق ، وأهم الخليفة
« رزن الرشيد » فوجه إليه « يزيد بن مزيد »
بن أخى « معد بن زائدة الشيبانى » فجعل
يخاتله ويمكره ويتنظر الوثبة عليه ، وكانت
البرامكة منحرفة عن يزيد - هكذا يقول
عصاحب الأغاني - فأغروا به الرشيد ،
فقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم ؛ لأنه من
عشيرته . فكتب إليه الرشيد كتابا
مغضبا يقول فيه : « لو وجهت بأحد
خدمى لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك
مداهن ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن
أخرت مناجزة الوليد ليوجهن إليك من
يأخذ رأسك إلى أمير المؤمنين » ويزيد بن
مزيد لم يكن مداهنا ولا مقصرا ، ولكن
للحرب مكايدها وطرقها ووضع الخطط

لها : اغرنى غرَب الله عليك ، فقد
فضحت العشرة فاستحيت وانصرفت وهى
تقول :

أيا شجر الخابور مالك مورقا

كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى

ولا المال إلا من قنا وسيوف

فرجع يزيد إلى بغداد ظافرا منصورا ، فلما

رآه الرشيد سرَّ بمرآه وقال له : مرحبا

بالأعرانى ، ثم أجازاه وكرمه ، وأخذ

الشعراء يهتئونه ، وأجود ما قيل فيه قصيدة

مسلم بن الوليد صريع الغواني ، ومنها :

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة

لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لا يعقب الطيب خديه ومفرقه

ولا يُمسح عينيه من الكحل

وهو وصف هادف بمقاتل اتجه إلى الخشونة

والجد والاستعداد فى زمن أسرع

الحضارة فيه إلى التطرف والقطرية ليصنع

الشباب صنيعه ، ويسلكوا مسلكه ،

ويصطنعوا همته .

وترانى بدأت البحث بأول من حكم

وسار بين الصفيين يطعن ويقتل وهو من بنى

يشكر ، وانتهيت بالبحث عند الوليد بن

طريف الشيباني وكلاهما من بكر بن وائل ،

ولم تصل قريش خلفها جاعلة منها الخليفة
كما ادعى الشاعر مشيرا إلى أن حروب الردة
كان لها أثرها فى تحريك الأحداث ، وتغذية
النفوس ، وجلب النكبات والكوارث .

لقد كانت معركة الوليد بن طريف

مؤذنة بنهاية الصراع بين القبائل ، فقد جاء

على العرب ما يشغلهم عن التحاسد

والتباغض ، فقد أظل ظل الشعوبية ثم

امتد قرنا بعد قرن حتى لم يبق للعرب إلا

الخليفة العباسى الذى تحكم باسمه الدنيا

وهو بمعزل عنها ، باسمه حكم الترك

والسلاجقة والأكراد والمماليك ، والعرب

يتأخرون ويتخلفون ولا يتعظون بالأيام

ولا يستيقظون ، فهل آن لنا أن نقول : إن

التحكم ليس بضلال ولا هدى ؟

السيد حسن قرون

مراجع البحث :

١ - الكامل للمبرد

٢ - تاريخ الطبرى

٣ - الطبقات لابن سعد .

٤ - العقد الفريد لابن عبد ربه

٥ - الأغاني لأبى فرج الأصفهاني

٦ - البيان والتبيين للجاحظ

مركز السنة الإسلامية في التشريع الإسلامي وموقف المستشرقين منها .. ؟

الدكتور / د. دوف شلبي

- ١ - مفهومها وحجيتها .
- ٢ - شبهات حول الحجية .
- ٣ - وظيفتها ومكانتها .
- ٤ - المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية .

١

مفهوم السنة ومصدريتها

- ٢ - (سنة مَنْ قد أرسلنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلنا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) الإسراء : ٧٧
- ٣ - (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)
- الأحزاب : ٦٢ .
- ٤ - (استَكْبَاراً في الأرض ومَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) فهل ينظرون إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) فاطر : ٤٣ .

* * *

- ١ - كما جرت بعض الأحاديث على هذا المعنى .. يقول النبي - ﷺ - : « مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا

(١) مفهوم السنة :

في الأسلوب العربي تُطلق السنة - قبل أن تكون اصطلاحاً إسلامياً - على الطريقة : سواء كانت طريقة حسنة ، أو كانت طريقة سيئة ؟

- وقد جرت بعض آيات القرآن الكريم على هذا المعنى في مقام توضيح موقف الله - جل شأنه - من الأمم السابقة تأكيداً لمرمدية طريقة الله مع معاندى أنبيائه ورسله - يقول الله تعالى :

- ١ - (قد خلت من قبلكم سُنُنٌ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) آل عمران : ١٣٧ .

هي : الفعل الذي دلَّ الخطاب على طلبه طلباً غير جازم .

فهى تُقابل الواجب ، ولا تشمل . .
المنذوب ، والمستحب ، والتطوع في دائرة هذا التعريف .

٢- ويُعرفها جانب آخر من الفقهاء بأنّها : ما يثابُ فاعلها ، ولا يُعاقب تاركها .

- فتكون في مقابل الواجب قسماً ، ولكنها تشمل : المنذوب ، والمستحب ، والتطوع . .

وهذا المفهوم مُرتبط بالسنة من حيث جانبها [العملي السلوكي] والفرق بين المفهومين اللذين ذكرهما علماء الفقه :
- أن التعريف الأول : يجعل السنة في مواجهة الواجب ، فهو خاص بالسنة المؤكدة . .

- وأمّا التعريف الثاني . . فيجعل السنة شاملةً للمؤكد منها ، وغير المؤكد . .

(ب) عند علماء أصول التشريع وأصول الفقه :

أمّا هيَ عند علماء الأصول ؛ فإنّها : كل ما ورد عن النبي - ﷺ - أو صدر عنه من قول ، أو فعل ، أو تقرير . . فهي تُقابل القرآن في مصدرية الفقه

إلى يوم القيامة ، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . .
- فيدور مفهوم لفظ «السنة» في الاصطلاح العربي حول الطريقة : حسنة كانت ، أو سيئة . .

(ب) مفهوم السنة في الاصطلاح الإسلامي :

- غير أن المفهوم بعد الإسلام : أخذ وضعاً خاصاً ، كما أخذت أوضاع الحياة الإنسانية كلها بالإسلام - الخيف - وضعاً خاصاً ، فأخذت السنة في حركة هذا النشاط الإسلامي طابعاً جديداً حدّد فيه علماء الإسلام على اختلاف مناحي اشتغالهم بالفكرة الإسلامية : تقاسم السنة . .

- فكان للسنة اصطلاح خاص عند علماء : التشريع ، والقانون ، والفقه الإسلامي .

وكان لها اصطلاح مغاير عند علماء أصول التشريع ، والفقه الإسلامي . .

(١) السنة في اصطلاح المشرعين والفقهاء :

١- فالسنة في اصطلاح الفقهاء ،

سعيد عن ابن جريج ، قال : حَدَّثَنِي عَطَاءٌ عَنْ عُمَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - لَمْ يَكُنْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَافِلِ أَشَدَّ مَعَاهِدَةً مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ «باب استحباب ركعتي سنة الفجر ، والحث عليها» .

- والذي يعنينا هنا من السنة : هو المفهوم الأصولي الذي نقدم له هذا البحث حِسْبَهُ لوجه الله الكريم . .

(ب) مَصْدَرِيَّةُ السُّنَّةِ لِلتَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ :

الاحتجاج بالسُّنَّةِ على ثبوت الحكم الشرعي . . معناه :

- الاعتماد على السنة في استنباط الحكم الشرعي ، وثبوت التكليف به .

والاحتجاج بالسُّنَّةِ على ثبوت الحكم الشرعي مُرْتَبِطٌ بِالنُّبُوَّةِ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ .

١- فَالْعِصْمَةُ صِفَةٌ لَازِمَةٌ ، وَصِفَةٌ وَاجِبَةٌ بِالشَّرْعِ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - وَعَلَيْهَا يَتَرْتَّبُ

حُتْمِيَّةُ تَصْدِيقِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي كُلِّ مَا يَنْطِقُ بِهِ مِنْ :

- قُرْآنٍ كَرِيمٍ تَلْقَاهُ عَنْ رَبِّهِ جَلَّ شَأْنُهُ .

- أَحَادِيثَ قُدْسِيَّةٍ بَلَّغَهَا إِلَيْهِ الْوَحْيُ بِاللَّفْظِ ، أَوْ بِالْمَعْنَى فَقَطْ ، أَوْ بِهِمَا مَعًا .

- أَحَادِيثَ نُبُوَّةٍ يَشْرَحُ بِهَا النَّبِيُّ

وَالْأَحْكَامَ ، وَتَشْمَلُ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ وَإِخْبَارَ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - فِيمَا نَقَلُوهُ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - مِنْ آثَارٍ تَحْمِلُ تَشْرِيعَاتٍ . . .

(١) الْفَرْقُ بَيْنَ مَفْهُومِ السُّنَّةِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ ، وَمَفْهُومِهَا عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ :

- وَمِنْ هَذَا التَّوْضِيحِ الْمَوْجُزِ لِمَفْهُومِ السُّنَّةِ عِنْدَ جَمَاعَاتِ الْعُلَمَاءِ الْمُشْتَغَلِينَ بِالثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . . نَلْحَظُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمَفْهُومَيْنِ : أَنَّ السُّنَّةَ عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّشْرِيعِ ، وَالْفَقْهِ ، هِيَ : نَفْسُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ التَّكْلِيفِيِّ فَرَكْعَتَي الصُّبْحِ . . قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ . . هِيَ السُّنَّةُ الْمُرَادَةُ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ وَصَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ . . هِيَ السُّنَّةُ الَّتِي عَرَفَهَا الْفُقَهَاءُ .

- أَمَّا عِنْدَ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ . . فَهِيَ الدَّلِيلُ الَّذِي يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ . . إِنَّهَا هِيَ : حَدِيثُ النَّبِيِّ - ﷺ - الَّذِي يَرْوِيهِ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ : أَخْبَرْتَنِي حَفْصَةُ : أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ إِذَا أَضَاءَ لَهُ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ . .

- وَيَرْوِي مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ

ﷺ حُكْمًا شَرْعِيًّا يُبَيِّنُ حِلَّهُ ، أَوْ حُرْمَتَهُ .
وفى هذا : ثبت عن النبي ﷺ أنه
قال :

« أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ [أَلَا
يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ :
عليكم بهذا القرآن] ، ثُمَّ وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ
حَلَالٍ فَأَحْلَوْهُ ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ
فَحَرَّمُوهُ . . أَلَا : إِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا
حَرَّمَ اللَّهُ » .

والقرآن الكريم نفسه واضح في هذا
الصدد - :

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
العقاب) . الحشر : ٧ .

٢ - بل : إِنَّ الْقُرْآنَ لَكَيِّمٌ الْمُسْلِمِينَ
عَامَّةً بِالطَّاعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
يقول الله تعالى - :

(مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ،
وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)
النساء : ٨٠ .

٣ - بل إن القرآن ليَضَعُ تلك الطاعة
للنبي ﷺ في أسلوب قانوني عام :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ
اللَّهِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا
اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) النساء : ٦٤

٤ - بل إن القرآن يجعل طاعة رسول
الله ﷺ علامةً مِنْ علامات الحب لله - :
(قُلْ : إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ) آل عمران : ٣١ .

٥ - ثم : إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ . . يُقَرِّنُ
طاعة النبي - ﷺ - بطاعة الله في أسلوب
الأمر للجماعة الإسلامية ، ويجعل عدم
تنفيذ تلك الطاعة مُقَابَلًا للكفر ! ؟
- يقول الله تعالى - :

(قُلْ : أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)

آل عمران : ٣٢ .
(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ
اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) . الفتح : ١٠ .
٦ - ثم : يُهَدِّدُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ
الْمُشَاقِّينَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بِالْخِزْيِ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - :

(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ
مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) .

النساء : ١١٥ .
(فليحذر الذين يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ
تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

النور : ٦٣ .
- وَحَوْلَ هَذَا الْحَقِّ الْوَاجِبِ لِلنَّبِيِّ

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرَوِي الْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَسَّ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ ، وَلَكِنْ : رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ ، مِمَّا تُحَاقِرُونَ مِنْ أَمْرِهِ فَاحْذَرُوهُ ، إِنْ قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا : كِتَابَ اللَّهِ ، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ » .

٧- وَفِي الْمَجَالِ التَّشْرِيعِيِّ : حَذَرَ اللَّهُ جَمَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَقَدَّمُوا عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي إِثْبَاتِ حُكْمٍ ، أَوْ فِي اقْتِرَاحِ حُكْمٍ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ الْمُبِينُ .
يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا : لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .
الحجرات : ١

- وَلَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ رَأْيًا بَعْدَ حُكْمِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) . الْأَحْزَابُ : ٣٦
٨- بَلْ قَبْلَ أَنْ يُفُوضَ اللَّهُ الْوُجُوهَاءَ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ رَدَّ الْأَمْرَ أَوَّلًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى - :

(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ

أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) .
النساء : ٨٣

٩- وَلَا يَسْمَحُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِلْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ تُطِيعَ أُولَى الْأَمْرِ إِلَّا بَعْدَ إِطَاعَةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى - :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) .
النساء : ٥٩

- فَكَّرَ الْفَعْلُ « أَطِيعُوا » فِي جَانِبِ اللَّهِ وَفِي جَانِبِ الرَّسُولِ لِيُفِيدَ : أَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ هِيَ طَاعَةُ اللَّهِ ، وَلَمْ يَكْرَرْ الْفَعْلَ مَعَ أُولَى الْأَمْرِ ، لِيُفِيدَ : أَنَّ طَاعَةَ أُولَى الْأَمْرِ مُرْتَبِطَةٌ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فطاعة النبيَّ مُقَدِّمَةٌ عَلَى طَاعَةِ أُولَى الْأَمْرِ ، وَطَاعَةُ أُولَى الْأَمْرِ مُرْتَبِطَةٌ بِدَائِرَةِ الطَّاعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنْ خَرَجَ أُولُوا الْأَمْرِ عَنْهَا ، فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ .

١٠- وَالْمَدْلُولُ مِنْ هَذِهِ الطَّاعَةِ ، أَوْ الرَّدُّ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُفَسِّرُهُ سَيِّدُنَا مِيمُونُ بْنُ مَهْرَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَيَقُولُ :

« الردّ إلى الله .. هو : الرُّجُوعُ إلى كتابه ؟

والردّ إلى الرسول ﷺ هو : الرُّجُوع إليه في حياته وإلى سُنَّتِهِ بعد مماتِهِ ؟
- وابنُ القيم .. يُوَضِّحُ لنا هذا المدلول في شرحه لقول الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ) .
النور : ٦٢

يقول : إذا كان الله - سبحانه وتعالى - جعل من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون إذا كانوا مع رسول الله - ﷺ - في أمر جامع - أى مذهب - إلا إذا استأذَنُوهُ ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْأَحْرَى وَالْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ ألا يذهب المسلمون إلى مذهب مَّا مِنْ تَشْرِيعٍ أَوْ عِلْمٍ . . . إلا بعد أن يَسْتَأْذِنُوهُ ؟

واستأذَنُوهُ - عليه الصلاة والسلام :
- إمَّا بِالرُّجُوعِ إليه في حياته ؟
- وإمَّا بِالرُّجُوعِ إلى سُنَّتِهِ بعد مماتِهِ ؟ .

١١ - وقد رجع الصحابة إلى سنة رسول الله - ﷺ - حال حياته كذلك ؟
- والقصة مشهورة في الوَسَطِ الفكرى الإسلامى عندما بعثَ رسولُ الله - ﷺ - سيدنا مُعَاذُ بنِ جَبَلٍ - رضى الله

عنه - إلى اليَمَنِ . .

قال له : بِمِ تَقْضَى إِنْ عَنَّا لَكَ قَضَاءٌ ؟

قال : بكتاب الله . .

قال : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ؟

قال : بسنة رسول الله . .

قال : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ؟

قال : أَجْتَهُدُ وَلَا أَلْوَا . .

- فضرب رسول الله ﷺ في صدره ، وقال : الحمد لله الذى وفق رَسُولَ ، رَسُولِ الله إلى ما يُرِضِى الله وَرَسُولُهُ . .

١٢ - وخاتمة الأمر . . في أن السنة مصدر للتشريع الإسلامى ، هو أن الحياة الفاضلة للإنسان المسلم هي في إقامة أمة القرآن . .

(إن هذا القرآن يهتدى لى هي أقوم ويُبشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) .
الإسراء : ٩

- وأن المفوض من قبل الله - جل شأنه - في توضيح هذا القرآن إنما هو النبى - ﷺ - يقول الله تعالى - :

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

النحل : ٤٤

- ومن بعد هذه الآية - في سورة النحل - تؤكد هذه الوظيفة الخاصة بالنبى

- ﷺ يقول الله تعالى - :

(وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لَتَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) . النحل : ٦٤

- وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ -
إنما هو بالسُّنة : بقوله ، أو بفعله أو .
بتقريره ، وموافقته وبرضاه .

وقد حَشَدَ القرآن الكريم لطاعة الرسول
- عليه الصلاة والسلام - آيات عديدة .
ثُمَّ وَعَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى امْتِنَالِ أَوَامِرِ النَّبِيِّ - ﷺ -

يقول الله تعالى - :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) . الأنفال : ٢٤

- ولقد جعل القرآن الكريم طاعة
النبي - ﷺ - هي الفارق بَيْنَ سِمَاتِ
الجماعة الإسلامية وَسِمَاتِ الْمُتَافِقِينَ .

يقول الله تعالى - :

(ويقولون : آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ، ثُمَّ يَتَوَلَّى سَريُّ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) .

- وإذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ .
- وإن يكن لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ

مُذْعِنِينَ .

- أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ؟

- أَمْ ارْتَابُوا ؟

- أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ؟

- بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .

النور : ٤٧ - ٥٠

(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، أَن يَقُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ « النور »
٥١ ، ٥٢ .

- قال الخازن في شرح هذه الآيات :

« هذا تعليم أدب الشرع على معنى . .
أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا . . وهو :
أَنْ يَقُولُوا : سَمِعْنَا الدُّعَاءَ ، وَأَطَعْنَا
بالإجابة [لباب التأويل في معاني التنزيل
ج ٥ ص ٨٥] .

* * *

- لهذا كانت السُّنة الإسلامية التي
وَرَّثَهَا الْمُسْلِمُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -
مصدرًا من مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ الإسلامي .

- وقد بلغ إجلال سيدنا مالك -
 - رضى الله عنه - لسنة رسول الله
 - ﷺ - مبلغاً لا يطيقه كثير من العلماء
 فقد روى أنه كان لا يخرج للناس في مجلس
 الحديث بالروضة الشريفة بالحرم النبوى إلا
 وقد :

اغتسل . . وتطيب . . ولبس جديد
 ثيابه . . وسار خاشعاً إلى مقرّ درسه في
 رحاب النبى - عليه الصلاة والسلام - في
 الروضة الشريفة . .

- وقد روى أن عقرباً لدغته - رضى
 الله عنه - وهو في مجلس الحديث . . فلم
 يقطع الرواية ، ولم يتململ ، ولما سُئل ؟
 قال : صَبَرْتُ إجلالاً لحديث رسول الله
 - ﷺ - .

٣ - ويقول الإمام الشافعى - رضى
 الله عنه - :

(أ) إذا صح الحديث فهو مذهبي . .
 (ب) هل لأحد مع رسول الله
 - ﷺ - حجة . .

(ج) أى أرضي ثقلى وأى سماء
 تُظلنى . . إذا رويت عن رسول الله
 - ﷺ - ولم أقل : على الرأس والعين .

(د) مهما قلت من قول ، أو أخذت
 من أصل وفيه : عن رسول الله - ﷺ -
 خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله

أقوال علماء التشريع ، والفقه
 الإسلامى في حجة السنة :

- وَنَسْتَأْنِسُ إِلَى مَا نَذْهَبُ إِلَيْهِ مِنْ
 مَصْدَرِيَةِ السُّنَّةِ لِلتَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ . .
 بأقوال أئمة التشريع ، والفهم ، والفقه ،
 الذين من الله عليهم بفضلهم ، فَبَلَّغُوا عَنْ
 رسول الله - ﷺ - أحكام الشريعة
 الإسلامية ، حفاظاً على دين الله ، وصيانة
 للمجتمع الإسلامى مِنَ الانزلاقِ فِي عُبُودِيَةِ
 البشر بِاتِّبَاعِ الْأَفْهَامِ الْوَضْعِيَّةِ ؟!

١ - يقول الإمام أبو حنيفة - رضى الله
 عنه - :

(أ) إذا جاء الحديث عن رسول الله
 - ﷺ - أخذنا به . .

(ب) ويقول : أخذ بكتاب الله تعالى ،
 فما لم أجد . . فَبَسُّنَةُ رسول الله
 - ﷺ - .

(ج) ويقول :

. . لعن الله مَنْ يُخَالِفُ رسول الله
 - ﷺ - بِهِ أَكْرَمَنَا الله . . وبِهِ
 اسْتَقْدَنَّا . .

٢ - ويقول الإمام مالك - رضى الله
 عنه - :

. . كل أحد يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ يُتْرَكُ
 إِلَّا صَاحِبَ هَذِهِ الرُّوْضَةِ .

- ﷺ - وهو قولي . .

وخلاصة الرأي من أقوال الأئمة الفقهاء . .

١- أنهم قدّموا لنا دليلاً نظرياً فكرياً
على وجوب الأخذ بالسنة كمصدرٍ
للتشريع . .

٢- وأنهم طبقوا ذلك عملياً في
مذاهبهم التي استنبطوها من القرآن
الكريم ، ومن السنة . .

٣- وأنهم قدّموا لنا : الموطأ ،
والمسند ، من كتب الحديث النبوي
كمراجع لمصدرية السنة في
التشريع الإسلامي .

دكتور رءوف شلي

(هـ) كل شيء خالف أمر رسول الله
- ﷺ - سقط ، ولا يكون معه رأي ولا
قياس ؛ فإن الله تعالى قطع العذر بقول
رسول الله ﷺ فليس لأحد معه أمر
ولا نهى غير ما أمر به . .

٤- ويقول الإمام أحمد بن حنبل :
. . إن الله - جلّ ثناؤه - بعث محمداً
بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين
كله ، ولو كره المشركون ، وأنزل عليه
الكتاب بالهدى والنور لمن اتبع ، وجعل
رسوله الدال على ما أراد من ظاهره ،
وباطنه وخاصه ، وعامه . . وناسخه ،
ومنسوخه . . ما قصد له الكتاب . . فكان
رسول الله - ﷺ - هو المبصر عن كتاب
الله الدال على معانيه .

دعاء

اللهم إني أسألك الشكر على نعمائك ومزيد أفضالك ، والخيرة فيما
قضيت ، والبركة فيما أعطيت . . وتوسلي إليك بجاه محمد ، ﷺ ، أن
تعاملني بلطفك في أفضيتك ، ونعوذ بالله العظيم من طول الغفلة ،
واستدراج المهلة ، ونستعينه ونسأله الهداية ، ونستمد من توفيقه حسن
العناية ، فإنه ولي ذلك والقادر عليه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
الشهاب الرملي

ابن الفارض سلطان العاشقين

الدكتور / سعد ظلام

- ولد بالقاهرة سنة ١١٧٨ م في أسرة دينية . فقد كان جدّه شيخاً من شيوخ الطُرُق الصوفية وله مريدون وأتباع وكان والده عالماً بالفرائض أى علم الموارث ، ولذلك لقب بابن الفارض .

- تولى أبوه مرتبة القضاء ، وعندما طلب منه العزيز بالله : أن يكون قاضياً للقضاء امتنع واعتزل الخدمة ، وزهد في الحياة ، وتفرغ للعبادة ، فنشأ عمر في كنف أبيه في عفافٍ وصيانةٍ وعبادةٍ ودراسةٍ ، وزهدٍ وقناعةٍ .

* * *

- يقول ابن الفارض :
رَجَعْتُ لِأَعْمَالِ الْعِبَادَةِ عَادَةً
وَأَعَدَدْتُ أَحْوََالَ الْإِرَادَةِ عُدَّتِي
وَصُمْتُ نَهَارِي رَغْبَةً فِي مَثْوِيَةٍ
وَأَحْيَيْتُ لَيْلِي رَهْبَةً مِنْ عَقُوبَةٍ
وَعَمَرْتُ أَوْقَاتِي بِوَرْدٍ لَوَارِدٍ
وَصَمْتُ لِسَمْتٍ وَاعْتَكَافٍ لِحُرْمَةٍ
وَبُنْتُ عَنِ الْأَوْطَانِ هِجْرَانٍ قَاطِعٍ
مُؤَاصَلَةً لِإِخْوَانٍ وَاخْتَرْتُ عُزْلَتِي (٢)

(٢) الديوان ص ٤١ .

قِيَارَةُ سَمَاوِيَةٍ - صَدَحْتُ بِالْحَبِّ
الْإِلَهِيِّ وَتَغَنَّتُ بِهِ ، وَأَفْصَحْتُ عَنْ كُلِّ
مَا تَضُمُّ جَوَانِحُهَا مِنْ أَعْمَقِ مَعَانِي الْحَبِّ
وَأُرْوَعِ آيَاتِ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ ، وَشَاعِرِ رَقِيقِ
الْحَسَنِ ، قِيَاضُ الْعَاطِفَةِ ، وَصُوفِيٍّ مِنْ
أَصْحَابِ الرِّيَاضَاتِ وَالْمَجَاهِدَاتِ ، وَأَرْبَابِ
الْأَذْوَاقِ وَالْمَشَاهِدَاتِ

هو عمر بن الحسن عليّ المرشد بن عليّ .
وكنيته أبو القاسم وأبو حفص .
ويُتبعُ بسلطان العاشقين . يقول - :

كُلُّ مَنْ فِي حِمَاكَ يَهْوَاكَ لَكِنْ :
أَنَا وَحْدِي بِكُلِّ مَنْ فِي حِمَاكَ
فِيكَ مَعْنَى حَلَاكَ فِي عَيْنِ عَقْلِي
وَبِهِ نَاطِرِي مُعْنَى حِلَاكَ
فُقْتُ أَهْلَ الْجَمَالِ حَسَنًا وَحُسْنِي
فَبِهِمْ فَاقَةٌ إِلَى مَعْنَاكَ
يُحْشَرُ الْعَاشِقُونَ تَحْتَ لَوَائِي
وَجَمِيعُ الْمَلَاحِ تَحْتَ لَوَاكَ (١)

* * *

(١) الديوان ص ١٠٠ .

وأفنى نفسه حتى فنى عن نفسه ، فكان
يذهب إلى المساجد المهجورة في وادى
المستضعفين بالجبل الثانى من المقطم .

وقد مهد هذا التكوين روح ابن
الفارص ، وساعد عليها الجو الروحي
والحياة كلها المعطرة بالروح والنور -
وهذبت نفسى بالرياضة ذاهباً

إلى كشف ما حجب العوائد غطت
وجردت في التجريد عزمى ترهداً
وآثرت في نسكى استجابة دعوى^(٣)

- وبدأ الحنين يراوده إلى منازل
الوحي ، يملأ نفسه وروحه وعقله بالسكينة
والهداية والحب واليقين ، حتى قابل ذات
يوم شيخاً يتوضأ في المدرسة السوفية دون
أن يراعى الترتيب في أعضاء الوضوء ، ولما
نصحه ابن الفارص ، أشار عليه الشيخ أن
يرتحل إلى الحجاز ، وأوصاه
بالمسارعة ! ؟

- وقد لقيت هذه الوصية استجابة في
نفسه ، وكان لها أثر كبير في حياته فاحتفل
بها وجدانه ، واستعلت بالفرحة أحنأوه ،
وبدأ يستعد للقاء الأحياء في الحجاز ،
وقد كان كثيراً ما يحن إليهم ويناجيهم -
أحبة قلوبى وأخبة شافعى

لديكم إذا شئتم بها اتصل الجبل

- وحفظ ابن الفارص القرآن والسنة
وكان من أساتذته : الحافظ ابن عساكر -
والحافظ المنذرى ، وتفقه على مذهب
الشافعى .

وقرأ في التصوف ، فاصطبغ فكره
بالصبغة الدينية . وتقوى جانب الروح
عنده .

وكان يلزم أباه في مجالس الحكم
والعلم . وكانت الحياة كلها مشبعة بأرج
الروح وسُلطان الصوفية .

- ومن عاصريهم : السهروردى ،
ومحيى الدين ابن العربى ، والعز بن عبد
السلام والبوصيرى ، وأبو العباس المرسى
وغيرهم .

- واشتاق إلى الخلوة والتجرد .
وبدأ يأخذ نفسه بالرياضة
والمجاهدة .

وكشف حجاب الجسم أبرز سراً ما
به كان مستوراً له من سريرتى
فكنت بسررى عنه في خفية . . وقد
خفته لوهن من نحولى أنتى
فاظهرنى سقم به كنت خافياً
له . . والهوى يأتى بكل غريبة^(١)

- وصرف نفسه كلها عن كل شىء ،

فأوردتها : ما الموتُ أيسرُ بعضه
وأعتبها كما تكونُ مريحى
فعادتُ ، ومهما حملته تحملتُ
له منى وإن خففتُ عنها تأذتُ !
وكلفتها . . لا ، بل : كلفتُ قيامها
بتكليفها حتى كلفتُ بكلفتى
وأذهبتُ فى تهذيبها كلَّ لذة
بإبعادها عن عادها . . فاطمأنت^(١)
- يقول :

وما هى إلا النفسُ عند اشتغالها
بعالمها عن مظهر البشرية !
تجلتْ لها بالغيب فى شكل عالم
هداها إلى فهم المعانى الغريبة
وقد طُبعتْ فيها العلومُ وأُعِلتْ
بأسماؤها قديماً بوحي الأبوّة^(٢)

* * *

- تفرغ ابن الفارض فى مكة للسياحة
الدينية والروحية والرياضة الصوفية : من
طواف وسعى ، وذكر ، وتخشُّن ،
وخشوع ، وتمرُّن على المجاهدة والمعاناة -
يقول :

ولا اختصَّ وقتٌ دون وقتٍ بطيئة
بها كلُّ أوقاني مواسمٍ لذة

(٢) الديوان ص ٣٧ .

(٣) الديوان ص ٦٧ .

عسى عطفة منكم على بنظرة
فقد تبعَت بينى وبينكم الرُّسلُ
أحيائى أنتم . . أحسن الدهر أم أسا
فكونوا كما شئتم . . أنا ذلك الخُلُ ؟
إذا كان حظى الهجر منكم . . ولم يكن
بُعاد . . فذاك الهجر عندى هو الوصلُ
وما الصدُّ إلا الود . . ما لم يكن قلى
وأصعبُ شئ - غير إغراضكم - سهلُ
وتعذيبكم عذبٌ لى . . وجوركم
على بما يقضى الهوى لكم عدلُ
وصبرى صبرٌ عنكم . . وعليكم
أرى أبداً عندى مرارته تحلو
أخذتم فؤادى وهو بعضى ، فما الذى
يضرُّكم . . لو كان عندكم الكلُّ !^(١)

* * *

- وارتحل إلى الحجاز سنة ١٢١٥ م
وبقى بها حتى ١٢٣٠ م . لقد قضى فيها
خمسة عشر عاماً كان لها أكبر الأثر فى
تكوينه الروحى ومستقبل حياته الوضى . .
- وكانت نفسه قد تهبأت للفتوحات
الإلهية ، وبدأت تستعدُّ لتقبل الفيوضات
وتصعد فى معارج السمو الروحى
والنفسى - :

فنفسى كانت قبل لؤامة متى
أطعها عصت أو أعصى كانت مُطيعتى

(١) الديوان ص ٨٤ .

يُشَاهِدُهَا فِكْرِي بِطَرْفِ تَحْيَلِي
وَيَسْمَعُهَا ذِكْرِي بِمَسْمَعِ فِطْنَتِي
وَيُحْضِرُهَا لِلنَّفْسِ وَهْمِي تَصَوُّرًا
فِيحْسِبُهَا - فِي الْحِسِّ - فَهْمِي نَدِيمَتِي
فَأَعْجَبُ مِنْ سُكْرِي بَغَيْرِ مُدَامَةٍ
وَأَطْرَبُ فِي سَرِّي وَمِنِّي طَرَبَتِي
فَيَرْقُصُ قَلْبِي . وَارْتِعَاشُ مَفَاصِلِي :

يُصَفِّقُ كَالشَّادِي وَرَوْحِي قَيْتِي
وَمَا بَرِحَتْ نَفْسِي تَقَوَّتْ بِالْمُنَى
وَتَمَحُو الْقُوَى بِالضَّعْفِ حَتَّى تَقَوَّتْ
هَنَّاكَ وَجَدْتَ الْكَائِنَاتِ تَحَالَفَتْ
عَلَى أَنَّهَا وَالْعَوْنُ مِنِّي مُعِينَتِي
لِيَجْمَعَ شَمْلِي كُلُّ جَارِحَةٍ بِهَا
وَيَشْمَلُ جَمْعِي كُلُّ مَنِبْتِ شَعْرَةٍ (١)

* * *

- لقد ملك الجلالُ عليه كلَّ خلجاتِ
نفسه ، وكلَّ جوارحه وكل حواسه ، حتى
إنه لم تعد له القدرة على التحلي بعد
التحلي ! ؟

- لقد انجذب قلبه إلى آيات الجلالِ
ذاته ، الجلال المطلق الذي لا يستوعبه بصرٌ
ولا يمتلي به سمع ، ولا تستطيع الحواسُ
الظاهرة تذوقه أو تعمقه أو اكتنائه أمره
وسره ، وما الجلال الظاهري في صورهِ

(٢) الديوان ص ٥١ ، ٥٢ وجاء البيت الأخرى في
الديوان « ليجعل شملِي » وصحة ما ذكرت .

نَهَارِي أَصِيلُ كُلُّهُ إِنْ تَسَمَّتْ
أَوَائِلُهُ مِنْهَا بَرْدٌ تَحْتِي
وَلَيْلِي فِيهَا كُلُّهُ سِحْرٌ إِذَا
سَرَى لِي مِنْهَا فِيهِ عَرَفَ نُسِيمَةَ
وَقَدْ نِلْتُ مِنْهَا فَوْقَ مَا كُنْتُ رَاجِيًا
وَمَا لَمْ أَكُنْ أَمَلْتُ مِنْ قُرْبِ قُرْبَتِي (١)

* * *

- لقد كان في مصر سائحاً روحياً
مبتدئاً ، بدت له طلائع عوالمه الروحية ،
فلما استقرَّ بمكة ، بدأت مرحلة التأمل حتى
مرحلة التحقق ، ووصل إلى نهاية الطريق
وتحققت له الغاية التي ما بعدها غاية ، من
الفتوحات الإلهية التي يختص بها الله من
يشاء من عباده .

- أجل . . لقد سما ذوقه ورهف
حسُّه ، وانفتحت أمامه أبواب المشاهدات
وراحت تنعكس على مرآة فنِّه ما جاشت به
روحه الصافية ، وما احتدم في باطنه
وخواطره من انفعالات ، وما فاض به قلبه
من عواطف شريفة فانطلقت شاعريته
بالفنِّ الرائق ، والشدو الجميل ، والحبِّ
الجليل - :

إِذَا لَاحَ مَعْنَى الْحُسْنِ فِي أَىِّ صُورَةٍ
وَنَاحَ مَعْنَى الْحُزْنِ فِي أَىِّ سُورَةٍ

(١) الديوان ص ٤٨ .

الباهرة إلا نفحة من نفحاته العلوية - :
 تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَحْلَى شَائِلَهُ
 فكم أماتت ، وأحيت فيه من مُهَج
 تراه إن غاب عني كلُّ جارحةٍ
 في كلِّ معنى لطيفٍ رائقٍ بهج
 في نغمة العودِ والثَّاي الرَّخيم .. إذا
 تألفا بين أحنانٍ من الهزج
 وفي مسارح غزلان الخمايل .. في
 برد الأصيل . والأصباح .. في البلج
 وفي مساقط أنداء الغمام .. على
 بساط نور من الأزهار مُتَسَج
 وفي مساحب أذيال النسيم .. إذا
 أهدى إلى سُحيراً أطيب الأرج
 وفي التثامي ثغر الكاسي مُرْتَشِفاً
 ريق المدامة في مُسْتَزِقَةٍ فَرَج
 لم أدر ما غربة الأوطان .. وهى معي
 وخاطري أين كنا غير مُتَزَعِج^(١)

* * *

لقد وصل إلى درجة التلاشي في بوتقة
 الجلالة ، وفنيت حواسه الظاهرة تماماً
 وانقلب هو برُمته إلى أجهزة حساسة ،
 أو جهاز حساس كبير مُسْتَعِدٌّ للتلقى وتراسل
 الحواس - :

وكلِّي لسان ناظرٍ مسمَعٌ يدُ
 لنطقي وإدراكٍ وسمِعٍ وبطْشَةٍ

فَعَيْنِي نَاجَتْ وَاللِّسَانُ مُشَاهِدٌ
 وَيَنْطِقُ مِنِّي السَّمْعُ ، وَالْيَدُ أَصْغَتْ
 وَسَمِعِي عَيْنٌ .. يَجْتَلِي كُلُّ مَا بَدَا
 وَعَيْنِي سَمِعٌ إِنْ شَدَا الْقَوْمُ تُنْصِتُ
 وما في عضوٍ خُصَّ من دُونِ غَيْرِهِ
 بتعيين وَصْفٍ مِثْلَ عَيْنِ الْبَصِيرَةِ^(٢)
 ويقول - :

أغار عليها أن أهم بغيرها
 وأعرف مقداري فأنكر غيري
 فتختلس الروح ارتياحاً لها .. وما
 أبرئ نفسي من توهم منيةٍ
 يراها على بُعدٍ عن العين مسمعي
 بطيف ملام زائرٍ حين يقظتي
 فيغبط طرفي مسمعي عند ذكرها
 ويحسد ما أفته مني بقيتي
 أمت أمامي في الحقيقة .. فالورى
 ورائي .. وكانت حيث وجهت وجهتي
 يراها أمامي في صلاتي ناظري

ويشهدني قلبي أمام أمتي
 ولا غرو إن صلى الإمام إلى .. إن
 ثوت في فؤادي وهى قبلة قلبي
 وكلُّ الجهات الست نحوى .. توجهت
 بما تم من نسلٍ وحج .. وعمرة
 لها صلواتي بالمقام .. أقيمها
 وأشهد فيها أنها لى صلت

الروح ، فانصرف عن كل شيء ، إلا عن شيء واحد ، هو هذه المعشوقة التي يتغنى بها ، وهي الحضرة الإلهية .

وما بين شوقٍ واشتياقٍ فَنَبْتُ في
تَوَلَّ بِحَظَرٍ . أو تَجَلَّ بِحَضَرَةٍ
فَلَوْ لَفِنَائِي من فَنَائِكَ رَدُّ لِي
فَوَادِي لم يرْعَبْ إلى دارِ غُرْبَةٍ
وعُنُونُ شَأْنِي ما أَبْتُكَ بَعْضُهُ
وما تَحْتَهُ إِظْهَارُهُ فوقَ قُدْرَتِي^(٣)

وتقدّم في معارج الروح حتى فني
وذاب ، أو وصل إلى الفناء والذوبان لقد
أجهدته المعاناة والعذاب ، لكنه استعذب
الأم ، واستلذذ المعاناة - :
وما حلَّ بي من محنةٍ فهو محنةٌ
وقد سلمت من حلٍّ عقدي عزيمة
وكل أذى في الحب منك إذا بدا
جعلتُ له شكرى مكان شكيتي
نعم . . وتباريح الصباية إن عدتُ
على . . من النعماء في الحب عدتُ^(٤)

ورأى الفناء بعثاً ، والموت حياة ،
فأفنى ذاته ونفسه ، وأمات التروغ الدنيوى
في قلبه ، ورأى في كل ذلك سعادةً أبدية .

كِلَانَا مُصَلٍّ وَاحِدٌ سَاجِدٌ إِلَى
حَقِيقَتِهِ بِالْجَمْعِ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ^(١)

إلى هذا الحد من الصفاء والفناء
والاتحاد : صفت نفسُ هذا الصوفى
العاشق ، ورقت عنها حُجُبُ المادّة ، لقد
طار إلى عوالم الروح ، ووقع على عُشِّ
الأزلية في السماء ، ولم يرض أن يعيش
كغيره من المحبين على الأرض ، ولم يقنع
كغيره بالحبِّ القريب ، وحق له أن يقول :

نَسَخْتُ بِحُبِّي آيَةَ الْعَشَقِ مِنْ قَبْلِي
فَأَهْلُ الْهُوَى جُنْدِي . وَحُكْمِي عَلَى
وَكُلِّ فَنَى يَهْوَى فَإِنِّي إِمَامُهُ
وَإِنِّي بَرِيءٌ مِنْ فَنَى سَامِعِ الْعَدْلِ
وَلِي فِي الْهُوَى عِلْمٌ تَجَلَّتْ صِفَاتُهُ
وَمَنْ لَمْ يُفْقَهُهُ الْهُوَى فَهُوَ فِي جَهْلِ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي عِزَّةِ النَّفْسِ تَائِهًا
بِحُبِّ الذِي يَهْوَى ، فَبَشَرُهُ بِالذَّلِّ
إِذَا جَاءَ أَقْوَامٌ بِمَالٍ رَأَيْتَهُمْ
يَجُودُونَ بِالْأَرْوَاحِ مِنْهُمْ بِلَا بُخْلِ
لَعَمْرِي هُمُ الْعُشَّاقُ عِنْدِي حَقِيقَةٌ

على الجدد . . والباقيون منهم على الهزل^(٢)
وهناك تجلّى له الجمال المطلق ، فإذا هو
يحدّ عزاء قلبه وشفاء نفسه ، وبهجة

(٣) الديوان ص ٢٦ .

(٤) الديوان ص ٢٧ .

(١) الديوان ص ٣٤ .

(٢) الديوان ص ١٠٨ .

هُوَ الْحُبُّ فَاسْلَمَ بِالْحَشَا.. مَا هُوَ سَهْلُ
 ثَمَّ اخْتَارَهُ مُضْنَى بِهِ وَلَهُ عَقْلُ
 وَعِشُّ خَالِيًا . فَالْحُبُّ رَاحَتُهُ عَنَّا
 وَأَوَّلُهُ : سَقَمٌ .. وَآخِرُهُ : قَتْلُ
 وَلَكِنْ لَدَى الْمَوْتِ فِيهِ صَبَابَةٌ
 حَيَاةً لِمَنْ أَهْوَى عَلَىٰ بِهَا الْفَضْلُ
 نَصَحْتُكَ عِلْمًا بِالْهَوَى ، وَالَّذِي أَرَى
 مُخَالَفَتِي . . فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ مَا يَحُلُو
 فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَمُتْ بِهِ
 شَهِيدًا ، وَإِلَّا فَالْغَرَامُ لَهُ أَهْلُ
 فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي حَبِّهِ لَمْ يَعِشْ بِهِ
 وَدُونَ اجْتِنَاءِ النَّحْلِ مَا جَنَّتِ النَّحْلُ
 تَمَسَّكَ بِأَذْيَالِ الْهَوَى وَاخْلَعِ الْحَيَا
 وَخَلَّ سَبِيلَ النَّاسِكِينَ وَإِنْ جَلُّوا
 وَقُلْ لِقَتِيلِ الْحَبِّ . . وَفَيْتَ حَقَّهُ
 وَلِلْمُدْعَىٰ هِيَاثَ مَا الْكَحْلُ الْكَحْلُ^(١)

* * *

وما زال الحبُّ يُصَفِّي قلبه ، وَيُمِيتُ
 نفسه ، وَيُحْيِي روحه حتى استحال
 بكيونته إلى روح لطيفة خالصة ، وحتى
 وصل إلى درجة من التسامى النبيل ،
 فأشرقت جوانبه الباطنة بأنوار الجمال
 المطلق ، وانكشفت الحُجُبُ - :
 بِرُوحِي مِنْ أَتْلَفْتُ رُوحِي بِحُبِّهَا
 فَحَانَ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

وَمِنْ أَجْلِهَا طَابَ افْتِصَاحِي وَلَدَّ
 أَطْرَاحِي ، وَذُلِّي بَعْدَ عِزِّ مَقَامِي
 أَصْلَى فَأَشْدُو حِينَ أَتْلُو بِذِكْرِهَا
 وَأَطْرُبُ فِي الْخَرَابِ وَهِيَ أَمَامِي
 وَبِالْحَجِّ إِنْ أَحْرَمْتُ لَبَّيْتُ بِاسْمِهَا
 وَعِنَهَا أَرَى الْإِمْسَاكَ فِطْرَ صِيَامِي
 إِلَى أَنْ يَقُولَ - :

خَفَيْتُ ضَنْيَ حَتَّى خَفَيْتُ عَنِ الضَّنَا
 وَعَنْ بُرْءِ أَسْقَامِي وَبَرْدِ أَوَامِي
 وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي الْحُبُّ غَيْرَ كَابَةِ
 وَحْزَنِ وَتَبْرِيحِ وَفِرْطِ سِقَامِ
 وَلَمْ أَدْرِ مَنْ يَدْرِي مَكَانِي سِوَى الْهَوَى
 وَكَيْفَانِ أَسْرَارِي وَرَعَى زَمَامِي
 فَأَمَّا غَرَامِي . وَاصْطَبَارِي . وَسَلَوِي
 فَلَمْ يَبْقَ لِي مِنْهُنَّ غَيْرُ أَسَامِي
 بَمَنْ أَقْتَدَى فِي الْحَبِّ . . لَوْرُمْتُ سُلُوءَ
 وَبِي يَقْتَدِي فِي الْحَبِّ كُلُّ إِمَامٍ
 وَفِي كُلِّ غُضُو فِي كُلِّ صَبَابَةٍ
 إِلَيْهَا وَشَوْقُ جَاذِبٍ بِزَمَامِي^(٢)

* * *

وَأَصْبَحَ فِي حَبْرَتِهِ لِيَمْنَى لَوْ يَزْدَادُ
 حَبْرَةً ، وَفِي احْتِرَاقِهِ يَوْذُ لَوْ زَادَ احْتِرَاقًا وَفِي
 فَنَائِهِ يَرِغْبُ فِي زِيَادَةِ الْفَنَاءِ - :
 زِدْنِي بِفِرْطِ الْحَبِّ فِيكَ تَحِيرًا
 وَارْحَمْ حَشَى بَلْطَى هَوَاكَ تَسْعَرًا

- لقد نبذ ابن الفارض الجبال الحسنى
بكل صورته ، والحب الذي يقف عند
الحدود البشرية ، والشعر الذي يصور
الخمرة الحسية ، وتطلع إلى منابع الجبال
الأبدى ، والحب الإلهي ، والخمرة الربانية
التي تُميت الحس وتحيي الوجدان .
وقالوا : شربت الإثم ؟ كلاً . . وإنا
شربنا ، التي تركها عندي الإثم
هنيئاً لأهل الدّير كم سَكروا بها
وما شربوا منها . . ولكنهم هموا
وعندي منها نشوة قبل نشائي
معي أبداً تبقى وإن بلى العظم
فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحباً
ومن لم يمت سكرًا بها فاته الخمر !
على نفسه فليكن من ضاع عمره
وليس له فيها نصيب ولا سهم^(٤)
- وما أجمله في تساميه وهو يقول :
عذب بما شئت غير البعد عنك تجد
أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخذ بقيّة ما أبقيت من رَمَقٍ
لا خير في الحب إن أبقي على المهج^(٥)

* * *

- وقد نظم أغلب شعره ، وهو في
الحجاز ، ولهذا يغلب عليه طابع الشعر

وإذا سألتك أن أراك حقيقةً
فاسمح . . ولا تجعل جوابي لن ترى
ياقلب أنت وعدتني في حبهم
صبراً فحاذر أن تضيق وتضجراً
إن الغرام هو الحياة تمت به
صباً فحقك أن تموت وتعدراً
قل للذين تقدّموا قبلي . . ومن
بعدي ، ومن أضحي لإشجاني يرى
عنى خذوا . . وبى اقتدوا . ولّى اسمعوا
وتحدّثوا بصبابتي بين الورى^(١)
- وصار في حالة جذبٍ روحي
سعيد ، لا يستطيع مُبارحتها ، وصار شعره
عصارة هذه الأحوال جميعاً ، يصور
معاناته وأحواله ،
والصوفيّة أحوال ومكاشفة ، ومعاناة
ومواجه ، ومعارج وتباريح وسهر ولوعة ،
وسبحات في رحاب الأضواء العلوية
الخالدة ، ومحارباها الأقدس ، وصح له أن
يقول - :

يُحشر العاشقون تحت لوائى
وجميع الملاح تحت لؤاكا^(٢)
- وأن يقول :

ولا غرو أن سُدْتُ الألى سبقوا وقد
تمسكت من طه بأوثق عروة^(٣)

(٤) الديوان ٨٧ ، ٨٨ .

(٥) الديوان ٩٠ .

(١) الديوان ص ١٠٥ . ١٠٦ .

(٢) ص ١٠٠ . (٣) ص ٤٥ .

البدويّ الرقيق ، الذي فيه أثر مواجد
العشاق ، ورائحة أكبادهم المحترقة ، ولقد
استمدّ من البيئة الحجازية ملامح صوره ،
وتهاوّم خياله وإشراقه روحه ، وصفاء
أسلوبه .

- وقد سيطر ذلك الطابع على شعره
حتى بعد عودته إلى مصر .

- وعاد إلى موطنه مصر ، بعد رؤيا
روحية رأى فيها الشيخ البقال يدعوهُ لِشَيْعِهِ
إلى العالم الأخير ، ويتولّى بنفسه أمر
تجهيزه .

- ورغم عودة الطائر إلى عشّه الأصيل
فما زالت أشواقه الموصولة تتّجه إلى الحجاز
وساكنتي الحجاز .

- ويغلب على شعره بعد العودة الشوق
إلى رسول الله وإلى الديار المقدسة .

يا أَهْلَ الحِجَازِ إنْ حَكَمَ الدَّهْدُ
رُبَّ بَيْنٍ قِضَاءَ حَتَمٍ إِرَادِي

فغرامى القديم فيكم غرامى
وودادى - كما عهدتم - وودادى

قد سكتُم من الفؤاد سويدا
هـ . . . ومن مقلتي سواء السواد

ياسميرى رُوح بمكة رُوحى
شادياً إن غبت في إسعادى

فذرّاها سِرْنى وطيبى نَرّاها
وسبيل المسيل وِرْدَى وزادى

كان فيها أنس ومعراج قدسى
ومقامى المقام والفتح باد
نقلتنى عنها الخطوط فجذت
وَارِدَاتِي . ولم تدم أُرَادِي
آه . . لو يسمح الزمان بعود
فعسى أن تعود لى أعيادى (١)

* * *

- وقال موجّها حديثه إلى مصر :
عَزِيزَةَ مِصْرَ الحَسَنِ إِنَّا تِجَارُهُ
وليس لنا إلّا النفوسُ بضائعُ
لأَرْضِكَ قُوزَنَا بها . . فتصدّقى
علينا فقد نمت علينا المدامعُ
عسى تجعلى التعويض عَنَّا قُبُوها
ليُريحَ مِنَّا مبيعٌ وبائعُ (٢)

* * *

- وقد وصل به الشوق إلى درجة
الوصول ، وحلّ به الحبّ إلى درجة الحلول
وحتى صحّ له أن يكون سلطانَ العاشقين ،
لا يَنَازِعُهُ فيه أحد ، وقد حفل شعره بكثير
من الرموز الصوفية ، والصوفية فى حدّ
ذاتها رمز والرمز غموض ، وفى شعره
درجات من الرمز ، وبعضها واضح وبعضه
خفى .

* * *

(١) الديوان ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) الديوان ١٢٥ .

وجوانحه بالإشراق حتى استفاض ذلك كله
على جنباته فتحول برُمته إلى روح شفافة
لطيفة ، وجذبه القطب النوراني الأكبر ،
فدار بدورته ونسى كل ما حوله ، وغاب
عن وعي الوجود ، إلى وجود الوعي ،
فحظى بما لم يحظ به سواه من المرئيين ،
وشاهد بقلبه وحواسه الصوفية ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر .

عاد ابن الفارض إلى مصر وكأنه جاء
لتحظى به مصر ولتضم رفاتة في حضنها ،
فلم يبق بها إلا أربعة أعوام ، أو تزيد
قليلا ، حتى توفى يوم الثلاثاء الثاني من
جمادى الأولى سنة ٦٣٢ هـ .
ودُفن حسب وصيته في القرافة في سفح
جبل المقطم تحت المسجد المعروف
بالفارض .

سلام إلى ابن الفارض في مثواه ،
وسلام عليه في الخالدين ،
دكتور/ سعد ظلام

- ويمكننا أن نقول بشيء من
التبسيط : إن حياة ابن الفارض الروحية
تتألف من ثلاث مراحل .

١ - المرحلة الأولى مرحلة الاستعداد
بالرياضة والمجاهدة .

٢ - المرحلة الثانية مرحلة المكاشفة
والمشاهدة .

٣ - المرحلة الثالثة مرحلة القرب
والوصول .

- وقد كانت المرحلة الثانية ذات أثر
فعال في حياته ، بل هي عماد حياته الروحية
كلها ، ولقد كانت رحلته إلى مكة
مفيدة له .

- لقد تجرد تماما وصفا تماما ، وانداح
بكل كيانه سُمواً إلى معارج الصفاء ،
وصقلت البيئة الحجازية بمشاهدتها وجلالها
وذكرياتها وقداسيتها نفسه ، وسمت به من
درجة في الوصول إلى درجة ، ومن حال في
القرب إلى حال ، ومن وصف في الفناء
والتلاشي إلى وصف وهو في كل ذلك يزداد
إشراقاً وقرباً ، وتمتلي مواهبه بالنور ،

نبي الإسلام في مرآة الفكر الروسي

تولستوى

يتحدث عن نبي الإسلام

كثيرة وبالعوا في التقرب إليها واسترضائها ،
وأقاموا لها العبادات وقدموا لها الضحايا
المختلفة .

وكان كلما تقدم به العمر ازداد اعتقاداً
بفساد تلك الأرباب ، وأن هناك إلهاً واحداً
حقيقياً لجميع الناس والشعوب .

وقد ازداد إيمان محمد بهذه الفكرة فقام
يدعو أمته وأهله إلى فكرته ، معلناً أن الله
اصطفاه لهدايتهم وعهد إليه إنارة بصائرهم
وهدم دياناتهم وعباداتهم الباطلة . . وراح
يعلن عن عقيدته وديانته .

وخلاصة هذه الديانة التي نادى بها
هذا الرسول هو أن الله واحد - لا إله إلا
هو - ولذلك لا يجوز عبادة غيره . . وبأن
الله عادل ورحيم بعباده . . وأن مصير
الإنسان النهائي متوقف عليه وحده ، فإن
الله يؤجره في الحياة الآخرة أجراً حسناً . .
وإذا خالف شريعة الله وسار على هواه فإنه
يعاقب في الآخرة عقاباً أليماً . . وأن الله
تعالى يأمر الناس بمحبته ومحبة بعضهم

هو الكونت ليون تولستوى بن الجنرال
تولستوى وحفيد الكونت تولستوى السياسى
الروسى المتوفى سنة ١٩٢٧ م

نشأ جندياً ثم اشتغل بإصلاح الهيئة
الاجتماعية فأخذ يكتب القصص يودعها
مذهبه حتى ذاع صيته وطبق آفاق العالم . .
وتصدى لقادة الأديان وصاح بهم
صيحات انتقاد وسخرية حتى اضطروا إلى
الحكم بإلحاده .

لقد كان هذا الفيلسوف الروسى كاتباً
منصفاً ، فعندما رأى تحامل أهل الأديان
الأخرى على الدين الإسلامى ، هزته الغيرة
على الحق إلى وضع رسالة عن نبي الإسلام
وبعض تاريخ حياته فقال فيها :

« ولد نبي الإسلام في بلاد العرب من
أبوين فقيرين وكان في حداثة سنه راعياً ،
يميل إلى العزلة والانفراد في البرارى
والصحارى ، متأملاً في الله خالق
الكون . .

لقد عبد العرب المعاصرون له أرباباً

وراح عدد المؤمنين يتزايد يوماً بعد يوم .
ومن فضائل الدين الإسلامى أنه أوصى
خيراً بالمسيحيين واليهود ورجال دينهم ، فقد
أمر بحسن معاملتهم . وقد بلغ من حسن
معاملته لهم أنه سمح لأتباعه بالتزوج من
أهل الديانات الأخرى . . ولا يخفى على
أصحاب البصائر العالية ما فى هذا التسامح
العظيم . .
ثم ختم كلمته قائلاً :

لا ريب أن هذا النبى من كبار الرجال
المصلحين الذين خدموا الهيئة خدمة جليلة
ويكفيه فخراً أنه هدى أمته برمتها إلى نور
الحق وجعلها تنجح للسلام وتكف عن
سفك الدماء وتقديم الضحايا . ويكفيه
فخراً أنه فتح لها طريق الرقى والتقدم وهذا
عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتى قوة
وحكمة وعلم . .
ورجل مثله جدير بالإجلال
والاحترام .

ولقد كانت آراء هذا الفيلسوف الروسى
موضع تقدير الأستاذ الشيخ محمد عبده
فكتب لهذا الفيلسوف يقول :

أيها الحكيم الجليل مسيو تولستوى :
لم نخط بمعرفة شخصك ولكننا لم نحرم
التعارف مع روحك سطع علينا نور من
أفكارك وأشرقت فى آفاقنا شمس من

بعضا ، ومحبة الله تكون بالصلاة ، ومحبة
الناس تكون بمشاركتهم فى السراء
والضراء . . . وأن الذين يؤمنون بالله واليوم
الآخر يقتضى عليهم أن يبذلوا وسعهم فى
البعد عن كل ما من شأنه إثارة الشهوات
النفسية والابتعاد عن الملذات الدنيوية . .
وإنه يحتم عليهم ألا يخدموا الجسد
ولا يعبدوه ، بل عليهم أن يخدموا الروح
ويهدبوها . .

ومحمد لم يقل عن نفسه إنه نبى الله
الوحيد بل اعتقد أيضاً بنبوة موسى وعيسى
وقال إن اليهود والنصارى لا يكرهون على
ترك دينهم .

وفى سنى دعوته الأولى احتمل كثيراً من
اضطهادات أصحاب الديانة القديمة شأن
كل نبى قبله نادى أمته إلى الحق ولكن هذه
الاضطهادات لم تثن من عزمه بل ثابر على
دعوة أمته . .

وقد امتاز المؤمنون كثيراً عن العرب
بتواضعهم وزهدهم فى الدنيا وحب العمل
والقناعة - وبذلوا جهدهم فى مساعدة
إخوانهم فى الدين عند حلول المصائب
بهم .

ولم يمحض على جماعة المؤمنين زمن
طويل حتى أصبح الناس المحيطون بهم
يحترمونهما احتراماً ويعظمون قدرهم ،

آرائك ألقت بين نفوس العقلاء ونفسك ، هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها وإلى الغاية التي هدى البشر إليها ، فأدركت أن الإنسان جاء هذا الوجود لينبت بالعلم ، ولأن تكون ثمرته تعباً ترتاح به نفسه ، وسعياً يبق ويرى جنسه ، وشعرت بالشقاء الذي نزل بالناس لما انحرفوا عن سنة الفطرة ، ولما استعملوا قواهم التي لم يمنحوها إلا ليسعدوا بها ، فيما كدر راحتهم ، وزعزع طمأنينتهم .

ونظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد ، ووصلت بها إلى حقيقة التوحيد ، ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هداك الله إليه ، وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه ، فكما كنت بقولك هادياً للعقول كنت بعملك حاثاً للعزائم والهمم ، وكما كانت آراؤك ضياء

يهدى بها الضالون كان مثلك في العمل إماماً يقتدى به المسترشدون . وكما كان وجودك تويخاً من الله للأغنياء كان مدداً من عنايته للضعفاء الفقراء . وإن أرفع مجد بلغته ، وأكبر جزاء نلته على متاعبك في النصيح والإرشاد . هو هذا الذي سماه الغافلون بالحرمان والإبعاد فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس أنك لست من القوم الضالين فاحمد الله على أن فارقوك في أفوالهم كما كنت فارقتهم في عقائدهم .

هذا وإن نفوسنا لشيقة إلى ما يتجدد من آثار قلمك ، فيما تستقبل من أيام عمرك . وإنا نسأل الله أن يمد في حياتك ويحفظ عليك قواك ويفتح أبواب القلوب لفهم قولك ، ويسوق النفوس إلى التأسي بك في عملك والسلام .

حقائق

- حفظ الصحة أسير من علاج العلة .
- أوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء .
- الدنيا كالحية : لين لمسها ، قاتل سمها .
- حياتنا أحلام تنتهى برقاد الموت .
- طوبى لمن كان بصره في قلبه ، والويل لمن كان قلبه في بصره .
- ثمرة الأدب العقل الراجح ، وثمره العلم العمل الصالح .

الدين ضرورة بشرية

الدكتور/ زاهر عزب الزعبي

التاريخ وجدنا طعم الدين وألوانه ومذاقه واضحة غير خفية . . ومهما أوغلنا في الرجوع إلى الماضي وجدنا ظل الآلهة حبيبا نكتشف تراث الإنسان حتى في أحلك عصور البدائية الإنسانية في فترات ما قبل التاريخ . . وكما وقع في أيدينا أثر إنسانى : وسواء أكان هذا الأثر لإنسان انفرادى تائه عاش يهيم على وجهه وحيدا في غابة أو كهف خلال أعماق الأغوار السحيقة للزمن . . أو ضمن أسر أو قبائل متوسطة الحجم على سفوح الجبال والأودية . . أو في جماعات كبيرة منظمة متحضرة في وديان الأنهار . . أو حيث يمكن أن تيسر للبشر حياة جماعية . . وجدنا في هذا الأثر السمة الدينية واضحة جليلة . . وكثيرا ما عثر المنقبون عن آثار الإنسان على مخلفات للإنسان البدائي الأول الذى عاش حياة لا ترقى كثيرا عن حياة الحيوان في أحد الكهوف أو بعض مسارب الغابة . . وكانت هذه المخلفات غير واضحة المعالم الإنسانية ، بحيث لم تكن تختلف كثيرا عن مخلفات

تاريخ الإنسانية الطويل لم تخل فترة منه عن العنصر الدينى متغلغلا في كل أنحاء الشخصية الإنسانية بحيث لا يمكن أن نغض عنه الطرف في أية دراسة لأية فترة تاريخية وسواء أكانت هذه الدراسة للأشخاص أو للحوادث . . ولم تكن عناية الله تتخلى عن البشرية فتركها تتخبط في غياهب الجاهلية . . فكانت الرسالات تترى والنبوات تتوالى ومعها هداية الله وتوجيهه . . ولكن أيضا كانت هناك فجوات زمنية كثيرة على فترة من الرسل . . فكان الإنسان يتخبط مجتهدا تستحثه ضرورة جيلته أن يبحث عن علاقته بالكون وبكل ما يحيط به . . وأن يفسر أسباب وجوده ووجود من حوله وكل ما فى الكون من خليقة . . ومن ثم كانت الاجتهادات البشرية للتعرف على الخالق وكيفية تبجيله واستجلاب رضاه على الدوام نشيطة ومتنوعة . . وكانت التصورات الإنسانية المتعددة عن الدين دائما شغل الإنسان الشاغل . . وكما التقطنا قطاعا ما من

وهذا الجانب الدينى العريق الفعال فى حياة الإنسان قد تناوله بالبحث علماء مقابلة الأديان فاتفقوا فى شبه إجماع على أن الإنسان قد ترقى فى عقائده على النحو الذى ترقى به فى سائر شئون حياته . . وإن عقائده الأولى كانت مساوية لحياته الأولى وكذلك كانت علومه وصناعاته . . فأدواته الأولى كانت بدائية بالقدر الذى كانت عليه بدائية عقائده . . ثم كان الترقى فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات حتى انتهى إلى معرفة الله الواحد من خلال صنعته كخالق . . ولم يكن ذلك إلا لأن الحقيقة الكبرى أكبر من أن تتجلى للناس كاملة شاملة فى عصر واحد ، بل إن الناس يستعدون لمعرفة عصر بعد عصر ، وطورا بعد طور ، وأسلوبا بعد أسلوب كما يستعدون لمعرفة الحقائق الصغرى ، بل على نحو أصعب وأعجب من استعدادهم لعرفان هذه الحقائق التى يحيط بها العقل ويتناولها الحس والعيان .

وكما اتفق هؤلاء العلماء على تطور الدين وترقيته خلال الإنسان اتفقوا أيضا على أصالة العقيدة الدينية فى طباعه منذ أقدم أزمنة التاريخ ، وأنه فى الطبع الإنسانى جوع إلى الاعتقاد كجوع المعدة إلى الطعام . . فالروح الإنسانية تجوع طلبا

الطبيعة نفسها ولكن السمة الدينية فيها هى التى حددت نسبتها للإنسان . . ومن أجل ذلك يستطيع المرء أن يقرر باطمئنان أنه خلال الحياة الإنسانية الطويلة ظل الدين منذ البداية ألمع ظاهرة إنسانية ، وليس من قبيل الادعاء أوالمبالغة القول بأن المادة الدينية فى التاريخ الإنسانى تطفئ على كثير غيرها من مواد هذا التاريخ . . بل إن الدين كان فى كثير من الأحيان - إن لم يكن معظمها - هو العامل الأهم - وربما الوحيد - فى المواقف الحاسمة التى تغير فيها مجرى الأحداث أوسير التاريخ كما يقولون . . وتلك هى المواقف التى انتفضت فيها الإنسانية فقفزت خطوات فى تدرج الرقى وأونتكت درجات فى مهاوى التقهقر . . ولاشمال الكيان الدينى على عناصر أخلاقية ظل الدين فى كل الأحوال الضابط الحقيقى للإيقاع فى سيمفونية الحياة الإنسانية . . وكان الوازع الدينى يؤدى دائما وعلى خير وجه مهمة مزدوجة للناس : الحارس اليقظ ضد الانحلال ، والقوة الدافعة فى طريق التطور . . ولذلك فإن الدين لم يكن ألمع وأقدم ظاهرة إنسانية فحسب بل كان أيضا أقوى الظواهر الإنسانية وأشدّها فعالية فى حياة الإنسان . .

علماء المقابلة داخل النفس الإنسانية وخارجها ، بينما انحصرت أبحاث علماء النفس أصالة داخل النفس الإنسانية ووسط انفعالاتها وغرائزها .

وقد اختلفت آراء الأولين من علماء المقابلة في كنه الباعث للعقيدة الدينية ومصدرها . . فبينما يرى الكثيرون منهم أن الأساطير هي أصل الدين بين الهمج . . يرى تيلور ^(١) Tylor أن ملكة الاستحياء animism هي أصل الاعتقاد بالأرباب ، ويمثل ذلك بالطفل يضرب الكرسي إذا أوقعه كما يضرب الإنسان والحيوان . . وكان الإنسان الأول كالطفل إذا تخيل النجوم والسحب والظواهر الطبيعية كائنات حية فآلهها وأقام منها أربابا يتعبد لها . . وذهب آخرون إلى أن السحر هو أصل العبادات وأصل الشعائر الدينية . . كما أن كثيرين يعللون العقيدة الدينية بضعف الإنسان بين مظاهر الكون وأعدائه فيه من القوى الطبيعية والأحياء . فلاغنى له عن سند يتدعه ابتداعا يستشعر الطمأنينة بالتعويل عليه والتوجه إليه بالصلوات والأدعية في شدته وبلواه .

أما ماكس مولر ^(٢) Max Muller فيرى

(١) The Primitive Culture

(٢) مقدمة : كتب الشرق المقدسة .

Sacreo Books of the east, Oxford, London.

للاعتقاد تماما كالجسد الإنساني الذي يجوع طلبا للغذاء . . ولايعيب هذه الحقيقة نوع العقيدة سواء أكانت صحيحة كعقيدة الموحدين أوباطلة كمعتقدات الوثنيين . .

وقد قال الأستاذ العلامة عباس العقاد في مقدمة كتابه الله : « إننا لانخرج بهذه المشابهة عن مداها . . إذا قلنا إن إنكار الحاسة الدينية لرداءة العقيدة الأولى أوسخف موضوعها كإنكار المعدة في الجوف لرداءة المأكول وسخافة الغذاء ، لأن المرجع إلى بنية الروح وبنية الجسد في الحالتين ، وكلتاهما حق لايقبل المراء .

حق لايقبل المراء أن الحاسة الدينية بعيدة الغور في طبيعة الإنسان .

وحق لايقبل المراء أن الإنسان يجب أن يؤمن ولايستقر وسط هذه العوالم بغير إيمان . . »

وأصالة العقيدة الدينية في الطبع الإنساني . (كحقيقة لامراء فيها) اتخذها كل من علماء مقابلة الأديان وعلماء النفس نقطة البداية ومحور الارتكاز في البحث عن الدافع للشعور الديني ومصدره ومناقشة أشكال العقيدة وصورها التي تقمصتها عبر التاريخ . .

وفي معرض البحث عن مصدر الشعور الديني ودوافعه شملت مجالات استقراء

بأن العقل هو وسيلة الاعتقاد ومنبعه الإحساس بروعة الجاهول وجلال الأبد الذى ليس له انتهاء . وهو يؤمن بأن البصيرة هبة عريقة فى الإنسان وأنا معها نرجع بخطوات الإنسان إلى الوراء فلن يفوتنا أن نتبين أن منحة العقل السليم الواعى كانت من خصائصه منذ أول عهده . . وأن القول بإنسانية متسلسلة على التدرج من أعماق البهيمية إنما هو قول لن يقوم عليه دليل .

وقد ناقش الأستاذ العقاد أيضا فى الفصل الأول من كتابه « الله » كثيرا من هذه الآراء وأبطل بعضها كلياً أو جزئياً وخلص فى النهاية إلى أنه يجوز أن تنبعث العقيدة من أكثر الفروض المتقدمة ولا تنبعث عن فرض واحد ، ولكنها على تعدد الأسباب يمكن أن تجتمع فى تفسير يشملها جميعا . . ونحن لانهمل سببا يخطر على البال إذا قلنا إن العقيدة هى ترجمان الصلة بين الكون والإنسان ، أو قلنا إنها مظهر الصلة بين العالم الأكبر والعالم الأصغر . إذ لابد من صلة بين الكون وكل موجود فيه .

وفى رأيه أن هذه الصلة تجعل فى الإنسان وعيا خاصا أطلق عليه « الوعى الكونى » . وهذا الوعى هو الذى ترجمه الديانات فى كل قبيل وتمثله بما تشاء من

الرموز والعبارات . ومما لا ريب فيه أن البداية لم تأخذ شكلا واحدا بين الجماعات البشرية ، كما لم يسر التطور والترقى فى الاعتقاد بسرعة واحدة بينهم ، ولم يكن على نمط واحد متعاقب الحلقات وإنما كان على أنماط شتى وعلى فترات متفاوتة . . وكثيرا ما كان يحصل الانتكاس فى ديانة شعب من الشعوب . . فبينما كان المفروض أن يرقى هذا الشعب إلى درجة أعلى فى تطور عقائده إذا به يسير ولكن إلى وراء . ويصنف علماء المقابلة بين الأديان مراحل أطوار العقيدة بصفة عامة فيقسمونها إلى ثلاثة أطوار :

١ - دور التعدد Polytheism

٢ - دور التمييز والترجيح Henotheism

٣ - دور الوجدانية Monotheism

ففى الطور الأول كانت تتعدد الآلهة بتعدد القبيلة أو بتعدد الأسرة صغيرة كانت أو كبيرة ، وربما فى البداية كانت تتعدد هذه الآلهة بتعدد الأفراد أيضا . . فقد كان للقبيلة إله تعبده . . . ولم يكن من غير الشائع أن يكون بجوار إله القبيلة إله خاص لكل أسرة أو لكل فرد حسب ارتياح نفس الفرد وهواه . . .

أما الطور الثانى - دور التمييز والترجيح - فقد جاء مصاحبا لفترة التكل

الأديان أن الإنسان الأول اتخذ إلهه على شكل طوطم من حيوان أوتيمة من حجر أو شجرة أو صخرة في جبل أو ينبوعا من الماء أو خليجا في بحر أو خورا في سهل ، وقدس كل ذلك وعبدته على أن فيه قوة تمنع عن الإنسان الأذى وتجلب له الخير ، وقد يكون سبب اختياره لطوطمه أو لمعبوده أن اعتقد أن فيها - لذاتها - قوتها التي تؤهلها لوظيفة الألوهية ، وأنه قد حلت فيها روح أحد الأسلاف الذين عرفوا بسطوتهم وقوتهم في حماية القبيلة والمهارة في جلب الصيد والقوت لها وحفظ النظام بين أفرادها .

وبارتقاء المعرفة والحضارة وازدياد وعي الإنسان نظر إلى معالم الكون البارزة وعلم أن أثرها وفعاليتها في تصريف أمور الحياة أقوى من مواد الأرض فبدأ يتجه إليها ويتخذها أربابا . . ومن بين هذه المعالم الكونية استأثرت بانتباه الإنسان - بوجه خاص - المعالم الضوئية كالقمر والشمس والقمر والنجوم . . وفي سبيل أن يجعل الإنسان بين أربابه الجدد وبين عالمه نوعا من الصلة أو السيطرة انتحى النزعة الأسطورية التي تمخضت فيما بعد عن آلهة ذات شخصية أسطورية محضة منفصلة تمام الانفصال عن أصلها الذي كان نفس

الاجتماعي في وحدات صغيرة أو كبيرة يشملها نوع من التنظيم السياسي على ضفاف الأنهار أو في الوديان الخصبة ، حيث أخذت بعض الآلهة في اللمعان والظهور ، فازداد نفوذها واتسع نطاق عبادتها لأسباب قد ترجع في معظمها إلى قوة نفوذ القبيلة التي تتعبد لها . . وفي هذا الطور لم يكن من الممتنع أن يجرى التعبد للإله الأكبر الذي اتسع نطاق سلطانه . وفي نفس الوقت تتعبد كل قبيلة لإلهها الخاص بجوار التعبد لذلك الإله . . ثم أخذ ظل الآلهة الفرعية يتقلص شيئا فشيئا . . حين خضع كل الشعب أو الجماعة - حينما تكامل البناء الاجتماعي والسياسي للجماعات الإنسانية - لإله واحد ، فساد هذا الإله بسبب أو لآخر . وهذا هو الطور الثالث دور الوحداية . .

وقياسا على الأشكال الإلهية في ديانات القبائل المهمجية التي لاتزال تعيش في بقاع شتى من الكرة الأرضية حتى اليوم ، وفي ظروف لاترتفع كثيرا عن مستوى الظروف التي عاشها إنسان ما قبل التاريخ . . ومثل هؤلاء الهمج يسكنون في غابات أفريقيا وفي مجاهل أستراليا . وعلى سفوح الهالايا وفي وهاد ألاسكا . . قياسا على الأشكال الدينية لأمثال هؤلاء يفترض علماء مقابلة

صورة الإله في ذهنه كونا معنويا ، وبقى رمزها مجرد رمز قد لا يكون له في ذهن الإنسان أدنى صلة مادية بالإله المقدس . بقيت ثلاث نقاط تحتاج إلى توضيح حتى نفرغ من تلخيص مجمل ماخاضت فيه أبحاث علماء مقابلة الأديان من جوانب الدين . .

الأولى : هى منشأ فى كثير من الأديان القديمة من نظام الكهنوت .

والثانية : تتعلق بما راج فى بعضها عن خلود الروح أوبقاءها بعد الموت .

والثالثة : تتعلق بالناحية الأخلاقية التى لازمت العقيدة الدينية وصاحبها منذ البداية .

وبالنسبة لنشأة النظام الكهنوتى فى الديانات الوثنية القديمة تستبعد الافتراضات التى دارت حول الاحتمالات الممكنة أن يكون قديما قدم الدين نفسه وإنما أتى حثيثا وبالتدريج من أن زعماء القبائل قد زاولوا صفة الزعامة ومقتضياتها فى الشئون الدينية ضمن مزاولتهم لاختصاصات الزعامة فى سائر شئون الحياة ، وكان من ضمن هذه الشئون الدينية تقديم القران للإله القبيلة باسم جميع أفرادها ، وكذلك تلاوة الصلوات وطلب استجلاب الرحمة ورفع الضر . . وبالتدريج نشأ نوع من الزعامة

الشمس أو القمر أو أحد الكواكب . . وإن بقى التبعذ للأصل على أنه رمز لذات الإله ، لأنه - كما كان من قبل - هو المقصود بالتأليه والعبادة . . ثم أخذت هذه الشخصية الإلهية تسمو بها الفكرة الإنسانية حتى غدت فى اكتمالها - فى بعض الديانات كالأخناتونية المصرية - إلى مايقارب الصورة المثالية التى وصفت بها الأديان السماوية ذات الله القدير الخالق .

ويعزو علماء مقابلة الأديان تطور الفكرة الدينية من صورتها البدائية حتى شكلها النهائى الذى استساغته العقلية الإنسانية فى الأديان السماوية إلى أن سعى الإنسان لإشباع عاطفته الدينية لم يفتر لحظة ما طوال تاريخ البشرية . . وكان فى بداية المشوار يقنع بما يتيح له فكره المحدود من إسباغ الصبغة الإحيائية على ماتناوله يده وبصيرته من كائنات قريبة منه كالأشجار والصخور والنباتات والحيوانات . . وكان كلما ارتقى بفكره تجلّت له تفاهة مواضعه الدينية ، فهو يرتقى بها إلى ما يوائم أفكاره التقدمية ، وتظل هذه العملية التلقائية فى اطراد حتى يصل أخيرا إلى النهاية أو إلى مايقاربها .

وكانت نظرته الإحيائية إلى رمزه الإلهى تقل بارتقاء فكره شيئا فشيئا ، حتى غدت

تطوير لفكرة الكهانة لدى المصريين
والآشوريين والبابليين . وعقدوا بينها
المقارنات من جوانبها الوظيفية
والعقائدية .

أما بالنسبة للروح وخلودها . فإن
ماكس مولر max muller يستبعد أن يكون
الإنسان قد اكتشف الروح أو عرف معناها
منذ البداية وأن اكتشافه إياها في نفسه قد
جاء بعد أن اكتسب باجتهاده وتجاربه قدرا
من المعرفة . إذ اقتصر مصادره العلمية في
البداية على تجربته البدائية ، وإنما اضطر إلى
الدين في هذه البدايات الأولى لتفسير
ماغلق على فهمه القاصر من مشاكل كانت
تعجز عن حلها تجربته الفجة المحدودة . .
ومولر يقول أيضا بأن معرفة الإنسان للروح
كانت سابقة لمعرفته البقاء والخلود ، ويعلّل
ذلك بأن معرفة الخلود كانت تستلزم معرفة
الأبد واللانهاى . . وهذه الألفاظ لم
تتضمنها إلا اللغات المتأخرة . . ولعل طبيعة
الأبحاث التى أجراها مولر في هذا المجال -
وكانت تنتج البحث عن عقائد الدين من
خلال الدراسات اللغوية في لغات
الأسلاف القدماء - هى التى جعلته ينتهى
إلى هذا رأى .

وقد ناقضه كثيرون باعتبار أن الإنسان
قد اكتشف الروح في نفسه وفي الحيوان ،

الدينية تطور حتى صار وظيفة لها مراسيمها
ونظمها الخاصة ومواصفاتها في من يتولاها
من الناس .

وهناك رأى آخر جدير بالمناقشة يُرجع
أصل الكهانة إلى السحر . . ويقول هذا
الرأى بأن الإنسان قد عرف السحر قبل أن
يعرف الكهانة . وإيمان الإنسان بأن في
مقدرة الأرواح أو الآلهة أن تقوم بالأعمال
الخارقة أدى إلى نشوء الطقوس ومزاوتها ،
وبالتدريج اتسع نطاق هذه الطقوس
وتعقدت أشكالها حتى أصبح من المتعذر
على الفرد العادى أن يلمّ بها . . وتخصص
في معرفة أصولها وقواعدها نفر من الناس
كانوا هم السحرة الذين يقصدهم الناس
لكى يتوسطوا بينهم وبين الأرواح أو الآلهة ،
لكى تحقق المأرب وتجب الطلب ، وبذلك
احتكر فريق من الناس الوساطة بين
الإنسان وإلهه ، وهذا بدوره أدى إلى
الكهانة التى أصبحت فيما بعد إحدى
الوظائف الهامة والتى لعبت دورا كبيرا في
المجالين الاجتماعى والسياسى بل والعملى
أيضا في عصور الوثنية المتأخرة حتى إلى
ماقبل الميلاد بعدة قرون .

ويميل كثير من علماء مقابلة الأديان
هؤلاء إلى أن يعزوا فكرة الكهانة في الديانات
الإسرائيلية كوساطة بين الناس والله إلى أنها

الدينية . . وهذا الموضوع قد ناقشه علماء النفس على نحو أكثر موضوعية وتوصلوا فيه إلى نتائج أشد إقناعاً وأقرب إلى العقل مما توصل إليه علماء مقابلة الأديان . .

ويرى فرويد Frued أن الإحساس الدينى فى الإنسان إنما هو النتيجة النهائية لعملية ديناميكية عقلية mental Dynamic Process تكمن بدايتها فى اللاشعور unconsciousness بدافع من غريزتى الخوف والجنس . . فالإنسان فى نظر فرويد يستشعر دائماً - حتى إبان رجولته - ضعف الطفولة فى نفسه فلا بد له من حماية فى وجه القوى الهائلة المجهولة التى تواجهه ، وهو لذلك دائم البحث عن حماية ضد مصادر خوفه . . والإنسان خلال هذا البحث يحاول أن يسترضى وأن يستميل ما يخاف منه ، فيتقدم إليه بالقرايين ، ويتخذة ربا ، ويتعبد له . . وكل هذا كى يأمنه . .

ويتدرج فرويد بالعقيدة الدينية فيفصل مراحل تطورها . . وهو يرجح أن الإنسان قد بدأ بعبادة الطوطم ثم ارتقى حتى وصل إلى عبادة الخالق . .

وعن كيفية بدء الإنسان بعبادة الطوطم ، يفترض فرويد فى كتابه « الطوطم والحرم » « Totem and taboo » أن الإنسان كان يعيش فى الماضى السحيق

تلك الروح التى تذهب وتحمى بالموت ، وهذه الملاحظة لاحتاج إلى كبير عناء . . وليست مشكلة ذهنية . .

وهو لا بد قد رأى أطراف أسلافه فى الأحلام أثناء النوم وحادثهم وحادثوه فعرف فكرة البقاء بعد الموت . . والبقاء بعد الموت فى ذهن البدائى قد يعنى البقاء المطلق . . وهذا يعنى الخلود بدون ضرورة لمعرفة اللانهاى . . وإذا كانت الألفاظ المعبرة عن الروح وخلودها قد خلت منها اللغات الأولى فهذا لا يعنى أن معرفة الروح وخلودها قد تأخر إلى وقت ظهورها فى ألفاظ ضمن اللغات الإنسانية . . لأنه لا شئ يمنع إطلاقاً ، أن يستشعر الإنسان المعنى ويدركه دون أن يجد له لفظاً بين مفردات لغته . . وقد يظل المعنى قائماً مُحدداً فى ذهن الإنسان بدون لفظ له ، حتى يوفق هذا الإنسان فى اختراع اصطلاح صوتى للتعبير عنه ، وهذا يستغرق وقتاً قد يطول أو يقصر تبعاً لمقدرة الإنسان على اختراع هذا الاصطلاح الصوتى المنشود لكى يأخذ مكانه بين ألفاظ اللغة .

الدين من خلال علم النفس

فكرة الروح وخلودها مرتبطة وثيق الارتباط بالناحية الأخلاقية فى الفكرة

والهواء ليقْدَسوه ويحرموا قتله كوسيلة لتخفيف حدة الشعور بالذنب .

وقد لاقت هذه الفكرة رواجاً لكثرة القائلين بها من علماء النفس حتى أصبحت فكرة عامة أو مذهبا يسمى بالطوطمية Totemism (وقد يكون سبب رواج هذا الرأي أنه لا تزال هناك في كل من أفريقيا وأستراليا والأمريكتين وفي بعض أجزاء من آسيا وبعض الجزر المتاخمة لها قبائل همجية تتخذ الطواطم وتعبد لها) .

ويرى فرويد في عقدة أوديب - وفي النظام الطوطمي الذي نشأ عنه نتيجة لها - أهمية اجتماعية كبيرة . . فهو يعتبر أن عقدة أوديب هي الأساس الذي قامت عليه الأنظمة الاجتماعية والدين والأخلاق ، فنشأت الأنظمة بما فيها من الأوامر والنواهي وتحريم القتال والتنافس . . وعن الشعور بالذنب وتأنيب الضمير اللذين تتضمنهما العقدة نشأ الدين . . أما عن الرغبة في التكفير عن الذنب فقد نشأت الأخلاق . .

ويذهب آخرون من علماء النفس منهم مك دووجل Mc. Dougall في كتابه Psycho analysis and Social Psychology وفولوجل Flugel في كتابه Man's moral and Society يذهب هؤلاء إلى موافقة فرويد في أن

ضمن قبيلة بدائية يتزعمها أب قوى غيور ، وقد استحوذ هذا الأب القوى على جميع نساء القبيلة اللواتي باعد بينهن وبين أبنائه الناشئين الذين كانوا يحبونه ويعجبون به ، كما كانوا في نفس الوقت يخشونه ويغضونه ، لأنه كان يقف عقبة في سبيل إشباع رغبتهم الجنسية ، ومن هذا الموقف المشيع بالتناقض الوجداني ambivalence نشأت عقدة الأب Father complex عند الأبناء ، وهي أصل عقدة أوديب Oedipus complex وقد تجمع هؤلاء الأبناء الخرومين وقتلوا آباهم وأكلوه . . وبأكله قد حققوا رغبة كان يشعر بها كل منهم وهي تقمص شخصية الأب .

ثم أخذت دوافع الحب نحو الأب المقتول أو مظاهر الخشية من روحه وطيفه الباقيين في ممكن مجهول تظهر بعد ذلك بوضوح . . وأخذ الأبناء يندمون على الذنب الذي اقترفوه . . ودفعهم الإحساس بالذنب إلى وضع قواعد وقوانين فيما بينهم تحرم عليهم ماسبق أن حرم عليهم الأب المقتول ، وهذا هو منشأ تحريم زواج المحارم Incent Taboo الذي يقول به المخللون النفسيون . . ثم أقام الأبناء لأنفسهم أباً بديلاً رمزياً يسمى الطوطم Totem ويكون عادة حيواناً أو نباتاً أو قوة طبيعية كالماء

بداية التسلسل النفسى الذى ينتهى إلى عاطفة التدين إنما هو غريزة الخوف وحدها وليس لغريزة الجنس هنا شأن يذكر.

وفى بسط هذا رأى يتحدث القائلون به عن مُرْكَب بوليكراتيس

The Polycrats complex

وهو أن الإنسان فى كثير من الأوقات يشعر فى قرارة نفسه بأنه لا يستطيع أن يصل فى حياته إلى مستوى الذات العليا أى المستوى المثالى الخير الذى يرضى عنه الضمير ، وهذا وحده كاف لأن يشعر الإنسان بالذنب والحاجة للعقاب . وقد يخفف وقع الإحساس بالذنب وَحْدَةً تَأْنِيْب الضمير تألّم الإنسان لمصائب تعزيره ، ويعتبر وقوعها تكفيرا لذنبه فإذا لم يقابل الإنسان مصائب يتألم منها ألما كافيا لتكفير ما يشعر به من ذنب يبدأ يستشعر شيئا من القلق وعدم الارتياح لأن حاجته للعقاب والألم لم تتحقق . . وَكَأَنَّ لدى الإنسان فى أعماق نفسه خوفا لاشعوريا من أن حياته تسير على ماينبغى من النجاح المطرد وفى سعادة متواصلة . . ويشعر بأنه لاشك مقدم على عقاب لا بد وأن ينزل به . . وَكَأَنَّ هذا كله نذير خفى بالشر وعلامة على حلول السقوط وتبدل السعادة شقاء . . ألسنا جميعا نقول عندما نحل بنا لحظات

سعيدة مريحة ونضحك كثيرا من أعماقنا : « اللم اجعله خيرا » أليس معنى هذا أن فى أعماقنا خوفا لاشعوريا من أن السعادة المسترسلة قد يعقبها ألم وتعاسة ؟ ؟

وعلى هذا النمط يعاقب الضمير الذات إن هى حادت عن الطريق الخير المثالى الواضح فى كنه الضمير . . ولا بد فى عملية التفاعل العقلى من أن يتجسد الضمير فى تشخص خارجى يكون المصدر الحقيقى لمعاقبة المذنبين وردعهم ومكافأة الخيرين وإسعادهم . . وتطلع البشر لمعرفة كنه هذا المصدر . . مصدر العقاب والثواب . . كان هذا التطلع طوال حقب التاريخ هو الدافع الفورى لشعور الإنسان بحاجته إلى من يتعبد له . .

وقد قال الدكتور محمد كامل النحاس فى كتابه سيكولوجية الضمير : « إنه عن هذا الطريق يكون من السهل علينا أن نثبت وجود الله أوندلل على ضرورة شعور المرء بوجود خالق عظيم تدليلا سيكولوجيا ، ويمكن أن نقول إن أغلب الذين ينكرون الله يشعرون فى بعض الأحيان بخوف وقلق عام لا يدرون مصدره خصوصا إذا حلت بهم نكبة وكأنّ لديهم شعور دفين بوجود خالق عظيم وكأنّ النكبة عقاب لهم على تنكرهم له أولإنكارهم إياه . . »

بالقربان .

وهؤلاء لم يلحدوا بإنكارهم الله فحسب وإنما استبدلوا تقديس الإلوهية بتقديس العقل واعتمادهم عليه ، فنشأ بذلك نوع من الوثنية . وهذه الوثنية الجديدة كانت تجد رواجاً ظل يستشري في خط بياني اطرده متوازي مع تقدم العلم والاختراع الآلى والصناعى .

ولقد تشعبت أبحاث علم النفس حول هذا الموضوع . . ولن نستفيد كثيراً من تتبعها واستقراءها فإنها على كثرتها وتشعبها وتضاربها في كثير من الأحوال تلتقى في النهاية فتؤكد الفرض الذى نهدف إليه : وهو أن الإحساس الدينى فى الإنسان إن لم يكن غريزة أصيلة فيه فإنه مرتبط ارتباطاً مباشراً ووثيقاً بالغرائز النفسية ، وله منها دوافعه القوية التى لا تكل ولا تفر . وأن الدين عنصر ضرورى لطبع الإنسان وحياته ولا غناء للعنصر الدينى حتى تستقيم شخصية الإنسان على سواء خلقها .

الدين من خلال علم الاجتماع

وأما علماء الاجتماع وخصوصاً المحدثين منهم فإنهم يناقشون الأشكال الدينية لأعلى أنها فقط من الضرورات الإنسانية التى لا بد للإنسان منها حتى يستكمل مقومات

وإذا أخذنا فى اعتبارنا المفهوم العام للدين . . نفس المفهوم الذى فسره به علماء النفس . . وهو أن الدين إنما هو إيمان المرء بكائن ما أياً كان هذا الكائن ، يرجو نفعه ويخشى شره وهو لهذا يتقرب إليه بالعبادة والقربان . . إذا اعتبرنا هذا المعنى للدين دخل فى نطاق المتدينين كل ملاحظة وزنادقة هذا العصر لأن آفة هؤلاء على اختلاف مشاربهم - فى أغلب الأحوال - أنهم عجزوا عن إدراك حكمة الخالق فى عدم مسارعتهم بتلبية كل مطالب الإنسان ، ووجدوا فى العلم وسيلة لتحقيقها أو معظمها بنتاجه من الآلات والمخترعات . . وهكذا تخلى هؤلاء بشكل شعورى عن الإيمان بالله وتحولوا إلى الإيمان بالعقل - أو على الأقل بالآلة - وعلى هذا فهؤلاء على نحو ما يُعتبرون حسب المفهوم العام للدين متدينون وعلى حسب المقاييس الحضارية العامة لا يعتبر هذا الدين الجديد أو الإلحاد تقدماً فى سير التطور الدينى وإنما انتكاساً إلى الوثنية البدائية . . ويمكن المقارنة هنا بلاإجحاف بين هؤلاء وبين الإنسان البدائى الذى قُتِنَ بالنار عند اكتشافها ولمس منافعها فى الإضاءة وإنضاج الطعام والتدفئة - كما لمس مضارها فى الإحراق والتدمير - فبجلها وعبدها وتقرب إليها

والشرك حتى استقر الفكر والنفس في الإنسان على إدراك مركزه في الكون ككائن ضئيل فيه وعلى أن سبب وعلة وجود هذا الكون الهائل ذات الإله المنفردة بالكمال والمترهنة عن كل نقص التي لا مثيل لها بين الكائنات ولا شريك لها من مثله . . ولولا استشعار الفكر بالاستقرار والراحة بالاقتناع بالفكرة الإلهية في الأديان التوحيدية لاتخذ منها موقفا معاديا ولسعى إلى تعديلها على نحو الموقف الذي وقفه دعاة اللوثرية من التعاليم والنظم الكنسية حينما اشتطت بعيدا عن النهج المسيحي السليم .

ومنهج علماء الاجتماع في دراستهم للدين يتركز على بحث قوته القديرة على تكتيل أفراد البشر ضمن وحدات متماثلة في المنهجين التفكيرى والسلوكى ، وهم يناقشون الأديان بما فيها أشكائها العقائدية البحتة ، وكذلك مانحصر عليه من أنماط سلوكية ومثل أخلاقية . . وعلى هذه الاعتبارات يقارنون فيما بينها . . وهذه المقارنات التي بدأها المتأخرون - وإن كانت للاعتبارات المذهبية والطائفية الدينية - لم تسر على نحو جدى . ولم تسفر بعد عن نتيجة إيجابية متفق عليها . قد تمخضت عن قواعد عامة يمكن أن تجدى في موازنة صحيحة بين الأديان الثلاث

شخصيته ووجوده . . أو أنه لكي يستجيب لداعى هذه الضرورة راح يتلمس عقيدته الدينية باجتهاده وحسب هواه أولجأ إلى رجال الدين وعصابات الكهنوت الذين احترفوا تلفيق الديانات لابتزاز المال أو استثمار السلطة والنفوذ . . بل يُجْمَعُونَ على أن بعض هذه الأشكال الدينية يقوم على الحقيقة ويستند على أركان صحيحة . . وهم وإن لم يحاولوا أن يستقرئوا ويحصروا هذه الأشكال الدينية الصحيحة فقد مثّلوا لها بالأديان السماوية الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام . وفى تحليلهم لحكمهم هذا ينكرون جواز أن تبقى مؤسسة لاتستند إلا على الكذب والزيف ، وأن تستمر وتدوم زمنا طويلا ، وأن ترفل في بحبوحة حيوية عظمى بدون أن تستند إلى الحقيقة حتما . ولولا ذلك لاعترضت سبيلها قوة القاهرة يتعذر التغلب عليها . . وفى نظرهم أن قوة الفكر فى الإنسان ليست بأضعف من حاجته للدين . . فهو دائم النقد لعقيدته وعلى استعداد لأن يحور شكلها حتى يتواءم مع فكره . . ونتيجة لهذا التفاعل الفكرى والعاطفى الذى لا يهدأ داخل النفس الإنسانية اندثرت أشكال دينية وحلت محلها أشكال أخرى . . ودالت دولة التعدد

بتوفية حقوق مجتمعه . . ولكن مثل هذه الوسائل تكون في الأغلب الأعم أمورا غير مطابقة للعدالة والحقوق الإنسانية .

وطبقا لهذه المقاييس فإن الانتقادات العنيفة التي يوجهها علماء الاجتماع في إنجلترا وأمريكا للنظام الشيوعي ليست في الأصالة ذات دوافع سياسية وإنما هي أيضا تعتمد في الغالب على أسس علمية . .

ضرورة الدين :

وإلى هنا لأظن أنني في مناقشتي للدين من خلال العلم قد جابهت كثيرا من المشكلات التي تواجه المؤمن في عصرنا الحاضر ، وليس من أغراض هذا البحث التعرض لمثل هذه المشاكل ، ولكنها اعترضت طريق وأنا في سياق التوصل إلى الهدف من هذا المقال . . وهذا الهدف كان لا بد للوصول إليه من أن نبحث كنه التجربة الدينية وأصالة الشعور الديني في نفسية الإنسان وطبيعته . . ومثل هذا البحث كان لا بد أن أمتطي ظهر العلم وأن أستعين بذخيرته في هذا المجال . . وهذا هو الذي دفعني دفعا إلى التعرض لبعض من هذه المشاكل أعترضت السبيل في سياق البحث . . وحتى هذه على قلتها فلا أظن أنني قد وفيتها حقها من البسط والمناقشة

يقوم بها أكفاء مخلصون تجردوا عن الهوى والتعصب .

«وتلخص^(١) هذه القواعد في أن أجدر الأديان بالتسلط والبقاء هو أعلاها سموا بفكرة الإله ، وأسهلها فهماً على قدرة الفكر وأكملها تحقيقاً لاحتياجات الفرد الروحية Spritual والدينية Religious والدنيوية Secular . . وفي اعتبارهم أن الاحتياجات الدنيوية هي ماتضمنه الديانة من قواعد سلوكية ومثل أخلاقية تضمن الصلاح للفرد في نفسه وفي جماعته » . . وعندهم أن الإنسان غير المتدين فرد شاذ غير متلائم مع الإطار العام للمجتمع الذي يعيش فيه . . كما أن المجتمع غير المتدين مجتمع شاذ أيضا . . ومثل هذا المجتمع تظل الفردية فيه غير متفاعلة ولا متجاوبة مع النظام العام وتبقى قوة ضائعة حيرى لا تستطيع أن تتعرف معالم النهج الصحيح للتعاون الجماعي وهذا التعاون الجماعي يمثل نسبة كبيرة من وظيفة الفرد . . وفي مثل هذا المجتمع يبقى هذا القدر من مهمة الفرد في الحياة معطلا أو غير كامل . . إلا إذا فرض هذا المجتمع على أفرادهِ وسائل معينة تضمن أن يقوم الفرد

ولكنى أعتقد أن الإلماعات المقتضبة التى أوردتها بصدد كل منها تكفى لكى تفتح آفاق الفكر لدى الراغب فى الاستزادة وتدعوه إلى تتبع التفاصيل فى ينباع الغزيرة والمراجع المطولة . . وحسبى الآن أن أفحص فى النهاية النتيجة التى يمكن أن نستخلصها .

وقد أثبتت الأزمة الشاملة التى يعانىها العالم اليوم بسبب المادية العلمية إفلاس التقدم العلمى والصناعى وعجزهما عن تحقيق الخير للبشر ، وهذا دفع الناس إلى أن يرنوا بأبصارهم نحو الدين على أنه (بمثله وقيمه الأخلاقية) المنقذ الوحيد للبشرية من الأزمة التى تعانىها . . بل من الكارثة التى يقودها إليها الذكاء المتهور . . وفى هذا دليل على أن التعاليم الدينية لم تفقد فعاليتها ولن تفقدها لأن الدين نفسه يقوم على دعائم الحقيقة التى لا مراء فيها . . ولهذا كان الدين غير قابل للنقض ولا يتعارض مع أى طريق من طرق البحث عن الحقيقة وعن أية وجهة فيها . . ولم يكن ما يبدو للعقول

القاصرة أنه تعارض بين الدين والعلم سوى خلاف أحمق أعمى بين رجل الدين والعالم . . ولما كان الدين هو المفسر الوحيد لصلة الإنسان بالكون ولل علاقة بين الكون وخالقه الأعظم فإن هذه الصلة قد ظلت على الدوام أمام الإنسان سراً أولغزا تدفعه إلى استكناه حقيقته وحل مغاليقه غريزته وبصيرته . . ومعرفته لهذه الحقيقة حدد الإنسان موقفه وعرف مركزه ومهمته وجوده فأتضحت أمامه الكيفية الصحيحة كى يتصرف فى شئون حياته حيال نفسه ومع غيره من الناس . .

فالدين ضرورى للإنسان حين تتطلبه غريزته وطبيعته . . وهو ضرورى له حين تفتقده بصيرته . . وهو ضرورى له حين يحتاج إليه لحل كافة مشكلات الحياة . . وحياة كل إنسان لا تخلو لحظة أوهنة فيها من مشكلات تبدأ حيث يكون نقطة فى رحم أمه إلى أن يودع القبر بعد المات . .

زاهر عزب الزغبى

الأزهر جامعاً وحامسة

أو مصر في ألف عام

الدكتور / محمد كمال السيد

المدينة . وأقاموا في الشوارع المتاريس التي يبلغ ارتفاع بعضها أربعة أمتار تقريبا . وحفروا الخنادق واستعملوا في هجومهم ثلاثة مدافع من مدافع العثمانيين الذين كانوا في المطرية . واستعاضوا عن القنابل بكرات الموازين الحديد التي جلبوها من الوكالات التجارية والدكاكين .

وقال مسيو مارتان أحد مهندسي الحملة الفرنسية : « لقد قام سكان القاهرة بما لم يستطع أحد أن يقوم به من قبل . فقد صنعوا البارود . وصنعوا القنابل من حديد المساجد وأدوات الصناعات . وفعلوا ما يصعب تصديقه ذلك أنهم صنعوا المدافع » .

وقال كليبر في يومياته : « استخرج الأعداء مدافع كانت مطمورة في الأرض وأنشأوا معامل للبارود . ومصانع لصب المدافع وعمل القنابل . وأبدوا في كل ناحية

ذكرنا في المقال السابق أن القاهرة قامت بثورتها الثانية ضد الاحتلال الفرنسي في ٢٠/٣/١٨٠٠ م وكان من زعمائها السيد عمر مكرم والشيخ محمد أنسادات والسيد أحمد الخروقي كبير التجار . وكانت ثورة شاملة . بدأت أولا في بولاق بقيادة الحاج مصطفى البشتلي وامتدت إلى جميع أنحاء القاهرة . وأتى فيها الشعب من ضروب البسالة والفداء ما شهد به الجميع .

والحاج مصطفى البشتلي كان من كبار تجار بولاق وكان عدل الشيخ سليمان الفيومي عضو الديوان وأعدمه الفرنسيون بعد إخماد الثورة ، وبولاق كانت من ضواحي القاهرة وفيها الميناء النهرية للمدينة .

وهجم الثوار على معسكر الفرنسيين في الأزبكية . وعلى طوابيعهم التي أقاموها حول

من النشاط ما أوحى به الحماسة والعصبية . وهذه هي بوجه عام حالة القاهرة عند قدومى لها . « عاد كليبر للقاهرة فى ٢٨ مارس بعد موقعة عين شمس وبلييس » - وإنى لم أكن أتصورها فى هذه الدرجة من الخطورة » - « تاريخ الحركة القومية للرافعى ج ٢ ص ١٥٦ »

وقال الجبرئى أيضاً : « تم كل ذلك فى ثلاثة أيام . وتطوع الأهالى بإمداد الثوار بالزاد وتوزيع الأقوات . وياشر السيد أحمد المحروق وباقى التجار الكلف وباقى النفقات والمآكل والمشارب وكذلك جميع أهل مصر . وكل سمح بنفسه وجميع ما يملكه . وأعان بعضهم بعضاً . وفعلوا ما فى وسعهم وطاقتهم من المعونة . . إلخ .

ولم يفقد كليبر رشده . واشتد فى حصار المدينة وضربها بالمدافع من الطوائى المحيطة بها . وأراد أن يكسر حدة الثورة فراسل قيادة الكتبية العثمانية التى تسلمت إلى القاهرة بالانسحاب . كما أتم المفاوضات الجارية مع مراد بك على أن يحكم مراد الوجه القبلى تحت الحماية الفرنسية ويدفع قدرا من الخراج سنويا . وبذلك أصبح مراد بك حليف الفرنسيين . فراسل الأمراء المالك الذين بالقاهرة - وهم الذين قدموا مع العثمانيين ومنهم إبراهيم بك -

بالانسحاب . كما نصح مراد الفرنسيين بحريق القاهرة لإخماد الثورة . ولم يكتف بالنصيحة بل أرسل لهم الأحطاب والوقود اللازم لذلك . فضلا عما كان يمد به الجيش الفرنسى من أغنام وقمح ومؤونة .

وأرسل الفرنسيون يطلبون المشايخ للتفاهم . وكان الديوان معطلا منذ معاهدة العريش فى يناير سنة ١٨٠٠ باعتبار أن الفرنسيين بدأوا يستعدون للجلاء .

فانتدب المشايخ أربعة : الشرقاوى والمهدى والسرسى والفيومى . فلما اجتمع بهم كليبر قال : إن هذه الفتنة لا خير فيها . وإن العثمانيين والمالك يشعلونها لمآربهم الخاصة . وإنه مستعد أن يؤمن المصريين أمانا كاملا على أن يخرج العثمانيون ومن معهم من مصر . فقالوا : نخشى إذا خرج العثمانيون وينفرد الفرنسيون بالأمر أن ينتقموا من الشعب فوعدهم بالأمان وأن من قتل من أحد الفريقين مقابل من قتل من الفريق الآخر .

ولم يقبل الشعب هذا . وأهانوا الشيوخ الرسل أكبر إهانة . وصمموا على استمرار المقاومة . واجتهد الفرنسيون فى قمع الثورة . وركزوا جهودهم أولا على بولاق وأعملوا فيها النيران

وقال الجبرئى فى ٢٢ من ذى القعدة

سنة ١٣١٤ هـ ١٧/٤/١٨٠٠ م : «وقاتل أهل بولاق جهدهم . ورموا أنفسهم فى النيران حتى غلب الفرنسيين عليهم . وحصروهم فى كل جهة . وقتلوا منهم بالحرق والقتل . وبلوا بالنهب والسلب . وملكوا بولاق . وفعلوا بأهلها ما تشيب من هولته النواصي وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة . واحتترقت الأبنية والدور والقصور . وخصوصا البيوت والرباع المطلة على البحر . وكذلك الأطراف . وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة . فنجوا بأنفسهم من الجهة القبلية . ثم أحاطوا بالبلد ومنعوا من يخرج منها . واستولوا على الخانات والوكايل والحواصل والودائع والبضائع . وملكوا الدور وما فيها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات . ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير والأرز والأدهان والأصناف العطرية . وما لا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور» .

وما فعله الفرنسيون ببولاق فعلوه بباقي المدينة . فيهمجون على الحى ويشعلون فيه النيران ويهدمون الدور . ويستولون على الأموال والأمتعة . وينتهكون الأعراض . ويقبضون على الناس . وتساقطت أحياء

المدينة بين أيديهم واحدا بعد واحد ، وتحولت المدينة إلى أنقاض وخرابات . ونجح رسل مراد بك فى إقناع العثمانيين والمماليك . فاتفقوا مع الفرنسيين على الانسحاب . وخرج معهم السيد عمر مكرم والسيد أحمد المحروق . وبقي الشيخ محمد السادات . وقد ذكرنا أن السيد عمر مكرم خرج بعد معركة إنابة . وأقام فى يافا . فلما استولى نابليون على يافا فى حملته على الشام أعاده معززا إلى مصر . ولكنه بقى ملازما داره غير مخالط للفرنسيين حتى قامت ثورة القاهرة الثانية فكان من ضمن قادتها البارزين .

وانفرد الفرنسيون بالشعب الذى انهارت مقاومته واضطر للتسليم فى ٢٦/٤/١٨٠٠ م . ودخل كليبر من باب النصر بموكب الفاتحين . وخلفه عثمان بك البرديسى وعثمان بك الأشقر مندوبا مراد بك . وأمر الناس بالوقوف أثناء مرور الموكب . كما أمروا بالزينة ثلاثة أيام وتوقد فيها القناديل ليلا .

وأخذ الفرنسيون فى الانتقام . وتنكر كليبر لعهوده بالأمان . وقال للمشايخ : نحن أمناكم على أرواحكم فلا نقتلكم ، وإنما نستولى على أموالكم . وفرض غرامة فادحة على أهالى القاهرة قدرها اثنى عشر

مليون فرنك (كتقدير الرافي نقلًا عن
المراجع الفرنسية وقال الجبرقي : عشرة
ملايين فرنك)

مقتل كليبر :

وخيم على المدينة وأهلها الحزن والكآبة
والشعور بالعجز . ثم ازدادت النفوس قلقًا
وتوجسًا بالشر عندما قُتل كليبر في
١٤/٦/١٨٠٠ في حديقة منزله « بشارع
الألني » . إذ قتله سليمان الحلبي أحد طلبة
الأزهر .

وحكم سليمان الحلبي هو وأربعة آخرون
من طلبة الأزهر . وحكم عليهم بالإعدام .
وكان ذنب شركائه أنه أطلعهم على عزمه
بقتل كليبر ولم يبلغوا السلطات . وكان
الحكم غيايبًا بالنسبة لأحد الأربعة لأنه
تمكن من الهرب .

ونفذ الحكم على سليمان الحلبي وزملائه
الثلاثة في مكان كان يعرف بتل العقارب
« حاليًا بجى المنيرة حوالى كلية دار العلوم » .
وشيعت جنازة كليبر باحتفال عسكري حتى
دفن في حديقة القصر العيني . وكان
الفرنسيون قد استعملوا القصر العيني
مستشفى لجنودهم . ثم أخذوا جثمان كليبر
معههم عندما جلاوا عن القاهرة .

وحاول الفرنسيون أن يوجدوا صلة
التحريض أو العلم بعزم سليمان الحلبي عند
مشايخ الأزهر . خاصة الشيخ عبد الله
الشرقاوى والشيخ أحمد العريشى ليتمكنوا

وخصوا الشيخ السادات بأكبر نصيب
من هذه الغرامة . واعتقلوه وأهانوه حتى
كان ينام على الأرض متوسداً حجراً .
وعذبه بالضرب أمام زوجته وابنه . وتشفع
له عثمان بك البرديسى . فقالوا : نقبل
شفاعتك في عدم قتله ولكن لا بد من دفع
الغرامة المقررة عليه .

ووزعت الغرامة على الأهالى من مشايخ
وتجار وأصحاب عقارات ومهنيين وحرفيين
بقوائم أعدوها لذلك . وتعسفوا في تحصيل
هذه الغرامة . وهجموا على الدور . ونقبوا
فيها على الأموال والخبآت . وباعوا
ما يجدونه في الوكائل والدكاكين بأبخس
الآثمان . فإذا لم يوف ذلك بالغرامة المقررة
على شخص أضافوا الباقي على جاره . فباع
الناس ما لديهم حتى لم يوجد المشتري
لانشغال كل إنسان بسداد ما عليه .

وضاقت الدنيا أمام سكان القاهرة .
وتعطلت التجارة . فالإنجليز بأساطيلهم
يمنعون ورود البضائع بالبحر . والعثمانيون
يجيوشهم يمنعون ورودها من الشام .

عزمه عن التبليغ مع خطر الصمت ؟ إلا إذا كان هذا قد صادف هوى في نفوسهم . وقد نقل الرافعى عن نابليون في مذكراته « إن لاضطهاد السادات دخلا في مقتل كليبر لأنه لا يمكن أن يجهل علماء الأزهر ما كان ينويه سليمان الحلبي . فقد قضى بالأزهر نحو ثلاثين يوما مصمما على القتل . ولكنهم تجاهلوا نية القاتل . وتجاهلوا كل ما له علاقة به لأنهم كانوا يودون الانتقام من الجنرال كليبر » .

وبعد مقتل كليبر تولى قيادة الفرنسيين الجنرال مينو . الذى كان فى أوائل عهد الحملة الفرنسية قد أعلن إسلامه . وسمى نفسه عبد الله . وتزوج بسيده مصرية من أهل رشيد . ورزق منها غلاما فى شعبان سنة ١٢١٥ (يناير ١٨٠١) فأسماه سليمان مراد . سليمان على اسم قاتل كليبر لأنه كان يكرهه . ومراد على اسم مراد بك حليف الفرنسيين .

غلق الأزهر :

واستأذن المشايخ الشرقاوى والمهدى والصاوى القائد الفرنسى فى غلق الأزهر منعا من الدسائس والفتن . وصادف هذا هوى فى نفسه فصرح بذلك . وسمرت أبوابه فى ٢٧ من المحرم سنة ١٢١٥

من إدانة أحدهم . ولكن لم يستطيعوا . وقد ذكرنا أن نابليون اعتمد انتخاب الشيخ أحمد العريشى قاضيا للقضاة بعد عزل القاضى التركى . ثم تنكر له الفرنسيون بعد مقتل كليبر لكونه شيخ رواق الشوام . والقاتل من هذا الرواق . فعزلوه عن القضاء . ثم أعاده عبد الله مينو فى يناير سنة ١٨٠١ . وظل فى منصبه حتى جلاء الفرنسيين .

ويقول بعض المؤرخين : أن الدافع لسليمان الحلبي كان دافعا شخصيا بتحريض من بعض ضباط الجيش العثمانى نظير الوعد بتخفيف الضرائب عن والده فى حلب . وأنهم اختاروه لمعرفته القاهرة حيث أقام بها ثلاث سنوات مجاورا بالأزهر .

ونرى أنه قد يكون هذا صحيحا كاعتراف المتهم فى التحقيق . ولكن قد يكون هذا الاعتراف لدفع الشبهة والاتهام عن آخرين . كما أنه لاشك أن المظالم التى أنزلها كليبر بالمصريين بعد قمع الثورة . والقسوة التى أبدتها فى تحصيل الغرامات من سكان القاهرة . والاضطهاد الذى أنزله بالشيخ السادات مع مكانته الدينية والاجتماعية . كان لكل هذا أثره فى تصميم سليمان الحلبي . وإذا كان الدافع شخصيا فلماذا سكت زملاؤه الذين أطلعهم على

(١٨٠٠/٦/٢٠) أى بعد مقتل كليبر بيضعة أيام ، وظل مغلقا حتى وقعت اتفاقية جلاء الفرنسيين عن القاهرة فأعيد فتحه فى ٢٥ من صفر ١٢١٦ هـ (١٨٠١/٧/٧) .

ولم يكن مينو ذا كفاءة عسكرية يفوق بها أقرانه وتزهله للقيادة . ولكنه كان أقدم ضباط الحملة . وأراد مينو التودد إلى المصريين . فبعد شهر من مقتل كليبر أعاد الديوان الخصوصى بعد أن ظل معطلا منذ معاهدة العريش . ولكن بتشكيل آخر فجعله من مجلس واحد بدلا من التشكيل السابق الذى كان مكونا من مجلسين ديوان عمومى وآخر خصوصى .

وكان هذا الديوان الخصوصى الثالث مكونا من تسعة أعضاء كلهم من العلماء المسلمين . منهم الخمسة الأولون من الديوانين الأول والثانى . وأضيف عليهم الشيخ مرسى السرسى وكان عضوا فى الديوان الخصوصى الأول وعضوا فى الديوان العمومى الثانى ، الشيخ محمد الأمير وكان عضوا فى الديوان العمومى الثانى ، الشيخ عبد الرحمن الجبرنى المؤرخ ، السيد على البواب الرشيدى وهو أخو زوجة عبد الله مينو .

واجتمع الديوان فى جلسته الأولى فى

١٥ من جمادى الآخرة سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠٠/١١/٣)م وانتخب فيها الشيخ عبد الله الشرقاوى رئيسا للديوان والشيخ محمد المهدي سكرتيرا له . واطمأن الناس نوعاً ما بعودة الديوان ، فلجأ إليه أرباب الحاجات بشكاويهم وتظلماتهم . كما لجأ إليه الناس فى دعاويهم المختلفة . ولكن كانت قيمته شكلية . فقد استمر تحصيل الغرامات . بل وزادوا عايتها كثيرا . وتفنتوا فى المصادر واستحدثت ضرائب جديدة . مع التعسف فى الطلب والمغالطة فيما يسدد . حتى ضج الناس وضاعت أمام وجوههم السبل وحاول كثيرون الهروب من القاهرة والالتجاء إلى الأرياف . فصدر قرار بمنع الخروج .

وزاد الهدم فى الدور للانتفاع بما فيها من أنقاض خصوصا الأخشاب لعمل المراكب . وللقود . فخربت أحياء الحسينية وخارج بابى النصر والفتوح وغيرها من الأحياء . وتعدى هدم الدور إلى هدم المساجد والأضرحة . فراد هذا - مع الحرائق . السابقة - فى خراب المدينة .

بداية النهاية للحملة الفرنسية

وأخيراً أمكن للإنجليز والأتراك الاتفاق على خطة يطردون بها الفرنسيين من مصر .

على الجانب الغربى من فرع رشيد تقابلها
دسوق بميل إلى الشمال على الجانب
الشرقى من فرع رشيد . وكانت مركزا هاما
للقوات الفرنسية فى الطريق بين القاهرة
والإسكندرية . وكان عندها مأخذ ترعة
الإسكندرية التى جدها محمد على باسم
ترعة المحمودية نسبة إلى السلطان محمود
الثانى سلطان تركيا من ١٢٢٣ -
١٢٥٥ هـ .

ومن جهة أخرى وصل الجيش التركى
القادم من الشرق فاستولى فى طريقه إلى
القاهرة على الصالحية وبلبيس ودمياط
وشرق الدلتا بصفة عامة والتقى مع قوة
فرنسية عند قرية الزوامل « شمال أبو زعبل »
فى نصف المسافة بينها وبين بلبيس تقريبا
فانهزم الفرنسيون وارتدوا إلى القاهرة فى مايو
١٨٠١ .

وبذلك أصبحت القوة الإنجليزية
التركية الآتية من الشمال . والقوة التركية
الآتية من الشرق . على مشارف القاهرة
بينهما نهر النيل عند إنابة .

وفكر الفرنسيون فى الاستنجاد بمراد
بك حليفهم . ولكنه كان توفى فى
ذى الحجة سنة ١٢١٥ هـ « أبريل
١٨٠١ » بالطاعون عند سوهاج . وكان
وباء الطاعون قد تفشى منذ أوائل العام .

والخطة من شقين : أن ينزل الإنجليز
والأتراك فى « أبو قير » بمساعدة الأسطول
الإنجليزى . وأن يتقدم يوسف باشا
ضيا الصدر الأعظم . بجيشه من الشرق .
وتأخرت المراكب التى تحضر القوة
التركية إلى « أبو قير » فأنزل الإنجليز جنودهم
واستولوا عليها فى أوائل مارس ١٨٠١ م .
وتقدموا نحو الإسكندرية فهزموا الفرنسيين
عند قصر القياصرة « موقعه الآن مصطفى
باشا برمل الإسكندرية » . فانسحب
الفرنسيون داخل الأسوار القديمة
للإسكندرية ووصل مينو إليها وهاجم
الإنجليز شرقا منها ولكنه هُزم واضطر
للارتداد إلى المدينة .

وقطع الإنجليز سد « أبو قير » فأغرقت
المياه كثيرا من القرى وأحاطت
بالإسكندرية من الشرق والجنوب . فضلا
عن البحر فى الشمال . وأصبح لا طريق
للفرنسيين إلا من الغرب فوضع الإنجليز قوة
هناك . وبذلك حوصر مينو ومن معه داخل
الإسكندرية حصارا كاملا .

ووصلت القوة التركية بقيادة حسين
باشا قبطان إلى « أبو قير » فاشتد ساعد
الإنجليز . واستولوا على رشيد . وبدأ الزحف
نحو القاهرة فاستولوا على الرحمانية فى اخرم
سنة ١٢١٦ هـ « مايو سنة ١٨٠١ م » والرحمانية

١٢١٦ هـ . وتم جلاؤهم عنها في ١٨٠١/٩/٢ م .

وبذلك طويت صحيفة من تاريخ مصر . ولكنها صحيفة بالغة الأثر . فقد فتحت أذهان الشعب المصري إلى عراقته وتاريخه الجيد بما ذكره لهم نابليون في تقربه إليه كما أثار وجود القوة الأجنبية في الشعب عوامل المقاومة والجهاد . وعرف عن طريقهما قوته . فازداد ثقة في نفسه كما سرى فيما بعد بإذن الله . وكان لعلماء الأزهر دور واضح . فقد استقر في الأذهان أنهم الوكلاء الطبيعيون عن الشعب والمعبرون عن إرادته .

ونترجم الآن كما وعدنا في المقال السابق للخمسة العلماء الذين اشتركوا في الدواوين الثلاثة التي أقامها الفرنسيون وهم الشيخ عبد الله الشرقاوى والسيد خليل البكرى . - الشيخ مصطفى الصاوى - والشيخ سليمان الفيومى - الشيخ محمد المهدي .

الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر .

هو عبد الله بن حجازى بن إبراهيم الأزهرى الشافعى الشهير بالشرقاوى شيخ الجامع الأزهر ولد بقرية الطويلة بالقرب من القرين شرق بلبس من محافظة الشرقية » لذلك عُرف بالشرقاوى . وكان

وكان شديد الوطأة قضى على مئات الآلاف في أنحاء القطر . وكان يموت يوميا من الفرنسيين في القاهرة العشرون والثلاثون . وزاد هذا في حرج الجيش الفرنسى في القاهرة .

ولا نطيل في هذا فهو خارج عن الموضوع . فنقول إن الفرنسيين في القاهرة لم يجدوا مناصا من طلب الصلح . وتوقيع اتفاق الجلاء عن مصر في ١٨٠١/٦/٢٧ م . وتحدد فيه للجلاء عن القاهرة وبولاق اثني عشر يوما . ويسافر الفرنسيون بأسلحتهم وأمتعتهم على مراكب إنجليزية وتركية ولن أراد من المصريين الخروج معهم . وتأمين من يبقى من المصريين الذين كانوا موالين لهم . . إلخ وللحكمة الفرنسية الموجودة بالإسكندرية أن تستفيد بنفس الشروط .

نهاية الحملة الفرنسية :

وفعلا تم جلاء الفرنسيين عن القاهرة في ١٨٠١/٧/١٤ بعد ثلاث سنوات إلا أياما « دخل نابليون القاهرة في ١٧٩٨/٧/٢٤ م بعد معركة إنابة » . أما القوة الفرنسية في الإسكندرية بقيادة مينو فقد وقعت اتفاق الجلاء في ١٨٠١/٨/٣١ م « ٢١ من ربيع الآخر

الاعتبار . فقد كان الجبرتي في تاريخه منصفاً صحيح الانطباعات بعيداً عن الأغراض ، فقال . . . إنه كان في مبدأ الأمر فقيراً في قلة من خشونة العيش وضيق المعيشة . فلا يطبخ في داره إلا نادراً . . ثم عرفه الناس وواصله بعض التجار الشوام وغيرهم بالزكوات « جمع زكاة » والهدايا والصلوات . فراج حاله وتحمل بالملابس وكبر تاجه . . وكان المترجم خلوتياً تلقى الطريق عن الشيخ الحفنى « هو شمس الدين محمد بن سالم الحفنى أو الحفناوى شيخ الأزهر توفى سنة ١١٨١ هـ » . فلما توفى الشيخ الكردى « محمود الكردى توفى سنة ١١٩٥ هـ » كان المترجم من خلفائه ، فكان المريدون وأتباع الطريقة يجتمعون عند الشرقاوى كل ليلة للذكر . ويعمل لهم الثريد للعشاء . ويذهبون إلى المآتم والحفلات ومعهم المنشدون والمقرؤون وينشدون مدد يا بكرى « نسبة إلى الشيخ مصطفى البكرى أستاذ الشيخ الحفنى توفى سنة ١١٦٢ هـ » . « مدد يا حفنى » « مدد يا شرقاوى » . ثم يقدم لهم صاحب الدار الطارئ « أى العشاء » ويمدهم ببعض الدراهم . فاشترى له داراً بجارة كتامة المسماة بالعينية « جنوبى الجامع الأزهر » وساعده في ثمنها بعض المساتير . وترك

مولده حوالى سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ م) . أى أنه كان عند قدوم الفرنسيين فوق الستين من عمره .

وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٠٨ هـ (١٧٩٣ م) بعد وفاة الشيخ العروسى . وظل شيخاً للأزهر حتى توفى سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) . أى عاصرت مشيخته المالك والفرنسيين وأوائل حكم محمد على .

وقد ذكرنا في المقال السابق موقفه ضد المالك سنة ١٢٠٩ هـ الذى أدى إلى كتابة حجة تعهد فيها أمراء المالك بالعدول عن المظالم والالتزام بما شرطه العلماء . . إلخ . وكان رئيساً للديوان الذى أنشأه الفرنسيون فى القاهرة فى أدواره الثلاثة . ولم تكن رئاسته بتعيين الفرنسيين ولكن بالانتخاب من زملائه أعضاء الديوان . وربما كان لمركزه كشيخ للجامع الأزهر نصيب فى انتخاب زملائه له لرئاسة الديوان .

وترجم له الجبرتي فى وفيات سنة ١٢٢٧ هـ . فذكر أن له ماضياً فى الجهاد ومقاومة ظلم المالك ولكن يبدو أنه لم يكن محل تقدير كبير من الجبرتي . فى هذه الترجمة كثير من المغامز والسخرية . ولا نستطيع إلا أن نضع رأى الجبرتي محل

الذهاب إلى البيوت إلا في النادر . ولما تولى مشيخة الجامع الأزهر بعد الشيخ أحمد العروسي زاد في تكبير عمامته وتعظيمها حتى كان يُضرب بعظمها المثل ! !

وذكر الجبرتي منافسة الشيخ الصاوي له في مشيخة الأزهر . واستقر الاتفاق على أن يكون الشرقاوي شيخاً للأزهر . والصاوي للتدريس في المدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعي . وهي وظيفة أصلاً تابعة لمشيخة الأزهر . ولكن تعقّف عنها الشيخ أحمد العروسي في مشيخته وأجلس فيها الصاوي . وظل الصاوي فيها حتى توفي سنة ١٢١٧ (١٨٠٢) فعادت إلى الشرقاوي بدون نزاع .

وقد ذكرنا إنشاء رواق الشرقاوي لأهل الشرقية ، ونضيف أن السبب في إنشائه نزاع بين مجاوري الأزهر من الشرقية وكانوا يقيمون بالمدرسة الطيرسية فتعصب الشيخ السجيني شيخ رواق ابن معمر . ومنع مجاوري الشرقية من الطيرسية وخزائنها . فأنشأ الشيخ الشرقاوي بواسطة إبراهيم بك الوالي « يقال له إبراهيم بك الصغير وهو زوج ابنة إبراهيم بك الكبير وقتل في معركة إنبابة » هذا الرواق على قطعة أرض مجاورة . للمدرسة الجوهرية . ونقل إليه الأحجار وعمد الرخام من جامع الظاهر ببيرس نكاية

في الشيخ السجيني حيث كان هذا الجامع تحت نظارته . وأضاف الرواق إلى جريات الأزهر . وأدخله في دفاتره .

وقال الجبرتي : « ولما حضرت الفرنساوية إلى مصر سنة ١٢١٣ هـ ورتبوا ديواناً لإجراء الأحكام بين المسلمين جعلوا المترجم رئيس الديوان . وانتفع في أيامهم بما يتحصل إليه من المعلوم المرتب له عن ذلك وقضايا وشفاعات لبعض الأجناد المصرية . وجعالات على ذلك . واستيلاء على تركات وودائع خرجت أربابها في حادثة الفرنساوية وهلكوا . واتسعت عليه الدنيا وزاد طمعه فيها . واشترى دار ابن بيرة (؟ ؟) بظاهر الأزهر وهي دار واسعة من مساكن الأمراء الأقدمين وزوجته بنت الشيخ على الزعفراني هي التي تدبر أموره . وتحرق كل ما يأتيه ويجمعه ولا يروح ولا يغدو إلا عن أمرها ومشورتها . وهي أم ولده سيدى على الموجود الآن » يعنى وقت الجبرتي وقد يكون دليلاً على نفوذ الزوجة تسمية ابنهما باسم أبيها .

وكان خارج باب البرقية مقابل الدراسة بالجانب الشرقى من طريق صلاح سالم خانكاه أنشأتها خوند طفاى الناصرية . وهي المعروفة بأمر أنوك زوجة الناصر محمد ابن قلاوون وكانت أحب زوجاته إليه

وسكان قاطنون بها . وفيهم أصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء . ودخلت إلى مدفن الواقعة وعلى قبرها تركيبة من الرخام الأبيض . وعند رأسها ختمة شريفة كبيرة على كرسى بخط جميل . وهى مُذهبة وعليها اسم الواقعة . رحمها الله تعالى . فلو أن الشيخ المترجم عمر هذه الخانكاه بدل هذا الذى ارتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبة ، وذكر حسن فى حياته وبعد مماته .

وعن مؤلفاته العلمية فقد ذكر الجبرتي أن له طبقات جمعها فى تراجم الفقهاء المتقدمين والمتأخرين من أهل عصره ومن قبلهم من أهل القرن الثانى عشر . نقل تراجم المتقدمين فى طبقات الأسنوى والسبكي . وأما المتأخرون فقد نقلها من تاريخنا هذا بالحرف الواحد ! !

وهذه العبارة تستحق النظر . فكيف نقل الشرقاوى من الجبرتي . والشرقاوى توفى سنة ١٢٢٧ هـ . وتاريخ الجبرتي لغاية ١٢٣٥ هـ . إلا إذا افترضنا أن أجزاء كتاب الجبرتي قد تدوولت قبل إتمامه . وهو بعيد . وعمل له تاريخاً مختصراً فى أربعة كراريس عند قدوم الوزير يوسف باشا إلى مصر وخروج الفرنسيين وأهداه إليه عدد فيه ملوك مصر وذكر فى آخره خروج الفرنسيين

ووصلت من المجد والعز فى عهده وبعده الغاية . وتوفيت عن ألف جارية وثمانين خصياً . وأموال كثيرة . ويقال إنها أخت أقبغا عبد الواحد منشئ المدرسة الأقبغاوية التى بها مكتبة الأزهر الآن .

فلما توفى ناظر الخانكاه المذكورة تعين الشيخ الشرقاوى فى نظرها واستولى على إيرادها ولما أنشأ الفرنسيون القلاع فوق المرتفعات حول المدينة هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض جدرانها الشمالية وتركوها على ذلك . فلما خرج الفرنسيون أبطل المترجم الساقية التى تغذى الخانكاه بالمياه . وبني مكانها زاوية . وعمل لنفسه مدفناً عليه قبة . وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت على مربع وعلى أركانه عساكر فضة . وبني بجانبها قصراً ملاصقاً لها يحتوى على أروقة ومساكن ومطبخ وكلار (مخزن لحفظ الأطعمة يلحق بالمطبخ ويقابله بالأفرنكية «Cellare» ويسميه العامة كرار) وذهبت الساقية من ضمن ذلك وجعلها بئراً وعليها خرزة يملئون منها بالدلو . ونسيت الساقية وانطمست معالمها وكأنها لم تكن . وقال الجبرتي : ويقول الحقير (يعنى نفسه) إني دخلت هذه الخانكاه فى أواخر القرن الماضى (يعنى الثانى عشر الهجرى) فوجدت بها روحانية لطيفة وبها مساكن

ودخول العثمانية في نحو ورقتين . وهو في غاية البرود . وغلط فيه غلطات منها أنه ذكر أن الأشرف شعبان بن الأمير حسين بن الناصر محمد بن قلاوون فجعله ابن السلطان حسن . ونحو ذلك .

والكتاب المذكور الذى وصفه الجبرقى بالبرود هو (تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلطين) وطبعته المطبعة الوهيبية سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) في ٨٢ صحيفة من مقدمة وثلاثة فصول . ويبدو من مقدمته أن السبب في تأليفه تكليف الصدر الأعظم يوسف باشا ضيا عندما زاره في بليس في مارس سنة ١٨٠٠ م بعد معاهدة العريش التى نُقِضت ، وأتمه وأهداه له عندما قدم بجيشه المرة الثانية التى أدت لخروج الفرنسيين . وللاقيمة تاريخية للكتاب المذكور ففيه كثير من الغلطات غير ما ذكره الجبرقى لاداعى للإطالة في ذكرها . ولكن سنعود للكتاب ثانية بإذن الله لأهميته من ناحية أخرى .

وتوفى الشيخ الشرقاوى في ٢ من شوال سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢/١٠/٩ م) . وصلى عليه بالأزهر في جمع كثير ودفن بمدفنه السابق ذكره . وقال الجبرقى : ووضعوا على تابوته المذكور عمامة كبيرة أكبر من التى كان يلبسها في حياته بكثير .

وعَمَّمُوها بشاش أخضر وعَصَّبُوها بشال كشميرى أحمر . ووقف شخص عند باب مقصورته يدعو الناس لزيارته . ويأخذ منهم دراهم . وقال إن زوجته وابنه ومن يلوذ بهما ابتدخوا له مولدا وعيدا في أيام مولد العفيف . وكتبوا بذلك فرمانا (مرسوما) من الباشا . يعنى محمد على باشا . إلخ .

الشرقاوى موجود للآن بشارع قرافة المالك مقابل الدراسة بالجانب الشرقى من طريق صلاح سالم بقرب مشهد العفيف ومقابر الخديو توفيق . وبقرب الضريح بقايا الخانكاه المذكورة . ومولد العفيف في غرة شوال - ٢٠ منه . وهو الشيخ عبد الوهاب العفيف شيخ الطريقة العفيفية . وهى فرع من الطريقة الشاذلية توفى ١١٧٢ هـ . وترجمه الجبرقى ج ١ ص ٢٢٠ . وعلى مبارك في الخطط ج ١ ص ٩٠ ، وج ١٦ ص ٧٢ في قرية منية عفيف . وصرحه بالقرافة هناك بين جامع قايتباى ومقابر الخديو توفيق .

وتعين بعد الشيخ الشرقاوى في مشيخة الأزهر الشيخ محمد الشنوائى كما سذكر بإذن الله .

ونجد في ترجمة الجبرقى للشرقاوى كثيرا من المآخذ وبعض التحامل فى الأسلوب . ولكن الوقائع ثابتة . ولا شك أن الشرقاوى

كتبوا وفرقوها في البلاد وذكروا فيها أنهم ليسوا نصارى . لأنهم يقولون إن الله واحد والنصارى تقول بالتثليث ، وأنهم يعظمون محمداً ويحترمون القرآن . وأنهم يحبون العثماني ولم يأتوا إلا لطرده الممالك .

ولكن لما دخلوا لم يقتصر على نهب الممالك . بل نهبوا الرعايا . وقتلوا جملة من الناس . لما قامت عليهم أهل مصر بسبب طلبهم تفريد غرامة على البيوت . وقتل منهم ما يقرب من الألف . وهتكوا بعض الأعراض في مصر وقراها . فإن كل قرية حاربهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نساءها . وقتلوا من علماء الأزهر ثلاثة عشر عالماً . ودخلوا بخيولهم الجامع الأزهر . ومكثوا فيه يوماً وبعض الليلة الثانية . وقتلوا فيه بعض علماء ونهبوا منه أموالاً كثيرة وسبب وجودها فيه أن أهل البلد ظنوا أن العسكر لا يدخله . فحوّلوا فيه أمتعة بيوتهم . فنهبها ونهبوا أكثر البيوت التي حول الجامع . ونشروا الكتب التي بالخزائن يعتقدون أن بها أموالاً ، وأخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجمون لهم كتباً ومصاحف نفيسة . . إلخ) اهـ .

ويبدو أن هذا الدفاع مقصود به تبرير موقف أعضاء الديوان أمام الصدر الأعظم . ولكنه دفاع أبت . فإذا كانوا قد

كان من الأثرياء ، وأن جانباً في هذا الثراء كان في عهد الفرنسيين . ونقتطف من كتابه « تحفة الناظرين » المذكور بعض ماورد فيه عن الفرنسيين ص ٧٥ قال :

(وحقيقة حال فرنساوية الذين حضروا لمصر أنهم فرقة من الفلاسفة إباحية طبائعية . يقال لهم نصارى فانوليفية (يعنى كاثوليك) يتبعون عيسى عليه السلام ظاهراً . وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الأنبياء والمرسلين . ويقول إن الله واحد ولكن بطريق التعليل . ويحكمون العقل . ويجعلون منهم مديرين يدبرون الأحكام يضعونها بعقولهم ويسمون شرائع ويزعمون أن الرسل محمداً وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء . وأن الشرائع المنسوبة إليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم . ولذلك جعلوا في مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون مايناسب أهل البلاد بحسب عقولهم وكان في ذلك رحمة بأهل مصر .

فإنهم جعلوا من جملة ديوانها جماعة من المشايخ . وصاروا يراجعونهم في بعض أشياء لاتتعلق بالشرع . والسبب الذى أوجب لأهل مصر الانقياد لهم عجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب الممالك الذين معهم آلات القتال . وأنهم عند قدومهم كتبوا

خُدعوا بكتب الفرنسيين أولاً فلماذا قبلوا عضوية الديوان ثانية وثالثة ؟ ! .

ومع هذا فمن الإنصاف للجبرتي والشرقاوى أن نذكر أن الجبرتي عندما ترجم للشيخ محمود الكردى (توفى سنة ١١٩٥ هـ قال إن رسالته شرحها خليفة شيخ الإسلام والمسلمين سيدى عبد الله الشرفاوى شيخ الجامع الأزهر شرحاً لطيفاً جامعاً مانعاً استخرج به من كنوز معانيها ما أخفاها . فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

كذلك من الإنصاف للجبرتي والشرقاوى ما ذكره الجبرتي في ٢٠ من ربيع أول سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨/٩/١ م) أى بعد شهرين تقريباً من وصول الفرنسيين أن نابليون دعا المشايخ . فلما استقروا عنده نهض نابليون ويده طيلسانات (أى أوشحة) بثلاثة ألوان أبيض وأحمر وكحلى . فوضع واحداً منها على كتف الشيخ الشرفاوى . فرمى به إلى الأرض . واستعفى وتغير مزاجه . وامتقع لونه واحتد طبعه . واعتاز نابليون بعد أن أفهمه الترجمان أنهم يقولون إن قدرهم يضع عند الله وعند إخوانهم المسلمين . وقال نابليون

للشرقاوى إنه لا يصلح للرئاسة . وصمم أنهم لا بد أن يضعوا (الجوكر) على الأقل فوق صدورهم . فطلبوا إمهالهم للتروى اثني عشر يوماً . أما الشيخ السادات فكان أوسع أفقاً . فلما حضر عند نابليون أهده خاتم الماس . وعلق الجوكر على صدره . فسكت وسأيره وقام وانصرف . فلما خرج من عنده رفعه على أن هذا لا يخل بالدين ! !

والجوكر إشارة عسكرية من قماش أو غيره توضع فوق الصدر . ووصفها الجبرتي فقال أنها ثلاث قطع جوخ أو حرير أو غير ذلك . مستديرة على قدر الريال سوداء وحمراء وبيضاء . توضع بعضها فوق بعض بحيث تكون كل دائرة أقل من التى تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدوائر المحيطة بعضها ببعض .

هذه لمحة عن شخصية الشيخ عبد الله الشرفاوى شيخ الجامع الأزهر من ١٢٠٨ - ١٢٢٧ هـ (١٧٩٣ - ١٨١٢ م) ورئيس الديوان الخصوصى فى أدواره الثلاثة . فعاصرت مشيخته المالك والحملة الفرنسية وأوائل حكم محمد على . وكان بمركزه ضلعاً فى شئون البلاد . .

محمد كمال السيد

فلسفة القوانين

عقيد شرطة / فكري الجوهري

على وجود الدولة .

* وقد اعترفت مصر القديمة منذ آلاف السنين بهذا الحق وأوضحت المعالم والرسوم الأثرية وأوراق البردى مدى استخدام المصريين القدماء لهذا الحق واحترامه .

* ومنذ فجر التاريخ والحضارة إلى نهاية الخليقة تقوم الدول باستصدار قوانين ولوائح وقرارات ونظم مختلفة في كافة النواحي الجنائية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع توضيح كيفية تطبيق هذه القوانين وطرق ووسائل تطبيقها والحالات المختلفة التي تطبق عليها وشروط هذا التطبيق . .

* كل هذا من الناحية الوضعية علمية ونظرية ونحن إذا درسنا القوانين أو اللوائح علميا نتوصل إلى مدى أهميتها وضرورتها وأصالتها ولكن تبقى المشكلة العظيمة التي تتطلب منا خروج هذه النظم إلى مجال التنفيذ حيث تصطدم هنا بالطبيعة البشرية لأشخاص المنفذين . . . هذه الطبيعة التي

* إن أخطر ما تملكه الدولة في مواجهة الأفراد - حق العقاب وهو حق تكتسبه الدولة بمجرد تكون المجتمع للمحافظة على كيانه وحمايته مما يهدده بالداخل أو الخارج ، لهذا تقوم الدول في حدود طبيعتها الجغرافية وتكوينها الاجتماعي وسياستها الداخلية والخارجية بإصدار قوانين تطبق على الأفراد والجماعات .

* ولضمان تنفيذ هذه القوانين تقوم الدولة بوضع العقوبات المناسبة ، منها عقوبات مقيدة للحرية أو غرامات مالية أو عقوبات تكميلية أو عقوبات أدبية .

* وهذا الحق تعترف به جميع دول العالم وإن اختلفت فيما بينها في وضع النصوص التي تكفل ضمان حريتها وسيطرتها على أراضيها .

* وقد شرع الله سبحانه وتعالى هذا الحق في كافة الشرائع السماوية لكفالة حقوق المجتمع وحقوق الناس ، ولهذا كان هذا الحق محل اعتبار واحترام الأفراد اعترافا منهم بأنه ضرورة من ضرورات الحياة ودليل

الفعلى يدور فى دائرة مفرغة . . البعض يلتزم بالقوانين ولكنه يقع تحت طائلة العقاب أو تضع حقوقه بينا البعض الآخر لا يلتزم بها ولا يناله من العقاب شىء أو يحصل على حق ليس له . . وحاول أصحاب الحقوق البحث عن ملاذ يلجئون إليه فلم يجدوا سوى الشكوى إلى الله . . . ● ولقد تجلت هذه المشكلة مختلف الدول فسارعت إلى إجراء البحوث العلمية على العامل القائم بالتنفيذ مستخدمة فى ذلك أحدث الوسائل العلمية والثقافية وإعداد برامج دراسية وفرق تدريبية لإطلاع العاملين على أحدث ما وصل إليه العقل البشرى فى سرعة أداء الأعمال وإنجازها . .

● ومع ذلك ظلت مشكلة الفرد قائمة فلم تتمكن هذه الوسائل الحديثة من التأثير تأثيرا ملموسا يوجه القائمين بالتنفيذ فى وقت واحد إلى مسار واحد يلتزم به الجميع . . مسار يعتبر صراطا مستقيما يهتدى به كل مسئول فى الدولة ويضمن تنفيذ النصوص تنفيذا واحدا أو متشابهة لإمكان الوصول إلى الهدف الاجتماعى الكبير وهو سيادة القانون لا فرق بين العربى أو الأعجمى . . والأبيض والأسود . . .

● وقد ظهرت هذه المشكلة على مدار

تتأثر بمؤثرات كبيرة تجعل التباين واضحا بينهم بينا القوانين واحدة ونصوصها ثابتة . .

* وهذه القوانين لها خطورتها فى المجتمع فقد تسلب الفرد حريته أو تسلبه حقه فى التصرف فى أمواله أو تحرمه من مباشرة حقوقه العامة أو السياسية أو تقلد بعض الوظائف أو المناصب الهامة . . . بل قد تحرمه من حقه فى الحياة عندما يحكم عليه بالإعدام مثلا ، وهى عقوبات يؤكد القانون ضرورة تطبيقها على الناس جميعا . .

* وتقوم الدولة بتكليف القائم بالأعمال بتنفيذ القانون كل فى دائرة اختصاصه وقد يكون المنفذ صغيرا أو كبيرا وقد يكون غنيا أو فقيرا مدقعا . . أو يكون مثقفا واسع الإدراك أو جاهلا قليل التجربة ضيق الأفق . . عناصر متباينة من البشر تختلف أنماط سلوكهم وتصرفاتهم مما يستلزم بالتالى اختلافهم فى التنفيذ . .

* ونتيجة لهذا الاختلاف أغفل بعض أن هذا الحق حق للدولة وليس للأفراد ، حق للمجتمع وليس للمنفذ ، حق للجماعة وليس للسلطان وامتدّ هذا الاختلاف إلى تهديد مصالح الأفراد وحقوق المجتمع وأصبح صاحب الحق

معالجة مشكلة الفرد القائم بالتنفيذ أن تأثيره واحد بالنسبة لجميع الأشخاص فهو يعتمد على الإقناع لزرع القيمة الروحية في الفرد مها اختلف الأفراد في شخصياتهم أو ظروفهم . .

● فالقيمة الروحية ليست مجرد قيمة تحفظ من كتاب ولا هي قول على لسان وإنما هي تطبيق عملي لا بد له من أن يعبر عن نفسه مؤكدا الترابط القوى بين القيمة الروحية وحياة الإنسان العملية كقوله تعالى :

● (يأياها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) الصف / ٢ .

● والقيمة الروحية في القرآن مستوى وحافظ وحافز . . . فهي تعمل على رفع مستوى العمل ومستوى أداء الفرد وكفايته مما يعود بالخير على كليهما العمل والعامل .

● وهي حافظ لأنها ضابط للنفس تمنع العامل من الانغماس في أمور الدنيا وراء شهواته وحبه لذاته مما يبعده عن عمله . . وهي حافز لأنها تجعله يؤمن بأن العمل واجب بل هو رسالة يؤديها في الحياة دون أن ينظر إلى منصب أو جاه أو مال . .

● وقد يدفع البعض بأن الدول في معالجتها للمشكلة تلجأ إلى العلم

سنين طويلة في عمر الدول حتى أصبحت تشكل خطورة كبيرة بعد أن تحول حقها العام إلى حق خاص يستعمله البعض في مزيد من السلطة أو مزيد من الأموال وأصبح حق الدولة مهددا في ذاته بل منتهكا في كيانه ووجوده .

● وإذا قمنا بتحليل السبب وجدنا أن حق الدولة يتمثل في ذاتها وذاتها شخصية اعتبارية لا تقوم بعمل يخرج إلى الوجود إلا على أيدي وجهود العاملين بها . . .

● وأصبح التساؤل واضحا إذا كانت الدراسات المستفيضة والنظم الحديثة لا تتمكن من تحديد الأصول أو القواعد التي يلتزم بها المنفذ وتقرب ملامح الشخصيات في التنفيذ فما هو الحل الأمثل لمعالجة المشكلة ؟

● ولو بحث الجميع لوجدوا أن الحل قريب والطريق واضح والأمر سهل وميسور ومضمون . . كتاب جامع شامل لكل ما يصبو إليه الفرد والجماعة والحكومات والدول من عدل واستقرار وعلم وثقافة ومعرفة . . كتاب أرسله الله على يد رسوله الكريم محمد لكي يغنينا عن التعقيدات البشرية في التطبيق والتنفيذ إلى السهل الميسور . .

● وفائدة الرجوع إلى كتاب الله في

والتكنولوجيا فهل أغفل الكتاب العلم ،
ورسولنا الكريم يقول « إنما بعثت معلما »
والله في كتابه يقول : (ن والقلم وما
يسطرون) .

● إن العلم لا يتعارض مع الدين ولا
يوجد أى تناقض أو صراع بينهما بل إن العلم
يدعمه الدين وهو ضرورة للمجتمع وقد
دفع البعض بأن الصراع قائم وقديم منذ
قيام رجال الدين في أوروبا بتدعيم وجودهم
على سلطة الحق الإلهي وحاولوا السيطرة
على المجتمعات الإنسانية باسم هذا الحق
ورفضوا أى فكر أو محاولة لتطوير حياة
المجتمع لتأثير ذلك على مراكزهم ولكننا نرد
عليهم بأن الإسلام عمل على تقديس العلم
وحفز على التبحر فيه دون حدود .

قال تعالى . . (وما أوتيتم من العلم
إلا قليلا) وقال لرسوله (وقل رب زدنى
علما) والمقصود أن آفاق العلم أمام الإنسان
مفتوحة ويطلب الله الناس بأن يستزيدوا
من العلم والوسائل العلمية في حياتهم . .

● والقيم الروحية دائرة من الخلق
الفاضل تبدأ من الفرد وتتسع إلى الأسرة
والعشيرة والمجتمع وهي ليس لها حدود لأنها

تهتم بكل أمور الدنيا . .
● ومن أمثلة اهتمام الكتاب بالأمور
الاقتصادية ما جاء على لسان شعيب عليه
السلام وهو يكافح الانحراف الاقتصادى
(يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره ولا
تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني
أخاف عليكم عذاب يوم محيط)
هود ٨٤ .

● كذا وضع بيان عملي للتخطيط
الاقتصادى الطويل مثل ما ورد في قصة
يوسف عليه السلام عن تفسيره لرؤيا
الملك . .

● كما اهتم الكتاب بالأمور الأخرى
الاجتماعية كاهتمامه بشئون الأسرة وعلاقة
الأزواج والاهتمام بالوالدين وبالقصر واليتيم
والضعفاء .

● كما اهتم بالدعوة إلى الشورى بين
الحاكم والمحكوم وبين القادة والقاعدة . .
بالإضافة إلى الاهتمام بالأمور الدنيوية
الأخرى التى تساعد المجتمع وتساعد الوالى
في استقرار الحكم ورفاهية الشعب .

عقيد شرطة

(فكرى الجوهري)

من طرائف الشعراء الفسّاك

عبد الله بن الحجاج من بنى ذبيان عاصر عبد الملك بن مروان وخرج عليه محاربا له ، انضم إلى جميع أعدائه ، ويصفه صاحب الأغاني وهو من بنى مروان صليبة وإن نسب إلى أصفهان ، يصف ابن الحجاج الذيباني بأنه شاعر فاتك من معدودي فرسان مضر ، وذوى البأس والنجدة فيهم غير أنه على عادته - الأغاني - لا يعنى بمولد من يتكلم عنه أو وفاته معينا بالسنوات والأيام ، وإنما همه في طرائف الأخبار كأن الشخصية عنده طرفة أو نادرة لا أكثر ولا أقل .

وشاعرنا هذا الفاتك دفعته الأحداث إلى أن يكون في كل جيش يقاتل عبد الملك على ملكه ، ولهذا أسباب معروفة لو أرادها صاحب الأغاني لذكرها ، ولكنه اكتفى بفتكه وذكر عداوته لعبد الملك ثم رجوعه إليه حين قلّ النصير وعزّ المعين ، وضاق عليه الأرض بما رحبت .

والأساس في ثورة الشاعر موقعة «مرج راهط» التي وقعت بين الضحّاك بن قيس

الفهري مناصر ابن الزبير وبين مروان ابن الحكم وكان مع الضحّاك القيسية وعددهم ستون ألفا ، وكان مع مروان الثمانية وعددهم ثلاثة عشر ألفا ، وكانت القوة في جانب الضحّاك ولكن بحيلة من مروان وجنده ، وهي طلب المودة والصلح فاستجاب الضحّاك ولم يأخذ حذره فهاجمه مروان وانتصر عليه ، فرغموا أن رجالا من قيس عيلان لم يضحكوا بعد موقعة «المرج» حتى ماتوا جوعا على من أصيب من فرسانهم يومئذ ، وهذه الموقعة مكنت مروان من أن يعلن نفسه خليفة في دمشق سنة ٦٥ هـ وعبد الله بن الحجاج ممن نكّاه هذه المعركة ، وملأت قلبه حقدا على مروان وابنه عبد الملك ، فكان من أمره أنه أيد «عمرو بن سعيد الأموي» ضد عبد الملك فكان من جنده ، ثم قتل عبد الملك عمرو بن سعيد غدرًا ، فهرب صاحبنا إلى عبد الله بن الزبير فعاش في كتفه مظهرًا عداوته لعبد الملك ، فلما قضى الحجاج على عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ هـ

تفرق وقف عبد الله ابن الحجاج بين يديه ،
ثم استأذنه في الإنشاء ، فأذن له ،
فأنشده ، وهنا نسمع إنشادا وحوارا فيه
ذكاء من الجانبين ، وقدرة من الفن
الشعري والذوق الأدبي ، وكان عبد الملك
أديبا أريبا بجانب فقهه في الدين وبراعته في
السياسة وتناول الأمور ، ومجالس
عبد الملك الأدبية لم تبخل عليها كتب
الأدب بالتدوين ، قال الشاعر يخاطب
الخليفة .

أبلغ أمير المؤمنين بأني
مما لقيت من الحوادث مَوْجَعُ
مُنِعَ القرار فجئت نحوك هارِباً
جيش يجر ومقنب^(١) يتلمع
فقال له عبد الملك : وماخوفك ؟ لأأم
لك ! لولا أنك مريب . فقال عبد الله :

إن البلاد علىّ وهي عريضة
وُعِرَتْ مَذاهبها وسُدَّ المَطْلَعُ
فقال له عبد الملك : ذلك مما كسبت
يداك ، وما الله بظلام للعبيد . فقال
عبد الله :

إن الذي يعصيك منا بعدها
من دينه وحياته مُتَوَدِّعُ

اتجه إلى نجدة بن عامر الحنفي الخارجي فكان
معه يقاتل ويغامر ، ولكن نجدة قتل في
البحرين ، فنظر فلم يجد قائدا ولا جيشا
يستظل بلوائه ، ووجد الأمة الإسلامية
عادت إليها وحدتها ، وشاع الأمن بين
ربوعها ، ووجد الشعراء النافرين مثله قد
لاذوا بعبد الملك يعتذرون فيقبل
اعتذارهم ، إن عبيد الله بن قيس الرقيات
شاعر الزبير بين استعان بعبد الله بن جعفر
ابن أبي طالب حتى وقف بين يدي
عبد الملك فقبل عذره واستمع المجلس
لشعره ، إنه لا يجد شفيعا أو ساعيا بالخير
له ، فدخله الرعب والفرع والمصير
الخفيف ، ففكر وقدر ، واحتال لنفسه حيلة
إما أن تنجيه أو ترحمه من عذاب القلق
والأرق ، فشد الرحال خفية حتى بلغ
دمشق فدخل على عبد الملك وهو يطعم
الناس ، فجلس ناحيته . فقال له
عبد الملك : مالك لا تأكل ؟ - وهو
لا يعرفه - فقال : لا أستحل أن آكل حتى
تأذن لي . فقال : إني أذنت للناس جميعا .
قال : إني لم أعلم ، أفأكل بأمرك ؟ فقال :
كل . فأكل وعبد الملك ينظر إليه ،
ويعجب من فعالة . فلما أكل الناس
جلس عبد الملك في مجلسه ، وجلس
خواصه بين يديه ، وتفرق من الآكلين من

(١) المقنب : جماعة الخيل زهاء ثلاثين ويتلمع تبرق
سيوفه ورماحه .

آنى رضاك ولا أعود مثلها
وأطيع أمرك ما أمرت وأسمعُ
أعطى نصيحتى الخليفة باخعاً
وخِزامة الأنفِ المقودِ فأتبعُ
فقال له : هذا مالا نقبله منك إلا بعد
المعرفة بك وبذنبك ؛ فإذا عرفنا الحوبة قبلنا
التوبة . قال عبد الله :

ولقد وطئتَ بنى سعيد وطاةً
وابن الزبير فعرشه متضعع
فقال عبد الملك : لرب العالمين الحمد
والمنة على ذلك ، فقال له عبد الله :
مازلت تضرب منكباً عن منكب
تعلو ويسفل غيركم ما يُرفعُ
ووطئتُهُم في الحرب حتى أصبحوا
حدثاً يَرسُ (١) وغابرا مُتَفَجِّعُ
وأرى الذين رَجَوْا تراث محمدٍ
أفلت نجومهم ونجمك يسطعُ
فقال عبد الملك : ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء . ما أنت وذالك لا أم لك ؟ فقال
عبد الله :

فحوى خلاقهم ولم يظلم بها
القرم قرم بنى قصى الأقرع (٢)
لا يستوى خاوى نجوم أقلٍ
والبدر منبلجا إذا ما يطلعُ

وُضِعَتْ أُمِيَّةٌ واسطين لقومهم
وُضِعَتْ وسطهم فنعم الموضعُ
بيت أبو العاصي (٣) بناه ببروة
على المشارف عَزَه ما يُدْفَعُ
فقال له عبد الملك : إن توريتك عن
نفسك لترينى ، فأى الفسقة أنت ؟
وما الذى تريد ؟ قال :

فانعش أصيبتى الذين كأنهم
حجل (٤) تدرجُ بالشرية (٥) جَوَّعُ
فقال عبد الملك ، لا أنعشهم الله ،
وأجاع أكبادهم . فقال عبد الله :
مال لهم مما يُضَنُّ جمعتُهُ
يوم القلب فحيز عنهم أجمعُ
فقال له : لعلك أخذته من غير حله ،
وأنفقتَه في غير حقه ، وأرصدته لمشاقة
أولياء الله ، وأعددتَه لمعاونة أعداء الله .
فقال عبد الله :

أدنو لترحمنى وتجير فاقى
وأراك تدفعنى ، فأين المدفعُ ؟
فتبسم عبد الملك وقال له : إلى النار
فمن أنت الآن ؟ فقال : أنا عبد الله
ابن الحجاج ، وقد وطئتُ دارك ، وأكلت

(٣) أبو العاصي مجمع النسب لعبد الملك والخليفة
عثمان بن عفان .

(٤) ضرب بن الطير .

(٥) موضع .

(١) يذكر .

(٢) القوى الشديد .

يزيدنى علما به ، إلا أنه اغتفلنى متنكرا ،
 فدخل دارى ، وتحرم بطعامى ،
 واستكسانى فكسوته ثوبا من ثيابى :
 وعاذنى فأعدته ، وفى دون هذا ما حظر
 علىّ دمه ، وعبد الله أقل وأذل أن ينكث
 عهدا فى قتله خوفا من شره ؛ فإن شكر
 النعمة فأقام على الطاعة فلا سبيل إليه ،
 وإن كفر ما أوقى وشاق الله ورسوله وأولياءه
 فالله قاتله بسيف البغى الذى قتل به
 نظراؤه ، ومن هو أشد بأسا وشكيمه منه
 من الملحين ، فلا تعرض له ولا لأحد من
 أهل بيته إلا بخير والسلام .

وهكذا نجا الرجل بحياته وشعره
 الصادق فى عرض حياته وعذره ، وقد
 وجد أرضا صالحة للغراس عند كريم يقبل
 العذر ويعفو عن الذنب ، ويستحق ما قاله
 فيه عبيد الله بن قيس الرقيات وفى أسرته :

ما نقموا من بنى أمية إلا
 أنهم يحملون إن غضبوا
 وأنهم سادة الملوك ولا
 تصلح إلا عليهم العرب
 ولم يبق لنا من هذا السلف إلا
 الذكريات نضعها أمامنا من حين إلى
 حين .

طعامك ، وأنشدتك ، فإن قتلتنى بعد
 ذلك فأنت بما عليك فى هذا عارف ،
 وعاد إلى الإنشاد ، فأنشده :

صاقت ثياب الملبسين وفضلهم
 عنى فالبسنى فتوبك أوسع
 فرمى عبد الملك إليه برداء كان على
 كتفه ، وقال ، البسه لالبست ، فالتحف
 به . ثم قال له عبد الملك : أولى لك والله
 لقد طاولتك طمعا فى أن يقوم إليك بعض
 هؤلاء فيقتلك ، فأبى الله ذلك ،
 فلا تجاورنى فى بلد . وانصرف آمنا ، وأقم
 حيث شئت .

ولكن هذا العفو لم يحز القبول عند
 الحجاج بن يوسف الثقفى ، فكتب إلى
 الخليفة يعرفه آثار عبد الله بن الحجاج
 وبلاءه فى محاربته ، وأنه بلغه أنه آمنه ،
 ويحرضه عليه ، ويطلب إليه أن يرسله إليه
 ليتقوم بالكيد له وتعذيبه وقتله . . وسمع
 الشاعر ما قال فيه الحجاج ، فجاء إلى
 عبد الملك ووقف بين يديه وأنشد :

أعوذ بثوبيك اللذين ارتداهما
 كريم الثنا من جيبه المسك ينفح
 فإن كنت مأكولا فكأن أنت آكلى
 وإن كنت مذبوحا فكأن أنت تذبح
 فكتب عبد الملك إلى الحجاج : إني قد
 عرفت من خبث عبد الله وفسقه مالا

تحقيق مشروعية القنوت في الصلاة عند النوازل

الشيخ / محمد الطيب شوم

الأخرة .. يدعو عليهم . على حيٍّ من بني
سُلَيْمٍ ، على رِغْلٍ وذَكَوَانٍ وَعُصَيَّةٍ ..
ويؤمن مَنْ خلفه » رواه أحمد .. وزاد :
وأرسل إليهم يدعوهم إلى الإسلام
فقتلهم » .

قال عكرمة : وكان هذا مفتاح
القنوت .

وأما اختصاصه بوقت معين من أوقات
الصلاة فذهب أكثر السلف وَمَنْ بعدهم
وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه
وعمر وعثمان وعلي .. وقال به من
التابعين ، فمن بعدهم خلائق كثيرة .. على
أنه مشروع في جميع الصلوات المكتوبة إذا
نزلت بالمسلمين نازلة - والعياذ بالله تعالى -
كَعَدُوٍّ ، وقحط ، ووباء ، وعطن ، وضررٍ
ظاهر في المسلمين .

ماعداً الصبح : فإن القنوت فيه
مشروع دائماً ، سواء نزلت بالمسلمين نازلة
أم لا ، مستدلين على ذلك ، بحديث ابن
عباس السابق ، وبحديث سيدنا أنس ،

تحقيق مشروعية القنوت في الصلاة ،
وحكمه عند الأئمة الأعلام ، وما ورد
فيه من تفصيلات .

القنوت .. لغة .. الطاعة والدعاء ،
وهو مصدر من قنت يقنت قنوتا ، أطاع الله
تعالى وخضع له وأقر بالعبودية ومنه قوله
تعالى : (ومن يقنت منكن لله ورسوله
وتعمل صالحاً نؤتيها أجرها مرتين وأعتدنا لها
رزقاً كريماً) ٣٣ : ٣١ وقوله (يا مريم اقنتي
لربك) ٣ : ٤٣ ويقال : قنت الله .. لزم
طاعته مُتَعَدِّ ولازم ، فهو قانت وهي
قانتة ، والجمع قُنَّت .

وشرعا : الطاعة والدعاء ، والالتجاء
إلى الله تعالى في دفع شر ، أو جلب خير في
وقفة في الصلاة .

بدء مشروعيته : ثبت عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال « قنت رسول الله ﷺ
شهرًا متتابعًا ، في الظهر والعصر والمغرب
والعشاء ، والصبح في دبر كل صلاة ، إذا
قال : سمع الله لمن حمده من الركعة

رضى الله عنه « أن النبي ﷺ قنت شهراً يدعو على قاتلي القرآن » وهم قراء سبعون أرسلهم رسول الله ﷺ لبنى سليم كطلبهم ، فغدروا بهم وقتلوهم في الطريق ، فكان النبي ﷺ يدعو عليهم في الصلاة شهراً ، ثم ترك .

فأما في الصبح « فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا » وهو حديث صحيح صريح .. رواه جماعة من الحفاظ ، وصححوه .

وأما في غير الصبح .. فدليلهم : حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يقنت إلا أن يدعو لأحد أو يدعو على أحد .. كان إذا قال : سمع الله لمن حمده ، قال : ربنا لك الحمد ، وذكر الدعاء ، وهو - : « اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت .. » الحديث

كما استدلوا على أن النبي ﷺ لم يترك القنوت في الصبح مطلقاً ، بما رواه سعيد بن المسيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن بن عوف .. أنهما سمعا أبا هريرة يقول « كان رسول الله ﷺ يقول ، حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ، ويكبر ويرفع رأسه : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد .

ثم يقول : وهو قائم .. اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم شدد وطأتك (١) على مضر ، واجعلها عليهم كسنى (٢) يوسف ، اللهم ألعن (٣) لحيان ، ورعلاً وذكوان ، وعُصَيَّة ، عصت الله ورسوله .. ثم بلغنا أنه ترك ذلك ، لما أنزل (ليس لك من الأمر شيء أويتوب عليهم أوعذبهم فإنهم ظالمون ٣ : ١٢٨) أى أنه ترك الدعاء على هذه القبائل .

وأما أصل القنوت فلم يتركه حتى فارق الدنيا ، وذهب آخرون .. كعبد الله ابن مسعود ، وأصحابه .. وأبى حنيفة وأصحابه ، وسفيان الثوري ، وأحمد ، إلى أنه لا قنوت في الصبح . وقال إسحاق : يقنت للنازلة خاصة .. مستدلين على ذلك :

بحديث أنس رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قنت بعد الركوع شهراً يدعو على

(١) وطأتك - الوطأة - بفتح الواو ، وإسكان الطاء بعد همزة : وهى البأس .

(٢) كسنى - بكسر السين وتخفيف الباء - أى اجعلها سنين شداداً ، ذوات قحط وغلاء .

(٣) اللهم ألعن لحيان - فيه جواز الكفار ، وطائفة معينة منهم .

أحياء من العرب ، ثم تركه .. رواه البخارى ومسلم .

وبحديث أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قنت فى صلاته شهرا ، يدعو لفلان وفلان ، ثم ترك الدعاء لهم .

وبما روى عن سعد بن طارق ، وهو أبو مالك الأشجعى ، قال : قلت لأبى يا أبى إنك قد صليت خلف رسول الله ﷺ وأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، أفكانوا يقنتون فى الفجر؟

فقال : أى بئى مُحدثٌ ، أى بدعة . وبما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « ما قنت رسول الله ﷺ فى شىء من صلاته » .

وقد أجيب عن هذه الأحاديث - : أما حديثا أنس رضى الله وحديث أبى هريرة فى قوله ، ثم تركه ، أى ترك الدعاء على أولئك الكفار ولعنهم فقط لأنه ترك جميع القنوت ، أوترك القنوت فى غير الصبح .

قال المحييون : وهذا التأويل متعين للجميع بين الروايات ، لأن حديث أنس فى قوله ، ولم يزل يقنت فى الصبح حتى فارق الدنيا . صحيح صريح ، ويزيد هذا التأويل وضوحا ، وهو إنما ترك الدعاء على أولئك الكفار ولعنهم رواية أبى هريرة وهى

قوله « ثم ترك الدعاء لهم » .

كما أجيب عن حديث سعد بن طارق .. أن الذين أثبتوا القنوت معهم زيادة علم ، وهم أكثر ، فوجب تقديمهم .

كما أجيب عن حديث ابن مسعود رضى الله عنه بأنه ضعيف جداً ، لأنه من رواية محمد بن جابر السَّحْمى ، وهو شديد الضعف متروك ، ولأنه نفى ، وحديث أنس إثبات ، فقدم لزيادة العلم . كما أجيب عن الآية التى زعم بعض الكوفيين .

أنها ناسخة للقنوت الذى كان النبى ﷺ يفعله بعد الركوع فى الركعة الأخيرة من الصبح .. وأحتج بحديث ابن عمر : أنه سمع النبى ﷺ يقول فى صلاة الفجر بعد رفع رأسه من الركوع فقال : اللهم ربنا ولك الحمد فى الآخرة ، ثم قال « اللهم العن فلانا وفلانا . فأنزل الله عز وجل (ليس لك من الأمر شىء أويتوب عليهم أوعذبهم فأنهم ظالمون ٣ : ١٢٨) أخرجه البخارى ، وأخرجه أيضا مسلم من حديث أبى هريرة أتم منه ، وليس هذا موضع نسخ .. وإنما نبه الله تعالى نبيه ﷺ على أن الأمر ليس إليه . وأنه لا يعلم من الغيب شيئا ، إلا ما أعلمه الله تعالى ، وأن الأمر كله لله ، يتوب على من يشاء ، ويعجل

العقوبة لمن يشاء .. والتقدير : ليس لك من الأمر شيء . والله مافي السموات ومافي الأرض ، دونك ودونهم ، يغفر لمن يشاء - ويتوب على من يشاء . فلانسح ولما روى سالم بن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ لعن أقواما فقال : « اللهم ألعن أباسفيان ، اللهم العن الحارث بن هشام .. اللهم العن صفوان بن أمية ، فتزل قوله تعالى (أوتوب عليهم) فتأب الله على هؤلاء وحسن إسلامهم ، وإنما نص الله تعالى على المنع ، تقوية لعصمته ، والمقصود من الآية منعه ﷺ من كل فعل وقول إلا ما كان بإذنه وأمره .

- وهذا هو الإرشاد إلى أكمل درجات العبودية (فإنهم ظالمون) أى بالمعاصي ، وهذه الجملة مستقلة ، لكن المقصود من ذكرها تعليل لحسن التعذيب والمعنى (أويعذبهم) فإنه تعالى إن عذبهم إنما يعذبهم لأنهم ظالمون .. وتقديم المغفرة على التعذيب للإعلام بأن رحمته سبقت غضبه وبأن الرحمة من مقتضيات الذات دون الغضب ، فإنه من مقتضيات سيئات العصاة .. والمغفرة والرحمة على سبيل الإحسان .. أما التعذيب فعلى سبيل العدل ، لأن الطاعة لاتوجب الثواب ، والمعصية لاتوجب العقاب .. بل الكل من

الله تعالى بحكم إهيته وقهره وإرادته . وقال الإمام العلامة الشوكاني فى كتابه نيل الأوطار : إن الحق ماذهب إليه من قال ، إن القنوت مختص بالنوازل . وأنه ينبغي عند نزول النازلة ، ألا تخص به صلاة دون صلاة .

وقد ورد من حديث أبى هريرة عند ابن حبان .. كان لايقنت إلا أن يدعو لأحد ، أويدعو على أحد - وأصله فى البخارى .

ثم قال ابن القيم ما معناه : الإنصاف الذى يرتضيه العالم المنصف أنه ﷺ قنت وترك ، وكان تركه للقنوت أكثر من فعله ، فإنه إنما قنت عند النوازل ، للدعاء لقوم وللدعاء على آخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وخلصوا من الأسر ، وأسلم من دعا عليهم وجاءوا تائبين ، وكان قنوته لعارض ، فلما زال ترك القنوت .

ثم قال : إن أحاديث أنس كلها صحاح ، يصدق بعضها بعضها .. ولا تناقض .

وحمل قول أنس « ما زال يقنت حتى فارق الدنيا » على إطالة القيام بعد الركوع . كما أجاب عن تخصيصه بالفجر . بأنه وقع بحسب سؤال السائل ، فإنه إنما سأل أنسا عن قنوت الفجر فأجابه عما سأل

الجهرية ، وهو الأصح .. هذا بالنسبة .. للإمام .. وأما المنفرد فيسره بلا خلاف ، وأما المأموم ، فإن قلنا : لا يجهر الإمام ، قنت وأسر ، وإن قلنا : يجهر الإمام ، فإن كان يسمع الإمام ، فوجهان ، أصحهما : يؤمن على دعاء الإمام ولا يقنت ، وإن كان لا يسمع ، لبعد أو غيره : أصحهما يقنت - هذا كله في الصباح ، وفيما إذا قنت في الوتر في النصف الأخير من شهر رمضان .. وأما إذا قنت في باقي المكتوبات حيث قلنا به - فقال الرافعي : كلام الغزالي يقتضي أنه يُسرُّ به في السريات وفي جهره به في الجهريات : الوجهان .. والأصح ماسبق ذكره وهو الجهرية .

ويستحب رفع اليدين فيه .. ولا يمسح الوجه - وقيل : يستحب مسحه . واتفقوا على كراهة مسح الصدر ، والصحيح فيه أيضا : أنه لا يتعين فيه دعاء مخصوص بل يحصل بكل دعاء حتى لو قرأ آية فيه من القرآن تتضمن دعاء كآخر سورة البقرة أجزأه ، وإن لم تتضمن دعاء كآية الدين وسورة تَبَّتْ يَدَا ، فوجهان ، والصحيح عدم الإجزاء .

كما أن الصحيح : أن الدعاء المشهور ، وهو « اللهم آهديني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت » ، مستحب فيه .. وليس

عنه .. وبأنه ﷺ كان يطيل صلاة الفجر دون سائر الصلوات .. ومعلوم أنه ﷺ كان يدعو ربه وينثني عليه ويمجده في هذا الاعتدال ، وهذا قنوت منه بلاريب ، فنحن لانشكل ولا نرتاب ، أنه لم يزل يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا .

وأما حكمه .. فقد وقع الاتفاق على عدم وجوبه مطلقا أى سواء نزلت نازلة بالمسلمين أم لا .. كما صرح بذلك صاحب البحر وغيره .. وحيث لم يكن واجبا ، فهو سنة مؤكدة في الصباح دائما عند مالك والشافعي .. وفي الوتر في كل سنة عند جماعة وفي آخر شهر رمضان .. أى في النصف الأخير منه عند الشافعي .. وأما عند أبي حنيفة ، فهو جائز في النوازل في جميع المكتوبة ، وفي غيرها ، فلا قنوت عنده لافي الصباح ولا في غيرها - وكذلك عند الإمام أحمد فهو سنة عنده في النوازل وفي غيرها فلا قنوت عنده لافي الصباح ، ولا في غيرها - ومحلُّه في اعتدال الركوع الأخير ، وعليه كثير من الصحب ، والتابعين ، والشافعي ، وأحمد .

وقال غيرهما : محله قبل الركوع ، وهو مذهب مالك ، وفي رواية عنه : بعد الركوع الأخير .

- ويستحب الجهر به في الصلاة

شرطا في أنه لا يحصل إلا به .

ولترك القنوت في الصبح عمدا
أوسهوا : سجد سجدتين للسهو ، وهو
مذهب الشافعي .. وحكى الطبرى الإجماع
على أن تركه غير مفسد للصلاة ، كما ذكر
الدار قطنى : عن سعيد بن عبد العزيز
فيمن نسى القنوت في صلاة الصبح ؟
قال : يسجد سجدتى السهو .. كما يستحب
رفع اليدين في الدعاء خارج الصلاة ..
ولقد وردت فيه عدة أحاديث لاحصر
لها .. ولا يتسع المقام هنا لذكرها ؟ ؟

— وهذا كله في الصلوات المكتوبة ،
وأما في غيرها ، فالحكم : أنه لا يقنت في
شئ منها .

قال الشافعى في الأم ، في كتاب صلاة
العيدين ، في باب القراءة في العيدين :
ولا قنوت في صلاة العيدين ،
والاستسقاء ، فإن قنت عند نازلة لم
أكرهه ، كما يستدل بحديث أبى هريرة
رضى الله عنه ، الذى كان يقول الرسول فيه
ﷺ في صلاة الفجر بعد أن يرفع رأسه من
الركوع ويكبر ويقول : ربنا ولك الحمد ،
ثم يقول وهو قائم : « اللهم انج الوليد بن
الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبى
ربيعة . » إلخ الحديث .

قال الإمام النووى ، في شرحه على

صحيح مسلم : إن هذا الحديث فيه
استحباب القنوت والجهربه ، وأنه بعد
الركوع وأنه يجمع بين قوله : سمع الله لمن
حمده ، وربنا لك الحمد .. وفيه جواز
الدعاء لإنسان معين وعلى معين .

وكما قال أيضا صاحب كتاب التاج
الجامع للأصول في أحاديث الرسول
ﷺ ، تعليقا على هذا الحديث ، أن تعيين
بعض الناس في الدعاء في الصلاة
لا يبطئها .. وفيه رد على من يقول : لا يجوز
الدعاء إلا بأخوى .. وفيه جواز لعن الكفار
وطائفة معينة منهم .

وإنى مع الإمام النووى .. ومع
صاحب كتاب التاج .. بأن الدعاء لإنسان
معين ، وفى معين .. لا يبطئ الصلاة ..
والأ كما صرح الرسول ﷺ بذكر أسماء
الذين دعا لهم ، والذين دعا عليهم أثناء
القنوت في الصلاة ؟ !

وأما قول الإمام أحمد رضى الله عنه في
كتاب الفقه على المذاهب الأربعة : إن
الدعاء لشخص معين فجائز — بغير كاف
الخطاب .. وتبطل الصلاة بالدعاء بكاف
الخطاب ، كأن يقول : اللهم أدخلك
الجنة يا ولدى ، أما لو قال : اللهم أدخله
الجنة فلا بأس ، فإنى أقول مستفسراً
ومستوضحاً : بأن هذه الفتوى في النفس

في قنوته .

قال البيهقي : دلّ هذا كله على أن تعلم هذا الدعاء وقع في القنوت في صلاة الصبح ، وقنوت الوتر .

ثم قال : وهذه الكلمات الثماني هن اللواتي نص عليهن الشافعي في مختصر المزني ، واقتصر عليهن ولوزاد عليهن .. « ولا يعز من عادية » قيل « تباركت ربنا وتعاليت » وبعده « فلك الحمد على ما قضيت أستغفرك وأتوب إليك » فلا بأس به .

ثم إن كان إماما لا يخص نفسه بالدعاء ، بل يعمم ، فيأتي بلفظ الجمع . بأن يقول « اللهم اهدنا فيمن هديت .. » إلخ الدعاء .

- وإن قنت بما روى عن عمر رضي الله عنه كان حسناً .. وهو كما ذكره أبو داود في المراسيل : عن خالد بن عمران قال « بينا رسول الله ﷺ يدعو على مضر ، إذ جاءه جبريل عليه السلام ، فأومأ إليه أن اسكت ؟ فسكت ، فقال : يا محمد إن الله لم يبعثك سبباً ولا لعناً ، وإنما بعثك رحمة ، ولم يبعثك عذاباً (ليس لك من الأمر شيء أوتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ١٢٨٣) قال : ثم علمه هذا القنوت ، فقال : « اللهم إنا نستعينك

منها شيء ! ؟ ولا معنى للفرق بين العبارتين ، إلا إذا كان هناك ما يؤيدها من السنة النبوية .

وإني رأيت من المستحسن تكملة لهذا البحث القيم أن أختمه بذكر الدعاء المأثور في القنوت عن سيدي وسيد العالمين رسول الله ﷺ .

أما الدعاء الأول ، الذي رواه الترمذي عن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، قال « علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت ^(١) وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت » .

رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم ، بإسناد صحيح .

قال الترمذي : هذا حديث حسن قال : ولا يعرف عن النبي ﷺ في القنوت شيء أحسن من هذا .

وفي رواية ، رواها البيهقي - عن محمد بن الحنفية - وهو ابن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه - قال : إن هذا الدعاء ، هو الذي كان أبي يدعو به في صلاة الفجر

(١) فيمن هديت - أي مع من هديت .

وعدوهم ، إله الحق ، وأجعلنا منهم» (١٠) .

* * *

- ويستحب الجمع بين قنوت عمر رضى الله عنه وقنوت على كرم الله وجهه ، فإن جمع بينهما ، فالأصح تأخير قنوت عمر.. وفى وجه يستحب تقديمه وإن اقتصر فليقتصر على الأول .

وإنما يستحب الجمع بينهما إذا كان منفرداً ، أو كان إمام محصورين يرضون بالتطويل .

ويستحب أن يصلى على النبى ﷺ بعد الدعاء ، لما روى من حديث الحسن رضى الله عنه فى الوتر أنه قال : « تباركت وتعاليت ، وصلى الله على النبى وسلم » . ويستحب للمأموم أن يؤمن على الإمام فى الدعاء .. لما روى ابن عباس رضى الله عنهما ، قال « قنوت رسول الله ﷺ وكان يؤمن من خلفه .

ويستحب له أن يشاركه فى الثناء ، لأنه لا يصلح التأمين على ذلك ، فكانت المشاركة أولى .

والله ورسوله أعلم .

محمد الطيب شورم

ونستغفرك ولانكفرك ، ونخع لك (١) ونخلع ونترك (٢) من يكفرك ، اللهم إياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد (٣) ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد (٤) ، بالكفار ملحق (٥) اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك يكذبون رسلك ، ويقاتلون أولياءك ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، وأصلح ذات بينهم (٦) ، وألف بين قلوبهم (٧) وأجعل فى قلوبهم الإيمان والحكمة (٨) وثبتهم على ملة رسولك ، وأوزعهم (٩) أن يوفوا بعهدك ، الذى عاهدتهم عليه ، وانصرهم على عدوك

(١) ونخع لك - الخنوع : الخضوع والذل .

(٢) ونخلع ونترك - أى : نترك من يعصك ، ويلحد فى صفاتك .

(٣) وإليك نسعى ونحفد - أى : نسارع إلى طاعتك .. وأصل الحفد : العمل والخدمة .

(٤) إن عذابك الجد - بكسر الجيم .

(٥) بالكفار ملحق - بكسر الحاء - أى : من نزل به عذابك : أحقه بالكفار - وقيل بمعنى لاحق - ويروى بفتح الحاء - على المفعول - أى : إن عذابك يلحق بالكفار ويصاوبون به .

(٦) وأصلح ذات بينهم - أى : أمورهم ومواصلاتهم .

(٧) وألف بين قلوبهم - أى : اجمعها على الخير ،

(٨) الإيمان والحكمة - هما كل ما منع من القبيح .

(٩) وأوزعهم - أى : أهمهم .

(١٠) وأجعلنا منهم - أى : ممن هذه صفتهم .

الفتاوى

الدُّسَادُ / عبد الحميد شاهين

طريق صحيح عن النبي ﷺ بيان للمراد منها . . ولذلك اختلف الناس فيها اختلافاً كثيراً . . وكان لهم فيها آراء وتخمينات !!! وهذه الآراء على كثرتها ترجع إلى رأيين اثنين :

أحدهما : أنها جميعاً مما استأثر الله به ولا يعلم معناه أحد سواه وهذا رأى كثير من الصحابة والتابعين .

ثانيهما : أن لها معنى ، وذهبوا في معناها مذاهب شتى ، ملئت بها كتب التفسير ، وكان منها : أنها أسماء للسورة التي بدئت بها .

ومنها : أنها رموز لبعض أسماء الله أوصفاته ، كأن يجعل للحرف اسماً من الأسماء التي تبدأ به ، فألف لا «الله» مثلاً ، واللام لاسم «لطيف» والميم لاسم «ملك» وهكذا مما يمكن أن يصنعه كل إنسان .

ومنها من زعم أن منها رموزاً لبعض أحداث تظهر في مستقبل الأيام . إما عن طريق حساب الجُمَّل المعروف ، أو عن

س - ما هو التفسير الصحيح لقوله تعالى (حم عسق) وما شابهها من الحروف في أوائل السور ؟

ج - في القرآن الكريم تسع وعشرون سورة بدئت بحروف هجائية تقرأ مقطعة بأسمائها هكذا : ألف . لام . ميم ، وكان منها ما بدئ بحرف واحد : ص ، ق ، ن . ومنها ما بدئ بحرفين : طه ، يس . ومنها ما بدئ بثلاثة أحرف : ألم . ومنها ما بدئ بأكثر : كهيعص ، حم عسق . . . (وحم عسق) هي التي بدئت بها سورة الشورى ، وهي إحدى سور سبع بدئت بحرفي (حم) وتعرف باسم «الحواميم» وكل السور التي بدئت بالحروف من القسم المكي . الذي عني بتقرير التوحيد والوحي والرسالة والبعث عدا سورتي «البقرة وآل عمران» اللتين تضمنتا مناقشة أهل الكتاب في إنكارهم الوحي إلى النبي ﷺ .

وليس لهذه الحروف في اللغة العربية معان تدل عليها سوى مسمياتها التي ينطق بها في الكلمات المركبة منها ، ولم يرد من

طريق الروايات التي لا مستند لها ، أو عن طريق الوهم والتخمين ؟!!!

ومنهم من يرى أنها زيادة إمعان في التحدى بالقرآن ، على معنى أنه كما ترون مؤلف من الحروف التي يتركب منها كلامكم ، فليست مادة غريبة عليكم ، ولا مجهولة لكم ، وإذن فعجزكم مع هذا عن الإتيان بمثله دليل على أنه ليس من صنع البشر ، وإنما هو وحي من الله خالق القوى والقدر .

والذى يصح أن نطمئن إليه هو الرأى الأول : وهو أنه مما استأثر الله بعلمه . نعم للبدء بها حكمة يمكن استنتاجها من غرابتها ؛ ومن مجيئها بدءاً للسرور أنها تنوه بشأن القرآن ، ذلك أن القوم كانوا يتواصون فيما بينهم بالإعراض عن القرآن (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) ففوجئوا بالبدء الغريب قرعاً لأسماعهم ، ودفعاً لهم إلى استماعه ، وهى بذلك تشبه أدوات التنبيه المعروفة فى اللغة العربية .

أما ما نقله الطبرى فى مآثره من أن (حم عسق) رمز إلى هلاك مدينتين ثُبَّيان على نهر من أنهار المشرق ، ينشق النهر بينهما إلى آخر ما ذكر ، فهو من الروايات التى لا يصح التعويل عليها ، والتحدث بها فى مقام التفسير ، فهى روايات مضطربة ليس

لها من سند صحيح وليس لما ترمز له من مناسبة معقولة !!

والجدير بالمسلم أن يؤمن بأنها كسائر القرآن مما أنزله الله على رسوله ، وأن يؤمن بأن له فى كتابه أسراراً يختص بعلمها ، كما أن له فى كونه أسراراً لا يعلمها سواه (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئلاً) .

س : يسأل كثير من أهل الريف عن حكم الشرع فيما هو شائع بينهم من رهن الأطيان ، وهل يباح للدائن أن يستغل الأرض الموهونة بزراعتها أو إيجارها لحسابه مدة تطول أو تقصر حتى يودى المدين دينه ، ويفك الرهن ، مع العلم بأن هذا بإذن الراهن ورضاه ؟

ج : تنظر الشريعة إلى المال نظرة واقعية ، تطلب تحصيله من الطرق التى لا اغتيال فيها ولا استغلال ، وتطلب المحافظة عليها من الضياع . وقد أرشدت فى حفظه - إذا كان ديناً - إلى كتابته والإشهاد عليه ، وإلى أن يأخذ به رهناً يقوم مقام الكتابة فى الاستيثاق والحفظ ، ونزلت فى ذلك أطول آية فى القرآن وهى قوله تعالى فى سورة البقرة : (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى

وهو منهى عنه بالحديث «كل قرض جرّ نفعاً فهو رباً». أما الحنفية فقد جاء في معتبرات كتبهم التصريح بجواز انتفاعه بها إذا أذن له صاحبها لأنها ملكه ، وللمالك أن يأذن لمن يشاء في الانتفاع بملكه . ويقولون : إن الانتفاع بالرهن انتفاع جره الإذن . ولم يجزه القرض فلا يكون حراماً .

* * *

الإذن الصورى لا قيمه له في رأينا :

ومادام كلامنا في الحلال والحرام فالذى نراه أن هذا الإذن إن كان منشؤه محض التبرع المبني على محبة مقابلة الجميل بالجميل ، وتبادل التعاون على الخير . حل للدائن أن ينتفع به . وإن كان منشؤه اضطراب المدين إليه دفعاً لضغط الدائن عليه وهو في عسرة مالية يستحق بها المعونة من أخيه كان إذناً صورياً لا يدل على الرضا وطيب النفس .

... وإذن فلا يحل للدائن أن يستند إلى هذا الإذن الصورى في استغلال حاجة أخيه المضطر المقهور .

ولاشك أن انتهاز فرص الضرورة ، لاستغلال المعدم ، هو الروح الخبيث الذى لأجله حرم الله الربا . . (وإن تبتم فلکم رءوس أموالکم لا تظلمون ولا تُظلمون وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) .

فاكتبوه) إلى أن يقول : (وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة) . وصح عن النبي ﷺ أنه اشترى وهو في المدينة طعاماً من يهودى ورهنه درعاً من حديد .

ودل هذا على أن مشروعية الرهن ليست خاصة بحال السفر ، وأنه مشروع في السفر والحضر معاً . والرهن بعمومه يشمل المتقول كالمناخ والدابة . والعقار كالدار والأرض .

وعلى هذه المشروعية العامة اتفق الفقهاء ، كما اتفقوا أيضاً على أن عقد الرهن ليس عقد استثمار واسترباح ، وإنما هو عقد استيثاق وضمان للدين ، وهو في ذلك بمعنى الصك والكفيل ، وقد كان من ضرورة اتفاقهم على أن طبيعة عقد الرهن كما ذكرنا اتفاقهم على أنه ليس للدائن بمقتضاه أن ينتفع بشيء من العين المرهونة . ولكن هناك شيء آخر وراء عقد الرهن وطبيعته وهو هل يحل للدائن أن ينتفع بالعين المرهونة إذا أذن له صاحبها وهو المدين ؟

وقد عرض الفقهاء لهذه المسألة وكان لهم فيها رأيان : فغير الحنفية يرون أنه لا يحل له أن ينتفع بها وإن أذن له صاحبها ؛ لأنه يكون انتفاعاً جره قرض ،

كيف وقد تمتد عسرة المدين الواقع في الضرورة مدة تصل فيها منفعة العين المرهونة إلى أضعاف الدين المضاعفة ، يستغلها الدائن باسم الإذن القهري ، مع بقاء دينه كاملاً على المدين ، وكثيراً ما خربت به بيوت وافترق ملاك .

وفي الحق أنه إذا دار الأمر بين الانتفاع بالرهن على هذا الوجه ، وبين الفائدة للدين التي يسمح بها القانون [لا الشرع] كانت تلك الفائدة أقل ضرراً وحرمة من هذا الرهن الذي يجب منعه ، قطعاً لأطماع المستغلين لضرورات الناس . ومحافظة على بيوت المضطرين من الخراب .

وبما أن أكثر ما يجري بين الناس الآن في رهن الأرض هو من هذا النوع - الاستغلالى - فإنه ولا شك يكون حراماً ويعقته دين الرحمة .

في كتب الفقه :

ومن قبل شك العلماء في مصر من انتشار هذه المعاملة المخطورة ، قال الصاوى من المالكية رضى الله عنه : « وما عمت به البلوى في مصر جميعها . حتى لم يقدر أحد من أهل العلم على رفعه . أن يبذل الرجل لآخر دراهم . ثم يأخذ منه أرضاً . زراعة أو حائطاً « بستاناً » رهناً ، على أن يزرع الأرض أو يأخذ ثمر الحائط ، مادامت

الدراهم في ذمة آخذها ، ثم زادوا في الضلال إلى أنه إذا رد آخذ الدراهم مافى ذمته ليأخذ أرضه أو حائطه توقف معطيها في القبول ، فتارة يشتكيه إلى أمرائها لينصروا الباطل ، وتارة يصالحونه على دفع شيء ليستمر على ذلك السنة أو السنتين أو الأكثر ، فإننا لله وإننا إليه راجعون » (١) .

وقال الدردير رضى الله عنه في الشرح الصغير « مسألة رهن الأرض والحائط المسماة بين الناس بالغاروقة . وهى ممنوعة مطلقاً ولو شرط المنفعة فى مدة معينة ، لأنها فى قرض لا بيع ، ولا ينفعه أن يقول وهبتك المنفعة مادامت دراهمك على ، لأنها حيلة باطلة عندنا ، وهى من الربا ، فيجب على واضع اليد على الطين فى نظير دراهمه الإقلاع عنه وتركه لصاحبه ، والاستمرار عليه محرم .

ولكن إذا دفع وزرع الأرض يكون الزرع له وعليه أجره مثل الأرض لصاحبها ، فيقاصصه بها من أصل الدين الذى عليه ، فإن كان يدفع الخراج للملتمزم وكان قدر أجره الأرض لا يلزمه أجره لربها كما قدره الأشياخ » والله أعلم .

عبد الحميد شاهين .

(١) من فتاوى الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت .

فهرس العدد

الصفحة	الموضوع
٥٨٨ - ٥٧٧	١ - عودة الروح إلى باكستان الدكتور عبد الودود شلبي
٥٩٩ - ٥٨٩	٢ - شعراء العجم في مدح سيد العرب والعجم العلامة أبو الحسن الندوى
٦٠٨ - ٦٠٠	٣ - إلى أين يتجه الإسلام والمسلمون؟ العلامة أبو الأعلى المودودى
٦١٦ - ٦٠٩	٤ - الهجرة النبوية في ضوء جديد الأستاذ أحمد حسين
٦٢٥ - ٦١٧	٥ - مأساة المسلمين في اليونان وأحوالهم في يوغوسلافيا وتركيا اللواء أحمد عصمت محمود
٦٣٨ - ٦٢٦	٦ - لا هو لحساب الإسلام ولا لحساب المسيحية الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة
٦٥٧ - ٦٣٩	٧ - مشكلة الهلال أليس لها من حل؟ الشيخ على حسن البولاقى
٦٦٢ - ٦٥٨	٨ - الفقه الإسلامى بين المثالية والواقعية الدكتور محمد مصطفى شلبي
٦٧٦ - ٦٦٣	٩ - في مواجهة الإلحاد المعاصر «عقائد الدم» الدكتور يحيى هاشم
٦٨٣ - ٦٧٧	١٠ - الأزهر والسلام الدينى الدكتور محمد رجب البيومى
٦٩٦ - ٦٨٤	١١ - الردة والخوارج الأستاذ السيد حسن قرون

الصفحة	الموضوع
٦٩٧ - ٧٠٥	١٢ - مركز السنة الإسلامية في التشريع الإسلامي الدكتور رءوف شلبي
٧١٥ - ٧٠٦	١٣ - ابن الفارض سلطان العاشقين الدكتور سعد ظلام
٧١٨ - ٧١٦	١٤ - نبى الإسلام في مرآة الفكر الروسى التحرير
٧٣٢ - ٧١٩	١٥ - الدين ضرورة بشرية الأستاذ زاهر عزب الزغبى
٧٤٦ - ٧٣٣	١٦ - الأزهر جامعاً وجامعة الأستاذ محمد كمال السيد
٧٥٠ - ٧٤٧	١٧ - فلسفة القوانين عقيد شرطة فكرى الجوهري
٧٥٤ - ٧٥١	١٨ - من طرائف الشعراء الفناك التحرير
٧٦٢ - ٧٥٥	١٩ - تحقيق مشروعية القنوت فى الصلاة عند النوازل الشيخ محمد الطيب شورم
٧٦٦ - ٧٦٣	٢٠ - الفتاوى الأستاذ عبد الحميد شاهين
٧٧٨ - ٧٧١	٢١ - القسم الفرنسى إشراف : الأستاذ زاهر الزغبى
٨٠٨ - ٧٧٩	٢٢ - القسم الإنجليزى الأستاذ مصطفى جلال الدين

إلى السادة راغبي الاشتراك في مجلة الأزهر
عليكم الاتصال باشتراكات أخبار اليوم (توزيع الأخبار)
٣ (أ) شارع الصحافة - القاهرة

وفيما يلي قيمة الاشتراك للمجلة لمدة ١٠ أعداد سنوياً

أولاً : جمهورية مصر العربية

١,٥٠٠ (جنية وخمسمائة مليم)

ثانياً : دولة اتحاد البريد العربى الأفريقى :

٢,٧٠٠ (جنيهاً و ٧٠٠ مليم) أو أربعة دولارات

ثالثاً : باقى دول العالم :

٨,٧٠٠ (ثمانية جنيهاً و ٧٠٠ مليم) أو ١٣ ثلاثة

عشر دولار ، تسدد قيمة الاشتراك فى مصر نقداً

أو شيك لأمر اشتراكات مؤسسة أخبار اليوم .

تسدد قيمة الاشتراك للدول العربية الأفريقية .

والدول الأجنبية بشيك مصرفى مسحوباً على أحد

البنوك العالمية لأمر اشتراكات مؤسسة أخبار اليوم :

المراسلة على هذا العنوان

توزيع الأخبار ٣ (أ) شارع الصحافة - القاهرة

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)

n'en reste pas moins que, depuis des siècles, l'Imitation de Mohammed a été en Terre d'Islam, sous des modalités diverses, une des méthodes essentielles de spiritualité.

Voici donc ce que j'ai cru bon de

proposer à nos lecteurs, en ces jours où le monde islamique fête l'Anniversaire du prophète; que ceux qui en ont la possibilité relisent la Vie du Prophète en méditant sur elle!

qui se manifeste sous différentes formes: le rejet des mensonges (ceux qu'on fait intentionnellement, en s'en rendant compte et ceux qu'on se fait à soi-même sans s'en rendre compte, par exemple en confondant l'illusion avec la réalité) l'amour de la vérité et de l'Intelligence sous sous ses formes supérieures...

Toutes ces vertus apparaissent donc en Mohammed comme étroitement liées les unes aux autres, comme fondues dans une Unité dont les noms que nous utilisons ne révèlent que des aspects; en effet, ce qu'exprime ce «faisceau de vertus», c'est que Mohammed a surmonté en lui les incohérences, les déchirements, les contradictions de l'homme ordinaire, guidé qu'il fut par une influence d'En Haut: il apparaît comme un Homme unifié, vivant sur un niveau nettement supérieur à celui de l'homme ordinaire.

Si j'ose risquer cette alliance de mots, son détachement le lie à cette influence par un «esclavage spirituel (عبودية) fait de pauvreté totale (فقر) et d'effacement devant Dieu (on pourrait dire, au lieu d'«effacement», «extinction», mais non «anéantissement», traduction pourtant courante, mais aussi confuse et équivoque que la traduction du terme sanskrit «nirvana» par «néant»; le terme arabe est: فناء)

Cet ensemble de vertus solidaires, qui peut mener aux formes les plus élevées de la contemplation pure, l'exemple du Prophète nous confirme qu'il est tout aussi bien, susceptible de mener à l'action, au sens le plus fort de ce terme, — c'est-à-dire à la réalisation, dans la

vie concrète, dans le monde, d'un but volontaire conscient, ou d'une Mission.

Et se trouverait-il quelqu'un pour dire que le Prophète n'a pas dans les circonstances les plus difficiles, accompli sa Mission, faisant revivre sous la forme d'une «nouvelle» Religion la Religion éternelle, unifiant les Arabes dans un mouvement tendu vers l'universalisme, abolissant devant la Religion toute distinction de race, de classe ou de nationalité? et modifiant en quelques décades la physionomie d'une vaste partie du monde, de la Chine jusqu'à la Mauritanie, de l'Espagne jusqu'aux îles de la Sonde?

Ces indications, toutes fragmentaires qu'elles soient, font apparaître, je l'espère, l'importance que peut prendre l'imitation du Prophète, même dans les détails de la vie quotidienne: ces détails, orientés vers une perfection croissante, vers les plus hauts niveaux de sagesse et de sainteté, permettent au fidèle engagé dans cette voie, un rappel quasi constant, un RAPPEL qui l'arrache aux distractions, aux imaginations, aux bavardages, aux mensonges qui nous guettent de tous côtés.

Toutefois il est bien évident que le but de l'imitation du Prophète est de réaliser en soi, dans toute la mesure du possible, l'apparition des vertus de Mohammed, leur développement, le passage d'une moins grande à une plus grande perfection», comme disait Spinoza. Il y a certes d'autres moyens de stimuler et de développer la vie intérieure, orientée vers la recherche de plus d'unité, plus de conscience, plus de capacité à réaliser les buts que nous nous sommes fixés; il

sur les forces et les faiblesses de l'adversaire. Quoi qu'on en ait dit, l'homme fut bon et généreux. A la prise de la Mecque, sa clémence fut plus qu'un acte politique...»

Nous voici donc arrivés à la générosité; reprenons, si vous le voulez bien, deux exemples marquants déjà cités. Le premier concerne le sort des prisonniers après la bataille de Badr. Il faut tout d'abord se souvenir que dans l'Arabie préislamique, il n'existe pas de conventions inter-tribales analogues à la Convention de Genève et autres conventions internationales actuellement prisonniers de guerre; les Conventions internationales que nous connaissons actuellement remontent à moins d'un siècle et demi. Précisément, c'est le triomphe de l'Islam qui contribuera, dès le 7^e siècle, à un meilleur traitement des prisonniers, du moins dans le monde musulman, — et ce, précisément en raison de l'imitation du Prophète, notamment de ses actes de clémence et de miséricorde en ce domaine.

On avait fait à la bataille de Badr une quarantaine de prisonniers; qu'en faire? Mohammed demanda l'avis de trois hommes éminents de son entourage; Omar et abd-Ubaida choisirent le massacre général, chose fréquente à l'époque en de telles circonstances; Abou Bakr pencha pour la clémence; et Mohammed se rangea à son avis. D'un côté, ceci peut apparaître comme plus politique; d'un autre côté selon la mentalité générale de l'époque, le massacre

eût été une preuve de résolution, une démonstration de force et d'intransigeance qui, du point de vue «politique», aurait peut-être risqué de porter plus de fruits.

C'est encore plus net à la prise de la Mecque, triomphe absolu et définitif de Mohammed sur ses adversaires de longue date; il annonce aux habitants que, la ville ayant été prise de force, ils doivent conformément aux usages, se considérer tous en état de captivité; mais immédiatement après cette déclaration, il leur octroie la liberté (c'est pour quoi les Mecquois sont souvent appelés, dans d'anciens livres, les «Relâchés»).

Le détachement et la Maîtrise de soi.

Ce qui donne à la force et à leur générosité leur valeur suprême, c'est de procéder du détachement: détachement du monde extérieur, détachement de soi-même, effacement devant Dieu. Etre détaché, en effet, ce n'est pas forcément, comme on se l'imagine parfois, se vouer exclusivement à la contemplation pure. On ne peut être fort, soi-même, se consacrer avec toute l'énergie possible à la réalisation de son But, des vraies valeurs (en l'occurrence, pour Mohammed, sa mission prophétique) que si l'on est à l'abri de toutes les influences extérieures ou passionnelles; autrement dit, il faut être

MAITRE DE SOI.

La véracité.

Cette maîtrise de soi et le détachement qui va de pair avec elle se trouvent associés aussi à la véracité (صدق)

a) Le problème de Mahomet, Paris, 1952

dans l'abondance des richesses et des enfants; la vie de ce monde ressemble à une averse: les cultivateurs s'émerveillent de la végétation qui apparaît, puis les plantes se fanent, jaunissent.... elles deviennent sèches et cassantes....»

Cette reconnaissance du néant des «biens de ce monde» allant de pair avec l'évidence du néant de sa propre personnalité, c'est la vraie pauvreté, l'humilité totale, terrain sûr pour la Révélation qui descend dans cette terre vierge, «illettrée», apportant une Certitude sans appel, qui débouche sur les vertus complémentaires de générosité et de force.

L'emploi du mot «force», dans la langue française nécessite quelques précautions. Dans l'esprit de beaucoup de gens, le mot «force» est associé à l'idée de «force brutale», d'«agressivité» (la «force» qui «prime le droit»). Aussi, bien souvent, est-il préférable d'utiliser le mot «énergie», qui ne suscite aucune association de ce genre.

C'est pourquoi d'ailleurs la traduction «Dieu n'aime pas les faibles» d'une Parole sacrée bien connue, a pu être mal interprétée; par «faibles», il faut entendre essentiellement les «tièdes», les «mollassons», ceux qui manquent d'énergie et de courage pour défendre les vraies valeurs.

Nous conserverons, dans ce qui suit, le mot «force», pourvu que sa définition soit bien comprise, en accord avec ce que nous venons de dire.

La force et la générosité — L'affirmation de la Vérité par la parole, par les actes, par le combat, c'est la

vertu de force, cette affirmation doit se faire aussi bien dans le monde extérieur («petite» guerre sainte) que dans notre univers intérieur («grande» guerre sainte). La Vérité est intolérante envers l'erreur, mais la tolérance à l'égard des personnes dans l'erreur est possible, et en général souhaitable ou nécessaire: elle est à la fois amour des autres et pardon, en un mot miséricorde. La générosité liée à la force enlève à celle-ci toute nuance d'agressivité.

La vie du Prophète témoigne de sa vertu de force, de son énergie toujours vivace au milieu des pires fatigues, des pires dangers, des complots, des trahisons.

«Ni l'indifférence, écrit l'érudite français Blachère, ni les blessures, d'amour-propre, ni le tort fait à ses intérêts matériels, ni les machinations ou les menaces, ni surtout les offres de compromis plusieurs fois présentées par les polythéistes ne purent le détourner de sa mission. Aux heures les plus graves — le Coran en témoigne — il sut conserver son sang-froid, ranimer les courages, fermer les yeux sur les défaillances légères pour mieux frapper la trahison. En vrai meneur d'hommes, il sut choisir ses conseillers, utiliser Ali pour son dévouement, Abou-Bakr pour sa pondération, Omar pour son énergie, Othman pour sa souplesse. Sans illusion sur les hommes, il n'omit jamais de leur rappeler leur devoir et leur mission. Mieux que personne aussi, il connut les vertus et les défauts de la nation où il était né. Cet inspiré, qui pas un jour n'a pensé réussir sans le secours d'Allah, savait cependant prévoir l'avenir, me-

Plutôt donc que de s'attarder à «défendre» le Prophète contre des accusations puériles ou malsaines, dictées par la sottise, l'incompréhension ou le fanatisme, il vaut mieux essayer de caractériser les grandes vertus qu'il a proposées à notre imitation. L'humilité.

Le sentiment qu'il n'est au départ qu'un homme comme les autres, un mortel égaré, lui est pour ainsi dire dicté par la Révélation:

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ
الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ

«Moi, je ne vous dis pas: je possède des trésors de Dieu: je ne connais pas les choses cachées; je ne vous dis pas que je suis un ange, je me borne à faire ce qui m'a été révélé...»

إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ

«Si je n'obéis pas à mon Seigneur, je redoute le châtinement, au jour de la Terreur...»

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي
حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ .

«J'ai reçu ordre d'adorer le Seigneur de cette Ville.... j'ai reçu ordre d'être soumis et de réciter le Koran...»

قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَأِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ
اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ
قَرِيبٌ

«Si je suis sur la mauvaise voie, c'est à mes dépens; si je suis bien dirigé, c'est grâce aux révélations de mon Seigneur...»

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
وَالنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
دُونِ اللَّهِ

Et encore:

«Un mortel auquel Dieu a donné le Livre, la Sagesse et la Porphétie, il ne lui appartient pas de dire ensuite aux hommes: Soyez mes serviteurs et non pas ceux de Dieu...»

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

«Je ne vous demande point de salaire...»

Ce désintéressement, qui va de pair avec l'humilité, est confirmé par tout ce que nous savons de la vie du Prophète, de sa sobriété, de la frugalité ascétique de son existence quotidienne.

Quoi d'étonnant, puisqu'il avait transmis la révélation que voici:

اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ
فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

«Sachez que la vie de ce monde n'est que jeu, divertissement, vain décor, lutttes de gloriole entre vous, surenchères

(universaliste) aux liens tribaux (particularistes). Il s'agissait d'une véritable révolution à réaliser, non pas dans une ville ou au sein d'une tribu, mais dans un grand nombre de tribus, fortement organisées au point de vue social et régies depuis des siècles par des us et coutumes qui avaient fait leurs preuves.

Venons-en aux reproches si souvent prodigués, de façon ordurière ou ironique, parfois, au nom d'un puritanisme militant dont on sait bien ce qu'il recouvre en général (impuissance, déviations ou complexes sexuels): Mohammed a eu plusieurs épouses... Le beau reproche... Rappelons que l'existence du Prophète peut se diviser, au point de vue qui nous occupe, en trois périodes:

a) jusqu'à vingt-cinq ans: une jeunesse marquée par l'ascèse, la méditation et la maîtrise des passions;

b) de vingt-cinq à cinquante ans: mariage avec une épouse unique, dont il a plusieurs enfants; ce mariage n'interrompt pas la vie d'ascèse et de méditation, qui, vers quarante ans, va prendre une nouvelle intensité (retraites dans la montagne, en solitude); ce n'est pas sa femme qui y trouve à redire: Khadidja lui apporte sur le plan religieux et dans les épreuves qu'il subit (visions, interventions d'En Haut réitérées, stupeur d'avoir à penser qu'il a été choisi comme Prophète)⁽¹⁾ un réconfort et un soutien précieux, sinon indispensables.

Ce mariage fut donc remarquablement heureux; écoutons plutôt le Prophète lui-même:

(1) sans compter les dures et tragiques persécutions.

«Quand j'étais pauvre, elle m'a enrichi; quand tout le monde m'abandonnait, elle m'a réconforté: quand on me traitait de menteur, elle a cru en moi».

c) après cinquante ans, devenu chef responsable d'une Communauté de croyants qui l'appuie dans sa Mission Prophétique, confronté avec les conflits qui l'opposent à de nombreuses tribus arabes, Mohammed contracte au cours des années plusieurs mariages.

Autrement dit, trois formes de comportement sont proposées à qui veut imiter le Prophète en ce qui concerne la question du mariage; toutes les trois excluent licence, débauche, adultère, violence; la continence dans la jeunesse est d'ailleurs universellement recommandée par les grandes religions; la possibilité d'une union monogame parfaitement réussie est démontrée, ainsi que la possibilité et l'opportunité d'une polygamie légale dans certaines circonstances de la vie: faut-il rappeler aussi que les unions contractées après cinquante ans ont toutes, ou presque, un aspect «politique», au sens élevé du terme? D'ailleurs la vie conjugale, avec toutes les obligations que le Koran impose à l'époux n'excluait chez le Prophète ni les veilles, ni les prières, ni les jeûnes ni les mille fatigues et épreuves (guerre, diplomatie et services de renseignements, enseignement religieux, justice à rendre, conseils individuels, etc, etc...) auxquelles l'astreignait sa Mission sacrée

a) Ces mariages facilitent la réalisation concrète de la Mission prophétique, en évitant conflits et luttes sanglantes.

le Prophète «illettré», sa famille et ses compagnons, et donne-lui la Paix!»

Cette «Bénédiction» souligne implicitement certaines VERTUS de Mohammed: en effet le mot arabe (عبد) que j'ai traduit par «serviteur» s'applique à un serviteur qui ne possède rien en propre; ceci évoque la vertu de pauvreté (فقر): la générosité (كرم) est la vertu de l'Envoyé (رسول) compatissant et désintéressé; enfin le Prophète «illettré», c'est-à-dire «à l'esprit vierge» (libre de toute «passion» au sens classique du mot en français, au sens du 17^{esi}ècle (a) a comme vertu la véracité (traduction qui nous semble préférable à celle de «sincérité», mot quelque peu usé en français et, en tout cas, qui prête à équivoque: nous y reviendrons).

Avant de dire quelques mots sur ces vertus et sur leur fusion, chez Mohammed, entre elles et avec d'autres, fusion qui fit du Prophète un être harmonieux sur le plan intérieur, un être unifié, nous devons revenir sur les interprétations détestables auxquelles nous faisons allusion plus haut, et qu'on ne peut ignorer, hélas! parce que toute une propagande s'en sert, de nos jours encore, avec plus ou moins d'habileté.

Ceux qui soulignent la prétendue «cruauté», le prétendu «caractère vindicatif de Mohammed, s'appuient sur quelques exemples de fermeté et d'intransigeance, exemples qui ne manquent pas dans la vie des autres prophètes; le Christ, lorsqu'il chasse les

marchands du Temple ne le fait pas au moyen de douces paroles, mais en renversant les tables et en donnant du fouet; l'Evangile ne lui prête-t-il pas les paroles fameuses qu'on traduit en français, généralement, par «Je ne suis pas venu apporter la paix, mais l'épée»? mais les punitions qui attendent après la mort ceux qui ne peuvent échapper à l'implacable Justice divine n'ont rien de réjouissant, qu'elles soient décrites par tel ou tel prophète juif, ou évoquées par l'Evangile (la «Porte étroite», la Géhenne, etc...) ou par tels ou tels théologiens catholiques ou protestants....

En fait, de son vivant, Mohammed s'est vu plutôt reprocher par son entourage, ou par la masse des gens, sa clémence jugée souvent excessive, que ce soit après la victoire de Badr, après la prise de la Mecque ou en mille autres occasions.

Les cas de fermeté sans clémence sont rares dans l'existence du Prophète, — il serait anormal qu'il n'en existât point. La clémence n'est pas toujours possible. Mohammed devait accomplir sa Mission sacrée, et certaines formes de pardon pouvaient être interprétées, dans le contexte social de l'époque, (relations inter-tribales notamment) comme des faiblesses et des indignités. Mohammed a dû et a su punir en quelques occasions, sans aucune indulgence, des ennemis irréductibles ou des félons; rappelons que ces faits datent tous de l'époque où, devenu chef d'une communauté, il lui fallait, pour obéir aux ordres d'En Haut, substituer dans l'Arabie du 7^e siècle le lien religieux

a) c'est la «pauvreté» sur le plan spirituel, dont parle l'Evangile: «Bienheureux les pauvres en esprit»

A propos des Vertus du Prophète par Moustafa Djellaleddine Daumal

L'homme est un être limité. Cette limitation humaine a trouvé une conciliation avec l'immensité divine dans la personne des grands Prophètes, et en particulier du Prophète de l'Islam, car, si Mohammed est le «Sceau de la Prophétie», cela signifie qu'il synthétise en lui tout ce qui, dans le domaine prophétique, a précédé son existence terrestre.

Or, des personnes mal informées ou de mauvaise foi, au nombre desquelles beaucoup d'orientalistes, athées ou non, aux prétentions «scientifiques», commettent, volontairement ou non, le plus grave des contre-sens à propos de ce qui fait la «limitation» humaine du Prophète; leur interprétation, négative, les conduit à souligner ce qu'ils appellent les «faiblesses» de Mohammed : sa «cruauté» en certaines occasions, son «penchant pour les femmes». J'ai même lu dans la bibliothèque d'une «communauté» qui m'avait autorisé à y faire des recherches (et ce, dans la capitale d'un pays arabe) un document intitulé «Conduite à tenir envers les musulmans en pays islamique» et qui donnait comme conseil fondamental: «devant les musulmans, manifestez un respect con-

stant pour le Koran, mais cherchez à critiquer leur prophète...»

Une telle interprétation pourrait pousser certaines personnes à ne pas attacher à la méditation sur la vie du Prophète et à son Imitation l'intérêt fondamental qu'elles méritent. Pourtant un hadith célèbre déclare: «Nul ne rencontrera Dieu s'il n'a d'abord rencontré le Prophète» et la Livre Saint nous dit:

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

«Oui, certes, Dieu et les Anges bénissent le Prophète O croyants, bénissez le Prophète et faites-lui la Salutation» Ce verset est le fondement de la «Bénédiction du Prophète» (Parfois appelée en français «Prière sur le Prophète», expression incorrecte): cette «Bénédiction» joue un rôle important dans l'Islam, aussi bien exotérique qu'ésotérique:

«Dieu, bénis notre Seigneur Mohammed, Ton serviteur, Ton envoyé,

a) C'est-à-dire, dits «La Paix soit sur lui», formule de respect.

storing etc... all of whom should be remunerated generously so that they accomplish their duties to the letter and feel no temptation towards dishonest behaviour.

(3) One part for those whose hearts are to be reconciled Those are four categories:-

(a) Those who are reconciled to help Muslims

(b) Those who are reconciled to avoid their evil actions against Muslims.

(c) Those who are reconciled to persuade them to embrace Islam.

(d) Those who try to spread the call for Islam among their people.

(4) One for liberating slaves. It is to be paid to those who liberate their slaves, and it may be used to buy slaves and then to set them free.

(5) One for the indigent either because they had debts which they had paid off, and so became poor, or else because they are unable to pay their debts.

(6) One for the cause of God, which was given to the Mujahidin warriors, for their equipment and according to their need, it was also distributed to pilgrims

to the Holy Shrine who were short of money to terminate the rites. — In the Tafsir of Fakhr Al-Razi' this share was to be distributed in all charitable or useful purposes such as providing shrouds for the dead, erecting strongholds and mosques, etc., because the expression of 'for the cause of God' is unlimited. Again, Al-Qadi Abu Bakr ibn Al- 'Arabi from the Malki rite wrote in his book, Ahkam Al-Quran that 'for the cause of God' holds many interpretations and may even include conquests.

(7) One for the wayfarer — i.e. one who is away from his home and is short of money though he may have wealth there. His temporary indigence should be attended to until he goes back home.

(8) One for the 'faridah' i.e. any duty that man has to perform in the service of God but is unable to do so.

God Almighty is Omniscient and Wise. He knows best the condition of His subjects, - and wherein lie their interest. The laws He sets are intended to purify their souls and lead them to piety and gratitude towards Him.

fifth of this quantity is subject to the ghanaem taxation, (not the Zakat funds).

Metal dust is not subject to Zakat; but pure gold, silver, iron and copper and lead, are subject to one fifth taxation — Expense paid for digging out metals are not subject to Zakat. Other stones such as rubies, turquoise, kohl, mercury, sulphur, if dug cut, are not subject to taxation.

Al-Rikaz

are subject to one fifth taxation. Any mines discovered in non-owned property, are subject to one fifth taxation; the one who discovered it taking the remaining four-fifths since this tax falls under the regulations of Al'Ghanaem.

In the book 'Al-Ahkam Al-Sultaniah' by Al-Mawardy, Al Rikaz is defined as any discovered wealth which was buried and was of the Jahiliyah type, in unoccupied land or a beaten track, and the discoverer paid one fifth of it as taxation.

If it was discovered in someone's property, the discoverer has no right to it and consequently paid no taxes for it. If something were discovered buried — and was of the Islamic type — it was considered as a 'find' and should be made known so within the current year, otherwise it becomes the property of its owner if and until its owner claims it.

Alms-Giving

Concerning alms giving, Abu Youssouf asked Al-Rashid — Amir Al-Mu'menin — to choose an honest

and reliable man and put him in charge of collecting almsgiving throughout the Muslim state. The latter was to enquire about alms collectors, their doctrines mode of living and integrity and put them in charge of collecting alms from other countries and hand them over to him.

Alms collecting should not be left in the hands of Kharaj collectors since the two funds are to be left separate, and because it was rumoured that the tax (Kharaj) collectors treated people harshly and unfairly. Besides, Al-Kharaj is to be distributed to all Muslims while alms go to those mentioned in the Quran.

The Quran state clearly how the Zakat should be distributed: «Alms are only for the poor and needy, and those who collect them and those whose hearts are to be reconciled, for those in bondage and those in debt and for the cause of God and for the wayfarer: and ordinance this from God, for God is knowing, wise.» (Al-Tawbah, 60).

From the above verse, we can see that the Zakat is divided into eight shares through which it may be distributed. The Prophet himself mentioned this fact to someone who was asking for alms, He said: God has divided alms into eight shares if 'one' of these apply to you, I shall give you your share in it.

These eight shares were:-

(1) One for the poor and destitute, in equal shares, so as to avoid envy and hatred among them.

(2) One for those who worked in activities connected with alms collection such as statistics, recording, collecting,

It is not limited, either, but is left as in the case of Al-Fai, to the efforts of the Imam.

Al-'Ushur

(The tenth)

In his book about Al-Kharaj, Abu Yousouf relates what he heard from Assem Ibn Sulaiman from Al-Hassan. He says: «Abu Moussa Al-Asha'ri wrote to 'Omar Ibn El-Khattab saying: «Some of the Muslim merchants who go to Daru Al-Harb have to pay one tenth to its people.» So 'Omar wrote back: «Do take from them as they take from Muslim merchants. Take from Zimmis half the tenth; from Muslims one dirhem to every forty. Below two hundred dirhems take nothing. To each two hundred levy five dirhems and so on, proportionally.»

Such was the tradition under the rule of 'Omar. The tax collector stood at the entrance of the merchants route for importation or exportation. The Muslim merchant paid one quarter of the tenth of his Zakat. The Zimmis paid half the tenth. Warriors were treated on the same basis as their people, paying either one tenth or half a tenth, or a quarter of a tenth. In case they ignored the amount paid by their people, they were charged one tenth.

Again, Yehya Ibn Said said that when Zuraiq Ibn Hayyan, was a customs officer in Egypt he received a written message from Omar Ibn Abdel-Aziz saying: «Check on Muslims who pass by you and collect the tax due on the money and goods that they carry. Calculate one dinar to every forty until

you collect twenty dinars. In case they do not have a large enough capital on which you can levy twenty dinars, then leave them alone. When A Dhimmi (a non-Muslim living under the protection of a Muslim State) pass levy twenty dinars, then alone. When a Zimmi trader a non-Muslim living under the protection of a Muslim State) Passes by you, take from him one dinar for every twenty; in case it is less, let it be according to that rate, until the total comes to ten dinars; then leave it without levying anything. In both cases write a receipt for what you take from them during the year»

Metals

Metals belong to the category of seen property and opinions differ as to the application of Zakat on them. Abu Hanifa imposed it in all minted silver, gold, brass and copper, and excluded its payments on stones and non-minted metals. Abou Yousouf imposed it on metal used in transactions such as jewelry for example.

According to Al-Shafe'i, Zakat was imperative on Gold and Silver, If after melting the value of the metal carry up to the minimum required for the applying of Zakat, three proposals were submitted: (a) one quarter of the tenth was collected on silver or gold. (b) one fifth just like the Rikaz. (c) a quarter of the tenth on large quantities, or one fifth on small quantities. The Zakat in such cases is paid only once, not annually. If a man lays hand on some metal weighing below two hundred dirhems in silver, or below twenty mithqals in gold, one

enjoining fighting the people of the scripture; it implies the duty of fighting, whenever there is a necessity for that, as in case of aggression, or sedition, endangering public safety etc., (which were all causes that led to the battle of Tabuk). The verse recommends fighting and imposing a tribute upon the enemy within the limits of justice. After the victory and the collecting of the tribute, the enemy should be given the right for protection and peace. In case they embraced Islam, they were treated on the same footing as Muslims.

Scholars unanimously agree that Al-Jizyah may be imposed upon the non Arabic speaking people of the Book, fire-idolaters. Traditions mention that 'Omar did not impose it upon the latter until one of them joined the Muhajerin, then he said: «Treat them as the people of the Book, because they behave like them». (related by Abdel-Rahman Ibn Auf.) — Again Ibn Shihab relates that the first to pay the Jizyah from amongst the people of the Book were the people of Najran, who were Christians; also the Prophet accepted the Jizyah from the people of Bahrain who were idolaters; after the battle of Tabuk the people of eylah and Adhroh also paid the Jizyah to the Prophet, and when Khalid Ibn El-Walid was sent by the Prophet to Dawmat Al-Gandal, he captured their leader 'Okaidar' and they offered to pay the Jizyah.

The amount of the Jizyah is not definitely stated; Malik believed in following the regulations which were first set by Omar that is four dinars from gold owners, forty dirhams from silver

owners, giving employment to Muslims, and offering them hospitality for three days. El-Shafe'i stipulates a minimum of one dinar, the maximum however is not limited but is fixed according to terms of agreement. Al-Thawry and others believed in no limitation at all and left it to the efforts and ability of the Imam.

In fixing the amount, opinions differ in this respect; the fairest proposition was that which was made by 'Al-Mawardy' in the book *Al-Ahkam Al-Sultaniah* in which he set no limitations one way or another but left the decision to the Wali within the rules of fair play and justice.

Traditions relate that the Prophet said: «Whoever ill-treats an ally or asks him for anything beyond his capacity, is my enemy.» Before dying, 'Omar recommended their protection. Abu Bakr relates an incident about Omar Ibn Al-Khattab who having come across an old Jew who was blind, begging, sent a messenger to 'Bait El-Mal' to come to the old man's help saying: «Help this man and those like him. We would not be just if we were to employ him in his youth and let him down when he is old and helpless.. Alms are for those in need, be they Muslims or from the people of the Book, Exempt him from the Jizyah». Abu Bakr states that he was present and saw the incident.

Al-Jizyah was due at the end of the year, and not applied upon those who embraced Islam, Only freemales paid it, but the insane, the invalids the needy, aged people and the ascetics were exempted from it.

unbelievers through peaceful means was called *fai*, such as the tenth imposed on commercial transactions, the tributes, etc., one fifth went to the Prophet and four fifths to the Treasury. The share of the Prophet was divided into five equal parts one for him: one for his relatives, one for the orphans, one for the needy muslims and one for the needy non-muslims, «What God gave as spoils to His Apostle of the people of the cities is God's and the Apostle's and for kinsfolk, orphans, the needy and the wayfarer».

Opinions differed as to the use of the share of the Prophet after the Prophet's death. Abu Thawr proposed that it should go to the Imam since he takes charge of the duties of the Prophet; El-S hafei' decided that it should be reserved for the defence of the state and public utilities, i.e. maintenance of the army, strong-holds, bridges, etc. The second fifth (that went to his relatives) was subject to controversies: Abu Hanifa stipulates that heirs had no right to it while El-Shafe'i said that they may inherit it. The third fifth went to orphans and the poor. The fourth went to the needy unbelievers (*fai* people). The fifth went to wayfarers.

The remaining $\frac{4}{5}$ of the *fai* tax were subject to controversial opinions. Some proposed that the tax should be reserved for the army; the others believed that it should be spent for the maintenance of public utilities. The Imam being at liberty to give part of it to those whose hearts are to be reconciled to Muslims.

Al-Ghanaem

(Booty)

The Ghanaem were divided into five parts $\frac{1}{5}$ went to the Prophet and $\frac{4}{5}$ go to the Treasury. The share of the Prophet was divided according to the instructions of the Quran: «And Know that whenever ye seize anything as a spoil, to God belongs a fifth thereof, and to his Apostle, and to kindred and orphans, and the poor and the wayfarer; if ye believe in God and what We have revealed unto our servants on the day of the Discrimination, the day when the two parties met; and God is mighty over all» (Al-Anfal, 41).

The share of the Prophet in his life-time was divided into $\frac{5}{5}$; $\frac{1}{5}$ for the Prophet, $\frac{1}{5}$ for relatives $\frac{3}{5}$ for the orphans, the poor and the wayfarers. After his death, Abu Bakr, Omar and Othman divided the share of the Prophet and his relatives into three thirds; Ali Ibn Abi Taleb approved of this arrangement and followed it.

Al-Jizyah

(Tributes)

Al-Jizyah was a tax levied on individuals, not on land. As stated in the Quran. «Fight those who believe not on God nor the Last day, Nor hold that forbidden which hath been forbidden by God and His Apostle, nor acknowledge the Religion of Truth, (even if they are) of the people of the Book, until they pay the *jizya* with willing submission, and feel themselves subdued.» (Al-Tawbah, 29).

It is the verse that came down

cause capital, in the form of goods is subject to Zakat from the first year on and suspending its payment for a longer time gives no excuse for exemption during the following years. Commercial transactions, land, goods subject to weight or measures all come under the same rule and may be added to each other to answer the required value for the payment of Zakat.

Land Taxation.

Al 'Kharaj' or land tax is levied on cultivated land or on its products. This kind of land is known as Kharajia, to be distinguished from the land called 'Ushuriyah' i.e. that it is subject to one tenth (or one twentieth) taxation.

Taxation on the Kharaj land is estimated in proportion to its area or its products, the Imam deciding the estimation. Subject to such regulations is called Kharajiah and the tax levied is added to the Fai (money collected from unbelievers, by peaceful means) and is distributed according to its proceeds, while the tenth and the twentieth taxation is subject to the Zakat proceeds and is distributed accordingly. All Kharaj, and Al'Ushur are both land taxes.

Al Kharaj was first imposed by Omar Ibn Al-Khattab. He levied — after taking the advice of the Muhajerin and the Ansars — 'Al-Sawad' land when its owners refused to pay their dues willingly. This measure came to be considered as 'Sunnah' and adopted wherever Muslims settled.

He also imposed the Jizyah on non-Muslims which was to be distri-

buted as 'Fai' among Muslim warriors and their heirs after them.

There are two forms of Kharaj:

(a) Paying a share of the products of the land, the Imam estimating it not below the fifth or above half the yield.

(b) Paying fixed annual dues estimated on a certain unit of land (the unit in Egypt being a feddan).

The annual tax in 'ushur was levied on land only, not on its products; it was levied only once every year even if the land yielded more than one crop during that year. It also varied according to the various crops. The tax levied on cereals was different from that levied on vineyards. 'Omar ordered Othman Ibn Hunaif to survey the land and submit his report to Omar, which he approved and signed.

In Syria, however, the estimation was made on a different basis. Each property was estimated according to the capacity of its yield, not the extent, of its area.

Three points were taken into consideration:-

(a) The quality of the land

(b) The kind of plantations — whether fruits, cereals etc..

different yield having different prices.

(c) The mode of irrigation — whether by rain, by water—wheel or other means.

To sum up, when estimating the Kharaj in Syria three points were to be taken into consideration: The quantity of the yield, the kind of products and the mode of irrigation.

«Al-Fai»

Any sum of money, collected from

merce, if they are not spent within the year no Zakat, since the Zakat on silver and gold is due annually. Daoud exempts commerce from Zakat and differs in this respect from the majority, El-S hafei exempts silver and gold jewelry from Zakat, so does the Malik doctrine.

In his book: 'Bedayat Al-Mujtahed' Ibn Rushd states: «.. People differ upon the application of Zakat on certain things. It is generally agreed that silver and gold not in the form of jewelry are subject to Zakat. In the opinion of Malik, Al-Laith and Al-Shafei, gold used as ornament is exempted from Zakat, but Abu Hanifa disagrees with them in this respect. The cause of the disagreement is due to the difficulty of deciding the real purpose for which this precious metal is actually used: ornament, or financial dealings? Malik considers even jewelry a means of financial exchange in some cases and subject in such conditions to the payment of Zakat.

In the book of 'I lam Al-M uwaki'een, Ibn El-Qayyim states: «Gold in the form of jewelry is comparable to clothing and consequently, not subject to Zakat. During the Prophet's lifetime women wore jewelry, and sometime gave it away as charity. It was also sold in time of need, definitely not according to the legal weight, which would have been indiscreet»

In the book *Amwāl*, by Abu 'Obaid, there is, again a difference of opinion concerning the Zakat on jewelry, due to a story related by 'Amr Ibn Shu'aib, about a woman from Yemen who called on the Prophet, accompanied by her

daughter; the latter was wearing two gold bracelets. When the Prophet enquired whether she pays her Zakat on the bracelets, she answered that she did not; so the Prophet told her: «Do you want God to put bracelets of fire on your hand?» Commenting on the above story, Abu 'Obaid says that the story is not necessarily authentic and may be a mere interpretation of an incident that took place in the past. However, should it be true, the only implication is the Prophet considered the bracelets as 'seen property' (as explained by the 'Ulema': Said Ibn Al-Musayyab Al-S ha'bi, Al-Hasan and Qatadah.

If jewelry had been subject to Zakat, the Prophet would not have singled one woman out of the rest who wore jewelry. On the whole, Abu 'Obaid favours the idea of exempting jewelry from Zakat.

5. *Zakat and Commercial Dealing*

In general, the majority of Imams agree that Zakat is imposed on commercial dealings in goods worth from 200 dirhems or twenty gold mithqals upwards. According to the Zahirites, it is not imposed at all in such cases.

It is paid annually, provided the goods are ready for commerce. Malik stipulates that goods sold are subject to one year's Zakat even if they remain a number of years in the possession of the proprietor. If part of the goods are sold during the year, their value is to be taken into consideration, if it should complete the required value for the Zakat by the end of the year. Malik's viewpoint, however, is not sound be-

are taken into account by themselves in the calculation of zakat. The same is applied to vine trees; dates and grapes may not be weighed together. In case the dates overripen into 'Tamr' and the grapes turn into drying raisins, no zakat is collected until both fruit are completely dry. In case they are picked when still fresh, one tenth of their price is collected from the sale.

3. Zakat on Agricultural Products

Abu Hanifa ordains zakat on all aspects of agriculture. According to el-Shafe'i the zakat is imposed on the *surplus* agricultural food products *only*, and it must not be collected on cereals and vegetables, nor on non-edible plants as cotton and flax, nor on plants that grow in valleys and mountains, which plants he limits to ten kinds: wheat, barley, rice, maize, beans haricots, chick-peas, lentils, dukhn and gulbane.

The zakat is not imposed upon agricultural products until they are ripe and fully grown, threshed and sifted, and weighing five «wassaq» although Abu Hanifa leaves out the condition of weight and imposes it on any quantity at hand, should the plants be cut while still young no zakat is imposed. If the land owned and planted by a Zimmi, it is not subject to either tithes, or land tax according to el Shafe'i while Abu Hanifa stipulates that he should pay the tax even if he embraces Islam. On the other hand, Abu Yusef insists upon the double of sum which a Muslim would

pay under similar circumstances, but Muhammad ibn el Hasan and Sufyan al Thawri impose the same zakat upon either Muslim or Zimmi.

A Muslim who plants Kharaj land gives one tenth of the product as zakat plus the tax on the land, (el Shafe'i). Abu Hanifa, however, stipulates that the land tax only is required. When land is rented and planted, the land tax is paid by the lender and the tithes are paid by the tenant, Abu Hanifa stipulates that one tenth of the product is paid by the tenant; these three being «seen» property.

4. Zakat on silver and gold

Both silver and gold are unseen property and one quarter of the tenth of their value is required as zakat according to the Prophet.

Below (200) two hundred silver dirhems (as set by Islam) no zakat is imposed. The zakat required of 200 dirhems is five dirhem, the amounts exceeding 200 dirhems are calculated on the same basis. Abu Hanifa stipulates that one dirhem is to be added as zakat for every forty exceeding 200 (two hundred dirhems). The same rule applies to both 'paper' or silver money.

Below twenty (Islamic) mithqals no zakat is required; the percentage of twenty mithqals being a quarter of the tenth i.e., half a mithqal. Any amount exceeding twenty mithqals are calculated on the same basis. The same rule applies to ingots or minted gold. Silver is not to be added to gold, each being calculated by itself.

A regards profits accruing from com-

cow and one suckling Every eighty require two (2 years old) cow and every ninety require three suckling. Every one hundred and ten require two cows; for every one hundred and twenty the benefactor may choose between the (previously mentioned) rule applied to the two hundred camels i.e. four sucklings, or three (2 years old) cows, and so on. Every thirty require one suckling, and every forty require one cow.

The Sheep Zakat: It starts with forty heads for which it requires one (three years old) sheep, up to one hundred and twenty. From one hundred and twenty one to two hundred it requires two sheep. From two hundred and one up to four hundred, it requires three sheep. Above four hundred, four heads are required; then for every one hundred above the four hundred, one sheep is required.

Lambs may be added to goats; water buffaloes to cows; bakhati, to the erab, since they belong to the same species. However, camels are not added to cows, nor cows to sheep, because they belong to different species.

The Cattle Zakat is Two fold:

1. The animal may either be, grazing in pastures so that it saves forage expense and its owner can in the meantime benefit from its milk and butter, or else it may be working in the fields in which case both kinds are excluded from zakat.

2. The animal should be one year old so as to be ready for fertilization since the Prophet has said: «No zakat before reaching one year of age.»

The lamb may be offered as zakat

even in case it is born before its bearer (mother) is one year old. Horses, mules and donkeys are barred from zakat although Abu Hanifa allows one dinar for every mare. Again, mentioning what the Prophet has said. «I exempt you from the zakat over horses and slaves».

2. *Date Palms and Fruit Trees as Zakat*

Abu Hanifa ordains the zakat on dates and all kinds of fruit while el Shafe'i insists upon and grapes in particular and leaves out the rest (to personal choice).

The Zakat on fruit is subject to two conditions:

- a) It should be edible and in good condition. In case the fruit is picked before being ripe, it is no more fit for the zakat, and it is objectionable to act in such a manner so as to avoid the payment of zakat.

- b) According to el Shafe'i fruit is not to be offered as zakat in case the product is below five «Wasq» in weight. (The wasq = 60 sa', and the sa' = 5.33 Iraqi lb. in weight).

According to Abu Hanifa, Zakat on fruit is acceptable whether in large or small quantities; but he forbids settling the price of fruit by its owner, before it is ripe while el Shafe'i allows it. At any rate, both the palm and vine trees are not to be evaluated before the fruit is ripe.

The zakat should equal one tenth of the product in case the plants are irrigated by running water, and it should equal half this amount when the plants are watered by hand etc... All palm trees

Zakat is due on funds reserved for investments either on the capital itself, or the capital plus its dividend and is to be used either directly, or for the purification of both its owners and participants.

There are two types of zakat: the seen and the unseen. The first type, i.e. the seen, is obvious and cannot be hidden such as plants, agricultural products, cattle etc. The unseen consists of that which, could be hidden, such as gold silver commercial transactions, etc. The supervisor over the zakat funds has no claim upon the unseen property. However, those who possess it ought to take their responsibility of their own accord in which case the supervisor should accept it and help them to distribute it as they wish. The supervisor of the zakat funds should order the payment of the zakat by those concerned (the wealthy citizens), and he is usually faced by two propositions if he wants to be fair: 1. He enforces the law and assumes the right to interfere in the distribution of the zakat without referring to the opinion of the giver. 2. He collaborates with the giver who responds willingly and gives his leave to distribute his zakat as he sees fit. Nevertheless, in both cases he has the right to fight the givers who refuse to comply with the strict regulations of the law just as Abu Bakr el Seddiq did, because the dissenters in such cases are sinners against the shar'a. However, Abu Hanifa is against the idea of fighting in case they offer to pay themselves their zakat.

There are four sources for the zakat:

1. Cattle 2. Trees 3. Agriculture 4. Silver and gold.

Starting with the first: 1. *Cattle a zakat.*

Cattle as zakat comprise camels, cows and sheep.

The camels' zakat starts on five heads, and should it reach nine heads it requires either a she lamb 3 years old, 3 years old, or two goats. From ten up to fourteen heads, two sheep are required. From fifteen to nineteen, three sheep are required. From twenty to twenty four, four sheep are required. From twenty-five up to thirty-five, the sheep are excluded and replaced by a three years old camel. From thirty six upwards, a two years old camel is required.

Consequently, the increase in the number of cattle is followed by changes in the species offered as zakat, so that when the zakat is required for two hundred camels, the giver may choose one of two conditions: 1. He may offer four medium size camels. 2 He may offer five camels just above one year old, and so on, provided that every additional forty camels require a one year old head, and every additional fifty, require a medium size camel.

The Cows Zakat. It starts with thirty heads and requires one male suckling. Up to forty, one (2 years old) cow is required. Over forty cows, as el Shafe'i stipulates, no substitutes are allowed until they reach sixty in number, in which case two male sucklings are required. Over sixty in number, every thirty cows require a suckling, and every forty require a (two years old) cow, so that every seventy would require one

FINANCIAL RESOURCES IN ISLAM

By

His Eminence The Late Sheikh Abdel Rahman Hasan

Member of the Islamic Researches Academy

IN THE NAME OF GOD THE MERCIFUL,

THE COMPASSIONATE

The financial resources in Islam are the total sum of what is collected in 'Bait el Mal' (Islamic Treasury) the revenue of which derives from the taxes paid therein in the form of zakat (almsgiving) in its various phases: al Kharaj, i.e. land-tax; al'ushur, i.e. tithes; al jizyah, i.e. tributes; al ghanaem, i.e. booty.

Starting with the zakat which is the third principle upon which Islam is based, we note that it is an essential condition for the purification of the soul from the evil of avarice. It is ordained by the Quran, the Sunnah and scholars; the general tenor being that every Muslim who is of age, free, sane, and owns property subject to azkat, should pay it. Nevertheless, the Sahabah, the disciples and some others disagreed about exempting the orphans, the insane, peoples of the Book and those who do not own property subject to zakat, or are in debt. They also questioned the fact of considering it a form of worship like prayer and fasting, or to look upon it as a rightful share of the poor and

needy in the wealth of the rich.

In point of fact, the Zakat is a religious duty the rules of which were set by Islam for the purpose of solidarity and charity since the poor are entitled to be helped by the wealthy in order to safeguard them from want and need. Islam clearly insists upon the levying of zakat, and Abu Bakr fought those who failed to abide by it. He said in this connection «By God! they withhold but the tether of a tithed camel, used to retribute to the Apostle of God, I will fight them for it».

Islam has set the regulations for the zakat and clearly stated its amount and terms of payment so that the wealthy would realize that they are mere guardians of their own wealth and should use it to help the poor. So, as Ali said: «God has ordained the rich to give the poor according to their need; in case the latter starve or go without clothing; or get exhausted the rich are held responsible for their suffering and God will judge them on the Day of Judgment.»

ownership and give rulings which are almost identical, in varying degrees.

To sum up, we can safely say that Islam, as demonstrated in Traditions, legal deductions, recorded sayings; positively establishes the right of individual

ownership of land and other kinds of property. Moreover, it clearly defines the rights of all beneficiaries (owners, lease-holders, usufructuaries, etc...) and by such clear-cut definitions secures and guarantees the right of each individual.

LOVE OF GOD

By the light of the moon,

My friend,

Lend me thy pen,

to write a word;

My candle is out,

I've no more fire,

Open your door to me,

For the love of God.

his character or religion; but I am afraid that something may happen to me contrary to Islam, on which account I wish to be separated from him» The Prophet said: «Will you give back to Thabet the garden which he gave to you as your settlement?» She said, «Yes».

This proves that the garden, which was a cultivated land, was used as a dowry and as a compensation for Khol'a divorce. The wife owned it through the marriage contract, and had the right to dispose of it as a compensation.

In the following we quote some certain rulings of the jurists of the four Islamic rites in respect of the individuals' ownership of land and its benefits. And it is note-worthy to state beforehand, that all these rulings were deduced and derived from the traditions of the Prophet and the recorded sayings of the Companions and early jurists.

On P. 9 Vo1 Iv of Zela'ai's 'Sharh El-Kanz' The buildings and keys are tacit by included in the belongings of the house sold, so are the trees on selling a piece of land, and there is no need to mention them.

With respect of the «Right of pre-emption», Kasani's «Bada'i» P.4, Vo1 V states: The right of preemption is established through three cases: Partnership in the property sold; partnership in the right of ownership (the right of usufruct or ownership of the benefit), and neighbourhood.

P. 120 (Vo1. VI (ibid) states with respect to the feasibility of granting property which is commonly owned: The common ownership of property

does not negate one's right to grant, since the act of granting itself derives from the right of ownership. Hence, it is permissible to grant what is commonly owned as it is permissible to sell it.

As regards Muzara'a (employing a person to irrigate, plough and serve one's land), P. 125 (ibid) states: Muzara'a provides that the landowner gives a certain portion of the yield in return for the services of another person whom he employs to irrigate, plough and cultivate the land. But when the person employed provides the seeds. Muzara'a becomes a kind of land lease by which the lease-holder is entitled to benefit from the yield through mutual agreement with the landlord.

P. 122, Vo1. VI (Ibid) describes the various kinds of land. Land is primarily of two kinds: land which is owned, and land which is common, namely, not owned by anyone. Owned land are under two categories: used and unused (waste). Similarly common land is of two kinds: being either a public utility from which people benefit, or a dead land which is not used.

The section dealing with «Wakf and Sadakah» P. 218. Vo1 Vi (ibid) states: There is general agreement between jurists that 'wakf' is permissible and that the bequeather (Wakif) has the right to give the yield of his bequeathed property as alms.

Again, P. 262, Vo1. VI (Ibid) speaks of the right of ownership and states: The owner enjoys an exclusive right to benefit and dispose of what he owns...

Other schools, other than the Hanafi School, touch upon the same rights of

off pieces of land unlawfully is considered one of the great sins. On the other hand, when one owns a piece of land he has a right to the whole of it, even to what lies beneath and what it contains (stones, metals, etc...) others have no right to dig a tunnel or a well in it, without his own consent.

Ashàth Ibn Kais relates that two men, one from Kindah, the other from Hadramaut, came to the Prophet. The one from Hadramaut said, «O Messenger of God! This man and his father have usurped my land», the one from Kindah said, «O Messenger of God! It is the land inherited from my father». Then the man from Hadramaut said, «Let him, O Messenger of God, swear that he does not know that it is my land and my father's land usurped by his father.» The Kindi was about to swear when the Prophet said, «He who claims ownership of a land only by swearing will face God at Judgment Day a leper.» Here the Kindi said, «O Messenger of God! It is his land, and his father's.

The section which deals with Shufa'a (the right of preemption), PP. 280-284, Vol. V «Nayl Al-Awtar» states: According to Jaber, as related by Muslim, Nasa'î and Abu Daoud, the Prophet established the right of preemption for partners and neighbours alike. He ruled that a person could not sell his share in a property without taking permission from his partner; should he fail to do so, the other partner had the right to buy the share in question, with or without the consent of the first partner. This rule applies also to the

neighbour. Al-Shareed Ibn Sowaid relates, «Once I said to the Prophet «O Messenger of God! What do you say about a land which is not subject to partnership or to division, except neighbouring lands?», he said, «The neighbour has the right of preemption».

Further quotations in this section show positively that the right of preemption is established through three cases: partnership in ownership, partnership in the rights of ownership (such as water and free passage), and neighbourhood. Any of these suffices to establish the right of pre-emption.

The section dealing with 'Donation', P. 8 Vol. 'Nayl Al-Awtar', states: «No'man Ibn Bachir relates that his father once took him to the Prophet and said, «O Messenger of God! This is my son, I have donated him one of my slaves. The Prophet then asked him, «Have you done the same to the rest of your children?» My father replied in the negative; then the Prophet said, «Take the slave back.»

Again, Jaber related that a man from the Ansars donated a garden of palm trees to his mother, to benefit from it throughout her life. Upon her death his brothers claimed their right in the garden, but he refused. They consulted the Prophet who divided the garden among them. This shows that the act of donating established a right of ownership for the mother.

The section dealing with Khol'a divorce, Vol. VI, «Nayl Al-Awtar» relates: The wife of Thabet Ibn Qais came to the Prophet and said, «O Messenger of God, I am not angry with Thabet for

states: «According to Anas Ibn Malik, immigrants from Mecca were penniless, while the Ansars had lands and other forms of property. The Ansars gave half of their land to the Mohajireen (immigrants) on condition that the latter should cultivate the land and give them half of the yield» Again, Bokhari and Ibn Omar relate that the Prophet gave the land of Khaiber for half of the yield. This practice remained throughout the Prophet's life and in the days of Abu Bakr and in the early days of Omar's rule. But land-leasing was not renewed in the days of Abu Bakr and Omar after the death of the Prophet.

Shawkani states that what Anas relates shows that land-leasing is permissible.

In «Ihya'u Al Mawát». Vol. V of «Nayl Al-Awtar»: It is related by Djaber that the Prophet said, «He who revives dead land is entitled to own it» Again, the Prophet said, «He who revives a dead land is entitled to own it, provided it is not usurped.» Commentators say that by «not to be usurped», means that it is unlawful to cultivate another's land, or dig into it or build on it. Therefore, reviving a dead land means putting life into a land which is nobody's property, through watering, ploughing and cultivating. Most of the Muslim jurists state that dead lands can be revived with or without the Imam's permission. But the Hanafis hold that this necessitates the Imam's permission, the Hadawiya share with them this point of view.

As for water, fire and grass, the

Prophet said «Men are partners in three things: water, fire and grass», related by Ibn Majah, quoting it from the sayings of Ibn Abbas, with the addition «and any price paid for either is unlawful».

Shawkani states that all water is freely available, to all people, whether owned or common.

The above-mentioned quotations are meant to show that land is not primarily common among all people as in the case of water, fire and grass. As we have already seen, land ownership are established through some certain procedure.

Land-granting is recognized by Islam. The section dealing with land-granting, P. 264, Vol V «Nayl Al-Awtar» states: «According to Ibn Omar the Prophet granted a piece of land to Al-Zubair: Al-Zubair applied the whip to his horse, the horse ran and covered a certain distance, then the Prophet said: «Let him have the piece of land covered by the horse».

After quoting some traditions and recorded sayings in this respect, Shawkani concludes that the Prophet and the Imams who succeeded him had the authority to grant land-granting itself establishes the right of ownership.

The section dealing with land usurpation, P. 269, Vol. V «Nayl Al-Awtar» states: «Aisha relates that the Prophet said, «He who usurps a foot of land will be surrounded with a ring of Hell's fire». Again Said Ibn Zaid relates a similar tradition, confirmed by Abi Horaira in another version, «He who cuts off a foot of land unlawfully...».

This shows that usurping or cutting

respect, says that such dealings were common among Muslims in the early days of Islam and there was no difference as to the feasibility of such procedure. As to the Prophet's warning against Muzàra's (leasing one's land for a fixed portion of the yield), it was said that it meant the landowner's stipulation that a certain part of the land could be leased in that way. This is confirmed by the following:

Rafe Ibn Khodeig relates (in the same source) «We had most of the land and we used to lease the land of our own choice, that is, we took certain portions of land, and left others to lease-holders. We were warned against this kind of lease on the basis that one portion might yield and the other might not; we were not warned against taking silver as rent» Further, Bukhari relates: «Land-owners, in the days of the Prophet, peace be upon him, used to lease certain portions of land (such as land accessible to water) and to lease their lands for certain portions of the yield, but they were warned against this kind of lease».

According to «Nayl Al-Awtar»: «The Prophet, peace be upon him, warned against Mohàkala (selling the plant before it ripens) and Mozàbana (selling yield of lands of unknown number or quantity for certain sum of money), and said that only three could use the land: a man who owned land, a man who was granted land, and a man who rented land for gold or silver», related by Nasa'i and Abu Daoud. Sa'ad ibn Abi Wakkas also relates that: «Landowners in the days of the

Prophet, peace be upon him, used to lease their lands for the yields of certain portions of them which were situated near wells and accessible to water. Some of them came to the Prophet, peace be upon him, when a dispute arose; the Prophet warned them against this and ordered them to lease their lands for gold and silver».

What was related about Mokhabara or Muzàra'a (leasing one's land for a third or a fourth of the yield) was taken in the sense that such dealings might involve some abuses. This was confirmed in what Omar Ibn Dinar relates: «I thought if I were to give up 'Mokhabara', they would say that the Prophet had warned against it. The most learned among them, meaning Ibn Abbas, told me that the Prophet had not warned against it, but positively advised us to be kind to each other. Abu Horayra relates: «The Messenger, peace be upon him, said that he who has land may either cultivate it or ask his brother to do so; should he fail, he may keep it unexploited». Jurists unanimously agree that land-leasing is permissible, whereas land-lending is not obligatory.

The traditions and recorded sayings quoted above clearly show that land and its benefits are owned by individuals who are entitled to benefit from their lands in whatever way they choose: either by cultivating, leasing, or lending. They even have the right to keep their lands unused, though we are warned against wasting money or property.

The section dealing with land-leasing, p. 248, Vol V in «Nayl Al-Awtar»

Again in the same Sura, about Thamud, «Will ye be left secure, in (the enjoyment of) all that ye have here? — Gardens and Springs, and corn-fields and palms the spathes whereof are fine?»

In Sura Dukhân, concerning Pharaoh and his people, «How many were the gardens and springs they left behind, and cornfields and the goodly sites, and pleasant things wherein they had taken such delight. Thus (was their end)! And We made other people inherit (these things).

Upon the Islamic Conquest, people in great numbers converted to the Religion of God which confirmed other preceding religions, by which it proved itself to be a constructive code and not a destructive one. This Religion recognized, guaranteed and respected the right of ownership through its laws and regulations pertaining to the preservation of property, and the freedom of ownership. According to Islamic legislations, land was classified into the following categories:

A land whose people embraced Islam, whereby they were indisputably entitled to retain its ownership.

A land which was taken by Muslims through a treaty. Such a land was retained by its owners, provided they had to pay what was provided by the terms of the peace treaty.

The land of Mecca was retained by its owners, though taken by force.

The land of Khaibar was taken by force and divided among the conquerors, whereby it became their own, and was inherited by their descendants

after them.

A land taken by force which was not divided among the conquerors, but retained by the Imam for the State or Beit U1-Mâl (treasury), as in the case when the Caliph Omar kept the land of Iraq (according to some jurists).

Lands which were retained by their owners who were unbelievers, but were not defeated by Muslims. Such lands were governed by laws and regulations prevailing in their countries.

Judging by the sayings of the Prophet which were related, and by the recorded sayings and viewpoints of Muslim jurists of different schools, we can safely state that the right of the individual to own land and its benefits has been strongly recognized, safeguarded, and respected, in all times and under various codes.

Traditions (Hadeeth) and recorded sayings

We hereby quote from «Montaqâ Al-Akhbar» and commentaries in «Nay1 Al-Awtâr» traditions classified according to branches of Islamic jurisprudence.

In «Musâqât and Muzara'a» p. 231 Vol. V of «Nay1 Al-Awtâr» it is related that Mua'adh ibn Jabal leased his land in the days of the Prophet, peace be upon him, to Abu Bakr, Omar and Othman for the third or the fourth of the yield. Bukhari also relates that all landowners (from the muhagireen 'immigrants') leased their land for the same portion. Omar, according to Bukhari, leased his land for half of the yield when he provided the seeds. Bukhari, in this

mutual consent. (Al-Nissa' 29)

Secondly: God and His Apostle warn us against encroachment on others' property, and seizing it unlawfully. God, The Al-mighty, says: «And eat not up your property among yourselves in vanity, nor seek by it to gain the hearing of the judges that ye may knowingly devour a portion of the property of others wrongfully. (Al-Baqarah 188).

Thirdly: To safeguard freedom of ownership and to protect property, the Islamic law has enacted certain punishments to be inflicted upon thieves and users. God, the Almighty, says: «Verily, those who devour the property of orphans unjustly, only devour into their bellies fire, and they shall broil in flames.» (Al-Nissa' 10).

The Hadeeth states, «It is unlawful for one to take his brother's property, whether playfully or seriously. And should he do so, he must give it back.» Another Hadeeth states: «A hand is held responsible for what it takes, till it gives it back».

Respect for ownership is further stressed in the Hadeeth, «When you sell something, say: Do not press for what may do me harm, I have the freedom of choice for three days». Again the Prophet, «peace be upon him,» warns us against selling bad or defective things. By establishing the freedom of choice, and warning against selling defective property, Islam warrants that the owner may not dispose of his property while feeling that he is being deceived or oppressed. Again, the establishment of the right of servitude is meant to prevent

any harm or impairment on either the neighbour or the partner. All these rights prove that the Muslim code is keen to secure the right of ownership and to safeguard the owner and to establish his right to benefit from his property in the best way and without causing him any harm.

Now we turn to «The individual's ownership of land and its benefits in Islam» to discuss it fully.

Throughout the ages, in different countries, according to various religions and creeds, the land, no doubt, was owned by individuals. Each had his own share, and had the right to keep it or dispose of it, according to the particular laws and regulations in force.

This is clearly shown in the following verses of the Koran:

In Surâ Kahf: «Set forth to them the parable of two men: for one of them We provided two gardens of grape-vines and We have surrounded both with date-palms; in between the two We placed tillage».

In Surâ «The Pen»: «Verily We have tried them as we tried the fellows of the Garden, when they swore, We will cut its fruit next morning».

Again, in Surâ Al-Ahzâb: «And He caused you to inherit their lands, their houses, and their wealth».

In Surâ Sabâ: «There was indeed for Sabâ, a sign in their home-land — two Gardens on the right and the left.»

In Sûrâ Shoara, about Aâd: «Yea, fear Him who has bestowed on you freely all that ye know. Freely has He bestowed on you cattle and sons, — and Gardens and Springs.»

Quran: «He it is Who created for you all that is in the earth. Then turned He to the heaven, and fashioned it as seven heavens.» (Al-Baqarah 29).

Through the first verse aforementioned, scholars came to the conclusion that all things were common property before ownership was defined by legal rules. Virtually, God, the Almighty, owns everything, but He has granted His earth to His needy creatures to benefit from its riches. Hence it was made common property, from it through owning and reviving.

This is clearly shown in the Prophet's saying «The Earth is God's earth, the creatures are all God's creatures; He who revives a dead land has a right to it.» Hence, the process of reviving alone establishes ownership without permission from the ruling authorities, since a land without an owner is common property, the ownership of which does not require permission of the authorities, and since the Prophet's Hadeeth which indicates the way to own a common property does not stipulate getting permission, as is shown in «Saheeh Al-Bukhari» which states: Aisha relates that the Prophet, peace be on him, said: «He who revives a land owned by nobody can have it».

Abu Hanifa holds that reviving a land does not establish ownership, and stipulates that the Imam or his deputy should grant permission. He argues that even though the land itself is common, yet it may be the cause of clash between people who are keen to own it. Hence the Imam's permission is necessary, since he alone has the authority by

which he can prevent disputes. This view-point is confirmed by the Hadeeth which says: «A person cannot own a thing except through the consent of the Imam»

To sum up, seizure of land can well establish ownership, provided there is no suspicion of causing dispute, and no prohibition by the Imam. Again, the Imam's permission is imperative in case there be fear of dispute or clash.

In Egypt to-day there is no such thing as dead land, since all lands, other than those owned by individuals or companies, are virtually owned by the state which is solely entitled to pass their ownership to whom she may choose, either for something in return or otherwise.

Freedom of Ownership

All heavenly codes stress the necessity to preserve, respect and protect property. This is confirmed by the Hadeeth which says: «Everything pertaining to a Muslim, his blood, property and honour, is unlawful to another Muslim — a Muslim's property is lawful only when he grants it willingly».

Islam has secured freedom of ownership through established legislations:

First: It has made agreement and consent the basis of financial dealings. Agreement and consent are the basis or all that is authorised by God in respect to all forms of transferring the ownership of a property and its benefit, through selling, leasing or lending. In the Quran: «Oh ye who believe! Devour not your property amongst yourselves vainly, unless it be a merchandise by

into voluntary and involuntary cases. Voluntary cases include seizure of common property and contracts. Involuntary case, means the succession which is established by inheritance. In such a case ownership is involuntarily established on both the legator and the legatee. Legislation puts the heir in place of the bequeather, hence the new ownership is a continuation of the old one. Therefore this kind of ownership is not established through the heir's acceptance, and it cannot be rejected. The thing owned in this case comprises what is left of the property after paying off the expenses of the funeral, and the debts of the deceased and executing his will. Hence succession applies to what is left only and it does not extend to everything left by the deceased. Hence the heir is not bound to redeem the debt of the deceased out of his own money, in case the former's property does not cover his debts.

Secondly, complete ownership is established either through the seizure of common property, since this kind of property is not the ownership of any person from the legal point of view (this property includes war trophies), or through transferring the ownership by contract or succession, provided the property inherited or transferred should be owned prior to writing the contract or effecting the succession, since common property cannot be the succession, since common property cannot be transferred by contract or inherited by anyone. Hence the first case of ownership is established through the seizure of what

is common, then through transfer either by contract or inheritance.

Thirdly, cases establishing ownership are divided into: actual, verbal and legally virtual. Seizure is an actual case, since it cannot be done except through the action itself. Accordingly it is valid when it is done even by inexpedient persons, such as children or sequestered persons: in case a boy, a sequestered person, or a mad man actually and properly seizes a common property, such a property is legally his, even though contracts made by such persons may be invalid, or cannot be effectual except with the guardian's permission.

The contract, on the other hand, is verbal in most of its forms, since it is contained in oral terms. It can also be effected by action, as when it is put in writing or through making signs. The contract establishes ownership only when the contractor is fully expedient.

Inheritance establishes ownership by itself; hence action or a word of mouth is not required, either from the heir or the bequeather, since inheritance is regarded by the legislator as a right confirming ownership: so, ownership is established for the young as well as the old, the adult or otherwise, and even for the embryo.

Since we are discussing the subject of land-ownership and its benefits in Islam, it follows that we should give some special consideration to the first case establishing ownership, namely, seizure of land, according to which all forms of ownership were established since the beginning of the creation.

God, the Almighty, said in the

3 — This kind of ownership is not temporary and does not cease except in case the property is destroyed and rendered useless or in case it is passed to another through inheritance upon the death of the owner or through a legal disposal transferring the ownership as in case of selling or granting.

4 — Property ownership cannot be dropped, as Islam does not recognize loss property.

*Cases of absolute
ownership:*

It is helpful in this respect to quote from «Al-Bahr» taken from «Al-Hawi» by Maqdisi. The text runs as follows:

«Ownership is deterring exclusiveness and is the same as seizure whereby it is established, since what is owned cannot be passed to another owner simultaneously, and since it is imperative that the property to be owned should be a priori without an owner. Property without an owner is common property whose ownership can be established through seizure only which is present in all cases of ownership. By selling, granting and the like the ownership is passed through seizure of the property, since the process of selling stipulates the seisin of the property sold in case of selling, accordingly, ownership cannot be established in respect to a common property priority seizure. Again, seizure cannot be confirmed unless the property is without an owner. Succession is established through either inheritance or will, but not through transfer of ownership, and the heir has the right to reject the property if it proves defective, but the

purchaser has not such right (the person who purchased the property from the legator who died »).

Hence, cases of absolute ownership are three, seizure which establishes ownership; selling whereby ownership is transferred; inheritance or Will, namely:

1 — Seizure of common property.

2 2 — Contracts transferring ownerships, such as contracts of sale and grants.

3 — Succession, namely, a person succeeds another through inheritance, but preemption is not considered as such, since it is only a right to ownership and not ownership.

Ownership can be established either through agreement or through the decision of a judge based on the provisions of contract. Waht emanates from the thing owned does not create a new case for establishing ownership for the emanating thing or the benefit arising from the thing owned, since particulars of absolute ownership provide that property and its benefits, both permanent or temporary, are exclusively the owner's. Thus the ownership of what emanates is established through the original ownership, that is, when a person owns an animal through a contract or inheritance, he owns both the property and its accretion, since the accretion is considered as a separate entity when it exists, hence it does not require any new case.

These cases are of a different nature according to which they are put into three categories: First, they are divided

perty has a right to use these public utilities. The proprietors have the right to use such roads, to water their lands from public rivers and canals and to get rid of surplus water through public drains, since these public utilities are considered common property.

2 — When this right is provided in the contract as in the case when a person sells a piece of agricultural land to another and stipulates that another piece of his has a right to water or the rights of passage over the sold one. These rights are established when the buyer acknowledges them.

3 — When one of these rights was established for a property in the unknown past, and when a person inherits a land watered from a neighbouring land or when this land disposes of its surplus water in a drain owned by another person, in case the date of granting the right is unknown. When it is proved that it was legally granted, it becomes valid, but should the owner of the other land prove that it was illegally granted, hence it is declared invalid.

This right of servitude cannot be established through permission or license. In case a person permits his neighbour to use his own path or to water his land from his canal, it does not follow that this land has a right of servitude, since the person who grants can withdraw his permission any time he likes: accordingly those who own the land afterwards, through purchasing or inheritance, cannot claim this right.

Absolute ownership:

Particulars and cases

1 — According to the definition describing the absolute ownership, the owner is absolutely free to dispose of the property and its benefit through every legal means (selling, leasing, lending). This freedom is limited by two considerations only: 1st— Other individuals or groups should not be prejudiced. 2nd — The disposal should be within the framework of the orders and regulations set by the governing authorities for the common interest.

This includes public interest, or interest, or temporary seizure of the property in case the country is invaded or a bridge is destroyed, and in case certain restrictions are imposed for the sake of security or public health, such as the restrictions governing buildings and roads, establishing of estates and stables and places causing discomfort or harm to health or being dangerous, and those governing the erection of levers and the installations of steam machines, along with restrictions imposed for the benefit of agriculture binding landowners whose lands are situated in the neighbourhood of canals and drains. Also the restrictions imposed to preserve and develop national wealth such as those dealing with mines, protection of historical antiquities, and prohibiting the growing of certain plants.

2 — The owner has the right to use his property without any time or place limitations, unless such usage is legally prohibited, as in case he uses the property as a gambling house.

disagree as to some of the forms. They hold that, should the lease be of a fixed period, the heirs inherit the benefit in case the lease-holder dies before the expiration of the lease. Again if a person allows another to occupy or to exploit his house for a certain period, the heirs of the beneficiary are entitled to the benefit for the rest of the period in case the beneficiary dies before the expiration of the period. But complete ownership is breathed through agreement.

3 — The beneficiary is responsible for any damage caused to the property through him, such a damage is considered an act of impairment. Should the property be damaged unintentionally, he is not responsible for the damage.

4 — Expenses and costs of maintenance are borne by the beneficiary in case he owns it freely through a lending contract or a will, and borne by the owner himself in case it is leased. In case of complete ownership the expenses are borne by the owner.

This kind of ownership expires in the following cases:-

1 — Expiration of the period provided by the contract.

2 — The death of the beneficiary, according to the Hanafi School.

3 — The death of either the renter or the lender.

4 — In case the property is seriously damaged and rendered useless as in the case of a land leased for agricultural purposes and becoming morass or flooded by water.

The 3rd kind is the right servitude⁽¹⁾ by which an immovable property is entitled to benefit from another owned

by another person. This includes access to water, digging canals and free passage.

The differences between the right of servitude and the right of personal benefit are as follows:-

1 — The right of servitude is always applied to immovable property only, whereas usufruct may apply to immovable and movable property, such as in case of hiring or lending an animal.

2 — The right of usufruct is provided for a certain person by name or capacity, whereas the right of servitude is primarily provided for the property.

3 — The right of servitude is not limited by a fixed period whereas the right of usufruct is temporary as expires it with the expiration of the period fixed for the lease or the lending.

4 — According to the Hanafi School, usufruct can be inherited even though it is not considered property. But they hold that it can be inherited since it is related to the property. The reverse holds good for the right of usufruct, the inheriting of which is a subject of controversy between jurists.

Cases establishing servitude

1 — General partnership as in the case of roads, rivers and drains which are designated for public usage, and are not private property. Each nearby pro-

(1) The meaning of the term «Servitude» in certain European codes is the right or title to the use of a thing for general or for a particular purpose, without having personal interest or property in it such as right of way, water, etc, on another man's land. (Ed).

tract, whether the permission is given by the owner of the property or by the legislator or the ruler, as in the case of public utilities. Leasing means that the lease holder has a right to the benefit with something paid in return, but he is not entitled to any further rights. When a person rents a land to cultivate it, he has not the right to erect buildings thereon, but he has the right to pass the benefit to others, with or without something in return, unless it is provided in the contract that the benefit varies with the beneficiary.

Lending means that the benefit is owned without something paid in return. Jurists of the Hanafi School are not of an opinion on the question of whether lending entitles to ownership. Some say that it does not, but it only authorizes the borrower to benefit from the property, provided the lender retains the ownership. Accordingly it does not entitle the borrower to pass the benefit to another person. The majority, along with the Shafii School, hold that the borrower owns the benefit according to the lending contract, hence he is entitled to pass it to another through lending, without receiving anything in return, provided the lender does not stipulate otherwise, or the benefit itself varies with the beneficiaries. Should both stipulations be absent, the borrower may pass the lending to another, but he cannot pass it through leasing, as the two contracts differ in kind. Lending is not binding so long as the lender can withdraw it when he likes, but leasing is binding. If leasing were to be permitted, the legal description of one of the two

contracts should be changed to put both in accord. This process could not be carried as it involves a change in the contract.

But the Maliki School allow the borrower to pass the benefit to another whether by leasing or lending, because he who owns the benefit has the right to dispose of it within the fixed period of the lending contract, provided he should not cause damage to the property, since the lending contract is binding as regards the period, that the lender may not annul it. This shows that the essential difference of both opinions is whether the lending contract is binding or not.

According to «Tahdheeb EL- F orouq» by Qarafi, lending contract bestows ownership on the borrower according to custom. He who is entitled to a borrowing period through custom, becomes the sole owner of the property of which he can dispose within the fixed period. In this case owning the benefit is similar to owning the property itself.

*particulars of this kind
of ownership:*

Ownership of the benefit or the right of usufruct is subject to certain conditions:-

1 — It is primarily limited by time, place and description, but complete ownership is by no means limited.

2 — According to Hanafi School it cannot be inherited, because inheritance applies to the existing property upon death, benefits, according to this School, are not properties.

But the majority of the Muslim jurists

beneficiary. Upon his death the property goes back to the owner, and thus his ownership becomes complete.

Thus the ownership of a property alone is recognized through inheritance, and through the will in case the property is willed to a person and the benefit is willed to another. The ownership of the property alone does not entitle the owner to any form of benefit, moreover he cannot dispose of the property in a way that may do harm to the beneficiary. The Hanafi School holds that the owner should not sell the property except to the beneficiary. Other schools hold that the owner may sell his property without permission from the beneficiary. In this case the ownership of the property goes to the new owner accompanied by the right of the beneficiary. The ownership can be passed to his heirs upon his death, and it does not expire except when the owner dies or in case the property is damaged or owned by another. Should the owner causes damage to the property, he has to guarantee the benefit for the beneficiary. Costs of maintenance and levied taxes are borne by the beneficiary.

The 2nd category is ownership of the benefit or the right of usufruct. It is necessary to show the difference between both rights. Ownership of the benefit permits the owner either to get the benefit for himself or to pass it to a second party. A person who rents a land or a house virtually owns the benefit through the contract, and the benefit becomes exclusively his. This exclusive-

ness keeps others away from it, and he has the right either to get the benefit for himself or to pass the benefit to another person, with or without a thing in return, except when the contracting parties agree on a different thing.

Usufruct, on the other hand, is a mere licence emanating from a general permission, such as the right to use public utilities as roads and rivers, or from a special permission, as the right to benefit from the property of a certain person. Such a right does not entitle the usufructuary to any right of ownership. Hence he cannot pass it to another.

According to Qarafi, the usufructuary himself enjoys usufruct personally, whereas in case of the ownership of the benefit, the beneficiary can either enjoy the benefit personally, or pass it to another. Thus the right of usufruct occurs in three cases:

1. — Through general permission as in the case of using public utilities such as roads, schools and hospitals.
2. — When the benefit is bestowed by the owner of the property himself, whether on a certain person known by name or to unspecific persons, as when the owner houses strangers in his home.
3. — Through the lease or the lending contract or other contracts, which provides that the benefit should go to the lease holder or the borrower only, without any right to pass it to others.

The ownership of the benefit occurs in five cases: through general permission, leasing, lending, wakf, and will. General permission permits one to benefit from a property without a con-

either embrace the thing itself and its benefits together or affect the benefits only, or affect the thing owned only. In case it affects them both, it is called complete ownership, whereas when it affects either of them only it is called incomplete ownership.

Complete ownership, then means the right to own a thing and its benefits, thereby entitling the owner to all legal rights.

Incomplete ownership is that which entitles a person to one only of the two. It is of two kinds: ownership of the thing alone, whereas the benefit goes to another person; and the ownership of the benefit such as in the case of Wakf, lease and loan. This, again, is of two kinds: it goes either to a person or to a property. In the first case it is bestowed on a certain usufructuary only, and cannot be passed to another except in cases that will be mentioned later. In the case it is given to a certain property entitled to this right, in which case it does not go to a person, but it belongs to the property itself, whoever its owner may be. It is primarily given to the property, then given to the owner accordingly, (for example the right of access to a certain house through a private road).

Hence the incomplete ownership is of three kinds:

1— The ownership of the property only.

2— The ownership of the benefit alone. Here usufruct is a personal one, namely, given to a certain person.

3— The ownership of the benefit only, the usufruct here follows the

property and is accordingly given to the beneficiary of such property.

Both complete and incomplete ownership with their different kinds are governed by particular rules and each of them has its own proofs.

Kinds of incomplete ownership:

1st — The ownership of the property only. This is found in cases where the property is owned by one person and its benefit is owned by another. This kind of ownership is rarely found as it stands in striking contradiction with the purpose of ownership itself which is meant to draw benefit from the thing owned. Though this kind of ownership sound extraordinary, yet it is permitted to encourage people to do benevolent acts at the end of their lives, as this kind of ownership is not recognized except in two forms of a will:

1— When an owner wills the benefit of a property to a person either for life or for a fixed period, the ownership of the benefit goes to the legatee in case the legator dies and he (the legatee) accepts the ownership of the benefit, whether it is valid for life or for a fixed period. Should the heirs refuse, they must be forced to execute the will; and upon the expiration of the will or the death of the legatee, the heirs' ownership becomes complete.

2 — Should a person will his house or his land to one person, and its benefit to another, and should they accept the will, the ownership of each incomplete. The property itself should be handed to the

which changes its form and shape when carried, such as houses and trees: It is to be called property or movable? The Hanafite Creed considers it movable: whereas to The Maliki Creed deems that it is property. Hence, property according to The Hanafite Creed, is that which cannot be moved or carried, and this applies only to land in particular: and movables are those things which can be moved and carried, whether they retain their original form and shape, such as animals and metals, or change their form and shape through moving and carrying, such as trees and buildings. Movables, according to The Maliki Creed, are those things that can be moved, provided they retain their original shape. Things other than these are listed as property, including trees and buildings.

This classification is demonstrated on applying the rulings concerning: preemption, the right of the guardian to dispose of the property of the child, the selling of the property of sequestered persons in order to redeem debts, the right of the buyer to dispose of the thing bought before paying off its price: the rulings here vary according to division of the things owned into property and movables.

In the same way we define ownership as the relative relationship between the owner and the thing owned, through which the owner is exclusively entitled to dispose of the thing owned, except in case there is a legal hinderance, as case of inexpediency or any other legal hinderance pertaining to public or private interest, we also use the word

ownership to describe the thing owned, as when we say: This house is may own, meaning that I own it. This definition was meant by the authors of the legal Journal when they define, ownership as being anything that a man owns, whether it is in property or benefits (article 124). Similar to this is the definition laid by the⁽¹⁾ Hanafi School when they hold that benefits and rights are ownership and not property. Thus ownership is more comprehensive than property.

Property that can be owned are under three categories:

1— Property that can never be owned such as things meant to be public utilities: roads, bridges, rivers, public gardens and museums. These things cannot be owned so long as they are public utilities. But in case they become otherwise, they can be owned.

2— Property that cannot be owned unless through legal permission, such as Wakf property and the property of Beit UL-Mal (the Treasury) which are legally called «free property.» The Wakf cannot be sold except in case if falls into ruin, or in case its maintenance costs exceed its returns. Government property cannot be sold except in case Beit UL-Mal is in need of its price, or when it is sold at a double price, or when the ruler, in his capacity as such, sees it fit to sell it.

3— Property, other than these, can be owned.

Kinds of Ownership

Exclusiveness of the right to own a thing in the sense of ownership may

(1) - School = Creed.

ance. Men of law have defined it in a similar way. Muhammad Kamel Morsi in his commentary on Civil Law, says: «Ownership is a right by which a thing is put under the will of a person, who is solely entitled to use, exploit and discharge, within the framework of law».

Things that can be owned are under three categories:

1— Property, namely, perceptible things which have material and volume.

2— Benefits which are derived from the property such as occupying a house, cultivating land, riding an animal and using a dress.

3— Rights, namely, any benefit set by the legislator, and to which a man is entitled. This may be related to property (such as the right to get water and to have free passage); and it may have nothing to do with property such as the right of custody. Jurists are of opinion that houses, land etc., are considered as property so long as they can be owned and used beneficially. Again they hold that the benefits are considered as property so long as they are the fruits of the things owned, such as the fruits of trees and the plants of land which can be owned and used beneficially.

They also agree that the rights related to things other than property, such as the right of custody and the right of guardianship, cannot be considered as property. But jurists differ widely as regards benefits which cannot be owned.

Some jurists of the Hanafite Creed hold that these rights cannot be described as property, so long as they cannot be owned, as they are virtually non-existent, and in case they exist, they

last for a short duration.

Other jurists contend that these benefits can be considered as property, so long as they can be owned through owning the original property, and because the property is owned for its benefits. This opinion is supported by the traditional proceedings applied in financial dealings.

This difference of opinion is clearly manifested in cases related to usurpation, inheritance and lease.

When a land is usurped and then given back to its owner after a year, for instance, its benefit, according to the first group of jurists, cannot be evaluated except in a limited number of cases such as being, a Wakf or owned by an orphan, or prepared for exploitation.

According to the second group of jurists, these benefits are absolutely guaranteed. Again, When a person rents a house for a fixed period and dies before the expiry date, the contract, according to the first group, expires upon his death, because the benefit is not a property that can be inherited. But the second group holds that the legatees can replace their legator until the period of the lease expires.

All jurists agree that the things owned are of two kinds: property and movables. They also agree that things that cannot be moved or carried from one place to another are called property, and things that can be moved and carried from one place to another, provided they retain their shape and form, are called movables. But they differ in opinion as regards the thing

benefits in Islam,» and I have chosen to begin my paper with a brief introductory note on the meaning of property: its kinds, origin, related rights. This shall be followed by showing how the legislator has been careful to demonstrate his respect for property, to safeguard it and to secure its privacy and freedom. I shall then proceed to quote the Prophet's traditions and recorded sayings which prove that both land and its benefits are owned by individuals. To complete the subject, I shall cite some texts set by the jurists of the four Islamic Schools, which treat of transactions in Islam, especially those which are concerned with land-owning by individuals and its benefits. I trust this may cover the subject of this paper. It is God whom I ask for guidance and help.

INTRODUCTION

God has entrusted the earth to Adam and his off-spring in order to settle therein, to improve it and to lead their lives securely: «It is He Who has made the earth subservient unto you, so traverse ye through its tracts and enjoy the sustenances which He furnishes». Man is gregarious by nature and constantly in need of other's help to attain his goals and to live his life. Alone, he has not enough means, knowledge or powers. Hence, human life is a communal one, and each individual has his share in building the community.

The inability of the individual to meet all his needs and satisfy his desires all by himself has made it imperative that different jobs be distributed among men.

So, one is a farmer, another is a merchant, a third is a worker and so forth.

And, as human souls tend to be selfish and self-loving, and keen to appropriate the land and monopolise its benefits, and as they are driven by various lusts, instincts and leanings which urge them to attack and dominate others; and as living in a community causes a clash of interests and creates various conflicting rights, leanings and lusts, and as the resources are too limited to meet all men's needs, and satisfy all desires, a failure of which entails conflict, oppression and the domination of the strong over the weak, it was deemed necessary, in order to maintain peace and security, to define rights and duties, and to coerce extreme tendencies, and to lay down a set of laws and regulations by which one's life, rights and property are safeguarded.

And this gave rise to the five general principles which have been ordained by Heaven and set down by man. These principles which should be maintained and safeguarded are:

Preservation of life, of religion, of mind, of parentage and of property.

From the last principle, the theory of ownership emanates.

OWNERSHIP

Ownership in the Arabic tongue means man's owning of property with an exclusive right to keep or discharge. According to Muslim jurists, it is an exclusiveness that keeps others out and enables the owner to do whatever he likes with it, except for a legal hinder-

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

English Section

EDITOR - IN - CHIEF : Dr. Abd-ul-Wadoud I. Shalaby

SUPERVISOR : Zaher A. El-Zoghby

The fifty first year No : 3 Rabi-Ul-Awwal 1399 A.H. February 1979 A.D.



In The Name of ALLAH, The Beneficent, The Merciful.

OWNERSHIP OF LAND ITS BENEFITS IN ISLAM

By

His Eminence Shaikh Mohammad Ali

AL-Sayis

*Member of The Islamic
Researches Academy*

Praise be to God, the Cherisher and Sustainer of the Worlds whose shelter we seek to guard against our evil deeds and trespasses «such is the guidance of God: He guides therewith whom He pleases, but such as God leaves to stray, can have none to guide». Peace be upon His Apostle Mohammad, the Seal of

Apostles and Prophets who was sent «with guidance and the Religion of Truth... Bearer of good tidings and as a warner....» and as one who invites to God's (Grace) by His leave and as a lamp spreading light».

I have been asked to write on «Land-owning by individuals and its



مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عزوف

رئيس التحرير

والإدارة

الكتور

عبد الوود دهب

الجزء الرابع - السنة الحادية والخمسون - جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (أبريل ١٩٧٩ م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام الأكبر : يشرح سياسته

في أول لقاء صحفي

ومن علمه الشامل أن تأتى تعاليم الإسلام متناسبة مع هذه الفطرة لتسعدنا لالتشقيها ، وتصلحها لالتفسدها ، وتكون مقياسا لحل مشكلاتها في جميع جوانبها المختلفة . . وأن علماء المسلمين إذا ما أدركوا هذه الحقيقة وعمقوها في نفوس شعوبهم وحكوماتهم بصدق وإخلاص كان ذلك - بلا شك - تحركا إيجابيا بناء لإصلاح مافسد من شئون المجتمعات الإسلامية .

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر دكتور محمد عبد الرحمن بيبصار مهام منصبه بأن أدلى بجديث للصحافة وأجهزة الإعلام وضح فيه : بأن تعاليم الإسلام هي المنقذ مما يعانيه العالم المعاصر من مخمصة أخلاقية وفقر روحي وصراع في العقائد والأفكار والمبادئ ، وأن المولى عز وجل وهو أعلم بمن خلق وماخلق أعلم بطبيعة فطرة خليقته ونزعاتها وملكانها وما تقوم عليه من مقومات . . وكان من حكمته البالغة

أما عن دور الأزهر فقد قال فضيلته :

إن هذا الدور ينبغي ألا يقتصر على النمط التقليدي في مجتمعاتنا المعاصرة وإنما يجب أن يتجاوز ذلك إلى فكر جديد يطرحه على الناس بأسلوب جديد في الإطار المأمول الموثوق به لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبالوعى الإسلامى المستنير . وإليكم نص الحديث :

بدأ الحديث مع فضيلة الإمام الأكبر ، حول واقع العالم الإسلامى الآن ومايجرى فيه من أحداث واتجاهات فكرية متصارعة . . يقول فضيلته :

إذا كانت رسالة الإسلام عندما جاء بها محمد ﷺ ، بمقاصدها العليا وغاياتها السامية ، أن تخرج الناس من ظلمة الجهالة وحيرة التفرق ، وأدران الشرك والانحراف العقدى . . لتضعهم على طريق الحق والعدل ، ولتجمعهم فى أخوة صادقة ورباط وثيق بين أبناء البشر جميعا على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ونحلهم . . فإن مايعانيه عالمنا المعاصر اليوم من « مخمصة » أخلاقية وفقر روحى وصراع عقدى . . بل مايعانيه أكثر من ذلك من بعض مظاهر الجاهلية الأولى . . ليفرض علينا جميعا ، معشر المسلمين ، أن نطلب المنقذ والمخرج فى تعاليم الإسلام ، التى جاء

بها محمد ﷺ . .

وماقد يقال -بل قيل فعلا - من أن رسالة الإسلام بتعاليمها ونظمها إنما جاءت لمجتمع مضى عليه مايقرب من ألف وأربعمائة عام ، وأنها لا تتناسب مع حاجات مجتمعات القرن العشرين ، فإن ذلك القول ، إنما ينشأ عن قصر النظر وعدم إحاطة بأبعاد الرؤية ، بل وعدم فقه دقيق أونظر عميق فى المبادئ والأسس التى قام عليها الإسلام وقررتها شريعته . . ذلك أن تعاليم الإسلام لم تجاف الفطرة الإنسانية ، وإنما تلاحمت وتواءمت معها .

والمولى عز وجل وهو أعلم بمن خلق وماخلق ، أعلم بطبيعة هذه الفطرة ونزعاتها وملكاتنا وماتقوم عليه من مقومات . . كان من حكمته البالغة ومن علمه الشامل أن يأتى بتلك التعاليم التى تتناسب مع هذه الفطرة ، فتسعدنا ولاتشقىنا وتصلحها ولاتفسدها وتكون مقياسا لحل مشكلاتنا فى جميع جوانبها المختلفة . . إنه طريق الله القويم وصراطه المستقيم ، كما وجهنا سبحانه وتعالى : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .
ويضيف فضيلة الإمام الأكبر قائلا :
إذا ما أدرك علماء الإسلام هذه الحقيقة ، وهم قطعاً على وعى بها ، وإذا

الإصلاح العام الشامل الذى يضع المجتمع الإسلامى بصفة خاصة ، فى صورته المثلى ، وأهدافه السامية .

وعندئذ يتحقق الرباط القوى بين الفرد ومجتمعه ، وتؤكد الأواصر الإسلامية بين شعوب العالم الإسلامى وأمه وحكوماته ، بل بين شعوب الإنسانية جمعاء .

ما هو إذن دور الأزهر فى إصلاح أحوال المسلمين ، كما تراه فضيلتكم ؟
إن الأزهر - كما أرى - ينبغى ألا يقتصر على دوره التقليدى فى مجتمعاتنا المعاصرة وإنما يتجاوز ذلك إلى فكر جديد يطرحه على الناس بأسلوب جديد ، فى الإطار المأمول الموثوق به لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبالوعى الإسلامى المستنير ، الذى ينبغى أن يتصف به كل مسلم غيور على دينه ووطنه وأمته .

فإذا كان الأزهر بمؤسساته ، إنما يقع من حيث المكان على أرض مصر . فإن رسالته عامة شاملة ، عالمية بين البشر جميعا وفى العالم الإسلامى بصفة خاصة ، لأن رسالته تتكيف بكيفية رسالة الإسلام من العالمية والشمول .

إن هذا يجعلنا نتحدث عن دور الأزهر فى الداخل ودوره فى الخارج أى ازدواجية الرسالة . . !

ما وقر ذلك فى نفوس شعوبهم وحكوماتهم بصدق وإخلاص . . كان ذلك لاشك دافعا لتحرك إيجابى بناء لإصلاح مافسد من شئون المجتمعات الإسلامية ، وتقويم ماعوج من أمورها ، وتصحيح ما زاغ من عقائدها وآرائها . فإذا ماتم ذلك على وجه سليم التأم الصدع بين المسلمين ، ونفوا ما يثار بينهم من خلافات ، واجتمعوا على كلمة سواء ، ألا يتوخوا فى أعمالهم إلا وجه الله وألأهدفوا فى تصرفاتهم لإخير الإنسانية وخير شعوبهم وأوطانهم .

وعندئذ سيكون الوفاق بدل الخصام والشقاق ، وستكون الألفة والمحبة ، بحيث يتحقق المجتمع الإسلامى الكامل بمثله العليا ، وعلى الوجه الذى أراده الله لخالقه : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

وما هو واجب علماء المسلمين فى هذا الصدد ، وكيف ؟

واجب علماء المسلمين فى كل بلد إسلامى وعلى أية بقعة من بقاع الأرض أن يتحركوا لأداء واجبهم فى النصيح والتوجيه والإرشاد الموجه . . لا إلى فرد دون فرد ، ولا إلى جماعة دون أخرى ، ولا للمحكومين دون الحاكمين . . وإنما يقصد به

إن الانطلاق إلى العالم الإسلامي من قاعدة إيمانية قوية إنما يعطى عمل الأزهر في خارج مصر دفعة قوية وإيجابية بناءة . وهذا يكون الازدواج في رسالة الأزهر بين الداخل والخارج .

والداخل بعون الله وبحمده تلتئم فيه القوى الإيمانية ويتحقق فيه التماسك والترابط بين أفراد المجتمع المصرى وبين شعبه وحكوماته كذلك . وتتخذ مصر في واقعها المعاصر - كما اتخذت في تاريخها الإسلامى الطويل - هذا الدور الطليعى الذى تعكسه أنشطة الأزهر المختلفة في خارج مصر . . . وهى . . . وإن كانت أنشطة لاتزال بحق وبصدق تحتاج إلى مزيد من التوسع . . . إلا أنها ذات فاعلية ، وأثر بناء في مقاومة ماينتاب المجتمعات الإسلامية من تيارات فكرية مناوئة ، أو عقائد زائفة ، أو انحرافات أخلاقية مدمرة تتنافى أولاً مع مبادئ الإسلام وتتجاف ثانياً ، مع ما تنشده البشرية كلها من حياة الأمن والسلام والاستقرار والازدهار .

لذلك . . . رجأؤنا أن تغلب الشعوب الإسلامية على مشاكلها ، وأن يتغلب الأزهر كأكبر مؤسسة إسلامية عالمية على ما يعترض رسالته من عقبات ، وما يقف في طريقها من معوقات سواء كانت معوقات ،

تأهيلية أو مادية أو علمية أو سياسية . . . وعندئذ نستطيع أن ننطلق إلى واجبنا نحو شعوب العالم الإسلامى بيقظة وحذق وحكمة ، حتى يتحقق للعالم الإسلامى ما يصبو إليه من مجد ووثام وتقدم وازدهار يؤكد له السبق في ميدان الحياة ، والرسوخ في جانب العقيدة والأمن في مسيره ومصيره .

وما رأى فضيلتكم في الأحداث الدائمة التى استمرت طويلا في إيران . . . الدولة الإسلامية ؟

إن كل مسلم يدفعه إيمانه وإسلامه إلى المتابعة والانتباه لما يجرى في إيران من أحداث ، فشعب إيران شعب مسلم شقيق ، ويهم المسلمين جميعا صلاح أحواله وسلامة ماله ، وأن ينعم بحياة من الاستقرار والتقدم والرقى .

وإن كل مسلم كذلك ليحذر كل الحذر ويخشى كل الخشية من أن تستقطب أحداث إيران لاتجاه ضار دخيل ، لا يتفق مع الإسلام في مبادئه ولا يلتقى معه في قيمه . . . وإنما يحاول أن يستقطب الحركات الإسلامية ليحقق أغراضا مضمرة أو أهدافا مستوردة . . .

وكل مانرجوه كمسلمين مخلصين لأشقائنا في إيران أن يحذروا أن تقفز إلى

وأن مركزه الأدبي قد لحقه شيء من الهزات الأدبية التي تحدث بدورها ذبذبات في القيادة الروحية ولكن ما حدث أخيرا من اتجاه تمثله القاعدة العريضة في مصر في شخص أعضاء مجلس الشعب المصرى والتقت مع رغبة السيد رئيس الجمهورية وحكومته من دعم أدبي وغاية فائقة بالارتفاع بمركز مشيخة الأزهر - كما يمثل القانون الذى صدر أخيرا - إنما يدخل ضمن دائرة التصحيح للأوضاع في مصر وفي العالم الإسلامى وإعطاء كل ذي حق حقه .

ويضيف فضيلة الإمام الأكبر : أن هذا أيضا يعطى المؤشر القوى والبرهان الأكيد على إدراك شعب مصر وحكومته لضرورة الارتفاع بمستوى هذا المنصب استجابة لوازع الإيمان في قلوبهم ولمشاعر المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامى وليس ذلك بغريب على مجتمع مصر الذى قامت أسسه على دعائمين أساسيتين هما العلم والإيمان وأن ذلك بحق بجانب ما هو تقدير أدبي قبل أن يكون تقديرا ماديا ليحدد لنا وللناس كافة حجم المسؤولية الكبرى التى تضطلع بها مشيخة الأزهر ، تلك المسؤولية التى لا يشك أحد فى أن عبئها قد ازداد وورقتها قد اتسعت وكذلك أنشطتها يجب

الموقف مثل هذه الاتجاهات فينتكس الغرض وتضع الأهداف . .

لقد كان تقييم منصب مشيخة الأزهر على مستوى رفيع مما أثلج صدور المسلمين ، وكان له انعكاسات طيبة بين جماهيرهم فى داخل مصر وخارجها . . ماذا تقولون ؟
ويجب فضيلة الإمام الأكبر :

مما لاشك فيه أن مشيخة الأزهر ، أومشيخة الإسلام - كما يصر الكثيرون على تلقيها - هى القيادة الروحية للمسلمين على مستوى العالم ، تتحمل المسؤوليات أمام الله وأمام الناس فى التوجيه الروحى ، وتنشيط الدعوة الإسلامية وتقوية الروابط بين شعوب العالم الإسلامى وحكوماته . . ولذلك كانت الصلة بينها وبين العالم الإسلامى وثيقة ، وكانت الحساسية فى أوضاعها الأدبية يتأثر بها كل مسلم على وجه الأرض .

ولعل أوضاعها السابقة وتقديرها الأدبي فى عصور سالفه كان على مستوى لائق وبصورة يسرها جميع المسلمين . . إلا أن هذا الوضع قد شابته أشياء ، تشبه فى حياة الفرد خفقان القلب أو اضطراب الدورة الدموية . . مما كان له أثر سيئ كذلك فى نفوس المسلمين ، إلى حد أن البعض منهم ظن أن المنصب قد انزوى

أن تشتد وتقوى لتلاحق ركب الإصلاح ولتواجه عوامل الزمن والأحداث بأسلوب سديد وفكر رشيد وعرض جديد وما ذلك على الله ببعيد .

وماهى ملامح تلك المسؤولية المتزايدة التى تنتظرها جماهير المسلمين فى مصر وفى عالم الإسلام ؟

ويقول الإمام الأكبر : ملامح هذه المسؤولية الكبرى باختصار شديد يحددها : أولا : مايجرى فى العالم الإسلامى من أحداث ، فما يجرى فى العالم الإسلامى من أحداث يقتضى التحرك ويقتضى الدعوة إلى اجتماع علماء المسلمين وقادتهم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى لاليعثوا فقط نظرية فقهية أو حكما شرعيا وإنما ليوأجوها المشكلات فى الروابط والصلات بين حكومات العالم الإسلامى وشعوبه تذكيرا لهم بواجبهم فى ممارسة مبادئ الإسلام وقواعده التى رسمها الله فى علاقة المسلم بأخيه المسلم .

ثانيا : ماوصلت إليه المعارف الإسلامية من تشويه لمعالمها ومآشابهها من تحريف ، والواقع أن هذه الظاهرة من شأنها أن تبلبل أفكار المسلمين وتخلط عليهم الحق بالباطل وتدخل عليهم من الشبهات الزائفة والمغالطات المكشوفة مايدخل على بعض

ضعاف العقول منهم ، لذلك كان من أول مايعنى به من عناصر هذه المسؤولية هو كشف هذه الشبهات وبيان أبعادها وأهدافها ليحذرها المسلمون ويقوا أنفسهم شرها وما يساعد على ذلك تنقية الفكر الإسلامى من البدع التى تسود فى بعض المجتمعات ويتخذها أعداء الإسلام حجة على طعنهم فيه وتشويه مبادئه .

وهل من ملامح تلك المسؤولية أيضا معالجة مايعانيه المسلمون من تمزق عضوى ينشأ عن الخلافات المذهبية ؟

بالطبع إن المعاناة من المخالفات المذهبية فى إطار البيئة الإسلامية مما يتخذ خصوم الإسلام إصعبا لهم يتلاعبون به بين العلاقات ، ويعتمدون عليه فى إثارة الفتن وتمزيق الروابط ، ووضع الحواجز النفسية والوجدانية والعقدية بين المسلم وأخيه المسلم ، ولذلك فإن من أهم واجبات المسلمين بصفة عامة ، والأزهر بصفة خاصة ، أن يجمعوا كلمة المسلمين على مااشترك بينهم من عقائد صحيحة ، وأن يتبادلوا وجهات النظر فيما هو خارج عن العقيدة من ممارسات أو تشريعات قد يختلف فيها البعض عن البعض الآخر .

فلربما يكون التفاهم حول وجهات النظر المختلفة مؤديا إلى التقارب وجمع الكلمة .

الفكر الدخيل ، تتنافى كل المنافاة ، مع المبادئ الأصلية للدين الإسلامى والقيم الرفيعة لآدابه وأخلاقه وصدق الله العظيم إذ يقول : (وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات) .

لابد إذن للأزهر فى تطلعه الجديد . .
من إطار مع الشباب والنشء المسلم . .
ماهو فى رأى فضيلتكم ؟

بالنسبة للشباب والنشء لابد من التوعية بالحقائق والقيم الإسلامية سعياً وراء فكر إسلامى مستنير واضح ، لاتعقيد فيه ولاجمود . . وذلك يقتضى عرضاً لبقاء يتلاءم مع متطلبات حاجات الشباب الذى يعانى من بلبلات فكرية تدخل عليه الحيرة والتردد ، وترج به فى متاهات من الشك وعدم اليقين .

إن ماذكرته فضيلتكم يتطلب الكثير من التحرك والجهد والتخطيط الدقيق فما هو محك النجاح فى هذه الرسالة ؟

الحقيقة أنه للنجاح فى كل هذه الجوانب سيعنى الأزهر - إن شاء الله - بدعم دعائه وعلمائه وطلابه بالأسس العلمية التى تساعد على ذلك وبمعارف العصر التى تزود الداعية بقوة من الإقناع ووضوح الحجة والإلزام للمفكرين .

وماذا عما يمارس من بعض الأفراد المسلمين أو الطوائف أحياناً من مزايدات أو تشنجات أو تصورات مغالى فيها ؟

واجب علماء المسلمين الذين اختصهم الله بسعة فى الفهم ، وإصابة فى رأى وإحاطة بأصول الاجتهاد وأبعاد الشريعة وروح الإسلام ، أن يعملوا على إزالة هذه المبالغات وذلك الانحراف فى الفهم . . درءاً لعوامل الفتن بين المسلمين والخلاف بين أبناء الدين الواحد .

وماهى خطة الأزهر الجديدة لعلاج ما يمارس فى المجتمع الإسلامى من الفكر الدخيل ، ومقاومة التيارات الوافدة والأيدولوجيات المتناقضة مع الإسلام ؟

واجب الأزهر والمسلمين - أفراداً وجماعات وشعوباً وحكومات - أن يعملوا جادين على درء هذه الأخطار . ولا يستطيعون ذلك إلا إذا فطنوا إلى أساليب الغزاة بهذا الفكر ومناهجه التى تقوم على التظاهر باعتراف مبادئه ، واستقطاب بعض جماعته ، وينادون ببعض شعاراته حتى إذا أمنهم المسلمون واغترؤا بهم ، فوثقوا فيهم . . هنا يظهر بوجههم الحقيقى ، ويتنمرون لكل ماهو إسلامى . . لأن مبادئهم التى يضمونها لهذا

كما أن الأزهر سيعنى بتأهيل العلماء والدعاة بمختلف اللغات الأجنبية السائدة في المجتمعات الإسلامية على رقعة العالم ومن أهمها اللغات الأوروبية التي تتحدث بها شعوب كثيرة من شعوب العالم ، وكذلك اللغات الأفريقية والآسيوية بحيث ترفع الحواجز وتزول العوائق التي تعوق رسالة الأزهر في أنحاء العالم وتجعل من الممكن مخاطبة الأزهر مع المسلمين حيثما كان موقعهم وموطنهم .

ويضيف فضيلة الإمام الأكبر في نهاية حديثه الهام :

إن التزوّد باللغات لايساعد على مجرد التحدث مع المسلمين أوالتخاطب معهم وإنما يساعد أيضا على تكوين أجهزة في الأزهر تكون ذات صلة قوية بما ينشر في العالم الإسلامى حول الإسلام لترجمته والرد عليه . فتكون أجهزة ذات أخذ وعطاء تستفيد من ثقافات المجتمعات الأخرى وتفيد بنشر ثقافة الأزهر في الخارج ، وعندئذ يقوى التجاوب ويتم التفاعل بين الأزهر والبيئات العلمية والدينية في العالم الإسلامى .

الراعى والرعية

قال رسول الله ﷺ :

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيها ، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته . فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

رواه البخارى - واللفظ له - ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما .



صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
دكتور محمد عبد الرحمن بيسار
شيخ الأزهر

١٩٤٩ م . . ثم وافقت جميع حكومات الدول الإسلامية ليشغل منصب مدير المركز الإسلامي بلندن . . ثم تم هذا الاختيار الإسلامي الدولي ليكون مديرا للمركز الإسلامي بواشنطن . . وفي هذه الفترة اهتم فضيلته بنشر الدعوة الإسلامية على المستوى العالمى . . وغزا الأوساط العلمية في عواصم الدول الغربية بالترويج للأفكار والمبادئ الإسلامية ، كما اهتم بالتوفيق والتقريب بين الخلافات المذهبية والطائفية والسياسية في العالم الإسلامى ، ثم عاد إلى مصر ليشغل منصب الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر . . ثم اختير أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية . . ثم وكيلا للأزهر فوزيرا للأوقاف وشئون الأزهر . . ثم وقع عليه اختيار رئيس الجمهورية فعينه شيخا للأزهر وإماما أكبر للمسلمين .

ولد - حفظه الله - في يوم الخميس . ليلة اكتمال البدر في الخامس عشر من شهر شوال عام ١٣٢٨ الهجرى ، الموافق ٢٠ من أكتوبر عام ١٩١٠ الميلادى . .

وقد أتم فضيلته حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ، ومن ثم التحق بالمعاهد الأزهرية حتى حصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية . . ثم حصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين بتفوق . . وأتاح له تفوقه الالتحاق بقسم تخصص المادة (الدراسات العليا للدكتوراه) . . فحصل على شهادة العالمية من درجة أستاذ بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤٥ الميلادى . . وعين أستاذا بكلية أصول الدين في نفس عام تخرجه . . وبعثه الأزهر ليتخصص في تاريخ الفلسفة بجامعة أدنبرة (إسكتلندة) بالمملكة المتحدة فحصل على شهادة الدكتوراه من هذه الجامعة البريطانية عام

ياخير أمة أخرجت للناس أين أنتم ؟

على هامش حاضر المسلمين وماضيهم

فضيلة الشيخ / مصطفى محمد الطير

الأكلّة إلى قصعتها ، قيل يا رسول الله :
فَمِنْ قلة نحن يومئذ ؟ قال لا ، ولكنكم
غُثاء كغُثاء السيل ، يُجْعَلُ الوهن في
قلوبكم ، ويُتَزَعُ الرعبُ من قلوب عدوكم
لحبكم الدنيا وكرهيتكم الموت » أخرجه
أحمد وأبو داود عن ثوبان .

أليس هذا الحديث يمثل حاضر
المسلمين اليوم ، فهل تعتقد يا صاحبي أن
المسلمين وهم على ما هم عليه الآن ، هم
الذين عناهم الكبير المتعال بقوله (كنتم خير
أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله) أترى أنهم يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله
حق الإيمان ، أليس منهم حلفاء
الشيوعية ، وأصدقاء الماركسية ، فوالله
لو كانوا على نحو من الإيمان متين ، ومن
العمل بالكتاب والسنة مستقيم ، لنصرهم
الله كما نصر أسلافهم ، ولأعزهم كما أعز من
قبلهم (والله العزة لرَسُوله وللمؤمنين) .

كنت ياخير أمة أُخرجت للناس كوكباً
دریا یهدی الحیارى إلى سواء السبيل ،
وملاذاً منيعاً يحتوى به اللائذون ، ومأمناً
مرهوباً يأوى إليه الخائفون ، وعملاقاً جباراً
يرتعد منه الذئاب والمتنمرون فماذا جرى
حتى أصبحت ذكرى ولم تعودى تلك
الحقيقة الكبرى .

قال لى قائل : أفلست تراهم يملؤون
نواحي الغبراء ويُعدُّون بمئات الملايين ،
فكيف لا تراهم وهم يكثرُونَ ولا يقولون ،
ويتشرون ولا ينكمشون .

قلت له يا صاحبي : هؤلاء الذين
نتحدث عنهم أسماء بلامسميات ، وأثر بعد
عين ، وغُثاء فوق منحدر الوادى ، ألم تر
أنهم فى كل واد يهيمون ، يقولون
مالا يفعلون تتناوشهم الذئاب ، ولا يتألم
منهم أخ لِمَلَمَّةٍ بأخيه ، وتتناهب الأحداث
وهم عن اتقائها غافلون ، أليس هؤلاء هم
الذين ، قال فيهم الرسول المعصوم محمد ﷺ
« يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى

لرسول الله لقاتلتهم عليها « وكما قاتلهم قاتل مدعى النبوة والمرتدين ، حتى انتهى أمرهم وخلص الدين لله رب العالمين ، وبالجمله ففي خلافته القصيرة الأمد ، قضى على جميع الفتن التي جددت عقب الفجيرة الكبرى بوفاة رسول الله ﷺ ، واستتب الأمر للإسلام في الجزيرة العربية واستشهد في حروبه كثيرون من القراء وكرام الرجال في معركة اليمامة وغيرها ، وكانت الشهادة عندهم أحلى من نعيم الحياة ، ثم قام عمر ابن الخطاب بالأمر بعده ، فنظم الدولة الإسلامية واختار لها ولادة من عظماء الرجال الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وفتح مصر والشام وبلاد الفرس ، وعلا صوت المؤذن هنا وهناك . الله أكبر الله أكبر لإله إلا الله ، وغزا بلاد الروم وقضى على شوكتهم في آسيا وأكمل مبادئ أبي بكر من الجد في نشر الدعوة الإسلامية ، وإليك أيها القراء الكرام مثلاً لجهاد المسلمين في عهده ، لعل في ذكره عبرة للمعتبرين وموقظاً لأهل الكهف الراقدين .

عبورهم دجلة لإسقاط عاصمة الفرس
كان سعد بن أبي وقاص قائداً لقوات المسلمين في العراق في عهد عمر ، وقد انتهت فتوحاته يوماً عند دجلة قبالة المدائن

المسلمون بعد وفاة الرسول :

انتقل محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقد أرسى قواعد التوحيد في الجزيرة العربية ، وجمع الناس فيها على دين واحد ودولة واحدة ، يسود العدل قلوبهم وضعيفهم ، ويتجلى المجتمع الفاضل بين طبقاتهم ، أمرهم مجتمع وكلمتهم واحدة ، لا طمع يفرق بينهم ، ولا حفيظة تشق صفوفهم ، رهبان بالليل فرسان بالنهار ، إن طمع فيهم طامع نفروا سراعاً لتأديبه وردعه ، وإن سالمهم مسالم كانوا إلى السلام أسرع منه ، وإن انشق عنهم منافق أو واهن الإيمان قاتلوه وأدّبوه .

فهذا أبو بكر رضى الله عنه لما ولى الخلافة بعد الرسول ﷺ ومنع الزكاة ضعاف الإيمان ومحدثوه ، وارتد ناشئوه ومتأخروه ، شمر عن ساعد الجد ، وأزره المجاهدون والأنصار وقدامى المؤمنين من القبائل ، وكان منهاجه الذي سلكه أن يقاتل مانعي الزكاة ، لأنها أحد أركان الإسلام ، فلو تساهل فيها معهم ، لتطرق الخلل إلى سائر الأركان ، ولتداعت قواعد الإسلام ، لهذا قال فيهم مقاتله الشهيرة « والله لومنعوني عتاقاً^(١) كانوا يؤدونها

(١) العتاق الأثني من أولاد المعز .

عاصمة كسرى ملك الفرس ، وفيها إيوانه ، ولما رأى نهر دجلة يحول بين جيوشه وبينها خاطب جنوده قائلاً : قد عزمت على قطع هذا البحر إلى العدو ، فماذا ترون ؟ فقالوا عَزَمَ الله لنا ولك على الرشد فافعل ، فندب الناس للعبور ، واختار منهم ستائة من أهل النجدات ، وجعل عليهم عاصم ابن عدى ذا البأس الشديد ، فاختر عاصم منهم ستين فارساً وجعلهم على خيل ذكور وإناث ، ليكون أسلَسَ لسباحة الخيل ، ثم اقتحم بهم دجلة ليحمى المسلمين الذين يعبرون بعده ، فلما رآهم الفرس أخرجوا لهم مثلهم ، فحاضوا دجلة وكانت مليئة بالماء ، فلقبهم عاصم وصحبه وقد قُربوا من الشاطئ ، فقتلوا وأغرقوا أكثرهم ، وفر من سلم منهم مشوها ، وتلاحق بعدهم باقى الستائة ، ولما رأى سعدٌ عاصماً ورجاله على الشاطئ يحميه ويدود عن المسلمين ، أذن للجنود أن يقتحموا وقال : قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه . حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزمن عدوه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وتلاحق الناس فى دجلة . وإنهم ليتحدثون كما يتحدثون فى البر ، وطَبَقُوا دجلة حتى مايرى من الشاطئ شىء لكثرتهم ، وكان يسائر سعداً فى الماء سلمان

الفارسى ، فعامت بهم خيولهم وسعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزمن عدوه إن لم يكن فى الجيش بغيٌ أو ذنوب تغلب الحسنات ، فقال سلمان : الإسلام جديد ، ذُلتُ والله لهم البحور كما ذُلتُ لهم البر ، أما والذى نفسُ سلمان بيده ، ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا ، فخرجوا منه كما قال سلمان . لم يفقدوا شيئاً ، ولم يفرق منهم أحد ، ثم حملوا على المدائن ففتحوها وقال فى ذلك أبو بَجْدٍ نافع بن الأسود :

وَأَمَلْنَا عَلَى الْمَدَائِنِ خَيْلًا

بَحْرُهَا مِثْلُ بَرْهَنٍ أَرِيضاً^(١)

فانتشلنا خزائن المرء كسرى

يوم ولّوا وخاضَ منها جريضاً^(٢)

ولما دخل سعد الإيوان قرأ قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع) إلى قوله (وأورثناها قوما آخرين) من سورة الدخان ، وصلى فيه صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يفصل بينهن . ومن بعد أبى بكر وعمر فتح الخلفاء الممالك ، ووسعوا رقعة الأرض الإسلامية ، ونشروا فيها كلمة التوحيد ونور العلم والأخلاق ، وحكموا

(١) كثير الخير .

(٢) أى مغموماً .

الناس بشريعة الله العادلة ، فهأبهمُ
القريب والبعيد ، والقوى والضعيف .

يا أبناء إسماعيل

إن الهدف الأساسي من مقالى هذا أن
تجتمع كلمتكم يا أبناء إسماعيل ضد
أعدائكم ، فإنما يأكل الذئب من الغنم
القاصية ، والطريق إلى ذلك منهج أساسه
الحب والتعاون ، والسياسة الموحدة ،
والنظام العسكرى الموحد ، والقيادة
المشتركة ، وبذل المال بسخاء فى تقوية
الجيش ، واجتماع الكلمة فى الجماع
الدولية ، وصفاء النفوس بحيث يكون
الباطن والظاهر سواء ، بهذا وأمثاله لا يجد
الأقوياء سبيلا لتمزيقكم وتفريق كلمتكم
وتوهين قواكم .

أى مانع من أن تكون فيكم ممالك
وجمهوريات متعاطفة ، يحنو بعضها على
بعض ، ويسعد بعضها لرخاء بعض ، أى
مانع من أن تعين كل دولة أختها على
النهوض من كبوتها ، كونوا أيها الأجداد
كيف شئتم من ألوان الحكم التى ترضونها
لأنفسكم ولبلادكم ، ولتكن لكم فيما وراء
ذلك سياسة إسلامية موحدة ، يسود بينكم
التشريع الإسلامى ، وتربط بينكم عقيدة
التوحيد ، ومبادئ القرآن والسنة المطهرة ،
كونوا كالجسد الواحد ، إذا شكا منه عضو
تداعى له سائر الجسد بالحصى والسهر ،

وكان الناس من وراء دولة التوحيد
والعلم والأخلاق مابين قبائل همجية ودول
بدائية فاقبسوا مع الزمان من نورهم ،
واغترفوا عبر الأجيال من ينابيع معارفهم .

تبذل الحال بعد السلف الصالح

ثم تبدلت الأمور وحال الحال فبعد أن
كانوا أمة واحدة أمرها مجتمع ، أصبحوا
أما كثيرة أمرهم متفرق ، وصدق فيهم قول
الشاعر :

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة

فيها أمير المؤمنين ومنبر
إنك تجد الآن خير أمة أخرجت للناس
عشرات الأمم ، وقد فرقت بينها الأهواء ،
ومزقتها العداوة والأغراض إن رضيت دولة
منهم أمراً سخطته أخرى ، يرون مصالحهم
متعارضة ، ويعلم الله أنها لم تكن من قبل
متناقضة ، إنك ترى بأسهم بينهم ، وكان
الأجداد أن يكون بين عدوهم ، توأى
بعضهم أعداء الإسلام وحالفوهم ،
ليكيدوا لإخوانهم فخانوهم ، ولسوف
يبيعونهم من بعد لأعدائهم ، كما فعلوا
بغيرهم .

قداسة ، وميزان بغير عدالة ، وبغير القوة لا يصل أحد إلى حق ، ولا قوة بغير تجمع ، ولا عزة لمن سلك سبيل التنازع (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

عبرة الأندلس

هذه الأندلس الأموية العظيمة ، نشرت العلم والعرفان في غرب أوروبا وكانوا يومئذ في جهالة القرون الوسطى ، هذه الأندلس التي خرَّجت أكابر العلماء في كل فن من فنون العلم ، وزخرت مكتباتها بنفائس المؤلفات ، وشع من أفقها نور العلم على الخافقين ، لمَّا نخر في جسمها سوس التَّفَرُّق ، وأصبحت دويلات يحكم كل دولة منها ملك ، شُغِلَ ملوكُها بأبهة الملك الكاذبة ، وعكفوا على اللذات والشهوات ، فضعفت قواهم ، وذهب ريحهم ، وكاد بعضهم لبعض ، واستعانوا على هذا الكيد بجيرانهم الطامعين فيهم من غير دينهم ، فأعانوا بعضهم على بعض - واحدة بعد أخرى - ثم ابتلعوهم دولة بعد دولة ، حتى إذا لم يبق منهم سوى بنى الأحمر في إقليم غرناطة ، كانت الحرب بينهم وبين هذه الدولة المجاورة الطامعة متتابعة ، وكانت دُولُهُ بينهم وبين خصومهم ، فيوماً لهم ويوماً عليهم ، وكان

وتلك هي أضعف أواصر الوحدة ، حتى يسر الله لها أسباب الكمال ، وتتداعى إليها القلوب ، وإن دُعِيتُمْ إلى خطة سلام فلا ترفضوها ، ولا تنكروا لمن يدعوكم إليها ، فالحرب ليست غاية وإنما هي وسيلة إلى السلام ، وقد دعاكم الله إلى مثل هذا بقوله (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وقد كان النبي ﷺ قدوة لنا في صلح الحديبية الذي كان خيراً وبركة على الإسلام والمسلمين ، وقد جرَّبه الملك صلاح الدين بعد انتصاره على الصليبيين وإخراجهم من معظم البلاد ، حيث أبقاهم في المنطقة التي تعرف الآن بلبنان ، وأبقى معهم من شاء من المسلمين .

التجمع العربي ثم الإسلامي

إن التجمع العربي ثم الإسلامي هو السبيل إلى هيتكم في هذا المجتمع الدولي الغافل عن مآسى المستضعفين ، وبغير وحدتكم أوترابتكم القوى - على الأقل - لن تصلوا إلى اطمئنان على مستقبلكم في مجتمع دولي ظالم ركب هواه ، ورجَّح مصالحه على مصالح سواه ، إنكم لا تجدون فيه مظلوماً أنصف ، ولا معتدياً عوقب ، إن الأمم المتحدة هيكل بغير روح ، ومعبد بغير صلاة ، وقبله بغير

أترون أيها المسلمون . لو بقي الأندلس على وحدته ، أكانت تحدث له هذه الكارثة الرهيبة ، كلاً ما كان يمكن أن يحدث له هذا الخطب الجلل بل كان يظل منارة هادية للعالمين .

أنصروا الله ينصركم

أيها المسلمون وأيم الله لو نصرتم الله لنصركم كما نصر أسلافكم (أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ونصركم الله يكون بنصر دينه كما قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) فالذين ينصرهم الله هم الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ولم يضيعوها ، وآتوا الزكاة ولم ييخلوا بها فأمروا بما عرفوه مطلوباً في دينهم ، ونهوا عما أنكره كتابهم وسنة نبيهم ، وإذا أمروا بمعروف كانوا أسبق إلى فعله ، وإذا نهوا عن منكر كانوا أسبق إلى تركه ، فإن فعلتم ذلك نصركم الله على أعدائكم ، وإلا فلا تلتموا غير أنفسكم

الشباب المسلم بحاجة إلى تبشير

ألا وإن المسلمين بحاجة إلى التبشير في

بنو الأحمر حين يُهزَمون يغلقون دُورهم ليعودوا إليها في اليوم التالي حيث ينصرون ، فلما جاءت الطامة الكبرى أغلقوا دورهم ثم لم يعودوا إليها ، فقد هُزِمُوا ومَزَقَهم أعداؤهم شرمزق ، كما مزقوا سواهم ممن سبقهم ، وشردوهم في الآفاق كما شردوا من قبلهم ، وَنَصَرُوا من بقي منهم ، واستولوا على مساجدهم العظيمة وعلى قصورهم الجميلة الفخمة ، ورياشهم الفاخرة التي لم تر الدنيا مثلها ، وقضوا على نفائس العلم في مكباتهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولما انتهت المعركة مع بني الأحمر إلى الهزيمة الحاسمة ، صعد ملكهم فوق ذروة جبل هناك ، وجعل يبكي ملكه المضاع ، فقالت له أمُّه العظيمة :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً

لم تحافظ عليه مثل الرجال
يقول المرحوم العلامة المؤرخ أحمد زكي (باشا) إنه لما زار إسبانيا رأى عيداً لهم يسمونه عيد الفطير ، وعلم منهم أن بني الأحمر يوم أن هُزِمُوا تركوا فطيراً صنعوه في عيد شعبي لهم صادف هذا اليوم الحزين ، فوجده الغزاة المنتصرون ، فأكلوه وجعلوا هذا اليوم عيداً شعبياً يأكلون فيه الفطير على نحو ما كان عليه أهل الأندلس .

بلادهم ، وبخاصة شبابهم ، إنهم ولّوا ظهورهم للدين ، ونبذوا القيم الإسلامية الرفيعة ، وتخلّقوا بأخلاق ينكرها العرف والتقاليد الإسلامية إنك اليوم لاتعرف الفتى من الفتاة ، وربما كانت الفتاة إلى الفتيان أقرب شبيهاً في زيها ، إنك لاتدرى سر هذه الميوعة في نفوسهم ، أهو التخنث ، أم هو التقرب إلى نفوس الفتيات بالمظهر المتقارب ، إن الفتيات لا يحبّبن إلا الأقوياء في مظهرهم ومخبرهم وجدهم ورجولتهم . إن كتب الجنس الفاضح تتسرب إليهم بسهولة فتغزو غرائزهم وتحطم معاني الجد والشهامة والنخوة فيهم ، وتصرفهم إلى هدم أخلاقهم ودينهم ، وتُدْمِرُ الأمل المعقود عليهم في أممهم .

إن التمثيليات الماجنة والأفلام المنحرفة تمزق أخلاق الأسر ، وتبني جيل الصغار على استباحة القبلات الحارة ، والعناق الطويل ، والحب الفاجر .

إن الشباب يتعرض لغزوات الإلحاد من كتب الملحدّين ونشراهم ، فهم يجدونها بيسر وسهولة ، ويستسلمون لما فيها من التحلل من كل رباط بالثواب والعقاب والجنة والنار ، وهيمنة الحى القيوم على الملوك والملوكوت وإن من المجتمع الإسلامى من يفاجأ ببعض أولاده أو إخوته

منحرفين ملحدّين .

إن ترك الشباب لهذه العوامل بدافع حرية الرأى ، أخطر على الأمم من الغزاة الأجانب ، إنهم سيكونون يوماً ما من أكبر عوامل الهدم فى الأمم الإسلامية .

فلماذا يُترك الأمر لهؤلاء وأولئك دون رقيب أو حسيب ، ودون قانون رادع وعقاب زاجر ، اعصموا الشباب بمنع كتب الجنس من التداول ، وكتب الإلحاد من الانتشار ، والأفلام الصارخة من العرض ، والتمثيليات الماجنة أو المتلصصة الحافزة على الجريمة من الإذاعة ، وسنوا القوانين الملزمة بالاستقامة والحفاظ على الأخلاق والعقائد ونفذوها بحزم ، أدركوا المخاوف قبل أن تستفحل ويصعب درؤها ولاشك أن الوقاية أهم من العلاج وأيسر منه .

إن كثيراً من الشباب لا يغشى المساجد ولاأندية الوعظ والإرشاد حتى يُحفظُوا بالهداية من الغواية ، فلا بد من عقد الندوات لهم فى أنديةهم وفى جامعاتهم ومدارسهم ، وأن يكون حضورها ضروريا كحضور المحاضرات ، وأن يكون الدين مادة تدرس فى كل شعب الجامعات والمعاهد العليا .

فنشئوهم على الخلق الفاضل والأدب
الكريم ، والاستمسك بالفضيلة ، وأداء
الصلاة في أوقاتها ، وصحبة الأخيار ،
وتجنب الأشرار ، وكونوا قدوة لذويكم ،
فلاتأمروا بالمعروف وأنتم تاركوه ، ولاتنهوا
عن المنكر وأنتم فاعلوه ، لانتزكوا فرائض
الله ولاتعشوا حرّماته ، وكونوا قوماً صريحاً
بهم فانتبهوا وأرشدوا فاسترشدوا ، فاعلموا
أن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى ،
وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت
أن ينزل به ، ولاتكونوا كالذين نسوا الله
فأنسأهم أنفسهم ، ومن لم يعملوا بكتاب
الله وسنة نبيه ﷺ ، ضربهم الله بالذل
وسلط عليهم عدوهم ، ألاهل بلغت اللهم
فاشهد .

مصطفى محمد الحديدي الطير

كلمة إلى الأبناء والآباء

يا أبناء الوطن الإسلامي ، أنتم أمل
أممكم في عزة أوطانكم ومجد بلادكم
فانهضوا بدينكم ، واعرفوا حقوق
أوطانكم ، وتحلقوا بالخلق النظيف فيما
بينكم ، ودعوا استيراد العادات البغيضة
من غير بلادكم ، وادرسوا دينكم لتعرفوا
ما فيه من محاسن ومحمد ، وتخلقوا بما فيه
من أخلاق زكية ، وآداب رفيعة ،
واحششوا في ثيابكم فإن الحشمة لاتمنع
جمال المظهر .

وأنتم أيها الآباء مسئولون بالدرجة
الأولى عن أبنائكم وبناتكم ، فإن صلحوا
صلح أمرهم وأمركم ، وإن فسدوا كانوا
شرّاً عليكم وعلى أنفسهم وأمتهم ،

شيء من أخلاقه ﷺ

كان ﷺ أشد الناس تواضعاً ، وأبعدهم عن كبر يعود المساكين
ويجالس الفقراء ، ويتفقد أحوالهم ، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم
وحينما انتهى به المجلس جلس . خرج يوماً على أصحابه فقاموا فقال :
لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً إنما أنا عبد آكل كما
يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد .



نبذة تاريخية عن فضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدي الطير
وأعماله ونتاجه العلمي

فكان مدرسا بالمعاهد الأزهرية فشيخا لمعهد
دمياط الأزهرى بقسميه ثم أستاذاً للتفسير
فى كلية أصول الدين والدراسات العليا ،
وقد تخرج على يديه أجيال من العلماء بمصر
والعالم الإسلامى ، وكثير منهم يتولون
مراكز قيادية هنا وهناك .

٦- له نشاط اجتماعى ودينى ، وقد
استطاع بتوفيق الله أن يغلق مدرسة تبشيرية
بروتستانتية ببلده المنزل ، وكانت تديرها
مس اسطانس ، وكادت تنجح فى تنصير
بعض الفتيات ، فدعا الناس إلى مقاطعتها
وبين أخطارها وطلب إليهم إخراج بناتهم
من مدرستها فاستجابوا ، وحصل على
وثائق تدينها وبعث بها إلى فضيلة شيخ
الأزهر ، وبين المضار المترتبة على التسامح
مع المبشرين ، فجمع شيخ الأزهر هيئة
كبار العلماء ، فقررت جمع تبرعات من
الناس لتنشيط التوعية ضد المبشرين ،
فأقبل الناس على التبرع حتى وصل ما جمع

١- ولد بمدينة المنزل دقهلية بتاريخ

١٩٠١/٩/٧

٢- حصل على شهادة العالمية وفقا
لقانون رقم ١٠ وحسب النظام الذى وضعه
العلامة الكبير الشيخ محمد شاكروالد
المحقق ورجل السنة الشيخ أحمد شاكروالد
وقد تخرج على هذا النظام كبار علماء
الأزهر ورواد النهضة العلمية الأزهرية فى
القرن العشرين ، فقد بدأ العمل به سنة
١٩٠٨ م .

٣- حصل على جائزة الدولة التقديرية
سنة ١٩٢٩ بسبب حصوله على أعلى
الدرجات وكونه أول دفعته فى الشهادة
العالمية كما هو مسجل بالوقائع المصرية
(الجريدة الرسمية للدولة) .

٤- حصل على شهادة التخصص
القديم فى التفسير والحديث وعلومها ، وفى
التربية وعلم النفس سنة ١٩٣٢ .

٥- تدرج فى الوظائف الأزهرية ،

- ٧ - الهجرة المحمدية .
- ٨ - التفسير المعاصر - نقد وتوجيه -
- ٩ - من أمجاد الرسالة المحمدية .
- ١٠ - أقباس من نور الحق .
- ١١ - توضيح النسفي .
- ١٢ - أضواء على بعض ما اشتبه من أخبار الأنبياء .

الجهات العلمية التي يسهم في نشاطها

- ١ - مجمع البحوث الإسلامية حيث يلى فيه رئاسة لجان التفسير الوسيط وتحقيق وتخرج جمع الجوامع والتوفيق بين النصوص المتعارضة في السنة .
- ٢ - تحرير قسم الدراسات القرآنية بمجلة الأزهر .
- ٣ - عضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، قسم القرآن والسنة .

إلى سبعائة وخمسين ألف جنيتها ، ولكن دار المندوب السامى وقتئذ وقفت ضد المشروع ، وتحول المال إلى خزينة الدولة غير أن الحركة لم تحمد ، بل شب أوارها في بورسعيد ثم في أسبوط ضد مراكز التبشير الأجنبي المسعور ونجحت الحركة ، وباء المبشرون بالفشل ، وكان ذلك سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ .

- ٧ - يكتب في كثير من مجلات العالم الإسلامى دفاعا عن الإسلام ، وتجميعا للمسلمين وتوعية لهم وتحذيرا من الفرق .
- ٨ - له مؤلفات علمية كثيرة منها :
 - ١ - عقد الجمان في تبيان غريب القرآن .
 - ٢ - الإسلام يحارب الجوع .
 - ٣ - هادى الأرواح .
 - ٤ - نافذة على الإيمان .
 - ٥ - غذاء الأرواح .
 - ٦ - البهائية في الميزان .

كيف نطبق النظام الإسلامى فى العصر الحاضر ؟

المقدمة / أبو الأعلى المودودى

(سبق أن نشرنا الحلقة الأولى من المقابلة التى أجرتها
إذاعة باكستان مع الأستاذ أبو الأعلى المودودى وكان
عنوانها : « أسلوب الرسول ﷺ فى الحكم » . ونشر
الآن الحلقة الثانية وهى الحلقة الأخيرة من تلك المقابلة
وعنوانها : « كيف نطبق النظام الإسلامى فى العصر
الحاضر » (خليل الحامدى) .

سؤال :

الخصائص الأربع التى ذكرناها ، فى الحلقة
السابقة ، والتى تعتبر خصائص الدولة
العصرية فى قوالب النظام الإسلامى ، ثم
ماذا سيكون الترتيب والتدرج الذى نأخذ
بها لأجل تحويل المجتمعات الفاسدة الحالية
إلى المجتمعات الصالحة . الرجاء أن تفضلوا
مشكورين بإلقاء الأضواء على هذه
التساؤلات ؟

الجواب :

إن أول أمر يجب أن تفهموه جيدا فى
هذا الصدد هو أن الشئ الذى نصفه
بالنظام الإسلامى لا يستطيع حكومة عديمة
الإيمان بالله وفاقدة السلوك المستقيم تسييره
أبدا . فالإرادة الخالية من خشية الله

يأصاحب السماحة : لقد وضحت لنا
فى الحلقة الإذاعية الأولى ما كان للرسول
ﷺ من أسلوب فى الحكم . ولكن
السؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام
هو : لانتطيع أن نجد اليوم شخصية مثل
شخصية الرسول ﷺ تجمع بين جميع
الكمالات والمكارم ، ولانجد كذلك جماعة
مثالية ربّاهما النبي ﷺ بأروع التربية وأمثلها
كجماعة الخلفاء الراشدين والصحابه رضى
الله عنهم ، ولا المجتمع الذى كوّنه النبي
ﷺ فى منتهى النظافة ، ولا التربية الخلقية
التي امتاز بها عهد النبي ﷺ . وإذا أردنا
البدء فى تطبيق النظام الإسلامى فى
المجتمعات المعاصرة فكيف لنا أن نصوغ

الكتاب الإنكليزى : « إن حوادث السرقة كانت منعدمة إذ كانت تقتطع يد السارق . ولم يكن يتوقع أحد أن يكون المسلم كاذبا . بل لم يكن يتصور أحد أن المسلم يشهد شهادة الزور أمام المحكمة . وعامة المسلمين كانوا مثقفين . بل كانت نسبة التعليم مائة فى المائة » . هذا مابقى عليه المسلمون إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى فى الهند .

ولما احتل الاستعمار الإنكليزى هذه القارة غير نظام القانون فيها ، وغير نظام الاقتصاد فيها ، وبث فى نظامنا الاجتماعى آثارا سيئة جدا . فأصبح النظام الإسلامى للتعليم والتربية مثالا يعانى عجزا ماديا لأن الحكومة تخلت عن رعايتها وصارت المعاهد الإسلامية لاتسير إلا بمعونة الأثرياء من المسلمين . وأغلقت الحكومة أبواب الرزق على خريجي تلك المعاهد . بينا النظام الإنكليزى للتربية والتعليم الذى روجه الإنكليز ففتح أبواب الرزق على مصراعيها فى وجه خريجه فى جانب ، وفى الجانب الآخر شرع ذلك النظام بمبادئه وأسس الهدامة يحو من أذهان المسلمين التصورات القائلة بالإيمان بالله والرسول واليوم الآخر . هذا ماورثناه من العهد الإنكليزى .

ومن المؤسف جدا أنه لم تبذل محاولات جدية فى تبديل هذه الأوضاع بعد قيام

لاستطيع تطبيق الإسلام . كذلك لايمكن أن يقوم الإسلام بصورة سليمة فى مجتمع يكون وضعه الخلقى سيئا بصفة عامة . بل تبذل الجهود المستمرة لتخريبه . وكما تعلمون عشنا مدة من الزمن فى ظل نظام الملوك المسلمين فى شبه القارة الهندية ، الذى لم يكن إسلاميا بمعنى الكلمة ، ولكنه مع هذا كان القانون الإسلامى هو الذى كان يسود المجتمع . وكان أهل العلم والدعوة يتولون مهام تربية الناس وإصلاحهم . ولأجل ذلك فالمجتمع فى ذلك العهد الملكى على رغم أنه لم يكن على مستوى المجتمع الذى كان فى عهد الرسول ﷺ وفى عهد الخلفاء الراشدين لم تكن حالة الناس الخلقية فاسدة فيه بدرجة الفساد الذى طراه فيما بعد ، ولم يكن الناس كذلك على جهل بالإسلام بقدر ماأصبحوا جاهلين به فيما بعد .

إن شرب الخمر كان عندهم نادرا جدا وكذلك المحرمات الأخرى . وصحيح أن بعض الناس كانوا يزاولون المنكرات ويرتكبون الآثام ولكنهم لم يكونوا يرتكبونها على مرأى من الناس ومسمعهم .

وحينما قامت الحكومة الإنكليزية أول ماقامت فى البنغال فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى كان الأمر بحيث كتب بعض

باكستان ، بل لأبالغ إذا قلت إن الفساد الذى طرأ على المسلمين فى مدة ثلاثين سنة مضت هو أكبر حجماً وأكثر اتساعاً من الفساد الذى لحق بهم طيلة العهد الإنكليزى . وإذا قامت حكومة إسلامية اليوم وأرادت تحسين تلك الأوضاع لانتوقع منها أن تقلبها ظهر المجن وتعود إلى الحياة الإسلامية بكامل الوجوه بين عشية وضحاها .

ولكى نبدأ فى تطبيق النظام الإسلامى لامناص لنا من أن يتولى زمام الحكومة أشخاص يكرسون جميع وسائل الإعلام ، وجميع أجهزة التعليم وجميع الأنظمة الإدارية فى نشر الوعى الإسلامى بين عامة المسلمين وفى إصلاح حالتهم الخلقية على أوسع النطاق ، وبقدر ما ينتشر الوعى الإسلامى بينهم ، وبقدر ماتحسن حالتهم الخلقية بقدر ما يتبأ الجوّ للنظام الإسلامى الشامل .

وكنا نأمل بأن الحكومة التى ستولى أزمة الأمور فى باكستان عقب انتهاء العهد الإنكليزى سوف تتخذ نفس المنهج الذى أشرت إليه ، أى سوف تستخدم كل طاقات الوسائل الإعلامية فى إنعاش العقائد الإسلامية وإنشاء الخلق الإسلامى السليم فى عامة المسلمين ، وسوف تضع

نظاماً للتعليم والتربية يكون من عامة الأفراد عنصراً صالحاً للمجتمع الإسلامى ، ومواطناً مخلصاً للدولة الإسلامية ، وسوف تقضى على نظام التعليم الذى ينشر الإلحاد . وتروج مكانه نظاماً للتعليم يدعو إلى الإيمان بالله وإطاعته . وسوف تحاول جعل الناس يميزون بين الحلال والحرام ، ولكن من سوء حظنا أنه لم يتحقق أمل من تلك الآمال الطويلة العريضة . ولو اتخذت الحكومة التى تولت أمور باكستان فى بداية الأمر كافة الوسائل والتدابير لتحقيق تلك الآمال لكان الوضع فيها غير الوضع الذى نحن فيه اليوم .

إذن لابد لنا اليوم من أن ننطلق من نقطة البداية ولامانع من أن نحاولوا فى تطبيق القوانين الإسلامية ، ولامانع من أن تدونوا تلك القوانين حتى تستطيع محاكمنا أن تحكم بها . إلا أنه لا يجوز الاكتفاء بهذا الأمر حتى نقول إن النظام الإسلامى قد قام . بل يجب علينا أن نركز أكثر مانستطيع على أن ندرس فى جميع مدارسنا الابتدائية والثانوية وجميع كلياتنا وجامعاتنا التعليم الإسلامى ، وأن نستخدم جميع الوسائل الإعلامية فى تبصير المسلمين بما هو الإيمان والأخلاق ، بدلا من أن نستخدمها فى نشر الرذائل والمنكرات والجرائم . ويجب علينا

هذه الأمور فقط إذا وضعتوها أمام أعينكم تستطيعون أن تقدروا من خلالها كيف يستقيم أمر القانون الإسلامى بصورة صحيحة مادامت الأجهزة المسؤولة عن نفاذ القانون بلغت من الفساد قفته .

ومع هذا وذاك علينا أن ندرس بكل دقة وإخلاص أساليب ناجحة لتنفيذ قانون الإسلام . وبجانب ذلك يجب على ولاية الأمور الحاليين أو الذين يأتون فى المستقبل أن يدخلوا إصلاحات جذرية على الجهاز التنفيذى . كما يجب عليهم أن يصلحوا نظام التعليم والتربية . وأن يستقطبوا جميع الوسائل لتعميق الإيمان فى قلوب الناس وإصلاح سلوكهم وجعلهم يخشون الله فى السر والعلن ، وفى المشط والمكره .

السؤال :

باصحاب السباحة ! الشعب الباكستانى عبيد العصا ، هذا المثل كثيرا مايدور على ألسنة عامة الناس ، إذن فهل النظام الإسلامى كذلك لن يقوم إلا بقوة العصا ؟

الجواب :

إن للعصا أيضا مكانا فى النظام الإسلامى ، ولكن ذلك فى آخر الأسواط .

كذلك أن نبين لعامة الناس ماهى الأخلاق الإسلامية وماهى الأخلاق الكافرة ، وما هو الفارق بين هذه وتلك . وسبق أن قلت إن النظام الإسلامى لم يقم إلا فى مجتمع عمق فيه أساس الإيمان قبل كل شىء ، ثم أقيم على ذلك الأساس الوطيد نظام الأخلاق بكامله . ونظام الاجتماع بكامله . ونظام الاقتصاد بكامله ، ونظام السياسة بكامله ، ونظام القانون بكامله . وإذا أردنا أن نعود إلى ذلك العهد المثلثى فلا بد لنا أن نعود بنفس الأسلوب ، لأننا إذا لم نعمق فى قلوب الناس دعائم الإيمان بالله ، والإيمان بالرسول ﷺ والإيمان بالقرآن والإيمان بالآخرة لا تثمر جهودنا بمجرد تبديل القوانين . إذ أنكم تعرفون جيدا كيف أن البوليس عندنا يملك مهارة فائقة فى اختلاق القضايا على الناس الأبرياء . بل إنه قد حاز قصب السبق فى هذا الشأن لحد أنه يستطيع أن يتحدى جميع العالم فى اختلاق القضايا وتزويرها وكذلك حدث عن الشهود ولا حرج . فإنهم يعتبرون أداء الشهادة الصادقة فى المحاكم إثما . لأنهم يعتبرون أن المحكمة ليست إلا مكان شهادة الزور . بل إن البوليس نفسه يصنع دائما فئة من الشهود الكاذبين مستعدة للشهادة الكاذبة فى أى وقت .

والترتيب الفعلي في الإسلام هو كما يلي : تبذل الجهود أولا وقبل كل شيء في إصلاح الأذهان والأفكار بالتوجيه العام حتى تتخلى الناس عن الأفكار الفاسدة . ثم تكرر الجهود أضعافا مضاعفة في تحسين أخلاقهم حتى يتبها في كل حارة وفي كل دار جماعة من الناس الصالحين يقدررون التحكم في عصابات المجرمين ، ويتولون مهمة إثارة جوانب التدين والأمانة والصلاح في الناس وهكذا يمكن أن ينشأ في البلد رأى عام لا يسمح للمنكر أن يرفع رأسه . وإذا حاول أحد أن يتجه إلى الفساد في مثل هذا الجو يجد في طريقه العديد من العقبات والعراقيل . وإذا حاول أن يتجه إلى الصلاح والتقوى يجد المجتمع كله يشجعه على ذلك . ثم إن الإسلام يريد أن يكون مجتمعا يكون الناس فيه متراحمين متضامنين يواسى بعضهم بعضا ويناصر بعضهم بعضا في حالات الشدة والبؤس . ويكون كل شخص فيه مؤيدا للعدل ومحاربا للظلم . ويكون كل شخص فيه يحرم نفسه من الطعام لو علم أن جاره نام جائعا . ثم إن الإسلام يقيم نظاما للاقتصاد يعتبر الربا حراما والزكاة واجبا ويغلق أبواب الكسب الحرام ويؤمن لكل مواطن تكافؤ الفرص للكسب الحلال حتى لا يبقى شخص يحرم

من ضرورات الحياة . وبعد هذه التدابير كلها يأتي دور العصا . لأن الشخص الذي لا يستقيم أمره بدافع الإيمان ، ولا بالتربية الخلقية ، ولا بالتعليم ، ولا بتوفير العدل له ، ولا بتحسين الأوضاع الاقتصادية ، ولا بالجو الصالح العام ، إن الشخص الذي لا يستقيم أمره بكل ذلك ليس له من علاج إلا العصا . فتستخدم عليه العصا بصورة علنية يكون عبرة لجميع الأشخاص الذين تراودهم النفس لارتكاب الجرائم وانتهاج طريق السوء .

ومن الخطأ الفاحش أن نتغاضى عن منهجية النظام الإسلامى ، ونتناول موضوع العقوبات فقط . وسبق أن قلت إن الإسلام يشرع ، قبل كل شيء ، بغرس الإيمان في قلوب الناس ثم يأخذ في تقويم سلوكهم فيأخذ بكل ما يمكن من الأساليب والوسائل في خلق رأى عام قوى لتنمية المعروفات وسحق المنكرات . ويقيم نظاما للاجتماع والاقتصاد والسياسة يضيق مجال العمل السيئ ويسهل مجال العمل الحسن ، ويسد جميع الأبواب التي بها تنمو الفواحش وتنتشر الجرائم . وأخيرا بعد كل ذلك هو يستخدم العصا (أى القوة) لقمع كل أمر خبيث يرفع رأسه في المجتمع .

نقطة انطلاقنا هى الانتخابات لأنه لا يمكن أن نغير نظام الحكومة أو رجال الحكومة فى بلادنا إلا بهذه الطريقة . ولانجد طريقة أخرى فى الوقت الحاضر نغير بها بصورة سليمة نظام الحكومة فعلياً أن نكرس كل جهودنا فى أن لا نستخدم طرق سيئة فى الانتخابات مثل الإكراه ، أو التزوير ، أو استغلال العصبية الإقليمية أو الطائفية أو النسلية أو القبلية ، أو الدعاية الكاذبة ، أو كيل السباب والفسوق للمنافس ، أو شراء الذمم ، أو تزوير أوراق الناخبين ، أو تزوير النتائج الانتخابية ، بل يعطى للناخبين حرية كاملة لىستخبوا من يشاءون من المرشحين الذين نزلوا فى المعركة الانتخابية .

ثم يفرض على الأفراد أو الأحزاب عدم دخول الانتخاب إلا بطريقة معقولة : هى أن كل شخص أو حزب يدخل الانتخاب يقدم للجهاير بيانه الانتخابى وما يستهدفه من وراء نجاحه فى الانتخاب . ثم يترك الأمر إلى الناس لكى يختاروا من المرشحين من يشاءون ويرفضوا منهم من لا يشاءون ، ومن المحتمل أن لانتجج فى دورة الانتخاب الأولى فى تغيير أسلوب التفكير ومقاييس الاختيار عند عامة الناس . ولكن إذا بق نظام الانتخاب مستقياً سليماً

ومن أظلم من يتحدث عن الإسلام فيجعل آخر تدابير الإسلام أولها ويمسح كل الحلقات الوسيطة مسحا إساءة لسمعة الإسلام وتشويهاً لديباجته الوضاعة .

السؤال :

فما قلت عن الحكومة صحيح كل الصحة . فإدام لا يتوفر للحكومة رجال يريدون بكل أمانة وصدق تطبيق الإسلام ويكونون فى مستواهم الخلق والعلمى صالحين لهذه المهمة الجليلة لا يظهر الإسلام بمظهره الكامل ولا يثمر نتائجه المرجوة . ولكن ينشأ السؤال هنا : لىس لتغيير الحكومة فى العصر الحاضر إلا طريق الانتخابات ، فهل تفضلون واضعين أمام عينيكم عهد النبى ﷺ ، بإلقاء الأضواء على طريقة تجعل نظام الانتخاب الغربى المعاصر منسجماً مع نظام الإسلام القائم على الشورى . فألى أى حد وبأى أسلوب ؟

الجواب :

افهموا جيداً أننا مدعوون إلى أن نتقدم إلى الأمام من الوضع الذى نحن فيه الآن . وعلينا أن لا نتغافل عن هدفنا الذى نريد تحقيقه . حتى لانضع خطوة إلا إلى ذلك الهدف شتاً أم أبيناً . وما لابد منه أن تكون

صارت ثمر نتائجها المنطقية وهل قد حققتم
فعلاً انتصاراً لدعوتكم ؟

الجواب :

هذا سؤال يستعصى على جوابه . من
عادتي أن لأدعى دعاوى فارغة ولاأثني
على نفسى . ولكن الذى لاينحى على أحد
أن الجهود المتصلة التى بذلت فى ترويج
الأفكار الإسلامية - ولم أكن وحدى فى
هذا الميدان بل كثيرون غيرى كذلك
استنفدوا جهودهم فى هذا المجال -
أصبحت الطبقات المثقفة فى باكستان تحب
الإسلام نتيجة لتلك الجهود . وصحيح أن
أخلاق تلك الطبقات لم تبلغ المستوى
المطلوب إلاأن حركة نشر الأفكار الإسلامية
جعلتها تفهم الإسلام بصورته الصحيحة
الكاملة وكذلك أثارت فى قلبها حماساً عارماً
لإقامة النظام الإسلامى .

إن مؤسساتنا التعليمية التى أقيمت على
النظام الميكيفيل للتعليم والتربية نشأ فى
المؤسسات نفسها بفضل تلك الجهود جيل
ظل يحب الإسلام حبا عميقا ويفهمه فهما
جيداً . وقد تواجهنا اليوم مسألة هامة وهى
توعية الجماهير . وأنتم تعرفون أن عامة
الجماهير فى باكستان أميون ونحن نفكر هذه
الأيام كيف ننشر بينها الوعى الإسلامى .

كما قلت فلاجرم أن يأتى يوم ينتقل فيه نظام
الحكم بكامله إلى رجال من أصحاب
الأمانة والصدق والإخلاص والإيمان .
وبعد ذلك نستطيع أن نراجع نظامنا الحالى
للاختيار ونختار مكانه ذلك النظام المثالى
من جديد يلائم تماماً منهج الإسلام
للحكم .

والذى أقصد من ذلك أننا لانستطيع
أن نصل إلى هدفنا الذى نستهدفه طفرة
وبوثة واحدة .

السؤال :

ياصاحب الساحة ! هناك تساؤلات
كثيرة تحالج الصدر . وندعو الله سبحانه
وتعالى أن يسيغ عليكم الشفاء الكامل حتى
نتمكن من جلسة أخرى مطولة معكم
لمناقشة هذه التساؤلات .

ولكنى أحب أن أعرف منكم أن
الدعوة التى جعلتموها نصب عينيكم فى
الحياة ثم جاهدتم فى سبيلها طول الحياة وقد
وصلتم اليوم - والحمد لله على ذلك -
مرحلة تكاد تبلغ الدعوة هدفها المنشود .
أحب أن أعرف منكم كيف تتصورون
الأوضاع الحالية فى ضوء جهودكم التى
بذلتوها حتى الآن : هل إن جهودكم

تحقق الغرائب والمعجزات اليوم أيضا ، بشرط أن نستعين بها لإصلاح المجتمع وتركية النفوس وتربية الجماهير .

ومن الأهمية بمكان أن نقدم للناس توجيهات أصيلة من القرآن والسنة بما عليه من جلاء ووضوح . ونغرس في قلوبهم الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، ونقول لهم إنكم مهما استطعتم أن تستخفوا عن أعين الناس لاتستطيعون أن تستخفوا عن الله . ومن الممكن أن تنجوا بأنفسكم من عقاب الناس ولكنكم لاتستطيعون بحال أن تنجوا من عذاب الله . وهناك كتاب يكتبه الكرام البررة عما تعملون . وهو سوف ينطق عليكم بالحق . ولابد لكل نفس أن تذوق ذائقة الموت ، وتحضر يوم القيامة أمام الله فيحاسبها على كل عمل من أعمالها ، وليس من المعقول أن تتركوا الصلوات الخمس ، وتفطروا علنا في رمضان ، وتهينوا بذلك دين الله ، وتدنسوا أنفسكم بالآثام بكل جرأة ، وتحضروا الله يوم القيامة وأنتم قد سلبتم حقوق الناس وانتهكتم أعراضهم وتعرضتم لكرامتهم وأرقمتم دماءهم ثم بعد كل ذلك تنالوا البراءة من عذاب الله . يمكنكم أن تمكروا في الدنيا مااستطعتم . ولايؤاخذكم عليه أحد . ولكن كيف لكم أن تخلصوا من مؤاخذه الله العلى القدير .

وبما أن أغلبية الناهبين في باكستان أميون وهم دائما عرضة للتضليل من قبل المغرضين والهدامين . ولأجل ذلك لاينعقد الانتخاب في باكستان بصورة صحيحة وسليمة مهما حاول المثقفون عقده صحيحا بنسبة مائة في المائة .

ومن واجب شبابنا المثقفين وعلمائنا الكرام في هذه المرحلة أن ينصرفوا كليا إلى تبصير عامة الجماهير في القرى والأرياف والمدن . وليس من الضروري أن تكون عامة الجماهير قد تنال قسطا كبيرا من الثقافة في المدارس والمعاهد . ولم ينتشر الإسلام في عهد النبي ﷺ بالكتب . بل انتشر بالدعوة والوعظ والتوجيه العام . ولذلك ليس من الضروري أن نجعل عامة الجماهير تقرأ وتكتب أولا ، ثم نفهمها الدين . بل علينا أن نأخذ بنفس الأسلوب الذى أخذ به النبي ﷺ وأصحابه من تعليم الجماهير شفاهيا وتبصيرها بما فرضه الله عليها من فرائض وواجبات ، وتوعيتها بما هو الحلال والحرام ، وغرس خشية الله في قلوبها . وتحذيرها من عذابه الشديد على اقتراف الكبائر . وترغيبها إلى الأعمال الصالحة ومكارم الأخلاق . ونؤمن بأن آيات الله وأحاديث رسوله التى بدلت العرب ظهرا لبطن إلى ما قبل أربعة عشر قرنا تستطيع أن

وهو علم بذات الصدور .

هذا وغيره من التوجيهات الربانية الصافية إذا قدمتم للناس وغرستم في قلوبهم ترون بأمر أعينكم كيف ينشأ الوعي السليم في عامة السكان رويدا رويدا وكيف تنتعش فيهم المعنوية والإحساس النبيل .

وإذا علم الناس ، بعد ذلك بأنهم مدعوون من الله ورسوله إلى أن يقيموا في الأرض النظام الإسلامى فلا بد من أن يبحثوا عن الذين يصلحون لهذه المهمة الجليلة ويتخبوهم ولا يقعوا في مصائد الدجالين الكذابين .

وعامة الناس يعرفون : إلى أى طبيب يذهب أحدهم إذا مرض ، أو إلى أى محام يذهب إذا أقيمت عليه القضية في المحكمة . وعلى غرار ذلك إذا أنشأتم فيهم شعوراً صحيحاً بالإسلام وفهما سليماً عنه لاجرم أنهم يعرفون بأنفسهم بعد ذلك : أى المرشحين في الانتخابات يصلح لاقامة النظام الإسلامى إذا نجح في الانتخابات . ونفرض أنهم يخططون في انتخابات المرشحين الصالحين في معركة انتخابية . ولكنهم سوف لا يقعون في نفس الخطأ في المعركة الأخرى إذا استمرت جهود نشر الوعي الإسلامى بينهم على قدم وساق . ويبقى باب توجيه النقد مفتوحاً على ما يعمله

الحكام من أعمال منحرفة عن الإسلام ، بأسلوب علمى ومعقول . ونفرض أن ينجح في الانتخابات أناس سيئون ويتولون أزمة الأمور ، ويحكمون بما يشاءون . ثم يحاولون تزوير الانتخاب القادم فإنهم إذا فعلوا ذلك سوف يواجهون بإذن الله نفس الحركة الشعبية التى اطاحت بحكم بوتو ذلك الدكتاتور الظالم الفتاك .

وهناك أساليب أخرى لتبصير الجماهير بالإسلام ومقتضياته ، علينا أن نعتنى بها بصفة خاصة . فثلاً في بلادنا عدد كبير من الاتحادات العمالية . فعلياً أن نبث بين العمال أفكاراً توضح أن النظام الذى ينصف العامل هو الإسلام وليس الاشتراكية . ولعلاج لمشكلاته إلا فى إتباع الإسلام . أما الاشتراكية فهى لم تنصف العمال في الماضى ولن تنصفهم في المستقبل . ومن الأفضل أن يتولى مهمة نشر الوعي الإسلامى بين العمال شباب درسوا جيداً الانظمة الاشتراكية والشيوعية وأوضاع الدول الشيوعية ، الاشتراكية . وذلك بدلائل قاطعة وأمثلة واقعية لا قبل لأحد انكارها . وهكذا نستطيع أن نحول الحركات العمالية بالتدريج إلى الحركات الإسلامية . ونستطيع أن نوجد في العمال شعوراً صافياً يستطيعون بفضل معرفته

أهل الدين والصلاح والتقوى فى الانتخابات بقدر ماتتقدم خطواتنا إلى النظام المثالى الذى شهده عصر الخلافة الراشدة .

قادتهم جيداً . هل هم أتباع ماركس ولينين أم أتباع الله ورسوله ، ثم يترك لهم : هل هم يحبون أن يبعثوا يوم القيامة تحت لواء ماركس ولينين أو تحت لواء رسول رب العالمين . .

السؤال :

ياصاحب الساحة ! هناك ينشأ سؤال آخر ، وهو : « قد تفضلتم وقلمتم إنه يجب أن يقام النظام الإسلامى بالتدريج ، بل سوف يقام هذا النظام بالمراحل التدريجية » وهل معنى ذلك أن القوانين السائدة والقوانين التى وضعت تحت النظام الديمقراطى الغربى لاتزال تسود خلال مرحلة التغير التدريجية ؟ فهل لأمرين متناقضين أن يتواكبا جنباً مع جنب ؟

الجواب :

لامناص لنا من أن نبدل نظام الحياة الذى ساوره الفساد ودخله التخريب منذ عهود طويلة بالتدريج . ولا يمكن أن نستبدل النظام التربوى الإسلامى الذى وضعه الإنكليز بالنظام التربوى الإسلامى بلمحة من البصر . وكذلك أوضاع الناس الخلقية التى تردت إلى الانحطاط والتدهور فى سنين طويلة بالأفلام السينمائية الماجنة والصور القبيحة والأغاني الخليعة الرائجة

وللفلاحين أيضاً مسائل ومشاكل . فعليكم أن تبينوا لهم أن ليست لها حلول عادلة إلا فى الإسلام . ولما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة المنورة وجد أهلها من الأنصار يمارسون الزراعة . وكان قبل الإسلام نزاعات كثيرة بين أصحاب الأراضى وبين المزارعين . كما أن الذين كانوا يأتون بالغلات من القرى إلى المدينة كان التجار والسياسة يغشونهم أفحش الغش ويستغلونهم أسوأ الاستغلال فأصلح النبى ﷺ كل هذه المفاصد بحكمة ، وأقام المعاملات التجارية على العدل والقسط . ولكم أن تراجعوا لمعرفة كل ذلك كتب الحديث والفقه ، وتستطيعون أن توضحوا كل ذلك للفلاحين وتقنعوهم على أن هذه المسائل التى هم يرحزون تحت وطأتها كان الإسلام قد قدم لها حلاً سليماً فيما مضى وهو الذى يستطيع أن يحلها اليوم ولاغير .

وبقدر ما يتم عمل التوعية والتوجيه بقدر ماتحسن الظروف وتهيأ الجو لظهور نتائج الانتخاب الصحيحة . وبقدر مايفوز

والمرافعات بدلا من القوانين غير الإسلامية يقتنع الناس من تلقاء أنفسهم بأن هذا البلد لن يسوده نظام الكفر في المستقبل بل تحم عليه نظام الإسلام . فهذا الإجراء نفسه سوف يشكل حلقة رئيسية من حلقات تبديل أذهان الناس واتجاهاتهم . الأمر الذى يساعدنا على توطيد دعائم النظام الإسلامى .

ولكم أن تقدروا صحة ماقلت من خلال تاريخنا . إن الإنكليز لما ألغوا قوانيننا السائدة فى تلك الأيام ، واستبدلوها بقوانينهم ، وجاء قضاتهم فى المحاكم الابتدائية والمحاكم العليا يحكمون الناس بموجب تلك القوانين الاستعمارية ظلت مقاييس إلقوم واتجاهاتهم تتغير وتأخذ فى التقلب . فأصبح الحرام حلالا والحلال حراما لديهم . والأمور التى اعتبرتها القوانين الإنكليزية مشروعة فيما يتعلق بالأخلاق أو الاقتصاد أو الاجتماع أوغير ذلك من شعب الحياة راجت فى حياتنا الاجتماعية ولوكانت هى منكرات وقبائح من وجهة الإسلام . بل أصبحنا نحن المسلمين أنفسنا نصف قوانيننا بالرجعية والتخلف . حيث قد غرس فى قلوبنا بأن قانون الإسلام لايتجاوز شؤون النكاح والطلاق والإرث التى سميت بالأحوال الشخصية ولايصلح

ليلا ونهارا والمجتمعات المختلطة بين النساء والرجال ومناولة الخمر وممارسة القمار وما إلى ذلك من أعمال السوء والأنشطة المحرمة ، لايمكن تبديل أخلاق الناس وعاداتهم بعد كل ذلك بين عشية وضحاها . ولكن مع هذا وذاك علينا أن نبدأ من يومنا هذا فى بذل الجهود واستنفاد المساعى لتبديل الأوضاع وإصلاح المفاسد . ولايجوز لنا التأخير فى إزالة كل منكر من المنكرات يمكن لنا أن نزيله بأسرع خطوة وأقرب فرصة . ونفس الأسلوب نختاره فيما يتعلق بالأنظمة والقوانين . فعلىنا أن نلغى من قوانين عهد الكفر والأنظمة التى تخالف الإسلام مانقدر على إلغائه على فوره بدون ماتأخير أو تلكؤ ، ثم بقدر مانقدر على تنفيذ القوانين والشرائع الإسلامية لانؤجل تنفيذها ولاليوم واحد . إذ أن الحكومة التى تؤمن بالإسلام بكل إخلاص وصدق والتى تستهدف إقامة الإسلام فى الحياة الواقعية هى مدعوة إلى إدخال الإصلاحات الجذرية فى جميع الدوائر والشعب ، ومن الخطأ القول بأن لاتنفذ القوانين الإسلامية مادامت لاتستكمل الإصلاحات . وما لانشك فيه أن قضاتنا فى المحاكم إذا شرعوا فى تحكيم القوانين الإسلامية فى القضايا والتراعات

ذلك من الأساليب والمكايد والمصايد
لأجل السيطرة على رقاب الناس ، فعليكم
أن تغيروا كل ذلك رأساً على عقب .
وامنعوا استخدام الأساليب غير المشروعة في
الحملة الانتخابية ودعوا الناس ينتخبون من
يريدون بكل حرية وبدافع من ضميرهم
وإيمانهم . وثقوا بعد ذلك أن تحسين النظام
الانتخابى سوف يحسن الجوانب العديدة
من الحياة حيث يتعذر بذلك على رجال
سيئين فوزهم في الانتخاب والوصول إلى
الحكم . كما تتقوى بذلك نسبة نجاح
الصالحين فيه ..

السؤال :

تملك طائفة من الوسائل والأساليب
لتبليغ الإسلام وترويجه وماذا علينا المزيد في
هذا المجال ؟

الجواب :

كتبت من هذا الشأن الشيء الكثير في
مؤلفاتى ومن الصعب على فى الوقت الحاضر
أن أكرر المكتوب .

السؤال :

ياصاحب السباحة ! نرجو أن تفضلوا
بتوجيهنا إلى ماهو المطلوب من إذاعة

لتسيير الشؤون الدينية الأخرى .
ولكن اليوم إذا أصبح الناس يرون بأمر
أعينهم أن القوانين الإسلامية هى التى تحكم
البلد وتقرر مصيرهم فى المحاكم فلاجرم أن
التاريخ يعيد نفسه وتبتد سيطرة القوانين
الإنكليزية على الأذهان . وعلى هذا ليس
من الصحيح أبدا أن نتفكر فى أننا ندخل
الإصلاحات الإسلامية فى شعبة واحدة
أوفى بعض الشعب بينما تبقى الشعب
الأخرى تسير بموجب القوانين القديمة ،
هذا الترقيع لاينفع أبدا .
خذوا مثلاً موضوع الانتخاب .

إن الانتخاب فيما يبدو يعتبر شعبة
واحدة من شعب الحياة . ولكن إصلاح
هذه الشعبة يؤثر أثراً كبيراً فى سائر شعب
الحياة . إن طريقة الانتخاب التى راجت
ولاتزال فى بلادنا هى تلخص فى أن
المرشح لامانع له من أن يبذل للجهاير
الوعود الكاذبة الخادعة ، ومن ذرّ الرماد
فى عيونها ، واستغلال مواطن الضعف
فيها ، وشراء ذمهما بالمال ، وممارسة
جميع أنواع الضغط لأجل الحصول على
الأصوات ، وتجريح المنافسين بأسوأ التهم
ووصفهم . بأشنع الصفات ، ونشر
العصبيات القبلية والإقليمية بكل وقاحة ،
وإثارة الفتن والتراعات الطائفية ، وما إلى

باكستان لأجل تحقيق هذه الغاية في الوقت الحاضر؟

الجواب :

من الضروري جداً لاستخدام إذاعة باكستان في نشر الإسلام وترويجه البحث عن أشخاص أكفاء يختارون موضوعاً من مواضيع الإسلام ويدرسونه دراسة عميقة ثم يأتون بالإذاعة ويلقون منها ذلك الموضوع . فمثلاً يجب أن يكون هناك مجموعة من الأشخاص الذين تختارونهم بكل دقة وحذر يتولون شرح العقائد الإسلامية وغرس كل ناحية من نواحيها في أذهان الناس بكل جدارة ، وإذا جاء شخص واحد فقط يتولى هذا الموضوع يمل منه المستمعون وتتضجر نفوسهم ولكن إذا كان هناك طائفة متنوعة من العلماء والخبراء يتكلم كل واحد منهم على طريقته ويناقش الموضوع على سليقته فمن المؤكد أن يستمع الناس إليهم بكل رغبة وشوق وانتظار ، فأول عمل أساسي في هذا الصدد هو غرس العقائد الإسلامية الصحيحة في أذهان الناس وتثبيتهم على الإيمان بها والعض عليها بالنواجذ . هذا العمل الأساسي هو الذي يغير ما بأنفسهم ، وهو الذي يجلبهم إلى معرفة حقائق الإسلام والاستمسك بها .

وهكذا يجب اختيار مجموعة أخرى من الناس يصلحون ثقافة وأسلوباً للإلقاء الأحاديث والكلمات والدراسات عن أهمية العبادة في الإسلام ، وفوائدها في الدين والدنيا ، وأضرار تركها في الدنيا والآخرة . ويتبعها طائفة ثالثة من أهل العلم والدعوة لعرض مبادئ الإسلام الخلقية وأحكام الإسلام وتعاليمه على الناس . ويتولى جماعة رابعة من المصلحين الاجتماعيين توجيه النقد إلى المنكرات والفواحش المنتشرة في المجتمع بأسلوب بليغ حكيم يستشعر به كل فرد من أفراد المجتمع بفداحة الأوساخ الخلقية التي يتدنس بها ليل نهار .

وكذلك ينبغي أن ينهض جماعة من أهل العلم بصفة خاصة ليتناولوا الكبائر واحدة واحدة ويركزوا عليها مرة بعد أخرى ويشرحوا للناس مضارها ، ويثيروا في قلوب الناس الإحساس القوي بأن الكبائر كيف تفسد عليهم الدنيا والآخرة وكيف تدفع مرتكبيها إلى العذاب المهيمن يوم القيامة . فمثلاً يأخذون موضوع قتل الإنسان . ويعدون للناس نتائج القبيحة ، ويوضحون لهم بأن القاتل الذي يقتل مثلاً عشرة أشخاص في الدنيا لا يستطيع القضاء في الدنيا أن يعاقبه إلا بعقاب واحد وهو الإعدام . أما عقاب قتل البقية من المقتولين

بالطلب وبدون الطلب ، إذا أصبحت نفس الجماهير لاتستمع من الراديو إلا أحاديث الدين بلغة سهلة وبأسلوب رائع فلا تتوقع منها فى المستقبل أن تغلق الراديو بمجرد أن يقارع آذانها حديث عن الله ورسوله ﷺ .

وأقترح أن تبدأوا فى صدد البرامج الدينية من الحكايات والوقائع الصحيحة من عهد الرسالة وعهد الخلافة الراشدة وعهد الصحابة ، وكذلك حكايات وسير الأسلاف الصالحين التى تأخذ بمجامع الجماهير ، وبتبعها البيان بعقائد الإسلام وبمبادئ الأخلاق ، وهكذا تستطيعون رويدا رويدا أن تشوقوها للاستماع إلى التعاليم الإسلامية وإدراك معانيها وفهم مقتضياتها .

ولا تجدون ولا شخصاً واحداً من هؤلاء القرويين البسطاء يخلو من حبه العميق للرسول ﷺ وتفدية نفسه له ، وتستطيعون أن تقولوا لهم : يا مسلمين ! إن الرسول ﷺ الذى تحبونه هذا الحب العميق عليكم أن تتبعوه كذلك وتعصوا على أحكامه بالنواجز ، وكذلك هل من مسلم من عامة الجماهير لا يؤمن بالبعث بعد الموت . فعليكم أن تشرحوا لهم من إذاعتكم ماذا سيواجهونه بعد الموت .

التسعة فلا ينال العقاب عليه فى هذه الدنيا . وإنما المحكمة الإلهية يوم القيامة هى التى نعاقبه على ذلك بعقاب يتناسب مع فداحة الجريمة . لأن القضاء البشرى لا يتناول إلا فعل القتل . وعليه يعاقب المجرم بإعدامه فقط . ولكن الخسائر والأضرار التى سوف تترتب من ذلك الفعل على أسرة القتل وأجياله القادمة لاتستطيع محكمة من محاكم الدنيا إدراك نوعية تلك الخسائر والأضرار ومدى استمرارها إلى الأجيال المتلاحقة . والله سبحانه وتعالى هو الذى يعرف ذلك بعلمه المحيط وإحاطته بكل شىء فى السموات والأرض بكل ما تقدم وتأخر . وسوف يعطى للمجرم جزاءه الأوفى على فعله بكل آثاره ونتائجه .

وأرى أن إذاعة باكستان إذا استمرت فى نشر حلقات متسلسلة مما أشرت إليه من المواضيع بواسطة رجال أكفاء بمارسون الأسلوب البليغ الأخاذ فى أحاديثهم يحدث خلال ستة أشهر فقط تغيير كبير فى أفكار الناس وعاداتهم . إذ أن الأجهزة الإذاعية وسيلة فعالة لتوعية الجماهير . والجماهير مولعة بها لحد أن الفلاح - مثلاً - لا يحب حراثة أرضه إلا ويصعبه جهاز الترانزستور ، وبما أن الجماهير لاتستمع اليوم من الراديو إلا أغانى السيدات بل أغانى الأفلام الماجنة

الجواب :

أقول : إن معظم برامج الإذاعة تتضمن الأغاني والموسيقى . وشيئا يسيرا عن الدين ومقتضياته وأخلاقه . وعلى هذا من اللازم أن تقللوا من القسم الأول من البرامج شيئا فشيئا وأن تزيدوا في القسم الثاني منها ، وإذا أفهمتم الناس دينهم ومسؤولياتهم تجاهه جيدا بنصاعة البيان وروعة الأسلوب لا يبق الناس متعودين على الأغاني والمزامير ، وإذا حاولوا أن يسمعوها من الإذاعات الخارجية فإن ضميرهم الحى سوف ينبههم على ذلك المنكر ويستشعرون بدون ماتأخير بأنهم سوف يحاسبون على ذلك يوم القيامة حيث تشهد عليهم آذانهم بما سمعوا بها وتشهد عليهم ألسنتهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين . .

خذوا جميع المعلومات عن كل ذلك من كتاب الله وسنة رسوله . وليس من المستبعد أن عامة الناس إذا سمعوا النتائج التى سوف تترتب على أعمالهم التى عملوها فى الدنيا بعد انتقائهم من الدار الفانية إلى الدار الباقية ترتعد له فرائصهم وتقشعر له جلودهم . بل إنهم إذا سمعوا ماذا يجرى على الإنسان السيئ فى القبر من عذاب وحساب تنفتت أكبادهم وتذوب قلوبهم من كمد .

السؤال :

ياصاحب السماحة ! نحن فعلا ننشر من الإذاعة البرامج الخاصة بالفلاحين والمزارعين والعمال والكادحين والنساء والأطفال ، فلاننشر لهم منها الأغاني ولهو الحديث فقط ومن الجائز ألا تكون تلك البرامج على مايرام ؟

قرب العبد من ربه

قال الله تعالى : (فاسجد واقترب) وقال ﷺ : « أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد فادعوا ربكم فى سجودكم » وقال ابن عباس رضى الله عنهما :
أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا سأله وأبعد ما يكون من الناس إذا سألهم .

تقنين الشريعة الإسلامية

الأستاذ / محمد عطية ضحيس

ورأى آخر يقول : لسنا في حاجة إلى مثل هذه التقنيات ، وأحكام الشريعة مدونة في كتب الشريعة والفقه ، ولا حاجة بنا إلى إضاعة الوقت في صياغتها من جديد وتقنيها في مواد . . فالمصادر الأصلية للشريعة بأسفارها ومتونها وشروحها ، موجودة بين أيدينا ، ويمكن الرجوع إليها مباشرة .

الشريعة والفقه والقانون :

ولكى نرجح أحد الرأيين على الآخر ، يتعين أولا أن نحدد مدلول كل اصطلاح من الاصطلاحات الثلاثة : الشريعة . . والفقه . . والقانون .

والشريعة : كما عرفها التهانوي محمد على في «كشاف اصطلاحات الفنون» - هي مجموعة الأحكام التي سنّها الله للناس جميعا على لسان رسوله محمد ﷺ في الكتاب والسنة .

أما الفقه - كما عرفه السيد الشريف

منذ رحل الاستعمار العسكري عن بلاد المسلمين في العقدين السابقين ، والشعوب الإسلامية تلح في وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية لاستكمال تحررها تشريعا واجتماعيا واقتصاديا ، فتعود لها أصالتها ، وشخصيتها الإسلامية الممتازة . إذ لا معنى لهذا التحرر العسكري ، ولا تزال نظم المستعمرين القانونية والاقتصادية والاجتماعية قائمة ! بعد أن قضوا على كل نظمنا الإسلامية .

وأول سؤال يتبادر إلى الأذهان : كيف نحل الشريعة محل القوانين الوضعية ؟ وكيف نطبق أحكامها ؟

رأى يقول : يجب أن نسارع إلى تقنين الشريعة الغراء بصياغة أحكامها في مواد قانونية ، وجمع هذه المواد وترتيبها وتنسيقها في مجموعات مختلفة :

معاملات وحدود ، وأحوال شخصية . . ليسهل على القضاة ورجال القانون تطبيقها والعمل بها .

لعلهم يحذرون) . . وقال ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » .
ولذا ظهر الفقه والفقهاء في المرحلة التالية لظهور الشريعة . ولكن الفقهاء اختلفوا في كثير من الأحكام الجزئية التفصيلية . ويرجع خلافهم إجمالا إلى :
١ - أن القرآن الكريم ، ولو أنه كله قطعى الثبوت ، إلا أن كثيرا من نصوصه ظنية الدلالة ، لاحتمالها أكثر من وجه من وجوه التفسير .

٢ - السنة باعتبارها المصدر الثاني للشريعة لم تكن جميع نصوصها مجموعة ومدونة ، ليتيسر التعرف عليها ، عند الصحابة والتابعين والفقهاء . هذا علاوة على أن الكثير منها ظنى الدلالة .

٣ - لم يتفق الفقهاء على طريق استنباط الأحكام ، فيما ليس فيه نص صريح في الكتاب أو السنة . لأن الناس - وتلك سنة الله في خلقه - ينظرون إلى الأمور الاعتبارية من زوايا مختلفة . هذا إلى اختلافهم في فهم النصوص ، ووصول الحديث إلى علم البعض دون البعض ، والاختلاف في الحكم على الحديث بالصحة والضعف ، والاختلاف في الأخذ بالقياس ، وفي مدى العمل به ، والاختلاف في المصادر النظرية الأخرى -

الرجحاني في « التعريف » - فهو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من أدلتها التفصيلية . وطريق الفقه الاجتهادى والاستنباط والنظر والاستدلال .

أما التقنين فهو جمع أكثر القواعد الخاصة بفرع من فروع القانون في مدونة واحدة مرتبة ومبوية . والتقنين مأخوذ من كلمة القانون ، وهو مجموعة قواعد تنظم سلوك الأفراد في مجتمع ، يلزم بها أفرادها ، ويقرنها بجزاء يوقع جبرا على من يخالفها . فالشريعة أعم ، والفقه أخص . ونسبة الفقه إلى الشريعة كنسبة النوع إلى الجنس . والقانون الإسلامى هو مجموعة القواعد المختارة من الفقه الإسلامى ، لتنظيم سلوك الأفراد في المجتمع المسلم ، وإلزامهم بها . وقد قرنت بجزاء يوقع جبرا على من يخالفها .

اختلاف الفقهاء وأسبابه :

والشريعة كتابا وسنة - تحتاج إلى فقهاء يفهمونها ، ويعلمون جميع أحكامها ، ولهم ملكة خاصة وقدرة على استنباط أحكامها الشرعية ، من أدلتها التفصيلية . (وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم

الفقهية الجماعية ، التي أرسى قواعدها وأوضح ضوابطها الأئمة الأجلاء الأعلام ، الذين نسبت إليهم المذاهب العظيمة . واشتد الخلاف بينهم حتى أن المسألة الواحدة قد تصل إلى ثمانية آراء أو أكثر . وكان يتعين أن يحىء تقنين الشريعة لاحقا لظهور الفقه ونضوجه . كان هذا أمرا لابد منه في أحكام القضاء لرفع الخلاف ، بعد أن اختلف الفقهاء والقضاة . في وجهات نظرهم .

فكرة عبد الله بن المقفع :

وقد بدأ التفكير فعلا في وضع قانون عام لجميع الأمصار ، يؤخذ من الكتاب والسنة وعند عدم النص يؤخذ من الرأي على ما يقتضيه العدل ومصلحة الأمة ، وذلك لما لوحظ من تباين الآراء ، واختلاف الحكم في المسألة الواحدة . وكان أول من فكر في هذا عبد الله بن المقفع في رسالة كتبها إلى الخليفة أبي جعفر المنصور جاء فيها :

« مما ينظر فيه أمير المؤمنين من أمر هذين المصرين وغيرهما من الأمصار والنواحي اختلاف هذه الأحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلافها أمرا عظيما . فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الأقضية والسير

كالاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع وقول الصحابي ، واختلاف المصلحة بتغير الظروف والملابسات .

وهذا الاختلاف بين الفقهاء ، لا ينال من الفقه على الإطلاق ، لأنه ظاهرة صحية بل هو عين الرحمة بالناس . ولذا قيل « اختلاف الأئمة رحمة » فاختلافهم كان يدور بين العزيمة والرخصة ، وبين موجب التقوى وموجب الفتوى . ومن حق الأفراد - حين تختلف الآراء في المسألة الواحدة - أن يعملوا بالرأى الذى ينجح إلى التيسير ، ومن حقهم أن يدعوه .

لا غنى عن الفقه :

والفقه وثيق الصلة بالشريعة ، ولا نستطيع أن نستغنى عنه في تعرفها وتعرف أحكامها . لذلك كثيرا ما تطلق كلمة « الشريعة » ولا يراد منها إلا الفقه ، وهو من باب الإطلاق العام وإرادة الخاص . أى أن إطلاق الشريعة على الفقه ، إطلاق مجازى متعارف عليه .

لماذا يتعين التقنين :

ولقد نما الفقه الإسلامى وتطور ، حتى وصل إلى ذروة مجده ، وقمة عظمته في بداية الدولة العباسية ، وظهرت المذاهب

والصحابة رضى الله عنهم ، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك ، ونبها في الأمصار ، ونعهد إليهم ألا يخالفوها ولا يقضوا بسواها .

فقال له الإمام مالك : أصلح الله الأمير ، إن أهل العراق لا يرضون علمنا ، ولا يرون في علمهم رأينا .

فقال أبو جعفر : يحملون عليه ، وتضرب عليه هاماتهم بالسيف ، وتقطع ظهورهم بالسياط . فتعجل بذلك ، وضعها ، فسيأتيك محمد ابني المهدي العام القابل إن شاء الله إلى المدينة ليسمعها منك ، فيجداك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله .

وذكروا أن أبا جعفر المنصور هو الذى خطط للإمام مالك كيف يكتب ويدون ويوب كته . وذكروا أن الإمام مالكا لما أخذ فى تدوين كته ووضع علمه قدم عليه المهدي ، فسأله عما صنع فيما أمره به أبو جعفر ، فأثاه بالكتاب ، وهو كتاب الموطأ وقد أبدى الخليفة أبو جعفر المنصور رغبته فى أن تلتزم الدولة بأحكام الموطأ ، ويلزم الناس باتباعها . فأبى عليه مالك ذلك ، لما فيه من التزام مالم يقطع بصوابه ، وذلك غير مستساغ فلما ولى الخلافة هارون الرشيد ، عرض الفكرة مرة

المختلفة ، فترفع إليه فى كتاب ، ويرفع معها ما يحتاج به كل قوم من سنة أو قياس ، ثم نظر أمير المؤمنين فى ذلك ، وأمضى فى كل قضية رأيه ونهى عن القضاء بخلافه ، فكتب بذلك كتابا جامعا ، رجونا أن يجعل الله هذه الأحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكما واحدا صوابا .

محاولة المنصور مع الإمام مالك :

ويمكن القول إن هذه أول فكرة أو محاولة للتقنين الإسلامى . ويبدو أن هذه الفكرة قد راقى فى نفس أبى جعفر المنصور ، حتى إنه لما حج فى عام ١٤٨ هـ قابل الإمام مالك - إمام دار الهجرة - وطلب منه أن يحمل الناس على مذهبه ، ولكن الإمام مالكا رضى الله عنه رفض قائلا : « إن لكل قوم سلفا وأئمة » .

وفى سنة ١٦٣ هـ ذهب الخليفة أبو جعفر المنصور ، لأداء فريضة الحج ، وقابل الإمام مالكا فى منى ، وأعاد عليه الفكرة مرة أخرى قائلا :

- يا أبا عبد الله ، ضع هذا العلم ودونه ، ودون منه كتبا ، وتجنب شذائد عبد الله بن عمر ، ورخص عبد الله بن عباس ، وشواذ ابن مسعود ، واقصد إلى أواسط الأمور ، وما اجتمع عليه الأئمة

وللشيخ أحمد زروق وهو من علماء المالكية - كتاب قواعد التصوف ، وقد جمع فيه قواعد التصوف المستمدة من أحكام الشريعة ، ونظمها ورتبها في فصول وأبواب ، وجعل لكل قاعدة رقما . وللإمام جمال الدين محمد أبي المواهب الشاذلي كتاب أسماه « قوانين حكم الإشراف إلى كافة الصوفية بجميع الآفاق » .

وإن كانت كلمة القانون معروفة عند العرب ، إلا أن اصطلاح التقنين حديث نسبيا في اللغة العربية ، وكما يطلق على عملية التجميع نفسها ، يطلق أيضا على المدونة الشاملة المتعلقة بفرع من فروع القانون ، فيقال التقنين المدني ، والتقنين التجاري . . إلخ . وكان الاصطلاح السائد قبل ذلك بالنسبة للمدونة نفسها هو « المجموعة » فكان يقال « المجموعة المدنية » ويقترح الجمع اللغوي تسميتها « المدونة » . وعلى العموم . فهذه كلها اصطلاحات فقهية .

أمثلة من الخلافات الفقهية :

وبالرغم من أن كلمة القانون كانت معروفة ، إلا أن الخلفاء الذين جاءوا بعد أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد لم يفكروا في القانون الإسلامي . فالقانون عندهم هو

أخرى على الإمام مالك ، ولكنه - رضى الله عنه - أبى وقال :

« إن أصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع ، وتفرقوا في البلدان وكل مصيب » وهكذا بقيت فكرة جمع الناس حول أحكام واحدة ، وبالتالي بقيت فكرة التقنين معطلة بلا تنفيذ ولا شك أن المصلحة كانت تقتضى - في مجال الحكم والقضاء - اختيار القواعد التي يحمل الناس عليها ، ويلتزم بها القضاء ، رفعا للخلافات ، ومنعا للبلبل ، وتيسيرا على الناس .

والتقنين لا يخالف الشريعة ، ولا يخرج عنها ، ما دام الأمر فيه يقتصر على تجميع الأحكام المختارة ، وترتيبها وتنظيمها ، وحسن صياغتها بأسلوب ميسر ، لا يخرج عن اصطلاحات الفقه وأحكامه ، المستمدة من الشريعة الغراء .

العرب عرفوا القانون :

ولفظ القانون ليس غريبا على الفقه الإسلامي ورجاله ، فقد عرفه الكثيرون من الفقهاء والأئمة ، وبخاصة فقهاء المالكية . فالقانون عندهم هو وضع قاعدة كلية لمسائل فرعية مختلفة ، ومن كتب المالكية كتاب « القوانين الفقهية » لابن جزى .

التأخرة ، لم يفكروا في هذا ، ولم يكن عجبا أن يأتي الخليفة ، ويحلل للقضاء أربعة قضاة : قاض شافعي وآخر حنفي وثالث مالكي ، ورابع حنبلي . ويختار المدعى القاضى الذى يتفق مذهبه مع مصلحته . .

وأحيانا كان الخليفة يختار مذهبا معينا بأكمله للقضاء حسب أحكامه ، فيصبح المذهب بأصوله وفروعه ، وبكل ما فيه من آراء عديدة متباينة هو القانون .

مجلة الأحكام العدلية :

وهذه البلبلة والخلافات ، هى التى دعت دولة الخلافة العثمانية فى أواخر أيامها إلى التفكير فى إصدار مجلة الأحكام العدلية فى سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٥ م) . . وأمرت بالعمل بها فى تركيا والدول التى تدور فى فلكها فى ٢٦ شعبان ١٢٩٣ هـ .

وتعتبر مجلة الأحكام العدلية للتقنين الرائد فى التشريع الإسلامى . وتعتبر أفضل عمل تشريعى تعتر وتفتخر به دولة الخلافة العثمانية .

ومجلة الأحكام العدلية مقصورة على تقنين المعاملات حسب المذهب الحنفى دون التقيد بالرأى الراجح ، مع مراعاة الأخذ

الشريعة ، والشريعة هى فقه العلماء جملة ، بما فيه من أحكام متباينة ، وآراء عديدة يخالف بعضها بعضا ، لا بين المذاهب فحسب ، ولكن بين فقهاء المذهب الواحد أحيانا . مثلا بيع الديون . . يبطله الشافعى والحنفى والمالكي ، لأنهم يرون فيه شرطين فاسدين ، أحدهما الهبة ، وثانيهما شرط الرد للمبيع على تقدير ألا يرضى ، بينما يحيز الختابة هذا البيع .

ومثلا : بيع الهازل هل ينعقد أو لا ينعقد ؟ يقول الشافعية فيه وجهان وجه ينعقد لأن الهازل يفهم مدلول البيع ، ولا عبرة بهزله ، والوجه الثانى لا ينعقد ، والأصح الوجه الأول :

بليلة الأحكام لعدم التقنين :

ومن هذا يتضح أن الأخذ بالمذهب بأكمله دون تحديد للرأى الذى يعمل به يترتب عليه اختلاف الأحكام وتباينها ، ويحدث هذا بليلة بين الناس والخصوم . ويتعين على الإمام أن يرفع هذه البلبلة وهذا الخلاف ، بقانون يختار فيه الرأى الذى ينفذ على الناس .

ولكن حكام المسلمين فى العصور

التي طالما نوه بها الشيخ محمد على علوبة باشا في البرلمان المصري ، والتي أخذت بها الثورة المصرية فيما بعد في سنة ١٩٥٢ . وكان محمد على باشا قد طلب من الشيخ محمد الجزائري أن يقنن الشريعة الإسلامية تقنيًا غير مقيد بمذهب معين . وأخذ المفتي المذكور في مباشرة مهمته ولكن كان هذا في أواخر عهد محمد على باشا ، ولم يستمر مشروعه بعده^(١)

محاولة قدرى باشا :

ولما كانت الثورة العرابية في سنة ١٨٨١ ، أسند الخديوى توفيق رئاسة الوزارة إلى شريف باشا ، الذي اختار ناظرًا (وزيرًا) للحقانية الفقيه الشرعى والفقيه الصليح محمد قدرى باشا المستشار بمحكمة استئناف مصر المختلطة . وشكل قدرى باشا لجنة من كبار رجال القانون لوضع تقنين مدنى مطابق للشريعة الغراء . ولكن للأسف الشديد لم تتم هذه اللجنة عملها ، فقد أسقط العرابيون وزارة شريف باشا في ٤ فبراير ١٨٨٢ لخلاف دستورى دب بينهم .

(١) راجع العدد الخاص من مجلة المحاماة في مارس ١٩٤٨ نقد مشروع القانون المدنى المقدم من المرحوم محمد بك صادق فهمى المستشار بمحكمة النقض وزملائه من المستشارين وعدد من العلماء الأفاضل .

بالقول الموافق لصالح الناس في المذهب وإن كان خلاف ما جاء بظاهر الرواية . ثم والت دولة الخلافة بعد ذلك العمل في تقنين الشريعة ، فأصدرت عام ١٣٢٦ هـ قانون العائلات الذى يختص بالزواج والفرقة ، وقد أخذ في كثير من المسائل من غير المذهب الحنفى ، كفساد زواج المكره وبطلان طلاقه .

وقد نسف مصطفى كمال أتاتورك كل هذه الجهود ، حينما قام بحركته العلمانية فألغى الخلافة الإسلامية ، وفصل الدين عن الدولة ، واستبدل بالشريعة الإسلامية ومجمل الأحكام العدلية ، القانون السويسرى .

محاولة محمد على تقنين الشريعة :

وقد حاول محمد على باشا (والى مصر من قبل دولة الخلافة العثمانية) أن يقنن الشريعة الإسلامية في المعاملات ، قبل أن تفكر في هذا التقنين دولة الخلافة نفسها فأُسند في سنة ١٨٣١ م منصب الإفتاء في الإسكندرية إلى الشيخ محمد الجزائري مفتى الجزائر من قبل ، لما آس فيه من روح الاجتهاد .

فهذا المفتى هو الذى أفتى بجواز حل الأوقاف الأهلية ، تلك الفتوى المشهورة

عظمة هذا العمل ، أنه مجهود فردى ، ولو
في المظهر على الأقل .

تقنيات قدرى باشا :

ولكن إن كان عمل هذه اللجنة قد
توقف ، فقد قام قدرى باشا وحده بهذا
العمل الجليل . لقد قام بعمل ثلاثة تقنيات
إسلامية أخذها من المذهب الحنفى ،
مسترشداً في عمله هذا بمجلة الأحكام
العدلية . وقد عثر في تركته بعد وفاته على
هذه المجموعات الثلاث مخطوطة . . وهى :
الأولى : أسماها « مرشد الحيران إلى
معرفة أحوال الإنسان في المعاملات الشرعية
على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان »
وهذه المجموعة خاصة بالمعاملات وتكون
من ٩٤١ مادة . وقد طبعها الدولة على
نققتها في سنة ١٨٩٠ م .

والثانية : أسماها « كتاب العدل
والإنصاف في مشاكل الأوقاف » وهى كما
يبين من عنوانها خاصة بأحكام الوقف طبقاً
للمذهب الحنفى ، وتكون من ٦٤٦ مادة .
وقد طبعت في سنة ١٨٩٣ م .

والثالثة : خاصة بالأحوال
الشخصية ، وتكون من ٦٤٧ مادة .

وهذا العمل الذى قام به قدرى باشا
عمل إسلامى جليل دون شك ، أثبت به
إمكان تقنين الشريعة الإسلامية ، وبطلان
كل دعوى مضادة لفكرة تقنينها ، ومما يبرز

تقنيات الأحوال الشخصية في مصر :
ومنذ أول القرن العشرين الميلادى ،
بدأ يظهر اتجاه قوى نحو تقنين الشريعة
الإسلامية ، في دائرة الأحوال الشخصية ،
وشكلت لهذا الغرض لجنة من كبار الفقهاء
والمشرعين لوضع قانون الأحوال
الشخصية . وتم وضع مشروع له وطبع سنة
١٩١٦ ، ولكنه قوبل بمعارضة قوية
حالت بينه وبين صدوره ، واكتفى بمعالجة
بعض الأمور ، بقوانين لم تتقيد بالمذهب
الحنفى ، رعاية لمصالح الناس . فصدر
القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٠ بمسائل تتعلق
بالنفقة والتطليق والعدة . والقانون ٥٦ لسنة
١٩٢٣ بتحديد سن أدنى للزواج والقانون
٢٥ لسنة ١٩٢٩ ويتعلق بالطلاق والتطليق
للضرر ونفقة العدة والحضانة والمفقود ولم
يتقيد القانونان الأخيران بأحكام المذاهب
الأربعة .

ثم توسعت مصر في دائرة تقنين
الشريعة الإسلامية ، فأصدرت قانون
الموارث سنة ١٩٤٣ وقانون الوقف
والوصية في سنة ١٩٤٦ . واستمدت
أحكام الكثير من مواد هذين القانونين من

عبد الحلیم محمود - رحمه الله - وهو أمين عام مجمع البحوث الإسلامية إلى تنفيذ هذه التوصية فشكل لجنة من كبار خبراء الشريعة ورجال القانون في مصر لتضع خطة العمل ، وقدمت اللجنة اقتراحاتها ، واجتمعت لجنة البحوث الفقهية في المجمع ، واللجنة التي تم تشكيلها ، واستقر رأيهم في ١١ / ١٠ / ١٩٦٩ على السير في هذا المشروع على النحو التالي :

١ - تقنين المذاهب الفقهية التي يعمل بها في البلاد الإسلامية ، ويبدأ في المرحلة الحالية بتقنين المذاهب الأربعة لأهل السنة (الحنفية - الشافعية - المالكية - الحنابلة) . ويقنن كل مذهب على حدة ، وتصاغ أحكامه في مواد ، على أن يصاغ من كل مذهب الرأي الراجح فيه . وعلى أن تلحق كل مادة بمذكرة تفسيرية ، تذكر فيها الآراء الأخرى ، كما يذكر فيها الرأي الذي يرى أنه الأنسب للتطبيق في العصر الحاضر .

٢ - بعد الفراغ من تقنين كل مذهب على حدة ، يبدأ في العمل في وضع قانون مختار من بين المذاهب جميعا . وبذلك يمكن للمجمع أن يقدم لكل بيئة من البيئات الإسلامية التي ترتبط بمذهب معين قانونا إسلاميا يصور ذلك المذهب في

مختلف الآراء الفقهية ، دون تقييد بمذهب معين أو برأى معين .

توصية المؤتمر الرابع لمجمع البحوث :

وظل تقنين الشريعة الإسلامية في كافة فروعها حلما تصبو إليه الشعوب الإسلامية باعتبارها خطوة ضرورية وتمهيدية لتطبيقها . لهذا لم يكن بدعا أن يقرر مجمع البحوث الإسلامية في جلسته رقم ٢٧ في ٨ / ٣ / ١٩٦٧ أن من مهمة المجمع العمل على إيجاد مشروع قانون شامل للأحوال المدنية والجنائية وغيرها ، إذا ما تقرر في الدستور اتخاذ الشريعة الإسلامية أساسا للتقنين .

ثم أوصى المؤتمر الرابع للمجمع المنعقد في ٢٧ / ٩ / ١٩٦٨ بالتوصية التالية :

« يوصى المؤتمر بمجمع البحوث الإسلامية بتأليف لجنة من رجال الفقه الإسلامي والقانون الوضعي ، لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التي تيسر على المسؤولين في البلاد الإسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية في قوانين بلادها كقوانين العقوبات والقانون التجاري والقانون البحري وغيرها . .

جهود الدكتور عبد الحلیم محمود في التقنين :

وقد سارع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور

أمانة ، كما يمكنه أن يقدم قانونا إسلاميا مختارا من بين المذاهب المعمول بها ، ينى باحتياجات البيئات التى تطلبه .

ووافق مجلس المجمع فى جلسته رقم ٦٢ فى ٧ / ١ / ١٩٧٠ على الخطة المرحلية لتقنين الشريعة الإسلامية ، كما وردت فى خطة لجنة البحوث الفقهية على النحو المتقدم .

تقنينات الأزهر ومجمع البحوث :

وأصدر أمين مجمع البحوث الإسلامية فى ذلك الوقت - الدكتور عبد الحليم محمود رضى الله عنه - قراره بتشكيل أربع لجان ، كل لجنة تختص بتقنين مذهب معين ، وكل لجنة تجمع بين كبار العلماء المتخصصين فى المذهب ، وكبار المستشارين القانونيين والباحثين الشرعيين فى المذهب .

وبدأت اللجان بعد ذلك مباشرة فى مباشرة عملها ، مبتدئة بتقنين المعاملات وقد انتهت هذه اللجان جميعها - بحمد الله - بتقنين المعاملات على المذاهب الأربعة ، وتم طبع أجزاء منها .

ثم بدأت اللجان بعد ذلك مباشرة فى تقنين الحدود الشرعية ، وقد أوشكت جميعها على الانتهاء منها .

اللجنة العليا بالأزهر للتقنين :

ولم يكتف الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود - رضى الله عنه - بلجان المذاهب الأربعة فى التقنين ، ولكنه كان تواقا إلى خطوات أوسع ، فقد أصدر فضيلته بوصفه شيخ الأزهر القرار رقم ٣ لسنة ١٩٧٦ بتشكيل لجنة عليا لمراجعة التشريعات الوضعية وتعديلها بما يتفق مع المبادئ الأساسية للشريعة الإسلامية من عدد من العلماء الأجلاء والمستشارين القانونيين وقد توالى اجتماعات اللجنة ومناقشتها ، وانتهت إلى مشروع قانون الحدود الشرعية فى سنة ١٩٧٧ . وهذا المشروع لم يتقيد بمذهب معين .

تقنين الأزهر للأحوال الشخصية :

ولم تقف جهود الأزهر الشريف عند هذا الحد من تقنين المعاملات والحدود ولكن قام مجمع البحوث الإسلامية ، بمعاونة علماء لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، وبعض كبار رجال القانون ، بصياغة مشروع قانون للأحوال الشخصية فى الزواج والطلاق . وقد انتهى الأزهر من هذا المشروع فى أواخر سنة ١٩٧٦ .

الإسلامى والقانون الدستورى لتتولى هذه المهمة .

وفى ٢٧ / ١٢ / ١٩٧٧ و ٣ / ١ / ١٩٧٨ قررت هذه اللجنة العليا - تكوين لجنة فرعية تنبثق عن اللجنة العليا - لوضع الدراسة والبحوث ومشروع هذا الدستور ، على أن تقوم يعرض ما تنجزه من أعمال على اللجنة العليا .
وقد انتهت اللجنة الفرعية المذكورة من صياغة مشروع الدستور الإسلامى ، قبل وفاة الإمام الأكبر - رحمه الله - بثلاثة أيام .

تقنين الدكتور معتوق للحدود :

هذه هى صورة سريعة عن فكرة تقنين الشريعة الإسلامية ، وتاريخها والجهود التى بذلت بشأنها ، والدور الذى قام به الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية .

وليست هذه هى كل المحاولات والجهود التى قدمت فى السنوات الأخيرة لتقنين الشريعة الغراء . ولكن هناك جهودا أخرى مشكورة ، يجب أن تسجل .

فقد قام الدكتور إسماعيل معتوق - رحمه الله - حين كان عضوا بمجلس الشعب المصرى بتقديم مشروع قانون للحدود الإسلامية إلى المجلس المذكور .

مشروع الدستور الإسلامى :

وفى أكتوبر ١٩٧٧ انعقد المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية فى القاهرة وأوصى أن يقوم الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية بصفة خاصة ، بوضع دستور إسلامى ليكون تحت طلب أية دولة تريد أن تأخذ الشريعة الإسلامية منها لحياتها ، وطلب المؤتمر أن يؤخذ فى الاعتبار عند وضع هذا الدستور ، أن يعتمد على المبادئ المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية ، كلما أمكن هذا .

وتنفيذا لهذه التوصية ، قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية بجلسته المنعقدة فى ١١ من المحرم ١٣٩٨ هـ الموافق ٢١ من ديسمبر ١٩٧٧ م إسناد وضع هذا المشروع إلى لجنة البحوث الدستورية الإسلامية بالمجمع ، على أن يدعى لهذا الاجتماع الشخصيات التى يمكن أن تسهم فى وضع هذا المشروع .

وبناء على ذلك ، قام فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ورئيس المجمع - رحمه الله - بتكوين لجنة عليا ضمت بجانب السادة أعضاء لجنة البحوث الدستورية بالمجمع ، نخبة من كبار الشخصيات المشتغلين بالفقه

في هذا المضمار ، فقد أصدرت ليبيا عدة تقنيات إسلامية في باب الحدود . وهناك بلاد أخرى أنشأت لجانا لهذا الغرض ، وهي تبأشر عملها فعلا . .

وهذه البلاد هي : الأردن والسودان وباكستان وألمين وقطر . .

* * *

هذه الجهود كلها ، جهود طيبة مباركة ، تبشر بالخير ، وهي خطوات هامة جلية نحو تطبيق الشريعة الغراء في البلاد الإسلامية . فهذه المشروعات تقضى على كل حجة كان يرددها من قبل معوق تطبيق الشريعة ، حينما كانوا يتساءلون : أين مشروعات تقنين الشريعة الإسلامية التي تنادون بتطبيقها ؟

واليوم . . يقول الأزهر للمسؤولين في السلطين التشريعية والتنفيذية : ها هي ذى مشروعات تقنين الشريعة بين أيديكم . لقد أدينا واجبنا ، وعليكم أنتم اليوم أن تؤدوا واجبكم نحو ربكم ونحو شعوبكم . . فاصدقوا النية ، والله يوفقكم .

محمد عطية خميس

وقد اشترك في صياغة هذا لمشروع بعض رجال الشريعة والقانون ، ومن بينهم فضيلة الشيخ صلاح أبو إسماعيل .

تقنيات وزارة العدل للحدود :

كما أن وزير العدل المصرى الأسبق المستشار عادل يونس - رحمه الله - قد أصدر قرارا وزاريا بتشكيل لجنة من نخبة من المستشارين القانونيين وعلماء الشريعة ، برئاسة المستشار جمال المرصفاوى ، لوضع مشروع قانون الحدود الإسلام . وقد انتهت هذه اللجنة من مهمتها منذ أكثر من عامين .

جهود المجلس الأعلى للشئون الإسلامية :

كذلك انتهت لجان تقنين الشريعة الإسلامية في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف من إعداد تقنين مدنى إسلامى مستمد من المذاهب الإسلامية المختلفة وهو تحت الطبع .

جهود البلاد الإسلامية في التقنين :

ولم تقتصر جهود تقنين الشريعة الإسلامية على مصر وحدها ، ولكن هناك بلادا إسلامية أخرى بذلت جهودا مشكورة

صرخة في الله إلى علماء دين الله !!

الأستاذ / محمد زكي إبراهيم

أصابع الاستعمار والصهيونية :

لقد علم أعداء الإسلام - من قبل ومن بعد - أن هذا الدين متين ، فلن يستطيعوا تدميره من الخارج أبداً ، وبذلك شهدت التجارب القولية والعملية . على اختلاف أنواعها وألوانها ، وهانحن أولاء نرى غاراتهم الفكرية والعسكرية والأخلاقية تتحطم بمجرد ارتطامها بجدار هذا الدين المحفوظ بأمر الله .

ولقد لجأ هؤلاء وأولئك إلى أخطر سلاح على طريق مقاصدهم ، فرصدوا الجهود المدروسة بدقة ، والمخطط لها بعلم ، والمؤيدة بالأموال السخية ، والآمال المغرية ، والموطأ لها بكل أسباب التعمية والتستر والصرفه .

هذه الجهود التي يبذلها (الاستعمار العالمي - والصهيونية العالمية - والإمبرالية الفكرية العالمية قد انحصرت الآن ، ومنذ فترة - في محاولة تدمير الأمة من الداخل ، وبأيدى أبنائها ، وباسم دينها ، الذي هو

كل شيء في حياتها ، فحاربوا ولايزالون ، حاربوا بأيدينا نحن - فإنما بلغت دقة خططهم أن تفكر بعقولهم ، وأن ينفذوا بأيدينا - فنحن فيما نأتى أوندع لإرادة لنا في واقع الأمر ، على حين نعتقد تمام الاعتقاد أننا نحن الذين نخطط أوننفذ .

قلت : إنهم حاربوا بأيدينا محو الأمية الثقافية ، حتى بلغوا من ورائها إلى عدم محو الأمية الدينية . فضاع القرآن أوكاد ، واضطر الأزهر إلى قبول طلبة قد هزل محصلهم القرآني والديني ، في محاولة لإنقاذ مايمكن إنقاذه من القرآن والدين ، وقد عايشنا حروب المصاحف المصحفة والمحرقة ، وعاشنا حروب فصل المواد الدينية عن مجموع مواد الامتحان ، فلايتوقف عليها نجاح ولارسوب ، وعاشنا تعتمد تدريس مواطن الإثارة والشك والانفصام في التاريخ الإسلامى بالكليات والمعاهد العليا ، كالقصد إلى (فتنة عثمان) وإلى (حروب على ومعاوية) وإلى تصوير

المسلمين في صورة قترية زحفت لتخريب الحضارة ، واستقطاب الغنائم ، والتمتع بمنظر الدم المسفوح ! !

تخطيط الإسلام بأيدي المسلمين واسم الإسلام:

وبعد أن طاب لهم هذا ، وانتشرت الأمية في شباب الإسلام ، وملثوا فراغها بالمذاهب الفتناءة من نحو الشيوعية والوجودية واللا دينية والانحلالية ، وكان لذلك أثره المطلوب في الشارع الإسلامى ووسائل الإعلام كلها من إذاعة وتلفزة ، وصحف ومجلات وكتب ومنشورات وسينما ومسارح ، حتى اطمأنوا إلى تحويل الثقل الجمهورى إلى جانبهم ، أرسلوا أصابعهم إلى مناطق الحساسية الكبرى من العقيدة ، وأثاروا نكرة المذهبية المتعصبة ، ونفخوا في نار الفرقة ، وتمزيق الأمة وأثاروها شعوبية متوقحة ، لا يقرها إسلام ولا يرضاها مسلم ويوم قامت حرب (لبنان) وكانت بين المسلمين وغير المسلمين ، حدثت رجلا يتزعم طائفة مسلمة بمصر ، أسأله ماذا يجب أن يقدم أعضاء الجماعات الإسلامية ، في مصر لإخوانهم مسلمى لبنان ؟ فكان جواب هذا الزعيم أشد على نفسه من أهوال حرب لبنان وويلاتها .

إنه يقول : وماذا يعنينا ؟ إن المسلمين في لبنان بين شيعى أوصوفى وكلاهما عدو لله ورسوله ، وإنما أراد الله بهذه الحرب أن يظهر الإسلام من هذين العنصرين ! ! ولا يبقى إلا (الموحدون) ! !

وحين دعونا الجماعات والهيئات الإسلامية إلى مؤتمر تطبيق الشريعة امتنعت من الاشتراك معنا هيئات كان عذرهما ، أن في القوامين على هذه الفكرة طوائف وأفراد (غير موحدين) ! ! والاشتراك معهم معناه الرضا بما هم عليه من (الشرك) ومن (البدعة) ! !

إلى مثل هذا الحد المذهل بلغ أعداء الإسلام من هدم الإسلام بأيدي المسلمين وباسم الاسلام ، ثم باسم التوحيد والسنة ! !

ومنذ فترة قريبة جاعنى صحنى يطلب منى حديثا ، وكان من أسئلته قوله : ألم يأن للمسلمين بعد أن يتخلصوا من تراث (أحفاد المجوس والروم) ومادخلوا به على الإسلام باسم خدمة علوم الإسلام ؟

وهذه الشعوبية المفرقة ، لم يذر قرنهما المشنوم بهذه الصورة الخربة إلا منذ سنوات ليست بالبعيدة ، كأنه يشترط في صحة إسلام المسلم أن يكون عربيا فقط ، وكأن غير العرب من المسلمين (فرسا) كانوا أو

أومرفوض . وقد دفعنا ولايزال يدفعنا إليه خصوم الإسلام ونحن عن ذلك غافلون . قلت لهذا الشاب الصحنى المسكين ليتك يا ولدى لم توجه إلى هذا السؤال ، وأنت تقرأ قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقول رسول الله ﷺ « إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقى ، وفاجر شقى ، أنتم لآدم وآدم من تراب » وقوله ﷺ « وقد تمرَّ وجهه غضبا » ليدعن أقوام فخرهم بأقوام إنما هم حطب من حطب جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها النتن » .

إن أحفاد المجوس منهم من خدم الإسلام كما خدمه أحفاد أئمة الكفر من العرب من أمثال أبناء وأحفاد الوليد بن المغيرة ، وعقبة بن أبى معيط وأبى لهب بن عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام وابن أبى بن سلول ! !

لقد كان من أحفاد الروم من رفع راية الإسلام حتى وصل إلى قلب أوربا ، ومنهم من حافظ على صورة الوحدة الإسلامية ، وخلافة المسلمين ، حتى كانت ترقع أمامه ملوك أوربا وسلاطينها ، ومنذ بدأت هذه الشعوبية بما يسمى (النهضة العربية) ذلت العروبة ، وتمزق العرب ، وما زال يحيط

(هنودا) أو (روما) أو (مغاربة) أو (أوربيين) أو (أمريكيين) أو (أستراليين) أو (أفارقة) أو (اسكيمو) أو غيرهم ، كأن هؤلاء جميعا قد أغاروا على الإسلام واغتصبوه ودخلوه بغير حق واستعمروه وأن على العرب أن يحلوهم عنه ، وأن يطهروه من آثارهم الفكرية والعملية ، وأما قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) فقول له تفسير جديد عندهم .

شعوبية أخطر من الصهيونية والاستعمار

لقد أثارتني وآلتنى هذه (الشعوبية الحديثة) التى أوصلنا إليها أعداء الإسلام من حيث لاندري ، وهم فى أبراجهم الخبيثة تكاد تنقطع أشداقهم من الضحك علينا ، والسخرية منا ونحن نتقاتل على خلافيات فروعية طبيعية لابد منها فى كل شريعة ، ولا يمكن أبداً أن تمحى إلى يوم القيامة .

والذى يزيد الأمر خطرا وألما ، هو نقل أحكام (الجواز) و (المنع) إلى أحكام (الشرك والتوحيد) . إن الفروع محلها الحلال والحرام فنقلها إلى الكفر والإيمان هو نوع من الكفر بالإيمان ، أو الإيمان بالكفر ، جرتنا إليه العصبية المذهبية والانتصار للأفكار والاتجاهات الموروثة لسبب مقبول

الكسائي كلاهما فارسي الأصل وهذا الإمام
الفراء من الديلم ، ثم إن ابن مسكويه وابن
سيناء والفارابي كانوا قُرُصاً أجمعين .

فقيه مكة ، عطاء بن رباح وفقيه اليمن
طاوس بن كيسان وفقيه الإمامة يحيى بن أبي
كثير وفقيه الشام مكحول ، وفقيه الجزيرة
ميمون بن مهران وفقيه خراسان الضحاک
ابن مزاحم . وفقيها البصرة والكوفة إبراهيم
النخعي وابن سيرين ، كل أولئك ليسوا من
العرب أصلاً ، ولكنهم برزوا في جوانب
العلم والفكر والمعرفة والدين بحيث كانوا
الأئمة بكل مافي اللفظ من معنى يتجدد
ولا يفنى .

لاتنسوا الفضل بينكم :

إنما يتفاضل الناس بالأحلام ،
لابالآرحام والناس عند الله سواسية كأسنان
المشط والله يقول (ولاتنسوا الفضل
بينكم) ولقد أمر رسول الله ﷺ أسامة بن
زيد موله على جيش كان فيه أبو بكر وعمر
وعندما أراد عمر أن يستخلف قال : لو كان
سالم مولى حذيفة حيا لوليته !

تأمل هذا الموقف الكبير الخطير .
وهاهم أهل العلم لا يكادون يذكرون
ابن عمر ، إلاذكروا معه موله نافعاً .
ولا يكاد يذكر أنس بن مالك إلاومعه

بهم الضعف والذل وسوء المنقلب .

ألم يأتك أن سيدنا رسول الله ﷺ
ألقى به سيدنا سلمان الفارسي فقال :
(سلمان منا أهل البيت) إنها حمية الجاهلية
يردها بيبغاوات البشر بلا تدبر ولا بينة .

أليس الإمام البخاري والترمذي
والنسائي وابن ماجه والطبراني والبيهقي
والأكثرية الغالبة من رجال الحديث كلهم
من غير العرب ؟ وكذلك طائفة من أكبر
المفسرين كالزنجشري والنيسابوري وطائفة
من أكبر علماء البلاغة كالجرجاني
والفتناني .

من هو طارق بن زياد ؟ وموسى بن
نصير ؟ هذان الموليان اللذان أسسا للإسلام
مجدا تاريخيا لا يمحوه الزمان من هو
أبو حنيفة النعمان ؟ أليس من الموالى ؟
ولولاه ماكان لبنى (تيم الله) ذكر ولا فخر .

إن إمام مصر الليث بن سعد أصله من
أصبهان وإمام أهل السنة أحمد بن حنبل
أصله من مرو ، والإمام المفسر الطبري
أصله من طبرستان ، والشعبي علامة
التابعين ، وإمامهم كانت أمه أمة من
جلولاء والحسن البصري الكوكب الفرد
كان أبوه من سبي ميسان .

وهذا علامة اللغة سيويه والإمام

مولاه ابن سيرين .
ولايكاد يذكر ابن عباس إلاومعه
مولاه عكرمة ولايكاد يذكر أبوهريرة
إلاومعه مولاه ابن هرمز .
أوالترك ، واختلفوا في قراءة المؤتم وفي عدد
التراويح والوتر ، وفي السدل والقبض وفي
صورة الأذان والتأمين والسلام ، وحتى
حركة الأصبع في التشهد . . إلخ » ولكل
قول حجة ودليل .

ومع هذا فقد احترم كبار أئمة المذاهب
آراء بعضهم بل قلد بعضهم بعضا أحياء
وموتى ، فصلى الإمام الشافعى عند قبر
أبى حنيفة بمذهب أبى حنيفة أدبا مع
روحه ، وقلد أبو يوسف الإمام مالكا في
مسألة الماء المتنجس ، وقرظ الشافعى الليث
بن سعد ، وقرظ أبوحنيفة بأسفيان الثورى
والأوزاعى ، بل صلى الإمام ابن حنبل
خلف بعض أئمة القدرية بلانكير . .

وهكذا لايعرف عن كبار الأئمة من
طعن أخاه أو انتقصه أو أخرجه من دين الله
بجرة قلم إذ ليس في الدنيا مذهب كله
خطأ ، أو مذهب كله صواب (ولوكان من
عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) .

فلما انتقل الأمر من اجتهاد في التحقيق
إلى تعصب وحزبية عارمة ، ووضع الناس
الشتائم والسباب والقذف بالفسق والتبدع
والكفر والشرك ، بدلا من التقارب
والتفاهم والعلم بما عند الآخرين ، إعازا
لهم وإبقاء على صلات أصول العقيدة ،
 واتحاد المقاصد ، كان هذا أخطر ماأصيب

قضية الاختلاف الفكرى :

أما بعد فإن الاختلاف الفكرى كما
قررنا وكررنا على الفروع الدينية ضرورة
شرعية وطبيعية ، وإنه يستحيل استحالة
مادية جمع الناس كلهم على مذهب
واحد ، أوراى واحد (ولابالسيف) في
مسائل فرعية ظنية هى موضوع نظر واجتهاد
بالفطرة ، ومادام مرجع الجميع كتاب الله
وسنة رسوله ﷺ ، والخلاف على
الفرعيات إنما هو في الفهم والتوجيه
والترجيح ، وطلب الحق وخوف الله ،
فلاخصومة قط ، ولاسوء ظن أبدا ولكن
تفاهم على أساس الحب في الله .

وقد اختلف الصحابة والنبي معهم على
مثل الصلاة في قريظة واختلفوا في مصير
أسرى بدر واختلفوا ومن بعدهم في مثل
مسائل « العول والكلالة وعدة الحامل
المتوفى عنها زوجها ، وسكن المبتوتة ،
وتوريث الأخ الشقيق مع الأخ لأم ،
واختلفوا في زواج المتعة ، والطلاق الثلاث
بلفظ واحد ، والطلاق المعلق على الفعل

به المسلمون من الأمراض الفتاكة .
 لقد أدرك السابقون من أمتنا مدى سماحة الإسلام ويسره وصلاحيته لكل زمان ومكان وكل إنسان . . وهذا إمامنا الشافعي قد وضع مذهبه (القديم) بالعراق في ظروف وأحوال خاصة ، فلما جاء إلى مصر فواجه ظروفًا وأحوالًا أخرى ، وضع مذهبه (الجديد) فكلاهما إذن من الكتاب والسنة وكلاهما إذن صواب في موضعه ، وللمجتهد الثواب على الخطأ والصواب .
 وكان أبوحنيفة يقول : « نحن على صواب يحتمل الخطأ وغيرنا على خطأ يحتمل الصواب » وموقف مالك من الخليفة العباسي في شأن كتاب « الموطأ » معروف فإن مالكا كره أن يفرض على الناس كتاب معين مهما كان صحيحا ، لخالفه ذلك لمنهج الحياة وطبيعتها وناموسها الكوني ، فالخلاف إذن على الفروع طبيعة وشريعة مادام هناك ! اختلاف في العقول والفهوم والبيئات والاستعدادات والصحة العامة والتربية والقابليات المختلفة والنفسيات والوراثات والظروف والطوارئ وغيرها وسبق الأمر كذلك إلى يوم القيامة (ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك) ولذلك خلقهم) ومن زعم أنه يستطيع بالبيان أو السلطان ، أو بهما معا حمل الناس

على رأى واحد في الفروع فقد خالف دستور الحياة وطلب ما يستحيل أن يكون وبخاصة عندما يكون اختيار المذهب أثرا للتوافق الطبيعي بين المذهب والتكوين الذاتي للإنسان كما يفضل الإنسان طعاما أو شرابا أو يتأذى من طعام أو شراب .
 ثم إن الإنسان مكلف شرعا بالعمل بما وصل إليه اجتهاده ، واستقر عنده نظره ، ويكون هذا هو حكم الله في حقه وحق من قلده ، حتى يتبين له خطأ ماذهب إليه اقتناعا يبين لا يرده برهان وإن شئت فاذكر قصة صلاة العصر في بني قريظة وكيف اختلف الصحابة في فهم أمر النبي ، وصلاها كل منهم حسبا فهم ثم لما احتكموا إليه ﷺ قرر أن كليهما على صواب ، وعلى هذا الأساس نحن ننظر إلى كافة مذاهب المسلمين فتحترمها ، ونعذر عند أنفسنا لأصحابها ونقرب بالتوسط واليسر والاعتدال فيما بينها ، مادام خلافا على الفروع التي لا يمكن الاتفاق عليها كما قدمنا بالطبع والشرع وقانون البحث العلمي الرفيع ، ونحن هنا نقول ما قال الإمام زيد^(١) : « حسب الناس أن يجتمعوا على ما يصير به المسلم مسلما » وذلك حفاظا على وحدة المسلمين التي لا يكون بغيرها قوة

(١) وهو الإمام جعفر الصادق على قول آخر

ولا عزة ولا سعادة .
ولهذا نعوذ بالله أن نتردى سفلا فنرمى مسلما بشرك أو ردة أو ابتداء أو كفر ، من أجل اقتناع اجتهدى في قول أو عمل فرعى ، ونعوذ بالله أن ننقل أحكام الحلال والحرام إلى الكفر والإيمان (كما هو شائع الآن عند بعضهم) ، تقليدا لمن تورطوا في ذلك من قبل ، - غفر الله لنا ولهم - فليس هناك أحد يختار الخطأ ليقع فيه ، وليس أحد يعمل ما ترجح صوابه عنده ليدخل به النار ؟ ! أوليفضحه به التاريخ ! ! والحق واحد ولكن الطرق إليه كثيرا ماتعدد بلاتعارض ولا انحراف .
والإسلام الآن مستهدف لغارة مجنونة فاجرة تأخذه من الداخل والخارج ويعانى غزوا فكريا طاغيا ، وغزوا عمليا فعليا مريرا ، هو أولى بالجهد والوقت المضيع في اجترار أسباب الفرقة وتأريث نيران العداء ، والاحتفاظ بمرارة الغل ، في حنايا الصدور ، حقدًا على أهل القبلة ، والله تعالى يقول : (ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) .
وحين يكون الخطأ مستيقنا تجب النصيحة وتعين بالدعوة بالحكمة ، وبالتى هى أحسن فدعوى احتكار الصواب والوصاية على دين الله ليست من العلم

ولا الخلق ولا الدين ، أليس حسبنا ماجرتنا إليه الفرقة المذهبية من ضعف وتخلف ، وذل وتبعية ، وتخاذل وتنافر ، حتى طمعت فينا هذه (الكلاب الضالة) وعبث بنا (أبناء الأفاعى) ولا تزال تتداعى علينا المذاهب المدمرة من كل صوب وحذب .
أيها المسلمون لا ترجعوا بعد نعمة الإسلام كفارا ، يضرب بعضكم أعناق بعض « حقيقة أو مجازا » ، حسا أو معنى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) وإن الله سائل كل من ينفخ في نار الفرقة وتمزيق الأمة ، باسم دعوة المذهب أو ما فوقها أو دونها ، سواء كان عميلا أو صاحب عقيدة أو مقلدا أو صاحب هوى ، ولعله لم يمر على الإسلام أيام هى أخطر من هذه الأيام في كل ماسجله تاريخ الإسلام .

وهذه صرخة في الله ، إلى علماء دين الله واسأل الله أن يجعل فيهم الخير فيسمعهم وأن يزداد هذا الخير فيكون لهم من كل ذلك موقف يرضى الله ورسوله ويرضى التاريخ ويرضى عقلاء المسلمين .

وقد بلغت ، اللهم فاشهد .

محمد زكى إبراهيم

المسلمون البلاليون في الولايات المتحدة

سماعة الشيخ / عبد الله بن علي المحمود

عقيدته على الناس تارة أخرى حتى آمن معه نفر قليل وكان إيمانهم خليطاً من مفاهيم شتى بعضها إسلامي وبعضها كنسي وبرهني . . وهكذا شب تابعه (ايلاجا محمد) على اعتناق الإسلام المغلف بكثير من الخرافات والترهات . . ولكن الرجل مالبت أن نشط في دعوته واستطاع أن يستقطب نفراً كثيراً من حوله حتى إذا كان شهر أبريل عام ١٩٧٤ ومطلع يوم العاشر منه صعدت روح (ايلاجا محمد) إلى بارئها تاركاً خلفه مليونين ونصف مليون من الأتباع واثنى عشرة مدرسة وأربعين متجراً ومصرفين وثلاث محطات للإذاعة وصحيفتهم الرسمية المسماة «محمد يتكلم» Mohammad Speak بالإضافة إلى ست مزارع كبرى في شيكاغو ونحو اثني عشر ألفاً من الشباب المدربين على حمل السلاح والمتنظمين في تشكيلات عسكرية تسمى «ثمار الإسلام» وهم يعتقدون أن واجب المسلم ألا يلقى سلاحه أبداً؟؟ وشعارهم

كان من يمين الطالع أن يحضر وفد من المسلمين الأمريكيين لافتتاح مركز الدعوة الإسلامية بإمارة الشارقة برئاسة زعيمهم «وارث الدين محمد» الذي اصطحب معه اثني عشر رجلاً وثلاثاً من النسوة في أول رحلة لهم يتعرفون فيها على إخوة لهم في العقيدة بالعالم العربي ويطلعونهم على أحوالهم ويشاورونهم في مسار الحركة الإسلامية والصعاب التي يواجهونها . . هؤلاء المسلمون هم المسلمون «البلاليين» نسبة إلى «بلال بن أبي رباح» رضي الله عنه . . وكانوا من قبل يعرفون باسم «المسلمون السود» ثم «أمة الإسلام في الغرب» . . وترجع بداية هذه الجماعة إلى عام ١٩٣١ عندما ركب الباكستاني المهاجر «محمد فارض» دراجته حاملاً عليها بعض الأقمشة التي يتجر فيها مع الفقراء والعمال بمدينة «ديترويت» مركز الصناعات الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية . . وأخذ الرجل يبيع بضاعته تارة ويعرض

المسماة (البنوك الضامنة) سوف تنتقل في القريب إلى مصارف إسلامية لاربوية إثر موافقة السلطات المعنية على التماساتهم المقدمة بهذا الخصوص .

لقد زرنا هذه الجماعة وعاشنا زعماءها في دورهم وعرفنا احتياجاتهم من دعاة ومثقفين - ومعلمين ومرشدين . . وأحسب أن هذه الجماعة هي أمانة في أعناق المسلمين حاكمين ومحكومين . . ويوم أن تتوافر لهذه الجماعة الإمكانيات التي ينشدونها سوف يكون للإسلام قومه وتكون للمسلمين دولة . . إن أربعة ملايين يهودى في الولايات المتحدة الأمريكية هم سند إسرائيل في حملاتها على الساسة الأمريكيين رهباً ورغباً . . إن أصواتهم وأموالهم هي كل عدتهم في الحلبة السياسية . . والآن وقد ساق الله للمسلمين أمة قوامها مليونان ونصف مليون من المهللين المكبرين فالرجل منهم بعشرة من الآخرين وحال ضعفه برجلين . . إنهم ثروة هائلة ينبغي استثمارها . إن الدول والأقطار تنفق الملايين لشراء عملاء لهم يناصرونهم ويؤازرونهم . أما هؤلاء البلاليون فهم دعاة لله ولرسوله وللمؤمنين . . دعاة دون درهم ولا دولا . . ؟ لقد فطن المسئولون بالشارقة لأهمية هذه الجماعة ومدى فاعليتها حاضراً

قوله تعالى (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) . . . هذه الجماعة هي التي قالت عنها مجلة (التيمس) منذ عامين أنها الولاية الواحدة والخمسون التي تتألف منها الولايات المتحدة الأمريكية ؟؟ . . والمعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية عددها خمسون فقط وأن البلاليين لكثرتهم يؤلفون ولاية أو أمة إسلامية داخل الأمة الأمريكية على الجانب الغربى من الأطلنطى ؟؟

وما أن حمل « وارث الدين محمد » تبعات المسؤولية عن أبيه حتى راح بعزم ومضاء يتقل جماعته إلى العقيدة الصحيحة السمحاء وبدأوا يمارسون الصلوات الخمس في جمع وجماعات وكانوا من قبل لا يؤدونها وشاركوا ألف مليون مسلم صوم رمضان وكانوا لا يشهدون هذا الشهر ولا يصومونه ويعتزمون هذا العام أداء فريضة الحج لبيت الله الحرام مستأجرين ثلاث طائرات عملاقة « جامبو ٧٤٧ » لنقل أول فريق ممن استطاع إليه سبيلاً . . وسموا دور عبادتهم مساجد بعد أن كانت تسمى معابد وتحولت صحيفتهم السياسية إلى صحيفة إسلامية حديثة باسم « أخبار البلاليين » Bilalian News وأن مصارفهم الربوية

ومستقبلاً فشدوا - إليهم الرجال وفي أغسطس عام ١٩٧٥ حمل شيخ الشارقة سلطان بن محمد القاسمي «معوله» وأخذ يضرب به في الأرض والتراب ينال على عباته وسط هتافات الألوف من الرجال والنساء الأمريكيين مرددين الله أكبر . . . الله أكبر . . . الله أكبر كبيراً . . . وحمل الأمير العربي أحجاراً على كتفه ووضعها لتكون أساساً لمسجد ومركز إسلامي يضم مكتبة ومدرسة ومشغلاً ومستشفى وسوقاً تجارية ومطبعة . . . على مشارف بحيرة متشيجن في قلب شيكاغو وعلى مسطح يتجاوز ستة أفدنة قدمتها محافظة الولاية إسهاماً في التطوير العمراني لها . . . وتقدر التكاليف الأولية لهذا المجمع بنحو أربعة عشر مليون دولار قدم رئيس دولة الإمارات منها نصيباً وقدم شيخ الشارقة نصيباً آخر وسوف يبدأ العمل في المشروع مع مطلع العام الهجري القادم .

المسلمون الحنفيون في الولايات المتحدة الأمريكية :

هذا وقد أسهم مركز الدعوة الإسلامية بالشارقة في فض الصراع وفك الحصار الذي فرضه المسلمون الحنفيون على مراكز ثلاثة في العاصمة الأمريكية واشنطن يومي

التاسع والعاشر من مارس ١٩٧٨ واحتجزت فيه رهائن تجاوز عددها ١٥٩ رهينة . . . واثرت اتصالات هاتفية مكثفة مع رئيس الجماعة «حماس عبد الخالص» وأمينها العام «عبد العزيز خالص» ووكيله «عبد المذكر» رفض المسلمون الحنفيون ماعرضه عليهم السفراء المسلمون وزعماء الصهاينة في مقر قيادتهم الحالي والمسمى بناي بريث Bnai Breth وردوا إليهم عرضهم تقديم فدية قدرها خمسون مليوناً من الدولارات وطائرتين لنقل الحنفيين إلى مكان ما في الخليج العربي وقالوا إنما قنا غضبة لله ولدينه ولرسوله . . . وإذا قبلنا المال وآثرنا الفرار كنا كسائر الإرهابيين الذين لا يحملون عقيدة ولا يدينون بالحنفية السمحاء . . . ؟ وأطلقوا سراح الرهائن جميعاً دون المساس بأحد أثر سماعهم لقوله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله . . .) ؟ وقد أجاروهم بعد أن أسمعهم الكثير من أحكام الله وقرآنه وأحاديث نبيه محمد ﷺ . . .

أما لماذا أقام هؤلاء الحنفيون بغضبتهم العقائدية تلك فرد ذلك إلى ماحكاه لنا الأمين العام «عبد العزيز خالص» عند زيارته لنا بالشارقة . . . قال لقد فوجئنا

مائة وأربعة عشر رهينة من كبار الصهاينة ورجال المصارف اليهود وستة من أعضاء الكنيسة الإسرائيلى كانوا فى زيارة لهم . . وبعد ساعة أخرى حاصروا مقر العاصمة الأمريكية وجردوا حراسه من أسلحتهم واحتجزوا فيه محافظ العاصمة وكبار معاونيه وبعضاً من رجال الإعلام ثم حاصروا مكاناً آخر واحتجزوا فيه رهائن أخرى . وقسمت العاصمة الأمريكية أقساماً ثلاثة وحاول الرئيس الأمريكى مرتين محادثة زعيمهم « حماس عبد الخالص » الذى رفض أن يرد عليه واستجاب لنداء أخ له فى العقيدة السمحاء طلب إليه أن يفض هذا الحصار وأن يعيد الأمن والطمأنينة للبلاد وأن يقبل العهد والأمان الذى عرضه عليه السفراء إذا هم أطلقوا الرهائن دون أذى فى الأرواح والأبدان . وانتهت الغضبة العقائدية نهـاية منقطعة النظير؟؟ . . قبل حماس عبد الخالص العهد والأمان الذى عرضته عليه السلطات الأمريكية بواسطة السفراء ولكن هذا العهد مالبث أن نقض وألقى القبض على حماس عبد الخالص وقدم ورفاقه للمحاكمة وصدرت عليهم أحكام فريدة فى نوعها فقد أصدر القاضى (انتربو) الحكم بالسجن لمدة ٢٦ عاماً على

بإعلان فى جميع الصحف الأمريكية عن عرض لفيلم الرسالة أو فيلم محمد رسول الله الذى أفتى علماء الأزهر ورجال رابطة العالم الإسلامى بعدم جواز عرضه لما فيه من وقائع محرفة وأقوال متبثرة منسوبة لكرام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فضلاً عن أن المكان الذى اختير لعرض هذا الفيلم هو شارع (برودواى) فى إحدى دور الخيالة التى تعرض فى نفس الحفل فيلم الرسالة وفيلمًا آخر عن الشذوذ الجنسى بين الرجال وبطل الفيلمين واحد هو الممثل الأمريكى (انطوانى كوين) . .؟؟ وكان هذا بمثابة سب علنى للإسلام ولنبى الإسلام ولمعتنقى الإسلام فى كل مكان . .؟؟

وأرسل الحنفيون رسائل وبرقيات للمسئولين فى العاصمة الأمريكية وفى مقر رئاسة الصهاينة القائمين على شئون الخيالة وللمركز الإسلامى فى واشنطن يطلبون إليهم العمل على وقف هذا العرض ولكن لم يحظ هؤلاء بجواب لامن هنا ولا من هناك . . واعتزم هؤلاء إيقاف هذا الفيلم ولوبالقوة وكانت غضبتهم العقائدية التى استنفروا فيها اثنى عشر رجلاً حملوا بنادقهم وفى مطلع صباح التاسع من مارس حاصروا بناية (بنى بريث) واحتجزوا فيها (١١٤)

الأخ . عبد المذكر وعلى رفاقه بأحكام مماثلة أما زعيم الجماعة فقد كان نصيبه السجن (٤٤) عاماً ودية وغرامات تتجاوز في مجموعها أربعة ملايين ونصف مليون من الدولارات . . ؟ ؟ ؟

والغريب أن المحكمين قد براءوا ساحتهم في أول اقتراع ولكن القاضي (انتريو) المنتسب لأمة اليهودية قد طلب إليهم إعادة الاقتراع ثانية وأمهلهم يومين آخرين . . ومارسوا على المخلفين جميع أساليب الضغط حتى تحول اقتراعهم الثاني إلى الإدانة والتجريم بالإجماع بعد أن كان البراءة والتغريم . . وهكذا اهتز ميزان العدالة في دولة ترفع شعار العدالة وحقوق الإنسان وتتهم سواها بالتجبر والتحيز والاستبداد . . ؟ ؟ ؟

لقد اضطر مركز الدعوة الإسلامية بالشارقة إلى الوقوف مع هؤلاء الحنفيين في محنتهم وأرسل من يناشد جماعة العفو الدولية التدخل في هذا العدوان الصارخ على حقوق الإنسان وسوف يجند لهم كبار المحامين ليدافعوا عنهم في قضية الاستئناف الكبرى التي نأمل أن تشد انتباه سائر المسلمين في الأرض . ليدافعوا عن إخوة لهم ثاروا في غضبة عقائدية من أجل الدفاع عن الإسلام الذي أوشك الجرمون أن ينالوا

منه . . ولكن الفيلم توقف عن العرض وحاش لله أن يجتمع الطهر والفجور والعفة والشذوذ في دار خيالة واحدة حتى وإن كانت في برودراى . . ؟ ؟ ؟

* * *

إن مركز الدعوة الإسلامية بالشارقة يسره أن يعلن عن العقيدة الصحيحة السليمة السلفية الخالصة لهؤلاء الحنفيين فنذ نشأتهم من عشرة أعوام مضت وهم سائرون على الهدى الصحيح والإرشاد الخالص ومعلمهم ومرشدهم دكتور « أحمد ناسبوري » البنغالي المسلم الذي تلقوا عنه العقيدة . . إنهم متمسكون نصاً وروحاً بالكتاب والسنة . . إنهم سنيون حنفيون (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين .

وكتاب حماس عبد الخالص المسمى « انظر وتأمل » يعتبر ذروة للتعاليم الإسلامية الصحيحة بما يتفق والعقلية المادية الحضارية الأمريكية . . إننا نعترم بحول الله إعادة طبعه وتوزيعه على الناطقين بالإنجليزية من المسلمين وغير المسلمين والله ولى التوفيق .

عبد الله بن علي المحمود



سماحة الشيخ عبد الله بن علي المحمود

في سطور

- من مواليد الشارقة سنة ١٣٣٥ هـ.
- كان والده من كبار العلماء ، وقد تكفل بتعليم الكثير من الطلاب على نفقته الخاصة وإرسالهم إلى مختلف الأقطار الإسلامية كمصر ، العراق والسعودية فقد كان ولده من كبار تجار اللؤلؤ في الخليج كله .
- وقد ورث الشيخ عبد الله عن والده مروءته وعلمه . ودينه ، وبيته في مدينة الشارقة ملتقى العلماء والأدباء وزعماء المسلمين في العالم كله .
- اشتغل فترة بالقضاء . ثم اختير مديراً للأوقاف والشئون الإسلامية فرئيساً لمركز الدعوة الإسلامية . وعضواً بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .
- اشترك في كثير من المؤتمرات الإسلامية في العالم الإسلامي وفي أوروبا وأمريكا .
- من مؤلفاته : الأسرة السعيدة ، وحقوق الإنسان في الإسلام والمذاهب المعاصرة .

الإسلام في خطر

الدكتور / حسين مؤنس

(١)

والاكتفاء به . .

وإلى الأمس القريب كان الإسلام يشق طريقه في قوة وعزم معتمداً على فضائله التي أودعها الله فيه ، وقدرته على فتح مغاليق القلوب . .

وكانت هذه القوة الدافعة تثير الرعب في نفوس أعداء الإسلام ، فعندما أنهت أوروبا سيطرتها على أفريقية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتدفقت جماعات المبشرين على القارة الأفريقية كانوا يحسبون أن أمر الإسلام قد انتهى في أفريقية لأنهم سيعرفون كيف يحونه من مستعمراتهم محواً كما ظنوا . .

ووضعت دول الاستعمار إمكاناتها كلها في حرب الإسلام ، وانهالت الأموال على هيئات التبشير ، واشتدت الحرب على الإسلام في أفريقية . .

وفي أواخر القرن الماضي ، تكشفتم الأمور عن حقيقة أذهلت أهل الغرب كله : برغم كل هذه الجهود انتشر الإسلام

من عيوبنا أننا نستريح إلى توسد ذراعنا والاستسلام للنوم حاسبين أن المقادير تتولى أمورنا وتحل مشاكلنا ، حاسبين أن المشاكل لا بد أن تحل نفسها مع الزمن .

وهذا العيب يتجلى بصورة أوضح فيما يتعلق بالإسلام ومصيره . .

فنحن نؤكد لأنفسنا ليل نهار أن عالم الإسلام في زيادة مستمرة ، وأن أعداد المسلمين في صعود مضطرد ، لأن الإسلام كما تعودنا ينشر نفسه بنفسه ، فهو دين سمح يفتح الله له قلوب الناس ، وله كما يقول المستشرق جان سوفاجيه قوة انفجارية هائلة .

وفي أكثر من كتاب من كتب المهتمين بمسائل الأديان يوصف الإسلام بأنه دين مناضل . .

وهذا كله حق . .

ولكن الذي ليس بحق بحال من الأحوال ، هو أننا نكتفي بترديد ذلك

(١) عن مجلة الهلال المصرية

الإسلامية وأقفلوا أبواب مستعمراتهم في وجوه المسلمين دعاة كانوا أم غير دعاة ، ثم إنهم وضعوا قيودا على حركة التجارة بواسطة القوافل ، لأن قوافل التجارة لها أكبر الفضل على انتشار الإسلام في القارة الأفريقية عامة وفي أفريقية المدارية والاستوائية خاصة ، ثم جنوني خط الاستواء .

ومن المعروف أن الإسلام وصل إلى أفريقية جنوبي الصحراء بواسطة طرق التجارة الرئيسية التي تعبر الصحراء وأهمها ثلاثة طرق :

- طريق الساحل الغربي بمحاذاة شواطئ الأطلسي وقربها من جنوبي المغرب الأقصى (جنوب وادي درعة إلى وادي السنغال) .

- طريق الوسط عبر الصحراء : من طرابلس وغدامس جنوبا إلى فزان ثم كوار ثم منطقة بحيرة تشاد .

- طريق الشرق عن طريق وادي النيل ثم من سنار إلى الفاشر إلى وادي ثم إلى بلاد البورنو والكام .

وعن هذه الطرق الثلاثة نشأت الجماعات الإسلامية الكبرى في أفريقية على جانبي مدار السرطان . ثم إلى خط الاستواء (قبائل المانكي والسوفنكي في السنغال

أكثر فأكثر . ففي أفريقية المدارية والاستوائية تضاعفت أعداد المسلمين بين ١٨٤٠ ، ١٩٠٠ . كانوا يقولون في إحصائياتهم إن المسلمين في غرب أفريقية السوداء يصل عددهم إلى ٢٠ مليونا ، وكان هذا تدليسا منهم ، فإن العدد الحقيقي كان قريبا من ضعف ذلك العدد .

ولكن الأمر الذي روعهم أنهم اكتشفوا في إحصاء عملوه سنة ١٩١٢ أن أعداد المسلمين في الغرب الأفريقي جنوب الصحراء وصل إلى ٦٠ مليونا منهم ٢٥ مليونا في نيجيريا وحدها .

وقرب نهاية عصر الاستعمار كان هناك تسليم بأن الإسلام في أفريقية لا يقهر . وبدلا من أن تتجه جهود المبشرين إلى تنصير المسلمين اتجه الاهتمام إلى ترك الإسلام يسير في طريقه وتوجيه الجهد نحو نشر المسيحية بين الأفريقيين .

مسالك الإسلام في أفريقية :

ولكنهم حرصوا في نفس الوقت على إيقاف كل عمل من شأنه المعاونة على انتشار الإسلام . ومن هنا فقد وضعوا قيودا على تشييد المساجد ، وأوقفوا تعليم اللغة العربية (حتى في تونس والجزائر) ، ورفضوا الموافقة على إنشاء الجمعيات

نسمة مقسمون كما يلي :	وغينيا وسيراليون وغانا وتوجو
شمال أفريقية ٦٥ ٠٠٠ ٠٠٠	وداهومي والنيجر وفولتا والكامرون والجايبون
أفريقية الوسطى ١٠٧ ٠٠٠ ٠٠٠	وتشاد وأفريقية الوسطى والكونغو برازافيل
شرق أفريقية ٧٢ ٠٠٠ ٠٠٠	وشمال زائيرى .
وسط أفريقية الغربى ٣٥,٨٠٠,٠٠٠	أما الإسلام فى شرق أفريقية جنوب
جنوب ووسط أفريقية ٤٧,٧٠٠,٠٠٠	السودان النبلى فقد وصل عن طريق
مدغشقر ٦,٥٠٠ ٠٠٠	الساوون إلى البحر الأحمر وقرن الصومال .
المجموع ٣٣٥,٠٠٠ ٠٠٠	ومن هنا وصل الإسلام إلى مجموعات

ومن مجموع سكان أفريقية كان عدد المسلمين يقارب النصف ، أى حوالى ١٦٠ مليون مسلم (بما فى ذلك مصر والسودان والمغرب وموريتانيا ومالى والصومالات وأريتريا وهى بلاد إسلامية عربية)

وكانت المؤشرات تدل على أن الإسلام فى تقدم مستمر فى المناطق التى ذكرناها وأنه فى نهاية القرن سيكون ثلثا القارة مسلمين وبهذا تنحسم معركة الصراع الدينى والفكرى الخطيرة فى أفريقية لصالح الإسلام والعروبة بالتالى .

وقد قرر ذلك واحد من أعظم الباحثين الفرنسين فى شئون الإسلام فى أفريقية وهوفنسان مونتائى .

ماذا حدث عند الاستقلال :

حدث أن المستعمر الأوروبى عندما قرر

والحدسا وما إليها . وهذه كلها ليست قبائل ، وإنما مجموعات قبلية كبرى ، وكان الإسلام قبل عصر الاستعمار وبعده ينتشر فيها انتشارا سريعا بفضل قوافل التجارة فى الغرب والوسط ثم بفضل الهجرات العربية (فى شرق أفريقية)

موقف الإسلام اليوم

وفى نهاية عصر الاستعمار (خلال الستينات) كان سكان أفريقية فى مجموعهم يقدرون بحوالى ٣٠٠ مليون نسمة وعدددهم فى أوائل السبعينات ٣٣٥ مليون

فاجتهد في تعليم هؤلاء الأفراد وتدريبهم على العمل ، وعندما خرج المستعمرون عهدوا إليهم في الأمور عن طريق « انتخابات سليمة » أجرتها سلطاته تحت رقابة الأمم المتحدة .

لهذا وجدنا أنفسنا في معظم بلاد أفريقيا أمام سلطة حاكمة مسيحية تعمل على إيقاف تقدم الإسلام .

حتى في بلد مثل نيجيريا كانت السلطة فيه في يد المسلمين في نهاية الاستعمار قامت ثورة دبروها هم بأيديهم للإطاحة برؤساء البلد من المسلمين .

هنا ندخل في النقطة الهامة من هذا العرض ، وهي أن هناك سياسة غير منظورة سياسة مدبرة يجري تطبيقها بنظام ، وهي الوقوف في وجه الإسلام .

سياسة مرسومة لحرب الإسلام :

ولابد أن نلفت النظر هنا إلى حقيقة هامة هي أن الإسلام بالذات من دون الأديان ينتشر بالقبائل أى أن القبائل تسلم كلها إذا انتشر بين رؤسائها ، ورؤساء القبائل الحقيقيون هم التجار ، وهم أصحاب الأموال .

حقاً إن كثيراً جداً من القبائل منظمة على أساس أنها دول داخل الدول وفي كثير

أن يتخلى عن المستعمرات قرر أن تظل في دائرة نفوذه وربطها إليه ثقافيا واقتصاديا وكان الدين عنصرا رئيسيا من عناصر هذه السياسة ، إذ أنهم كانوا يعرفون أن عدوهم الحقيقي في أفريقية هو الإسلام وأن المسلمين أصحاب عقيدة حضارية قوية وشخصية لا يمكن القضاء عليها ، ثم أنهم المؤسسون لأعظم الحضارات الأفريقية قبل الاستعمار .

في غرب أفريقية مثلا أقام المسلمون الأفريقيون ثلاث دول كبرى هي غانة ومالى ومنغاي .

وفي وسط أفريقية المدارية أقام المسلمون مملكتي البورنو والكاثم ، وفي شرق أفريقية دخلت في الإسلام أقوى القبائل التي قاومت الاستعمار الصومالى والغاندى والجالو والمساى . وكانت كل قبيلة من هذه - وما زالت - مملكة ورئيسها يسمى بالفعل ملكا .

وفي إقليم نيجيريا كانت القبائل الكبرى هي الإسلامية : الفولا والهومبا (الهاوزا) والكنورى والكوكاوا .

لهذا حرص الاستعمار على أن يهمل هذه القبائل والممالك الإسلامية وأن يوجه همه إلى الأقليات التي استطاع أن ينصّر بعض أفرادها . .

وأمامنا كذلك مأساة تشاد ، وهو بلد
غالبية سكانه مسلمين ولكن الفرنسيين
أرادوا أن يظل تحت حكم ربيهم فرانسوا
توميلباى .

وهناك مجموعة من بلاد أفريقية يقف
الغرب وراءها ويعطيها قدرا يستوقف النظر
هى كينيا وتانزانيا وزامبيا وملاوى لأن هذه
البلاد تحكمها أقليات غير إسلامية .

ووراء هذه الأقليات الحاكمة تقف
الهيئات المسيحية كلها وخاصة البايوية
ومجلس الكنائس العالمى الذى حاول من
سنوات التدخل أيضا فى شئون جنوب
السودان تدخلا لا يخدم صالح الوطن
السودانى .

وراء ذلك التأييد لتلك البلاد أذن
مصالح غير اسلامية ، بعبارة صريحة : هذه
السياسة كلها مرسومة للقضاء على
الإسلام .

وفى هذه البلاد جماعات اسلامية
ضخمة ولكن الحكومات لاتشجع الإسلام
ولا تؤيده ، وفى تنزانيا بالذات قضت
السياسة على استقلال زنجبار لأنها كانت
مركزا لانتشار الاسلام .

والحكم هناك يقوم بالفعل على تأييد
قبائل غالبيتها وطنية . وانظر مثلا إلى الهجوم
الضخم على عيذى أمين وحكومة أوغندا .

من الحالات يحمل رئيس القبيلة لقب
الملك كما قلنا ، ولكن القوة الحقيقية فى
بلاد أفريقية الإسلامية فى يد التجار فقبائل
الولف والسوفنكى والمالنكى والبارميلا
والفولا والديولا والبابارا فى غرب أفريقية
كلها إسلامية وكلها كذلك قبائل اشتهرت
بالمهارة التجارية ، ورجالها يسيطرون على
اقتصاد البلاد .

وقبائل اليوروبا (فى غانا وفولتا العليا
وتوجو وجنوب نيجيريا) لم تسلم قط ،
وكانت من أفقر قبائل غرب أفريقية ولكن
المبشرين يعملون اليوم على تنصيرها
واستخدامها فى محاربة سير الإسلام .

ومن أظهر الأمثلة على ذلك قبائل
الايبو والتيف والأودو حول خليج بنين فى
نيجيريا ، وكلنا نذكر ماذا حدث فى
نيجيريا من مقتل أحمد باليو إلى دكتاتورية
جون إلى ثورة هذه القبائل التى أرادت أن
تحطم وحدة نيجيريا وتستقل بإقليم بيافرا
مكونة دولة مسيحية تناوى نيجيريا
المسلمة .

والهدف الرئيسى هنا هو تحطيم وحدة
نيجيريا خوفا من أن تتحول كلها إلى
الإسلام وتصبح نيجيريا بسكانها الستين
مليون قوة إسلامية ضخمة وسط أفريقية
المدارية والاستوائية .

ناس جدد في الإسلام .
في نفس الوقت تضاعف الهيئات
التبشيرية نشاطها بكل قوة فيما بين
الحكومات - أرجو القارئ أن يصدقني
عندما أقول هذا الكلام - ستكره الهيئات
المسئولة عن الدعوة الإسلامية ، ولكنها
لاستطيع الاعتراف بأنها تخسر المعركة
حقاً . .

في أفريقية المدارية والاستوائية باستثناء
زائيرى كان المسلمون عشرة أضعاف
المسيحيين ، واليوم أصبح المسيحيون
أضعاف المسلمين . المعركة اليوم تدور حول
كسب ٧٠٪ من سكان أفريقية وهم وثنيون
إلى الإسلام أو النصرانية .
هؤلاء الوثنيون كسبوا هم كثيرا جدا في
كل منطقة في حين أننا نحن نراجع ونريد
أن نقول إن مستقبلنا - أى مستقبل عرب
أفريقيا - متوقف على نتيجة هذه المعركة ،
من يكسب الأغلبية الدينية يكسب .

الأزهر لم يوفق مع الأسف في رسم
سياسة أفريقية ولا في تنفيذ مايقوله رجاله
المسؤولون عن الدعوة .

وهيئات الدعوة للإسلام في كل بلادنا
العربية تقف وراء الأزهر بكثير في هذا المجال .

سيقولون : انظروا إلى المراكز الثقافية
التي أنشأناها .

كانوا جميعا صامتين على أعمال ملتون
أوبوتى لأنه كان من قبيلة مسيحية وكان
واحدا من زمرة المقاومين للإسلام وكان
يحاول أن يدفع المسيحية إلى الأمام وعيدى
أمين مسلم من قبيلة اسلامية لهذا يشنون عليه
كل هذه الحرب .

الإسلام الأفريق في خطر :

هناك إذن عامل ديني وراء كل
سياسات البلاد الأفريقية في البلاد التي
تستولى على أزمة الحكم فيها هيئة غير
إسلامية ، فهي بكل صراحة تعلن الحرب
على الإسلام : توقف أعمال الدعوة ، تضع
العقبات أمام الهيئات الإسلامية ، تضع
الصعوبات أمام تعليم المسلمين ، ولا تنظر
الدول بالارتياح لتعليم اللغة العربية .
ودعنا هنا من الخطب التي تلقى في
اجتماعات مجلس الوحدة الأفريقية

توقف تقدم الإسلام في أفريقية ككل :

وفي أيامنا هذه توقف تقريبا توسع
الإسلام في أفريقية جنوبي الصحراء .
توقف ونحن نأتمون مطمئنون إلى أن الإسلام
يسير إلى الأمام كما عهدناه .

الزيادة في أعداد المسلمين هي الزيادة
التي تأتي من مواليد المسلمين لامن دخول

الإحصاءات الرسمية إن عددهم ٢٠ مليوناً .

وهناك حقائق أخرى نستأذن القارئ ألا نذكرها لأنها تثير عواصف سياسية نحن في غنى عنها الآن .

والعمل ؟

العمل هو أن نضع أمام أعيننا هذه الحقيقة : إما أن يكسب الإسلام معركة أفريقية أو أن مستقبلنا في هذه القارة سيكون حرجاً من أوائل القرن الحادى والعشرين بدلا من توجيه نشاط الدعوة الإسلامية إلى داخل البلاد العربية - والإسلام فيها بخير - ينبغي أن يوجه النشاط إلى أفريقية أولا ثم إلى آسيا ثانيا . إن القاهرة أودمشق وأحلب أو الكويت أو تونس أو المغرب حافلة بالمساجد ، فإذا أردنا أن ننشئ مسجداً فلنبنه في بلد أفريقى ، لأن الإسلام ليس في خطر في حى الحسين ولكنه في خطر في نيجيريا وفي غينيا وتشاد وتزانيا وزامبيا وملاوى وفي كل غرب أفريقية .

والذين يرسمون خطط إنشاء المساجد في مصر مثلاً عليهم أن يعرفوا أن هناك قبائل أفريقية مسلمة كاملة لاتجد مسجداً واحداً تصلى فيه .

انظروا إلى أعداد المبعوثين الذين نعلمهم .

انظروا إلى رسائل التأييد التى تلقاها . ونقول لهم :

كل هذا الكلام نحن نعرفه وأنتم تعرفون حقيقته .

وحرام أن ندافع عن أنفسنا ونضحى بالإسلام ، وكلكم تعرفون أنكم تخسرون . المعركة في أفريقيا وفي آسيا .

مستقبل العرب في أفريقية متوقف على نتيجة هذه المعركة :

إذا سارت الأمور على هذا المنوال سنجد أنفسنا في أفريقية ١٥٠ مليوناً في مواجهة ٣٠٠ مليون غير مسلم على الأقل . هنا يتزعزع مركز العرب في القارة والعالم كله تبعاً لذلك - هذه حقيقة - ينبغي أن نضعها نصب أعيننا .

وحقيقة أخرى لاتقل أهمية عن هذه ، وهى أن معظم المعلومات التى تزداع عن أفريقية وعن أديان أهلها معلومات كاذبة هدفها تصوير القارة على أنها قارة غالبية سكانها مسيحيون أى غربيون .

فنحن نعرف مثلاً معرفة يقين أن سكان نيجيريا الآن ٦٢ مليون نسمة منهم أربعون مليوناً على الأقل مسلمون ، بينما تقول

وقد أخطأنا خطأ جسيماً عندما وافقنا على أن تكون أديس أبابا مقراً لمجلس الوحدة الأفريقية .

وعندما وقع الانقلاب وتخلّى الغرب عن الحبشة أسرع روسيا السوفيتية لتقف إلى جانب منجستو مريم . .
أليس هذا كافياً لكى يفتح المسلمون أعينهم . .

والذين يجهدون أنفسهم في إنشاء جماعات دينية في مصر وغيرها من بلاد العروبة مهمتها تقويم إسلام المسلمين ، أليس أولى بهم أن ينشروا الإسلام في بلاد أفريقية ؟

والذين أرادوا أن يكفروا عن ذنوبهم ويهاجروا إلى الله ألم يكن أولى بهم أن يهدوا الكفار ويهاجروا إلى الجبهة التي يحارب فيها الإسلام وحده اليوم ليكونوا مجاهدين حقاً ؟

إن مستقبل الإسلام في أفريقية في خطر . . وأعتقد أن هذا واضح الآن . وكل ملهم ينفق في أغراض إسلامية ينبغي أن ينفق اليوم خارج الحدود لاداخل دار الإسلام .

إن عندنا معاهد لتخريج الدعاة ولكنها في الحقيقة تخرج موظفين على درجات والداعية الحق لا يمكن أن يكون موظفاً على

وهل تعلم مثلاً أن مسجداً إسلامياً كبيراً واحداً كالذى بنته البلاد العربية في السنغال كان له أبعد الأثر في تقوية مركز المسلمين هناك ؟

من رأيي أن نوقف إنشاء المساجد داخل عالم الإسلام وأن نوجه العمل كله خارج عالم الإسلام في أفريقية وآسيا .
إن المساجد هي قواعد انتشار الدعوة الإسلامية . وهناك مساجد قامت بها جيوش فاتحة خذ مثلاً مسجد القرويين في فاس فهذا المسجد كان ذا أثر حاسم في نصر الإسلام النهائي في المغرب الأقصى حتى آخر منطقة الصحراء التي كانت بالأمس إسبانية والآن انضمت إلى عالم الإسلام .

وجامع الفاشر في كردفان في جنوب غربي السودان « فتح » للإسلام بلاد وادي القديمة وثبت الإسلام في بلاد تشاد حيث قامت مملكتنا البورنو والكاثم الإسلاميتان .
وهل هناك إهانة للإسلام في أفريقيا هي أشد ألماً من سيطرة بلد متأخر هو الحبشة على شعب إسلامي عربي كامل هو الشعب الاريتري .

إن أوروبا كلها وراء هذه المأساة . . كانت وراءها أيام هيلسلاسي ، وهو دون شك كان من ألد أعداء الإسلام ، وكان الغرب كله يؤيده لهذا السبب .

والقاعدة الأسوية هي الأضخم ، لأن أعداد المسلمين الأسويين تكون صلب الكتلة الإسلامية في العالم ، إنها تمثل ثلثي أعداد المسلمين في الدنيا .

في آسيا خمسمائة مليون مسلم ، أى سبع سكان الأرض ، كل سبعة من أهل الأرض فيهم واحد مسلم أسوى ، إذا ضمنهم إليهم مسلمي أفريقية وجدنا أن المسلمين يكونون خمس سكان الأرض : كل خمسة من البشر أحدهم مسلم . نسبة لأبأس بها . ولكنها بعيدة جدا عما ينبغي أن يكون من وجهة النظر الإسلامية الصرفة ينبغي أن يكون أهل الأرض كلهم مسلمين ، لأن واجب الجماعة الإسلامية هو أن تواصل المغازى حتى يصير الدين كله لله .

ولكن المسلمين قصرُوا في حق الإسلام تقصيرا لا يقوم لهم فيه عذر . . وهانحن اليوم نمثل خمس سكان هذا الكوكب . بل هانحن نشهد تراجع الإسلام دون أن نتحرك .

ولو تركنا الأمر على هذه الحال فسنصبح سبع سكان الأرض ، ثم تقل نسبتنا في النقص مع الزمن .

لأن عوامل محاربة الإسلام اليوم أقوى مما كانت عليه في أى وقت مضى ، لأن

درجة . . إن درجته ينبغي أن تكون عند الله سبحانه وتعالى إذا كان مؤمنا بالله حقاً . .

قرأت ذات مرة على باب دير يعدون فيه المبشرين في إسبانيا : « أيها الشباب الذى يريد أن يدخل في صفوف المبشرين ليس عندنا مال نعطيك إياه » . . ليس لدينا بيت نبنه لك . .

ستنضم إلينا وستخرج داعيا للمسيح وكل ماستجده هو التعب والتضحية والعمل والأمراض . .

لأن جزاءك الحق ليس عندنا . . إنه عند الله .

وبيتلك الحق ليس عندنا إنه عند الله . .

فإذا أردت أن تنضم إلينا فعلى هذا الأساس . .

والإفأنت لست بحاجة إلينا ولسنا بحاجة إليك . . » .

(٢)

وفيا يأتي أعرض للميدان الثانى الذى يخوض فيه الإسلام معركته اليوم وهو الميدان الأسوى .

يقوم الإسلام اليوم على قاعدتين أساسيتين : الأولى أسوية والثانية أفريقية

بنفسك وستحدث الآن عن مأساة الإسلام
في آسيا ..

مأساة الإسلام في آسيا :

كتلة الإسلام في آسيا تتكون من خمس
مجموعات كبرى :

المجموعة الأولى : هي العربية وتشمل
جزيرة العرب والشام كله «بأقسامه الأربعة»
سوريا ولبنان والأردن وفلسطين والعراق .
المجموعة الثانية : هي الإيرانية وتشمل
إيران .

المجموعة الثالثة : هي التركية المغولية
وتشمل أفغانستان وبلاد ماوراء النهر ومايقع
شمالها ، وكلها بلاد وشعوب استولت عليها
روسيا وأدخلتها في نطاقها السياسى
والفكرى .

المجموعة الرابعة : هي الهندية وتشمل
كل مسلمى شبه القارة الهندية وجزيرة
سرى لانكا وجزر ملديف .

المجموعة الخامسة : هي وحدة جنوب
وجنوب شرقى آسيا وتشمل : المسلمين في
بورما وتايلاند وكمبوديا ولاوس والفيتنام
وماليزيا وأندونيسيا والفلبين .

وهذه الوحدات الخمس تضم قرابة
٥٠٠ مليون مسلم ، أى أنها كتلة الإسلام
الكبرى في العالم ..

الإسلام عقيدة وثقافة ، فحاربة الإسلام
تدخل ضمن المعركة الثقافية التى تدور
رحاها على أعنف صورة فى عالمنا
الراهن ..

والغرب اليوم يبذل أقصى جهده
لكسب المعركة الثقافية ، لأن ثقافته إذا
سادت أقليما لم تلبث شخصية ذلك الإقليم
أن تتلاشى فى شخصية الغرب ، ويصبح
فى عداد تابعه .

والصراع بين العالمين الرأسمالى
والاشتراكى فى صميمه صراع ثقافى ،
فالرأسمالية سياسة وأسلوب حياة وثقافة ،
والاشتراكية بشتى ألوانها - من التطرف
الشيوعى إلى الاعتدال الاشتراكى - سياسة
وأسلوب حياة وثقافة .

وإذا كنا نرى روسيا اليوم تؤيد
الحبشة ، فهى لاتسعى من وراء ذلك إلا
إلى إدخال هذه المساحة الكبيرة من أفريقية
ضمن نطاقها الثقافى ، أى ضمن أسلوب
الحياة الاشتراكى ..

وإلى الآن كسبت روسيا مساحتين
واسعتين فى أفريقية : الأولى أنجولا والثانية
موزمبيق ، فإذا كسبت معركة الحبشة
أصبحت روسيا تسيطر بمذهبها السياسى
وثقافتها الاشتراكية على خمس القارة
الأفريقية . وأمامك الخريطة فتأملها لترى

فلننظر في أوضاع الإسلام في كل
منها . .
خطر مباشر على الإسلام ، لأن الإسلام
لا يمكن أن يتخلى عن القدس أولى القبلتين
ومقر الحرم القدسي .

المجموعة العربية :

المجموعة العربية الآسيوية بخير ، فهي
تعتمد أساسا على جزيرة العرب مهد
الإسلام ، وما زالت إلى يومنا هذا نقطة
ارتكاز رئيسية للإسلام اليوم . .

ولكن نكبة إسرائيل دقت في كيان
الشام وتدا خطرا يهدد الإسلام . .
لأن نوايا إسرائيل السيئة تستهدف
الإسلام أصلا ، فليس في الدنيا عدو
للإسلام هو ألد من الصهيونية . ونحن نرى
كيف أن وجود هذا الكيان الدخيل في
صميم أرض الشام يستنزف جانبا ضخما من
الطاقات العربية والإسلامية كلها .

ونحن نرى أن إسرائيل تريد أن تنفرد
بالقدس ، وتريد أن توهموها وتجعلها مركزا
للصهيونية واليهودية ، وهذا خطر شديد
على الإسلام ، وكل ماتقوم به إسرائيل من
أعمال تهويد وقضاء على الثقافة العربية جهد
موجه ضد الإسلام .

والخطر الصهيوني على الإسلام سيستمر
حتى في حالة الوصول إلى تسوية سياسية
أو عسكرية ، لأن وجود إسرائيل نفسه خطر
على الإسلام ، واحتلال إسرائيل للقدس

والخطر الصهيوني على الإسلام سيستمر
حتى في حالة الوصول إلى تسوية سياسية
أو عسكرية ، لأن وجود إسرائيل نفسه خطر
على الإسلام ، واحتلال إسرائيل للقدس

ولم يطمئن الإسلام على سلامته نهائيا

ووجود إسرائيل على هذا الوضع يقسم
العالم العربي قسمين ويهدد عروبة البحر
الأحمر ، ويفتح الباب واسعا للتدخل
الأجنبي في قلب العالم العربي .

وها نحن نرى كيف أن وجود إسرائيل
عنصر أساسي من عناصر الأزمة اللبنانية
والأزمة اللبنانية أخذت مع الأسف وجهها
دينيا فأصبحت على نحو ما حربا على
الإسلام في لبنان .

ولاحاجة لنا إلى القول بأن الإسلام في
فلسطين والأراضي المحتلة في خطر .

ومعنى ذلك أن الإسلام في المجموعة
الأولى من مجموعات الإسلام الآسيوية في
خطر .

ويكفي أن نذكر أن الخطر الصهيوني
على الإسلام يشبه الخطر الصليبي الذي
استهدف كيان الإسلام ابتداء من نهاية
القرن الحادى عشر الميلادى (١٠٩٧) ولم
يطمئن الإسلام على مصيره إلا بعد أن
انكسرت الموجة الصليبية انكسارا حاسما
سنة ١١٨٧ في حطين على يد صلاح
الدين .

وتحت ستار الدعوة إلى التحرر من تراث الماضي حيناً آخر.

ولا ينبغي قط أن نقلل من أهمية هذه الإذاعات المسمومة ، فهي تجتذب الكثير من الشبان وتفسد تفكيرهم بتشكيكهم في الإسلام وعقيدته وشريعته والتهوين من قدر الثقافة الإسلامية . .

ولابد أنك سمعت عن وجود خلايا شيوعية تحاول إثارة الخواطر والنفوس لافي إيران فحسب ، بل في أفغانستان وباكستان وغيرها من بلاد الإسلام .

هذه الظاهرة لاتعني هنا إلا من الناحية الإسلامية فحسب .

فإن الدعوة الشيوعية دون جدال دعوة معادية للإسلام ، وكل شاب تكسبه يخسره الإسلام . .

والذين يمدون هذه الخلايا بالمال ومادة الدعاية والسلاح يعرفون أنهم يحاربون الإسلام . ومن ثم فهم خطر يهدد الإسلام في هذه المجموعة . .

أى أن هذه المجموعة الإيرانية الإسلامية تواجه أخطارا من هذه الناحية .

المجموعة التركية :

تلك هي المجموعة التي خسر فيها الإسلام معركة من أكبر معاركه ، ومازال

إلا بعد استيلاء الصالح خليل السلطان المملوكى على آخر معاقل الصليبيين سنة ١٢٩١ .

المجموعة الإيرانية :

في عصور الاضمحلال استولت روسيا على أجزاء ضخمة من أراضي المجموعة الإسلامية الإيرانية . .

وجدير بالذكر أن إيران كانت مساحتها السياسية والثقافية أوسع مما هي عليه اليوم بكثير . .

ولكن روسيا اقتطعت من أراضي الشعوب الإيرانية نصف إقليم أذربيجان ومعظم إقليم خوارزم وجزءا من إقليم خراسان .

وفي كل هذه الأجزاء التي اقتطعتها روسيا تحاول القضاء على الإسلام بحجة أن مذهبها الشيوعى يتنافى مع الأديان . .

وقد أنشأت روسيا في تلك الأجزاء التي اقتطعتها مراكز الدعوة الشيوعية لتحارب الإسلام ، وأهملت المساجد حتى تهدم القائم منها ، وحرمت إقامة مساجد جديدة .

ومن محطات الإذاعة الروسية (وخاصة محطة أريفان) نسمع دعاية مستمرة ضد الإسلام تحت ستار الاشتراكية حيناً ،

يخسر مع الأسف . . ! !

إننا نحزن على الأندلس ونؤلف الكتب في مأساة الأندلس فما بالك وخسارتنا في الأندلس أقل بقليل من خسائرنا على الجبهة التركية .

ففي القرن الخامس عشر كانت كل البلاد الواقعة شمال إيران في نواحي ماوراء النهر أى الأراضي المنحصرة بين نهري سيحون « أموداريا » وجيحون « سروايا » أراضى إسلامية ومساحتها تعادل مساحة الأندلس .

وإلى شمال ماوراء النهر ، والتركستان كانت تمتد بلاد معادية للدولة والإسلام في إيران ، ومن بينها مثلاً حزب تودة الذى يستخدم محطات الإذاعة الروسية فى عواصم الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية فى آسيا . والسلطات الإيرانية تشعر بهذا الخطر وتواجهه بما ينبغى له من حزم وصلابة حفاظا على كيان إيران نفسه ، وإيران كيان إسلامى عظيم .

وربما استطعنا أن نقول إن الخطر على الإسلام هنا قليل ، ولكنه قائم ، وهو يتزايد مع تزايد انتشار الدعوة الشيوعية التى تجتذب قلوب الكثير من الشباب تحت ستار الاشتراكية وإنصاف الطبقات التى يزعمون أنها مظلومة .

المجموعة التركية المغولية :

تشمل هذه المجموعة بلادا تركية صرفة ثم الجمهورية التركية وأفغانستان وبلاد ماوراء النهر من حوض نهر الفاريم وجبال التاي فى وسط آسيا حتى شمال البحر الأسود كل هذه كانت بلادا إسلامية خالصة ومساحتها تعادل مساحة الشمال الأفريقى كله .

وشمال البحر الأسود حتى مجرى الدنيير (جنوبى الأوكرانيين فى روسيا) كانت بلادا إسلامية أيضا تسكنها جماعات من التركمان والمغول المسلمين . .

أين ذهب ذلك كله ؟

ابتلعه الاتحاد السوفيتى ، وحارب الإسلام فيه أيام القيصرية باسم الدين ، وبعد القيصرية باسم الشيوعية .

وأظن أننا لاندفع سرا عندما نقول إن السياسة الروسية تعمل بصراحة على القضاء على مابقى من الإسلام فى كل هذه النواحي .

هناك اليوم ست جمهوريات إسلامية تحت السلطان الروسى . . إنها جمهوريات بالاسم ، وأظن أن هذا واضح ومعروف ، هذه الجمهوريات هى :

أذربيجان - كازاكستان -

السائدة في شبه القارة . ولم يتصد للدفاع عن الهند إلا المسلمون . وبعد القضاء على قوة المسلمين لجأ الإنجليز إلى سياسة معادية للإسلام ، فشجعوا - غير المسلمين - واجتهدوا في تعليمهم ، وأخذوا يحرضون الهندوك على الإسلام ، وحرّموا المسلمين من الوظائف ونشروا في الهند فكرة أن الدول الإسلامية في الهند ليست دولاً هندية ، بل دول غازية أو مستعمرة كما قالوا ، وقالوا إنهم مغول وأتراك وليسوا هنوداً ، مع أن مغول الهند أنفسهم أصبحوا مع الزمن هنوداً . ثم إن تسعين في المائة من مسلمي الهند اختاروا الإسلام ديناً .

وأوقع الإنجليز بين الهنود والمسلمين . قبل دخول الإنجليز لم تعرف الهند مذابح المسلمين والهندوس ، وكان الإسلام يسير في طريقه في هدوء ، يكسب قلوب الناس شيئاً فشيئاً كما فعل في غير الهند من البلاد . ولكن الإنجليز أوقفوا هذا التيار ، ومن المعروف أن مبدأ فرق تسد لم يطبق في التاريخ على نحو هو أظهر مما حدث في الهند .

المهم أن الإنجليز فرقوا بين المسلمين وغيرهم في الهند ، وأوقعوا بينهم عداوات وأحقاداً انتهت آخر الأمر بتقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين سنة ١٩٤٧ وعقب

قرغيزستان - تاجيق - التركمان - أوزبك . ماذا يجري للإسلام في هذه الجمهوريات ؟

وألّيس من واجبنا أن نزيح الستار عن مأساة الإسلام التي تجري هناك ؟ إن الإسلام هناك ليس في خطر فحسب ، بل هو في ضياع حقيق .

لقد كتب في هذا الموضوع مستشرق فرنسي هو فنّان موفّيل ، ولم يكتب فيه - من هذه الزاوية - أحد منا ، ربما كان ذلك فيما مضى مجاملة للاتحاد السوفيتي ، ولكن هل تجوز المجاملة على حساب الدين ؟ ثم ماذا يضيرنا لو بسطنا الحقيقة وطالبنا بحق الإسلام في هذه النواحي ؟

إن كل ما يخالف حقوق الإنسان يرتكب ضد مسلمي الجمهوريات السوفيتية من الحجر على الدين والعمل على تغيير الطابع الثقافي للبلاد ، وإهمال المساجد ومحاربة الإسلام صراحة وغير ذلك .

فهل يجوز السكوت والإسلام في خطر حقيق في هذا الجزء الواسع من آسيا ؟

الإسلام في شبه القارة الهندية :

عندما استقرت قبضة الإنجليز في الهند في القرن السابع عشر كان الإسلام هو القوة

خروج الإنجليز من البلاد ، وعلى الرغم من أن المسلمين هم الذين طالبوا بهذا التقسيم إلا أنه لم يكن في صالح الإسلام ، لقد اضطروا إليه اضطرابا ، ومحمد على جناح الذى تم على يده إنشاء باكستان كان أول الأمر عضوا في حزب المؤتمر الهندى وكان من المناادين بوحدة الهند واستقلالها ، ولكنه اضطر إلى تغيير سياسته ووضع كل همه في إنشاء دولة خاصة للإسلام في الهند هي باكستان .

ولكن باكستان عندما قامت كان ينقصها إقليم كشمير . . إننا لا نتكلم هنا سياسيا وإنما ثقافيا وإسلاميا ، وكشمير جزء من الوطن الإسلامى ، ووضعها على الصورة الراهنة فيه ضرر على الإسلام . ومهما كان رأى في انقسام باكستان سنة ١٩٧٠ إلى دولتين . فإن ظهور دولة بنجلاديش أى وطن البنغال (بنجلا : البنغال ، دش = وطن) لم يخدم الإسلام قط . وخير لنا - بداهة - أن تكون هناك دولة إسلامية واحدة قوية ، من أن تكون هناك في شبه القارة الهندية دولتان إسلاميتان لا تملكان القوة التى تتطلبها الإسلام في صراعه الحاسم اليوم .

هنا أيضا ينبغى أن نقول إن الإسلام في خطر .

مجموعة جنوب شرق آسيا :

كلنا نفخر بأندونيسيا ونعلق عليها الآمال ، فهي أكبر دولة إسلامية على وجه الأرض من حيث المساحة وعدد السكان . .

ولكن أندونيسيا - رغم حبنا لها وتقديرنا إياها - لا تتبع السياسة الإسلامية التى تؤمن الإسلام في بلادها . .

فقد عزل سوكارنو والتفاهم مع الولايات المتحدة فتفتحت أبواب البلاد لإرساليات التبشير الأمريكية بوجه خاص . .

وأحب ألا يستهين أحد بعمل هذه الإرساليات . لقد طالما استهنا بأعمالها وقلنا إن الإسلام وحده كفيل بإحباط كل جهودها ، ولكننا في النهاية نجد أنفسنا أمام مواقف تتحول إلى مشاكل إسلامية قومية كما في جنوب السودان .

إننا نريد أن نقول لإخواننا في أندونيسيا - والإسلام في بلادهم أمانة في أعناقهم - إن هذا التساهل مع بعثات التبشير سيؤدى يوما ما إلى مشكلة قومية مشكلة أمن داخلى لأندونيسيا كلها .

إن الأمريكين يؤيدون أعمال التبشير بكل قواهم لكى يزعموا أقدام الإسلام في

الأقليات الصينية : ضغط الفيليبين على
سلفنى صباح دبروناي في شمال جزيرة
بورنيو .

ثم أين جهودنا للدعوة الإسلامية في
جزيرة بورنيو وهي ميدان خصب للتبشير ؟
ثم الإسلام في الفلبين ، ماذا فعلنا
لمعاونة إخواننا هناك ؟ .. إنهم يقاتلون
ويجاهدون ولكن العون من ناحيتنا قليل بل
معيب .

إذا ذكرت ماقلناه عن الخطر على
الإسلام في أفريقية وأضفته إلى ماقلناه هنا
تبين لك أن الإسلام في الدنيا في خطر ..
وكلما تصورت وضع الإسلام في الدنيا
اليوم والمركة التي يخوضها وحده - أجل
وحده - تردد في خلدي قول نصرين سيار :

أرى خلل الرماد وميض نار
ويوشك أن يكون لها ضرام

أقول من التعجب ليت شعري
أأيقاظ أمية أم نيام ؟
نعم ، أأيقاظ نحن أم نيام .. ؟

إن الإسلام في الدنيا في خطر .. !!
الإسلام في الدنيا يترجع !!
نحن في حاجة إلى سياسة بعيدة المدى
للحفاظ على الإسلام ..

كل مانعله في هذا الباب قليل ، قليل
جدا ..

أندونيسيا ، فهل نتنظر حتى تتعقد المسألة
وتصبح مشكلة قومية هناك ؟

ولماذا لاتتخذ حكومة أندونيسيا منذ
الآن قرارا حاسما بإيقاف أعمال التبشير في
بلادها لتتقذ نفسها من مشكلة لا بد أن
تظهر يوما ما ؟

وهل يعلم المسلمون مثلا أنهم عندما
قسموا جزيرة غينيا الجديدة إلى قسمين :
شرق يتبع أستراليا وغرب يتبع أندونيسيا
(إيريان الغربية) ركزت جمعيات التبشير
جهدا في إيريان الغربية التابعة لأندونيسيا
لكي يحولوها إلى أرض مسيحية تاركن
إيريان الشرقية (وهي تابعة لهم) لأنهم
واثقون بأنها بلادهم ..

نريد أن نقول هنا إن الإسلام في خطر
في أندونيسيا ..

هل تذكر المثل الذي يقول : من مأمنه
يؤتى الحذر ؟ إذن فأذكر إلى جانب ذلك
أننا سنؤتى في جنوب شرق آسيا من مأمنا :
أندونيسيا .

والبلد الواعي حقا إلى إسلامه هو
ماليزيا . هنا تجد الدولة إسلامية حقا
وحرصها على الإسلام وسلامته عظيم ..
ولكنهم يثيرون المشاكل في طريقها :
حروب العصابات التي تشجعها السلطات
الشيوعية في شبه جزيرة ملقا ، تحريض

والذين يتيهون بالتمدح في الإسلام في
 حتى الأزهر حقيقون بأن يعرفوا أن حي
 الأزهر ليس ميدان معركة ، فالإسلام هنا
 بخير . . أما المعركة فتدور هناك على
 الحدود .
 هناك ميدان الجهاد في سبيل الإسلام
 حقا .
 هناك يخوض الإسلام معركة حياة
 أو موت . .
 هل تسمعون ؟ معركة حياة أو موت . .
 د . حسين مؤنس

الاتباع والابتداع

من خطبة لأمر المؤمنين عمر بن عبد العزيز على منبر مسجد بني أمية
 في دمشق .

«أيها الناس ، ليس بعد نبيكم نبي ، وليس بعد الكتاب الذي أنزل
 عليه كتاب ، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة ،
 وما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة » «ألا إني لست
 بقاض ، وإنما أنا منفذ ، ولست بمبتدع ولكن متبع ، ولست بخيركم
 وإنما أنا رجل منكم ، إلا أني أثقلكم حملاً ، ألا لا سلامة لامرئ في
 خلاف السنة ولا طاعة لخلق في معصية الخالق » .

السلام والاستقبال^(١)

الدكتور / فتحي رضوان

بثقافتهم ولا عن بذل الوعد وراء العهد ، بأنهم سيقومون ما تدعى من بنائهم ، وسيسترجعون ما تلاشى من أمجادهم ، وأن الزعامة تنتظرهم ليقودوا الإنسانية إلى عهد جديد من السلام والتآخي والتعالى على مشكلات العصر الحاضر ، والتوفى من آفاته ، واستلهم الدين الحنيف أسساً شبيهة به ، وقائمة عليه ، تحقق ما جاء من آيات القرآن الكريم من مثل قول الله تعالى : (ولقد كرّمنا بنى آدم) - (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) - (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) - (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) - (إنما يتخشى الله من عباده العلماء) .

وتعصى القرون وهذه الوعود تتبخر في الهواء ، ثم تسمع ، وتتبدد في الفضاء وتكرر ، ويبقى كل شيء في مكانه : فقد أصبحت دولة الإسلام الكبرى أما تفرقت

لعل المسلمين بين الأمم البانية للحضارات ، والمنشئة للثقافات ، والتي ظفرت يوماً ما بالمجد والصدارة ، ثم أдал الزمن عليها . فبادت حضارتها ، وأصبحت آثارا توحى وتلهم ، وركدت ثقافتها ، فباتت مراجع للباحثين ، ومصادر للدارسين . . . لعل المسلمين بين تلك الأمم ، أغربها ، وأبعثها للدهشة ، وأدعاها للحريرة .

فهذه الطائفة من الأمم ذات المجد المندثر ، والماضى الزائل ، واحدة من أمتين : أمة زالت من الوجود تماماً ، بروال ملكها الأئيل ، وعزها الرفيع ، وأمة بقيت بين الأحياء ، ولكنها نفضت يدها من تجديد المجد الضائع ، واستثناف الحكم المنقرض ، واستنامت للواقع ، ورضيت به .

أما المسلمون ، فلم يكفوا قط عن التحدث عن حضارتهم ، ولا عن الإشادة

(١) عن مجلة الهلال المصرية

١٢٢٧ ، حينما طارد المغول أمامه قبيلة من الترك في سهول آسيا الوسطى ، إلى الغرب ، ولم يكن تعداد تلك القبيلة يزيد على حفنة صغيرة من آلاف من رعاة البدو ، وقد استقر بهم الترحال آخر الأمر على مقربة من (أنقرة) أشبه شئ بأتباع أو عبيد للسلاجقة .

فلما أفل نجم دولة السلاجقة في سنة ١٣٠٠ ارتفع عن أعناقهم أنير العبودية وأصبحوا أحرارا . وما لبث شيمهم أن رفع نفسه إلى مرتبة (السلطان) ، ومنذ ذلك التاريخ ، إلى سنة ١٩٢٢ ، بقيت هذه القبيلة سيدة تركيا ، وصاحبة الكلمة النافذة فيها ، فقد عرفت بدولة بنى عثمان ، وذاع هذا الاسم وشاع ، حينما امتد ملك بنى عثمان ، من فارس إلى (فيينا) عاصمة النمسا في أوروبا فدخلت في إمبراطوريتهم أجناس وشعوب عديدة لم تجتمع في ظل إمبراطور آخر . حتى ولا إمبراطورية أسرة هابسبورج ، التي عرفت باسم « إمبراطورية النمسا والمجر » .

فقد أظلت دولة بنى عثمان مع الأتراك والعرب ، الرومانيين ، والصرب ، والكروات واليونان ، والبلغار ، والمجر ، والألبان . ففي سنة ١٤٥٣ فتح بنو عثمان القسطنطينية ووضعوا نهاية بذلك الفتح

الأيدي بها وحضارة أصبحت غرائب في المدن ، ليس لها حتى ما للآثار عند الأمم المعاصرة من مكانة ورعاية ، وثقافة ركزت حتى استحالت مستنقعات ملأها الهوام والحشرات ، وفاضت منها روائح تزكم الأنوف ، وتضيق لها الصدور ، فهي إما خرافات وأراجيف ، وإما قطع متناثرة من القديم والجديد ، والبالي والمستحدث والعلم والأمانى . . وعلماءنا أكثرهم عالة على علماء آخرين يأخذون عنهم ، ولا يلحقون بهم . إلا إذا رحلوا عن بلادهم ، ونأوا عن مجتمعاتهم ، وأظلمت سماء الأجانب ، وطوتهم مجتمعات الأعداء . . فهل سيبقى هذا مصير المسلمين إلى غير غاية وأمد ؟ لكن ما السر في هذا الشوق المتجدد عند المسلمين إلى ماضيهم ؟ . . وما سبب عجزهم عن تحقيق ما يتوقون إليه ويطمعون فيه ، وفي أرضهم ومائهم وبرهم وبحرهم ، وموقعهم وبعض حاضرهم ، ما يرشحهم للمكانة التي يحلمون بها ، والزعامة التي يتطلعون إليها ؟

لقد حدثت في آخر مراحل الحكم الإسلامى المجيد الباهر ، ملابسة ، أربكت المسلمين ، واضطرب لها تاريخهم ، فتعثر مسيرتهم ، وقد بدأت في أوائل القرن الثالث عشر . وعلى وجه التحديد سنة

يتعقبوا فلولهم ، حتى لا يبقى لهم أثر لا في أوروبا وحدها بل في المسرح السياسي والعسكري الدولي قاطبة . . وظل الصراع بين أوروبا وتركيا ثلاثة قرون . كان العالم الإسلامي فيها يشاهد ، ولا ينتفع بشيء مطلقا من هذه المأساة الطويلة المريرة ، وقفت تركيا في وجه حملات الاستعمار الغربي ترده وكان دمها ينزف ، ومالها ينقد ، وقواها تتسرب من جوانبها ، حتى سميت آخر الأمر (بالرجل المريض) . .

فإذا كان أثر هذا كله في العالم الإسلامي وأحلامه التي تتخذ من المجد وعودة الصدارة إليهم محورا ، تدور حوله ، وتتفرع منه ، ثم تعود فتتجمع وهكذا دواليك . .

كان أول الآثار لوجود دولة بني عثمان ، واتساعها ثم تداعيا وانسحابها أن المسلمين أحسوا في قيام (الخلافة) في الآستانة ، أودار السعادة ، أو (اسلامبول) ، أو (استانبول) ، بأن مجدهم المادى ، وملكهم الدينوى لم يزل وأن لهم (دولة) تمثلهم ، وتدافع عنهم ، وتنزل بأعداء المسلمين والإسلام الحاقدين عليهم وعليه ، والخاصين منهم ومنه ، والهزائم تردهم على أعقابهم خاسرين .

وكان سلاطين بني عثمان يفعلون ذلك

المبين لحياة الإمبراطورية البيزنطية المتداعية ، آخر طيف لروما الإمبراطورية ، أو امبراطورية روما . وبتحويل كنيسة « أيا صوفيا » في القسطنطينية إلى مسجد بات للعالم المسيحي الغربي كابوس ثقيل لا يفارقه في الليل أو النهار ، اسمه (التركي) ربما بسبب ماركبهم من خوف ، إنه لن يمضي وقت طويل حتى تدخل جياد جيوش تركيا إلى مذبح القديس بطرس في كنيسة هذا القديس ، بعد أن تحوله مذودا . وتصاعد الخوف من (التركي) الرهيب عندما فتحت هذه الجيوش مصر في سنة ١٥١٧ بعد أن تدفقت جحافلهم على الشرق العربي ، ثم اندفعت إلى شمال أفريقيا . .

وعبر سلطان فرنسا ، فرانسوا الأول باسم الغرب المسيحي عن الفزع الذى تولى هذا الجانب من العالم ، إذ عقد مع سلطان تركيا معاهدة ليكون السلطان المسلم ردها - للملك المسيحي في صراعه مع عائلة هابسبورج . وحاصر الأتراك فيينا في ١٦٧٣ ، ولكنهم ردوا على أعقابهم ، ومنذ ذلك التاريخ انحسرت موجة المد ، وبدأ الجزر واستمر ، وبدأ دور تركيا في صد هجمات لا نهاية لها من الغرب المسيحي ، الذى كان قد استجمع قواه ، وقرر أن يطرد الأتراك المسلمين من أوروبا ، ثم أن

حقاً وصدقا ، فقد بقيت دولتهم قروناً . .
 قوة عسكرية ، وسلطة إمبراطورية ، ثم
 يشهد تاريخ الإمبراطوريات ، والدول
 الضخمة ذات السلطان الواسع ، دولة في
 مثل اتساعها وصمودها للزمن . وكان
 السلاطين يعترفون باتهمهم للإسلام ،
 ويقيمون وزناً لكلام شيوخ الإسلام ،
 ويطيعونهم في أكثر الأمر ، ولما تناقضت
 قوة هذه الدولة ، وبدأت أمراض
 الشيخوخة تدب إليها ، استطاعت أن تمنع
 أوروبا الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا
 وفرنسا وروسيا القيصرية من التهام العالم
 العربي وجزر البحر الأبيض المتوسط
 الخاضعة لسلطان الأتراك من السقوط في
 أيدي هذه الدول واتخاذها مواقع للوثوب
 على العالم الإسلامي وتغريبه أولاً توطئة
 لتزعه من نطاق الإسلام روحياً وفكرياً ،
 وتهيته للشك في دينه وجدوى التمسك به
 والإصرار عليه ، وإغرائه بالنظر في فضائل
 الحضارة الأوروبية المسيحية اليهودية ،
 وجلال آثاراها في مجالات الصناعة والعلوم
 والفنون .

والثابت أنه لولا السلطان عبد الحميد
 لذي كان الغرب يسميه (السلطان
 الأحمر) لأصبحت فلسطين في يد
 الصهيونية قبل سنة ١٩١٧ . فخلد زاره

هرتزل ، وزاره من قبل هرتزل ومن بعد
 هرتزل ، رسل الحركة الصهيونية ، وعرضوا
 عليه القروض الضخمة ، وتحالفا سياسياً
 يدافعون بمقتضاه عن السلطان التركي في
 صحف أوروبا وأمريكا ، ويوقفون حملات
 الدعاية التي سادت في دوائر السياسة
 والبرلمانات والمؤتمرات الدولية ، والتي كانت
 تركيا وسلطانها ، ووزراؤها ، وفسادها
 وتحللها ، ومذابح الأرمن والمسيحيين في
 ولايتها هدفاً دائماً لها ، مقابل أن يسمح
 لرواد الصهيونية أن يبنوا مستوطناتهم في
 فلسطين ولكن السلطان بفضل تمرسه
 بالسياسة الدولية ، ومعرفته لمهاب الأمور
 قبل وقوعها ، إن هذه المستوطنات التي
 تبدو بريئة ، هي أول الغيث أوهى
 مستصغر الشرر الذي تنجم عنه أكبر
 الحرائق .

وبقيت تركيا للعالم الإسلامي ، شبحاً
 يخاليل شعوبه ، ويمنى مفكره وزعماءه
 ومصلحيه ، يعقدون عليه الآمال ، ثم
 ينفضون يدهم منه ، حتى وقعت الحرب
 العالمية الأولى وزالت تركيا القوية ثم جاء
 كمال أتاتورك ، فأراح العالم الإسلامي
 واستراح ، حيناً أسقط الخلافة العثمانية ،
 وأنهى دولة بني عثمان ، وأقام جمهورية
 علمانية في أنقرة ، وأدار ظهره للعالم

عليها الآمال الكبار ، وبكوا لسقوط الخلافة عن رأى سلطانها ، وغياب الخلافة كلها .

ولا أزعم أنهم كانوا قادرين على أن يردوا عن دولة بنى عثمان عادية الزمان ، ولا أن يطيلوا عمرها أكثر مما طال ، ولكن كانوا جديرين أن يدرسوا أسباب انهيار الدول والمجتمعات فى دولة ضخمة ، كثرت الوشائج والروابط بينهم وبينها باعتبارها أضخم دول الإسلام وباعتبارها وارثة الخلافة الإسلامية ، وباعتبارها واقعة فى المحيط الجغرافى الذى تقع على شواطئ بحاره وعلى مقربة من مجاله أكثر الدول العربية والإسلامية .

ولو تأملوا فى هذه الظاهرة الكبيرة ، لتبينوا أن الخسارة الكبرى التى منى بها المسلمون أن تركيا التى اتسع سلطانها ، وترامت حدودها ، وضخمت قوتها العسكرية برا وبحرا كان ينقصها أكبر ما تحتاج إليه الدول الكبرى لتماسك ، ثم لتبقى ، ثم ليبقى أثرها بعدها حينما يفعل فيها الزمن فعله . وأعنى به (الثقافة) ، (الطاقة الروحية) ، (الرسالة الإنسانية) . .

فقد كانت حضارة دولة بنى عثمان عسكرية بحتة ، ولم تتح قط للفكر الإسلامى أن يتطور ولا للشعوب

الإسلامى ، تماما ، وخلع العقيق والطربوش ، ونبد الحروف العربية ، واصطنع الأحوال الشخصية السويسرية ، فهز المسلمين من الأعماق .

غضبوا أول الأمر ، وسخطوا على كمال ونسبوه إلى المتهودة الأتراك ، ثم هدأت الصدمة ، فبدا رد فعل مضاد ، تجاهه : أ يكون هذا السبيل المؤلم هو سبيل بعث العالم العربى ، أو العالم الإسلامى ؟ . نصطنع الحضارة الغربية بجلوها ومرها وشرها وخيرها . ونظر فى ديننا بروح العلم ، ونطبقه بعد أن نراجع الكتب التى أورثتنا إياها القرون الوسطى وما بعدها ، والتى قامت سدا بيننا وبين الدين الحنيف ، دين الفطرة والحرية ، دين البساطة والوضوح . . ولم يفعلوا شيئا . .

كان الذى كتبه مفكرو العرب عن انحلال دولة بنى عثمان وزوال سلطانها ، بعد عمر طويل ملئ بالانتصارات والفتوح ، أقل من القليل ، وكان القليل الذى كتبوه نقلا عن كتب الغرب ، وترديدا لدعاويه ولم يستخرجوا من هذا الحدث الضخم ، عظاته الكبيرة والكثيرة ، على الرغم من أنهم تعلقوا بهذه الدولة فى صدق وحب وإعجاب وعلقوا

الدين ، بحكم العادة والتقليد في الأغلب الأعم وإن كان هذا الحكم ليس صحيحا في جملته وتفصيله ، ففي المجتمع الإسلامى الآن ، حركات أيقظت وجدان المسلم وفكره ، وجعلته يتأمل دينه ، ويحاول أن يبحث عن الخلل في العلاقة التي تربطه بهذا الدين .

ولكن ما هو أهم ما يلزم للمسلمين في هذا الدور؟

لقد عانى الفكر الدينى في القرن العشرين من ضربات متوالية .

فقد كانت الثورة الصناعية ، والتقدم العلمى ، وسرعة تغير المجتمعات الإنسانية وخروجها من إهاها القديم ، والمشكلات التي تكاد تكون يلاحل المصاحبة لكل هذا .

صدمات جعلت أكثر المتدينين حيارى وهزت إيمانهم . فمنهم من تزعزع اطمئنانه إلى الدين فاستمسك بعروبه مجاهدا ، ومنهم من قطع صلته به ، ووجه وجهه لمصدر أو مصادر للإلهام بدت له أكثر غناء .

وجاء الفكر السياسى الحديث ، بدروبه المختلفة ، واتجاهاته المتباينة ، مستعينا بوسائل البحث التي استحدثت ، وطرائق الاستنتاج والتخريج والمقابلة ، فتدفقت في دنيا الكتب والثقافة ، مع سيل

الإسلامية ، بفنونها وصناعها وثقافتها القديمة وحضاراتها المندثرة ، أن تصنع ما صنعته دول المسلمين في دمشق وبغداد ومصر والأندلس وشمال أفريقيا ، فلا معاهد دين تدرس القرآن وتشرحه ، وتجمع الحديث وتصححه ، ولا فنيون ولا صناع ولا مترجمون ولا بعثات . .

ولوتركت دولة بنى عثمان للعرب أن يسهموا في بناء دولتها ، لأصبحت عواصم العالم العربى في ظل الحكم التركى منارات تضىء وتشع ، وتكسب الدولة احتراماً ومهابة ولما تدهور الحكم العثمانى إلى الحضيض الذى وصل إليه ، ولاسيا في القرنين التاسع عشر وأوائل العشرين ، بل والقرن الثامن عشر

ولو أطال المسلمون النظر فيما اعتبر كارثة أى إسقاط الخلافة العثمانية في تركيا ، لأدركوا أن هذه الخلافة كانت قد سقطت منذ أجيال ، وأن الدين الإسلامى في تركيا ، كما هو في أكثر الدول الإسلامية ، فقد قوة دفعه ، وقدرته على تشكيل المجتمع وإلهام أفراد الناس بروح الولاء له ، والتأثر به . وأن ما يجرى في عالم المسلمين ، هو من قبيل القصور الذاتى . فالناس يمارسون عبادتهم ، ويترددون على مساجدهم ، ويتلون بعض ما يصل إلى أيديهم من كتب

يشعر بأنه مكشوف في دنيا العقائد ، وأن كلامه لا يقنع ، وموقفه لا يفهم ، ولا شك أن (النظرية) هى أسلوب لتنظيم التفكير الإنسانى ، ميزتها الكبرى أنها تحاول أن تضع مبدأ أساسيا للنظر إلى الكون وعلاقة الإنسان به ، ثم تخضع كل ما يتفرع من هذا المبدأ الأساسى لنفس المبدأ .

ولعل سيادة فكرة (النظرية) هى التى أوجبت الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية والفاشية أو النازية . ولعل هذا الصراع هو الذى ثبت سلطان (النظرية) على عقول الناس وأفهامهم . ومن هنا كان المتدينون شاعرين بأنه لم يعد لديهم الذى يؤمنون به وجود فى دنيا الفكر . لأنه لا يقدم (نظرية) متكاملة تحل فى مضمونها العلاقات الإنسانية من حيث المنشأ ، والتطور والتعقد والانفراج ، ولا علاقات الإنسان بوسائل حياته المادية والروحية ، ولا عناصر وجوده من مال وآلة وحكومة .

والخطأ الذى يقع فيه المتدينون أنهم يريدون أن يكون لديهم نظرية شبيهة من حيث الصياغة والتبويب ، على نسق النظريات الحديثة التى يسمعون دويها وتتجاذبهم تياراتها وأمواجها .

ولقد بلغ من فرط تأثرهم (بالنظرية)

متدفق من الكتب والبحوث والدراسات ، التى بدت إلى جانبها الكتب القديمة التقليدية ، وبأساليب صياغتها ، وبمنهج دراساتها باعثة على السأم من جهة ، وعاجزة عن الإقناع من جهة أخرى .

وقد نجم عن هذه الصدمة الأخيرة ، شىء أحب أن أقف أمامه طويلاً ، ذلك هو صدمة (النظرية) .

لقد خرج من أنقاض الحربين العالميتين الكبيرتين سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ ، و ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، مذاهب جديدة ، منها الاشتراكية التى اعتبرت الشيوعية خاتمة المطاف فيها ، والنازية ، بأسمائها المختلفة ودار بين المذهبيين صراع دام ، كانت الحرب العالمية الثانية إحدى صوره ، ولكنه استمر بعد ذلك ولا يزال مستمرا ، وكانت الصهيونية صورة أخرى من صور التفكير ، انتهزت هذه المجازر ، وحققت لنفسها مكانا ، وظفرت بمكاسب لا يمكن أن نقلل من شأنها .

وقد كان الصراع الفكرى بين هذه المذاهب كلها ، يدور حول نظريات تقدم ويحسن عرضها ويدافع عنها الأنصار ويهاجمها الخصوم ، حتى أصبح (للنظرية) سحر فن لم يكن له نظرية يعتنقها ويدافع عنها ويهاجم فى ظلها ،

وشغفهم بها ، أن بعضهم وضع للإسلام (نظرية) وصاغها في قالب بعض المبادئ الحديثة ، واعتبر أن الإسلام قد سد النقص في جدارة ، وأنه الآن يستطيع أن ينافس بقية المذاهب الحديثة وأن يغلبها .

ولا بأس عندي من كل محاولة جديدة ، فالتطور والتفكير المتجدد ، وإن أخطأ أو تعثر خير من الجمود والركود والتصلب . ولكن على أن نحسن دائماً الابتداء . ولا يمكن أن نضمن الاهتداء إلى البداية الحسنة ، ومن ثم فنحن لا يحق لنا أن نصادر حق أحد في الاجتهاد ، ولو خطأ ، فقاعدة من قواعد الإسلام ، أن للاجتهاد دائماً ثوابه : لمن اجتهد وأخطأ ، ثواب ، ولمن اجتهد وأصاب ، ثوابان .

ولكن الذى أحب أنؤكد ههنا ، أن الإسلام يقوم على نظرية من أساسين : الأول أن الله واحد ، (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) .

الثانى أن الإنسان ، سيد هذه الأرض ، وأن الكون الذى يحيط به ويعيش فيه ، سخر له بطيعه ، ويأتمر بأمره ، ويمكن أن يديره يمينا ويسارا ، والتدبير والتأمل والاجتهاد والثقة بنفسه والاعتماد على الله .. (ولقد كرمنا بنى آدم) .

ومن هذين الفرعين يقوم بناء كامل ، يتناول الإنسان من مولده إلى مماته ويقين للصغيرة والكبيرة ، وما يتصل بالمال والحكم ، والزواج والطلاق ، والرق والعق والتجارة والزراعة ، والصناعة . ويدخل مع الإنسان في مخدعه ويصاحبه مع وساوسه وهواجسه ، ومخاوفه ومطامعه . وهذا الكلام المجلد إذ بسطناه ، استفد منا وقتاً وجهداً كبيراً ، يضيق بهما المجال ههنا ، ولكن حسبنا أن نقول أن هذا المنهج الذى وضعه الإسلام جرب في مجتمع هو أقل المجتمعات مالا وأناها عن أسباب الحضارة ، وأحفها بأن يتجاهلها التاريخ ، ويتحاشاها الناس ، فهى تقوم على فقر مجذب ، فى صقع مغوار ، فأثبت ديننا ودولة ، وحضارة وثقافة وملكا وسلطانا ، وتدفقت له الجيوش الجرارة وأخرج المدارس والمعاهد والجامعات ، وأتقن فى ظله الصناعات والفنون ، والكتاب ، والمفكرون أجمل وأرق وأخفى وألطف ما صنع الإنسان وما ترك الفنان .

وهذا المنهج قادرٌ على أن ينتج نفس الأثر ، فى مثل هذا الوقت القليل ، لو أخذناه بلا تكلف ولا حذلقه ، وفهمناه على وجهه من غير تعال أو تنطع . يعنى أن يفهم أن المسلمين الأوائل ، وصلوا إلى

الكامن بأن المسلم الحديث لم يعد يكفيه ما كان يكفي العربي منذ أربعة عشر قرناً وأن الزاد العقلي الذي يليق به ، ويصل إلى سوائه ، هو ما يجب على علماء المسلمين ومشرعهم ، وفقهائهم ومفكرهم أن يصوغوه ، في قالب يمكن أن يواجه تحدى النظريات الحديثة ولو واصل المسلمون سيرهم في هذا الدرب وأصروا عليه ، استمر حالهم على المنوال الذي نراه .

ليفكر كبار المفكرين المسلمين ، وليبدعوا كتباً عظيمة ، وليستخرجوا من آيات الله الكريم وأحاديث رسوله العظيم ، آثاراً جديدة بأسلوب يثير الاهتمام ، ويدعو إلى التفكير ويبعث على المناقشة والجدل ، ولكن كل هذا لا يغنى في قليل أو كثير عن العودة البسيطة غير المتكلفة إلى الإسلام في صورته التي تلقاها الرسول العظيم ، محمد بن عبد الله ، النبي الأمي ، ثم تلقاها عنه صحابته فالمسلمون الأوائل ، وأكثرهم فقير وضعيف لا يؤبه له .

فإن هذه العودة هي التي سيشتعل لها وجدان المسلمين ، وسيقتد خيالهم فإذا التفاعل بين الإسلام الحقيقي ، والنفوس الصغيرة الصادقة ، يتحقق . وإذا الاشتغال يبدأ ، وإذا بالأدوار السابقة تتلاحق وتتابع ويحدث البعث المنشود ،

القوة في صدر الإسلام وفي الأجيال التي تلتها فهم آمنوا في بساطة تامة ، بكل الذي طلبه الإسلام منهم ، فهم إذا صلوا اعتقدوا أنهم بين يدي الله ، وسعوا جهدهم ليفرغوا ذهنهم من كل شيء ، لتحسين وقفتهم بين يدي الله ، فإذا فرغوا من الصلاة ، أحسوا فعلاً بأن قواهم تجددت ، وروحهم سمت ، وإنهم قادرون على مواجهة متاعب العيش ، ومخاوف الحياة في قوة وثبات ، وبلاوهن أضعف ، فإذا طلب منهم أن يتصدقوا ، شعروا حقاً بأنهم يقرضون الله قرضاً حسناً ، وأنه سيرده إليهم أضعافاً مضاعفة وأن الحج يكفر ذنوبهم ويغفر خطاياهم وهكذا دواليك . .

ومن كل تلك الألفاظ البسيطة التي يؤدون بها الصلاة ، ومن كل هذه الحركات القليلة التي يقومون بها سجوداً وركوعاً بين يدي الله ، وبالفرحة التي يستقبلون بها الصوم ، وبالبهجة التي يباشرون بها مناسك الحج ، تكتمل لهم قوة حقيقية ، مادية وروحية أدت بهم إلى هذا التفوق والتجلى الإنساني .

فما لم يكن في مقدور المسلمين أن يعودوا إلى هذه البساطة ، وما لم ينزعوا من أنفسهم هزءهم الخفى بها ، وإحساسهم

على مدى الأيام ، شىء من الهيبة والمكانة والتأثير تكسبها على طول الوقت ، بحسن التوجيه ، والجهد المبذول ، والإدارة الموفقة ، والتجرد لوجه الغاية المشتركة .

ولابد من مجلس ثقافى إسلامى ، ينشأ أيضاً إلى جانب الهيئة ، متفرغ للشئون الفكرية فى دنيا المسلمين ، ويستقر ويستمر ، ويكسب بدوره مكانة تؤثر فى النفوس ، والعقول فإنه من غرائب الأمور ، أن يكون لفريق من المسلمين هم العرب ، مشكلة كمشكلة فلسطين ، تبدأ وتستمر وتتعدد ، ولا يوجد للعالم الإسلامى الضخم الغنى المتراعى الآفاق ، رأى لا يقف عند حدود المشكلة السياسية العابرة ، إنما يدرك مقدماتها البعيدة ، ونتائجها العميقة فى المستقبل .

وللمسلمين من موسم الحج ، معين على أن يفكروا فى هذه الأمور المجردة التى تعلو على الوقت الذى يمر بنا وحدود الدول الضيقة . .

وقد نستطيع أن نضع الخطوط الأولى فى صورة عظيمة للإسلام العظيم . .

فتحى رضوان

وعندها سنرى فيضاً من الإنتاج الفكرى والفنى يشبع جوع الجائعين إلى بناء عقلى يفلسف لهم أمورهم ويردها إلى قاعدة عامة مستمدة من القرآن الكريم . .

ولكن لا مناص للمسلمين ، ليخرجوا من هذا الموقف الذى جمدوا فيه ولا خلاص لهم بالأسلوب الذى نقترحه ، إلا بالأخذ بأمرين :

أن يكون للمسلمين نواة لزعامة ، وبداية لقيادة فكرية .

فالمسيحيين ، كاثوليك كانوا أو بروتستانت أو أرثوذكس زعامات مركزية كاملة ظاهرة وباطنة ، دينية ودينية .

ولليهود مثل هذه الزعامة ، ممثلة فى أكثر من هيئة ومجلس .

أما المسلمون فحبهم على غارهم . وليس ثمة مجلس أو هيئة ، تجتمع بصفة دورية تحاول ان تعلو عن التفاصيل والأمور المحلية ، والخلافات الإقليمية ، وتنظر إلى الإسلام فى مجموعة . . وتقف إلى جانبها أمانة تتلقى المعلومات وتجمعها وتبونها وتحللها . . ثم تحاول هذه الهيئة أن يجتمع لها

من هنا نبأ الخطر.. إلى المستقبل

الدكتور / يحيى لهاشم فرغلى

تمسك به فلن يضل أبدا « كتاب الله وسنة رسوله » .

إنه يملك من المعطيات المعنوية ما إن تمسك به فلن يضل أبدا « كتاب الله وسنة رسوله » .

ولقد أسهب الكاتبون في بيان هذه الحقيقة ، كما أسهبوا - بما فيه الكفاية - في الرد على المبشرين والمستشرقين الذين يشككون في صلاحية الإسلام للتقدم في العصر الحاضر ، وأثبتوا بما لا يدع مجالا لمستريد أن الإسلام صالح لقيادة حركة التقدم في كل زمان ومكان ، بل أثبتوا أنه هو وحده الصالح لهذه القيادة ، وأن تقدم الغرب - في بعض نواحي الحياة - إنما كان بأخذه ببعض القيم الإسلامية ، وأن تأخر الدول الإسلامية إنما كان لإهمالها الأخذ بهذه القيم .

في هذا المجال أعتقد أنه لا موضع لزيادة إلا بالإيضاح والشرح .

أما من ناحية المعطيات المادية فإن المجتمع الإسلامى المعاصر يملك ما إن أفلح

من الحقائق المسلمة اليوم : أن المجتمع الإسلامى المعاصر يمر بأزمة شديدة .

قد يذهب الكثيرون إلى أنها أزمة « تقدم » ، - أى ولادة المجاهدة والتحريك نحو مستقبل أفضل - وقد يشك البعض في ذلك ، ولكنها عند الجميع « أزمة » حقيقية ، تحتاج إلى معالجة وتبصر .

ولقد ذهبت إلى غير رجعة الفلسفة القائلة بميكانيكية التقدم . أو حتمية التلقائية ، وأصبح من المقرر علميا أن إيجابية الإنسان ، ومساهمته الإرادية عنصر أصيل في التحرك نحو الأفضل . .

وإذا كان المجتمع - أى مجتمع - يتكون من ثلاثة عناصر :

الإنسان أولا ، ومعطياته المعنوية ثانيا ، ومعطياته المادية ثالثا ، فإنه يمكننا أن نقول إن أزمة المجتمع الإسلامى المعاصر لا ترجع إلى شئ من معطياته المعنوية ، أو المادية .

إنه يملك من المعطيات المعنوية ما إن

في استثماره فلن يخيب أمره أبدا . وفي اعتقادي أن هناك آفة لحقت بهذه

الشخصية .

ويصبح العلاج من ثم يتحتم أن يوجه إليها .

وفي هذا مصداق لقوله تعالى :

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ولقوله في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب .

وفي اعتقادي أن هذه الشخصية - لحسن الحظ - ما تزال غنية فياضة بالمشاعر القوية للإسلام : فرحا له أو غضبا من أجله .

ولكن - لسوء الحظ - فإن سيل المشاعر هذا الذي يتدفق كما يتدفق - البترول من أرض المسلمين - يتوقف عند هذه المرحلة مرحلة الفرح تارة والغضب تارة ، كما يتوقف جهدهم عند حد خروج البترول ، من أرضهم .

بعد ذلك يذهب كل شيء بددا . . وهنا فلنرجع إلى الشخصية الإسلامية مرة أخرى لتتساءل : إذا لم يكن العيب في طاقتها الشعورية ، فمن أين يأتي ؟

في استثماره فلن يخيب أمره أبدا .

(أ) ثروة من البشر تبلغ المئات من الملايين ، تقارب الألف مليون في بعض التقديرات .

(ب) ثروة زراعية هي اليوم - بحسب إمكانياتها الدفينة - تمثل « مخزن الغذاء » للعالم .

(ج) ثروة معدنية وبترولية يقوم عليها النشاط الصناعي والتكنولوجي في العالم المتحضر والمتخلف على السواء .

(د) مواقع جغرافية واستراتيجية هي أخطر وأهم المواقع على خريطة العالم المتحضر .

(هـ) رصيد من النقد الحر « العملة الصعبة » يمثل أخطر قوة نقدية في الاقتصاد العالمي .

إنه بهذه المقاييس تتوفر له إمكانيات مادية لم تتوفر لأمة في التاريخ ، وبالرغم من ذلك - بالرغم من هذه المعطيات المعنوية والمادية - فإن هذا المجتمع الإسلامي المعاصر - يرسف في أغلال الجهل والفقر والمرض والعبودية والتخلف .

وهنا نرجع بالضرورة إلى شخصية المسلم المسئولة عن الاستفادة بهذه الإمكانيات . لتتساءل عما أصابها .

يقول أميل بيكار في كتابه « العلم الحديث » : إن المنتشين بجمر العلم ، أولئك الحالمين الذين يبدون وكأنهم قد تاهوا في تأملاتهم هم في الواقع رجال عمليون على طريقتهم فقد يأتي التطبيق أحيانا بطريقة غير متوقعة . (١) ومع ذلك فقد أدرك العلماء ضرورة التخطيط لربط هذا العلم البحث بالناحية التطبيقية ، وحذروا من التلقائية التي قد ينساق إليها العاملون في هذين المجالين .

يقول العالم الفيزيقي الشهير لويس دي بروجلي : (هناك سؤال هام عما إذا كان يجب بذل بعض الجهود في سبيل الحفاظ على علاقة وثيقة بين العلم والبحث والعلم التطبيق ؟ ولتحاشي انفصال قد يكون كارثة بالنسبة للواحد كما هو للآخر ؟ ...) ثم يجيب على هذا التساؤل فيقول : « إن التعاون الوثيق بين العلم والتكنيات أمر مرغوب فيه إلى أقصى الحدود . فمن المحتمل أن يتأخر أو حتى يتوقف التقدم الصناعي إذا لم يقدم له العلم البحث نتائج أبحاثه ، ولكن المنفعة متبادلة ، ويستطيع العلم البحث أن يجني فائدة كبرى من وراء التطبيقات العملية لأبحاثه .

(١) أنظر الفيزياء والمكروفيزياء للويس دي بروجلي

إن الآفة الخطيرة التي أصابت الشخصية الإسلامية المعاصرة هي نوع من الشلل أصاب ممكن التفكير فيها . وبدون موارد هو نوع من « المرض العقلي » .

وبشيء من التحديد هي « فقدان النظرة العملية » .

ولكي أكون واضحاً فإن ما أريده بالنظرة العملية شيء غير العمل . فع أهمية العمل وضرورته القصوى - ومع الاعتراف بتقصيرنا الشديد فيه - إلا أن جذر القضية يرجع إلى « موضع الربط بين النظر والعمل » .

العمل بلا نظر . . .

والنظر الذي ليس من شأنه أن يؤدي إلى عمل . . . كلاهما ضلال أو دمار . هذه هي آفتنا ، وهذه هي القضية .

والنظر الذي ليس من شأنه أن يؤدي إلى عمل هو ما ينطبق على التأمل العقلي المغلق على ذاته ، ولا ينطبق على ما يمكن أن يطلق في العرف الحديث « العلم البحث » فالعلم البحث من شأنه أن يؤدي إلى عمل .

ومن هنا فإن الجهود التي تبذل في « العلم البحث » تسمح بها الفلسفة العملية التي ندعو إليها .

إن أحد الأخطار الكبيرة التي تواجه العلم البحث هو أن ينطوى على نفسه .^(١)

إن الحضارة الإسلامية إنما ظهرت وتقدمت وارتقت ، بعقريتها النابعة من الإسلام في إدراكها «لموضع الربط بين النظر والعمل»

— يقول بعض السلف : العلم يهتف بالعمل . فإن أجاب حل وإلا ارتحل^(٢) .
— وعن عثمان وابن مسعود وأبي رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ ، كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر آخر حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(٣) .

— وفي موطأ مالك رضى الله عنه : أنه بلغه أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مكث على سورة البقرة ثمانى سنين يتعلمها . وذكر عبد الله عن أبيه رضى الله عنهما قال : تعلم عمر البقرة فى اثنتى عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا^(٤) .

— ويقول رسول الله ﷺ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه « اللهم إني أعوذ بك من الأربع من علم لا ينفع ومن قلب

لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع) .
ويقول ﷺ :

« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير — احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز .

وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » .
ويقول ﷺ :

« اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

يقول ﷺ :
« كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

وعن خارجة بن زيد بن ثابت قال :
كان زيد إذا سئل عن شئ قال : هل وقع ؟

فإن قالوا له لم يقع لم يخبرهم . وإن قالوا قد وقع أخبرهم .

وعن مسروق قال : كنت أمشى مع أنى بن كعب فقال له رجل — ياعاه كذا وكذا فقال يا ابن أخى أكان هذا ؟ قال :

(١) المصدر السابق ص ٢٩٠ .

(٢) أخلاق العلماء ص ٢٢٥

(٣) تفسير القرطبي ٣٩ - ١

(٤) أخلاق العلماء ص ٢٢٧

لا ، قال فاعفنا حتى يكون^(١)

ويقول تعالى : (... يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .

ويقول تعالى : (كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ...) .

قال بعض المفسرين : معناه كونوا عاملين بما كنتم تعلمون الناس من الكتاب^(٢) .

قال بعض العلماء : إذا تعلم المرء من العلم مقدار ما يحتاج إليه ينبغي أن يشتغل بالعمل به .

ويترك التعليم .

وقال بعضهم ، إذا اشتغل بزيادة العلم ، فهو أفضل بعد ألا يدخل النقص في فرائضه^(٣) .

ويقرر الإمام الغزالي (أن الأولى بأكثر الخلق الاشتغال بالعمل والاقتصار من العلم على القدر الذي يعرف به العمل ،) وهو يرى أيضاً أن (من العلم ، العلم العملي ، أعنى ما يعرف به كيفيته) . إن المقام في الإسلام وفي توجيهات الرسول هو مقام الدعوة إلى العمل ، وإلى العلم العملي

بمفهوم يشمل كل ماله صلة بالعمل . ومن ذلك الاعتقادات التي لها صلة بالعمل ، كالعلم بالآخرة والعلم بعلم الله ، وشموله للصغيرة والكبيرة والعلم بعصمة الرسل ، إلى أمثال ذلك .

أما العلم بزيادة الصفة على الذات أو عدم زيادتها عليها والعلم بخلق القرآن أو قدمه والعلم بكيفية التوفيق بين ما يشعر به الإنسان من كونه مخيراً في حالات من ناحية ، وعلم الله وإرادته وقضائه من ناحية أخرى ، كل هذا من العلوم التي لا صلة لها بالعمل ، وهى من العلوم التي لاحظ الإمام الغزالي بحق أنها مما أجمله الرسول ولم يدع إلى التعمق فيه ، فهو ليس مما يشغل به الإنسان .

والرسول ﷺ لم يكن يتوجه في ذلك إلى أكثر الناس فحسب كما ذكر الإمام الغزالي ، إذ لو كان العلم النظري المنبت عن العمل مما يحسن أن يشغل بعض الناس به أو يحصلوه لندب إليه قلة من الناس ، ولجعله فرض كفاية ، أو لجعله مما يتسابق فيه المتسابقون كما فعل في العبادة إذ فتح فيها الشارع الطريق إلى منتهاه لمن يسبق إليه ، « قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً »

(١) نقلاً عن أعلام الموقعين ج ١ ص ٦١

(٢) تنبيه الغافلين للسمرقندى ص ٢ .

(٣) بستان العارفين ص ٣ .

(والسابقون السابقون أولئك المقربون)

١٠ ، ١١ الواقعة

ومها يكن من أمر فقد ظل أمر المجتمع الإسلامي منذ ظهور الإسلام على استمسাকে بقناة متينة تربط بين ما يعلم وما يعمل ، ثم أخذت الحضارة الإسلامية تتأثر تأثراً واضحاً بما نقلته عن الفلسفة الإغريقية ، فن ثم تحطمت هذه القناة ، وأصبح العالم الإسلامي يتأمل لما لا يعمل ، ويعمل فيما لا يعلم ، وأخذت هذه الحضارة تنتكس ، لتدخل في أفول « النظرة العملية » .

وما هو يرصد حركة هذا التدهور. فيلسوف إسلامي من فلاسفة القرن الرابع الهجري ، أبو الحسن محمد بن يوسف العامري - يقول :

(إن فرقة من الفلاسفة^(١) ، وطائفة من الباطنة^(٢) قد ادعوا أن المبرز في العلوم

(١) يقول المحقق الدكتور أحمد عبد الحميد غراب : لعله يشير بذلك إلى فلاسفة الأفلاطونية الجديدة ، فعظمهم كانوا يعظمون من شأن العقل المجرد والعلم النظري ، ويضعون ذلك في مرتبة فوق العمل . ونجد هذا الاتجاه عند أرسطو . . .

انظر مثلاً كتاب الأخلاق ، وفي المجتمع الطبقي الذي أقامه أفلاطون في جمهوريته ، ويرى الجاحظ أن هذا اتجاه عام لدى اليونان ، يقول عنهم :

(.. يرغبون في العلم ويرغبون عن العمل . .)

(٢) يقول المحقق أيضاً : « من المعروف أن التأويل

لن يلزمه شيء من وظائف العبودية غير الهداية للخليقة . وأن العاقل منا ليس يلزمه اقتباس العلم ليتوصل به إلى الأعمال الصالحة ، بل يلزمه ذلك ليسلم به عن وحشة الجهالة ، فإنها في ذاتها قبيحة مظلمة كما أن ضدها في نفسه حسن ملذ . . .

ونحن نقول : إن كل من آثر لنفسه هذه العقيدة فقد ارتكب خطأ فاحشاً فإن العلم مبدأ للعمل ، والعمل تمام للعلم ، ولا يرغب في العلوم الفاضلة إلا لأجل الأعمال الصالحة .

ولو جعل الله تعالى الجبل البشرية مقصورة على تحصيل العلوم دون تقويم العمل لكانت القوة العملية إما فضلاً زائداً وإما تبعاً عارضا ، ولو أنها كانت كذلك لما كان عدمها ليخل في عمارة البلاد وسياسة العباد .

كلا : إن توهم هذا مما يؤدي إلى تقويض الأعمال الصالحة بأسرها إلى ذوى الجهل والغباوة ، ولو جعل الأمر كذلك لوجدت الطبيعة الإنسانية عند إقامتها الأعمال الصالحة مستغنية عن العلوم

بلغ بالإسماعيلية درجة أسقطوا فيها الجانب العملي من الشريعة . »

انظر كتاب الإعلام بمناب الإسلام ص ٧٧ - ٧٨ .

مسيرة هذه الحضارة .

(١) الحقيقية .

هذا هو المحور الحقيقي للصراع الثقافي الذى كان يدور على الصعيد الإسلامى فى القرون الثلاثة الأولى للإسلام ، ولم يكن السبب هو ما درج على ذكره الكتاتيون فى هذا الموضوع : صراعا بين أهل السنة - أو الحشوية - باعتبارهم محافظين ، وبين الفلاسفة - أو العقلين - باعتبارهم مجددين ، بل إننى لأقول عن ثقة إنه كان صراعا بين أتباع النظرة الجديدة ، نظرة الإسلام ، النظرة العملية ، أهل أتباع الرسول ، باعتبارهم أصحاب دعوة ثورية جديدة لم تستكمل إقامة دعائها بعد ، وبين أتباع الفلسفة القديمة ، الفلسفة اليونانية الهيلينية ، الفلسفة التأملية ، باعتبارهم أصحاب دعوة رجعية تريد أن تنتقل بها من بيئة شائخة من العالم الهيلينى إلى بيئة شابة خصبة ، إلى العالم الإسلامى الجديد ، الذى يرفض جسده الصحيح إدخال قطعة مهترئة عليه من جسد وورى التراب . .

هذا هو المحور الحقيقي لذلك الصراع : الصراع بين الفلسفة العملية التى يمثلها الإسلام وأهل أتباع الرسول ، وبين الفلسفة التأملية التى يمثلها الفلاسفة وأهل أتباع أرسطو وأفلوطين .

إن العلم العملى كان هو سر عبقرية العقلية الإسلامية ، وسر ازدهار الحضارة الإسلامية . تم اتصلت هذه الحضارة بالفلسفة اليونانية والهيلينية فانتكست ، وأخذت تدخل فى ظلام ساد أوروبا بسبب هذه الفلسفة ، بينما أخذت أوروبا تخرج من ظلامها بما اقتبسته من « النظرة العملية » التى عثرت عليها فى الحضارة الإسلامية . ولعله من المناسب أن نقرر هنا أنه لم يكن مجرد صدفة أن حركة الترجمة فى الحضارة الإسلامية اتجهت أول ما اتجهت - وطوال قرن بأكمله تقريبا هو القرن الثانى للهجرة - إلى ترجمة الطب والكيمياء والهندسة والفلسفة اليونانية والتفسير الذى نكره ونؤكد ونصر عليه ونلفت النظر إليه هو أنه لم يكن هناك سبب لذلك إلا أن روح الإسلام - ومن ثم روح الحضارة الإسلامية الأصيلة - هى روح الفلسفة العملية ، أو النظرة العملية ، ومن هنا فإن ما حدث بعد ذلك من اتجاه إلى الفلسفة النظرية « التأملية » لم يكن يمثل تطورا عاديا بقدر ما كان يمثل انحرافا فى

(١) السابق ص ٧٨ - ٧٩ . ويشير المحقق إلى أن الفلسفة العملية فى عصر المؤلف التى تقابل الفلسفة النظرية هى : علم الأخلاق : وعلم تدبير المنزل ، وعلم السياسة .

والصناعات الضرورية - للحياة العملية .
وعلى الإجمال كان العرب يمثلون في
القرون الوسطى التفكير العلمي والحياة
الصناعية العملية اللذين تمثلهم في أذهاننا
اليوم ألمانيا الحديثة . وخلافا للإغريق لم
يحتقروا المختبرات العلمية والتجارب
الصبورة .

أما في الطب وعلم الآليات ، بل في
جميع العلوم فقد استخدموا العلم في خدمة
الحياة الإنسانية مباشرة ، ولم يحتفظوا به
كغاية في حد ذاته . .

وقد ورثت أوروبا بسهولة عنهم
ما ترغب أن تسميه بروح « بيبكون » التي
نطمح في « توسيع نطاق حكم الإنسان »
على الطبيعة .

وبينا امتص التقليد المسيحي صوفية
الأفلاطونية الجديدة وأهل علمها الرياضي
فإن العرب أظهروا حبا متساويا للناحيتين ،
وعلى ذلك حين نشأت الجامعات في العالم
المسيحي فإنها وجدت أن إسبانيا لم تحتفظ
بالعلم الإسكندري فحسب ، بل أضافت
إليه الشيء الكثير أيضاً .

ولقد شهد القرن الثاني عشر عملية
التمثيل الكبرى لهذا العلم ، وتم ذلك في
مركزين رئيسيين : صقلية والأندلس حيث
تلاقت الثقافتان المسيحية

ولنستمع هنا إلى شهادة من أهل أوروبا
يقول الدكتور هرمان راندال :
(اتجه رجال القرون الوسطى إلى المعرفة
العملية التي وجدوها في مكاتب العرب ،
وجامعاتهم الفنية .

وحين أخذ الغرب يستيقظ في مطلع
القرون الوسطى انتقل مركز الثقافة
الإسلامية إلى إسبانيا . وعن طريق إسبانيا
جاءت أول معرفة لأوروبا بمؤلفات أرسطو
الكبيرة ولكن المسلمين أنقذوا من العالم
القديم شيئا كان أرسطو ، بالرغم من
عبقريته ، عاجزا كل العجز عنه وهو العلم
الرياضي والآلي .

فقد أخذوا المعرفة الرياضية والطبية
التي احتقرها الرومانيون ، ونبذها المسيحيون
جانبا وراحوا يعملون بصبر وجهد من ذلك
الطريق الذي ازدراه الإغريق في أوج
عظمتهم تابعين طريق التطور البطيء
والتكيف العملي . وقد اكتسبوا من الهند
الأرقام « العربية » التي لا يمكن الاستغناء
عنها وشكل التفكير الجبري الذي لولاه لما
استطاع المحدثون قط أن يبنوا على الأسس
التي وضعها الإغريق .

وبنوا في القرن العاشر من إسبانيا
حضارة لم يكن العلم فيها مجرد براعة
فحسب بل كان علما يطبق على الفنون

والإسلامية) . (١)

ثم يبين هرمان راندال كيف أن اهتمام الفكر الأوربي بالحركة الأدبية الإنسانية آخر من ظهور النهضة العلمية التي وضع أسسها العرب فيقول :

(كونت حركة إحياء الأدب الإنساني عائقاً بالغاً في وجه تطور العلم الطبيعي ، فلو لم تحصر هذه الحركة جهود أفضل المفكرين في حكمة لا علمية بجوهرها كان ينادى بها الرومانيون ، لولا ذلك لكان من الجائز أن تؤدي هذه الاهتمامات العلمية القوية إلى ظهور مثل غاليليو قبل القرن السابع عشر بوقت طويل .

ولو تمت ثقافة علمية أصيلة كنتيجة لتطور الفنون الحرة لكان العالم قد تجنب - خمسمائة سنة من صراع عقيم مع فئات الأدبين اللاتيني والإغريقي .

لقد احتكر الإنسانيون ، من بترارك ومن جاء بعده الطبيعة ، وعبر بترارك عن احتقاره لاهتمام الناس بالكتب الشعبية الشائعة من علم الحيوان وطبائعه وكتب الأسفار فقال : « لأنه حتى لو كانت جميع الأشياء التي ترونها مثل هذه الكتب صحيحة فإنها لا تساعد الإنسان بأي شكل

من الأشكال على تحقيق حياة سعيدة . إذ ما هي الفائدة التي ننجبها عندما نعرف طبيعة الحيوانات والعصافير والأسماك والزحافات (؟؟)

بينما نجهل طبيعة الجنس البشري الذي ننتمي إليه ولا نعرف - أولاً يهمننا أن نعرف مصدر حياتنا وإلى أين نعود ؟؟ ولم يبد حتى أيرازموس العظيم اهتماماً بالاكتشافات الكبيرة التي تمت في أيامه .. لأنه لم يكن فقط عديم الاكتراث بالعلم الطبيعي . بل كان - يكرهه في الواقع (. . ؟) وهو يسخر في مقطع مشهور من كتابه « مديح الحق » من فلاسفة الطبيعة - والرياضيين (٢) .

وإلى وقت قريب كان تولستوى يسخر من العالم الحديث فيقول في بعض ما كتب عنه (إنه مشغول بعدد ما على هذه الأرض من أنثيات البق وسائر الحشرات) ويعلق الدكتور جيمس كونانت على سخريته هذه قائلاً بسخرية أيضاً (قال هذا قبل أن يظهر أثر العلم في الصناعة والطب) (٣) .

(٢) انظر تكوين العقل الحديث ج ١ ص ٣١٣ -

(٣) انظر مواقف حاسمة للدكتور جيمس كونانت

(١) تكوين العقل الحديث ج ١ ص ٣١٣

أما نحن اليوم فقد صدرنا بضاعتنا الأصلية ، واستوردنا منذ أمد بعيد بضاعة العصور الوسطى الرديئة ، وأخذنا نزرع - منذ أمد بعيد أيضاً - تحت وطأة مرض عقلي يمثله انفصام الصلة بين النظر والعمل ، أخذت نذرته تلوح منذ ما قبل القرن الرابع الهجري كما بينا من قبل .

وفي رأي أن جميع المنعطقات أو المدارج النازلة التي أخذت تتزلزل عليها الحضارة الإسلامية ترجع إلى طرو هذا المرض العقلي عليها أو تأصله فيها .

في المشاكل العقديّة :

(انظر إلى مشاكل الذات والصفات ، وخلق القرآن والقضاء والقدر ، والإمام الغائب . . . إلخ) .

في المشاكل السياسية :

(انظر إلى مشاكلنا العربية ، ومشاكلنا مع الصهيونية والاستعمار الغربي ، والشيوعية) . .

في المشاكل التشريعية :

(انظر إلى مشاكلنا التابعة من تجاهل وضع الحلول العملية اللازمة لتطبيق الشريعة الإسلامية) .

في المشاكل الاجتماعية :

(انظر إلى مشاكلنا في أزمة العلاقة بين الرجل والمرأة ، ومشاكل الزواج ،

ومشاكل الإسكان) .

في المشاكل الاقتصادية :

(انظر إلى مشاكلنا في الاستثمار والتضخم والربا . . إلخ) .

في كل ذلك وفي غيره يبدو « برص » على جلد العقل الإسلامي المعاصر تجدد على أحد لونه نظر عقيم ، وعلى لونه الآخر عمل أعمى .

يقول ولیم جیمس :

(لا يقال إننا نعرف الشيء إلا عندما نكون قد تعلمنا كيف نتصرف بالنسبة له ونتجاوب معه أو كيف نواجه ما ننتظر منه من نتائج ، أما قبل تلك المرحلة فهو غريب عنا .)^(١)

ويقرر بصفة عامة أنه :

(لا بد لنا من العمل

وليس لنا الخيار إلا في نوع النتائج أوفى مقدارها .

وليس هناك من واجب في هذه الناحية إلا استخراج أغنى ما تسمح به المقدمات من نتائج .

ويوجد الغنى طبعاً في جهد الدوائر العقلية كلها وفي طاقتها : - الأولى : الإدراكات الحسية والوجدانية - الثانية : - القوة النظرية ، الثالثة : الاتجاه

(١) العقل والدين ص ٥٥

إلى الفعل - فلا يجوز أن تترك مسألة حسية من مسائل الدائرة الأولى وحدها في العراء . ولا أن تترك قوة من قوى الدائرة الثالثة مشلولة ومعطلة ، ولابد أن تبني الدائرة الثانية بينها جسرا متينا لا يعرفه عطب . (١)

ويقول أميل بوترو :

(يذهب البراجماتيون إلى أن العلم يميل إلى الفعل وليس له غرض آخر إلا خدمة الفعل . ولك أن ترجع إلى أصل التصورات العلمية فستجد دائماً أنها تدل على مناهج يجب اتباعها لتظهر هذه الظاهرة أو تلك ، لنحصل على هذه النتيجة أو تلك .

أنها قواعد للفعل ، وليس لها خارج هذه الدلالة مضمون حقيقي .

إن الحقيقة تعنى قابلية التحقيق . وقابلية التحقيق تعنى إمكان هدايتنا أثناء الخبرة .

والعلم لا يتطلع فقط إلى الفعل بل هو نفسه فعل أى قوة فعالة مبدعة . (٢)) لا يزال كثير من العلماء يحملون لواء الفكر اليوناني ، ويقولون مع أرسطو « العلم للعلم » وقد يعترض على هؤلاء بأنهم يقبلون

الوسيلة غاية « لكن هذا القلب هو في حد ذاته قانون عظيم من قوانين الطبيعة والفعل وهو يشبه الذين يتخذون من الغريزة الحيوانية غاية ، فهذا يجدم في نفس الوقت كونها وسيلة والعلم حين نجده من المنفعة لا يتحول لهذا السبب وحده إلى غاية مطلقة ، بل يصبح « وسيلة » لنمو العقل الذى هو كما يقول عنه ديكرت : يحتاج إلى أن يرضع لبان الحقائق حتى يوجد ، وينمو والعقل لا يوجد إلا حين يفعل (٣) .

والذى أدعو إليه هنا وفى كل مجال بغير فتور وبغير ملل ، هو نوع من « الفلسفة العملية » . نعيد به التجاوب بين ساقى الأمة : النظر والعمل ، لكى تستعيد وحدتها ، وتسترجع قائمتها ، وتهجر منزلقاتها ، وتستعيد الطريق . . .

ولست أبالغ إذا قلت إن نقطة البدلية فى العمل على شقاء الشخصية الإسلامية المعاصرة من « دائها العقلى » ومن ثم فى حل أزمة المجتمع الإسلامى المعاصر - لمى فى اعتناق « الفلسفة العملية » ، التى ينبغى أن تنشط لها عقول المفكرين الإسلاميين ، وأن يبحثوا فى أعماق الأصول الإسلامية ، وأن يقدموها وفقاً لهذه الأصول .

وعلى الفكر الإسلامى المعاصر بعد أن

(١) العقل والدين ص ٩٨ .

(٢) العلم والدين ص ٢١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٤ .

يتعرف على أبعاد هذه الفلسفة . أن يخطو
خطوة أخرى نحو إعادة تفسير الحضارة
الإسلامية في ضوء هذه الفلسفة ليخطو بعد
ذلك الخطوة العملية المستهدفة ، أى ليقدم
حلولاً عملية لبعض مشاكلنا المعاصرة .
د . يحيى هاشم

الخير في الحديث النبوي

- خير الناس من طال عمره وحسن عمله .
- خير الناس أنفعهم للناس .
- خير النكاح أيسره .
- خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه .
- خير ما أعطى الناس خلق حسن .
- خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي .
- خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح .
- خياركم أحسنكم قضاء للدين .



يحيى هاشم حسن فرغلي

مدرسا مساعداً بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين عام ١٩٧١ .

وكانت أهم أعماله بالمجمع المشاركة في
إدارة مؤتمرات المجمع السبعة التي عقدت
ما بين عام ١٩٦٤ - ١٩٧٢ .

وحصل على درجة الماجستير بتقدير
ممتاز في العقيدة والفلسفة من كلية أصول
الدين بالقاهرة عام ١٩٧١ عن رسالته في
نشأة علم الكلام .

وقد طبع مجمع البحوث الإسلامية
هذه الرسالة في مجلدين عام ١٩٧٢ أحدهما
بعنوان «نشأة الآراء والمذاهب والفرق
الكلامية في الإسلام» وثانيهما بعنوان
«عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في
الإسلام» .

وفي عام ١٩٧٣ انتدب مديراً لمكتب
شيخ الأزهر ، ثم انتدب مستشاراً خاصاً

١ - ولد بالقاهرة في ٤ فبراير ١٩٣٣ ،
لوالده الشيخ حسن محمد فرغل أستاذ
التوحيد والمنطق بكلية أصول الدين ،
ووجهه والده للدراسة بالأزهر .

٢ - حصل على الشهادة العالية من
كلية أصول الدين عام ١٩٥٨ وكان ترتيبه
الثاني .

وحصل على إجازة التدريس من كلية
اللغة العربية عام ١٩٥٩ ثم عين مدرسا
بالمعاهد الأزهرية للعلوم الشرعية والعربية ،
حيث تسلم عمله بمعهد أسبوط في أواخر
عام ١٩٥٩ ، ثم تنقل بين معاهد الأزهر ،
إلى أن اختاره الدكتور محمود حب الله
للعمل بالأمانة العامة لمجمع البحوث
الإسلامية عام ١٩٦٤ وفي عام ١٩٦٩ عين
مديراً للسكرتارية الفنية لمجمع البحوث
الإسلامية ، وظل كذلك إلى أن عين

لفضيلة الإمام الأكبر لشئون مجمع البحوث الإسلامية .

وفي عام ١٩٧٦ حصل على الدكتوراه بتقدير ممتاز في العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين بالقاهرة عن رسالته في «أصول علم الكلام في القرآن» ، وقد توصل في رسالته إلى استنباط منهج جديد لبناء العقيدة الإسلامية قائم على الكتاب والسنة ، ومؤيد بأقوال أئمة الفكر الإسلامي .

ثم عين في ديسمبر ١٩٧٦ مدرساً للعقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين

بالقاهرة .

وفي منتصف أغسطس ١٩٧٧ تم انتدابه مرة أخرى مديراً عاماً لمكتب شيخ الأزهر .

له من المؤلفات المنشورة :
رسالة الماجستير في نشأة علم الكلام :
رسالة الدكتوراه بعنوان «الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية» مجموعة مقالات في الشئون الإسلامية ، بمجلة الأزهر ، والوعي الإسلامى بالكويت ، والتضامن الإسلامى بالسعودية ، ومنار الإسلام بأبى ظبي .

هل ستكون أندونيسيا دولة إسلامية؟

INDONESIA
NEGARA ISLAM KAH?

Oleh

Dr. R. SHALABY

الدكتور / روف شلبى

البترو، والقصدير، والفضة،
والذهب، والنيكل والحديد، والفحم،
والنحاس، وقد اكتشف اليابانيون أخيراً
معدن اليورانيوم بالإضافة إلى ثروتها الخشبية
والأسمك، والفواكه، والمحاصيل الزراعية
الأخرى مثل الذرة والأرز والشاي،
والبن، والفلفل، والقرنفل . .
والتوابل . .

هذه الجزر يعيش فيها المسلمون منذ
أربعة عشر قرناً عندما بزغت شمس
الإسلام واستقبل الناس في هذه الجزر دين
الله الحنيف ساعة بزوغه .

وكان لهذه الجزر قبل الإسلام شأو
بعيد في عبادة الأوثان، وكانت هناك عدة
ممالك مؤسسة على هذا البطلان مثل :

مملكة ماترام في جاوا الوسطى
مملكة ماجافاهيت في جاوا الشرقية
مملكة فجا جاران بجوا الغربية
مملكة منغ كابو في سومطرة الشمالية
مملكة سيربوى جايا في سومطرة الجنوبية

في أغسطس عام ١٩٧٦ افتتح الرئيس
سوهارتو محطة اتصال تليفونى عن طريق
القمر الصناعى الذى يربط بين جزر
إندونيسيا المترامية الأطراف البعيدة داخل
البحار .

وفي حفل الافتتاح وزعوا خريطة تحمل
ملخص المشروع وبها إحصائية عن عدد
الجزر عامة، والجزر الآهلة بالسكان،
وعدد السكان أنفسهم .

وبالاطلاع على ما جاء في هذه الخريطة
وهى آخر ورقة رسمية يعتمد عليها في معرفة
جغرافية الجزر والسكان في إندونيسيا نجد أن
الجزر الإندونيسية عددها ١٣,٦٧٧ جزيرة
الآهل منها بالسكان ٦,٠٤٤ جزيرة،
وعدد السكان ١٣٠ مليوناً .

وتقع هذه الجزر بين خط عرض ٦
شمالاً وخط عرض ١١ جنوباً وخط طول
٩٥ وخط طول ١٤١ وهى المنطقة الواصلة
بين قارة آسيا وقارة أستراليا .

وثراؤها مكشوف وكثير ففيها :

وكان بين هذه الممالك صراع على التوسع والحكم... فلما جاء الإسلام الحنيف ودخل الناس في دين الله عن طريق الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة وذلك في القرن الأول الهجري على ما هو المعتمد عند كبار رجالات العلم من أهل هذه الديار قامت في إندونيسيا عدة ممالك إسلامية بعد أن تلاشت ممالك البوذية والهندوسية .

وممالك الإسلام هي :

دولة فاساي بسومطرة الشمالية

دولة ملاكا بماليزيا الآن .

دولة ديماق في جاوا الشرقية

دولة فاجانج .

دولة تشريون في جاوا الغربية .

ودولة ماترام الإسلامية في جاوا

الوسطى بدل ماترام البوذية .

دولة الإسلام في آتشه في سومطرة

الشمالية بعد أن سقطت مملكة الإسلام في

فاساي لهجوم دولة ماجا فاهبت عليها .

المملكة الإسلامية في جمهور ماليزيا

الآن .

ولقد عاش الإسلام في هذه الديار

يزكى في أبناء الأرخييل ميوهم للأمن

والطمأنينة ، ويقوى فيهم عواطف البر

والحنان ، ويجدون هم فيه متعة الروح ،

ولذة العيش الأمين الهادئ .

وكان المسلمون في هذه الديار أشبه بالملائكة وهم في المساجد يصطفون للصلاة رجالا ونساء ، ويحيون شعائر الإسلام ومواسم البر والخيرات والبركات . .

وعاشوا وحدهم في دولة إسلامية وهم قوم يحسنون الجوار فيما بينهم وقد زكى الإسلام هذا التقليد فعاثت الدول الإسلامية في أرخبيل الملايو (إندونيسيا وماليزيا

وسنغافورا) والمودة هي الحبلى الذى

يربطهم ، والعيش الرغيد ، والخير الكثير

هو الذى يخيم على مجتمعهم فلم تكن لهم

صلة بالدولة الإسلامية في الشرق العربى

على تطورها : لم تكن لهم بالأمويين صلة ،

ولا بالعباسيين ، غير أن الصلة الضعيفة التى

يذكرها التاريخ أن حكام البلاد أرادوا

إقامة علاقة طيبة مع الدول الإسلامية في

عهد العثمانيين فأرسل الأتراك لهم خبراء

عسكريين يدربونهم على فنون الحرب .

ولقد كان حكام الممالك الإسلامية في

غاية الشوق إلى الاتصال بالحكام المسلمين

في الشرق العربى فأسموا أنفسهم (سلاطين)

تيمنا بالألقاب التى كان يستخدمها

سلاطين المسلمين في بلاد الشرق العربى

الإسلامى . . .

لم تكن الدولة الإسلامية في الشرق

العربى ذات صبغة توسعية . .

٣- زرع بذور الخلاف الديني بين المسلمين .

٤- زرع بذور الخلاف بين العرب والسكان الأصليين .

٥- الدعاية ضد الإسلام بأنه دين العرب

٦- تربية الفكر القومي المعادى للقوميات الأخرى .

٧- إدخال الفكر الإلحادي ليسهم في توهين التحمس للإسلام من نفوس الشباب .

٨- تعليم الأطفال في المدارس أن العرب مرابون وأنهم بخلاء وأنهم مستعمرون وذلك عن طريق قصص باطلة في كتب المطالعة .

٩- التبشير بالمسيحية عن طريق :
المدارس ، المستشفيات ، الكتب والنشرات ، الزيارات الشخصية ، المنح الدراسية ، المعونات الاجتماعية . . .

١٠- إدخال الجنس الصيني ليقوم بدوره في تشويه الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والدينية .

ولم يفتن المسلمون لهذه الخطة . .
وانهمروا في الدعوة إلى الجهاد السياسي وإخراج المستعمر من البلاد . . .

لقد استمر الاستعمار الهولندي في إندونيسيا ثلاثة قرون ونصف قرن أتى على

ولم تكن طبيعة الانتساب إلى الإسلام تعطي هذا المعنى ولا تدفع لهذا الطمع فعاش المسلمون في الشرق العربي تحت رايته الإسلامية ، وعاش المسلمون في دول الإسلام بجنوب شرق آسيا تحت رايته الإسلامية . . . ولوقوى اللقاء بين أهل الدين الواحد والعلم الواحد (علم الإسلام) لما تمكن الاستعمار الأوربي من تحقيق نهجه في استعباد بلاد الإسلام في جنوب شرق آسيا فقد طمعت هولاندا في أندونيسيا في أواخر القرن السادس عشر ١٦٠٦ ، وطمعت البرتغال في ماليزيا في أوائل القرن السادس عشر ١٥١١ ، وطمع الإسبان في مانبولاس (الفلبين) في عام ١٥٢١ م .

وفي القرن الثامن عشر دخلت إنجلترا إلى منطقة جنوب شرق آسيا في الملايو ، وسنغافورا . . . وبدأ التعاون الاستعماري للإجهاز على الممالك الإسلامية في هذه المنطقة وكانت الخطة كالتالي :

١- تحويل جميع المواد الخام لتصنع في أوربا حتى يترك أبناء المنطقة جاهلين بشئون الصناعة .

٢- تركيز التجارة في يد الأوربيين والصينيين وإقصاء الجنس العربي عن التجارة الخارجية .

سكان الأرخييل يدينون بالإسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

ولكن الاستعمار كان قد ربي له الأفاعى ، وأعد من الأمة لها أعداء . . .
 فظهرت فكرة الفاناشاسيلا Panchasila
 (المبادئ الخمسة) وهى :

١ - الإيمان بالله مطلقا .

٢ - الإنسانية .

٣ - سيادة الشعب .

٤ - القومية الإندونيسية .

٥ - العدالة الاجتماعية .

وكانت هذه المبادئ فى مواجهة أن الإسلام هو أساس الدولة وقدم الماركسيون الاشتراكية كأساس للدولة الجديدة فظهرت اتجاهات ثلاثة :

الإسلام

الفاناشاسيلا

الاشتراكية

وهذه الاتجاهات لم تكن وليدة الصدفة بل عمل الاستعمار لها منذ ثلاثة قرون . . . وبينما الحركة الإسلامية تجاهد من أجل الاستقلال وإخراج المستعمر الأوربي من البلاد . كان الماركسيون يعملون على اغتصاب الحكم ، وكان القوميون يضمرون السوء للاستيلاء على ثمرة النصر

كل خير فيها ولم يترك فيها واحدا قد تعلم كيف يمر الشاى الأخضر بأدوار الصناعة ، وأرسى فى نفوس الأمة صراعا صدع الأسس العظيمة التى كان يحيا عليها الشعب المسلم فى إندونيسيا . . . ولم تظهر هذه الصراعات إلا يوم أن أعلن استقلال إندونيسيا عام ١٩٤٥ .

وكان الحصول على الاستقلال نتيجة جهاد علماء الإسلام . . .

الإمام بونجول .

الإمام دى بونو جورو .

الإمام أجوس سالم .

الإمام حسى الدين .

الإمام عبد القهار مذكر .

وغيرهم من العلماء المجاهدين بالسيف والقلم والنفس والنفيس . . .

ولكن الاستعمار كان قد صنع سوكارنو وعشش فى نفسه عنكبوت القومية ، ولذذ له الشيطان الإباق عن الإسلام . . . فظهر ماكان مكتوما وبان ماكان مختلفيا وظهر الحسك بشكله القبيح يوم أن اجتمعت الهيئة التأسيسية التى انتخبت لوضع الدستور عام ١٩٥٧ م .

ولم يكن فى الحسبان أن النص على أن إندونيسيا دولة إسلامية أمر عسير لأن ٩٠ ٪ من سكان إندونيسيا بل إن ٩٥ ٪ من

الذى سيحرزه المسلمون .
 وفى اللجنة التأسيسية لوضع الدستور
 عام ١٩٥٧ ظن المسلمون أن المعركة معركة
 إقناع وبراهين وأدلة فقدموا تصورا علميا
 وتاريخيا رائعا ، ألقاه دولة الأستاذ الدكتور
 محمد ناصر وطبع تحت عنوان : (اختاروا
 إحدى السبيلين : الدين أو اللادينية) .
 ولكن القضية ليست قضية إقناع
 ولا قضية براهين وإنما هى قضية تكتيك
 سياسى سريع وبدأ سوكارنو الخطة وهى :
 (١) تحالف بين الماركسيين والقوميين
 فى اللجنة التأسيسية .
 (ب) تخذيل التجمع الإسلامى وتوحيته
 وكسر قوته .
 (ج) تخذير المشاعر الإسلامية فى
 الداخل والخارج . .
 (١٠) أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى فقد
 تحالف سوكارنو ممثل الحزب الوطنى القومى
 الإندونيسى مع الاشتراكيين وهم صنفان :
 اشتراكيون يتبعون موسكو ، واشتراكيون
 يتبعون بكين ، وأعلن حل الهيئة ونادى
 بالفاناشاسيلا كأساس للدولة وتمرد المسلمون
 على هذا الوضع ولكن سوكارنو حل الحزب
 الإسلامى المتمرد ووصفه بكل ألوان
 السباب السياسى المعروف عند أشباه
 سوكارنو .

(ب) وأما فيما يتعلق بتخذيل المسلمين
 فقد كان حل الحزب الإسلامى إحدى
 علامات الديكتاتورية التى لن ترحم العمل
 الإسلامى من قبول الفاناشاسيلا فأعلنت
 الهيئات الإسلامية كلها قبولها لهذه المبادئ
 وجعلتها أساسا فى برنامجها . . فوجد بذلك
 جو من الانقسام بين المستمسكين بالحق
 والهدى وبين القيادات الإسلامية التى
 أرغمت على قبول الفاناشاسيلا واستمر
 سوكارنو فى تخذيل القيم الإسلامية حتى
 وصل به الأمر إلى فعل أمور يمتنع الحياء
 من ذكرها بل يمنع الشرف الفطرى من
 قصها . . وبات التجمع الإسلامى فى
 إندونيسيا يلبس ثوبا خلقا باليا ، ويعيش فى
 صحة عليلة : القيادات الأمانة فى
 المعتقلات ، والقيادات المرغمة على العمل
 تَهْتَأُ مع سوكارنو ، والشباب المسلم حائر بين
 شقى الرحى : الجهاد المر أو الحياة الرغيدة
 ووجدت الشيوعية جذورها تتمدد فى أرض
 رخوة سهلة فصار الحزب الشيوعى فى
 إندونيسيا أقوى الأحزاب الشيوعية فى
 العالم . . . فقد تسلط على الحكومة
 والطيران والبحرية ، والاقتصاد
 والعمال . . .
 وأرغم سوكارنو زعماء الحركة
 الإسلامية العملاء له أن يعلنوا قبولهم للعمل

مع الشيوعيين احتراماً لمبادئ الفاناشاسيلا وتحقيقاً للوحدة الوطنية التي جعل شعارها (نساكم) اتحاد التحالف الوطني الديني الشيوعي في الأمة الإندونيسية .
(Nasakom)

واستقرت الحياة عند سوكارنو على هذا المزيج والخليط السيئ المشوش المشوه حتى كانت ثورة الشيوعيين الفاشلة في سبتمبر سنة ١٩٦٥ م .

وكان الحزب الشيوعي قد أقام له المدارس والجامعات واستورد لها من الصين أساتذة ، وبدأ في تنفيذ السلوك الشيوعي : لا شرف ، لا خلق ، لا قيم ، لا قانون فانكسرت حدة الحماس الإسلامي في مظهرها العام لولا بقية استبقاها الله في بعض الشباب الصابرين المحتسبين .. (H.M.I.)

وأما فيما يتعلق بتخدير المسلمين في الداخل والخارج فقد كان سوكارنو يصلي الجمعة إماماً في مسجد صغير بناه في ساحة قصر الجمهورية ، وقيم احتفالات بالمولد النبوي الشريف ، والإسراء والمعراج ، وليلة القدر ، وليلة النصف من شعبان . . وكان جل الحاضرين من القوميين واللا دينيين . . . فهي فرصة للضحك على أصحاب المشاعر الإسلامية ، وهي فرصة

للترف والبذخ والإنفاق ، وقيل في شأن سوكارنو بعد سقوطه إنه كان يحضر هذه الاحتفالات وهو في حالة غير لائقة بالقيم الإنسانية . هذا في الداخل .

أما في الخارج فقد كان سوكارنو يتمتع بأسلوب غاية في السحر والجادبية . . . وذلك شأن كذابي السياسة ومنافقي الشعوب .

فقد عملت الديبلوماسية الخبيثة أيام مراكز القوى الموالية للاتجاهات الماركسية في مصر أن يدعى الرئيس سوكارنو - وهو في لحظة الفتك بالإسلام هناك - لينح الدكتوراة الفخرية من الأزهر كتخدير للشعور الإسلامي الذي استيقظ يصب عليه جام غضبه ، وجاء سوكارنو إلى الأزهر في أبريل سنة ١٩٦٠ وأقيم له احتفال لم تشهده من قبل قاعة الشيخ محمد عبده وخطب سوكارنو خطبة تقليدية تحدث فيها عن الفاناشاسيلا وكان ملخص حديثه :

إننا في إندونيسيا نستمد قوى كبرى من فلسفتنا القومية (الفاناشاسيلا) إنها مجموعة من المعتقدات والإرشادات منحت من خبرتنا وتجاربنا الماضية ومن تاريخنا كله . إنها فلسفة تقوم على الذاتية القومية . وقال :

هل قبل الشيوعيون (الفاناشا سيلا)
كأساس للدولة مع أنهم ترعرعوا في أحضان
إقطاعها ؟

هل قبل المسيحيون الفاناشا سيلا
كأساس للدولة مع أنهم تمددوا بمؤسساتهم
في ظلها ؟

إن التاريخ المعاصر يشهد أن كلتا
الطائفتين لم تقبل الفاناشا سيلا كأساس
للدولة القومية العلمانية .
أما الشيوعيون :

ففي عام ١٩٤٨ إبلن حركة التحرر من
الاستعمار اغتصبو ١٨ ضابطا من ضباط
الجيش وقتلوهم وأشاعوا الإرهاب والنهب
في إندونيسيا حتى كان يوم ١٩ من سبتمبر
سنة ١٩٤٨ أعلنت الحركة الشيوعية قيام
الجمهورية السوفيتية الإندونيسية من مدينة
(ماديون) وتولى رئاسة هذه الدولة
المزعومة أحد الرفاق المدعو عامر
شريف . . .

ولم يقض على هذه الثورة إلا الجنرال
المسلم عبد الحارث ناستون . . .

فهل قبل الشيوعيون بذلك مبادئ
الفاناشا سيلا ؟

وفي عام ١٩٦٥ م لم يكتف الشيوعيون
بالسيطرة على الحكومة والاقتصاد بل قاموا
بانقلاب فاشل في ٣٠ سبتمبر فقتلوا سبعة

« إن الفاناشا سيلا لا تستبعد على وجه
التحقيق أولئك الذين يدينون بأديان أخرى
ولا الذين لا يتبعون دينا على الإطلاق . .
نحن لا ننسى أبدا أن المسيحي والبوذي
واللاديني كل هؤلاء إلى جانب المسلمين هم
مواطنون في الدولة الإندونيسية^(١) .

وهذه مغالطة لأن المسلمين - ٩٠٪ - هم
الذين أحرزوا الانتصار والبلدان الإسلامية
في الأمم المتحدة هي التي وقفت إلى جوار
إندونيسيا في قضيتها لأنها بلد إسلامي ومصر
الإسلامية هي أول الدول التي اعترفت
بإندونيسيا وهي أول دولة أرسلت سفيرا إلى
العاصمة القديمة (جوجا كارتا) لأن مصر
قلب العالم الإسلامي ، ولأن أندونيسيا في
ذلك الحين تمثل قطرا إسلاميا من أقطار
الإسلام .

ولقد صارت الأوضاع في إندونيسيا
منذ الاستقلال إلى يومنا هذا حول هذا
الصراع هل ستقام في إندونيسيا دولة
إسلامية ؟

وإذا كانت (الفاناشا سيلا) هي
الأساس للدولة كما أراد سوكارنو ويريد
الذين من بعده . . فهل قبل غير المسلمين
هذه المبادئ كأساس للدولة ؟

(١) المحاضرات العامة : الموسم الثقافي الثاني سنة
١٩٦٠ ص ١٣ / ١٥ .

من كبار ضباط الجيش مع وزير الحربية
أحمد ياني . A. Yani

ولولا عبد الحارث ناستبون الذى
نجا بأعجوبة لسقطت إندونيسيا فى يد
الشيوعيين^(١) فهل قبل الشيوعيون
الفاناشيلا كأساس للدولة العلمانية فى
إندونيسيا . . . ؟ ! !

(١) راجع كتابنا : الإسلام فى أرخبيل الملايو ص
١٨٧/١٨٨ .

أما عن المسيحيين فيكنى فى رفضهم
للفاناشيلا ما يلى :

أولاً : أنهم رفضوا التسامح الدينى
الذى دعا إليه الرئيس سوهارتو مراراً فى
عام ١٩٦٧ ، وفى آتسه عام ١٩٧٤ م وفى
العام الحالى ١٩٧٨ م .

ثانياً : التقرير الذى يصور استيلاءهم
على كثير من العمل التخريبي من أجل
تنصير مسلمى إندونيسيا .

● حقيقة الخطر الذى يهدد مستقبل الإسلام فى أندونيسيا

● المراكز الهامة المؤثرة لطائفتى البروتستانت والكاثوليك فى مختلف القطاعات الحيوية فى أندونيسيا

١ - مقدمة

ولكن كل ذلك لم يحقق النصر الذى أرجفوا به وأشاعوا .

إنهم قد يسجلون الشخص الذى يتعالج فى مستشفياتهم ، أو يتقبل شيئا من الأرز يقدم إليه أو قطعة من قماش ، على أنه قد تنصر وتم تعميده ، وما أكثر الذين يترددون على مستشفيات التبشير ومستوصفات أو يتلقون معونات الغذاء والكساء بحسن نية باعتبار ذلك مجرد مواساة وير وعمل إنسانى محض .

نعم هناك جماعات من البدائين يسكنون فى منطقة الباتاك (بسومطرا الشمالية) وفى كاليمنتان وجاعات فى جاوا الوسطى انتاؤهم الإسلامى فج ، بل مازال أكثرهم يجهلون الإسلام جهلا ، هؤلاء هم الذين يُنصرون ، ولا يزيد معدل الذين ينتصرون من هؤلاء سنويا عن عشرات الألوف .

إن تنصير البالغين من المسلمين قد لا يكون هينا ، أما الذين يهددهم الخطر

يراود الشعور بالقلق كثيرا من ذوى الغيرة الإسلامية فى العالم ، بسبب ما يشاع عن نجاح التبشير الهائل فى تنصير أعداد ضخمة من مسلمى أندونيسيا فى الآونة الأخيرة . ويرد الكثير من الاستفسارات عن هذه الحقيقة ، مما ينم عن شعور إسلامى نبيل واهتمام صادق بمصاير المسلمين على اختلاف ديارهم وأقطارهم . والحقيقة أن ما يذاع عن أنباء عن قيام نشاط تبشيري هائل فى أندونيسيا هو صحيح ، ولكن ما يذاع من ضخامة عدد المتنصرين من المسلمين فيه الكثير من المبالغة ، حقا إن الهيئات التبشيرية تملك طاقة مؤهلة لأعمال التنصير وهى كبيرة العدد وتملك من المادة والمعدات التى تسهل لها استغلال الفقر والجهل والمرض التى هى من مخلفات الاستعمار ، ما لا يحصيه عدد ، ويتلقون سيلا مدرارا من المساعدات المالية من مختلف الهيئات والمؤسسات العالمية ،

فهم الأطفال الذين يلتحقون بمدارس التنصير ومعااهده ، وهى منتشرة بكثرة كثيرة جدا سواء فى العاصمة أو فى مدن الأقاليم وقراها .

٢ - التسرب إلى مراكز السلطة :

والخطر الذى يهدد الإسلام ومستقبله فى أندونيسيا بحق وحقيقة فهو آت من سيطرة النصارى على مراكز العصب الحساس فى أجهزة الدولة ، وأزمة الاقتصاد، مما يذكرنا بسيطرة نصارى المستعمرين أيام أوج الاستعمار الهولندى وإذا كان ذلك طبيعيا أيام الاستعمار فإنه من المفارقات جدا أن يستمر بعد ثلاثين سنة من الاستقلال .

وهذه السيطرة قد خططوا لها منذ أمد طويل ، إذ أعدوا كوادرههم وأتاحوا لهم فرص التحصيل العلمى إلى أعلى المستويات فى جامعات أندونيسيا وجامعات الخارج بما يؤمن لشبابهم من منح دراسية سخية . بينما أبناء المسلمين محرومون من تلك الفرص .

وما تم تنفيذه من ذلك المخطط حتى كتابة هذه السطور يتلخص فى الآتى :

٣ - المراكز الهامة التى يحتلها البروتستانت والكاثوليك فى أندونيسيا :

يحتل البروتستانت والكاثوليك مراكز هامة فى أجهزة الحكم والإدارة والتشريع ، سواء على المستوى المركزى أو الإقليمى ، سيطروا عليها باسم الكفاءات والشهادات الرفيعة وباسم مختلف التنظيمات السياسية والانتماءات الحزبية .

القطاع السياسى والعسكرى

(١) فى مجلس شورى الشعب :

مجلس شورى الشعب (وليس المجلس الاستشارى الأعلى كما يخطئ ترجمته البعض) هو أعلى سلطة تشريعية فى أندونيسيا ، وذلك وفق ما نص عليه دستور سنة ١٩٤٥ م .

يملك هذا المجلس حق صياغة الدستور أو تعديله وحق انتخاب رئيس الجمهورية ونائبه ، وحق وضع الخطوط العريضة لأهداف الدولة ، الملزمة لرئيس الجمهورية بوجوب تنفيذها وعدم الحيدة عنها ، ورئيس الجمهورية مسئول أمام هذا المجلس وليس غيره .

المفروض أن يتكون هذا المجلس من أعضاء منتخبين مباشرة ، إذ يتكونون من

- الدكتور يوهانس بابتيستا سومارلين .
- جريجوريوس أطونيوس سوقيها رتو .
- يوسف واناندى (وهو صينى
كاثوليكي اسمه ليم بيان كى) .
- ر . روس كامدى (ماجستير
قانون) .

- ي ب أوتارا (ماجستير قانون) .
- السيدة سورياتي أتاستينه ليقاوا .
- سابام سيرايت .
- ياكوب توينغ .
* دكتور ميديات سيرايت .

هؤلاء هم الذين قاموا بنشاط مكثف
جدا ، خلال جلسات مجلس شورى
الشعب عام ١٩٧٣ وهى الجلسات التى
أنتجت الخطوط العريضة لأهداف الدولة
الحالية التى تستوحى منها الحكومة سياستها
العامة .

(ب) فى الحكومة المركزية ومؤسساتها :
يتربع النصارى على مقاعد هامة فى
الوزارة وفى المصالح والدواوين الحكومية
منهم :

- الجنرال مارادين بانقبايان وزير
الدفاع والأمن القومى ، وقائد عام القوات
المسلحة (البوليس فى أندونيسيا من القوات
المسلحة) .

أعضاء البرلمان ومن مندوبى الأقاليم .
والمجلس الحالى (هكذا يتوقع فى المجلس
الذى يتكون من أغلبية ساحقة من طائفة
الجولكار (طائفة الحرفيين التى هى فى
الحقيقة المنظمة السياسية للنظام الحالى)
وجبهة الجولكار فى البرلمان وفى مجلس
شورى الشعب مسيطر عليها من قبل
الأعضاء البروتستانت والكاثوليك وتملك
الجبهة البرلمانية فى البرلمان وفى مجلس شورى
الشعب السلطة الكبرى فى سير المناقشات
وفى التصويت ، إذ يمارس تلك
السلطة (بدون معقب أوريقيب) رئيس
الجبهة فرئيس الجبهة هو كل شىء ، أما
أعضاء الجبهة فجعل مهمتهم التصويت لدى
الاقتراع ، إذ ليس له أن يقترح شيئا إلا عن
طريق الجبهة ، والمداولات تتم عن طريق
اللجان فى البرلمان وفى مجلس شورى
الشعب ، وهكذا تبرز أهمية الجبهة البرلمانية
فى ممارسة (أوتزيف) إرادة الأمة .

وفى دورة مجلس شورى الشعب لعام
١٩٧٣ كان أعضاء لجان الصياغة واللجان
الخاصة الأخرى يتكونون من هؤلاء
النصارى الآتية أسماؤهم :

- كوسماس باتوبارا .
- دكتور أندوس موردوبو .

لدخول الإرساليين ورجال الأعمال
الفاتيكان ونحوهم . ومما يذكر عن مدير
الجوازات المذكور أنه قرر إعفاء القسس
ورجال الكنائس من رسوم تأشيرات
الخروج وهى رسوم باهظة .

(ج) وزارة الدفاع والأمن القومى :

تعتبر القوات المسلحة فى أندونيسيا من
أهم الهيئات الفعالة لحماية نشاط الأعمال
التنصيرية ، سواء فى القيادة العليا أم
مشتقاتها وفى قيادات المناطق العسكرية
الإقليمية ، حيث يقوم بتنفيذها النصارى
بمهامهم بولاء ووفاء لانتمائهم
النصرانى . ونذكر من بين هؤلاء :

١ - الجنرال مارادين بانقابيان ، وزير
الدفاع والأمن القومى وقائد عام القوات
المسلحة .

٢ - الجنرال بينى موردانى مساعد
القائد العام لشئون المخابرات بوزارة
الدفاع .

٣ - الميجر جنرال يوقى سوباردى قائد
عام قيادة السوقيات (اللوجستيك)
للجيش .

٤ - اللفنتانت جنرال (بوليس)
دكتور أندوس ويدودوبودى دارمو قائد
عام بوليس الدولة .

- البروفسير الدكتور ج . أ . سيوايسى
وزير الصحة .

- دكتور أندوس رادىوس براوير وزير
التجارة .

- الدكتور يوهانس بابتيستا سومارلين
وزير الدولة لإعادة تنظيم وضبط أجهزة
الدولة .

- س . سودارمان مدير عام مديرية
الجوازات والهجرة .

- أ . ي . مانيهوروك ، مدير عام
ديوان الموظفين .

- دكتور و . ب . نابيتوبولو . مدير
عام التعليم غير الرسمى بوزارة التربية
والثقافة .

- ج . س . ت سيموران كيز . رئيس
لجنة تطوير القوانين بوزارة العدل .

- دكتور راندوس برايوغو مدير عام
مصلحة السياحة .

ويتضح مما ذكر ، أن سلطة مراقبة
وضبط ومعاقبة موظفى الدولة هى بيد وزير

كاثوليكى ، وسلطة تعيين وترقية ونقل
وتجميد الموظفين بيد وزير بروتستانتى وهو

أ . أى ، مانى هوروك ، ومراقبة بوابة
الدولة (الهجرة والجوازات وتأشيرات

الدخول والخروج) بيد مسيحى هو س .
سودارمان ، حيث يُتوقع تسهيلات كثيرة

مناطق عسكرية قيادية فقد احتل النصارى فيها مراكز هامة أيضاً . من أمثلة ذلك :

١ - قيادة المنطقة العسكرية الثانية

« بوكيت باريسان » وتسيطر على منطقة سومطرا الشمالية ومقرها مدينة ميدان . كان قائدها الجنرال ليولوبوليسا وقد رقى إلى منصب قائد الفرقة الاستراتيجية للقوات البرية ، ويقال إن المرشح لخلافته في القيادة هو أحد الجنرالات النصارى .

٢ - في قيادة المنطقة العسكرية السادسة ، سيل وانغى ، بجاوا الغربية ومقرها مدينة باندونغ ، رئيس مخابراتها كولونيل نصرانى اسمه ساملو .

٣ - في قيادة المنطقة العسكرية السابعة ديبو نقورو (بجاوا الوسطى) يتولى قيادة مخابراتها الكولونيل ليونغالى ، وقد أزمّن هذا الرجل في هذا المنصب الذى تربّع عليه أكثر من عشر سنوات .

ومناصب المخابرات هذه حساسة جدا ومؤثرة جدا كما هو مفهوم بالبداهة في توجيه سياسة القواد ، لأن كافة التقارير تمر بها وهى التى تقيمها وتستخلص معطياتها وتقدمها إلى القيادة فإذا كان القائمون عليها من أصحاب العواطف الدينية المتطرفين أو ممن جندوا عمدا فيها فن السهل أن تحور التقارير وتعاد صياغتها وتلون بألوان خاصة .

٥ - الميجر جنرال كانتر الحقوقي ، رئيس هيئة تطوير القانون بوزارة الدفاع والأمن .

٦ - الميجر جنرال ليولوبوليسا قائد الفرقة الاستراتيجية بالجيش .

٧ - الميجر جنرال ج . هـ مانتيك قائد منطقة جاكارتا العسكرية .

٨ - سى . ب أوتورو القانونى ، رئيس القسم السياسى بالمخابرات المركزية .

٩ - البريجادير جنرال اى . و . ب . تامبونان مدير الكلية الحربية قسم القوات البرية

١٠ - الأميرال سودومو رئيس أركان قيادة عمليات إعادة الأمن والنظام (بالأندونيسية : كوم كام تيب) وهى القيادة التى تستطيع أن تقارف أى شىء بذريعة الضبط والربط والحيلولة دون انتكاسة الشيوعية ، حيث تملك سلطات استثنائية ، بعد إلغاء حالة الطوارئ في أندونيسيا .

أما مراكز الدرجة الثانية وهى قيادة المناطق العسكرية ، فقد استولى البروتستانت والكاثوليك فيها على مراكز هامة جدا ، مثل قسم المخابرات والعمليات وكذلك بالنسبة لقيادات مناطق الدفاع (كويلهان) التى تضم كل واحدة منها عدة

ويبذل البروتستانت والكاثوليك في الآونة الأخيرة جهوداً مكثفة لتولى مناصب قيادة العمليات العسكرية في قيادات المناطق العسكرية .

(د) في الهيئات التشريعية للدولة :

يحتل البروتستانت والكاثوليك مختلف الانتماءات التنظيمية ، ٨٤ مقعداً في البرلمان (أو ما يعادل نسبة ٢ ، ١٨ ٪ من مجموع الأعضاء وعددهم ٤٦٠ عضواً) ولم يكن الأمر قاصراً على العضوية فقط ، ولكنهم يحتلون مناصب في الجهاز البرلماني يمكنهم من التوجيه والسيطرة .
ولبيان ذلك نذكر أن :

١- سابام سيرايت (من حزب البروتستانت سابقاً) يحتل الآن منصب نائب -رئيس الجبهة البرلمانية للحزب الديمقراطي الأندونيسي .

٢- ي . هـ . د . تاها ماتا (من حزب البروتستانت أيضاً) يتولى منصب نائب رئيس جبهة الحزب الديمقراطي الأندونيسي البرلمانية .

٣- في . بي . داكوستا (من حزب الكاثوليك سابقاً) نائب رئيس أيضاً .

٤- دكتور أندوس تام سيبا توبانغ (من البروتستانت) يتولى منصب سكرتير

جبهة الحزب البرلمانية .

٥- دكتور أندوس كارو بدينغ (من الحزب القومي سابقاً) سكرتير جبهة الحزب البرلمانية .

هؤلاء النصارى يسيطرون على جهاز الجبهة البرلمانية للحزب الديمقراطي الأندونيسي .

جبهة الجولكار البرلمانية :

٦- جريجوريوس أنطونيوس سوقيهارتو رئيس جبهة الجولكار البرلمانية .

٧- دكتور أندوس كوسماس باتوبارا منسق الشؤون السياسية للجبهة .

٨- دكتور أندوس ي . سيمان جونتاك منسق الشؤون الاقتصادية .

٩- دكتور أندوس سوقيهارتو (أخو جريجوريوس سوقيهارتو) . منسق الشؤون العامة .

١٠- وارتو نو منسق الشؤون الخاصة .

في اللجان البرلمانية :

اللجان البرلمانية هي التي تتخصص في مناقشات البرلمان ، فمثل الحكومة يحضر جلساتها ويقدم بيانات الحكومة أمامها ، وعندما تتم المناقشة وتؤخذ آراء الجهات يقدم الموضوع إلى الجلسة العمومية حيث

تؤخذ الأصوات .

ففي هذه اللجان البرلمانية نجد الشخصيات الآتية أسماءهم :

١ - في . بي داكوستا

نائب رئيس لجنة الشؤون القانونية
(لجنة ٣)

٢ - دكتور أندوس تام سيناتو بانغ

نائب رئيس لجنة المواصلات (لجنة ٥)
٣ - ياكوب توينغ

رئيس لجنة الصناعة والثروة المعدنية
(لجنة ٦)

٤ - ي . هـ . دتاها ماتا

رئيس لجنة الصناعة والثروة المعدنية

٥ - ل . م . سيان توري

نائب رئيس لجنة الشؤون الصحية
والاجتماعية (لجنة ٨)

٦ - بودي ديبويوانا

نائب رئيس لجنة الشؤون الصحية
والاجتماعية

٧ - آريفين ساري تامبونان

نائب رئيس لجنة البحوث (لجنة ١٠)

٨ - دكتور أندوس . ي . سيان جونتاك
نائب رئيس لجنة الميزانية

٩ - اي . ي . سوهارنو

نائب رئيس لجنة الشؤون الداخلية
للبرلمان .

(هـ) في إدارة الحكم المحلي :

إدارة الحكم المحلي وهي الولايات
واسمها مناطق الدرجة الأولى (أو المحافظات
وعدها قبل ضم تيمور الشرقية إلى
أندونيسيا ست وعشرون ولاية) تتمتع بنوع
من اللامركزية (الأوتونومي) فلكل واحدة
برلمان محلي يضع ميزانية المحافظة ويسن
اللوائح المحلية وينظم اراداتها ويختب
محافظها (ولونظريا) الذي تعينه بناء على
ذلك الحكومة المركزية والحكومة المحافظة
حق جباية بعض العوائد والرسوم والضرائب
وتتلقى مساعدة مالية سنويا من الحكومة
المركزية تسد عجزها .

ولذلك نرى النصارى حريصين جدا
على أن يسيطروا على إدارات الحكم المحلي .
وقد نجحوا في أربع ولايات ، وهي : ولاية
سولاويسي الشمالية ومحافظها الميجر جنرال
هـ . في وورانغ ، وسولاويسي الوسطى
ومحافظها البريجادير جنرال - تامبونان
وكاليمتتان الوسطى ومحافظها سيلفانوس
ونوسا تنقارا تيمور ومحافظها البريجادير
جنرال ايل تاري .

وبرغم أن سولاويسي الوسطى أغلبية
سكانها مسلمون إلا أن مجلسها النيابي
انتخب البريجادير تامبونان المسيحي وليس

العامّة للدولة ، ومحترفي القتال (القوات المسلحة) محترفون أيضا والصحفيون ومراسلوا الصحف والفنانون والممثلون والرسامون والنحاتون والمغنون كلهم حرفيون ، وضم هؤلاء إلى منظمة أطلق عليها اسم الجولكار ، ابتدع الفكرة ونفذها سوكارنو ، وكثف نشاطها العهد الجديد وأصبح لها رئيس يتولاه الآن اللفتنانت جنرال اميرمورتونو ، وفي العهد الجديد فرضت المنظمة فرضا على كل من يتقاضى مرتبا أو أجرا من الحكومة ومؤسساتها ، بل فرض على كل من له صلة بالموظف من زوجة وأولاد وأصهار .

وهكذا نجد الوزراء والمديرين العامين والموظفين وحكام الولايات إلى عمد القرى ، وأسست في كل ديوان أو مصلحة « نقابة لموظفيها » ، تتقاضى نسبة من مرتباتهم اشتراكا في النقابة ، ويقال إن كل مشتريات الحكومة تتقاضى منها منظمة الحرفيين نسبة عمولة تقدر بـ ١٠ ٪ من ثمنها الإجمالي .

وقد نجحت المنظمة في انتخابات عام ١٩٧١ في إجبار الناخبين على انتخاب لأئحة مرشحيها مما أثار ضجة ما أسرع ما كتمت وتلقى مثيروها تهديدا خطيرا . وهكذا نجد أغلبية المنتخبين من لأئحة

من أبناء المنطقة ، محافظا ، وسارع فعين عددا من النصارى في مناصبها الهامة ، منهم :

- دكتور أندوس لى ل سلاتا سكرتير حكومة المحافظة .

- دكتور أندوس ف . س . سيماك لإدارة شئون الحكم والإدارات - سى . ك . توماكاكا

لإدارة شئون التنظيمات العامة * دكتور أندوس س . تامبونا

لإدارة الشئون المالية - دكتور أندوس س . سارونقو

لإدارة المكتب العام - دكتور أندوس نيكو آدم

لإدارة شئون الموظفين

- دكتور أندوس ي . و . سارابانغ لمصلحة العوائد والإيرادات

(و) الهيئة المركزية لمنظمة الجولكار (الحرفيين)

كلمة الجولكار منحوتة من كلمتين باللغة الأندونيسية وهى جولونغان كاريا Golongankarya أى طائفة أصحاب الحرف ، وينصوى تحت مفهوم أصحاب الحرف كل من يحترف حرفة يعيش منها ، مثل موظفى الحكومة وموظفى المؤسسات

الجلولكار فازت بالتعسف والقسر .

(ز) الهيئة المركزية للحزب الديمقراطي
الأندونيسى :

أسفر ما يمكن أن يعتبر بالمؤتمر الأول
للحزب الديمقراطي الأندونيسى عن تشكيل
إدارة عليا وهيئة مركزية للحزب الذى
أصبح بوتقة صهر لخمسة أحزاب قديمة
وهى الحزب القومى الأندونيسى وحزب
البروتستانت وحزب الكاثوليك وحزب
الموريا (أتباع تروتسكى) - وحزب إيبكى
الذى أنشأه فى الخمسينيات ضباط الجيش
الذين أحيلوا إلى الاستيداع بعد حركة
أكتوبر سنة ١٩٥٢ التى قادها الجنرال
ناسوتيون وفشلت .

ولقد احتل النصارى (بروتستانت
وكاثوليك) مراكز مهمة فى قيادة الحزب
فقد تقرر عدد مقاعد الهيئة المركزية ٢٩
مقعدا ، توزع على أساس حجم كل من
الأحزاب السابقة التى أدمجت فى الحزب
الديمقراطى ، وبذلك تقرر للحزب القومى
٩ مقاعد ولكل من حزب البروتستانت
والكاثوليك ستة مقاعد ولكل من حزب
الموريا والأيبكى ٤ مقاعد .

وبالإضافة إلى ذلك قرر جعل مقعد
الأمين العام للحزب بيد البروتستانت وأسند
إلى السيد سابام سيرايت .

وقد أسفر المؤتمر القومى للمنظمة
(لهيئتها المركزية فقط) وقد انعقد بمدينة
سرابايا ، وخيل للمشاهدين أنه مؤتمر
للقوات المسلحة لما ساد المؤتمر من الضباط
وما استخدم فيها من تسهيلات الجيش
ومعداته ، فيما أسفر ، عن هيئة إدارة
مكونة من ١٧ عضوا ، سبعة منهم (أى
بنسبة ٤١ ٪ من البروتستانت والكاثوليك ،
ولم تقتصر المناصب على الحكم فقط وإنما
تمتاز أيضاً بأهميتها . ومن هؤلاء السبعة
نذكر ستة وهم :

- ١ - البريجادير جنرال آ اى . مانهوروك
رئيس ديوان الموظفين ، اختير نائبا
لرئيس الهيئة المركزية
- ٢ - دكتور أندوس موردوبو
أمينا للشئون المالية
- ٣ - يوسف واناندى (صينى اسمه ليم بيان
كى)

أمينا للشئون العامة والتخطيط

٤ - كوسماس باتوبار

أمينا لشئون الكوادر والتربية

٥ - دافيد ناي توبولو

أمينا لشئون الطلبة والشباب

٦ - الدكتور ميحديان سيرايت

أمينا لقطاع المثقفين

لقد نال الكاثوليك والبروتستانت ١٢ مقعداً من أصل ٢٩ مقعداً وهذا وحده يمثل ٤١,٣ ٪ من المجموع . غير أنه قد احتل النصارى أيضاً مقاعد أخرى من حصة الحزب القومي وكل من حزب الموريا والإيكي على أساس الاعتبارات الخاصة بالانتماء الحزبي وهكذا اكتمل عدد المقاعد في الهيئة المركزية للحزب الديمقراطي التي يحتلها النصارى ١٦ مقعداً من أصل ٢٩ أى بنسبة ٥٥,١ ٪ من المجموع . ولا يجوز أن ننسى أن أمثال هؤلاء المسيحيين لهم ولاء مذهل للكنيسة (على العكس من بعض المسلمين الذين لا يرتبطون بأى ولاء إلا لمصالحهم الخاصة) . ولا يضير هذا الولاء الكنسى الانتماء الحزبي الخاص بكل ، أى أنهم فى ممارستهم لمهامهم لا يغفلون التوجيه الكنسى وتنسيقاته .

٣- فى القطاع الاقتصادى :

من البديهي أن يكون النفوذ السياسى معهدا للسيطرة الاقتصادية . وهكذا كانت سيطرة النصارى فى أندونيسيا على الإدارة والحكم قد وضعت فى أيديهم مقاليد السيطرة على أزمة المال والاقتصاد ، فكثير من قروض الاستثمارات الأجنبية استولى عليها البروتستانت والكاثوليك .

ويوجد هناك (البنك الوطنى العام) (بنك عموم ناشيونال) وهو مؤسسة كاثوليكية ، ولذلك يحتل قطب الكاثوليك الأندونيسى اى . ي . كاسيمو مكانا هاما فى إدارة البنك وهو شخصية كاثوليكية معروفة بالتعصب . وهناك الدكتور يوسف بانغلاى كيم (بانغ لاي كيم) Dr. Jusuf Pang Lay Kim وهو بجانب مركزه بمعهد دراسات العلوم الاجتماعية الذى يشغل مبنى شارع تانا بنغ الثالث رقم ٢٥ (المعروف أن هذا المبنى هو عرين الجنرال على مورتوبو) يمثل دور همزة الوصل بين شخصيات « بنك أندونيسيا المركزى ، وبين رجال الأعمال الصينيين » وأغلبهم من البروتستانت والكاثوليك) الذين يريدون الحصول على قروض من ذلك البنك المركزى .

بينما يقوم الدكتور يوهانس باتيستا سومارلين الكاثوليكى ، وزير الدولة لشئون ضبط الجهاز الحكومى ، بنشاط آخر وهو تسهيل تركية مقترحات المشروعات الكاثوليكية والبروتستانتية المعروضة على الهيئة المركزية للتخطيط الإنمائى القومى ، لأن سومارلين نائب رئيسها . هناك عدد من الأسماء وهى نبوهان

سيانغ Nyo Han Siang وليم سيوليونغ
والمهندس تشيويو ترا وليم بيان كون وليم
بيان كي
F.Y. Soeharto سوهارتو

وكان يمد هذه المؤسسة التعليمية في
أول نشأتها « جمعية الويسوس
» الكاثوليكية في سيما رانغ ، وباباسان بوربا
دانارتا البروتستانتية في سيما رانغ أيضاً . ومن
بين الهيئات الخارجية التي تتعاون معها هي
مؤسسة صندوق القروض الاقتصادية الكنسية
(Econemica Church Loan Fund)

في جنيف ، ووكالة ميسوريور
Miserior للمساعدات الإنمائية في آخن
بألمانيا .

ونجد في قطاع النشاط العامل في
شركات التأمين أسماء (نيوهان سيانغ) وليم
بيان كون ، وليم بيان كي ورودي وأنادي
(أخوليم بيان كي أيضاً)

وقد بدلوا اسم شركة تأمينهم القديم
(ماسكا باي اسورانسى فاديو) باسم جديد
معناه (مؤسسة واهانا تاتا المحدودة
للتأمينات) ويتكون مجلس إدارتها من :
نيوهان سيانغ

رئيس مجلس الإدارة المنتدب
دكتور يوسف نانغ لاي كيم
نائب الرئيس

وهي شخصيات عرفت بأنها من عمالقة
رجال الأعمال والاقتصاد في أندونيسيا
يجانب ما عرف عنهم بأنهم إما من
البروتستانت أو من الكاثوليك « المتدينين »
أى أنهم من الأجهزة الطيبة لإرساليات
التبشير النصراني في أندونيسيا .

وتوجد هناك مؤسسة علمية متخصصة
في تطوير وبناء فنون الإدارة ، مقرها بشارع
ميتينغ رايا (واحد من أحياء المترفين
بجاكرتا) يتم فيها تأهيل الطاقات الإدارية
وبرغم أنه يوجد في هيئة التدريس بهذه
المؤسسة عدد من المدرسين المسلمين ، أمثال
السيد شفر الدين براوبرا نيقورا
Sjafruddin Prawiru Nègara

رحمت لوليو ميسينو (شفر الدين أحد
أقطاب حزب مشومي ورحمت من أقطاب
نهضة العلماء) إلا أن هذه المؤسسة
نصرانية ، رئيس هيئتها العام هو الجنرال
المتقاعد الدكتور تاهي بونارسيا توبانغ

Dr. Tahi Banar Simatupang

(رئيس مجلس الكنائس - الأندونيسى ،
وعضو مجلس الكنائس العالمى) وسكرتيرها

(بو Po)

قوى النفوذ في الوزارة . وله اسم أندونيسي هو مورديا .

لقد استطاع هذا الصيني الذي لم يتجاوز العقد الثالث من عمره أن ينال من ميزانية الوزارة مبلغ ٣٢٦ بليون روبية لعام ١٩٧٦ قيمة توريدات المؤسسة كهرباء الدولة ، وقد بلغ من استفحال نفوذه وتأثيره أنه تسبب في نقل تأديبي لسبعة من رؤساء فروع إدارة الكهرباء اصطدموا معه . وإذا صادف وجود موظف يجرؤ على أن يبدى اعتراضا على أى مقترح لهذا الصيني فسرعان ما يأتي إليه ويهمس في أذنه (ألا تزال راغبا في البقاء في مركزك أم ترغب في النقل) وطبعا لا يريد أن ينتقل فيلزم أدبه مع الصيني مورديا . وسر حظوة هذا الصيني الشاب أنه متبنى معالي الوزير سومارلين .

سفيان واناندى
توماس سوبانتو
سوهادى
يوسف واناندى

ساسو سوقيارسو
رودى وانا ندى
سنى دوى هارسونو

ومن في أندونيسيا لا يعرف اسم ليم سوى ليونغ أحد المقربين إلى القصر ، إنه الآن أصبح يستعمل اسمه الجديد سودونو سالم . وقد تردد اسمه بين أقطاب المهربين الذين أفلتوا وهربوا إلى الخارج (اسمه الصيني Lim Sui Liong) واسمه الأندونيسي Sud no Salim لهذا الرجل ابن أصبح الوكيل الوحيد لسيارات (فولفو) فأصبح الآن اسمه بان دارمادى Jan Darmadi

ومن بين الأسماء اللامعة في شركة استرا لتجارة السيارات ومصانع تجميعها نجد اسم ليم بيان كى أى يوسف واناندى .

وبجانب القطاع الخاص (الأهلى) حيث نفوذ الصينيين المسيحيين قوى ، نجد بعضهم يملك نفوذا في الوزارات من ذلك في وزارة الأشغال العامة والطاقة الكهربائية ، فبجانب وزيرها المهندس س سوتا مى نجد شخصا يعرف باسم

٤ - قطاع الشؤون الاجتماعية :

لقد كان للنصارى تجارب قيمة وقدم راسخة في قطاع الشؤون الاجتماعية اكتسبتها هيئات التبشير في مختلف أصقاع أندونيسيا . ونحن الآن بسبيل تجميع مختلف المعطيات والحقائق الدقيقة لنشاط القوم في هذا الميدان ، بمساعدة إخوة لنا في الأقاليم . على أن نشاط القوم لم يقتصر على عامة

الإسلامية ضئيلا ، إذا اتحدت ووقفت صامدة فلا بد أن يضطر الآخرون إلى الأخذ بعين الاعتبار واحترام موقفها ورأيها .

ولكن كيف يرجى هذا من الذين وضعوا وضعا على قمة القيادة الإسلامية ومضوا يكتبون في الإسلام وعن الإسلام مما يكرب ويغثي الناس مثل (كتاب الإسلام والسياسة والإسلام والدولة في أندونيسيا) يملاً بالغث من الكلام والضحل من البحوث عن الإسلام ويفضل أقوال المستشرقين باعتبارهم أعلم بالإسلام ويحث على دراسته في كتبهم ، ورحم الله القائل :
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
يقول كاتب هذا الكتاب وهو رئيس حزب الوحدة الإنمائية (يتقدم النون على الميم) (إنه لا يهمه من الذي سيفوز في الانتخابات القادمة فالأمر سيان ، عنده على الأقل) ، أما النصارى فقد استولوا على أربعة مقاعد وزارية ، ثلاثة منها في غاية الأهمية وهي وزارة الدفاع والأمن القومى ووزارة التجارة ووزارة غريبة الموظفين . كما احتلوا مراكز هامة في دواوين الحكومة ومصالحها وفي الهيئات التشريعية .

وكلها مراكز تتيح الفرصة للتوجيه

الشعب فقط ، بل استطاع أن ينفذ من خلال أسوار قصور السلاطين ، كسلطان سالا Solo بجاوا الوسطى الذى أنكح بنته للمهندس المسيحى سيلفانوس Sylvanus محافظ كاليمنتان الوسطى ويقال إن لهذه البنت خطيبا شابا مسلما وطالبا جامعيًا ، ولكن قوى خفية أجبرت السلطان على اختطاف البنت من خطيبها ليزوجها من هذا المسيحى الذى تجاوز مرحلة الشباب وتم قرانها بقصر أبيها السلطان الذى كان فى يوم من الأيام مقرا « لظل الله فى أرضه » ومركزا لإشعاع الإسلام . وتم الزواج بلا مراسم زواج إسلامى واحتفل به احتفالا باذخا دعى إليه رئيس الجمهورية وعقيلته وكبار رجال الحكومة والسلك الدبلوماسى من جاركنا بالطائرة حيث أرفقت تذاكر الطائرة ببطاقات الدعوة .

٥ - بين أيدي الانتخابات العامة :

واليوم فما الذى أعده المسلمون لكى يستطيعوا أن يحافظوا على كياناتهم من الاضمحلال . .

يقول المرحوم الأستاذ براووتو مانكو ساسميتو آخر رئيس لحزب ماشومى قبل أن يأمر سوكارنو بحله : مهما كان عدد الجبهة

تسربت أخبارها فحدثت ردود فعل معاكسة خطيرة فقامت اعتراضات على كوسماس باتوبارا الكاثوليكي في آتشييه ، وعلى دافيد نايتوبولو في أندونيسيا الشرقية . ولكن مخططهم قد استكمل جوانبه ، فالمرشح الحزبي أو الطائفي لا ينجح إلا بعد أن يوافق على ترشيحه من قبل المخبرات وقائد عمليات إعادة الأمن والنظام (كوم كام تيب) وكلاهما شهاب الدين وأخوه أى من النصارى (بينى موردانى وسودومو) فيستحيل أن يزكى إلا إذا كان على هواهم .

ولذلك فقد أثار العجب أن يتقدم أحد أقطاب حزب الوحدة الإنمائية يستصرخ الأخوة العرب أن يساعدوا على إنقاذ أندونيسيا من أخطار امتصاص النصارى للمسلمين وأنه يجب مساعدة حزب الوحدة الإنمائية ماليا حتى يفوز في هذه الانتخابات .

أما أن المسلمين في خطر فهو حق ، وأما أن نقول إن إنقاذهم بتقديم المساعدات المالية لحزب الوحدة الإنمائية حتى يفوز مرشحوه في الانتخابات ، فنقول :

هذا كلام له خبيث معناه ليست لنا عقول

والتحكم ، بجانب ما تدره من إيرادات ودخول مشروعة ، فإذا أضفنا إلى ذلك المساعدات الضخمة التي تتلقاها مؤسساتهم المحلية من المؤسسات التبشيرية في أوربا التي كسدت فيها بضاعتها سواء المساعدات للتبشير أولالاقتصاد واستثمار الأموال ، فإنهم لن يعجزوا عن تحقيق مخططهم الهادف إلى السيطرة الشاملة وبسط النفوذ على قطاعات واسعة ومستويات مختلفة .

وعلى سبيل المثال نذكر أن منظمة (الجولكار) قررت لضمان الفوز في الانتخابات أن يكون لها مرشحون من منظمة الجنود المتقاعدين ، ويبدو أن النصارى قرروا أيضاً أن يكون لهم مرشحوهم من هذه الفئة وأنه لضمان ذلك يجب أن يتدخلوا في إنشاء فروع تلك المنظمة في خارج جاوا تمهيدا للنجاح واحتسابا لكل شيء ، إذ أنه من السهل أن يقدم للترشيح مرشح نصراني باسم المنظمة إذ قادتها مسيطر عليهم من النصارى . وهكذا أوفدوا كوسماس باتوبارا لمنطقة سومطرا ودافيد نايتوبولو إلى شرق أندونيسيا وكور نيلوس سيان جونتاك إلى كالينتان ، بحجة تشكيل لجان انتخابات لمنظمة الجولكار .

ولكن يبدو أن ما أبطنوه من نيات قد

في مختلف المناصب وهم لا يساوون ملّ آذانهم نخالة ، كما يقول المازني رحمه الله . وكل من يجرؤ من الدعاة والمبلغين والخطباء على تحذير الناس من أخطار التبشير سرعان ما يغل بالأصفاد فور نزوله أو عند خروجه من المسجد حيث لا يعرف له مزار خلال أيام ، (وإن عدتم - رغم هذا الإجراء التعسفي - عدنا) كما يقول لسان حال السلطان .

وحين يجتمع مجلس الكنائس الأندونيسى ترى أسيعيدون النظر أم سيدعمون مخططهم من أجل تنصير أندونيسيا خلال خمسين عاما ، عن طريق السيطرة على مقدراتها ومقاليدها . علم ذلك عند ربى ورب العباد (١) .

فهل أصحاب هذا النشاط يؤمنون بالفانثاسيلا ؟؟ .. !

نافذة أمل :

غير أن هذه الجهود التي صورت رفض المسيحيين للفانثاسيلا كأساس تقوم عليه إندونيسيا العلمانية قد وجدت واحدا من أبناء إندونيسيا أنفسهم يجابهونها وهو

إن المسلمين في خطر منذ عشرات السنين وقبل عشرات السنين ، منذ أيام سوكارنو حين كانوا من بين حواريه ، فالأجدر أن يكونوا آخر المسلمين الأندونيسيين إدراكا لذلك الخطر والاستصراخ لترج جيوب الغيورين من الموسيرين . إذن فهي كلمة حق أريد بها باطل وهل من السهل تقديم المساعدة لحزب من أجل مواجهة الانتخاب والفوز فيه ألا يسبب ذلك قيام الحكومة بجهاز (الكام تيب) صاحب السر البائع ليقمع كل ذلك ويمضى الإسلام في العفاء .

الخلاصة : وبعد : فإن نفوذ النصارى مستفحل يحدث ذلك بموجب مخطط تضافرت على تنفيذه قوى مؤهلة مجندة ، بل يتوقع أن يزداد استفحالا والعياذ بالله مستقبلا ، والذين على مقاعد السلطة من المسلمين « مستضعفين » - أو عملاء وكلما ندت صرخة عن تكالب أخطار التنصير على مسلمى أندونيسيا - نجد واحدا يرفع عقيرته مكذبا أن لا خطر على الإسلام في أندونيسيا . الإسلام في أندونيسيا بخير ، والدليل أنه لا يزال بعلمته وجبته ويتلقى الملايين يقول من يقول بخطر التنصير على الإسلام في أندونيسيا فهو عدو التنمية وعدو الأمة وغيره كثيرون ممن وضعوا على القمة

(١) هذا التقرير قامت به هيئة علمية في حاكارتا عام ١٩٧٦ م .

- الجنرال عالم شاه وزير الشؤون الدينية الحالي .
- ولقد قابلته مع الوفد الذى أرسله فضيلة مولانا الإمام الأكبر الراحل الشيخ عبد الحلیم محمود رضى الله عنه للمشاركة فى أعمال المؤتمر الأربعين للجماعة المحمدية . . وكان الوزير يومها غاضبا مما ينشر عن تنصير أندونيسيا بالصحافة العربية وذكر أنه بصدد قرار ملخصه :
- ١ - أنه لا يجوز نشر دين من الأديان وسط جماعة متدينة بدين من الأديان .
- ٢ - أنه لا يجوز نشر الدين بأساليب خداعة تستغل مواقف الضعف البشرى .
- ٣ - أن كل الخيرات والمعونات التى تقدم لأصحاب الأديان يجب أن تكون عن طريق الوزارة .
- ٤ - يوجه التبشير بالأديان داخل الجماعة غير المتدينة أصلا . .
- وكان الوزير صادقا فيما وعدنا به فأصدر عدة قرارات وهى :
- القرار رقم ٤٤ لسنة ١٩٧١ م ويتضمن :
- عدم ضرورة الحصول على إذن مسبق من وزارة الشؤون الدينية لإلقاء الأحاديث الدينية مادامت هذه الأحاديث لا تتعرض للتنمية الوطنية ولا تتعارض مع الفاناشيلا
- ودستور عام ١٩٤٥ .
- القرار رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٨ .
- يحرم على أى طائفة القيام بنشاط تبشيري بين معتنقى الديانات الأخرى سواء عن طريق تقديم هدايا أو توزيع نشرات أو الزيارات التى يقوم بها المبشرون للمنازل .
- القرار رقم ٧٧ لسنة ١٩٧٨ .
- لا تتم مساعدات من الحكومات الأجنبية أو الهيئات الأجنبية إلا عن طريق وزارة الشؤون الدينية .
- وهذه القرارات مهمتها تجميد النشاط التبشيري العلنى وسط الأمة الإسلامية . .
- ولكنها لا تمنع من التبشير السرى الذى يملك فى الدولة سلطة من المخابرات والوزراء والقانونيين وأعضاء مجلس الشعب .
- ومع هذا فقد رفض المسيحيون هذه القرارات ، وأعلن المسلمون الترحيب بها ففى يوم الأحد ١٧ من سبتمبر ١٩٧٨ م عقد دولة الدكتور محمد ناصر رئيس المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية مؤتمرا فى مسجد الفرقان بجاكارتا أعلن فيه موافقته على هذه القرارات وأيد مسلك الجنرال عالم شاه وأهاب بالأمة الإسلامية فى أندونيسيا أن يكون كل بيت من بيوت

المسلمين معقلا وحصنا للإسلام الحنيف . وهكذا يتبخر الأمل من إنشاء دولة إسلامية في أندونيسيا إلى نافذة صغيرة هي تلك القرارات التي تحمي بيوت المسلمين في أندونيسيا من التنصير الكاثوليكي والبروتستانتي .

فلم يؤخذ المسلمون الرافضون لمبادئ الفاناشا سيلا بحد السيف والإعدام والتشريد وهم أصحاب الجهاد المقدس الذي أحرزت به أندونيسيا استقلالها ؟

في حين أن غير المسلمين شيوعيين أو قوميين أو مسيحيين يعادون الفاناشا سيلا سلوكيا ومع هذا فهم المنعمون المالكون المتربعون على عرش الحياة في أندونيسيا ؟ ؟ ؟

أمن العدل أن يعدم المجاهدون في سبيل الحرية والاستقلال .

بينما ينعم الخونة بالحياة في جو الحرية التي سعى إليها المسلمون المجاهدون ؟

إن نافذة صغيرة تفتح اليوم لتحتمي بيوت المسلمين من مشاغبات التبشير سوف تكون في الغد إن شاء الله شمس الإسلام الحنيف على دولة الإسلام في أندونيسيا المعززة . . .

وإننا لنضم صوتنا إلى صوت السيد الوزير الجنرال عالم شاه كمرحلة تضيء الطريق ، ونضم صوتنا إلى صوت دولة الدكتور محمد ناصر لتقوم دولة أندونيسيا الإسلامية والله غالب على أمره إن شاء الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون . .

وبالله التوفيق

دكتور رءوف شلبي

ابن المسيب

سمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته : وكان حسن الصوت وهو إذ ذاك أمير المدينة ، فرفع سعيد صوته وقال : أيها المصلي إن كنت تريد الله بصلاتك فاخفض صوتك ، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغفوا عنك من الله شيئا فسكت وخفف ركعته ثم أخذ نعله وخرج .



دكتور رعووف شلبي

● بعث من الأزهر إلى أندونيسيا وعمل
مدرسا بكلية أصول الدين بسومطرة
١٩٦٤/١٩٦٨ .

● منح درجة الدكتوراه الفخرية في
الدعوة الإسلامية من كلية أصول الدين
بسومطرة عام ١٩٦٨ م .

● بعث من الأزهر إلى ماليزيا عام
١٩٧٠ .

وأسس مركزا للبحوث الإسلامية وتولى
إدارته حتى مايو ١٩٧٣ .

● عين مدرسا بكلية أصول الدين
بجامعة الأزهر في ٣٠/٦/١٩٧٣ م .

● أسندت إليه أعمال رئيس قسم
الدعوة بكلية أصول الدين بالقرار رقم
٢٦١ بتاريخ ٢٢/٤/١٩٧٥ .

من مواليد الشرقية في
١٩٣٠/٩/٢٣ .

تعلم بالأزهر حتى نال العالمية التربوية
عام ١٩٥٨ .

ثم حصل على العالمية مع إجازة
التدريس عام ١٩٦٠ .

وحصل على ماجستير في الدعوة
الإسلامية عام ١٩٧٠ .

وحصل على الأستاذية (الدكتوراه)
في الدعوة الإسلامية مع مرتبة الشرف
الأولى عام ١٩٧٣ .

● عمل بالتدريس في معهد طهطا
بمحافظة سوهاج عام ١٩٦٠/١٩٦٢ م .

● نقل سكرتيرا علميا للدكتور الأمين
العام لمجمع البحوث الإسلامية
١٩٦٢/١٩٦٤ م

الإسلام في الفكر الأوربي

عرض وتحليل لمؤلفات أوربية

الدكتور / محمد شامة

(١)

معدودين فقط - وهم الذين شنوا الحرب بحكم موقعهم في مراكز السلطة - واقتصر منهم ، ثم ساعدوا - أى الطرف الآخر في الحرب - الشعب الألماني المسيحي على النهوض من كبوته ، لإصلاح مادمرته الحرب ، ولو فعل الشرق مثل ما فعلت ألمانيا ، لأبديت شعوبه إبادة كاملة ، لأنها تدين بدين غير المسيحية ، تدين بذلك الدين الذى غرست الكنيسة الأوربية في أتباعها غريزة الكره له ، بما نشرت عنه من معلومات خاطئة ، وبما صورته لهم بصورة تنفرهم منه ، وتدفعهم إلى معاداته ، والعمل على محاربته ، وملاحقة أبنائه أينما كانوا ، وحيثما وجدوا . تدفعهم إلى محاربتهم اقتصاديا ، لأنهم لو انتعشوا في هذا المجال لأصبحوا خطرا على أوربا .

- هكذا قالت لهم الكنيسة ، وعلمتهم إياه مدارسهم المسيحية ، وأكدت لهم مؤلفات كتّابهم ، لتدفعهم إلى بذل الجهود على كل المستويات - في مجال الثقافة

- تمتد جذور اتصال الإسلام بأوربا المسيحية في أعماق التاريخ حتى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) أى أن عمرها الآن يربو على ثلاثة عشر قرنا من الزمن ومع ذلك لم يزل الصراع متأججا بينهما ، وإن اختلفت أسلحته ، وتباينت أساليبه فهو أطول صراع ديني في التاريخ ، ديني بكل معنى الكلمة ، وإن أطلق عليه البعض صراعا سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا ، لأن الكنيسة وإن تنازلت مكرهه عن التوجيه المباشر في شئون الدولة العلمانية في أوربا ، فإن تأثيرها لم يزل واضحا في جميع مجالات الحياة فيها ، إذ كان من الممكن أن يهدأ الصراع السياسى ، لو تحول الشرق الإسلامى إلى المسيحية ، والدليل على ذلك ما حدث مع ألمانيا في هذا القرن ؛ فقد شنت حربين عالميتين في مدى نصف قرن على دول الغرب المسيحية ، ومع ذلك فقد انصب غضب أعدائها في الحرب على أفراد

وإن لم يمكن ذلك ، فلا أقل من السيطرة على أتباعه ، ومحاولة إضعاف الصلة بينهم وبين عقيدتهم .

- وبين المنبع والهدف اختلفت الأساليب . . وتعددت المناهج :

فآباء الكنيسة اتخذوا الهجوم المباشر أسلوبا ، وتشويه الحقائق منهاجا ، فجاءت كتابتهم عن الإسلام مخالفة للواقع ، طافحة بمظاهر التعصب ، والتحامل ، مما جعل الإسلام يبدو للأوروبيين - حين كانت الكنيسة هي المصدر الوحيد للمعرفة - مخيفا ، والمسلمين وحوشا .

- أما المستشرقون (وهم القائمون على كراسي الدراسات الاستشرافية في الجامعات التي كان الهدف من إنشائها خدمة المستعمرين لأنهم كانوا - وما زالوا - مستشارين لحكوماتهم في شئون الدول الإسلامية) فقد ادعوا أنهم ينهجون المنهج العلمي الحديث في الدراسات الإسلامية ، لكن بحوثهم دارت في دهايز التعصب ضد الإسلام ، لأن اللاوعي عندهم ملئ بما غرسته الكنيسة في عقول أسلافهم^(١) ومن

(١) بدأت حركة الاستشراق في القرن العاشر الميلادي من الفاتيكان ، فقد كان رجال الدين - وهم تابعون للكنيسة آنذاك - يكونون الطبقة المتعلمة في أوروبا ، فاتجه منهم أناس لتعلم اللغة العربية ليتمكنوا من المجادلة مع فقهاء المسلمين. وقد حمل الفرنسي سكانيون =

والإعلام ، وبين أوساط السلطة التشريعية والتنفيذية - لتغيير النظم الاجتماعية القائمة على أساس من الشريعة الإسلامية ، تمهيدا لتحويل المجتمع إلى اعتناق وتطبيق النظم الأوربية ، لأنهم لو لم يفعلوا ذلك - هكذا لقننهم الكنيسة الأوربية - لبقى اتصال هذه الشعوب بالإسلام قويا ، وربما ازدادت قوته يوما بعد يوم ، فيصبحون مصدر تهديد للعالم الغربي .

- وما قلق العالم الغربي لما يحدث في إيران ، ولما يدور في الشرق من المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية ، إلا انعكاس لما رسخ في أذهانهم - عبر الأجيال الماضية - من الفزع والرعب من عودة الحياة إلى الإسلام ، كنظام شامل للفرد واجتمع ، نتيجة لدعاية الكنيسة - عن الإسلام وأهله .

- فالصراع السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي يقوم على أساس ديني ولهذا اتجه المفكرون في الغرب إلى دراسة الدين الإسلامي ، والكتابة عنه ، غير أن الحديث عن الإسلام في الأوساط الفكرية في الغرب سار في قنوات متعددة ، خرج من منبع واحد ، هو تعصب الكنيسة وحقدتها على الإسلام ، ويبغى هدفا واحدا ، ألا وهو القضاء على هذا الدين .

بلوحة عن الإسلام والمسلمين ، طمست معالمها ، وشوهت جوانب الجلال فيها ، ومحيت معالم الإنسانية من خطوطها وألوانها .

- فإذا هيأت الظروف لواحد منهم الاطلاع على مصادر إسلامية ، موثوق بها ظهر انعكاسها باهتا في رواياته وقصصه ، لأن هذا التأثير العابر ، لا يمكن أن يمحوا أثرا رسخ في ذهنه منذ طفولته ، وواكبه في مراحل عمره ، ولازمه في حله وترحاله ، إذ معرفته عن الإسلام في طفولته من أبويه - ومصدر ثقافتها عنه في الغالب الأعم من كتابات آباء الكنيسة والمستشرقين - وفي المدرسة من مدرس لم يكن أوفر حظا منه في استقاء معلوماته عن الإسلام ، وفي المجتمع من الصورة المشوهة ، التي رسمتها عدة مصادر ، تساندت كلها في تشويه صورة الإسلام للمجتمع الأوربي ، كي تحول بينه وبين التحول إلى الإسلام .

- وهناك فريق آخر ، كتب عن الإسلام ، ولم يكن الدافع له موقعه في الكنيسة أو عمله كمستشرق ، كما أنه ليس من هواة كتابة القصص عن الشرق المملئ بالأحداث التي تستهوي قطاعا كبيرا من القراء - كقصص «كارل ماي» - ولكنه

الإنصاف القول بأن الطابع العام عندهم أقل حدة مما كتبه آباء الكنيسة ، وبأنه ظهر بينهم أفراد التزموا الحياد العلمي في بعض جوانب بحوثهم ، لأنه لا يوجد عالم يستطيع أن يتخلص كلية من آثار مجتمعه الثقافي .

- ويل المستشرقين كتابُ القصص والروايات ، وهؤلاء يعتمدون في تصوير أبطالهم وشخصيات رواياتهم على ما كتبه الرحالة ، وآباء الكنيسة والمستشرقون ، أما المصدر الأول - وهم الرحالة - فقد غلب عليهم خيال جامح ، وخاصة في القرون الوسطى ، ولاننسى رائدهم «ماركوبولو» (١٢٥٤ - ١٣٢٣م) الذي دون رحلته إلى الشرق في جزأين ، حشاهما بغرائب الثراء والأخلاق والأديان ، ولا يقل عنها ما جاء في رحلة «شاباي» من ضلالات لا يصدقها عقل بشر ، مثل قوله :

«إن للشرقيين ثمانية أنامل ورأسين»
والمصدران الأخيران لم يقدموا لكتاب القصص سوى صورة مهلهلة ، ممزقة عن الإسلام فخرجت القصص والروايات

= والدومينيكانيون لواء هذه الدراسة . وكان طابع العصبية واضحا في بحوث هؤلاء ، ثم ازدادت أهمية هذه الدراسة بعد الحروب الصليبية ، وبلغت ذروتها في أيام الاستعمار حيث كان المستشرقون يعملون مستشارين في وزارة المستعمرات .

كتب عن الإسلام إشباعاً لرغبة البحث عنه ، وتعبيراً عن غريزة الكتابة لديه ، ليسهم في بناء حضارة أمته وليصحح بعض المفاهيم الشائعة بين بنى قومه - من وجهة نظره - حتى يستقيم بناء المجتمع ، ويشد أزراً الأمة ، وتتجنب الزلل في تقدمها على طريق الزمن .

- ويضم هذا الفريق فلاسفة ، واجتماعيين ، وسياسيين ، واقتصاديين ، ورجال إعلام وقد تناول كثير منهم الإسلام في بحوثه ، بعضهم عاجله ، كجزئية ضمن عديد من قضايا بحثه بينما احتل صفحات كثيرة عند الآخرين ، غير أن عدداً من الباحثين العصريين كتب مؤلفات ضخمة - وصل بعضها إلى عدة مجلدات - عن الإسلام ، تختلف في طابعها ومنهجها عما كتبه المستشرقون وآباء الكنيسة في العصر الوسيط ، إذ يغلب عليها رغبة المؤلف في التزام الموضوعية ، والبعد عن مهاترات آباء الكنيسة وترهات المستشرقين ، لكن ظروفه الاجتماعية والثقافية منعت تحقيق هذا الهدف على الوجه الأكمل ، فهو وإن تشرب بروح النهضة الحديثة ذات الطابع العلماني إلا أنه مشدود بجذور ثقافية ، ضاربة في أعماق التاريخ حتى الحروب الصليبية - إن لم تكن أقدم من ذلك -

ومكبل بسلاسل إعلامية - سواء كانت إذاعية ، أو صحفية ، أو نشرات دورية ، أو كتب ثقافية ، وتخصّصية - تحجب عنه الجانب الإيجابي في الإسلام ، وتصوره له بصورة تنفره منه ، وتبعده عنه إذا ما اقترب يوماً من الإسلام بفعل الموجات الليبرالية ، التي اجتاحت أوروبا في العصر الحديث .

- إن من المستحيل أن يستطيع الأوربي خلع رداء نسجته عصور طويلة من الحقد والكراهية والكيد للإسلام ، ومن يطلب ذلك ، فهو غير مدرك لطبيعة الإنسان والظروف التي كونهت ثقافياً وأخلاقياً ولذا فإذا وجد كاتب يعترف للإسلام بجانب إيجابي في المجتمع ، فعمله خطوة أولى على الطريق لمعرفة الإسلام ، دفعته إليها ظروف ، اختلفت عن الظروف التي عاشها أسلافه وعلى المسلمين إزاء هذه الظاهرة مراعاة الحقائق التالية :

١ - لا ينبغي أن ينخدع المسلمون ، إذا ما قرأوا جملة إنصاف من كاتب ، فيعدوه - بناء على هذه الجملة - من المشيدين بالإسلام ، والمنصفين له ، لأن ذلك يضر بالدعوة الإسلامية ، حيث تؤثر أفكاره السلبية - وما أكثرها - على من يقرأون له بعد سماعهم الحكم عليه بأنه من المنصفين للإسلام .

تناولت حياة النبي ﷺ وتاريخ الإسلام بالشرح والتحليل كما تعرضت للقرآن الكريم في أحكامه وتعاليمه بالبيان والإيضاح وسواء كان الغرض من نشر هذه الكتب تعريف الشعوب الأوربية بهذا الدين ، الذى يزداد تأثير أتباعه فى مجال السياسة الدولية يوما بعد يوم ، أو تحذيرهم من سيطرة المسلمين على مصادر الطاقة ، فإن على المسلمين تحليل هذه الكتب ، وتمييز الأفكار الطيبة فيها للثناء على موقف صاحبها فى هذا المجال ، من الأفكار الخبيثة للرد عليها وتصحيحها ، لعل كاتبها يرجع عن رأيه ، وإلا فلا أقل من تقديم القول الفصل فيها للقارئ .

٥ - لا ينتظر أن تتحول أوربا إلى الإسلام - رغم ما يقال وينشر عن إسلام واحد هنا وآخر هناك ، ورغم ما ينشره السذج من أن أوربا تبحث عن الروحانية التى فقدتها ولن تجدها إلا فى الإسلام ، وسوف نصحو يوما (هكذا يحلمون) فنجدها مسلمة من أدناها إلى أقصاها - إلا إذا تهيأت الظروف لذلك ، وليس هذا سهلا ، فهو يتطلب :

- بناء قوة إسلامية عالمية (اقتصادية - سياسية - وعسكرية) بحيث تكون غير خاضعة لقوى أخرى فى اتخاذ القرارات الدولية .

٢ - لا يوجد كاتب أوربي وضحت عنده الصورة الكلية للإسلام (باستثناء عدد قليل جدا منهم (جوستاف لوبون) ، (ومحمد أسد الذى اعتنق الإسلام) وإنما هى ومضات أضاءت لهم بعض جوانب الطريق ، وعلى المسلمين - إن هم أرادوا خدمة الإسلام - أن يساعدوا أمثال هؤلاء على كشف ما حجب عنهم بفعل الصراع الدينى الذى استمر قرونا طويلة ، فإن تقاعس الدعاة عن هذه المهمة ، فلا ينبغى أن ينتظر من كاتب أوربي ، محاط بالظروف التى شرحناها آنفا ، أن يلتزم الخط الإسلامى من أوله إلى آخره .

٣ - ظهرت مؤلفات كثيرة عن الإسلام فى القرن العشرين ، تعرض الكتاب فيها لعناصر القوة فى الإسلام سواء من الناحية : الاستراتيجية - جغرافية ، ومادية وبشرية - أو من الناحية الروحية ، وواجبنا بيان هذه النواحي لشبابنا حتى نخلصه من عقدة الشعور بالضعف وتحريره من الاعتقاد الخاطئ بأن سبب ضعفه ، راجع إلى انتمائه للإسلام ، كما نحاول الاستفادة من هذه العناصر لبنى قوة عالمية إسلامية ، تقف على قدم المساواة مع القوى الأخرى .

٤ - كما ظهرت مؤلفات أخرى ،

- نهوضا بمستوى الفرد في المجتمعات الإسلامية ، بحيث يفوق مستوى الفرد الأوربي ،

- دعما ماديا غير محدود للمراكز الثقافية - في البلاد الأوربية - وإسناد قيادتها للقادرين على القيام بمهام الدعوة ، لا لمن يسعى لغنم دينوى .

- يجب على المسلم مراعاة هذه الحقائق ، عندما يسمع كلمة مدح في الإسلام ، أو يقرأ هجوما عليه ، كما ينبغى على مراكز الدعوة أن تضع نصب أعينها متطلبات دراسة الظواهر الفكرية ، عندما تدرس لأبنائها طرق وأساليب نشر الدعوة في بلاد غير إسلامية ، ولا يجوز لها أن تقرأ عليهم كلمات المدح ، التى قالها مفكرون غير مسلمين ، وتحجب عنهم ما وقع فيه هؤلاء المفكرون من أخطاء في حق الإسلام ، لأن الداعية يحتاج إلى معرفة النوع الأول ، للاستشهاد به على هداية الفكر البشرى إلى الحق ، كما يجب عليه دراسة النوع الثانى للرد عليه ، حتى لا يستفحل خطره بين المسلمين وغير المسلمين ، وسوف تكون هذه هى طريقتنا فى تحليل المؤلفات الأوربية .

التى سنعرضها هنا وأولها كتاب بعنوان : «الإسلام قوة عالمية متحركة» كتبه باللغة الألمانية : «هربرت جوتشالك» فى ٣٠٤

صفحة بالبند الصغير ، كما احتوى الكتاب على أكثر من أربعين صورة فوتوغرافية لأشهر المساجد والشخصيات الدينية ، وكذلك للمسلمين وهم يؤدون الشعائر الدينية .

- والمؤلف ليس من آباء الكنيسة ، ولا من المستشرقين ، بل هو كاتب وصحفى قدمه الناشر بقوله : ولد «هربرت جوتشالك» فى ١٩١٩/٦/٩م ونشأ فى جنوب بروسيا ، بدأ حياته الجامعية بدراسة الطب ، واستمر فيها حتى وصل إلى ما قبل الامتحان النهائى ، حيث استدعى للخدمة الإجبارية فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، أصيب على الجبهة الشرقية ، فترك دراسة الطب ، واتجه إلى دراسة الفلسفة وعلم النفس والتاريخ والأدب ، اشتغل بالصحافة والأدب لمدة سبع سنوات ، جاب فيها دول البلقان ، وكتب كثيرا من المقالات والكتب ، ومن أشهرها كتاب «الإسلام قوة عالمية متحركة» (فى عام ١٩٦٢ - وهو العام الذى ظهر فيه الكتاب فى إحدى دور النشر فى ألمانيا الغربية) .

- فإذا لم يكن قسيسا يدفعه مركزه فى الكنيسة إلى تشويه صورة الإسلام حتى لاتفقد الكنيسة أتباعها واحدا بعد الآخر نتيجة تحولهم إلى الإسلام .

- ويحتم علينا هذا الانتشار العالمي للإسلام - وكذلك الحقيقة الثابتة - بأن الإسلام بأتباعه البالغين (٩٠٠) (١) مليون مسلم ، يمثل القوة العقدية الثانية في مواجهة الـ ١٠٠٠ مليون مسيحي في العالم - أن نتعمق في دراسة تاريخ الشرق الديني ، وفلسفته وتصوفه وحضارته وفنه .

- وينطلق المؤلف في بحثه من هذه القاعدة ، فيصور لنا طبيعة الحياة في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ثم يتعرض لحياة النبي ﷺ وللتعاليم التي خلقها لأتباعه كما يتتبع الكتاب بالبحث الانتفاضة السياسية للشعوب الإسلامية حتى منتصف القرن العشرين ويلقي الضوء على تاريخ الحضارة والفن والفلسفة الإسلامية ، ثم تناول بالبحث :

- مدى قدرة الإسلام على اقتلاع جذور المشكلة التي تهدد الإنسان روحيا وفكريا وتقديمه للإنسانية الضائعة نظاما أخلاقيا ينقذها من الانهيار الأخلاقي .
- ومدى التقاء الإسلام الشرق ، للظروف الغربية المهددة !

- ويفهم من هذا أن الدافع إلى كتابة هذا الكتاب هو ظهور الدعاة إلى الإسلام

(١) لقد صححنا الرقم الذي كتبه المؤلف طبقا للإحصائيات الأخيرة في العالم بالنسبة للإسلام والمسيحية

- وإذا لم يكن مستشرقا يبدو ظاهر عمله أبحاثا أكاديمية ، وباطنه أسلوبا من أساليب تمكين الاستعمار في العالم الإسلامي .

- فما الدافع له إذن ، إلى الكتابة عن الإسلام ؟
يجيب الناشر عن هذا في نشرته عن الكتاب فيقول :

« كيف يكون ممكنا أن تقوم اليوم هيئات تبشيرية في قلب العالم الغربي المسيحي ، تدعو إلى الإسلام ؟ هل توجد سفينة نوح إسلامية ؟ (يقصد بذلك أن الإسلام ينقذ الغرب من فراغه الديني ، كما أنقذت سفينة نوح من آمن بدعوتة من الغرق) وما هي المبادئ الروحية والفكرية التي تقدمها هذه العقيدة ؟

- ظهر الإسلام لأول مرة كقوة عالمية متحركة في القرن السابع الميلادي ، ووصل إلى أبواب فيينا مرتين : الأولى في الحروب الصليبية ، والثانية : في عام ١٦٨٣ م ، ولكن الأوربيين تمكنوا في اللحظة الأخيرة من صدّه ، ومنع تحويل القارة كلها - حتى بحر الشمال والبحر البلطقي - إلى الإسلام .
واليوم لا يحمل الإسلام السيف . . ولكن الدعوة إليه تزداد كل يوم ، وتتطور أشكالها .

يذيع البرامج الدينية والسياسية في آسيا وإفريقيا السوداء (٣) .

لا بد لنا هنا من وقفة قصيرة ، لنجلو حقيقة الظاهرة ، التي تغيب عن كثيرين ألا وهي أن بعض المسلمين المهتمين بالدعوة الإسلامية - وكذلك بعض الحكومات التي تفتقر إلى تأييد الجماهير - يعلنون دائما عما يدور في ذهنهم من مشروعات لنشر الدعوة سواء على الصعيد الداخلى أو الخارجى وغالبا ما تكون هذه المشروعات أفكارا فقط - أو دعاية لغرض ما - لم تخرج إلى حيز التنفيذ . وقد لا تخرج إطلاقا ، كما حدث في مسألة تعيين ملحق دينى في السفارات المصرية في إفريقيا ، لكن الغرب يرصد كل همسة في العالم الإسلامى ، فإذا سمع بمثل هذه الأنباء سارع إلى تجنيد الخبراء والباحثين لدراستها من كل الجوانب ، والعمل على وأدائها - ومن أساليب الواد إبعاد الشخص المتحمس لها عن موقع اتخاذ القرار - إن كانت هناك جدية في تنفيذها ، وأقرب مثل على ذلك ما حدث في أوروبا عندما ناقشت لجان في مجلس الشعب المصرى مسألة تطبيق

وقيام المراكز الإسلامية في الغرب ، وخوف المتعصبين للمسيحية من انتشار الإسلام هناك خاصة وأن المجتمعات الغربية تعاني من أزمة دينية وأخلاقية ، فقد أزعجهم : انتشار المراكز الإسلامية في المدن الأوروبية الرئيسية .

« انتشرت فئات من هيئات التبشير في دول أوروبا ، في هامبورج ، وفرانكفورت ونورمبرج ، ولندن وزوريخ ، وحتى في بودابست ، وقد تبلور نشاطها في تمويل بناء مساجد على أحدث طراز ، وإنشاء مراكز صحفية وثقافية » (١)

واهتمام المسلمين بنشر الإسلام في إفريقيا :

« وفي عام ١٩٦١ أعلنت الحكومة المصرية عن عزمها تعيين ملحق دينى في كل سفارات مصر في إفريقيا ، وينبغى ألا يقتصر نشاطهم على عملهم الرسمى ، وهو الاستشارات الدينية في السفارة ، بل هم مكلفون أيضا بنشر الإسلام في أفريقيا (٢) وازدياد النشاط الإعلامى للإسلام » :

« كذلك البرنامج الإذاعى « صوت الإسلام » لعله يقصد بذلك : (إذاعة القرآن الكريم) الذى أنشئ في القاهرة

(١) مقدمة المؤلف ص ٩

(٢) المصدر السابق ص ٩

(٣) المصدر السابق ص ٩

من علماء الدين وناقشوا في مدى إمكانية - وجدية - تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحاضر - أما المراكز الإسلامية - المنتشرة في العالم فأغلبها لا يمثل وجهة النظر الإسلامية - لأنها تابعة للمذهب القادياني ، وهو مذهب منشق على الإسلام ، ونظرة سريعة على القائمة التي أوردها المؤلف^(٢) تبين لنا أنها قاديانية :

Deutschland :

Mission des Islam. Hamburg 13.
Oderfelder Str. 18.

Ahmadiyya-Mission des Islam.
Hamburg-Stellingen. Wieckstr. 24.
Ahmadiyya-Mission des Islam.
Frankfurt A.M. Babenhäuser
Landstr. 25.

Mission des Islam. Berlin-
Charlottenburg, Moschee.

Niederlande :

Ahmadiyya-Mission des Islam. Josef-
Israels-Laan 48, Den Haag.

Ahmadiyya-Mission des Islam,
Oostduinlaan 79. Den Haag.

Grossbritannien :

The London Mosque, 63 Melrose
Road. Southfields SW. 18.
London

Mr. Bashir Ahmad Orchard, 36
Mansion House Road. Glasgow
Scotland.

الشريعة الإسلامية^(١) فقد كتبت الصحف تنذر وتحذر ، وجاء العديد من المندوبين يستفسرون ويستطلعون ، وقابل الباحثون - الذين أرسلوا خصيصا لهذه المهمة - كثيرا (١) وكذلك ردود الفعل التي تحتاج أوربا في هذه الأيام نتيجة لأحداث إيران فقد انطلقت أجهزة الإعلام في تصوير هذه الأحداث بصورة شبح مخيف أطلقت عليه اسم « الحركة الإسلامية الجديدة » وأحيانا تنهذب في تعبيرها فتسميها « بقظة المسلمين »

ولم تقتصر ردود الفعل على تعبيرات انفعالية تذيعها أجهزة الإعلام ، بل تجاوزت الحملة ذلك ، فوصلت إلى هيئات رسمية ، في اجتماع عقدته مجموعة الدول الأوربية في بروكسل منذ أيام ، تقرر أن يعقد اجتماع قريب لبحث المشكلة ، التي ظهرت في هذه الأيام . . وهي مشكلة « بقظة المسلمين »

كذلك يسهم في تأجيج نار هذه الحملة شخصيات ، لها وزنها في المجال السياسي الدولي مثل « هنري كسينجر » اليهودي - وزير خارجية أمريكا السابق - فهو يقوم بدور كبير في حملة التخويف بهذه البقظة الإسلامية التي يتحدثون عنها ، وبما قاله في تصريحاته الأخيرة ، إن العالم يجب أن يتقبط أيضا ، ويتنبه إلى الأخطار التي تهدده من وراء قيام حكومة دينية في إيران .

أما الصحافة . . أوربية وأمريكية . . وربما في جميع أنحاء العالم - لأنها تستقي أخبارها ومعلوماتها مما تنشره وكالات الأنباء الكبرى التي تثير هذه الحملة الضارية فإنها مليئة بالأخبار والمقالات والإحصائيات والبيانات عن خطر هذه الحركة الإسلامية الجديدة « أخبار اليوم بتاريخ ١٩٧٩/٢/٣ »

ولعل هذه الحملة. توقف الذين يعلمون بأن أوربا أصبحت قاب قوسين أو أدنى من اعتناقها الإسلام من نومهم وتزيح عن أعينهم غشاوة السذاجة الفكرية فيخططون للدعوة تخطيطا سليما .

Spanien :

Ahmadiyya Movement. Lista 78. Madrid.

Ahmadiyya Movement. C. Ciudad Real 12. Madrid.

Schweiz :

Ahmadiyya Mission des Islam. Beckhammer 35, Zürich.

Ahmadiyya Mission des Islam F.D. Schweiz und Österreich. Herbstweg 77. Zürich.

Norwegen :

Ahmadiyya Mission des Islam. Tromsøgt 19 Oslo.

U.S.A.

2141 Leroy Place. N.W. Washington 8 D.C.

4448 Wabash Ave. Chicago 15. III. 613 Locust Street. St. Louis I. Missouri.

2522 Webster Ave., Pittsburgh 19. Pa. 115 W. 116th.. Suite 2. New York 24. N.Y.

118 W. 87th. St. New York 24 N.Y. 1440 N. Curson St. Los Angeles 46. Calif.

Und 13 Weitere Missionen in Amerika.

West Afrika :

The Ahmadiyya Mission House. P.O. Box 418 Lagos / Nigeria.

sowie 32 weitere Missionen in Nigeria.

Ahmadiyya-Movement, P.O. Box 39. Salt Pond, Ghana.

Ahmadiyya-Movement, P.O. Box 11, B.O., Sierra-Leone.

Ahmadiyya-Movement. P.O. Box 167, Monrovia Liberia.

sowie weitere 43 Missionen in Sierra-Leone.

Ost-Afrika :

Ahmadiyya-Movement. P.O. Box 554, Nairobi Kenya.

sowie 12 weitere Missionen.

Mittlerer Osten :

Ahmadiyya-Movement. Shaghour Damaskus / Syrien.

Ahmadiyya-Movement. Mount Carmel. Haifa / Israel.

Ahmadiyya-Movement. Rose Hill, Mauritius und 4 weitere Missionen in Maurilius.

Ahmadiyya-Movement. 28 Mosque Road, Negombo / Ceylon.

Ferner Osten :

Ahmadiyya-Movement. III. Onnan Road, Singapore Malaya.

Ahmadiyya-Movement. Balakang Ole, 22 Padang. Sumatra / Indonesien.

Ahmadiyya-Movement. Petodtjo ud, Gang VII. No. 10 Djakarta, Java / Indonesien.

sowie 47 weitere Missionen in Indonesien.

Ahmadiyya-Movement, P.O. Box 30. Jesselton, North Borneo.

sowie 4 weitere Missionen auf Borneo.

Missionen :

Burma: 1 Mission / Dänemark: 1

Mission / Frankreich: 2

Missionen / Ghana: 247

Missionen / Libanon: 1 Mission /

قامت بجهود لا بأس بها ، فهي لم تبلغ بعد المستوى الذي ينبغي أن تصل إليه إذاعة تتحدث باسم الإسلام وسط تيارات إعلامية عالمية جبارة ، تيارات تتحدى وتهاجم وتنقض على الإسلام أينما ، وحيثما وجد صوت يقول : « لا إله إلا الله محمد رسول الله »

— ورغم هذه الصورة الباهتة للإعلام الإسلامي ، فإن الغرب يتزعج عندما تحمل موجات الأثير إلى أذنه كلاما عن الإسلام ، لأنه يعرف قوته ، ويدرك إمكاناته الخلاقة ، إذا ما حمله رجال مخلصون ، يؤدون دور أسلافهم بأمانة وإخلاص ، وقد عبر عن هذا « باول شتمز » بقوله :

« سعيدي التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق ، عودا على بدء ، من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية الإسلامية في الصدر الأول للإسلام ، وستظهر هذه القوة ، التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية ، وستثبت هذه القوة وجودها ، إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها ، والاستفادة منها ، وستقلب موازين القوى لأنها قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية »

— أدرك المفكر البريطاني « جورج

Liberia: 1 Mission / Norwegen: 1 Mission / Schweden: 1 Mission / Sierra-Leone: 44 Missionen / Singapur: 1 Mission Trinidad: 2 Missionen / Ungarn: 1 Mission.

فهي لا تنشر المبادئ الإسلامية صحيحة : بل ممزوجة بتعاليم مسيحية ، ومع ذلك يتزعج الغرب منها ويعدّها هجوما عليه في عقرداره ، ولو اطلع هؤلاء المتزعجون على خلفيات إنشاء هذه المراكز لظهر لهم أنها أقيمت بمساعدة الحكومات الاستعمارية ، لتشوه مبادئ الإسلام الصافية للمواطن الأوربي حتى تقيم الحواجز بينه وبين اعتناقه الإسلام .

— أما المراكز غير الأحمدية — سواء كانت تخضع رسميا للحكومات الإسلامية — أو كانت تمول فقط من أموال المسلمين — فهي قليلة بالنسبة للمراكز الأحمدية ، أضف إلى ذلك أنها لا تقوم بواجبها كما ينبغي ، إذ تتحكم في تعيين القائمين على المراكز الحكومية أغراض شتى ، ليس منها الحرص على نشر الإسلام في بلاد غير إسلامية ، كما تخضع المراكز غير الحكومية لأهواء متعددة ، ولذا فالخلاف بينها قائم والتزاع مستمر ، والمصادمات تتعدى حدود المهارات الكلامية .

— أما إذاعة القرآن الكريم ، وإن

شعب آخر، استولت التكنولوجيا على حواسه ومشاعره - فلم ينقذه أحد - وتحكمت في سلوكه النظريات ، التي تسلب الإنسان الإحساس بالطبيعة .

- لماذا لا يتعلم العالم الإسلامى ماتعلمناه في مجال التكنولوجيا ؟ وفي مقابل هذا سوف يكون من الصعب علينا استعادة التعاليم الروحية - وهو من العوامل الأساسية لوحدة أوربية - التي فقدتها المسيحية ، بينما لم يزل الإسلام يحافظ عليها . . (١)

- كانت هذه القوة هي إحدى الدوافع ، التي دفعت «جوتشالك» لكتابة مؤلفه : «الإسلام قوة عالمية متحركة» كى يبين لبنى وطنه مراكز القوة في الإسلام ، فهو يقول : «لا ينبغي للمرء أن ينسى أن الإسلام استولى على تراث العصر الكلاسيكى ، فهضمه بأسرع ما يمكن ، ثم طوره ، ومزجه بتعاليمه الخاصة - بحيث لم يستحسنها المتدينون فحسب ، بل يميل إليها كثير من العلمانيين - فصاغه في صورة إسلامية بحتة ، بحيث أصبح تعبيرا عن ذاتية إسلامية ، لها صفة الدوام والاستمرار ، إذ لم تبطل قوته الروحية ولا تأثيره الشامل على الغرائز الإنسانية ،

(١) الإسلام قوة الغد ص ٣٢٣

برناردشو» مدى فاعلية هذه القوة - معارضا بذلك كثيرا من الأحكام السطحية عليها - حين كتب :

«لايساورنى أدنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاءها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الإسلام ، لايتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضا خطرا على أعدائه ، من الممكن أن يعارض المرء هذا الرأى ، بأن الإسلام فقد سيطرته على بغض الأشياء المادية ، وخاصة ما يتصل بالحرب ، فهو لم يلحق بالتقدم التكنولوجى الحديث .

- لا أستطيع أن أدرك ، لماذا لم يعوض الشرق الإسلامى مافاته فى هذا الميدان ؟ فلا تحتاج علوم الهندسة الحديثة إلى طبيعة عقلية خاصة ، بل يتطلب الإمام بها والتفوق فيها إلى الخبرة ، وتوجيه الخبراء . ومن الأمور المؤكدة أنه غالبا ما يحدث أن تكون حضارة أخرى ، ذات منزلة عالية فى التقدم التكنولوجى ، أقل درجة من حضارة لم يبلغ بعد تطورها فى هذا المجال ما بلغته الأولى .

- إذاً فهناك احتمال كبير أن يصبح شعب ظهر حتى الآن أن مواهبه فى الناحية التكنولوجية ضعيفة فى المستقبل سيدا على

تحمل طابع البحث العلمي المحايد ، وتستهدف وقف المد الإسلامي بين شعوب الغرب ، فهي ذات وجهين :

أولها :

رغبة الكتاب - ومنهم مؤلف كتاب «الإسلام قوة عالمية متحركة» في شرح وتحليل مبادئ الإسلام دون التحامل عليه ، وهي ظاهرة لم تكن موجودة في العصور السابقة ، غير أن ثقافتهم وخلفيتهم الاجتماعية ، تقودهم إلى عدم فهم بعض التعاليم الإسلامية أو إلى معالجتها من وجهة النظر ، التي اكتسبوها من دراستهم ومجتمعهم ، فيهووا إلى ساحة ينسون فيها ما لقنتمهم إياه النهضة الحديثة من الالتزام بالواقعية في البحث ، والتحرر من العواطف والانفعالات في الحكم على الأشياء.

ثانيها :

محاولة إظهار أن بعض تعاليم الإسلام تتعارض مع متطلبات العصر الحديث ولذا فهي لا تصلح كلها للتطبيق في المجتمع المعاصر.

- وسوف نبين في عرضنا كلتا الناحيتين ، مع الرد على مزاعمهم ، وتصحيح ما وقعوا فيه من أخطاء.

د . محمد شامة

ولانصوفه المهيمن على أتباعه . . . لم يبل كل هذا على مدى تاريخ تطور مجتمعاته ، كما هو الحال في الأديان الأخرى ، بل احتفظت بفاعليتها دائما ، حتى في أثناء قرون الانتكاسة التاريخية لشعوبه ، بل زادت أخيرا في فترة ضعف الناحية الروحية بين شعوب العالم الغربي . ولكي نبين مدى حتمية هذه القوة وترباطها جغرافيا وإنسانيا ، ينبغي أن نوضح كل خلفيات هذه العقيدة . . وبالإضافة إلى هذا نطرح على مائدة البحث التساؤل عن مركز القوة الشاملة في الإسلام أو عن المبادئ ، التي يمكن أن تنقذ البشرية ، لأن معالجة هذا التساؤل سوف يبين عما إذا كان من الممكن - كما يدعى المسلمون - أن تنمو الناحية الروحية في المجتمع بواسطة الالتزام بهذه العقيدة ، وتطبيق نظامها الاجتماعي . وعما إذا كانت قوة الإسلام الإصلاحية ، لاتزال لها الأثر الفعال في المجتمع المعاصر^(١) .

- الغرب مهدد بانهار أخلاقي ، والإسلام يقف شامخا بين هذه التيارات الهدامة المتصارعة ، له ماض مشرق في إنقاذ المجتمعات من الانحدار في أودية الهلاك ، ومع ذلك يخشى الغرب أن تحل تعاليمه محل دين الكنيسة ، فتظهر المؤلفات

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الدُّستاز / محمد كمال السيد

مكة بالدعوة الإسلامية ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة إلى المدينة فيكون تاريخ المولد الاثنين ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ ق . هـ وأنزل القرآن في شهر رمضان بنص الآية الشريفة ١٨٥ من سورة البقرة (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) وغرة المحرم سنة ١٣ ق . هـ توافق ٣ ديسمبر سنة ٦٠٩ م . فيكون أول رمضان س ١٣ ق . هـ يوافق ٢٧/٧/٦١٠ م . وتبقى معرفة أى الأثنين من شهر رمضان المذكور نظرا للحديث الشريف المذكور وهذا مبحث آخر قد نعرض له في فرصة أخرى بأذن الله .

وأود أن أشير هنا أن المرحوم محمود باشا حمدى الفلكى قد ذهب في كتابه المذكور (ص ٦٠) أن بدء الرسالة المحمدية كان في تمام الأربعين سنة قرية من عمره عليه الصلاة والسلام . فيكون في ٩ ربيع الأول سنة ١٣ ق . هـ . الموافق أول فبراير سنة

مولد الرسول عليه الصلاة والسلام . ومبعثه وعمره :

وُلد عليه الصلاة والسلام في عام الفيل في صباح الاثنين ٩ ربيع الأول (٢٠/٤/٥٧١ م) طبقا لما حققه العالم محمود باشا حمدى الفلكى في كتابه (التقويم العربى قبل الإسلام من ص ٣٣ - ص ٤٤ إصدار مجمع البحوث الإسلامية) . وبني تحقيقه على أن غرة ربيع الأول من تلك السنة في مكة وافقت فلكيا الأحد ١٢ أبريل وعلى الحديث الشريف عن يوم الاثنين (ذلك يوم وُلدت فيه ويوم بُعثت - أو أنزل علىّ فيه) وروايات المؤرخين المسلمين قد اختلفت في تاريخ المولد بين ٨ و ١٠ و ١٢ ربيع الأول . ولا يوافق يوم الاثنين غير ٩ ربيع الأول .

وكانت العرب لاتستعمل غير التقويم القمري البحت . كما أثبت العالم المذكور والوحى نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام في الأربعين من عمره . ومكث في

٦١٠ م . واستدل على رأيه أن الرسالة قد نزلت في زمهرير الشتاء بالسورة الكريمة (يأيها المدثر)

وفي هذا الرأي عدة أخطاء أولها خطأ حسابي فيوم ٩ ربيع الأول ١٣ ق . هـ يوافق ٨ أو ٩ فبراير سنة ٦١٠ م . وليس أول فبراير . والثاني أنه ليس هناك ما يقطع بأن الوحي نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام في تمام الأربعين سنة قمرية من عمره بالضبط والثالث أن هناك خلافا بين المفسرين في أولى سور القرآن في النزول بين سورتي العلق والمدثر ، فيقال - والله أعلم - إن أولى السور في النزول هي العلق - ثم القلم - ثم المزمل - ثم المدثر - ثم الفاتحة . . إلخ مع ملاحظة أن بسورة القلم عشرين آية مدنية من آياتها الاثنين وخمسين . وبسورة المزمل ثلاث آيات مدنية من آياتها العشرين . ورابعا أن الرعدة التي أخذته عليه الصلاة والسلام لم تكن ضرورة من شدة البرد بل من الصدمة النفسية لهذا الحادث الجليل من نزول الوحي . وأخيرا في هذا الرأي مخالفة صريحة لنص القرآني الذي يقطع بنزول القرآن في شهر رمضان .

وانتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى في شهر ربيع الأول سنة ١١ هـ .

وإجماع المؤرخين أنه يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول . ولكن محمود ياشا حمدي الفلكي يقرر فلكيا أن غرة ربيع الأول من تلك السنة بالمدينة المنورة وافقت يوم الأربعاء ٢٧ مايو سنة ٦٣٢ م . فتكون وفاته عليه الصلاة والسلام إما يوم الأحد ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ الموافق ٦/٧/٦٣٢ م أو يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول الموافق ٦/٨/٦٣٢ م

ونخلص من هذا أن عمره عليه الصلاة والسلام كان ٦١ سنة شمسية و ٤٨ يوما وتعادل ٦٣ سنة قمرية وثلاثة أيام .

حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وجهاده :
وكانت حياته عليه الصلاة والسلام منذ أن كُلف بالرسالة جهادا في سبيل نشر الدعوة إلى ترك الأصنام وعبادة الله الواحد الأحد والإيمان بالبعث والحساب والنهي عن الفحشاء والمنكر والوعد للمتقين بالجنة والوعيد للكافرين بعذاب النار إلى آخر مقومات الدعوة واستجاب له القليلون وعارضه الأكثرون .

ثم كانت الهجرة للمدينة فوصل إلى قباء ضاحية المدينة يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١ هـ (٢٠ سبتمبر ٦٢٢ م) ومكث بقباء إلى يوم الجمعة ١٢ ربيع

الأول حيث دخل المدينة .

وفي المدينة نزلت التشريعات السماوية لتنظيم المجتمع الإسلامي ، وتكاملت عناصر الدولة الإسلامية . من أرض وشعب وحكومة وتشريع . ونظمت الموارد المالية للدولة الحديثة بالزكاة والصدقات . وأخذت الغزوات الإسلامية تنتشر في أنحاء شبه الجزيرة العربية ووفود القبائل ترد إلى المدينة مستجيبة للدعوة بعد أن تأكدت أركانها بفتح مكة سنة ٨ هـ وإسلام قريش . ولم تكن القوة العسكرية هي التي دفعت القبائل للإيمان بل هو كتاب الله العزيز بيلغ عباراته . ودقيق تشريعاته في تنظيم المجتمع وحقوق الإنسان والعلاقة بين الأفراد وبينهم وبين الجماعة . فضلا عن شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وأدبه الذي هو من تأديب المولى عز وجل . وعند وفاته عليه الصلاة والسلام كانت شبه الجزيرة العربية قد آمنت بالرسالة المحمدية . أما خارجها فقد اقتصر الأمر على إرسال الكتب بالدعوة إلى رؤساء الدول المجاورة مثل كسرى فارس وقيصر الروم وعظيم القبط في مصر وغيرهم وفيما عدا غزوتي مؤتة وتبوك على حدود فلسطين والشام لم تكن هناك مناقشات خارج الجزيرة العربية .

الردة لم تكن ارتدادا عن الدين :

وتوفى عليه الصلاة والسلام في يوم الأحد ، ١٢ ربيع الأول أو الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ كما ذكرنا واختار المسلمون أبا بكر الصديق خليفة له عليهم كما هو معروف .

وارتد كثير من العرب ولم تكن هذه الردة بدافع الكفر بعد الإيمان . ولكنها كانت في غالب الأمر من رواسب العصبية الجاهلية والتنافس على زعامة العرب . فإذا نظرنا إلى المرتدين نجد أنهم من قبائل تنافس قريشا في الجاهلية . فكأنهم استكثروا عليها أن تجمع بين ولاية البيت الحرام والرسالة السماوية .

فقد ارتدت جميع القبائل القحطانية من اليمن غربا حتى الخليج شرقا . وارتدت ربيعة الفرس ببطونها من بكر بن وائل وتغلب بز وائل وبنى حنيفة وبنى شيبان وغيرهم وارتدت هوازن وبطونها من عامر ابن صعصعة وجشم وفهم وغيرهم . ماعدا ثقيفا من هوازن فقد ثبتت على إسلامها . وبالجملية يمكن أن نقول إن الردة شملت جميع القبائل القحطانية ماعدا الأوس والخزرج أنصار الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة ، وشملت جميع

وغطفان من بطون قيس بن عيلان بن مضر. أى ليست من قريش على رأى الفقهاء (بين الجاهلية وصدر الإسلام لكاتب المقال . وأرجو ملاحظة الفرق بين بن (ابن) وبين من فالأولى تدل على أنه ابنه مباشرة والثانية تدل على أنه من نسله) وهكذا نرى أن العصبية أو التعصب ضد قريش كان عاملا مهما في ردة العرب .

ورغبت بعض القبائل المرتدة أن يقيموا شعائر الإسلام وفروضة ماعدا الزكاة وأشار بعض الصحابة على أبى بكر بقبول ذلك منهم بحجة أن العهد حديث والعرب كثيرون وبأن الحديث الشريف يقول : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) . فقال أبو بكر : الزكاة حقها وقد سمعت رسول الله يقول (أمرت أن أقاتل الناس على ثلاث . شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) (الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٧)

وقضى على المرتدين بحزم وشجاعة وعميق إيمان أبى بكر الصديق . ويتوفيق قائده البطل المظفر خالد بن الوليد . وعاد العرب جميعا في شبه الجزيرة العربية إلى حظيرة الإسلام بإيمان قوى وإخلاص

القبائل العدنانية ماعدا قريشا ببطونها وثقيفا - وقحطان وعدنان هما الأصلاص لجميع العرب .

وإذا نظرنا إلى أشخاص المتنبيين نجد الصور الآتية فقد ادعى النبوة أربعة :

١ - الأسود العنسى في اليمن . وعنّس هو ابن مذحج (على وزن مسجد) ابن كهلان بن سبأ من بطون قحطان .

٢ - مسيلمة الكذاب من بنى حنيفة وهم من بطون بكر بن وائل من بطون ربيعة وربيعة أخو مضر بن نزار بن معد بن عدنان وبطون ربيعة من القبائل العدنانية التى كانت تنافس قريشا في الجاهلية

٣ - سجاح التيمية . وهى من تميم من بطون أد بن طابخة بن مضر . وتميم ليست من قريش على رأى الفقهاء الذين يرون أن جماع قريش هو النضر بن كنانة ابن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر . بمعنى أن من كان من غير نسل النضر لا يعتبر قرشيا . وساعد سجاحا أخوها بنو تغلب بن وائل من بطون ربيعة .

٤ - طليحة بن خويلد . من بطون أسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس أى ليست من قريش على رأى الفقهاء المذكور . وانضمت إلى طليحة غطفان ببطونها من عبس وزبيان وفزارة وغيرهم

صادق مكناهم من الفتوحات الإسلامية العظيمة في أواخر عهد أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب ومن تلاه كما سند ذكر بإذن الله .

المد الإسلامي

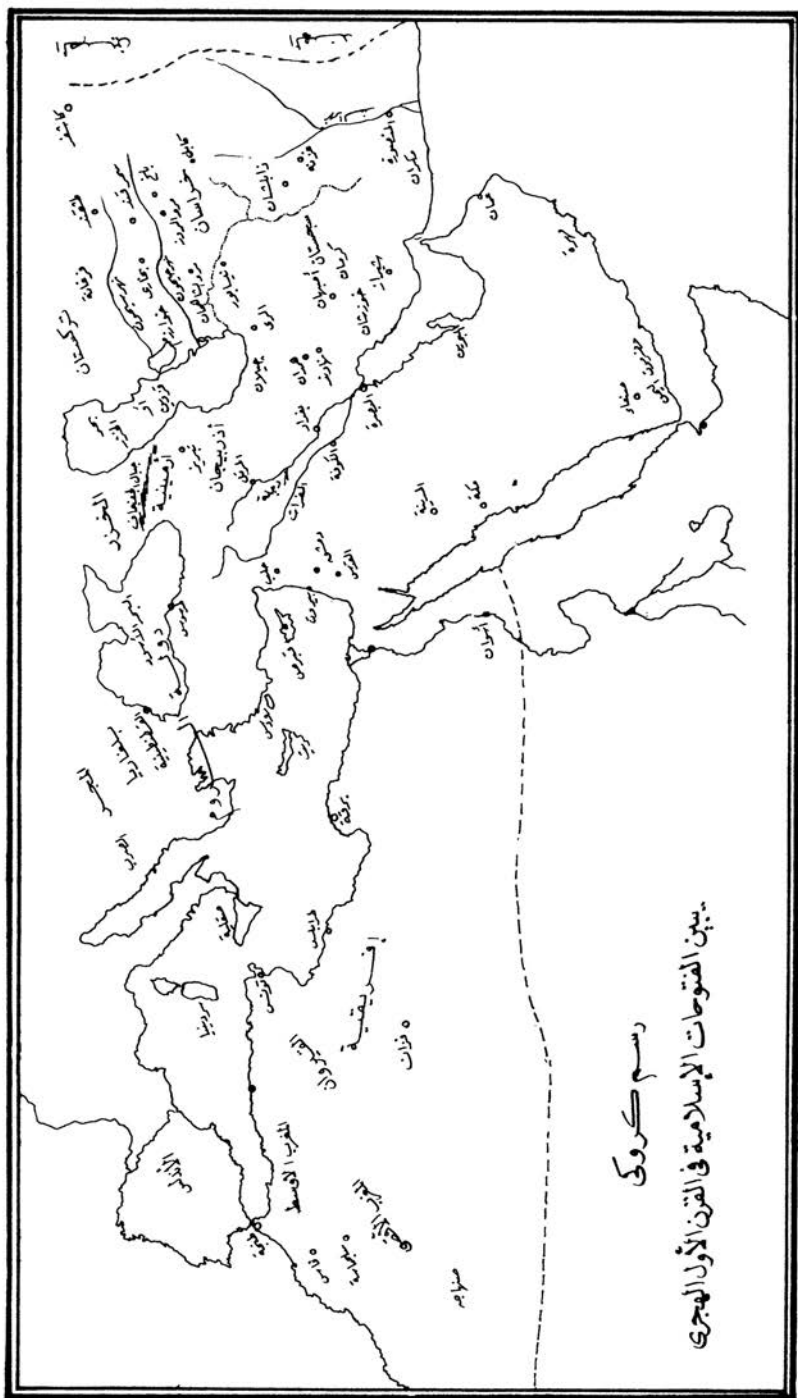
بعد الانتهاء من حروب الردة وجه الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد لغزو العراق العربي وكان تحت الحماية الفارسية خاضعا لها وبالجزة الشمالى منه بأرض الجزيرة - ما بين دجلة والفرات - ديار بكر وريقة ومضر حيث تقيم قبائل عربية يدين أغلبها بالمسيحية .

وتوفى أبو بكر في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ (٢٢/٨/٦٣٤م) وخلفه في زعامة المسلمين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وفى عهده كانت الفتوحات العظيمة التى شرت الدعوة الإسلامية شمالا وشرقا وغربا . وتطوع العرب من جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية بحماس وإيمان لهذه الحروب التى مكنت للدعوة من الانتشار ثم الاستقرار .

ولن نتبع الفتوحات الإسلامية على ممر العصور . فلهذا يحتاج للمطولات . ولكن نذكر بعض ما كان فى القرن الأول الهجرى ونستخدمه دلالة وأعتلة للموضوع هذا المقال .

فى الشرق كانت فتوح فارس . ومن الوقائع الفاصلة مع الفرس موقعة قادسية سنة ١٤ هـ والاستيلاء على الأبلّة على الخليج . وخططت مدينة البصرة سنة ١٤ هـ ثم الاستيلاء على المدائن عاصمة الفرس وقتذاك سنة ١٦ هـ . وخططت مدينة الكوفة سنة ١٧ هـ وفتحت الأهواز وخوزستان . ثم موقعة نهاوند الفاصلة فى سنة ٢١ هـ . وتسمى هذه الموقعة بفتح الفتوح إذ لم يكن للفرس بعدها اجتماع . وفى سنّى ٢١ و ٢٢ هـ استولى المسلمون على هزان وأصفهان وأذربيجان والرى (النسبة إليها الرازى على غير القياس ، وجرجان وقزوین وزنجان وفى سنة ٢٣ هـ فتحت خراسان وكرمان ومكران (راجع الخريطة) .

وأرجو أن أوجه نظر القارئ أن بلاد فارس فى ذلك الوقت كانت تمتد شرقا إلى نهر السند وشمالا (من الشرق إلى الغرب) نهر جيحون وبحيرة أورال أو خوارزم ثم بحر الخزر أو بحر قزوین ثم أرمينية بين بحر قزوین والبحر الأسود . وما هو شمال نهر جيحون كان يعرف عند العرب بما وراء النهر وكانت به قبائل الصفد وفرغانة والترك . والآن تركستان بالاتحاد السوفيتى تمتد جنوبى نهر جيحون كما أن أفغانستان تشمل جزءا كبيرا



من إقليم خراسان وزابلستان . ودولة باكستان تفصل بين أفغانستان ونهر السند وتصل جنوبا إلى المحيط الهندي .

أما في الشمال فقد أرسل أبو بكر أربعة جيوش لمنازلة الروم بالشام . وجعل على كل جيش أميرا وجعل القيادة العامة لأبي عبيدة ابن الجراح ثم أمدّهم بخالد بن الوليد بأن أمره أن يسير من العراق إلى الشام ويلقى أبا عبيدة ومن معه من المسلمين وقال : فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة .

ونف هنا وقفة لنرى كيف كان التعاون بين المسلمين فقد كتب خالد بن الوليد إلى أبي عبيدة قال (وقد أتاني كتاب خليفة رسول الله ﷺ يأمرني بالسير إلى الشام وبالقيام على جندها والتولى لأمرها . والله ما طلبت ذلك ولا أردته إذ وليته فأنت على حالك التي كنت عليه لانعصيك ولا نخالفك ولا نقطع دونك أمرا فأنت سيد المسلمين لانكر فضلك . ولانستغنى عن رأيك تم الله بنا وبك من إحسان ورحمنا وإياك من صلا النار والسلام عليك ورحمة الله وبركاته)

فلما قرأ أبو عبيدة كتاب خالد قال (بارك الله لخليفة رسول الله ﷺ فيما رأى وحياً خالداً) وكان أبو بكر كتب لأبي عبيدة : (أما بعد فإني وليت خالدا قتال

العدو بالشام فلاتخالفه . واسمع له وأطع فإني لم أبعثه عليك ألا تكون عندي خيرا منه . ولكنني ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك . أراد الله بنا وبك خيرا والسلام) (الفتوحات الإسلامية للسيد أحمد بن زيني دحلان ج ١ ص ٣٤) ولما قدم خالد الشام جمع أمراء الجيوش . واقترح عليهم أن يتولى كل أمير القيادة العامة يوما . وطلب لنفسه اليوم الأول فكانت موقعة اليرموك الفاصلة انتصر فيها المسلمون على الروم انتصارا ساحقا . وكانت في سنة ١٣ على أرجح الأقوال . وممن حضر اليرموك أبو سفيان بن حرب وفقد فيها عينه الثانية فصار أعمى . وكان فقد الأولى في غزوة الطائف . وأتى بها الرسول عليه الصلاة والسلام يطلب ردها . فقال إن شئت دعوت الله . وإن شئت خيرا منها في الجنة . فرمى بها وقال خيرا منها في الجنة . وتوفي أبو سفيان في سنة ٣١ هـ في خلافة عثمان بن عفان .

وعزل عمر بن الخطاب خالدا وأعاد أبا عبيدة . فلم تفر همّة خالد ولم يترزعزع جهاده وصار مناصرا لأبي عبيدة . فسار أبو عبيدة إلى دمشق ونازلها من ناحية ونازلها خالد من أخرى حتى تم فتحها وتوالت الفتوحات فسقطت حمص سنة ١٥ هـ ثم

(تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى ج ٤ ص ١٥٩)

وفى سنة ١٨ هـ توفى أبو عبيدة بن الجراح بالطاعون الذى اجتاحت الشام وعرف بطاعون عمواس . وهو رضى الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وتوفى خالد بن الوليد سنة ٢٠ هـ وقبره بمحصر يُزار .

وأما فى الغرب فقد افتتح عمرو بن العاص مصر فى المحرم سنة ٢٠ هـ على أرجح الأقوال وخططت مدينة القسطنطينية فى المحرم سنة ٢١ هـ . وفى سنة ٢٣ هـ سار عمرو بن العاص إلى برقة فصالحه أهلها ثم فتح طرابلس عنوة .

وأصيب عمر بن الخطاب فى ٢٣ ذى الحجة سنة ٢٣ هـ بطعنة من خبجرا بنى لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . وتوفى رحمه الله فى آخر ذى الحجة . وتولى الخلافة بعده فى أوائل المحرم سنة ٢٤ هـ عثمان بن عفان بناء على قرار مجلس الشورى الذى أمر عمر بتشكيله قبل وفاته لاختيار الخليفة بعده . واستمرت الفتوحات فى خلافة عثمان فى سنة ٢٥ هـ فتحت كابل وفى سنة ٢٦ هـ فتح عبد الله بن سعد بن أبى سرح إفريقية (وهو أخو عثمان فى الرضاة وكان عثمان ولاء مصر بدلا من معاوية) . والمقصود بإفريقية ما هو غربى برقة (راجع الخريطة) .

جاء صلحا مع الجزية . ثم اللاذقية عنوة ثم جبلة وانطرسوس . ثم حلب وأنطاكية ومنبج ودلوك وسرمين وتترين وعزاز ومرعش . كل هذا فى نفس سنة ١٥ هـ . ويئس هرقل إمبراطور الروم من الشام فغادره إلى القسطنطينية بعد أن وقف على نشر من الأرض وقال قولته المشهورة (السلام عليك يا سوريا سلاما لا اجتماع بعده)

بيت المقدس

وطلب أهل بيت المقدس الصلح على أن يمضى عقده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وأن يحضر بنفسه لاستلام المدينة فسار عمر سنة ١٥ هـ أيضا إلى القدس وأمضى عقد الصلح واستولى عليه المسلمون ومن ضمن العهد (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ومن حيزها ولا من صليبيهم ولا من شىء من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية . . . إلخ

التقويم الميلادى على ممر السنين نظرا لعدم الكبس المذكور. مع تفصيل ليس هنا مكانه .

انتقاض وفترة ركود

ونقض أهل خراسان وسجستان وكرمان الصلح فأعيد فتحها على يد عبد الله ابن عامر البطل الصحابي . وهذا الانتقاض لم يكن الوحيد في عهد الفتوحات في القرن الأول فكثير من البلدان كانت تفتح مصالحة على أن يدفع أهلها الجزية فما يكادون يصادفون وهنا في العرب حتى يرفضوا الجزية وينقضوا الصلح ولكن بمضى الوقت واستقرار العرب في هذه البلدان ومخالطتهم لأهلها وتزواجهم منهم أخذت هذه البلدان تدخل في الإسلام إيمانا وتصديقا .

وقتل عثمان بن عفان في ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ هـ وتولى الخلافة بعده على بن أبي طالب . وكانت فتنة بين المسلمين من نقض الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله بيعتهما لعل . وحرهما والسيدة عائشة ضد على في موقعة الجمل . ثم الحرب بين على ومعاوية ابن أبي سفيان الذى امتنع عن البيعة بحجة طلب ثأر عثمان بن عفان - إذ أبو سفيان وعفان ابنا عم ثم خروج الخوارج على على

وفي سنة ٢٨ فتح معاوية بن أبي سفيان من البحر جزيرة قبرص . وكان عثمان قد جمع له ولاية الشام . وفي سنة ٣٠ هـ فتحت طبرستان على يد سعيد بن العاص . . وأعيد فتح قبرص سنة ٣٣ هـ كما فتحت جزيرة رودس سنة ٣٥ هـ .

وفاة يزجورد آخر الأكاسرة والتقويم الفارسي :

وظل يزجورد الثالث بن شهریار بن برويز يهرب أمام العرب من بلد إلى أخرى والهزائم تلاحقه حتى قتله جماعة من الترك سنة ٣١ هـ وبوفاته انقرضت دولة بني ساسان .

وكان الفرس بعد الفتح العربى واستتباب الحكم للعرب يستعملون التقويم الهجرى . ولكن لاعتبارات عملية احتفظوا بتقويمهم المبنى على الحساب الشمسى . وكانوا نقلوه عن المصريين في القرن الخامس قبل الميلاد والتقويم من عناصر القومية فاتخذوا من ابتداء حكم يزجورد هذا تقوينا خاصا بهم سته في ٣٦٥ يوما ولا كبس فيه بالنسبة للربع يوم . وهذا التقويم معمول به للآن وهو يبدأ من يوم الثلاثاء ١٦/٦/٦٣٢م (٢٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ) تاريخ تولى يزجورد وهو يتقدم على

مقتل عثمان بن عفان وهذه الفرقة بين المسلمين أن تتوقف موجات الفتح وهي حالة سنلاحظها دائماً فيما يلي بإذن الله .

وكان عمرو بن العاص واليا على مصر من قبل معاوية فأرسل عقبة بن نافع لغزو إفريقية سنة ٤١ هـ (توفي عمرو سنة ٤٣ هـ) وظل عقبة يغزو ودانت له البربر والروم حتى وصل المحيط الأطلسي سنة ٦٢ هـ وقال قولته المشهورة : يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد غازيا وهو الذي أنشأ مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ وانتقض البربر بزعامه كسيلة وقتلوا عقبة عند عودته بقرب القيروان واستولوا عليها سنة ٦٢ هـ واحتاجت إفريقية لفتح آخر .

واستمرت المناوشات بين المسلمين وبين دولة الروم الشرقية وقد حاول المسلمون الاستيلاء على القسطنطينية فقد أرسل معاوية جيشا كثيفا سنة ٤٩ هـ . وعليهم سفيان بن عوف الأزدي . وكان في الجيش عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأيوب الأنصاري ويزيد بن معاوية فأوغلوا في بلاد الروم حتى حاصروا القسطنطينية وقتل أبو أيوب بالقرب من سورها ثم اضطروا للعودة .

لقبوله التحكيم إلى آخر ما هو مبسوط ومعروف بكتب التاريخ حتى قتل على بن أبي طالب في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ

نبوءتان للرسول عليه الصلاة والسلام

وباع أنصار على ابنه الحسن وجنح الحسن للسلم حقنا لدماء المسلمين فراسل معاوية على أن تكون الخلافة لمعاوية ، ومن بعده للحسن وعلى شروط أخرى لنفسه وأصحابه وقبلها كلها معاوية . ولكنه لم يف إلا ببعضها وكان هذا التنازل في ربيع الأول أو الآخر سنة ٤١ هـ . وتحققت بذلك نبوءتان للرسول عليه الصلاة والسلام . الأولى أنه قال عن الحسن وهو طفل : (إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين) والثانية أنه قال (الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يعود ملكا عضوضا) وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام في ربيع الأول سنة ١١ هـ كما ذكرنا .

وتوفي الحسن في ربيع الأول سنة ٤٩ هـ في خلافة معاوية قيل من سم سقته له زوجته جعدة بنت الأشعث بتحريض من يزيد بن معاوية على أن يتزوجها بعده فسقته السم وطالبت يزيد بوعده فأبى (المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٨٣)

وكان طبيعيا في هذه الفتى التي أعقبت

حيث خنقته امرأته لأنه أهانها وأهان ابنها خالد بن يزيد بن معاوية . وصاحت : مات فجأة وكان مروان تزوجها خوفا من منافسة ابنها خالد له . وباع أهل الشام بعده ابنه عبد الملك بن مروان .

وأصبح للمسلمين خليفتان : عبد الملك بن مروان ومعه الشام ومصر وبرقة . وعبد الله بن الزبير في مكة ومعه الحجاز واليمن والعراق . وكانت البلدان الشرقية حتى خراسان تابعة لولاية العراق .

ثم ثارت الشيعة بالعراق بزعامه المختار بن عبيد وبايعة الناس على كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدم أهل البيت . وتمكن المختار من هزيمة عبيد الله بن زياد وقتله . وهو الذى أمر بقتل الحسين بن على وصحبه . ثم قتل مصعب بن الزبير المختار ابن عبيد سنة ٦٧ هـ ثم سار عبد الملك ابن مروان إلى العراق وقتل مصعب بن الزبير سنة ٧١ هـ .

ونوجز فنقول إن هذا الفتنة استمرت من سنة ٦٤ هـ إلى سنة ٧٣ هـ فتمكن الحجاج بن يوسف الوالى من قبل عبد الملك من حصار ابن الزبير في مكة حتى رمى الكعبة بالمنجنيق وقتل عبد الله بن الزبير .

فكان طبيعيا أن تتوقف الفتوحات في هذه الفترة . وأن تنتهز الفرصة بعض البلاد

فترة ركود أخرى

توفى معاوية بن أبى سفيان بن حرب ابن أمية سنة ٦٠ هـ . وخلفه ابنه يزيد . وكان أبوه بايع له في حياته بولاية العهد . وكان هذا مناقضا لأصول الحكم الإسلامى من أن الخلافة اختيار وبيعة وليست توريثا ودعا أهل العراق الحسين بن على بن أبى طالب لمبايعته فخرج إليهم ثم غدروا به وقتل في عاشوراء سنة ٦١ هـ وقتل معه ١٧ من أولاده وأخوته وأولاد أخيه وأهل بيته كما هو معروف وتوفى يزيد سنة ٦٤ هـ وخلفه ابنه معاوية بن يزيد فلم يمكث في الحكم غير حوالى ثلاثة شهور ثم استقال وتوفى بعد ذلك .

وبايع أهل مكة عبد الله بن الزبير بن العوام بالخلافة ثم بايعة أهل البصرة والعراق واليمن ومصر .

وبايعة في الشام الضحاك بن قيس سرا ، ولكن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية جمع بنى أمية وانضمت له القبائل اليمانية . وحارب الضحاك وهزمه وقتله في معركة مرج راهط . ودخل مروان دمشق واستقام له أمر الشام ثم ذهب إلى مصر فأمكنه أن يضمها إليه ولم يطل به الأمر غير تسعة أشهر فقد توفى سنة ٦٥ هـ .

دعا لنفسه بالخلافة . واستفحل أمره . وهزم الحجاج مرارا وأخيرا تمكن الحجاج من هزيمته سنة ٨٣ هـ وهرب عبد الرحمن إلى ماوراء النهر محتفيا بأحد ملوك الترك هناك فقتله وأرسل رأسه للحجاج .

وتوفى عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ هـ وتولى ابنه الوليد بن عبد الملك بعده واستمر حكمه حتى سنة ٩٦ هـ

وفي عهد الوليد تمت الفتوحات العظيمة التي سذكها بإذن الله وما كانت تتم الا لاستتباب الحكم من ناحية ولحسن اختيار الزعامات من ناحية أخرى .

ففي سنة ٨٦ هـ تولى خراسان قتيبة بن مسلم من قبل الحجاج . وكان قائدا محنكا وسياسيا بارعا فدانت له تلك البلاد وفي سنة ٩١ هـ غزا شومان وكيش ونسف وفتح سمرقند وفرغانة ثم كاشغر أول مدن الصين . ومكث قتيبة واليا حتى سنة ٩٦ هـ فقتل هو وأحد عشر رجلا من إخوته وولده وأهله بأمر سليمان بن عبد الملك لقصة ليس هنا محلها .

فتح السند وبعض الهند

حاول المسلمون قبل ذلك غزو السند سنة ٣٤ و ٤٤ هـ ثم في سنة ٨٩ هـ تم فتح السند للمسلمين على يد محمد بن القاسم بن

التي خضعت فتتقضى على حكم المسلمين . فقد توقفت الصوائف (جمع صائفة) منذ وفاة معاوية والصوائف هي الجيوش التي كانت تجهز في الثغور الإسلامية على الحدود للغزو صيفا . واستمرت الصوائف من صدر الإسلام حتى أواسط عهد الدولة العباسية ولم يكن الغزو قاصرا على الصيف فكثيرا ما وقع في الشتاء إذا اقتضى الحال . بل وأكثر من هذا أن إمبراطور الروم طمع في المسلمين بالشام واضطر عبد الملك ابن مروان على مصالحته بأن يدفع للروم ألف دينار كل أسبوع خوفا على المسلمين (الفتوحات الإسلامية ج ١ ص ١٧٠)

عودة المد الإسلامي

وضم عبد الملك بن مروان ولاية خراسان إلى الحجاج بن يوسف فضلا عن ولايته العراق فولى الحجاج على خراسان المهلب بن أبي صفرة فعبر سنة ٨٠ هـ نهر جيحون وحارب صاحب بخارى وهزمه وصالحه على مال كثير واستمر المهلب ضابطا لأحوال تلك الجهات حتى توفي سنة ٨٥ هـ

وشغل المسلمون بفتنة في فارس والعراق أثارها عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بأن دعا إلى خلع الحجاج أولا ثم

ويستولون على ما يستطيعون لأنفسهم وذلك لبدء الوهن في الدولة الأموية .

خضوع إفريقية والمغرب وفتح الأندلس

ذكرنا ما كان من قتل عقبة بن نافع سنة ٦٢ هـ وانتقاض البربر في إفريقية بزعامه كسيلة وعجز الدولة عنهم للخلاف بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير من سنة ٦٤ هـ إلى ٧٣ هـ ومع ذلك فقد ولى عبد الملك سنة ٦٩ هـ برقة لزهير بن قيس البلوى وسار زهير إلى إفريقية وحارب كسيلة وهزمه وقتله . ودخل القيروان ثم قصد العودة إلى مصر وكان الروم قد اغتبنوا خروج زهير من برقة لقتال كسيلة فهاجموا على برقة وصادف ذلك عودة زهير فحاربهم فهزموه وقتلوه . ولم يستطع عبد الملك أن يفعل شيئاً لانشغاله بحرب ابن الزبير .

ولما قتل ابن الزبير جهز عبد الملك سنة ٧٥ هـ جيشاً بقيادة حسان بن نعمان الغساني فقاتل البربر الذي كانت تتولى زعامتهم امرأة يلقبونها بالكاهنة فهزمهم حسان وقتلها . ودانت البربر واستمر حسان والياً حتى وفاة عبد الملك سنة ٨٦ هـ فعزله الوليد ابن عبد الملك وولى مكانه عمه عبد الله ابن مروان ثم عزله وولى موسى بن نصير ٨٩ هـ .

الحكم الثقي . وهو ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقي . فولاه الحجاج ثغر السند وجهزه بالجيش والمعدات فتقدم من مكران وتوالت انتصاراته واستولى على مدن السند واحدة بعد الأخرى وهرب ملوكها من أمامه . واستولى على غنائم تفوق الحصر .

ثم توفي الحجاج سنة ٩٥ هـ وتولى الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ . وتولى بعده أخوه سليمان بن عبد الملك فعزل محمداً بن القاسم وولى غيره فقبض الولى الجديد على محمد وأرسله إلى العراق حيث عذب وقتل . ورجع ملوك السند إلى بلادهم .

وتوفي سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ وتولى بعده عمر بن عبد العزيز فأرسل إلى هؤلاء الملوك يدعوهم للإسلام ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فأسلموا وتسموا بأسماء العرب وتوفي عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ .

وفى ولاية الجنيد بن عبد الرحمن من قبل هشام بن عبد الملك الذى خلف أخاه يزيد بن عبد الملك توغل فى الهند سنة ١٠٧ هـ وأنشأ مدينة المنصورة على نهر السند . ثم تنازع المسلمون هناك وتخلوا عن مراكزهم ورفضوا الإقامة . وكانوا يحاربون

١ - جميع البلاد التي فتحت في القرن الأول الهجري حسب الخريطة المرفقة - ماعدا الأندلس - مازالت باقية على إسلامها للآن بعد ثلاثة عشر قرناً، مما يدل على أنها لم تسلم نتيجة للفتح العربي أو القوة العسكرية. فقد واتها فرص كثيرة للانتفاض بضعف الحكومة المركزية في دمشق أو بغداد ولكنها تمسكت بالإسلام عن عقيدة واقتناع ..

وما كان يحصل من انتفاض البعض كما رأينا يرجع إلى أن كثيراً من هذه البلدان كان يفتح صلحا على فدية أو جزية وهذه حالة استعمارية تثير النفوس. ولكن ما أن استقر العرب فيها وتعايشوا مع أهلها مساكنة ومصاهرة ومتاجرة حتى انجزت قلوب الأهالي للإسلام فدخلوا فيه طواعية وإيمانا. ونبع من هذه البلاد الكثيرون من علماء الدين ممن يفخر بهم الفقه وسائر العلوم الدينية.

وبعد ذلك كان الانتفاض على الحكومة المركزية لأسباب سياسة ترتبط بشهوة الحكم مع الولاء الروحي لخليفة المسلمين في بغداد.

٢ - فشل الحملات على الهند في القرن الأول الهجري يرجع إلى أن المسلمين تخلوا عن مراكزهم ولم يقيموا في البلاد. ثم في

وكانت البربر قد عاودوا الانتفاض فحاربهم موسى حتى أخضعهم نهائياً ثم سير مولاه طارق بن زياد إلى الأندلس سنة ٩٢ هـ فعبّر المضيق وغزا الإفرنج ولحق به مرسى وتوالى سقوط المدن بين أيديهما وحصل العرب على غنائم من كل نفيس تفوق الحصر وتعجز الوصف ودخلت الأندلس في الإسلام فبما فيها نبت طيب نموذجاً راقياً للحضارة الإسلامية في العلوم والفنون والآداب.

وكان موسى بن نصير يأمل أن يصل إلى القسطنطينية غازياً من الغرب لكنه استدعى إلى دمشق سنة ٩٥ هـ وتوفي سنة ٩٧ هـ في خلافة سليمان بن عبد الملك.

تلخيص وتعليق

نكتفي بما ذكر عن بعض الفتوحات الإسلامية في القرن الأول الهجري. وقد ذكرتها إجمالاً فشرح هذه الفتوحات وما كان فيها من بطولة وفداء وبذل وعطاء واستشهاد يحتاج للمطولات وقد يملّ القارئ مماورد من بعض التفصيل في التواريخ والأرقام ولكن قصدت أن يتبع معي سير الأحداث لتتخذ منها أدلة وأمثلة لما أريد استخلاصه من نتائج إذ سنخلص إلى الحقائق الآتية :

القرن الرابع الهجرى أمكن للسلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين سنة ٣٨٩ هـ أن يقضى على دولة بنى سامان وكانت قاعدة ملكه غزنة فتوغل فى الهند فى غزوات متتالية حتى توفى سنة ٤٢١ هـ وخلفه ابنه مسعود ثم مودود بن مسعود فتابعوا غزو الهند حتى انتشرت الدعوة الإسلامية . وظلت دولة بنى سبكتكين حتى قضى عليهم الغور سنة ٥٧٩ هـ وكان ابتداء ملكهم سنة ٣٦٦ هـ .

٣- رأينا أن موجات المد فى الفتوحات تزداد قوة كلما كان الحكم فى الدولة مستقرا فإذا دبت الفتنة والانقسام فى الدولة توقفت هذه الموجات بل وُجد جزر مؤقت ضدها .

٤- السنة والشيعة :

انقسام المسلمين إلى سنين وشيعة لم يؤثر فى جوهر الإسلام بل كان انقساما سياسيا فى غالب الأمر . وبالرغم من أن هذا الاختلاف كان أحد المحاور الرئيسية التى دار حولها التاريخ الإسلامى عدة قرون إلا أنه لم يكن أول الأمر اختلافا دينيا فلم يكن ثمة خلاف بين المسلمين فى صدر الدعوة فالقرآن واضح فهموه على صورته الواضحة المشرقة بإحكام آياته وسلاسة تعبيره وبلغتهم

العربية وكانوا قريبا عهد بالرسول عليه الصلاة والسلام فاتبعوا سنته وكانت سلسلة رواة الحديث قصيرة يمكن الثبوت من عدالة الرواة فيها . وكان الإيمان عميقا فما استعصى عليهم فهمه عقلا قبلوه إيمانا وتصديقا . ولم يُبدأ فى تقعيد قواعد الفقه إلا بعد القرن الأول الهجرى فالأئمة أبو حنيفة توفى سنة ١٥٠ ومالك توفى سنة ١٧٩ هـ والشافعى توفى سنة ٢٠٤ هـ وابن حنبل توفى سنة ٢٤١ هـ .

ولكن هذا الخلاف كان سياسيا هدفه إمامة المسلمين . وحركته وأزكته رواسب العصبية الجاهلية والتنافس بين بنى هاشم وبنى أمية قديم منذ الجاهلية وكان بنو هاشم يرون أن عليا بن أبى طالب أحق بالخلافة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام . ولكن تحطته الإمامة باختيار أبى بكر . ثم عمر ثم عثمان . وكأنهم استكثروا أن يجمع بنو هاشم بين النبوة والإمامة . وتشيع لعل كثير من فكأن اسم الشيعة .

ثم كان للشيعة مذهب أو مذاهب كما كان لأهل السنة مذاهب وإذا نظرنا إلى مذاهب الشيعة - ماعدا المتطرفة منها - نجد أن الخلاف بينها وبين المذاهب السنية فى الشكليات ولايمس جوهر العقيدة .

٥- فى القرن الرابع الهجرى كان

بالعالم الإسلامي ثلاث قوى كل منها تطالب بإمامة المسلمين . وهى : الخليفة العباسى فى بغداد ومعه العراق وبعض الشام والبلاد الشرقية والخليفة الفاطمى فى مصر ومعه بعض الشام وبرقة وإفريقية والخليفة الأموى بالأندلس . وهذا أيضا انقسام سياسى لادنى .

٦ - بنو سلجوق والخليفة العباسى

نشأت قوة جديدة بآسيا الوسطى هى بنو سلجوق وكانت بخراسان فانتشرت وقوى ساعدها واستولى السلطان طغرل بك ابن سلجوق على بغداد سنة ٤٤٦ هـ وقبض على الملك الرحيم آخر بنى بويه (بضم الباء وفتح الواو) وتزوج بنت الخليفة العباسى القائم بأمر الله سنة ٤٥٤ هـ .

ونقف هنا وقفة لتؤكد بها أنه مع هذا الانقسام السياسى فى الدول الإسلامية فقد ظل الولاء الروحى لخليفة المسلمين عميقا وهذا من الصورة الآتية التى ذكرها أبو الفدا فى المختصر ج ٢ ص ١٧٦ قال : وفيها (أى فى سنة ٤٤٩ هـ) عاد طغرل بك إلى بغداد بعد أن استولى على الموصل وأعلاها وسلمها إلى أخيه إبراهيم بنال ولما قارب طغرل بك القفص خرج لتلقيه كبراء بغداد مثل عميد الملك وزير طغرل بك

ببغداد ورئيس الرؤساء ودخل بغداد وقصد الاجتماع بالخليفة القائم فجلس له الخليفة وعليه البردة على سرير عال عن الأرض نحو سبعة أذرع . وحضر طغرل بك فى جماعته وأحضر أعيان بغداد وكبراء العسكر فقبل طغرل بك الأرض ويد الخليفة ثم جلس على كرسى ثم قال له رئيس الرؤساء : إن الخليفة قد ولأك جميع ماولاه الله تعالى من بلاده . ورد إليك مراعاة عبادته فاتق الله فيما ولأك واعرف نعمته عليك وخلع على طغرل بك وأعطاه العهد فقبل الأرض ويد الخليفة ثانيا وانصرف .

ثم بعث طغرل بك للخليفة خمسين ألف دينار وخمسين مملوكا من الأتراك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها هـ .

٧ - خلافة المسلمين

هذا الولاء الروحى هو الذى دعا الظاهر بيبرس أن يستدعى إلى مصر أحد أمراء بنى العباس بعد أن حطم التتار الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ وبايعه بالخلافة ليستمد من ذلك شرعية حكم المالك . وبهذا انتقلت الخلافة العباسية إلى القاهرة سنة ٦٦٠ هـ ثم نقلها العثمانيون بعد الاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧م) إلى سلاطين بنى عثمان

بإستانبول وهي التي جعلت الدول العربية تستكين لحكم العثمانيين على مافيه من فساد للولاء بالتبعية لخليفة المسلمين .

٨ - التار والإسلام

في القرن السابع الهجري تحركت جحافل التار من الشرق ضد الدول الإسلامية وتقدموا في زحفهم يخربون البلاد ويسقطون العروش حتى وصلوا بغداد وقضوا على الخلافة العباسية واستولوا على أغلب الشام . وقصدوا مصر درع الإسلام فقامت مصر بدورها خير قيام وهزمتهم في عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ على يد سلطانها المظفر قطز . وكانت هذه أول هزيمة للتار ولكنها لم تكن الوحيدة من مصر فقد هزمتهم ثانيا عند حمص سنة ٦٨٠ هـ هزيمة منكرة على يد المنصور قلاوون .

ولا أقصد السرد التاريخي ولكن لكي أذكر أن دولة قوية كالتار غزت البلاد الإسلامية وحطمت الخلافة العباسية في بغداد . واستولت على كل أملاكها وحكمتها قد دخلت بعد ذلك في الإسلام - وهي القوة المنتصرة - سواء في عراق العرب أو عراق العجم أو فارس أو تركستان مما يدل على ما في هذا الدين القويم من عوامل تحببه إلى النفوس .

٩ - الحملات الصليبية وفشلها

بدأت الحروب المسماة بالصليبية سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧م) واستولت على كثير من بلدان الشام بل وطعموا في مصر ثلاث مرات وقاومهم السلطان نور الدين محمود ابن زنكي وصلاح الدين الأيوبي ومن تلاه من الأيوبيين والسلطين المماليك بيبرس وقلاوون والأشرف خليل بن قلاوون الذي فتح عكا وصيدا وبيروت وانطرسوس وغيرها سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١م) وبذلك تم جلاء الصليبيين نهائيا عن سواحل الشام وبلدانه بعد أن لوثوه باحتلالهم ما يقرب من قرنين من الزمان .

ولم تنتج الحروب الصليبية أى أثر سياسى فلم ينقص من البلاد الإسلامية أى شبر وإن كانت لهذه الحروب آثار أخرى عمرانية وعلمية واقتصادية ليس هنا مجال ذكرها .

١٠ - أكثر من هذا أن المسلمين أخذوا في الانتقاص من دولة الروم الشرقية فقد استولى بنو سلجوق على قونية (شمال طرسوس) وأنشأوا لهم ملكا هناك ثم قامت دولة بنى عثمان سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩م) ففقت على دولة الروم الشرقية بآسيا الصغرى بل تخطتها إلى الاستيلاء على

أملأها بشبه جزيرة البلقان . ١١ - إن كان المسلمون قد فقدوا الأندلس فقد عوضهم الله عنها باستيلاء السلطان العثماني محمد الفاتح على القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م) وإنشاء دولة إسلامية في أوروبا وصلت شمالا إلى قرب فيينا وغربا إلى البحر الأدرياتيكي ١٢ - في القرن العاشر الهجري كان بالشرق الأوسط ثلاث قوى تتنازع السيادة ، مصر وفارس والدولة العثمانية وتغلب السلطان سليم العثماني على مصر في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ ودخل سليم مصر سنة ٩٢٣ هـ وأصبحت مصر ولاية تابعة بعد أن كانت سلطنة قوية ذات سيادة واستولى العثمانيون على جميع البلاد العربية (ماعدا المغرب الأقصى) ولم يكن العثمانيون ذوى حضارة فلم يضيفوا شيئا يذكر على علوم العرب بل أصابوا الأمة العربية بالشلل والركود . ولكنهم كانوا ذوى ملكية عسكرية مكنتهم من التصدى للمطامع الأوربية في البلاد الإسلامية فدافعت عنها حتى أصابها الوهن ودبت فيها الشيخوخة فانتقصت روسيا من أملاكها الشرقية على البحر الأسود وانتقصت منها أوروبا أغلب ممتلكاتها الأوربية والعربية . وكانت نهاية بنى عثمان بقيام الجمهورية التركية سنة ١٩٢٢م وإلغاء السلطنة ثم إلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م ونقلت عاصمتها إلى أنقرة بدلا من استانبول . وهكذا أصبحت تركيا دولة علمانية وإن كان دين أغلب شعبها الإسلام وبهذا فقد الترك مناصرة الدول الإسلامية بعد أن كانت ترع لنجدتها في جميع المناسبات . ١٣ - استمر المد الإسلامي . ولكن ليس عن طريق الفتوحات العسكرية بل عن طريق التجار العرب والهنود فأسلم الكثيرون في شرق إفريقيا وآسيا الشرقية بالصين وجزر الهند الشرقية كما أسلم الكثيرون في غربي إفريقيا عن طريق تجار المغرب . وامتد الإسلام من مصر جنوبا إلى شمال السودان واتجه الأهالي للإسلام بالرغم من وجود جمعيات التبشير المسيحية بإمكانياتها العظيمة وذلك لما في عقيدة التوحيد من قوة وبساطة ولما في هذا الدين القويم من سماحة وكرام خلق في المعاملة والمعايشة بين الناس . ١٤ - وأخيرا نجد الآن موجة من الإسلام تنتشر في أوروبا وأمريكا فقد ازداد كثيرا عدد المساجد التي تقام في مدن تلك البلاد - ماعدا البلاد الشيوعية فهذه ملحدة لا تؤمن بالديانات وأسلم . ويسلم الكثيرون كل يوم لما يجدونه في هذا الدين

من حلول صحيحة سليمة لمشاكل المجتمع الاجتماعية والاقتصادية وربما لو وجدت وسائل إعلام أكثر وضوحاً وأقرب تناولا وتبسيطاً للدعوة الإسلامية لازداد عدد من يدخلون الإسلام .

ولاننسى أن لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣

فضلا في إعادة التقدير للعرب . وأعتقد أنه لولا سَفَه بعض أثرياء العرب ومايرتكبونه في أوروبا وأمريكا من مخزبات وفصائح تشوّه صورة المسلمين لازداد الأوروبيون والأميريكيون قبولا واقتناعا بالإسلام .

محمد كمال السيد

إقامة الألسنة

قال عبد الملك بن مروان :

ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يتحاورون الكلام ويتجادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم من مخابثها ، ويجمعون ما تفرق منها ، إن الكلام قاض يجمع بين الخصوم ، وضياء يجلو الظلام ، وحاجة الناس إلى مواده كحاجتهم إلى مواد الأغذية .



الأستاذ محمد كمال السيد محمد

بمركز الفشن ومقررا للجنة الصناعة بمحافظة
بنى سويف ولما أعيد مجلس الأمة سنة
١٩٦٠ كان من ضمن أعضائه وظل
المجلس حتى سبتمبر سنة ١٩٦١ فانحل بناء
على خروج سوريا من الوحدة .

○ انقطع بعد ذلك لمباشرة شؤونه الخاصة .
وكان من هواياته قراءة التاريخ وكتب
التراث مما مكنه من التأليف وكتابة المقالات
بالمجلات والصحف .

○ له كتاب كبير من ٤٠٠ صفحة تقريبا
اسمه (أسماء ومسميات من تاريخ وخطط
القاهرة) ستصدره الهيئة العامة للكتاب
هذا العام وكتاب آخر اسمه (الشمس
والقمر في حساب الزمن) سيصدر بعده
بإذن الله .

○ ولد بالفشن محافظة بنى سويف فى
١٩٠٨/٩/١م

○ يتشرف بالانتساب إلى الإمام الحسينى
سبط الرسول عليه الصلاة والسلام

○ تخرج فى مايو سنة ١٩٣٠ من كلية
الحقوق بجامعة القاهرة التى كان اسمها
جامعة فؤاد الأول

○ اشتغل بالمحاماة بالقاهرة ثم اضطر
للانتقال إلى الفشن لمساعدة والده فى إدارة
أطيانه وأبادر فأقول إنه لم يكن إقطاعيا
وتوفى قبل الثورة بمدة .

○ لم يشغل بالسياسة قبل سنة ١٩٥٧
فتقدم لانتخابات مجلس الأمة ونجح عن
دائرة الفشن

○ ثم حل المجلس بعد الوحدة مع سوريا
سنة ١٩٥٨ فكان سكرتيرا للاتحاد القومى

إعادة بناء الحضارة الإسلامية على أساس القرآن هي أبرز تطلعات القرن الخامس عشر الهجري ..

الدكتور / أنور الجندي

وذلك بعد أن يطبقوها على أنفسهم وقيموا المجتمع الرباني الذي تتطلع إليه البشرية .
وقد سجل الإسلام تقدما واضحا في القرن الأخير ، وإن كان الإسلام منذ بزوغ فجره لم يتوقف عن الانتشار الذاتي ويبلغ عدد الذين يعتنقونه إلى مفتتح القرن الخامس عشر الهجري مالا يقل عن ألف مليون مسلم دخل أغلبها إلى ساحته بالاعتناق والإيمان وبفضل مبادئه التي تحمل التوحيد والعدل والكرامة والإيمان .

وقد وجد الإسلام من الملونين والمستعبدين قبولا حررهم من كل عوامل الظلم والعبودية ومازال الإسلام يقتحم آفاق العالم ويصل إلى كل ركن ، وقد أعلن في مؤتمر لندن الإسلامي (مايو ١٩٧٦) أن عدد المسلمين في أوروبا قد بلغ ٢٥ مليونا و٢١٧ ألف نسمة تقريبا وأن عدد المسلمين بالدول الأوروبية غير الشيوعية يبلغ نحو ثلاثة ملايين ، ٩٣٠ ألف أي بنسبة ١,٧٥ في المائة من عدد السكان أما عدد المسلمين

يجب أن يكون القرن الخامس عشر الهجري الذي أوشك فجره علامة على خروج المسلمين (فكرا ومجتعما) من مرحلة التبعية والغزو الثقافي والتغريب إلى مرحلة الرشد الفكري والأصالة والتماس المنابع انتقالا من اليقظة إلى النهضة وقد جاء هذا العصر الجديد والمسلمون يمتلكون ثلاث قوى : الطاقة والثروة والتفوق البشري وهي علاقة مع دخول المسلمين إلى مرحلة يبنون فيها قواعد الحضارة الإنسانية التي مازالت تتطلع إليها البشرية مجددة من الحضارة الإسلامية التي توقفت عن العطاء منذ بضعة قرون والتي مازال تلمس مقوماتها من مفهوم القرآن الأصيل ومن قاعدة التوحيد الخالص ومن قيم الالتزام الأخلاقي والمسئولية الفردية والإخاء الإنساني والرحمة والعدل .

وقد آن الأوان أن يحل المسلمون رسالة الإسلام إلى كل أطراف الأرض وأن يذيعوا كلمة الله الواحد الحق في كل مكان

علمه المستقل المفرد ومنهجه الكامل المتجدد بالتوحيد والإيمان بالله والالتزام الأخلاقي في تفسير الكون والحياة للمسلمين قبلتهم الواحدة التي يتجمعون حولها والتي لن يحيدوا عنها تهوى إليها قلوبهم بالإيمان وعقولهم بالفكر ، ومنذ ذلك اليوم الأول لم تكن لهم قبلة أخرى ولا تزال الكعبة البيت الحرام مثابة للناس دافعا وستظل مركز الدائرة في أرض الإسلام .

ومنذ اليوم الأول لظهور الإسلام حاولت القوى المختلفة ضربه والإطاحة به ثم لما عجزت عن ذلك حاولت «احتواء» وإذابته وصهره في بوتقة الأممية ومازال الإسلام وسيظل قادرا بتركيبه الرباني وتشكيله الإنساني القائم على الفطرة والحق والعدل على أن يقاوم كل محاولة لضربه ، سواء عن طريق الحروب الصليبية أو الغزو الاستعماري أو الاحتلال الصهيوني أو محاولات الماركسية والإلحادية والوجودية والفرويدية وغيرها والواقع أن هناك حقيقة كبرى على شبابنا وأجيالنا الجديدة والمتجددة أن تكون موضع نظرها وتقديرها ، لانغيب عن مفرق رأسها ، تلك أننا «نحن المسلمين» نعيش في ظل تحد قائم كبير في منطقة زاخرة بالطاقة والذرة والتفوق البشري ، كانت ولا تزال

بالدول الأوربية الشيوعية فيقدر بنحو ١٩ مليوناً و ٢٧٧ الف نسمة أى بنسبة ١٨٪ من مجموع السكان (ولا يدخل في هذا العدد مسلمو الجمهوريات الآسيوية التابعة للاتحاد السوفيتي)

وهكذا نجد أن الإسلام بعد أن طورد من أوربا مرتين : من الأندلس ومن البلقان يعود سلماً فيقتحم أوربا ليقم فيها هذه المرة ، وليصل إلى كل مكان . ليس في أوربا وحدها ولكن في الغرب كله وفي أمريكا لا يطلع الصبح يوماً إلا على مسلم جديد .

ويقوم المسلمون في أوربا كقوة فكرية وقوة حضارية وكنظام اجتماعي لا يقاربه نظام فالمسلمون هناك يقيمون فاصلاً بين الحياة في ظل الإسلام دين الحضارة الغربية فإذا أضفنا إلى هذا أن الفكر الغربي قد انبجس عن تيار جديد يريد أن يتفهم الإسلام ويرى أنه السبيل الوحيد لصلاح البشرية عرفنا إلى أى مدى تكون قدرة الدعاة إلى الله في القرن الخامس عشر على توصيل الإسلام علماً وقُدوة إلى العالمين . ونقد استطاع الإسلام منذ اليوم الأول لظهوره أن يشكل لونه المميز على خريطة العالم وأن يمتد في سنوات قليلة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وبذلك أقام

وستظل - مصدر مطامع القوى المختلفة وتطلعاتها إلى الغزو والسيطرة ورغبتها إلى استنزاف الثروات وامتصاص الموارد وأن هذه المطامع جاءت في ثوب الحروب الصليبية بدعوى استنقاذ قبر المسيح مرة ثم عادت في ثوب تمددين البشرية باسم الاستعمار الغربي ثم عادت ثالثة باسم أرض الميعاد .

لقد عاشت هذه الأمة موضع طمع الطامعين والغزاة قرونا طويلة تنهز فرصة ضعفها لتنقض عليها ولقد هزمت موجات الغزو واحدة بعد أخرى ولا تزال القدس هي خط الدفاع عن القبلية ولقد قاوم العرب وقاوم المسلمون هذا الغزو في حطين وفي عين جالوت ، وفي الزلاقة ، وفي الأرك واستجاشت أرض الإسلام بالقوى الإسلامية المتجددة الظافرة التي حملت اللواء واستشهدت في سبيل تثبيت الحق وتحرير الأرض وحماية بيضة الدين .

واليوم يواجه عالم الإسلام ثلاث قوى تحاول أن تنال منه :

« الاستعمار والصهيونية والشيوعية »

والمسلمون في موقف الدفاع ثابتون دائما في مواقعهم ، يستمدون قوتهم من عقيدتهم التي كانت مصدر النصر لهم في كل أزمة وموقف وسوف لا تستطيع القوى الغازية أن

تنتزعهم من حصنهم الحصين ، وهم لا يعادون الأمم ولا يطمعون في السيطرة والاستعلاء بين العالمين ولكنهم طلاب سماحة وخير .

إنهم يريدون أن يمتلكوا إرادتهم في أوطانهم متعاونين مع كل الأمم والقوى العالمية على خير البشرية .

إن أخطر التحديات التي تواجه المسلمين اليوم إنما هي : المحافظة على أصالة هذه الأمة وشخصيتها وكيانها النفسى والروحى والعقلى في مواجهة محاولة إذابة هذه الأمة وصهرها في بوتقة الأممية والعالمية والقضاء على ذلك الطابع القرآنى الربانى القائم على التوحيد والأخلاق والإيمان بالله والإيمان بالغيب والبعث والنشر ، وذلك للحيلولة دون قيام الحضارة الإسلامية ذات الطابع الخاص المختلف والمميز عن الحضارة البشرية .

ويجب أن تكون مطالع القرن الخامس عشر الهجرى علامة على الدخول في مرحلة الرشد الفكرى وإقرار الطالع الأصيل للشخصية الإسلامية التى تستمد وجودها وكيانها عن قيمها الأصيلة ومن تاريخها الحافل بالأبجاد .

إن هذه محاولات تهدف إلى تحريف مفهوم الإسلام وإخراجه من طابعه الجامع

بين الدين والدنيا والقلب والعقل والروح والمادة ، ومحاولة تصويره ديناً لاهوتياً وذلك بانتفاص أبرز معالمه .

(أولاً) فريضة الجهاد وتطبيق الشريعة الإسلامية ، والإيمان في القضاء عليهما بالتمويه والتأويل والترفيف وطرح دعوات لها طابع الخروج عن ضوابط النفس والمجتمع بالتحلل من الحدود التي أقامتها الشريعة لحماية النفس الإنسانية والكيان الإنساني من الانهيار . السقوط تحت سنانك الخيل الغازية المغيرة ، وإفساد مفاهيم الترابط الجذري الوثيق بين العروبة والإسلام بطرح مفاهيم القوميات الواحدة التي تختلف اختلافاً واضحاً في منطلقها ومفاهيمها عن العروبة في جذورها الأصلية المرتبطة بالتوحيد منذ دعوة إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام والممتدة في إسماعيل عليه السلام جد العرب ، وقد كانت العروبة دائماً وعاء الإسلام وكان العرب حملة لوائه إلى أقصى الأرض ومازالوا يحملون مميزات الإسلام إلى العالم كله ويعيدون بناء حضارة التوحيد في مواجهة حضارة الوثنية التي تصدعت وانهارت قوائمها حين خرجت على قوائم التوحيد والعدل والأخلاق والإيمان بالغيب والبعث وقد كشفت مخططات الغزو

الاستعماري الصهيوني الماركسي عن وثائق كثيرة تلقى الضوء على تلك الدعوات التي تطرح نفسها في العالم الإسلامي وبين جوانب الأمة العربية وأهمها الدعوة إلى هدم الأديان بقولتهم : إن الأمم بدأت وثنية ثم تطورت حتى عرفت التوحيد وهو قول معارض للحقيقة التي أثبتتها كل الدلائل التاريخية والحفريات الأثرية التي تؤكد أن البشر بدءوا موحدين ثم انخرفوا ثم عادوا إلى التوحيد وكان الإسلام خاتم الرسالات السماوية .

(ثانياً) الدعوة إلى هدم الأخلاق عن طريق مناهج الفرويدية والوجودية والنظريات التي تقول : إن الأخلاق نسبية وإنها مرتبطة بالبيئات والعصور وإنها تختلف باختلاف الحضارات . . وهو زيف باطل يستهدف تدمير المجتمعات . ولقد كانت الأخلاق مرتبطة بالعقائد لا تنفك عنها وظلت وستظل مرتبطة بالإنسان نفسه ، هذا الكيان الذي لا يتغير .

(ثالثاً) الدعوة إلى هدم الأسرة عن طريق مناهج دوركايم ولبني وبريل وغيرهم من أتباع الصهيونية ودعاة التلمود وبروتوكولات صهيون وذلك بالقول : بأن الأسرة ليست من الفطرة وإنما الفطرة هي الانحلال وهي محاولة زائفة لمعارضة

مقررات الأديان وحقائق الاجتماع .

(رابعاً) الدعوة إلى التماس مفهوم واحد للتاريخ : هو التفسير المادى عن طريق انجلز وماركس وهو تفسير مضلل بشهادة العلماء المنصفين ، ذلك أن التاريخ هو نتاج الحياة البشرية بكل جوانبها : جوانب الجسد والجغرافيا والروح والاجتماع . وللمادة والاقتصاد جزء منها وعامل واحد من عدة عوامل هى التى تشكل التفسير الحقيقى والأصيل .

(خامساً) الدعوة إلى إثارة العصبية والعرق والعنصرية عن طريق دعوات متعددة ونظريات متضاربة تحاول أن تفرض صراع الأجناس وإيجاد الفوارق بين العروق وضرب الأمم بعضها ببعض ، وإعلاء جنس بعينه .

(سادساً) محاولة إخراج اللغة العربية عن مفهومها الخاص الذى تنفرد به من جميع اللغات كلغة للقرآن الكريم وفرض مناهج من علم اللغات للتحكم فيها ، وهى مناهج - لا تنطبق عليها أصلاً من حيث إنها ليست لغة قومية خالصة بحسبانها « لغة أمة » هى الأمة العربية ذلك أنها إلى ذلك لغة فكر وثقافة ودين لأكثر من ألف مليون مسلم .

(سابعاً) إدخال مناهج من التربية

تنتزع مفهوم العقيدة منها كمنظريه ديوى وغيره بينما تقوم التربية الإسلامية أساساً على الترابط الأكيد بين العلم والعقيدة وتجعل من الإيمان بالله تبارك وتعالى حامياً للعلم وموجهاً له إلى الخير .

(ثامناً) فساد القول بأن هناك حضارة واحدة هى الحضارة التى قامت فى حوض البحر الأبيض المتوسط والحق أن هناك حضارتين متميزتين لكل منهما طابعه الخاص ، وأنه منذ بزغ ضوء الإسلام قامت على شواطئه الجنوبية حضارة جديدة تختلف اختلافاً واضحاً عن حضارة شمال البحر المتوسط التى قامت فى العصر الحديث على أساس جذورها اليونانية الوثنية - تلك هى حضارة الإسلام ذات الجذور الأصيلة من التوحيد والأخلاق والإيمان بالغيب ، وهى الحضارة التى أنشأت المنهج العلمى التجريبى الذى كان مصدر الاختراع والعلم الحديث كله .

وإنه منذ قامت حضارة الإسلام فقد تأكدت ركائزها وثبتت جذورها وأصبح من الاستحالة اجتثاثها أو القضاء عليها وإن ظلت تواجه الأزمات والتحديات كلها وإن تخلف أهلها عن مفاهيمهم الأصيلة :

(اليوم يشن الذين كفروا من دينكم)

المائدة آية ٣ .

السكاني» كأسلوب من أساليب دفع المجتمعات الإسلامية إلى التقلص أمام الهجرة اليهودية المكثفة وزيادة القوى الأخرى كمحاولة لضرب النمو الإسلامي العربي القادر على بناء الجيوش وعمارة الأرض الواسعة التي لم تستصلح بعد والتي تحتاج إلى ملايين الأيدي العاملة .

ومن الحق أن هذه ليست كل التحديات التي تواجه المسلمين على أبواب القرن الخامس عشر وإنما صورة منها نضعها أمام الأنظار في ظل لحظة جديدة تسود الفكر الإسلامي والمجتمعات الإسلامية كمحاولة للدخول في مرحلة جديدة من تأكيد الذات والتحرر من زيف التبعية الفكرية وبناء الأمة من داخل قيمها ومفاهيمها التي كانت دائماً مصدر قوتها وانتصارها .

أنور الجندى

(تاسعا) محاولة خلق هذه التحديات بين الأجيال وإعطاء هذا التحدى طابع الإثارة تحت اسم «صراع الأجيال» والحق أن ما بين الأجيال التقاء لاصراع ، وأن علاقة الشباب بالأجيال المتقدمة عنها هي علاقة الريادة والتوجيه والتجربة ، وليست علاقة الخصومة أو الكراهية أو التسلط وهي علاقة طبيعية تقتضيها حركة المجتمعات ودورات الأمم وطبيعة الوجود البشرى نفسه ، وقد وصفت في إطار الإسلام في صورة أمينة تقدمية ، غير مخططات الغزو الفكرى - تحاول أن تخلق هذا الصراع تحت اسم تحرير الشباب الجديد من سيطرة القيم تحريرا لا يدفعه إلى البناء والتقدم وإنما يحمله على الانهيار والتفريق في ظل فراغ نفسى وثقافى وراء مذاهب ونظريات براقة تنهافت أمام التحقيق العلمى وأمام الواقع نفسه .

(عاشرا) محاولة طرح قضية «النمو

الدَّعوة الإسلامية في أوربا

الدكتور محمد إبراهيم الجبرشي

بحثاً عن عمل أو سعياً وراء فرص أحسن في الحياة لم تيسر لهم في بلادهم الأصلية أو أن البلاد التي استضافتهم كانت في مبدأ الأمر في حاجة إلى خدماتهم التي كانت تتمثل في ذلك الوقت في نوعية الأعمال التي لم يكن الأوروبيون يرضون بالعمل فيها إلا كارهين .

وقد لوحظ أن الجاليات الإسلامية في بلاد أوربا الغربية تتشكل حسب نوعية العلاقة التي تربط بين البلد الأوربي والبلد الإسلامي الذي يرتبط سياسياً به ، وإذا عرفنا أن معظم بلاد العالم الإسلامي كان واقعاً تحت الاستعمار الأوربي في آخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن أمكننا أن نتعرف إلى طبيعة الجاليات الإسلامية التي استقرت في كل بلد على حدة ففي بلد مثل إنجلترا نجد معظم المسلمين بها قادمين من دول الكومنولث في آسيا وأفريقيا وخاصة شبه القارة الهندية وهي ما يعرف حالياً بالهند وباكستان وبنجالادش .

المسلمون في أوربا موزعون في أقليات يختلف حجمها بين الآلاف والملايين ، والدول الأوربية التي يبلغ فيها عدد المسلمين الملايين هي الاتحاد السوفيتي وبعض بلاد أوربا الشرقية وهناك دولة واحدة في المعسكر الشرقي يشكل المسلمون فيها أغلبية السكان وهي ألبانيا إلا أن المسلمين في هذه البلاد يعيشون مثلاً يعيش غيرهم لا حول لهم ولا قوة .

أما المسلمون في أوربا الغربية فأحوالهم مختلفة عن المسلمين في المعسكر الشرقي ، ذلك أن عددهم في أي من هذه البلاد يبدأ من المئات في بعضها وينمو حتى يقارب المليون في بعضها الآخر ، هذا من ناحية العدد أما من ناحية الاستقرار في تلك البلاد فإن السواد الأعظم من المسلمين في هذه البلاد وفدوا إليها نازحين من البلاد الإسلامية المختلفة بحكم الصلات السياسية التي كانت تربط بين بلدانهم والبلاد الأوربية التي يعيشون فيها . وقد حضروا إلى تلك البلاد

وازدیاد فرص التفهم لطبیعة الإسلام عند هؤلاء الأوربيين على اختلاف نزعاتهم الفكرية وأوضاعهم الاجتماعية ، وقد نشأ هذا التفهم بالذات من مخالطة المسلمين عن قرب سواء في بلادهم أو البلاد التي هاجروا إليها ، ونشأ كذلك من إتاحة الفرصة لقراءة الإسلام في مصادره الأولى بعيداً عن تشويه المستشرقين ، ومغالطاتهم التي حاولت الأجيال السابقة منهم أن تروجها عن الإسلام بين جمهور القراء من الأوربيين ، وقد تهيأت لهم الفرصة في الماضي ليزيغوا عن الإسلام أشياء ليست فيه وليست منه ، ويلصقوا به أموراً لاتمت إليه بصلة اعتماداً على أن الجمهور الذي يكتبون له خالی الذهن تماماً عن الموضوع الذي يكتبون فيه ، وليست أمامه فرص مواتية ليقف على الحقيقة من مصادرها الأصلية أو يقرأ عنها من وجهة نظر معتقياً والمؤمنين بها أما هذه الأيام فقد تغيرت الصورة كثيراً عما كانت عليه من قبل ، وإن كان لم يزل في ميدان المشتغلين بالإسلاميات في أوروبا عدد ممن انطوت صدورهم على الكيد للإسلام ولكنهم يحسبون ألف حساب لآخرين من أبناء أوروبا الذين أتاحت لهم الفرصة لمعرفة الإسلام من مصادره مباشرة ولأبناء المسلمين الذين يقرءون بتلك اللغات أن

وفي بلد مثل فرنسا نجد غالبية المسلمين من المغرب العربي الجزائر وتونس والمغرب لأن فرنسا كانت مستعمرة لهذه المنطقة ، وفي هولندا نجد الجانب الأكبر من المسلمين بها من إندونيسيا وذلك أيضاً لأن هولندا كانت تستعمر إندونيسيا لفترة طويلة وفي بعض البلاد الأخرى مثل ألمانيا وفرنسا نجد الجاليات الإسلامية بها يغلب عليها العنصر التركي وهم من الذين هاجروا من تركيا بعد دعوة مصطفى كمال إلى العلمانية أو من أنبائهم .

هذه الجنسيات هي التي تشكل الغالبية العظمى للجاليات الإسلامية في بلاد أوروبا الغربية ، وقد انضم إليها مهاجرون من بلاد إسلامية أخرى خاصة في السنوات الأخيرة ويمكن أن يقال في ربع القرن الأخير حيث نمت حركة الهجرة من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق ، وازداد اتصال الشعوب بعضها ببعض وتعددت المصالح التجارية والاقتصادية والصناعية التي اقتضت هذا الاتصال لوجود المواد الخام في بلاد الشرق الإسلامي عموماً والصناعات في بلاد الغرب المتقدم صناعياً ، وتبع ذلك أن دخلت أعداد من سكان أوروبا في الإسلام بحكم هذه الصلات التي سبقت الإشارة إليها ،

يردوا عليهم مقالهم وأن يظهرها عدم إنصافهم وخطئهم فيما كتبوا والنتيجة أن يظهر للناس أنهم إما جهلاء بحقائق الإسلام وإما حاقدون وكلا الأمرين مر بالنسبة لهم وكان من الأسباب ذات الأثر البعيد في تغير نظر الأوروبيين إلى الإسلام أن اعتنق الإسلام عدد من المثقفين منهم له بعد أن دخلوا ميدانه كغيرهم من المستشرقين ولكنهم أخذوا بما اكتشفوه في الإسلام من وضوح الرؤية واستقامة العقيدة ومساريتها للمنطق السليم ، واتفاقها مع الطبيعة البشرية السوية ، وإقناعها لتطلعات العقل ونوازع القلب وهواتف الروح وأصبحنا نجد كثيراً من الكتب نتحدث عن الإسلام وعقيدته وكتابه ورسوله وتاريخه وحضارته ومثله وأخلاقه بلغات أوروبية مختلفة كتبها مسلمون ومفكرون أوروبيون وبخاصة في الفرنسية والإنجليزية . تلك صورة عامة عن حالة الإسلام واتجاه النظرة إليه في أوروبا ويحق لنا بعد هذه النظرة العامة أن نأخذ دولة من دول أوروبا الغربية ونتحدث عن الإسلام والمسلمين فيها ، بدايتهم وأوضاعهم الحالية ، واحتياجاتهم في المستقبل وواجب العالم الإسلامي نحوهم لتكون بمثابة نموذج يتبع مع الجاليات الإسلامية الأخرى في أوروبا . أما تلك

الدولة فهي إنجلترا وقد وقع اختياري على إنجلترا كنموذج تعرض من خلاله أوضاع المسلمين في أوروبا لأسباب أهمها أني عشت في هذه البلاد حوالي أربعة عشر عاماً كاملاً في حقل الدعوة الإسلامية هناك .

وثانيها أن المسلمين هناك لهم مطلق الحرية في أن يتخذوا من الوسائل ما يحفظون به على عقيدتهم الإسلامية وشخصيتهم وأن الجالية الإسلامية في تلك البلاد قد نمت نمواً ملحوظاً في السنوات العشر الأخيرة ، وأن إنجلترا صارت محط أنظار عدد كبير من أثرياء المسلمين من العرب وغير العرب بحيث أصبح لكثير منهم فيها إقامة دائمة أو مؤقتة تتجدد كل عدة أشهر ووجد تبعاً لذلك رأس المال العربي بصورة ملحوظة يسهم في كثير من ألوان النشاط الاقتصادي والتجاري ، ومن الميسور إزاء هذه الظروف أن يتنفع المسلمون المقيمون في إنجلترا بجانب من بعض تلك الأموال التي تذهب للضرائب يستعينون بها على الاحتفاظ بشخصيتهم وإقامة مؤسساتهم من غير أن يكلفوا أصحاب رءوس الأموال شيئاً يذكر .

بداية المسلمين في إنجلترا :

بدأ المسلمون يتعرفون إلى إنجلترا

كان عليه واصبحت تجد جاليات عربية من بلاد عربية كثيرة وبخاصة مصر وفلسطين والعراق والسعودية والكويت ودولة الإمارات وعدة آلاف من لبنان بعد الحرب الأهلية اللبنانية ، وأصبح من المألوف أن تجد عرباً في كل ميادين الحياة خاصة ميدان المال والاقتصاد والتجارة ، وأصبح سراة العرب يمتلكون ثلاثين في المائة من مساكن الأحياء التي تقع في قلب مدينة لندن ، حتى إنه بعد أن تم بناء مسجد لندن المركزي في قلب لندن ارتفعت أثمان المنازل من حوله بمقدار ثلاثين في المائة عما كانت عليه من قبل نظراً لإقبال العرب والمسلمين على اقتناء منازل لهم من حوله .

عدد المسلمين في إنجلترا :

يقارب عدد المسلمين في إنجلترا المليون أو يزيدون قليلاً ويشكل الغالبية العظمى منهم القادمون من شبه القارة الهندية يليهم باقي دول الكومنولث في آسيا وأفريقيا ثم العرب الذين تزايد عددهم في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ ، وقد انضم إلى ذلك عنصر جديد هم المسلمون الإنجليز فقد تزايد إقبال الإنجليز على الإسلام في السنوات الأخيرة بصورة تلفت الانتباه ، وهؤلاء الداخلون في الإسلام من الإنجليز

ويتخذون منها مكاناً للإقامة مع مطلع هذا القرن وكان ارتباطهم بالإقامة هناك مؤقتاً أول الأمر جاءوا إليها عمالاً في السفن التي تقوم بنقل البضائع والمتاجر بين إنجلترا وموانئ الشرق العربي والإسلامي . ولعل هذا يكشف لنا عن السبب في وجود الجاليات العربية الإسلامية منذ البداية في المدن الساحلية والموانئ البحرية الإنجليزية مثل كارديف وليفربول وجلاسجو وساوث شيلد ، ومع مرور الزمن أخذت هذه الجاليات تنمو ويزداد عددها ويشجعها ذلك على الشعور بالاستقرار شيئاً فشيئاً حتى اتخذوا من هذه البلاد محل إقامة دائمة لهم ، وأخذوا يمارسون حياتهم هناك كما كانوا يمارسونها في بلادهم ، وقد التقيت منذ سنوات برجل يمني في مدينة ساوث شيلد طاعن في السن ، أحببت أن أعرف منه مدة إقامته بإنجلترا ، فأخبرني أنه قدمها لأول مرة عام ١٩١١ م . ومنذ عشر سنوات مضت لم تكن تجد من جاليات عربية في إنجلترا إلا جاليات قدمت من اليمن الشمالية والجنوبية عن طريق عدن انضم إليهم جماعات من الصومال وكونوا لهم مجتمعات تعيش في المدن التي سبق ذكرها ويعملون معاً في الموانئ والسفن ، أما في السنوات العشر الأخيرة فقد تغير الوضع كما

يقيمونها على أسس إسلامية بحثة ،
ويصبغون الحياة فيها بالصبغة الإسلامية
حتى ينشأ الجيل الجديد منهم بعيداً عن
الضغوط التي تحيط به من منهج الحياة
الغربي ، وقد اشترى قرية في إحدى
المقاطعات الجنوبية الشرقية لإنجلترا بها عدد
من المساكن ويحيط بها حوالى سبعين فداناً
بلغ ثمنها سبعين ألف جنيه إسترليني ، لم
يكن معهم منها إلا عشرة آلاف كان قد
دفعها لهم الشيخ سلطان القاسمي حاكم
الشارقة ، فتقدم أحدهم وضمن المبلغ
الباقى باسم وقف أسرته ووضعها تحت
تصرف الجماعة وعاش معهم فيها كواحد
منهم لا ميزة له على أحد منهم مطلقاً وظل
الأمر كذلك حتى قدم لهم الشيخ سلطان
الستين ألف جنيه الباقية وأخذوا يتخذون
منها منطلقاً لنشاطهم واجتماعاتهم وفي
تخطيطهم للمستقبل أن يقوم في وسط هذه
القرية مسجد وبجانبه مدرسة يتعلم فيها
أبنائهم وتقوم الحياة فيها على أسس
إسلامية خالصة ولمن يريد أن يسكنهم فيها
من غير المسلمين الحق كله في أن يشاركهم
هذه الحياة بشرط أن يلتزم بما يلتزمون به
من سلوك وأخلاق ومعاملات .

وقد نجحوا حتى الآن في إقامة مطبعة
خاصة بهم طبعوا فيها عدداً من الكتب التي

يمثلون القطاعات المختلفة من أبناء الشعب
البريطاني فمنهم الأساتذة في الجامعات ،
ومنهم رجال الأعمال ، والشباب والطلاب
والعاملون في الميادين المختلفة ، وينطبق
ذلك على الجنسين من الرجال والنساء
وحسبك لتعلم مدى نمو إقبال الإنجليز على
الإسلام أن تعرف أن مجموعة ممن اعتنقوا
الإسلام في السنوات العشر الأخيرة قد
كونت لنفسها جمعية سموها جمعية المسلمين
الإنجليز ، أخذوا يثقفون أنفسهم إسلامياً ،
ويعيشون معاً عيشة تعاونية ، ويوجهون
جانباً كبيراً من أوقاتهم للدعوة إلى الإسلام
بين الإنجليز وغيرهم من بلاد الغرب خاصة
في أمريكا ، وأنهم استطاعوا أن يصدروا
مجلة تعبر عنهم وهي مجلة فصلية أنيقة
الإخراج والتبويب ، وأنهم كانوا يذهبون
إلى حديقة هايدبارك الشهيرة في لندن كل
يوم أحد يقيمون صلاة الظهر جماعة هناك
يؤمهم أحدهم أو أحد العلماء الزائرين
للندن من بلاد الإسلام ثم يجلسون بعد
الصلاة للإجابة على أسئلة الإنجليز الذين
تجمعوا حولهم يسألونهم عن دينهم وعن
صلاتهم وعن أسباب اعتناقهم لهذا الدين .
وقد رأوا أخيراً - بعد أن نما عددهم
وتزاوجوا فيما بينهم ونشأ منهم أطفال
مسلمون أن يكون لهم قرية خاصة بهم

ترجموها عن العربية وبخاصة من فقه الإمام مالك وبعض الكتب التي كتبها زعيمهم . وقد سمي نفسه عبد القادر الصوفي ، وافتتحوا لهم عدة مراكز للدعوة في عدد من المدن الأخرى في إنجلترا وغيرها من بلاد أوروبا وبخاصة في قرطبة وهم يأملون يوماً أن يقيموا صلاة الجمعة في مسجد قرطبة وهم مركز أو أكثر في أمريكا كذلك .

وهم خليط من ذوى الثقافات والأعمال المختلفة إلا أن سمة الشباب تغلب عليهم فنههم الكاتب والمؤلف ، ومنهم الكهربائي والنجار ، والحدّاء والطالب ، وقد بعثوا أحدهم يدرس الطب في أمريكا لمدة عامين ثم يصرح له أن يباشر العلاج بعد أن يجتاز امتحاناً بتفوق ، وقد قاموا أخيراً بمحاولة فذة وغريبة إذ بعثوا مجموعة منهم تتكون من ثلاثة رجال وزوجاتهم ليقوموا بالدعوة إلى الإسلام في نيجيريا ، ولما سئلوا عن سبب هذا الاختيار أجابوا بأن الأفارقة تعودوا أن يجدوا الرجل الأوربي يذهب إليهم في صورة المبشر بالدين المسيحي ، فأردنا أن نقدم لهم الرجل الأوربي داعياً إلى الإسلام . وقد اتصلوا بعدد من المؤسسات الإسلامية ذات الإمكانيات المادية الكبيرة ليتعاونوا معهم على الاستمرار في هذه المهمة إلا أنهم لم يجدوا أذنّاً صاغية حتى

الآن فيما أعلم .

ولهم محاولات جادة في تعلم اللغة العربية ، وقد حضر زعيمهم عام ١٩٧٦ إلى القاهرة والتقى بفضيلة المرحوم الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود الذى قرر على الفور قبول ثلاثة منهم بالأزهر لتعلم اللغة العربية وقد حضروا بالفعل وظلوا يتلقون العلم هناك لمدة عام أو عامين لست أذكر ، وكل هذه المحاولات تعكس مدى اهتمامهم وتحمسهم ، ولا يعيهم إلا أن فيهم تسرعاً في بعض الأحيان في الحكم على الأمور حسب ظواهرها ولكنهم لا يلبثون أن يدعنا للحق حيناً يتبين لهم ، وقد حاول بعض الناس أن يستغلوا فيهم ذلك الحماس فجروهم إلى المشاركة في بعض الأمور التي أخذت عليهم من انتقادهم لبعض الأمور في البلاد العربية التي لم يقفوا على جليلة الأمر فيها .

وقد تغلغل المسلمون في كل أنحاء إنجلترا بحيث إنه قلما تجد قرية ليس فيها أسرة مسلمة ، والمسلمون يشكلون ٢٪ من نسبة سكان إنجلترا ، ويعد أن استقروا في مناطقهم أخذوا يكونون لهم جمعيات يتعاونون من خلالها على تهيئة مكان يصلون فيه ويعلمون أولادهم وقد تعددت هذه الجمعيات حتى فاقت الحصر بحيث تجد

جمعية أو أكثر في كل حي حسب تزايد أعداد المسلمين ، وأخذت تدبر أمور الأعضاء على الصعيد المحلي وأهم ما تتجه إليه العناية أولاً توفير مكان للصلاة ولتعليم الأطفال مبادئ الدين وأصول القراءة والكتابة باللغة العربية حتى يتمكنوا من قراءة القرآن وتأدية الصلاة باللغة العربية ويتعاونوا في تحقيق ذلك مع المؤسسات الكبرى في داخل إنجلترا مثل المركز الإسلامي بلندن والمجلس الإسلامي الأوربي ، واتحاد الجمعيات الإسلامية ، واتحاد الطلاب المسلمين ، ودار الرعاية الإسلامية .

والحاجة ماسة إلى توجيه أكبر من العناية بالمسلمين في هذه البلاد لأنهم يواجهون تحديات أكبر من طاقاتهم ، حقيقة أنهم لا يواجهون أى ضغط رسمي يتعرض لعقيدتهم ومباشرتهم لها ، ولكن نظام الحياة الذى يحكم تلك البلاد ، ووسائل المعيشة ، ومنهج المجتمع الذى يتقبلون في جنباته وقيم ذلك المجتمع تختلف اختلافاً كلياً عن قيم الإسلام ونظمه ومنهجه في السلوك والأخلاق ، وهذه الأوضاع التى تسيطر على الحياة وتوجهها تمارس بصورة تلقائية في كل مظهر من مظاهر الحياة في المدرسة والشارع والحدائق

والمنازل والصحف والإذاعة والتلفزيون وإذا استطاع الجيل الذى وفد إلى تلك البلاد بعد أن تلقى قدراً كافياً من المعرفة والتربية الإسلامية في بلاده أن يدرك مدى مخالفة هذه الاتجاهات لما آمن به من عقائد وما نشأ عليه من مثل وما ألفه من أخلاق فإن الجيل الناشئ الذى ولد وترى في هذه البلاد يواجه تحدياً خطيراً يعيش معه في المدرسة والبيت من خلال أجهزة الإعلام وفي الطريق وساحات التزه في الحدائق والشواطئ ، وإذا لم يزود بوسائل على قدر مماثل من الاقتناع والتقدم الحضارى فينغمس فيما حوله من مظاهر الحياة وسيأخذ بها وينجرف في تيارها ، ويصبح الإسلام في وجدانه وتفكيره شيئاً غريباً ينتمى إلى مجتمعات أخرى لا تمت له بصلة أو بصلة تجعله يشعر بعدم الرضا من الانتساب إليها ، وهنا يكمن الخطر على الجيل الجديد من أبناء المسلمين في تلك البلاد ، فإذا كان الإسلام يكسب أتباعاً جديداً من الراغبين فيه من أبناء تلك البلاد فإن أضعافاً مضاعفة من أبنائه المحسوبين عليه سينسحبون من ركبته إذا ترك الأمر على ما هو عليه الآن .

وقد قامت المؤسسات الإسلامية بجهود دائبة تحاول بها أن تفعل شيئاً تحمى به هؤلاء من الضياع إلا أن الإمكانات الميسرة

لها غير كافية لتحقيق صورة مثلى تجعلها قادرة على التأثير المطلوب في هؤلاء الناشئين الجدد وفي كثير من الأحيان تأتي هذه المحاولات التي تقوم بها الجمعيات الصغيرة نتيجة عكسية تنفر الصغار من الإسلام وترزع في قلوبهم بطريق غير مباشرة الإحساس بعدم السعادة من الانتماء إليه . وينشأ ذلك عن الأسلوب الذي يأخذون به هؤلاء الصغار في تلقينهم الإسلام وسبب ذلك المقارنة التي تعيش في داخل الطفل من خلال ممارسته لوسيلتين من وسائل التعليم ، فهو في الصباح يذهب إلى المدرسة الحكومية يتلقى فيها مع غيره من أبناء الشعب الإنجليزي ما يتلقون من معارف وخبرات بطريقة تربوية حديثة وبأسلوب سهل مبسط يتفق مع قدرات الطفل ، ويساعد على تنمية قواه الفكرية وخبراته السلوكية ويحاط كل ذلك بوسائل متعددة من ألوان الراحة النفسية والجسمانية والمظاهر الجمالية التي تحيط به سواء في فناء المدرسة أو في حجرة الدراسة أو في وسيلة التعبير وطريقة المعاملة التي يلقاها ممن يتولون تعليمه مدرسين ومدرسات فإذا ما انتقل من ذلك الجو المريح للنفس المغير للعقل المتفهم لطبيعة الطفل في تلك المرحلة ، وأخذ في وقت غير مناسب وفي مكان غير معد

وأجلس أمام شخص غير معد إعداداً ثقافياً كافياً أو مؤهل تأهيلاً تربوياً مناسباً ، ثم أجبر على ترديد كلمات وعبارات لم يجهدها التمهيد الكافي وأفهم أن هذا هو الإسلام أو أنه يوضع في هذا الموضع غير المريح ليتعلم الإسلام ارتبط في ذهنه اليافع وانغرس في قلبه الغرض أن الإسلام شيء غير محبب ولا سهل القبول ، ونفر منه ، وارتبط في نفسه بمظاهر التخلف التي ينتهي إليها من المقارنة التي تتعقد في نفسه بين ما يراه في المدرسة خلال الأسبوع وبين ما يؤخذ به من هذه المظاهر التي صورناها في آخر الأسبوع وقد حاولت المؤسسات الواعية أن تتلاقى هذا بقدر المستطاع كما يحاول المركز الإسلامي أن يفعل في القصور التي يديرها إلا أن ذلك جهد محدود يحتاج إلى تأييد وإمكانات مادية واسعة تجعله يؤدي الهدف المقصود منه ، والعلاج الحاسم لهذه الظاهرة فيما أعتقد أن تنشأ مدارس إسلامية كاملة يتلقى فيها التلاميذ المناهج الإنجليزية كغيرهم من أبناء المدارس الأخرى ويضاف إلى ذلك دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي ومن حسن الحظ أن قوانين التعليم في بلد مثل إنجلترا لا تمنع في ذلك .

وقد قامت الجاليات الأخرى بإنشاء مثل هذه المدارس لأطفالها وتتلقى من وزارة

التربية والتعليم في إنجلترا مساعدات مالية تعادل ثمانين في المائة من النفقات التي تحتاجها هذه المدارس سنوياً بعد أن تقدم المبنى المناسب الذي تتوافر فيه الاشتراطات الصحية والجمالية المطلوبة في المدارس الأخرى وقد تقدمت بمشروع جعلته كنموذج لهذه المدرسة منذ عام ١٩٧١م وعرض على مجلس السفراء المسلمين في حينه وأرسل إلى مؤتمر وزراء خارجية المسلمين في جدة وأرسلت نسخ منه إلى عدد من ملوك وأمراء ورؤساء الدول الإسلامية ولكن لم يتقدم أحد لتبني هذا المشروع بعد والقيام بعمل جدى لحياة مستقبل الإسلام في هذه البلاد والإمكانات المالية متوفرة لدى البلاد الإسلامية ، وهناك من المؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامى من يستطيع النهوض بهذا الأمر ليس في إنجلترا وحدها ولكن في كل البلاد الأوروبية والأمريكية التي يوجد بها جاليات إسلامية مماثلة تتعرض لمثل الظروف التي أشرنا إليها .

هذه صورة تحتاج إلى علاج سريع من حكام المسلمين والقائمين على المؤسسات الإسلامية الكبرى في العالم الإسلامى مثل الأزهر ورابطة العالم الإسلامى ومؤتمر الدعوة الإسلامية ووزارات الأوقاف

والشئون الإسلامية في الكويت وقطر ودولة الإمارات العربية وبعض هذه المؤسسات عنده الكفاءات العلمية والثقافية وبعضها عنده الإمكانات المادية التي تكفل نجاح هذه المشروعات الحيوية بالنسبة لمستقبل المسلمين في تلك البلاد ولا يحتاج الأمر إلا لقدر من التنسيق والتعاون ، والنظر إلى المصلحة الإسلامية البحتة بالدرجة الأولى بصرف النظر عن أن يقترن اسم تلك المؤسسة أو الدولة بذلك المشروع أو ذاك . والصورة الثانية التي تحتاج إلى العناية إقامة المساجد التي تتخذ شكلاً واسعاً الآن - فقد قام عدد من المساجد في أنحاء مختلفة من إنجلترا وهناك أعداد لاهصرها من المشروعات التي تضع في خطتها إقامة مساجد ومدارس في مناطق عديدة من إنجلترا إلا أن هذه المشروعات بعضها طموح لا يتفق مع القدرات الميسرة لتلك الجماعات ، وبعضها يتقدم به آخرون لا لشيء إلا لتقترن أسمائهم بذلك المشروع أو ذاك سواء كان قائماً على دراسة ميدانية للاحتياجات الفعلية للجمالية أولاً . وترتب على ذلك أن تعددت تلك المشروعات وزاحم بعضها بعضاً وحارب بعض القائمين بها البعض الآخر ، وهذا واقع ملموس يحسه من عايش المسلمين في تلك البلاد

المشروعات الإسلامية في إنجلترا مثلاً وتقوم مثيلات لها في البلاد التي لها ظروف مماثلة يتكون أعضاء هذه اللجنة من شخصيات تمثل سفارات الدول التي تقوم بالمساعدات المالية ومعهم ممثل من المركز الإسلامي في لندن والمجلس الإسلامي الأوربي وقد يمتاز معهم من يرد الحاجة إلى مساعداته ، تقوم هذه اللجنة بتلقى الطلبات التي تتقدم بها الجماعات الإسلامية المختلفة وتدرس مدى جديتها ، ثم تحول المساعدات المالية باسم تلك اللجنة ، وبعد القيام بالدراسات المطلوبة تقرر اللجنة بناء على ماتراه من جدية المشروع ومدى الحاجة إليه المساعدة المطلوبة لبنائه ، وعن هذا الطريق نضمن تحقيق أمرين رئيسيين هما مساعدة من يحتاج المساعدة فعلاً ، وتوجيه الأموال وجهة صحيحة يظهر أثرها بين المسلمين ، ويقطعون الطريق على النزعات الشخصية والصراعات المذهبية والأقليمية التي أخرجت كثيراً من المشروعات النافعة .

هذا استعراض سريع أرجو أن أكون قد ساعدت من خلاله على إلقاء الضوء على أوضاع الأقليات الإسلامية في أوروبا بعامة وإنجلترا بخاصة .

والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق .

د . محمد إبراهيم الجبوشي

وعرف مشاكلهم ودرس احتياجاتهم ، ويتقدم جميع هؤلاء إلى المسؤولين في العالم العربي عن المؤسسات الإسلامية يطلبون معاونتهم في تحقيق المشروع المقترح وكثيراً ماتستجيب تلك المؤسسات أو بعضها لطلب يصلها من هنا أو من هناك . فتساعد على بدء التنفيذ ثم تعجز الموارد المتاحة عن إتمام المشروع فيضيع المال في غير فائدة ملموسة ولايتحقق النفع المرجو لأبناء الجالية ، والسبب في ذلك هو الارتجال وعدم التنسيق بين المؤسسات القادرة على المعاونة لعدم توفر الدراسات الكافية لديها عن مدى مايتسم به ذلك المشروع أو ذاك من جدية وما يترتب على إقامته من منفعة لأبناء الجالية المقيمين في المنطقة المحيطة به ، ورغبة في أن تؤدي المساعدات دورها الفعال في معاونة من يحتاجون العون ، وأن تذهب هذه المساعدة للجمعيات الجادة التي يتوفر لدى أعضائها الصدق والإخلاص والرغبة في العمل والتي لديها من الإمكانيات المادية ماتتمكن بواسطتها من الإنفاق على استمرار المشروع بعد إقامتها حتى نضمن له الاستمرار في خدمة أبناء المسلمين أقترح - ونعيد الاقتراح الآن من على صفحات هذه المجلة - أن تنشأ لجنة تسمى لجنة المساعدات الإسلامية أو

وثيقة تاريخية

كان يمكن أن تتحول بريطانيا إلى إمارة إسلامية وتدفع الجزية
بقلم : المؤرخ البريطاني جابريل روفى

فى عام ١٢١٣ ، وبحركة يائسة من الملك جون لاكلاند أرسل وفداً سرياً من ثلاثة أشخاص ، إلى الأمير محمد الناصر ، الحاكم المغربى القوى ، ليعرض له ولاءه وليعبده بأنه سيكون أى الملك جون لاكلاند تابعاً مخلصاً ، فيما إذا قبل الأمير أن تكون بريطانيا تحت الرعاية العربية ، وليؤكد له أن الدخول فى الإسلام هو الخرج من ضغط المشاكل السياسية التى تلح عليه .

لقد وقع بالصدفة بين يدى ، النص الحرفى لما حملة الوفد ، فى دورية قديمة ، كانت تصدر فى ذلك الوقت عن أحد الأديرة ، عندما ، كنت أجرى أبحاثاً على الكاهن الكاثوليكي روبرت دى لندن ، الذى كان صدر بحقه حرمان كنسى ، ونفى من بريطانيا ، بسبب دوره فى ثورة الماغنا كارتا .

هذه الحلقة الواقعية المنسية ، من التاريخ البريطانى ، سجلها ماتيو باريس ، المؤرخ الإخبارى الدقيق لأحداث القرن

فما يلى النص الحرفى لوثيقة تاريخية هامة ، يكشف عنها المؤرخ البريطانى فى كتابه the tartais khanis english gabriel roray الذى صدر منذ عدة أسابيع فى بريطانيا . وقد قامت صحيفة الصنداي تايمز بنشر هذا الجزء من الكتاب .

وهو جزء يبين جانباً تاريخياً هاماً ومهملاً معاً ، وهو أن ملك بريطانيا جون لاكلاند (الصورة) قدم بريطانيا للمسلمين كى تعتنق الإسلام ، أو تدفع الجزية - وكى تكون تابعة للدولة الإسلامية ، غير أن الزعيم العربى محمد الناصر رفض هذا العرض ، لأنه اعتبر ملك بريطانيا أحق ولا يستحق التحالف معه !

ستكون صدمة لكل من تأثر بـ « غزو » العرب الحالى للعاصمة البريطانية لندن ، ذلك أن لحظة حاسمة من التاريخ البريطانى ، كان ستقرر مصير الاعتقاد الدينى السائد ، فلولا الصدفة وحدها ، لأصبحت بريطانيا المسيحية بلداً مسلماً منذ ثمانية قرون .

الوفد بمهارة خطابية هائلة عن غنى الأرض الإنجليزية .

وخصوبة حقولها ومهارة شعبها العظيم الحاذق الخلاق ، ومعرفة هذا الشعب للغات الثلاث : اللاتينية والفرنسية والإنجليزية وإتقانهم لكل مهنة عقلانية . وكان رد الأمير المغربي المسلم رداً حقيقياً جاء فيه :

« لم أقرأ أو أسمع قط أن ملكاً يمتلك مثل هذه البلاد المزدهرة الخاضعة المطيعة له عن طوعية ، يقوم بتدمير سيادته واستقلاله يجعل بلده الحريدفع الجزية لغريب . علماً أنها يجب أن تكون ملكه وله وحده . وتحويل السعادة إلى بؤس ، فيسلم نفسه لإرادة آخر ، ويهزم بلده دون سبب » . وطلب الأمير من أعضاء الوفد ألا يمثلوا في حضرته ثانية ولدى عودتهم إلى بريطانيا « بكى الملك جون لان مساعيه قد أحبطت » . وربما اعتقد أن بارونات قد خدعوه وخانوه . لكنه وضع الكاهن اللندني مسؤولاً عن جميع شؤون دير القديس البانز كمكافأة له . غير أن مسؤولياته عن هذا الدير انتهت ، لأن الرهبان رشوا الملك لإزاحته بسبعائة من الماركات الفضية (المارك وحدة نقدية إنجليزية قديمة تعادل ١٣ شلناً و ٤ بنسات) . .

الثالث عشر ، الذى أخذ حقائقه واستقاها من مصادرها .

وحسب مايقول باريس ، أن رجال الوفد الثلاثة كانوا مكونين من البارونين توماس هارنجتون ورالف فيتزسنكولاس ، والسيد روبرت دى لندن غير أن باريس لم يقدم أى تفسير لضم الكاهن اللندني للوفد ، إلا أن السبب الأكثر ترجيحاً ، هو أن الملك جون لاكلاند ، عهد إلى السيد روبرت بإدارة شؤون أبرشيته الخاصة ، ولذلك فهو من المقربين والموثوقين ، وبالتالي فإن فى اشتراكه فى الوفد يشكل ضماناً ضد البارونين كى لايمارسا عليه خداعاً فى أثناء تأدية المهمة .

وكان توماس هارنجتون ، رئيس الوفد كان قد أعطى تعليمات من قبل الملك ؛ ليبلغها إلى أمير أفريقيا العظيم وأمير المغرب وإسبانيا ، بأنه - أى الملك البريطانى سيتنازل عن طوعية وطيب خاطر ، عن مكانته ومملكته ، ويصبح تحت تصرف الأمير العظيم . وإذا كان يسره فإنه يضع بريطانيا أمانة بين يديه ، ويتخلى عن الاعتقاد بالديانة المسيحية ، ويتمسك ويلتزم بكل إخلاص بدين وعقيدة محمد . ونقلت رسالة الملك جون أو تعليماته إلى الأمير بواسطة مترجم ، حيث كان رئيس

دعوة إلى تدوين التاريخ الحزنى الإسلامى

الدواء/ محمد جمال الدين محفوظ

وأساليب إدارة معاركها وعملياتها الحربية بما يحقق الهدف المنشود بأقل الخسائر والتكاليف وفى أقصر وقت . .

وليس هناك قائد شهير على امتداد تاريخ الصراع البشرى الحافل ، إلا وكانت إنجازاته فى مسرح الحرب وليدة اهتمامه الفائق بدراسة معارك الماضى ، وشغفه الشديد بالإحاطة التامة بكل دقائق الحروب وتفصيلها . وعلى الجانب الآخر يقف القادة المنهزمون يعضون بنان الندم لجهلهم بالتاريخ العسكرى الذى أودى بهم ودفع بجيوشهم إلى الفشل والهزيمة . يقول المشير مونتهجرى فى كتابه (الحرب عبر التاريخ) :

«إن القيمة الحقيقية للحرب الطويلة فى الماضى هى فى الخروج بالحقائق واستخلاص العبر والدروس المفيدة ، وهناك قدر كبير من الخبرة العظيمة والتجارب الكثيرة ، مدفون تحت أنقاض الماضى السحيق والعصور المتعاقبة

كان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يعلم بنيه المغازى والسرايا ويقول : يا بني . . إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها

● من أهم ما تعنى به الأمم الحية تدوين تاريخها الحزنى . فالوقائع الحربية فى حياة الأمة أحداث جسام ذات صلة مباشرة بأمنها وسلامتها ، ولها آثار بعيدة المدى على كيانها ووجودها ومصيرها . . ولابد للأمم التى تلقى بأعلى ما عندها من قوى بشرية واقتصادية وسياسية ومعنوية فى الصراع مع أعدائها من تقييم ما قامت به من عمل وجهد لاستخلاص الدروس النافعة لها فى حاضرها ومستقبلها . .

والتاريخ الحزنى بالنسبة لصناعة الحرب ، كالشرائح بالنسبة لمهنة الطب . فكلاهما يمنح من يمارسه من الخبرة والمهارة ما يجنبه مواطن الزلل ، ويعصمه من الوقوع فى الخطأ مرتين ، ويفتح أمامه آفاقاً عريضة للابتكار والتطوير والتجديد فى مختلف مجالات التخطيط للحروب ،

مجلدا بلغت جملة تكاليفها قرابة سبعة ملايين من الدولارات هذا مثل على اهتمام الدول بتدوين تاريخها الحربى . .

● والذى نلاحظه أن الأمة الإسلامية لم تكن بتدوين تاريخها الحربى على النحو الذى يتكافأ وقدرها ومكانتها بين الأمم ونتج عن ذلك أمران :

الأول : أن رجال العسكرية فى كثير من الدول العربية والإسلامية لا يدرسون إلا التاريخ الحربى للدول الأجنبية ونظريات الحربية وأعمال قادتها ، وكأنه ليس للعرب والمسلمين ، تاريخ حربى أو نظريات حربية أو أعمال قادة تستحق الدراسة

الثانى : أن المؤرخين العسكريين الأجانب أباحوا لأنفسهم أن يهونوا من عظمة المسلمين وما أظهروه من عبقرية حربية ، ومنهم من بلغ حد الادعاء بأن الإسلام متخلف أو لم يضيف جديدا فى مجال العلم العسكرى وفن الحرب !^(١)

(١) انظر التفاصيل فى المؤلفات التالية (على سبيل المثال) صفحة ١٩٩ إلى ٢٠١ من كتاب .

The Encyclopedia of Military History (By. Ernest Dupuy & Trevor N. Dupuy).

وصفحة ١٢٠ إلى ١٢٣ من كتاب The Arabs, A Short History (By. Philip K. Hitti).

وصفحة ٤٣ إلى ٤٦ من كتاب War Through The Ages (By. Lynn Montross).

وصفحة ٤٠٥ من دائرة المعارف البريطانية ج ٢

للحروب ، ولن يستطيع القادة الإفادة منها إلا بوجود المؤرخين العسكريين الذين يخرجونها من تحت أنقاض الماضى » ويقول ماوتسى تونج فى كتابه (كتابات حربية مختارة) :

« إن القوانين والنظريات العسكرية ماهى إلا حصيلة وخلاصة الحروب الماضية ، والتى وضعها الأقدمون أو المعاصرون ، وهذه الخلاصة يجب علينا دراستها دراسة عميقة واختبار نتائجها على ضوء ما اكتسبناه نحن من تجاربنا ، ثم استيعاب الجوانب القيمة لهذه النتائج مع رفض الضار منها وإضافة ما يمكن إضافته إليها من خبراتنا ، وهذه الإضافة هامة جدا ، إذ بدونها لن نتمكن من تطوير وتوجيه الحرب »

من أجل ذلك بلغ اهتمام الدول بتاريخها الحربى أن جعلت له أجهزة وإدارات متخصصة تتفرغ لتدوينه .

فقبل أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها ، كانت إدارة التاريخ بوزارة الحرب الأمريكية قد جمعت أكثر من مائتين من الضباط والعلماء ، وناطت بهم مهمة كتابة تاريخها الحربى . . وقد استغرق منهم إنجاز هذا العمل القومى أربعة عشر عاما ، أتموا خلالها تأليف سبعة وعشرين

ولقد كانت عناية المسلمين الأوائل بالتاريخ الحربى واضحة ، وهو ما نلمسه فى قول زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم :

« كنا نعلم مغازى رسول الله ﷺ ، كما نعلم السور من القرآن »

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : « كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول : يابنى إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها »

ويسمى الزهرى التاريخ الحربى « علم المغازى » ويقول : « فى علم المغازى خير الدنيا والآخرة »

● لكن أهم ما يلاحظ - للأسف الشديد - أن مؤرخى السيرة تناولوا المعارك الحربية بأسلوب السرد التاريخى للوقائع بحيث لا يجد الباحث العسكرى ما يشفى غلته من بيانات وتفاصيل ومخططات وخرائط وتحليل وغيرها مما تعارف عليه العسكريون فى تسجيل التاريخ الحربى .

يقول الجنرال جون باجوت جلوب فى كتابه « الفتوحات العربية الكبرى » « لقد واجه مؤرخو الفتوحات العربية الأولى مشاكل عدة من النوع الذى يقطع

ولسنا بحاجة إلى إيضاح عناية الإسلام بالتاريخ ، وحث المسلمين على النظر فى آثار السابقين لاستخلاص الدروس والعبر التى يسترشد بها ، والتجارب التى ينتفع بها ، والله عز وجل يقول : (فاعتبروا يا أولى الابصار) ، (الحشر ٢)

فالقرآن الكريم يقص علينا أحسن القصص لتتعظ وتندبر فنعرف أحوال القرون الغابرة ، ونتيجة الصراع بين الخير والشر ، يقول الله تعالى :

● (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ، (يوسف ١١١)
● (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذابين) ، (آل عمران ١٣٧)

● (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم) ، (النساء ٢٦)

● (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاء فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) ، (هود ١٢٠)

● (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا) ، (طه

(١٠) الفتوحات العربية الكبرى - تعريب وتعليق

وهى المظاهر التى يعتبرها المؤرخون اليوم شيئا حيويا . وكانوا يكتبون فى وصف معركة من المعارك الحربية بالقول بأن « مشيئة الله أرادت أن ينهزم الكفرة » وكثيرا ما افتقرت التواريخ التى أوردوها إلى الدقة . وكان الواحد منهم يختلف عن الآخر ، فى تحديد تاريخ معركة من المعارك بنحو عامين على الأقل ، وكثيرا ما لف الغموض والإبهام تقديراتهم للقوات المتحاربة . وعلى الرغم من ميلهم إلى إعطاء الأرقام القريبة من الصحيحة بالنسبة إلى قوات المسلمين ، إلا أنهم كانوا يبالغون فى تقدير قوة أعدائهم « وبالإضافة إلى افتقار هؤلاء المؤرخين إلى الاهتمام بالعمليات العسكرية فإنهم دونوا تواريخهم ، وقد حرموا من ضرورة وجود خرائط عسكرية تشرح هذه المعارك . فبالنسبة إلينا نحن ألقنا النظر إلى الخرائط منذ نعومة أظفارنا وتعودنا تصور المواقع المتصلة بمختلف الأماكن . نرى من المتعذر علينا أن نتصور كيف يمكن للمرء أن يتابع الحديث عن معركة من المعارك دون أن تكون هناك خريطة يتابع عليها هذا الحديث . ومن الواضح حقا أن المؤرخين العرب لم يكونوا على فهم صحيح بالمعارك والحملات الحربية التى يتحدثون عنها .

الأنفاس حله . فعندما اندفع العرب فى القرن السابع الميلادى من جزيرتهم ليقبضوا إمبراطورية كانوا لا يزالون بوجه عام خامات غير مصقولة ، تجهل القراءة والكتابة . ولما كان جل اهتمامهم منصرفا إلى العمل ، فقد فاتهم أن يدونوا ما عملوه ، بل لم يكلفوا أنفسهم عناء تدوينه .

ولم يظهر المؤرخون (العرب) الكبار إلا بعد نحو قرنين من وفاة النبی وبعد أن تحولت السيطرة فى الإمبراطورية الإسلامية من أيدي العرب إلى أيدي الشعوبيين «

« ومن هنا نستطيع القول بأن وجهات نظر هؤلاء المؤرخين كانت إسلامية أكثر منها عربية ويضاف إلى هذا أن أيا من المؤرخين لم يكن من أصل عربى صميم . وقد نشأوا فى بلاد مختلفة فبعضهم من المغرب وبعضهم من الأندلس وبعضهم الثالث من فارس . ولم يكن بينهم مؤرخ واحد من العرب البداة الذين جاءوا من الجزيرة العربية وحققوا تلك الفتوحات العظيمة ، ومن هنا يتبين أن مؤرخى العصر العباسى ، لم يكونوا على اطلاع صحيح على الحياة البدوية التى عاشها الفاتحون الأول . كما أنهم لم يكونوا كثيرى العناية بالعمليات العسكرية . ولم يكونوا يهتمون أيضا بالغ الاهتمام بالتواريخ والأرقام والحقائق ،

وهذه هي الصعوبة الأولى وكأنها إحدى اللغات الميتة . وقد قام المستشرقون الأوروبيون بمهمة عظيمة بترجمتهم كتب الأدب العربية القديمة إلى الإنجليزية ؛ وإن كانوا قد ركزوا عملهم على النواحي الدينية والسياسية والعلمية في المخطوطات الباقية دون أى تركيز على النواحي العسكرية . ولم تكن الفرصة لتتاح إلا نادرا للعسكريين المحترفين لتعلم لغة من اللغات الميتة مع ما فى هذه اللغة من صعوبة » .

« أما الصعوبة الثانية فهي أن الجزيرة العربية كانت حتى الخمسين سنة الأخيرة منيعة الاختراق إلا لأكثر المكتشفين جرأة ومخاطرة ، وهكذا كان من المستحيل بالنسبة إلى المؤرخ الغربى أن يدرس على الطبيعة مواقع هذه المعارك . أو يطلع بنفسه على طراز العرب الذين خاض أمثالهم تلك المعارك التى أدت إلى هذه الفتوحات العظيمة »

« أما الصعوبة الثالثة فهي أن أوروبا ظلت قرونا طويلة تعتبر الفتوحات الإسلامية كوارث رهيبة . ولم يكن ثمة مسيحي يود أن يذكره الناس بها ، وليس المؤرخون إلا بشرا . ولذا تثبط عزائمهم إذا لم يجدوا من يقرأ لهم ؛ فلقد كتب سيمون أوكلى ، وهو أحد المؤرخين الإنجليز الأوائل

وكل ما بقى هنالك اسم موقع هنا أو موقع هناك - تناقلته القصص والروايات القديمة . ومازال قيد الاستعمال حتى يومنا هذا متيحا المجال للمؤرخ المعاصر العثور على أثر أو علامة تصل به إلى الحقيقة »

« وأرى لزاما على أن أورد هنا نقطة أخرى تتعلق بالسجلات العربية الأولى فلم يكن المؤرخون وناقلو السير واضحين كل الوضوح فى ترديد أسماء مصادرهم أو فى الرجوع بهذه المصادر إلى أولئك الذين شهدوا هذه الأحداث التى يدونونها هم عند وقوعها - وكان المؤرخ يحس بعد أن يسرد قائمة بأسماء مصادرهم أن مهمته قد انتهت - فلا يقوم بأية محاولة أخرى للتثبت مما إذا كانت الأحداث التى يصفها ويسردها قد وقعت حقا . وعندما تكون هناك روايتان عن حادث واحد ، أو مجموعة من الروايات المتناقضة ، يكتفى المؤرخ بسردها كلها . مسندا كل رواية منها إلى مصادرهم ومراجعها . وتاركا للقارئ نفسه مهمة الخروج بالرواية الصحيحة من هذه الروايات المتضاربة »

« وقد سارت هذه المتاعب الموروثة من الماضى جنبا إلى جنب مع متاعب لانقل عنها أهمية نشأت فى العصور الحديثة . فلقد كانت العربية تعلم منذ قرون فى إنجلترا ،

الآيات أو قيلت فيها الأحاديث ، فعمدوا إلى جمع السيرة النبوية لأنها شاملة لكل ذلك فتناقلوها مدة ثم دونوها - وأول من دونها على المشهور محمد بن إسحق المتوفى سنة ١٥١ ، ألفها للمنصور - على أننا رأينا فى كشف الظنون أن محمد بن مسلم الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ ألف كتابا فى المغازى وقد توفى قبل ابن إسحق ببضع وعشرين سنة - ولكن يؤخذ من ترجمتها فى وفيات الأعيان إنها كانا متعاصرين - ويقال أيضا أن أول من صنف المغازى والسير عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٣ هـ ووهب بن منبه المتوفى سنة ١١٤ وعلى أى حال فإن هذه السير ضاعت ، وأقدم ما وصل إلينا منها سيرة عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٣ هـ فى كتابه المعروف بسيرة ابن هشام ، وهى منقولة عن ابن إسحق المذكور وقد طبعت غير مرة .

ولما اشتغل المسلمون فى ضرب الخراج على البلاد ، اختلفوا فى بعضها : هل فتح عنوة أو صلحا أو أمانة أو قوة ، وفى شروط الصلح أو الأمان فاضطروا إلى تدوين أخبار الفتح باعتبار البلاد ، فألفوا كتباً فى فتح كل بلد على حدة ، كفتوح الشام للواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وكتابه مشهور لكنه مملوء بالمبالغات بما يشبه الحكايات - وفتوح

الذين أروخوا الفتوحات العربية بعض كتبه العظيمة وهو رهن السجن فى كمبردج وفاء لدين عليه - ولم يكن دخله من بيع كتبه كافيا لتمكينه من إعالة أسرته - ولقد كتبت ألوف الكتب منذ عصر النهضة عن تاريخ الإمبراطورية الرومانية . أما عدد الكتب ذات المستوى الطيب عن الفتوحات العربية فى اللغة الانجليزية فلا يعدو أصابع اليد الواحدة »

هذا ما قاله الجزال جلوب ، وفيه - من وجهة النظر العسكرية البحتة - ما يكشف أوجه القصور فى كتابات مؤرخى معارك الإسلام .

● ويتصل بهذا الموضوع ما ذكره جورجى زيدان^(١) فى (تاريخ التمدن الإسلامى) من مصادر التاريخ الإسلامى ، وفيه بيان لأسلوب تدوين التاريخ الحربى ومتى بدئ فيه .

«للتاريخ الإسلامى مصادر كثيرة تدرج فيها على مقتضى الأحوال ، وإليك تمثيل ذلك :

لما اشتغل المسلمون بجمع القرآن وتفسيره وجمع الأحاديث احتاجوا إلى تحقيق الأماكن والأحوال التى نزلت فيها

(١) جورجى زيدان - تاريخ التمدن الإسلامى ج

أكثر أم الأرض كتباً في التراجم لأفراد الرجال .

وأقدم كتب الطبقات التي وصلت إلينا كتاب طبقات الصحابة لمحمد بن سعد المعروف بكتاب الواقدي المتوفى سنة ٢٣٠ هـ وهو كبير ربما دخل في بضعة عشر مجلداً ، ويحتوي على تراجم الصحابة والتابعين والخلفاء إلى أيام المؤلف وكان هذا الكتاب مشتملاً في مكنتات العالم ، ومنه الجزء الثاني في دار الكتب الخديوية (المصرية) بمصر ، وقد علمنا ونحن نخط هذه الحروف أن جمعية ألمانية شرعت في طبعه وأصدرت الجزء الأول منه ثم طبقات الشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وقد طبع في ليدن في هذا العام بعناية الأستاذ دى خويه المستشرق الهولندى الشهير ثم ألف الناس طبقات كثيرة في أزمنة مختلفة ، ومنها استخرجوا كتب التراجم الكبرى ، كوفيات الأعيان ، والوفاء في الوفيات ، وفوات الوفيات وغيرها مما سيأتى ذكره ، غير التراجم الدخيلة في تواريخ البلاد ، كتاريخ دمشق لابن عساكر في ثمانين مجلداً ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي في نحو ذلك وفيها تراجم كثيرة .

وكان طلاب الأدب الراحلون في جمع اللغة والشعر من أفواه أهل البادية يلتقطون

مصر والمغرب لابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ، وفتوح بيت المقدس ونحوها . ثم جمعوا فتوح البلاد معا في كتاب واحد كفتوح البلدان للبلاذرى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وهو أوثق كتب الفتح وأشملها وأقدم ما بين أيدينا منها ، إلا الواقدي . « وقد رأيت فيما تقدم من كلامنا عن القرآن والحديث والنحو والأدب ، أن العلماء اضطروا لتحقيق مسائل هذه العلوم إلى البحث في أسانيدنا والتفريق بين ضعيفها ومتينها ، فجرهم ذلك إلى النظر في رواة تلك الأسانيد وتراجمهم وسائر أحوالهم ، حتى أصبح من شروط الاجتهاد في الفقه معرفة الأخبار بمتمونها وأسانيدنا ، والإحاطة بأحوال النقلة والرواة : عدوها وثقاتها ومطعونها ومردودها ، والإحاطة بالوقائع الخاصة بها فقسما رواة كل فن إلى طبقات ، فتألف من ذلك تراجم العلماء والأدباء والفقهاء والنحاة وغيرهم ، مما يعبرون عنه بالطبقات ، ومنها طبقات الشعراء ، وطبقات الأدباء ، وطبقات النحاة ، وطبقات الفقهاء وطبقات الفرسان والمحدثين واللغويين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنسابين والأطباء حتى الندماء والمغنين وغيرهم ، وألفوا في كل باب غير كتاب . ولذلك كان المسلمون

ويدون تحليلها والبحث عن دوافعها ونتائجها القريبة والبعيدة .

والطريق الثانى ، اتجه إلى الاهتمام بالتعليق والتحليل لحدث من أحداث التاريخ دون الاهتمام بسرد الأحداث التاريخية المتتابعة .

وقد عنى المؤرخون القدامى بالطريق الأول فألفوا الكتب الضخمة لسرد الأحداث التاريخية ، وعنى المؤرخون المحدثون بالطريق الثانى فامتازت كتاباتهم بأنها تحليل لحدث واحد من أحداث التاريخ ، أو شخصية واحدة من الشخصيات التاريخية .

ومن الواضح أن الطريقتين يكمل أحدهما الآخر . ولا يستقيم أحدهما وحده ، فالأحداث التاريخية دون فهم وتحليل عمل يعتبر ساذجا محدود النفع ، وتحليل حدث واحد دون فهم سلسلة الأحداث التاريخية غير كاف ، فهو ترف عملى يحتاج إلى أساس يبنى عليه

والمؤرخون القدامى بالإضافة إلى عدم اهتمامهم بالتحليل والنقد كانوا غالبا يدونون التاريخ على نسق تدوين حديث الرسول ، فيذكرون الروايات المختلفة للحدث الواحد ، ويذكرون الرواة متسلسلين الواحد بعد الآخر ولا يهتمون بالأسلوب

أخبار العرب ووقائعهم وحوادثهم ويدونون ذلك فى كتب الأدب كما تقدم . ناهيك بالأخبار المستخرجة من تلك الأشعار .

قال ابن يونس : « لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس ، ولما استبد بنو أمية بالخلافة واعوجوا فى أحكامهم عن سبل الخلفاء الراشدين ، كثر تحدث الناس بأخبار الراشدين وتذكر أعمالهم المؤسسة على العدل والرفق - وذلك طبعى فى هذه الأحوال . ثم ألف بعضهم كتباً فى تاريخ الخلفاء الراشدين ، ثم فى الخلفاء على الإجمال ، وأقدمهم الدينورى المتوفى سنة ٢٨١ هـ ، ويقال نحو ذلك فى تأليف تراجم الوزراء ، وتواريخ عمال الشرطة وتواريخ الأذكىاء والبخلاء والعشاق وغيرهم »

● ويوضح الأستاذ الدكتور أحمد شلبي^(١) المنهج الذى اتبعه المؤرخون القدامى فى كتابة التاريخ الإسلامى فيقول :

« ظهر فى كتابة التاريخ الإسلامى طريقتان :

أحدهما ، سرد الأحداث فى نظام الحوليات أو بدونه ، من غير تعليق عليها ،

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - ج ١ ص ٥٧ - ٥٨

الذى يكتبون به ، وكل هذا جعل دراسة التاريخ صعبة المثال .

وفى سنة ٦٥٦ هـ حدث حادث خطير فى العالم الإسلامى هو سقوط بغداد فى أيدي التتار ، وقتل الخليفة العباسى ، وإنهاء الخلافة العباسية بالعراق ، والذى يعنينا من هذا الحادث هنا هو خطورته على كتابة التاريخ الإسلامى ، فقد كانت الخلافة العباسية حتى فى فترات ضعفها رباطا يربط بين أكثر أجزاء العالم الإسلامى ، وكان من المؤرخين من يكتب تاريخ العالم الإسلامى كله جملة واحدة ، فلما سقطت بغداد وانقطع الخيط الذى كان يربط بين أجزاء هذا العالم ، انفرط عقد البلاد الإسلامية ، وأصبح لكل منها تاريخ ومؤرخون ، وكثر أن نجد عراقيا مثقفا يجهل تاريخ اليمن ، ومصريا يجهل تاريخ إيران ، وهكذا .

وعلى هذا يعانى الباحثون المحدثون فى التاريخ الإسلامى مصاعب تشمل تاريخ العصور الإسلامية قبل سقوط بغداد وبعده ، فقبل سقوط بغداد كتب التاريخ الإسلامى ، ولكن بدون تحليل وبأسلوب ونسق بعيدين عن أسلوب العصر الحديث ونسقه ، وبعد سقوط بغداد اتجه الاهتمام إلى التاريخ المحلى للبلدان الإسلامية ، وقل

الاهتمام بالتاريخ العام للعالم الإسلامى ، كما اتجه أكثر اهتمام الجامعيين فى العصر الحاضر إلى التحليل والنقد لحادث واحد من أحداث التاريخ كما سبق القول »

وهكذا نرى أن كل ما ذكرناه من أقوال يؤيد وجهة نظرنا فى ضرورة تدوين التاريخ الحربى الإسلامى بالأسلوب الذى تعارف عليه العسكريون وطبقا للمنهج المقرر فى العلم العسكرى .

● وهناك عدة مدارس لدراسة التاريخ العسكرى وفن الحرب ، لكن هذه المدارس قد تختلف فى الأساليب فقط ، ويبقى الهدف من الدراسة واحدا عندها جميعا وهو « الوقوف على الأسباب الحقيقية للنجاح أو الفشل فى المعارك والحروب » ولكى يمكن تحقيق هذا الهدف فإن دراسة التاريخ الحربى تشمل على عدة عناصر رئيسية نذكر منها :

- الظروف السائدة محليا ودوليا .
- الهدف من الحرب أو المعركة .
- أحوال مسرح الحرب فيما يتعلق بطبيعة وأحوال الأرض (طوبوغرافيته) وبالسكان والقوى البشرية (ديموغرافيته) وبمناخه .
- المقارنة العددية والنوعية بين قوات الطرفين أو الأطراف المتصارعة وأسلحتها ومعداتها وأسلابها القتالية وعقائدها

الإسلامية وتحقيق الأمن والاستقرار لها لكي

تؤدى رسالتها السامية لخير البشرية .

٢ - امتداد الفتوحات الإسلامية فى

أقل من مائة عام من حدود الصين شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا .

٣ - تمكين الأمة الإسلامية « الناشئة »

من إدارة دفة الحرب فى جبهتين عظميين فى وقت واحد فى مواجهة أعظم قوتين علميتين فى ذلك الوقت وهما فارس وبيزنطة والانتصار عليها . . وذلك مثل فريد فى التاريخ الحرى لم تبلغه أقوى الأمم .

٤ - إتقان العرب - وهم أبناء

الصحراء - ركوب الأساطيل والحرب

البحرية وتغلبهم على أسطول بيزنطة وهو

أعظم قوة بحرية فى زمانهم حتى يقول عنهم

ابن خلدون : « إن المسلمين تغلبوا على لجنة

بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) وإن

أساطيلهم سارت فيه جائية وذاهبة من

صقلية إلى تونس ، والرومان والصقالية

والفرنجة جميعا تهرب أساطيلهم أمام

البحرية العربية ، ولا تحاول الدنو من

أساطيل المسلمين التى ضريت عليهم كضراء

الأسد على فريسته !

٥ - فتح الطريق لتأسيس الحضارة

الإسلامية وفتوحاتها العبقريّة لخير البشرية

فى ميادين العلوم الطبيعية والاجتماعية ،

الحرية^(١)

● خطط الأطراف المتصارعة .

● سير القتال .

● القضايا الإدارية والفنية .

● نتائج المعركة أو الحرب .

● الدروس المستفادة والخبرة المكتسبة .

● النظريات الحربية ومبادئ الحرب التى

كان تطبيقها سببا فى فوز أحد الأطراف

والتي كان إهمالها سببا فى هزيمة الطرف

الآخر . وتعتبر الخرائط والمخططات

والإحصائيات والصور من أهم الوثائق

وألزمها فى عملية تسجيل ودراسة التاريخ

الحرى .

● إن كل مسلم غيور على دينه لا يرضى بأن

تكون الأمة الإسلامية أقل من غيرها من

الأمم اهتماما بتاريخها الحرى .

فلقد حققت « العسكرية الإسلامية »

إنجازات رائعة فى مجال الصراع بين المسلمين

وأعدائهم ، ومن ذلك ما أصبح من حقائق

التاريخ التى لا تنازع وهو ما ذكره على

سبيل المثال فيما يلى :

١ - تأمين الدعوة وتأسيس الدولة

(١) « العقيدة الحربية » اصطلاح يعبر عن النظريات

الأساسية والمبادئ التى تطبيقها الدولة فيما يتعلق بالصراع

المسلح ، وتتخذ كل دولة لنفسها عقيدة حربية خاصة بها

تتفق مع غاياتها العليا وظروفها الاستراتيجية وقدراتها

البشرية والاقتصادية وغيرها .

فأصبح العرب - بعد أن كانوا أقل حضارة من الفرس والروم بخاصة - قادة للحضارة العالمية فكان منهم على سبيل المثال لا الحصر جابر بن حيان في الكيمياء وابن الهيثم في الطبيعيات وأبو بكر الرازي في الطب ، وابن سينا في الطب كذلك والفلسفة والغزالي في الجانب الروحي ، وابن رشد في الفلسفة العقلية وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ ، والخوارزمي في الرياضيات وعشرات غيرهم .

● فالعسكرية الإسلامية إذن ، تمثل جانباً أساسياً ورائداً من الحضارة الإسلامية ، ومن الحضارة الإنسانية بالتالي ، ولولا جهاد المسلمين الأوائل واسترخاصهم المال والنفس والولد في سبيل الله ، لتغير وجه التاريخ ، ولتخلفت مواكب الحضارة الحديثة عن الظهور .

وإذا كان المسلمون اليوم يسعون إلى نهضة حضارية شاملة ، فإن نقطة الانطلاق - في يقيني - هي « إحياء العسكرية الإسلامية » لكي تأخذ دورها في تلك النهضة المرجوة مثلما أخذت دورها في بناء الحضارة العربية والإسلامية في الماضي .

وبدأ تحقيق هذا العمل الكبير بتسجيل وتدوين التاريخ العسكري الإسلامي

بالأسلوب العلمي المعروف في العلم العسكري والذي أوضحناه آنفاً . وإذا تم هذا العمل ، فسوف يكون من أعظم الإنجازات العلمية في تاريخ الإسلام والمسلمين ، وسوف يكون بالنسبة لشباب المسلمين حصنهم الأول الذي يحتمون فيه من سهام الغزو الفكري العسكري ، وقاعدة انطلاقهم نحو بناء القوة العسكرية الذاتية للأمة الإسلامية على دعائم راسخة من الأصالة وأمجاد التاريخ .

● إن تسجيل التاريخ الحربي للإسلام أمانة في عنق الأمة العربية والإسلامية جمعاء ، ولعله من المفيد أن نعلم أن كثيراً من أوجه القصور التي ذكرناها في كتابات مؤرخي المعارك الإسلامية يمكن تداركه ، فإن بعض الميادين التي دارت فيها معارك عصر النبوة مثلاً مازالت على حالها التي كانت عليها وقتها ، ولم يطرأ عليها ما يطمس معالمها الأصلية ، وهذا وضع فريد قل أن يوجد مثله في أية بقعة على الأرض كانت ميداناً لقتال حتى في العصر الحديث .

فهى فرصة نادرة حقاً ، تستحق أن تنتهز بأسرع ما يمكن قبل أن تمتد يد العمران والتغيير فطمس تلك المعالم .^(١)

(١) وأرى أن المملكة العربية السعودية تستطيع أن تتخذ من الإجراءات ما يكفل الإبقاء على المناطق (أو=

ومرجعا علميا دقيقا ونافعا فى التاريخ الحربى الإسلامى ومن النظريات الحربية الإسلامية فنحقق بذلك هدفين عظيمين : **الهدف الأول :** أن يدرس العسكريون فى الأمة العربية والإسلامية تاريخهم الحربى ونظريات الإسلام الحربية على النحو الذى تعارف عليه العسكريون فى كل مكان ، وأن يتخذوه أساسا أصيلا لصياغة استراتيجياتهم العسكرية وفق متطلبات العصر.

الهدف الثانى : أن نصصح المفاهيم التى سادت فى الدول الأجنبية عن تخلف الإسلام فى مجال العلم العسكرى وفن الحرب ، وحفلت بها المراجع التى تناولت تاريخ الحروب وتطور فن الحرب ، وذلك بالأسلوب العلمى المدعم بالحجة والبرهان والوثائق وباللغة المتعارف عليها بين رجال العسكرية .

وبعد .. فهذه دعوة إلى «تدوين التاريخ الحربى الإسلامى» أوجهها إلى كل العرب والمسلمين ملوكا ورؤساء وقادة وشعوبا وهيئات ومنظمات وجمعيات ، وأسأل الله أن يوفق الجميع إلى طريق تحقيق هذه الغاية على النحو الذى يتكافأ وقدرة هذه الأمة التى أراد لها سبحانه أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

محمد جمال الدين محفوظ

ولو تصورنا أننا استخدمنا وسائل العلم الحديثة فى التصوير الجوى والأرضى لوضع الخرائط والمخططات لميدان. دارت فيه إحدى الغزوات ، وأن مجموعة من رجال العسكرية المعنيين بالتاريخ الحربى الإسلامى فى العالم العربى والإسلامى ، قامت بدراسة تلك الخرائط والمخططات ومعاينة الميدان على الطبيعة ، وأنا يسرنا لهم الحصول على المصادر والمراجع من كتب ومخطوطات ومقتنيات المتاحف فى العالم أجمع ، بحيث نضع بين أيديهم وأمام أعينهم «كل كلمة» قيلت أو كتبت حول هذه المعركة قديما وحديثا .. ثم تصورنا بعد ذلك كله النقاش العلمى الذى سوف يدور حول المعركة والذى تسهم فيه عقول أولئك الخبراء المتخصصين ، لو تصورنا كل ذلك ، فهل يكون ثمة شك فى أننا سوف نحصل على أفضل وأدق وأكمل ما يمكن أن يقال فى التاريخ الحربى الإسلامى بكل مقياس ؟ !

إننا بهذا العمل العلمى الكبير نوفر للأمة العربية والإسلامية سجلا وافيا

=أجزاء المناطق التى دارت فيها معارك صدر الإسلام الأول دون أن تمتد إليها يد التغيير ، حتى يتسنى كتابة التاريخ الحربى لهذه المعارك بعد دراسة الأرض التى دارت عليها ورسم الخرائط لها وتصويرها إلى غير ذلك من وسائل التسجيل .



اللواء الركن المتقاعد محمد جمال الدين على محفوظ

الإسلام

١ - فجعل « الجهاد في سبيل الله »
عقيدة القتال للجيش .

٢ - وجعل « النصر أو الشهادة » هي
شعار الجيش .

٣ - وجعل « الله أكبر » هي صيحة
القتال

٤ - وجعل لعلماء الدين ووعاظ
الجيش دورا كبيرا في معايشة الجيش وربط
نشاط رجاله في السلم والحرب بالدين وقد
كان هذا المنهج من أهم أسباب النصر في
حرب رمضان

المؤلفات العلمية والكتب :

له أكثر من ٢٠ كتابا في العلوم
العسكرية وفي القيادة العسكرية وأساليب
التعليم والإدارة العلمية وفي التوجيه المعنوي
ومازال بعض هذه الكتب مقررا للدراسة
في الجيش المصري .

● ولد في أغسطس ١٩٢٢ ميلادية ووالده
عالم من علماء الأزهر هو المغفور له الشيخ
على محفوظ عضو هيئة كبار العلماء وأستاذ
الوعظ والإرشاد .

● مدة خدمته العسكرية ٣٣ سنة قضاهـا
في وظائف القيادة والتدريس والأركان
والإدارة العليا والتوجيه المعنوي والحرب
النفسية والإعلام . وقد انتهت خدمته عام
١٩٧٥ م .

● تخرج في كلية القادة والأركان في مصر
وحصل على دراسات عسكرية عليا في
أكاديمية ناصر العسكرية .

● حصل على دورات دراسية في كثير من
المعاهد الأجنبية وأمريكا وإنجلترا وروسيا .

● حصل على ماجستير في العلوم السياسية
من جامعة القاهرة .

● عمل مديرا للتوجيه المعنوي بعد حرب
يونيو ١٩٦٧ م فكان من أبرز أعماله أنه أقام
منهج إعادة الروح المعنوية على أساس منهج

● تخصص في دراسة العسكرية الإسلامية منذ أكثر من ربع قرن ووضع فيها عدة كتب وأبحاث ومقالات في المجالات الإسلامية في مصر والعالم العربي كما قدم عددا من الأحاديث الدينية في الإذاعة والتلفزيون وخاصة برنامج «نور على نور» .
يحمل لواء الدعوة إلى إحياء أمجاد العسكرية الإسلامية باعتبارها جانبا رائدا من الحضارة الإسلامية .

ومن أحدث مؤلفاته :

- ١ - كتاب « المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية »
- ٢ - كتاب « تربية المراهق في المدرسة الإسلامية » . . .

صفحات مشرقة في تاريخ الأزهر

الدكتور / على عبد العظيم

يستمد قوته المعنوية مما يَنْفُثُهُ فِيهِ علماء الأزهر الشريف من حماسة دينية ومشاعر وطنية وإيمان عميق .

* * *

ولم يكن علماء الأزهر يكتفون بالقيادة الروحية بل كانوا يقودون الشعب أحيانا قيادة عسكرية كما حدث في موقعة عين جالوت والحملة الفرنسية والغزوة الانكليزية لرشيد وغيرها من الغزوات .

وكان لعلماء الأزهر مواقف حاسمة وجهود جبارة في إشعال نيران الثورة العربية وثورة ١٩١٩ وفي تعبئة القوة المعنوية وإذكاء العقيدة الدينية في نفوس كتائب الجيش المصرى المرابطة على شاطئ القنال ، في مواجهة العدوان الصهيونى الغاشم المحتل لسيناء ، حيث كان العلماء ينتشرون في المعسكرات المصرية يلهبون المشاعر ويثيرون العزائم ويدفعون الجنود دفعا إلى التسابق في التضحية والفداء ، ولقد أسعدنى الحظ بأن أقوم بواجبي في

إن تاريخ الأزهر الشريف هو تاريخ مصر . وتاريخ مصر هو تاريخ الأمة العربية والشعوب الإسلامية ولا عجب ! ! فإن التاريخ الإسلامى قائم على العقيدة الإسلامية التى أضاءت بأشعتها جميع الأمم والشعوب التى دانت للإسلام وآمنت به وجاهدت فى سبيله بكل ماتملك من قوة ومال

ولما ضعفت الخلافة العباسية اتجهت الأنظار إلى مصر التى حَمَت الإسلام ودافعت عنه دفاعا مجيدا أمام حملات أوربا الصليبية التى استمرت حملاتها زهاء مائتى عام ، كما دافعت عنه أمام غزوات التتار الوثنية التى اجتاحت ربوع القارة الآسيوية وسيطرت عليها فى قوة وعنف وجبروت ، ولقد استطاعت مصر وحدها أن تصد هذه الغزوات البربرية التى كادت تقضى على الإسلام والمسلمين ؛ بل استطاعت أن تجذب إلى الإسلام طوائف قوية من التتار ، وكان الشعب المصرى

وحينئذ يخرج شيوخ الأزهر ويتقدمون الصفوف إلى قصور الحكام ، فلا يلبث هؤلاء الحكام أن يقيثوا إلى الصواب ويتزلوا على حكم العلماء ويردوا الحقوق إلى أصحاب الحقوق .

فلم يكن الأزهر جامعة علمية فحسب وإنما كان - مع هذا - قواما للعدالة وتقويماً للحكام ، ومصدرا للتحرير وأ نموذجاً مثالياً للزعامة الروحية منذ وجوده حتى الآن .

وحسبنا أن نسوق نماذج تاريخية تبرز مكانة الأزهر ومنزلة علمائه في قلوب طوائف الشعب وفي نفوس الامراء والحكام معتمدين على ما رواه الجبرتي ^(١) ومن جاء بعده من ثقات المؤرخين

١ - حدثت فتنة عاتية بين كبار الماليك وعلى بك الكبير ، واستعد الطرفان للقتال فتدخل العالم الكبير الشيخ محمد الحفني وأغلظ القول لكبار الماليك صاعحاً بهم : إنكم خربتم البلاد بخصامكم وعنادكم وحروبكم ، فقالوا له : إذا نحن لم نحاربه حاربنا هو ، فقال : إني مُرسِلٌ إليه خطاباً

(١) « عجائب الآثار في التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتي » نشرته لجنة البيان العربي في سبعة أجزاء من سنة ١٩٥٨ حتى ١٩٦٧ وألحقته بجزء ثامن هو كتاب الجبرتي « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين » في سنة ١٩٦٨

التعبئة المعنوية والروحية مع لقيف من صفوة علماء الأزهر الممتازين وشاهدت كيف استطاع هؤلاء العلماء أن يوقفوا العقيدة الدينية في أعماق النفوس حتى كادت تشتعل نارا ونورا ، وكيف تمكنوا عن طريقها أن يسهموا في تحويل الهزيمة الساحقة إلى نصر مبين تمت به المعجزة التي بهرت العالمين ولهج بها القادة العسكريون في أنحاء العالم .

مكانة العلماء

كان علماء الأزهر منذ إنشائه يؤدون رسالتهم العلمية والروحية والسياسية والاجتماعية في قيادة الشعب وحفزه إلى الرفعة والسمو والازدهار ، وكانوا يدعمون سلطة الحكام إذا أحسنوا ، ويزلزلون عروشهم إذا جنحوا إلى الظلم والطغيان ، وكان المصريون إذا أحسوا الظلم وجأبوا العدوان فزعوا إلى علماء الأزهر واستغاثوا بهم والتفوا حولهم فإذا اقتنع العلماء بجدية الأمر أمروا بإغلاق أبواب الأزهر ، وأبطلوا حلقات الدروس وصعد نفر من العامة على سطح المسجد فتصايحوا ودقوا الطبول فيحتشد الناس حول الأزهر من أرجاء القاهرة وتتكاثر الجموع بما تحمله من أسلحة حتى تصبح كالبحر المتلاطم الأمواج

أنصح فيه - وكان خارج القاهرة يستعد للقتال - فلا تتحركوا حتى يأتى جوابه ، وكتب إليه خطابا شديد اللهجة فيه نصيحة وعِظَةٌ وَزَجْرٌ له فتزل الجميع على رأيه وانتهت الفتنة ، وبعدها علا شأن على بك الكبير وسيطر على مصر ، وفتح الشام والحجاز ، ومع هذا كان لا يجزؤ على مخالفة الشيخ الحنفى فى أمر من الأمور^(١)

٢ - ذكر الجبى فى ترجمته للشيخ أحمد بن عبد المنعم أبى السرور البكرى : أن والى مصر على باشا بن الحكيم كان يعتقد فى الشيخ اعتقادا عظيما وحدث أن ذهب الشيخ لزيارته فتلقاه وقبل يديه وقدميه وقال : هذا الذى كنت رأيته فى عالم الرؤيا وقت كرتبى فى السفارة الفلانية ، وعلمت فى الرؤيا أنه الشيخ البكرى وبالع والى فى الخفاوة به وزاره بعد ذلك مرات عديدة وأرسل إليه هدية سنية^(٢)

٣ - فى ولاية بكير باشا وردت إلى مصر مراسيم سلطانية من استانبول بإبطال بعض المرتبات المستحقة لبعض الأيتام وبعض الأموال المخصصة للخيرات ، وتلاها القاضى العثمانى المقيم بالقاهرة وقال : أمر السلطان لا يخالف وتجب

طاعته ، وكان الشيخ سليمان المنصورى من كبار علماء الأزهر حاضرا فقال له : « هذا شىء جرت به العادة فى مدة الملوك المتقدمين وتداولته الناس وصار يباع ويشترى ورتبوه على خيرات ومساجد وأسبلة^(٣) ولا يجوز إبطال ذلك وإذا بطلت الخيرات ، وتعطلت الشعائر المرصدة لها ذلك ، ولا يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله أن يبطل ذلك ، وإن أمر ولى الأمر بإبطاله لا يسلم له ذلك ويخالف أمره ، لأن ذلك مخالفة للشرع ، ولا يسلم للإمام فى فعل ما يخالف الشرع ولا لنائبه أيضا » فقال بكير باشا : هذا يحتاج إلى المراجعة وتمت المصالحة ونزل الوالى على ما أورده الشيخ سلمان^(٤)

٤ - حدث مناقشة فقهية فى شأن عالم سجين بين الشيخ على الصعيدى من كبار العلماء وبين الحاكم يوسف بك الكبير ، احتدَّ فيها يوسف بك فغضب الشيخ على غضبا شديدا وقال له : لعنك الله ولعن اليسرجى^(٥) الذى جاء بك ومن باعك ومن اشتراك ومن جعلك أميرا « وكان

(٣) جميع سبيل وهو بناء يستقى منه الناس عند العطش ، وبعض آثار (الأسبلة) باقية إلى الآن .

(٤) الجبى ج ٢ ص ١٢ .

(٥) تاجر الرقيق .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٩

يوسف بك قد اعتقل أحد العلماء في أمر ظنّه فيه مخالفا للشرع فأطلق يوسف بك سراح العالم السجين واسترضى الشيخ على حتى رضى ، وعاد ومعه العالم حرا طليقا^(١)

٥ - حدث أن القاضي التركي عين الشيخ عبد الرحمن العريشى - من علماء الأزهر ومفتى الحنفية - وصيا على أسرة صهره ، وكان الصهر قد مات وهو مثقل بالديون ، وقد أخذ الدائنون حكما قضائيا بها ، فسدد الشيخ عبد الرحمن ديون صهره من التركة ، وأخذ صكوكا بالسداد على الدائنين ؛ ولكن زوجة المتوفى اتهمت الشيخ العريشى - بعد سنوات - بأنه نهب ميراث زوجها ، وتواطأ مع الدائنين وقاسمهم فيما أخذوه ؛ وشكته إلى يوسف بك - وكانت فيه حدة - فاستدعاه . فشرح له الموقف وأطلعه على الصكوك فلم يقتنع ، وأمر بسجنه ، وعلم الشيخ السادات بالأمر فركب إلى يوسف بك ودعاه لإطلاق سراحه فلم يسعه إلا التنفيذ^(٢) .

٦ - حدثت جفوة بين الوالى حسن باشا من جهة ، وإبراهيم بك ومراد بك

حاكمى مصر وأتباعهما من جهة ثانية فتودّد الباشا إلى العلماء وقابلهم بالإجلال والتعظيم وأعد لهم طعام الإفطار والسحور ، وحشى الشيخ العروسى من قيام الفتنة وأن تؤدى إلى تحريب بيوت العامة المحيطة ببيوت الأمراء من زعماء الفتنة وقال لحسن باشا : يامولانا رعية مصر قوم ضعاف وبيوت الأمراء مختلطة ببيوت الناس ، فقال له : لانتخشا شيئا ، فإن أول ما أوصانى به السلطان أوصانى بالرعية وقال : إنها وديعة الله عندى ، وأنا استودعتك ما أودعنيه الله ، فدعا له العلماء بالخير ، وأشفق إبراهيم بك من أن ينضم العلماء إلى الوالى وأن يقودوا ثورة شعبية ضده وضد مراد بك ؛ فذهب إلى الشيخ البكرى وهنأ بالعيد . ثم زار الشيخ العروسى والشيخ الدردير فهنأهما وتودّد إليهما وتصاغر فى نفسه جدّا وأوصاهم بكف الرعية عن أمر يحدثونه أو قومة أو حركة فى مثل هذا الوقت فإنه كان يخاف ذلك جدّا «لأنه كان موقنا أن زمام الموقف بيد علماء الأزهر ، لما يتمتعون به من مكانة سامية وتقدير كريم بين طوائف الشعب المصرى فى كل مكان^(٣)

٧ - ذكر الجبرتي فى أحداث سنة

(١) الجبرتي ج ٣ ص ١٥٤ : ١٥٥ .

(٢) الجبرتي ج ٣ ص ١٥٥ : ١٥٦ .

(٣) الجبرتي ج ٣ ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

١١٩١ هـ أن يوسف بك الحاكم تدخل في موضوع عقار موقوف على الأزهر. فكتب إليه الشيخ أحمد الدردير من كبار العلماء خطاباً يطلب منه فيه عدم التدخل في شئون الأزهر، وأرسل إليه الخطاب مع عالمين من علماء الأزهر، فنهرا يوسف بك - وكانت فيه حاقة - وألقى بهما في السجن، وعلم الشيخ الدردير؛ فأمر بإبطال الدروس بالأزهر وإغلاق المسجد، وجلس المشايخ بالقبلة القديمة وصعد الصغار إلى المنارات يكثرزون الصباح والدعاء على الأمراء وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت، وتجمع الناس حول الأزهر وبدأت تُذّر الثورة وبلغ الأمراء هذا الموقف فأرغموا يوسف بك على إطلاق سراح العالمين، وخشى إسماعيل بك ثورة الشعب فأرسل إلى العلماء وترضاهم وتكفل بإجابة مطالبهم

٨ - حدث أن حسين بك شفت^(١) - وكان طاغية جباراً - اقتحم هو وجنوده بيت الشيخ أحمد سالم شيخ دراويش البيومي ونهبوا ما فيه من الأثاث والمتاع وحلّى النساء، فثار أهل الحسينية وذهبوا إلى الشيخ الدردير، فأنسهم وقال لهم: أنا معكم وأمر بإغلاق أبواب الأزهر وصعدت

(١) شفت معناها يهودى ويظهر أن المصريين أطلقوا عليه هذا اللقب لكراهتهم إياه

طائفة منهم إلى المنارات يصيحون ويدقون الطبول، وأغلق التجار الحوانيت، وتجمعت حشودٌ كثيرة حول الأزهر وأرسل الشيخ الدردير رسلاً إلى سكان أحياء القاهرة وضواحيها فلبّوا النداء ومعهم أسلحتهم وقال لهم الشيخ: اركبوا وأركب معكم لنهب بيوت المعتدين كما نهبوا بيوتنا، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم، وقاد الشيخ هذه الحملة فخاف الأمراء عاقبة هذه الثورة وذهبوا إلى الشيخ الدردير وتكلموا معه وبالغوا في استرضائه وقالوا له: «اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ونحن نأتى بها من محل ماتكون» وتعهدوا للشيخ بالتزام العدل وتلوا الفاتحة ونفذوا وعدهم وانتهت الثورة^(٢).

٩ - احتشد جمع كبير من الناس في مولد السيد البدوى في طنطا (طنطا) فأغار أعوان الكاشف (حاكم الإقليم) على بعض الأشراف وأخذوا جواهرهم فذهبوا إلى الشيخ الدردير فأمر بعض أتباعه بالذهاب إلى الكاشف فأشفقوا من الذهاب إليه، فركب الشيخ وتبعه جماعة كثيرة من العامة، فلما وصل إلى خيمة الكاشف استدعاه، فحضر إليه، والشيخ راكب على بغلته، فكلّمه ووبّخه فوعد برد الجلال وانصرف

(٣) الجيفى ج ٣ ص ٣١٦، ٣١٧

السادات وقام بزيارته متوددا إليه^(٢)
 ١١ - لما ولى حسين باشا الجزائرلى
 حكم مصر من قبل الخلافة العثمانية طرد
 أمراء الممالك من القاهرة واستباح أموالهم ،
 وأسر نساءهم وأولادهم ، فذهب إليه
 الشيخ السادات مع وفد من علماء الأزهر
 وقال له : أتيت إلى مصر لإقامة العدل
 ورفع الظلم كما تقول ؟ أم أتيت لبيع الحرائر
 وأمهات الأولاد وهتك الحرم ؟ فقال له
 الباشا : هؤلاء أرقاء بيت المال ، فقال له
 الشيخ : هذا لا يجوز ، ولم يقل به أحد ،
 فغضب الباشا وقال لكاتب الديوان :
 اكتب أسماء هؤلاء العلماء لأرفعها إلى
 السلطان ليعلم أنهم يعارضون أمره ، فقال
 له السيد محمود البنوفرى أحد العلماء :
 اكتب ما تريد بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا
 فوجم الباشا ونفذ ما أشار به العلماء ، ثم
 بلغه أن على بك الكبير قد أودع أمانة عند
 الشيخ شمس الدين ابن عارفين فطلبها
 الباشا منه فامتنع عن دفعها قائلا : إن
 صاحبها لم يمت ، وقد كتبت على نفسى
 وثيقة بها ، ولن أسلمها مادام صاحبها على
 قيد الحياة ، وحاول الباشا انتزاعها منه
 ولكنه خشى العاقبة فأمسك وكان يردد قوله
 عن الشيخ السادات : لم أر فى جميع
 الممالك التى ولجتها من اجترأ على مخالفتى مثل

الشيخ وتمس بعض العامة فاعتدوا على
 الكاشف ، وحدث هرج ومرج ، وكان
 كاشف المنوفية حاضرا المولد فلما علم بالأمر
 حضر سريعا وأخذ كاشف الغربية معه
 وذهبا إلى الشيخ الدردير فاسترضياه ، ولما
 عاد الشيخ إلى القاهرة زاره إبراهيم بك
 الوالى واسترضاه وفعل مثل ذلك إبراهيم
 بك الكبير وكتخذا الجاويشية^(١)

١٠ - غضب طاهر باشا الوالى على
 مصطفى أغا الوكيل . فلجأ إلى بيت الشيخ
 السادات فضمَّ إليه فأرسل طاهر باشا فى
 طلبه ، فركب معه الشيخ السادات وذهبا
 إلى بيت الوالى فانتزع جماعة من الجنود
 مصطفى أغا وأخذوه إلى القلعة ماشيا على
 قدميه ، فغضب الشيخ السادات ودخل
 على طاهر باشا ثائرا فأطلععه الباشا على
 خطاب مرسل من محمد باشا - عدو
 الوالى - إلى مصطفى أغا ، واتهمه بأنه يتآمر
 مع أعدائه عليه ، فقال له السادات : إن
 هذا لا يؤخذ به مصطفى أغا ، وإنما يؤخذ
 إذا كان المكتوب صادرا منه إلى محمد
 باشا ، وهنا أمر طاهر باشا بالإمساك عن
 قتل مصطفى أغا ، واعتذر إلى الشيخ

(١) الجبى ج ٣ ص ٣١٨

(٢) الجبى ج ٦ ص ٥٤

هذا الرجل فإنه أحرق قلبي ! !^(١) .

١٢ - روى الجبرتي في حوادث سنة ١٢٠٩ هـ أن فلاحين من بلبس وفدوا على شيخ الأزهر الإمام الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وشكوا إليه ظلم محمد بك الأتني وأعوانه واقتنع الشيخ بصدق شكواهم ، فنصح إبراهيم بك ومراد بك حاكمى مصر بردع الأتني بك عن ظلمه فلم يستجيبا لنصيحته ، فجمع علماء الأزهر وأمر بإغلاق المسجد وأرسل من ينادى بإغلاق الحوانيت ، وتجمع الناس وذهب معهم الشيخ الشرقاوى إلى بيت السادات وهو قريب من بيت إبراهيم بك فآهم وأرسل إليهم أيوب بك يسألهم ماذا يريدون ؟ فقالوا : نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة أحكام الشرع وإبطال الحوادث والمكوس (الضرائب) التى ابتدعتموها فقال أيوب بك : لا يمكن إجابة هذه المطالب كلها فإننا إن فعلنا ذلك ، ضاقت علينا المعاش والنفقات ، فقالوا له : ليس هذا بعذر عند الله ولا عند الناس . وما الباعث على الإكثار من النفقات ، وشراء الممالك ؟ والأمير لا يكون أميراً إلا بالإعطاء لا بالأخذ ، وانتهى الموقف بعد أخذ ورد إلى نزول أمراء الممالك

على حكم العلماء ، ووقعوا على وثيقة كتبها القاضى تعهدوا فيها بإبطال المظالم ومعظم المكوس وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى أموال الناس ، وأن يرسلوا صرة الحرمين (ما وقف عليها من أموال) وأن يسروا فى الناس سيرة حسنة ووقع الباشا الوالى على هذا الوثيقة مع الأمراء وهذه الوثيقة يُشَبَّهها بعض الباحثين بوثيقة حقوق الإنسان^(٢) .

١٣ - كان بطرس السادس بطريك الأقباط شديداً على شعبه فى تطبيق الشعار المسيحية ، وكان ابن إيواظ كبير أمراء الممالك فى هذا الوقت يأخذ على البطريرك شدته وصرامته ، وحدث بينهما خلاف انضم فيه إلى ابن إيواظ عدد كبير من ذوى رأى والمكانة ، ولكن ابن إيواظ رأى قبل أن يتصرف برأى فى الموضوع أن يتقوى برأى علماء المسلمين . فاستشارهم فأفتوا بحق بطرس السادس فيما يفعله فترل ابن إيواظ على مشورتهم واستصدر من الوالى أمراً بتمكين البطريرك مما يريد ، وألا يتعرض له أحد بعد ذلك^(٣) .

١٤ - ذكر الجبرتي فى أحداث شهر صفر سنة ١٢١٩ هـ أنه حدثت جفوة بين

(٢) الجبرتي ج ٤ ص ٢٥٥ : ٢٥٧ .

(٣) الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ج ٦ ص ٨٥

(١) الجبرتي ج ٧ ص ٢٤١ . ٢٤٢ .

أن تقيم بيت الشيخ السادات^(١)
 ١٥ - كان بعض الولاة العثمانيين
 بشرف بالتلمذ لكبار علماء الأزهر ويحرص
 على أن يحصل على إجازتهم العلمية له بما
 تلقاه عنهم ، وقد فعل هذا الوالي عبد الله
 باشا الكبورلى الذى تتلمذ للشيخ أحمد بن
 عيسى العماوى المالكى وقرأ عليه صحيح
 البخارى وصحيح مسلم والموطأ وسنن أبى
 داود وابن ماجه والنسائى والترمذى
 والمواهب ، قرأ بعضها دراية وبعضها رواية
 وباقيها إجازة وألفية المصطلح^(٢) وقد روى
 الجبرقى هذه الإجازة كاملة^(٣)

وتتلمذ أيضا للإمام الشيخ الشبراوى
 واستجازه وقال الإمام الشبراوى فى إجازته
 له : « ولما قدر المولى الاجتماع بأفضل وزراء
 الدولة عبد الله باشا . . . حين حل بالديار
 المصرية ، وقد استخرت الله تعالى وأجزته
 بما قرأه على من ذلك وسمعه منى وبجميع
 ما يجوزلى وعنى روايته مما قرأته على الأشياخ
 أو سمعته منهم أو رويته عنهم بإجازة خاصة
 أو عامة بشرطه المقيد عند أهل الأثر^(٤) »
 ١٦ - وشبهه بهذا الموقف السابق

الباشا الوالى التركى والماللىك ، وخرج
 الماللىك من القاهرة فأرسل الباشا أكبر
 أتباعه إلى بيت السيدة نفسية زوجة مراد
 بك كبير الماللىك ، فاستدعاها لمقابلة
 الباشا ، وقبض على بعض زوجات
 الماللىك ، واتهم السيدة نفيسة بمساعدة
 الثائرين على الوالى ، فأنكرت وقالت له :
 أنا طول ماعشت فى مصر وقدرى معروف
 عند الأكابر وعند السلطان ورجال
 الدولة ، ولقد مرت بنا دولة الفرنسيس
 الذين هم أعداء الدين فما رأينا منهم غير
 التكرىم . . . وأما أنت فلا يوافق فعلك
 فعل أهل دولتك ولا غيرهم ، فاعتذر إليها
 وأمرها بالتزول فى بيت الشيخ السحيمى . .
 وذاع الخبر فركب نقيب الأشراف والشيخ
 السادات والشيخ الأمير إلى الباشا وتحذثوا
 معه فى شأنها فقال لهم : لا بأس عليها ،
 وقد أنزلتها فى بيت الشيخ السحيمى مكرمة
 فقالوا له : نريد بيان الذنب الذى
 ارتكبته ، فقال : إنها سعت مع بعض كبار
 العسكر لاستمالتهم إلى الماللىك وطالت
 المناقشة بين الوالى وبينهم ، فقال له الشيخ
 الأمير هذا أمر غير مناسب وتترتب عليه
 المفاسد ، وبعد ذلك يتجه إلينا اللوم ،
 وقام غاضبا يريد الانصراف فاسترضاه
 الحاضرون وأطلق الباشا سراح السيدة على

(١) الجبرقى ج ٦ ص ١٥٢ . ١٥٣

(٢) الجبرقى ج ٢ ص ٣٠

(٣) الجبرقى ج ٢ ص ٦٤ ، ٦٥

(٤) راجع ترجمتنا رقم ١١ للشيخ الشبراوى فى

مارواه الجبرتي في وفیات سنة ١٢٢٩ هـ من ذكر العلامة « الفقيه النبيه الشيخ حسين المعروف بابن الكاشف الدمياطي ويعرف بالرشيدى ، فقد تعلق بالعلم وانخلع من الأمرية (الإمارة) ومن الجندية ، وحضر على أشياخ العصر ولزم الشيخ عبد الله الشرقاوى وانتقل من مذهب الحنفية (مذهب الدولة العثمانية) إلى مذهب الشافعية لملازمته لهم في المعقول والمنقول ، وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات وأكب على الاشتغال بالأزهر وتزّياً بزى الفقهاء فلبس العمامة والفرجية وتصدر دروس الفقه والمعقول . . . ولما وصل محمد باشا خسروى والى مصر إلى القاهرة جعله إماماً له وصلى خلفه الأوقات . . . واستمر على القراءة والإقراء حتى توفى سنة ١٢٢٩ هـ «(١)

١٧ - ومن سلك هذه السبيل الأمير سليمان بن خشداشين كتبخدا إبراهيم الفازدغلى حيث «رغب عن الإمارة ورضى بحاله وقنع بالكفاف ورغب فى معاشره العلماء والصلحاء وفى الانجباغ (الانعزال) عن أبناء جنسه والتداخل فى شئونهم . وكان يأتى فى كل يوم إلى الجامع الأزهر ويحضر دروس العلماء ويستفيد من

فوائدهم ، ولازم درس الشيخ أحمد السليمانى فى الفقه الحنفى إلى أن مات فتقيد بحضور تلميذه الشيخ أحمد الغزى كذلك ، واقرن فى حضوره بالشيخ عبد الرحمن العريشى وكان إذ ذاك فى مقتبل الشببة مجرداً عن العلائق ، فكان يعيد معه الدروس واتخذ به لما رآه فيه من النجابة فجذبته إلى داره وكساه وواساه وظل يطالع معه الفقه ويعيد معه الدروس ليلاً وزوّجه وأغدق عليه «(٢) . . .

وقريب من هذا حرص عباس الأول حاكم مصر على حضور دروس الإمام الشيخ الباجورى . . .

١٨ - كان علماء الأزهر مشهورين بأنهم لايسكتون عن منكر سواء ارتكبه أمراء الممالك أم الحكام العثمانيون ومن ذلك ما كتبه الشيخ أبو الأنوار إلى الأمير عثمان كتبخدا الدولة : «حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، وما هى من الظالمين يبعيد :

وظننت أنك عدنى أسطو بها
ويدى إذا اشتد الزمان وساعدى
فرميت منك بغير ما أملت
والمرء يشرق بالزلزال البارد
أما بعد - فقد نَقَضَتْ عهدى وتركت

الشعب لأنهم يعلمون انقياده لهم ، واستعانت بهم على تقويم الحكم الشرعى للعثمانيين والماليك إذا طغوا وتجبروا ، وكانوا يخشون تأثير العلماء فى الشعب ضد الفرنسيين الغزاة ، وقد تظاهر نابليون أمام العلماء بالإسلام وعقد لهم ديوانا يباشرون فيه الحكم بمعونة الفرنسيين ، وحدث فى حفل تكريمى أقامه نابليون للعلماء أن نهض من المجلس ثم عاد إليه ويده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان أبيض وكحلى وأحمر فوضع واحدا منها على كتف الشيخ الإمام الشرقاوى مبالغة فى الحفاوة به فقفذ به الشيخ الشرقاوى إلى الأرض غاضبا ، فقال الترجان إنكم - معشر العلماء صرتم أجبابا لصارى عسكر (قائد الجيش) وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته ، فإن تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس وصار لكم منزلة فى قلوبهم ، فقالوا له : لكن قدرنا يضع عند الله وعند إخواننا المسلمين (٣) .

٢٠ - استطاع العلماء أن يقودوا الشعب وأن يعزلوا الوالى العثمانى وأن يرغموا الخليفة العثمانى على استبدال غيره به وذلك كما حدث فى ثورة الشعب بقيادتهم ضد

مودة آل بيت جدى ، وأطعت الظلمة السفلة ، وامتلكت أمر الثفلة ، فأعنتهم على البغى والفجور ، وسارعت فى تنجيز مرامهم الفاسد على الفور . . . من إلزامكم الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، إطعام عسكركم الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ، وبلغ فى النهب والفساد غاية الغايات ، فكان جهادهم فى أماكن الموبقات والملاهى ، حتى أنزل بالمسلمين أعظم المصائب والدواهى ، فاستحكم الدمار والخراب ، ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب ، فبذلك كان عسكركم مخدولا ، وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولا . . . وقد أخفتم أهل البلد بعد أمنها وأشعلتم نار الفتنة بعد طفتها ، ثم فرتم فرار الفيران من السنور ، وتركتم الضعفاء متوقعين أشنع الأمور (١) فواغوثاه ! ! واغوثاه ! ! أغثنا يا غياث المستغيثين ، واحكم بعدلك يا أحكم الحاكمين ، وانصرنا وانتصر لنا فإننا عبيدك الضعفاء المظلومين ، يأرحم الراحمين (٢)

١٩ - على الرغم من جبروت الفرنسيين وطغيانهم ، كانوا يتقربون إلى العلماء ويحرصون على مودتهم تسكيناً لثورة

(٣) مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين ص

(١) يشير إلى تخاذلهم أمام الفرنسيين ، السنور : الهر

الوالى على باشا الخازندار ، وثورته ضد
الوالى خورشيد باشا ، وقد استطاع الشعب
بقيادتهم إرغام الخليفة العثماني على تولية
محمد علي باشا حكم مصر^(١)

وكما استطاع الأزهر أن يقود الثورة
الشعبية ضد المماليك والأتراك قاد أيضا هذه
الثورات ضد الحملة الإنكليزية على رشيد
وكان له الدور الرئيس في قيادة الثورة
العربية وثورة سنة ١٩١٩^(٢)

ولإيزال علماء الأزهر موضع الإجلال
والتكريم لدى الشعب المصرى وحكامه إلى
الآن ، وكثيرون منهم يحتلون مكان
الصدارة فى الصحافة والإذاعة والتلفزيون
وسائر وسائل الإعلام

٢٢ - ومن العلماء البارزين الذين
أعطونا مثلا رائعا فى الاحتفاظ بكرامة
العلماء الإمام الشيخ إبراهيم الباجورى
الذى ولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣ هـ
وأصر على القيام بالتدريس مع إدارته
لشئون الأزهر وكان الحاكم عباس باشا
الأول يكثر من حضور دروسه بالأزهر

(١) سيرة السيد عمر مكرم للأستاذ محمد فريد أبى
حديد طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٨ ص
١٢٨ : ١٥٢ ، والتاريخ الإسلامى للدكتور أحمد شلبى
ج ٥ ص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

(٢) يلاحظ أن عرابى باشا تعلم بالأزهر وكذلك
سعد رغلولى

فلا يقوم له وإنما كان يعد له كرسيًا من
الجريد يجلس عليه للاستماع إلى الدرس ؛
وبعد انتهاء الدروس كان الحاكم يخرج وهو
ينثر النقود على الحاضرين^(٣)

٢٣ - استطاع الإمام الشيخ محمد
المهدى العباسى أن يقف موقفا حازما فى
وجه عباس الأول حينما حاول الاستيلاء
على جميع ما يملكه أفراد الأسرة الحاكمة ،
وكانت حجته فى هذا أن جده محمد علي
مؤسس الأسرة وفد إلى مصر لامتلاك شيئا
وأن ما خلفه لأسرته من أموال طائلة هو
ملك للأمة يجب رده إليها ووضعها بيد
الحاكم لينفقه عليها - وهى كلمة حق يراد
بها باطل - وكان هدفه من ذلك اغتصاب
أموالهم واستيلاءه وحده عليها ليضمها إلى
ماله الخاص وحاول حمل الإمام على
إصدار فتوى تجيز له ذلك فرفض فهدده
بالعقاب الرادع فلم يأبه لتهديده ، فاستعمل
عباس باشا معه ألوانا من الإرهاب ولكنه
أصر على رفضه وفوت عليه ما كان يحلم به
من غصب هذه الأموال (راجع ترجمة
الإمام محمد المهدى العباسى فى كتابنا
مشيخة الأزهر) .

٢٤ - فى سنة ١٢٨٠ هـ ١٨٦٣ م زار

(٣) راجع ترجمة الإمام الباجورى رقم ١٩ فى
كتابنا مشيخة الأزهر

السلطان عبد العزيز - الخليفة العثماني - مدينة القاهرة ، واختار الخديوى إسماعيل طائفة من صفوة العلماء لمقابلته ، وكان فيهم الشيخ حسن العدوى ، وطلب من قاضى القضاة - وكان هذا المنصب مقصورا على علماء الأتراك - طلب منه أن يعلم هؤلاء العلماء التقاليد المرعية في مقابلة السلطان فأخبرهم أن السلطان سيقف على منصة عالية في حجرة خاصة ، وأن على العلماء إذا ما وصلوا إلى باب الحجرة أن ينحنوا انحناء عظيما ، ثم يكرروا الانحناء والتحية والتسليم إلى أن يرد عليهم السلطان التحية ، ثم يتراجعون متقهقرين إلى الورا

إلى أن يصلوا إلى باب الحجرة ، فينحنوا مرة أخرى ، وبعد هذا ينصرفون وعند المقابلة كان الخديوى إسماعيل واقفا خلف السلطان ، فدخل العلماء كما علمهم قاضى القضاة إلا الشيخ حسن العدوى ، وكان عالما شجاعا لا يخاف إلا الله فدخل منتصبا وأقبل على السلطان ، وتجاوز الحد المتفق على عدم تجاوزه ، وقال للسلطان : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وكان الخديوى إسماعيل قد اصفر لونه واضطرب اضطرابا شديدا - ولكن السلطان رد على الشيخ تحيته ، وانحنى له انحناء خفيفا ، فوعظه الشيخ ، وذكره بما يجب على

٢٥ - لما قامت ثورة عراقى وانحاز للإنكليز ، أصدر علماء الأزهر فتوى بخلع الخديوى لأنه مرق من الدين ، ولما فشلت الثورة تم القبض على زعمائها ، وكان فيمن قبض عليهم الشيخ حسن العدوى ، وقدم للمحاكمة فقال له رئيس المحكمة العسكرية : هل أفتيت بعزل الخديوى ؟ فقال له : لم أفت به ومع هذا فإن جثمتونى الآن بالفتوى فإنى أوقعها ، وما فى وسعكم أن تنكروا أن الخديوى توفيق مستحق للعزل ، وقد خرج على الدين وعلى الوطن ؛ وقد حكم على الشيخ العدوى

بتجريدته من جميع رتبته وامتيازاته^(١)
 ٢٦ - في أواخر سنة ١٣١٦ هـ حدث خلاف كبير في شأن إصلاح المحاكم الشرعية ، وعرضت الحكومة على مجلس شورى القوانين اقتراحا بنسب قاضيين من مستشارى محكمة الاستئناف الأهلية لمشاركة قضاة المحكمة الشرعية العليا في إصدار الأحكام ، ورأى الإمام الشيخ حسونة النواوى في هذا اعتداءً على المحاكم الشرعية التى تطبق شريعة الله وليست بحاجة إلى الاستعانة برجال القانون المدنى الذى هو من وضع البشر ، ووقف الإمام فى مجلس الشورى يرد على رئيس النظائر فى عنف ، واحتد الجدل وخرج الإمام من المجلس مغضبا ، وتبعه فى الخروج القاضى التركى ، وكانت النتيجة أن خذل المجلس الحكومة ورفض المشروع^(٢)

٢٧ - اختار الإمام الشيخ سليم البشرى عالماً من العلماء الممتازين - هو الشيخ أحمد المنصورى - فعينه شيخاً لأحد الأروقة ، ولم يكن الحاكم راضياً عن هذا العالم ، فأوعز إلى الإمام بالعدول عن

تعيينه ، فرفض الإمام الرجوع عن قراره ، وقال : « إن كان الأمر لكم فى الأزهر دونى فاعزلوه ، وإن كان الأمر لى دونكم فهذا هو الذى اخترته ولن أحيده عنه . وانتهز الدساسون الفرصة فأوغروا صدر الحاكم عليه ، فأرسل إليه من يقول له إن تشبك برأيك قد يضرك فى منصبك فقال له الشيخ الإمام : إن رأى لى ، ومنصبى لهم ، ولن أضحى لهم بما يدوم فى سبيل مايزول »^(٣)
 ٢٨ - فى أواخر سنَى الحرب العالمية الثانية ، قامت الحكومة البريطانية بضغط شديد على الحكومة المصرية لتتشارك فى الحرب ، وخطب الإمام المراغى فى مسجد الرفاعى فانتقد هذا الطلب وقال فى خطبته : « نسأل الله أن يجنبنا ويلات حرب لاناقة لنا فيها ولا جمل » وغضب الإنجليز غضباً شديداً - وكانوا يسيطرون على مصر كل السيطرة - وكان الموقف بالنسبة لهم موقف حياة أو موت ، وأحدثت خطبة الإمام ضجة كبرى وطلب الإنجليز من الحكومة المصرية بياناً عن خطبة الإمام ، فاتصل رئيس الوزراء بالإمام وخاطبه بلهجة مشوبة بما يشتم منه راحة التهديد فغضب الإمام غضباً شديداً ، وقال

(١) مذكرات عزالى ج ٢ ص ١٢١ الثورة العربية

للفافى ص ٤٩٤

(٢) راجع ترجمة الإمام الشيخ حسونة رقم ٢٣ فى

هذا الكتاب

(٣) راجع ترجمة الإمام الشيخ سليم البشرى رقم

٢٥ فى كتابنا مشيخة الأزهر

تنفقه الدولة في إرضاء نزواته ، وفي هذا الجو الخائق أعفى الإمام من منصبه سنة ١٩٥١ م ولكن فضل الإمام وفضائله وعلمه الغزير وخلقه الكريم حمل الملك والحكومة حملا على إعادته إلى منصبه في العاشر من فبراير سنة ١٩٥٢^(١)

٣٠ - استطاع الإمام الدكتور عبدالحليم محمود أن يقف صامدا في وجه الزحف الشيوعي الذي تسرب إلى بعض الصحف والمجلات ، وتغلغل في بعض الكليات وبين عمال بعض الشركات ، وكان الموقف الدولي حينئذ يقتضي مجاملة الاتحاد السوفيتي ، ولكن الإمام الدكتور عبد الحليم محمود واجه الزحف الشيوعي في قوة وعزم وشن على مبادئ الشيوعية حربا عنيفة كشفت أстарها وأوضحت زيفها وظهرت وسائلها الملتوية في تدمير العقائد الدينية وتحطيم المشاعر الوطنية وإشعال نيران الحقد والضغينة بين الطبقات فعل هذا دون أن يخشى في الله لومة اللائمين وهم كثيرون . كما نادى بأعلى صوته لأول مرة مطالبا رد أوقاف الأزهر إليه ، وأفتى بإثم من اغتصبها أو وافق على هذا الاغتصاب . وهو أول صوت يرتفع في قوة وصلابة

له : أمثلك يهدد شيخ الأزهر ؟ وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة ، ولو شئت لارتقيت منبر مسجد الحسين وأثرت عليك الرأي العام ولو فعلت لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب ، فاعتذر إليه رئيس الوزراء ، ورأى الإنجليز أنه من الخير لهم عدم إثارة هذا الموضوع ، لأنهم يعلمون منزلة شيخ الأزهر في العالم الإسلامي كله لافي مصر وحدها^(١)

٢٩ - لما حاولت الحكومة التدخل في شئون الأزهر سنة ١٩٤٦ وقف في وجهها الإمام الشيخ عبد المجيد سليم بقوة وصلابة وسانده بعض كبار العلماء ، فهدده رئيس الديوان ، وأنذره بغضب الملك وما يتعرض له بسبب هذا الغضب ، فقال له هل تستطيعون الحيلولة بيني وبين المسجد ؟ فقال له لا ، فأجابه بقوله مادمت أتردد بين بيتي والمسجد فلا خطر على وقدم استقالته ولما حاولت الحكومة ضغط ميزانية الأزهر غضب الإمام وقال عبارته المشهورة تقتير هنا وإسراف هناك » فنقل أعداؤه للملك فاروق أنه يقصد بالإسراف ما يبدهه الملك على مبادلة حينذاك في جزيرة كابري ، وما

(٢) راجع ترجمة الإمام رقم ٣٣ من كتابنا مشيخة الأزهر .

(١) راجع ترجمة الإمام رقم ٢٩ من كتابنا مشيخة الأزهر

مطالبها بتطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً كاملاً ، وبإلغاء كليات الحقوق لأنها من صنع الاستعمار لصرف المسلمين عن تطبيق شريعة الله .

* * *

وكان قد ولى مشيخة الأزهر ، وهو بدون لائحة تنفيذية توضح مدى سلطة شيخ الأزهر ، وماطلت الحكومة بضعة عشر عاماً فى إصدار هذه اللائحة ، وأحس الإمام محاولات تدبر للحد من استقلال الأزهر فاستقال ، وأصر على الاستقالة حتى صدرت اللائحة التنفيذية التى أعادت

ومواقف علماء الأزهر الكريمة فى الذب عن حرمة الإسلام وكرامة المسلمين يحتاج إلى كتاب ضخمة ، أو عدة كتب ، سواء كان هؤلاء العلماء قد ولوا مشيخة الأزهر أم فاتتهم ، وترجو أن يوفقنا الله أو يوفق سوانا لمولاة الكتابة فى هذا الموضوع ؟

على عبد العظيم

حسن الجواب

قيل للعباس بن عبد المطلب - رضى الله عنه : أنت أكبر أم رسول الله ﷺ . قال هو أكبر منى وأنا ولدت قبله ودخل سعيد بن مرة الكندى على معاوية رضى الله عنه - فقال له أنت سعيد ؟ قال : أمير المؤمنين سعيد ؟ وأنا ابن مرة ، ودخل السيد بن أنس الأزدي على المأمون فقال أنت السيد ؟ فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس ، وقال الحجاج للمهلب أنا أطول أم أنت ؟ قال الأمير أطول وأنا أيسر قامته منه .



الأستاذ على عبد العظيم

الأوقاف ووزارة الثقافة وله مؤلفات ودراسات عديدة نشرتها له هيئات رسمية ونال عن بعضها الجائزة الأولى ، ومنها ما تقررت دراسته بالجامعات العربية ، وتنشر المجلات المصرية والعربية مقالاته وأبحاثه بصفة دورية وله نشاط كبير فيما يليه من محاضرات إسلامية عديدة في الأندية والجمعيات والكليات الجامعية وأسهم في كثير من المؤتمرات الأدبية والإسلامية في مصر والخارج وأقصى آماله أن يلقي الله مجاهدا تحت راية القرآن الكريم .

تخرج من الدراسات العليا بكلية دارالعلوم ، وشغل كثيرا من الأعمال التربوية والإدارية والفنية منها : مدير قسم المخطوطات والقسم الأدبي بدار الكتب ومدير الإدارة الفنية بالمؤتمر الإسلامى ومدير الوثائق والمكتبات بالأوقاف وعمل أستاذاً بالمعاهد العليا والكليات في مصر والبلاد العربية والغربية وحضر كثيرا من المؤتمرات الثقافية بالخارج ، ويعمل الآن خبيرا فنيا بمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر . وصلاته وثيقة بالأزهر وعلماؤه منذ نشأته ويشترك في كثير من لجان المجمع ووزارة

أدب القمّة وأدب القاع

الأستاذ / السيد حسن قرون

حين تظهر جارته ولا يفتحها إلا بعد أن تتوارى عنه ، وتحتفى منه ، وما يقوله عنتره يرسم مبدأً نبيلًا ، ونموذجًا جليلاً يدعو إلى الاقتداء به ، والسير على منواله ، ولك أن تضعه نصب أعين الناشئة فيتخذوه نبراسا لحياتهم الفاضلة . أما ما يقوله أبو نواس فيرسم صورة للمجون في أحط مساويه ، وللمجون خلائق لا تحصى سرعان ما يروقههم ويشوقهم هذا القول الماجن الفاتن ، ذلك أن الشعر وهو نوع من الأدب له تأثيره على النفوس ووقعه على القلوب ، فلا بد أن ننأى به عن الإغواء حتى لا يكون داعية إلى الفساد والخلال الأخلاق ، وتحسين الرذائل ، ومن هنا رأينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد وقف بالمرصاد لنوعين من الشعر حاربهما حربا لا هوادة فيها : الشعر الذى يتغنى بالمرأة ومجالس الأنس ، والشعر الذى يهتف بالعصبيّة التى جعلها النبي ﷺ فى فتح مكة تحت قدميه ، فالأول يكسر باب

ذكر (ابن عبد ربه) فى كتابه «العقد الفريد» قول بعض الأسلاف^(١) : «وددت أن لنا مع أسلافنا كرم أخلاق آبائنا فى الجاهلية» ، ألا ترى أن عنتره الفوارس جاهلى لا دين له ، والحسن بن هانىء إسلامى له دين ، فمنع عنتره كرمه ما لم يمنع الحسن بن هانىء دينه فقال عنتره فى ذلك :
وَأَغْضُ طَرْفِي إِنْ بَدَتْ لِي جَارَتِي
حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مَأْوَاهَا
وقال الحسن بن هانىء (أبو نواس) مع إسلامه :

كان الشباب مَطِيَّةَ الْجَهْلِ
وَمُحَسِّنَ الضَّحِكَاتِ وَالْمَهْزَلِ
وَالْبَاعِثِ وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا
حَتَّى أَتَيْتُ حَلِيلَةَ الْبَعْلِ
وأبو نواس فى هذا الشعر بُعد عن مكارم الأخلاق التى تحلّى بها عنتره نحو جارته ، فشأن بين من يدب إلى حليلة الزوج ليلا والناس قد رقدوا وبين من يغمض عينه

(١) العقد الفريد ج ٦ ص ٣ تحقيق سعيد العريان

يصدر رأيه في ضوء قوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي متقلب يتقلبون) فالغاؤون من الشعراء بنوعيهما اللذين أشرت إليهما يقف لهما عمر بالمرصاد كما قدمت لأنها يقولان باطلا من القول وزورا ، ويطيرون وراء الأوهام والخيالات ، ويجعلون الباطل حقا ، ويوسسون في الصدر كإخوانهم الشياطين . أما من استثناهم القرآن وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذاادوا عن الإسلام بلسانهم كما ذاادوا عنه بسيوفهم ورماحهم فهم ناجون من منقلب أعيد للظالمين ، ومن هنا لم ينكر عمر ما قيل من الشعر ذبا عن الإسلام ، وردا على شعراء الكفر ، وتونها بفضل رسول الله الذي جاء بالنور للقضاء على الديجور ، وقد كان عمر يتغنى بما يمدح به الرسول ولا سيما إذا كان على سفر وطاب السرى مثل الأبيات التي أولها .

وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا
أَبْرَ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
وقد كثر في عهده شعرُ الجهاد حين
اصطدام المسلمين بالروم والفرس ، فكان

العفة ويذهب بالحياء ، وينتهك الحرمات ويشغل النفوس عن معالي الأمور ، ويتزع بالشباب إلى الجنس ، فلا يطمحون إلى مجد ، ولا ينهضون بعمل يفيدهم ويفيد مجتمعهم ، ولا يشاركون في البناء ، ولا يحملون السلاح إذا دعا داعي الجهاد . والنوع الثاني يضرب الأمة في وحدتها ، لأنه يثير العصبية المقيتة ، ويمزق شمل الجماعة ، وهو الداء العياء الذي يعجز عن طبه نطس الأطباء فما إن يحل في أرض حتى تشتعل نارا ، وتهاوى دمارا ، فلما عرف عمر الخليفة أن أحد أقربائه - وقد ولأه مقاطعة بالعراق - أنه يتغنى بشعره في الخمر والنساء عزله واستدعاه فلما وافاه اعتذر إليه بأنه وجد فضلا من قول فأذاعه ، وأنه لم يأت ما تغنى به ، فلم يقبل عمر عذره وحلف بالله لا يوليه عملا مادام أمير المؤمنين . وصنع ذلك الصنيع في الشعر الذي يفرق بين أبناء الأمة بإحياء العصبية القبلية ، عاقب الخطيئة وألقاه في السجن لمدحه الذي فضل فيه فريقا على فريق وهما ينتميان إلى قبيلة واحدة . . مما كاد أن يشعل الحرب بين أبناء العمومة ، ولأنه أيد « الردة » بنزعة العصبية . . ولم يقبل من خالد بن الوليد أن يسمع الشعر ويشيب عليه بآلاف الدراهم ، وأكبر الظن أن عمر كان

يسمعه ويرويه ، وكانت الجزيرة العربية تأتيا أنباء الانتصارات بالشعر أكثر مما تأتيا بالرسائل بل كان الشعر بلاغات حربية ، معدنه الصدق ، وفحواه البطولة الخارقة ، انظر إلى قيس بن مكشوح المرادى وقد قتل قائد الفرس (رستم) في المعركة يقول :

ولما أن رأيت الخيل جالت

قصدت لموقف الملك الهام
فأضرب رأسه فهوى صريعا
بسيف لا أَفْلَّ ولا كهام

هذا هو الشعر الذى غطى الجزيرة العربية أيام عمر حيث الفتوحات العظيمة . . حتى رثاء الشهداء كانت فيه العزة والبذل والسخاء والبهجة بالاستشهاد ، قوة وفتوة وبطولة وفن يؤدى ذلك فى مثالية رائعة نائية عن بريق الذهب وبهيج المزارع ، ولكن الذين جاءوا بعد عمر أخذوا ينظرون إلى الوراء ليقولوا ما يدور بأنفسهم ، وفى بادئ الأمر كان هذا النوع فلتات تروى على حذر ، ثم أخذ النبر يعلو حتى صار صراخا ينكره أهل التقى وذوو الألباب والنهى ، ويستمع إليه من غرته مباهج الدنيا ، ورأى النصر حليف العرب لا يسبقهم ولا يتأخر عنهم ، فرجعوا إلى الفخر الظالم ، واللهو الآثم ، والجدال فيها لا يستحق الجدال حتى كأنهم أعداء

أنفسهم ولو استمسكوا بالعروة الوثقى ، والنهج الأقوم واتبعوا ما أنزل الله وما بينه ورسوله ، وسلوكوا بالخلافة مبدأها الأول وهو الشورى والانتخاب ولم تعمل فيهم روح القبيلة عملها لجأت الأيام والسنون بتطورها ، فإذا هى سياج ومنعة وانطلاق إلى آفاق بعيدة ، ولكانوا نموذجاً بشريا لحياة العدالة والحق والمساواة وحب الخير ، ولدخل الناس فى دين الله أفواجاً بذلك السلوك الحميد الذى تجلى منهم فى معاملة الشعوب التى أظلمها الإسلام ، ولكن النزاع حول الخلافة والرياسة استهلك ما دعا إليه الدين ، وما يعتز به الخلق المتين .

لقد رأينا العصر العباسى - وهو قريب من العهد الأول - يمج بطبقات من أهل المحون الخارجين على تعاليم الدين لا غضبة مضرية أو يمينية على من يتغنى بالخمر والنساء ، ولا زجر لمن يتهاجى بسب أصحاب رسول الله ﷺ بحجة التشيع للعلويين أو التشيع للعباسيين ، وأهدرت كرامة العلماء من الفقهاء والمتحدثين والمتكلمين (أصحاب التوحيد) وصار العبث برواية الحديث يجد مناخا فسيحا له ، ويسمعون ولا ينكرون ، ويتناقلون ما يقال كأنهم أخذوا على الله عهدا ألا ينالهم بسوء ، وقد غفر لهم ما تقدم من

قَدْ رَوَى ذَلِكَ هِشَامٌ
عَنْ أَبَانٍ عَنْ جُنَادَةَ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُحَدِّثُ : قِم ،
عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَا أُحَدِّثُكَ بَعْدَ ذَلِكَ
وَلَا أَعْرِفُ وَجْهَكَ ، فَقَامَ أَبُو نَوَاسٍ
وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَتِيْتُ مَجْلِسَكَ وَأَنْتَ تَرُدُّ
الصَّحِيحَ مِنَ الْأَحَادِيثِ . وَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ
هَذَا الشَّعْرَ الَّذِي عَنِيَ بِهِ الرَّوَاةُ ، وَجَمَعَهُ
(ابن منظور المصري) فِي كِتَابِ «أَخْبَارِ
أَبِي نَوَاسٍ» صَادَفَ إِسْمَاعِيلَ تَلَقَّفَ وَأَقْلَامَا
تَكْتَبُ ، وَعَشَاقًا لَهُ يُتَنَاقَلُونَهُ وَيَتَفَكَّهُونَ
بِهِ ، وَلَا يَدُورُ فِي خُلْدِهِمْ أَنَّهُ يَضَعُضِعُ مِنْ
مَقْدِسَاتِهِمْ ، وَيَحْطُمُ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ ، وَيَمِيتُ
الْغَيْرَةَ وَالنَّخْوَةَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَلَا يَأْمُونُ
لِخَلَاةٍ ، وَلَا يَغْضَبُونَ لَعْبَثٍ ، وَفِي هَذَا
إِضْعَافٌ لِلدَّوْلَةِ وَالْمَجْتَمَعِ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ، ثُمَّ هُوَ مُحْسَبٌ فِي صَحَائِفِ
أَعْمَالِهِمْ «وَهَلْ يُكَيِّبُ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟»
وَالْأُنْكِي مِنْ ذَلِكَ أَنَّ تَطَاوَعَهُمْ
نَفْسَهُمْ فَيَكْذِبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ،
وَيَصْدُقُوا الْكَذِبَ : مِنْ ذَلِكَ مَا جَرَى عَلَى
رِءُوسِ الْأَشْهَادِ فِي يَوْمِ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ .
أَرَادَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيَّ السَّيِّعَ
بِوَلَايَةِ الْعَهْدِ لِابْنِهِ (مُحَمَّدُ الْمُهْدِي) وَكَانَ
ابْنُهُ جَعْفَرٌ يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، فَأَمَرَ

ذَنبَهُمْ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَكَأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَى بَنِي أُمِيَّةٍ
بِرَهَانِ الْغَفْرَانِ . قَالُوا : أَقْبَلَ أَبُو نَوَاسٍ عَلَى
مَجْلِسِ (عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زِيَادٍ) بِالْبَصْرَةِ وَقَدْ
كَثُرَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ لِيَسْأَلُوا عَنْهَا ،
فَقَالَ لَهُمْ : لِيَسْأَلِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ
ثَلَاثَةِ أَحَادِيثٍ وَلِيَحْمِضَ ، فَفَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ
حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبِي نَوَاسٍ فَقَالَ : يَا غَلَامُ ،
سَلْ أَنْتَ فَقَعْدَ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَ : هَاكَ
الْحَدِيثُ (جَعَلَ نَفْسَهُ مُحَدِّثًا رَاوِيًا) فَقَالَ
الشَّيْخُ : هَاتِ : فَأَنْشَدَ :

وَلَقَدْ كُنَّا رَوِينَا عَنْ
سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ
عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى
أَنَّ سَعْدَ بْنَ عَبَّادَةَ
قَالَ . . . وَهَذَا ذِكْرُ أَشْيَاءَ يَعْفُ الْقَلَمُ
عَنْ تَسْطِيرِهَا ، وَلَا يَقْبَلُهَا عَصْرُنَا هَذَا - مَعَ
أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنَ الْعَبَثِ - عَلَى أَنِّي أَذْكَرُ
مَا خْتَمَ بِهِ حَدِيثُهُ ، أَوْ قَلَّ شَعْرُهُ ، وَهُوَ
اسْتِمْرَارُ لِلرَّوَايَةِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبَّادَةَ الْمَفْتَرَى
عَلَيْهِ . قَالَ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا ثَلَاثٌ
لَيْسَ فِيهِنَّ زِيَادَةٌ
فَحَبِيبٌ وَمُحِبٌّ
ثُمَّ ثَلَاثٌ بِالْقِيَادَةِ
أَتَرَى ذَلِكَ صَوَابًا
نَتَّبِعُ مِنْهُ سَدَادَةً ؟

بني العباس ورجالاتهم . ألا يعلم حديث الرسول : « من كذب عَنِّي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ؟ وإذا كان أبناء بني العباس بن عبد المطلب يقبلون هذا الكذب الصراح فكيف يكون غيرهم ؟ إنها السياسة والرياسة والتعصب للأسرة أو للولد ، وهذا ما كان يخشاه عمر .

ما أثر هذا في الرعية أوفى الشعب كما نقول اليوم ؟ إن الناس على دين ملوكهم رأوا الغاية تبرر الوسيلة لدى خليفتهم ، فما عليهم أن يفعلوا مثل ما فعل ؟ وقد سبق أبا جعفر معاوية بن أبي سفيان استمع إلى الخطباء والشعراء في وصف يزيد ابنه وفضائله وقال لم يبق إلا أبناءنا وأبنائهم وأبنائنا إلينا أحب فليكن يزيد ولي العهد ، ولم يستخدم وثيقة دينية مثل أبي جعفر فيزور حديثاً على رءوس الأَشهاد ، ومن الحب ما قتل ، والحب هنا لا يقتل فرداً وإنما يقتل أمة وقديماً قالوا : الهوى إله معبود .

سقت هذا كله ، وفي كتب التاريخ والتراث أكثر منه لأبين أن الأدب شعره ونثره ما لم يتخذ الصراط المستقيم مهمته ووظيفته اتضع وفقد رسالته ، وصار معولاً هداماً في كيان الأمة .

والأمة الناهضة لا تقبل الأدب

بإحضار الناس فحضروا وقامت الخطباء فتكلمت ، وقالت الشعراء فأكثر في وصف المهدي وفضائله ، وفيهم (مطيع ابن إياس) الشاعر ، فقام وقال للمنصور : يا أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال : « المهدي منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا ، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » والمهدي اسمه محمد والمنصور واسمه عبد الله ، ويستشهد مطيع بأخي الخليفة قائلاً : وهنا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك . ثم أقبل على العباس . فقال : أنشدك الله ، هل سمعت هذا ؟ قال العباس : نعم (مخافة من المنصور) ، فأمر المنصور بالبيعة للمهدي . ولما انقضى المجلس قال العباس بن محمد لمن يأنس به : أرايتم هذا الزنديق ؟ لم نرض أن يكذب على الله عز وجل ورسوله ﷺ حتى استشهدني على كذبه ، فشهدت له خوفاً ، وشهد كل من حضر عليَّ بأنني كاذب (١) .

إن الحاضرين وعلى رأسهم أبو جعفر الخليفة يعلمون بحون مطيع بن إياس ، وأنه ليس من رواة الحديث ولا عدالة فيه ، فكيف أصغوا إلى هرائه ، وكيف قبل وعمل به ؟ وموقف العباس بن محمد لا يحمد عليه وهو من أذكى

(١) الأغاني - أخبار مطيع بن إياس

والهيام والشكوى من الصبابة ولواعج الشوق وخلف المواعيد ، فتصدى له أحد المطربين « يقول له : هات لى ميدانا غير ميدان الحب أغنى لك فيه ، نظر المطرب إلى الاستعمار الجاثم فوق صدورنا ورأى الجنود لتشييع الجنازات ومرافق الدولة فى اليد الأجنبية ، وثورة ١٩ انقلبت أحزابا وتناحرا على كراسى الحكم ، فليس هناك ما يدعوه ليتغنى بشيء غير موجود . هذا ما علق بذهنى من كلام الأديب والمطرب ، وليس لدى المقالان فأنقل إليك ما دار على تمامه ويومها عجب القراء لرد المطرب ، إذ أنه لمس كبد الحقيقة وأشار إلى ما ينقصنا ، وليس معنى هذا أنى أؤيد ما ذهب إليه ، فليس الأدب وما يغنى به منه مقصورا على الواقع فأين أحلام الشعوب وأين ما تطمح إليه ؟ إن نظرة فاحصة إلى بناء الشعوب على مدى العصور تجد غذاءهم الخيال ، إنهم ينظرون إلى المستقبل من سترقيق ، يحدثون أنفسهم بمستقبل بلادهم ، ثم يخططون ثم يعتقدون بما يحلمون ، ثم يكتبون ويخطبون ، ولا يخافون ما ينتظرهم من آلام وعذاب ، وقد ينجحون فى حياتهم ، وقد يحصد مازرعوا أبناء وطنهم بعد رحيلهم ، ولولا طموح الزعماء وماتصوروه لبقيت شعوبهم إلى الأبد ترزح تحت نير الاستعمار

الداعر ، ولا الخيال الكاذب ، ولا السفسطة الفارغة ، لأن البناء الجديد يستدعى جدًّا لا يقبل الهزل ، وغيره لا تعرف التهاون ، وسلوكا لا يميل به الهوى ، إن أبا سفيان - قبل إسلامه - سأله (هرقل) عن رسول الله ، وكانت العداوة على أشدها بين المسلمين وكفار قريش فأجاب صادقا ولم يقبل أن يكذب ، وقال : لو كذبت ماردتنى أحد ممن معى ، ولكنى كنت رجلاً أتكرّم ، يعنى لا يقبل أن يخدش كرامته بالكذب . وهذا هو النوع الذى أُرسلَ إليه محمدٌ صلوات الله عليه بالهدى ، فكانوا حين أسلموا رجالا كراما باطنهم كظاهريهم لا تغرهم المغريات ولا تلعب بهم الدنيا ، ولا تدهشهم المواقف ، ومن ثم تجد « كليله ودمنة » من اختيار الجادين ، وتجد « ألف ليلة وليلة » من اختيار اللاهين . . . والكتابان ظهرا فى العصر العباسى ، وإن كان الأخير عملت فيه العصور بما تهوى إلى القرن العاشر الهجرى ، فأدب كل أمة هو « الوعاء » الذى يبين عن منهجها وطموحها ومسلكتها ، فالأمة الجادة آدابها جادة ، والأمة المترهلة آدابها ساقطة هابطة ، فى الأربعينات من عصرنا كتب المرحوم أحمد أمين ينعى على أغانبنا أنها تدور حول الغرام

أو التخلّف وهنا يأتي دور الأدب فيأخذ أحلام زعمائه فيصوغها قصصا وشعرا يقبل عليه الشعب فتكون النتيجة على يديه ، بل على الأدباء أن يسبقوا الزعماء فهم أصحاب الخيال وعليهم أن يعملوا لشعوبهم لا لأنفسهم لكن أدبنا كثيرا ما تخلّى عن رياسته ، فعاش تابعا مسامرا للأمراء والملوك لا يرفع شعارا ولا ينير منارا ، ولا يعرف للنصيحة موقعا مع أن النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين كما نوه سيد المرسلين ، ويتزل الأدب عن سمائه ، ويتزوى في ملهى ، فيقول هراء ، ويذيع هذيانا وبهتاناً ، ويكون معوقا لنهضات الشعوب ، انظر إلى قاضى (غرناطة) آخر معقل للعرب والمسلمين بالأندلس ينظم ٩٦ بيتاً في المجون والخلاعة ، ولا يلتفت إلى ما حل به ويقومه وبالوطن الذى يعيش فيه ، وهذه أبيات اختارها من قصيدته ، فقد نتسامح في قراءتها لأنها أعف ما فيها وإن كانت من الهزل والانتصاع فى القاع . يقول :

لَا أُمُّ لِي لَا أُمُّ لِي
إِنْ لَمْ أُبَرِّدْ شَجَنِي
وَأُخْلَعَنَّ فِي الْمُجَوِّ
نِ وَالصَّاصِي رَسَنِي

واجعل الصبر على هجر الملاح ديدنى قاضى غرناطة ماجن خلّع رسن النهى وثوب الحياء ، وصار كما صور نفسه بوهيميا ، والصَّبْر الذى هو قيمة المؤمن والسلاح العزيز فى الخطوب والنوازل والمعارك والجنة فى صيانة الحق وأهله جعله القاضى ديدنه وعادته عند « هجر الملاح » أظن هذا القول يصلح مبدأ للحياة ؟ ألا يدل هذا القول على أفول نجم العرب فى الأندلس ؟ إذا كان القاضى هذا شأنه فماذا ينتظر من غيره ؟ هذا وأمثاله هم الذين ضيعوا ما خلفه السادة ، وخاضوا من أجله ميادين القتال البحر من ورائهم والعدو أمامهم وليس لهم إلا الصبر من أمثال طريف بن مالك وطارق بن زياد . وموسى ابن نصير ولو استخدموا عقولهم وآدابهم فى الحفاظ على ما فى أيديهم لكانوا خليقين بالانتساب إلى آبائهم ، وكم من أبناء ضيعوا ما خلف الآباء وكان معاصرو « قاضى غرناطة » فى مصر المملوكية لهم عبث من نوع آخر ، عبث الياشين الذين لا يشاركون فى حكم ولا يتطلعون إلى تغيير ، جعلوا الأدب والشعر فى مقدمته جسما بلا روح ينظمون الألغاز والأحاجى والبيت الذى تنقط حروفه كلها والبيت

(١) أبو عبد الله بن الأزرق ترجم له المقرئ فى

نفخ الطيب .

فَمَنْ يُبَيِّنُ فُضَائِحَهُمْ وَيُشِيرُ النَّاسَ عَلَيْهِمْ إِنْ لَمْ
يَكُنْ أَهْلُ الْأَدَبِ وَأَرْيَابُ الْقَلَمِ مِنْ كِتَابٍ
وَشِعْرَاءِ؟

إِنْ شَاعَرَ عَصَرَهُمْ يَقُولُ :

أَقُولُ وَقَدْ شَنَوْنَا إِلَى الْحَرْبِ غَارَةَ

دَعَوْنِي فَإِنِّي آكُلُ الْخُبْزَ بِالْجُبْنَ
وَيُرِينُ الظَّلَامَ ، وَيُنْجِمُ عَلَى دُورِ
الْإِسْلَامِ وَكَأَنَّ أَصْحَابَ الدُّورِ نِيَامَ ، وَالْعَالَمِ
الْأَوْرَبِي مِنْ حَوْلِهِمْ يَطِيرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
يَبْحَثُ وَيَنْقُبُ وَيَجْرِبُ وَيَجِدُ وَيَبْتَكِرُ ،
إِنَّهُمْ الْأَحْيَاءُ وَغَيْرُهُمُ الْأَمْوَاتُ لَا يَشْعُرُونَ
بِدَوْرَةِ الزَّمَنِ وَلَا يَدْرُونَ مَا يَحَاكِ لَهُمْ مِنَ
الْحُزَنِ . وَالشَّرْقُ الْإِسْلَامِي مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى
مَاوَرَاءِ النَّهْرِ يَتَنَحَّى تَحْتَ حَفْدَةِ جَنْكِيَزْخَانَ ،
وَيَبْعَثُ عَلَى الْبُكَاءِ وَاجْتِرَارِ الْبِئْسَاءِ ، وَتَطْلُعُ
شَمْسٌ وَتَغْرُبُ شَمْسٌ عَلَى دُنْيَا تَتَغَيَّرُ ،
وَدَعَوَاتُ تَظْهَرُ ، وَدُولُ تَدُولُ ، وَدُولُ
تَقُومُ ، وَأَهْلُ الْفِكْرِ فِي غَيْبِيَّةٍ تَامَةٍ ، وَنَوْمٍ
عَمِيقٍ .

وَاسْتَيْقِظَتْ مِصْرُ يَوْمًا عَلَى دَوَى
الرِّصَاصِ يَنْهَالُ مِنْ أَفْوَاهِ الْمُدَافِعِ ، فَإِذَا
بِالْمَالِكِ وَالْعُبَيْدَانِيَيْنِ الَّذِينَ حَرَمُوا أَهْلَ الْبِلَادِ
مِنَ الْجَنْدِيَّةِ وَشَرَفَ الْقِتَالِ لَا يَثْبُتُونَ
لِلْمَغِيرِينَ مِنَ الْفَرَنْسِيِّينَ ، وَيَصِيحُ
الْمِصْرِيُّونَ . يَا خَفِيَ الْأَطَافُ نَجْنَا مِمَّا نَخَافُ
وَلَا يَكُونُ النِّجَاءُ إِلَّا بِقِظَةِ تَامَةٍ ، وَعِلْمِ

الَّذِي يَخْلُو مِنَ النَّقْطِ ، وَالْبَيْتِ الَّذِي يَنْقُطُ
مِنْ أَعْلَى فَقْطٍ ، وَمَا لَا يَسْتَحِيلُ
بِالْإِنْعِكَاسِ ، وَالتَّارِيخِ الشَّعْرِي لِكُلِّ مَنْ
وُلِدَ أَوْ تَزَوَّجَ أَوْ مَاتَ مِنْهُمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا
لَا طَائِلَ تَحْتَهُ ، شَعْرٌ لَا يَحْمِلُ عَاطِفَةً ،
وَلَا يَتَوَهَّجُ فِيهِ إِيمَانٌ ، وَلَا يَعْتَرِكُ فِيهِ رَأْيٌ ،
كَلِمَاتٌ مَخْصُوصَةٌ . وَأَلْفَاظٌ مَصْفُوفَةٌ لَا تَرَى
مِنْ بَيْنِهَا هَدَفًا يَغْلُو ، أَوْ هِمَّةً تَعْلُو ، أَوْ مَبْدَأًا
يَسْمُو ، أَوْ دَعْوَةً تَفِيدُ ، وَإِنْ تَحَرَّكَتْ
شَاعِرِيَّتُهُمْ وَلَوْ مَجَازًا تَهَاجَوْا بِكَلَامٍ مَنْحُولٍ
مِنَ السَّابِقِينَ أَفْسَدُوهُ حِينَ نَظَمُوهُ مِنْ
جَدِيدٍ ، فَجَاءَ كَخَبِزِ الشَّعِيرِ كَمَا يَقُولُ ابْنُ
نَبَاتَةَ الشَّاعِرِ ، وَلَيْسَ لَكَ مِنْ كُلِّ مَا عَاشُوا
فِيهِ ، وَسَلَخُوا حَيَاتَهُمْ فِي قَوَافِيهِ إِلَّا
الْبَدِيعِيَّاتِ الَّتِي نَظَمْتَ مَحَاكَاةً لِلْبَرْدَةِ الَّتِي
نَظَمَهَا الْبُوصَيْرِيُّ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ ، وَلَيْتَهُمْ
كَانُوا مِثْلَهُ ، وَلَكِنْهُمْ جَعَلُوا مِنْ مَدْحِ
الرَّسُولِ عَلَى وَزْنِ الْبَرْدَةِ عِلْمًا هُوَ الْبَدِيعُ ،
السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الْحَبِيبَةُ إِلَى النَّفُوسِ الَّتِي تَهْدِي
وَتُرْفِقُ الْقُلُوبَ جَفَفُوهَا فَصَارَتْ فِي
قِصَائِهِمْ لَا تَحْرُكُ قَلْبًا وَلَا تَلْهَمُ لُبًّا ،
وَلَا تَعْطِي بَيَانًا ، وَلَوْ عَرَضُوهَا بِمَا تَوْحَى بِهِ
لَعَدَلَتْ أَخْلَاقًا وَسُلُوكًا ، وَلَنَبِهَتْ الْغَافِلَ ،
وَأَيَقِظَتْ النَّائِمَ وَهَدَّتِ الضَّالَّ وَلَكَانَ
الْحُكَّامُ وَالْمُحْكَمُونَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ،
وَمَنْ ثَمَّ عَاثَ الْمَالِيكَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا

بالحرب والسياسة والاقتصاد والاجتماع ،
وفي المقدمة التخلي عن الأوهام والخرافات
والتواكل ، والأخذ بأسباب القوة ،
والعودة إلى الإيمان الصحيح ، والاستجابة
لقوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة) .

وصحبا شعب مصر فكان له رواده
ومصلحوه فأيقظ معه أبناء قحطان وعدنان
في كل صقع من أصقاع العروبة ، وامتدت
أصواته إلى كثير من ديار الإسلام في أرجاء
الأرض ، والعراقيل تشده وهو يغالبها .
صرع مرير ، وجهاد كبير في الداخل
والخارج كان الأدب في ذلك الحين
يتحسس طريقه ، ويتلمس حقوقه ، وما
هى إلا سنوات حتى بدت تباشيره على
أيدي رواد عرفوا التراث فأخرجوه حيا
يتحرك ويتحدث ويصيح ، وظهرت السيرة
النبوية ملهمة ومعلمة ومرشدة ، تجلت لنا
الجزيرة العربية على عهد الوحي فعرفنا
الدين كما أراده الله ، وعرفنا كيف صاغ
محمد ﷺ من أهل البادية رجالا وأبطالاً
لهم قدرهم وخطرهم في كل ميادين الحياة
حتى بهروا من حولهم من أرباب العلم
والسلطان فقالوا إنهم « رهبان بالليل فرسان
بالنهار » فعاشوا بيننا بفضل ما أداه إلينا
روادنا وعشنا معهم نشاهد مكارم

أخلاقهم ، وقوة صبرهم ، وإنكار الذات
في سبيل المطلب الأسمى ، وهو نشر
الإسلام بساحته وعدالته وإيمانه وأمنه ،
فلم تعد السيرة النبوية علم البديع ولكنها
صارت أدبا رائعا بارعا فيه الحقيقة التاريخية
والإلهام الأدبي والهداية إلى سعادة الدنيا
وسعادة الآخرة ترى ذلك في شعر البارودي
وشوقي في « نهج البردة » وترى صنيعا
لغيرهما في « العمريه » لحافظ و « العلوية »
لمحمد عبد المطلب و « الإلياذة الإسلامية »
لأحمد محرم ، وبجانب ذلك « العبقريات »
للعقاد ، « وعلى هامش السيرة » للدكتور
طه حسين ، وما إلى ذلك مما لا يحتمله هذا
البحث الذى بنى على الإيجاز . وكان لهؤلاء
الرواد منهمجهم في السياسة والاجتماع فقالوا
وكشفوا وصرخوا في وجه المستعمر وفي وجه
الحكم المطلق ، وتحملوا السجن وآلام
الحرمان . . ثم مضوا وظهرت بعدهم أمور
أثناء حياتهم تسمى وسائل الإعلام
وأبرزها صناعة السينما والمسرح والإذاعة
المسموعة والمرئية ، فكان ضررها أكثر من
نفعها ، يدور كثير من أعمالها على الجنس
يمثل ويغنى ويترك آثاراً سيئة تحتاج إلى جهد
ومقاومة ، فكنا كأسلافنا في العصر
العباسي ، منا من يلهج بالجد ، ومنا من
يلهج باللهو ، وكما ظهرت الشعبية في

عصر الأسلاف من زندقة وتعصب ضد العرب ظهرت في عصرنا دعوات إلحادية وأفكار مستوردة للقضاء على الإسلام وتقاليدنا الطيبة ، ويتخذ أصحاب الآراء المستوردة من واقعنا حديثهم عن أسباب تخلفنا ، ويرجعون ذلك إلى جمودنا على ماضيها مما يفيض الشباب في مفاهيم دينه ، وتعاليمه النيرة حتى رأينا أناسا يقولون : إن ما كان يصلح في زمن الخلفاء الراشدين لا يصلح في عصرنا ، وأن تطبيق أحكام الدين الإسلامي تعوق التطور أو أن المجتمع لم يهيا لتلك القوانين ، وأحكام الدين - كما هي معلومة - من صنع رب العالمين العالم بما يصلح للإنسان في كل زمان ومكان .

فما واجب الأدب إذن إزاء تلك الأقاويل ؟ واجب الأدب في زماننا ، وقد صحونا وأخذنا نتطلع إلى المستقبل أن يسلك سبيل الرشاد ، لأننا توانينا عن العمل دهرًا طويلاً فلا سبيل إلا الجد والجهد وبذل أقصى ما نملك من قوة وتفكير مع المحافظة على الخلق الحميد ، وصيانة التقاليد الموروثة النابعة من حب الأسرة ورعاية الجار ، وحب العمل لصالح المجموع ، وأن يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه ، أي العودة إلى منهج الأسلاف الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان

بهم خصاصة ، وأن يقوم الأدب بتصوير ذلك في فنونه من القصيدة والنشيد والأغنية والمقالة والقصة والأقصوصة والرواية ، وما يعد للتمثيل وليس في هذا تزم ولا دعوة إلى الوراء ، بل دعوة إلى بناء شخصيتنا على أساس من العلم والإيمان ، والاجترافنا أبواق الغرب وبريقه ألى ذوبان شخصيتنا ويومئذ لا نجد لنا كيانا ولا سلطانا . فعلى حملة الأقلام أن يتبينوا موقفهم ، ويعرفوا مكانتهم ، ويتقوا الله فيما يقولون ويكتبون . وعليهم أن يهتموا بلغتهم ، فلا يعتمدوا على ما قرءوا في الآداب الأجنبية ، فمنهم من يعرف كل ما أنتجة أدباء الغرب ويحرص على الدقة فيما يعرضه من كتاباتهم وفنونهم ، فإذا جاء إلى أدب لغته لم يهه أن يعرف ما أنتجه أدباؤنا قديما وحديثا ، ولا يهتم بتقويم لسانه بمعرفة قواعد لغته ، إن إتقان اللغة العربية من صلب الشخصية ، فالتهاون فيها تهاون في الشخصية التي تنسب إليها ، فلغتنا غنية بما يحتاج إليه الأديب ، وفيها من المعاني والأساليب ، ولها من جرسها وحلاوة لفظها وشاعريتها ما يصنع الأديب ويلهمه ويعينه على الإجادة والبراعة وجذب الأنظار .

ولقد أحسن الشاعر حافظ إبراهيم حين

جعلها تتحدث عن نفسها قائلة : ولا نهبط به إلى الثرى . .
 أنا البحر في أحشائه الدر كامن
 فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟
 فعليتنا أن نرتفع بالأدب إلى الثريا ،
 السيد حسن قرون

الفقيه كل الفقه

قال على كرم الله وجهه : ألا أخبركم بالفقيه كل الفقه ؟ قالوا نعم
 قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولم
 يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، فإذا
 كان يوم القيامة نادى مناد : أيها الناس إن أقربكم اليوم إلى الله أشدكم
 له خوفاً وإن أحبكم إليه أحسنكم له عملاً ، وإن أعظمكم عنده نصيباً
 أعظمكم فيما عنده رغبة وإن أكرمكم عند الله أتقاكم . . ! !

الإسلام وتطبيق شريعته

الدكتور / توفيق محمد صالح

(فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك
على صراط مستقيم) ، (الزخرف ٤٣) .
(وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ،
(الأنعام ١٥٣) . (فليحذر الذين يخالفون
عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
أليم) ، (النور ٦٣) .

فالالتزام بأحكام الشريعة - إذن -
حتمى ، والوقوف عند الحدود واجب ،
واتباع الرسول فيما جاء به يتبع ، والإسلام
هو الصراط المستقيم ، ولا يضل المؤمن
الطريق الإلهية إلا تنكب عنه ، والخسار
والبور في مخالفة تعاليمه والزيف عنها .
وتعاليم الإسلام تؤخذ ككل ،
وإلا فخرى الدنيا وعذاب الآخرة لمن اختار
منها فنفسه ، وترك بعضها فأهمله (أفتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) ؟ (فما
جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خسر في
الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد

إن الدين عند الله الإسلام ، أكمله
سبحانه وأتم به النعمة ، وارتضاه تعالى ديناً
لخير أمة أخرجت للناس ، وهو نظام
متكامل : فى الجانب السياسى ، والجانب
الاقتصادى ، والجانب الاجتماعى . .
وليس ملفقاً من أنظمة متباينة ، ولا مرقعاً
من وضع عقول بشرية تصيب وتخطئ ،
وتستقيم وتزل .

ولابد أن يؤمن المسلمون بأن دينهم :
عقيدة وشريعة ، وعبادة ومعاملة ونظام
دين ودولة . ولابد بعدئذ - أن يرتبطوا
بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله - ﷺ -
فى جميع تصرفاتهم وأحوالهم .

والتزام المسلمين بأحكام شريعتهم
لازم ، لا خيار لهم فى غير ذلك :
(وما كان للمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله
ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من
أمرهم) ، (الأحزاب ٣٦) .

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا) ، (الحشر آية ٧) .

(العذاب) ، (البقرة ٨٥) .

* * *

واحترام الإسلام للإنسان وتكريمه وإعرازه هدف الرسالة الإسلامية بل كل الرسالات الإلهية راعت ذلك : (ولقد كرمنا بني آدم) ، (الإسراء ٧٠) .
وتلطف الإسلام بالطبيعة البشرية ، فلم يكلفها رهقا ولا شططا ولم يتركها هملا وضیعة :

فحفظ للإنسانية صفاءها ونقاءها ، وهذب غرائزها وكبح جماحها ، لأن نفس الإنسان وطبيعته بما ركب فيها من عقل وحكمة ، وغريزة وشهوة .. عرضة للتأرجح بين السمو والرفعة ، والتردى والانحطاط . ولا يطلب الإسلام من الإنسان أن يخالف طباعته فيكون ملكا ، ولا يريد له أن يتردى مع غرائزه فيكون حيوانا ، وإنما يحب له أن يكون بشرا سويا ، وإنسانا يعيش المستوى الفاضل في الإنسانية : (ونفس وما سواها . فآلهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) ، (الشمس ٧ - ١٠) .

فالمواعمة بين طبيعة البشر وانسجام سلوكه نشدة الإسلام ، ومن ثم لم يُحِلَّ الله لعباده إلا ما فيه خيرهم ، ولم يحرم عليهم إلا

ما يزعجهم وينغص عليهم حياتهم ، وبذلك الرفق في توجيههم داروا في دائرة الممكن ، وعدم تجاوزه إلى دائرة المستحيل ، أو ما يصطدم بالنواميس الفطرية والاجتماعية وغيرها مما يتنظم الوجود الأرضي للإنسان . وبذلك واءم نفسه مع عقله وغرائزه بصمام أمن وتوازن هو القلب والفؤاد مكان الإيمان بالله ، فحقق دوره الاستخلافي والأخلاقي بصورة مهذبة كريمة ، وفي إطار رشد إنساني : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) ، (النحل ٧٨) .

والإيمان أمانة المؤمن ، به أعزه الله وفضله ، وكرمه على غيره من المخلوقات حتى لا يتجه بالعبادة إلى مماثل له أو مخلوق ، وإنما اتجأه وقبلته ومقصده وعبادته وخضوعه لمن ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

وكل مشقات الحياة ولأوائها تهون أمام الاستمسك الحق بالإيمان ، فالؤمن الكامل يثبت بإيمانه في كل موطن ، ولا يطفئه النصر ، ولا تخيفه الشدة والأزمة ، ولكن يحيا بإيمانه وله ، ويموت عليه . وهو في سبيل ذلك قد تدفعه متطلبات تلك المحافظة

من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) ، (طه ١٢٤ - ١٢٧) .

ومن صفات الله تعالى « العدل » فهو سبحانه لا يسوى بين هذا وذاك : فبينما ينتظر المحسن ما وعده الله في الدنيا من العزة والاستخلاف والأمن والتمكين ، وفي الآخرة من النعيم المقيم والنور ورضاء الله . . بينما ينتظر المسيء الذلة والخوف والإهانة والظلمات جزاء إلفه لظلمه : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا) ، (النور ٥٥) ، (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) ، (٧ - ٨) . (فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعرسى) ، (الليل ٥ - ١٠) .

ولم يتخلف قانون الله سبحانه وناموسه بين جماعة المسلمين من لدن كانوا إسلاميين

على الرضا بالقليل الحلال ، بل قد يستعذب الحرمان عن طيب خاطر مع الثبات على مبدئه .

هانت عنده الدنيا القصيرة الأمد ، وهانت عليه متعتها الزائلة ، وصغرت عنده كل تضحية وحرمان ، وكان له من قوة إيمانه دفع قوى ، ونور هداية في غياهب الديجور ، ولم تزعزعه الأزمات والمحن ، ولا انتشار الباطل والطغيان : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) ، (الحج ٤٠) .

بينما رقيق الدين أوغير المؤمن ، أوالمنافق تغلبه نفسه وأنانيته ، فيؤثر متع الدنيا مع التنازل عن إيمانه ، أوينافق في سبيلها في معتقده وسلوكه ، ذلكم خسر الدنيا والآخرة ، وهو خسران مبين . ولوراجع هذا نفسه وتيقن من أن الحياة كلمح البصر ، أوهى أقصر ، لارعوى وأقصر عن باطله ، ولكن غره شيطانه ، وغلبته نفسه الأمارة بالسوء ، فكان بواره وخساره : (ومن يهن الله فما له من مكرم) ، (الحج ١٨) ، (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي

المسلمين عن أنه لا انفصام بين الدين والحضارة .

فالدین هو الالتزام بما جاءت به رسل الله ، مادام مصونا وناقد الكلمة ، لم يغير ولم يبدل ، ولم يتخذ ظهريا ولا مطية ، والحضارة كل إنتاج مصدره العقل ، لكل ألوان النشاط البشرى ، ماديا أو معنويا ، ويوجهها الدين لإكرام الإنسان وإعزازه . .

ونتيجة لهذا الفهم الخاطئ الذى روجه أعداء الأمة الإسلامية فى الداخل والخارج ، عاشت أمة مستهلكة ، (بفتح اللام . وكسرهما) وأمست غطاء كغناء السيل ، لا يؤبه لها ، ولا يلتفت إليها ، وتساق إلى ما يراد لها ، وتستنزف خيراتها ، وأنهيكتها خلافاتها وطوائفها . .

وأصبحت المقارنة الظالمة بين حاضر المسلمين وواقعهم المرير ، والبون الشاسع بين التقدم الهائل فى دنيا « التكنولوجيا » للأمم « العلمانية » والتخلف المريع الذى يرتع فى رقعة الأمة الإسلامية . . أصبحت هذه المقارنة الظالمة مادة للتأليف والرصد والتحليل ، وسيلا للصد عن الإسلام والحيلولة دون انتشاره ، وسببا إلى وقوعته ، ودعاية رخيصة للحاققين بأنه استنفد أغراضه ، وأمسى جثة بلا حراك . .

حتى اليوم ، ولن يتخلف فى الغد إلى أن تقوم الساعة : سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا : فيوم أن اعتر المسلمون بإسلامهم أعزهم الله . ونصروا دينهم وانتصروا على أنفسهم ، فنصرهم الله ولينصرن الله من ينصره ، فكانوا مثلا يحتذى ، ونماذج تقتدى ، ونورا به يهتدى . .

وأصاب المسلمين الوهن حين تسرب إلى أقطار العالم الإسلامى فى القديم والحديث حب الدنيا ، وحين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وحين تعرضوا لغزو أجنبي نتيجة تقصيرهم . . . أمكن الله منهم ، فأصبح واقعهم مؤلما ، وتعرضوا لغزو فكرى أجنبي جارف ، قذفته عقول واعية حاسبة ، تنفيسا عن داء دوى ، وأحقاد دفينه من صدور تكن عداوة شديدة بدون مبرر .

وازداد وهنهم وضعفهم ، فأصبحوا غطاء كغناء السيل ، حين تسرب بينهم وهم خاطىء بأن الحضارة شىء ، والدين شىء آخر ، نتيجة انتشار الحضارة المادية الوافدة من الغرب العلماني ، الذى فصلت فيه الدولة بنشاطها عن الدين (مع أن نفوذ الكنيسة صار نافذا ومسموع الكلمة ومرهوب الجانب بعدئذ) وغفل قادة

أثر ذلك أن وجه كثره كثيره من أبناء العلماء المسلمين أبناءهم للدراسة في غير مجال الإسلام .

وأنت ازدواجية التعليم ثمرتها الآثمة ، في خلق أجيال متصارعة بين القديم والحديث ، وبين الدنيا والدين ، وبين ساخر من التراث وداع إلى نبذه ، وبين محافظ على التراث وداع إلى تنقيته والأخذ به واعتباره . وهنا الاستعمار ، وترك أبناء المسلمين يضطرون . وأطلق طائفة رباهم على عينه ، وصدرهم التوجيه ، ويمكن لهم من الريادة والرياسة والقيادة ، فكانوا ضعفاً على إبالة ، وحرباً على أهلهم وأضحوا مثار حيرة وبلبله لشباب بني جلدتهم ، ومناوئين ألداء لمعتقدهم وموروث الأمة ، وماضيها المجيد ، وأرقدهم الاستعمار والغزو الفكري بسيل جارف من المطبوع والمشاهد والمجسم والمعنوي . . في محاولات مدروسة وذكية لوأد البقية الباقية من تعاليم الإسلام أوقهرها ، فهدأ القلوب المريضة ، وسرت جوانب الضعف فعلاً في كل المناحي والجوانب ، ولكن بقي الإسلام - والحمد لله ، في نفوس طاهرة ، وعقول واعية ، عضت على إسلامها بالنواجذ ، وتجرت في سبيل المحافظة عليه كل الغصص وكل

والدين من كل هذا براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، والتأخر إنما هو في الأنفس الخائرة والحائرة ، والقلوب الضعيفة والميتة ، فالمقارنة مغالطة مقصودة .

وضيق الأعداء الخناق على الإسلام بمخططات قوية محكمة بهدف زعزعة عقيدة المسلمين ، حتى يتركوا دينهم ، أويصبح الدين بعيداً عن القيادة والتوجيه والحياة ، وينحصر في دائرة الطقوس الدينية ، بين المقابر والجنائز ، وبين مساجد بلا روح ، ويعيش على هامش الحياة ، فاستشرت الملل والنحل ، وانتشر الفساد والإلحاد ، وتربعت المادية وعادت سيرتها الأولى في جاهليتها بكل مظاهرها وطغيانها .

وفصل التعليم المدني عن الديني ، وحظى الأول بكل رعاية وعناية ، ونال الثاني الإهمال وأبعده خريجه عن القيادة والتوجيه ، وحتى تصدر من لادارية لهم بالدين بقيادة المؤسسات الدينية ، وحرم الفاهمون لطبيعة الدعوة الإسلامية عن قيادة أموره وشئونه ، وحتى قدم لرياسة المؤتمرات الإسلامية غير رؤساء المؤسسات الإسلامية . والمثير في ذلك أن المرءوسين لم يقووا على الاحتجاج ، ولم يثيروا الاعتراض ، مع أن أبسط مظاهره هو الاستقالة . . ولعل من

وحدهم ١٠٤ آلاف مبشر، و٩٣ ألف موزع للكتب والنشرات، ومعاهد التبشير ١٦٦٧١ معهدا، وحوالي خمسمائة جامعة وكلية ومعهد عال و٤٨٩ مدرسة لاهوتية متخصصة في تدريب المبشرين. وتحت سلطتهم ٢٥٩٤ مدرسة ثانوية و٨٣٩٠٠ مدرسة ابتدائية، و١١١٣ روضة أطفال. وتحت سلطة البابا مايزيد على خمسمائة مليون دولار.. وفي الجانب الطبي والاجتماعي يملك المبشرون ٦٠٠ مستشفى، و١٠٥٠ صيدلية، و١١١ مجلسا طبيا، و٩٣ جمعية للممرضات و٢٩٣ ملجأ للأيتام، ١٢٠ ملجأ للبرص، و٨٥ ملجأ للأرامل، و١١٥ ملجأ للمكفوفين، و١١٣ مستوصفا للمدمني المخدرات..

هذا عدا دور الكتب والمجلات والصحف والإذاعات والمصقات على جميع المستويات، تؤدي كلها دورها بإتقان وعناية، وتنطلق كالسهم يعرف وجهته ومستقره.

وكان الأجدى والأولى أن تضع هذه الإمكانيات الهائلة يدها في يد الإسلام لمناوأة الإلحاد والمادية عدو الأديان اللدود. ولم يقتصر الأمر على ذلك: بل لفقت الدساتير والأحكام من شرق ومن غرب ومما لا يتفق ووضعية المسلمين ولا يناسب بيئاتهم

المساعات: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، (الحجر ٩) وأنس الاستعمار من كثرة من القائمين على أمر الأقطار الإسلامية، بعد الاستقلال الكلي أو الجزئي، والحققي أو الشكلي، أنس منهم نفرتهم من التقرب إلى الإسلام والميل إلى عدم الأخذ بتعاليمه، وعدم الجدية في العودة إليه وتطبيق أحكامه.. فوجد ضالته، وقدم لهم أمانيه في صورة مشورة، واهتبل الفرصة السانحة، وأحرق بالأمة الإسلامية والعربية، وكرس جهوده بواسطة رسله، وأحكام هذه المناطق، وأمن المشرعين من أبناء البلاد ممن رباهم على عينه وغذاهم بلبانه لتنفيذ مخططاته، ونجرتئ منها في هذه العجالة بما ذكرته «مجلة ألمانية» في إحصائيتها، ليرى المسلمون ماذا يراد بهم، وما هو واجبهم نحو دينهم:

فرض الوضعية الاقتصادية المتخلفة على كثير من البلاد الإسلامية لتظل مصدرة للمواد الخام والأولية، والأيدى العاملة بأرخص الأسعار، ثم استيرادها بعد التصنيع بأغلاها، فانتشر الفقر وتمكن، وصحبه المجاعات والأمراض والجهل والتخلف.

أصبح جيش التبشير للبروتستانت

● الأستاذ أبو الأعلى المودودي ، فيما سطر في عمق وإيجاز عن الدستور الإسلامي المقترح .

● والأستاذ الدكتور المرحوم عبد الرازق السنهوري حين أخرج مؤلفات قيمة أبانت عظمة التشريع الإسلامي وميزاته .

● والمرحوم الأستاذ سيد قطب والأستاذ محمد قطب فيما كتبوا من تهيئة عامة لهذه النهضة الجديدة .

● والأستاذ أبو الحسن الندوي فيما سطر من أبعاد إسلامية كانت للأولين ، ليبحث التابعين .

● والمرحوم المهندس مالك بن نبي ، فيما أبان عن دور الاستعمار الثقافي في حجب الرؤية عن الإسلام ، والعمل على سيطرة ثقافته وأنظمته .

● والأستاذ الدكتور محمد البهي ، حين أبرز جوانب الأصالة في الفكر الإسلامي على مدى العصور في مقابلة الدخيل ، وفيما أدلى من آراء صائبة في حل مشاكل المجتمع الإسلامي المعاصر ، على هدى الإسلام وفي ضوء تعاليمه فدحض حجة القائلين بأن الإسلام قد انتهى دوره .

● والأستاذ المرحوم عبد القادر عودة ، فيما قن للتشريع الجنائي فكان خطوة رائدة على الطريق . .

من حلول مستوردة ، وكثرت - الإغارات من القوانين الوضعية والإغارات عليها ، وترك المبادئ الإسلامية أونسيانها ، وحصرها في دوائر ضيقة ، مما سبب خللا في حياة المسلمين وأصابهم بنكبات وأورثهم الضعف ، لغياب دستورهم ، وبلبله أفكارهم ، وآمن الجميع بضرورة وجود بديل عن هذه النظم ، وراحوا ينتظرون فجرا جديدا ، بعد أن أفلست تلك النظم ، وفشلت في أن تقدم الأمن والأمان ، والاستقرار والثبات ، والهدوء والسعادة إلى البشرية .

* * *

ورب الإنسانية أعلم بدائها ودوائها ، فأرسل لها الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة ، وجاء القرآن هدى ورحمة للمؤمنين ، وكان لابد لدعوة الإسلام أن تقدم البديل لالحل النظري فقط ، وأن تصور أبعاد المشكلة ، وأن تعرض مبادئ الإسلام من جديد عرضا يتفق ومتطلبات العصر ، وأن يبعث تراثنا الأصيل في ثوب جديد ، يدنى مقاصده ، ويمهد لاحترامه والأخذ به . وإنصافا للحق قام علماء مستنيرون بدور هام في البعث الإسلامي الجديد في عصرنا الحديث والحاضر أذكر منهم :

وهاجم الباطل ، حتى أطر الناس على الحق أطرا ، فكانت الهناءة والرخاء والحق والنور والجمال . وطارت الخفافيش بسطوع السنا وانتصاره على الديجور . ويشيرون إلى أن أكثر البقاع استتبأ بالآمن هي مانفذت فيها تعاليم الإسلام وطبقت شرائعه ، وأكثر البقاع تفلتا من القانون ، وتموجا بما يشوه وجه الإنسانية الوضئ هي ماتسير على قوانين وضعية ، بعين تلفيقها على التفلت منها ، لأنها طرحت - في ظن المقنن لهم - ككفيود تحد من الانطلاق وتضاد الحرية ، ولم تلامس شغاف القلوب .

● ومن يطلبون التطبيق على التراخي ، يرون أنه لابد من التخلية قبل التحلية كما يقول الأصوليون ، فلا بد للتمهيد للأمر أولا ، كما هيأ الرسول - ﷺ - في مكة لمدة تزيد على عشر سنوات ، حتى لا يكون الأمر بمثابة فجأة تحدث ردود فعل عنادية ، وحتى يتقبل المجتمع الإسلامى فى كل قطر مايلقى إليه بعدئذ عن طيب خاطر ورضى ، بعد ما علم ، أن الرياح تسير لصالحه وصالح مجتمعه ، وأن الشر والمكر السيئ إنما يحيق بأهله لاغير .

كما يطلبون وحدة التوجيه فى وسائل الإعلام بتقديمها الهائل ، حتى تخفى الذبذبة بين خطى الإصلاح والإفساد ، وحتى

وحين أصبح مطلب تطبيق الشريعة الإسلامية مطلبا جماهيريا ، أيدته جمعيات وهيئات عامة ونقابات ، وتجمعات إسلامية ، فقاربت المسألة أن تكون قضية الساعة الأولى ، لولا أن مشكلة الشرق الأوسط تنصدر الأحداث والقضايا . . . وخطا مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - بعدئذ - خطوات فى سبيل تقنين المذاهب الإسلامية الكبرى : الحنفى ، والمالكى ، والشافعى ، والحنبل . . . ثم ألف لجانا لتقنين جوانب من الشريعة الإسلامية تمهيدا لوضعها موضع التنفيذ . . . وعقد فى هذا العام مؤتمرا خاصا بهذا الشأن ، نرجو له التوفيق .

فكان ذلك كله إيذانا بانبلاج فجر جديد ، ويقظة العرب والمسلمين ، وسعى حثيث لربط الأرض بالسماء .

* * *

ويختلف المفكرون حول تطبيق الشريعة الإسلامية بين محبذ للتطبيق على الفور ومحبذ على التراخي :

فالمطالبون بالفورية يرون أن المذاهب الوضعية قد أخفقت فى أن تهب الإنسانية الأمن والسعادة والاستقرار . وأن الإسلام بدأ غريبا فى وسط تراكمات فاسدة وأوضاع همجية ، فنازل الطغيان ، ونادأ المعوج ،

الإسلام وتطبيق شريعته

يكون هناك التزام بخط رشد انساني
فاضل ، يلتزمه الفرد والجماعة .
وسيعود ضوء الشمس ، وهو اقوى من أن
أنحجبه غيوم أوظلمات .
« والله يقول الحق وهو يهdy السبيل »
وإذا ماصلحت النيات ، وتضافرت
الجهود فإن أمد الانتظار لن يطول ،
دكتور توفيق محمد شاهين

حسن التوكل

روى أن حاتم الأصم قال لأولاده : إني أريد الحج ، فبكوا
وقالوا : إني من تكلنا ؟ وكان له بنت فقالت : دعوه يذهب ، فليس
برزاق فخرج فباتوا جوعاً . فجعلوا يُوبّخون تلك البنت ، فقالت :
اللهم لا تخجلني بينهم ، فر بهم أمير البلد ، فقال لبعض أصحابه :
إطلب لي ماءً فناوله أهل حاتم كوزاً جديداً وماءً بارداً فشرب ، فقال :
دار من هذه ؟ فقالوا دار حاتم الأصم ، فرمى فيها منطقة من ذهب
وقال : من أحبنى وافقنى ، فرمى العسكر كلهم . فجعلت البنت
تبكى ، فقالت : أمها ما ييكيك ، وقد وسع الله علينا ، فقالت ، لأن
مخلوقا نظر إلينا ، فاستقينا ، فكيف لو نظر الخالق إلينا ؟



- دكتور توفيق محمد شاهين :
من مواليد الغربية .

والأزهر زمنا .
- عمل في حقل الثقافة الإسلامية
والمطبوعات بالأزهر حيناً .
- حقق تفسير وراث الإمام عبد الحميد
ابن باديس الجزائري .
- رأس تحرير مجلة « الفكر الإسلامى »
في بيروت ثلاث سنوات .
- ألف كتب الأدب والنصوص
للمعاهد الدينية الجزائرية .
- مثل جمهورية مصر العربية في بعض
المؤتمرات الإسلامية .
- يسهم بالكتابة في المجالات الإسلامية
والعربية .
- يرأس قسم « أصول اللغة » في كلية
البنات الإسلامية بجامعة الأزهر ، حالياً .

- تفوق في كل سنى دراسته بفضل
الله ، حتى تخرج من الأزهر .
- يحمل الشهادات الآتية :
(أ) الشهادة العالية من كلية اللغة
العربية سنة ١٩٥٥م بدرجة جيد .
(ب) معهد التربية العالى للمعلمين
(جامعة عين شمس) سنة ١٩٥٦ بدرجة
جيد جداً .
(جـ) العالمية مع إجازة التدريس سنة
١٩٦٠م بدرجة جيد جداً .
(د) (ماجستير) في أصول اللغة سنة
١٩٦٩م بدرجة جيد .
(هـ) العالمية (الدكتوراه) في أصول
اللغة بالامتياز ، مع مرتبة الشرف الأولى .
- اشتغل بالتدريس في وزارة التربية

التصوف ومستقبل العالم الإسلامي

الدكتور / عبد الحفيظ فرغلي على القرني

إلى أين يتجه العالم الإسلامي ؟

عنوان هذا العدد الخاص من مجلة الأزهر الغراء يتفق مع رسالة الإسلام التي تدعو إلى التذكير والتوجيه ، مصداقاً لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقد كان العمل بمضمون هذه الآية الكريمة هو الذي حقق الخيرية لأمة الإسلام حسباً قرره الحق جل وعلا (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

ورسالة العلماء الذين اعتبرهم النبي ﷺ ورثة الأنبياء هي رسالة التنبيه والتذكير ومعرفة الداء ووضع الدواء والاهتمام بأمر المسلمين مصداقاً للأثر الكريم الذي يقول : من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

لقد جاء هذا العدد في أوانه حيث تربص الآن بالمسلمين الإحن ، وتكشر المادية البغيضة عن أنيابها للإسلام ، ويحشد

الكفر بجميع صفوفه وممله حشوده محاولاً أن يقضى على هذه الشعلة التي أضاءت وتضىء للعالم الطريق وتهديه سواء السبيل ، لقد أقام الإسلام حضارة عريقة هي أروع ما يعرفه العالم من حضارات ، ولعله من نافلة القول أن نذكر بأن ماتتفاً به الدول الحديثة من ظلال حضارية هي من صنع الإسلام ونعم الإسلام التي انتفع بها غير أهله وادعائها من ليس من أبنائه .

وإذا كان الهدف من هذا العدد أن يوجه أذهان المسلمين في كل مكان إلى الأخطار المحدقة بهم ، وإلى ما يجب عليهم لينجوا بأنفسهم ودينهم من هذا الأخطبوط الذي يريد أن يطمس معالم الهدى والنور ويقضى على وسائل الأمن والأمان فإننا مع ذلك - بدافع من الإيمان العميق بديننا ورسالتنا وقرآننا نطمئن أنفسنا أولاً وننبه أعداء الإسلام ثانياً بأن الله قد وعد وهو منجز وعده (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في

والمقدمات والنتائج والتقدم العلمى الهائل الذى خلق بواسطة الإنسان فى الفضاء وغاص تحت الماء وذرع برجله القمر وظن أنه علا على البشر وأصبحت الدنيا فى نظره مجموعة من «الأزرار» يضغط على أيها شاء فإذا ما يريده حاضراً أمامه، إن شاء طعم وإن شاء ركب وإن شاء أهلك ودمر. فنسى فى طريق ذلك ربه وعفل عن روحه وأطلق العنان لعقله واركن على نفسه وقدرته فظن أنه على كل شيء قدير وأنه بإمكانه أن يقول للشيء كن فيكون.

نسى فى طريق ذلك - وأنى له أن يذكر - قوله تعالى (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس). لقد فتنت المادة الإنسان فأعمته عن الحقيقة وأذهلته عن خالقه وأنسته أنه مهما بلغ من قوة وسطوة فهو إنسان ضعيف فقير عاجز أمام أقل طارئ يطرأ له، يصرعه المرض ويقهره الموت وتحيره ظواهر وخفايا فى الكون الكبير لا يحير أمامها جواباً ولا يملك إزاءها صواباً، وصدق الله إذ يقول (وخلق الإنسان ضعيفاً) وصدق إذ يقول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً). هنا يحىء التصوف ليعيد للإنسان

الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون).

وكما باءت محاولات الكثيرين بالفشل سببها محاولات من جاءوا بعدهم بالفشل (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

وهذه الآيات البينات كونية لا يختص بها زمن دون زمن ولا مكان دون مكان، بل هى للمسلمين جميعاً فى أى وقت كان وفى أى أرض عاشوا، طالما أخذوا بأسباب النصر والعزة والكمال التى يريد هذا العدد أن ينبه إليها ويحمل المسلمين على التمسك بها..

التصرف ودوره فى هذه الأسباب :

وعلى ذكر الأسباب التى ينتصر المسلمون بها على أعدائهم وعلى المؤامرات المكددة بهم يبرز دور التصوف فى مقدمة هذه الأسباب.

ولعل العقل فى هذا العصر المادى الملحد قد جن بالأسباب والمسببات

وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

حقيقة التصوف :

والتصوف فى حقيقته سمو فى الخلق وارتفاع بالنفس الإنسانية إلى أعلى مراتبها الكمالية ، حيث تتخطى كل معوقاتها من شهوة وركون للذة وتكاسل عن الطاعات ورضاء بالدون من الأحوال وانصراف عن معالى الأمور . وله فى سبيل ذلك وسائل هى التى دعا إليها الدين القويم من حرص على الطاعة وتزهد فى الطيبات والملاذات وقهر للنفس عن شهواتها وترغيب فى الإقبال على الله والتقريب إليه بالصيام والصلاة والصدقة والصفح والعفو والصدق وغير ذلك . .

وبالجملة فالتصوف هو روح الإسلام وهو الأفق الأعلى للفكرة الإسلامية ، هو

صوابه وينير له طريقه ويوضح له أنه إنسان من عقل وروح لاهياة لأحدهما بدون الآخر ، ويبين له أن لهذا الكون إلها مدبرا قادراً ، عليه أن يحبه ويعرفه ويعبده حق العبادة فلهذا خلقه (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وفى الأثر «كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرفَ فخلقت الخلق فى عرفونى» .

ولقائل أن يقول : لماذا التصوف بالذات والإسلام هذه هى دعوته ؟ أجل ، هذه هى دعوة الإسلام ولكن أهل التصوف من بين المسلمين اعتنوا عناية زائدة بالجوانب الروحية فى الإسلام وعاشوا فى مقام الإحسان الذى هو أعلى درجة فى مقامات العبادة حيث يعبد الإنسان ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه . ولا يمكن لأحد أن يغفل دور التصوف فى بناء الدولة الإسلامية الزاهرة ، فؤسسوها الأول رجال رويون غلبوا الجانب الروحي فى حياتهم على بقية الجوانب الأخرى ، فعاشوا لله وجاهدوا فى الله حق جهاده وأحبوا الله وأبغضوا الله وأنكروا ذواتهم وآثروا إخوانهم على أنفسهم حتى امتدحهم ربهم بقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً

عليك في خلقه زاد عليك في تصوفه . قال الدكتور حسن الأشموني في كتابه التبعية الروحية في بناء المجتمع : ومهما يكن من أمر اختلاف الصوفية والمؤرخين في تحديد الأصل الذي اشتقت منه كلمة تصوف ، فإن الحقيقة التي لا يستطيع أن يختلف فيها منصفان أن التصوف ينطوى على نزعات أخلاقية ووجدانية جديرة بالدراسة والتأمل ، وهو أيضاً وسيلة لمعرفة تسمو على كل ماعداها من المعارف .

أضواء على التصوف :

(١) التصوف في حقيقة أمره ملازمة للكتاب والسنة وموافقة للشرعية الإسلامية في جميع الفرائض والسنن والآداب والفضائل ، فقد قال أبو القاسم النصرا باذى : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمت المشايخ ورؤية أعذار الخلق وحسن صحبة الرفقاء والقيام بخدمتهم واستعمال الأخلاق الجميلة والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات . . . وما ضل أحد في هذا السبيل إلا بفساد الابتداء فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء . وللتصوف آدابه وأحكامه التي يجب على المرید مراعاتها لو أراد أن يصل إلى

مشهد المراقبة الذي يملئ على الإنسان تحرى الكمال المطلق في أفعاله وتصرفاته لأن الله مطلع على أحواله مراقب له في أعماله . فهو يأنف أن يقوم بعمل مجاف للصواب رغبة في الثواب وأنفة من العقاب . بل هناك ما هو أروع من ذلك حيث يعمل حبا لله لارغبة في الثواب ولا خوفاً من العقاب . وفي أفق هذا الفهم لحقيقة التصوف جاءت تفسيرات الصوفية للتصوف ، مثل قول السراج الطوسي في اللمع عن الصوفية : هم العلماء بالله وبأحكام الله العاملين بما علمهم الله المتحققون بما استعملهم الله عز وجل الواجدون بما تحققوا .

ولقد لاحظ بعض العلماء ما بين التصوف والصفاء وما بينه وبين التقرب إلى الله فقال الكلاباذي : إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها ، وقال معروف الكرخي : الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته . وقال غيرهما : إنما سمو الصوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه .

ولكن الصوفية جميعاً يؤكدون أن أساس التصوف حسن الخلق فكل من زاد

غايته لأنه - كما يقول الدكتور الأشمونى - لا بد لسالكه أن يتزود بما يعينه على السير في طريقه ، وليس اجتيازه في مقدور كل الناس ، وإنما يجتازه الصفة التي حباها الله بفضل من عنده فأمدّها بمزيد من القوة لتحارب أهواء النفس وتصارع وساوس الشيطان ، ونفخ فيها من روحه فصبرت وزهدت وعرفت الله حق مغرفته وعبدته بإخلاص وأوت إليه بالشوق والمحبة واتبعت السنة قولاً وعملاً وعزماً وعقداً ونية فجانبت البدع واتبعت ، ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وتباعدت عن مجالس الكلام وأهله ولزمت طريق الاقتداء والاتباع وكرهت نفسها الدنيا فأحبها أهل الأرض وعاف قلبها الدنيا فأحبها أهل السماء .

إن طريق القوم مشيدة على الكتاب والسنة ، يؤكد ذلك أئمتهم وعلمائهم ، يقول القشيري في رسالته : اعلموا أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل وعرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم - حكى الشيخ محي الدين في الفتوحات وغيرها أن طريق

الوصول إلى علم القوم هو الإيمان والتقوى قال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وقد اعتنت كتب التصوف ببيان أخلاق الصوفية وأحوالهم على حسب طبقاتهم ومراتبهم ، وباستعراض ذلك لم يعثر في سلوكهم على ما يتعارض مع الكتاب والسنة وإجماع الصالحين فالولى لا يأتى بشرع جديد ولكنه قد يأتي بفهم جديد لم يكن لأحد قبله ، ولذلك ربما يستغربه من لا إيمان له بأهل الطريق ، على أن هذا الفهم لا يتعارض مع غيره من الفهم الأخرى .

(ب) ومن أجل ذلك فقد وقفوا أنفسهم على فهم أسرار العبادة التي توصلهم إلى حضرة الحق تعالى واجتهدوا في ذلك حتى تحققوا بالأحوال والمقامات التي أثمرت ثمارها البالغة في حياتهم . فاستنارت أمامهم السبل ووضحت لهم الطرق فوصلوا إلى غاية القصد ونهاية المرام .

والحال عند الصوفية اصطلاح يطلق على المعنى الذي يرد على القلب بلا تصنع ولا اكتساب ، ويغلب عليه عادة صفات النفس من فرح وحزن وانقباض وانبساط . والمقام على ما يتحقق به العبد من آداب نتيجة للمجاهدات الدائمة ، والمقامات بمثابة المراحل للطريق الموصلة إلى الله وفيها

تظهر حقائق السالكين والمريدين ، ومن هذه المقامات التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والتوكل وغير ذلك على حسب مشارب العارفين وأذواقهم .

والمتتبع لهذه المقامات يدرك أنها صفات إنسانية رائعة تدل على مدى عناية الصوفية بالأخلاق ، وإفاضة الله عليهم الفيوضات العظيمة في هذه المقامات يعد تأييداً مطلقاً لجلال هذه الأوصاف ودعوته للتحقق بها . يقول الدكتور عبد الحكيم حسان في كتاب التصوف في الشعر العربي : « المتأمل في مقامات الصوفية وأحوالهم يجد أنها وثيقة الصلة بالأخلاق بل يمكن أن تتخذ قيماً خلقية ، وما بالنا بإنسان يبدأ تخلفه بالتوبة من الذنوب والخروج عن ماله وإيثار الفقر ، ثم يزهد في الدنيا ويعرض عنها ويتورع عن كل ما حرم الله ، ويصبر على ما يليق من حرمان ، ويكون في كل أموره متوكلاً على الله راضياً بكل ما يقضى به ، وهو في كل ذلك لا يعرض على نفسه إلا الأحوال المتصلة بالعبادة والروحانية ، فهو بين مراقبة لله تعالى وشعور بالقرب منه أو الحب له أو الشوق إليه أو الأُنس به أو الطمأنينة إليه ، وتنتهي به أحواله إلى اليقين الذي هو غاية الأحوال ومنهاها ؟ » .

(ج) الصوفية والجهاد :

ولو أننا نظرنا إلى التصوف نظرة منصفة لرأينا الصوفيين الحقيقيين رجال إصلاح وجهاد وعمل ، وكثير منهم لقي مصرعه شهيداً في سبيل الله والوطن ، وحسبك دليلاً على ذلك شجاعتهم الأدبية التي تفردوا بها وتصدّقوا بها معنى الحديث الشريف « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » فلم يأبوا بسيوف السلاطين والحكام حين تعرضوا لهم ينصحونهم ويوجهونهم ، وهذا رجل يعترض طريق سليمان بن عبد الملك - على ما يرويه كتاب أعلام التصوف الإسلامي للمرحوم طه عبد الباقي سرور - فيقول له : سأطلق لساني بما خرسست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى ، إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم . . » وينصاع له سليمان ويسأله عن طريق الخلاص فيرسمه له .

ويزكي ذلك ما يقرره الدكتور إبراهيم بسيوني في كتابه نشأة التصوف قائلاً : « لم يستطع الزهاد أن يصفقوا مع المصنفين لكل قادم ، إنما راحوا يبحثون عن حياة أخرى داخل هذه الحياة يجدون فيها العزاء ، ويعيدون إلى القيم ثباتها وإلى

والصوفية هم الذين أشعوا الرباطات الإسلامية استجابة لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

جاء فى دائرة المعارف الإسلامية - ومحروها من المستشرقين - عند حديثها عن الرباطات وهى الزوايا الإسلامية المحصنة : الرباط هو المكان الذى يجتمع فيه الفرسان متأهبين للقيام بحملة من الحملات ، ولكن هذه الكلمة أطلقت على منشأة دينية حربية ، ويتصل نظام الرباط والجهاد ، والرباطات قلاع وأماكن يتجمع فيها الجنود عند الثغور الإسلامية المعرضة للخطر ، تشبه القلاع عند أهل الغرب كما تتخذ أبراج مراقبة لتحذير أهل البلاد المهددين ، وجنود الحاميات التى فى داخل البلاد وعلى الحدود ، وكان معظم هذه الرباطات منشآت حكومية إلا أن خدمة المحاربين فيها لم تكن بأى حال من الأحوال إجبارية ، فرجال الرباط متطوعون من أهل التقى والورع نذروا أنفسهم للذب عن الإسلام ، وكان أهل الرباطات ينفقون حياتهم فى التدريب العسكرى وفى الحراسة ، كما كانوا ينفقونها أيضاً فى التعب ، وكان المرباطون يعدون أنفسهم للاستشهاد بالصلوات الطويلة يقيمونها تحت إرشاد شيخ من

الأوضاع استقامتها وإلى الدين سيطرته ، ولقد وجدوا فى هذا العالم الصغير آفاقاً رحبية جذابة نأت بهم عن تطاحن الأحزاب السياسية والمذهبية وفتن الحروب الأهلية . . وذلك جعلهم يجهرون برأيهم فى الزمان والناس ، ولم يمنع بأس السلطان هؤلاء الزهاد أن يطلقوا صيحاتهم النافذة لأنهم كانوا يشعرون أنهم يعبرون عن الضمير الدينى للأمة ، وكثيراً ما أرفه الحكام أسماعهم لهذه الصيحات . . وهذا الدور القيادى الذى اضطلع به الزهاد يبنى فى صميمه على الثقة بالخالق والناس مما فى يد المخلوق . .

ولهم إلى جانب ذلك بطولات رائعة فى صفوف الغزاة المجاهدين ردا لعدوان المعتدين ، ومشاركة فى الفتوحات الإسلامية فى العصور الأولى أو مقاومة المستعمرين بعد ذلك ، وهذا حاتم الأصم رضى الله عنه يقول : الجهاد ثلاثة ، جهاد فى شرك مع الشيطان حتى تكسره ، وجهاد فى العلانية فى أداء الفرائض حتى تؤديها ، وجهاد مع أعداء الله فى عز الإسلام . . ويقول أحمد بن الحوارى المتوفى سنة ثلاثين ومائتين « فى الرباط والغزو نعم المستراح ، إذا مل العبد من العبادة استراح إلى غير معصية » .

كما يذكر الجبرتي أن هزيمة الفرنسيين كانت على أيدي رجال المقاومة الشعبية من أبناء الطرق الصوفية ، وفي دائرة معارف الشعب : الجماعات الصوفية امتداد لحركة روحية سياسية سادت العالم الإسلامي من قديم وأدت فيه دوراً خطيراً الشأن وربما جاء وقت كانت تتجلى فيها وحدها كل حركة المقاومة للغارة الأوروبية على العالم الإسلامي ، وهذه الجماعات هي التي أمدت حركة المقاومة في شمال أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي بكل عناصر الثبات والبطولة والتي لم تفقد الأمل في النصر مهما اشتد الخطر وتفاقم الخطب » .

إن هذا يذكرنا بما يمكن أن يفعله أبناء الطرق الصوفية لو أعادوا تنظيم صفوفهم وتنبهوا إلى واجبه الديني ورسالتهم الإسلامية التي تتخطى الحدود والسدود .

(د) التصوف والعمل :

وفي الحقيقة أيا كانت حملات خصوم الصوفية ضدهم في مجال العمل فإن تاريخهم الحقيقي يرتفع بهم إلى مقام العاملين النشيطين الذين يبرءون من الخمول وينفرون من التواكل ، فالصوفية في جملتهم لم يدعوا إلى هجر الأسباب أو ترك التكسب ولكنهم دعوا إلى العمل وحذروا من

الشيوخ المبعجلين وكان لهذه الرباطات أثر كبير وشأن حربي هام على تقوم البلاد الإسلامية ، وبتطور التصوف وتشعب المتصوفة فرقاً استمرت هذه الثكنات » .

أنشد أمام الفضيل بن عياض قول عبد الله بن المبارك :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا . بدمائنا تتخضب ..

فذرقت عيناه ، وقال : صدق أبو عبد الرحمن ، ثم ذكر هذا الحديث رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رجلاً قال يارسول الله : علمني عملاً أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال الرسول ﷺ : هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر وتصوم ولا تفطر ؟ فقال يارسول الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي ﷺ : فوالذي نفسي بيده ولو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله » .

والتاريخ يحدثننا عن أن شيوخ التصوف الأجلاء كانوا يشتركون في مقاومة الغزو من أمثال الشاذلي والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد والبدوي وابن عطا الله وغيرهم ممن اشترك في مقاومة الصليبيين .

الغابرة ، وهو كما رأيناه صورة مشرقة مشرفة .

فكيف هو الآن ؟

إن واقع الطرق الصوفية الآن يشهد ببعد المسافة بينها وبين التصوف الحقيقى الذى شهدناه على أيدي رجاله القدامى من الذين رسخت أقدامهم فى طريق الوصول إلى الله . وربما لبس التصوف روح عصره ، فقدماً كان الإسلام قويا فى نفوس أبنائه فقوى التصوف ، وحين اجتاحت عوامل الضعف نفوس المسلمين سرى هذا الضعف إلى التصوف فأصبح صورة واهنة لاروح فيها ولا قوة ولا غناء إلا من رحم الله وسار على الجادة . .

لقد كان حال الصوفية القدامى الفناء فى الله والاستهانة بكل رخيص وغال فى سبيل رضاه ، أسهروا ليلهم وأظمأوا نهارهم وقتلوا شهوات نفوسهم وآثروا ما عند الله على مافى هذه الدنيا من عرض فان ومتاع زائل ، وتحملوا فى جهادهم أنفسهم الجوع والمشقة والفاقة حيث كان أنسهم بالله وفرحهم به وغايتهم الوصول إليه ، وكانوا عمليين فى جهادهم منطقيين مع أنفسهم لا يراودهم شك ولا يقعدهم ضعف ولا يساورهم قنوط أو يأس .

التكاسل فيه . قال بنان الجمال : الإعراض عن الأسباب جملة يؤدى إلى ركوب البواطل . وقال عبد الله بن المبارك : لاخير فيما يذوق لذة المكاسب . والشعرانى كان ينصح أتباعه من الصنائع بإتقان العمل ، وكان يقول لهم : الاجتهاد فى العمل مقدم على النوافل والتطوع للعبادة . والشواهد على ذلك كثيرة تحفل بها كتب التصوف كما يشهد بها تاريخهم ، وألقاب الصوفية المنسوبون إليها تدل على أعمالهم التى كانوا يتكسبون منها كالحمال والزجاج والقصار والنساج والقواريرى والحريرى والحداد والمقرى وغير ذلك من الألقاب التى تحمل معنى العمل وهى شهادة صدق تؤيد قول حمدون القصار رحمة الله « قعود المؤمن عن الكسب إلخاف فى المسألة » .

وتوكلهم الذى كانوا يعتزون به لا ينافى العمل . يقول أبو جعفر الحداد رحمه الله : مكثت بضع عشرة سنة أعتقد التوكل وأنا أعمل فى السوق آخذ كل يوم اجرى .

ومعنى التوكل كما يفسره الدينورى « التوكل حسم الطمع عن كل ما يميل إليه قلبك ونفسك » أو كما يفسره النيسابورى « التوكل أن تأكل بغير طمع ولا شره » . هذه لمحات عن التصوف فى عصوره

إن كنت للسقم أهلاً
فأنت للشكر أهلاً
عذب فلم يبق قلب
يقول للسقم : مهلاً
فأعيد ذلك على الجنيد فقال : ما كنا
شاكين ولكن أردنا أن نكشف عن القدرة
فيها ثم قال :

أجل مامنك يبدو
لأنه عنك جلا
وأنت يأنس قلبي
أجل من أن تجلا
أفئيتني عن جميعي
فكيف أرعى المحلا ؟
فبلغ ذلك الشبلي فقال :
محنني فبك أني
لا أبالي بمحنني
ياشفائي من السقام
وإن كنت علتى -

هكذا كان رجال التصوف : الله
شغلهم الشاغل ، والوصول إليه هدفهم
الأساسي ، وجهاد أنفسهم طريق هذا
الوصول ، ولم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله ، تحولت قلوبهم إلى مساجد عامرة
بالإيمان وأصبحت أرواحهم شعلة من النور
لا تنطفئ وهم مع ذلك موصولون بكتاب
الله وسنة رسوله لا يفرطون قيد أنمله فيها

كان الواحد منهم يستشعر الفرح في
الضيق والرحمة في الشدة والغنى في الفقر
وحتى كان أحدهم يقول : أصبحت ومالي
سرور إلا في مواقع القدر ، وحتى قال
أبو علي الكاتب حين سئل إلى أي الجنيتين
أنت تميل ؟ إلى الفقر أم إلى الغنى ؟ فقال :
إلى أعلاها منزلة وأسناهما قدراً . ثم أنشأ
يقول :

ولست بنظار إلى جانب الغنى
إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لصبار على ما يروى
وحسبك أن الله أثني على الصبر
ومن طريف ما يروى في ذلك أن أحد
الأثرياء قصد الجنيد بصرة مملوءة بالدنانير
وقال له : خذ فرق هذه في أصحابك ،
فقال له الجنيد : « ألك غيرها » قال : نعم
كثير . قال الجنيد : وتطمع في غيرها ؟ قال
الرجل : نعم ، فقال له الجنيد : إذن خذ
صرتك فأنت أحوج إليها منا .

ويروى أن علة لحقت أبا الحسين
النورى ولحقت الجنيد في نفس الوقت علة
أخرى . فأخبر الجنيد عن وجده بينا كتم
النورى علة . فسئل : لم لم تخبر كما أخبر
صاحبك ؟ فقال : ما كنا لنبتلى ببلوى
فنوقع عليها اسم الشكوى . ثم قال :

مع ما يهدف إليه التصوف من رعاية
للآداب الشرعية في الأذكار .

حلقات الذكر :

وحلقات الذكر مطلوبة شرعاً لقوله
عليه الصلاة والسلام : إذا أمرتكم برياض
الجنة فارتعوا . فقليل وما رياض الجنة ؟
قال : مجالس الذكر .

والحق يدعوننا إلى الذكر بقوله (يا أيها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً .
وسبحوه بكرة وأصيلاً) والذكر أساس من
أسس الطريق الصوفى وعليه المعول الأكبر
فى الوصول إلى الله تعالى وليس له وقت
خاص ولا وضع خاص ، ففى الذاكرين
يقول الله تعالى (الذين يذكرون الله قياماً
وقعوداً وعلى جنوبهم) والذكر كما يكون
باللسان يكون كذلك بالقلب والوجدان ،
ويكنى فى جلال الذكر أن الله يقابل ذكر
العبد له بذكره إياه (فاذكرونى أذكركم)
ومن آثار الذكر أن الذاكر لا يجد أثر
الوحشة ولا يمسسه ضيق ولا ألم ولا يصيبه
مكروه فالله يقول (ألا بذكر الله تطمئن
القلوب) وقال بعض العارفين : إن
الصواعق لا تنصب الذاكرين .

وإذا كان المذكور هو الله فلا بد أن
يجنب مجلس الذكر كل ما يتنافى مع جلال

ولا يتعدون مقدار خطوة عنها .

إن الناظر إلى حال التصوف الآن يرى
تخلفاً لا ينبئ عن الماضى المشرق . فنحن
نرى الآن مظهرية ينأى عنها التصوف
الحقيقى بل يحذر منها ، لأن إنكار الذات
أساس من أسس التصوف ، والعروف عن
الشهرة وسيلة من وسائل قهر النفس ، وابن
عطا الله السكندرى رحمه الله يقول فى
حكمه : من دفن نفسه فى أرض الحمول
نبت ، وقال رجال التصوف : حب
الظهور يقصم الظهور ، وهذا معنى يهدفون
من ورائه إلى قطع علائق النفس حتى
يستطاع سياستها والتحكم فى قيادتها .

ونحن نرى الآن غيرة تتنافى مع التنافس
المحمود الذى ورد فيه قول الحق (وفى ذلك
فليتنافس المتنافسون) هذه الغيرة قد تؤدى
إلى تطاحن أحياناً بين أبناء الطرق وخلافات
يظهر أثره فى البيئات الريفية وبين طبقات
العامة ويجر ذلك إلى مالا يحمد عقباه ، بل
ربما تظهر الخلافات بين أبناء الطريقة الواحدة
وهو أمر يحذر منه التصوف الحقيقى الذى
يدعو إلى الإيثار والحب والمغفرة والتسامح .

ونحن نرى الآن خروجاً على آداب
الشرعية فى الاحتفالات والأذكار ، يظهر
ذلك الخروج فى استعمال الدفوف والطبول
وغيرها من ألوان الطرب والموسيقى مما يتنافى

الله وقديسيته من آلات الله والطرب التي هي من أدوات الشيطان .

والصوفية لا يرون بأساً من المنشد بشرط أن يكون صالحاً معروفاً بالورع وأن يكون إنشاده هادفاً لتنشيط الذاكرين وتذكيرهم بالله وجماله وجلاله عاملاً بما يقول ، وليس هدفه إظهار جمال صوته رغبة في انتزاع الإعجاب أو جمع المال .

وربما ظهر بين صفوف المريدين من يقصر في العبادات ، وربما أسندت الخلافة إلى غير مستحقها ، مع أن تربية المريدين مهمة شاقة تحتاج إلى شيخ عارف بصير عالم يأخذ بيد أبنائه ويكون قدوة طيبة لهم ، وقد أطنبت كتب التصوف جميعها في صفات الشيخ الذي يصلح لقيادة المريدين ، وخلاصة ما يقال في ذلك هو قول ابن عربي « شرط الشيخ أن يكون عنده جميع ما يحتاج إليه في التربية ، وقوله : لا بد أن يكون عند الشيخ دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك وحينئذ يقال له أستاذ .

وإذا كان هذا واجب الشيخ فواجب المريد لا يقل عن ذلك من عمل بالآداب مع شيخه وملازمته وامتداحه وعمل بإرشاده . إذا راعى من شيخه حسن الأدب فتح الله عليه في ميدان الطلب .

وربما رأينا أبعد من ذلك ، رأينا هذه الكثرة الكثيرة التي تضم إلى صفوف التصوف وتنسب إلى طرقه المتعددة دون أن يكون لذلك أثره المتوقع من ارتفاع في الروح وصعود في الهمة وتخليق في سماء العزة وقضاء الباطل وتقويض لصروح الشرك والإلحاد . . . وما ذلك إلا لأن هذه الكثرة الكثيرة كثء السيل تمسكت بالقشور وتركت اللباب - وأصابها ما أصاب غيرها من ادعاءات تحتاج إلى الدليل ومزاعم ينقصها البرهان .

وإذا كان القشيري المتوفى في منتصف القرن الخامس الهجري رحمه الله - قد كتب رسالته الصوفية يقول في مقدمتها : إن المحققين من هذه الطائفة انقضض أكثرهم ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم

وأرى نساء الحى غير نساها
حصلت الفترة في هذه الطريقة ، لابل اندرست الطريقة بالحقيقة ، مضى الشيوخ الذين كانوا بهم اهتداء وقل الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء ، وزال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه ، وارتمل عن القلوب حرمة الشريعة فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة

تحت نطاق الحكم العام لرجال التصوف كجنوح بعضهم إلى التجرد والعزوق عن الزواج والميل إلى العزلة فتلك أحوال خاصة لشخصيات قليلة لا تحول التصوف ورجاله إلى قاعدة عامة نحكم عليه من خلالها مع أن هؤلاء لم يلزموا أحداً بهذا المنهج الذى ألزموا أنفسهم به ، بل ربما اعتبروا من توسع فى أحواله أفضل ممن ضيق على نفسه فيها ، فهذا أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب يقول فى كتابه : كان بشر بن الحارث يقول عن أحمد بن حنبل : إنه فضل على بثلاث ، بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلب الحلال لنفسى ، واتساعه للنكاح وضيقى عنه ، وقد جعل إماماً للعامة وأنا أطلب الوحدة لنفسى .

إننا لننظر الآن إلى الطرق الصوفية فنجد آلافاً مؤلفة من الشباب ينضمون تحت لوائها ، والشباب هم ذخر الأمة وعتادها وعلى كواهلهم تقدم نهضتها ، فإحدى شيوخ الطرق أن يثبوا فى روع هؤلاء الشباب القوة الروحية الحقيقية ويحولوا أنفسهم إلى طاقات هائلة من الحركة الإيجابية الحية النابضة بالصدق والصرحة والوفاء والإخلاص والمثل العليا .

يقول الدكتور حسن الأشمونى : نحن لانجانب الصدق إن قلنا إن التصوف

ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام ، واستخفوا بأداء العبادات واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا فى ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات . . ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال وادعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال وتحققوا بحقائق الوصال . . إلى آخر ما قال فى رسالته ليبين آداب هذه الطريقة وأصول الحقيقة غيرة منه على الدين وحرصاً منه على رجال اليقين . .

إذا كان القشيري قال هذا الكلام فى تلك الفترة السحيقة فاذا نقول الآن وقد مضى على تحرير هذه الرسالة ما يقرب من عشرة قرون ، لابد أن يكون الجرح قد أصبح جروحاً والقرح صار قروحاً ، لقد ازدادت الأحوال سوء واستشرى الداء وعز الدواء .

الهدف المنشود :

إن التصوف قوة فائقة لو أمكن استخدامها لتحول رجالها إلى نماذج رائعة من البطولة والفداء ، يرفعون من شأن أمتهم ويقدمون لها كل ماتصبو إليه من إعزاز ورفعة .

دعونا من النواحي الفردية التى لاتدخل

الأساس الروحي ، إنها تصبح زيفاً لاقيمة له وبهرجا لاغناء فيه إذا لم تكن في إقامة صرحها بالنواحي الروحية ، وهذا هو دور التصوف . فالقيم الروحية هي التي تستطيع أن تحفظ للناس سعادتهم وهدوءهم وهي التي تجعلهم يعملون وهم يستشعرون لذة العمل والكفاح .

التصوف والتقدم العلمي :

ولسائل أن يسأل : وما للتصوف والتقدم التكنولوجي الآن ؟ وهل يشجع التصوف على العلم . . وأبناؤه عجزوا عن اللحاق بركب التقدم ؟ ولكنها الذي يرمى الصوفية بذلك متجن عليهم ، فالتصوف لايجافى العلم بل يشجع عليه ، وقد كان الصوفية المحققون القدامى منهم والمحدثون علماء أجلاء في مختلف علوم عصرهم العملية والنظرية . ودعوا إلى تعلم العلوم على اختلافها من قدر الإسلام وتغنى المسلمين عن استغلال أعدائهم لهم وسيطرتهم عليهم ، واعتبر الغزالي في إحيائه أن فرض الكفاية في العلم يأثم المسلمون جميعاً إن تركوه كعلم الطب والكيمياء والهندسة وغيرها ، والشعراني الذي يهتم بعض الناس بالجمود يقول في كتابه آداب العبودية .

يستطيع أن يكون قوة دفع تخدم جميع أهداف المجتمع حتى المادية منها ، فليس من شك في أن بناء المجتمع بناء قوى متبنا عزيز الجانب يرجع إلى مدى ما يكون لأفراده من صفاء النفس ومثانة الخلق واستعداد للتضحية وإنكار للذات وهي كلها صفات يتصف بها الصوفية ويأخذون أنفسهم بها ويروضون مريدتهم عليها ، وهكذا تستطيع الحياة الروحية أن تسلك طريقها إلى المشاركة في مطالب الحياة اليومية فتؤدي إلى تدعيم أركان المجتمع وتحقيق خيره بدلاً من أن تكون دافعاً إلى العزلة والعزوف عن الدنيا .

التصوف ودوره في نهضة الإسلام :

لعله لا يكون تكراراً أن نذكر بأن التصوف هو روح الإسلام وأن دعوته هي لب الإسلام وحقيقته ففي نهوضه نهوض بالإسلام ، وواجب المسلمين اليوم يقضى بأن يتحمل كل منهم مسئوليته الكبرى في العمل على تقدم دينه ووطنه والبحث عن مواطن العلل في جسم الدولة الإسلامية والقضاء على ماينتابها من أمراض وأسقام ، وللتربية الروحية أثرها الفعال في هذا المجال ، فإن أي حضارة مهما بلغت من رقي إنما هي قصور مبنية على الرمال إذا فقدت

لهذه الفتوح العلمية الحديثة إذا كانت تهدف إلى النفع ، لأنهم يعتقدون أنها من أبواب الخير للإنسانية وبشرى تحمل في طياتها انتصار الروح على المادة ، جاء في كتاب أعلام التصوف « لقد آمن المتصوفة أن فجر الذرة إنما هو صحيفة جديدة في تاريخ الكون تتمشى مع التسخير الإلهى لقوى الكائنات كافة للإنسان الخليفة ، بل لقد رأوا فى الفجر الجديد إرهابا لعالم جديد سيلبغ كماله الروحى مع الوثبة الروحية » .

فالتصوف لا يجافى العلم ولكن يدعو إلى أن يكون التقدم العلمى وسيلة بناء لمعرفة الله ولخير الإنسانية لاوسيلة للانصراف عن الله والإضرار بالناس . ولايتحقق الخير من العلم إلا بأن يتخذ العالم والمتعلم زادا روحيا يحررهما من الفساد والإفساد .

بوادر نهضته :

إننا نشهد الآن بوادر نهضته ، وعلى الرغم من الظلام المدهم فإن أشد الساعات حلكة أقربها إلى طلوع الفجر ، وسيعم نور الله الآفاق من جديد ، لأن الله لن يتخلى عن دينه الذى اختاره للبشرية ، وإذا كان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فإن بوادر التغيير بدأت تظهر فى الأفق فى صور

« واعلم أن أهل الحق يشهدون جميع العلوم حتى الحساب والهندسة وعلوم الرياضيات والمنطق والعلم الطبيعى لها دلالة وطريق إلى العلم بالله ، فتسمية هذه العلوم حجباً عن الحق لكون الناظر فيها لاينظر فيها من حيث دلالتها على الحق فلذلك حجبا عن موضع الدلالة التى فيها على الحق ، فعلم أن جميع العلوم التى تحجب أكثر الناس هى عند أهل العلم لاحجاب فيها » ويقصد الشعراى من ذلك أن تكون العلوم على اختلاف أنواعها وفروعها وسيلة للهداية إلى الله لاسبباً فى الابتعاد عنه كما يحدث من كثير من المتعلمين الآن .

والصوفية فى منتهى الجرأة ولعلمهم أسبق الناس فى توجيه أنظارهم إلى السماء وأفلاكها باحثين عن الحقيقة المجردة وقد اهتموا إليها بالفطرة السليمة والإلهام الصادق . جاء فى كتاب التصوف عند المستشرقين : « وقد تألق فى تاريخ المسلمين مئات من المبرزين فى شتى العلوم ومختلف نواحى الدراسات الكونية والأسرار المنبثقة فى مختلف الآفاق كانت المعلم الأول والأكبر لأولئك الذين استيقظوا أخيراً فى الغرب » ، والصوفية فى قمة هؤلاء المبرزين .

وإنى لأحسب أن الصوفية يتحمسون

مختلفة نراها في الغيرة الدينية واليقظة الروحية . .

تذكير وتنبية :

على القائمين بأمر التصوف الآن أن يعيدوا إليه إشراقه وبهائه ورواه ليزداد المتمسكون به تمسكاً ويزداد البعيدون تقرباً ، وعليهم أن يبعثوا في نفوس المريدين روح الإخلاص والصدق والمحبة والعمل التفاني في أداء الواجب وعليهم ألا يمنحوا الإجازات لكل من هب ودب بل يحسنوا اختيار من يتصدى لإرشاد الناس وهدايتهم وعليهم أن يوضحوا رسالة التصوف الحقيقية للناس حتى يفهموه على علم عن طريق إصدار نشرات أو مجلة خاصة تشرف عليها هيئة تعمل على تحقيق ذلك وبخاصة بعد أن صدرت لأئحة جديدة لرجال الطرق الصوفية تنص المادة الأولى فيها على مايلي :

تستهدف الطرق الصوفية بكافة تشكيلاتها التربية الدينية والروحية بما يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية والدعوة إلى العمل بالوعظ والإرشاد وتنظيم الذكر الصوفي وغير ذلك من السبل والوسائل الصوفية .

وصدور هذه اللائحة خطوة مشكورة - على تحفظ ذكرته مجلة المسلم التي نشرت هذه اللائحة وهو :

- أن يكون هناك تطبيق فعلي عملي

وقد ظهرت تباشير ذلك أيضاً بين صفوف المتصوفة أنفسهم ، فالظاهر الذي كانت تطالعه عيوننا كثيراً للدروشة السلبية والنكوص عن العمل وادعاء الجذب والتجرد بدأ يتلاشى وأوشك أن يزول نهائياً بإذن الله واتجهت عناية الصوفية إلى تطهير صفوف التصوف من أذعيائه الذين أساءوا إليه بقصد أو بغير قصد ، وبذلك لا يجد الإنسان غضاضة في أن ينتسب إلى التصوف بعد أن انتقل كما يقول أحد الكتاب الظرفاء من صفوف اللحي والمرقعات إلى صفوف الكبراء والعلماء والمفكرين لأنهم أدركوا نقاء جوهره وصفاء معدنه وضياء حقيقته التي كان يحجبها الأذعياء والجاهلون والمتصنعون . ولأن كثيراً من المثقفين عرفوا قيمته بعد أن قرءوا تاريخ رجاله القدامى والمحدثين ، وعرفوا أن صفوفه كانت تضم كثيراً من العباقرة الأعلام حتى وقت قريب ، وما ظنك ببرجل كجمال الدين الأفغانى أو محمد عبده أو السيد رشيد رضا وهم السادة الأعلام الذين لا مجال للطعن في تفكيرهم أنهم من رجال التصوف كما تدل على ذلك تراجمهم .

إيجابى واقعى عادل صادق ظاهراً وباطناً
قولاً وعملاً لهذه اللائحة .

— أن يأخذ هذا التطبيق طريقه القوى

القويم الحاسم بلا حساسيات ولا مجاملات
ولاتسبب .

— ليكون معلوماً أن قيمة اللائحة في
احترامها بالتطبيق الجاد وإلا كانت مرضاً
جديداً يضاف إلى أمراض جسد التصوف
المظلوم .

إن رسالة التصوف تقدم على الإيمان
الكامل والتفانى في خدمة المجموع والجهاد
بنوعيه في سبيل رفعة الإسلام وعزته
والوصول بالإنسان إلى أعظم غاية في الحياة
وهى التعرف إلى الله والفناء فيه وبناء قم
خلفية شامخة تنحنى القامات أمامها إعزازاً
وإجلالاً ، إلى غير هذه الأهداف النبيلة
التي ترانا في حاجة إليها اليوم . والتي

وقصارى مايقال إن مسئولية القائمين
على أمر التصوف من شيوخ ومرشدين
ومريدين أن يكونوا صورة صادقة للتصوف
وأن يرتقوا إلى المستوى الذى هيأته له
رسالته حتى يؤتى ثماره المرجوة بين الشباب
المتعطش الحائر وبذلك يؤدى رسالته في
نهضة الإسلام ، ولعله إذا حقق التصوف
أهدافه المنشودة يساهم مساهمة فعالة في
الإجابة عن السؤال الذى طرحه هذا
العدد : إلى أين يتجه المسلمون ؟ .

والله أسأل أن يوفقنى إلى أن أكون
عاملاً بما أقول . .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى .

حوائج الناس إليكم نعمة

قال ﷺ : « إن الله عند أقوام نعماً يقرها عندهم ، ما لم يملوا ، فإذا
ملوها نقلها إلى غيرهم » .



عبد الحفيظ فرغلي على القرني

العرب ١٩٦٨ م
المبرد أديب النحاة سلسلة أعلام العرب
١٩٧١
الإشاعات الإسلامية في معركة العاشر
من رمضان المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية ١٩٧٣ م
أهل البيت في مصر المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية ١٩٧٥ م
مثالية الدعوة والدعاة المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية ١٩٧٦ م

● من مواليد النخيلة محافظة أسيوط في
١٩٢٥/٩/٢٠ م
● التحق بالأزهر الشريف وتخرج في كلية
اللغة العربية سنة ١٩٥٠ ثم في معهد التربية
العالي سنة ١٩٥١ م
● يعمل في حقل التعليم بوزارة التربية
والتعليم
● اشتغل بالتأليف ومن مؤلفاته :
مصر العربية في مجال التاريخ سلسلة
كتب قومية ١٩٦٦ م
محيي الدين بن العربي سلسلة أعلام

نخبة إسلامية

الأستاذ / زاهر عزب الزعبي

الحياة اليومية للفرد وفي السياسة العامة للدولة . . .

وفي إيران قد ظهرت قوة الحركة الإسلامية حتى وصلت إلى دست السلطة ، وسيكون نجاحها في التغلب على الصعوبات وجيوب المقاومة التي تناهضها الآن مرهونا بمدى التزامها وصدقها في تطبيق شريعة الله بوعي وفهم حقيقيين . .

أما في مصر فإن بمجلس الشعب المصرى نشاطاً بلجته التشريعية للفراغ في مراجعة التشريعات المصرية ، وإعادة صياغتها على نهج إسلامي ، أو بعبارة أخرى فإن الذى يجرى فى مجلس الشعب المصرى هو تقنين المبادئ والتشريعات الإسلامية وصياغتها فى مواد قانونية مضبوطة وواضحة ، وقد صرح مؤخراً رئيس المجلس د . صوفى أبو طالب بأن هذا العمل الضخم سيتم إنجازه خلال الدورة البرلمانية الحالية أى قبل انتهاء سبعة شهور . .

اليقظة الإسلامية أصبحت حقيقة وأمر واقعاً ، كما أن المد الإسلامى أوشك أن يفيض من جزر الفلبين إلى سواحل الأطلسي ، والإسلام - هدية الله إلى خلقته - أصبح الآن فى أعين المسلمين - على الأقل - المنقذ الوحيد للبشرية من الضياع والتفريق والانحلال التى تعاني منها أجيالنا المعاصرة . .

ومن ثم كان التلهف المشاهد فى سائر الدول الإسلامية على التنقيب فى صيدلية الإسلام عن المبادئ والتشريعات التى نزل بها وحى الله على رسوله المصطفى ﷺ ، لتكون هادياً للبشرية إلى الطريق الأقوم والنهج الأصلى إلى ما فيه الخير والنجاح للإنسان وإلى ما يحقق له السعادة فى دنياه وفى آخره . . فتطبيق الشريعة الإسلامية قد بدأ فعلاً وبصورة جدية فى باكستان ، أما فى بنجلاديش فإن نتائج الانتخابات التى أعلنت توتاً قد كانت فى صالح الذين التزموا بتطبيق الشريعة الإسلامية فى نظام

وفي المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين الذي انعقد في القاهرة بدعوة من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر كانت أظهر توصيات هؤلاء العلماء وضع دستور للدولة الإسلامية يكون جاهزا أمام أية دولة ترغب في صياغة مجتمعا على نخط إسلامي . . وفي اقتفاء وحى الله في سياستها العامة من جميع نواحيها الداخلية والخارجية . .

وهذه الیقظة الإسلامية تجمعنا نرجع البصر كرتين إلى التاريخ ونحاول أن نستشف منه الأسباب التي أخرت هذه الیقظة حتى اليوم ، مع أن كثيراً من الدول في أنحاء شتى من العالم الإسلامي قد سلمت لها حريتها السياسية منذ ربع قرن أو يزيد وكان في مقدورها تطبيق الشريعة الإسلامية من قبل . . والسبب الذي جعلني أورد هذا السؤال وأوضح الإجابة عليه هو أن كثيراً من الأسباب التي أعاقت المسلمين من تطبيق شريعة الله في الدول التي نالت استقلالها السياسي منذ أمد ليس بالقصير مازالت ذات فعالية ، وربما أخرت تطبيق الشريعة الإسلامية في كثير من الدول إلى أمد أرجو أن لا يطول ، كما أن هذه الأسباب نفسها قد تكون عاملا في بعض الدول الإسلامية يجعل تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً جزئياً . . وفي هذا الخطر كل

الخطر . . فإن الإسلام كل لا يتجزأ . . والأخذ بنصيب منه قد يترك ثغرات تفوت المصلحة من القاعدة الشرعية التي تكملها قاعدة أخرى قد يبدو لصاحب النظر القصير أن لاثمة رابطة بينها . . والفقهاء في جميع الأزمنة والأمكنة ومن بينهم فقهاء العصر في شتى أرجاء العالم الإسلامي لا يجهلون هذه الحقيقة الأكيدة التي لا شك فيها . .

وإذا نحن راجعنا تاريخنا الحديث في مصر واستعرضنا وقائعه لوضحت لنا الأسباب التي جعلت الشعب المصرى المؤمن يتقاعس عن تطبيق شريعة دينه ردحا طويلا من الزمن ويترك المجال لقوانين لقيطة غريبة عن تقاليد وعاداته وعن الدين الذى ارتضاه وآمن به . .

وفي الواقع فإن الشريعة الإسلامية كانت على نحو ما مطبقة في مصر حتى قبل الغزو الفرنسى لمصر . . فلما دخلها نابليون عرف الشعب المصرى لأول مرة منذ ولاية عمرو بن العاص قوانين غير إسلامية . . ومنذ ذلك الوقت وحتى في عهد محمد على وخلفائه من بعده كان الأخذ بالشريعة الإسلامية غير كامل ، أو بالأحرى غير صحيح . . وبعد أن أخذ الإنجليز الثورة العربية بدأت النكسة التشريعية في مصر تتسع شيئا فشيئا ويزداد نفوذ القوانين

أنبه على أن الذين شرعوا للمحاكم الوطنية التي بقيت حتى اليوم بعد إلغاء المحاكم القنصلية والمختلطة لم يكونوا في الأغلب من المصريين، بل لم يكونوا في أغلب القلة المصرية منهم من المسلمين.. ومن ثم راحوا ينقلون من القوانين الفرنسية والإنجليزية قوانين تبيح الزنا واللوواط إباحة مطلقة إذا تمت بين البالغين العقلاء في غير اغتصاب أو علنية.. ولا زالت هذه القوانين المرقعة الدخيلة ذات صلاحية حتى اليوم..

ولقد قامت بوادر النهضة المصرية المطالبة بالاستقلال والتخلص من نير المستعمر الأوربي على بذور وأسس ملبئة: أى على فكرة طرد النفوذ الأجنبي وإحياء ما سمي آنذاك بالخلافة أو الأمة الإسلامية.. وقد تزعم هذه الدعوة كل من جبال الدين الأفغانى ومحمد عبده ولكن سرعان ما أخمدت هذه الحركة وماتت بموت دعايتها..

ولكن سرعان أيضاً ما أعقبتها حركة استقلالية أخرى ولكن على نطاق قومى مصرى تزعمها مصطفى كامل وسعد زغلول وغيرهم من الزعماء السياسيين فى مصر.. وأسفرت هذه الحركة عن ثورة سنه ١٩١٩ م التي جعلت المستعمر يلائم نفسه

الأجنبية فى البلاد حتى انتهى الأمر بإنشاء المحاكم القنصلية والمحاكم المختلطة التي كانت تطبق فيها كل القوانين الأوربية، ويجوارها أنشئت محاكم وطنية طبقت رقاعاً من القوانين الأوربية ولم تترك للشرعية الإسلامية إلا محاكم اقتصر اختصاصها على النظر فى قضايا الأحوال الشخصية للمسلمين.. وحتى هذه المحاكم لم يكن لها من التنظيم القانونى سوى لائحة تنظم إجراءات التقاضى بها.. أما المبادئ القانونية نفسها فلم تسن بها قوانين ذات مواد منضبطة، بل ترك الأمر للقضاة يستوحون أحكامهم من أقوال فقهاء مذهب الأحناف وحده دون سائر المذاهب الفقهية الأخرى.. وكان القاضى حراً يصدر أحكامه فى المسائل الخلافية باختيار أحدها حسب ما يريته.. ثم إذا عرضت نفس القضية على قضاة آخرين فى المحكمة الاستئنافية أو فى المحكمة العليا صدرت الأحكام بالرأى الآخر، وهكذا سارت الأمور، وللأسف فإنها هكذا حتى اليوم مع بعض الانضباط القانونى الذى جدّ على فترات وليست له قيمة ذات أهمية..

ولا أريد أن أدخل بالقارئ فى متاهات تاريخ التشريع المصرى فى هذه الفترة العاصفة من تاريخ مصر.. ولكن يجب أن

مع الأمر الواقع ويلهى المصريين بما سمي بدستور سنة ١٩٢٣ م الذى يتيح الشعب المصرى استقلالاً شكلياً وَيُبْقِى النفوذ الأجنبى يدير سياسة البلاد ويستنزف مواردها الاقتصادية . . . ولم يترك - فى حقيقة الأمر - للمصريين سوى أن ينعموا باستقلال موهوم يدورون فيه حول أنفسهم ماداموا يساعدونه فى النهاية - حكماً وأحزاباً وَمَلِكاً - على استغلال كل موارد الشعب ويسرون فى فلكه وبحقوق أغراضه . . . ولم يكن المستعمر الإنجليزى فى هذه الفترة متسرعاً، أوحى يحاول أن يخفى كامل سيطرته على مصر ومقدراتها، بل إنه تعمد أن يبقئ مثله الدبلوماسى فى القاهرة بلقبه الذى كان له فى أيام الاستعمار الكامل : « المندوب السامى » . . . ولم يتغير هذا اللقب إلى ما يجب أن يكون عليه « سفير » إلا بعد إبرام معاهدة ١٩٣٦ التى حولت مصر من دولة تابعة لبريطانيا العظمى إلى دولة حليفة لها . . . ولم يتح الكافى من الوقت أمام هذه المعاهدة لكى تبرهن على قدرتها أو فشلها فى إضافات جديدة على واقع الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر . إذسرعان ما أُعْلِنَت الحرب العالمية الثانية ، وكانت أجزاء من مصر من أهم ميادين

وقائعها الحربية وأشدّها ضراوة وشراسة ، مما جعل بريطانيا تتجاهل استقلال مصر وتعيد سيطرتها وتحشد فيها جيوشها وتجنّد كل إمكانياتها لخدمة حربها التى ليس للمصريين شأن بها ، ولا ناقة لهم فيها ولا جمل . . . ووضحت هذه السيطرة وضراوتها فى فبراير سنة ١٩٤٢ م حينما قاد السفير البريطانى كتيبة من الدبابات المسلحة بالمدافع ، وحاصر بها قصر الملك آمراً إياه بأن يسند مقاليد الحكم إلى شخصية موالية ، بمقولة أن الشعب سيرفضها ويوقف هياجه الذى يقلق القوات البريطانية المدافعة عن البلاد ! ! . . . وهكذا ظلت مصر تحت النفوذ الأجنبى حتى بعد سقوط الملكية وقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ م : تلك الثورة التى نجحت فى إنهاء النفوذ البريطانى بتمام جلاء القوات الإنجليزية عام ١٩٥٦ ، بمقتضى معاهدة أنهت الوجود العسكرى الأجنبى فى مصر مع بقاء قاعدة دفاعية لبريطانيا فى منطقة القناة يديرها مديون . . . وحتى هذه القاعدة قد صُفِّيت تماماً نتيجة لفشل الغزو البريطانى الإسرائيلى الفرنسى المشترك فى نفس العام ١٩٥٦ م ، حينما أمم جمال عبد الناصر شركة قناة السويس العالمية . . . والذى يعيننا هنا أن نقرر بأنه حتى

ضغوط شعبية أحنت السلطات المهيمنة على التعليم رأسها للعاصفة وقررت تدريس الدين، ولكن كمادة تَرْفٍ لا يجرى عليها اختبار أو امتحان واكتفت بقشور من المواضيع الدينية وكميات ضئيلة من المبادئ الأخلاقية (لا العقائدية ولا التشريعية) لتكون المنهج الدينى فى البرامج التعليمية بهذه المدارس .

أما الأزهر فلأنه كان القوة الشعبية لكل انتفاضة وطنية فلم يكن أمام هؤلاء سوى أن يبقوا عليه، وأن يقصروا ميزانية الإنفاق عليه على بعض دخول الأوقاف الخيرية . . وضيقوا على خريجه أبواب العمل وشغلوههم - بقدر ما وسعهم - بالمطالبة بالوظائف الحكومية أو بمساواتهم بخريجي كليات أنشأوها خصيصا لمنافسة الأزهر كدار العلوم . . وبذلك استنزفوا حيوية خريجي الأزهر فى المطالبة بالكف عن معاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية فى فرص العمل والمرتبات . .

ولكننا - ونحن فى سياق هذا السرد التاريخي - لا يسعنا إلا أن نسجل أنه فى الأربعينات قد جرت حركة إصلاحية فى التشريع المصرى تزعمها بعض من أساتذة القانون المصريين على رأسهم الدكتور عبد الرزاق السنهورى والدكتور عثمان خليل

وقت قريب من تاريخ مصر لم تنهأ أية ظروف مناسبة لأية حركة إسلامية كى تعيد إلى مصر صبغتها الإسلامية، أو للشريعة الإسلامية كى تبسط سلطانها على الحياة المصرية . . . فكل الذين تصدروا الحياة السياسية والاجتماعية والتشريعية فى مصر منذ بداية النهضة القومية كانوا من الذين تثقفوا ثقافة غربية . . . المقتنعين بجدوى وصلاحيه النظم الديموقراطية والسياسية والاجتماعية والتشريعية الأوروبية فى النهوض بالحياة المصرية . .

فكل أعلام مصر وزعماء نهضتها : مصطفى كامل وسعد زغلول ولطفى السيد وقاسم أمين ومصطفى النحاس وعبد العزيز فهمى وطلعت حرب وغيرهم وغيرهم كانوا - بدون طعن أو تجريح فى حسن نواياهم الوطنية أو الدينية - على هذا الرأى . . بل إن بعضهم كان لا يأنف من المجاهرة بأن الشريعة الإسلامية شىء قد عدت عليه عوادى الدهر وأصبحت تراثا بطل مفعوله ولكن لا بأس من التفاخر به بين الحين والحين . .

وكان من أخطر نتائج هذه الملامسات ازدواجية التعليم . فالنهضة الثقافية فى مصر قامت على مدارس علمانية تهمل تدريس الدين إهمالا تاما فإذا ما حصلت

كدستور وكقانون للدولة إنما كانت بتوجيه منه . .

والأسباب التي أخرت تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر حتى اليوم هي نفس الأسباب التي سببت نفس الشيء في باكستان وإندونيسيا وإيران وسائر الدول الإسلامية . . وهذه الأسباب تعود في معظمها إلى النفوذ الاستعماري الأوربي وإلى انخداع الزعماء الوطنيين الذين تقلدوا زمام السلطة بعد الاستقلال - بهرج الحياة الأوربية ومدنيها الزائفة . .

وإذا كنا في مصر قد وضع لنا أننا كنا محطئين حين أهلنا شريعة الله فإن كل مسلم في شتى أنحاء الأرض يؤمن في صميم قلبه بأن لا نجاة ولا خلاص من المعاناة إلا بالاعتصام بجبل الله . .

وتنفيذا لتوصية علماء المسلمين في مؤتمرهم . الثامن بالقاهرة قام صاحب الفضيلة الإمام الأكبر المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق بتأليف لجنة من الفقهاء ورجال القانون لصياغة دستور إسلامي يكون تحت طلب أية دولة تريد أن تأخذ الشريعة الإسلامية منهاجاً لحياتها على أن يؤخذ في الاعتبار عند وضع هذا الدستور أن يعتمد على المبادئ المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية كلما

والشيخ على الخفيف . . وقد نجحت هذه الحركة في تعديل بعض مواد القانون المدني إلى ما يطابق النهج الإسلامي ، ولكنها لم تتمكن من منع التعامل بالربا ، وإن كانت قد نجحت في ضبط الحد الأقصى للفائدة بما منع المرابين من أن يفحشوا في الربا المحجف بالمواطنين المدينين . .

ولقد أصبح الآن واضحاً أن التجربة العلمانية في أوروبا الرأسمالية قد فشلت وكان من نتائج هذا الفشل أن قامت الماركسية التي فشلت مثل الرأسمالية في تحقيق السعادة للبشر . . ومن ثم فإن كلا من النظامين الآن يبحث عن علاج يداوى به الأخطاء الشنيعة التي أظهرتها الممارسة والتطبيق . . ولكن هيات فما من عقار ناجع لعلاج نظم قامت على أسس فاسدة . .

وحتى نحن هنا في مصر قد جربنا الاشتراكية العلمانية المستوردة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ م .

والآن فإن الرئيس محمد أنور السادات قد رفع منذ بداية عهده شعار « العلم والإيمان » كسياسة رشيدة بناءة . . ومشى بخطى حثيثة إلى إعادة صياغة الحياة المصرية طبقاً لهذا الشعار . . ولا ريب في أن الجهود المبذولة الآن في مجلس الشعب لتقنين الشريعة الإسلامية تمهيداً لترسيمها

أمكن ذلك . . .
 وقد قام مجمع البحوث الإسلامية بالإشراف على هذه المهمة حتى تمامها . .
 وفيما يلي نص المذكرة التي رفعها مجمع البحوث الإسلامية إلى فضيلة الإمام الراحل بالخطوات والإجراءات التي اتخذت حتى تمام صياغة الدستور الذي ننشر صورته مع المذكرة . .
 وسيقوم المؤتمر التاسع لعلماء المسلمين الذي سينعقد بالقاهرة بدعوة من مجمع البحوث الإسلامية ابتداء من يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى الموافق ٢١ أبريل ببحث مواد هذا الدستور والنظر فيه واعتماده من سائر الوفود الممثلة لجميع المسلمين في جميع أنحاء العالم . .
 وسيعقد هذا المؤتمر برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيسار شيخ الأزهر الجديد . . وهو كما عرفناه وعرفته الأمة الإسلامية عالماً حجة وأستاذاً فيلسوفاً جمع بين الثقافة الإسلامية التي عرف حضارتها الحققة الخلاقة والثقافة الغربية التي استبان له زيف مدنيته . . وكان - قبل تدرجه في المناصب كوكيل للأزهر وكوزير للأوقاف - أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية فأدار العمل جاداً بلجان المجمع حتى تم تقنين الشريعة الإسلامية على المذاهب الأربعة كل مذهب على حدة . . ومن ثم فهو ليس بجديد على هذا الميدان وليس غريباً عنه . . ونأمل ويأمل المسلمون معنا أن يتحقق على يديه الكثير من الخير للأمة الإسلامية . . والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل . .
 زاهر عزب الزغبى

الفراصة

قال ﷺ : « اتقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه : ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه ، وصفحات وجهه ، وحكى عن الشافعي ومحمد بن الحسن أنها رأيا رجلاً ، فقال أحدهما : إنه نجار ، وقال الآخر : إنه حداد ، فسألاه عن صنعه ، فقال : كنت حداداً وأنا الآن نجار .



الأستاذ زاهر عزب الزغبى

وتدرج فى مناصب التدريس حتى كان
وكيلا لمعهد القاهرة الثانوى . . وقد اختير
لنشر الثقافة الإسلامية بشبه القارة الهندية ،
فحاضر فى جامعات الهند المختلفة لمدة سبع
سنوات . . ثم اختير للعمل بمجمع البحوث
الإسلامية وهو الآن بمجلة الأزهر يتابع نشر
بحوثه .

الأستاذ زاهر عزب الزغبى وقد تخرج فى
كلية الشريعة الإسلامية بالأزهر ، ثم
حصل على العالمية مع إجازة التدريس عام
١٩٥٥ م . . وعمل محررا بالصحف اليومية
ووكالات الأنباء . . وحصل على عضوية
نقابة الصحفيين فى نفس عام تخرجه ، ثم
عين فى الأزهر مدرسا بالمعاهد الأزهرية

مشكلة الأقليات الإسلامية

الدكتور / عبدالوود شلبي

وبالرغم من أنه كان في الجانب الإسلامي دائماً رغبة مخصصة في التعاون إلا أنه لم يلق أبدا المعاملة بالمثل . .

وكما يقول جوستاف لوبون : لقد استمر التعصب الذي ورثناه ضد الإسلام جزءاً من تركيبنا العضوي .

إن النصرانية على حد قول الكاتب العالمي « حيدر بامات » لاتزال تواجه الإسلام بحقد وشراسة . . ومنذ نشأة القانون الدولي الحديث كان من المقطوع به اعتبار الإسلام خارج نطاق العلاقات الدولية وعدم الاعتراف بتمتع المسلمين بالحقوق التي يقرها هذا القانون .

لقد كان أول عمل قامت به فرنسا بعد احتلالها الجزائر تحويل أكبر مسجد فيها إلى كاتدرائية . . وأصدرت هيئة البريد الفرنسي طابعا تذكاريًا يمثل الهلال رمز الإسلام وهو يسقط منحدرًا إلى قاع البحر بينما الصليب يرتفع إلى أعلى ليغمر بسناه الأفق .

من أين يبدأ الحديث عن هذه المشكلة ؟

لابد أولاً من العودة إلى الماضي ، لنعرف كيف نشأت مشكلة الأقليات . . وحين نقول أقليات فلانعني بها أقليات غير إسلامية . . فهذه الأقليات لاتعاني مشكلة أبدا بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة . . لأن هذه المأساة أو المشكلة خاصة بالمسلمين وحدهم دون سائر الناس .

ولماذا ؟

دعونا نقرأ أولاً ثم نحكم بعد ذلك . يقول المفكر الإسلامي محمد أسد : إن الحروب الصليبية هي التي حددت في المقام الأول والمقام الأهم موقف أوروبا من الإسلام . . ويمكننا أن نقول من غير مبالغة . .

إن أوروبا الحديثة ولدت من روح الحروب الصليبية . . وقد ولدت أثناء الحروب الصليبية فكرة المدينة الغربية . . وكانت تلك المدينة عداوة للإسلام . .

الدولى ، فلا يصح أن يعاملوا بهذا القانون وغيره من القوانين . .
والمسلمون أمة ملعونة . ولهذا يجب أن يطاردوا ويقضى عليهم فى أى مكان فيه يكونون .

وقد قرأنا أخيرا . . أن جهاز « السافاك » - البوليس السرى الإيرانى - كان يدرب على أحدث وسائل التعذيب بأيدى خبراء أمريكيين الأمر الذى لو حدث مثله لأحقر مواطن أمريكى لقامت القيامة ودقت بسببه طبول الجهاد والثورة . .
ولكن الإيرانيين مسلمون . . وتعذيب المسلمين مباح فى قانون الصليبية التى لا تلتزم بقانون ، ولا تؤمن بدين . .

إن مأساة نيجيريا ومصرع الزعيمين المسلمين أحمد دبللو وتافاوا باليوا لاتزال ماثلة أمام أعيننا حتى هذه اللحظة . .
فعندما قام أيرونسى السفاح . . بحركته ضد الزعامة الإسلامية لم يتحرك ضمير أحد فى هذا العالم لقتلها غدرا بهذه الطريقة . .
وحين استرد المسلمون السلطة انفصل أوجوكو بإقليم « يافرا » وهبطت عليه طائرة الإخوة بالسلح والذخيرة . .

إن قتل عشرات الألوف من مسلمى زنجبار لم يحرك ساكنا فى ضمير العالم أوهيئة الأمم المتحدة . . ولكن إطلاق الروس

وأعلن ملك إسبانيا أمام البابا : أن إسبانيا قد جندت نفسها لحرب المسلمين فى أفريقيا حتى تغرس الصليب فى ديار الإسلام وتجعل أتباع محمد يخضعون له قهرا . .

وعندما تم حفر قناة السويس أرسل الأفاق العالمى ديليسبس برقية إلى البابا يعلن فيها أن الطريق إلى قلب العالم الإسلامى أصبح ممهدا . .
وكان لإيطاليا نشيد يحفظه جنودها إبان الحملة الطرابلسية تقول كلماته التى تقطر حقدا وسما . .

صلى يأماه ولا تبكى . .
بل اضحكى وتأمل . .
ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا لأبذل دمي فى سبيل سحق الأمة الملعونة . .
ولأحارب الديانة الإسلامية . .
سأحارب بكل قوى لحو القرآن . .
وإن لم أرجع فلا تبكى على ولدك . .
وإذا سألك أحد عن عدم حدادك عليه فأجيبه انه مات فى محاربة الإسلام . .

* * *

هذا هو المدخل الحقيقى لهذه المشكلة . .

فالمسلمون خارج نطاق القانون

الصومال ضد أثيوبيا ينظر إليها من زاوية العقيدة الدينية لامن أية زاوية أخرى مها تغيرت الأسماء والظروف .

* * *

هذه هي جذور المأساة بين المسلمين وغير المسلمين في هذه الدنيا . بل هي الأساس لمشكلة الأقليات الإسلامية في أى مكان توجد فيه هذه الأقلية .

والآن أين توجد هذه الأقليات ؟
إن هذه الأقليات موجودة في حوالى سبعة وخمسين بلدا وقطرا . . . ويبلغ مجموعها حسب آخر إحصائية ثلاثمائة مليون نسمة . . . أى ثلاثة أضعاف عدد المسلمين العرب المتشردين في قارتي آسيا وأفريقيا . . .
إن الأغلبية الساحقة في أفريقيا مسلمة موحدة . . . والديانة الوحيدة التى تلى الإسلام في الكثرة العددية هي الديانة الوثنية . . . ومانراه على سطح الحياة في هذه القارة ليس إلاخداعا يطمس هذه الحقيقة ، فالاستعمار قبل أن يحمل عصاه ويرحل عن هذه القارة أسلم الحكم والسلطة إلى نوع من الرجال الذين دربوا على صناعة الحقد والكراهية . . . وزيفوا الواقع بعقائد وشعارات لاصلة لها بالواقع والحقيقة . . . وإلافن يصدق أن الحبشة التى قادت معركة الحقد ضد الإسلام والمسلمين

لسفينة فضاء تحمل كلبة اسمها (لايبكا) أفرع الرأى العام في أوروبا وأمريكا لوحشية الروس . . . وقامت المظاهرات تهتف بحياة « الكلبة الشهيدة » وسقوط الوحشية والهمجية في روسيا . . .

وباكستان . . .

لقد كانت عضوا في منظمة دفاع جنوب شرق آسيا ، وأبسط مبادئ هذا الحلف أن يتعاون أعضاؤه في رد أى عدوان يقع على أى عضو من أعضائه المتضامنين في الدفاع ضد أى غزو أجنبي أو تدخل خارجي . . .

ولكن أمريكا وحلفاءها التزموا الصمت أمام الاجتياح الهندى لباكستان الشرقية ووقفوا موقف المتفرج من هذه المؤامرة . . . في الوقت الذى حول فيه الاتحاد السوفيتى اتجاه بوارجه الحربية لتفرغ حملتها من السلاح والذخيرة الى موانئ الهند حتى تجهز على الدولة الإسلامية .

إن الشعارات الماركسية التى رفعها زيادبرى لم تشفع له عند الروس في حربه الأخيرة مع أثيوبيا . . . وإن طرد الخبراء السوفيت من «مقديشو» لم يقربه من أمريكا . . . لأن الشعب الصومالى مسلم قبل مجيء زيادبرى ، وسبق مسلما بعد زواله وإلى ما شاء الله . . . وأى معركة تخوضها

نسبة المسلمين	الدولة	في أفريقيا أمة مسلمة وأغلبية سكانها مسلمون . .
٪١	استراليا	ومن يصدق أن تنزانيا أمة مسلمة وأكثرية شعبها مسلمون . .
٪١٠	باسوتولاند	ومن يصدق أن في الصين حوالى تسعين مليوناً من المسلمين . .
٪٥	باتشوانالاند	وفي الهند أكثر من ثمانين مليوناً . . وفي الاتحاد السوفييتى ستون مليوناً . .
٪٢	بريطانيا	ومن يصدق أن الخطر الذى يهدد الاتحاد السوفييتى فى المستقبل هو خطر انتشار الإسلام وزحفه داخل الاتحاد السوفييتى نفسه حيث يبلغ عدد المسلمين -
٪٥	بوتان	سنة ألفين ميلادية - حوالى مائة مليون أى ثلث عدد السكان . .
٪١٠	بورما	حقائق خطيرة وكبيرة لانعرف عنها شيئاً . . ومأساة المسلمين فى هذا العصر هى هذا الجهل الذى تفشى فى معاهدهم ومدارسهم . وعشش فى عقول المثقفين منهم فتى نتعلم ومتى نعرف ؟ سؤال تجيب عنه هذه الإحصائية التى تثير فى النفس الأسى والحسرة :
٪١٠	بورندى	
٪٦	بكوروسيا السوفييتية	
٪١	كمبوديا	
٪١	كندا	
٪١٠	سرى لانكا	
٪١٠	الصين	
٪١٥	الكونغو برازفيل	
٪٣٢	قبرص	
٪٢٥	فرناندويد	
٪٩,٥	جزر فيجى	
٪١	فنلندا	
٪٢	فرنسا	
٪٤٠	الجابون	
٪١٩	جورجيا السوفييتية	
٪١	ألمانيا	نسبة المسلمين
٪٣٠	غانا	٪٢٥ أنجولا
٪١٣	الهند	٪١,٥ الأرجنتين
٪١	الولايات المتحدة	٪١٢ أرمينيا السوفييتية

الدولة	نسبة المسلمين	إن بعض هذه الأقليات يعيش في بلاد
كينيا	٪٢٠	مسيحية ، وبعضها يعيش في بلاد وثنية
ليبيريا	٪٣٠	وقسم ثالث من هذه الأقليات يعيش في
مالاجاسي	٪٢٠	بلاد شيوعية . .
مالطة	٪١١	فهل يختلف الأسلوب باختلاف
جزر مورشيس	٪١٧	العقيدة والمذهب ؟ وهل تختلف معاملة
ملدافيا السوفيتية	٪٣	المسلمين من بلد إلى بلد ؟
موزمبيق	٪٣٥	كنت أظن ذلك أول الأمر ، غير أني
نيبال	٪٤	لاحظت في قراءتي للتقارير الخاصة بأحوال
تياسا لاند	٪٢٠	الأقليات الإسلامية أن هذا الأسلوب
زامبيا	٪١٥	واحد ، وأن الكيد والتآمر ضد الإسلام
الفلبين	٪١٠	والمسلمين متفق عليه وإن اختلفت المذاهب
بولندا	٪٢	والعقائد . .
جزر تيمور	٪٢٠	هناك التصفية الجسدية للمسلمين أفرادا
ريونيون	٪٢٠	وجماعات . .
روسيا السوفيتية	٪٦	وهناك السجن والتشريد والنفي لكل
روديسيا الجنوبية	٪١٥	من يجأ بالشكوى . .
سوازي لوند	٪١٠	وهناك المصادرة للثروة وتطبيق سياسة
نامبيا	٪٢	الإفقار والحرمان . .
تايلاند	٪١١	وهناك التبشير والإغراء لمن يريد
ترينداد	٪٦	السلامة من الخراب والموت . .
أكرانيا	٪١٢	وهناك حرمان المسلمين من التعليم
فيتنام	٪٣	والترقي في وظائف الدولة . .
يوغوسلافيا	٪١٣	وهناك فرض حصار على المسلمين بعدم
		الخروج أو السفر من مدينة إلى مدينة ، أو من
		قرية إلى قرية .

- وهناك هدم المساجد ، وإغلاق الكتابيب ، ومنع أى تعليم ديني يعرف المسلمين بفرائض عقيدتهم الدينية . .
 ● وهناك الصلب على جذوع الأشجار . .
 ● وإشعال النار في الكبار والصغار .
 ● وحرق قرى وأحياء كاملة بما فيها من الحيوانات والإنسان . .
 ● إن إثيوبيا لم تكن تسمح لأى مسلم أن يعمل جنديا أو موظفا إلا في دائرة ضيقة ، كان هناك قانون يسمح للقسيس أن يأمر بإعدام أى مسلم لأدنى شبهة . .
 ● وكان هناك قانون يبيح للحبشى أن يسترق المسلم ويتخذه عبدا إذا لم يسدد دينه .
 ● وكان هناك قانون يفرض على المسلمات القيام بخدمة رجال الجيش الإثيوبي إذا ما طلب منهن ذلك .
 ● وفي بورما البوذية لا يختلف الحال عنه في إثيوبيا أو روسيا ، إن أمامي تقريراً يقول :
 ● لقد تعرض المسلمون في بورما لظروف قاسية رهيبة تتمثل فيما يأتي :
 ● منع المسلمين من أداء فريضة الحج وعدم السماح لهم بأداء الصلاة .
 ● إلغاء الدراسة الإسلامية في المدارس والكلليات .
- مصادرة الكتب والمنشورات والمجلات الإسلامية .
 ● القيام بحملات إرهابية لإخراج المسلمين عن دينهم .
 ● مصادرة البيوت والعقارات الموقوفة على المساجد والمدارس الإسلامية .
 ● ولما اشتد بطش السلطة واضطهادها لجماعات المسلمين بدأت قوافل التزوح إلى « بنجلاديش » وبأعداد هائلة تصل إلى خمسين ألف مسلم في الشهر ، وقد بلغ عدد المهاجرين من مسلمي بورما حتى الآن أكثر من مائتي ألف مسلم ، وتعيش هذه الأعداد الكبيرة من المسلمين البورماويين ظروفًا قاسية وأليمة .
 ● وقد كنت أستمع صباح اليوم إلى إحدى الإذاعات العالمية^(١) فتوجت بنجر أصابني بالوجوم والهم . . فقد مات أكثر من سبعة آلاف طفل مسلم من هؤلاء المهاجرين بسبب الجوع والمرض . .
 ● وفي تقرير آخر عن حال المسلمين في تايلاند لا تختلف صورة المأساة عن واقعها في بورما . . الإبادة الكاملة للقرى المسلمة . . قتل الزعماء في السجون بالسم . . فرض « البوذية » بالقوة على المسلمين في هذه الأرض . .

(١) الجمعة ٢٧ صفر ١٣٩٩ ٢٦ يناير ١٩٧٩ .

في المدن الصغرى . . وخرج الأهليون رجالا ونساء وأطفالا ليشاركوا في الاحتفال بهذه المهرجانات ، ورحبوا بقوات الجيش الروسى ووزعوا على رجاله الهدايا والحلوى . . وفجأة أعلن مكبر الصوت أمر القبض على هؤلاء جميعا ، وتقدم الجيش وحاصرهم وسيقوا في طوابير طويلة إلى قطارات بضاعة كانت تنتظرهم ثم نقلوا إلى المنفى .

واتجهت قطارات الموت إلى آسيا الوسطى . . كان الفصل شتاء والبرد قارصا ، والثليج يغطى كل شبر من الأرض ، والقطارات بدون تدفئة والطعام قليل . واستغرقت الرحلة أسبوعين ولكن زحام المنفيين كان يخف يوما بعد يوم . . آلاف منهم قضى عليه البرد والجوع والعري ومشقة السفر الطويل . .

أما الزعماء والقادة فأعدموا رميا بالرصاص . . وهكذا أريد في عملية واحدة نصف مليون . . ثم استدار الروس بعد ذلك ليزيلوا كل أثر للمساجد والمدارس . .

* * *

أين حقوق الانسان ؟ بل أين ضمير العالم من هذه المأساة التى تخص المسلمين وحدهم دون سائر الناس ؟
بل أين هى مواثيق الأمم المتحدة

ولست فى حاجة إلى وصف مايتعرض له المسلمون فى الفلبين . . إن أخبار المذبحة تترى كل يوم . . ولم يتوقف حتى هذه اللحظة سلاح الطيران الفلبينى عن تدمير أماكن المسلمين وحرقتها بقنابل النابالم . . وقد ارتكبت الشيوعية نفس الجرائم والمظالم . . ومايقع على المسلمين فى الحبشة أو بورما أو الفلبين وتايلاند وقع أضعاف أضعافه عليهم فى الاتحاد السوفيتى ومن يدور فى فلكه من دول الكتلة الشيوعية بل إن شعوبا بأكملها أريدت على ايدى الشيوعيين فى الاتحاد السوفيتى فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة . .

وأشهر هذه الأمم التى أريدت « الكريمن Crimeen » والتتار Tatar والكالموك Kalmuks والكرك Karakys والشيشن Chechen والكولاك Kulaks والأنجش Ingush .

وقد حدث فى يناير ١٩٤٤ م أن دخلت جموع غفيرة من الجيش الروسى إلى بلاد الأنجش فملأت المدارس والمستشفيات والحمامات . . وقيل فى تعليل ذلك أنهم عائدون من الجبهة ويحتاجون إلى شىء من الراحة . وبعد مايقرب من شهرين وبالضبط فى ٢٣ فبراير أقيمت مهرجانات فى الميادين العامة سواء فى المدن الكبرى أم

وقوانينها التي تقول وتنص بأنه « لا يجوز لأى دولة أن تسمح بالتعذيب أو غيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة ولا يجوز اتخاذ الظروف الاستثنائية مثل حالة الحرب أو خطر الحرب ، أو عدم الإستقرار السياسى الداخلى أو أية حالة طوارئ عامة أخرى ذريعة لتبرير التعذيب أو غيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة ..

إنه لأمل فى كل ذلك ..

لأن المسلمين كما قلنا خارج نطاق القانون الدولى ، ولأنهم أمة « ملعونة » كما يقول النشيد الإيطالى .

والحل ؟

إننا نملك الحل .. فقومات الحياة الاقتصادية العالمية فى أيدينا .. ونستطيع -لو أردنا- أن نوقف عجلة الحياة لمن يعتدون علينا .

إن أهم المواقع الإستراتيجية تقع فى

بلادنا .. ونستطيع - لو أردنا - أن نسد منافذ الحياة فى وجه أعدائنا .

أن المواد الخام كلها فى أوطاننا ونستطيع - لو أردنا - أن نحرم الطغاة والظلمة من مصادر القوة التى يسيئون بها إلينا .

ولابد من اتخاذ موقف إسلامى موحد تجاه هذه المظالم ..

ولابد من إنشاء صندوق إغاثة للمطاردين والمحرومين من إخواننا فى العقيدة ..

ولابد من إنشاء مجلس أعلى لشئون هذه الأقليات على مستوى العالم الإسلامى كله ..

وهذا هو واجب المؤتمر الإسلامى العالمى فى جدة ..

ورابطة العالم الإسلامى فى مكة .. وواجب الأزهر الشريف فى القاهرة ..

دكتور عبد الودود شلبى



دكتور عبد الودود شلبي

« شارك في نشاط المؤتمر الإسلامي بالقاهرة ، وتولى الإشراف في هذه الفترة على تحرير مجلة « نور الإسلام » لسان حال علماء الدعوة والإرشاد في الأزهر .
 « عمل بعد ذلك مديرا للمساجد والشئون الإسلامية في إمارة الشارقة - دولة الإمارات العربية .
 « سافر إلى أوروبا للدراسة ، واشترك في مؤتمرات إسلامية كثيرة وطاف معظم بلاد العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا .
 « من مؤلفاته : « كيف أرى الله » و « حتى لأنخدع » و « مجتمع بلافوارق » و « رسالة إلى البابا » .
 « يعمل الآن مديرا ورئيسا لتحرير مجلة الأزهر ..

« من مواليد ميت عفيف محافظة المنوفية .
 « تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في معهد القاهرة ، ثم حصل بعد ذلك على الشهادة العالية من كلية أصول الدين ، والعالمية مع الإجازة سنة ١٩٥٣ م .
 « حصل على شهادة الدكتوراه PH. D. من كلية الدراسات الشرقية Oriental College في باكستان وكان بحثه في هذه الشهادة عن « الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته » .
 « عمل فترة بالتدريس ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف مفتشا عاما للشئون الثقافية ، ونقل إلى الأزهر بعد ذلك رئيسا للسكرتارية الفنية في مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر المرحوم الشيخ شلتوت سنة ١٩٦٢ م .

أنقذوا هذه الكنوز الإسلامية

الدكتور / أحمد أبو كفة

ثقافة الإسلام ..
ومصر .. قبل أن تشرق عليها حضارة
الإسلام ، وقبل أن ينشأ فيها الأزهر . كعبة
المسلمين العلمية ، كانت مركزا من مراكز
الحضارات القديمة ، بل كانت مركز أقدم
الحضارات .. تلك التي سادت ثم
بادت .. لأنها حضارات وثنية .. مها
طالت وتفجرت فُصيرها إلى انهيار
ولذلك .. فإنه ما إن دخلت جيوش
عمرو بن العاص مصر .. حتى بدأت تنسج
تاريخها الإسلامي المشرق .. ثم بنى فيها
جامع عمرو في القسطنطينية ، وبعد جامع
القطائع ، ثم جامع ابن طولون .. وبعد
الجامع الأزهر .. الذي صار من أهم
المراكز العلمية الإسلامية في بلاد الإسلام .
ولكن قبل أن نتحدث عن مكتبة
الأزهر .. كمكتبة عامة لأبناء المسلمين .
إلى القارئ الكريم إطلالة على مكتبات
عالم الإسلام ..

* * *

حضارة الإسلام .. هي حضارة ثقافة
بالدرجة ..
ودين الإسلام .. دين علم وتفقه
واستيعاب ..
والثقافة شيء متجدد باستمرار ..
وحضارة الإسلام كان لها أدوات متنوعة
بعد ما حمل المسلمون الأوائل اللواء
الأخضر لينشروا الإسلام شرقا وغربا ،
وليشرقوا بالدين الحنيف على أقاصي
الأرض وأدانيها ..
والمسلمون الأوائل حين فتحوا الأمصار
والممالك .. برزت أمامهم ثقافات جديدة ،
كان عليهم من دراستها وتمحيصها والنظر
فيها ، واستصفاء ما هو صالح منها . ولذلك
ترجم المسلمون أمهات الكتب في مختلف
فروع العلوم .. ثم نسخوها ، وأضافوا
إليها .. وهذه الكتب تنوعت من الحجارة
إلى العظام إلى رق الغزال .. ثم الورق ..
وكل شيء يمكن أن تسجل عليه ملامح
هذه الثقافة ، التي يمكن أن نطلق عليها

ثمينة ، لابد من وضع كتبها بين أحداق العيون .

ولقد أسندت أمانة هذه المكتبة إلى كبار العلماء والمتفقيين ، ومنهم سهل بن هارون .. بل إن الخلفاء اهتموا بتلك المكتبة ، حتى ليقال : إنهم كانوا يشترون في معاهداتهم مع أعدائهم .. بنودا لتوريد الكتب ، لتزويد المكتبة بها .. كي تدرس فيها وتصنف وترجم وتنسخ .

على أن «بيت الحكمة» .. لم تكن هي المكتبة الوحيدة في بغداد ..

كانت لها صنو على الضفة الأخرى من النهر وهي «مكتبة الكرخ» .. التي أنشأها الوزير بهاء الدولة ، وضمت أكثر من عشرة آلاف مخطوط .. نسخها وكتبها الأدباء والكتاب المسلمون .

كما كانت في دمشق في تلك الفترة «دار المعرفة» .. التي وصفها المؤرخ المسلم ابن خلدون - في القرن الرابع عشر الميلادي - بأن كتبها كانت تفوق الحصر ، وكان بها ثلاثة آلاف مجلد من نوادر المخطوطات . وفي هذه الفترة أيضا ، كان حكام الأندلس ينافسون حكام بغداد ، فقد أنشأوا «مكتبة قرطبة» في القرن الرابع الهجري ، والتي ضمت - كما وصفها ابن خلدون أيضا - حوالي ٤٠٠ ألف مجلد . بل

يقال : إن أول مكتبة جرى إنشاؤها في عالم الإسلام ، كانت مكتبة دمشق في القرن الأول الهجري ، تلك التي أنشأها خالد بن يزيد الأموي .. هذه المكتبات بالإضافة إلى أنها كانت تضم النسخات الإسلامية ، ومنها المصحف الشريف . بعد جمعه .. كانت تضم بعض الترجمات التي قام بها العرب والمسلمون في الطب والكيمياء .. عن اليونانيين وغير اليونانيين .. وقد ضمت بالطبع نسخا من أوائل المؤلفات والمصنفات والرسائل الإسلامية .

ثم كانت المكتبة الثانية في العصر العباسي ..

بدأت أولى المكتبات العامة في بغداد . حاضرة العباسيين .. تلك التي تأسست في عهد الخليفة العباسي الشهير هارون الرشيد . وقد جاء بعده الخليفة المأمون ، لينمي هذه المكتبة ، التي عرفت باسم «بيت الحكمة» وكانت «بيت الحكمة» .. أول مكتبة عامة بالمعنى الحديث ، في عالم الإسلام ، أو بالمعنى الأكاديمي للمكتبة . فقد كانت الكتب فيها تترجم وتنسخ ، كما كان يتردد عليها الباحثون للاطلاع والدراسة . ويقال : إن كتبها كانت محفوظة في خزائن أو دواليب .. فالمسلمون قدروا العلوم ككنوز

إن « غرناطة » كان بها وحدها سبعين مكتبة يضاف إلى ذلك مكتبة القيروان ، وغيرها من مكتبات العالم الإسلامى .

ونأتى إلى منتصف القرن الرابع الهجرى ، حيث الفاطميون بناء القاهرة المعزية ، وبناء الأزهر الشريف .. « الذين بدأوا يتنافسون مع حكام دمشق وبغداد والأندلس فى الاهتمام بالحركة العلمية » .

ومن أشهر المكتبات أيام الفاطميين هى « خزانة الكتب » تلك التى أنشأها العزيز بالله الفاطمى ، ووضع مسئوليتها فى يد وزيره يعقوب بن كلس .. وقيل : إنه كان بها من الكتاب الواحد عشر نسخ ، بل ومائة نسخة فى بعض الأحيان . كما كان بهذه المكتبة أربعة وثلاثون نسخة من كتاب « العين » للخليل بن أحمد الفراهيدى ، وكانت كلها بخط يده . ومائة نسخة من كتاب « الجمهرة » لابن دريد .

ويذكر المؤرخ تقي الدين المقرئى ، أن عدد كتب « خزانة الكتب » .. كان يربو على مليون و ٦٠٠ ألف نسخة ، فى مختلف العلوم : فى الفقه ، واللغة ، والنحو ، والتاريخ ، والكيمياء ، والفلسفة ، والهندسة ..

ونأتى إلى ثانى المكتبات فى عصر بناء

الأزهر ، وهى المكتبة المشهورة باسم « دار الحكمة » .. التى أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله عام ٣٩٥ هجرى وهذه الدار كانت أشبه بأكاديميات العصر الحديث فى البحث والدراسة والتأليف والترجمة وعمليات النسخ .. التى كانت بديلا عن الطباعة ، التى لم تكن تعرف حتى ذلك الوقت .

ولقد شاهدت دار الحكمة هذه المئات والألوف من المؤلفين والكتاب المسلمين ، ومنهم ابن النفيس ، العالم والفقيه ، الذى اكتشف الدورة الدموية الصغرى ، قبل هارفى الإنجليزى بعدة قرون . بل إن « دار الحكمة » كان يقيم بها العلماء والقراء ، والمنجمون ، والنحويون ، واللغويون والأطباء .. وتجرى عليهم الرواتب .. ولقد وقر الخلفاء الفاطميون للمتتردين على مكتبة دار الحكمة المناخ ، لكى يدرسوا وينسخوا مايشاءون ، وفر لهم الحبر والورق والأقلام المتعددة الأغراض .. تلك التى شرحها فيما بعد القلقشندى فى موسوعته العلمية التى ظهرت فى عصر المماليك بعنوان « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » وقد بلغ عدد كتب هذه المكتبة ما يربو على مائة ألف كتاب .

من هذا التاريخ بدأت تدخل الكتب - خاصة الجديدة والمتنمية إلى الفقه السنّي - إلى الأزهر. بل إن عشرات الألوف من الكتب دخلت إلى الأروقة ، تلك التي بلغت مع مرور الأزمان حوالى ثلاثين رواقا ، كان اخرها الرواق الذى أنشئ قبل نهاية القرن التاسع عشر بقليل وهو الرواق العباسي .

ولقد توزعت الكتب على الأروقة لتكون في متناول طلبة الأزهر الذين جاءوا من كل أنحاء عالم الإسلام .. وقد أُلقيت مسئولية هذه الكتب - أو المخطوطات - على أبناء البلاد التي جاءوا منها . وبذلك ظل الأزهر بأروقته ، ومكتبات الأروقة ، قبلة لطالبي العلم.

لكن الكتب في الأزهر جاء عليها حين من الدهر ، أخرج الكثير منها من الأزهر ، بل خارج مصر كلها . فالعثمانيون الذين فتحوا مصر في بداية القرن السابع عشر الميلادي ، نقلوا إلى الأستانة الكثير من الكتب التي كانت في الأروقة والحارات . والفرنسيون الذين جاءوا لغزو مصر .. نهب علماءهم الكثير من تلك الكتب وأرسلوا بها إلى عاصمتهم باريس .

يقول الشيخ عبد الرحمن الجبرتي حول الفرنسيين : « دخلوا الأزهر ، وهم راكبون

ثم نأى إلى مكتبة الأزهر .. أو خزانة الكتب في الجامع الأزهر والتي كانت لها شهرتها ، لكن برغم شهرة هذه المكتبة ، فإن تاريخ تأسيسها لا يزال مجهولا .. إلا من شذرات في هذا السفر أو ذاك تدل عليها .. فالمؤرخ ابن ميسر في كتابه « أخبار مصر » ، يقول : إنه قد أسند إلى داعي الدعاة أبو الفخر صالح . الخطابة في الجامع الأزهر مع خزانة الكتب

والمؤرخ المقرئ في خططه يقول : « إن الحاكم بأمر الله أمر بنقل نصف الكتب من دار الحكمة إلى الجامع الأزهر ، والباقي إلى مسجده ، ومسجد المقس »

ونحن إذا عرفنا أن منصب داعي الدعاة في دولة الفاطميين ، كان هو المسئول عن إدارة جهاز من أهم أجهزة الدولة .. لانتضح لنا أهمية خزانة الكتب في أيام الفواطم في الجامع الأزهر ، والتي كانت من أهم مؤسسات الفاطميين الثقافية .

والتاريخ يقول : إنه بزوال دولة الفاطميين ، فإن مؤسساتهم الثقافية .. ومنها الأزهر وخزانة كتبه قد تعطلت .

لكن الثابت تاريخيا أن السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦٥ الهجرى فتح الجامع الأزهر وفتح معه خزانة كتبه .. وأنه بداية

تسجيل هذه الكتب ، فبلغ عددها حوالى ١٨٥٦٤ كتابا ومخطوطا . وهذا السجل للكتب لازالت نسخة منه موجودة ، وهو من جزءين . وكان قد سرق من الأزهر ، ولم يعد إليه إلا فى عام ١٩١١ م ، حيث وجده أحدهم ، واشتراه بخمسة وعشرين قرشا ، وأعادة إلى المكتبة .

* * *

على أنه فى تقرير قدم إلى مجلس إدارة الأزهر فى مفتتح القرن العشرين ، وأيام الشيخ محمد عبده حين كان مفتيا لمصر وقدم برنامجه لإصلاح الأزهر .. هذا التقرير يقول : « كان فى الأزهر خزائن كتب ، وضعت فى بعض الأروقة والحارات ، وبعضها وضع فى المساجد القريبة من الأزهر .. وقد نيط بحفظ هذه الكتب إلى أشخاص يقال لهم « المغيرون » .. وأن هؤلاء الأشخاص تصرفوا فى الكتب تصرفا سيئا .. وبالجملية لم يكن يعرف للكتب قيمة ، ولا ينتفع بها لعدم إمكان الانتفاع » .

على أن هناك تقريرا آخر بعد هذا التقرير بحوالى خمسة وثلاثين عاما حول الأزهر .. حين تطلبت الحالة إصلاح وتطوير الأزهر ، وقد قام بكتابة التقرير كل من عبد الخالق ثروت باشا وإسماعيل باشا

خيولهم وفيهم المشاة كالوعول ، وتفرقوا بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاص والودائع والمخبثات بالدواليب والخزانات ، وبأرجلهم ونعالهم داسوها »

ويتضح مما قاله الجبرتى .. أنهم برغم استقصائهم للكتب .. فقد داسوها بنعالهم لكن حين عاد الفرنسيون إلى بلادهم بعد ثورتى القاهرة الأولى والثانية ، وبعد أن قاومهم شعب مصر من خلال الأزهر وشيوخه وعلمائه وطلبته .. بل إن سليمان الحلبي الطالب بالأزهر هو الذى قتل الجنرال كليبر .. أقول : بعد أن رحل الفرنسيون بعدما فعلوا ما فعلوا بكتب الأزهر ، وكانوا قبل دخوله قد سلطوا عليه القنابل من فوق جبل المقطم .. ظل الأزهر يجمع الكتب من هنا وهناك .. بل ويرتق الكتب التى بقيت .. حتى استيقظ ديوان الأوقاف بمصر عام ١٨٥٣ م ..

لقد بدأ منذ هذا التاريخ بجمع الكتب والمخطوطات فى الأروقة والنكايا والحارات والمساجد المجاورة للأزهر ، مثل جامع الفكهاني ، وجامع العيني .. وقد تم

● رواق الأحناف المالحق بالمدرسة الأقبغاوية

● المدرسة الطيرسية . وهى على يمين الداخل للأزهر .. وتشغلها الآن هيئة الفتوى

● الرواق العباسى . خلف المدرسة الطيرسية

ويذكر هنا .. أن المكتبة بدأت أيام الأستاذ الإمام بحوالى ٧٧٠٣ كتاب . ومن هذه الكتب حوالى ٦٦١٧ كتاباً أهديت أو وقفت على الأزهر .. و ١٠٨٦ كتاباً بطريق الشراء ثم بعد أن نقلت كتب أغلب الأروقة ، مثل رواق المغاربة « ٢٠ ألف كتاب ومخطوط » ورواق الشوام « ٥ آلاف كتاب ومخطوط » .. بالإضافة إلى المكتبات المهداة .. فقد بلغت الآن حصيلتها حوالى ربع مليون كتاب . منها ٢٥ ألف مخطوط ، تعتبر من أندر المخطوطات .

على أنه مايزال هناك فى الأروقة بعض الكتب ، ومنها رواق الأتراك .. والسبب أن المكتبة الحالية ، ضاقت بعد أن نقلت إليها مكتبات مقتنيات المدرسة الطيرسية ، ورواق الأحناف والرواق العباسى . كما يوجد أيضاً بعض الكتب والمخطوطات فى أروقة الصعايدة والمغاربة وغيرها

* * *

صدقى ، وفتحى باشا زغلول . لكن هذا التقرير لم يشر إلى مكتبة الأزهر التى جاهد الأستاذ الإمام محمد عبده . قبله فى جمع شمل كتب الأزهر والمخطوطات من الأروقة والحارات فى مكتبة خاصة مستقلة .. وكان الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر أيام الأستاذ الإمام قد وافق على جمع الكتب فى مكتبة خاصة بها ، بل بادر بإهداء مكتبته الخاصة للأزهر

وقيل وقتها : إنه بعد مناقشات طويلة .. اختير مكان مناسب لتجمع فيه الكتب .. وقد أبلغ ديوان الأوقاف - وكان يتولى الإشراف على الأزهر - بتنفيذ الفكرة ، التى تعثرت بعض الشئ لأن أغلب الأروقة رفضت وضع كتبها فى المكان الذى اختير ليكون مكتبة عامة للجامع الأزهر .. وهذا هو السبب فيما يبدو أن الأستاذ الإمام قد دعا العلماء والكبراء للتبرع بمكتباتهم الخاصة للأزهر .

وجدير بالذكر : أن قرار مجلس إدارة الأزهر حدد أربعة أمكنة لتسكن فيها كتب ومخطوطات ومقتنيات الأزهر وهى :

● المدرسة الأقبغاوية وتقع على يسار الداخل من باب المزينين - الباب الرئيسى - للجامع الأزهر ، وهى التى فيها المكتبة الأزهرية حالياً

والواقع أن المكتبة الحالية مكان غير مناسب لأن يكون مكتبة .. أو حتى قاعة للاطلاع فهذا المكان يبلغ عمره الآن حوالى ستة قرون أو يزيد .. وهو مكان قام بإنشائه الأمير أقبغا عبد الواحد ، أستاذ الناصر محمد بن قلاوون ، فى عام ٧٤٠ الهجرى . ١٣٤٠ م .

والمدرسة الأقبغاوية مكان جميل بلاشك فى معماره الإسلامى ، وفى قبه الزينة والمزخرفة لكن بفعل القدم ، وبفعل الزمن تشقق فى الكثير من جدرانها - ثم إن مساحتها صغيرة جداً ، لاتكاد تستوعب مجموعة دوايب الكتب .. ودوايب المخطوطات النادرة ، فياه الأمطار تعبث بداخل المدرسة الأقبغاوية ، كما أن الأتربة الكثيفة لاتستطيع حتى عوامل إزالتها المستمرة من الموظفين أن تمنعها .. وهذه الأتربة وعوامل الجو .. صارت مناخاً طيباً ومختاراً لحشرات الكتب والمخطوطات .. التى تعيش عليها ، والتى تعبث بهذه الكنوز عبثاً ثقيلاً جداً

إن ثروة علمية هائلة ، داخل أغلفة الكتب والمخطوطات والمصاحف تآكل كل يوم ، ونحن نخشى أن نصبح فى يوم ونمسي ، فلا نجد هذه الثروة .. التى تقع فريسة للحشرات والتراب والأمطار .

ومكتبة الأزهر الشريف ، هى فى الواقع عنوان مشرف للأزهر الشريف .. وهى تتبع مجمع البحوث الإسلامية إشرافاً ومكتبة الأزهر الشريف تحمل من الذخائر ما لا يوجد فى أى بلد إسلامى آخر ولذلك فإن مكتبة الأزهر الشريف ، أمانة فى أعناق الأفاضل من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية .. عليهم أن يلتفتوا إليها ، وأن يجتمعوا ليساهموا فى إنقاذها إن المملكة العربية السعودية تفضلت مشكورة فاقترحت تصوير هذه الكنوز فى مكتبة الأزهر بالميكرو فيلم .. وهذا التصوير للميكرو فيلم ، وإن كان يحفظ ما فى بطون الكتب والمخطوطات من كنوز ، فإنه بالطبع لا يحفظ هذه الكتب والمخطوطات .

وجمهور مصر العربية من خلال الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية ، أسندت إلى مركز الترميم والميكرو فيلم فى هيئة الكتاب العربى ، عمل دراسة للكتب ، وكتابة تقرير عن حالة هذه الكنوز وكيفية ترميمها لكن هذا العمل فى الواقع يحتاج إلى أموال كثيرة من أجل إنقاذ هذه الكنوز العلمية الفريدة .

ولابد لعلماء المسلمين فى مؤتمهم التاسع من زيارة هذه المكتبة ، ودراسة إمكانية أن تقوم حملة عامة بين المسلمين

مما هي فيه

* * *

إن الثروة في مكتبة الأزهر الشريف ..
لا يمكن أن نحصى جوانبها في مثل هذه
السطور

وهي ثروة تتمثل في المصاحف المتنوعة
في مختلف العصور والمكتوبة بفنون وأنواع
الخط الإسلامي ، من الكوفي المنقط وغير
المنقط إلى النسخ والثلث والرقعة
والديواني .. وهذه المصاحف المخطوطة في
حد ذاتها ، وأغلبها مخطوط بماء الذهب ..
تعتبر ثروة إسلامية كبيرة لاتقدر بمال ..
ومن هذه المصاحف مصحف بالخط
الكوفي المنقط ، مكتوب على رق غزال
يعود تاريخه إلى القرن الرابع الهجري . وهذا
المصحف النادر ، قد تم ترميمه في فترة
سابقة .. ولكن هذا الترميم بدأ يتلاشى
أثره .. وبدأت حشرات الكتب تبعث
فيه ، وإن لم يتم إنقاذه فسينهار كلية .

وهناك مصحف كبير الحجم .. وهو
مصحف وقفه «أقبغا» صاحب البناء في
عام ٧٤٠ الهجري على الأزهر .. وهو
مصحف مخطوط بالخط الثلث .. وفيه
بعض الشروح . بالإضافة إلى صندوق -
خزانة - مصحف مصنوع من البرونز
والفضة ، به «ربعه» قرآن في ثلاثين

لجمع الأموال لإنقاذ هذه المكتبة بل من
أجل « فك أسر » هذه الكنوز ، ونقلها إلى
أى مكان صحى تعيش فيه ، ويكون فيه
قاعات للبحث والمطالعة .. أو إعادة تعمير
المكان الأصلي التاريخي الذى تعيش فيه
هذه الكتب وتوسيعه

والواقع أن تضامن علماء المسلمين
وتوفرهم على إنقاذ هذه الكنوز الأزهرية
سيكون عملا كبيرا يليق بالمسلمين .
فالأموال زائلة والعلم باق . ومكتبة الأزهر
الشريف ، .. ليست مكتبة مصرية
وحسب .. إنها مكتبة تفيض بغزير العلم
على أبناء المسلمين جميعهم من كل أنحاء
العالم الإسلامى .

لقد استطاع اليونسكو - مثلا - أن
يقوم بحملة عالمية تساهم فيها دول اليونسكو
جميعها بإنقاذ آثار منطقة النوبة منذ عام
١٩٦١ م وحتى الآن .. ومكتبة الأزهر
الشريف ، والبناء الذى تقبع فيه وهو
المدرسة الأقبغاوية ، هذه تحتاج إلى حملة
كبيرة من بلاد الإسلام ، ومن اليونسكو
كذلك .. لإنقاذ هذه الثروة العلمية الهائلة
قبل أن تبلى ..

ولابد أن يشارك في هذه الحملة منظمة
التضامن الإسلامى .. كما يشارك فيها كل
المنظمات والبنوك الإسلامية ، حتى ننقذها

جزءاً ، باسم الملك الناصر محمد بن قلاوون .. وهو غاية في فن الإسلام . ثم مصحف مخطوط في ١٩ ورقة ، يعود تاريخه إلى أيام الخديو إسماعيل مكتوب بماء الذهب . فضلاً عن حبة قمح مكتوب عليها سورة « قريش » كاملة .. بالإضافة إلى عدد كبير من المصاحف التي صارت في حالة سيئة تحتاج إلى العمل الفوري لإنقاذها ومن التفاسير المخطوطة ، هناك العشرات بل المئات ..

فهناك « غريب القرآن » للسجستاني منذ عام ٥١٤ الهجري

وهناك تفسير الفاتحة لابن جزى ، من الأندلس يعود إلى تاريخ ٦٢٧ الهجري وهناك « تفسير الكشاف » للزمخشري ، الذي يعود إلى عام ٦٥٤ الهجري وفي تجويد القرآن ، نسخة نادرة من « الرعاية » تعود إلى عام ٥٥٧ الهجري ثم غريب الحديث لابن سلام الجمحي والذي يعود إلى عام ٣١١ الهجري وهذه المخطوطات تعتبر من أندر المخطوطات في العالم الإسلامي كله .

يضاف إلى ذلك مجموعة من المخطوطات النادرة في علوم الفقه والتفسير واللغة والتاريخ ومن هذه الكنوز :

« رسوم دار الخلافة » .. للصابي .. ويعود إلى عام ٤٥٥ الهجري والمعجم

المؤسس للمعجم المفهرس لابن حجر ، بخط يده ويعود إلى عام ٨٢٩ الهجري ونسخة مخطوطة للإمام السيوطي من « حسن المحاضرة » تعود إلى عام ٨٧٩ الهجري

وفي الفقه من بين المخطوطات النادرة توجد نسخة من « كتاب زاد الملوك » لابن المظفر والتي تعود إلى عام ٨٦٠ الهجري .. وعليه إهداء جميل للسلطان الناصر محمد ابن قلاوون .

ورسالة لأبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ بعنوان « الحسد والحسود » وهي رسالة مخطوطة ، من نوادر المخطوطات ومن المخطوطات النادرة كذلك ، مما نقل إلى مكتبة الأزهر من رواق الأتراك .. نسخة مخطوطة من « رباعيات الخيام » بماء الذهب يرجع تاريخها إلى ١٨٦٠ الميلادي وكان قد أوقفها على رواق الأتراك محمد علي باشا حاكم مصر في القرن التاسع عشر الميلادي .

ومن التحف الموجودة ، مجموعة صور لمشايخ الجامع الأزهر الشريف ، ملونة وغير ملونة بالإضافة إلى لوحات قرآنية كتبت في فترات مختلفة .. وكانت هناك عامتان للشيخ الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر أكلتهما الحشرات !!

تقع في الخزانات الخشبية .. والمهداة إلى المكتبة والتي تحتاج إلى الكثير.

إن مكتبة الجامع الأزهر في حاجة إلى إنقاذ من علماء المسلمين ودول الإسلام ؟ إننا نستصرخ علماء المسلمين في كل مكان أن يبادروا إلى إنقاذ هذه الكنوز الإسلامية قبل فوات الأوان .

ونحن نعتقد أن مكتبة الأزهر لا بد أن تكون « ديناً » في عنق كل من درس بالأزهر الشريف وتلقى العلم فيه .. فالمكتبة وكتبها ومخطوطاتها كانت الزاد الكبير الذي تزود منه الدارسون .. ! ؟

وهذا الذي هو فرض عين وكفاية على كل من درس بالأزهر وتلقى العلم فيه .. من أجل إنقاذ هذه الكنوز الإسلامية ! !
أحمد أبو كف

وهناك صندوق خشبي ، وصفه على باشا مبارك في خطه بأنه « يقال : إن به قطعة من سفينة نوح » . لكن لما فتح الصندوق عام ١٩٣٤ م وجدوا به عدة رقوق من المصاحف الكوفية ، وقطعة من الخشب ملفوفة بقماش أخضر .

هذا فضلاً عن مزولة ضمن المزاويل التي أهداها أحمد باشا شاكور للأزهر الشريف ثم مرصد فلكي أهداه لطلبة الأزهر إسماعيل باشا الفلكي عام ١٨٩٨ الميلادية .

* * *

إن الكتب والمخطوطات والتحف كثيرة ونادرة في نفس الوقت ، وهي تاريخ رائع للأزهر الشريف .. بالإضافة إلى تلك المجموعات من الكتب والمخطوطات التي

يكون وهم ظالمون

قال الشعبي : كنت جالساً عند شريح القاضي ، إذ دخلت امرأة تشتكي زوجها - وهو غائب - وتبكي بكاءً شديداً ؟
فقلت : ما أراها إلا مظلومة .

قال : وما علمك ؟

قلت : لبكائها ! ؟

قال : فإن إخوة يوسف « جاءوا أباهم عشاءً يكون وهم

ظالمون » ؟ !

أول دستور إسلامي يناقسه علماء المسلمين

في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية التاسع بالقاهرة
فقيه الأمة الإسلامية الدكتور عبد الحلیم محمود يختم حياته
بمراجعة الدستور

الدكتور محمد نعيم عكاشة



اختتم فقيه الأمة الإسلامية الدكتور عبد الحلیم محمود حياته بوضع اللمسات الأخيرة لأول مشروع دستور إسلامي في العالم . . المشروع الجديد يستمد أحكامه من مختلف المذاهب والآراء الفقهية ، وتغطي مواده كافة احتياجات المسلمين في مسائل الدين والحياة . . وإذا كان القدر لم يسعف الشيخ الجليل في إدراك آخر أمنيات عمره بخروج المشروع إلى دائرة الضوء فإن ما قدمه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين سيظل دوماً علامة بارزة على الطريق ، وأثراً باقياً على مر الأجيال والسنين . . رحم الله الدكتور عبد الحلیم محمود رحمة واسعة وأنزله منازل الشهداء والصدیقین جزاءً وفاقاً على صالح أعماله . . ودعأؤنا إلى الله التقدير أن يقبض للأزهر شيخاً جديداً يكون خير خلف لأعظم سلف فيكمل مابدأه الفقيه الكبير ويحقق ما كان يرجوه للأزهر من نهضة وتقدم واستقلال . .

وإذا كانت مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية الثماني الماضية قد توافرت على مناقشة ونشر العديد من البحوث حول قضايا المسلمين المعاصرة ، فإن المؤتمر التاسع يتميز عن سوابقه من المؤتمرات بنظر أول مشروع دستور إسلامي أعدته لجان المجمع العلمية والفقهية وبذلت في سبيل صياغته الكثير من الجهد والعمل المخلص حتى استكمل صورته المقترحة ..

والمشروع كما هو وارد تحكيمه روابط الأخوة الإسلامية ، وإن تعددت النظم وأشكال الحكم في كل دولة من دول الإسلام ، فالمسلمون أمة واحدة يعملون بكتاب واحد ويستظلون تحت راية واحدة ، هي راية القرآن ..

وحيث إن في الاتحاد قوة فقد أجاز المشروع اتحاد دولة إسلامية مع أخرى أو أكثر في الشكل الذي يتفق عليه .. وفوض الشعب المسلم سلطة مراقبة الإمام وأعوانه وسائر الحكام ومحاسبتهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية ..

● أسس المجتمع الإسلامي .. وأكد الباب الثاني من المشروع على التعاون والتكافل بين المسلمين كافة .. وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض يأثم من يقصّر فيه مع القدرة عليه .. وعُني بالتربية الدينية

قبل الحديث عن مشروع الدستور الإسلامي المقرر مناقشته أمام مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية التاسع ، هناك حقيقة لا بد من ذكرها في البداية وهي : أن الأزهر جبين مصر الديني والواجهة العريضة التي تطل من خلالها على العالم الإسلامي كله ..

وقد لمست في لقاءاتي المتعددة وجولاني مع المسلمين في الخارج اسم مصر يتردد دائماً مقروناً باسم الأزهر ، فهي تُعرّف وتُرى به .. ولاخلاف أن دعم الأزهر ومعاونته على تأدية رسالته أمانة في عنق كل أزهري بل في عنق كل مسلم .. وكل من يعمل على مجده يعمل على مجد مصر ..

وفي ضوء ظروف العصر وتحدياته تتعاظم رسالة الأزهر في التصدي للمذاهب والتيارات المنحرفة ، ومواجهة الغزو الفكري الأجنبي وبخاصة الفكر الماركسي الملحد .. ونشر الدين على صورته الصحيحة ..

ومن ثم فإن اجتماع علماء المسلمين من شتى أقطار العالم في رحاب مدارس خطط الدعوة الإسلامية ، وإيجاد الحلول لما جدّ من مشكلات في حياة جماهير المسلمين أمر ضروري للغاية ..

كمنهج أساسي في جميع مراحل التعليم وكذلك حفظ القرآن الكريم ، وإنشاء معاهد خاصة لتحفيظه لعامة المسلمين ، وطبع المصحف الشريف وتيسير تداوله بين الناس . .

كما نص على قيام الأسرة على الدين والأخلاق وقرر كفالة الدولة في دعم الأسرة وحماية الأمومة ورعاية الطفولة بكل الوسائل . . وتشجيع الشباب على الزواج وتيسير أسبابه . . وأكد على الترابط الأسرى وحسن رعاية المرأة للزوج والأبناء . . وأناط الولاية العامة بمصلحة الرعية وخاصة حماية الدين والنفس والعقل والمال والعرض . . وإلى غير ذلك من مواد .

● الاقتصاد الإسلامي . . وأرسي الباب

الثالث دعائم الاقتصاد وكفالة حرية التجارة والصناعة والزراعة وفقاً لأحكام الشرع . . ومقاومة الدولة للاحتكار ، والتشجيع على تعمير الصحراء . وزيادة الرقعة الزراعية . . وتحريم التعامل بالربا إطلافاً ، وموافقة خطط التنمية الاقتصادية لأحكام الشريعة . ، وجواز الوقف على الخيرات بموجب قانون ينظم ذلك . .

● الحقوق والحريات الفردية . . وكفل

الباب الرابع حقوق الدفاع والتقاضى

والاعتقاد الديني والفكرى وحرية العمل وإبداء الرأي والكتابة والحرية الشخصية وحرية الانتقال والسفر وغيرها ، على أن تكون في حدود الشريعة الإسلامية . . كما أكد على حرمة المساكن والمراسلات والخصوصيات وحظر التجسس ، على أن يحدد القانون ما يرد على هذه الحرية من قيود تمارسها الدولة في جرائم الخيانة العظمى أو الخطر الداهم ، ولا تكون تلك الممارسة إلا بإذن قضائي . . كما اعتبر تعذيب الأشخاص جريمة لا تسقط بمضى الوقت ، وخول لكل إنسان حق تقديم الشكوى عن جريمة تقع عليه أو على غيره أو على اختلاس المال العام أو تبديده . .

وحق العمل والكسب والتملك مكفول ولا يجوز المساس به إلا بمقتضى أحكام الشريعة الإسلامية ، وللمرأة أن تعمل في الحدود المباحة شرعاً . . ولا يجوز للدولة مصادرة حرية الملك وحقوق الملكية بأية صورة ، وعدم نزع ملكية أحد إلا للمصلحة العامة ومقابل تعويض كامل . .

● الإمام . . ونظم الباب الخامس قواعد

اختيار الإمام وشروط المرشح لرئاسة الدولة ومنها : الإسلام والذكورة والبلوغ والعقل والصلاح والعلم بأحكام الشريعة . . وأوجب طاعته وإن خولف في الرأي وأكد

المجلس النيابي وحدود اختصاصاته وتمثل بإيجاز في: سن القوانين وإقرار السياسة العامة للدولة والخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والميزانية العامة للدولة وكذلك ممارسة الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية بما يتفق على أحكام الشريعة الإسلامية .

بالإضافة إلى أحكام أخرى تتعلق بنظام الدوائر الانتخابية وشروط العضوية ومحاسبة العضو ومدة دورة المجلس النيابي وسير عمله ، ومسئولية الوزراء أمام المجلس وسحب الثقة منهم وغيرها . .
ويؤدي عضو المجلس قبل مباشرة عمله هذه اليمين :

« أقسم بالله العظيم على طاعة الله ورسوله وأن أحافظ مخلصاً على سلامة الوطن وترابه وعلى النظام الدستوري وأن أرى مصالح الأمة وأحترم الدستور والقانون وأن أعلو أحكام الشريعة الإسلامية وذلك كله في صدق وشرف وإيمان . »

وحرّم على عضو المجلس شراء أو استئجار شيء من أموال الدولة أو يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله أو يقايضها عليه وأن يرم مع الدولة عقداً بوصفه ملتزماً أو مورداً أو مقاولاً . . وإلى غير ذلك .

على أنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق . . ولا للإمام في أمر مقطوع بمخالفته للشريعة . . وحدد مسؤولية الإمام في قيادة جيشه لجهاد العدو وحفظ الثغور وتراب الوطن وإقامة الحدود وعقد المعاهدات بعد إقرارها وكذلك تمكين الأفراد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الفرائض .

● **القضاء . .** ونص الباب السادس على استقلال القضاء وتجريم المساس باستقلاله ، وعدم جواز تمييز أحد أو فئة بمحاكم خاصة ، فالناس سواسية أمام القضاء ، كما اشترط في جرائم الحدود مثول المتهم أمام المحكمة بشخصه أو مع محام يوكله ، فإن لم يفعل نصبت له الدولة محامياً للدفاع عنه .

كما نص على توقيع عقوبات الحدود الشرعية في جرائم الزنى والقذف والسرقة والحراة وشرب الخمر والردة . . وأوجب الجلد في التعزيرات ، والحبس محظور إلا في جرائم معدودة ولمدد محدودة يبينها القاضي . . ولا يجوز إذلال المحبوس أو إرهاقه أو الإساءة إلى كرامته .

● **المجلس النيابي . .** واشتمل الباب السابع على ٤٦ مادة وهو أطول ماجاء بمشروع الدستور ، وقد رسم باستفاضة سلطات

كل منهم . . كما أبقى على الأحكام الصادرة من قبل وإن أجاز إلغاء هذه الأحكام أو تعديلها وفقاً للقواعد والإجراءات المقررة في هذا الدستور ، وحدد العمل به من تاريخ إعلان موافقة الأمة عليه في استفتاء . . وبعد . .

المشروع في جملة مواده وعددها ١٤٢ مادة يتجانس مع الأنظمة المتبعة في كل دولة من الدول الإسلامية ، فضلاً عن مطابقة تفاصيله لأحكام الشريعة نصاً وروحاً ، وهو الآن رهن مناقشة علماء المسلمين المؤتمرين بالقاهرة وفي حالة إقراره في صورته النهائية يوضع بعد ذلك تحت تصرف الدول الإسلامية التي ترغب العمل بمقتضاه . .

ولاشك أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يتطلعون اليوم باهتمام إلى مؤتمر علمائهم هذا والأمل يحدوهم في أن يحقق ما انعقد عليه ، وأن يرى الدستور الإسلامى الموحد طريقه إلى النور والتنفيذ حتى تعم شريعة الله بين الناس . . والله موفق المستعان .

محمد نعيم

● الحكومة . . واختص الباب الثامن بـ صور التشكيل الوزارى والقسم الذى يؤديه كل عضو ، وهو مطابق فى مضمونه للقسم الذى يؤديه عضو المجلس النيابى . . كما نص على أن الوزير هو الرئيس الإدارى الأعلى لوزارته ويتولى رسم سياسة الوزارة فى حدود السياسة العامة للدولة ويقوم بتنفيذها ، ولا يجوز للوزير أثناء تولى منصبه أن يزاول مهنة حرة أو عملاً تجارياً أو مالياً أو صناعياً أو أن يشتري أو يستأجر شيئاً من أموال الدولة أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله أو أن يقايضها عليه . . وخوّل للإمام والمجلس النيابى حق إحالة الوزير إلى المحاكمة عما يقع منه من جرائم أثناء تأدية أعمال وظيفته أو بسببها ويكون قرار المجلس النيابى باتهام الوزير بناء على اقتراح يقدم من خمس أعضائه على الأقل . . ولا يصدر قرار الاتهام إلا بأغلبية ثلثى الأعضاء . . ويوقف من يتهم من الوزراء عن عمله لحين الفصل فى أمره . .

● أحكام عامة وانتقالية . . أما الباب التاسع والأخير فقد ترك المجال مفتوحاً أمام كل دولة لاختيار ما يتواءم مع ظروف ونظم

مستقبل الإسلام .. والدراسات الحديثة للمسيحية

على هامش كتاب

المسيح في مصادر العقائد المسيحية

بدءوها في الوقت المناسب ، في صدر الرسالة الإسلامية ، حيث كان الاتصال القريب بالصحابة والتابعين وتابعيهم ، وبسلسلة الرواة ممكنا ميسرا .

أما الذي يجري الآن في مجال الدراسات المسيحية فتكتنفه صعوبات هائلة لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى ، وهو إن دل فإنما يدل على أن هذه الدراسات كان ينبغي أن تتم وأن المسيحية ماتزال مفتقرة إليها .

وبالرغم من الصعوبات التي أشرنا إليها فإن الذين يطلعون على هذه الدراسات أو على شيء منها ، لابد أن يقلعوا عن نظرتهم التشاؤمية إليها ، وأن يجدوا أنفسهم في نهاية الأمر على ثقة كاملة بجديتها وجدواها .

رهدفنا في هذا المقال أن نشرك القارئ معنا في هذه الاهتمامات ، وأن نطلعه على مجال خصب من هذه الدراسات ، وأن نضمه إلينا في نظرتنا التفاؤلية لها .

وإنني لأذهب إلى أبعد من ذلك إذ

تجربى في أروقة المسيحية وبخاصة في السنوات الأخيرة دراسات علمية تستهدف التحقق من صحة الكتاب المقدس من حيث نسبة النصوص الواردة به إلى أصحابها . من ناحية ، ومن حيث عزوها إلى الوحي الإلهي من ناحية ثانية .

وتنهج هذه الدراسات منهج المقارنات اللغوية ، لهذه النصوص ، وتتبع العصور التي تنسب إليها ، واخطوطات التي نقلت عنها ، والترجمات التي مرت بها كما تنهج منهج النقد الداخلى لهذه النصوص من حيث الكشف عن مقدار ما بها من توافق أو تناقض ، سواء كان ذلك بالنسبة للنص الواحد ، أو لمجموعة من النصوص المنسوبة إلى أشخاص مختلفين ..

وتذكرنا هذه الدراسات التي أخذ ساعدها يشتد في هذا القرن العشرين بدراسات شبيهة بها أو مقارنة لها أجراها المسلمون فيما يخص الحديث النبوى أو السيرة ، مع فارق مهم هو أن المسلمين

أرى أن هذا المنهج العملي في البحث هو ما ينبغي أن تسير فيه قضية تقويم المسيحية ، وأنه آن الأوان للإقلاع عن منهج قديم تبعه بعض العلماء إذ كانوا - وما يزال بعضهم كذلك - يفتحون ميادين البحث النظرى الجدلئ الماورائى .. وهو منهج جد عسير ، وباهظ التكلفة ، قليل الجدوى .

* * *

وبالرغم من كثرة ما وقع فى أيدينا من الكتب التى أخذت بمنهج الدراسات النقدية للنصوص ، فإننا نقتصر فى هذا المقال على تقديم نموذج منها ، بلغ فى تقديرنا درجة عالية من الدقة والموضوعية ، وسنختم هذا العرض بانطباعاتنا التى خرجنا بها من هذه الدراسة .

والدراسة التى نقصدها جاءت فى كتاب بعنوان « المسيح فى مصادر العقائد المسيحية .. »^(١) للمهندس أحمد عبد الوهاب وللمؤلف دراسات سابقة ولاحقة فى هذا المجال ، منها « إسرائيل حرفت الأنجيل » ومنها « الوحى والملائكة فى اليهودية والمسيحية والإسلام » ومنها « النبوة والأنبياء ، فى اليهودية والمسيحية والإسلام » .

وأهمية الكتاب ترجع إلى كونه كما جاء

(١) نشر مكتبة وهبه - القاهرة - ١٣٩٩ هـ .

فى عنوانه « خلاصة أبحاث علماء المسيحية فى الغرب » وأهم هذه الأبحاث التى اعتمد عليها جاءت فى الكتب الآتية :

كتاب « الأنجيل ، أصلها وتطورها » للدكتور فريدريك كلفتن جرانت ، أستاذ الدراسات اللاهوتية فى الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك .

وكتاب « كتابات مقدسة » لمؤلفه الأستاذ جنترلانسز كوفسكى ، المتخصص فى تاريخ العقائد بجامعة هيدلبرج الألمانية . وكتاب « تفسير إنجيل مرقس » للأستاذ دنيس اريك نينهام ، أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ، ورئيس تحرير سلسلة بليكان لتفسير الإنجيل .

وكتاب « تفسير إنجيل متى » لمؤلفه جون فنتون ، عميد كلية اللاهوت بليثشفيد بإنجلترا .

وكتاب « تفسير إنجيل لوقا » لمؤلفه الدكتور جورج بردفورد كيرد الذى عمل أستاذا لدراسات العهد الجديد بجامعة مكجيل بكندا ، ثم عميدا لكلية اللاهوت المتحدة ، ثم أستاذا بجامعة أكسفورد ، ثم رئيسا للجمعية الكندية لدراسة الكتاب المقدس .

وكتاب « حسب الكتب » لمؤلفه الدكتور تشارلز هارولد دود الذى عمل

الشهر :

«إن هذا عصر أصبحت فيه أساسيات العقيدة المسيحية موضع ارتياب وأن الدعاوى التي تقوم ضد المسيحية لم يعد من الممكن مواجهتها بتكرار الحجج القديمة أو تلك التبريرات الواهية» .

* * *

ويبدأ الكتاب الذى بين أيدينا بالكلام عن مصادر العقائد المسيحية كما جاءت فى العهد الجديد ، وينصب البحث هنا على التحقق من «قانونيتها» ويخرج القارئ من هذه الدراسة بخلاصة مؤداها :

إنه فيما يتعلق بالزمان والمكان والكيفية التى اكتسبت بها الأناجيل الأربعة الصبغة القانونية - أى صارت مقبولة من الكنيسة - ومن ثم اعتبرت مقدسة ، ووفقا لما جاء فى دائرة المعارف البريطانية الجزء ١٧ ص ٥١٤ لعام ١٩٦٠ لا يملك العلماء إلا أن يقولوا : «ليس لدينا أى معرفة محددة بالكيفية التى تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة ولا بالمكان الذى تقرر فيه ذلك - وما يجب ملاحظته أن كليمنت الرومى - عام ٩٧م - ويوليكارب عام ١١٢ م - قد استشهد كل منهما بأقوال للمسيح فى صيغ مستقلة عما فى الأناجيل التى صارت قانونية فيما بعد .. وأما فيما

أستاذًا لتفسير الكتاب المقدس بجامعة مانشستر ، ومديرا عاما للجنة الترجمة الحديثة للكتاب المقدس ، ويمثل هذا الكتاب ، مجموعة محاضرات ألقاها فى كلية اللاهوت بجامعة برنستون .

وكتاب «أمثال الملوك» لمؤلفه المذكور سابقا ويمثل الكتاب مجموعة محاضرات ألقاها فى مدرسة اللاهوت بجامعة بيل .

وكتاب «تاريخ العقيدة» لمؤلفه الدكتور أدولف هونك «أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين ، ويعتبر واحدا من أكبر العلماء فى التاريخ الكنسى - كما يقول المؤلف - وله أبحاث ومؤلفات عديدة من أهمها هذا الكتاب الذى يقع فى سبعة أجزاء ، وقد ظهرت طبعته الثالثة الألمانية عام ١٨٩٣ م .

وكتاب «اعتراضات على العقيدة المسيحية» لمؤلفه :

أستاذة كلية اللاهوت بجامعة كمبردج : الأستاذة ماكينون ، وفيدلر ، وويليامز وبيزنت يقول مؤلفو هذا الكتاب :

وقد نشر لأول مرة فى أبريل عام ١٩٦٣ م ، وتلقفته الأيدى حين ذاك ، فصدرت منه ثلاث طبعات فى نفس

وتقول دائرة المعارف البريطانية :
(إن النسخ الأصلية لكتب العهد الجديد - وهي أغريقية - فئت منذ مدة طويلة وفيها عدا بعض بقايا من صعيد مصر فإن كل النسخ التي استخدمها المسيحيون في الفترة التي سبقت مجمع نيقية قد غشها نفس المصير. ومما يجب ذكره أنه حتى اختراع الطباعة لم يكن قد تم الوصول إلى اتفاق كامل في أى من نصوص العهد الجديد)

وتتحدث الدائرة - ص ٥١٩ - ٥٢١ ج ٢ عن الأناجيل فتقول (إن التغييرات قد حدثت فيها عن قصد ، مثل إضافة أو إدخال فقرات بأكملها ، وبالتأكيد فإن بعضا منها قد استمد من مصدر خارجي . ويقول فرديريك جرانث في كتابه الذى ذكرناه سابقا ص ٣٢ (إن نصوص جميع المخطوطات الأصلية للعهد الجديد تختلف اختلافا كبيرا ، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيا منها قد نجا من الخطأ ، ومهما كان الناسخ حى الضمير ، فإنه ارتكب أخطاء وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسخته الأصلية . إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدى المصححين الذين لم يكن عملهم دائما

يتعلق بقانونية العهد الجديد ككل فن الملاحظ أن عملية بنائه وتقرير شرعية كتبه قد استغرقت حوالى ٣٥٠ عاما - وإلى بداية القرن الرابع «كان يوجد كثير من البلبلة - ويصف ايزيوس هذا الوضع فيقسم الكتب إلى ثلاث طبقات : كتب قبلت بوجه عام ، وكتب لاتزال موضع جدل لكن اعترف بها على نطاق واسع ، وكتب مرفوضة .

يقول المؤلف : «أى الكتابات المسيحية تعتبر مقدسة وتجمع معا لتكون في العهد الجديد ؟ إلى الآن - وبعد أن اقترب الألف الثانى لميلاد المسيح - لم يمكن الوصول إلى السؤال الأهم ، بل والأخطر ألا وهو : أى الأقوال نطق بها المسيح في انجيله وتحدث بها التلاميذ في رسائلهم ؟ لقد ظهرت الأناجيل بنصوص مختلفة وكلما مرت عشرات من السنين ظهرت نفس الأناجيل بنصوص مخالفة لما عرفت به من قبل وبالمثل كان الحال مع رسائل التلاميذ .. إن مشكلة «النص» تعتبر بحق مشكلة المشاكل التي تشغل بال العلماء اليوم ، والتي استحدثت بسببها دراسات وعلوم تهدف أول ما تهدف إلى معرفة حقيقة النص الأصلي ، فحين يمكن تحقيق ذلك تتحدد كثير من المواقف)

إعادة القراءة الصحيحة) .

أما عن إنجيل مرقس بالذات

فإن مرقس لم يكن قد سمع عيسى عليه السلام ، ولا كان تابعا شخصيا له لكنه في مرحلة متأخرة كما يقول - بابياس المسيحي المتوفى ١٣٥ م - قد تبع بطرس .. ويقول نينهم في كتابه الذي ذكرناه ص ٣٩ .

(لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى . . .) .

وبالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل يقول في ص ٤٢ :

(غالبا ما يحدد في الفترة ٦٥ - ٧٥ م وغالبا في عام ٦٥ أو ٦٦ م .. ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس في الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠ م . . .)

ويقول الدكتور فريدريك كلفتن جرانث في كتابه « الأناجيل : أصلها وتطورها » ص ٧٤ :

(إذا كان الرأي الشائع كذلك أن مرقس كاتب الإنجيل كان هو مبشر الإسكندرية وأول أسقف لكنيستها فإن بعض العلماء يعتبر هذا الرأي من المأثورات العجيبة تماما مثل الاستدلال الخاطيء

الذي توصل إليه أوغسطين من أن مرقس كان واحدا من الذين تبعوا متى واختصروا إنجيله .)

وتقرر دائرة المعارف البريطانية ص ٥٢٣ أن إنجيل مرقس هو الأساس الذي استمد منه كل من متى ولوقا بجانب مصادر أخرى فتقول (إن القول بأن متى ولوقا استخدموا إنجيل مرقس قد أصبح على وجه العموم مسلما به ولكن بجانب إنجيل مرقس فلا بد أنها قد استخدموا وثيقة أخرى أصبح يشار إليها الآن بالحرف (ص) .

وبجانب هذا المصدر المفقود ص ، يرى العلماء أن هناك مصادر أخرى نقل عنها ما كتبه الأناجيل مثل المصدر m ، وعنه نقل متى بعض المواد ، والمصدر L ، ومنه استقى لوقا المادة التي انفرد بها وهي تبلغ حوالى نصف الإنجيل . وأما عن إنجيل متى :

فيوضح جون فنتون في كتاب تفسير إنجيل متى ص ١٣٦ كيف أن متى كاتب الإنجيل لم يكن هو متى المذكور فيه على أنه تلميذ عيسى عليه السلام ويقرر أن ربط متى (لشخصيته كمؤلف بهذا التلميذ إنما هي محض خيال) ويقول (إنه من المحتمل أن مؤلف هذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس الكنيسة التي كتب من أجلها هذا

وأما عن إنجيل يوحنا : يقول الأستاذ جون مارش في مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا ص ٢٠ (من كان هذا اليوحنا الذى قيل إنه المؤلف ؟ أين عاش ؟ أى المصادر كان يعتمد عليها ؟ متى كتب مصنفه ؟ حول كل هذه الأسئلة وحول كثير غيرها توجد أحكام متباينة) ثم يقول ص ٨١ (من المحتمل أنه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادى قام شخص يدعى يوحنا من الممكن أن يكون يوحنا مرقس خلافا لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي أحد التلاميذ الاثنى عشر - وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع ، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة متى ومرقس ولوقا - فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع ..) وعلى العموم :

فلقد كتبت الأناجيل الأربعة القانونية على مدى فترة زمنية تقدر بأكثر من ٦٠ عاما ما بين عام ٦٨م وعام ١٢٥م - والأخطر من هذا أن أقدمها لم يكتب فى حياة المسيح ولا عقب رفعه مباشرة أو حتى بعد ذلك ببضع سنين - لكنه كتب بعد ٣٥ سنة مضت منذ رفع المسيح ، لهذا جد العلماء فى البحث عن الأسباب التى أدت إلى تأخير كتابة هذه الأناجيل وذكروا أسبابا

الإنجيل أو معلمها الذى كان اسمه متى ..) أما بالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل فيمكن القول - كما يقول جون فنتون ص ١١ إنه (كتب حوالى الفترة من ٨٥ - ١٠٥ م)

والمشاكل الرئيسية لهذا الإنجيل تشتمل على خطأ الاستشهاد بتنبؤات العهد القديم ، وتوقع نهاية العالم سريعا وما جاء فى خاتمته من ذكر التعميد باسم الآب والابن والروح القدس ، إذ إن هذه الصيغة كما يقول الدكتور أدولف هرنك فى كتابه تاريخ العقيدة ص ٧٩ ج ١ .

(غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل)

وأما عن إنجيل لوقا ، فإن لوقا : يعترف بأنه لم ير المسيح ولم يكن من تلاميذه . ويرجح العلماء كما يقول الدكتور فريدريك كلفتن جرانت فى كتابه ص ١٢١ - ١٢٨ أن يكون لوقا قد أصدر إنجيله حوالى ٨٠ أو ٨٥م وبعد ذلك بحوالى عشر سنوات ذيل كتابه برسالة ثانية هى (أعمال الرسل) ونشره حوالى ٩٥ م .

هذا وإن كان بعض العلماء الألمان أو الأمريكيين يرجحون القول بأن مؤلف كل من الإنجيل وأعمال الرسل شخصان مختلفان .

بين متى ولوقا في نسب المسيح ، ويعقب على ذلك بقوله (إنه لا يمكن الأخذ برواية أى من متى أو لوقا عن نسب المسيح إذ لو اعتبرنا أحدهما صحيحا لكان الآخر مخطئا ولا شك)

ويذكر الاختلاف بين متى ومرقس من جانب وبين لوقا ويوحنا من جانب آخر في أسماء التلاميذ ، ويعقب على ذلك بقول الدكتور جون بردفورد كيرد في كتابه تفسير إنجيل لوقا ص ١٠١ (عند ما كتب الإنجيل لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ)

ويذكر من هذه الاختلافات أيضا الاختلاف في سرد الروايات المتعلقة بكثير من الوقائع .

ويذكر بعض الروايات المتنافرة في الإنجيل الواحد وعلى سبيل المثال ماجاء في إنجيل متى من قول المسيح لبطرس :

« طوبى لك يا سمعان بن يونا أعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات وكل ماتخله على الأرض يكون محلولاً في السماوات » متى ١٦ : ١٧ - ١٩ ، ثم جاء في هذا الإنجيل نفسه بعد هذا القول مباشرة من أن المسيح (ابتداءً يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيرا من

من بينها أن الغالبية العظمى من المسيحيين الأوائل لم يكونوا متعلمين ، وأن العادة كانت جارية بنقل التعاليم الدينية شفاهاً (وثمة عامل آخر .. ألا وهو تفشى فكرة المجيء الثاني للمسيح ...) على وجه السرعة بحيث يشاهد الجيل الأول هذا المجيء ، هذا بالإضافة إلى الاضطراب والاضطهاد الذى اتسمت به الكنيسة في عهدها الأول ..

فلما أوشك الجيل الأول الذى عاصر المسيح على الانقراض وتباعد الأمل في تحقيق المجيء الثاني للمسيح ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين الذكريات وكان هذا العمل من نصيب الجيل الثاني في المسيحية وهكذا بدأت كتابة الأناجيل بعد عشرات السنين من رحيل صاحب الدعوة .

ثم يفيض المؤلف في ذكر المشاكل الكثيرة التى تحول بين هذه الأناجيل الأربعة وبين الاعتقاد بصحتها أو بكونها وحيا إلى كاتبها .. ويصنف هذه المشاكل إلى أربعة أبواب رئيسية تتناول : التناقضات والاختلافات القائمة بين هذه الأناجيل ، ووقوعها في خطأ الاستشهاد بالعهد القديم ، ووقوعها في خطأ تقرير صلب المسيح ، ووقوعها في خطأ تقرير قيامته . أما عن التناقضات فيذكر الاختلاف

لوقا ٢٢ : ٥٤ - ٦٠

ويقول المؤلف : (بهذا وقع بطرس في
المخضور وألقى بنفسه في دائرة الهلاك إذ لا بد
وأن ينكره المسيح أمام الله تحقيقا لما سبق أن
نطق به ..)

ومع ذلك يأتي أنه بعد قيامة المسيح
وظهوره لتلاميذه عين بطرس خليفة له فيهم

ورئيسا عليهم يوحنا ٢١ : ١٥ - ١٧
وهكذا تأتي عشرات الأمثلة على هذا
التناقض الصارخ من المقابلة بين النصوص
وتأتي أمثلة أخرى على نبوءات نطق بها
المسيح ولم تتحقق فن ذلك ما جاء في متى
١٩ : ٢٧ - ٢٩ من أنه قال (متى جلس
ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أتم
أيضا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط
إسرائيل الاثني عشر) ولقد كان يهوذا -
الاسخريوطي الخائن الذي أصبح يعرف
« بابن الهلاك » من بين هؤلاء الاثني عشر
وبهذا يستحيل تحقيق هذه النبوءة .

ومن أجل هذا نجد لوقا يحذف هذا
التحديد بالاثني عشر في النبوءة عند
ذكره لها .

ويقول جون فنتون (لعل ذلك يرجع
إلى أنه كان يفكر في يهوذا الاسخريوطي)
ولقد تنبأ المسيح كما نسب إليه بأنه يدفن
في الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال متى

الشيوخ ورؤساء الكهنة فأخذه بطرس اليه
وابتداً ينتهره قائلاً : حاشاك يارب ولا
يكون لك هذا - فالتفت وقال لبطرس :
اذهب عني يا شيطان : أنت معثرة لي لأنك
لاتهم بما لله بل للناس) متى ١٦ : ٢١ -

٢٣ ومرقس ٨ : ٣١ - ٣٣

ومن هذا التناقض الشديد أيضا ما جاء
في لوقا ومتى من قول المسيح (كل من
أنكرني قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله)
لوقا ١٢ : ٨ - ٩ ومتى ١٠ : ٣٢ - ٣٣
وفي ختام الدعوة جلس المسيح بين تلاميذه
الاثني عشر وفيهم بطرس وقال لهم :
(كلكم تشكون في هذه الليلة ..) فأجاب
بطرس وقال له (وإن شك فيك الجميع
فأنا لا أشك أبدا ..)

قال له يسوع : الحق أقول لك إنك في
هذه الليلة قبل أن يصبح ديك تنكرني
ثلاث مرات . قال له بطرس : ولو
اضطرت أن أموت معك لا أنكرك .
هكذا قال أيضا جميع التلاميذ) متى ٢٦ :
٣١ - ٣٥ ومرقس ١٤ : ٢٧ - ٣١ لوقا
٣٢ : ٣٤ .

وتقول الأناجيل إن نبوءة المسيح في
بطرس قد تحققت ، وأنكر بطرس المسيح
ثلاث مرات أمام الذين قبضوا عليه (متى
٢٦ : ٥٦ - ٧٤ ومرقس ١٤ : ٦٦ - ٧١

من أن التلاميذ لم يشكوا فيه في تلك الليلة .. والتائج المترتبة على ذلك هي : إما أن نبوءة المسيح بشكهم لم تتحقق ، ويترتب على هذه النتيجة نتيجة أخرى : هي أنهم لم يشكوا لوثوقهم بنجاته ، مما يضر بصحة نبوءات المسيح وصحة ما ذكر عن صلبه معا ، وإما أنها تحققت أى أنهم شكوا في نجاته بالفعل وهذا - يعنى ارتدادهم ، كما يعنى نجاته أيضا .

وهكذا تجرى الروايات المتناقضة في مايتعلق بقصة إنكار بطرس ، والمحاکات التي جرت للمسيح أمام مجمع الكهنة ، وهيرودس ، وبيلاطس ، وحامل الصليب ، واللصين اللذين صلبا بجواره ووقت الصليب ، وصلاة المصلوب وصراخه على الصليب ، وموت المصلوب ، وشهود الصليب ، وعملية الدفن ، ونهاية يهوذا ، وهلاك بيلاطس ، وتنبؤات المسيح بنجاته من القتل ، وتنبؤات المزامير - التي اعتمدت عليها الأناجيل - بنجاته أيضا ، واختلاف المسيحيين الأوائل في صلب المسيح ، واختلاف الأناجيل فيما يتعلق برواية أحداث قيامة المسيح ، وظهوره لتلاميذه ، وشك التلاميذ في روايات القيامة والظهور ، وصعوده للسماء ، أو نزوله أولا

١٢ : ٣٨ - ٤٠ ومرقس ٨ : ٣١ ، ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٣٤ ويوحنا ٢ : ١٩ وبحسب الأناجيل أيضا ، وبعملية حسابية بسيطة نجد أن الأيام التي قضاها الميت في بطن الأرض - في القبر - كانت يوما واحدا هو يوم السبت ، وعدد الليالي اثنتان : ليلة السبت وجزء من ليلة الأحد على أحسن الفروض .

يقول المؤلف (وبذلك استحال تحقيق هذه النبوءة)

أما عن روايات الأناجيل عن أحداث الصلب فقد اختلفت فيها اختلافا بينا شديدا

وعلى سبيل المثال فقد اختلفت في مقدمة هذه الأحداث - مسح المسيح بالطيب - اختلفت في توقيتها واختلفت في مكانها ، واختلفت في شخصية المرأة التي قامت بالمسح واختلفت فيما فعلته ، واختلفت في رد الفعل الذي حدث عند المشاهدين .

كذلك اختلفت الأناجيل في ذكر الأحداث المتعلقة بالقبض على المسيح ويستخلص المؤلف من روايات الأناجيل في هذه المسألة نتائج هامة بينها على ما جاء فيها من أن المسيح قال لتلاميذه «كلكم تشكون في هذه الليلة » ، وما جاء في الأناجيل أيضا

وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه)

وهنا نسجل أن التحقيقات العلمية التي قام بها علماء اللاهوت المسيحي المحدثون تشهد ليس بصدق القرآن الكريم في هذا التقرير الجازم فحسب ، ولكن فوق ذلك تشهد بإعجازه إذ يقرر حقائق لا يمكن أن يطلع عليها البشر ، ولا أن يقتربوا منها بغير الجهود العلمية المتواصلة ، يذكرها على لسان الرسول ﷺ مما يضيف إعجازا جديدا إلى الإعجاز المعروف للقرآن ويضيف شاهد صدق جديدا إلى شواهد صدق سلفت ، تقطع بأن محمدا ﷺ ما كان ليجرؤ على تقرير هذه الحقائق إلا أن يكون الناطق بها هو وحى الله المنزل عليه . ويشمل الإعجاز القرآني في هذا المقام ماجاء فيه من تقرير حقيقة حدوث التحريف في الكتاب المقدس ، قبل أن يكشف البحث العلمي عن ذلك بعشرات القرون .

كما نسجل هنا أيضا أن التخلص من هذه الوقائع الموهومة (الصلب - القتل - القيامة) يعنى التخلص بالتالى من كل ما يحول بين المسيحية وبين الانصواء تحت

إلى الجحيم كما جاء فى قانون إيمان الرسل الذى تذكر بعض المصادر المسيحية أن تلاميذ المسيح وضعوه بعد رحيله .

* * *

هذا السياق يلفتنا إلى حقيقة أساسية هى - كما يعبر عنها مؤلفو كتاب «اعتراضات على العقيدة المسيحية» ص ٥٨ الذى ذكرناه سابقا بقولهم : (إن المسيحية عقيدة تاريخية بمفهوم قلما تناظرها فيه أى من العقائد الأخرى ذلك إما أن تظل قائمة أو تنهار بناء على حقيقة ما كان من أحداث معينة جرى الزعم بأنها وقعت خلال فترة زمنية محددة تقدر بثمان وأربعين ساعة فى فلسطين منذ ألقى عام تقريبا) أى أنها كما يقول المؤلف أيضا : (ربطت المسيحية التقليدية نفسها بالقول بأنها تقوم على أحداث تاريخية مثل قتل المسيح على الصليب ، وقيامته اليوم الثالث - بحيث لو تعذر إثبات وقوعها ماكان للمسيحية من برهان يدعمها ، كما أنه لو أمكن إثبات عدم حدوثها لانهارت العقيدة التقليدية من أساسها ولم يبق منها شئ)

ولعل هذا هو السبب الذى جعل القرآن الكريم يذكر هذه الأحداث - التاريخية نافيا لها فى قوله تعالى : (وما قتلوه

الجدد في العقيدة الشاملة عقيدة الإسلام الحق ، ولسوف يلتصمون القرآن حين ذاك لينظروا كأنهم ينظرونه للمرة الأولى .

إن هدف هذه الدراسات عند أصحابها ليس كما يظن البعض هدم المسيحية ولكن كما يقول المؤلف لكي (تحدد كثير من المواقف ولكي يتحقق الأمل الذي يراود الكثير من المسيحيين وغيرهم من المؤمنين في الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة بدلا من العقائد المسيحية المختلفة التي عرفت ولا تزال تعرف منذ عرف اسم المسيح إلى اليوم والتي اضطبغت في أغلب عهودها بصراعات دموية تمثل تطبيقا معاكسا لكل ماجاء به المسيح) .

إن التطور الخطير الذي تتعرض له المسيحية بهذه البحوث النقدية ليس من الدقة وصفه - كما قد يحلو للبعض - بأنه انهيار للمسيحية أو حتى .. انهيار للكنيسة .

وإنما هو - في تقديري - لو سيطر على مجال البحث روح الحرية والموضوعية والحكمة وبعد النظر والرؤية وسعة الصدر - وهذا مانراه حتى الآن سائدا في هذه المجالات - يمثل حركة إصلاحية ثورية تتم في داخل الكنيسة وفي ظلها وبقيادتها ومن ثم فسوف يكون لها الإشراف على حركة تحول العالم المسيحي إلى الإسلام - الإسلام الذي

رسالة السماء الخالدة التي لم يتنزل غيرها على نبي وهي رسالة الإسلام التي جاء بها الأنبياء منذ آدم ونوح إلى عيسى إلى محمد عليهم جميعا أفضل الصلاة والتسليم ، وهنا تنزاح الغاشية التي لحقت برسالة عيسى ويظهر صفاؤها ويبدو صدق القرآن فيها إذ يقول في شأن عيسى وصحبه الحواريين واصفا إياهم بالإسلام :

(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) آل عمران ٥٢ .

وهذه الأبحاث نجعلنا نقرر أن المسيحية في العصر الراهن تدخل في طور خطير من أدوار تطورها لم تتعرض لمثله منذ مجمع نيقية الذي عقد في القرن الرابع الميلادي ، تطور يمهد للقبلى تاريخية مع الإسلام بل انصواء كامل تحت لوائه .

إن هذه البحوث في طريقها إلى أن تأخذ الصورة النهائية : كإعلان يبدو بمعجزة القرآن الذي قرر هذه الحقائق من قبل ، وسوف يمثل إعلان هذه المعجزة القرآنية الجديدة - في حينه - فتحات هائلة لاعتناق الإنسانية كلها للإسلام - إسلام الإنجيل وإسلام القرآن معا .

وعندئذ سوف يدخل بلايين البشر

لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه جلتك للشعوب
الإسلامية المعاصرة - إن تحول العالم
المسيحي إلى الإسلام سوف يحتاج إلى
الكنيسة أولا وأخيرا ، إنه في اعتقادي وأنا
في أشد الأسف أن أراني مضطرا لقول
ذلك - لن يتم هذا التحول بعمل إيجابي
يقوم به المسلمون بحالتهم الراهنة ، فهم
أعجز من ذلك ، هم أعجز من ذلك على
المستوى العلمي ، وهم أعجز من ذلك على
المستوى الحضارى ، وهم أعجز من ذلك
على مستوى القوة ..

إن هذه البحوث تقضى علينا بالإيمان
بوقوع مثل هذا التحول في القريب وإن لم
يكن في القريب العاجل ، وذلك لأمر
بسيط .. هو إن العقيدة المسيحية بحالتها
الراهنة لا يرضى عنها المسيحيون أنفسهم ،
فكيف يرضى عنها غيرهم ؟ وإذن ففي ظل
هذه العقيدة لا أمل يرجى في مستقبل لا بد
آت يقول عنه المسيح .. (وعلى الأرض
السلام) وإنما الأمل يأتي عن طريق ماتنبئ
عنه هذه البحوث من تطور حتمى تسير
العقيدة المسيحية نحوه ، وهنا يأتي الالتحام
كله لله .

وبالله التوفيق .

د . يحيى هاشم

كتاب القدر
وصيتي وإيماني

دورة الحضارة
خرجت من مصر والشرق
وإليهما تعود

للباحث الإسلامي
الأستاذ أحمد حسين

الوفاء والأمل ، لأبتعد أكثر وأكثر عن
صخب الحياة ، ولأنفـرغ كل التفـرغ للكتابة
في هذا الموضوع الذى أصبح التفكير فيه
يسعدنى ، فما بالك أن أكتب فيه ، والفكرة
ليست جديدة ، ومنذ أمسكت بالقلم
ونزلت الى الحياة العامة وأنا أبشر بها ،
ولكن ثمة فارق بين مانحس به بوجودنا ،
ومانفرد بالإحساس به لايشاطرنا إلا قلة ،
وبين أن يقوم الدليل على صحة مشاعرنا ،
وأن يتسع الشعور وسط قطاعات عريضة
من المفكرين فى الشرق والغرب معا .
وتتلخص هذه الفكرة فى أقوال ماسمى بأنه
حضارة حديثة أوربية ، وبعد قيام أمريكا
سمى بالحضارة الغربية ، والحقيقة أنه ليس
هناك سوى حضارة إنسانية واحدة ،
لاقديم فيها ولاجديد ، حضارة تفرق بين
الإنسان والحيوان ، فهى تقوم على الإيمان
بالله واليوم الآخر ومايرتب على ذلك ، من
قوانين وتقاليد وأخلاق ، مكنت البشر من
العيش فى جاعة آمنة عاملة متعاونة
مسالمة ، هذه هى مقومات الحضارة
الإنسانية التى لا مقومات غيرها وكانت قد
انتهت إلى أوربا كما سوف نرى ، ولكن
أوربا فى غرورها ، تصورت أنها تبدأ
حضارة جديدة ، تستغنى فيه عن الأساس
الروحي للحضارة ، وهو الإيمان بالله واليوم

تمهيد :

هذا كتاب أكتبه وقد شارفت السبعين
من عمرى حسب وثيقة الميلاد الرسمية ، أما
العمر الحقيقى ، فعلمه عند الله .
وإنه لقدرة عجيب يعمق إيماننا بالله ،
إنه هو وحده يحى ويميت وقد جعل لكل
أجل كتابا ، فحيث كان اعتقادى أننى
سأموت مبكرا ، وقد تعرضت بالفعل لمخاطر
ومهلكات كان آخرها ، هذا المرض العنيف
القاتل والذى أصابنى منذ عشر سنوات
وجعلنى عاجزا مشلولاً . ومع ذلك فما أنذا
لاأزال حيا ، وصدق الله العظيم من أنه
(لكل أجل كتاب) ومادام فى العمر
بقية ، ومادام فى رأسى فكر ويذى تتحرك
بالقلم فلامناص من أن أسجل فكرى
ليستفيد منه من يستفيد إذا كان يتضمن
فائدة .

وموضوع هذا الكتاب أوبالأحرى
الكُتِبُ أو الرسالة ، أوسمه ماشئت ، هو
الموضوع الذى بدأ يملكنى ويسيطر على
فكرى ووجدانى معا ، ولقد كتبت فيه عدة
مقالات ، ولكنى كنت أكتبها فى اختصار
وتعجل ، فالخيز محدود ، والوقت ضيق
فشعرت بأن واجبى يحتم على أن أكتب غير
متقيد بوقت أوحيز ، فجئت إلى جمعية

بعد هذا التمهيد أقول وبالله التوفيق .

أحمد حسين

دار الوفاء والأمل ١٩٧٨/١٠/٧

الفصل الأول

١

دورة الحضارة

يجب أن أعترف ، أنه برغم مطالعاتي ، لم أستطع أن أتابع هذه المباحث التي أريد بها التفريق بين كلمتي الحضارة والمدنية ، فالكلمتان في تصوري مترادفتان فالحضارة ضد البداوة ، وهي منسوبة إلى الحضرة ، ومنه الحضرة ، أي المدينة الكبرى والمدنية منسوبة إلى المدينة ، والناس لم تستقر في مدن ، إلا بعد أن تركوا البداوة وآثروا الحضارة ، ومع ذلك فقد يكون ثمة فارق بين الكلمتين وفوق كل ذي علم عليم . وقد ألف الكاتب الأمريكي الكبير « ول دورانت » موسوعة ضخمة في تاريخ الحضارة الإنسانية تتكون من عديد من المجلدات الضخمة ، وقد تتبع نشوء الحضارة وتكونها ، وازدهارها ، ثم ذبولها في إقليم ، ونشؤها في إقليم آخر وعناصر الحضارة عنده ، هي الدين والقانون ثم العلم والفنون ، واستعرض هذه العناصر في

الآخر ، وتصورت أن في المحسوسات فقط أي « المادة » مايكفي لبناء الحضارة ، فكان هذا الذي كان من تجمد حضارتها ، ثم أفولها وتدهورها مما سنشرحه فيما يلي داعين المصريين والعرب ، إلى أن يدركوا ما أدركه الشرقيون « اليابان والصين » من أنه ليس سوى حضارة واحدة ، هي تلك التي انبثقت من الشرق بعامة ، ومن الشرق الأوسط بخاصة « مصر والعرب وإيران » وهي في طريقها إلى العودة إلى الشرق بعد أن تخلت الغرب عن أسسها .

وغني عن البيان ، أنني لو حاولت الاستشهاد بالوثائق ، والمراجع لاحتاج الأمر إلى عشرات من المجلدات وسنوات من التأليف ، وهذا هو ما أتركه لشباب العلماء في كل ميدان ، فهذا الذي أكتبه في هذه العجالة ، هو خلاصة الخلاصة لما طالعت ، وألفت ، وفوق ذلك وقبل ذلك ماجربت وعانيت وعانيت ، كروية الإمبراطورية البريطانية في أوج عظمتها ، ورؤيتها بعد ذلك وقد دالت دولتها وتحولت من النقيض إلى النقيض ، كما سوف يرى^(١) .

(١) كان آخر مظاهر هذا التدهور أن توقفت جريدة « التيمز » عن الصدور وهي التي كان الإنجليز يتصورون أن الشمس قد تقف ، أما هي فلا .

مصر وبابل وفينيقيا والإغريق ثم الرومان وتحدث عن الهند والصين ، ثم عاد إلى الشرق الأوسط ، ليحدثنا عن الحضارة الإسلامية العربية ، وأوروبا المظلمة في العصور الوسطى وكيف انتقلت إليها الحضارة ونحن نعتبر هذا الكتاب وثيقتنا ومرجعنا الأول فيما سنقوله في كتابنا هذا فليرجع إليه من يريد الدراسة ، خاصة وأن كتاب « ول دورانت » ذكر مئات المراجع التي استند إليها في تقرير ماقرر .

دورة الحضارة

بقي ثمة مبحث تمهيدى ، يجب أن نقول فيه كلمتنا قبل أن نستمر في موضوعنا فقد شك مفكرو أوروبا ، وقد تملكهم الغرور ، أن يتصوروا أن ماوصلت إليه أوروبا هو ذروة الحضارة التي لم تشهدها الإنسانية من قبل ، وأن كل ماشهده البشرية ، كان تمهيدا وإعدادا لظهور الحضارة الأوروبية وكان داروين الإنجليزى هو أول من قال ذلك ، فتحدث عن النشوء والارتقاء من الأدنى إلى الأعلى ، فالإنسان هو وليد القرد ، وسرت هذه الفكرة ، فكرة التطور سائر علوم المعرفة ، وأصبحت البنية الأساسية لفهم كل شىء فى الكون ، وهكذا وجد الأساس الفكرى

والعلمى لإشباع غرور الأوربيين ، فى أن حضارتهم ستظل تعلو وتعلو وهذا هو قانون الطبيعة حيث أثبت التجارب والمشاهدات ومن الطبيعة الثابتة ، أن لاشىء فى هذه الدنيا يسير فى خط مستقيم أبدا ، فليس هناك ارتفاع إلى مالا نهاية ، أو هبوط إلى مالا نهاية أو سير فى اتجاه واحد إلى مالا نهاية بل إن كل شىء فى هذا الكون يسير فى دوائر فهو يبدأ حيث ينتهى ، والنهاية هى البداية ، ابتداء من الشمس والقمر وسائر الكواكب والنجوم ، حتى أصغر شىء فى الكون وهى الذرة فهى مؤلفة من أجزاء تدور الإنسان والحيوان والنبات بعض مافى هذا الكون فلا يمكن أن تخرج عن سنته فهى بدورها وكل مايتصل بها يدور ، وإذا كان كل إنسان يرى هذه الدورة فى النبات ، حيث ينبثق من الأرض لينمو ويورق ثم يزهر ثم يثمر ، ثم يذبل ويذوى ، لتعود الأرض ترابا كما كانت ، فليس سوى جاهل وغافل معا من يتصور أن الإنسان خارج عن هذه القاعدة ، وما من إنسان إلا وهو يولد طفلا ثم ينمو وينمو ، حتى إذا وصل إلى أوج نموه عاد إلى الانحدار فالتدهور فالموت وبعد الموت يتحول إلى تراب ، وكل مايتصل بالإنسان ، من مدن وحضارة لابد أن يخضع لكل ما يخضع إليه

شئ يدور ، نعم ، ولكنه يدور بشكل حلزوني لولبي ، أى أن كل لفة تدور لتعود إلى نقطة البداية ولكن في مستوى أعلى . وهذا كلام لانناقشه لأنه لا يناقش وهو لا يزيد عن كونه مجرد قول لادليل عليه . ولنا الحقيقة العلمية الثابتة والتجربة التى يشهدها كل إنسان ويراها بعينه ويلمسها بيديه فى كل من حوله بل وفى داخل نفسه ، من أن كل شئ يدور ويدور وينتهى من حيث بدأ ، وأن الحضارة شأنها فى ذلك شأن أى شئ فى الكون تدور .

٢

الحضارة

أبسط صور الحضارة ، أن يعيش الإنسان فى جماعة آمنة متعاونة ، يحملها على التعاون الإيمان بإله خالق مشترك ، وشعور الجميع بالمصلحة والفائدة التى تعود على كل منهم نتيجة هذا التعاون ، وسرعان ما اكتشف الإنسان أن التعاون لا يعطى ثمرته الكاملة إلا من خلال تقسيم العمل ، وقيام رئيس مطاع لإعطاء كل ذى حق حقه . وهكذا فى ظل الدين والحكومة والقانون وجدت الحضارة ، ولما كانت السكنى فيما سمي بالمدينة هى مظهر الاستقرار الحضارى فقد أطلق على الحضارة اسم المدينة .

كل ما فى هذا الكون وهو أن يسير فى دوائر ينتهى حيث بدأ .

ماركس والدوران اللولبي

وقد شهدت أوروبا فى القرن التاسع عشر عالما اقتصاديا ، أراد أن يهدم كل تاريخ البشر ليبدأ دنيا جديدة ، تضرب عرض الحائط بكل عناصر الحضارة المتعارف عليها وبنى ذلك بطبيعة الحال على نظرية التطور والنشوء والارتقاء وأن المجتمعات البشرية تتطور دائما من الأدنى إلى الأعلى ، ولكن ماركس الذى زعم أن نظريته مؤسسة على العلم المحض ، جابته هذه الحقيقة العلمية الثابتة ، من أن كل شئ فى هذه الدنيا يدور ، وينتهى حيث بدأ ، فخرج من المازق بكلمة فارغة ، ونعى بكونها فارغة أنها مجرد كلمة لاسبيل للتحقق منها فهى غير قابلة للقياس ، لأن أحد الطرفين غائب (وهو الماضى البعيد والبعيد جداً) فكيف يمكن قياسه بالحاضر ، فن هنا وصفنا الكلمة بأنها مجرد كلمة جوفاء فارغة ، ولكنها كانت كافية لإشباع غرور بعض الأوربيين بأنهم أعظم كل من سبق فهم ثمرة الرقى الذى يجب أن يواصل الارتقاء إلى ما لا نهاية .

فإذا قال ماركس ؟ ، قال : إن كل

سوى الأعشاب فباطل ما يقال إن
الحيوانات العملاقة التي عاشت على
الأرض منذ ملايين السنين لم تقو على
الاستمرار في معركة الحياة التي تقوم على
« تنازع البقاء » .

وربما يكون أصح من ذلك إن يقال أن
هذه الحيوانات قد تدهورت ، وإذا كانت
الحيوانات اليوم يتناقص عددها فذلك لأن
الإنسان يقتلها أو يذبحها ليأكل لحمها حيث
تنهش لحمه هو ميكروبات لا تكاد ترى .
ومع ذلك قال « داروين » وصدقه
العلم الأوروبي الحديث ، هذا القول الفارغ
من أن كل شيء يتطور من الأدنى إلى
الأعلى أما نحن فنقول بقول القرآن ، من أن
الإنسان ولد كاملا (وعلم آدم الأسماء
كلها) ومن الذروة السابقة يهبط الإنسان
حيناً ويرتفع حيناً ، ويعود دائماً سواء في
ارتفاعه أو انخفاضه إلى نقطة البداية أى أنه
يدور ودليلنا العقلي على أن الإنسان بدأ
كاملا في قواه الجسدية ، والفكرية ، إذ
لولا هذا لما استطاع أن يكتشف ما اكتشف
وأن يخترع على مر العصور ، فاختراع اللغة
للتخاطب وبعد ذلك للكتابة واكتشاف
النار . والزراعة وغير ذلك ، كل هذا
يحتاج إلى قدرة فكرية عالية جداً وقد اعتاد
البشر على مر التاريخ . أن يجعلوا عصورهم

بدأ الإنسان كاملا

ونحن نخالف النظرية الأوربية التي
سادت فترة من الزمان . من أن الإنسان
تطور من الحيوان « القرد » ونعتبر ذلك نوعا
من الغرور الذي تملك الأوربيين ردحا من
الزمان . وأرادوا أن يصوروا لأنفسهم أنهم
هم وحدهم الناس وأن كل ماسبق . كان
تمهيدا لظهورهم هم وهو عبث على خلاف
كل معقول ومنقول فلو أن كل ما في الكون
قد تطور من الأدنى للأعلى . لوجب أن
ينقرض الأدنى نهائيا ولكن الأدنى لا يزال
حيث هو وهكذا فحيوانات الخلية الواحدة
تزحم الكون كما تزحم الكائنات
الأخرى ، والحيوانات الضخمة المنقرضة .
ثبتت أن الحياة قد شهدت كائنات أقوى
وأعظم ، والقول بأنها انقرضت لأنها كانت
أضعف من احتمال تطور الحياة ، هو مجرد
قول لا دليل عليه فإذا زعموا مثلا أن
الديناصور قد انقرض لأنه لا يأكل
اللحوم ، فإن أضخم وأقوى حيوان على
ظهر الأرض اليوم وهو « الفيل » ، ويليهِ
الكركدن « وحيد القرن » ، وكل حيوانات
الجرى والجر وحمل الأثقال ، والأعمال
الشاقة « الخيل والحمير والبغال والبقر
والجاموس » فكل هذه حيوانات لا تأكل

والأهواء ولكنها في نهاية الأمر تجمع على أنها نشأت في الشرق وحول أحواض الأنهار فيه بالذات . وقال قائلون إنها نشأت في الهند أو الصين ، ورأى آخر أكثر وزنا على أنها نشأت في مصر والعراق .

ونحن هنا لايعيننا الفصل في هذه القضية ولنا حقيقتان لاختلاف عليهما :

الأولى :

هو ماقلناه آتفا من الإجماع على أن الحضارة نشأت في الشرق .

الثانية :

إن أقدم أثر وأعظمه في نفس الوقت وهو « الأهرام » قائم على أرض مصر ، وإذا كان معجزة البناء في كل العصور ، يجعل المؤرخون الثقافات تاريخ إنشائه إلى مايقرب من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، فباستطاعتنا أن نتصور أنه سبق إنشاؤه بهذه الطريقة المعجزة عدة ألوف أخرى من السنين .

بابل وآشور وفينيقيا :

وثمة مراكز أخرى حضارية قامت في بابل وآشور وفينيقيا ، ومرة أخرى يرى المؤرخون أن فينيقيا (لبنان) هي ناقلة

الذهبية في ماضيهم ، وأن يجعلوا قصارى جهدهم ، أن يجعلوا حاضريهم في مستوى ماضيهم .

ولقد تعلمنا في المدارس كيف كانت إسبانيا والبرتغال وكيف أصبحتا ، وكانوا يعلموننا عظمة تركيا وما انتهت إليه ، كل ذلك ليصلوا إلى القول بأن الإمبراطورية البريطانية هي ذروة ما انتهى إليه البشر من حضارة ولا شك أن إنجلترا اليوم تعتبر القرن التاسع عشر هو عصرها الذهبي .

والخلاصة أنه مامن مجتمع من المجتمعات ألا ويرى أن ماضيها كان أسعد من حاضرها وأصلح وأكمل ، وهو مايقضى على فكرة التطور من الأدنى للأعلى ، ونزداد إيماننا بقرآتنا الذي يعلمنا أن الإنسان ولد كاملا وعلى ضوء ذلك نستعرض حضارات الدنيا .

٣

الشرق الأوسط والأقصى

شهدا ازدهار الحضارة

لأول مرة

أين نشأت الحضارة ؟

أين نشأت الحضارة الإنسانية حديث يطول وقد اختلفت الآراء حسب الميول

والتي سادت من القرن الثامن الميلادي حتى الثالث عشر أو الرابع عشر، ونعني بالسيادة، أنه انتهى إليها العلم والقوة والازدهار بحيث أصبح كل راغب في التطلع نحو حياة أحسن، لاسيلاً أمامه إلتباع أساليب الحضارة الإسلامية اعتنق الإسلام أولم يعتنق وفي هذه الفترة (٥٠٠ - ٦٠٠ سنة على الأقل) أصبح البحر الأبيض بحيرة إسلامية فقد كانت كل جزره وشواطئه، تقريباً، قد أصبحت إسلامية، أوتعمل حساب القوة الإسلامية.

٤

الحالة في أوروبا

انتبهنا إلى أن نور الحضارة قد بزغ من الشرق وأن أوروبا إذا كانت قد عرفت الحضارة في دور تال (ألف سنة قبل الميلاد فقط) فقد كان ذلك قاصراً على اليونان وإيطاليا ثم بيزنطة وهي أجزاء أقرب إلى الشرق مادياً وروحياً من أوربا، أما أوربا نفسها، فيطلق مفكروها ومؤرخوها على تاريخها في العصور الوسطى بالعصور المظلمة، وقد قدمنا أن أوربا قد خرجت من الظلمات تحت وهج الحضارة الإسلامية ولكننا قبل أن نذكر كيف حدث هذا نرى

الحضارة إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، ومرة أخرى نرى حقيقة لاختلاف عليها، وهي أن الحضارة بالفعل وجدت في العصر التالي للعصر السابق عند الإغريق والرومان وقرطاجنة وكلها تقع على البحر الأبيض المتوسط وإلى الشرق أقرب، وجاء الوقت الذي أغارت فيه القبائل الأوربية التي كانت لاتزال في حالة البداوة، ولانقول الممجية والبربرية، كما يسميها الأوريون، أغارت هذه القبائل على روما، فوضعت حداً للحضارة الرومانية ولكنها سرعان ما اعتنقت المسيحية التي هي بدورها حضارة شرقية، ولكن دولة الرومان التي كانت قد أنتقلت إلى الشرق وأصبحت هي زعيمة العالم المسيحي منذ أنشأ قسطنطين مدينة «القسطنطينية» (استنبول - في الوقت الحاضر) وأصبحت دولة الرومان تسمى «بيزنطة» ولقربها من الشرق (مصر وسوريا ولبنان وفلسطين) أصبحت ذروة حضارية، وراحت تنقسم معالمها مع الحضارة الفارسية.

ثم جاء الإسلام

وجاء الإسلام وسرعان ما أظلم عالم ذلك الزمان (أوروبا وأفريقيا وآسيا والبحار السبعة) ما يسمى بـ «الحضارة الإسلامية»

مخصوصة يلبسه الزوج لزوجته أثناء سفره أو غيابه ، ليحول بطريقة مادية دون خيائته ، وتستجد في بعض المتاحف نموذجاً من نطاق العفة .

صكوك الغفران

ومن الأمور التي اشتهرت ما يعرف في التاريخ باسم « صكوك الغفران » وهي بطاقات لدخول الجنة يصدرها البابا للحصول على المال ، وما على مشترئها إلا أن يضع اسمه في الفراغ المخصص لذلك كي يضمن دخول الجنة .

فرض الحرمان من دخول ملكوت السماء
وكان البابا يفرض حرماناً على شعوب بأكملها ، فيتوقف رجال الكنيسة ، عن تعميم الأطفال ليكونوا مسيحيين ، وعن تزويج العرائس ، وعن الصلاة على روح من يموت ، وكان ذلك يعنى أن هذا الشعب بأطفاله ورجاله ونسائه ، أصبح مآله الجحيم وقد استطاع البابوات ، ومن خلال التلويح باستعمال هذه السلطة أن يذلوا الملوك والأباطرة ولسنا نكتب تاريخاً ، وإنما هي مجرد إشارات ، وفي هذا الباب ما اشتهر في التاريخ باسم « إذلال كانوسا » .

أولاً أن نشير لبعض المظاهر التي جعلت المفكرين والمؤرخين ، يصفون أوروبا بأنها كانت تعيش في عصور الظلام ولا يتصورون متصور أننا سنلقى الكلام على عواهنه ، وأنا سنقول كلاماً عاماً لنصف به حياة دامت خمسة أوسنة قرون على الأقل قبل أن يعكس الإسلام والحضارة الإسلامية عليها أثرها وإنما سنقف أمام وقائع محددة متفق عليها ، وهي يمكن أن تصور حالة أوروبا في هذه الفترة فأعظم ملوك أوروبا في هذه الفترة وهو « شارلمان » الذي كان معاصراً لهارون الرشيد كان يجهل القراءة والكتابة ، وكان يوقع على رسائله وأوامره بأن يرسم علامة الصليب ، ويحدثنا مؤرخ أوربي معاصر أنه عندما أرسل له هارون الرشيد ساعة تعمل بقوة الماء وصفها من حول شارلمان بأنها لا بد أنها من عمل الجن .

مركز المرأة

وكانت بعض المؤتمرات تبحث إذا كان للمرأة روح كالرجل ، وهل هي أهل للقيام بالواجبات الدينية وكانت تحرم من دخول الكنائس ، وهي في كل الأحوال « أحبولة الشيطان » وكان هناك ما يسمى « نطاق العفة » وهو حزام وله قفل مصنوع بطريقة

يدركوا مدلول هذه الكلمة والتي يستحيل أن توجد في ظل الإسلام ، وحقيقتها ، أن الإقطاعي كان يملك الأرض ومن عليها من بشر ومواشي . بحيث يستطيع أن يتصرف في الجميع تصرف المالك بكل صنوف التصرف من بيع وإيجار وإعارة وتنازل ، وكان القن « أى الفلاح التابع للأرض » ، لا يستطيع أن يغادرها وإلا كان مرتكبا لجريمة . وكان إذا تزوج فإن الليلة الأولى هي لسيده ، إن شاء .

وأخيرا كانت الإقطاعية تساق أحيانا باعتبارها مهرا وكانت تورث ، وقد تألفت دول أوروبا الحديثة بهذا الأسلوب أسلوب الميراث والمضاهرة بين الملوك والأمراء .

وأخيرا الحياة العامة :

ولن أتحدث بعد ذلك عن الجهل ، وضروب القسوة ، والقذارة ، وتفشى الأوبئة فلن يصدق القارئ مثلاً : أن ملك فرنسا أغمى عليه في أحد المرات من الروائح النتنة التي كانت تحيط بقصره ولن يصدقوا أن جثث الخنازير والكلاب الموتى كانت ترحم الشوارع ، وكانوا لا يعرفون معنى الاستحمام . ومن هنا فلاداعي لذكر تفاصيل لن تصدق ولنا الإجماع على تسمية هذه الحقبة بـ « عصور الظلام » .

محاكم التفتيش

ومن سمات أوروبا في هذه الفترة ما أطلق عليه اسم محاكم التفتيش ، وهي تغني عن كل شرح ، والتعذيب البشع . كان وسيوجد في كل زمان ، ولكنه في محاكم التفتيش كان يمارس بصفة عامة باسم المسيحية والرغبة في تطهير نفس من يعذبونه ويقطعون أوصاله ويشعلون فيه النار ، وحسبنا فقط أن نذكر واقعتين مشهورتين ، ومتفق عليهما باعتبارهما نماذج من نشاط محاكم التفتيش .

أما الأولى فهي حرق « جان دارك » التي حررت فرنسا من حكم الإنجليز ، فقد قبض عليها الإنجليز وجعلوا محكمة التفتيش تحاكمها وتحكم عليها بالحرق باعتبارها ساحرة .

أما الواقعة الثانية فتتلخص فيما وقع في إسبانيا ، فحيث حكم المسلمون في إسبانيا بضعة قرون وصلت فيها الحضارة الإسلامية الذروة ، فلن تجد في إسبانيا والبرتغال على طولها وعرضها ، عائلة واحدة إسلامية . وذلك بفضل مافعلته محاكم التفتيش .

الحكم الإقطاعي

والكثيرون في العالم الإسلامي يرددون كلمة الإقطاع والحكم الإقطاعي ، دون أن

٥

الصورة في العالم الإسلامي

وهكذا حيث كانت أوروبا غارقة في ظلامها حيث يتقسم الناس إلى سادة يملكون بقية البشر كعبيد ومواشي ، وحيث القسوة والبربرية والجهل والقذارة ، كانت الصورة في العالم الإسلامي على النقيض من ذلك تماما فأوروبا التي تحكم بمئات وألوف من السادة الإقطاعيين ، مابين أمراء ودوقات وكونتات . . إلخ ، كان العالم الإسلامي الذي شمل آسيا الغربية وشمال أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط وإسبانيا يؤلف دولة واحدة تدين بالولاء لإمام المسلمين في ظل التعاليم الإسلامية التي ستعرفها أوروبا بعد ألف سنة من ظهور الإسلام في الثورة الفرنسية عندما نادى بالحرية والإخاء والمساواة ، وسقوط الإقطاع ، فكل هذه كانت أساس الحياة في المجتمع الإسلامي فلا أبيض ولا أسود ، ولأمر وحقير ، وإنما الكل يسجدون لإله واحد ويتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح .

وحيث كان الجهل هو المفخرة فقد كانت مئات الألوف من المساجد تشع

العلم ، بل كانت هناك المدارس والمعاهد والجامعات بمعناها الحديث ، كالنظامية في بغداد والأزهر في مصر ، والمسجد الجامع في قرطبة ، وحيث كان شارلمان وخلفاؤه يقيمون بالعلم ويضطهدون المتعلمين كان المأمون الخليفة العباسي عندما يهزم إمبراطور الروم في بيزنطة ، يشترط عليه في معاهدة الصلح تسليم بضع مئات من الكتب .

وحيث كان المرضى يعاملون أحيانا بمنتهى القسوة في أوروبا باعتبار أرواح شريرة قد تملكهم ، كان العالم الإسلامي يغص بالمستشفيات العامة التي تعالج بعض الحالات النفسية والعصبية بالموسيقى

وحيث كان الأوروبيون لا يعرفون سوى الصيد والقتل كمصدر رئيسي للغذاء كان العالم الإسلامي يعيش في الدرجة الأولى على الزراعة وفنونها .

وحيث القذارة والعفن والنتن ، كانت أشياء عادية في أوروبا ، كانت المدن الإسلامية غاصة بالحمامات العامة والحدائق الجميلة .

ولسنا بصدد كتابة تاريخ ، ولكنها مجرد إشارات كما قدمنا ، لنعرف منها الطابع العام لأوروبا والعالم الإسلامي في العصور الوسطى ، وسنرى في الفصل التالي كيف تأثرت أوروبا بالعالم الإسلامي فنهضت وتحضرت .

أويومين ، وهذا ما كان يحدث دائما ، حيث تعرف الأخبار حتما وبالتوالى وبترتيب وقوعها وإن كان ذلك يحدث بعد فترة تقدر بزمان المواصلات اللازمة ، وعلينا أن نتصور أى فرع يصيب الأوروبيين ، وهم يرون موجة الإسلام تغمر كل شواطئ البحر الأبيض الجنوبية ثم تنتقل عبر مضيق هرقل (جبل طارق) لتعبر إلى إسبانيا ، فإذا استحضرننا فى أذهاننا أن سكان أوروبا فى ذلك الوقت كانوا مسيحيين مؤمنين بمسيحتهم إلى أبعد حدود الإيمان ، فقد أحدث انتصار الإسلام وانتشاره رد فعل مباشر فى شرق أوروبا وغربها على السواء وهما اللذان باتا فى ظل الخطر الإسلامى كما تصوره فى ذلك الوقت .

اصلاح دينى فى بيزنطة

فأما فى دولة الروم الشرقية بيزنطة حيث لم تكن تنقصها المدنية والحضارة ، فقد تأثرت بطهارة المسلمين الناصعة من الوثنية وكل مظاهرها وأشكالها فسرت فى بيزنطة روح من الإصلاح الدينى ، أخذ صورة تحطيم التماثيل فى الكنائس باعتبارها ضربا من ضروب الوثنية وقد ظلت الدعوة إلى إصلاح الكنيسة تنمو وتتصاعد حتى انتهت إلى البروتستانتية كما سوف نرى ، وقد كانت

الفصل الثانى

كيف وصلت الحضارة إلى أوروبا ؟

١

لسنا فى حاجة إلى إعمال كبير خيال لتتصور مقدار الزلزال الذى أصاب أوروبا المسيحية وهى تشهد انتصار الإسلام هذا الانتصار الساحق الذى لم يسبقه مثيل فى كل عصور التاريخ ، ففى أقل من قرن واحد كان الإسلام يقضى نهائيا على أعظم إمبراطورية وثنية عرفها الشرق ، وهى فارس ، وكان يدحر قلعة المسيحية فى أوروبا وهى بيزنطة برا وبحرا ويحاصر عاصمتها ، ويتصور كثيرون فى أيامنا الحاضرة ، أن الأخبار لم تكن تعرف وهو وهم مفرط فى السذاجة ، فلم يكن يخفى على من يتتبع الأخبار شىء منها ، وكان الفارق بين الأمس واليوم ، هو فى التوقيت الزمنى ، فنحن اليوم نعلم الخبر ساعة وقوعه عن طريق الراديو ، وأصبحنا (بعد الأقار الصناعية) نراه ساعة وقوعه ، وعندما لم يكن هناك راديو أو تليفزيون ، فقد كنا نسمع كل مايقع فى العالم بعد يوم

حركة الإصلاح الأولى التي بدأت في بيزنطة تسمى الحركة اللاتينية .

وماذا حدث في الغرب

وحيث كان هذا يحدث في الشرق ، فقد حدث في الغرب (فرنسا وإيطاليا) تفكير من نوع جديد ، وهو وجوب المقاومة وعدم الاستسلام ووجوب التعاون والتضامن لدفع ماتصوره خطرا مشتركا ، فعندما زحف جيش إسلامي من إسبانيا ليفتح فرنسا ، تنادى كل فرسان أوروبا لإيقاف هذا الزحف ، وفي معركة « بواتيه » الحاسمة في جنوب غرب فرنسا أمكن الصمود لأول مرة في وجه جيش إسلامي ، ويقول مؤرخو أوروبا في ذلك الزمان (القرن الثامن الميلادي) إن انتصار الفرنجة على المسلمين في هذه المعركة أنقذ أوروبا من الإسلام . أما مفكرو ومؤرخو أوروبا في القرن التاسع عشر (المنصفون منهم) فقد قالوا إن هزيمة العرب (أى المسلمين) في هذه الموقعة قد أخر وصول الحضارة إلى أوروبا خمسمائة سنة . فظلت تعيش فيما وصفناه ، فيما سبق ، خمسمائة سنة .

والذى يهمنا أن الإسلام قد هز أوروبا شرقا وغربا ، بكل قوة وعنف ، وظلت في

رعب وقلق أن يدهمها المسلمون ، فشحن ذلك من قواها ، وعاون على تجميع صفوفها وتكتلها وحمل الأوربيين بالأكثر على أن يدرسوا سر تفوق المسلمين ، ولم يكن ذلك بعيدا عن متناول أيديهم ، فقد خرجت إسبانيا حيث كان الحكم الإسلامى من ظلمات العصور الوسطى الأوربية وراحت تشع بالنور فيما حو لها .

٢

إسبانيا أو الأندلس

حديث الإسلام والعرب في إسبانيا حديث طويل وعريض ، وقد خل الإسلام إسبانيا بكل ثقله وجلاله في موجة الفتوح الإسلامية في القرن الأول للإسلام ولم تكن هناك قوة في العالم تستطيع أن توقفها لأنها كانت قوة تسير بجناحين « العدل والرحمة » وفي دنيا كان يسودها الظلم والقسوة ، وقفت الشعوب كلها إلى جانب العدل والرحمة ، فكان هذا النصر الذى لم يعرف له التاريخ مثيلاً من قبل أو من بعد . وباستقرار المسلمين في إسبانيا ، كانت هذه الحضارة العجيبة ، التى استمرت مئات السنين حيث كان الجهل والقسوة والوحشية والقدارة والتعصب هو أخص

ودام الحال على ذلك قرنين أو ثلاثة ، ولا حاجة لنا لبذل جهد كبير أن الحضارة الإسلامية التي حاصرت أوروبا راحت تضغط على قلب أوروبا ، فانفجرت بالحققت والتعصب ضد الإسلام والعالم الإسلامي ، فكانت الحروب الصليبية التي اندلعت بكل قوة وعنف في القرن الحادى عشر الميلادى ، حيث توافدت الجيوش الصليبية من إنجلترا وفرنسا وألمانيا محملة على سفن إيطاليا ، فاستطاعت أن تستولى على القدس وأجزاء من فلسطين وسوريا وأن تؤسس بها دويلات أوربية بالنظام والعقلية والأساليب الأوربية ، وقد استمرت الحروب الصليبية قرابة ثلاثة قرون ، تقابل فيها التعصب الأوربى بالسماحة الإسلامية ، والوحشية الأوربية بالرحمة الإسلامية والبداءة الأوربية بالحضارة الإسلامية ، وحسب أى قارئ أن يعود لكاتب التاريخ ليقارن بين الفظائع البربرية التي ارتكبتها الصليبيون عندما استولوا على بيت المقدس حيث كانت خيولهم تسبح في دماء من ذبحوا من المسلمين ، وكيف بنوا هرمًا من جماجم القتلى ، وما فعله صلاح الدين عندما استرد القدس من الصليبيين ، لقد ذهلت أوروبا من التصرف الإنسانى والحضارى لصلاح الدين وجيوش

خصائص الحياة في بقية أوروبا ، وكان من غير الطبيعى أن يستمر ذلك طويلاً فقد بدأ الأوربيون ويسميهم العرب والمسلمون « الفرنجة » بدأوا يتعلمون اللغة العربية لينقلوا علم المسلمين ، فتأسست في مدينة « طليطلة » بالأندلس أعظم دار للترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية ، وعن هذا الطريق ، انتقلت العلوم والمعارف الحضارية من إغريقية ورومانية ومصرية وهندية وصينية وعربية . وقد كان المجتمع الإسلامى قد استقطب كل هذه المعارف على هدى القرآن ، الذى أسبغ على ذلك كله روحاً جديدة ، وسرى ذلك كله إلى فرنسا وإنجلترا بخاصة وإلى بقية أوروبا المسيحية بعامه ، ومن هنا كانت إنجلترا وفرنسا في مقدمة الدول الأوربية التي بدأت النهضة .

٣

الحروب الصليبية

رأينا كيف حاصر الإسلام أوروبا المسيحية من الشرق بتقليصه سلطان بيزنطة ، وحاصرها من الجنوب بالسيطرة على البحر الأبيض المتوسط وحاصرها من الغرب باستقراره في إسبانيا والبرتغال .

يفر من الإقرار بما تحتّمه البديهة والاستنتاج المنطقي .

١ - فعندما يسجل التاريخ علاقة خاصة بين فردريك الثاني إمبراطور ألمانيا في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي .

٢ - وتستمد هذه العلاقة الخاصة أصولها من كون فردريك الثاني كان يحكم جزيرة صقلية وهي التي ظلت لعدة قرون مركزاً للحضارة الإسلامية من الدرجة الأولى ، تزخر بالعلماء من أمثال « الإدريسي » وبالشعراء من أمثال « بن حمد يس » ، وظل البلاط سواء في صقلية أو في ألمانيا نفسها يغص بالعلم الإسلامي ، حتى أن فردريك نفسه كان يجيد اللغة العربية ويكتب كتاباً بليغة .

٣ - وإذا علمنا أن بابا روما دخل في خصومة عنيفة ضد فردريك الثاني لتصالحه وتحالفه مع المسلمين ، إلى الحد الذي جعل البابا يفرض على فردريك الحرمان .

٤ - فإذا ما انبثقت البروتستانتية

(ومعناها الاحتجاج ضد البابا) من ألمانيا بالذات ، دون أي بقعة أخرى من أوروبا ، ووجدنا البروتستانتية تقوم على مبادئ إسلامية لاعهد للمسيحية بها من قبل .

٥ - فيكون الاستنتاج العلمي الذي لامناص منه ، من قبيل $1+1=2$ ، أن

المسلمين ، ولم يعودوا يسمعون لصيحات الكنيسة الكاذبة ضد المسلمين من أنهم متوحشون وهمج ، بل أدركوا أنهم هم المتوحشون والههمج ، وراحوا ينقلون عن المسلمين ويقلدون ، بدأوا يتعلمون وينشئون المدن ، ويؤلفان الدول ، ويعتمدون على الزراعة ، ويستعملون الصابون للنظافة والورق للكتابة ، وبدأوا في الدرجة الأولى يعتمدون على الطب العربي والحساب العربي والبيان العربي ، وقد لا يعرف الكثيرون أن الأرقام الأوربية (١ ، ٢ ، ٣ ، إلى آخره) هي الأرقام العربية .

ولا ينكر أي مؤرخ أوربي كائناً من كان أثر الحروب الصليبية في نهضة أوروبا والحقيقة التي يترددون في الاعتراف بها ، هي أن حركة الإصلاح الديني الكبرى (البروتستانتية) هي ثمرة الحضارة الإسلامية وما انطوت عليه من تعاليم دينية ، وهو ماسوف نشير إليه في الفقرة التالية .

٤

تعاليم البروتستانتية ومبادئ الإسلام

لا يستطيع المنطق العلمي الصارم أن

٥

رد الفعل

في إسبانيا وإيطاليا والبرتغال

وإذا كان التأثير العميق بالحضارة الإسلامية ، قد أخذ في وسط أوروبا ، صورة الإصلاح الديني للحاق بركب الحضارة ، فقد كانت الحضارة الإسلامية ، موجودة بالفعل في إسبانيا والبرتغال وأجزاء من إيطاليا ، فإن ملوكها المسيحيين ، بعد أن استطاعوا أن يستولوا على السلطة من المسلمين ، رأوا أن يستخدموا ماتحت أيديهم من حضارة في تحدى المسلمين ، فبدأت المحاولات للسيطرة على البحار الخارجة والبعيدة عن نفوذ المسلمين فكان هذا التفكير للوصول إلى الشرق عن طريق الغرب ، ولم يكن بمحض الصدفة أن وجد كوليس الإيطالي من يقتنع بكروية الأرض وإمكان الوصول إلى الهند عن طريق السير غرباً في البلاط الإسباني ، فقد كانت كروية الأرض بعض تعاليم ابن رشد في الأندلس ولم يكن بمحض الصدفة ، إن نشطت حركة الملاحة والكشوف البحرية في إسبانيا والبرتغال ، فقد كان العرب والمسلمون هم سادة

البروتستانتية هي المبادئ الإسلامية في الديانة المسيحية .

فما هي هذه المبادئ الإسلامية التي ناددت بها حركة الإصلاح الديني في أوروبا والتي يجمعون على أنها بدء النهضة الأوربية .

١ - البابا غير معصوم من الخطأ .
٢ - لاوساطة لإنسان بين الله وخالقه ، فلا يملك البابا حرمان أحد من دخول الجنة كما لا يملك إدخال أحد إلى النار .

٣ - يجب أن تتطهر دورة العبادة (الكنائس) من التماثيل والأنصاب .

٤ - مطالعة الكتاب المقدس حق لكل إنسان مسيحي وليست وفقاً على رجال الكنيسة .

٥ - القساوسة والأساقفة وسائر رجال الدين هم بشر كسائر البشر ، فمن حقهم أن يتزوجوا وأن تكون لهم أسر وعائلات .

٦ - وليس في نيتنا بطبيعة الحال أن ندرس البروتستانتية ، وفي هذا الذي ذكرناه ما يكفي لإظهار أن ماسموه إصلاحاً دينياً كان هو بعض المسلمات التي كانت تمارس في المجتمع الإسلامي بيسر وسهولة .

بالشيء الوحيد الذى خلت منه الحضارة الإسلامية لتشددها الصارم فى محاربة الوثنية ، ورأى الأوروبيون فى هذين الفنانين (النحت والتصوير) ما يميز الشخصية الأوروبية عن الشخصية الإسلامية فساروا فى هذا الطريق حتى نهايته وظهرت الأسماء اللامعة فى هذين الفنانين (النحت والتصوير) من أمثال ليوناردى فنشى ، وميكائيل انجل ، وقد حرصنا ونحن نتحدث عن نقل أوروبا للحضارة الإسلامية ، أن نشير إلى هذه الناحية من النشاط العمرانى ، باعتباره الشيء الوحيد الذى لم تنقله أوروبا عن العالم الإسلامى فقد كانت بقايا الآثار الإغريقية من تماثيل وصور ، تملأ أوروبا من أقصاها إلى أذناها ، وفيما عدا ذلك ، فقد بدأت أوروبا تنقل كل شيء عن المجتمع الإسلامى الذى كان متقدماً فى كل شيء ، فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن والعلم والعمل والسلوك ولا تزال اللغات الأوروبية ، تحمل أثر هذا النقل المباشر ، فترى الكلمة العربية مستعملة بنصها ونطقها أحياناً ، وتارة تراها معدلة بعض الشيء لتوافق النطق الأوروبى كأن يسمى القماش الموصلى ، موسولين ، أما مانراه بنصه ونطقه فى مثل كلمة «السكر» والأرز .

البحار ، وكانوا هم الملاحين والنوتية وكل المصطلحات البحرية ، ابتداء من أصغر شيء وهو « الحبل » حتى « أمير البحر » و« دار الصناعة » لا تزال هذه الألفاظ العربية ، فى كل اللغات الأوروبية شاهدة ، على أن نهضة أوروبا البحرية ، هى ما نقلوه عن العرب والمسلمين ، ومن الحقائق التاريخية الثابتة ، أن فاسكو دى جاما البرتغالى ما كان يصل إلى الهند لولا أحمد بن ماجد الذى أوصله إلى الهند .

وهكذا نرى أن مقدمات مايسمونه النهضة الأوروبية بشقيها ، إصلاح دينى فى الشرق ونشاط بحرى فى الغرب ، ليس إلا الأثر المباشر للحضارة الإسلامية التى سادت فى العصور الوسطى .

الفصل الثالث

١

بدء نقل الحضارة

وبدأت إيطاليا وفرنسا بعد ألمانيا فى نقل الحضارة الإسلامية ، لتدرك أوروبا العالم الإسلامى ولما كانت أوروبا دولة وثنية ، قطعت فى وثنيته شوطاً بعيداً جداً ، سواء فى عهد الإغريق أو الرومان ، فقد بدأت حركتها فى عالم الفن (النحت والتصوير)

الأحوال فهي مستوحاة ، من حادث الإسراء والمعراج ، وفي ألمانيا ترى « جوته » الشاعر متأثراً كل التأثر في كل مايكتب بالتعاليم الإسلامية ، ونرى في إنجلترا كتب ألف ليلة وليلة وقد ترجمت ، وقصص « ولترسكوت » تدور حول الحروب الصليبية وعظمة الشرق الإسلامي وحضارته ، وفروسية فرسانه .

٢

وبدأت أوروبا

من حيث وقف العالم الإسلامي

ليس من مهمتنا في هذا البحث إن نتعقب الأسباب التي أدت بالمجتمع الإسلامي إلى الجمود ، فالتخلف (إلا في الناحية العسكرية التي رفعت تركيا لواءها لعدة قرون) والذي يهمننا إن أوروبا قد بدأت نهضتها من منطلق التحدى للعالم الإسلامي فابتدأت من حيث انتهى معتمدة على كل مقومات العالم الإسلامي الذي وصلت به إلى ماوصل .

وإذا كان من المستطاع دائماً ، معرفة الأسس التي شاد عليها المجتمع الإسلامي حضارته ، فإنه يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - إيمان شديد بالله واليوم الآخر .

ونقلت علوم الهندسة والزراعة وتخطيط المدن ومختلف الصناعات ، وهو ماتراه واضحاً في مباني العصور الوسطى ، مما يسمونه الطراز الغوطي « جوتيك » فلأول مرة ترى « القبو » وما يشبه القباب ، ولم تلبث القباب ، أن ظهرت بكل أبعثها في كنيسة « سانت بطرس » في روما ، وهو شيء لم يعرف إلا في ظل الحضارة الإسلامية أما في سائر العلوم فقد ظلت جامعات أوروبا التي بدأت تتكون ، تعتمد اعتماد مباشر على كتب العلماء ، في الطب والرياضة والفلك ، والكيمياء التي لاتزال تحمل أسماءها العربية من مثل الجبر ، واللوغاريتمات (نسبة إلى الخوارزمي) أما الرازي وابن سينا فقد كانا هما العمدة في الطب ، حتى نهاية القرن السابع عشر . ولما كان الأدب هو ذروة التطور الحضارى وهو الثمرة الناضجة للثقافة . فسرى فقه الإنتاج الأدبي والأوربي . يكرر أشهر الكتب العربية والإسلامية . فنرى قصص « لافونتين » في فرنسا ، تقوم على فكرة كتاب ، « كليلية ودمنة » . حيث يجرى الكتاب على ألسنة الحيوانات ونخاصة « الثعلب » هذا في فرنسا ، ونرى دانتى في إيطاليا يؤلف « الكوميديا الإلهية » على غرار رسالة الغفران لأبي العلاء المعرى وفي كل

إلى قسمين ، إحداهما من سلطان إسبانيا ، والثاني من سلطان البرتغال وكان الدرس الوحيد الذى وعوه عقب الحروب الصليبية ألا يتعرضوا للعالم الإسلامى ، خاصة وأن تركيا (دولة آل عثمان) كانت مرهوبة الجانب فى الشرق .

٣

ماذا فعل اليهود بأوروبا ؟

مابقى الأوروبيون ملتزمين ، بما نقلوه من التعاليم الإسلامية الحضارية ، فى الآداب والسلوك ، والمعاملات ، فقد نجحت أوروبا وتطورت نحو الأحسن والأصلح ، وانتقلت بالعلم الذى تلقتة عن المسلمين ، إضافات جديدة ، وتحققت اكتشافات وثبتت نظريات ، وهنا طرأ على أوروبا ، الإحساس بالغرور والإفراط فى الثقة بالنفس ، وسرعان ما أستغل اليهود هذه الظاهرة لتثبيت نفوذهم ومد سلطانهم وتحقيق أوهامهم فى تدمير الحضارة الإنسانية ، ليخلو لهم الجو فى السيادة على البشر كما يتوهمون ، فبدءوا يصورون للأوروبيين انهم وحدهم الناس ، وان كل ماسبق من تاريخ الإنسانية ، كان تمهيدا لهم ، فأما وقد وجدوا فيجب إغفال كل شيء عن

٢ - مدارس العلم بلا نهاية والعمل الدعوى فى شتى مناحى الحياة .

٣ - التحلى بالفضيلة والأخلاق الحميدة فى السلوك والمعاملة مع الآخرين .

٤ - إرادة القتال للدفاع عما يعتبره الإنسان حقاً للدفاع عن البشر .

٥ - النظافة والنظام فى كل شئون الحياة ماصغر منها وما كبر .

هذه هى المبادئ الأساسية للمجتمع الإسلامى التى اعتنقتها أوروبا ، وتهاون فيها المسلمون ونحن ممن يؤمن بالدورة فى كل شيء ، أى الشيخوخة والذبول والثلاثى ، لتبدأ دورة جديدة من النمو والازدهار . . . إلخ .

وشرعت أوروبا ، تبني وتضيف على ما نقلت من علوم المسلمين ومعارفهم وسلوكهم فأصبحت مدتهم عنوان النظافة ، وأصبح النظام فى كل شيء طابع حياتهم ، وأصبح شعارهم فى دنيا العلم ماأمر به القرآن الكريم :

(وقل رب زدنى علماً) وساروا فى الأرض وجابوا البحار ، وصنعوا وأبدعوا ، وهى كلها تعاليم إسلامية ، وبلغ من نشاطهم فى البحار إن وفقوا لاكتشاف أمريكا ، وطاقوا حول أفريقيا وحول العالم ، وبلغ من غرورهم أن قسموا العالم

الماضى ، وإسقاطه من الحساب ، وخاصة إذا كان مصدره الشرق ، ولما كان الدين ، هو أعظم ما انبثق من الشرق ، فليكن الدين ، أول ما تضرب به أوربا عرض الحائط ، فانطلقت الصيحات تدعو إلى فصل الدين عن الدولة ، وساعد فساد الكنيسة الأوربية وانحرافها ، ووقوفها في وجه العلم ، مما أشرنا إلى بعضه فيما سبق ، أقول ساعد ذلك ، على إخراج المدين من تسيير شئون الدولة والمجتمع ، وبدأ الاقتصاد اليهودى القائم على الربا واعتبار المال هو أعظم قيمة فى الوجود ، وبدأ فساد ما يسمى بالثورة الصناعية ، حيث أصبحت القيمة الكبرى والأساسية ، هى أن يجمع المال عن أى طريق ولو بسحق النفس البشرية على صورة نساء وأطفال ، وظهرت معادلات عجيبة كشفت عن الوحشية المستترة للأوربيين من مثل القول : إن العمال فى سوق العمل شأنهم شأن أى سلعة ، فكلماً وجد عمال ، حتى لو كانوا أطفالاً ونساء فإن أجورهم يجب أن تتناقص حتى تصل إلى درجة الكفاف وتظل الأجور تنقص حتى لا تعود تكفى لإبقاء العمال على قيد الحياة فيتناقص عددهم فترتفع أجورهم ، وهكذا دواليك .

الدارونية :

ووجدت النظرية التى تلغى الأديان جملة ، فالكائنات التى لم تخلق على سبيل الاستقلال ، والإنسان لا يعدو أن يكون سلباً للقرود وإذا كان الإنسان الأبيض قد بلغ ذروة التطور ، فإن الإنسان الزنجى ، لم يتطور بعد ، وعلى غرار الزنجى ، الشعوب الأخرى من صفراء وحمر ، وقد دخل ذلك دائرة التطبيق فى أمريكا التى كانت قد اكتشفت ، وأصبحت مهمة الرجل الأبيض أن يبيد الهنود الحمر ، وأن يستجلب الزنوج ليكونوا عبيده ، وتفتحت شهية الأوربيين وبدءوا عهد الاستعمار حيث خضعوا كل شعوب العالم لسلطانهم واستغلالهم وعلى عكس الحضارة الإسلامية ، حيث ارتقت بالشعوب أينما حلت ، فلم تفهم أوربا من الاستعمار إلا أنه استغلال للشعوب والحيلولة دون تقدمها ، وليس ذلك إلا نتيجة للتعاليم الفاسدة ، من أن الأوربيين هم الناس ومن عداهم ليسوا ناساً

والفرويدية :

وكان من إفرازات الفكر الأوروبى وسيطرت الأفكار اليهودية عليه مانادى به

فرويد ، وأصبح أساساً لكل الفكر الأوربي من تخريب لما كان يطلق عليه فضائل وآداب عامة ، وأصبح الجنس هو الذى يشكل كل شئ فى هذه الدنيا بالنسبة للإنسان منذ ولادته ، عندما يلتقم ثدى أمه فليس ذلك إلا جنساً ، وبعد ذلك على مدى رحلة الحياة ، ليس هناك سوى الجنس بالليل والنهار ، هو محرك نشاط الإنسان ، وأصبح الحديث عما سمي العقل الباطن ، وكبت الغرائز الجنسية ، هو أساس الأمراض والاحلام وما سموه « العقد النفسية » .

الوان الهذيان ، فرضته قلة حاكمة على الشعوب ودعى العمال فى جميع أنحاء العالم لاعتبار أنفسهم هم وحدهم الجديرون بالحياة وعليهم عن طريق الثورة ، أن يستولوا على الحكم وأن يقضوا من خلال حكم ديكتاتورى على بقية الطبقات الأخرى ، ولقد شهدت روسيا تطبيقاً لهذه الدعوة ، فقتل فيها عشرون مليوناً للوصول إلى هذه الغاية ، فلم يتحقق سوى مزيد من البؤس والشقاء .

٤

الحرب العالمية الأولى والثانية

الماركسية :

وإذا كانت الفرويدية قد تصدت لتدمير القيم الروحية والأدبية ، بطريق غير مباشر ، فقد كان يهودى آخر « كارل ماركس » قد سبقه إلى ذلك بطريق مباشر ، فالاقتصاد المادى (ملكية وسائل الإنتاج) هى محور النشاط الإنسانى ، وكل مايقال بخلاف ذلك من أفكار عن وجود إله ، وجانب روحى أو معنوى فى هذا الكون هو محض هراء وبقايا خرافات قديمة ، وأصبح مايسمى بالآداب العامة والأخلاق والفضيلة والأسرة والرحمة والإحسان ، كل هذا ليس إلا لونا من

مابقيت أوربا تطبق مبادئ إسلامية ، فقد خرجت من ظلمات العصور الوسطى وحققت ماحققت ، فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، حتى إذا ماتصورت أنها أصبحت كل شئ ولاحضارة إلا حضارتها ، ولافكر إلا فكرها ، وأنه لاتوجد قوة على ظهر الأرض تعترض مشيئها ، بدأت تحصد ثمار مازرعت فكانت الحرب العالمية الأولى والتي إن دلت على شئ فعلى مدى الوحشية والبربرية التى هى جوهر الشعوب الأوربية ، وأنه عندما زال المجتمع الإسلامى كقوة يعمل

التدين قائماً من الناحية النظرية على الأقل ، فلك أن تتصور ماذا يحدث في شرق أوروبا حيث لادين ولا أسرة ، أو قيم خلقية من أى نوع كان ، وحسبنا مؤشراً على ماوصلت إليه روسيا المادية ، أنها أصبحت تستورد غلالها من الدول الرأسمالية ، حيث كانت روسيا أعظم دول العالم في إنتاج الغلال . أما في أمريكا فالحياة مخيفة ، يعبد فيها الدولار وتسود الجريمة ، ويعم الجنون والقلق ، وكان آخر مظاهر تدهورها الشائن هو هزيمتها المنكرة ، في فيتنام .

٥

أما في العالم الشرق

وحيث كان هذا يجري في أوروبا وأمريكا كان يسرى بكل تقسيماته البشرية والدينية والجغرافية ، روح من اليقظة فالنهضة بدأت من اليابان ، أما في الهند والمجتمعات العربية والإسلامية فقد بدأت تقاوم الاستعمار الأوربي متذكرة تقاليدها وقيمها الموروثة التي تؤهلها لدور أكثر حضارة ، وتحترت كل شعوب آسيا ، وسائر الشعوب العربية والإسلامية . وفقدت أوروبا البقرة الحلوب التي كانت تدر

حسابها ، فقد انكفأت أوروبا على نفسها بقتل شعوبها بعضهم البعض بصورة لم تعرفها البشرية من قبل ، وانتهت الحرب العالمية الأولى ليبدأ التحضير لجولة ثانية ، وسرعان ما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، أشد هولاً من الأولى وأوسع رقعة ، وإذا كان قد قتل في الحرب الأولى بضعة عشر مليوناً وجرح وشوه ضعفان أو ثلاثة أضعاف هذا العدد ، أما في الحرب الثانية ، فقد اعتبر ذلك أمراً مألوفاً ، بحيث أصبح إبادة مدينة بأسرها برجالها ونساءها وشيوخها وأطفالها ، مجرد خبر عادي لاغربة فيه فهو من إجراءات الحرب العادية .

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية ، كان آخر مقومات الحضارة الإنسانية ، ينهار في أوروبا من مشرقها لمغربها ، فنرى إنجلترا المحافظة يتناقش مجلس نوابها العريق في حق الذكور في الاتصال الجنسي بعضهم ببعض ، وفي فرنسا تقوم كتب الأطفال عن حقهم في السخرية بمعلمهم ، وفي إيطاليا يصدر قانون يبيح حرية الاتصال الجنسي بين الذكور والإناث وذلك بإباحة الإجهاض واعتباره عملاً مشروعاً لا حرج على الأطباء في أن يزاووه بدون قيد أو شرط .

كل هذا في غرب أوروبا ، حيث لا يزال

٦

القدم التكنولوجي ليس هو الحضارة

بقى أن نرفع عن أعين شباب المسلمين والعرب بخاصة غشاوة لا تزال قائمة على أعين الأغلبية الساحقة منهم ، وهو أن التفوق التكنولوجي الذي لا يزال مستقراً في أوروبا وأمريكا ، هو الحضارة الحديثة التي يتعين عليهم الأخذ بها وترسم خطواتها والذين يزورون أوروبا وأمريكا اليوم من شباب المسلمين والعرب يسرهم ويأخذ بلبهم ما يرونه من مظاهر النظافة والنظام والنشاط والجمال والأناقة ، وذلك بالمقارنة لما توجد عليه بلادهم ، غير مدركين ، أن ما يعجبهم هو ثمرة الماضي ، حيث كفر الشباب الجديد بكل القيم التي أنتجت كل هذا الذي يعجبهم ، وأنهم في الحقيقة قد شرعوا يتدهورون في سائر الاتجاهات وأصبحت عصورهم الذهبية من أحاديث الماضي ، ولحقت إنجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا ، وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا واليونان ، من حيث كونها بلاد سياحية ، يأتيها السواح ليشهدوا عظمة أيام غابرة ، وليس التقدم التكنولوجي بما يتضمنه من

عليها اللبن والزبد وأصبح عليها أن تعمل وتكدح لتحصل على مقومات حياتها ، وهو ما لم تعتد عليه ثم حدث الأمر الذي لا أنصور إلا أنه أمر إلهي ، وهو تفجر البترول عصب الحياة الحديثة ، في العالم الإسلامي بعامه ، والعالم العربي بخاصة ، وفي جزيرة العرب بأخص من الخصوص . وبدأت الثورة تنكس في الأيدي العربية والإسلامية .

وكانت حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ العاشر من رمضان ١٣٩٣ .

حيث هزمت الجيوش المصرية ، الجيش الإسرائيلي وعبرت قناة السويس وأستولت على خط بارليف ، وذلك كله في ست ساعات ، وكان ذلك يعني نهاية الضوق الأوربي الحضاري ، ذلك أن إسرائيل اعتبرت نفسها ذروة الحضارة الحديثة ، فلما أن هزمت في ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ كان ذلك بمعنى ، بدء النهاية لهذه الحضارة وحيث بدأ شباب أوروبا ، يضيق بالنظافة والعمل والإنتاج والنظام والقانون ويسرف في تعاطي العقاقير التي تذهب بالعقل ، أصبح شباب العرب يتطلع إلى كل مقومات الحضارة من دين وعلم وعمل ونظام . . إلخ .

حياتهم ، أن يحصلوا على مزيد من الطعام والرفاهية ، والتبطل .

الفصل الرابع

١

رؤى الخاصة

والآن وأنا أصل إلى بيت القصيد من هذا العرض التاريخي ، فلا مناص من أن أسجل رؤيتي للمستقبل ، لتكون هذه الرؤية منارة للشباب ومرشداً ، وإذا كان الغيب ، وما سوف يحدث في المستقبل هو من أحصى خصوصيات الله الخالق المدير المهيمن العزيز المتعال ، تقرير ماتقضى به سنن الله عز وجل كأن نقول إن الشمس سوف تشرق الغد ، وأن الشتاء سوف يعقب الخريف ، حقاً قد تقع نهاية الحياة في أى لحظة كما يموت الإنسان في أى لحظة ، وهذا هو الغيب الذى احتفظ الله بعلمه ، حديثنا عن الليل الذى سوف يعقب النهار ، وعن الشتاء الذى سوف يحىء حتماً مهما اشتدت حرارة الصيف ، أو قولك إن فلاناً سوف يموت حتماً في يوم من الأيام ، فليس ذلك من الغيب ، وإنما هو إيمان بسنن الله التى لن تتغير أو تتبدل

صنع الأسلحة المتطورة والطائرات النفاثة والصواريخ عابرة القارات ، وسفن الفضاء والصعود إلى القمر ، إلا وليد الدفعة الحضرية التى كانوا قد تلقوها من الشرق والشىء المحقق أن هذه الدفعة قد انتهت ، يدلنا على ذلك بكل بساطة ، أن دول أوروبا مجتمعة ومعها أمريكا ، بدأت تن وتشتكو من الإنتاج الياباني ، وثروة اليابان وعمل اليابان ، كل هذا والصين لا تزال في أول خطوات تحركها ، والعالم العربي والأفريقي في طريقهما للوعى بإمكانياتهما ، حيث لا تعيش أوروبا في ازدهار نسبي إلا بمقدار غفلة العرب والأفريقيين عن هذه الإمكانيات .

فلا يتصورن أحد أن التفوق التكنولوجي هو حضارة ، بل هو ثمرة مقومات الحضارة مما أشرنا إليه سابقاً ، فإذا انهارت مقومات الحضارة ، من إيمان بالله وبالعالم والعلم والاستعداد للتضحية بالماديات في سبيل المعنويات . . إلى آخره . فإن التفوق التكنولوجي لا يلبث أن ينهار كذلك ، وينتقل العلم التطبيقى بالتدرج إلى الشرق والغرب والمسلمين ، بل ويتهاق الأوربيون على نقل مصانعهم أو بيعها للشرق ، بعد أن كف عما لهم من الرغبة في احتمال أى نوع من المشقة ، وأصبح هدف

« إلا أن يشاء هو ومشيتته هذه لا يعلمها إلا هو » .

فأنا عندما أرى دورة الحضارة ستعود من جديد للشرق بعامة ، وللأمة العربية بخاصة ، فأنا أتنبأ ، وإنما أتحدث عن سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً غير أن ما يجب أن أعترف به ، هو أنني لم أكن أتصور مطلقاً أنني سوف أظل على قيد الحياة حتى أشهد بعيني رأس طلائع ذلك فند صباى المبكر « سنة ثانية ابتدأت بمدرسة محمد على الابتدائية » اشتركت في تكوين جمعية لنصر الدين الاسلامى ، وفي شبانى المبكر تصديت لمقاومة الإمبراطورية البريطانية (بالرأى والكلمة طبعاً) ومازلت أذكر أنني فى عام ١٩٣٥ وقفت خطيباً بين نفر من طلاب جامعة كارديف (عاصمة ويلز) فكان أن قلت لقد كانت من قبلكم إمبراطوريات كالإغريق والرومان والإسبان والبرتغال ، ولكن هذه الإمبراطوريات كلها قد زالت ورحلت أحذرهم من أن يلحقوا بهم ، إذا لم يحلوا عن مصر والسودان ، وهآئذ أعيش لأشهد زوال الإمبراطورية البريطانية ، وصيرورتها من نوع ألمانيا والبرتغال . وعندما تصور الكثيرون ، أن أدولف هتلر (رئيس ألمانيا) فى طريقه لسيادة العالم ، رأيت فى أفكاره

ومبادئه وأساليبه ، ماقد ينتهى به إلى تدمير نفسه وأمتة من هذا المصير ، وعقب الحرب العالمية الثانية ، دعوت فى لندن ونيويورك ، إلى سقوط الاستعمار .

هذا فى الخارج ، أما بالنسبة لما كان يجرى فى مصر فقد تحدثت وإخوانى عن زوال الملكية والإقطاع ، ولم أكن فى كل ذلك أتنبأ وما فوجئت به « أنا شخصياً » هو أن هذه السنن وقعت بأسرع ماتوقعت ، وأن أعيش لأراها ، وبحكم هذه السنن فلن أعيش على وجه القطع واليقين لأشهد رؤيتى الجديدة ولكنها آتية لا ريب فيها . وتتلخص هذه الرؤية بأن الحضارة بحكم الدورة ، سوف تعود للعالم الإسلامى بقيادة العالم العربى ، حيث تقوم مصر كما كان شأنها دائماً ، بالدور الأكبر ، وإذا كان العالم اليوم يتحدث عن قرب نفاذ الطاقة التقليدية ، من فحم وبتروى ، كان المعين الذى لا ينضب من الطاقة ، وهو الشمس ، فإن حظ البلاد العربية والإسلامية منها هو النصيب الأكبر والأوفر وهو ما يجعل أوربا وأمريكا ، لاهتمان كثيراً بالعمل فى هذه الناحية ، وهتمان بالأكثر بما يسمونه الطاقة « النووية » وليس ذلك إلا مرحلة مؤقتة ، وسوف تثبت الأيام ، أن نصيب العالم الإسلامى والعربى من المواد

القسم الأخصب من حياتهم ، بأن خير مصر والعرب والمسلمين كامن في النقل عن أوروبا واحتذاء نموذجها وأساليبها ، أعلام من مثل طه حسين والعقاد وحسين هيكل ، وإذا كانوا في أخريات حياتهم ، بدأوا يتشككون في الحضارة الغربية وجنحوا مرة أخرى نحو القيم الشرقية والإسلامية ، فقد كانوا قد غرسوا في ألوف من تلاميذهم الإيمان بالغرب وحضارته وهم المسيطرون اليوم على حياتنا التربوية والثقافية ، وسيظل هذا شأنهم إلى حين .

ومن هنا فإني أوجه حديثي للشباب ، بعد أن أزيل من نفسه شبهة ، وألفت نظره إلى حقيقة لا يقدر إبعادها .

فأما الشبهة التي أرغب في إزالتها ، فهي انهيار مئات الألوف من شبابنا الذين أصبحوا يسافرون إلى أوروبا وأمريكا ، بما يرون من نظافة ونظام وعمل وإنتاج ، وإذا كانوا شباباً فهم يغتبطون بما يرونه من حرية جنسية ، ويتصورون أن هذه الإباحية الجنسية هي جزء من هذه الحضارة ومن مقوماتها ، وقد بقي أن يعرف الشباب أن هذا الذي يبهروهم من نظافة ونظام ، وعمل وإنتاج ، هو قسم صغير يتناقص يوماً بعد آخر مما كانوا عليه في هذه النواحي ، وأما

المشعة أضعاف أضعاف ، ماتم تلك أوروبا وأمريكا على أنني أعود فأذكر أنه لا الطاقة ، ولا الآلات والمكنات ، ولا الصواريخ أو القنابل الذرية بالتي تصنع حضارة ، ولكنها تصلح لشيء واحد وهي أن تدمر أوروبا وأمريكا .

٢

مالذي يجب أن يفعله الشباب ؟

والكلمة اليوم هي للشباب في مصر والبلاد العربية والإسلامية والشرقية بعامة وذلك أن الشيوخ قسمان ، أقلية وأغلبية ، فأما الأقلية وأنا واحد منهم ، فعلى الرغم من أننا نؤمن بهذه الأفكار منذ اليوم الأول حتى لنرى على صفحات مجلتنا منذ أربعين عاماً مقالات من مثل « أوروبا تتداعى » و « ونضوب الحضارة في أوروبا » و « إفلاس الغرب نهائياً » .

أقول بالرغم من أننا كنا نؤمن بهذه الدعوة ، فنحن في طريقنا إلى النهاية يوماً بعد آخر ، ولا أحسب أنه بعد عشر سنوات من الآن سيكون باقياً منا أحد ، (إلا واحد أو اثنين على سبيل الاستثناء بطبيعة الحال) أما الأغلبية الساحقة من جيلنا فقد تعلموا على أيدي إعلام ونجوم آمنوا في

الشعوب ، وأنها لم تعد قادرة على مواجهة التطور وما يحتاجه من جهد وعمل .

٣

تفاصيل ما يجب أن يفعله الشباب

أولاً - إيمان عميق بالله واليوم الآخر إلى الحد الذى يجعل لكل شباب ضميراً بين جنبيه يقوده لأداء واجبه لخدمة الناس والمجتمع ، لاختوفاً من قانون وضعى ، أو طمعاً فى جزاء مادى ، وإنما التماساً لراحة الضمير فى الدنيا ، والمكافأة فى الآخرة .

ثانياً - يجب أن لا يعنى الإيمان بالله واليوم الآخر بحال ، الانعزال عن الناس أو المجتمع فضلاً عن التعالى عليهم ، فكل هذه انحرافات وجدت على مر العصور ، حتى جعلت البعض يرتكبون « أبشع الجرائم » بحجة التدين ، وإرضاء الله والفوز بالجنة والله برىء مما يعملون ، بل مما يتصورون ، فكل أوامر الله ونواهيه لا يقصد بها إلا خير العالمين ، لا أن يتقلب هذا إلى إيذائهم .

ثالثاً - يجب أن يكون التعبير الوحيد عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، هو العمل فى هذه الدنيا لما يعود على الإنسان بالنفع ثم

الإيجابية الجنسية فشىء وافد على أوربا ، وهو نذير ماتندفع إليه فى تدهور وقوضى هذه هى إزالة الشبهة ، وقد بقى أن يعرفوا أننى فى عام ١٩٣٠ أى من خمسين سنة سافرت باريس ، وكان ذلك يعتبر شيئاً غريباً ، ولقد اعتبر فى محيط أسرقى « ثورة وتمرد » أما اليوم فسفر عشرات الألوف من الطلاب يعتبر أمراً عادياً ، ويتصور هؤلاء الطلاب عندما يحصلون على عمل (فى غسيل الأطباق أو مسح البلاط أو حمل الأتقال) أن الأمر كان كذلك دائماً ، غير شاعرين أن هذه هواية التدهور الأوربى ، فقد كانت مزاوله هذه الأعمال هى آية حضارة هذه الشعوب التى ترى فى العمل ، أى عمل هو شرف الإنسان فأما وقد عادوا للتفرقة بين عمل وعمل فهذا عمل شريف أما هذا فعمل وضع فليس ذلك إلا عودة لتقاليد أوربا فى تقسيم المجتمع إلى طبقات .

أما الحقيقة التى ألفت النظر إليها ، فهى غزو مئات الألوف من شباب مصر لميادين العمل والعلم والإدارة فى أوربا وأمريكا ، بحيث أصبح يشار إليهم بالبنان .

وهذه ظاهرة جديدة ، يتصور معها الشباب المصرى أنها دليل قدرته إذا أتيت له الظروف ، ولكنه لا يتصور ولم يدرك بعد ، أنها تعنى قبل ذلك انحلال هذه

حتمية تاريخية وطبيعية ، لأنها سنة إلهية والمطلوب هو العمل الدائب بالليل والنهار والكف عن تقليد ما يجري في أوروبا وأمريكا ، بعد أن انسلخوا من مقومات الحضارة ، وهى الإيمان بالله وقُدسية الأسرة والعمل والإنتاج ، وسلوك طرق الفضيلة والتعاون والرحمة بين الناس أجمعين .

فاذا كنت قد قدمت للشباب « إيماني » عام ١٩٣٦ فهذا هو إيماني عام ١٩٧٩ . -
والله ولى التوفيق . . .

على من يحيط به الأقرب فالأقرب .
رابعاً - أن كل ما يحتاجه العالم الشرق والعرب ، هو القدوة المصالحة في كل شيء في النظافة والنظام وأداء الواجب ، والدقة وتحري الإجابة فيما يعمل الإنسان فعلى كل فرد أن يبدأ بنفسه مقدماً بذلك للقدوة للآخرين .

وبعد .
فهذه وصيتي خلاصة تجاربي في هذه الدنيا ، أسوقها للشباب في مصر وفي العالم العربى والإسلامى فالمستقبل لهم . هذه

أحمد حسين في سطور

- والده ريفي من كفر البطيخ ، أما والدته فمن سمود .
- ولد هو في القاهرة في ٨ مارس ١٩١١ وإن كان لايفتأ يصرح أنه ولد قبل هذا التاريخ .
- تلقى علومه في كتاب الحى بطولون ثم التحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية الابتدائية وانتقل منها إلى مدرسة محمد على الأميرية ، حيث أُلّف في هذه الفترة جمعية «نصر الدين الإسلامى» .
- تلقى تعليمه الثانوى في المدرسة الخديوية وانخرط في نشاطها المدرسى وكان التمثيل هو النشاط المسيطر ، فقدم لهم مسرحية «أبو مسلم الخراسانى» . كما أشرف على إصدار مجلة المدرسة .
- التحق عام ١٩٢٩ بكلية الحقوق .
- دعا عام ١٩٣١ إلى تصنيع مصر بجهود الشعب ، مما أطلق عليه في حينه «مشروع القرش» .
- أسس عام ١٩٣٣ جمعية مصر الفتاة التى تحولت بعد الحرب العالمية الثانية إلى الحزب الاشتراكى ، وكانت التعاليم الإسلامية هى نبراسه دائماً ، فدعا عام ١٩٣٨ إلى تطبيق أحكام الشريعة واتهم ونفر من أعضاء جماعته ، فيما اشتهر آنذاك باسم «تخطيم الحانات» .
- كان له دور كبير في محاربة الملك السابق وكل فساد وطغيان مما جعل حكاهم ذلك الزمان يعملون على التخلص منه فانتزوا فرصة حريق القاهرة في يناير ١٩٥٢ لكى يعتبروه مسؤولاً عن هذا العمل .
- كان لقيام الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الفضل في إنقاذه من حبل المشقة .
- هاجر من مصر عام ١٩٥٥ ولكنه لم يلبث أن عاد إليها ، فلما أن خاب أمله مرة أخرى اعتزل الحياة وأوى إلى بيته عام ١٩٦٠ .
- وفي بيته تفرغ للمطالعة والتأليف فأصدر ثلاثة من ألح كته :
 - الطاقة الإنسانية
 - الأمة الإنسانية
 - نبى الإنسانية
- جاوزت مؤلفاته الأربعين كتاباً أحدها يقع فى ألى صحيفة وهو موسوعة «تاريخ مصر»
- ولكن عمله الأكبر الذى يعتبره تنويهاً لحياته كلها هو تفسيره للقرآن الكريم .
- أصيب بالشلل الكامل الذى أعجزه عن الحركة تماماً ، فيما خلا الكتابة وهو مايجعله يقول : ما بقى الله يحفظ لى عقلى ، ويقدرنى على الكتابة : فسوف أكتب لنهضة المسلمين .
- يعتز باللقب الذى أطلقته عليه «مجلة الأزهر» من أنه «الكاتب الإسلامى» .

ملف خاص عن المؤتمر التاسع
لعلماء المسلمين

الموضوعات

- ◆ مشروع الدستور الإسلامي المقدم إلى المؤتمر .
- ◆ أسماء السادة أعضاء المؤتمر .
- ◆ أعضاء مجمع البحوث الإسلامية .
- ◆ خطة أعمال المؤتمر التاسع لعلماء المسلمين .
- ◆ النص الإنجليزي لمشروع الدستور الإسلامي .

إعداد: محمد أمين البدوي

مشروع الدستور الإسلامي

مقدم من

اللجنة الفرعية المنبثقة عن اللجنة العليا
لوضع مشروع الدستور الإسلامي

الباب الأول

الأمة الإسلامية

الباب الثاني

أسس المجتمع الإسلامي

مادة ٥

التعاون والتكافل أساس المجتمع .

مادة ٦

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض
ويأثم من يقصر فيه مع القدرة عليه .

مادة ٧

الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين
والأخلاق وتكفل الدولة دعم الأسرة
وحماية الأمومة ورعاية الطفولة وتهيئة
الوسائل المحققة لذلك .

مادة ٨

حماية الأسرة واجب الدولة بالتشجيع
على الزواج وتيسير أسبابه المادية بالإسكان
والمعونات الممكنة وتكريم الحياة الزوجية
وتهيئة الوسائل لحسن تبعيل المرأة لزوجها
وخدمة أولادها واعتبار العناية بالأسرة أول
واجباتها .

مادة ١

(أ) المسلمون أمة واحدة .

(ب) والشرعة الإسلامية مصدر

كل تقنين .

مادة ٢

يجوز أن تتعدد الدول في الأمة
الإسلامية وأن تتنوع أشكال الحكم فيها .

مادة ٣

يجوز للدولة أن تتحد مع دولة إسلامية
أو أكثر في الشكل الذي يتفق عليه .

مادة ٤

يقوم الشعب بمراقبة الإمام وأعوانه
وسائر الحكام ومحاسبتهم وفق أحكام
الشرعة الإسلامية .

مادة ٩

العناية بسلامة الأمة وصحة الأفراد
واجب الدولة وعليها توفير الخدمات الطبية
المجانية للمواطنين من وقائية وعلاجية .

مادة ١٠

طلب العلم فريضة والتعليم واجب
الدولة وفقا للقانون .

مادة ١١

التربية الدينية منهج أساسى فى جميع
مراحل التعليم .

مادة ١٢

تلتزم الدولة بتعليم المسلمين الأمور
المجمع عليها من الفرائض وتدریس السيرة
النبية وسيرة الخلفاء الراشدين دراسة وافية
على مدار سنوات التعليم .

مادة ١٣

تلتزم الدولة بتحفيظ ماتيسر من القرآن
الكريم للمسلمين فى سنوات التعليم حسب
أنواع الدراسة كما تنشئ معاهد خاصة
بالقرآن لتحفيظه لغير الطلاب وتطبع
المصحف الكريم وتيسر تداوله .

مادة ١٤

التبرج محظور والتساون واجب وتصدر
الدولة القوانين والقرارات لصيانة الشعور
العام من الابتذال وفقا لأحكام الشريعة
الإسلامية .

مادة ١٥

اللغة العربية اللغة الرسمية والتاريخ
الهجرى واجب ذكره فى المكاتبات الرسمية .

مادة ١٦

الولاية العامة منوطة بمصلحة الرعية
وخاصة حماية الدين والعقل والنفس والمال
والعرض .

مادة ١٧

لايكنى أن تكون الغايات مشروعة بل
يجب فى جميع الحالات أن تكون الوسائل
مطابقة لأحكام الشريعة الإسلامية .

الباب الثالث الاقتصاد الإسلامى

مادة ١٨

يقوم الاقتصاد على مبادئ الشريعة
الإسلامية بما يكفل الكرامة الإنسانية
والعدالة الاجتماعية ويوجب السعى فى
الحياة بالفكر والعمل وتحمى الكسب
الحلال .

مادة ١٩

حرية التجارة والصناعة والزراعة
مكفولة فى حدود الشريعة الإسلامية .

مادة ٢٠

تضع الدولة خططا للتنمية الاقتصادية
وفقا للشريعة الإسلامية .

مادة ٢١

تقاوم الدولة الاحتكار ولا تتدخل في الأسعار إلا للضرورة .

الباب الرابع
الحقوق والحريات الفردية

مادة ٢٨

العدل والمساواة أساس الحكم وحقوق الدفاع والتقاضى مكفولة ، ولا يجوز المساس بها .

مادة ٢٢

تشجع الدولة على تعمير الصحراء وتوسيع رقعة الأرض المنزرعة .

مادة ٢٩

الاعتقاد الدينى والفكرى وحرية العمل وإبداء الرأى بالقول والكتابة أو غيرها وإنشاء الجمعيات والنقابات والانضمام إليها والحرية الشخصية وحرية الانتقال والاجتماع كلها حقوق طبيعية أساسية تكفلها الدولة فى حدود الشريعة الإسلامية .

مادة ٢٣

لا يجوز التعامل بالربا أخذا أو إعطاءً أو أن يسترأى تصرف معاملة ربوية .

مادة ٢٤

للدولة ملكية ما فى باطن الأرض من المعادن والخامات وغيرها من الثروات الطبيعية .

مادة ٣٠

للمساكن والمراسلات والخصوصيات حرمة والتجسس محظور . ويحدد القانون مايرد على هذه الحرمة من قيود تمارسها الدولة فى جرائم الخيانة العظمى أو الخطر الداهم ولا تكون تلك الممارسة إلا بإذن قضائى .

مادة ٢٥

كل مال لأمالك له يكون ملكا لبيت المال . وينظم القانون طريقة تملك الأفراد له .

مادة ٢٦

تصرف الدولة الزكاة التى يقدمها إليها الأفراد فى مصارفها الشرعية .

مادة ٣١

حق التنقل داخل البلاد وخارجها مباح ولا يمنع المواطنون من السفر إلى الخارج ولا إلزامهم البقاء فى مكان دون آخر

مادة ٢٧

الوقف على الخيرات جائز ويصدر قانون بتنظيمه من جميع النواحي .

جريمة تقع عليه أو على غيره أو على اختلاس المال العام أو تبديده .

مادة ٣٧

حق العمل والكسب والتملك مكفول ولا يجوز المساس به إلا بمقتضى أحكام الشريعة الإسلامية .

مادة ٣٨

للمرأة أن تعمل فى حدود أحكام الشريعة الإسلامية .

مادة ٣٩

تكفل الدولة حرية الملك وحقوق الملكية وحرمتها ولا تجوز المصادرة العامة بأية أداة كانت أما المصادرة الخاصة فلا تكون إلا بحكم قضائى .

مادة ٤٠

لا تنتزع ملكية أحد إلا للمصلحة العامة ومقابل تعويض كامل وفقا لأحكام القانون المنظم لذلك .

مادة ٤١

إنشاء الصحف مباح والصحافة حرة وذلك كله فى حدود أحكام الشريعة الإسلامية .

مادة ٤٢

للمواطنين حق تكوين الجمعيات والتقابات على الوجه المبين فى القانون ويحظر منها ما يكون نشاطه معاديا لنظام المجتمع

إلا بحكم قضائى يبين القاضى أسبابه ولا يجوز نفى المواطنين .

مادة ٣٢

تسليم اللاجئيين السياسيين محظور وينظم تسليم المجرمين العاديين باتفاقات مع الدول المعنية .

مادة ٣٣

تعذيب الأشخاص جريمة . ولا تسقط الجريمة أو العقوبة طول حياة من يرتكبها ويلتزم فاعلها أو الشريك فيها بالمسئولية عنها فى ماله فإن كان بمساعدة موظف أو بموافقة أو بالسكوت عنها فهو شريك فى الجريمة جنائيا ومسئول مدنيا وتساءل معه الحكومة بالتضامن .

مادة ٣٤

يعاقب بعقوبة التعزير الموظف الذى تقع فى اختصاصه جريمة تعذيب علم بها ولم يبلغ السلطات المختصة عنها .

مادة ٣٥

لا يطل دم فى الإسلام وعلى الدولة تعويض المستحقين من قتلى لا يعرف قاتلهم . أو عجزا لا يعرف من أعجزهم أو عرف ولم يوجد لديه مال يكفل التعويض .

مادة ٣٦

لكل إنسان حق تقديم الشكوى عن

طبقات الأمة طبقا للقانون ويجوز للمرأة أن
تطلب الاشتراك في الانتخاب متى استوفت
شروطه وتُمكن من الانتخاب .^(١)

مادة ٤٩

لأجنّاح على من أبدى رأيه ضد البيعة
للإمام قبل تمامها .

مادة ٥٠

لأصحاب الحق في البيعة عزل الإمام
متى تحقق سببه وبالطريقة التي بينها
القانون .

مادة ٥١

يخضع الإمام للقضاء وله الحضور
بوكيل عنه .

مادة ٥٢

يتمتع رئيس الدولة بكافة الحقوق التي
يتمتع بها المواطنون ويلتزم بما يلتزمون به
وتسرى في حقه الأحكام المالية التي يحددها
القانون .

مادة ٥٣

لا يجوز الوصية للإمام أو الوقف عليه
أو على أقاربه حتى الدرجة الرابعة إلا أن تكون
وصية ممن يرثه الإمام ، كما لا يجوز للإمام
أن يشتري أو يستأجر شيئا من أملاك الدولة
أو أن يبيع أو يؤجر شيئا من أملاكه إليها .

(١) قررت اللجنة رفع الموضوع للجنة العليا
بالرأين بالنسبة للفقرة الأخيرة .

أوسريا ذا طابع عسكري أو مخالفا بآى
وجه من الوجوه لأحكام الشريعة
الإسلامية .

مادة ٤٣

تمارس الحقوق وفقا لمقاصد الشريعة .

الباب الخامس

الإمام

مادة ٤٤

يكون للدولة إمام وتجب الطاعة له
وإن خولف في الرأي .

مادة ٤٥

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ولا للإمام في أمر مقطوع بمخالفته
للشريعة .

مادة ٤٦

يبين القانون طريقة البيعة العامة في
اختيار الإمام على أن تتم البيعة العامة تحت
إشراف القضاء وتكون البيعة بالأغلبية
المطلوبة لأصوات المشتركين في البيعة .

مادة ٤٧

يشترط للمرشح لرئاسة الدولة الإسلام
والذكورة والبلوغ والعقل والصلاح والعلم
بأحكام الشريعة الإسلامية .

مادة ٤٨

يتم تعيين الإمام ببيعة عامة من جميع

عقوبات الحدود والخيانة العظمى .

مادة ٥٤

المدايا للإمام غلول وما يتم فيها يضاف إلى بيت المال .

مادة ٦٠

للإمام عند الضرورة اتخاذ تدابير استثنائية بينها القانون إذا قامت قلاقل أوقام ما يتندر بحدوث قلاقل أو تهديد كيان الدولة أو حرب أهلية أو حرب مع إحدى الدول على أن يعرضها على المجلس النيابى خلال أسبوع من اتخاذها . وإذا لم يكن قد تم انتخاب المجلس فيدعى المجلس القديم وتبطل هذه التدابير إن لم يتبع فيها هذا الإجراء . ويصدر قانون بتنظيم هذه التدابير الاستثنائية والآثار المترتبة عليها والجهات المختصة باتخاذها وكيفية تسوية الآثار المترتبة عليها في حالة عدم إقرارها .

مادة ٥٥

الإمام قدوة للرعية في العدل والإحسان والعمل الصالح وهو يشارك غيره من أئمة المسلمين كل ما يهم الجماعة الإسلامية كما يبعث بعثا للصح كل عام يشارك به في مؤتمرات المسلمين الرسمية وغير الرسمية .

مادة ٥٦

الإمام مسئول عن قيادة جيشه لجهاد العدو وحفظ الثغور وتراب الوطن وإقامة الحدود وعقد المعاهدات بعد إقرارها .

مادة ٥٧

الإمام مسئول عن تمكين الأفراد والجماعة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الفرائض .

مادة ٥٨

يعين الإمام موظفى الدولة ويجوز أن يخول القانون غيره تعيين الموظفين من غير المستويات العليا .

مادة ٥٩

العفو عن الجرائم فيما عدا الحدود لا يكون إلا بقانون . وللإمام العفو عن عقوبات الجرائم في ظروف خاصة فيما عدا

الباب السادس

القضاء

مادة ٦١

يحكم القضاة بالعدل وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية .

مادة ٦٢

الناس سواسية أمام القضاء ولا يجوز تمييز أحد أوفئة بمحاكم خاصة .

مادة ٦٣

لا يجوز إنشاء محاكم خاصة لأحرمان صاحب قضية من قاضيه الطبيعى .

- مادة ٦٤** جرائم الزنا والقذف والسرقه والحراة
ولا يجوز منع القضاء من سماع الدعوى
ضد الإمام أو الحاكم .
- مادة ٦٥** يحدد القانون التعزيرات التى يوقعها
القاضى فى غير جرائم الحدود .
- مادة ٦٦** تصدر الأحكام وتنفذ باسم الله الرحمن
الرحيم ولا يخضع القاضى فى قضائه لغير
الشريعة الإسلامية .
- مادة ٦٧** تنفيذ الأحكام مسئولية الدولة
والإمتناع أو التراخى فى تنفيذها جريمة
معاقب عليها .
- مادة ٦٨** تكفل الدولة استقلال القضاء والمساس
باستقلاله جريمة .
- مادة ٦٩** تختار الدولة للقضاء أصلح المؤهلين له
من الرجال وتيسر أدائه لعمله .
- مادة ٧٠** يشترط فى جرائم الحدود أن يحضر المتهم
الحاكمة أو أن يحضر معه محام يختاره هو
أو تندبه الدولة إن لم يختَر هو محاميا ،
- مادة ٧١** شروط القصاص فى الجروح التماثل
الكامل وكما لى يقين بذلك عند القاضى .
- مادة ٧٢** الجلد هو العقوبة الأساسية فى
التعزيرات والحبس محظور إلا فى جرائم
- مادة ٧٣** يبين القانون أحكام القسامة ولا يجوز أن
تجاوز المسئولية المدنية مقادير الديات .
- مادة ٧٤** يبين القانون شروط قبول التوبة
وأحكامها .
- مادة ٧٥** لا يحكم بالإعدام فى جناية إلا إذا
امتنع الصلح أو عفو ولى الدم .
- مادة ٧٦** يجوز التصالح فى القصاص على أكثر
من الدية .
- مادة ٧٧** يجوز أن تتساوى المرأة والرجل فى
الدية .
- مادة ٧٨** شروط القصاص فى الجروح التماثل
الكامل وكما لى يقين بذلك عند القاضى .
- مادة ٧٩** الجلد هو العقوبة الأساسية فى
التعزيرات والحبس محظور إلا فى جرائم

معدودة وولد محدودة بينها القاضى . التنفيذية .

مادة ٨٠

٤ - تقرير مسئولية الوزارة عن أعمالها

وسحب الثقة بها عند الاقتضاء .

مادة ٨٤

يحدد القانون شروط الانتخاب وطريقة

إحداثه وشروط العضوية ، وذلك على أساس من الشورى على وجه يكفل مشاركة كل بالغ عاقل حسن السمعة فى إبداء رأيه ، وكذلك كيفية معاملة أعضاء المجلس من الناحية المالية ، ويضع المجلس لائحته الداخلية .

الباب الثامن

« الحكومة »

مادة ٨٥

تتولى الحكومة مسئولية إدارة شئون الحكم وتحقيق المصالح الشرعية المعتمدة وتكون مسئلة أمام الإمام (٢)

مادة ٨٦

يحدد القانون شروط تعيين الوزراء والأعمال المحظورة عليهم أثناء تولي مناصبهم وطريقة محاکمتهم عما يقع منهم فى عملهم .

لا يجوز إذلال المحبوس أو إرهابه أو الإساءة إلى كرامته .

مادة ٨١

تنشأ محكمة دستورية عليا تختص بالفصل فى مدى مطابقة القوانين واللوائح لأحكام الشريعة الإسلامية وأحكام هذا الدستور ويحدد القانون اختصاصاتها الأخرى .

مادة ٨٢

ينشأ ديوان للمظالم يحدد القانون تشكيله واختصاصاته ومرتبات أعضائه

الباب السابع^(١)

الشورى والرقابة وسن القوانين

مادة ٨٣

يكون للدولة مجلس للشورى يمارس الاختصاصات الآتية :

١ - سن القوانين بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية .

٢ - اعتماد الموازنة السنوية للدولة وحسابها الختامى .

٣ - ممارسة الرقابة على أعمال السلطة

(٢) تحذف هذه الفقرة فى الدول التى لها مجالس

للشورى .

(١) يحذف هذا الباب فى الدول التى ليس لها

مجالس للشورى .

المجلس النيابي وجب أن يكون موقعا عليه
من ثلث أعضاء المجلس على الأقل .

وفي جميع الأحوال يناقش المجلس
مبدأ التعديل ويصدر قرار في شأنه بأغلبية
ثلثي أعضائه فإذا رفض الطلب فلا يجوز
إعادة طلب تعديل المواد ذاتها قبل مضي
سنة على هذا الرفض .

وإذا وافق المجلس النيابي على مبدأ
التعديل يناقش بعد شهرين من تاريخ هذه
الموافقة المواد المطلوب تعديلها فإذا وافق
على التعديل ثلثا أعضاء المجلس عرض على
الأمة لاستفتاءها في شأنه .
فإذا ووفق على التعديل اعتبر نافذا من
تاريخ إعلان نتيجة الاستفتاء .

مادة ٩٢

كل مقررته القوانين واللوائح من
أحكام قبل صدور هذا الدستور يبق
صحيحا نافذا ومع ذلك يجوز إلغاؤها
أو تعديلها وفقا للقواعد والإجراءات المقررة
في هذا الدستور ، فإذا كانت مخالفة
لأحكام الشريعة الإسلامية وجب إلغاؤها
أو استبدالها بغيرها .

مادة ٩٣

يعمل بهذا الدستور من تاريخ إعلان
موافقة الأمة عليه في الاستفتاء .

الباب التاسع

أحكام عامة وانتقالية

مادة ٨٧

مدينة . . حاضرة البلاد

مادة ٨٨

يبين القانون علم الدولة وشعارها ويحدد
الأحكام الخاصة بكل منها .

مادة ٨٩

تسرى القوانين على مايقع من تاريخ
نفاذها . ولا تسرى بأثر رجعي إلا فيما تنص
عليه ويلزم لذلك موافقة ثلثي أعضاء
المجلس النيابي ولا تجوز الرجعية في المسائل
الجنائية .

مادة ٩٠

تنشر القوانين في الجريدة الرسمية خلال
أسبوعين من يوم إصدارها ويعمل بها بعد
شهر من اليوم التالي لتاريخ نشرها إلا إذا
حددت لذلك ميعاد آخر .

مادة ٩١

لكل من الإمام والمجلس النيابي طلب
تعديل مادة أو أكثر من مواد الدستور ويجب
أن يذكر في طلب التعديل المواد المطلوب
تعديلها والأسباب الداعية إلى هذا
التعديل ، فإذا كان الطلب صادرا من

كشـف

بأسماء السادة الذين رشحوا للمؤتمر التاسع لجمع البحوث الإسلامية

جاءى الأولى ١٣٩٩ هـ - أبريل ١٩٧٩ م

الدولة	رقم العضو	الاسم	ملاحظات
اتحاد الإمارات	١	الشيخ عبد الله المحمود	رئيس المركز الإسلامى بالشارقة
	٢	الشيخ محمد عبد الرحمن البكر	وزير العدل والأوقاف والشئون الإسلامية .
الأردن	٣		
افغانستان	٤	السيد هارون صادق المجددى	(مقيم بالقاهرة)
	٥	السيد هاشم صادق المجددى	(عن طريق السعودية)
إنجلترا	٦	الدكتور أبو بكر سراج الدين	الأستاذ بجامعة القاهرة سابقا
	٧	الدكتور زكى بدوى	مدير المركز الإسلامى بلندن
أندونيسيا	٨	الدكتور عبد الملك كريم أمر الله	شيخ مسجد الأزهر بجاكرتا
	٩	الجنرال علم شاه	ورئيس مجلس علماء أندونيسيا
	١٠	الدكتور محمد رشيد	وزير الشؤون الدينية مدير جامعة جو جاكرتا
أوغندا	١١		يترك للسفارة إختيار أحد العلماء البارزين

الدولة	رقم العضو	الاسم	ملاحظات
إيران	١٢		يرجى من السفير ترشيح شخص جديد من العلماء
الباكستان	١٣	مولانا مفتي محمود	رئيس وزراء سابق (روالبندى)
	١٤	مولانا طغريل محمد	أمير الجماعة الإسلامية
	١٥	الأستاذ خليل أحمد الحامدى	رئيس دار العروة للدعوة الإسلامية
البحرين	١٦	الشيخ عبد الرحمن بن محمد آل خليفة	وكيل وزارة العدل والشئون الإسلامية
بلجيكا	١٧	الأستاذ محمد العلونى	مدير المركز الإسلامى والثقافى بروكسل
بنجلاديش	١٨	الدكتور حبيب الرحمن شودرى	أستاذ بجامعة دكا
تركيا	١٩	السيد الدكتور نجم الدين أريكان	رئيس حزب السلام الوطنى بتركيا
	٢٠	الدكتور على أرسلان	
تشاد	٢١	الإمام موسى إبراهيم	زعيم مسلمى تشاد
تنزانيا	٢٢	الشيخ محمد على حميد	سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
توجو	٢٣	السيد إدريس تورى	المشرف على الشئون الدينية بتوجو

الدولة	رقم العضو	الاسم	ملاحظات
تونس	٢٤	السيد محمد الحبيب الشاذلي بلخوجة	مفتي الجمهورية التونسية وعضو المجمع
الجزائر	٢٥	السيد مولود قاسم	وزير الشؤون الدينية
جزر القمر	٢٦	السيد عمر عبد الله	
جزر المالديف	٢٧	الأستاذ محمد جميل ديدى	مستشار رئيس الجمهورية للشؤون الدينية
روسيا	٢٨	السيد ضياء الدين بابا خانوف	مفتي المسلمين بطشقند
السعودية	٢٩	الشيخ عبد العزيز بن باز	رئيس هيئة البحوث والفتوى والدعوى .
	٣٠	الشيخ محمد علي الحركان	أمين رابطة العالم الإسلامي
	٣١	الأستاذ سليمان عبيد	مدير إذاعة نداء الإسلام
	٣٢	الدكتور عبد الله عبد المحسن ترك	مدير جامعة محمد بن سعود الإسلامية
	٣٣	الدكتور عبد المحسن العبادي	مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة
	٣٤	الشيخ عمر محمد فلاته	أمين الجامعة الإسلامية بالمدينة
	٣٥	الدكتور	وكيل جامعة الملك عبد العزيز بجده
	٣٦	الدكتور غريب الجبال	مستشار منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة .

الدولة	رقم العضو	الاسم	ملاحظات
	٣٧	الدكتور محمد شوقي الفنجري الدكتور محمد الوائلي	الرياض ص . ب : ٣٣٠٧ عميد كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية
السنغال	٣٨	السيد عبد العزيز سي	من علماء السنغال
السودان	٣٩ ٤٠ ٤١	الشيخ على عبد الرحمن الأمين الدكتور كامل الباقر الدكتور صديق الضرير	عضو مجمع البحوث الإسلامية مدير جامعة أم درمان لجنة الدستور
سوريا	٤٢	الدكتور معروف الدواليبي	مستشار الملك خالد
سيراليون	٤٣	السيد جبريل سي	السفير السابق
سيريلانكا	٤٤ ٤٥	السيد محمد حنيفة محمد الأستاذ محمد شكرى محمد	رئيس رابطة مسلمي سيلان ووزير المواصلات . الأستاذ بجامعة سيريلانكا
الصومال	٤٦	الأستاذ حسن عبد الله فارح	رئيس المحكمة الشرعية العليا
العراق	٤٧ ٤٨	الشيخ محمد الصواف اللواء الركن محمود شيت خطاب	عن طريق السعودية عضو مجمع البحوث الإسلامية
عمان	٤٩	الشيخ الوليد بن زاهر الهنائي	وزير الأوقاف والشئون الإسلامية

الدولة	رقم العضو	الاسم	ملاحظات
فرنسا	٥٠	الشيخ أبو بكر حمزة	إمام مسجد باريس
الفلبين	٥١	السيد سلامات هاشم	رئيس جبهة تحرير مورو (عن طريق رابطة العالم الإسلامي).
فلسطين	٥٢	دكتور إسحاق موسى الحسيني	عضو مجمع البحوث الإسلامية
قبرص	٥٣	السيد رفعت مصطفى رفعت	مفتي قبرص
قطر	٥٤	الدكتور يوسف القرضاوي	جامعة قطر
الكويت	٥٥	الشيخ يوسف الحجى	وزير الأوقاف
كينيا	٥٦	الأستاذ محمود سليمان سعيد	مدير بالمجلس الأعلى لمسلمي كينيا
لبنان	٥٧ ٥٨ ٥٩	الشيخ نديم الجسر الأستاذ وفيق القصار الشيخ حسن خالد	عضو مجمع البحوث الإسلامية عضو مجمع البحوث الإسلامية مفتي لبنان
ليبيا	٦٠	الشيخ محمود صبحي	الإمام العام لجمعية 'الدعوة الإسلامية'
مالي	٦١	السيد أحمد حماد الله	إمام جامعة أهل السنة في باماكو

الدولة	رقم العضو	الاسم	ملاحظات
ماليزيا	٦٢	الدكتور عبد الجليل حسن	عضو مجمع البحوث الإسلامية
	٦٣	الأستاذ داتو محمد عصرى	رئيس الحزب الإسلامى
	٦٤	الأستاذ محمد على هارون	رئيس مركز الدراسات العليا (كلنتون)
المغرب	٦٥	الشيخ عبد الله كنون	الأمين العام لرابطة علماء المغرب - عضو مجمع البحوث الإسلامية
موريتانيا	٦٦	السيد محمد سالم ولد داود	
النمسا	٦٧	الدكتور إسماعيل بالتش	زعيم المسلمين بالنمسا
النيجر	٦٨	الشيخ ابو القاسم البيهق	رئيس الجمعية الإسلامية بالنيجر
نيجيريا	٦٩	السيد آدم عبد الله	
الهند	٧٠	الشيخ أسعد مدنى	سكرتير عام جمعية علماء المسلمين
	٧١	الشيخ محمد يوسف	أمير الجامعة الإسلامية
	٧٢	الأستاذ سعيد الأعظمى	الأستاذ بدار العلوم (ندوة العلماء)
	٧٣	الأستاذ كاكا عمر	الأمين العام لجامعة دار السلام
اليابان	٧٤	الدكتور عبد الكريم سايتو	رئيس جمعية مسلمى اليابان سابقا

الدولة	رقم العضو	الاسم	ملاحظات
اليمن	٧٥	الشيخ عبد المجيد الزنداني	مكتب التوجيه والإرشاد برياسة الجمهورية
يوغسلافيا	٧٦	دكتور أحمد اسماعيل وتش	شيخ مشيخة إسلام البوستان والهرسك .
	٧٧	الشيخ حمدي يوسف	مفتي بلجراد .
اليونان	٧٨	السيد رشدي آدم إمام	واعظ ومرشد لمسلمي اليونان
المنظمة الإسلامية الأوربية	٧٩	السيد سالم عزام	سكرتير عام المنظمة الإسلامية الأوربية .
منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة	٨٠	السيد محمد كريم جاي	سكرتير عام المؤتمر الإسلامي بجدة

إدارة السكرتارية الفنية

بيان
بأسماء السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية
من داخل جمهورية مصر العربية

رقم	اسم العضو	ملاحظات
١	فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار	شيخ الأزهر ورئيس المجمع
٢	فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى	
٣	فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد عبد العال هريدى	
٤	فضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم	أمين عام المجمع
٥	فضيلة الأستاذ الدكتور بدوى عبد اللطيف	
٦	فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف	
٧	السيد الأستاذ الدكتور سليمان حزين	
٨	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى	
٩	السيد الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى	
١٠	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز عيسى	
١١	فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم طه النمر	
١٢	فضيلة الأستاذ الدكتور على حسن عبد القادر	
١٣	فضيلة الأستاذ الدكتور محمد البهى	
١٤	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد خاطر محمد الشيخ	
١٥	السيد الأستاذ محمد خلف الله أحمد	
١٦	فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى	
١٧	فضيلة الأستاذ الدكتور محمد حسن فايد	
١٨	فضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد الفحام	
١٩	السيد الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام	

بيان
بأسماء السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية
من خارج جمهورية مصر العربية

رقم	اسم العضو	ملاحظات
١	السيد الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الشاذلى بلخوجة	تونس
٢	السيد الأستاذ على عبد الرحمن الأمين	السودان
٣	السيد اللواء محمود شيت خطاب	العراق
٤	السيد الأستاذ وفيق القصار	لبنان
٥	السيد الأستاذ الشيخ نديم الجسر	لبنان
٦	السيد الأستاذ الدكتور إسحاق موسى الحسينى	فلسطين
٧	السيد الأستاذ الدكتور عبد الجليل حسن محمد	ماليزيا
٨	السيد الأستاذ عبد الله كنون	المغرب

خطة أعمال المؤتمر التاسع لجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ - أبريل ١٩٧٩ م

خطة أعمال المؤتمر

أولاً :

ينعقد المؤتمر التاسع لجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بالقاهرة لمدة شهر ابتداء من ٢٤ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ - الموافق ٢١ من أبريل سنة ١٩٧٩ م .

وينعقد على فترتين :

أولاهما : لمدة أسبوع

وثانيتهما : لمدة ثلاثة أسابيع

ثانياً :

تدور بحوث المؤتمر حول « مشروع الأزهر للدستور الإسلامى »
ومن الموضوعات المقترحة التى تدرج تحت هذا العنوان :

- ١ - الأمة الإسلامية
- ٢ - أسس المجتمع الإسلامى
- ٣ - الاقتصاد الإسلامى
- ٤ - الحقوق والحريات الفردية
- ٥ - الإمام
- ٦ - القضاء
- ٧ - الشورى والرقابة وسن القوانين
- ٨ - الصورة المثلى للحكومة الإسلامية

ثالثاً :

يسير العمل اليومى للمؤتمر على النحو التالى :

- ١ - يؤدى أعضاء المؤتمر صلاة الجمعة بالجامع الأزهر يوم الجمعة ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ - الموافق ٢٠ من أبريل سنة ١٩٧٩ م .

- ٢ - حفل شاي مساء الجمعة ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٠ من أبريل سنة ١٩٧٩ م ،
- ٣ - حفل افتتاح المؤتمر صباح يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢١ من أبريل سنة ١٩٧٩ م ويحضره كبار رجال الدولة . وسفراء العالم الإسلامى ، وأعضاء المؤتمر والمعنيون بالشئون الإسلامية والعلمية .
- ٤ - جلسات الفترة الأولى للمؤتمر لمدة أسبوع .
- تبدأ من جلسة يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢١ من أبريل سنة ١٩٧٩ م . وتنتهى بجلصة يوم الخميس ٢٩ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ من أبريل سنة ١٩٧٩ م وتخصص هذه الجلسة لإعلان توصيات وقرارات الفترة الأولى لأعمال المؤتمر .
- ويشارك فى هذه الفترة أعضاء المجمع والمدعوون من الخارج .
- ٥ - حفل عشاء مساء يوم الخميس ٢٩ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ من أبريل سنة ١٩٧٩ م .
- ٦ - سفر السادة المدعوين من خارج الجمهورية من غير أعضاء المجمع .
- (يبدأ السفر يوم الجمعة ٣٠ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٧ من أبريل سنة ١٩٧٩ م)
- ٧ - جلسات الفترة الثانية للمؤتمر ، لمدة ثلاثة أسابيع .
- تبدأ من يوم الاثنين ٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٣٠ من أبريل سنة ١٩٧٩ م وتنتهى بجلصة يوم الخميس ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٩ هـ - الموافق ١٧ من مايو سنة ١٩٧٩ م وتخصص هذه الجلسة لإعلان توصيات وقرارات الفترة الثانية لأعمال المؤتمر
- ويشارك فى هذه الفترة السادة أعضاء المجمع من داخل الجمهورية وخارجها ، ويحضرها بعض الباحثين أثناء إلقاء بحوثهم ومناقشتها . والله ولى التوفيق
- إدارة السكرتارية الفنية
- لمجمع البحوث الإسلامية

فهرس العدد

الصفحة	الموضوع
٧٧٩ - ٧٧١	١ - الإمام الأكبر بشرح سياسته فى أول لقاء صحفى الإمام الأكبر الدكتور عبد الرحمن بىصار/ شيخ الأزهر
٧٨٩ - ٧٨٠	٢ - ياخير أمة أخرجت للناس . أين أنتم ؟ فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير
٨٠٤ - ٧٩٠	٣ - كيف نطبق النظام الإسلامى فى العهد الحاضر ؟ العلامة أبو الأعلى المودودى
٨١٦ - ٨٠٥	٤ - تقنين الشريعة الإسلامية الأستاذ محمد عطية خميس
٨٢٣ - ٨١٧	٥ - صرخة فى الله . إلى علماء دين الله الشيخ محمد زكى إبراهيم
٨٢٩ - ٨٢٤	٦ - المسلمون البلاليون فى الولايات المتحدة سماحة الشيخ عبد الله بن على المحمود
٨٤٦ - ٨٣٠	٧ - الإسلام فى خطر الدكتور حسين مؤنس
٨٥٦ - ٨٤٧	٨ - الإسلام والمستقبل الأستاذ فتحى رضوان
٨٧٠ - ٨٥٧	٩ - من هنا نبدأ الخطو إلى المستقبل الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل
٨٩٦ - ٨٧١	١٠ - هل ستكون أندونيسيا دولة إسلامية ؟ الدكتور رءوف شلبى

الصفحة	الموضوع
٨٩٧ - ٩٠٩	١١ - الإسلام في الفكر الأوربي الدكتور محمد شامة
٩١٠ - ٩٢٩	١٢ - المد الإسلامي لاجزر له الأستاذ محمد كمال السيد
٩٣٠ - ٩٣٥	١٣ - إعادة بناء الحضارة الإسلامية على أساس القرآن الأستاذ أنور الجندى
٩٣٦ - ٩٤٧	١٤ - الدعوة الإسلامية في أوربا الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى
٩٤٨ - ٩٦١	١٥ - دعوة إلى تدوين التاريخ الحرى الإسلامى اللواء محمد جمال الدين محفوظ
٩٦٢ - ٩٧٧	١٦ - صفحات مشرقة في تاريخ الأزهر الأستاذ على عبد العظيم
٩٧٨ - ٩٨٨	١٧ - أدب القمة وأدب القاع الأستاذ السيد حسن قرون
٩٨٩ - ٩٩٨	١٨ - الإسلام وتطبيق شريعته الدكتور توفيق محمد شاهين
٩٩٩ - ١٠١٦	١٩ - التصوف ومستقبل العالم الإسلامى الأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى
١٠١٧ - ١٠٢٤	٢٠ - نهضة إسلامية الأستاذ زاهر عزب الزغبى
١٠٢٥ - ١٠٣٣	٢١ - مشكلة الأقليات الإسلامية الدكتور عبد الودود شلبى
١٠٣٤ - ١٠٤٣	٢٢ - انقذوا هذه الكنوز الإسلامية الأستاذ أحمد أبو كف

- ٢٣ - أول دستور إسلامي يناقشه علماء المسلمين
الأستاذ محمد نعيم عكاشة
١٠٤٤ - ١٠٤٨
- ٢٤ - مستقبل الإسلام والدراسات الحديثة للمسيحية
الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل
١٠٤٩ - ١٠٦٠
- ٢٥ - كتاب الشهر : دور الحضارة خرجت من مصر والشرق وإليها تعود
الأستاذ أحمد حسين
١٠٦١ - ١٠٩٠
- ٢٦ - ملف خاص بالمؤتمر التاسع لعلماء المسلمين
التحرير
١٠٩١ - ١١١١
- ٢٧ - النص الإنجليزي لمشروع الدستور الإسلامي
١١١٨ - ١١٢٦

إلى السادة راغبي الاشتراكات في مجلة الأزهر
عليكم الاتصال باشتراكات أخبار اليوم (توزيع الأخبار)
٣ (أ) شارع الصحافة - القاهرة

وفياً بلى قيمة الاشتراك لمدة ١٠ أعداد سنوياً .

أولاً - جمهورية مصر العربية :

١.٥٠٠ (جنيه وخمسمائة مليم)

ثانياً - دول اتحاد البريد العربى الأفريقى :

٢,٧٠٠ (جنيهان و ٧٠٠ مليم) أو أربعة دولارات .

ثالثاً - باقى دول العالم :

٨,٧٠٠ (ثمانية جنيهات و ٧٠٠ مليم) أو ١٣ ثلاثة عشر دولارا تسدد قيمة
الاشتراك فى مصر نقداً أو بشيك لأمر اشتراكات مؤسسة أخبار اليوم تسدد قيمة
الاشتراك للدول العربية الأفريقية .
والدول الأجنبية بشيك مصرفى مسحوباً على أحد البنوك العالمية لأمر
اشتراكات مؤسسة أخبار اليوم :

المراسلة على هذا العنوان

توزيع الأخبار ٣ (أ) شارع الصحافة - القاهرة

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

CHAPTER 8

GENERAL AND TRANSITIONAL PROVISIONS

ARTICLE 87

The city of ... is the capital of the country.

ARTICLE 88

The laws provides for the State's flag, its slogan and the provisions of each of them.

ARTICLE 89

The laws are applicable as from the dat of application. They are not enforced on a retroactive basis unless stipulated in them This requires the approval of a two-third majprity of members of the Parliament. Retroactiveness is not applicable to criminal offences.

ARTICLE 90

Laws are to be published in the official gazette within two weeks from their promulgation and they are enforced a month after the date of publication unless otherwise provided for.

ARTICLE 91

The Imam and or the Parliament have the right to require the amendment of one or more articles of the constitution. The amendment appeal must specify the articles to be amended and the reasons for this amendment. If the appeal is submitted by the Parliament it must carry the signature of at least a two-thirds majority of the members.

In all cases, the Parliament must discuss the principle of amendment issuing a decision with a two-third

majority. If the appeal is to be turned down, the articles mentioned are not to be the subject of any other amendment unless after a year of rejecting the first one.

If the parliament agrees upon the principle of amendment, it will discuss the articles to be amended after two months of the first approval. If a two- thirds majority is agreed upon that amendment, it must be put into a referendum for the nation.

If the referendum is agreed upon, this amendment is applica from the date of announcing the results of the referendum.

ARTICLE 92

All the provisions agreed upon by laws and regulations before the promulgation of this constitution are valid and applicable. But they can be cancelled or amended according to the rules and procedures provided for by this constitution. If they are not in line with the provisions of the Islamic Sharia, they must be cancelled or replaced.

ARTICLE 93

This constitution is applicable from the date of announcing the nation's agreement to it according to the referendum.

Concluded with Allah's help and praise by the Islamic Constitution Drafting Committee on Sunday Zul Keada 13, 1398 H. (October 15, 1978).

ciliation is impossible.

ARTICLE 76

Compensation exceeding the amount of the Deia, can be agreed upon.

ARTICLE 77

Deia could be the same for man and woman.

ARTICLE 78

Punishment by return of injury is conditioned by complete equality and the judge must be fully confident in this.

ARTICLE 79

Lashing is the basic punishment in Taazir and imprisonment is prohibited except in certain crimes and for

limited periods specified by the judge.

ARTICLE 80

It is prohibited to humiliate the prisoner, exhaust him or insult him.

ARTICLE 81

A higher constitutional tribunal is to be formed to decide on the conformity of laws and regulations to the provisions of Islamic Sharia and this constitution. The law provides for the jurisdiction of this tribunal.

ARTICLE 82

A petitions department is to be formed according to the law which provides for its attributions and reimbursements of its staff.

CHAPTER 7 SHURA, CONTROL AND LAWS ENACTMENT

ARTICLE 83

The state is to have a Shura Council with the following authorities:

1. Enacting laws in line with the provisions of Islamic Sharia.
2. Ratifying the State's annual budget and the balance sheet.
3. Controlling the performance of the executive authority.
4. Providing for the responsibility of the cabinet and withdrawing its confidence when the need arises.

ARTICLE 84

The law provides for the conditions of election, its procedures and the conditions of membership on a basis

This paragraph is deleted in the countries having Shura Council.

of Shura to guarantee the participations of every sane, adult and well-reputed person in giving his opinion as well as providing for the financial status of the members as well as working out its internal regulations.

THE GOVERNMENT

ARTICLE 85

The government is responsible for administration and achieving the Sharia interests. It is answerable before the Imam.

ARTICLE 86

The law provides for the conditions of appointing ministers, prohibited actions while in office and suing them for illegal actions while in office.

CHAPRET 6 JUDICIAL AUTHORITY

ARTICLE 61

The judicial Authority's judgements must be characterised by justice according to the provisions of the Islamic Sharia.

ARTICLE 62

All people are equal before law. None of them will be granted any privilege and no class will be answerable to special courts.

ARTICLE 63

No special courts are to be set up and no one is to be deprived of his natural judge.

ARTICLE 64

The judicial authority is not to be prevented from hearing a case against the Imam or the ruler.

ARTICLE 65

Judgments are taken and carried out in the Name of Allah, All Beneficial, All Merciful. The judge is to apply no code but the Islamic Sharia.

ARTICLE 66

The implementation of the judgements her the state's responsibility. Refraining or negligence in carrying out these judgments is a criminal offence.

ARTICLE 67

The state provides for the independence of the judicial authority. Tampering with this independence is a criminal offence.

ARTICLE 68

The state chooses the best qualified staff for the judicial authority and facilitates its procedure.

ARTICLE 69

In the Hudud crimes, the accused must attend his trial. The criminal may be accompanied by his lawyer or by a lawyer appointed by the state if he does not choose one.

ARTICLE 70

The court is to be held in public and the public may attend it. The court's session must not be held in camera unless there is Sharia necessity.

ARTICLE 71

All Sharia penalties (Hudud) are inflicted in cases of adultery.

Libel or slander, theft, violent robbery, drinking alcoholics and apostasy.

ARTICLE 72

The law specifies the punishments sanctioned by the judge in non-Hudud crimes (Taazir).

ARTICLE 73

The law provides for the provisions of distributing the compensation (Deia). The civil responsibility must not exceed the Deia.

ARTICLE 74

The law provides for the conditions of repentance and its provisions.

ARTICLE 75

Capital punishment is not to be levied on any criminal unless recon-

ARTICLE 51

The Imam is subject to the judicial procedure and he has the right to deputise some body to attend for him.

ARTICLE 52

The Head of the State enjoys all the rights of the individuals and is bound by the same commitments. His financial status is provided for by law.

ARTICLE 53

The Imam is not to be mentioned in anybody's will. Himself and his relatives up to the fourth remove are not to be allocated any wakfs unless he is one of the legal heirs of the Imam. The Imam should not involve himself in any transaction with the government or its properties.

ARTICLE 54

Giving gifts to the Imam is not permissible, and if given, they should be added to the property of the House of Treasury (Beit el Mal)

ARTICLE 55

The Imam should be a good example for his people in justice, charity and good deeds, he joins all the other Imams of the Islamic states in discussing the interests of the Islamic nation. He is to be sent for pilgrimage every year and to participate in the all official and non-official Islamic conferences.

ARTICLE 56

The Imam is responsible for leading his army to fight the enemy and he protects the ports and the sacred territory of the country demarking borders and concluding the treaties after ratifying them.

ARTICLE 57

The Imam is responsible for injunctioning the people to follow the ordained of Gospels Allah and to practise their rituals.

ARTICLE 58

The Imam appoints the civil servants and he might delegate others in appointing lower ranking elements according to the law.

ARTICLE 59

Amnesty in all crimes except the Islamic penaltics (Hudud) is according to the law. The Imam has the right to give amnesty in special cases except those charged with Hudud and high treason.

ARTICLE 60

The Imam-when necessary - is entitled to take exceptional procedures stipulated in the law in case of tremors or any threat posed to the sovereignty of the state or civil war or war against any other state provided that he submits them to the parliament within one week of taking them. If the Parliament has not yet been elected, the old Parliament is to be summoned to consider these measures null and void unless these procedures are taken. A law is to be passed regulating these exceptional procedures and their subsequent results and the authorities concerned with taking them and the means of settling their results in case they are not ratified.

property. These rights are untouchable except according to the provisions of Islamic Sharia.

ARTICLE 38

Women have the right to work within the limits of Islamic Sharia.

ARTICLE 39

The government guarantees the freedom of ownership, the rights of possession and their sacredness. Confiscation is not admissible by any means. Impoundment is subject to a court's decision.

ARTICLE 40

Disappropriation is only permissible for the public interests in return for full compensation according to the law regulating that issue.

ARTICLE 41

Setting up newspapers is permissible and this in addition to the freedom of the press is within the provisions of Islamic Sharia.

ARTICLE 42

The citizens have the right to form societies and associations according to the law. Those organizations which are banned are of an aggressive nature which violate the system of the society or which are clandestine or of a military nature or not in line with the rule of the Islamic Sharia.

ARTICLE 43

Rights are enjoyed according to the objectives of the Sharia.

CHAPTER 5 THE IMAM

ARTICLE 44

The state must have an Imam who must be obeyed even if there are other opinions.

ARTICLE 45

«No creature is to be obeyed who counsels disobedience to the Creator»

ARTICLE 46

The law regulates the means of selecting the Imam under the supervision of the judicial authority. Selection of the Imam is by the required majority of the participants.

ARTICLE 47

Those standing for the elections of the Presidency must be Muslims, males, adult, sane, righteous, and well-versed in the provisions of Islamic Sharia.

ARTICLE 48

The Imam assumes office by means of public allegiance from all the classes of the nation according to the law. Women may participate in the elections provided they are eligible and capable of voting.

(The Committee decided to submit this topic to the Higher Committee)

ARTICLE 49

No legal action is taken against those who reject the allegiance to the Imam before his election.

ARTICLE 50

Those who have the right to elect the Imam have the right of forcing him to abdicate when the need arises according to law.

CHAPTER 4 INDIVIDUAL'S RIGHTS AND FREEDOMS

ARTICLE 28

Justice and equality are the bases of rule and the rights of defence and suit are untouchable and provided for.

ARTICLE 29

Within the limits of the Islamic Sharia, the Government provides for the natural basic fights of religious and intellectual beliefs freedom of labour and expression and the establishment of societies and associations as well as the right to them and guarantees personal freedom and freedom of transfer and communication.

ARTICLE 30

Homes, correspondence and personal privacies are sacred and espionage is forbidden, The government passes the laws organising the restrictions to be imposed upon them in the cases of high treason or major threats. These restrictions are not to be imposed except according to a high court's decision.

ARTICLE 31

Freedom of internal or external travel is provided for. The individuals are not to be banned from travelling or subjected to home arrest unless according to a court's decision in which the judge gives his justifications. Citizens are not to be sent into exile.

ARTICLE 32

Repariating those who seek political asylum is forbidden. Handing over criminals is to be organised with the concerned countries.

ARTICLE 33

Torturing people is a crime. The crime and its prosecution are not to be discharged during the life time of the criminal. The criminal or his partner are to be financially responsible. In case the crime is committed or agreed upon by a civil servant, he is to be considered a criminal partner and to be responsible for the crime, the government is also collectively responsible with its civil servants.

ARTICLE 34

The civil servant who knows about a torturing crime without reporting it or if the crime was committed in his jurisdiction is to be punished according to the traditions of «Taazir».

ARTICLE 35

No blood is shed unaccounted for in Islam. The government is to compensate the family of those who are killed without knowing their murderers or whose murderers cannot afford the compensation. This also applies for the handicapped the offenders of whom are not identified or who are incapable of compensating.

ARTICLE 36

Every body has the right to lodge a complaint for a crime inflicted upon him or upon anybody else or concerning the embezzlement or waste of public funds.

ARTICLE 37

Every body has the right to work and earn his living and to personal

and decisions to preserve the feelings of the public against profligacy according to the rules of the Islamic Sharia.

ARTICLE 15

Arabic is the official language. The hejri date should be mentic in all the official documents.

ARTICLE 16

Public hegemony is subject to the

interests of the public special in preserving religion, self, money and honour.

ARTICLE 17

It not sufficient that the ends are legal, but in all cases the means must conform to the provision of Islamic Sharia.

CHAPTER 3 ISLAMIC ECONOMY

ARTICLE 18

Economy should be based on the principles of Islamic Sharia as to guarantee human dignity and social justice, it should encourage thought and labour as means of making living and also protect the legal (Halal) earnings.

ARTICLE 19

Freedom of trade, industry and agriculture is provided for within the limits of Islamic Sharia.

ARTICLE 20

The government is to set plans for economic development according the Islamic Sharia.

ARTICLE 21

The government is to fight monopoly but it is not to interfere with the fixing of prices except when the need arises.

ARTICLE 22

The government should encourage

reclaiming deserts and expanding the cultivated area.

ARTICLE 23

All forms of usury are prohibited together with any shade of usury in any transaction.

ARTICLE 24

The government is the owner of the sub-earth minerals and raw materials and all the other natural resources.

ARTICLE 25

The House of Treasury (BEIT EL MAL) is the owner of any unappropriated items. Law regulates the means of individual property.

ARTICLE 26

The government channels the alms (Zakah) in its legal public expenditure according to the Sharia.

ARTICLE 27

Wakf is permissible and a law organising it should be passed.

ARTICLE 3

Any country could unite with one or more other Islamic countries in the form agreed within.

ARTICLE 4

In the Islamic Nation: The peop-

le are responsible to be guardian of imam. his assistants and the whole of the state governors and officials. as well as to revise and inspect about them according to islamic Jurisprudence.

CHAPTER 2**BASES OF ISLAMIC SOCIETY****ARTICLE 5**

Cooperation and reciprocal responsibility are the bases of the society.

ARTICLE 6

To enjoin The Right and to forbid The Wrong are obligatory. Who neglects them—While he is able to do so—is sinner.

ARTICLE 7

The family is the basis of the society. The family should be based on religion and morals. The government should guarantee support for the family, protection of mothers and children and provision towards the means to that end.

ARTICLE 8

It is the government's duty to protect the family by encouraging early marriage and facilitating its material means of housing and the other possible facilities. Marital life should be held in great respect through providing the means according to which the wife would obey her husband and look after her children and consider keeping the family the first of her tasks.

ARTICLE 9

Looking after the wholesomeness

of the nation and the health of the individuals is the government's duty and it should provide medical services whether preventive or curative.

ARTICLE 10

Seeking knowledge is a duty. Education is the government's task according to the law.

ARTICLE 11

Religious education is a main subject at all levels of education.

ARTICLE 12

It is the government's task to teach all Muslims, the agreed upon duties «Farida» as well as the Prophet's and the orthodox Caliphs' traditions which are to be carefully studied along the stages of education.

ARTICLE 13

The government is to encourage Muslims to memorise parts of the Holy Koran during the stages of education. It should also set up special institutions to teach the Koran to the rest of the people as well as printing the koran and having it circulated.

ARTICLE 14

Bedizement is forbidden and observing others' feelings is a duty.

The government is to pass the laws

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

English Section

EDITOR - IN - CHIEF : Dr. **Abd-ul-Wadoud I. Shalaby**

SUPERVISOR : **Zaher A. El-Zoghby**

Volume 51 No 4 — Jomada-Al-Ula 1399 A.H. April 1979 A.D.



In The Name of ALLAH, The Beneficent, The Merciful.

**ISLAMIC RESEARCHES ACADEMY
TECHNICAL SECRETARIAL DEPARTMENT**

DRAFT OF THE ISLAMIC CONSTITUTION

**Submitted by
The Sub-Committee of the Higher
Islamic
Constitution Drafting Committee**

CHAPTER 1 ISLAMIC NATION (UMMA)

ARTICLE 1

- a) Muslims are one nation
- b) Islamic (Jurisprudence Shari'a Islamiyah) is the source of all legislations.

ARTICLE 2

In The Islamic Nation : Numerousness of states and diversity of the forms of their governments are permitted.